

فىسىلىلة لائمىركۇللەنجىللەر V

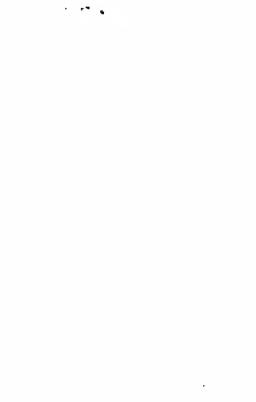
ۗ ۗ ۗ ٢ أَ إِلَّهُ إِلَّهُ كُلِّ الْمُرْكِ خِلًا هِمُ إِلَّهُ الْمُنْ الْمُؤْلِقِينَ وَخَبَائِكُ الْمُنَافِقِينَ فِي التَّارِينِ

دَاْسَة تَملِيُلِنِدَ وَوَجِهَةِ لِلقَّرِفِيدِ بِالنَّفَانِ وَالْمَنَا فِينِينَ تَسَرُّرُوهُوعِيُّ شَابِلُ لِلْصُوصِلُّ لَمَّا نِعَبِينَ نَظِوَّ اسْتُرْاضِتَهُ الْشَافِئِينَ عَبِلِنَا حِ

عالرحرجب جبكة الميداني

اكجزُّوالْآوَلُ

ولرراليك



حقوقُ لاطبع يَفِوْظُ مِلْفِوْكُ

الطّبعَة الأولّ 1216م - 1998مر



لولا أنّ الابسلام حقّ بزات، ، مؤيّد بتأيي.

الله ، محفوظ بحفظ، لم تبق من بِقيت

تصباع قوى كشِّر في الأرض ، التي ما تركت

سبيلامرابلكريه إلا سلكته ، ولاسبّنا لاطف ونوره

إلّا أخذت به ، ويمكرون ميكرايندوايت خرالماكرين





بَين يَدَي الكتّابّ

الحمد فه الملك الحقّ العبين، خالق السماوات والأرض وما بينهما بالحق، مُمَّلُم الحق، والهادي إلى الصراط الحق، وناصر الحقّ بالحق، وأنزل كتابه بالحقّ. ويعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه.

وصلَى الله وسلَّم وبارك على عبده ونبيَّه ورسوله محمد بن عبد الله الذي اصطفاء لحمل رسالته الدخاتمة للعالمين، فبلَّغ الرسالة وأتى الأمانة ونضخ الأمَّه، وجامنا بها ملَّة بيضاء صافية نقيَّة، ظاهرها كباطنها، لم يخالطها غبش ولا ظلمة، ولا كذَّرُ ولا عكرٌ، ولم يدخل فيها باطلُّ ولا ضلالة.

ونعوذ باقد السميع العليم القدير القاهر فوق عيداده، من الشيطان الرجيم، إمام الكافرين والملحدين والضالين والمغضوب عليهم، من الكاشفين لصفات نفوسهم، ومن المنافقين الذين يلبسون أقنعة الكذب والخداع والمسرآة على مطوي الخيث والشرّ والضر.

ونعوذ بالله السميع العليم القدير القاصر فوق عباده، من جنود إبليس شياطين الإنس والجن، ولاسيما المنافقون الذين جمل الله لَهُم نُزُولُ الـدُرُكِ الاسفل من جهنم دار العذاب يوم الدين.

وبعد: فلمَّا كان الشاق أخطر مكيدة تهدم أبنية المحنَّ، في عالَّتي الإنس والبحنّ. وتُفيلَّ وتُقْبِد ذوي الإرادات الحرّة الموضوعين في الحياة الدنيا موضع الإيتلام، وأخطر حيلة اتخذها إبليس لإخراج آدم وزوجه من الجنة، وجلتُّ من واجبي أن أجعل ضمن دراستي لاعداء الإسلام، وما سطرت بتوفيق الله ومعمونته من كتب عنهم وفي سلسلة أعداء الإسلام؛ دراسة النفاق والمتافقين، وأن أكتب كتاباً خاصاً في النفاق، وأبين فيه صفات المتافقين وخبائهم في التاريخ.

وقد كنت منذ أكتبر من عشر سنين عزمت على إعداد هذا الكتاب، وأعلنت عزمي هذا، وجاءت الإشارة إلى هذا العزم فيما ذكر الناشر في إعلاناته، حتى بدأ كثير من القرّاء يترتّبون ظهوره، ويسألونني من حين لآخر: هل تَمّ إعداده؟ فأجيب بسأن الله عزّ وجلّ لم يأذن بعد.

وكنت أكتب في هذا الكتاب بعض الوقت، وأثرك الكتابة فيه أوقاتاً كثيرة، وتصرفني صوارف كتابات أخرى، حتّى بيّر الله عزّ رجلً لي أن أتفرّغ له، وأجتهد في إعداده، ورايتُ في الحلم أنّ هذا الكتاب الذي لم أيّمةً بَعْلُة قد طُيع، وعُرض علي في الرؤيا شكل نسخة مطبوعة منه، فقلتُ في نفسي: قد أذن الله إذن بإكماله، ضاطعانً قلبي للأمر، ثقة بالبشرى، فضاعفت جهدي، وتابعتُ البحث والكتابة.

وهذا هو السفر الذي كان عزماً، فخُلماً، وفد اجتهدُتُ أن أجْمَع فيه ما يحتاج إليه الباحث من حفائق، ونصوص، وتحليلات، وأمثلة، ودراسة مستفيضة، لظاهرة التفاق، وخبائث المنافقين في التاريخ.

ورأيت أن أقسم البحث فيه إلى ثلاثة أقسام، تشتمل على فصول أو أجزاء:

فالقسم الأوّل: يشتمل على مقدّمة، وتعريفات عامة.

والفسم الثاني: يشتمل على دراسة تحليليّة واستنباطيّة للنصوص القرآنيّة التي فنزلت بشأن المنىافلين، مرتّبةً على وفق نرتيب نىزولها، مع بيان مـا ورد من أسباب النزول.

والقسم الشاك: يشتمل على عرض صا تيسّر لي جمع من وقبائع وأحداث المنافقين في تاريخ الخلق، أفراداً وجماعات ومنظمات.

وأشير إلى أنَّ هذا الفسم الشالث قسم يتعذّر سُبُّرٌ كلُّ ما يتعلّق به، ولا يستطع الباحثون مهما بذلوا من جهود مضنية إلاّ أن يقدّموا أمثلة ونماذج منه نقط. أسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحميني والسلمين من مكايد شياطين الإنس والجنَّ من الكفرة والمنافقين وجنودهم وأنصارهم وسائسر المجرمين.

وأسأله عزَ وجلَ أن ينفع بهذا السّفر، ويبصّر به المسلمين، ويهدي بـه الفسالين، وينبّه به الغافلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

عبازر مرحب جبنكا الميداني



القِـــــمُ الأول

مُقَدِّمَة وَتَعْرِيْفِ اتَّ عَامَةً

الفصل الأوَّل : مقدَّمة عامة.

وفيه قصول:

الفصل الثاني : الإيمان والإسلام.

الفصل الثالث : الكفر والنفاق.

الفصل الرابع : مجالات النفاق وصُورٌ منها.

الفصل الخامس : ملخص صفيات المتنافقين النفسية وأشارهـــا في سلوكهم الباطن والظاهر اقتباساً من النصوص القرآنية.



الفَصَ إلافول

مُقَدِّمَةً عَنَامَةً

(1)

النفاق وخطره العظيم

النفاق انحراف خلقيٍّ خطير في حياة الفره، وفي حياة الامم، وتبدو خطورَّك الكبيرة حبنما نلاحظ أنَّه يدخل في الدين أعظم الْقِيَم في الحياة، وحبنما تـلاحظ أيضاً آثاره على الحركات الإصلاحيَّة الخَيْرة، إذْ يقوم بعمليَّات الهدم الشنيع من الــداخل، وصاحبُه آمِنُّ مُشْتَأَمِّنُ، لا تُراقِبُ الأغَيْن، ولا تَحْسُبُ حساياً لمكره ومكايده.

والنفاق سلوك مركّب يرجع إلى عدّة عناصر خلقيّة ذبيمة ، يدخيل فيها الجبّرُه . وجحود الحرّ، والطمع في العنافع الدنيوية ، والقدرةُ على المراوغة والحيلة وليس الاقدة المختلفة ، وعمادُها الكذب في القول والعمل .

وإنَّ أشطر المصائب التي حلّت بالمسلمين في تاريخهم الضابر، وفي واقعهم المماصر، إنَّما حلَّت يهم عن طريق النفاق والمنافقين، ويوسائل الكيد التي قام يها أو كان مطبّة لها المقدمون باقتمة الإسلام زوراً ويهتاناً، وهم كافرون به، أو مرتابون فيه، يعملون لتهديمه من داخل صفوف المسلمين، أو يخادصون المؤمنين، ليأننُوا في ظلّهم، أو ليندوا معهم من مغانمهم، وليشاركوهم في منافع ومصالح، أو سلطانٍ وقووًّ في الأرض.

لذلك كنان من الواجب التحذير من النضاق والمنافقين، ويسان مواقع النضاق وخصائصه، وصفات المنافقين، وكثف أعمالهم في هدم الإسلام وإفساد المسلمين، وخدمة أعدائهم المجاهرين بعداواتهم، وتنفيذ مخططاتهم المدترة للعقائد الإيسانية، والشرائع والأحكام والأخلاق والآداب الإسلامية، سبواء أكان هؤلاء الأعداء من البهود أو التصارئ أو المجوس أو غيرهم من أصحاب الملل والتحل، أو كانوا من الملاحدة لين لا دين لهم مطلقاً إلاَّ تمجيد المائة وعبادتها، من غربيّين وشـرقيين، قـدمـاء إلحدثين.

إنَّ المدوَّ المخالط المُمَناعل المُسْاكِن أخطر واندُّ كِيداً من العدوَّ البعيد، واللعصَّ يخالط المُداخل الذي يلبسُّ ثربَ صَدِيقٍ وَفِيُّ أَمِينٍ أَكْثَرُ ضُراً وانفدُّ مكراً من اللعصَّ يكشوف الذي يُمْرِفُ باتَّهَ خالن غذار، فيحذُّرُ الناس منه، ويُفُون أنفسهم من سَطْوِهِ إجيّله ومكايده.

ويقول الناس في أمثالهم نحو قولنا: لصّ الدار لا تراقبه الأنظار.

لذلك شدد الله عزّ وجلّ في كتابه على المسلمين المؤمنين لكي يحدفروا من إنفاق والمناففين أبَّلُغُ الحذر، ونهاهم نهياً جازماً عن أنَّ يتخلوا منهم بطانةً مداعلةً مضالطةً صالمةً بالأسرار، قادرة على إفساد أعمال المسلمين المؤمنين، وإحباط ما يُعبّرون من أمر لإعلام الإسلام، وتقوية الأمة الإسلامية، وقادرة على الاتصال بإكماء سراً، وإعطائهم ما يطلبون من معلومات، وتنفيذ ما يخطّطون من مخطّطات، والمؤمنون عنهم غافلون، ولهم مستسلمون، ويتصرّون أنّهم من جهتهم آمنون.

وجاء في كلام الرسول ﷺ أنَّ أخوف ما يَخاف على أمنَّه من بعده المنافقون.

روى الإسام أحمـد بـإسنــاد صحيح عن عمــر بن الخـطّابِ رضي الله عنــه، أنّ رسول الله ﷺ قال:

وإنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ الَّلسان،

أي: علْمُه بالإسلام لا يتجاوز حدود لسانه، فكلامه يتُخدع المؤمنين، ولكنَّه يضمر في قُلْهِ الكِذْ وإرادةُ الشَّر.

وهذا كقول الله عـزّ وجل في وصف فـريق من المنافقين في سـورة (المنافقـون/ ٦٣ مصحف/ ١٠٤ نزول):

﴿رَإِن يَقُولُواْنَشَمَعُ لِتَوْلِمُ مَن ﴾ . وجاء في رواية عن النبئي ﷺ أنّه قال: وإنّ أخوف ما أخاف غلبُكُمْ بَعْدِي كُلّ مُنافِق عَلِيم اللّمَمَان».

(رواه الطبراني في الكبير، والبزّار، ورجاله رجال الصحيح)

وجاء في رواية أخرى:

وإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ كُلُّ مِنافِقِ عَلَيْمِ اللَّسَانَ؛.

وعن أبي عثمــانَ النُّهْـدِيُّ قــال: سمعتُ عُمَـر بْنَ الْخَــطُابِ وهــو على منبــر رسول الله ﷺ أكثر من عدد أصابعي هذه وهو يقول:

وإِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمِنافِقُ، الْعَلِيمُ ، .

قيل: وكيف يكون المنافق العليم:

قال: عالم اللسان، جاهل القلب والعمل.

ويظهر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سَمِع هـذا الكلام من الـرسول ﷺ، فكان بُكرَره في خطبه، بدليل الروايات الصحيحة المرفوعة إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

ورُوي بإسناد جيَّد عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنه قال:

وإنَّ أُخْوَفَ مَا أَخَافُ عليكم ثلاثَةً:

 مُنافِقُ يقرأُ الْقُرْآنَ لَا يُخْطِئ، فِيهِ واواً ولا الفاً، يُجَادِلُ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ لِيُضِلُّهُمْ عَنْ الْمُدَّىٰ.

وَزَلَّةُ عَالِم .

• وَأَيْمُةُ مُضِلُّونَهِ

ورُوي عَنْ عُمَر آيضاً بإسنادِ لَيْنِ أَنَّهُ قَالَ:

وَمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَحَدْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ مُؤْمِنِ قَدْ تَبَيْنَ إِيمَانُهُ، ورَجُلٍ كَافِهِ قَدْ تَبَيْنَ

وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مُنَافِقاً يَتَعَرَّذُ بِالإِيمَانِ وَيَعْمَلُ بِغَيْرِهِ.

ُ ورُوِيَ بإسنادِ صَحيح عنْ حُذَيفَةَ مَوْقوفاً عليه، أنَّه قال:

وإنَّ مِنْ أَقْرًا النَّاسِ الْمُنَافِقَ الَّذِي لاَ يُشْرُكُ وَاواً ولا أَلِفاً، يُلْفِتُهُ كما تَلْفِتُ الْبَفَرَةُ الْخَلَى بِلِسَانِهَا، الْخَلَىٰ: الحشيش، وكُلُّ نَبَاتٍ رَطْبٍ، واحِدْتُهُ وَخَلَاةُهِ.

ولهذا القول عن حذيفة شواهد مرفوعة إلى الرسول ﷺ، عن عبد الله بن عُرُو بن العاص، وعُمَّرَ بنِ سُعْد، عند أبي داوُد، ومُسْند أحمد، بأسانيد قبل: إنها محمدة

.

تسلُّلُ المُنافقين ومكرهم وإفسادهم من الداخل

إِنَّ المِنافَق خَبِيتُ الغَس، فقد يكون جاسوساً وعيناً للأصداء الهُمْرِحاء. يُشَرُقُ بن مجتمع المسلمين الاخبار والأسرار، ويتقُلُها لأعدائهم، مقابل أجورٍ يسذلونها له، أو منافع يذلُّلُونَ له كُوْنُها، أو مطلم يُمدُّونَه بها، ويَبعُونَه بتحقيقها.

والمنافق مفسد داخيل صفوف المسلمين، لا يالوهم خبيالًا^(١)، يُسُرُّهُ ما يُسُوهُ المؤمنين الصادقين، ويُسُورُّهُ ما يُسرُّهم .

والمنافق مكارً مراوغ خذاً فى يتربَصُ الغُرَّات، وينتهز الْفُرصَ السانحات، ليخلَغ الثرات الصَّدافة والموالاة، ويَكْثِف عن جَلْدِهِ الحقيقيَّ، جَلْدِ الكراهيّةِ والحَشْدِ والْمَدْاء وإرادة الشَّرِّ.

والمتنافق من أبناء الأمّة فنيءً النفس، يُشهُل على العدق المجاهر بعداوت شراؤه واستجازُه، لِفَرْبِ أَنتَه عن طريقه، مُقالِل ثَمَنٍ بَخْس يُدْقَع له، أوْ شَهوة معرَّمة بُنُذَل له، أو رُقَدِ بَسَلَيْهِ عَلَى قُومِهِ يُقَدُّمُ له، أو رُفّهِهِ بالانتقام لَهُ من أعداله من داخل أُنته.

كم دخل إلى صغوف المسلمين المؤدنين منافقون ماكرون، تظاهروا بالإسلام والاستقامة والدولاء الكامل للمسلمين، وليسوا ألب أ المسالحين المتقين، ثم تسلّلوا ينفاقهم إلى الصفوف الاولى من صفوف المسلمين، حتى كان بعضهم أحد مستشاري الخليفة، أو الأمير، أو الدولس، أو الملك، وحتى صدار بعضهم قساضياً من قفساة

إي: لا يُتَصَّر في إفساد أمورهم وإيقاع الضرّ بهم.

المسلمين، أو عالماً من علمائهم، أو منياً من أقسل الفتوى فيهم، أو زهيماً من زعمائهم، أو قالماً عسكريًّا من قادتهم، أو حاكماً كبيراً من حكّامهم، ثمّ أخَمَّا بكيًّ الإسلامُ والمسلمين من خلال مركزه الذي وصل إليه. "تمريد" لم شدعه، عجم، عادات

وكم من خير يهودي داهنة دخل في الإسلام نفاقاً، يُنْبِعدُ عقائد المسلمن، ويَسُشُ الأكاذيبُ والخوافات، ويخترع لهم البدّع والفسلالات، ويُسْرَف الْكَلْم عَنْ مواضعه، ويؤسس المذاهب الفيالة، والفرق المنحوفة الخاتة، وليُدَّخل في تفسير كتاب الله وشرح احديث رسول الله على الإسرائيليات المباطلات، والأراء الفاسدات، والاجتهادات المُهالات، وليميت في مفهومات النصوص الإسلامية عبّ المفسدين، فيُجلُّ مَا حرم الله، ويُحرَّمُ منا احل الله، ويُعظّم من المر الصفائر، ويُهرَّن منْ المر الكبائر، ويَشُر الوشيات، ويميت حَيِّ عَلَى الجهاد في سبيل الله، ويجعل ما يخترعه ويُخدِنُه من بِنْع لا أصل لها في الدِّين هي روح الذين، أمّا أوكنان الإسلام واحكاله وعصائِها، ويحاولُ انْ وقواجِدُه الصحيحة، يَشْفَعَتُ منْ شَائِهَا، ويَعَلاعِهُ بمعهوماتها ومعانبها، ويحاولُ انْ يجعلها هياكلُ ورسوماً غير ذاب مضمُونِ إسلامي صحيح.

وكُمْ من قَـنُسِ أوْ راهِب نصراني فَعَلَ مشل ذلك، فـدخل في الإسـلام نفاقــًا، لينُسَ كثيراً من المفاهيم والعقائد النصرانية داخل المفهومات الإسلامية.

إِنَّ فكرة حلول الله واتّحاده في الأشخاص البشريّة تَسَلَّفُ إلى بعض الطّوائفِ المنتسبة إلى الإسلام، عن طريق المنافقين من أصول نصرانيّة، أو المنافقين من أحيار اليهـود، فالحلول والاتّحاد وتأليمه البشر منّا دمّه اليهـود أصلاً في النصـرائيّة، حتّى أفسدوا مقائدها التي جاء بها عيسَىٰ عليه السلام.

وفكرة تأليه عليّ بن أبي طالب رضي ألله عنه، وتأليه من يعده من مسلالته، مكينة يهوديّه، دسُها اليهودي العنافق وعبد الله بن سبأه المشهور بابن السوداء لأنّ أمّه كانت ذات جلد أسود، ثمّ يههودٌ أخرون مشافقون تستّروا من بعمده بمالـلُـخول في الإسلام.

وكم من طُفوس ومراسيم نصرائية وثنيّة، وعادات نصرانية كنسيّة، تَسَلَّتُ إلى بعض فرق المسلمين، عن طريق الداخلين في الإسلام نفاقاً من أصول نصرانية، وربَّما كان بعضهم صادقاً، إلاّ أنَّه جلَّبها بحُسْن يُبَّه، وهو جناهل بشرائع الإسلام وأحكامه، وتعاليمه

ي. أس وكم من ضابط عسكري يهودي أو نُصراني تظاهر بالإسلام نقاقا، ودخل إلى بالمبر المدرد المسلمين، فخالط أهله، وتعلّم أُمُفَتَهَمَّ، ودرس العلوم الإسلاميّة، وحفظ من القرآن والسّنّة، ورقبط أمّ المسلمين في الصلاة الجمعة أو لصلاة الجمعة أو لصلاة المبيد، ولمّا انتهت مُهمتُه سافر إلى بلاده، ثمّ صلد برتبته ولباسمه العسكري مع جيش الإحتلال الاستعماريّ إلى البلاد، وكشف عن وجهه الحقيقيّ، وأظهر أنه كان منافقاً، وأنّه بنفاله استطاع أنْ يظفر بعملوماتٍ مُهمّة لصالح فومه، ما كان باستطاعته أن يصل إليها لو أنه دخل برجمه الحقيقيّ.

ودخيل في الإسلام من المجوس منافقون، فأدخلوا في مفهومات بعض الفرق المستسبة إلى الإسلام مفهومات باطلات ما أنزل الله يها من سلطاني، وكان ذلك منهم كيداً كادُوا به الإسلام والمسلمين، وتسلَّل بعضهم إلى مراكز عطيرة في الدولة الإسلامية، إذ استطاع أنْ يكتسبُ ثِقَةً ذي سلطانِ رفيح فيها، فَلَمَّا أَنْ كُنْ حَانَ الاَمَّة، وأَنْحازُ إلى عدَّرُها، وأوقعَ شرَّا عظيماً في المسلمين، ذبحاً وتقتيلاً وتخريب عمران، وإفساداً في الارض، واستدعاءً لجيوش أعداء الإسلام.

. .

(")

صناعتهم للنكبات والفتن الداخليّة

إنَّ معظم النكبات والفتن المداخلةِ الَّتِي تعرَّضُ لها المسلمون خلال تاريخهم 8 تطويل، قد كانتُ بسبب العمالس والمكايد التي تعولُّن العنافقون والمنخدعون بهم يحيِّرها، فعنهم نشأت معظم الفرق المنحوفة العرقة عن الإسلام.

والمنافقون في التاريخ الإسلامي هم الذين أحكمُوا دسائسهم، فالسُّمُوا فعرقة 8 لبناطئيّة الممرتنّة الملحدة، التي كانت الإسلام والمسلمين اليُمما كُيْدٍ خِسَالاًلُ فَمُرونِ عنديدة، وكان لها مِسالاتُ مِرِّيةً بالبهرو الذين يحقِمُونُ على الإسلام والمسلمين، هريُدرَّونُ ضَدَهما كُلُّ ما يستطيعون من كيد، وكان من الباطنيَّينُ دعْمُ وتاليمَّ للبهود في حخلف مجالات الحياة. كمْ من هزيمة كان المنافضرن سببها، وكم من فتنة أطلق المنافضون شرارتها، وأوقدوا نازها، وكم من ضلالة فكرية أو عملية كان المنافضون هم الناشرين لها، وكم من إفسادٍ خُلِيَّى أو سلوكيٍّ كان المنافقون هم العاملين عليه، وكم من عيانة لمدولة المسلمين عانها المنافقون، فتمكن بسبها اعداؤهم من النكاية بهم، والإضوار الشديد بيلاهم وأموالهم ودينهم.

إنَّ معظم المذين مساروا في ركباب الأعداء، فتقلوا لهم الاخبار، وفتحوا لهم الأبواب في السّلم والحرب، وتُبَطُّوا روح الجهاد في سبيل الله صَدَّهم، قمد كانـوا من صنف المنافقين.

لقد توصّل قريق من المنافقين إلى مراكز رفيعة من أجهزة المحكم عن طريق الثدرج والتسلّل وإرضاء الرؤساء بالرُشوات، وجمهورُ المسلمين بهم منخدعون، وعن مكرهم غافلون، وعلى أعمالهم يثنون ولهم يُنجّدون، فلّمًا تمكّنوا من كرسيِّ المحكم إذا هم بالمسلمين الصادقين والمؤمنين الأطهار بنكلون، ولأحكام الإسلام يحاربون، ولجمهور المسلمين بتجهّمُون، ولمخطّطات أعداء الله ورسوله ينقَدون. ثُمُّ إنَّهمٌ يُرلُّونَ الهمود والتصارى وسائر الكفرة والمسرتـذين على المسلمين، ويستعبدون المسلمين المادقين الماترمين بطيق شوائع الإسلام.

وتــوصَل فــريق من المنافقين إلى مــراكز دينيّـةِ عاليــة بين المسلمين، فكان منهم ـــ كما ذكرت أنفاً ــ قضاة شرع ومُقتُّون، وكان منهم خطباء، وكان منهم فقهاء وعلماء، وكان منهم شيوخ معاهد علّم كبرى، وكان منهم مستشارون الأولي الأمر من المسلمين، وكان منهم شيوخ مُرزِّونَ ومُسلَّكون، من شيوخ الطُّرِّي الصوفيَّة.

وتسلُّل المنافقون والمنافقات إلى أروقة القصور السلطانية، فأفْسَدُوا فيها وعبُّوا، فكم من قصّة اغتيال كانوا هم المديرين لها أو المساعدين عليها.

وتسلّل المنافقون إلى حـوانيت التّجار، فتـظاهروا بـالتقوى، ويــالّفوا بــالصلوات والأذكار، وهم خونةً كَفَرَةً قُجّار.

وتسلّل المنافقون إلى صفوف الجيوش الإسلامية، حتّى كانُوا فيها قادةً مخـطُطين أصحـابُ أمْرِ وَيْقِي، فجائبُوا للمسلمين الفشل والخيية والهزيمة والخزي والعـار،

وجلبُوا لبلاد المسلمين الخرابُ والدَّمارِ .

وتسلّل المنافقون إلى مدارس العلّم، ودواتر التخطيط والترجيه، فدَسُّوا في العلوم الإسلام، ولما جاءً في كتابه العلوم الأوكار الملحدة الكافرة، والمداهب النافية لدين الإسلام، ولما جاءً في كتابه وسنّة رسُوله، وابتَّمَدُوا الإسلام عن مجالات المعمرةة في الخطط والمناهج والكتب، وعملوا على وضّع التعليم في ايني اعداء الإسلام، من كافرين مجاهرين، أو منافقين مقتمين، يتظاهرون والاتساب إلى الإسلام، وهم له جاحدون، ولاحكامه متكرون، وللصافين بالانتساب إلى معادون.

ولدى التبعُّ لا نكاد نجدٌ عصراً من عصور تاريخ المسلمين لم يكن للمنافقين فيه دور خطير، مشحون بالإفساد والتضليل وإثارة الفتن، وخراب العمران، وتقريق صفوف المسلمين، وصناصرة الأصداء المحاربين سرًّا، وإصدادهم بالأنباء عن واقسع حال المسلمين، وعن تُقررات الضعف في حصوبهم، أو في صفوفهم، أو في حدود بلادهم، أو غير ذلك.

(£)

خطأ بعض الدعاة بشأن النفاق

يرى بعض رجال الموعظة والـدعوة إلى الله أنَّ النصَّاق قد انتهى منــذ آخر عصــر المرسول ﷺ، وتصحيحاً لهذا الرأي المجانب للصّواب أقول:

أوَّلًا: لقد اثبتت وقائــع التاريـخ أنَّ النفاق قــد كان أشــدٌ كيداً، وأكنــر مكراً بعُــد عصر الرسولﷺ منه في عصره.

وقد استطاع اعداء الإسلام والمسلمين أن يحققرا من أهدافهم بعد عصر الحرسول ﷺ عن طريق النفاق أمرواً ما استطاعوا أن يحققوا منها في عصره شيئاً، والسبب في ذلك أن المنافقين كانوا مكشوفين للرسول ﷺ بما أتاء ألله من يصيرة، وكان الموحي الرئاني يُتْرَلُ فاضحاً أعمالُهُمْ مع كُلِّ حَدْثٍ من أحداثهم، لكنَّ المسلمين بعد ذلك لم يستطيعوا أن يكشفوا كُلُّ من دخلُ في الإسلام نفاقاً، أو ارتدُّ عن الإسلام دون أف يُغلِن رَفّه، وبفيَ بين المسلمين يتظاهر بالإسلام نفاقاً. وفي أيام الفتوحات الإسلامية الواسعات انصرف المسلمون الصادقون إلى ما هم فيه، وانشغلوا عن رُضدِ المشافقين الاخباث، ضِمَّن الأفراج التي كـانت تـدخــل في دين الله إعجاباً به، وبالفتح العبين الذي منحه الله للفاتحين المسلمين.

ثُمَّ غَلَبَ على المسلمين بعد ذلك خُسنُ الظنَّ، وتفاقم حُسْن الظنَّ لدى من جاء بعدهم، حَتَى غَلَبَتْ الففلة.

ثمَّ جاءت أجيالُ اختلُّ عُنَّدُها العيزان الَّذِي يجب أن يرنموا به السَاسَ، من خلال سلوكهم وأخلافهم وفلتات السنتهم.

ثم ضعف الإيسان عند الجماهير الوارثة للإسلام، والمتنسبة إليه، فضفقت يصيرتُهُمْ، فَسَلَّل الصنافقــون إلى صفوفهم، وظَلِسَرُوا بِتَقْتهم، واستَـدْرَجــوهم إلى ما يربــونَة مُنهم مِنْ إِفْسَادٍ وتَصْلِيل، أو تصذيبٍ وتنكيل، أو ردَّةٍ عن الإسلام، واتباع لليهود أو النصارى أو أهل الأوثان، أو الملحدين الجاحدين لوجـود الله ربِّ العالمين، أو مدّعي الألومية من البشر، أو مدّعي الألومية ليَقض البشر، أو غيـر ذلك من مـذاهــ الكُمْرِ في الأوض.

ثانياً: لقد كان دور المنافقين في مقتل عمر، ثمّ في مقتل عثمان رضي الله عنهما هو الدور الاكبر.

ثم جاء دور المنافقين في تاسيس أتحطّر المذاهب والفرق في تاريخ العسلمين. ثمّ جاء دور المنافقين في إقامة بعض أنواع المحكم التي تنسب إلَى الباطنيّة ذات الصلة اليهوديّة في السّرّ، وتتظاهر بالإسلام، وهي تكيد الإسلام والعسلمين كيداً يُجُارًا.

ثمّ كان للمنافقين دور خطير جدًّا في تقويض الدولة الإسلاميَّة في الأندلس، وطرد المسلمين منها في أعظم نكبةٍ أُصَيبَ بها المسلمون خلالَ تاريخهِمُّ الطويل.

حدّثني حاجٌ بداكستاني اجتمعتُ به مصادفةً في مكّة في بيت أحَدِ الأصدقـاء، وعلمت منه أنه ضابط كبير في الجيش الباكستاني برتبة ولواء، قال: إنّ المحكومة الهنديّة إبّان الصراع الدامي بينها وبيّن باكستان، أرسلتُ وقُداً إلى إسبانيا، للاستفسار بشكل رسميً عن الأسباب التي استطاع بها الإسبانيون النصاري تقويض الدّولة الإسلاميّة في رسميً عن الأسباب التي استطاع بها الإسبانيون النصاري تقويض الدّولة الإسلاميّة في الأندلس، فرجع الوفد وفي حقيته أنَّ أهمُ الأسباب الَّي تمكُّرا بهما من تقريض دولـة المسلمين في الأندلس النفاق والمنافقون، وذكر لي أنَّ خيَّرَ هذا الوفد وحقيقة ما عاد به من إسبانيا قد تُشِر في الشُّحف الباكستانية وغيرها في حينه.

وقد سألت عن حبر هذا الموقد كثيراً من الباكستانيين ذوي الاطلاع فماكذوا لي صحة هذا الخبر، ومنهم سفير باكستان في دهشق سنة ١٣٩٨، هجرية، ولكن لم يتبسر لي الاطلاع على نصَّ مششور لهذا الخبر.

وكـان للمنافقين دور خـطير في معـاونة التنـار ضدّ الـدرلة الإســـلاسيّـ. الخلافة العباسيّـة.

وكان للمنافقين دور كيرٌ جدًّا في معاونة الصليبيّن، وتمكينهم من بالاد المسلمين، وجماهير الأمّة الإسلاميّة.

ثمُ كنان للمنافض المدور الاكبر في همدم الخلافة الإسلامية العثمانيّة، ثم في استقدام الدّول النصرانيّة المستعمرة إلى بلدان المسلمين، وتمكينهم من كلّ شيء فيها.

ثمُ كنان للمنافقين دور خمطير وكبير في خدمة الدُّول الاستعماريَّة، وتفهيذ مخطّفاتها، سواءُ أكانت هذه الدُّول الاستعماريَّة محتلَّة احتىالاً مباشراً، أو نُـوجُـه أولمرها من خارج الحدود، فتحكم بطريق غير مباشر.

وما يزال المنافقون يُصرّفون معظم الحركات الهدّامة، والسياسات فوات الولاء لأعمداء الإسلام والمسلمين، في كثير من بلّدان العالم الإسلامي، فهم يتحرّكون وفق أواصر الأعمداء، أو وفق رغباتهم ولو من دون أنسر، ويحقّدون لهم في بلدان المسلمين وفي الأنّة الإسلامية وأجيالها ما يريدون، مقابل تمكينهم من الحصول على ما يشتهون من مال، أو سلطان، أوجاء، أو غير ذلك من متاع الحياة الدنيا.

فهل انتهىٰ النفاق بانتهاء عصر الرَّسول ﷺ، أم بدأ شوُّه الأكبر؟!

إنَّ التاريخ يؤكّد الثانية، ويُبطل الفكرة الأولمي. ثالثاً: وقد دلّت النصوص على أنَّ النفـاق سيظهـ. بقوّة بين صفـوف المسـلمين، وسيكون للمنافقين مكايد خطيرة، تنُّجُم عنها فِتَنَّ سوداء مظلمة، قمنها ما يلي:

(١) روى الحاكم بإسنادٍ صحيح عن أبـي هريرة، أنَّ النبـيُّ ﷺ قال:

وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لِكِيْتُمْ فَجِيرًا وَلَصْحِكْتُمْ قَلِيكَ، يَظْهُمُ النَّعَاقِ، وَتَرْتَعُمُ الأَمَانَةُ، وَغَنِّضُ الرَّحْمَةُ، وَيُتُهُمُ الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ غَيْرُ الأَمِينِ، أَنْاخَ بِكُمُ الشَّرْفُ الْجُونُ؛ الْفِئْنُ كَالْمُثَارِ النَّذِلِ النَّطْلِمِ،

أَنَاخَ بِكُمُ الشُّرُّفُ الْجُونُ :

الشُرُّفُ: هي النوق السَّنَةُ الْهَرْمَةُ، والْجُونُ: أي السُّود، والمعنى آناخ بكم النوق المسنّة الهرمة السُّرو، وقد فسَرها الرسول الله بالفن المستنة المتصلة، والتي هي تختِطع اللَّيل المنظلم، تشبيهاً لهذه الفنن بنافالة من السوق المسنّة الهرمة السُّود بطيّة الحركة، وأَلِّني بَبْنَمُ بعضُها بعضاً، كفِظَع اللَّيل المظلم ألْتي باتي بعضها وراء بعض،

وإقبال النوق والجمال رمزُ العصائب والفتن والنَّكيات، فإذا كانت سنوداً كانت شدّ.

(٢) ورُوي بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل موضوفاً عليه قال: (إنَّ مِنْ وَزَائِكُمْ
 فِتْمَا، يُكُثُرُ فِيهَا الْمَالَ، وَيُقْتَحُ فِيهَا الْقُرْآلُ، حَثْمَىٰ يَأْتُحَدُهُ الْمُؤْمِنُ والْمُنَافِقُ، والسُرُجُلُ والمُشْرَدُة، فَيُومِثُكُ قَابِلُ أَنْ يُقُول:

مَا لِلنَّاسِ لَا يَشْهُونِي وَقَدْ قَدَرَكُ القَرْآلَا؟ مَا هُمْ بِمُشْهِمٌ خَمِّنَ آتَفِيخَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ رَمَا الْبُعْنَجَ، فَإِنَّ مَا الْبُدْعِ صَلَالَة، وَأَلْفِرْكُمْ زِينَة الْمُحَكِمِمِ ، فَإِنَّ الشَّيْقَانَ قَدْ يَقُـولُ تَلِيمَة الشَّلاَقَةِ عَلَىٰ لِنَانِ الْحَجِيمِ ، وقَدْ يَقُولُ السَافِقُ تَلِيقَةً الْمُحْقَّى.

 (٣) وروى الطبراني في الكبير، والبرار بياستاد رجال رجال الصحيح عن النبئ ﷺ أنه قال:

وإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَمْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ اللَّسَانِ..

 (٤) وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عُمَر بن الحظاب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: وإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي كُلُّ مُّنَافِقِ عَلِيمٍ اللَّسَانِهِ.

وقد سبق الاستشهاد بهذين الحديثين.

(٥) وروى البيهقيُّ في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن
 النبيّ ﷺ قال:

وإنَّ مَا أَخَافُ عَلَى هَذَهِ الْأُمَّةِ كُلُّ مُّنَافِقِ يَتَكَلُّمُ بِالْجِكْمَةِ وَيَمْمَلُ بِالْجَوْرِهِ.

 (٦) وروى ابن أبي شبية عن حليفة قال: والمنافقون الذين فيكم اليوم شرً من العنافقين الذين كنائوا على عهمد رسول الله ه، إنَّ أُولِيَكُ كانـوا بُسِرُونَ يَشَـالَهُمْ وَإِنَّ هُؤُلاءِ أَعْلَمُوهُ.

• • •

الفَصْلالثايث

الإستمانُ وَالإستكامُ

أولاً: الإيمان

(1)

مهند

لكي نعرف حقيقة النفاق لا يدّ لنا من أنْ نَعْرِف الإيمانَ. والإسلامُ. وشُروطُهُما، وما يدخُل في ماهيَتهما. ولا بدّ إيضاً مِنْ أن نَعْرِف الكُفْرَ والمكفّرات.

قالنفاقُ صورةً من السُّلُوكِ الإنساني، أخْطَرُه وشُرَّه مَا كان في مجال ِ الدين، ولا يُمكن معرفة ماهيّيةِ منفصلةً عن معرفة كُلُّ من الإيمان والإسلام والكفر.

(Y)

تعريف الإيمان

الإيمىان: هو حمركةُ إراديُّةً قُلْبَيُّهُ تَنضُمُنُ النَّصْدِيقَ والاعتبرافَ والنَّسَليمَ بَفضيُّمْ يحرِيَّة.

والإيصانُ المطلوبُ في دين الله الحقّ لعبناه: هو الحركة الإرادئيةُ الغلبُّ التي تتضمُّنُ التَّصُدِيقُ والاعْتِرافُ والنَّسُليمُ باللَّهِ عزّ وبعلَّ وبصفائِه كِمَّا ثَبَّتُ بِالرَّشِي عنه، والإيمانُ بملائكته وكتبه ورُسُلِهِ والبرع الآخر، والإيمانُ بالفضاءِ والفذرِ غَيْرِه وشرَّه من الله تعالى، والإيمانُ بالتفصيلات الثابتة بواسطة الوحي عن كلَّ ذلك.

فأركان ما يجب الإيمان به ستَّة، وهي على وجه الإجمال ما يلي:

الركن الأول: الإيمان بالله عزّ رجل، ويكمال صفاته وأسمائه الحسنى، وياأنه تصالى واحدُ في ربسويَتِي، فسلا ربّ غيـره، أي: لاخسالن، ولا رازق، ولا مُشهِـي ولاً مُشهِـك في الحياة، ولا مُميتُ ولا نافع ولا ضارّ غيره، سبحانه.

والإيمان بأنَّه عزَّ وجـلَ واحدٌ في إلْهِيتُه، فلا يُسْتجنُّ أحدُ في الوجـود أن يُعْبَد سِوَاه، وكلُّ عبادةٍ لغيرِه سبحانه وتعالى شِرْكُ به.

ومنَّ عبىادة غير الله اتُخدادُ مُشْرِّعينَ سـوى الله، يُحدُّونَ ما حـرُّم الله، أو يُعَرُّمُـونَ ما أحلّ، أو يُشْرِّعُونَ في الدين شرائع لم يافَنُ بها تباركَ وتعالى.

الركن الثاني: الإيمان باليوم الأخر، وبأنّ الحياة الدنيا هي حياة الامتحان، أمّا الحياة الأخرى بعد البعث فهي الحياة التي أعدّها الله عزّ وجلّ للجزاء الأمثل، بـالثواب أو بالعقاب على وفق نتائج الامتحان.

الركن الثالث: الإيسان بالرسول محمد ﷺ وبين أرسَلُ الله قبله من رُسُل للناس، لِيُلْفُوا دين الله وشريعته وأوامره ونواهيه لعباده، والإيمان بجميع أنبياء الله الذين اصطفاهم الله بالرحى.

الركن الرابع : الإيمان بالفرآن كتاب الله ، ويكلّ ما جاء من عند الله على لسان وسول الله صحمد ﷺ ، والإيمان بكلّ الكتب والشوائع التي أسزلها الله على رُسُله السابقين على وفق ما أنزلت، لا على ما جرى فيها من تحريف وتغيير وتبديل.

أمَّا الكتبُ المحرَّفة أو المفتراةُ على الله فلا يصحُ الإيمان بها، ولا يجوز العمل بما جاء فيها ممّا يخالف ما جاء به رسول الله محمدﷺ.

الركن الخامس: الإيمان بالوحي الذي هو واسطة النبليغ بين الله عزّ وجلّ ورَسْلة من البشر، والإيمان بالملائكة، فسنهم يصطفي الله رُسُلاً يُتُلفون السُّمُلُ من البشسر، ما يربد الله تبارك وتعالى تبليغهم يُناه. الركن السادس: الإيمان بالْقَدْنر خيره وشرَّه من الله عَرَّ وجلُّ. فما يجري في الكون من يَغم أو مصالب وبالايا، فهي بقضاء الله وفَفْره لِجَكْسَةٍ هو يُريقُما تَشكُلُ بامتحان عباده في الحيلة الدنيا، أو لحكمة تربيتهم وتأديبهم، أو لحكمة مجازاتهم.

الإيمان المنجي كُلُّ لا يتجزَّأ

قد بوجد لدى بعض الناس إيمان بيعض عناصر اركان الإيمان، ويوجد لـديهم إيضاً كفرٌ بعناصر أخرى، أو إنكارٌ لها، أو شكَّ فيها، وهؤلاء ليسوا فري إيمان صحيح ينجيهم عند الله من العذاب المعدِّ للكافرين.

وذلك لأنّ الإيمان السطاوب في دين الله الذي اصطفاه لعباده كُلُّ لا يُعَجِزًا، وتُخاصِرُهُ شبكةً مترابطة قائمة على اصُّل واحد، فَمن لم يؤمن بُعُنصُرِ ثابتٍ من عناصر الإيمان الذي آمر الله عزّ وجلّ بالإيمان بها لم يكن صاحب إيمانٍ كاسل ينجيه عند ربّه يوم الذّين.

إنَّ من كفر بعُنصُرٍ ما من عناصر الإيمانِ الثابَةِ بيقين وهــو لا يَمْلِكُ بُرهــاناً، عــلة ما كفر به على ما آمن به فنقضه.

فمن كذَّب الرَّسُولُ الصافقُ المؤلِّدُ من اللَّهِ بِاليانَّدِ المعجزات، فقد كذِّب آياتِ الله، وتُكذُّبُ آياتِ الله مُكذَّبُ لله، ولا يجتمع الإيمان بـالله مع التكذيبِ بايـاته التي هي من آثار صفاته.

وعلى مثل هذا يظهر انعقاد الترابط بين الإيمان باللَّهِ وصفاته، وبين الإيمان بكلّ عناصر الإيمان الثابتة بيقين .

ثانياً: الإسسلام

(1) تعريف الإسسلام

الإسلام: إعلان المؤمن بلسانه ما آمن به في قلّبه، مع إعملان مبدأ المطاعة فه ولمـــوـــه، والتسليم لهما في كـلّ أحكام المدين وشرائعه، دون رفض ولا استكبــار، ولا تعرَّدِ على أوامر الله ونواهيه، ولا تعرّدِ على أوامر الرسول ﷺ ونواهيه.

فمن رفض أن يُمثلن إسلامه، وهو قادرً على ذلك غير عاجرٍ ولا جساهـلر ولا مُكُره، ومرَّ عله زمنَّ كافٍ لكي يُمثلن إسلامه مع علّبه بانَّ الله لا يُنْجِه من عنداب الكافرين يوم الدين ما لم يُمثلن إسلامه، ولم يفعل ذلك، فإنَّه لا يخرجُ من الكفر إلى الإيمان.

والسبب في ذلك أنّه لم يرفض هذا الإصلان إلاّ وهو لا يعربهُ الالتنزام بمضمون الحقّ الرّبّاني الذي عرف، ولا يريد فاعة الله في أوامره ونواهيه، وهذا من الكفر.

إنَّ من رفضَ طاعة ربَّه بعد إيسانه بـه مستكبَّرُ على ربَّه، أو شاكُّ في حكمتـه، أو مشركُ به، أو معايدٌ يبتغي الفجور في الأرض، وكلَّ ذلك من الكفر.

إِنَّ كُفَّرِ مِن يَرفُض طَاعَةً رَبِّه فِي أُولِمُرهِ ونواهيهِ شَبِيَّةً بِكُفِّرِ إِبَلِيسٍ، إِذَّ ونض طَاعة ربَّه استكباراً، وشكُّ في حكمته، حين ويَجه له الأمر بان يسجُد لآدم، ويَجَحَدُ حَقَ الله عليه، وعاند وأضرَّ.

هذا النوع من الكفر هو كفر الاستكبار، أو كفرُ مجحود حقّ الله على عبداده في أن يطيعوه، ويُقلّنوا إسلامهم له عزّ وجلّ، أو كُفُرُ أنّهام الخالق بعدم العكمة، أو بعدم العدل، أو بعدم العلم لكن من ركب مراكب معصية الله في أوامره ونواهيه , مع إعلانه صدأ الطاعة ، واعترافه بحق الله عليه ، واعترافه بذنيه ، وجرمه ، ومع خضيوعه وذُله لريّه ، فهُو مسلمٌ مؤينٌ عاص ، وعصياتُه قد كمان بسبب ضعف إرادته عن التذلّب على أهبواه نفسه وشهواتها، لا بسبب جحوده الأركان الإيمان ، ولا يسبب رفضه لطاعة الله ، استكباراً أو شكًا في حكمته ، أو إنكاراً لحقه على عباده ، أو رغبة في أن يتطلق في الأرض فاجراً معانداً لريّه .

والمؤبرُّ المسلم العاصي يحاسبُّ على مقدار معاصيه، وينالُّ جــزامه وفق مقتضيات العدل الرَّيَّانِي، أريغضر الله له، إنْ عَلِمْ بِجَكْبُتِه أَنْهُ يَسْتَجَقُّ المغضرة، ثمَّ يكون بسبب إيمانه وإسلامه من أهل الجنَّةِ بحسب وعد الله وفضله.

هذا هو الإسلام الحقّ المقبولُ عند الله، والْمُنْجِي من الخلُودِ في عذاب السار، والذي يكون به المسلمُ من أهل الجَنَّةِ بفضلِ الله.

(Y)

أقسام معلني الإسلام

من تعريف الإيمان والإسلام يظهمر لنا أنَّه ليس كُلُّ مَنْ أعلن إسلامه همو مسلِّمً حَقًّا.

 فقد يُعلِنُ الإسلامَ من هو كافرٌ في قلبه بأركان القاعدة الإيسانية التي أسر الله بالإيمان بها، أو كافرٌ ببعضها، ويريد أنْ يخادع المسلمين بانتمائه الكاذب للإسلام.

فهذا مُسْلِمُ إسلاماً ظاهريًّا فقط، وهو ليس بمُسلم حفًّا وصِدْقاً، وذلك لأنه كافب في إعلانه يَجْحَدُ القاعدة الإيمائية كُلُها او يَجْحَدُ بعضَها، وقد صار معلوماً انّ جحود بعض عناصر القاعدة الإيمائية في بعض عناصر القاعدة الإيمائية في دين الكفر، فالإيمان بعناصر القاعدة الإيمائية في دين اله لعباده كُلُّ لا تُقْبُلُ فيه التجزئة، وإن وُجِنَتُ عند بعض الناس فإنّ ما آمنوا به لا يتجهم عند الله من العداب المُعَدُّ للكافرين، على أنّ الكفر وَرَكتُ بعضُها استَدْ من يعض، والكافرون في دار العداب يوم الدّين تَقعُ صنازلهم في دركاتٍ بَعْضُها احطُّ وأنْزَلُ واشدٌ عذا أمن بعض.

 وقد يُمثِنُ الإسلام من أعجب الانتسابُ إلى، ويشْنُلُ مثلُ الطاعة لما جناء فيه من أوامز ونواهي، ولكن هذا الإعجاب غيرُ ناسع من القاعدة الإيمائية، وغير مرتكزٍ عليها.

فقد يكون إعجاب بالإسلام مرتكزاً على سبّبٍ غيو إيمائيّ، كأنْبِهَاره بانتصارات المسلمين، فهو يريد بصدّق أن ينتميّ إلى الجمساعة الفسالية، التي تَتَحقُّنُ لهسا الانتصارات الباهرات، دون أن يصل إلى تساعةٍ بعناصر القاعدة الإيمائيّة، ولا إلى الإيمان بها.

فهذا مُسلِمُ بمعنى أنَّه متنببُ إلى جماعة المسلمين، وتُستَسَلمُ للأواسر الإسلامية، وهو في حدود هذا المعنى غير كافب في انتمائه، إلا أنه مُسلِمُ غيرُ مؤمن، ويُرْجَى بقد انتمانه الصادق أن يُتَقِل خُطُوةً أُخْرى يَشْهُمُ فيها عناصر القاعدة الإيمائية، ويؤمن بها، فيكونُ مُسلماً مؤبناً.

لكنّه إذا بقي عند حدود هذا الانتماء إلى جماعة العسلمين، دون أنَّ بؤمن بالفاعدة الإيمانية التي أمر الله بالإيمان بهما، فإنّه يظلُّ عند الله غير مُسلِم حشّاء لأنّ الإسلام الحقّ المقبول عند الله عزّ وجلَّ مشروطً بنانَّ يكون مرتكزاً علَّى الضاعدة الإيمانية.

...

ويناءً على هذا التحليل يتبيّن لنا أن الّـذين يعلنون إسـلامُهم ينقــمون إلى ثـلاتة أقسام رئيسيّة، وهي ما يلي :

القسم الأول:

المسلمون المؤمنون، وهم الذين أمنوا وصدّقوا في قلوبهم بكلّ عناصد القاصدة الإيمانيَّة، ولم يكفّروا ولم يشكّرا بجزء ما من أجزائها، وأعلنوا إسلامهم واستسلامهم لما يوجه الإيمان ويقتضيه من الطاعة والاتباع، وساروا في طريق الشطيق دون معاشدةٍ ولا استكبارٍ ولا تمرَّد.

وهؤلاء على مراتب متفاوتات متفاضلات، وفي كلّ مرتبة من مراتبهم درجات: المسرتبة الأولى العليما: مرتبة المحسنين المقربين، وهم الـذين استوقدًوا مُخُوفًى مرتبة النقوى، وتوسعوا في أعمال البرّ من نوافل الأعمال الصالحة التي تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ، ووَضَلُوا إلى حالةٍ قلبيّة استطاعوا بها أن يُعَبِّدوا الله كانَّهم يَرَوُنه، ويَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ يُغْمَلُونَ أعمالهم بيْنَ يَدَيْهِ تبارك وتصالى، فَيَالغمون في إحساني أعمالهم الظاهرة والباطنة، ويُخَوِّدُونَها، كحال الْخَادِم في حضرة الملك وهر يُشَاهده ويُسْاظِرُه، ويُراقب حركاته وسكناته.

ولهمذه المرتبة درجات، يحتلُّ أغلاهما أُولو المدّرم من الرسُّل, وفي مقدّمتهم رسول الله محمّد ﷺ، وتتنازل درجاتُهما بعَسْب حال نسبة الإحسان في الانسوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كمَّا وكيَّالَ، واستمراراً أو في بعض الأوقات دون بعض.

المرتبة الثانية: مرتبة الأبرار، وهم الذين استوفرًا حقوق مرتبة التقوى، وترسّمُوا في أعسال البرّ من نـوافل الأعسال الصالحة التي تقرّبُهُمْ إلى الله عزّ وجلّ، إلاّ أنّهم لم يصلُوا بَعْدُ إلى حالة الشعور الداخل بائيم يَعْدُدنَ الله كَانْهُمْ يَرْوَنه.

ويسبب ذلك لم يَصِلُوا إلى مرتبةِ الإحسانِ والتجويد في الاعسال إحسانُ منْ يَشْعُر أَنّه بَيْنَ يَذَيِّ رَبِّع، حتَى كانّه يَزَى رَبّه الذي هو على كلّ شيْءٍ شهيد.

ولهذه العرتبة درجات تتناسبُ مع نسبة نوافسل الإعمال الصالحة التي يُتَنَفَى بهما ويَّجَهُ اللَّهِ عَزَّ وَجِلَّ كُمَّا وَكُيْفَاً، واستمراراً وصواظيةً في معظم الأوقبات، أو في بعض الأوقات دون بعض.

المعرتبة الثالثة الدُّنيا: مرتبة المنتين، وهم الذين تُتَخيِرُ أعمالهم في فعل ما أمر الله به، وتَركِ من نهى الله عنه، مَعَ استِفائِهِمْ لما هُو مطلوبٌ منهم من إيمان.

ولهذه المرتبة درجات متفاضلات:

 فأعلاها درجة البذين يؤدن جميع ما فرض الله عليهم من أعمال ظاهرة وياطنة، ويُجْتَبُون جميع ما نهاهم الله عنه.

وهؤلاء يحقّفُون كمال التقـوى، لأنّهم أتّقُوا عقـوبة اللهِ التي رتّبهـا على معْصِيّه الّتي تكون بتركِ الواجبات وفعل المحرمات.

ويُلْحَقُ بهذه الدرجة من قصُّرُوا ببعض حقوقها، إلَّا أنَّهم عوَّضوا بأعمال ظاهرة

أوباطئة هي من أعمال مرتبة الابرار أو مرتبة المحسنين، أو تسابوا واستغفروا فكفُّر افد عنهم سيئاتهم.

ويوصف أصحابُ هذه الدرجة بأنّهم ومفتصدونه أي: لم يستزيدوا من نوافـل الصالحات، ولم يُقصّروا بما هو مطلوبٌ منهم منّا هو من حقوق هذه الدرجة.

وتحت الدرجة العليا من هذه المرتبة ثأتي درجات الذين خلطوا عملاً صالحاً
 وآخر سيئاً، فقد نزيد حساتهم على سيئاتهم، وقد نزيد سيئاتهم على حساتهم، وقد تساوى، لكنهم لم ينزلوا إلى دركة المسرفين على أنفسهم.

ويوصف أصحابُ هذه الدُرجات المتوسطة بأنهم ظالمون لانفسهم، بتعريض اتفسهم لاستحقاق العقاب على تبرك ما تبركوا من واجبات، وفعل مسا فعلُوا من معرَّمات، وهم ضمن حدود مرتبة المعتقين، بوجه عام، لكنَّهم لم يتُقُوا كلِّ ما ينبغي أن يتُقُو.

 أمّا الدرجياتُ الشُّفَانَي من درجات مرتّبة المتقين فهي درجات الذين أسرقوا على أنفسهم، وهمَّ الدؤمنون الذين كثرت جدًّا مصاصيهم، بشرك الدواجيات وقصل المحرمات، حتَّى بلَثُوا حدّ الإسراف في ذلك، وهم يدخلون أيضاً في مفهوم الظالمين لانفسهم ولكن بإسراف.

وبعضُ هؤلاء أسوأ حالًا من بعض، وأدنــاهـم من اتّقىٰ بصِنْقِ إيـــانه الخلود في لنّاه

وأدلة هذه المراتب ودرجانها موزَّعةٌ في القرآن المجيد.

. . .

القسم الثاني:

المسلمون المنتسيون، وهم الدفين أعجبهم الانتسابُ إلى الإمسلام لسُبّبٍ من الاسباب الشكليَّة أو غير العوهريَّة في الإسلام، كانَّ يكُونُوا قد رأوًا الأفواج من قـومهم تـدخُل في الإمسلام فدخُلُوا معهم، أو رأوًا انتصار المسلمين فـاحبُّوا الانتماء إليهم، أو استُحسَنُوا بعض أحمال المسلمين ومصاملاتهم، فاخبُّوا الانتساء إلى جماعتهم من أجل ذلك، أو استحسنُوا النَّظُم الإسلاميَّة فقبُلُوا الألتَّامُ بها، أو نحو هذه الأمور، وبناءً على هذا الإعجاب أعلنُوا انتسابهم إلى الإسلام، دون أن تُتفِيغ لهُمُّ الـرؤية الحقيقيّـة لعناصر القاعدة الإيمانية.

إنَّ هذا الإسلام هو في حقيقته:

- إمّا انتسابٌ صادقٌ غير كاذب إلى جماعة المسلمين.
- وإمّا استحسانٌ لنظام الإسلام وإعلان للالتزام بتطبيقه.

لكُنَّه في كِلْتَا الحالتين ليس إسلاماً مرتكزاً على الإيمان بعناصر القاعدة الإيسانيّة في الدين.

إنَّ أهل هذا القسم المنتسبين إلى الإسلام ليسوا بكانبين في إعلانهم إسلامهم، إذَّ فهموا من الإسلام أنَّه إعلان الانتماد وقبول مبدأ الطاعة والانباع، وهذا في مفهوم كثير من الناس يشبه اتباع حزب بشري، أو زعيم من الزعماء، ويشبه الانتساب القوميّ أو العرقي أو الوطني، من الانتماءات التي ليس لها قاعدةً إيمانيّة اعتقادية فكريّة.

وسع أنَّ هؤلاء ليسوا يكساذين في إعلانهم الإسلام ضَمَّنَ حدود مفهـومهم الخاطىء للإسلام الذي لا يكون صحيحاً ما لم يكنُّ مرتكزاً عَلَى القاعدة الإيمائية ونماعاً منها، فبأَقِّهُمُّ ليسوا بمؤمنين حقاً، بل هُمُّ مسلمـون، بمعنى الَّهم استسلُّموا لاحكام الإسلام العمليّة، وقُبلُوا مِداً الطّاعة ضَمَّن جماعة العسلمين، لَكِنُّ قلوبهم لم تعبلُ بَعَدُ إلى مرحلة التصديقِ بعناصر الإيمان والاطمئنان إليها.

ومن مسلمي هـذا القسم مسلمو الأعـراب الذين قـال الله عـزُ وجـلُ بشـأنهم في سورة (الحجرات/ ٤٩ مصحف/ ١٠٦ نزول):

﴿ قَلْمَا الْأَمَّرُاتُ النَّمَا الْمَاقُلُ لَمَ قُوْمِ وَاوَلَكِرَهُ فُولَا السَّلَمَ الْمَالَدَ هُلِ الْإِسْنُ فِي فُلُوكُمُّ وَإِن تُولِمُواللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا لِيَنْكُمُ مِنْ أَصَدِلِكُمْ صَبَيَّا إِنَّ اللَّهُ عَفْرٌ تَرِجُ ۞ إِنَّا النَّمْ فِينُوكِ الْفِينَ اسْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ أَمْ مِرْكَ الْوَا وَسُمْهُ وَالْمُولِهِمِ وَالْفُيهِمِ فِي سَبِيلِ اللَّهُ أُولَٰكِكَ هُمُ السَّدِهُوكِ ۞ قَلْ أَضْلِهُ وَسَعَى اللَّهِ عَلْمُعَالَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْ السَّدَوْتِ وَمَالِهِ الأَرْضِ وَاللَّهُ وَكُلِي فَيْنَ عَلِيتُ ۞ يَشَوِّدُوكَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ إِسْلَنَمُكُمْ بِإِيَّالَةُ بَمُنَّ عَلِيَكُمْ أَنَّ هَدَىٰكُمْ اِلْإِينِينِ إِنْكُتُمُ صَنْدِفِينَ ۞ إِذَّ أَفَةَ يَمَلَّتُمَعْتِ السَّنَوْتِوَالْأَوْضُ وَالْقُهُ بَصِيرُبِهِاتَصْمَلُونَ ۞ ﴾.

هذا النصّ يقُلُّ على أنَّ الأعرابُ الَّذِينِ تَخَلَّتُ عَنْهُمْ، هم قومٌ قد أسلموا بمعنى أُقهم أعلنوا الانقياد والطاعة والمتابعة لرسول الله ﷺ، وأنَّهم بهذا الإعلان صادقون غير كافيين، فهم بذلك مسلمون.

لكُنَّهم حين ظُنُوا أنَّ إعلانَهم الإسلام هو الإيسان، فقالـوا: آمَنَّا، أبـانَ الله أنَّهم لم يؤمنوا بل أسلموا فقط، فقال تعالى لرسوله يُعلِّمُهُ ما يقوله لهم:

﴿ قُل لَّهُ تُوْمِنُوا وَلَكِن تُولُواْ أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمٌّ ﴾:

أي: فإذا قُلْتُم: أسلمنا فانْتُم صادقـون، لأنكم أسلَمْتُم إسلام الانبـاع والطاعـة، لكِنُ هذا الإسلامَ لمُ يكن ثمرَةَ إيمانِ دخل في قلوبكم.

إنَّهم في حالة وُسَطَىٰ لم يلقُوا فيها أنْ يكونُوا مؤمنين، وأنْ يكونُ إلـــــلامُهم تَمْرةُ لإيمـــاتِهم، ولم يللُمُوا فيهـــا أنْ يكونــوا جَاجــلــينَ تُنْكِرِينَ كـــافرين، وأنْ يكــون إعلائهُم للإسلام إعلاناً كاذباً ناجماً عن نفاقِ منّهم.

إنّهم مسلمنون بمعنى الاتّباع والانقياد والطّاعة لأحكام الإسلام العمليّة، غير مؤمنين إيمانًا صحيحاً بعناصر القاعدة الإيمانيّة.

وممًا لا ريب فيه أنّ ثباتُ مؤلاء في الانقياد والاتباع والطاعة ثباتُ ضعيف، وهــو عرضةً للتقلّب والتحوَّل والارتداد، نظراً إلى أنّ انتماءهم غير مرتكزٍ على قاعدةٍ إيمانيّة ثابغةٍ واسخةٍ في قلويهم.

وقد أثبتب التجاربُ الإنسانيّة أنَّ الانتماءات الماطفيّة، أو الفعيّة، أو الفاتمة على الأنبّهار بالظواهر، أو الإعجاب ببعض الأشكال والصُّور، قابلةً للتحوّل والتغيّر والارتداد بسرعة، بخلاف الانتماءات القائمة على قاعدة إيمانيّة راسخة ثابتيّ، ذات عناصر فكريّيّ حنّ.

ولمَّـا كـان هؤلاء الأعراب مسلمين فقط في حـدود مفهـــوم الـطاعــة والانقيـاد

والاتباع، ولمّا يَذْخُلِ الإيمان في قلوبهم، كانوا بهذا غير مؤمنين حقًّا، ولا كـاذبين بر إسلامهم، فليسوا إذن منافقين.

ولمَّا كاندوا كذلك بيّن الله عزّ وجلّ لهم أنّ أجورهم على طباعتهم وأتباعم ستأتيهم كاملةً غير منقوصة، فقال تعالى:

﴿ وَإِن تَطِيعُواللَّهَ وَرَسُولَهُ لِابَائِكُمْ مِنْ أَعْمَلِكُمْ شَيَّا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمُ ١٠٠٠

﴿لَا يُلِنَّكُمْ﴾: ائي: لا ينقصُكُمْ مِنْ أُجورِ أَعْمَالِكُمْ شيئاً.

ونقهم من تُصُوص ٍ أخْرَىٰ انَّ أجور غير المؤدنين صحيحي الإيسان أجورٌ دنيـوَة غير أخرويَّة.

ثمَّ بيَّن الله عزُّ وجلَّ صفات المؤمنين حقًّا فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُثَوْمِينُوكَ الَّذِينَ اسْتُواْبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمَ مُرَسَّاهُا ۚ وَجَنهَدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنْفُسِهِ فِي سَكِيلِ النَّمِ أَفُلَيْكِ هُمُ الْفَسَيْدِ قُوبَ ۞﴾.

فالمؤمنون هُمُّ المصدقون في فلوبهم بناهه والرَّسول، والذين لِس في فلوبهم رَيِّبُ بَايَّ عُنْصَر مَمَّا يَجِب عليهم أن يؤمنوا به، ولم يدخُسلُ إلَّى فَلوبهم رَبِّبُ لاجَنُ بَنْدُ إيصائِهمُّ، فَمُّ ظهوت آشار إيمانهم الشابت في قلوبهم بأعصالهم، فجاهدوا بأموالهم وأفَّسهم في سبيل الله، بعد أنَّ اسلموا وأعلنوا بإسلامهم الطاعة والانتيادُ والاثباع.

والاختيارُ بالجهاد الذي يستدعي بلدُّ الاموال والانفس، لَهُ ميزةُ خاصَةً في كونه دليلاً على صلق الإيسان، إذ الإسلامُ الذي يكونُ بإعلان الشهادتين، وإقامةِ الصلاء، وإيشاءِ الزكسة، وصوم ومفسان، وحجّ البيت، فسد يفعله الممسلمُ المنسب، ولوً لَمْ يساخُلِ الإيسانُ في قلبه، لكنَّ بدلُ العالى فوق الزكاةِ وبدُلُ الأنَّس، جهاداً في سبيلِ الله، وإعلاءً لكلمة الله، لا يفعله غالباً إلا مؤمنُ بالله ورسُولِهِ واليوم الآخر صافقً في إيمانه.

> وقول الله عزّ وجلّ في التعليم الذي أمرَ الله رسوله بأنَّ يقوله لهم: ﴿وَلَمَا يَدَخُلِ ٱلْإِيدَنُنُ فِي تُلُوكِكُمْ ۗ ﴾.

يُشعرُ بأنَّ أنوار الإيمان قد بدأت تلامس ظواهر قلويهم بعد إمسلامهم، لكنَّها لم ندخل فيها، ولم تُحدِث في قلوبهم الطمائينة. وربِّما كمانت هذه الأنوار قد لامست ظواهر قلوبهم قبل إسلامهم، وهذا المستوى كان من العرجُحات الَّتي جعلتهم يُمُلِنُونَ دخولهم في الإسلام، وهم صادقون في إرادة الطاعة والمتابعة.

إِنَّ تَصَوِّرُهُمُ لَقَضِيَّةٍ إِسلامهم تَصَمَّرُو صَاجِبِ نَصْل فِي الانتسابِ إليه، إنَّهم يزوَّنَ أَنْهم يُقُوُّونَ بانتسابهم الجماعَة التي يتتسبون إليها، والمبدأ الَّذِي يتسبون إليه، نَظِيرَ مَنَّ يَشِبُ إلى زَعِيم من الناس، فِنَاصرُهُ وَيُدافعُ عَنَّهُ وَيُطِيمُهُ.

ولمَّا كَانَ تَصُوُّرُهُم كَذَلْكَ أَخَذُوا يُمُّنُّونَ عَلَى الرسول ﷺ إسلامَهُمَّ.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت بنو أَسَلهِ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أسَلَمُنّا، وقَاتَلُكَ العربُ ولم نقاتِلْك، فقال رسول الله ﷺ:

وَإِنَّ فِقْهَهُمْ قَلِيلٌ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ.

وأنزل الله قوله خطاباً لرسوله:

يَمَثُونَ عَلَيْكَ أَنَا لَسَلُمُوا فَل لَا تَمَثُوا عَنْ إِسَلَنكُمْ الْمِاقَة يَمَنُّ عَلَيْكُو آنَ هَدَ مَكْمَ
 الإيمنوان كُمُتُومَ عَدِينَ ﴾.

لقد كاد جهلهم يعبّر عنه تصوّرُهُم أنّ إسلامهُم قد كان لمصلحة الرسول، فاحذوا يعنون على إلى المسلمة من وعان عنهُم أنّ إسلامهم لوصح فإنّسا هو لمصلحتهم أنفسهم، ولنجاتهم عند ربّهم، وللظّفر بالسمادة الخالدة في دار النميم التي أعـدّها لعباده المنتين.

وهذا يؤكد أنَّ إسلامهم قد كنانوا صادقين فيه من جهة صدِّق الإعمالان، لكنّه لم يكُنْ ثمرة إيمانو صحيح دخلَ في قلوبهم، ولمَّ يكن أيضاً نفاقاً، يُصالُّ إلى ذلك أنَّ أنوار الإيمان لم تكن بعيدةً عن قلوبهم، ولا مُجَافِيةً لَهَا كُنُّ المجافئاة، بل هُمْ شِنَّ بَيْن، ورجاءٌ دُخول الإيمان في قلوبهم رجاءً قبويًّ، دلُ عليه قبول الله عزَّ جلَ في التعليم:

﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُومِكُمْ ﴾.

ولو أنَّ إسلامهم قد كان ثمرةً إيمانِ صحيح دخلُ في قلوبهم، لَمَلَمُوا أنَّ السَّةُ للَّهِ عليهم، إذْ يَعَفُ رسولَة، وأنزل عليه كنابه، فهداهم بذلك إلى الإيمان، المذي هو السبيل الوحيث إلى أن يتألوا سمانتهم في الدنيا والآخرة، ويجاتهم من الشقاء والعذاب. وَلَعَلُهُمْ نُصْحًا، وكان بهم رؤوفاً رحيماً. ولم يالُّهُمْ شُحَّا، وكان بهم رؤوفاً رحيماً.

ويدغُلُ في قسم المسلمين المتنسيين من كمان يؤمن ببعض عناصر الإيمان، إلا أنّ المرؤية لمنيّه لم تشمّل كُلُّ عناصر الإيمان حتى يؤمن بها، وصع ذلك فقد اعلن إسلامه صادفاً بإعلام، ولكن بمعنى الاستسلام والانقياد والطاعمة لأحكام الإسلام وشرائمه ونظمه، لا بمعنى الإسلام النابع من القاعدة الإيمائيّة الكاملة، والمرتكز عليها.

والمنتمون إلى الإسلام على معنى الطاعة والانقياد دون أن يكون إسلامهم قائمًا على قاعدة إيمانيّة صحيحةٍ كاملة متفاوتون فيما بينهم، فهم على درجات متفاضلات:

الدرجة الأولى: يحتلُها الملتزمون كاملو الالتزام بالطاعة والانقيـاد، وفق مقتضىٰ إعلانهم.

الدرجة الثانية: يحتلُّها الذين هم بين بيُّن.

الدرجة المثالثة: يحتلُها الذين يقلُّ التزامهم جدَّاً، وتكثُّر مخالفاتهم، وتجـاوزاتهم حدود طاعة الله ورسوله.

وكثيراً ما يسقط المسلمون المنتسبون لذى استحانهم بالدعوة إلى الجهاد بالأموال والأنفس، لأنّ الصدق في هذا الجهاد لا بدّ أن يعتمد على صدق الإيسان بالله والسوم الآخر.

ويدخلُ في هذا القسم وارثو الإسلام، الذين لم يدخل الإيمانُ بقدُ في قلوبهم، إنَّ إسلامهم إسلامُ وراثيُّ يكادُ يكون جَبُريًّ لا اختياريًّا، إنَّهم وارثو الانتساب إليه. كما ورثوا من آبائهم الانتساب إلى قومهم وعشيرتهم، وكما ورثوا الانتماء إلى وطنهم الذي وُلِدُوا وَنَشُورًا فِيه، ولا يكون إسلامُهُمُّ إسلاماً كلملاً نابماً من الفاحدة الإيمانية ومرتكزاً عليها حتى تَتَضِعُ لهم روُيةً عناصر الفاعدة الإيمانية، وحتَّى يؤمنوا بهما إيمانياً لارب فيه، ثم يكون إسلامهم بعد ذلك انتساباً إراديّاً اختياريّا مستنداً إلى قاعدة إيمانهم.

إذَ الَـغَينِ ورثُـوا الانتساب إلى الإسـلام من أسـرهم وبيشاتهم، فسأغلُّـوا أنّهم مسلمون، ولمّا يدخُل الإيمان في قلوبهم، إذَّ لم تُتَّضِعُ لـديهم بعَدُّ الرُّويَّة الحقيقيَّـةُ للقاهدة الإيمانيَّة وعناصرها، يشبهُ حالُهم حالُ الأعراب الذين وصفهم الله بقوله:

﴿ قُلْ لَمْ تُوْمِنُواْ وَلَكِن فُولُوٓ السَّلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمٌّ ... ١

إِنَّ التِّسَائِهُمُ إِلَى الإسلام ليس انتساباً كاذباً حمَّى بكونوا سَافقين كافرين في بواطنهم، مخادعين بالانتساب إلى الإسلام في ظواهرهم، وهم كذلك ليسوا بمؤمنين في ظواهرهم، وليسوا أيضاً بكافرين على معنى أنهم يجحدون ويُنْكَرُونَ عناصر القاعدة الإيمائية مع علمهم بها. إنهُم ما داموا كذلك فهم في منزلة وسُسطَى بين الإيمان والكفر.

لكنَّهم لا يمَّكِنُ أن يستمرّوا في هذه المنزلة، بـل لا بُـدُ أن تتـوارد عليهم أدلَّـةُ الإيمان، ثم هم بعد ذلك:

- إمّا أن يؤمنوا وتطمئن قلوبهم، وعندئذ يرتبط إسلامهم بإيمانهم، ويكونُ
 إسلائهم مظهراً من مظاهر إيمانهم، وثمرةً من ثمراته.
- وإضا أن تغلب عليهم الشكوك، وتأتف بهم الاحسواء، وتجنالهم شيساطين الإنس والجزّ، ويرفُضُوا الإيمان بعناصر القاعدة الإيمانيّة، بعد علمهم بهما، وعرض ادتُهما البرهائيّة عليهم.

وعندثة يُحكِم عليهم بأنهم كافرون، فإنْ صرّحوا بكفرهم كانوا مرتدّين. كما حصل لبعض الأعراب الدّين ارتدّوا، وإنَّ حافظوا على مظهر الانتساب إلى الإسلام خـوفًا أوطعماً، أو رغبة في الإفساد وهم داخل صفوف المسلمين كانـوا من زمـرة المنافين.

ويمدخل أيضماً في قسم والمسلمين المتسبين، الذين لمَما يُمذَخُسلِ الإيسان في قلويهم، بعضُ المؤلفة قلويُهم، فقد أُطَلِق هذا الاسم على قوم انتسبوا إلى الإسلام غير منافقين، ولكنّ الإيمان لم يدخلُ بعَثْدُ في قلويهم. وهؤلاء تمد أذن الله عزّ وجلّ بتأليف قلوبهم عن طريق بذل الممال لهم ولـو من الزكاة، إذا رأى حاكم المسلمين أنّ في ذلك مصلحةً للإسلام والمسلمين.

وأُطلق عنوان والمؤلفة قلوبهم، على قدوم لم يُشيبُوا بَشَدُ إلى الإسلام، وأواد الرسولُ ﷺ تاليف قلوبهم، فأعطاهم منّا لليه من الأموال العاشة، فأنّف بذلك قلوبَهُم وقلوبُ اتباعهم، رجاه أن يدخلوا في الإسلام.

وربّسا أُطْلِقَ هذا العنوان أيضاً على قرمٍ يُمُسَطّرُنَ من الأسوال العامّة ليُحُوسوا بخدمات كبيرةٍ للمسلمين، كالدفاع، ومقارعة الأعداء في الثغور، وكجمع الصدقات من أقوامهم وجماعاتهم.

وقد كان من العزلفة قلوبهم في عصر الرسول ﷺ وقد أسلموا وأعطاهم الرسول: وأبو سفيان بن حرب - غييّنةً بُنُ مدر ــ الأقرعُ بن حابس ــ عبّاسُ بُنُ مِـرْدَاس ــ غَلْقَدَةً بُنُ كِمَلاَتُهُ .

وكان من المؤلفة قلوبهم في عصر الرسول ﷺ وهم لم يُسْلِمُوا بشَّـدُ، وأعطاهم الرسول تأليفًا لقلوبهم: «صفوان بُنُّ أَنيَّة، وقد أعطاء السرسول ﷺ من غنائم خُمَين مائةً من الإبل، وكان قد شهد خَمِّس وهو مُشْرِك.

روى مسلمُ والإمام أحمد والتسرماني عن صفسوان بْنِ أَنْيَة فسال: وأعطاني رسول الله ﷺ يوم خُنين، وإنَّهُ لاَيْنَض النَّاسِ إليّ، فسا زال يعطيني حُنَّى إِنَّهُ لاَحَبُّ النَّاسِ إليَّهِ.

وقد بدا لمي أن يُطلق على هذا القسم عنوان والمسلمون المنتسبون، فبإذا أضفنا إلى هذين القسمين قسم والمسلمين المنافقين، كانت الأقسام ثلاثة:

- (١) المسلمون المؤمنون.
 (٣) السلمون المؤمنون.
- (٢) المسلمون المتسبون.

(٣) المسلمون المنافقون.

وتأكيداً لوجود الفسرق بين والمسلمين العؤمنين، و والمسلمين المنتسبين، في بيانات الرسول ﷺ، نستشهد بما كمان الرسول ﷺ نفسه يفعله من تضريق بين لفظتي: ومؤمن ومُسلم، إذْ كمان لا يطلق لفظة ومؤمن، على من علم أنَّ الإيمانُ لم يدخُلُ بعدُ إلى قلبه، وإنما يُطانَ عليه لفظة ومسلم، كما طلب منه أن يقول للأهراب الذين لما يدخل الإيمان إلى قلويهم، وكان يُرشدُ أصحابه إلى ما ينبغي أن يطلقُوه على الناس من هاتَّين المفظنين حينما يريدون وصفهم بهما أو بإحداهما.

روى الإمام أحمد عن سُعْد بن أبـي وقّاص ٍ ــ رضي الله عنه ــ قال:

أعــطى رسـول الله ﷺ رجــالاً، ولم يُغطِ رجــالاً منَّهُمْ شيئــاً، فقــال سَعْـــدُ: يا رسول الله، أعطيت فلاناً وقُلاناً، ولَمْ تُغطِ فلاناً شيئاً، وهو مؤمن.

فقال النبئ ﷺ: وأو مُسْلِم،

حتَّىٰ أعادها سَفَدُ ــ رضي الله عنه ــ ثلاثاً، والنبيُّ ﷺ يقول: وأو مُسْلِم».

ثم قال النبي ﷺ:

وإنِّي لأغطِي رجالًا، وأذعٌ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إلى بِنْهُمْ فَلْمُ أَعْطِهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمِ.

فهذا رسول الله يُغرِّق بيْنَ لفظة ومؤمز، ولفظة ومسلمه وذلك لأنّه ما دامت كلمة ومؤمن، تفيد أنَّ من تُطلَقُ عليه قد دخل الإيمان في قلبه واستغرَّ، وما دام سعَّدُ لا يغرِفُ ما في القلوب، وإنّما يطُلعُ على الطواهـر نقط، فقد علّمه الرسول ﷺ أن يشهد بما يعلَّمُ، ويَسْكُنَ عمَّا لا يعَلَمُ إنَّه يعلَّمُ عن الرجُّل إسلامه، فليقـل عنه: هـو مسلم، ويجهل صدق إيمانه فلا يقُل عنه: هـ ومؤمن.

ولا يدُلُّ هذا الإرشاد النبويُّ على أنَّ الرجُلُ المتحدَّث عنه لم يكن مؤمناً، بل يدلُّ على أنَّه لا يَنِعَى للمسلم أن يحكُم بِما لا يعلُمُ.

على أنَّ يكفي للحكم بـالإيمــان الـدلائــل التي نُعْـطِي غلبـــــَّ الـظُنَّ، وهـــو ما أرشدنا الله عزّ وجلّ إليه بقوله في سورة (الممتحنة/ ٢٠ مصحف/ ٩٩ نزول):

﴿ يَتَأَيُّنَا الَّذِينَ مَامَلُواإِذَا جَلَةَكُمُ الْمُؤْمِنَتُ مُهَجِرَتِ فَاسْتَجُوفُنُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنَتُهُ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

فقد أذن الله عزّ وجلّ في هذه الأية للمؤمين بأن يحكموا بـليمـان من فكّهُمُ الدلائل الظُنّيةُ المرجّحةُ على أنّهم مؤمنون، وبنيّةَ الوصول إلى هذه السّيجة أرشداله إلى استحان من يراد الحكم لـه بالإيمـان، وسمَّى ما يشوصُلُ الممتحسون إليه من غلبة العُنَّ علماً.

أمّا العلم اليفيئي بإيمان أحاد الناس، فلا يستطيع الناس التوصُّل إليه بحب المعادة إلاّ عن طريق خبر الموحي، وذلك الأنّ الإيمان من صفات القلوب، وما في القلوب لا أنّ الإيمان من صفات القلوب، وما في القلوب لا أمّرياب، ثم من اصطفاهم الله بالوحي، أراعطاهم قدرة الأطلاع على ما في القلوب كالملاتكة، ولذلك جاء في الآية قوله تعالى: ﴿اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَمُ عَلَيْهُ بِاللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَالهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَالهُ عَلَمُ عَلِمُ

ونشاءل: هل يبقى والمسلم المنتسب؛ على حيالته الموسطى طوال حاته حَلَى يلقى رئه؟

وأرّى في الجواب ما يلي:

إذْ كــانَ تـوقفُــه عن الإيمـان نــاشــاً عن جهـــار وهــو يبحث عن العق، فسيكشف الله له من الأولة والبراهين ما يهديه إلى الحق.

هذا ما جرت به سنة الله تعالى في خلف، وهو ما تقتضيه حكمته، وحين ينكثف لـه الحقُّ الذي يحلكُ،، فسَيْحُـونُ من المسلمين المؤمنين، وعندلمْ تَتِمُّ المواقعَةُ بيْن ما أغْلَةُ وما اطمأنَ إليه قليه .

- وإنَّ لم يكُنْ كــذلك، فسيجــدُ نَفْسَه في ظــروف الحياة الــدنبـا يتغلّبُ
 بامتحانات الله له في السُرَّاء والضَّرَاء، حتَّى يُحدُّد مبيلةً;
- (١) فإنّا أن يجْحَد الحقّ بقلب، ويبغى في ظاهره مسلماً، وحيثلاً يوسمُ بميسم.
 النفاق.

(٢) وإنَّا أن يَجْدَفُ الحقَ بقله، ثمَّ يُمْلِنَ ذلك بلسانه وأعماله، وحيشنه يكون من الموتذين عن الإسلام، وهذا ما حصل للأعراب الذين ارتذوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، إذ كانوا في الضالب من قسم «المسلمين المنتسيين» الذين أسلَمُوا طاعةً وانفياداً، ولم يكن قد دخل الإيمان إلى قلوبهم.

 (٣) وإمّا أن يدخل الإيمان إلى قلبه، وعندئذ تتِمُ المواسمة بين ما كان أعلنه من الإسلام، وما اطمأن إليه قلبُهُ من الإيمان.

ومن المستبعد جدًّا ان ينظلُ طُوال حياته على حنالته الموسطى، مسلماً منتسباً فقط، باستثناء من تماجله منيَّت قبل أن تمرَّ عليه مدَّة كافيةً للسَّائُل والسَّرْدِيَّةِ والتقلُّب في وُجُوه الامتحان بالسرَّاء والضرَّاء.

القسم الثالث:

المتظاهرون بالإسلام كذبًا وزوراً، وهم الذين يُطْلَق عليهم عنوان والمنافقين..

إنَّ إسلام أفراد هذا القسم إسلام مَزيَّك، إسلامُ من هو في داخله كافِرَ جاحدً لعناصر القاعدة الإيمائيَّة في الدين الإسلاميُّ كُلُّها أو يَقْضِها، أو هو غير مكترث لها، ولا مُنتفِّ إليها، ولا ياحبُّ عنها، فهو لا يؤمن بها لأنّها لا تخطُر له على بسال، ولا يُعِيرُها شيئاً من اهتمامه، ولا يُرِيد ذلك، إنّه لا يريـد إلاّ مطالب نفسه وشهواته من الحياة الدُّنيا.

لقد رأى المسلمين وما لهُمْ من قُدُوْ وَمَعَةٍ، ورأى ما يُمْكِنُ أَن يُغَنَمُ من مغانمُ وضافغ عن طريقهم، أو خاف على بعض مصالحه إذا أحمان أنّه غير مسلم، أو أواد بالإسلام والمسلمين كيداً وهو ضمن جعاهير المسلمين لا ترقيَّة الميون، لما يُضْمِرُ من عداوة شديدة أوَقَدْ نِيزاتها في قُلْبِه وَلاَقُ السابقُ لخيره من الْمِلْل والنَّخل ، كحال المنافقين من اليهود والنصارى والمجوس، فيدا أنّه أنْ يتظاهر امام المسلمين بالإسلام كفياً وزوراً، وأنْ يُمْلِنَ قُلُولَة للإسلام، وإيسانة باركان الإيسان، ويَشْهَدَ الشهادة الّي يُذَخّلُ بها ضِمْنَ جماعة المسلمين. ويُضَطَّرُ بَعْدُ هذا الإعلانُ أن يشاركُ المسلمين في أعمالهم الظَّاهرة، من عبادات وغيرها، وهو في كلّ ما يقوم به من أعمال إسلاميّة الظَّاهِرِ مخادعٌ كذَّاب.

إنَّ إسلام هذا القسم المتظاهر بالانتماء إلى جماعة المسلمين والمتظاهر بقبوله لعقائد الإسلام وشرائعه، وهو كذَّابٌ مخادع مُزاهٍ بما ليس هـو من حقيقته، يسرجم إلى الاسباب التالية كلّها أو بعضها:

السبب الأول: الرُّقْبَةُ في الحصول على منافع ومطامع دنيويّة ينالهــا بإمسلامه، ودخوله ضمن جماعة المسلمين.

السبيب الشماني: الخنوفُ من سُلطانِ المسلمين وقُسوَاتِهم الفناتِحـةِ المنتصرة، والخوفُ على فوات مصالح كان يستفيدها في بُلْدِه، إذا هو أصرُّ على كفره ولم يُسْلِم.

السبب الشالت: إرادة الكيد والإنساد والإضرار بالإسلام والمسلمين، دون أن يكون مُرَاقِباً من قِبَلِ المؤمنين الصادفين، لأنّه بحسب الطَّاهـر وَاجِدٌ مِنْ جماعَةِ المسلمين.

هذا الفسم هو في حقيقته كافرً، إلاّ أنَّه أسواً سالاً، وأَشْنَعُ طَرِيقةً من الكافمر الصريح المجاهر بحالِه، الكاشف خيئةً نَفْهِه، وهو أشدتُ ضرراً، وأَلِنَّعُ أشراً، وأعظَمُ خطراً على الإسلام والمسلمين من الكافرين الذين يعلنون كفرهم وعداوتهم.

وسياتي ـــ إن شاء الله ـــ مزيد شرح وتفصيل وتقسيم لهذا القسم، وهو المعنيُّ بهذا الكتاب.



الفصلالثالث

الكف رُوَالنِفَ الْ

أولاً: الكفر

(۱) تمدد

كتبتُ في كتابس وصراع مع الملاحدة حتى العظيم فضائرٌ مُوسَعاً حول الكُفْسر والكافرين، فأحيل القارىء عليه، وعلى ما جاء أيضاً في كتابسي والعقيدة الإسلامية وأسسهاء.

وأوجرُ هُذا ما لا بُدَّ مَنَّهُ للدناسبة التي جرَّتُها طبيعةُ التصريفاتِ المسراد منها تعييز المصطلحات للكلمات التاليات والإيمان ـ الإسلام ـ الكفر ـ النفاق، بعضها من بعض، وسيلةً لبيان حقيقة النفاق وعناصره الطاهرة والباطسة، وحقيقة المنافقين وصفاتهم ومكابدهم، باعتبار أنَّ موضوع النفاق والمنافقين وما يجب على المسلمين المؤمنين تجامهم هو مقصود هذا الكتاب.

• • •

(1)

تعريىف الكفر

أَشْرُلُ مِعْنِي الكُفْرِ فِي اللَّمَةِ التنظيةِ والشُّنُّرُ الكاملِ. يُعَالُ لَمَّةَ: كَفَرَ الشَّيءَ تَطُرُّل وَتَفَرَّ عَلَىٰ الشَّيءِ تَطُفُرُ الشَّيءَ تَكْفِيراً إِذَا سَتَرَهُ وَظُلَاءٌ، وَتُفَرَّ التَّرَابُ مَا نَشَّةً إِذَا غَطُلُه، وِيُقَالُ: تَكَفَّرَ بِالشَّيْءِ إِذَا تَستَر وتَعْطَلُ بِهِ، ويُقَالُ: تَكَفَّرَ فِي سِلَاجِهِ إِذَا ذَخَلَ ف. ويقال للابس السلاح الذي غطّاه السلاح تغطيةً كاملةً كافر، لأنَّه سُتُر جِسْمُهُ بِـهِ سَتراً كابلاً.

ويقال للزارع أيضاً: كافر، لأنّه يدفن الحبّ في الارض فيغطيه بـالتراب تفطيّة كاملة، ومنه قول الله عزّ وجلّ في سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٤٤ نزول):

﴿ كَمُثَلِ غَيْثٍ أَعِبَ ٱلْكُفَّارَبُكَانُمُ... ۞ ..

أي: أعجَبُ الزُّرَّاعِ نَباتُه.

ويُقَالُ للَّيْلِ المظلم: كافر، لأنَّه يستُرُّ بظُلمتِهِ كلُّ شيء.

وهكذا تُدُور الكلمة في اللُّغة حول معنى السُّتر والتغطية.

واستُمَّفَتُ هذه المائة اللَّمْويَّة في الاصطلاح الديني للدلالة على ما يُقابلُ الإيمان، وعَلَى ما يُقَابِلُ الإسلام، فعن أبل أن يؤمن باركدان الإيمان بقد أن وضَحَّ لَـهُ الدُّها فهو كافر، ومن أبل أن يُسْلِمُ للهِ ورسُولِهِ بعد أن وضَحَ له صـدَّقَ ما جـاه عن الله من دينٍ فهو كافرً.

ورُبُّما تكونُ المناسبة بين المعنى الدينيُ والمعنى الدُّينيُ اللَّمُوي للفظة الكُفُر ومشتشاتها أنَّ المِجابِدُ المِجابِ البِيمانُ بِها في الدين، والمنكر لحق المدين، والمنكر لحق الله على عباده في الطاعة الأوامره ونواهيه، والإسلام له في أحكامه وشرائعه وتعاليمه ووصاياه، هو في حقيقة أمْره سابرُ للبراهين والأولَّةِ الدامغةِ له، التي أَلْبَتُ لَمُّ حقال عناصر الإيمان التي جَحْد بِها كُلُها أو يقيهها، والتي أَلْبَتُ لَمُّ حَقَّ الله عليه في الطاعة، أر في إلاسلام أو يقيهها، والتي أَلْبَتُ لَمُّ حَقَّ الله عليه في الطاعة، أر في إفراده بالمبادة، في كلَّ عناصر الإسلام أو بعضها.

ولكويَه ساتراً هذه الأدلّة والسراهين، وبانيـاً إنكارَه عَلَىٰ أَنَّ الأدلّة لم تكن كافيـةً الإتناج حتى يؤمن ويُسْلِهَ، كان من العناب. أن يُسشَّى كافراً، ويُسَمَّى عملُه تُخْمراً، ثُمُّ أُطْلِقَ الكُفْرُ على اعتقاد بطلان قضيّةِ ما بالحق أو بالباطل.

إِنَّ الإيمان - كما سَيِّق - جمادة التَصليق الإرادي الذيليّ، والاعتراف والنسليم بِمَا أَمَر الله بالإيمان به، فالتَّقَرُ العثابِلُ للإيسان لا يُدُّ أَن يكونَ عِمَادُهُ وَفَعَى التَّصديق والاعتراف والتَّسليم، بحركة إرائيَّة داعليَّة، ومَسْرُّولِيَّةُ المكلِّف عن اختياره الكُّفِّرُ إِنِّسا تكونُ بقدَ وُضوح الأدلَةِ لهُ التَّتِي تُلزَّمُهُ بالإيمان، وربَّما تكون الأدلة ملزمة لـه بأنْ يكْضَرَ بالباطل. فيجب عليه عندئذ أن يكفّر به.

وكلّ إيمان بشيء يستَلْزِمُ عَقْـلًا الكفرَ بَقِيضِه، لذلِكَ كنانَ كلَّ مؤمنٍ باركان المقيدة الإسلاميّة وعاصرها الجزئية، كافرأ بنقيضها، وبمستلزّناتِ هـذا النقيض، ومن ذلك كان الإيمانُ بالله يقتضي الكُفّرُ بالطاغوت اقتضاءُ خُمِيّاً، وفي بيمان هذا يقـول الله عزّ وجلً في سورة (البقرة/ ٧ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿ لَاۤ إِلَّا مُنَالِدِينَّ فَدَ تَبَيِّنَ الرُّشَدُ مِنَ الْفَيَّ فَمَن يَكُمُّدُ وَافَلَعُوبَ وَيُؤْمِرُ بِالْعَ فَصَدِ اسْتَهْتِ الْمُرْوَةَ الْوُفَقَ لَا اَفِيمَامُ لَمُ وَاللَّهِ مِيثًا عِيمُ ۞ .

إذن: فلا ينتُم إيمانُ المؤمِنِ بـالله وبكلُ مـا صبحٌ وثبت عن الله حتَّى يَكْفُرَ بِكُـلَ الطواغيت، ومن أجل ذلك اشتملت عبارةُ التوحيد على السُّلْبِ أوَّلًا فالإيجابِ ثانياً.

إنَّ جُملةَ ولا إِلَـهَ إِلَّا الله، تشتمل أوَلاً على الكُفْرِ بكلِّ إِلَـهِ سِوَىٰ الله عـزُ وجلَّ. فَعَلَىٰ الإيمان باللَّهِ وَحْدَةً لاَ شريكَ له.

أمّا غير المؤمنين بـأركان العقيدة الإسلاميّة إيماناً كاملًا صحيحاً فقد عَكُسُوا القضيّة، فانشُرا بالباطل وتفُسُروا بالعقّ، سبواء أكان ذلك بصفةٍ كُلِّيةٍ لجميع أركان العقيدة الإسلاميّة، أو يصفةٍ جزئيةً.

ولمّما كان الإسلامُ وهو قبولُ مبدأ الاستسلام وبدأ الطاغة بله ورسوله، بملا استكبار ولا رفض ولا اتهام لحكسة الله في أوامره ونواهيه، من المناصر الأساسيّة للشُخول في دين الله، كانَّ رَفْضُ إعلانِ الإسلام دون علْر الإثراء أو الجهل. كُفراً، وكانَّ الاسْتِكْبَارُ على طاغة اللهِ ورسُولهِ كَفراً، وكانَّ الاسْتِكْبَارُ على طاغة اللهِ ورسُولهِ كُفراً، وكانَّ اللهُنِّ أَن الشَّلِكُ في حكمة الله في أوامره ونواهيه كُفراً، وكان إنكارُ حق الله على عاده في أن عليه كُفراً،

فالكُفْرُ إِذَنَّ لَهُ صورتان:

الصورة الأولى: تكون بإنكار أي شيءٍ ممّا يجب الإيمان به في الإسلام، بعد العلّم به وبدليل أنّه حقّ. الصورة الثانية: تكون برفض الاستسلام فه ورسوله، أو رفض طاعتهما، استخباراً، أو عناداً، أو شكاً في حكمة الله باوامره ونواهيه، وهمله الصورة تنظهر بكفر إبايس ظهوراً وإضحاً، لأنّه قد كنان مؤمناً بعربّه، إلاَّ أنه كان مستكبراً، وطاعناً في حكمت، وجاعلاً الاسباب التي هي من خلّه ذات أثّر على أثرو ونهيه.

وتَذُلُّ على هاتين الصورتين دلائلُ من القول. أو العمل، فتعَتَبُرُ الاقوال أو الاعمال الدَّالَةُ على الَيْهِ صورة منهما من المكفّرات.

قعن أنكر وجود الرّبُ الخالق الرازق المحيمي المميت، أو جحدُ شيئاً من صفاته الثابتة، أو أسمائه الْحُسْنَى الثابتة، فهو كافر.

ومن أشرك بربوبيّة الله فزعم أنّ شيئاً في الوجود يُشاركُ الله في الْخَلَق والتدبير، والحياة والمموت والرزق، والنُّقع والضرّ، وغير ذلك من خصائص الــربّ الخالق، فهمو كافر.

ومن اشسوك بالسوهيّة الله، فنزعم أنّ أحداً غير الله بُسْتَجقُ أن يُعْبَدُ من دون الله، أو غَبَدَ مع الله إلَها آخَرَ، أو تَقَرُبُ إلى غير الله عزّ وجلّ بالعبادة، فهو كافر.

وَمَنْ أَنْكُر الإسلام، ولم يقبل ما جاء فيه من عقائد أو شــرائع أو أحكــام ثابتــة فهو كافر.

ومَنْ أَنْكُرْ شِيئًا ما قد ثبت في الإسلام بصِفَة فَطْفِينُّ فهو كافر، لأنَّ هذا الإنكار جحود بدين الله، وتكليبُ لرسول الله فيما جاء به عن ربّه، ولا بُدُّ أن نعلَم انَّ جحود بعض البقيات الدينيَّة يكفي للحكم بالكفر، ولا يتوقَّتُ الحكمُّ بالكُفر على إنكار اللّذِين كُلُه، إذ الإيمانُ كلَّ لا يقَلَى الفريق بين أجزائه، والمقينة الإسلامية متماسكة الأركان، مزابطة المناصر ترابطاً تاماً من جميع الأطراف، كما سبق يهمذا البيان، فمن أنكر بعضها منا هو ثابت يقين، فهو بسبب ذلك كافر.

وَمَنْ كَمَلْتِ الرَّسُولَ بَشَيْءٍ قَدْ ثِنَتَ عَنْمُ يَقِيناً فَقَدَ نَكُمْ بِيَّشُونُه، ومِن كَفُر بَشُونُه الرُسُول فقد كَلْبُ شهادة مِن أرسَلُهُ، وهكذا تَنْسُلُسُلُ مُوافَضُ عناصر الإيمان حَتَى نَصِلَ إلى الجفر الاساسُ تنتَقَفُهُ، وهذا هو الكَفُرُ الأكبر. ومن رفض طاعة الله في اأسرٍ مامن أواسره، أو نهي ما من نواهيه، استكبارًا. أوعنادًا، أو شكّا في حكمته سبحانه وتعالى، فهمو كافِيرٌ كَكُفْرٍ إيليس، حين رفض أذّ بسحد لادم.

أمّا من عضى مع الاعتراف بحقّ الله عليه في الطاعة ومع الاعتراف بذنيه، وبأنّ غلبته شهوت او هرى نفس، فإنّه عاص فقط، وليس بكافر، كسا عصى آدم وزوج، فأكلا من الشجرة التي نهاهمـــا الله عن أنّ يأكّــلا منها، فــاعترفـا بالمعصيبة، واستغفر رئهما فتاب الله عليهما.

ومن زعم أنَّ حُكمَ غير الله أحكُمُ وأعدلُ وأصْلُحُ من حُكُم الله الـذي أنـزلـه في شريعته لعباده فهو كافو.

ولا يُشعِبُلُ النَّاسُ على تطبيق قانون عامَ منافِ لَمُحُكُم اللَّهِ القطعيَّ ومباينِ له، إلاّ مَنْ يُنزِعُمُ أَنَّ ما خَمَلُ النَّاسُ عَلَيْهِ مِن قانونِ بشريَّ وضَييٍّ هو احكم واعدلُ واصلَّة للنَّاسِ من حُكُم الله الذِي انزلَّة في شريعته لعباده، إلاّ انْ يكونُ مُكُرهاً، أو مؤثراً لمصالحه الدَّنِوية في أن يكون سلطاناً، وهو يخاف على سلطانِه من الزوال على أبدي قُونُ ذاتِ هيمنَة في العالم.

ومن تحاكم إلى القوانين البشريّة المنافية لحكم الله وشريعت ظــانّا أنّهـــا أعدلُ مر حُكّم الله فهو كافر.

ومن جَحَدَ وُجُوبُ رُكْنِ ما من أَرْكَانِ الإسلام الخمسة فهو كافر.

ومن أنكر شيئاً ما معلوماً من الدّين علماً عـامًا يشتــرك به العــامَةُ والـخــاصَــة (وهــر ما يعرف بأنه معلومُ من الدين بالضرورة) فهو كافر.

ومن قال قولاً، او فعل فِشلاً، يَنْلُ على حالةٍ نفسيَّةٍ توفع في الكَصْر، كان قولُه أو فعله من المكفّـرات الفسوليــة أو الفعليــة، تُختُم الخسالق جــلُّ وعسلا، وتُمسَّبُ الرسولﷺ، وكامتهان كتاب الله القرآن بعمل يُشْيرُ بالكُفْرِ به، أو بالفيظ منه، أو يُشْيرُ برفضِه، أو احتفار ما فيه، وكتعليق الصلب على الصَّدْر، وتقييله وتعظيمه، وكالسجود للأوثان أو تعظيمها، وكتتريب القرابين لأرواح القنيسين، وكالسجود لأضرحة العوتي تعظيماً لهم، وكدُّعائهم وسؤالهم مثل سؤال الله عزَّ وجلَّ.

إلى غير ذلك من أمور كثيرة يصعُّبُ إحصاءُ أفرادها.

(۲) الكفُّر دركسات

لا يفتحُ الكُفْر كُلُه في درك واحدة، بل له دركــاتُ بعضها أحدًّ واخسُّ من بعض، وتتنازل الدركـات حتى يكون صـاحب الدركة السُّغلى في الدرك الأسفــل من النّار.

وتنحطُّ دركاتُ الكُفْر بمقدار زيادة الجحدود والإنكار والمماندة، وكثرة الطغيان وفعل الشرّ، والتُلُوْنِ والاحتيال، وتحدّي الرّبّ الخالق في جَبْروته، ومُقالوَنَةٍ دينه الذي أنزله، ورُسُلهِ الذين أرسلهم مبلغين داعين هادين مبشّرين ومنذرين.

ويعض الكفر أخطر من بعض ٍ وأشدُّ ضُرَّاً وشرًاً، فالجاهل المنكر أهون شـرًّا من العالم المعاند.

وصاحب الدين المشــرك أخف خطراً من الــزنديق الــذي ليس له دين يخقّف من غلواء شــره .

ومن له دين ما ولو كان وثينًا أقلَّ خيثاً وشرَّاً من الملحد الذي لا بسرى الوجود إلاّ مادَّةُ تُشَكِّرُورَة، ولا يُرَىٰ من وراء الحياة الدنيا إلاّ عودة السادّة إلى ما كانت عليــه، فليـــ في الوجود بزهمه خالقٌ بيتلي ويُشَلَّمُ، ثمّ يُدابِبُ ويُحْكُمُ، ويجازي ويعدل.

والمجاهر بكفره الذي تراقبه فتحذر شرَّه أقلُّ أذقَ وإضراراً من المنسنَّم المنافق، الذي يخفي نفسه بقناع التظاهر بالإسلام، لذلك كان المنافق في اسفل الدركات، وكانت عقوبَهُ أن يكون منزله يوم الدين في الدرك الأسفل من النار.

واخف أنواع التُحفرِ الشَّرُكُ باللَّهِ في حادثه، مع الإيمان به ربَّا خالفاً لا شريك لُـهُ في رُبوريَّت، وقـــد دلَّ على هــلـه القضيــة قــول الله عــرَّ وجــلُ في ســـورة (النـــــاء/ ٤ مصـحف/ ٩٢ نزول): ﴿إِنَّالَةَ لَا يَشْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِمِئوَنْفِرُ مَا ثَوْنَ ذَلِكَ لِمَن يَشَأَةُ وَمَن يُشْرِكُ بِالْقُوفَقَدِ أَفَرَىٰ إِمَّا عَظِيمًا ۞﴾.

إِنَّالَقَةَ لاَيْمَغِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِء وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاهُ وَمَن يُشْرِكْ بِأَلَق فَقَدْ شَلَّمَ مَا تَلاَ جَمِيدًا ۞

والكافرون جميعاً مخلّدون يــرم الــدين في دار العــذاب، وإن تضاوتُتُ دركـاتُ عــذابهم، وكان بعضهم أشدَ عــذاباً مِنْ بعض، على مقدار كُشْرِهم، وما فَسَلُوا من شرور وجرائم في الحياة الننيا.

. . .

ثانياً: النفاق

(۱) تعريف النضاق

الثقاق: اسم إسلاميٌّ لم تعرفه العرب بمعنى النظاهر بالإسلام، وادّعاء الإبسان كذباً ومخادعة للمؤمنين، مع إبطان الكفر وعدم الإيمان.

وعلى هـذا المعنى الإسلامي تُشْتَعْمَـل مشتقاتُ هـذه المــاقة اللَّـفـويــة، فيقــال: نافق، ينافق، منافقة، وفقاقاً، فهو منافق.

وأصل هذه المادّة اللّغوية معروف بغير هذا المعنى الإسلامي:

فالنَّفُخُ هو السَّرِّبُ في الأرض النافذ إلى موضع آخر، والمداخل فيه يستر به. وجمع النفق أنفاق، ومنه قول الله عزّ وجلّ لـرسولـه في سورة (الأنعـام/ ٦ مصحف/ ٥٥ نزول):

﴿ وَإِنَّ كَانَكُبُرَعَلِكَ إِعْرَاشُهُمْ وَإِنِ اسْتَعْلَمْتَ أَنْ تَنْفِى فَقَافِ ٱلأَرْضِ أَوْسُلُمَا فِي السَّمَاةِ فَتَأْتِيمُمْ وِنَافِرُوكُوشَا اللَّهُ لَجَمْمَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلاَتْكُونَ مِنْ ٱلْجَهِلِينَ

والنَّالِقَاءُ والنَّقَفَةُ جُمِّرُ الشَّبِ والنَّرْوع، والمعروف عند العرب أنّ البربوع إذْ يَتَخَذ لنَف فَقَا في الأَرْض يعمل لهذا النَّق مَخْرَجُن أو اكثر، فهو يستطيع أن يهرب من أيّ واحدٍ منهما، وأَخَذُ هَذَيْنِ المخرجين لا يجمله نلفلاً إلى مسطع الأرض، بل يكتُمه بمقدار رقيق من التراب، فإذا ليحقه الطُّلبُ من جهةٍ قرّ من المجهد الأخرى، ويشهَّلُ عليه ضرب المنقذ المستور برأسه ضوبة يسيرةً ينهالُ بها التراب الوقيق، فيخرجُ ويُسمِّي العربُ المنقَذَ المستورَ من نقَقِ اليربوع ونافقاء، والمنقذ المفتوحَ منهُ وقاصعاء».

وريّما كانت تسمية المنافق في الدّين منافقاً تشبيهاً له بما يَفْعَلُه اليربوعُ في حيلته هذه التي يشتُرُ بها منافِذَ هَرْبِه .

فتصريف النماق وفق المعنى الإسلامي: هو إظهار الإسلام باللسان، وأدّعاة الإيسانية، الإيسانية، الإيسانية، الإيسانية، الإيسانية، الويمض منها مما يجعل جاحد، كافرأ، وبدلُ على النشاق أن يدّعي الإنسان الإسلام ولا يعمل به، روى ابن جرير عن حليفة أنّه قبل له: مَا النشاق؟ قال: الرُجُلُ يَتَكُلُمُ بِالإسْلام بالإسْلام لا يَمْدُلُ به.

وهذا الوصف ينطبق على أقسام من الناس:

 إنّـه ينطق على من دخيل في الإسلام كناذباً بدافع الخوف من المسلمين،
 أو بدافع الطمع بالمغانم، أو لفرض الإفساد والفئة والإضرار، أو بغير ذلك من الغايات الدنيويّة، أو الغايات الخبية الفسارة.

وينطبق أيضاً على من أسلم صادقاً أؤل الأمر، ثم ارتدً في نفسه دون أن
يعلن ردّته، وبقي متظاهراً بالإسلام، فهذا منافق ذو نفاق طارى، بعد إسلام لم يكن
فيه كافياً مخادعاً.

 وينطبق أيضاً على من ورث اسم الإسلام وراثة نسيّة عن طريق آبـويّه أو أحـدهما، ولمّا بلغ والدّرك بين التكليف جُخة بقلبه أركان القاعدة الإيسائيّة كُلّها أو بعضها، وظلَّ محافظاً في الصورة الظاهرة على أنّه مُسْلِمٌ مُمْلِنُ إسلامه.

إِنَّ الإسلامُ لذى هـذا الصـف من النـاس ليسَ انتماءُ إراديّاً، إنَّمـا هـو إسلامُ ورائيّ، يُسايرُ الراحدُ منهم فيه الممجنع بإطلاق اسم دسلمه عليه، دون أن يكون في ذاته قد أسلم حفًا بإرادته بعد معرفته الإسلام.

ونظراً إلى أنَّه يُبْطِئُ الكُفْرِ، إذْ يَجْدَحُدُ أركان الإيمـانِ كُلُها أو يَفْضَهـا، أو يأتِي أن يكون مسلماً له ورسوله مطيعاً، فهو منافق. إنه لا يُربِدُ أنَّ يُشْمَعُ عن نفسه الاسم الدينيَّ الدَّي ورثه، مع أنَّ يُشْتَفِد عقائدً. منافضةً لعقائد هذا الذّين، ولو أنَّه أعلَنَ جحوده بالقاعدة الإيمانية كلَّها أو بعضها لكمان كافراً من أهل الرَّدَة عن الإسلام.

وما أكثر المنافقين الذين يُطْلَق عليهم في البطاقة الشخصيَّة اسم مسلم، وهم من هذا النسم!.

♦ ومن المنافقين قرمٌ ورشوا إنتفاق عَنْ أُسَرِهم أو بيئاتهم الخاصة، ومن هؤلاء أَسُرُ وجماعات يهوديَّة تظاهرت باللدخول في الإسلام، وظلّت هذه الأسـرُ والجماعات محافظةً على يهوديِّيها برزاً، وصارت ذراريها ترث عنها النفاق، ضمن خطّة كَيْد ضـدً الإسلام والمسلمين، ذاتٍ نَفْس طويل، ومن هؤلاء أيضاً أُسـرُ نصرائية أو مجوسيَّة، دخلت في الإسلام نفاقاً ضمن جُطّة كَيْد مشابهة لمخطة الكَيْد اليهوديّة.

(Y)

النفاق سلوكً مركب

فلولا أن يكون العنافئ جَبَاناً، وصاحب طغير شديد بالسناه بالنبوية التي يترتجها إذا هو نظاهر بالإسلام، لما سَلَك مُشَلَفُ النُفاق، ولها كان له وجهان: وجُهُ صع الكافرين، ووَجُهُ آخَرُ يُخَادع به المؤسن، ولوجْذ الجرأة الكافية على أن يُمُثِن جُحُودةً للمؤسن، ويَقِف صراحةً في صفَّ الكافرين، لكِنْ جُبُنه الشَّدِيدَ بِمنفةً من ذلك، فهو يخشى أن يتظاهر بموقعه العدائي للمسلمين، كما أنَّ طفَعَة الشديدة بمشاركته المسلمين في الغنائم التي يظفرون بها من أعدائهم يجعلةً بتظاهر بأنه منه. فالجَّنُّ والطمع مع خُلُقِ الكلب المكتسب ومع قصر النظر من العوامل الـرئيسيَّة التي يتولّد عنها النفاق في السلوك الإنساني.

ولولا أن يكون السنافق جُمُودًا للَّمَقُ كُنُودًا، مع نَظْرِ فَهِيرِ إلى الوجود والحياة يجملُهُ يَنشِّتُ بعصالحه وسافعه القريبة من الحياة الدنيا، لَزُوعَهُ إيمانَـهُ وحَبُّ للحقّ عن سلوك مُسلِّكِ النفاق في الدِّين.

وذلك لأنّ الذي يُعِبُّ الحقِّ، ويَكُرَهُ الْيُحُودَ، ولا يَطِيبُ لَهُ الكُمُّودُ، ويكونُ ذَا نَظْرِ إلَى الوجود والحياة بعيد، فإنَّهُ لا يُنافِقُ وإنْ كانَ جياناً او شديد الطّمع، لأنّه سيجد فيها يؤمن به من حقَّ مخاوف تردَّعُه عن الباطل، ومطامع أسبلُ تجعله ياتزم سيل الحق والخير، وعندقة يَتَشَفُّ سبيلُ الحقّ والخير الدينيّ جُنّه وطفّعهُ، ولا يبقَى لديه منهما ما يُزرع به إلى الفاق الذي يجعل مَهيزة يوم الدين، في أسفل سافلين، وفي الدول الاسفل من النال.

ولولا أن يكون السنافل كذّاباً ذا قُدْرَةِ فائقة على افسراء الكذب، وذا قُدْرةِ فائقة على تَصَنَّع الكذِب في ظواهر اعساله، حُثَّى صار خُلُق الكذِب سَجِيَّة مُكسَبةً في نفسه، وشبهاً بالشُجَايا الفطريَّة تَنكُناً وصُقفاً، ومهارةً في السلوك الذي قد لا تَبْسُو عليه أمارات النُّصَنَّع بالكذب، فَمَا طاوعتُه نفسه أن يلترم سبيل النفاق.

وذلك لأنَّ النّفاقَ عَمْلِيةً مُسْتَجِرةً تَنْضَمْنُ تَضَنَّع الكذب دواساً أو في معظم الأوقات، في القول والعمل، وهذا أمَّ لا يُسْتطيمُهُ ولا يُحْسِنُهُ إلا تُحْسِبُهُ ولا يُحْسِبُهُ إلا يُحْسِبُهُ إلا يُحْسِبُهُ ولا يُحْسِبُه، مُؤلك للنُكِذِب، جريءً عليّه، وقح في البُرّامه قادرً على أن يَبْهَ لناس في وجوههم، وذلك بأنَّ يفتري عليهم أشياء مم يقولوها ولم يعملوها، وأن يواجههم بها، ويتخلف على ذلك الأيمان المغلقة، دون أن يُنْلَجَلَع أَوْ يَتَلَعْنُمُ أو يَنْلُكُمُّا، وعلى مقدار مهارة المسافق في الكيمان المغلقة، في دوك النفاق.

قالتفاق خُلُقٌ مُكْتَسبٌ مركَب، وليس خُلُقاً بسيطاً، إنّه طبخَةٌ شيطانَية مُعَقَّدة في نفوس المنافقين.

واخفُّ دركمات الثقاق أن يتخذ المنافق وجهين: يُسْتَعْلِنُ بِأَحَـٰدِهما، فُسِرْضِي بظاهرهِ جماعة المسلمين، كاتماً عنهم الوجه الآخر ويستخفي بالآخر ويتأمر نه مع الكافرين الصُرحاء، وهو يُشَرِّهُمْ في السَّر آنه معهم، وإنَّه بُرِيد أَنْ يَتَظاهر بالانضمام إلى المسلمين ليخدم بذلك مصالح أعدائهم، دون أن يَحْدُر المسلمون مكايده الَّتي يُمَدِّرُهُمَا ضِدَهم وهو ضمن صغوفهم، وهذا الرجَّهُ الَّذِي يُسِرَّهِه لإخوانه الكافرين الشياطين وبَثَهُ يُسَرِّهم ويُفُرِّهُمُ لأَنَّهم يعنَسرُونه جاسوساً لهم في صفوف المسلمين المؤمنين، وما يَظْهَرُ بِه من الإسلام إنَّما هو مُخَادمةً للْمُسْلِمين، بِعَيْة حدمة مصالح أعدائهم.

وأشدٌ من ذلك المشاقل الذي يخادع المؤمنين ويخادع أعـداءهم معاً، وهـو في الحقيقة لا من هؤلاء، ولا من هؤلاء.

ويُشكن أن نُسَشِّي هذا مزدرج الفاق، ويُمكِنُ أنْ يُشُلُّ لَهُ بِيَهُوجِيَّ تظاهر بالإسلام ليخادع العسلمين، ثمّ يَخُلُو بالمشتركين فَيَسِرُّ لهم بالّه سَيخُدُم مصالحهم داخل صفوف المسلمين مُقَالِلَ مَنَافِعَ يَرْجُوها من العشركين، ثمُّ إذا خَلاَ بإخوانِه الشباطين من البهود كشف لهم وجُهَةُ الحقيقيّ، وقالُ لهم: إنِّي منكم، وإنِّي أضادعُ من أجلكُمُ المسلمين والمشركين الوثنين بوجَهْنِ مختَافِشَن.

وقد يُوجَدُ مُنَافِقٌ مُثَلِّثُ النفاق، أَوْ مُرَبِّعُهُ، اومُخَمِّسُهُ، او اكْثَرُ من ذَلِكَ.

وكلُّمنا كَانَ المسَابقُ أَقَدَر على النَّارُّنِ بِالأَلُوانِ الممختلفة، والتقلُّبِ بين العرجوه العنصادة والمتنافضة والمتخالفة، كان أقَدَر علَى أَنْ يَمْشَلَ في عدّة جهاتٍ متباينات في وقتٍ واحد، وأن ينافقها جميعاً، ويمكّر بها جميعاً.

- -

(4)

أقسسام المنافقيسن

باعتبار وضعهم عند نشأة نفاقهم

المنافقون ينقسمون باعتبار وضعهم عند نشأة نفاقهم إلى أربعة أقسام:

المقسسم الأول:

منافقون كانت لهم انتحاءات غير إسلاميّة سابقة لدخـولهم الإسلام، كـاليهوديـة. أو النصرانية، أو المجوسية، أو الوثيّة، أو الإلحادية.

ثُمَّ دَخُلُوا الإسلام نفاقاً بتاثير دامع أو أكثر من دوافع الفاتى، ولتحقيق غايةٍ أو أكثر من غايات المنافقين.

القسم الثاني:

منافقون كانوا مسلمين غير كافيين في إصلاتهم الإسلام، ثم ارتـُـدُوا عن الإسلام بـرَّاء ولم يُمالِئوا ردَتهم، فهم كَفَـرَةُ مرتـُـدُونَ باطنــاً، وينافقــون باسْتيقــاء الانتساب إلى الإسلام ظاهراً.

القسم الثالث:

منافقون روثوا الانتساب إلى الإمسلام من أُسَرِهِمُّ أو بيشاتهم، ولكنّهم لم ينخلوا في الإسسلام على سبيل الانتساء الإرادي، ولَمْ يَشِرُّوُوا على إعسلان رفض هــذا الانتساب، أو رأوا أنّ مصالحهم في مجتمعهم تفضي بالمحافظة على انتسابهم إليه، وهم في داخلهم كافرون بعقائد الإسلام وقواعده ومبادئه وشرائعه كُلُها أو بعضها، فهم بسب ذلك منافقون.

القسم الرابع:

منافقونُ ورثـوا النقاق من أُسَــوهم أو بيئاتهم الخــاصّـة، فهم بسبب هــذا الميراث الخبيث منافقون وأبناه منافقين

> استخلاص: يظهر من هذا التقسيم أنّ النفاق في الدين نفاق أصلىّ ونفاق طارىء

الأقسام الأربعة للمنافقين التي سبق بيانهـا تكشف لنا أنَّ النفــاق في الدين مـــه ما هو نقاقُ أصليٌّ. ومنه ما هو نفاق طارى.

النضاق الأصلى:

قد ندفع المصلحة الدنبوية بعض الناس إلى أن يتظاهر بالانتساب إلى الإسلام، وهو غير مؤمن به في نلبه، فيكون منافقاً منذ المدّة الأولى لإعلانه الإسلام، ثم يستمرّ على نفاقه، ويتبعه وارث الثفاق عنه من أهله وفرّيه، فهـذا هو النفاق الأصليّ، الذي لم يُسَبِّقُ بإسلام صحيح، ونظيره من ينشأ في بيئة مسلمين من أصول مسلمة، إلاّ أنّه منذ بلغ رشده لم يؤمن بالإسلام، لكنه قَبِلَ أن يظاهر بكونه مسلماً نبعاً لأبويه.

المتضاق الطسارىء :

وقد يُمَوْنُ بعض الناس إسلامهم ومُمْ صادفون غير كاذبين، ثُمُ يِطَوَّا الشَّلُّ على قُلُويهم، بِمُدْ تَمَوَّضِهم لامتحانات مختلفة، يَمَنَيْنُ اللَّهُ بِهَا صِدَّقَ إِيمانهم، فيرتَدُونَ عن الإسلام ارتداداً داخِليَّا، ويخشَوْن إعسَلان وتَبهمْ، ويستَمِرُونَ على السظاهر بالإسلام، مخافة إجراء احكام الرَّدَةِ عليهم، أو مخافة فوات منافع أو مصالح تأتيهم بوصفهم سلمين، ومن ذلك خدارتهم مكانتهم في مجتمعهم، وتعرضهم للذَّم والنقد والتلوم، إلى غير ذلك من صُور الضغط الاجتماعي، فهذا هو النفاق الطارى، الذي

، وقد تتكوَّرُ لدى بعض الناس حركة الدخول في الإسلام والخروج منه، بسبب ما يَشُوضُ لتصوَّرُواتهم ولنفوسهم، لكن يَظُلُّ ظاهرهم في مختلف الأحوال مستمرَّاً على أنهم مسلمون، وهؤلاء يقال فيهم: إنَّهم آمنوا ثمَّ كفووا، ثمَّ آمَنُوا ثمَّ كفُرُوا ثُمُّ إزهادوا كُفُراً.

وقد دلَّ على هذا النفاق الطارىء ما وصف الله به طائفة من المنافقين، وذلك في قوله تعالى في سورة (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول):

﴿ وَمِنْهُمْ مِّنَ عَنْهَدَاللَّهُ لَكِنْ مَاتَمَنَا مِن فَشَلِهِ. لَنَصَدَّقَ وَلَنَكُونَ فَنَ الصَّلَامِينَ ﴿ الْمَنَا النَّهُم مِن فَضْلِهِ. بَخِلُوا لِهِ. وَقَوْلُوا وَكُمْ مُعْرَضُونَ ۞ فَاعَتَهُمْ فِنَا فَا فَقُرِيمَ إِلَى يَوْمِ لِلْفَوْلِلَّهُ بِمِثَالَظَفُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُولُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِن اللَّهُ يَعْلَمُ مُرْمِدً هُمْ وَنَجَوَحُهُ وَأَنَّ الْفَعَامُدُ النَّهُ مِن ﴿ فَالْمَالِمُوا أَنْ اللَّهُ الْمُنْفِيلِ ﴾ . وَذُلُّ عَلِيهِ أَيْضًا قَمُولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَـلُّ فِي سُورَة (المَنَّافَقُـوْدُ/ ٦٣ مَصَحَفُ/ ١٠٤ نزول):

﴿ ذَاكِ بِالنَّهُمْ وَامْتُواثُمُّ كُفَرُوا فَعَلْبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ ﴾.

فقد أثبت إيمانهم أوّلًا، وعطف عليه إثبات كفرهم بحرف العطف الـدَالُ على التراخي دشمَّه فدلُ على أنْ كفرهم القلبـيّ كَشَرٌ عـارضٌ ولَبْسَ أصْليًا، وسبـاقى الحديث في السورة عن المنافقين.

ووصف الله عـزّ وجل طــائفةً من الـمنــافقين بالتــرُدُد بين الإيمان والكُفْـرِ أكثر من مُرَّة، فقال تعالى في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿ إِنَّا الَّذِينَ مَا مَنُوا أَمُّدُكُمُرُوا أَشَّرَ مَا سَنُوا أَمُّوَكَّرُوا أَمُّرًا أَمُّرًا أَمَّرَ كَار وَلَا لِيَهْدِيثُمُ سَيِيلًا ۞ يَفِي الْمُنْفِقِينَ وَأَنَّ لَكُمْ عَلَا الْمِينَّا ۞﴾.

وسيأتي شرح هذه النصوص ـ إن شاء الله ـ في مواضعها لدى دراســــة النصوص القرآنية المتعلَّقة بالمنافقين .

٤١.

أقسام المتافقين باعتبار موقعهم في الكفر

وينقسم المنافقون باعتبار موقعهم في الكفر إلى قسمين:

القسم الأول:

منافقون لهم مذهب معيّنُ في الكفر، كاليهودية، والنصرانية، والمجنوسية، والشرك، والوثيّة، والإلحاد، ونحو ذلك من مذاهب الكفر.

القسم الثاني:

منافقون ليس لهم مذهبٌ ميثنٌ في الكُفر، وإنما هُمَّ أصحاب مصالح دُنِيريَّة، فهم يَتِعونها حيثُ وجَدُوها، فإن وجدوها عند أهل البين تِبعوهم لتحصيلها، وإن وجدوها عند أهل الشمال تِعومم وانسبوا إليهم لتحصيلها. والمنافقون من هذا القسم هم منافقون مذبذبون، لا استقسرار لأنفسهم، ولا ثبات لغلوبهم وعواطفهم وآرائهم.

إنهم لا يُتطنون مَلْهماً معيناً من مذاهبِ الكُفُّر، لكنّهم إذا وتبدُوا مصلحةً لهم من مصالح الدنيا لدى غير المسلمين، لم يجدوا مانماً لديهم من متابعتهم سراً، وهؤازرتهم في تحقيق أغراضهم، ولو كمان في ذلك خياشة للمسلمين، الدين هم منهم بحسب الظاهر، ولو كان في ذلك أيضاً هدمً للإسلام الذي يدّعون أنهم متسبون إلَّه.

وحينما يتابعون سِرًا أو يؤازرون فريقاً من أهـل الكفر الذين لهم مذهب معيّن فيه، فإنّهم لا يتابعونهم إيماناً بعذهبهم، وإنما يتابعونهم ابتفاء مصلحة دنيويّة برجونهما لنبهم.

فهم مذبذبون في مسافة وسُطَىٰ بين أهل الإيمان وبين الكافرين الدنين لهم مذهبٌ مُشَرُّ في الكُفر، فعلاهم متسيون إلى أهل الإيمان انتساباً صحيحاً صادقاً، ولا هم منتسبون إلى أهل مذهب ميّن في الكفر انتساباً صادقاً.

ا أَمُنَّ اللَّهِ مِنْ مُلَّادً لا صِلْقُ فِي الانتساء، ولا صِلْقُ فِي العولاء، والنشاق سَيِّد أَيُّ الاَّخلاق، وأنفع الرفاق، وأستَّرَ الاَثْقَاق، والفشل مذهب أن لا يكون للمنافق مذهب، فمذهبُّ حيثُ يتحقُّنُ لَهُ من مصالح، وأهوات وشهواته مطلبًّه.

وياستطاعتنا أن نقول: إنّ المنافق من هذا القسم له مذهبٌ في الكُفْسر، هر عدم استقرار الرأي والقلب، والتاريّج بحسب أهمواه نفسه وشهبواتها، فحيث مىالت أهواؤه وشهوات نفسه ومصالحه من دنياه مالٌ فكره ورايّه وقليّه.

وهـذا القسم من المشافقين لا يُشرفُ لهم بـالانتـــاء والـولاء أهـــل الإيـــان، ولا يعترف لهم بـالانتــاء والـولاء أهـل الكفر الـفين لهم مـذهبٌ معينٌ في الكفــر، ويُتَعَامَلُون معهم في حدود ما يحققون لهم من منافع وخدمات ومصالح، ومــا يستفيدون منهم من أحبار، وما يُحصَّلُونه عن طريقهم من معلومات.

إنَّهِم إذا أقبلوا إلى أهل الإيمان مخادعين علم أهل البصيرة منهم أنَّهم كذَّابون فتَّاصو مَسَافع ومطامع، وإذا أقبلوا إلى من لهم مذاهب معيّنةً في الكفر، علموا أنهم قساصو مشافع ومطامع، فتصاملوا معهم على هـذا الأسـاس، واتخـذوا منهم أجـراء. أو كلابٌ صيّد لتحقيق أغراض لهم في صفوف المؤمنين المسلمين حقّاً.

ولعلَّ المنافقين من هذا القسم هم المقصودون بقول الله عزَّ وجلَّ في سووة (النساء/ ٤ مسحف/ ٩٣ نزول):

﴿ يَشِي الْمَنْتِيقِينَ بَانَ فَكُمْ عَلَمُ الْيَسْ ﴿ الْمِنْ يَغَوْدُونَ الْكَهِينَ أَوْلِيَة مِن دُونِ
الْمُنْوِينِ أَلْيَنَكُونَ عِندُمُ الْمِزْقَ فَإِنَّ الْمِزْقَةِ عِناهُونِ
الْمُنْوِينِ أَلْيَنَكُمُ مِنَاهُ الْمُنْفِقِ وَالْمَالِقَةُ فَلَا لَقَمُنُوا مَعْهُمْ حَتَى يَعْوُسُوا فِحَدِينٍ عَيْرِهِ
إِلَّا مَعْهُمْ حَتَى يَعْوُسُوا فِحَدِينٍ عَيْرِهِ
إِلَّا مَعْهُمْ حَتَى يَعْمُونَ الْمَرْقِينِ وَالْكَتِينِ فَا مَعْهُمْ حَتَى يَعْوُسُوا فِحَدِينٍ عَيْرِهِ
فَوْلَا وَلَا لَكُونِينَ مَنْ اللَّهُ عِنْهُ عَلَيْكُمْ يَنَاعُ مَنْ الْمُعْمِدِينَ فَي عَلَيْهُ وَلَا كَنْ الْمَنْ اللَّهُ مِن مَنْهُمُ وَلِنَا عَلَيْكُمْ وَنَا عَلَيْكُمْ وَنَاعُوا الْمَنْسَعِدُ عَلَيْكُمُ وَنَاعُكُمُ الْمُعْمِدِينَ فَيْلِكُونَ الْمُنْفِينَ عَيْنِهُ مِن اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَا الْمُؤْمِنِينَ فَيْلِكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنَاكُمْ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنْ الْمُعْمِنَ الْمُعْلِينَ فَيْلِكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنَالِكُونَ الْمُعْلِينَ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنَالِكُونَ الْمُعْلِينَ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنَالِقُونَ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولِ الْمُعْلِينَ فِي الدُولِ الْمُؤْمِنِينَ فَي الدُولِ الْمُعْلِينَ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمُ مِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولُ الْمُعْلِينَ فِي الدُولُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولُ الْمُؤْمِنَ وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُولِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ وَلِينَا عَلَيْكُمْ الْمُؤْمِنِينَ وَلِينَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِينَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُومِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَالْمُومُ الْمُؤْمِنَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَا الْمُؤْمِنِ

هـذا النصّ مشروحٌ شــرحاً تحليليّاً وافيّاً في النص (١٨) من تصــوص الدراســة الغرآنيّة للمناففين، الآنية في القسـم الثاني من هذا الكتاب.

وللمناسبة هنا نلاحظ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يكشف فيه صفات المسافقين العقبذين المستردّدين بين المؤمنين والكافرين، ابتغاء تُخصيـل المعلامـع والمسلفـع من كلُّ من الفريقين المستافضيّن.

ويُحَدُّد الله عزَّ وجلٌ في هذا النصُّ المموقف الذي يجب أن يُتَخِـَلُه المؤمنون من الكافرين . إنّه موقف لا يسمع بالمجاملة في قضايا الدين، ولا يسمع بإقرار الاستهزاء
 بأيات الله والتكذيب بها، فإفرارُ الكُفْرِ كُفْر، وهو مع ادّعاء الإيمان والإسلام نفاق.

وهـ و موقف لا يسمـح للمسلمين بأن يتَخــنـذوا الكافسرين اوليـاء من دُون
 المؤمنين، ابتخـاء الاعتزاز يهـم، والتقــري بقـرتهـم، فهــو لا يكــون إلا ضــد مقتضيـات
 الإيـان والإسلام، أوضد مصالح جماعة المؤمنين، وهو مظهر من مظاهر النفاق.

ولمّا كان المنافقون والكافرون مشتركين في الكُفّر بالحقّ الذي جاء من عند الله. كان من العدل أن يجمع الله المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً.

ومن صفحات المدافقين الممذبذبين بَيْنَ المؤمنين والكحافرين التي كشفهها الله عزُّ وجلَّ في هذا النصّ الصفاتُ السُّبُعُ التاليات:

الصفة الأولى:

أَنْهُمْ يَترَبَصُونَ كَمَا يَرَبُصُ القَنَّاصةُ مَا يريدون صَيْدُه، فَإِنْ كَانَ لَلْمَوْمَنِينَ فَتَحُ من الله على عدُّوهم، قالوا للمؤمنين:

﴿ أَلَدُ نَكُن مَعَكُمْ ﴾.

فهم يطالبون في هٰذا بنصيبهم من الغنائم.

وإنْ كـــان للكـافـــرين نصيبٌ من الانتصــار على المسلمين لحكمـــة أرادهــا الله عزّ وجلّ. قالُوا للكافرين:

﴿ أَلَةَ نَسْتَحُوا عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

أي: ألم نُجعلُ بكم إحاطة حماية لكُمْ ونَحْنُ في صفوف العؤمنين، وبـذلـك
منعناكُمْ وحَميناكُمْ من أنْ يَنتَصِرَ العؤمنونَ عليكم؟

فهم يطالبون الكافرين في هذا بتصيبهم من الغنائم التي أصابوها من المؤمنين، أو يطالبون بنانًا يكونوا أهل مودّتهم، ومحلّ عنايتهم ورصايتهم، وأصحابٌ حُـظُوّةٍ لديّهم.

الصفة الثانية:

أنهم إذا قَامُوا إلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَي، يراؤونَ المؤمنين بها، لأنهم لا يؤدُّونها

عن عقبدةٍ وإيمان، وإنَّما يؤدُّونها خشية أنَّ ينكشف نفاقهم بتركها.

الصفية الثالثية

أنهم لا يذكرون الله في كل أحوالهم إلاّ قلبلاً، ويَدْخُلُ في هذا اللّذِكر القلبل ما يُراؤونُ به أنام المسلمين المؤمنين، وما قد يكون منهم من دُصابي فه إذا تعرّضوا لمطلب من مطالب دنياهم، أو تعرّضوا لمازيّ حرج، ولم يجدوا سبباً مادّيّاً مسوراً يُحقّق لهم مطلبهم، أو يتقلعم من مازقهم، وربّسا ذكروا الله وسالوه أن يحقّق لهم ما يحبّون، دون أن يكون اعتقادهم به اعتقاداً صحيحناً جازماً، ويكون حالهم حيثةً كحال من يلتمس معرفة مستقبله عن طريق المنجّمين، وقارئي خطوط الأكثّ.

الصفة الرابعة

أنهم يخذون الكنافسرين اوليناء من دون المؤمنين، وسبب فلسك أنهم يَنْشُونُ عِنْدُكُمُّ الْمِزْةُ، أي: الفنوة الغالبة، وهم يجهلون أنَّ القَوْة كُلُها هي فله عزَّ وجلَّ رحمه لا شريك له.

ببقة الخامسة

أنهم يجالسون الكنافرين ويُسْمَعُونُ مِنَّهُم الكُشْرَ بَايَاتِ الله والاسْتِهمزاءُ بها، فلا يُتْكُرونُ عليهم، ولا يفارقون مجالسهم، ويخالفون أمر الله في ذلك، فقد أنزل على المسلمين في القرآن ما يتضمّن:

﴿ أَنْهَا اللَّهُ مُنْهُمْ مَا يَدِتِ اللَّهِ يُكْفَرُهِا وَيُسْتَهَزُّا بِهَا فَلَا نَفْعُدُوا مَمَهُمْرَخَقَ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِوجُ ﴾

هذا البيان في هذا النّص يُشير إلى ما سبق أن أنزلـه اللّهُ في العهد المكّيّ، وهـو قول اللّهِ عزّ وجلّ في سورة (الأنمام/ ٦ مصحف/ ٥٥ نزول):

﴿ وَإِنَازَلَتُ ٱلَّذِينَ يَمُوْضُونَ فِى مَايِنِنَافَأَعْرِضَ عَنْهُم حَقَّ يَمُوشُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهُولَمَا يُسِيَنَكَ الشَّيْطُانُ فَلاَ لَقُمْدُ بَعْدَالذِكِرَىٰ مَا ٱلْغَرْرا أَظّالِينَ ﴿ إِلَى ﴾ .

فأضاف النصّ المدنيّ الذي جاء مؤكّداً ومُرَّبّاً في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) بيان أنّ إقرار الكفر كُفّر، والرضا بالكفر كفر، والمشاركة في مجالس الكفر عن رضاً. أو مع القدرة على الإنكار أو المفارقة كُفر، فقال الله عزَّ وجلَّ فيه:

﴿ إِنَّكُولِهَا يَشْلُهُمُّ إِنَّا لَقَدَ جَامِعُ ٱلْمُتَنفِقِينَ وَٱلكَّنفِرِينَ فِي جَهَمَّ جَمِيعًا ٥٠.

فابان انَّهُمْ مِثْلُهُمْ في الكُفْر، وأنَّ عَمَلَهُمْ هذا يَدْمَغُهُمْ بالنفاق.

وعلى الرغم من هذا التحذير الشديد فبإنّ المنافقين يجالسون الكافرين، ويَشَمُّونَ بَقُهُمُ الْكُفْرِ بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا يُتُكُرون، ولا يفارقونَ مجالسهم، لذلك فحكمُهُم مثل حكمهم، وهم معهم في جهنم.

الصفة السادسة:

أنَّهم بَسَدُبُدُبِهم بين المؤمنين والكافرين يــظَنُـون أنهم يخــادعـون الله، أي: يخادعون المؤمنين اللّذين هم حزبُ الله .

لكِنَّ الله عزَّ وجلَّ يُمْهِلُهُمْ ويُعلِّي لهم، حُنِّى يُشْرِلَ بهم عقايمه العادل، وبـذلك تكونُ مخادعتهم مردودةً عليهم، فما يحفرونه من خُفْرٍ للمؤمنين يُسْقِطُهُم الله فيها.

إذَنَ: فهم المخدوعون لا الخادعون، فجاء في النصُّ:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَنِفِقِينَ يُحَلِيعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَلِيعُهُمْ . . . @ ﴾ :

أي: يُمِدُّ لهم في الحياة الدنيا، فيُحْسَبُونَ انّهم قد ظفروا بما أرادوا، لكِنُّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أعَدُّ لهم انتقاماً عادلًا وعقاباً أليماً.

الصُّفَّةُ السَّابِعة:

أَمُّهم ليس لهم رأيُ ثـابتُ لا في جانب الإيمـان، ولا في جانب الكفـر، بل هُمْ متردُدُون، يتفلُّبونَ في المبادىء حــب تقلّبٍ أهوائهم وشهواتهم.

وهذا الصنف المتردّد من الناس له حالتان:

- فهر إمّا أن يَشرَدُد بين الإيمان والكفر، فيؤمن تـارةٌ ثم يكفر، ثمّ يؤمن ثم
 يكفر، وهكذا يُنقَلُب كما تتقلُبُ دوافع نفسه، وذواعي أهوائه وشهواته.
- وإمّا أن يَتَذَبُّنَبُ وَيَتَأْرَخَ نَفْسِياً في المسافة الوسْطَىٰ بين الإيمان والكُفْر، ثمّ
 يلْجًا إلى المصالحة والمفاسمة بين الطرفين المستاقضْن، فيُعطِي علانية لجماعة

المسلمين، ويُعْطِي سِرُهُ لأولياته من الكافرين، ليستفيند من كلَّ منهمنا، وليحميَ نَفْسَهُ من يَقْمَةِ كُلُّ منهما.

ولمّا كان هذا الصنف من الناس عرضةً لهاتيّن الحالتين، جـاء قبل هـذا النصّ الكاشف لبعض صفات هذا الصنف من المنافقين، قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّا الَّذِينَ اسْتُوافَّقُرُكُوافُدَّ مَامَنُوا فَتُكَثَّرُوافُثُوَّ اَذَادُواكُمُّرُا لُمُرِيَّا لِمَالِيَفِرَ كَتَهُوَلَا لِيَبْدِينُمُ سَيِيدُ ﴿ ﴾ .

وأتْبُعَ هٰلِهِ الآيَةَ بِقُوْلِهِ:

﴿ بَشِرِ ٱلمُنَفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿).

إِنَّ مِن الواضح أنَّ التَّرُقُدُ بِينَ الإِيمانِ والكَمْرِ يَنْكُ دلاللهُ وَاضحةً على أنَّ صاحبًهُ غَيَّرُ في رأي ثابتٍ، وانَّ مَفْهُوماته في الحياة مفهوماتُ خاضمةً لتقلّبٍ أهوائه، وانَّ مراكزَ عقائِده الصوبَةُ في إليدي شهوات، فإذا بدا له أنَّ ما يَهْوىٰ ويَشْتَهِي يتحقّن في جانب الإِيمانِ آمَنُ، وإذا بدا لهُ أنَّ الذي يَهْوَا ويشْتَهِي يتحقن له في جانب الكُمْرِ كَفْر.

وَهَكَمَاءَ مُقَلِّهُ قُلُبٌ، ويَرْقُمُهُ خَلُب، إذا ارْتُتَ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيْهِ وهـو في جانب الإيمان بما يخالفُ هواه تفلُتَ إِلَىٰ جانبِ الكُفر، وانقلبُّ عقيدته، وكـذلك يَفْضَلُ وهُوَ في جانب الكُفر.

من أجّــل. ذلك لا يقْتِلُ اللَّهُ عَرْ وجلُّ إيمانُ من عُــرِف مَنْهُ التبرَقُهُ بَيْنَ الإيسان والكَفْر، ولا يَنْفَزُ اهه له، لانَّ إيسانه حين يؤمن إيمانُ هوى، واتّباع لِمصلحةِ دنيوية، لا إيمانُ مُسْتَشِيمِ مطبئنً لما عرف من الحقّ.

روي عن عليّ بن أبـي طالب ـــرضي الله عنه ـــ أنه قال: يُسْتَنابُ الموتَدُّ ثلاثاً، ثم تلا هذه الآيّة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ مَامُوا لَقُرَكُمُ وَاثَّكَ مَامَنُوا ثَقُرَكُمُوا ثُمَّ آزَهُ وَاكْثُرُا لَذِيكُي اللَّهُ لِيَغْفِر لَمُمْ وَلَا لِيَهْدِينُمْ سَيِلًا ﴿ ﴾ .

إنَّ هذا الصنف من الناس:

إذا ازدادتُ جِزأَتُه، وَقُلَّ ذَكاؤه، وعُظْمَتْ وقاحَتُه، تردَّد بَيْنَ الإيمان والكُفر،
 فكان متقلباً لا ثبات له.

وإذا ضَعَفَتْ جُرْأَتُهُ، وتُشَرِّتْ حِيفُته، وقلَتْ وَالْحَضْ، وَهَلَوْ لَهُ وَلَمَانُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّعْفِينَ، وَالرَّحِعْ النَّجِعْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّعْفِينَ، وَالرَّحِعْ النَّعْفِينَ، وَالرَّحِعْ اللَّعْزِ اللَّعْفِينَ، وَاللَّعْفِينَ اللَّعْزِ اللَّعْفِينَ اللَّعْزِ اللَّعْفِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْفِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْفِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّهِينَ اللَّعْزِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّعْزِينَ اللَّعْزِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّهِينَ اللَّهُ اللَّهِينَ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ ا

ومن هذا التحليل يَتَبِيَّنُ لنا أنَّ المتردَّد الْقُلْبُ، والمنافِقُ الْمُذَّبِّـذَب، هما قسمانِ لصنفٍ واحدٍ من الناس، وليسا صِنْفَيْنُ اساسيَّيْن، واللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

(0)

دوافع النفاق

سلوك الكانن الحيّ مظهر من مظاهر دافع نَفْسِيُّ أو أكْثَرَ لدينه دفعه لاتخاذ هذا السلوك.

والنفاقُ سلوكُ في الحياة تتَخذُه فئةً من الناس متأثَّرةً بدوافع نفسيَّةٍ لديها.

وبالتأمُّل تنكَثِفُ لنَا الدوافع النفسيَّةُ التالية، الَّتي يُشْكِنُ أن تكون دوافع تدفع الإنسانَ غير السُّويُ ليَسْلُكُ مَسَالِكَ النفاق:

الدافع الأول:

/ الطمع بالعنافع الدنيويّة/التي يرجو العنـافق تحصيلها بالانتساب إلى المسلمين، وبإعلانه قبول مَبدًا الإسلام، وإعلانه الدخول فيه.

ولا بذ أن يكون معلوماً أنّه لا يكفي الطّمع وحده حتى يُشْلُك الإنسان مسالك النفاق، بل لا بدّ من أن يقترن الطمع بـانحرافـات خلقيّة تتولّد من اجتساعها ظـاهوة النفاق، كـالكـفب، والخيـائـة، والغـاد، والجيّن، ونحــو ذلـك من جـــدور أخـلاقى المنافقين.

الدافع الثاني:

الخوف على نفسه أو ماله أو مصالحه الـدنيويّـة، إذا بقيّ معلناً كُفُـرُهُ بالإسلام وجحودُهُ لعقائده وقواعده.

ولا يكفي هنا ايضاً المخوف وحده، حتى يسلك الإنسان مسالك النفاق، بل لا يُذ من أن يقترن الخوف بانحرافات خلقيّة تتولّد من اجتماعها ظاهرة النضاق، كما سبق في دافع الطمع.

الدافع الثالث:

ابتضاء الكيد فيسدُّ الإسلام وجماعة العسلمين، عن طريق إعلان الدخول في الإسلام، ثم العمل على التخريب والهدم من داخـل صفوف المسلمين المؤمنين. مح الشعور بالأمن والسّلامة وغُفَّلَة الرقباء.

ولا يكون هذا الدافع إلا عند عدوً بالغ العداوة يريد هدم الإسلام، والإنساد بين المسلمين، وتوهين قواهم، أو لَـُكنَ مستاجَسر لهـَـَّه الفسايـة بمسا يُجبُّ من مالل، أو شهواتٍ، أو جاو، أو سلطان، أو لدى مدفوع بوسائل الشرغيب والترهيب، أو لــُــــى مسلوب الإرادة من قِبْسًل مُنطَّفًة اب شيطانيّة خبيشة، تـــــــقُمَــة للنفساق، حَمَّى تَشْغَلُهُ للنابانها وأغراضها الإجرامية الخبيثة.

الدافع الرابع:

النَعْصُبُ لاسم والإسلام، الذي يتسب إلَيْهِ تبعاً لقومه أو عشيىرته، وكراهيتـه إعلان الخروج عليهم، ومخالفتهم.

وهو في قلبه لا يؤمن بهذا الدين، بل يَكْفُر بِه كُفْراً كُلِّياً، أو كُفْراً جُزئيًا.

ثم قد يكون ذا عقيدة أخرى يعتقد بمفتضاها مذهباً آخر غير الإسلام، ممّا يتناقض ممه، كالماركسيّة بمفهومات الماديّة الجدليّة، وكالقوميّة القائمة على الكفر باقه واليوم الآجر، وكالعلمانية الجاحدة للدّين ولما جاه فيه، وكالمادّية الملحدة وفق مفهومات الإلحاد الغربي.

وقد يكون غير ذي عقيدة خاصّة، بــل هو من الّــذين يُتّبعون في الحيــاة أهواءهم

وشهواتهم أنَّى وَجَدُوها، ولا يُريدون أن يُفَكِّرُوا في آيَّة عقيدةٍ من العقـائد حــول الكون والحياة والمنشأ والمصير.

- -

٦)

أقسام المنافقين باعتبار غاياتهم ودوافعهم

ينقسم المنافقون باعتبار دوافعهم من النفاق، وغاياتهم التي يُرُومُون الوصول إليها من سلوك مُسْلَك النفاق، إلى أربعة أقسام:

القسسم الأول:

المنافقون الذين نافقوا طمعاً في الحصول على منافح ومصالح دنبويّة يرجُّـونها بانتسابهم إلى الإسلام وإعلانهم أنّهم مسلمون.

- (١) فمن هؤلاء أعراب نافقوا إيّان استداد الإسلام وانتشاره وكثرة فتوحاته، وتَدفّق الغنائم على المسلمين من كلل جهة، وقد دخلوا في الإسلام طمعاً في أن يشاركوا المسلمين فيما يصبيون من غنائم، وفي أن يكون لهم نصيبٌ من الأموال التي أخذت تتدفّق على المسلمين.
- (٢) ومن هؤلاء تُجارُ دخلوا في الإسلام نضاقاً من جهاتٍ شتن الصالم،
 ليكون لهم مجالات تجارية واسعة في العواصم الإسلامية، التي أخذت تزدهـر بالدوان الحضارة والثقافة والرُّقيِّ المدنى.
- (٣) ومن هؤلاء طالبو حكم وسلطان، رأوًا تماظم مجد المسلمين، وامتداد سلطانهم في الأرض، فطعموا في أن يكون لهم نصب من الحكم والسلطان فدخلوا في الإسلام نفاقًا، وتسلّلوا إلى داخل صفوف المسلمين.

وعلَىٰ سُلَم النَّفاقِ العاكر، ويحيلة استرضاء جماهير المسلمين، واصطيباد أفرادٍ منهم في غفلاتهم وطيبة قلوبهم وصفاء سريرتهم رُبَّما وصلوا إلى ما كانوا يظمعون فيه.

وربَّما أثَّروا بخُبِّثِ على بعض أهل الأهواء والشهوات، فاتَّخذوهم مطابا حملتهم إلى العراكز التي كانوا يطمعون في أن يَصِلُوا إليها. (3) ومن هذا القسم فريل ورتوا الانتساب إلى الإسلام، وهم غير مؤمنهه ،
 أو ارتدوا بعد إبدان به، والسنيخوا بشنيخم الظاهرة إلى الإسلام، ليحافظوا على طابيتم
 ومنافع تأتيهم إذا كانوا في أقوامهم مسلمين.

ويلاحظ أنَّ هذا القسم من المنافقين الطامعين له أمثلة واقعيُّ كثيرة، في لأ بلاح المسلمين، وفي جميع عصور التاريخ الإسلامي، ويُوجِّدُ في واقعنا المعاصر متهاعداكُ جُمِّةً لاَ حُصِّرَ لها، منتُّةً في كلَّ موقع من مواقع المسلمين، وفي كلَّ جماعة أميشة أو منطعة من منظماتهم وهيتاتهم وجماعاتهم.

القسم الثاني:

المنافقون الدين نافقوا حوفاً على أنفسهم أو أموالهم أو مصالحهم المبرية المختلفة، أو زعاماتهم في أقوامهم الذين تخلُّوا عنهم واسلموا.

(١) فمن هؤلاء المنافقين وعبد الله بن أبي ابنُ سَلُول، وأسُ منافقي المنبذ في
 عهد الرسول ﷺ.

وكذلك الذين كانوا معه من المشركين، الَذين دخلوا في الإسلام نفاقـاً م أهـل المدينة.

(٢) ومن هـ قدا القسم فتداتُ دَخلت في الإسلام بَضافاً أيسانُ الفتح الإسلاميّ المواسع، ليحموا أنفسهم وأسوالهم ومصالحهم المختلف، وكمانوا محدارير أصداءً للمسلمين، وكمان منهم أصحاب زعامات في أقوامهم فأسلموا يفافاً ليحافظوا على زعاماتهم ومكاناتهم الاجتماعية في أقوامهم الذين أسلموا إيماناً وتصديقاً، وحرماً على النجاة يوم الدين، ورخية في الظفر برضوان الله ودخول جته.

ومن هذا القسم فديق ووثنوا الانتساب إلى الإسلام، وهم غير مؤمنين بسه، أو ارتَّدُوا بعد إيسان، ومنعهم من إعـلان كفسرهم الخـوثُ على أنفسهم أو أسـوالهم أو مصالحهم.

القسم الثالث:

المنافقون الذين نافقوا ليكيدوا الإنسلام وهم منتسبون إليه، وليكيدوا المسلمين وهم ضمن صفوفهم يتظاهرون لهم بالأخوة والولاء، وهم في الحقيقة مشاقُون أعداء، لا يألون المؤونين خبالاً، إفساداً لمجتمعهم، وتهديماً لابنتهم وحصوفهم ومعاقلهم، وتحريفاً لدينهم، وتلاعباً في سياستهم، وتفريقاً لصفوفهم، وتعزيفاً لوحدتهم، وتضليلاً لمن يستطيعون تضليله منهم، واستدراجاً لفادتهم إلى المزالق ومواطن الزلل، وترأيساً بالمسلمين المؤمنين أن تدور عليهم الدوائر حَمَّى يُقَضُّوا عليهم من مأمنهم، منظاهرين ومناصرين أعداءهم المجاهرين بعدواتهم لهم.

(١) فعن هؤلاء منافقو يُشهود المدينة في عصر الىرسول 繼 المذين دخلوا في الإسلام نفاقاً، كيداً، وابتضاء الإنساد وإثبارة القتن، والمكر بالمسلمين والىرسول، وإبتخاء تحريف الإسلام وإنساد مفهوماته، والكذب على الله والرسول، وإدخال الإسرائيات في تفسير كتاب الله وسنة رسول ﷺ، مهما سنحت لهم الفرصة لذلك.

(٢) ومن هؤلاء دعيد الله بن سبأ، المشهور وبائين السوداء، وهو من يهمود البحن، دخل في الإسلام نفاقاً في عهيد عثمان رضي الله عنه، وكاد الإسلام والمسلمين آيما كيد، وآثار الفتنة على عثمان حتى انتهت بمقتله، وبذر بزور تأليه علي بن أبهي طالب رضي الله عنه، وعمل على شق صفوف المسلمين بدوافع سياسية، وُضِعَتُ لها بدذعً اعتقادية كُفُروًة(١٠).

(٣) ومن هؤلاء ديسون بن ديسان القدارء وهو حَبْرُ يهودي تظاهر بالإسلام نضافاً، وأنصل في السلمية من ببلاد الشام به وإسماعيل بن جعفر الصادق بن محصد الباقر بن علي زين العابدين بن ألعَسْنِ بن عَلي بن أبي طالب، وانْدَسَ في شيعته، وتظاهر بالعجة في الخدارة والمولاء، ليُحْجَمُ مكينت، ثم ظهر في الكوفة سنة و٢٧٦ هجرية وأسس مع دحمدان قرمطا مذهب الباطئة، اللذي تكونت منه فرقة ملحلة مرتقة، كاكت الإسلام والمسلمين كيداً كُياراً في التاريخ الإسلامي، وأنزلت بالمسلمين بلاءً عظيماً?).

⁽١) في القسم الثالث من هذا الكتاب تفصيل فتنته.

⁽٧) في القسم الشالت من هذا الكتباب تفصيل لبطرف من فت»، وفي كتباب ومكايد بهموتية عبر التاويخ، تفصيل مطوّل لفتن القرامطة في التاريخ المنسويين ولحمدان قرمطه وهم في المحقيقة أتباع وميمون القدّام.

(٤) ومن هؤلاء فريق من يهبود الأندلس، وذلك أنّسه لسا مشخلت الدولسة الإسلاميّة، في أيندي نصارى الإسبان بمساعدة المنافقين المندسين ضمن صفوف المسلمين، لم يستطع النصارى الإسبانيون الشديدو التَّمَسِّب، اللَّذِين استُولُوا على الأندلُس بقد انحسار الدولة الإسلاميّة عنها، أن يتحمّلوا وُجُروة مُسْلِمين أو يهود تحت حكمهم، بدافع ضين أفقهم، وضيق نقوسهم وشدّة تعشيهم لنصرائيّهم، ونقضوا عُهُودَهُمْ وُرُعُودهم السابقة.

ثُم أخَلُوا يُكُرِهُونَ النَّاسَ على أنَّ يَنْشَرُوا، وإلَّا كان مَصِيرُهُمُّ الإبادة الجماعيَّة، أو الفرار بدينهم، إنَّ وجَدُوا إلى الفرار سبيلاً، وكانَّ هذا على خلاف العهود والوصود التي كانوا قد قلعُوها على أنفسهم حينَ تَسَلُّوا من السلمين مقاليد الحكم.

وهاجر فيمن هاجر من الأندلس بسبب ذلك أقليات يهودية كانوا فيها، فقريق من
هؤلاء اليهود هاجروا إلى المغرب الإسلامي واستوطنوا فيه، وتظاهر بعضهم باللدخول
في الإسلام ابتفاء الكيد والقتة، وفريق أخر من هؤلاء اليهبود هاجروا إلى تركيا،
واستوطنوا فيها، ثم تظاهر فريق آخر من هؤلاء باللـخول في الإسلام، تبعاً لقائدهم
وسبتاي سيفي اوزيفي، الذي ادّعي فيهم أنه المسيح المتنظر، وعرف هؤلاء في تركيا
باسم والدونمة (١٠٠، ثم كان من هؤلاء المنافقين كيد كبير للإسلام والمسلمين في تركيا
وسائر العالم الإسلامي، وكانوا السبب في إسقاط المخلافة الإسلامية، وإقامة العلمانية
الكافرة، وكنان منهم ومصطفى كمال أشادورك وبسبهم مع الصهيونية العالمية،
والصليبة الغربية تمتُّ تجزئة الدولة الإسلامية، ودخل الاستعماريون بلاداً عربيَّة
ما كانوا يطمعون في أن يستعمروها.

- (٥) ومن هذا القسم منافقون آخرون من نصارى ومجوس وغيرهم، دخلوا في الإسلام نفاقاً، ليمكروا به وبالمسلمين، وليكيدوهما كيداً عظيماً.
- (٦) ومن هذا القسم فريق ورثوا الانتساب إلى الإسلام، ولكن لعبت بأفكارهم
 ونفوسهم مكايد أعداء الإسلام، فكفروا، إلا أنهم أخفرًا كُفْرَهُمْ كسا أوصاهم

 ⁽١) في القسم الثالث من هذا الكتاب تفصيل عن هذه الفرقة المنافقة.

شباطينُهم، ليكيدوا الإسلام وجماعة المسلمين، وهم بحسب الطَّاهـــر جزَّة من المسلمين، ومن سلالاتهم.

القسم الرابع:

المنافقون المذين ورئو، الانتساب إلى الإسلام، لكنهم غَيْرٌ مؤمنين به، ورئيما نيسَّرُ لهم سيل التخلُص من هذه النسبة، إلاَّ أنَّ دافع تعصُّبهم لقومهم وأهليهم جعلهم يحافظون على مظهر الانتساب إلى الإسلام.

فهم متنسّبون إلى جماعة المسلمين على سبيل العصبيّة لاهلهم ونويهم، وقومهم، وليسوا متسبين إلى جماعة المسلمين إيماناً بالإسلام، وتصديفاً لما جماء فيه من عقائد وقواعد وشرائع وأحكام.

فهؤلاء منافقون في الدين، متعصّبونُ للقوم.

ويــوجد كثيــر من هؤلاء في واقع المسلمين المعــاصر، عصـــر الإلحاد، والــرّدّة، والزّيغ المادّيّ.

وكثيرً من هؤلاء هم من الذين لعبت بأفكارهم ونفوسهم مكايد أعداء الإسلام، عن طريق الثقافات والمطوم المدسوسة بأفكار الإلحاد والمائيّة المخالية من الإيمان بماله واليوم الأخرء أو عن طريق المنظمات الكافرة الملحقة التي تستدرج المنتسبين إليها إلى الفسق نالفجور فالكفر البواح.

(Y)

دركات النفاق

كما أنَّ الكُفْر دركـات بعضُها السُفَلُ وأخشُ من بعض، كذلـك النضائُ دركـاتٌ بعضُها السَفْلُ واخشُ من بعض.

وتتناسُبُ دركاتُ النفاق تشقُّلُا وجَشَّةً وانحطاهاً مَعْ دركاتِ الكُفر، ويُضَافُ إلى ذلك ما يُحبِلُهُ المنافق من ابتغاء الكيد ضدَّ الإسلام والمسلمين، والإضرار بعضائهم، وافساد شرائح الإسلام وأحكامه وتشريهها، والإضرار بجماعة المسلمين ودولتهم، أو خدمة عدُّوهم في تنفيذ مُخطُطاته داخل الأمة الإسلامية، مُستُخْدِماً الكذب والخيانة والمخادعة والمكر السَّيَّ، ومُستَنجَلًا ثقة المسلمين به.

فالسنافق الطامع بالسنافح الّي تأتيه من قبل المسلمين، أو الخنائف على نفسه أو ماله أو أهله، أهْوَنْ شَرَّا، وأَخْفُتُ ضَرَّا، من المنافق الذي ينافق وهمو يُضْهُر النَّجَيْدُ ضَدَّ الإسلام والمسلمين، ويحتالُ بمختلف الوسسائل للإضرار بهم، وإفساد دينهم، وتدمير دولتهم.

وشرَّ منه من كـان قائــداً يَنظُم منطَّــة نفــاقٍ. ويضَعُ لهــا مبادىء الكفــر، وجَطَط المكر والكيد والإفساد، ويوجّه حركتها، ويُقودُ جيش الفتنة والشرّ في الظُّلُمات.

على أنَّ النفاق كُلَّةُ شرٌّ من الكُفُر، وأَسْوَأُ منه، وأكثر منه خيثاً وضُرّاً.

هذا هو النفاق في أصل الـدّين، وهو النفـاق الاكبر، وهــو الذي يكــون صاحبــه كافراً في حقيقة حاله، متنسباً إلى الإسلام في ظاهره.

(٨) النضاق الأصغر

ويُوتِئُدُ نفاقُ لا في أصَلِ اللّذِن، وصاحيُّهُ لا يكونُ كافراً خارجاً عن الإسلام في حقيقته، بل يكون عاصياً، أو فاسقاً، أو مُشْجِطاً بنضافه عمله الـذي هــو من أعسال الطاعة فه، أو نحو ذلك، وباستطاعتنا أن نُسنِّي هذا النُّوعُ من النفاق النفاقُ الأصغره.

فكُلُّ من يُظُهِرُ خلاف ما يُتَجِلُنُ لِيَخَادِع الناسُ بِما يُظْهِمِر خداصاً لَمْ يَاذَنُّ بِهِ اللهَ، أو ليتوسَّل بذلك إلى ما لم يأذن به اللهُ من الغايات، وكانَّ ذلكَ في أمورٍ لا تمسُّ أصل الذين ومقائده، فهو منافق نفاقاً أصَّغَر.

وبنناء على هذا التحليل للنفاق الأصغر يتضبح لننا أنَّ من يُرافي النَّسُ بَهْدَلَ الأغْمَالِ الصالحة، لِيُتُوا به في أمور دنياهم، أو لِتُعَظِّموه، أو لِتُكَرِّمُّوهُ من أَجْلُ صلاحه وتقواه، هو منافق من مستوى هذا النفاق الأصغر، ويُطلق عليه اسم همُراءه والمراثي هو الذي يُرِي الناسَ من مظاهر أقواله أو أعماله ما يَدُلُّ على غَيْرٍ حقيقته الَّتي يُحاول أن يخفِيها عن الناس.

وَمَنْ يَكَذَبُ عَلَى النَّاسَ فَيْرْضِيهِمْ بِأَكَاذَبِيهِ ليخدعهم، ولينال بـالكذب ثقتهم، ثمَّ يَغْذُرُ بهم، هو أيْضاً منافِقُ من مستوى النفاق الأصغر.

ومن يتظاهر بـالفقر والمسكنة ليستدِرٌ عـطفُ الناس عليـه، وهو في ذات مخادع كذّاب، ليس بفقير ذي حاجةٍ حقيقيّةٍ، هو منافق من مستوى النفاق الأصغر.

ومن يتظاهر بالوة والمحبَّة وهو يُشَمَّم العداوة، وغرضه من ذلك مخادعة من يتظاهر له ليكيده، أو لِيُقَنَّ به ويلمَنَ له، فيعمل ما لا يُريد وهو آمِنٌ من جِهَتِه، هو أيضـاً منافِئٌ كذَّابٌ من مستوى النفاق الأصغر.

وهكذا إلى صور كثيرة لا تكادُ تُحْصر.

فإذا خان فيما التمنوءُ عليه كانت خيانته استئماراً لنفاقه، وحين تكشف خيانته، ويكشف غُذُرُه ونقضه لعهده وإخلافه في وعده، يحاول أنْ يُسَنَّر نفسه بالمخاصمة الفاجرة، والإيمان المغلَّقة الكافية.

وهكذا تُجْتَمِع في المنافق في معظم حالات نفاقه خمس خصال ٍ هي من قبـائح الصفات، وهي:

- (١) الكذب في القول والعمل.
 - (٢) إخلاف الوعد.
 - (٣) الغدر بنقض العهد.
 - (٤) خيانة الأمانة.
 - (a) الفجور في المخاصمة.

وهذه الخصال الخمس القبيحة قد جاء بيانُها فيما صحَّ عن الرسول ﷺ، وفيما

يلي بيان ما جاء عن الرسول حول هذه الصفات:

• روى البخاريّ ومسلم عن أبـي هربرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله 露 قال:
 • المُنافِق ثُلاكُ: إذَا حَدُّن كَذَّت، وَإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا النّبين خَانَه.

وفي رواية: ﴿ وَإِذَا عَاهَدُ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمُ فَجَرُهِ.

وفي رواية: ﴿ وَإِنَّ ضَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ۗ .

* وفي رواية صحيحة الإسناد على شرط مسلم عن أبـي هــريرة، أنَّ النبـي 濺 ال:

ومن عَلاَمَاتِ الْمُسْلِقِيقِ ثَلَاكُ: إِذَا حَـلَّتُ كَـٰذَبَ، وإذَا وَعَـذَ أَخُلَفَ، وَإِذَا التَّبِئَ غَانَه.

وروى النسائي والبزّارُ وغيرهما بباسند صحيح عن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ 總، قال:

وَآيَةُ المَنافِقِ ثَلَاثُ: إِذَا خَدَّنَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدْ أَخْلَفَ، وإِذَا التُّمِنَّ خَانَء.

وروى أبـو يَعْلَىٰ عن انس، بإسناد قبـل فيـه: إنّه حسن، أنّ رسول الله ﷺ
 قال:

ا فِي الْمُشَافِقِ ثَلَاثُ ــ وإنْ صَامَ وصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ــ : إذَا حـلُثَ كَلَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخُلُفَ، وَإِذَا التَّمِنَ خَانَ.

وروى البخاريُ ومسلم وأحمد والنرمـذيُ والنّسَائيُ عن عبد اللّهِ بن عُمَرَ
 رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

اَلْزِيْعَ مَنْ كُنُّ فِيهِ كَانَ مُنَافِشاً خَالِصاً: إِذَا حَثُكَ كَمَلْتِ، وَإِذَا وَعَدَ اَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ عَمْوَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَنَبَرَ، فَمَنْ كَانَتْ بِيهِ خَصْلَةً بِنَّهُنَّ كَانَتْ بِيهِ خَصْلَةً مِنَ النَّمَاقِي حَمَّىٰ يَدَعَهاهِ.

وروى الإمام أحمد والبيهتي في الشعب وابن نصر وأبو الشيخ وابن مردويه
 عن أبي هريرة أنَّ النبي € قال:

وإنَّ لِلمُنْافِقِينَ فَلاَماتٍ يُمُرْقُونَ بِهَا، نَجِيَّتُهُمْ لَنَنَةً، وَهَفَاهُمُمْ نَهْمَةً، وَفَيَسَمُّمُ غُلُول، لا يَفْرَبُونَ الْمُسَاجِدُ إِلَّا هُجْدِراً (اي: نِعَدَّ طُـول. غيب) ولا يَأْتُونَ الصَّـلاَةُ الْأَ يُبُرُّا، مُسْتَكْبِرِينَ، لا يَالْفُونَ وَلا يُؤْلُمُونَ، خُشُبٌ بِاللَّيلِ (اي: يسقطون تياماً كالخشب قىلا يذكرون اللهى سُخُتُ بِالنَّهار (اي: يكثرون الصياح والضجيج من أجـل دئيـاهم ولا تهذيب لديهم) ».

وعن سعمد بن منصمور في سنت، عن سعيمد بن المسيب مسرسمالاً، عن
 بني ﷺ:

﴿ آيَةٌ بيننا وبين المنافقين شهودُ العشاء والصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَهُمَاهِ.

وعن الصحابثيُّ أَمَامَةً صَّدَيَّ بْنِ عَجَّلَانَ الباهِلِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

والنُّمَائِقُ الَّذِي فِا حَدُّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدْ أَخَلْفَ، وَإِذَا النَّبِينَ حَانَ، وَإِذَا غَمْ غَلِّ، وَإِذَا أَمِرْ عَضَىٰ، وَإِذَا لَقِيَ جَبُنَ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ فَفِيهِ النِّفَاقُ كُلُّهُ، ومَنْ كَانَ فِيهِ بَقَصْفِنَّ فَهِيهِ بَقَصُ النَّفَاقِ.

هـذا الحديث مرقوف على أبـي أسامة البـاهلي، وبعف ثبت في الـــرفوع الصحيح، أمّا كدن العناق إذا تُمنم خَـلُّ (أي: أخذ من الغنسائه قبـل تــوزيـــم الإمــام أو القيادة المفوضة بذلك لها، وإذا أُمِّرِ عَصَى، وإذا لَقِي جَبُّنَ، فهي من صفات المنافق دون شك لأنّها من لوازم النفاق، وتشكُّ صفاتُ العنافقين في القرآن عليها.

أقول:

أمّا كون من اجتمعت فيه الصفات الأربع كما جاء في حديث عبد الله بن عمر الصحيح العرفوع، أو الصفاتُ السّت كما جاء في حديث أبي أسامة كنان مُسْافقاً عالصاً، أو كان فيه النّفاق كُلّه، فالمعنى كان مُسْافقاً من مستوى الضاق الأصفر، إذا لم تكن مظهراً من مظاهر النضاق في أصل الذّين، لكن رجوذها مجتمعةً في شُخص واجد أمارةً شُكُلُ على أنّ احتمالُ كُونِه مسافقاً في أصل الذين احتمالُ قَويًّ، فحالُه نستدمي العراقية والحذو.

إنّ النفاق في أصل الدّين هو إعلان قبول كلّ العقائد الإيمائيّة التي جاء بهــا دين الإسلام، وإعلان قبول الطاعة فه ورسوله والإسلام لأواسر الله ونواهيــه، وإبطانُ الكُفْـرِ يكُلُّ أو بعض المقائد الإيمائية التي جاء بها الإسلام، أو إيطانُ زَفْس الطاعة ورفَض الإسلام شه ورسوله، ولو لبنفس الاوامر أو النّواهي الصحيحة اثنابته، ولا بُدُّ أن نُقَلَم الْأَ رَفْسُ الطاعة جحدوداً أو تمرُّداً على حقّ الله على عباده هُـو من الكَفس، وهو غير الموقوع في المعاصي بدافع الشهوة أو هوى النفس مع الاعتراف والتسليم بعق اله الكامل على جَابِه في أن يطيعه ويَثْبُدو وحَدَّة لا شريك له، فيضُلُ هذا الموقوع في المعاصي لا يُدْجل في الكُفْرِ، ولذلك كَفر إيلس بمعميته لأنه كان جاحداً حق الله عليه، ولم يَكُفُرُ آدم وزوجه بالمعمية لأنهما لم يكونا جاحدين، ودلَ على موقف إيليس إصراره وقلمَنْه في حكمة الله، ودلُ على موقف آدم وزوجه قولهما:

هربَّنَا ظَلَمْنَا ٱنْفُسَنَا، وإنْ لم تُغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنُ مِنَ الخاسِرِينِ».

4)

نخوّف الصحابة من النفاق الأكبر والأصغر

ولمّا كان النفاق بمستويّد الأكبر والأصغر من أشنع وأقبَح. الخصال الّتي يُصفُ بها الإنسان، كان أصحاب رسول الله ﷺ بتخوفون على أنفسهم تخوّفاً كثيراً منه ومن خصاله، ويتورّمونَ بنُ أعمال، كثيرة ليست هي من خصال المنافقين، مخافة أن يقموا في شيء من النفاق وهم لا يَشْمُرون.

حتى بلغ الأمر بعُمَر بن الخطاب _رضي الله عنه _ أن تحقوق على نقب من أن يكون من المنافقين، مع ما هو عليه من الإيعان الراسخ الذي شهد له به الرسول \$. إذْ بشّرة بالجنّة مع من بشرّ من أصحابه، ودفعه تخوقه على نفسه أن سأل حليفة بن الهمان صاحب سرَّ رسول الله إلله في المتنافقين: هل ذكره الرسول ضِمَّن مَنْ ذَكَرَ مِنْ أسماء المنافقين، واستَعْلَقَة على ذلك فقال له: اللّهُمُّ لا.

روى ابن عساكر في تناريخ، عن حذيفة بن اليمان قبال: مَرَّ بي عمر بن العَظَابِ وَانَا جَالَسَ فِي العَسَجَد، فقال لي: ياحذيقة، إنَّ فَاكِنَّ مَات، فَاشْهَدُهُ، ثُمَّ مُضَّى، حتى إذا كناد أن يعرج من العسجد النفت إلىَّ فرآني وأننا جالس، فعرف، فرجع إليّ فقال: يَاحُذَيْفَةُ انشَدُكَ الله أمن القوم أنا؟ قلتُ: اللُّهمُ لا، ولنَّ ابرَىء أحداً بعدك، فرايت عَرْنَى عُمَرَ جَادَنا.

وبلغ الأمر كذلك بآخرين من أصحاب الرسول المؤمنين الصادقين، أنهم كانموا يتخوّفون على أنفسهم من النفاق، لشِدَّة تتحذير الرسول ﷺ منه، ولئِمدَّة صاجاء في الفرآن الكريم من توبيخ للمناففين ووعيدٍ لهم بـالعذاب الأليم، ولئِمدَّة وكثَّرة تحذير المؤمنين من مكايدهم.

أخسرج البخاريُّ في صحيحت عن ابْنِ أبى مُلِكَةَ قسال: الذَكُتُ الثلاثِينَ من أصحاب النبيئي ﷺ كُلُهُمْ يخافُ النَّفاقَ على نَفْسِه، ما منهم أَخَدُ يقول: إنَّه على إيمان جبريل وميكانيلَ.

قال: ويُذْكَرُ عَن الْحَسَن: مَا حَافَهُ إِلَّا مؤمنٌ، ولا أَمِنْهُ إِلَّا كَافِرٌ.

ويظهر لي أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتخوفُون على الْفُلبِهِمْ من التَّسْافَيْنِ الاَكْتِرُ والْأَصْغُرِ، لكِنَّهُمْ بِسبب صِلْقِ إِيمانهم كَانُوا يُوجَهون جُـلُّ تَخَرُفِهم من أن يَفْسُوا في النَّصَاق الاَصْغَر الَّذِي قَدْ تَقَتْعُ مِنْهُمْ يقضُّ الصفاتِ الَّتِي هي منه، ولذلك كانتوا يُعْرَسُونَ على النَّبُد عنْ كُلُّ ما يُحْجِدُ العمل، من رياهٍ وسُمْةٍ، وطلْبِ للنَّبَا بالدين.

أمّا تعوُّقُهُم من النماق الأكبر فالذي يعظهر أنهم كناوا يَخْشُـونَ أَنْ يَكُونَ تَسَاقَصُ مستَوى إيمانهم عن مُستَوى إيمان رسول الله الله أوستوى إيمان جبريل وميكائيل، هو من النماق الذي قد يخالط الإيمان ويُذاجِلُه، فيَنْقُصُ من قيمته، ويُشْبِفُ من فَوْته، ويَتَصَرُّونَ أو يخشون أن يكون الإيمان العطلوبُ مَنْهُمْ هو الإيمان المساوي لإيمان جبريل وميكائيل.

لفَدُ ثِنُوا اَنظارهم رضوان الله عليهم في قفّة الإبعان، فكان تَطَلَعهم الـدائم إلى مله الفقّة، وكانت هِنْمُهُمْ تَتَخَفُّرُ دائماً إليها، وكانوا يخشون انْ يكون كلّ تقصير عنهــا جزءاً من الفاق، ومن أجل ذلك كانوا خير القرون.

ورَّبَما كانـوا يَشْفَرُن أن يكـونَ خُهُمْ لِمِض الأمور الـدَّيويـة، كَخُبُهِم للْفَنَاتِم، أوخُبِهم لمجد الدنيـا، أوخَبُهم لبمض الشهوات العبـاحات، أتَّني قـد يحصلون عليها عن طريق الجهاد في سيبل الله، من الشوائب التي قد تؤثر على صدفق إيمـانهم في ابتذاء مرضاة الله عزّ وجلّ، ويعشون أن يكون ذلك من شوانب النفاق، فهي تتُخصر ف كسال إيمانهم، وربّسا كانـوا يتخوّفون من أن يُؤثّر حَبُّهُمْ لما نـالوه من الـدنيـا بسب إسلامهم على صحة إيمانهم، وصدّق إسلامهم، وربّما كانوا يمرون أن ما يعتـربهم مر الغفلات بسبب مشاغل الحياة، كانشغالهم بأهلهم، ونسائهم، وأولادهم، وأموالهم م من نقصان الإيمان، وهو من شوائب النفاق.

وكلَّ هذا ظاهرٌ من حرصهم الشديد على أن يَتَّلَقُوا كسال الإيمان وكمدَ الإسلام، ومن حرصهم الشديد أيضاً على أن يكون إسلامهم خالصاً لوجه أه عزَّ وبيلَ، بريئاً من شوائب طلبِ الدنيا به، ولا سيماحينما يُلاحظُون أنَّ أشَدُّ دوافع ناق العناقين رفيةً تُقويبهمْ في الحمول على مطالب الدنيا بالنظاهر بالإسلام، والانضم إلى جماعة المسلمين.

فاحتمالات تخوف أصحاب رسول الله على أنفسهم من النفاق تتلُخُسُ بالأمور الثلاثة التالية:

الأمر الأول:

تخوُّفهم على أنفسهم من النفاق الأصغر، عن طريق ارتكاب صفايه في السلوك، أو ارتكاب بعضها.

الأمر الثاني:

تخوَّقُهم من أن يكون نُقْصَانُ إيمانهم عن مستوى إيمان الرسول أو إيمان جبريل وميكائيل، هو من شوائب النفاق.

وريّما اعتبروا من نقصان الإيمان ما يعتريهم من الغفلات، بسبب انشغالهم بأهلهم ونسائهم وأولادهم، وأموالهم.

الأمير الثالث:

تعترُّقهم من أن تكونُ رغيُّهُمْ في الحصول على مطالب الحياة الدنيا، وما يُحرُّنُ منها، عن طريق أعمالهم الإسلامية، كالجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، هي من شواتب النفاق، فهي تؤثّرُ على صِدْقِ إسلامهم، وكمال إيمانهم.

ولهذه الأمور شواهد من سيرتهم رضى اللَّهُ عنهم، فمنها ما يلي:

(١) روى مسلم بسنده عن أبي عثمان النهـديّ ، عن حُنظَلَة الْأَسَيْـديّ ، (قال:
 وكان من كُتّاب الرسول (\$)، قال: لفيني أبو بكو فقال: كُيْفَ أَنْتَ يا خَنظَلَة؟

قال: قلت: نافَقَ حَنْظَلَة.

قال: سُبْحَانَ اللَّهِ! ومَا تَقُول؟!

قال: قُلْتُ: نكونُ عُنْدَ رسُولِ الله ﷺ، يُدَكُّرُننا بالنبار والجنّه، كمَانَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فإذا خرجًنا من عند رسول الله ﷺ، عافَشْنَا الأواوجَ وَالأولادَ والضّيّمَاتِ، فنسينا كثيراً.

قال أبو بكر: فوالله إنَّا لَنَلْقَىٰ مثْلُ هذا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابِو بَكُوٍ، حَنَّى دَخُلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ خَنْطَلَهُ يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا ذَاكِ؟! ﴾.

قُلُتُ: يا رسُولَ الله، نَكُونُ عُنْدَكَ نُذَكَّرُنَا بِالنَّارِ والحِبُّةِ، حَثَىٰ كَأَنَا زَأَيُّ عَيْنٍ، فإذا خَرَجْنَا من عندك عانسُنَا الازواجِ والأولاد والصَّيْفاتِ فنسينا كثيراً.

فقال رصول الله ﷺ:

وَوَالَّذِي نَفْسِ بِيْدِهِ، لَوْ تَلْوَمُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذَّكْسِ، لَصَافَحَتَّكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فَرْشِكُمْ، وَفِي طُرْيَّكُمْ، وَلَكِنْ با خَظَلَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً، ثلاث مرَات.

أي: قال الرسول: وساعة وساعة؛ ثلاث مرَّات.

عَافَسْنَا: أي: خالَطْنَا وعَاشَرنا ممارسةٌ ومزاولة وعملًا.

الهُمْيَمَات: أي: مَكاسِبَ الديش، كالتجارة والـزراعة والصناعة والجرّفة، واحدتها وضَيِّمَة،

فمن هذا الحديث يتَضح لنا أنَّ خَطْلَة وأبا بكر رضي الله عنهما فَمَدْ تَخُوُّفًا عَلَى أَتَّفْسِهِمَا من أَنَّ تَكُونُ الغفلة عن ذكر الله والدار الاعرق، انشغالاً بمشاع الحيلة المدنيا، من نقص الإيمان، وأن يكون ذلك بسبب شوائب من النقاق. (٢) وروى البخاري بسنده قال: وقال أناسٌ لأبن عُمر: إنَّا نَذْخُـلُ على سلطاننا
 فتقول لهم بخلاف ما نتكلُم به إذا خَرْجُنا من عِنْدِهم.

قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقَأُهِ.

قسال ابن حجم في «الفتسح» وفي رواية عسروة بن السنريسر عن العسارت بن أبسي أساسة، والبيهقي، فعال: واتبتُّ ابْنَ تُحَسَرُ لفلتُّ: إِنَّنَا نَجْلِسُ إِلْنَ أَتِثْمَنِنَا هؤلام، فَيْكُلُمُونَ في شيءِ تَشْلُمُ أَنْ الْحَقْ فَيْزُهُ، فَنُصْلَقُهُمْ.

فقال: كُنَّا نَعُدُّ هَنذا نِفَاقاً، فلا أَدْرِي كَيْفَ هُو عِنْدُكُمْهِ.

وظاهرٌ أنَّ هذا من النفاق الأصَّغر الذي قد يكون من الكبائر ولا يبلغ مُبْلُغُ الكُفُر.

(٣) وروى ابن عساكر في تناريخه عن عثمار بن ياسر قال: وشلائةً لا يُشتَخِفُ
 يهِمْ إلا مُنَافِقٌ بَنُّنٌ يَفَاقَهُ: الإمامُ الْمُمْسِط، ومُعَلَمُ الْخَيْرِ، ونُو الشَّيْنَةِ في الإسلام.

(4) وكان الحسّرُ البصريُّ يقول: والله الذي لا إلّم إلاَّ كُونَ ما مُضَى مؤسَّ قَطُّ ولاَ بقي إلاَ وهـو من النشاقي مُشْفَقَ، ولاَ مضى منابِقَ قَطُّ ولاَ بقِي إلاَّ وهُـوَ مِنَ النَّفَــاقِ. آمن.

وكان يقولُ أيضاً: مَنْ لَمْ يَخفِ النَّفَاقَ فَهُو مُّنَافِقُ.

وعنه أيضاً قال:

ومن النفاق اختلاف اللُّمَــانِ والقلب، واختلاف السُّرُّ والْفَـلَانِيَــــَّ، واخْتِـلَاڤ اللُّخُولِ والخروجِ».

وظاهر أنه في هذا يذكّر بعض صفات النفاق الأصغر، ويحذّر منها، أمّا اختـلاف الدخول والخروج فيريد منه مشل اعتلاف أحـوال الذين يكـوتُون إذا دخلوا إلى المتهم صدّقوهم على باطلهم، وإذا خرجوا من عند أئمتهم قالوا الحقّ فيما بينهم، وأبانـوا أنّ ما قاله أثمتهم باطل.

وكذلك ما رُوي عن ابن عُمر، وعمّار بن ياسرٍ.

(11)

المنافق في التشبيهات النبوية

 (١) شبّه الرسول ﷺ المنافق الذي يُقرأُ القرآن بالرّيحانة، ريحُها طبّبُ وطعمها مُّرُ، وشبّه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة، ليسّ لها ريخ طبّب، وطعمها مُّر.

فقد روى البخاريُّ ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهما، عن أبـي مُــوسَىٰ الأشعريُّ ـــرضي الله عنه ـــ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

وَمَثَلُ المؤمِنِ الذي يقرأ القرآن [وفي رواية صحيحة: ويَغْمَلُ به] مَثُـلُ الْأَثْرُجَّـةِ: ريحُهَا طَيْبُ، وَطَعْمُهَا طَيْبُ.

وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُفْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ النَّمْرَةِ: لَا رِيخَ لَهَا، وطَعْمُهَا طَيَّبُ.

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيْبُ، وطَعْمُها مُرًّ.

وَمَشَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقَرَّأُ الْقُرْآنَ كَنَشَلِ الْخَشْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَظَعْمُهَا مُرُّهُ(١).

(٢) وروَىٰ ابْنُ جرير عن قتادة مُرْسلًا، عن النبي 織:

وَمَثَلُ النَّمُومِنِ وَالنَّمَانِينِ وَالْكَابِرِ، كَمَثَلَ رَهُولِ ثَلَاثِهِ وَفَلُوا إلى نَهْمٍ، فَوَقَعَ السُّولُونُ لَقَطَعْمَ، ثُمُّ وَقَعَ السَّنَافِقُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَةَ أَنْ يَصِلُ إِلَى السُّولِينِ فَاذَهُ الكَابِرُ: هَلُمُ إِلَى، فَإِلَى أَخْسَنُ عَلَيْكَ، وَلَنَادُهُ السُّولِينُ أَنْ هَلُمُ إِلَى، هِإِنْ عَلَيْهِ أَنْ وَمِثْنِي، يَشْصِيلُ لَهُ مَا عِلْمَنْهُ، فَمَا وَاللَّهُ الْفِينَافِقُ يَزِيْدُهُ بِيَنْهُمَا حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ أَدَى فَفُرْقَهُ، وَإِنَّهُ الْمُسْافِقُ لَمْ يَزْلُ فِي شَكَّ وَشُمْغِةٍ حَتَّى النِي عَلَيْهِ النَّمْوَةُ وهو علىك،

في هذا الحديث وَصْفُ للمنافِق الشَّاكَ الْمُتَحَيِّر، لا للمنافِق الجازم بِمَذْهَبٍ مِنْ مذاهب الكُفْر.

 ⁽١) انظر شرح هذا الحديث في كتاب وروائع من أقدوال الرسول» للمؤلف، وهو الحميث الخامس
 من الأحابيث المشروحة فيه.

(٣) وروى ابن جرير عن قتادة مرسلًا، أنَّ النبي ﷺ قال:

مثلُّ النَّنَافِقِ كَشَفَلِ قَاضِةٍ وَلِي: شائع بَيْنَ غَنَشْنِ، وَأَنْ غَنَساً عَلَىٰ نَشَوِ (اي:
 مرتفع من الارض فناتَشْها وَشَنامَتْها (١٠ فَلَمْ تَشْرِفْ، ثُمْ زَأْتُ غَنَساً عَلَى نَشَوِ، فناتَشْها وَشَامَتُها فَلَمْ تَشْرِف،

وفي هـذا الحديث أيضاً وَصْفُ للمنافي الشَّاكُ المتَخَيِّر، لا للمنافق الجازم بمذهبٍ من مذاهب الكفر.

(٤) وروى مسلم وأحمد والنسائي عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال:

وَمُثَلُّ المَنافِقِ كَمَثُلُ الشَّاةِ الْمُعَالِرَةِ^{لا)} يَّنَ الْفَنَمَيْنِ تُبِيرُ إِلَى هَـَـٰذِهِ مَرَّةً وَإِلَىٰ هَــٰذِهِ مَرَّةً، لاَ تَشْرِي إِلَىٰ أَيِّهِمَا تَشُّعُ.هِ.

(11)

من صفات المنافقين الجسدية

(١) أخرج أبو نعيم في الطب، عن سَعِيد بن المسيّب:

﴿ وَأَوْ رَأَيْتُمُ الرُّجُلِ أَصْفَرَ الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلاَ عِلْقٍ، فَلَذِكَ مِنْ غِشَّ الإِسْلام و قَلْمِهِ .

(٢) وأخرج الديلميُّ في مُسْنَد الفردوس، عن ابن عباسٍ:

احْذَرُوا صُفْرَ الرجوه، فإنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِلَٰتٍ أَوْ سَهَرٍ فَإِنَّهُ مِنْ عِلَّ فِي قُلُوبِهِمْ لِلْمُسْلِعِينَ».

(٣) وأخرج أيضاً عن علميٍّ :

والمنافِقُ بِمُلِكُ عَيْنَهِ يَبْكِي كُمَا يَشَاءُه.

⁽١) شَامَتُهَا: أي: نَظَرَتُ مُخَالِلها تريد أن تتعرُّف عليها، برؤية ضعيفة كليلة غير واضحة.

⁽٢) العائرة من الشاة: المتحيرة المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تُشعُ.

(٤) وأخرج ابن عدي في الكامل، عن عقبة بن عامر:
 هإذا تم فُجُورُ النّبادِ مُلكَ عَيْنَهِ فَبَكَىٰ بِهِمَا مَثٰىٰ شَاءًه.



الفَصُّـلالرابع

عِجَالاتُ ٱلنِّفَاق ِوَصُورُهِنُهَا

(1)

مقتمة

للنفاق مجالاتُ متعدّدات بعدد مجالات الحياة الإنسانيّة وعلاقاتها الاجتماعية. ومنها المجالات التاليات:

المجال الأول:

النفاق في الدين، وهو كما سبق قسمان:

القسم الأول: النفاق الأكبر، وهو إبطانُ الكُفر، وإظهارُ الإسلام، وهو المقصود الاعظم من هذا السَّقْر.

وقــد مـبق تعريف هــذا الفسم، وتعييزه من غيــره، وسيأتي إنَّ شــاه اللَّهُ تفصيــل ظَوَاهِـره في السلوك، واستعراضُ أمثلته في الناريخ الإنساني.

القسم الثاني: النفاق الأصغر، وهو التظاهر بالاعمال الدينيّة الصالحة، ابتضاء مقاصدً دُنْتِريَّة يَفْصِدُها المراثي عند الناس الذين يُنخدعون بأعماله، فَيَسَفِلُ انخداعُهُمْ به لتحقيق سافع لديهم يُستَّعِرُها نتيجة مراءاته لهم.

وقد سبق تعريف هـذا القسم، وتعييزُهُ من غيره، وله عُشُوانٌ خاصٌ بــه هو لفظ والرّياء، وهستقاته، وسياتي إن شاء اللّهُ شرح الرّياء بمقولة خاصة في هذا الفصل.

المجال افتاني:

نفاق الجاسوسية، وهي المهنة المنظمة التي يعمل من يُعْمَسُلُ فيها لصالح فَرْدِ او مُنظَّنَةِ شعيبَةِ أو دوليّة، من خبلال علاقباتِه الإجماعيّة بالأفراد والجماعات، على اعتلاف طبقاتهم ومُسْنَوَيَاتهم، ومهنهم وأعمالهم، ذكوراً وإناثاً، وهو يُلْسِلُ كَذِباً وَزُوراً أقدة يُمُنِي تحتها أغراضُهُ الحقيقيّة.

المجنال الثالث:

النفاق في السياسة والمُحكِّم وَالإَوَارَة، وهو سلوك اجتماعي يُفتَّمد عَلَى الكذب، والنظاهر بالرَّقَةِ، والأدب الجمِّ، والتواضع، وحُشنِ المجاملة، والمسرَّقَة، والإحْسَان، والإكرام، والبُّراء، والرُّغِيَّة في فعل الخير، وخدمة المصلحة العامَّمة، وإعطاء الرعود والعهود والمواثيق، مَع العزم على عدم الوفاء بها ابتداء، مُخَادَضَةً وتغريراً، وتضايلاً للجماهير بوجهِ عام، أو تضليلاً لمن يُرادُ استدراجُهُ واصطياده وإسقاطُهُ في الحبائل من المحاورين السَّامين.

المجال الرابع :

النفاق في التماصل العالي، وهو يعتمد على الكذب والمخادعة، والسراوغة والغشّ، ويعتمد على التمويه والإيهام والاستدراج عن طريق الغفالات، أو الإغراء بالمطامع، إلى مزالق الخسارة، ليحقّق المتعامل المراوغ المخادع مكاسِبٌ ومَرَابع، ما كان باستطاعته أن يحققها، لـو سَلُك مُسُلك الصَّدْقي، والصراحة والتُصيحةِ والاستفادة.

المجنال الخامس:

النفساق بتقديم الخندمات والمصونات والمساعدات الإنسانية، التعليميّة، أو الصَحيَّة، أو الماليّة، أو النفسية، أو الخيريّة من مختلف وجوه البرّ، بغية تحقيق مصالح سياسية، أو اقتصاديّة، أو استعماريّة ضارَّة، أو بغيّة نشر مذاهب فكريّةٍ بـاطلة، والاستدراج للاتماء إليها واعتناقها.

المجال السادس:

النضاق الاجتماعي القنائم بين الأفراد على إظهار المودّات والصّداقات وتصدّع المجتملات، لا نتأليف القلوب على الحقّ والخير ابتضاء مرضاة الله ، ولكن لاستدراج الساملات، لا نتأليف القلوب على الحقّ والخير ابتضاء ولا مُملاّتِم ، السامل وإيفاعهم في شَركِ يَخْرَضُونَ أَلْوَقُوعَ فِيهُ ، كرّواج غير مكافى و لا مُملاّتِم ، أو شراكة في عَمَل تَقْدُولُهُم أَوْجُهُودُهُمْ ، أو قبول، يَخَانِجْ شيءٍ أَوْحُهُورِ جلسةً أو التصريح بكلام أو القيام بعَمَل عَنْ حُسْنِ نَيَّة ، فيكونُ من نتيجة ما تَوَوَّطُوا بِيه أن يُخْسَرُوا مالاً ، أو مركزاً ، أو وظيفةً ، أو مصلحةً ، أو يَتَخَرُصوا لمهلكة في الأفَضَى، وكانَّ

المنافقُ في هذا المجال يُتَنَفِي إيقاعَ فريسته فيما وقع فيـه لمصلَّحَةِ لَـهُ، أو لِفَرض ٍ في. نُفْسِه خَبيث.

إلى غير ذلك من مجالات مشابهات، ولا يَذَخَلُ تَحْتُ مُنُوان النشاق في أي مجالاً من المجالات ما يكون من مُضانفات ويمبياهات وعبالهات والمخالات والمخالات ما يكون من مُضانفات وعبالهات وعبالهات معالمات والمخالفات إلى الورد كان الفَوْرَهُ من الطّفاعات إلى الورد كان الفَوْرهُ من الكفر بالحق إلى الإيمان به، ومن فِقل الشرّ والعمل السيس ، إلى فعل الخير والعمل السيس ، إلى فعل الخير والعمل السيس ، إلى فعل الخير العمل المصالح ، ومن محصية الله إلى طاعت ، أو كان الغرض الشاجي بين المُؤتِين ، أو إله الح أن المؤلّس المنابقين ، أو إله الح أنه أن أن من فقل شعر من فِقل الخير الذي يحثُ بين من من فقل المنابقين المنابقين المؤلّس الذي يحثُ الإسلام عليه ويشي على من فقلًا مؤلّد أن من فقل شيئاً من ذلك ابتناء مرضة الله المنابؤ كيراً ، وإعطاء أجراً كيبراً .

وفي مقالات أتباتٍ من هذا الفصل قفصيلٌ ما لهـذه المجالات بـاستثناء النفـاق الاكبر فله الساحة العظميٰ من هذا الكتاب.



(Y)

النفاقُ الأصغر (وهو الرّياء)

الرّياه: تظاهر المسلم بالأعمال المطلوبة في الدّين من الأعمال المسالحة ابتخاء مقاصد دنيريَّة يُقْصِدُها المراثي عند الناس الذين يرجو أن ينخدعوا بأعماله، فيُظَنَّدوه منْ أهل كمال التقوى، أومن الأبرار أومن المحسنين، فإذا انتَّخَذَصُوا به، ووثقوا بما رأوا من صلاحه وتقواه، استقل ذلك في تحقيق مآربَ دُنْيُويَة لمديهم، وحين يخلو بنفسه أومع خاصّته من عادِني تحقيله أو شركاته في المعاصي أو أقرانه في مخادعة الناس، كان له سلوكُ آخرُ غَيِّر السلوك الذي يظهر به أمام العائمة.

 فطالبُ الذَّكْرِ والسُّمغةِ الحسنةِ والمدّح والنّناء من الأعمال الصالحة الدينة الذي يَعْمَلُها، غَيْرُ مُخْلِص فه عزّ وجلّ في عمله، بـل هــو إمّـا طالبُ دنيا فقل من غير اه، وإمَّا طالبُ ذَلِكَ مع طلَب نواب اللَّهِ يؤمَّ اللَّمِينِ إيماناً به، وهذا من الشُّرِكِ في عبادة الله، وهو يُشْجط العمل، لأنَّ الله لا يقَثَلُ اعمالُ العبادةِ له ما لم تكن خالصةً لوجُهِهِ الكريم من شائبة الشَّرْكِ في إلَّهِيَّتِه، ومنَّ شائِيَةِ الشَّرْكِ في إخمالاص العمل لله بابتذاء أغراض الذّنيا من الناس مع ابتذا قواب الله ورضوانه.

وطالب الذكر والشُّمعة الحسنة والمدح والثناء لدى النباس ممَّا يعمل من أعمال ديئةٍ صالحة، سيَجِدُ ذَلِكَ ضِمَّنَ شُنن الله الشَّبِيَّة، والله يُهَتَّىء ذَلِكَ له تحقيقاً لسنّت، ولكنّه لا يجعل لـ، في الأخرة نصيباً، وقد دلَّ على هـنا قول الله عزَّ وجلَّ في سـورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿ وَمَن يُوهُ قُوَابَ الدُّنْيَا نُقْتِهِ. مِنْهَا ۗ وَمَن يُرِهُ قُوَابَ ٱلْآخِرَوَنُقْتِهِ. مِنْهَا وَسَنَخِى الشَّكِينَ ۞ ﴾.

وقول الله عزَّ وجلَّ في سورة (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول):

﴿مَنَكَانَ بُرِيدُ الْحَبُواَ الدُّيَا رَزِينَهَا تُوْفِ إِنْهِمْ أَمْنَاهُمْ فِهَا وَهُوْمِهَا لَا يَتَخُونَ ﴿ أَزْلَتِكَ الَّذِينَ لَيْنَ لَمُمْ فِي الْآخِرُةِ إِلَّا النَّالُّ وَحَبِطَ مَاصَنَعُواْفِهَا وَيُطِلُّ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقول الله عزَّ وجلَّ في سورة (الشورى/ ٤٣ مصحف/ ٦٣ نزول):

﴿ مَن كَابَكُنِيدُ حَرَثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدَلَهُ فَ حَرْفَةً وَكَانَكُ كَابَ ثُولِيدُ حَرْثَ الدُّنَيَّا ثُوْلَةٍ. مِنْهَا وَمَالُمُ فِي ٱلْآخِرَةُ وَمِن فَصِيبٍ ۞﴾.

ودلُّ عليه أيضاً أحاديث نبويَّةٌ صحيحة، منها:

 (١) روى مسلم عن أبي هريرة قبال: قبال ومسول الله ﷺ: وقبال الله تيساركُ وتعالى: أَنَّا أَخْمَلُ الشَّرَكَاء عَنِ الشَّرَكِ، مَنْ عَبِلْ عَسَالًا أَشْرَكَ فِيهِ نَهِي غَيْرِي تَتَرَكَّتُهُ وَشِرْكُهُ.

(٢) وروى ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبـي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

وقال الله عزَّ وجلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرِكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمْلًا لَشَرَكَ فِيهِ غَيْرِي فانا مِنْهُ بْرِيءٌ، وهُوَ لِلَّذِي أَشْرِكَاءٍ.

 (٣) وروى الإمام أحمد بسنده عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال:

وإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكُ الْأَصْفَرُهِ.

قالوا: وَمَا الشركُ الأصغَرُ يا رسول الله؟

قال: «الرّياء، يقول الله عـزّ وجلّ لَهُمْ يَـوْمُ الْقِيَامَةِ إِذَا جُـزِيَ النَّـاسُ بِأَعْمَـالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الّذِينَ كُنْتُمْ تُراتُونَ فِي اللَّذِيا. فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدُهُمْ جَزَاءًهِ.

تُراعُون في المدنيا: أي: تراءُونهم.

(المستدج ٥ ص ٢٦٥)

 وَطَالِبُ التعظيم والتجيل والتفديس والاحترام من الأعمال الصالحة المدينية التي يَعْمَلُها سَيْجِدُ في الناس من يُعظَّمُونه ويُجلُّونه وَيُقلَّم من اجل ما شاهدوا ويُشاهدون من مظاهر أعماله الصالحة التي يعملها، ضِمَّن شُنِ الله السَّبِيَّة، والله يُهْيِّرهُ ذَلِكَ لَهُ تحقيقاً لمسته، ولكثُّه لا يجعل له في الآخرة ثواباً عليها.

وطالب متاع الحياة الدنيا من التظاهر بأعماله الدينيّة الصالحة التي يعملها.
 يؤتبه الدثوابة من متاع الحياة الدنيا، ولا يُجْعَلُ الله له في الاخرة ثواباً عليها.

* * * أمثلة

- (١) من النماس من يتظاهر بالدورع الشديد عن مواطني الشبههات، وَعَن يُعْدَلر،
 المحكروهات، قضالًا عن المحرّصات كبالبرها وصضائرها، وهو في يسرَّه من مرتكبي
 الكبائر الكبرئ التي لا يأتيها المُفَمَّـاق.
- (٢) ومن النماس من يتظاهر بالإكشار من نبوافيل الصلوات والأفكار والأوراد والتسبيح وتلاوة الفرآن أمام الناس، فإذا خلا بينه وبين رُبّو لَمْ يُفْمَلْ شيئاً من ذلك.
- (٣) ومن النــاس من يتظاهــر بطول اللّـعيــة وتعظيم السبحــة، ويتظاهــر بالبّــذَادَةِ والــُوتَاتَةِ في ثبابــه وهيئته، ويلبُس الْحَشِينِ من الثيـاب، ولُبس الْمُوقَّمات والبالبــات،

ولِّبُسِ الْمِعْمُو والطَّلِلَمَانِ، وتَشَرُّو العمل بحَبُك الشَّبُحةِ إنساراً باللَّه في حـالةِ ذِكْرِ هُه، وحضور دائم مع الله، أمـام من يُعجِيمُهم من الصالحين الرَّفْمُ والتَشْفُفُ وما يُستَّمَى بالصوفية الذي يتبقدُ مُذَّمُوها عن شهوات الحياة الدنيا ومظاهر زيتها، ليكونوا فيما يزعمُونَ أَهْلًا لاستقبال الإلْهَامات والواردات الرُّبَائِيمْ، وكشفِ الْحُجُبِ عن بعض. المغبَّباتِ، ولتَلَا يكونوا من الذينَ أَذْهُوا طيائِهمْ في الحياة الدنيا.

فإذا محلا في نفسه، أو مع خاصّته، كان من أكثر الناس نَهَمَا ولهواً ولَعِباً، وعَفْلُةً عن الله، واستضراقاً في انتهاب اللَّذَابِ منا حلَّ أو خَرْمٌ، وربَّما كان تـظاهـره وسيلة يُخفي بها ما يمارسُ في سِرَّه من كبائر إثْم وقُجُورِ ولُصُّوحِيَّةً.

(٤) ومن الناس من يتظاهر بإعضاء اللّحية، وتقصير النوب، وبمجافلة البلدع المظهريّة، لدى من يحرصون على الالتزام بالسنة، ويُرجّهون معظم انظارهم للمظاهر الجسديّة والشكليّة، وغرضًه من ذلك أن ينشوا به، فَيَسَهُلُوا أسوره الدنبويّة لديهم، ولدى من يَسْتَجِيبُونَ لهم، ثَقَةً بِسَلَفِيّة، وهو لا يُغَمَّلُ من صالحات السلف إلاّ ما ينظاهم به.

ويَدُلُ عَلَى أَنَّه مَعَادَمُ كَذَاكُ ما يمارئهُ دُواماً من غيبة وَنَهِينَةِ وَكَبْكِ وَاضَادِ بَيْنَ الناس، وإضرار بعباد الله، وتجريح للمخالفين في الرأي الاجتهادي من علماًه المسلمين الماضين والحاضرين، وقذف الناس بما يفتري من عند، أو يتخيَّلُه من ظنون، بغية إيعابهم عن مزاحمته في مائدة المنافع المائيّة التي يَزْوُدُ ما يُوضَعُ عليها بِتَهَم شنايه، ويُتَنِّعُ ما طابُ له من متاع الحياة الدنيا، مهما كنان شائهُ حلالاً أو حراماً أو بين ذلك معا فيه شبهات.

وربَّما يُتَخِدُ ما يَطْلمر به وسيلةً لإخفاء فجوره وآثامه ولصوصيّه وتَخَسُّب؛ لأعداء الإسلام والمسلمين، الـذين يعمـل جـاســوســاً لهم بين صفــوف المسلمين المؤمنينَ الهمادقين:

(٥) ومن الناس من يتظاهـر بالــورع العلــميّ في تحقيق مسائــل العلــم، والتشدُّد بالْبَرَّامِ ما ضَحُ سَنَدُهُ عن المعصوم، والأخذ بحديثِ رسول الله ﷺ على ظاهره.

فإذا أغَلَنَ رَاياً في الدّين، أو انتصر لمذهبه في بعض مسائله، ثُمَّ جاءَ من يخالِغُهُ في ذلك، وأقام عليه الحجّة البرهائيّة النقليّة والعقليّـة، تخلّى عن كلّ ورعـه السابق. وَأَصْرُ عَلَى وَلِهِ مَكَابِرَةً ومعاندةً للعقّ، انتصاراً لنفسه ورايه، أو انتصاراً لمسذهبه، وانكشف لأصل البصيرة أنّ ورغـّه العلميّ السابق لم يكُنّ إلاّ ستارةً يُستُرّ بهما انتصاره لمذهبه الذي يتعسّبُ له.

ولو أنّه كان ذا دين حقيقيّ، وكان يخشى الله حقّاً، لائتُمّ النّحقُ الَّحَقُ الَّى رَجَـدُهُ، ولو عنـد مخـالفيـه في أُسُس مـذهب التي يؤمن بهـا، لأنّ الـدينَ دينُ الله، والاتبـاغ فيـــ اتّباعُ لله، وليس اتباعاً للرأي أو الهوى، ولا أتباعاً لإمام بعينه من أثمة المـذاهب.

(٦) وقد يتظاهر التاجر أو الصانع أو العامل بأنّه من المتنين المحافظين على صلواتهم، المؤين لمركافظين على صلواتهم، الموانهم، المصائمين الحاجين لبيت الله الحسوام، التسالين لكتاب الله، الذاكرين الله كثيراً، الملازمين للعلماء والوعاظ ومحالس العلم والخير، ابتقاله أن يتن الناس به، فيكونها من زبالته في متجره أو مصنعه، أو من مستخدمه في أعسالهم، وابتفاء أن يتعاملوا معه واثنين به، مُفيضي عُيرنهم عَسا ياخَسدُ مُنهم ويُعقيهم، ثم يُستَخِلُ هذه الثقة فَنفَشُ في بيعه أو في عمله، ويغين غيراً فاحشاً، ويأكلُ أموال الواثقين به بالباطل.

(٧) وقد يتظاهر السياسي طالب الحكم والسلطان والعاؤ في الأرض بالتدئين والتنزام أحكام الشرع الحنيف، لينين به الناخبون المسلمون المتقون، فيتخبوه، ويجعلوه وفي أشروهم، وهو في حقيقة حالية فاسبن فاجرً لادين له، إنّما هُمنة أن يظفر بالسلطة ليُخفَق مارية الشخصية، ففي نفسه حبُّ السلطان والعلق في الأرض.

ثم إنّه عن طريق السلطان يستمتع بما يسطلُبُ من شهوات وأسوال ولذات، مع ما يُنقّقُه لنفسه من الاستمتاع بالأسر والنّهي والاستمالاء والاستكبار على عباد الله وإشباع شهوة نفسه إلى الحكم.

(٨) وقد يُعتَلَّى المقاتل ليقول الناس: إنَّه شُجاعً بطل. وقد يتعلَّم المتعلّم علرم اللّين لِسُنار إليه بالبنان أنه صالم عظيم، وليشي عليه القاصي والمداني، وينال عند الناس سمعة حسنة وصيتاً واسعاً. ويُذْكَرَ على السنة السدّاحين من الشعراء والخطياء. وقد يتعدَّق المتصلق بأمواليه في وُجُوه الخير والبر لتنفق تجارته أو صناعته، أو لينالَّ بين الناس مَدْحاً وثناء وذِكراً حسناً. إلى غير ذلك من أمثلة كثيرة بَصْعُبُ حصرها.

إخْبَاطُ عمل المراثي بالنسبة إلى الثواب الأخروي

ولمّا كان الرّياه في الأعمال الصالحة الدينة من الفاق في السلوك الدّيني، وهو النفاق الأصغر، وكنان في حقيقة أمره من الشُّرِك في القصد من العمل، أو من ابتضاء مرضاة الناس فيه لا من ابتضاء مرضاة الله، ولمّا كنان الله عَرْ وجلُ لا يقبل الشرك في إلهيّته، ولا يقبُلُ الشُّرُكُ في الْفَصْدِ من الْمَمَلِ الدّيني الذي يُوجَّهُ في الظاهر له عبادة أو طاحة أو تقرّبًا إليه بما يُجبُّ من صالح العمل، كان من عقل الله وحكُنته أنْ يَقْصَر إنه العامل الشَّرَائي على ما يُشَمَّهُ وَقَى مجاري سُنبه من مطلوب له من الحياة الدنيا، وأن يُحبِظ عَمَلُهُ عنده، فلا يَجْعَلُ لَهُ نصيباً من الثواب يوم الدين، إذْ يُصالُ له يومثه: لقد أخَلَّتُ أَخَلَهُ من مناع الحياة الدنيا، وإشراكك غير الله مع الله في قضيك المؤلّب الذي كنت تَطلَّهُ من مناع الحياة الدنيا، وإشراكك غير الله مع الله في قضيك من الْعَمَل الذيني مَنْ من العمل الصالح الذي يرضاه إلاّ ما كنان خالصاً لوجهه، فلا تلومً إلاّ نصك.

وقد دلَّت النصوص من القرآنِ والسُّنَّةِ على هذا الإحباط، وفيما يلي طائفة منها:

من نصوص التحذير من الرياء المحبط لعمل المسلم عند الله

(١) روى البخداري عن أبي موسى الاشعري قال: جـاه رجُـلُ إلى البّبي ﷺ
 فقال: الرُّجُلُ بُفَاتِلُ حَمِيثٌ، ويُقاتلُ شجاعَةً، ويُقَـاتِلُ بِيَـاءً، فَأَيُّ ذلكُ في سبيل الله؟
 قال:

وَمَنْ قَاتُلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُو فِي سَهِيلِ اللَّهِهِ.

(الفتح/ رقم الحديث (٧٤٥٨))

 (۲) ورؤى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسدل الله ﷺ يقول:

ويكثيفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُولِينٍ وفُومِنْةٍ، ويَثْفَى مَنْ كَان يَسْجُدُ في اللُّنّيَا رِيَاة وسُمْمَةً، فَيَذْهُمُ إِنْسُجُدُ فيمودُ ظَهْرُهُ طَبقاً واحداً.

(الفتح/ رقم الحديث (٤٩١٩))

أي: لا يستطيع السجود، لأنّه لم يكن من الساجدين في الدنيا حقيقة، بل كـانُ من المرائين الذين يُريدُون أن يُقالُ عنهم بين المؤمنين قومٌ متقون.

(٣) وروى البخاري عن جندب قال: قال رسول الله 織:

ومَنْ سَمَّع سَمُّعَ اللَّهُ بِهِ، ومَنْ يُرَاثِي يُزائِي اللَّهُ بِهِ،

(الفتح/ رقم الحديث (٦٤٩٩))

وعند مسلم:

وَمَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللَّهُ بو، ومَنْ يُرَاثِي يُرَاثِي اللَّهُ بِه.

أي: من يقولُ لِيُشْمَنَهُ المسلمون فينال عندهم صيباً حسناً، ومَنْ يَعْمَلُ عَملاً لِيْزَى الناسُ عَمَلَهُ فينال عندهم صيباً وذكراً حسناً، فإنَّ الله عزَّ رجل يُجَازِيه من جس عمله، فيعظيه ما يُريدُ من ذكر خسن في الثّنيا، ويُعْرِيْهُ من ثوابٍ عَمْلِهِ فِي الاُجْرَةِ.

(٤) وروى البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «الْخَيْلُ ثَلَاقَةً:
 لِرَجُّلِ أَجْرٌ، ولِرَجُّلِ مِثْرٌ، وعلى رَجُّلِ وِزْرٌ.

فامًّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلُ رَبَطُها فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَلَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ،
 فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلَهَا (١ فَلِكَ فِي الْمَرْجِ والرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ.

وَلُوْ أَنُّهَا فَطَعَتْ مِلِيَلُهَا فَاسْتَنْتُ شَرَفًا أَوْشَرَقَيْنَ (٦)، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوائُها حَسَنَاتٍ

 ⁽١) الطّبلُ والطّبلُ والطّولُ والطّول: الحبلُ الذي يُرْبَطُ طَرْفَهُ في الدابـة ويربط طَرَفُهُ الاخـر في وَتِد ونحوه و يُطولُ للدابة فترعى وهي مُقيّدةً به .

⁽٢) اسْتَثَتْ: أي: جَرَتْ. شَرَفاً أَوْ شَرَفِيْن: أي: شوطاً أو شَوْطَيْن.

ولو أَنْهَا مُرْتُ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتُ منه _ ولَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْقِيَ بِه _ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ له. فهى لذلك الرَّجُل أَجْرً.

وَرَجُلُ رَبِطُهِا نَعَنَّهُا وَتَعَلَّفُهُا, وَلَمْ يَشْنَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا ولا ظُهُورِها، فَهِي لَهُ
 سِنْرٌ.

وَرْجُلُ رَبَطُهَا فَخْراً وَرِيّاةً وَيَواءً فَهِي عَلَىٰ ذَلِكَ وِزْرُهِ.

(الفتح/ رقم الحديث (٤٩٦٢))

قواة: اي: معاداةً، يُقالُ لغةً: نـاوَأَتْ الرُّجُــلَ مُنَاوَأَةُ وَيُواة إذَا فَاخــرَتُهُ وَحَـادَيْتُهُ، والمراد معاداة أهل الإسلام، ولو من فميل المنافسة، كما جاه في بعض الروايات.

(٥) وروى الإسام أحمد بسنده عن بُرَيْدة الأسْلَمَي قبال: خرجْتُ ذَاتَ يَوْم.
 لِمَاجَةٍ، فإذَا أَنَا بالنبي ﷺ يَشْشِي شِنْ يَدِي، فاتَخذ بِيدِي، فاتَعَلَقْنَا نَشْشِي جَميعاً، فإذَا تَحْنُ بَيْنَ إِيدِي، فاتَعَلَقْنَا نَشْشِي جَميعاً، فإذَا تَحْدُن بَعَالَ النبي ﷺ:

وأَتُواهُ يُوَانِي؟،

فَقُلْتُ: اللَّهُ ورسُّولُه اعْلَمُ، فنركَ يُدِي من يَديه، ثم جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَمَل يُصَوِّبُهُما وَيَرْفَعُهَمَا، ويقول:

ا عَلَيْكُمْ هَدَياً قَاصِداً، عَلَيْكُمْ هَذَياً قاصِداً، عَلَيْكُمْ هَذَياً قَاصِداً، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادُ هَذَا الدِّينَ يَغْلِيُهُ.

أي: الْزَمُوا التوسُّط والاعتدالَ في العمل من أعمال الدِّين ولا تَغْلُوا.

(٦) وروى أبــو داود عن عبـد الله بن عمــرو بن العـاص، أنــه قـــال: قلتُ:
 ويا رسولَ الله أخْبِرْني عن الجهاد والغزوه فقال:

ويَا غَيْدَ اللهُ بْنَ عَمْرُو، إِنَّ قَاتَلُتَ صَابِراً مُحْتَبِياً، بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِراً مُحْتَبِياً، وَإِنَّ قَاتَلُتُ مُراثِياً مُكاثِراً، يَعَلَى اللَّهُ مُراثِياً مُكاثِراً. يـا عُبَّـذَ اللَّهِ بْنَ عَمْــــرو، خَلَىٰ ائيّ خـال قـــاتَلُتْ أَوْ قَبَلَتْ بَعَثَكَ اللَّهُ عَلَىٰ بَلْك الْخال».

(مختصر وشرح وتهذيب سنن أبي داود/ رقم الحديث (٢٤٠٨))

(٧) وروى أبسو داود عمن أبي مسوسى الاشمصري، أذَّ أعسرابيسًا جساء إلى
 رسول الله ﷺ فقال: اأنَّ الرُّجُلُ يَقَائِلُ للذَّكْرِ، ويُقَاتِلُ لِيُحْمَدُ، ويُفائِلُ لِيَعْنَم، ويُفَائِلُ لِيُكْنَم،
 يُشِرَى مُخَانَّ ٤٤ فقال رسول الله ﷺ:

وَمَنْ قَاتِلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى فَهُوْ فِي سَهِيلِ اللَّهِ عَزُّ وَجَلَّهِ.

(A) وروى ابن مُاجَـهُ عَنْ أَبِي سُعِيـد بن أبـي فَضَـالَـةُ الأنصـاري قـال: قـال رسول الله :

وإذَا جَمَعَ اللّهُ الأَرْلِينَ وَالاَجْرِينَ يَزْمُ الْفَيَاسَةِ لِيَوْمِ لاَرْلِيَبُ فِيهُ نَافَىٰ شَدَادٍ: مَنْ كَانَ الشَرَكَ فِي عَمَل_{َمَ} عَمِلَةً لِلّهِ، فَلَيْظُلُبُ ثَوْلِيةً مِنْ جِنْدِ غَيْرِ اللّهِ، فَإِنَّ اللّهَ أَغَمَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكَاءِ.

(٩) وروى ابن ماجة عن ابسي سعيد قال: خرج غلينا رُسُولُ الله 職، وَنَحْنُ
 تَشَارَكُو الْمُسِيخ الدُّجَالُ فقال:

وَأَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمُسِيحِ الدِّجَّال؟٥.

قُلْنَا: بلي، فقال:

والشَّرَكُ الْخَفِيُّ ، أَنْ يَقُومَ الرِّجُلُ بُصَلِّي فَيْزَيِّنُ صَلاَتُهُ لِمَا يَزَىٰ من نَظَرِ رَجُل ِه.

(١٠) وروى أبنُ ماجَهُ عن شدَّادِ بْنِ أَوْسِ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

وإنَّ أَخْرَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أَلْتِي الإِشْرَاكُ بِـاللَّهِ، أَمَا إِنِّي لَشَتُ أَقُولُ: يَعْبُدُونَ شمساً ولاَ قَمراً وَلا وَتَنَا، وَلَكِنْ أَصْلَا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَشَهْرَةَ خَفِيَّةً.

(١١) وروى الترمذِيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ:
 وتَمَوْنُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُرْنَة.

قالوا: ويا رَسُولَ الله، ومَا جُبُّ الْحُزْن؟، قال:

اوَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوُّدُ مِنَّهُ جَهَنَّمُ كُلِّ يَوْمٍ مَاثَةُ مَرَّةٍ،

قُلْنَا: يا رسول الله، ومَنْ يَدْخُلُه؟ قال:

والْقُرَّاءُ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

(قال الترمذي: هذا حديث حسن غربب)

(١٢) وروى الترمذيُّ عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ حَدَّثُهُ:

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارُكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِيَامَةِ، يُشْرِلُ إِلَىٰ العِبَادِ لِيَقْفِيَ بَيْنَهُمْ، وكُـلُّ أُمَّةٍ جَائِنَةً.

فَاوَّلُ مَنْ يَذَعُو به رَجُلُ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلُ فَتِيلٌ فِي سَبِيلِ الله، ورَجُلُ كَثِيرُ العال.

فَغَدُولُ اللّٰهِ لِلقَارِيّٰ، أَلَمُ أَعَلَمْكُ مَا أَشْرَكُ عَلَىٰ رَسُولِي ؟ قبال: بلي يَا رَبٍّ، قال: فَمَاذَا عَبِلَتْ فِيمَا عُلِمُنْكِ؟ قال: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءِ اللَّهِلِ وَآنَاءِ النَّهِلِ، فَيَعُولُ اللّهُ: كَفْبُدُ، وَنَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكُةُ: كَذَبْتُ، ويقولُ الله: بَلْ أَرْفَتُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ فَلَاسًا قَارِيءً، فَقَدْ قِبلَ ذَلك.

وَيُوْتَىٰ بِصَاحِبِ الْمَالِ. فَيْقُولُ اللَّهُ له: اللَّمْ أُوسِّعُ عَلَيْكَ، حَتَّىٰ لَمْ أَدْعَكُ نَحْسَاجُ إِلَى أَحَدِ؟ قال: بَلَنَ يَا رَبِّ، قال: فَنَاذًا عَبِلَتْ فِينَا آتَيْنُكُ؟ قال: كُنْتُ أَمِسِلُ الرَّجِمَ، وأَنْصَدُّقُ، فَيْقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتُ، وَتَقُولُ له الْمُلَاتِكُةُ: كَذَبْتُ. ويَقُولُ اللَّهُ تَصَالَىٰ: يَلُّ أَرْفَتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ خِوادً، فَقَدْ قِبْلُ ذاك.

وَيُوْنَى بِاللَّذِي قُتِلَ فِي سَهِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَنَّهُ: فِيمَاذَا قَتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أَمْرَتَ بِالْجِهَادِ فِي سَهِيكِ، فَقَاتَلْتُ خَنَّى قَتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَذَ: كَذَبْتَ، وتَقُولُ لَهُ المحلائِكَةُ: كَذْنِتُ. ويَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بِلْ أَرْدَتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانْ جَرِيء، فَقَدْ قِبلَ ذَاكِ،

ثُمُّ ضَرْبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَىٰ رُكْبَتِي، فقال:

وَيَا أَبَّا هُرْيُرَةَ أُولِيْكَ النَّلاَئَةُ أَوُّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَة.

المراءاةُ هي في الأصل من صفات الكافِرينَ والمتافقين

لمَّا كانت السراءاة هي في الأصل من صفات الكـافـرين والمنافقين، وجـدنــا النصوص الفرآنية جعلت مُراءاة الناس بأعمال الخير التي ترضيهم من صفات هؤلاء.

 (١) ففي سورة (العاعون/ ١٠٧ مصحف/ ١٧ نزول) وصف الله الذين يكذّبون بالدّين بأنهم براءُون ويمنعون الماعون، فقال تعالى فيها بشأنهم:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۞ ﴾.

(٢) وفي سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نـــزول) وصف الله الذي لا يؤمن بـــالله واليوم الآخر بأنّه يُشهِقُ مَالَةً إذا أنفقه رِثَاءَ التَّاس فقال تعالى فيها:

 (٣) وَفِي ســورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نـــزول) وصف الله المشركين الــفـين خرجوا من مكة إلى معركة بذر بأنهم خرجوا بطرأ ورثاه الناس، فقال تعالى فيها خطاباً للفين آنسُوا:

﴿ وَلَانَكُونُواْ كَالَٰذِينَ خَرَجُواْ مِن دِبَنوِهِم بَطَنًا وَرِئَاهُ النَّـَاسِ وَيَصُدُّونَكَ عَن سَيِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ مِمَايَسَمُلُونَ يُجِينًا ۞﴾.

(4) وفي سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٧ نزول) وضف الله الكافرين الدين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بأنهم إذا أنتقُوا أموالهُمْ فإنهم ينفقونها رئاء النّاس، فقال تعالى فيها:

﴿ وَاللَّذِنَ يُسْفِقُونَ أَمْرَالُهُمْ رِحَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّهَ وَلا بِالَّيْوِمِ الْآخِرُ و وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُمْ رِينَاهَــَاءَ قَرِينَا ﴿ ﴾.

(٥) وفي سورة (النساء) أيضاً وَصَفَ الله عزَّ وَجَلَّ المنافقين بأنَّهم يُرَاءُونَ النَّاسُ

في أعمالهم ذَاتِ المظهر الإسلاميّ، فقال تعالى فيها:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَنِفِقِينَ بُخَنِيعُونَ ٱللَّهَ وَهُو خَندِعُهُمْ وَإِذَاقَامُواْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ قَامُوا كُسَالَ يُرَّةُ وَذَالْنَاسَ وَلاَيْذُكُرُوبَ كَاشَالٍا فَيلا الْهِ﴾

وما هو من صفات الكافرين والمنافقين أساساً في السُّلوك القوليّ والعملي، قد يكون من صفات المؤمنين المسلمين على سبيل المعاصي غير المكفّوة، أو المقاصد المحيطة للممل عند الله عزّ وجلّ، بمعنى إيطال كونه عملاً صالحاً يُبيبُ اللَّهُ عليه يموم المدين.

(٣) نِفَاقُ الجاسُوسيَّة

الجاسوسيَّة التي تعمل لصالح منظماتِ شعبيّة الوحكوميّة في حدود دولة معيّة، او على مستوى عالميّ يشمل الدُّولَ والشعوب، ذاتُ أُسَارِب من النفاق شديد المكر، خفي الموسائل، ذي يَظَام وترتبياتِ غايّة في التدبير الشيطاني المحكم، قابم على جراساتِ نَفْسِيُّ واسعات، وتُحطَّظ مَلَرُوسة، وتجاربَ طويلة، وتَدويباتِ مُشْبِياتِ تُكُبِّبُ النَّجارُوسَ مَهَاراتِ فاتقان، يستطيعُ بها نَقُل معلومات للَّذِينَ ينافق من اجلهم، ويُحطِّ المَدْبُر الواجدِ منها القناطيرَ المقتطرة بنَ الدَّهِبِ وَنَفْسِ الجوامر الكريمة.

وقد تتحقّق بالجماسوسيّـة فائدةً لمستخدم الجماسوس العنمافق أكثرَ مَمَّـا تحقّقه حرَّبُ يُضَحَّى فيها بعشرات الألوفِ من الجيش المحارب.

وقد يُفتُرُ خِلْسُوسُ واحِدُ أَنَّهُ كاملةً، وَقَدْ يَكُونُ سَبَياً فِي إسفاط غَرْش مُلُكِ فَوِيُ الارْكان، سَينِ النبيان، وفي إسقاط دولة تَظْمَى واسراطوريَّةِ فَاتِ قُوىُ تُرْجِبُ الْمَالْمِ. وتُنْقِنُّ الدُّولِ العظمى على الجاسوسية إنفاقات تَصِلُ إلى جُنْل مِزانِيّة جَنْسُ يعُعدُاتِه، وتُسمَّى منافقها من الجواسيس، والعالمين في خدامتها في الخفاء، اسعاء مختلفة، مثل: المخابرات، الجيش السَّري، البوليس السَّري، إلى غير ذلك من أسماء تمويهيَّة، وهي جميعاً تمني الذين يعملون في الخفاء، ويليَّسُونَ مختلف الاقتمة العرَّورة النفاقيَّ من رجالر ونساء، مهمتهم دواماً أن يكذبوا ويُظهِرُوا خلاف ما يَبطِئون، ويخادعوا من يتعاملون معه، لاصطياده وإيقاعه في شركهم، واستجراره إلى حبائلهم، أو لسرقة معلومات منه تفيد الجهة التي يعملون لها، وتضرَّ الجهة التي يحاربونها حرباً سريَّة باردة أو ساختة.

والمنافقون من الجواسيس قَدْ يُصِلُون من البراعة وإنقبان عمليّة النصاق إلَى أنْ يُنَافِقُوا عَدْة جهاتٍ متصارضة متصادية، وينظهروا لكُنلُّ جِهَةٍ بـأنّهم منهم، ويعملون في خدمةٍ مصالحهم ضَدّ الجهات الأخرى التي يعملون أيضاً في خدمتها.

فعض الجواسيس قد يكبونُ مزدوج الجاسوسية ، وبعشهم قد يكبون مثلثُ الجاسوسية ، وبعشهم قد يكبون مثلثُ الجاسوسية ، وتلف كان أكثر ذكاة وذهاة وتُقَلَّزَةً عَلَى إخفاء مُؤتِّكِه ، وحيثاً في طويّة تشبه ، كان ألْفر عَلَى أَنْ يُبرزُع تفاقه على جهات أكثر، مع تعادي هذه الجهات تعادياً قد يُصِلُ إلى مستوى الحرب الباردة أو الساحنة ينها .

إنَّ الجيوش تُخاربُ بعضها بشماً من مواقع حذر كلَّ منها من عدَّره، أثمّا الجواسيس المنافقون فيحاربون من مواقع الأمن، وهي المواقع التي لا رقابة فيها، وليس فيها تحقيبنات تدفع مكايد المدَّن المخالط المُذاخِل.

إنَّ الجاسوس المنافق هو كاللَّصُّ المجهول الْمُسَاكِنِ في الدَّار الَّـذي تَصْعُبُ مراقبته.

من أجل ذلك كانت عقوبة المنافق أشدّ من عقوبة الكافر المعادي المستعلن بعدواته.

ومن أجل ذلك كانت منزلة المنافق في الدرك الأسفل من النار.

(1)

النفاق في السياسة والإدارة والحكم

تواضع معظم السياسيين في العالم، على أنّ السّاسي البداع يتبغي أنّ يكون كذّاباً مخادعاً مراوغاً منافقاً مراتياً غذّاراً وخالتاً، يتقض العهد ولا يفي بـالوحـد، يُظهرٌ دُواماً خلاف ما يُبطن، وأنْ يكون مُجْرِماً قَالًا لا رحمة في قلْبٍ ضدُّ خصومه ومنافسيه، مع التظاهر بأنّه من اكثر الناس رحمة وشفقة ورقّة قلْبٍ، ومن اكثر الناس رغيّة في تحقيق العدل ورفع الظلم وخدعة الضعفاء والمساكين، وأكثر الناس سِدِّقاً وصراحة تطبيق التعاليم الدينيّة، دون أن يهيّم بتطبيق شيءٍ ممّا يتظاهر به، ما لم يكن له مصلحة في ذلك، تخذّمُ سلطانه واحتفاظه به. وأنْ يكون في واقع حاله لا همّ لـه إلاّ تثبيت الركان سلطانه بجب ان لا يكون للاخلاق الفاضلة اعتبار لديه مطلقاً، وإلاّ انهارت فراعد حكمه وفقد سلطانه.

وجاء الإبطالي ويقولا مكيائيلي 1819 ــ ٢٥٥٧م فجعل النحاق السياسيّ أمراً ضرورياً لمن يحولي المحكم والسلطان والإمارة، وزعم أنّ الإسارات لا تُتالُ ولا يُتخفّطُ بها ما لم تكن قائمة على قاعلة: والغاية تبرّر الوسيلة، أي: غماية الوصول إلى سلطة المحكم والاحتفاظ بها تُبرّر أيّة وسيلة مهما كانت غير أخلافيّة، ومهما كانت منافية لتعاليم المدين.

وذكر وميكياليلي، النتاريخ الإمارات في الأرض شاهدً على ذلك، فأكثر طالاّب الإمارة قدرةً على الوصول إليها والاحتفاظ بهها، أقدرهم على استخدام الرّباء والنفاق وإنقان وسائلهما، وزعم أنّ الحاكم يُشرِّض نفسه للهملاك إذا كان سلوك متقيدًا والشأ بالأخلاق الفاضلة، لذلك بجب أن يكون ماكراً مكر الذئب، ضارياً ضراوة الأسد.

وذكر أنَّ الأمير ينبغي أن يحافظ على العهد حين يعود ذلك عليه بالفـائدة فقط، أمَّا إذَّا كانت المحافظة على العهد لا تعود عليه بالفـائدة فيجب عليه حينئذ أن يكون غذّاءاً.

وقال: وبيد أنّه من الضروري أن يكون الأمير قــادراً على إخفاء هـــــــــــ الشخصيّة. وأنْ يكون دعيًّا كبيراً، ومُراثيــًا عظيمــــًا، والناسُ يُصِلُونَ في السّـــَــَاجة، وفي الاستعـــــــــــــــ للخضوع للضراوات الحاضرة، إلى الحدّ الذي يجمل ذلك الـذي يخدع يجدُّ دائماً أولئك الذين يتركون أنفسهم ينخدعون.

وسَاأَتُوهُ فَعْطَ بِمَثْلِ حَدِيثٍ واحد، فالإسْكَنْدُرُ السادس لَمْ يَغْفَلُ شَيَّا إِلَّ ان يَخْدَعُ الناس، ولم يخطر بهاله أن يفسل شيئاً آخر، ووجذ الفرصة لمذلك، ولم يكن من هـو أقدر منه على إعطاء الناكيدات، وترتيق الأشياء بالفُلْظِ الابسان، ولم يكن أخَدُ يَرْضَى ذَلِكُ أَفَلُ مَنْه، ومع ذلك فقد نجع في خُدْصاته، إذْ كان يعرفُ هـله الامور معرفةً طيّبة.

واستنج مكيافيكي، من هذا أنّه لا يلزم الأمير أن يكون متحليًّا بفضائـل الأخلاق المتعارف عليها، ولكن يجب عليه أن يتظاهر بأنّه يتُّصف بها، وينبغي لـه أن يَبْذُو فَمْوْقَ كُلّ شيءِ متديّنًا(١).

وسازَ السياسيّـون وطـلاب الحكم والسلطان وفق مذهب «مكياثيّري» مـراثين منافقين باستثناء المنقين الذين يخشـون الله من الذين أمنـوا بالله واليـوم الأخر، وهؤلاء قليلون في التاريخ الإنسانيّ.

(0)

النّفاق في التعامل المالي

الأصل في التعامل المماليّ أن يكون قائماً على الصّدّق والأمانة والصراحة والعدل والإنصاف والنصيحة، بصيداً عن الغشّ والخيانـة والكذب والغين الفـــاحش، حتّى لا يكون وسيلةً لأكلرٍ أموال الناس بالباطل.

هذا ما أمر الله به في كلّ ما أنزل على رُسُلِهِ، وهذا الأمْسُلُ من قواعد التعاسل العالميّ موضَّحٌ ومشروحٌ في التعاليم الإسلاميّةِ أَوْفَىٰ شَرّحٍ ، وأحكامُهُ مفصَّلَةً فيه الْوَفَىٰ تفصيل.

 ⁽١) اقرأ مذهب ومكيائيلي، وكثف زيف مذهبه في كتاب وكواشف زيوف في السذاهب الفكرية المعاصرة للمؤلف.

وهو ما تدعو إليه فضائل الاخلاق، ومبادى، الحقوق الإنسانية، وإلاً كان التعاصل الممالي وسيلة من وسائل ظلم الناس للنساس، وتلاعب الشياطين أرباب الجيّل على ألهل الغضلات، والبرداء الذين يتخدعون بنظواهر أحسوال المراثين المنسافقين، ولا يُخْتَبِّهُون ما يُحْفُون وراء هذه النظواهر من أخلاق السُّطُو على حقوق الاخرين بالمكر والكيد والحيلة.

ويُلاحظُ أنَّ كثيراً من الناس لا يخشون الله وعدابه ونقبته الصاجلة والاجلة، فيحتالون في أبواب التعامل العالمي، حتَّى ياكُلُوا أموان النّـاس بالبـاطـل، مستغلّين للوصول إلى الثراء الفاجش جُمهود غيرهم من أهل الكذّ والعمل.

وأكثر الذين يجمعون الاموال الطائلة إنما يجمعونها عن طريق اكل أسوال الناس بالباطل، ويحتالون لتخصيلها بجبل كثيرة يُمبَّكِنْ إذَّحَبالُ معظمها تحت عنوان النضاق والرياء، وذلك لأنَّ عمدتهم فيها الكذب والغش وخيانة الأسانة والمخادعة، وإظهارُ ما يَمُّرُ وَيَسُرُّ، وإنحفاء ما يَمُرُّ ويَصُدُّ، وادَّعاء الربح المعتدل أو عدم المربح أو الخسارة، كذباً وزوراً. مع خَلِفِ الأيمانِ المغلَّظة، وتقديم الوثائق المزوَّرة، وكلُ هذه الخصال

ومن الناس من يتظاهر بالأمانة والتضرئ وخشية الله الينآمنة النباس على أموالهم في الودائم، أو في المشاركات، فإذا سُفَطُوا في حبائله جَحَد حقوقهم، أوخان الأمانة وهم لا يشعرون، فأكّل أموالهم أو بعضها ظُلماً وعَلْمواناً، واتُبَخَذُ لَذَلك ذرائع مختلفة، يُومَّم بها أنّه لم يكن خاتناً ولا جانباً، وأنه شديد الـورع بالنسبة إلى حقوق الأخرين، فهو لا يأخذ مال غيره بغير حقّ، ولا يُذْجِلُ عَلَى نقسه مالاً حراماً، ولا مالاً فيه شبهة.

وكثيرً من النُجّار والصنّاع والعمّال والمعرففين يُظْهِـرُونَ خلاف ما هم عليه. ويُبْـشُونَ أثوابَ زور، ليسُنّرُوا بها أعمالًا كثيرةً يأتُكُون فيها أموال الناس أو أموال الدولـة بالباطل.

ومن حيلهم الفشّ، والتلاعب بالأسمار، وافتراء الوثائق المزوّرة، وحلف الإيمان الكافية، وتبديل المتثقق عليه بغيره مشا هو أقمل من المنتُّق عليه قيمة، وسوقة وقت العمل المأجور للغيام بأعمال محاصة تجرّ لِسَارق الوقت مكسبًا مساليًّا أو منفصةً عاصمة، وربَّما يَتَذَرُّعُ سارقٌ وقتِ الْعَمَلِ بَانَّه يُعِدُّ نَفْسَهُ للصلاة، أو نحو ذلك من العبادات.

ومن يتمايع قضايا الخلافات العالية الّني تُشرّضُ على قُضاةِ محاكم العدل، يكتشف آلافاً من جيّل النفاق، الّتي استُنخَذَفها آكِلُو أموال النـاس بالبـاطل، ليسوشلُوا بها إلى سلّبِ الناس أموالهم.

(3)

النفاق بتقديم الخدمات والمساعدات الإنسانية

يلب المبشّرون بالنصرانية، والمستشرقون، والمستعمرون، والشيوعيون، وسائر أعداء الإسلام والمسلمين أفنعة المساعدات والخدمات الإنسانيّة رياة ونفىاقاً لتحقيق أغراضهم الخاصّة داخل شعوب الأمّة الإسلامية.

فمتهم مدفوعون ندافع العداء الإسلام والمسلمين، وغرضهم هدم الإسلام،
 وإبعاد المسلمين عنه، وجعلهم يكفرون به، ليكونوا تسابعين لهم في عقبائسدهم
 ويذاهيهم، ومتفذين لمآربهم الخاصة في أنقسهم.

 ومنهم مدفوعون ندافع الطمع باستغلال الشعوب المسلمة، ونَقِب ثرواتها، يُستَظْهِرُون لهم المسودة، والرغبة في أن يساعدوهم مُسَاعدات إنسانية علمية أو طبية أو مالية أو عسكرية أو صناعية أو زراعية أو نحو ذلك.

ثم تكون مساعداتهم ذات المظهر الإنساني للشعوب المسلعة بشاية من بقدّم الطُّفَّمُ الطَّيْبُ للسَّمك في البحر على شوكة حادّة ليصطاد به السَّمك، فيتاجر به أو ياكلُه.

كم أسس المبشرون من مدارس ومعاهد، وكم أسس المستشرقون من جامعات، تحت ستار المساعدات التعليمية الإنسانية، وكان هدفهم تنصير المسلمين، وتطويح الأجيال الناشئة من أبنائهم ليُقْلُوا أن تستعمرهم الدول النصرانيّة التي تنتمي إليها هذه المدارس التبشيرية، والجامعات التبشيريّة والاستشراقية ا

وكذلك فعل مؤسسو المدارس العلمانية الموجهة من قبل الدوائر الاستعمارية.

وكم من إرساليات طبية تبشيرية وفدت إلى بلاد المسلمين، فأسنت مستوصفات ومستشفيسات لبطيبابة المسرضي من المسلمين، وكنان هسدفهم تنصير المسلمين، أو إخبراجهم من الإبنان بنافة إلى الكفر به، وانتزاع مكارم الاختلاق منهم، وتـدمير مجتمعاتهم، وتطويع نفوسهم لفيول استعمار الدول النصرائية لهم.

وكم قـدّمت الدول النصرانية أو العلمانية مساعدات مالية على سبيل قــروض بغوائد، وقد تكون مفلفة بعطاءات على سبيل مساعدات إنسانية، والغرض منهــا إحكام ســـطرتها على البــلاد والدول التي قـدّمتُ لها هــذه القروض والمســـاعدات، بــاستعمار مباشر أوغير مباشر.

ومن ذلك أيضاً تقديم المساعدات العسكريّة، وإثّبائهما بإشارة حروب إقلبميّة، أو فتن داخليّة تتحوّل إلى حروب أهلية، تُدنَّمر البسلاد، وتهلك الناس، وتستهلك الشروات، وتُمرَّقُ الأُمَّة إلى فِرَقِ وأحزاب متعادية يُحقِّدُ يَنفُسها على بعض، فتَبْتِمبُّ بذلك عن مواكبة الارتقاء العلمي والحضاري في مجالات الفوى الساديّة والصناعيّة والاقتصادية المختلة،

ومن ذلك تقديم المساعدات الإدارية، بإرسال مستشارين إداريين، وتقديم المساعدات الفانونية، المساعدات الفانونية، المساعدات الفانونية، يراسال مستشارين ما يكن ذلك تحويل بملاد المساعين عن شرائع الإسال مستشارين فانونيين، والمغرض من كلّ ذلك تحويل بملاد المسلمين عن شرائع الإسلام وأحكامه في هذه المجالات، وتطبيق الانظمة العلمانية المنافية في أسسها وتطبيقاتها لما جاء في دين الله للناس.

ونظير ذلك المساعدات الصناعية والزراعية التي تأتي باسم مساعدات إنسانيية، إلاّ أنها جميعاً أقنعة تخفي تحتها أغراضاً ومصالح شخصيّةٌ للمنتشرين، أو المكفّرين، أو المستعمرين.

(V)

النفاق الاجتهاعي بين الأفراد

ليس من النفاق الاجتماعيّ المداراة، والمجاملة، والإكرام وحُسْنُ المقابلة،

وبشاشةُ الوجه، وأنـواعُ العطاء المختلفة، والعفو والصفح والمـــامحـةُ والتقاضي عن السيِّسات، في التعامل مم المخالفين أو الخصوم أو الأعداء الكافسرين، بغية تأليف قلوبهم لاعتقاد مبادىء دين الله الحقّ، ثم العمل شرائعه وأحكامه، وإزاحة ما في نفوسهم من عقبات صادّة، تحجبهم عن إدراك الحقّ، والاستجابة لدعوته. أو بغية استجلاب مرتكبي المعاصي إلى طاعة الله عزّ وجلُّ والعمل بمراضيه، وإنقاذِهم من عذاب الله ونقمته، أو بغيَّ تأليف قلوب الاعداء أو الحاقدين أو الحاسدين، لنزع مـا في صدورهم من غلُّ وحقدٍ وحَسَدٍ وعـداوة، وبذَّرِ بـزور المؤدة والمحبَّـة والأخوَّة الصادقة الصافية فيها، حتى تَشُدُّهم روابط الإخاء، فيستعذبوا الولاء والصفاء، بعد أن استحكم فيهم داء العداء.

بل هذه الأعمال الحكيمة الرشيدة هي من الفضائل العظمي، ومن مكارم الشَّيم ومحاسن الأخلاق، وكَمَالَاتِ التعاملِ الاجتماعيِّ الأمثل، لأنَّ الغرض منها مصلحةً من يؤلِّفُ قَلْبُه، وابتغاءُ مرضاة اللَّه فيه، وليس للشيطان فيها حظٌّ ما، من جهة كونها وسائل هداية وإصلاح وجُلْبِ خيرٍ لِمَنْ تُوجُّهُ له، ويُغامَلُ بها.

إنَّما النفاق الاجتماعي ما كـان من ذلكَ وسيلةُ لإخراج المؤمنِ من الإيمان إلى الكفر، ومن الإسلام والطاعة إلى المعصية والفجور، ومن منــاصرة الـحقُّ والخيــر، إلى مناصرة الباطل والشرّ. ومَا كان من ذلك أيضاً وسيلة لاستدراج الإنسان حتّى يغترّ ويستسلم فيقع في مصيدة المنافق، وعندئذ يستغله لمصلحته، ويحقِّق منافعه أو هـواه منه أو عن طريقه، أو يسلُّبُه ما يَمْلِكُ من مال ٍ أو جاهٍ أو سلطان أو زوجة أو مسكن، أو يوقعه في مهلكةٍ ما حسداً وبغياً وظلماً.

أمشلة

* فمن أمثلة النفاق الاجتماعيّ التظاهر بالأمانـة النامّـة من مستوى الــورع الذي لا يتورَّعُهُ إلاَّ الصَّلْيقون، ليغترُ صاحبُ المال فيُسَلَّمَ مالَهُ في قرض حسن، أو مشاركة في عمل ما، أو نحو ذلك، حتُّى إذا تمكُّن المنافق من الظفر بما يُربِّدُ ممَّنْ نَافَقَهُ، قُلْبَ ظُهْرَ الْمِجْنِّ، وتغيِّر عَمَّا كان عليه من ورع وأمانـة، فجحَدَ المسالُ، وابْتَلْمَ ما كـانت قد وَصَلَتْ يَدُهُ إليه، وظهر على حقيقته باغياً ظَالِماً مُجْرِماً، ولِشًا خائِناً.

ومن أسئلة النفاق الاجتماعي نظاهر أُجَدِ الْخَاطِيْسُ أو كليهما بالحبّ والمطاه والنقائي في الخدمة وحُسْنِ المعائسرة، والترام الأدب والحشمة ومكارم الأخلاق، والجدو والتسامع والصفح والمعونة، للنفرير والظّفر بإنسام عقد الزواج، حثى إذا تمكن المخادع منهما من تحقيق ما أواد من صحاحبه ظهر على حقيقته، والكشف أن كُلُّ الممائلة على المكن قطة على والمكنف أن كُلُّ على المخادعة المنافق له رخادعه.

ولمّا ظفر بما أراد سقط القناع، وظهرت من وراثه نفس الـذئب العاكــر الخدّاع، فتنكر لكلّ ما كان يتظاهر به، وساء خلقه، وساءت معاملته، واستشرى طمعه وجشعه.



الفَصّل كخاصِش

مُلَحْصُ صِفَاتِ الْمَنَافِيْنَ اَلَّفُسِيَةِ وَآثَارُهَا فِي سُلُوكِهِ مِّ الظَّلْهِ وَالْبَاطِنَ اقْبَاسًا مِنَ الشَّمُوصِ الشِّرْاَئِيَّةِ الْاِيَّةِ ثَدَرُّهِ صَلَّى الْقِسْدِ الشَّالِي

(۱) مقدمة

التصوص القرآنية الآتي تدايرها إن شاء الله في القسم الثاني من هذا الكتاب، والبالغة (٣٤) نصاً من (١٦) سورة قد اشتملت على جَمَّ غفير من صفات المنافقين النفسية، وآثارها في صفاتهم السلوكية الباطنة والظاهرة، وقد بلغ إحصاؤها بعد استخراجها من دلالات التصوص (١١٤) صفة نفسية وصفة سلوكية، في السلوك الباطن والظاهر، وما جاء مكرراً منها قد ذكرته النصوص اللاحقة للدلالة أن معالجتهم بوسائل التربية المختلفة الإنشاعة والترغيبة والترهيبة والفاضحة والمنذوة بتعربتهم ومحاسبتهم ومعاقبتهم بيد الرسول وأيدي المؤمنين، من دون العذاب الأكبر الذي ومحاسبتهم ومعاقبتهم بيد الرسول وأيدي بالنسبة إلى بعضهم، الذين ما ذالوا على متعاقبهم الذين ما ذالوا على النفاق.

ويحسُّر بننا أن نستعرض هـ لما الصفات في فصـل خاصَ قبـل دراسة النصـوص العشـار إليهـا دراسـةً تـدبُّـريَــة، وضمَّ هـذا الفصـل إلى فصــول القسـم الأوّل من هـذا الكتاب، المشتمل على مقدّمة وتعريفات عامّة.

فبيان صفات المنافقين من القضايا الني تدخل تحت عنوان التعريفات العامّة. وقد سبق بيان صفات المنافقين الواردة في بيانات الرسول ﷺ، لدى شرح النفاق الأصغر، وهي كما يلي جمعاً من عدّة أحاديث وردت في صفاتهم:

ا ـــ الكذب في القول والعمل.

٣ ــ إخلاف الوعد.

٣ ــ الغدر بنقض العهد.
 ٤ ــ خيانة الأمانة.

الفجور في المخاصمة.

٠ -- تحيّتهم لعنة . ٦ -- تحيّتهم لعنة .

٧ - طعامهم نُهْمَة (أي: يتناولون الطعام بشهوة مفرطة).

٨ _ غنيمتهم غلول.

٩ ــ لا يدخلون المساجد إلا قليلاً.

١٠ - لا يأترن الصلاة إلا دُيُراً.

١١ _ الاستكسان

١٢ ــ لا يألفون ولا يُؤلِّفُون.

١٣ _ خُشُبُ باللَّيل، أي : كالخشُّب لا يذكرون الله .

١٤ _ سُخُبُ بالنَّهار، أي: يُكثرون الصياح والضجيج من أجل دنياهم.

١٥ ــ يتهرُّبون من شهود صلاتي العشاء والفجر.

١٦ ــ عُصاةً لله ورسوله.

١٧ _ جبناء عند لقاء الأعداء في الحرب.

(Y)

ملخص صفات المنافقين المقتبسة من النصوص القرآنية أخذاً من النص (١) من سورة (العنكبوت/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نرول) الأبتان (١٠ ــ ١١)

الصفة (١):

من صفسات بعض الذين أسلمسوا دون أن يتمكّن الإيمان في قلوبهم أنّهم إذا تعرضوا الأذّى على أيدي الكافرين من أجل إسلامهم أعطوهم من بواطنهم ما يعريدون. وساروا معهم في الكفر، وربّما استَبَقُوا ظـاهر انتمىائهم إلى الإسلام نفـاقاً لشلاً يُدانـوا بالرّدة عن الإسلام .

> أخذاً من النص (٢) من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) الآيات من (٨ ـــ ٢٠)

> > الصلة (٢):

من صفات المنافقين أتمم كذّابون يقولون بالسنتهم ما ليس في قلويهم، فيقولون امّــًا بالله واليــوم الاخر ومــا هم بمؤمنين، إذّ قلويهم مكوّة جماحدة، فهم يكــلــبون عن تمثّيه وإصرارٍ في أخطر فضيّةٍ من قضايا الوجود والحياة، هي قضيّة الدين.

الصفة (٣):

أنهم مخادعون، فهم فيما يتظاهرون به من قبول او عمل يقصدون مخادعة المؤمنين، ليامنوا جانهم وليامنوا جانب أعدائهم الكافرين، وليظفروا بالمغانم والعنافع من كلا الفريقين بحسب تصوّرهم.

الصفة (٤):

أنَّهم مصابون بمرض خَلَقيٍّ في قلربهم، وهو ليس من أصل قطرتهم، لكنَّه من مكتسبات إراداتهم فهو مرض مكتسب، وبسببه سلكوا مسلك النفاق.

الصفة (٥):

أنهم يُعْسِدون في الأرض باتحوالهم وأعمالهم، فبإذا قيل لهم: لا تُعْسِدوا في الأرض نهنيُّها الحقيقة بكل وقاحة، وجعلوا الباطل حقاً والحق بـاطلَّ، دونما حيـاء ولا تلجلج وقالوا: إنّما نحن مصلحون، وأشـلوا يدّصون بأن سلوكهم المنافق المفسد هو من الأعمال الإصلاحية.

الصفة (٦):

أنهم يدعون لانفسهم الذكاء ورجاحة المقل والحكمة في تدبير الأمور، ويتهمون المؤمنين بالسفاهة، أي: بنقص العقل وبأنهم محروصون من الحكمة والفطنة وحسن تدبير الأمور وتفهَّم غاياتها. والحقيقة أنَّ المنافقين هم السفهاء ولكن لا يعلمون، لأنَّ أهمواءهم طمست على بصائرهم.

الصفة (٧):

أنَّ لهم أكثر من وجه، وأدناها وجهان، لهم وجه يستعلنون به إذا لقنوا الذين أمنوا، ولهم وجه آخر يتوارون به ولا يُطُهِرُونه إلاّ إلى شيناطينهم، أي : إلى إخوانهم الكافرين أمالهم، أو إلى الموسوسن لهم بأن يسلكوا مسلَّك النَّفاق من شياطين الإنس كاليهود، ويُملَّلون لإخرانهم هذا التُلُونُ بأنهم يستهزئون بالمؤمنين، أي : يستغفلونهم ويخدعونهم ويغرّرون بهم ويترسُّلُون غِرَاتهم للإبقاع مهم، أو التخلي عنهم في أوقات الشدائد.

الصفة (٨):

أن المنافقين صنفان:

الأول: صنف مردوا على النفاق، تهم صُمُّ بكم عُمُّي، لـذلك فهم لا يـرجعون إلى الحقّ ولا إلى طريق الهدى.

الثاني: صف ما زال مـذبذبـاً بين الإيـمان والكفـر، لكنّه إلى الشــات في موقــع الكفر أقرب

. . .

أخذاً من النص (٣) من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) أيضاً الآيات من (٧٥ ــ ٨٢)

الصفة (٩):

أنّ المنافقين من اليهود يغلب في شأنهم أنّ احتمال صدق إيمانهم مستقبلًا يكاد يكون ميؤوساً منه، لعدّة عوامل نفسيّة قائمة لمدى المجتمع اليهودي فصّلها النصّ.

. . .

أخذاً من النصّ (٤) من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) ايضاً الايات من (١٤٧ ــ ١٤٥)

الصفة (١٠):

إثارة الشبهات والنشكيكات حول شـراثع الإسـلام وأحكامه ما وجـدوا إلى ذلك سبيلًا.

دلَّ على هذه الصفة موقف المنافقين من قضيَّـة تحويــل القبلة إلى الكعبـة المشرَّفة، بعد أن كان بيت المقدس هو القبلة التي يتوجهون لها في الصلاة.

* * *

أخذاً من النص (٥) من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) أيضاً الآيات من (٢٠٤ ــ ٢٠٧)

الصفة (١١):

من المتنافقين فريق يُعجِبُ عَولُه في الحياة الدنيا من يلاقيه، ويدّعي أنّ قلبه ينظوي على الخير وحبّ الخير وابتغاء الخير، ويُشهد الله بالايمان على ما يدّعي أنّه في قلب، وهو في الحقيقة من أكثر الناس مجادلةً بالباطل، وانحوافاً عن الحقّ.

فإذا تولَى عن مجلس محدَّث أو تسلّم سلطة ولاية سعى في الارض ليُقْسِد فيها ويُهلك الحرث والنّسل، وإذا قبل له اتن الله أخذته العرّة التي هو فيها مكبَّلاً بسلاسل الإثم، فابتمد عن تقوى الله، وسارت به حتى أوصلته إلى أودية الجرائم العظيمة وأنواع البغي والطفيان.

. . .

أخذاً من النص (٦) من سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول) الأيات من (٩٦ ــ ٥٥)

الصفة (١٧):

أن يقول المنافقون إذا تمرّض المؤمنون بسبب دوافع إيمانهم لمّا يُنظّنُ معه الهـالاك أو الخبية، كتورّطهم في معركة هم فيها دون عـدُّرُهم عدداً وصُدَّةً: غُرُّ مؤلاء دينهم.

أي: خدعهم وأطمعهم بالباطل دينهم، فاندفعوا بسفاهة وقلَة عقَل عَمَّل اعتمـــاداً على معونات غيبيَّةٍ تأتيهم يتخيَّلُونها دون أن يكون لها في الواقع وجود. والسبب في إطلاقهم هذه المقالة أنّهم غير مؤمنين، أو في قلوبهم مرض الشكّ والتردّد حول صدق ما جاء في الإسلام.

* * *

أخذاً من النص (٧) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) الأيات من (٦٩ ــ ٧٤)

الصفة (١٣):

من صفات المنافقين خطّة الدخول في الإسلام نضاقًا، ثم الارتـداد عنه، إغـراءُ لغيرهم بالرّدّة، وقد بدأ هذه المكيدة طائفة من اليهود.

. . .

أخذاً من النص (٨) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) أيضاً الأيات من (١١٨ ــ ١٢٠)

الصفة (١٤):

من صفات المنافقين أنهم إذا تمكنوا من أن يكونوا بطائنة لقادة المؤمنين، لم يقصّروا في أعمال إنساد أحوال المؤمنين، وتوهين قواهم، وتمزيق صفوفهم، ومؤازرة أعدائهم ضدّم، حتّى استئصال شأنهم.

الصفة (١٥):

أنَهم يتمنّون أن ينزل بالمؤمنين كلّ بلاء وعنتٍ ومشقة وضور، وهذا يــدفعهم إلى اتخذ الوسائل لتحقيق ما يتمنّون، وإلى تدبير المكايد ضدّهم.

الصفة (١٦):

أنَّ أصارات بغضهم الشديد للمؤمنين نظهر فعلًا من أقرالهم وفلتات ألسنتهم، رخم شدَّة حرصهم على إخفاء هويتهم.

المفة (١٧):

أنَّ صَافقي اليهود هم أخطر المنافقين وأخبثهم وموجِّهوهم، مـع أن المفروض أن يكونوا بخلاف ذلك.

الصفة (۱۸):

إِنْ تَمَى الْمَوْمَنِينَ حَسَنَةً تَسُوِّ الْمَنَافَقِينَ، وإِنْ تُمِبِ الْمُوْمِنِينَ مَصِيبًا يُشْرِحِ المنافقون بها.

* * *

أخذأ من النص (٩) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) أيضاً الآيات من (١٥٢ ــ ١٥٨)

الصفة (١٩):

إذا تحولت رياح النصر عن المؤمنين حين يكونون معهم في المعركة نزل بالمنافقين الهم والغم والخوف الشديد. واستولت عليهم الطنون التي هي من ظنون الجاهلية، وانطلقت السنتهم بالتلويم، مثل قولهم في معركة أحد: لو كان لنا من الأمر شئءً ما قتلنا فهنا.

وحين لا يكونون مع المؤمنين في المعركة انطلقت السنتهم بما يكشف كفرهم في الباطن، مثل قول المتخلفين عن غزوة أحمد والمنخذلين عن السول بشأن الذين قُتلوا فيها من إخوانهم: لَوْ كَانُوا جَدْنا مَا مَانُوا وما قُتِلُوا.

. . .

أخذاً من النص (١٠) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) أيضاً الأيات من (١٦٥ ــ ١٦٨)

الصفة (۲۰):

تخلّف المنافقين عن مشاركة المؤمنين في قتال أعدائهم مـا وجـدوا إلى ذلـك سبيلًا، وتعلّلهم بمعافير كواذب، كقولهم في غزوة أُحدُّ للمؤمنين:

﴿ لَوْنَعْلَمُ قِتَ الَّا لَاتَّبَعْنَكُمُّ ﴾.

جواباً على دعوتهم لهم بقولهم:

﴿ نَعَالُوَا قَنْيَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِادْ فَعُوَّا ﴾.

وكقول المنافقين بعد غزوة أُحُدٍ بشأن من قُتِلَ من إخوانهم فيها:

﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُيْلُوا ﴾ .

الصفة (۲۱):

حينما يفلّمون المعاذير الكواذب الّتي يظنّون أنّها ذاتُ قُوّةٍ يَمْلُؤُون بها أفواههم مُتشدُقين، كأنّهم اصحاب حتَّ.

وهذا تابع في الحقيقة لصفة الفجور في الخصومة التي هي من أصول صفات المنافقين.

* * *

أخذًا من النص (١١) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) أيضاً الآيات من (١٧٦ ــ ١٧٩)

الصفة (۲۲):

إنَّ الذين يبدؤون خطوات النفاق، يسارعون في الكفر حين توجَّه لهم احتحانات صعبة، كالقتال في سبيل الله، أو المصائب الشديدة في الأموال والأنفس، لأنَّ الشيطان يستحوذ عليهم بوساوسه وتسويلاته حيثناتي.

. .

أخذًا من النص (١٢) من سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) الأيات من (٩ ــ ٢٧)

الصفة (٢٣):

التباطؤ لدى مشاركة المؤمنين في الاعمال الإسلامية العامة، كحفر الخندق في غزوة الاحزاب، والمراءاة بالعمل، والتستر بـالقيام بـاهون الاعمــال وأضعفها، والتسلّل إلى أهليهم بغير إعلام_، ولا استثذان.

المقة (٢٤):

إطلاق ألسنتهم بكلمات وعبارات الكفر عند الشدائمة التي يتعرض فيهما المسلموذ لاحتمالات انتصار الكفّار عليهم.

كقولهم في غزوة الأحزاب: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

وكقول مُعَنّب بن قُشَير، وكمان من المنافقين: كمان محمد يعدنا أن نـأكل كنـوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الفائط.

الصفة (٢٥):

إطلاق ألسنتهم بعبارات الإرجاف والتخذيل، والفرار من الممركة، والرجوع عن مواجهة العدّق.

كقول طائفة منهم في غزوة الأحزاب: يا أهل يثرب لا مُڤامَ لكم فارجعوا.

الصفة (٢٦):

التحايل لـلانسحاب من مواجهة العـدة تعلُّلًا بأعـذار كاذبـة، وتـوجيـه طلبـات الاستئذان بالرجوع إلى بيوتهم.

كقــول طائفــة منهم في غزوة الأحـزاب مستأذنين بـأن يرجموا إلى المدينــة، من أمكن المواجهة دون الخندق: إنّ بيوتنا عورة، مع أنّها في الحقيقة ليست بعمورة، إنّما يريدون الفرار من المعركة.

الصفة (٢٧):

التخلّف والشيط والتعويق عن الخروج لمواجهة العدن، فهم لا يأتمون للمشاركة في البائس إلاّ قليلاً، وحين يحضمون فإنّسا يفعلون ذلك ربياء ومصانعة ومخافنة ان ينكشف نفاقهم الكشافاً جائباً لعموم العسلمين.

فقد كان المتخلّفون في غزوة الاحزاب يقولون لإخوانهم: هَلُمُّ إلينا، أي: تعالوا إلينا واتركوا مواقعكم، فعندنا الأمن والراحة والظلَّ والطعام والشراب.

الصفة (۲۸):

كشف الله في هذا النصّ ممّا يكتمون في صدورهم أنّه لو دخل جيش المشركين المدينة وطلب منهم الكفر أو تسليم الرسول والمؤمنين لفعلوا ذلك، ولانحازوا إلى صفوف أهل الشرك والكفر من العرب واليهود.

وقىد تحققت في الواقع هذه المظاهرة من صفات السنافقين في أحداث كثيرة تاريخيّة، دخل فيها الغزاة الكفار بلاد المسلمين، فكانوا أنصارهم وأعوانهم ومؤيديهم والمنحازين إليهم، وانكشفت فيها خياناتهم، وأنهم في الباطن كفّارُ غير مؤمنين.

الصفة (٢٩):

أنَّهم شحيحون على المؤمنين بأموالهم واعمالهم ومعونـاتهم ويكـل شيء من انفسهم وممًا يملكـون، وأنَّهم شحيحون عليهم أيضاً بمثل ذلك من غيـرهم، فهم يكـرهون أن يبـذلن أحدَّ لهم مـاله أوعمله، أو شيئاً ما من نفسه أو ممّا يملك، وأنهم شحيحون على كلِّ خير.

والسبب في ذلك أنّهم غير مؤمنين بجدوى البدّل لصالح المؤمنين، أو البـذل في سبيل الخير.

الشحيح: هو أشدُّ البخلاء بخلاً، فهو يبخل بماله وبمال غيره.

الصفة (٣٠):

أقهم يُصابون بالذعر الشديد، إذا أقبلت الوسائل المخيفة، ولاسيما إذا كـــاتوا في معارك قتالية.

إنّهم في ساعات الخوف جبناء صامتون مُبلسون منهارون، لا تتحرّك أسلحتهم ولا أبديهم بل تدور أعينهم ذعراً وهلعاً.

الصفة (٣١):

أنهم إذا ذهبت أسباب الخوف واطمأنوا واخسُّوا بالامن، انطلقت السنتهم بجراةٍ صالحين في وجوه المؤمنين بكلام شديد عنيف يؤذيهم، وتمادوا مبالغين في خصومتهم لانقه الأسباب.

وهذا يرجع إلى صفة الفجور فيهم، فمن علامات المنافق أنَّه إذا محاصم فجر.

وللمنافقين عندثذٍ موقفان:

- (١) فإن كانت المعركة لصالح العدرُ أخذوا يوجهون اللوم والتشريب للمؤمنين،
 ولقائد معركتهم، ولبطانته الصادقة المخلصة، ويتبجّحون بصحة آرائهم الانهزامية.
- (٢) وإن كانت المعركة لصالح المؤمنين أخدوا يطالبون بأوفر النصيب من

الغنائم، وتَعَلَّو أصواتهم، وينبَجُحُون ببطولاتهم، مع أنّهم كانوا جبناء انهزاميين.

الصفة (٣٢):

أَنْهِم لا فائدة تُرجَىٰ من مشاركتهم للمؤمنين في معارك القتال، لأنَّهم لا يقـاتلون إِلاّ قتالًا لليلاً.

الصفة (٣٣):

أنهم مرجفون خلال معارك القتال. والإرجاف هو الإخبار بالأكاذيب لإثــارة الفِتَن والاضطرابات، وإحداث الرجفان من الخوف.

. . .

أخذاً من النص (١٣) من سورة (الأحزاب / ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) أيضاً الأيات من (٣٦ ــ ٤٠) والأية (٤٨)

الصفة (٣٤):

مشاركة الكافرين في ترويج مقالات السوء ضدُ الرسول ﷺ.

ففي زواج السرسول وزيت بنت جحش، مطلقة وزيد بن حمارتمة المذي كمان المرسول قمد اعتفه وتبنّماه، ودَّد الكافرون والمنافضون معاً مقالة السبوء حول شبخص الرسول ﷺ، إذَّ كانوا يقولون: إنَّ محمَّداً يحرَّم نكاح نساء الأولاد، وقد تزوَّج امرأة ابنه وزيده الذي كان قد تبنّاه بعد أن أعتقه.

. . .

أخذاً من النص (١٤) من سووة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) الأيات من (٥٩ ــ ٧٠)

الصفة (٢٥):

إرادة المنافقين أن يتحاكم وا إلى الطاغوت، استجابة لوساوس الشيطان المذي يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً، مع أنهم مأمورون في تعاليم الدين أمراً صريحاً جلياً أن يكفروا بالطاغوت، فمالا شبهة لهم ولا عمد، لكن بواعث الكفسر هي التي تدفعهم إلى إرادة التحاكم إلى الطاغوت في خصوماتهم. أخذاً من النص (١٥) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) أيضاً الأيات من (٧١ ـــ ٨٤)

الصفة (٣٦):

التباطؤ والنهاون والتواني عن الخروج مع المسلمين لقتال عدوَّهم، وهذه الصفــة من مكررات ظواهرهم السلوكية الدالة على نفاقهم.

المفة (٣٧):

تثبيط من يستجيب لهم من الجبناء وضعفاه الإيمــان، وهذه الصفـة من مكرّرات ظواهرهم السلوكية الدالة على نفاقهم.

الصفة (٣٨):

تحدّث بعضهم بالفرح والمسرّة إذا أصاب الخارجين من المسلمين للقتال مصيبة أو مضرّة، ويرى أنَّ الله قد انعم عليه إذَّ لم يشهد مع المؤمنين قتال عدوّهم، فنجا بذلك منّا نزل بهم.

الصفة (٣٩):

التحسُر والنَّدم على ما فاتهم من الفوز بالغنيمة، إذا انتصر الخارجون من المسلمين، وأصابوا من عدوهم غنائم.

وهم مع هذا التحسّر والنَّدم يحسُّدونَ الخارجين على ما أصابوا من غنائم حسَّدَ منْ لم يكُنّ ذا وَدُّ سابقٍ، فيقول القائل منهم:

﴿ يَلَيْنَتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

الصفة (٤٠):

من ظواهرهم في السلوك أن بعضهم كان له موقفان متناقضان وهما ما يلي:

 (١) قبـل الإذن بالقتـال كانـرا يُطالبُـون بأن يؤذن لهم بـه، فيُؤمّرُونَ بأن يكفّـوا أيديهم.

 (٢) وبعد أن كتب الله على المسلمين الثنال دبّ الخوف في قلوبهم فصاروا يخشون الناس كخشية الله, أو أشدّ خشية، وقالوا:

- ﴿ رَبُّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْفِئَالَ ﴾ ؟
- ﴿ لَوْ لَاۤ أَخۡرَلْنَاۤ إِلَىٰٓ أَجَلِ قَرِبِ ﴾.

الصفة (٤١):

من ظواهرهم في السلوك ما يلي:

- (١) إِنْ تَصِينُهُم حَسنةُ من نصر او غيسة او الى آسر قسلزي، يسرهم، كنّب وخصب وسعة رزق وصحة وبنين قالوا: هذه من عند الله، أي: لم تأتهم ببركة ده، الرسول وبسبب إكرام الله له.
- (٢) وإنْ تُصِينُهُمْ سيئةٌ من مصيبة في الانفس أو في الاسوال، من أسور قدرية يبتليهم الله بها قالموا: هذه من عند محمد، أي: لم يُخبن التصرف في إدارته أو بي قيادته في السلم والحرب.
- (٣) أثما من كان منهم ذا كفر وعنادٍ وقد مَرْد على النفاق، فإنّه يشول مقالة العشركين من قبل: إنّ ما نزل بنا من سيّتات ومصائب إنّما كنان من شُوم دعـوة محدً ألّي فرّقت قومه، وجَلّبت النزاع والخلاف والحروب.

الصفة (٤٧):

الصفة (٤٣):

ومن ظواهرهم في السلوك ظـاهرة إفشـاء أمـور المسلمين مـا وجـدوا إلى ذلك سبيلًا، والعمل على إذاعتها ونشرها، سواة أكانت من أمور السلم أو أمور الحرب.

والسبب في هذا أنهم لا يشعرون في أنفسهم بالولاء للمسلمين، فهم لا يهتمّون لكتمـان ما يضرُّ المسلمين إذاعته .

. . .

أخذاً من النص (١٦) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) أيضاً الآيات من (٨٨_ ٩١)

الصفة (٤٤):

أنَّهم إذا تهيَّـات لهم فرصة مظاهـرة الكافـرين من وراء المؤمنين ظاهـروهم ضدَّ المؤمنين.

الصفة (١٤):

تَمنِّي المنافقين أن يكُفُر المؤمنون حتَّى يكونوا مثلهم سواءٌ في الكفر والسلوك. ويذلك يتخلَص المنافقون من التناقض الذي هم عليه بين ظاهرهم وباطنهم. وظاهر أنَّ دوافع هذه الأمنيَّة دوافع شيطانيَّة خبيثة.

* * *

أخذاً من النص (١٧) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) أيضاً الآيات من (١٠٥ ــ ١١٦)

الصفة (٤٦):

من ظواهرهم في السلوك ظاهرة ارتكاب الجرائم وإلقاء تهمة ارتكابها على البرآء من الناس.

. . .

أخذاً من النص (١٨) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) أيضاً الأيات من (١٣٦ – ١٤٤)

الصفة (٤٧):

من صفات المنافقين المذبذبين بين الإيمـان والكفر. أنّهم يؤمنـون ثم يكفرون. ثم يؤمنون ثم يكفرون. وهكذا.

فهم في نوية الإيسان يتطلعون إلى الكافرين فوي القرّة النظاهرة، فيبتدن أن يستندوا إليهم، ويتقوّرًا بهم، ويوالوهم من دون المؤمنين. وهذا يدفعهم إلى أن يكثروا من مجالستهم في مجالسهم، ويغفسوا النظر عمّا يسمعون منهم من كفر بايات الله المتزّلات على رسوله، واستهزاء بها، ويخالفون ما سبق أن نهى الله المؤمنين عه.

وهم في نوبة الكفر يَظَلُّون محافظين على الانتماء إلى الإسلام في الظاهر نفاقاً.

وهـذا التردّد يجعلهم في حـالة تـرئّص دائم بين المؤمنين والكافعرين، يـراقبـون الأحـداث بين الفريقين، فـمن غلب أو غنم منهـما انفلـوا إليـه مـطالبين بـالمـشـاركـة، زاعمين له أنّهم مه، وهم يسلكون أسلوب المخادة لسَّرُ حقيقتهم.

ومن صفات هذا الصنف من المنافقين في ظاهـرات السلوك النفاقيّ، وهــو أيضاً من علامات سائر المنافقين غالبًا، ما يلي :

- (١) أنَّهم مخادعون.
- (٢) أنّهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى.
- (٣) أنهم يراءون الناس في أعمالهم الإسلامية، والمرائي لا يستبطيع أن يكون منفعلًا انفعالًا ذائيًا مع العمل الذي يؤديه رباءً ومخادعة.
 - (٤) أَنَهم لا يذكرون الله إلا قليلًا.
- (٥) أنهم مذبذبون يتأرجحون بين المؤمنين والكافسرين في ولائهم، وفي سلوكهم، فنا(هم في الحقيقة منتمون إلى هؤلاء المؤمنين، في أقصى جهة اليمين، ولا هم منتمون في الحقيقة إلى هؤلاء الكافرين في أقصى جهة الشمال.

ويـظلُون في حياتهم قلقين لا ثبـات لهم، يتذبـذبون على أرجـوحـة التنقّـل بين الأضـداد.

. . .

أخذاً من النصّ (١٩) من سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نزول) الآيات من (١٣ _ ١٥)

الصفة (٤٨):

أنَّهم بـاختيارهم الحرَّ عـرَّضـوا أنفسهم للفتنـة والعـذاب، بـالفـــلال الإرادي، والْغُولية، وإبطان الكفر، ورفض الحقَّ.

الصفية (٤٩):

أنّهم يشربُصون أن نـدور الدائـرة على المؤمنين، حتَى يُعْلِنُوا كفـرهم، وينقضُّوا عليهم مع الكافرين الصّرحاء.

الصفة (٥٠):

أنَّهم ينظرون إلى براهين الحقُّ الـرَّبـاني بـالشَّـكُ والارتيـاب، في حين يتّبعـون الباطل وضلالات الكفر بالأوهام والنقليد الأفخى.

الصفة (١٥):

أنَّهم يَبْعون الامانيَ ألَّتي تَطْبِعُهم بالباطل، وكلَّمـا ظهرت خبيتهم نقلوا أمـانيهم إلى زمن آخر، وهكذا حتى تَجلُّ بهم مناياهم دون تحقيق أمانيهم.

الصفة (٢٥):

أنهم سَلْمُوا أنفسهم لوســاوس الشيطان، فغَـرَهم باللَّهِ رَبِّهم، وَأَطْمَعُهُمْ بِـانَ الله لا يُتْزِلُ بِهم عذابه، ويأنَّ أخبار رسُل الله عن يوم الدّين أخبار غير صادقةٍ عن ربّهم.

. . .

أخذاً من النصّ (٣٠) من سورة (محمد/ ٤٧ مصحف/ ٩٥ نزول) الآيات من (١٦ – ٣٢)

لصفية (٥٣):

أنهم في مجالس العلم المديني يتصنّعون الشظاهـ بانتهم يستمعـون الأقوال ويُصُفّرن إليها، لكنّهم في الحقيقة متصرفون عنها في نفوسهم، فلا يُصِلُ إلى أدمنتهم وقلوبهم منها شيء.

إنَّ قلوبهم مطبوع عليها بسبب انصرافهم عنها، وعدم إيمانهم بها أصلًا وفرعاً.

وممًا يُدُلُّ على هذا أنّهم حين يخرجون من مجالس العلم الـدينيَّ يقولــون عقبها مباشرة: ماذا قال المحدّث في حديثه آنفاً.

الصفة (٥٤):

أنَّهم كانوا إذا أمَنزك أياتُ فيها المذَّموة إلى الجهاد في سبيل الله بالأسوال والانفس، وقتال الكافرين، أصابهم الْهَلَعُ والنَّجَزَّع، فجعلوا ينظرون إلى المرسول ﷺ نظر الْمَمْشِيِّ عليه من الموت.

الصفة (٥٥):

أنَّهم يقولون للكافرين سِرًّا: إنَّنا لا نستطيع أن نُشلِن ردَّتَنَّا عن الإسلام، ولكن

سنطيككم في بعض الأمر، فندقع عنكم ونحن ضمن صفوف المؤمنين، ولانكونً جائين في عداوتكم معهم، ولا في فتسالكم إذا قاتلوكم، ونحن تسوصل إليكم من المعلومات المفيدة لكم ما نستطيع إيساله إليكم، دون أن يتكشف أمرنا عند المؤمنين.

الصفة (٥٦):

أنهم يحملون في قلوبهم الأضغان والاحقاد ضدّ الإسلام والسرسول والمؤمنين، وهـذه الأضغان تشتمـل على العداوة للإسلام والسلمين ومن لـوازمهـا إرادة الكيـد، وتربُّص القرص الملائمة لمحو الإسلام، واضطهاد المسلمين وتمزيقهم وإبادتهم.

الصفة (٥٧):

أنَّ أهل الفراسة من العؤمنين يستطيعـون أن يكتشفوا نضاقهم من علامـات تظهـر على وجوههم، وتبدو في بعض تصرفاتهم.

الصفة (٥٨):

أنّهم لا بُـدّ أن تظهر في فلتـات السنتهم، ومـا يـرمـزون إليـه في لحن الفـول. أماراتُ ندلُ على هُويتَهم الحفيقيّاء يُدرُكُ ذلك أهل الفطنة من الناس.

المقة (٩٩):

طرحُهُم التشكيكات والشبهات بأسلوب أسئلةٍ يوجَّهونها تنضمَّن إلقاء الشكوك في قلوب ضعفاء الإيمان.

...

أخذاً من النص (٢١) من سورة (الحشر/ ٥٩ مصحف/ ١٠١ نزول) الآيات من (١١ – ١٧)

الصفة (۲۰):

خيانتهم للمؤمنين بالاتصال بأعـدائهم المحاربين لهم ووعـدهم بأنَّ ينصــروهم ويَشْدُوا أزرهم، ويكونوا معهم، وأن لا يطيعوا أحداً في شأنٍ يضرُّ بهم.

الصفية (٦١):

جبنهم وعـدَّمُ وفـائهم بــوعـودهم لإخــوانهم من أهــل الكفـــر، لأنَّهم بنفـاقهم

وتظاهرهم بانتهم من المسلمين يخشون أن يكتشف المسلمون المؤمنون أمرهم خشيةً عظيمة، فيتقموا منهم بالعدل.

* * *

أخذاً من النص (٢٣) من سورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) الأية (١١)

الصفة (٦٢):

تصیَّد المناسبات لإشاعة الاکاذیب والافتراءات ونشرهـا، یغیة تشـویه صـورة المؤمنین الطاهرین، والمؤمنات الطاهرات، بما یرمونهم به من ارتکاب الکبائر، حقـداً علی الإسلام والمسلمین.

ومن الأمثلة افتراء حديث الإفك وإشاعته ونشره.

. .

أخذاً من النص (٢٣) من سورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٣ نزول) أيضاً الآيـة (٣٣)

الصفة (٦٣):

الاستمرار على عادات الجاهلية دون اكتبرات لنصوص الشبريعة الإسلامية التي الزمت بتغييرها، والاعتراض على التدخّل في الأمر من قِبْل الفينادة الإسلاميّة، تذرّعاً بالمفهومات التقليديّة الجاهليّة القديمة.

ومن أمثلة ذلك استمرار وعبد الله بن أبني ابن سلول، على إكبراه إصائه على الزنا، لتحصيل أجور فروچهيّ، مع أنّ الله قند حرّم على الإماء الزناكما حرّمه على الحوائر، وجعل عليهنّ نصف ما على المحصنـات من العذاب، ولم يرتدع حتى نــزل صريح قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَنَيْنِكُمْ عَلَ ٱلْمِنَاتِ إِنَّ أَرَدُن تَصَمُّنَا لِنَبْنَعُوا عَرَضَا لَتَهُو اللَّهُ يَأْ

أخذًا من النص (٢٤) من سورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) أيضاً الآيات من (٤٧ - ٥٤)

الصفة (٦٤):

أنهم لا ينضفون بالتنطيق العملي مقتضيات إصلانهم بالسنتهم أنهم آصنوا بنافه وأمنوا بالرّشُل، والتزامهم بطاعة الأوامر والنواهي، بل يبتمدون ابتعاداً كاملاً عن مواقع الإيمان والطاعة.

الصفة (٩٥):

من النظواهر السلوكية للمنافقين أنّهم لمدى خصوماتهم مع غيرهم أصحاب سلوكين مختلفين:

- (١) فيإنَّ أحدهم إنَّ كان يَعْلَمُ أنَّ العنَّ له فيإته بياتي متظاهراً بالإذعان والاستسلام لحكم الله والرسول، ليحكم له الرسول، أو ليحكم لـه الحاكم المسلم من بعده.
- (٢) وإذّ كان يعلم أنّ الحقّ لخصمه أعرض متحايـاً ، وتهرّب من التحاكم لحكم الله ورسوله ، وطلب التحاكم إلى غير ذلك.

وهذه صفة الذين يطلبون التحاكم إلى القانون المدني، ويرفضون التحاكم إلى حكم الشرع الإسلامي، حينما يسروز أنّ القسانون يسساعدهم على هضم حقسوق خصومهم، وأنّ حكم الشرع الإسلامي لا يساعدهم على ذلك.

المفة (٦٦):

المبالغة بـإعطاء الـوعود المؤكدة بالأيمـان المشدّدة، وهم كـاذبـون في ذلـك، لا يطبقون من رعودهم شيئاً.

ومن الأمثلة أنَّ بعض المستلفين أقسموا للرسول بَجَهَّدُ أيمسانهم قبائلين لـه: لَيْنُ أمرتنا بـأن نخرج إلى القتال في سبيل الله، أو بـأنُّ نخرج منْ أمــوالنا وأهلينا لنخرجَنُ طاعةً لكُ، وإيماناً واحتساباً، لكنهم لدى التطبيق العملي نَبَيْنَ أَنْهِم كافبون.

....

أخذاً من النص (٢٥) من سورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) أيضاً الأيات من (٦٢ ـــ ١٤)

الصفة (١٧):

أنهم إذا حضروا المجامع العاصة ذات الاهمية المعظيمة للإسلام والمسلمين ضاقت صدورهم، ونقل عليهم أن يتضنّفوا الصبر على ما يجري فيها، مما لا يؤمنون به ولا بجدواه، وصعُب عليهم أن يحبسوا أنفسهم مع المؤمنين طوال مدّة الاجتماع، ولاسيما إذا كانت فيه واجبات عملية يضطرون أن يشاركوا فيها، وهم لا يريدون أن يكشفوا أنفسهم عن طريق الاستثمان بالانصراف لفضاء بعض شؤونهم، لأنّ مدّة الغباب ستكون محسوبة عليهم، ولأنّ كثرة تهربهم من مشاركة المسلمين في أمورهم قد نكشف نفاقهم.

ولذلك فهم يتسلُّلون مُسْتَخْفِين خروجاً وغياباً وعودة إن رجعوا، دون استئذان.

الصفة (٦٨):

سوء أدب المنافقين لدى مخاطبتهم الرسول أو قـائد المسلمين، لأنّهم لا يُكِنُّـون له الحبّ والاحترام والتوقير والتعظيم.

لذلك فهم بالتلقائية العاديَّة التي لا يتصنّعون فيها يخاطبونه كما يخاطب النـاس بعضهم بعضاً، ويدعونه كما يدعو الناس بعضهم بعضاً.

. . .

أخذأ من النص (٢٦) سورة (المنافقون/ ٦٣ مصحف/ ١٠٤ نزول) وآياتها (١١) أية

الصفة (١٩):

تـظاهـرهم بـإعـلانهم آنهم يشهـدون أنّ محمّـداً رسول الله، أي: يـدّعـون أنّ ما يُشلنونه بالسنتهم من أنّ محمّداً رسول الله مطابق لما يعتقدون في قلوبهم، والله يَهْلُمُ إنّهم لكاذبون . إنّهم لكاذبون .

الصفة (٧٠):

يَتَخَذُونَ خَلِفَ الأيمان المؤكّدة متارةً يُشَرُّونَ بها نفاقهم ومكايدُهم ضدَّ الإسلام والمسلمين، وأحداثُهم المرية التي يُحدشونها، وعَـَـذَمُ النزامِهم بسلوك سبيـل الله كُلُما ابتعدوا عن أعين الرقباء من المؤمنين.

الصقة (٧١):

أنَّ قلويهم مقفلةً مطبوع عليها، لا تتلُقُىٰ ما يُبوجُه لهم من تعليم دينيُّ ونصيحـةٍ وترغيبِ وترهيب.

الصفة (٧٧):

من السنافقين من هم ذوو أجسام تُعجب السناظر إليها، وأصحابُ أقوالر متمّقةٍ تجذب لاستماعها، فبخدع بأجسامهم وأقوالهم الذين تَتُرُّهم المظاهر، ولا يبحثون عن البواطن.

وهؤلاء إذا حضروا مجالس العلم الدينيّ والذكر مع المؤمنين اختاروا لأنفسهم الأماكن التي يُسْبَدون إليهــا ظهورهم. كـالْجُدُر والســواري، لأنها سريحةً لهم. وذات وجاهةِ .

لكنّهم لا يُصُونَ مَمّا يُقَالُ في هذه المجالس من علم وذكر شيئاً، لانصراف أذهانهم وقلوبهم، فهم كالتُخُلُبِ المسنّدة على الْجُذُر لشلا تسقط، وهذا يُـدُلُّ على أقهم كالناتمين ظاهراً لوباطناً.

الصفة (٧٣):

أنهم في حالة خوف وحذّر دائم، إذْ هم يخسُونَ أن بنكشف أشرُهم، فيُـونَّحَذُوا ويعاقبوا على كذبهم ونفاقهم وخياناتهم.

ولشلة خذيهم وتوقيهم أن يفتضح كفرهم ويتكشف أنهم منافقون، يحسبون كلّ صبحة تحدير مُسريبة مُسْيحة عليهم، ويحسبون أنّهم المعنّبون بها، وذلك بسبب ما يعرفون من أنفسهم في باطن أمرهم.

الصفة (٧٤):

أنَّهِم أشدُّ أعداء الإسلام والمسلمين، وإذا يحتنا عن السبب النفسيِّ لهمذا العداء الشديد، نلاحظ ما يعانون من آلام التناقض بين ما يتكلفون إظهاره وهم لا يؤسنون به، ويتكلفون إبطانه وإخفاءه وهمو مقيدتهم التي يؤمنون بها، والسلوك الذي يرتساحون لممارست، فهذا هو السَّب.

لذلك فهم جديرون بأن ندعو الله أن يقاتلهم، إذْ لم يأذن للمؤمنين بأن يقــاتلوهـم

ما داموا يسترون كفرهم وعداءهم، ويظهرون إسلامهم وولاءهم.

الصفة (٧٥):

إذا ارتكب مستكبروهم ذنباً من الكبائر، أو أحدثوا حدثاً هو من مظاهر نفاقهم، ودعاهم بعض المؤمنين إلى الرسول ليعتفروا وليطلبوا منه أن يستغفر لهم، أهلسوا الرفض، بحركة في رؤوسهم، وحركة في أجسادهم، فهم يُلُوُون رؤوسهم، ويحجمون بأجسادهم.

والسبب في ذلك أنَّهم غير مؤمنين بالرسول، وهم في نقوسهم مستكبرون.

الصفة (٧٦):

أنهم لا يألون جهدهم دواماً في التخذيل، والسُّعي الـدائب لصرف الساس عن مناصرة الإسلام والمسلمين، وتوهين قوة المؤمنين، وتقليل جماعتهم.

الصفة (٧٧):

تجرُّو زُحمائهم أحياناً وهي أحوال خاصة على إطلاق العبارات الَّتي تدلُّ على عداوتهم الشديدة، ورغبتهم في إثارة فننة، أو إقامة حرب، أو افتعال ثورة صَدِّ جماعة المؤمنين وقائدهم .

ومن أمثلة هـــذا مــا حصـــل من عبــد الله بن أُبـيّ ابن سلول إذْ قـــال في غـــزوة بني الْمُصْطَلِقِ. لَئِنْ رَجَمُنَا إِلَىٰ الْمُدينة لِيُخْرِجَنُ الْأَعَزُ بِنْهَا الْأَذَلَ.

* * *

أخذاً من النص (٧٧) من سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نزول) الآيات من (٥ ــ ١٠)

المبقة (٧٨):

أنَّهم يسارسون في معظم تصرَّفاتهم الوقوف في حدود معارضة ومخالفة لحدود الله.

وذلك بما يسرتكبون من إثم وعـدوان ومعصية للرســول ﷺ، فيفعلون كما يفعـلُ الكافرون الصـرحاء إلاّ أنّ المنافقين يستخفون بأعمالهم وموافقهم.

لصفة (۷۹)

أنَّ لهم مجالس ومجامع وأحاديث سرَّيَّة يَشَاجُونَ فيها بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، مُنعَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد نهاهم عن التناجي وحذَّرهم منه سابقاً، وذلك في الأية (١١٤) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٠ نزول).

المفة (۸۰):

أَيْهِم يَقَلَدُونَ اليهود في تحيَّاتهم للرسول وللمسلمين، صُمَّنَ لَحْنِ القول السَّدي يمارسونه، كان يقولوا في التحيَّة. السَّام عليك (أي: العوت) بدل: السلام عليك.

* * *

أخذاً من النص (٢٨) من سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نزول) أيضاً الأيات من (٢٤ ــ ٢٢)

الصفة (٨١):

أنَّهم يتخـــذون اليهــود الـــذين غضب الله عليهم أوليــاء من دون المؤمنين، فهم يتصرونهم، ويستنصرون بهم، ويوادّونهم.

وهذه الصفة ملاحظة في المنافقين داخل الأمة الإسلامية منذ عصر الرسول ﷺ: حتى عصرنا الذي نعيش فيه الآن.

إنهم يتخذون اليهود الذين غضب الله عليهم أولياء من دون المؤمنير، إذ يجدون لمديهم من الأهواء والشهبوات ورغبات النفوس من العيلة المدنيا ما لا يجدونه لمدى المؤمنين الصادقين.

المفة (۸۲):

أنَّ صفة الكذب وأتَّخاذ الايمان الكاذبة ستارة يسترون بهما كضرهم ونضاقهم ستلازمهم طوال رحلة حياتهم في الدنيا ما داموا منافقين، وسيَّبدُون إلى الحياة الأخرى وستظلَّ هذه الصفة ملازمةً لهم .

فهم إذا وقضوا في موقف الحساب بين يندي ربّهم يلجؤون إلى الكنب وحلف الإيمان الكافية أيضاً، لعلها تنجيهم عند ربّهم كما كانوا بصنعون في النفياء إذْ كانت

اكاذيبهم وأيمانهم الفاجرة تنجيهم من نقمة الرسول والمؤمنين عليهم، فقد كاتُـوا يُعاملون ـــ بمقتضى أثر الله ـــ بحسب ظاهرهم .

لكِنُّ أكافيهم وأيمانهم الفاجرة يوم الدين سنزيد من نقمة الله عليهم، ولا تنفعهم بشيء.

* * *

أخذاً من النص (٢٩) من سورة (التحريم/ ٦٦ مصحف/ ١٠٧ نزول) الآية (٩)

الصفة (٨٣):

وصول المنافقين إبّان نزول سورة (التحريم) إلى حالة من السُّـوء تستدعي الأمـر بمجاهدتهم بمختلف أنواع الجهاد التي تشـمل في النهاية أقصاها الذي هو القتال.

. . .

أخذاً من النص (٣٠) من سورة (الفتح/ ٤٨ مصحف/ ١١١ نزول) الأيات من (١ _١٧)

الصفة (٨٤):

شدَّة غيظهم وحنقهم من انتصار العسلمين، ومن تهيئةِ الـوسائــل لانتشار دعــوة الإسلام في الناس، وتكاثر المستجيبين لها.

الصفة (٨٥):

توقُّمُهم استئصال شأفة المسلمين، حينما يجدون أنَّ قوى أعدائهم تفوق قوَّتِهم بنسبة كبيرة، ولا يحسبون حساباً للمقادير والممونات الربّانية لهم، ومما يحيطهم بـه من رعاية وحماية.

الصفة (٨٦):

ملازمة تلفيق المعاذير الكاذبة كلّما تخلّفوا عن واجبٍ من الـواجبات الإسـلاميّة العامّة.

الصفة (۸۷):

مطالبتهم أن يشاركوا المؤمنين الصادقين في الخروج معهم لغزو قوم ضعفه، من السهل الانتصار عليهم، ولديهم غنائم كثيرة، تُنال بأضعف مواجهة.

ووقىاحتهم في ترجيه الانتقادات إذا لم يُشمَعُ لهم بالمشاركة عقوبة لهم على تتغلّفهم هن الخروج، حينما كنانوا يُرزُون أن القوم اللين سيخرجون إليهم أولو بنأس شديد، ومن الصعب الانتصار عليهم، والظفر منهم بالنتائم.

* * *

أخذاً من النص (٣١) من سورة (المائلة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول) بعض الآية (٤١)

الصفة (۸۸):

أنهم يملُوون أفواهمهم تبجُّحاً بادعاء أنهم آمنوا، مع أنّ قلوبهم لم تؤمن شموراً منهم بأنّ المؤمنين يرتابون في صحة إسلامهم، فهم يملؤون أنواههم بالأدّعاء مع رفع الصوت، وسيلةً من وسائل التغطية والتأثير على المؤمنين بغية نزع الارتياب فيهم من قلويهم.

* * *

الصفة (٨٩):

الـذين في قلوبهم مرض الشـكُ والرّبِب وضعف الإيمان الفعرب من النضاق، ولم يَصِلُّ بعَدُ إلى حضيضه، قد تظهر فيهم صفة مصائمة اليهود والنصـارى، خشبة أن تدور الدائرة على المسلمين، فتشملهم مصائبها.

وهم يتصوّرون أنّهم بمصانعة اليهود والنصــارى التي يتخذونهــا يحمون أنفسهم، ويكون لهم عندهم يدّ يكافئونهم عليها.

.

أخذاً من النصر (٣٣) من سورة (المائلة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول) أيضاً الأيات من (٥٧ – ٦٣)

الصفة (٩٠):

مُسَارَعَة كثير من المنافقين في ارتكـاب الإثم والعدوان وأكـل المــال الحــوام. كالرَّشوة وأكل الرَّبا، ونحو ذلك.

والسبب في ذلك أنَّ إسلامهم ظاهري فقط، لا يُعْتَمِدُ على قاعدة إيمانيَّة.

* * *

أخذاً من النص (٣٤) من سورة (النوية/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول) الآيات من (٤٦ ــ ١٢٩ آخر السورة)

الصفة (٩١):

المعاودة إلى اتّخاذ وسيلة الإرجـاف لتثبيط جمهور المسلمين عن الخروج مـع الرسول إلى القتال.

فقد برزت هذه الصفة حين الدعوة إلى غزو الروم نيما يُعْرَفُ بغزوة تبوك.

الصفة (٩٢) :

من الظواهر السلوكية للمنافقين أنَّ لهم موقفين حين الدعموة للحروج إلى القشال في سبيل الله.

 (١) فحين يكون الخروج إلى القتال سَفَراً هيئاً سهلاً، وفيه طمَع بغدائم فإنّهم يخرجون مع المؤمنين طمعاً بالغنائم.

(۲) وحين يكدون الخروج إلى القنال سفراً شائًا صعباً، واحتمال المظفر فيه وتحصيل الغنائم ضعيفاً، فإنهم يتعلّفون، مستأذنين مع تلفيق الاعدار، أو غيسر مستأذنين، وحين لا يستأذنون يأتون بعد المعركة فيلفقون الاعدار الكواذب، ويحلفون بافة على صدقهم فيها.

الصفة (٩٣):

مَعَ مرور السنين التَّسع، وعيش المنافقين ضمن المسلمين، فقد بقي حالهم كما كان منذ بداية العهد المدني، وهو كما يلي:

(١) إذا نزل بالمسلمين ما يُسُرُّهم ويُفرحهم ساءَ المنافقين ذلك.

- (٢) وإذا نزل بالمسلمين ما يسوؤهم ويُحزِنُهم سر المنافقين ذلك وأفرحهم.
- (٣) وحين تكون مصيبة المسلمين بسبب خسروجهم لفتال عسدُوهم، وكان المنافقون قد تخلفوا عن الخروج، فإنهم يقولون: لقد كنا حذوين أذكياء، فلم نُـورَطُّ

المتنافقون قد تخلفوا عن الخروج، فإنهم يقولون; لقــد كنا حــذرين اذكياء، فلـم نــورطــــ أنْقُسُنا كما ورّط المسلمون أنفسهم، ويتولُّون وهم فرِحون.

هذه الظواهر الثابت تكرُّرُها تَــَدُلُ عَلى أنَّ الكافس في باطنه لا تتغيَّر حاله تُجـاه المؤمنين، مهما طالت مخالطته لهم، ما لم يتحوّلُ باطنه إلى الإيمان بما يؤمنون بـه. وعندنهُ يُصَفُّو ولاؤه لهم.

لصفة (٩٤):

أنَّهم لا يأتون إلى أداء الصلاة إلا وهم كُسَالَى.

وقد سبق في النص (١٨) من سورة (النساء) بيان أنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، فتكامل النّصان، وذلك أنّهم إذا حضروا لاداء الصلاة مع جساعة المسلمين من مواضع وجودهم فإنّهم بأتون وهم كُسالى، وإذا قاسوا لادائها بعد حضورهم قاموا كُسَالى أيضاً.

والسبب أنَّهم كافرون لا يُؤمنون بجدوى الصلاة .

الصفة (٩٥):

أنهم لا ينفقون نفقة واجبــة أو غير واجبــة إلاّ وهـم كارهـــون، لانَهم إنّـما ينفقــونها تقيّةً غير مؤمنين بأنّ لهم مصلحةً من إنفاقها، إذ هم كافـرون.

الصفة (٩٩):

حينصــا تبـدر منهم بـــوادر تُثِيـر ريـــة المؤمنين فيهم، فَيُـــرِجَهــون لهم الأسئلة الاستفساريَّة عن حقيقة هويِّنهم، وصِلْقِ إيحانهم، يُســارِعُون إلى تفطية مــا بدر منهم، بان يُخلِفُوا الأيمان للمؤمنين على أنّهم منهم، فيقولون لهم: والله إنّنا لمنكم.

ومـا هـم في الحقيقة منهم، بـل هـم كافـرون، قلوبُهم مع إخـوانهم في الكفـر، لا مع الذين آمنوا.

الصفة (٩٧):

أنَّ المنافقين يتجدَّد خوفهم الشديد إلى حدَّ الجزع من أن يُنزل المؤمنون بهم

عقوبة الرّدة، كلّما اكتشف المؤمنون بعض أمارات نفاقهم، وارتابوا بهم، ووجُهوا لهم عبارات الاستفسار عن مُوّيتهم المحقيقية، أو نظرات الارتباب، فهم عندثلةٍ يُقْرُفُونَ فسرقاً شديداً، فيسترون أنفسهم بالأيمان الكوافب.

الصفة (٩٨):

أنهم من شدّة دُصرهم عند ظهور أسارات نضاقهم للعؤمنين، يتمشّرُنَّ لــو أَنْهِم يجدون أيَّ مَخْياً يستترون به، ولــو أنهم وجدوا ذلك لَوْلُــوًّا إلِيه بسُـرُعَةٍ فــاثقةٍ كـُسـرَعَةٍ الْجَمُوحِ من الحَجْلِ.

المئية (٩٩):

كان من المنافقين من يُلمز الرسول في توزيعه للصدّقـات، إذا لم يُعطِهم منهـا، نظراً إلى أنهم غير مستحقين، وهي زكوات تُصُرفُ في الاصناف الثمانيـة، لكنّهم أهل طمع يرغبون في أن يأعلوا من الزكاة بغير استحقاق.

إِنَّهِم إِنْ أُعْطُوا منها رضوا ولو لم يكونوا من مستحقّي الزكاة، وإنْ لم يُصْطُوّا منها لعدم استحقاقهم، إذا لهمْ يسخطون.

وهمذه الصفة ظاهرة في منافقة كلّ عشرٍ وامّة ضدّ اوليـا، الامور مهمـا عدلـوا وأنصفوا.

الصفة (١٠٠);

من المناففين من كان يؤذي النبي ﷺ باتهامه بأنّه أذَنَّ. أي: كالاذن التي تنقل ما تسمع، دون تمحيص وتنبّت ولا محاكمة عقلبة، فهو يشائر بما يَسْمَع ويُخْسِرُه به المخبرون.

وهذه الصفة متكرّرة أيضاً في منافقة كلّ عصر وكلّ أمّة، ضدّ أولياء الأمور، مهما كان أولياء الأمور أهل عقل وحكمة ورويّة وتثبّّتٍ وبصيرة.

الصفة (۱۰۱):

أنَّ المنافقين صنف متميّز عن سائر أصناف الناس، إذْ هُمْ متشابهون في صفاتهم النفسية والسلوكيّة.

الصفة (۱۰۲):

أنَّ المنافقين يأمرون بالمنكر ويُنهُوَّنُ عن الممروف، وهذا الـوصف يتلام مع كفرهم في الباطن.

الصفة (١٠٢):

أنَّ المنافِّين بَخلاء شجحون، يقبضون أيديهم من البدّل في وجوه الخير، والبدّل في الفضائل الإنسانية العامّة، زيادةً على ينطهم عن البدّل في مصالح الإسلام والعسلمين.

الصفة (١٠٤):

أنَّهم هم الفاسقون السفردون بالـدركة السفلي من الفسق، فــلا يشاركهم فيهــا أحَدً، اخذاً من قوله تعالى في السورة:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ۞﴾.

الصفة (١٠٥):

أنَّهم ينقضُون عهودهم ووعودهم ولا يُفُونَ بهـا، ولو كـانت مع ربَّهم إذا عــاهـدوه أن يُطِيعُوا بشرط أن يحقَّق لهم ما طلبوا.

الصفة (١٠٦):

أنّهم يلمزون المؤمنين الصادقين في بعض أعمالهم التي يعملونها كـالصدفـات، ويتّهمونهم بأن لهم أغراضاً دنيوية من أعمالهم.

إنَّهم يقيسون المؤمنين على أنفسهم، كما قال المتنبي:

إِذَا سَسَاءَ فِعُلُ الْمَسْرُءِ سَاءَتْ ظُنُسُونُهُ ﴿ وَصَدَّقَ مِنا يَسْفَسَادُهُ مِس تُسَوَّهُمِ

الصفة (١٠٧):

أنّهم بفرحون بقُعودهم وتخلّفهم عن الخروج مـع المؤمنين إلى قتال الكـافرين، وهذا الفرح من لوازم كفرهم في الباطن.

الصفة (۱۰۸):

أنَّهم يكرهون أن يجاهدوا في سبيـل الله بأمـوالهم وأنفسهم، وهذه الكـراهية من لوازم كفرهم في الباطن.

الصفة (١٠٩):

إصرارهم في كـلّ معركـة على تثبيط من يستجيب لهم عن الخروج إلى قتــال الكافرين.

الصفة (١١٠):

من منافقي الأعراب من يرى أن ما يُكَلَّفُ أنْ يدفعه زكاة ماله، أوغير ذلك من الواجبات المالية، مَشَرَمُ يَفْرَمُهُ بغير حق، فلو كانت له فيؤة تحميه لامتنح عن بـذل ما يُشْطِرُ لِذله.

والسبب في هذا أنَّ الأعراب يشعرون بأنَّهم مسادة أنقسهم في الصحراء، فليس عليهم واجبات اجتماعية يبذلونها، بخلاف أهل الحضر فإنَّهم يشعرون بأنَّ على الأفراد واجبات نحر المجتمع، ولو لم يأمَّز بها الذين.

المفة (١١١):

من منافقي الأعراب من كـانوا يشربُصون بـالرسـول وبالمؤمنين أن تـدور عليهم الدوائر.

ويظهر أنَّ هؤلاء قد كانوا من المرتدين الذي ارتَدُّوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ.

الصفة (١١٢):

التأمر على الأمّة الإسلاميّة مع أصدائها، وقد دلّ على هذه الصفة أحداث بنـاء مــجد الشّمرار، إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر السراهب الذي تــأمر مــع دولة الروم في الشام ضدّ الرسول ودولة الإسلام في المدينة.

الصفة (١١٣):

الاستخفاف والاستهزاء بما كان ينزل من القرآن، غير مكترثين لما نزل فيه من بيانات فاضحات لهم، وكاشفات لصفاتهم النفسيّة وآشارها في ظواهرهم السلوكية، مع أنّهما من البراهين الدَّالة على أنَّ القرآن كلام الله المطلع على قلوبهم ونفوسهم وأسرارهم، وما كانوا يدبَّرون في الخفاء. فكان يسأل بعضهم بعضاً: أيُّكُمْ زاده ما نزل من قرآن إيماناً.

سؤال يتضمّن الاستهزاء بما نزل من القرآن، والاشمئزار منه.

المقة (١١٤):

الانسلال من المجالس التي كمانت تُللِّ فيها سُورٌ جديمة، يُعد أن تتحادث عيونهم بعضها مع بعض بما يذُلُّ على العبارة التالية: هل يراكُمْ من أحدٍ من المؤمنين إذا انصرفتم من المجلس.

حتَىٰ إذا شعروا بأنّهم قادرون على أن ينسَلُوا واحداً بعـد واحدٍ أنصَرَقوا تبـاعاً. لكلّ يسمعوا تلاوة السورة الجديدة المنزّلة.

ويظهر أنَّ هذا يكون مبنيًّا على اتفاق سابق فيما بينهم.









جدول النصوص الموضوعة للتدبّر

النص الأول: من سورة (العنكبوت/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول) السورة (٨٥) من التنزيل المكى، الأيتان (١٠ ــ ١١).

حول بدايات ظاهرة النفاق في المجتمع الإسلامي .

النص الثاني: من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) السورة (١) من التنزيل المدني، الآيات من (٨ – ٢٠).

حول تعريف النفاق وذكر طائفة من صفات المنافقين وظواهر النفاق في السلوك.

النص الشاك: من سبورة (البقسرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ نيزول) السسورة (۱) من التنزيل المدني، الأيات من (۷۰ ـــ ۸۲).

حول توجيه المؤمنين أن لا يطمعوا في أن يؤمن لدعوتهم منافقو اليهود وسائرهم.

النص الرابع: من سورة البقرة/ ٣ مصحف/ ٨٧ نزول) السورة (١) من التنزيل المدنى، الآيات من (١٤٧ ـ ١٤٠).

حول مشاركة المنافقين في إثارة الشبه بشأن تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة.

النص الخامس: من سورة (البقـرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ نـزول) الســـورة (۱) من النتزيل المدني، الأيات من (۲۰۶ ــ ۲۰۷).

حول بعض صفات فريق من المنافقين وظواهر من سلوكهم وهم من الجبارين.

النص السادس: من سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نـــزول) الســـورة (٢) من التنزيل المـدنـي، الأيات من (٤٩ ــــ ٥٥).

حول قول المنافقين بشأن البدريين من المؤمنين إبان غزوة بدر: غرّ هؤلاء دينهم. النص السابع: من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نـــزول) السورة (٣) من التنزيل المدنني، الأيات من (٦٩ – ٧٤).

حول مكينة اليهود بالدخول في الإسلام نفاقــاً ثم الارتداد عنـه، لإغراء غيــرهـم بالردّة.

النص الشامن: من سورة (آل عمسران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) السمورة (٣) من التنزيل المدنى، الأيات من (١١٨ – ١٢٠).

حـول نهي المؤمنين عن اتخـاذ بـطانـة من المنــاففين لأنهم مفــــدون مبغضــون مغيظون.

النص التاسع: من سورة (آل عمران/ ۳ مصحف/ ۸۹ نــزول) السورة (۳) من التنزيل المدني، الآيات من (۱۵۲ ــ ۱۰۵).

حول ما جاء بشأن المنافقين وظواهرهم السلوكيَّة بمناسبة أحداث غزوة أحد.

التص العاشر : من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نــزول) السورة (٣) من الننزيل المدني، الآيات من (١٦٥ ــ ١٦٨).

حول بيان بعض مواقف المنافقين في غزوة أحد وإقساع المؤمنين بأنَّ مـا جرى لهم قد كان من أنفسهم.

النص الحادي عشر: من سورة (أل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) السورة (٣) من التنزيل المدني، الأيات من (١٧٦ – ١٧٩).

حول الذين بدؤوا خطوات النفاق إبّان غزوة أحد ومسارعتهم في الكفر وتربية الله رسوله والمؤمنين بشأتهم.

 عظات حركة الثقاق اقتباساً من النصوص القرآنية المنزّلة في سورة آل عمران.

النص الثاني عشر: من سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نـزول) السورة (٤) من التنزيل العدني، الآيات من (٩ ــ ٧٧).

حول مواقف المناففين وظواهرهم السلوكيّة إبّان غزوة الأحزاب.

جدول التصوص الموضوعة للتدبر

النص الثالث عشر: من سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نـزول) السورة (٤) من الننزيل المدني، الأيات من (٣٦ ـ ٤) والآية (٤٨).

حول موقف المنافقين بشان زواج السرسول من وزينب بنت جحش، ابنــة عمته، بعد أن طلقها هزيد بن حارثة، الذي كان الرسول قد اعتقه وتبنًاه.

النص الرابع عشر: من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) السورة (٦) من التنزيل المدني، الأيات من (٥٩ ــ ٧٠).

حول تحاكم المنافقين إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.

النص الخنامس عشر: من سبورة (النساء/ ؛ مصحف/ ٩٢ ننزول) السورة (١) من النتزيل المدني، الأيات من (٧١_ ٨٤).

حول ظواهر من النفاق تبرز عند المدعوة إلى الفتال وبعده.

النص السادس عشر: من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نىزول) السورة (٦) من النزيل العدني، الأيات من (٨٨ــ ٩١).

حول السياسة التي ينبغي معاملة المنافقين بها بحسب اختلاف أحوالهم.

التص السابع عشر: من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) السورة (٦) من التنزيل المدني، الأيات من (١٠٥ ــ ١١٩٦).

حول ما يجب على القضاة والخصوم وأنصارهم بمناسبة حادثة سرقـة المنافق من بني أبيرق.

بشأن قسم المذبذبين من المنافقين وبعض صفات عموم المنافقين.

النص الناسع عشر: من سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نـزول) السورة (٨) من التنزيل المدني، الآيات من (١٣ ــ ١٥).

حول لقطات من مشاهد أحوال المنافقين يوم القيامة.

النص العشرون: من سورة (محسد/ ٤٧ مصحف/ ٩٥ نزول) السيورة (٩) من التنزيل المدني، الأيات من (٦٦ ــ ٣٣).

حول عدم تفهّم المنافقين لما يسمعون وهلعهم لذى سماعهم آبات السدعوة إلى القتال .

النص الحادي والعشرون: من مسررة (الحشر/ ٥٩ مصحف/ ١٠١ نسزول) السورة (١٥) من التنزيل المدني، الآيات من (١١ ــ ١٧).

حول موقف المنافقين وخياناتهم في أحداث إجلاء يهود بني النضير.

النص الشاني والعشرون: من ســورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نــزول) السورة (١٦) من التنزيل المدني، الآية (١١).

حول موقف المنافقين من حادثة الإفك.

النص الثالث والعشرون: من سبورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نــزول) السورة (١٦) من الننزيل المدني، الآية (٣٣).

حول موقف بعض المنافقين من إكراه الإماء على البغاء وفق العادة الجاهلية.

النص الرابع والعشرون: من سورة (النبور/ ٣٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) السبورة (١٦) من التنزيل العدني، الآيات من (٧٧ ــ ٥٤).

حول كذب المنافقين في ادّعائهم الطاعة، ورفضهم التحاكم لله ورسوله.

النص الخامس والعشرون: من سورة (النور/ ٣٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) السورة (١٦) من التنزيل المدني، الايات من (٦٦ ـــ ٢٤).

حول تسلّل المنافقين من المحامع العنامة بندون إذن، وسوء أدبهم في خطاب الرسول.

التص السادس والعشرون: سورة (المنافقسون/ ٦٣ مصحف/ ١٠٤ نزول) السورة (١٨) من الننزيل المدني، وهي (١١) أية.

حــول بيان حقيقة المتافقين وبعض صفـاتهم الظلهـرة والباطنـة وبعض مواقفهم والتحذير منهم. النص السابع والعشرون: من سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ سزول) السورة (١٩) من التنزيل المدني، الأيات من (٥ ــ ١٠).

حول محادّة المنافقين ثلة ورسوله، وتناجيهم في السرّ بذلك، وتحيّتهم للرسول تحيّة منكرة.

النص الشامن والعشرون: من سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نـزول) السورة (١٩) من التنزيل المدني، الايات من (١٤ ـ ٢٢).

حول اتخاذ المشافقين اليهود أولياء لهم وتستُرهم بالأيمان الكاذبة واستحواذ الشيطان عليهم.

النص الشاسع والعشرون: من سورة (التحريم/ ٦٦ مصحف/ ١٠٧ نــزول) السورة (٢١) من التنزيل المدني، الأية (٩).

حول مجاهدة الكفّار والمنافقين والإغلاظ عليهم.

النص الثلاثون: من سورة (الفتح/ ٤٨ مصحف/ ١١١ نزول) السورة (٢٥) من التنزيل المدني، الآيات من (١ ــ٧).

حـول أثر الفتـح المبين الذي حصـل في صلح الحديبيـة على نفوس المنــافقين المخلّنين وموقفهم.

النص الحادي والثلاثون: من سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نـزول) السورة (٢٦) من التنزيل المدنى، بعض الآية (٤١).

حول تكليف الرسول أن لا يحزن من أجل المنافقين الذين يسارعون في الكفر.

الن**ص الناني والثلاثون:** من سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول) السورة (٣٦) من التنزيل المدنى، الأيات من (١٥ ــ ٥٣).

حول اتخاذ الذين في قلوبهم مرض من النفاق اليهود والنصارى أولياء.

الن**ص الثالث والثلاثون:** من سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول) السورة (٢٦) من التنزيل المدني، الأيات من (٧٥ – ٦٦). بشأن المنافقين من اليهود الذين دخلوا في الإسلام منافقين مكراً وكيداً.

النص الرابع والثلاثون: من سورة (التربة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول) السورة (٢٧) من التنزيل المدني، الآيات من (٤١ ـ ٢٦٩ أخر السورة).

حول عدة ظواهر سلوكية للمنافقين بمناسبة أحداث غزوة تبوك وأخرى إبّانها.



النص الأول

وهو من سورة (المنكبوت/ ۲۹ مصحف/ ۸۵ نزول) الآيتان (۱۰ ــ ۱۱) حول بدايات ظاهرة النفاق في المجتمع الإسلامي

قال الله عز وجل :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن بَقُولُ مَامَتُكَا إِلَّهُ فَإِذَا أُوْدِى فِالْفَجِعَلَ فِتْـنَةَ النَّـاسِ كَمُمَاّسٍ اللَّهِ وَلَهِنجَاءَ فَمُرَّقِنَ رَّيِكَ لِتَقُولُ إِنَّا كُنَّا مَنكُمُّ أَوْلِيْسَ اللَّهُ بِإِنْفَامَ بِمَافِي صُدُورٍ الْعَكْمِينَ ﴿ وَلَيْمُ لَمَنْ أَلْفَالْأَوْنِ عَامُولُولَهُمْ لَمَنْ الْمُنْفِقِينِ ﴾ .

(1)

(')

موضوع النّصَ وسبب نزوله

مسورة (العنكبوت) من أواخر التنزيل المكي، نُوَّل بصدها قبـل الهجرة مسورة (المطففين) فقط، باستثناء الآيات من (1 ــ ١١) منها، فهي مدنيّة، فالنصّ المسوضوع للتدتر نصّ مدنيّ، هذا على أرجح أقوال أهل العلم بعلوم القرآن.

وقيل: السورة كلُّها مدنية، ورُوي عن علي بن ابـي طالب أنَّهــا نزلت بين مكــة والمدنية.

فيظهر أنَّ هذا النَّصَ أوَّلُ نصٌّ نزلَ في المنافقين، وتعرَّض لهم ببعض بيان.

ما ورد في سبب النزول:

رُوِيَ مَا يَنْضَمَّن أَنَّ هَذَا النَّص نَزَل بشان فريقٍ أَسْلموا بمكَّة، وكان حالُهُمْ مع المشركين حَالَ من لا يَصْبِر على الاذي الذي يتعرَّض له من قِبْلهم، فكانُوا إذَا لحقَهُم أنتَى من المشركين تأثّرُوا بالأنتى فأعَظَرْهم ما يُريدون منهم في الباطن، وحنافظوا على انتمانهم للإسلام في الظاهر، ولم يُهاجروا في سبيل الله إلى دار الإسلام مع أنّهم أمروا بالهجرة يومئة.

ذكر هذا الضحّاك وجابر بن زيد، قبال الشيخ محمد الطاهر بن عاشوره في تفسيره: وذُكر أنَّ من مؤلاء (أي: المشاد إلهم في النص): الحارث بنُّ ربيعة بن الأسود ــ وأبو قيس بن الموليد بن المغيرة ــ وعليٍّ بن أميّة بن خلف ــ والعاصي بن ضّه بن الحجاج،

موضوع النص:

يتساول لهذا النصّ بدايات ظـاهرة النفـاق في المجتمع الإسـلامي، وكانت مـع أواخر المـرحلة المكيّة وبدُّه ظروف المـرحلة المـدانية بعـد الهجرة، والـزام المؤمنين في مكّة بالهجرة إلى دار الإسلام في المدينة.

وكان سَبِّ هذا النفاق الذي نجمت بداياته في مكّة ضعفَ الإيسان، والحرصُ على الأموال والمساكِر والمصالح الدنيويّة في مكّة التي كانت يومدني دارَ كفر، يُسيطر على شؤونها المختلفة المشركون

فكمان المسلمون فيهما يتعرّضون للأنى والاضطهاد، أمّا أهل الإيسان القـويّ الراسخ، فقد زادهم ذلك صموداً وثباناً وتحدّباً، ومعظمهم هاجر في سبيل الله.

وضعف آخرون فأقسطوا ما يمريد المشهركون منهم في ظاهر القول، أمّا قلوبهم فكانت مطمئنَّة بالإيمان، وهؤلاء قد عـذرهم الله، فقىال تعـالى في ســورة (النحــل/ 17 مصحف/ ۷۷ نزول):

﴿ مَنكَ فَرَ بِالْقَدِينُ مِنْدِ إِيمَنِيهِ إِلَا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْمُمُطْمَهِنَّ إِلَّا لِيمَنِي وَلَيْكِنَ مَنْ شَرَّعَ إِلَّالَمُوصِدُ رَافَعَلَيْهِمْ عَضَبُّ مِن اللَّهِ وَلَهُمْ عَلَابُ عَظِيدٌ ۞﴾.

ومن الذين أعطوا المشركين ما أرادوا منهم في ظاهر الفول نقيَّة «عمار بن يامسر» لكِنُّ قلبه قد كان مطمئناً بالإيمان.

أخرج عبد الرزاق، وابن سعد، وأبن جسرير، وابن أبي حساتم، والحاكم

(أخذ المشركون عمّارَ بن ياسر، فلم يتركوه حنّى سبُّ النبسيّ ، وذكر الهتهم بخير، فتركوه، فلمّا أنّى النبيّ ، قال:

وما وراءَك؟،

قال: شرًّ، مَا تُرِكْتُ حنَّى نِلْتُ منكَ، وذكرتُ آلهتُهُمْ بخير.

قال: وكيف تُجدُ قلبكَ؟،.

قال: مطمئناً بالإيمان.

قال: وإنْ غادُوا فَعُدُهِ.

فنزلت;

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهُ وَقُلْبُتُومُ طُمَونٌ بِإِلَّا لِإِيمَانِ ﴾.

قال: ذلك عمّار بن ياسر:

﴿ وَلَنَّكِن مَّن شَرَحَ بِٱلكُفْرِصَدُ رًّا ﴾.

عبدُ الله بن أبي سُرْحٍ).

وكان إيمانُ فئة ثالثةً صعيفاً، فعادوا إلى الكفر باطناً، تبحد تأثير ضغط المشركين، وفتتنهم لهم، وأثر الخوف من التعذيب فيهم تأثيراً بلغ مُعَن فلويهم، كسا يُؤثر الخوف من علاب الله العاجل والأجل، في فريق من الناس، فيؤمنون، ولكنهم مع كفرهم باطناً حافظوا على ظاهر إسلامهم، ولا بد أن يكون هذا بعلم المشركين الذين هم في مجتمعهم، وكان استبقاؤهم الانتماء إلى الإسلام ظاهراً له صلة دوافع،

- (١) أنَّ لا يُوصَمُّوا بالارتداد عن الإسلام بعد دخولهم فيه .
- (٢) أن يكونوا محسوبين مع المسلمين إذا انتصروا واستقرّت لهم دولةً في المدينة، وأخذت تتبيع.

(٣) أن يكونوا في حالة سِلْم والمن من قبل ذولة الكُفْر في مكة، ودولة الإسلام
 في المدينة.

فجاء هذا النص من سورة (المنكبوت) كماشقاً سوقف هؤلاء المنافقين، ومُلُوّحاً لهم بالرعيد، أي: إذا لم يتروبوا، ويصودوا إلى الإيمان صادقين مخلصين، ويؤثّوا مقتضيات الإيمان الصحيح الخالى من النفاق.

(١) المفردات اللّغوية في النصّ

﴿ أُوذِيَ ﴾:

يُقال لغة: آذاهُ يُؤْدِيهِ إيذا، اي: انزل به ما يحرُهُ. ويُقال: أَذِي الرجلُ يأَذَىٰ أَدَىٰ وَأَذَاهُ وَاؤِبُهُمْ } إذا نَزْلَ به انتُى، والأَذَىٰ هـو الفسـرر غيـر الجسيم، قـال تعـالى: ﴿ لْأَنْ يَشُرُّوكُمُ إِلاَّ أَفْنَهُمْ.

﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾:

أي: جعل التعذيب والاذى الـذي يأتي من قِبَـلِ الناس، فـالـمرادُ من الفتنــة مُخَا التعذيبُ وإنزالُ الأذى.

- - -

مع النصّ في التحليل والتدبّر

قولُ الله عزَّ وجلُ :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَاشَكَا إِلَّهُ فَإِنَّا أُونِيَ فِي اللَّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَمَدَابِ اللَّهِ وَلَهِنِجَةَ مَشَرِّضِ رَبِّكَ لِقُولُنَّ إِنَّاكُمُ المَّمَكُمُّ . . . ۞ .

مع بدايات ظهور النفاق في المجتمع الإسلامي من قِبَلِ بعض الـذين أَعْلُنُوا

إسلامهم ني مكّة، ولم يُهاجروا مع المهاجرين، وكان ذلك إبّان هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ومع أواثلها على ما يظهر.

في هذّه الاثناء أنزل الله عزّ وبتلّ في سورة (العنكبوت) بياناً يكشف فيه للرُسـول وللمؤمنين معه هذا الفـريق من الناس، ويُبيّن فيه للمنافقين أنفسهم أنَّ مـا في قلوبهم لا يخفى على الله منه شيء، فقال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ مَا مَنْكَ إِلَّاهُ ﴾:

أي: رُوَّجِد فريقٌ من الناس مَنْ يقولون بالستهم: آمنًا بالله، فدكر سبحات وتعالى أنَّهُمْ من الداس، ولم يسذُكُر أنَّهم من المسلمين أو من الدونين، لأن كلمت والناس، كلمة عامّة تشمل جميع الناس من أهل الإيمان ولمئر وذكر تعالى أنَّهم يقونون بالدين الدين يقولون بالستهم، ولم يذكر أنّهم يؤمنون بطويهم، ليشمل أيضاً ضعفاء الإيمان الدين لم يتغلش الإيمان في قلويهم بنفدً، والذين ظهرت منهم ظاهرة هي من أمارات النفاق أو تجرُّ إله.

وكنان هذا كمنا وضبح لنا في أوّل بينان عن ظساهرات النفساق في المجتمع الإسلامي.

وهذه الظاهرة فيهم ذاتُ وجهين:

الوجه الأول: أنّهم إذّا نالهم أفثّ من جهة الذين تقرّوا ارتشّوا إلى التُّفر سرّاً. واستَرْضُوا بردّهم هذه الكافرين، واتّفقوا معهم على أن يكتموها عن المؤمنين، ليدفعوا بذلك عن أنفسهم ما يترغدهم به الكافرون من تعذيب أشدً.

وتـــلاحظ أنّ الله عزّ وجيلًا عبر عن رئتهم هـــله بأنهم جعلوا الذى الكــالوين لهم، وَوَعِيدهم لِمَاهم بتعــليب الشدّ من أجل ليماتهم، بشُلُ عذاب الله الــلـى قد يُسْرُلُ الله طائفةً منَّ اموياناً بالكافرين تأديباً وزيبةً وذليلاً على عذابه الأكبر، ومثلُّ عذاب الله الذي يُسْفِرهم به إذا لم يؤمنوا، فيخاف منهم من يخاف، فيؤمن ويُسْلِبُه، ليشاراً للسلامة، ودفعاً لمــذاب الله الأشــدُ الــذي اشتعلت عليه نصــوص الــوعيـد للكــافـرين والمصــاة المســرفين على أنفسهم بالقِــنْق والبغي والظلم، فقال تعالى:

﴿ فَإِذَآ أُوذِي فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاصِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾:

أي: فإذا أوذي من يُمَلِ الكافرين من أجبل مُسِيرة في سبيل اهم، ليرتُدُ عده، ويشكّلُ مسالِكُ الكافرين، ويَتِم خُطوات الشّياطين، جعل بتصوّره الفاسد الباطل، فِتَهُ الكَافرين لهُ بالتَّم باللهُ بِه أَوْ يُمَاقِب، ليَرْتُوعُ المذي يُقونُبُ اللهُ بِه أَوْ يُمَاقِب، ليَرْتُوعُ المذي يُقونُبُ اللهُ بِه أَوْ يُمَاقِب، ليَرْتُوعُ المذي يُعون عذاب الله الشياء المنظمان المواضين إتما هو لإخراجهم من الثور إلى الظلمات، ومن السُّمادة إلى الشامات الأبدي، وما يُجريه الله من ناديبات للكافرين والعصاة، إنما هو لإخراجهم من الظلمات الحالة.

إنَّ التُشْهِر بجعل هـذا الفريق فِتُنَةَ الناسِ بشَلَ عَذَاب الله كناية عَنْ رِدَّتُهم عن الإسلام سرَّا، هو تعبير عن السبب النفسي الذي جعلهم يَوْنَدُون. وقد جاه فيه الاستغناء بالتعبير عن السبب ليكون كناية تدلُّ على ما نجم عنه من ظاهرة نضاق جمعت ردَّة معلومة لأوليائهم من الكافرين، ومكتومة عن جمهور المؤمنين، إذَّ إلْهُوا التماعَمُمْ إلى الإسلام مُعْلَمَا في الظاهر، برغية المحافظة على كلمة الإيمان التي سبقت منهم تجاء المؤمنين.

وظاهرة النفاق هذه جاه في النصّ ما يدُلُّ عليها بوضوح، كما سيأتي في فقراته الآتيات.

الوجه الشاني: أنَّهم وَطُنُوا أَنْفَسَهُم على أن يقولوا للمؤمنين ببيان مؤكَّد: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، فيما لو انتَّضرُوا مستقبلًا على المشركين، وكانت لهم قُوَّةً وذولة.

لكِنَّ احتمال انتصار المؤمنين على أصدائهم قد كان في تصوُّر هؤلاء احتمالًا ضعيفاً مشكُّوكاً فيه، ورغم ذلك فقد احتاطوا لانفسهم في أمرهم، فأتَخذوا لهم من سلوكهم الظاهر وجهاً، وفي بيان هذا الوجه قال الله تعالى:

﴿ وَلَهِن جَآهَ نَصْرُ مِن زَّيْكَ لَيْقُولُنَّ إِنَّاكُنَّا مَعَكُمْ ﴾.

في هذا البيان تُلاحظ أنه جاه ذكر النصر الذي سباتي من الله للمؤمنين أمراً احتماليًا مشكوكاً فيه , إذَّ جاء التمبير عنه يكلمة ﴿إِنْ ﴾ الشرطيّة التي تُستَمعل خالباً في الأمر ذي الاحتمال الضعيف المشكولة فيه . والسّبُ في هذا أنَّ البيان جاء معبراً عن حالة هؤلاء المنافقين النفسيّة، فهم كانوا بومثلٍ يستيعدون أن ينتصر المؤمنون في المدينة على المشركين في مُكّة، فكاننوا يُعدُرون في نفوسهم أنَّه إنَّ حصل هذا الاحتمال الضعيف المشكوك فيه، فإنَّ لمديهم تولاً يقولونه للمؤمنين، بسبب انتماثهم إلى الإسلام الذي حافظوا عليه ظاهراً، ولم يتفضوه بالسنتهم كما نفضوه في سرَّهم، إذَّ سيقولون للمؤمنين: ﴿إِنَّا مَمَكُمْ ﴾.

والخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَبِنْ رَبِّكَ هِ هـو للرُسُول الزَّهُ، ثُمَّ لَكُلُّ صالح للخطاب من بعُدهِ بصورةِ إفرادِيَّهُ، والفرضُّ فيما يظفر أن يكون التحذير من المنافقين تحذيراً إفرادياً لَكُلُّ العومين، وأن يقوم كلُّ مؤمن بواجب الحذر المعلوب من النافقين، وواجب مراقبة الظواهر في السلوك للاستدلال بها على البواطن.

وَسَلاحَظُ أَنَّ اللهُ تَمَالَى أَكُنَدُ هَذِهِ النَظَاهِرَةِ فِي هَنَا الفَرِيقِ مَنَ السَّاسِ بِالْقَشَمِرِ وَمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مَن مُؤكّدات، فَاللَّامِ فِي: ﴿ فَلِيَنَّهُ هِي المُموطّنَةُ لَلقَسْمِ، وجملة ﴿ لِلَّقُولُنُ ﴾ بما فيها من نون توكيد ثقيلة هي جواب القسم المحدوف.

* * *

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ أُوَلِيْسَ اللَّهُ إِنَّامُ مِمَا فِ صُدُورِ الْعَلَمِينَ ۞ وَلَيْعَلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيكَ مَا مُوا وَلَيْعَلَمَنَّ الْمُنَافِقِيكَ ۞ ﴾.

بعد بيان الظاهرة الفاقية ذات الوئهيئين، في هذا الدين من الناس الذين تَشرُضَ النَّصُّ لبيان حالتهم ذَكَرُ الله عزَّ وجل بصفة من صفاته الشابئة له تبارك وتعالى، وهي صفة شمول علمه لكل شيء ظاهر وباطن، ومن ذلك عِلْمُهُ بما في صدور العالمين، نقال تعالى بأسلوب الاستفهام اللذي ليس له صند من يؤمن بالله وَيَّأَ خالقاً إِلاَّ جواب واحد:

﴿ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صَّدُودِ ٱلْعَنْكَدِينَ ۞ ﴾ :

أي: أوَلِيْسَ اللهُ بِاعْلَمْ مِن كُلُّ عَلَيْمِ بِمَا فِي صَدُورِ العَالَمِينَ جَمِيعاً، ومِنْهِمُ أصحابُ الصَّدُورِ أَفْسَهِم، ومِنَّا فِي الصدورِ الإيسان والكفر والضاق، فَمَن أَوَلِيُّاتَ القضايا الإيمائية التعلقة بالله الرَّبِّ الخالق أنَّه مَزَّ وجلُّ يُجِيطُ بكل شيءِ علماً، فهو يعلمُ السَّرِّ وما هو أخفر من السَّرَ، لا تخفي عليه خافية. فالجوابُّ على هـذا السؤال لا أبدُّ أن يكـون: بلى. أي: هو أعلم من كـلّ عليم بما في صدور العالميين من الإنس والجنّ والملائكة وكلَّ فني صَدَّدٍ يحتوي شيشاً ما من كلّ كائن حيّ.

بعد التذكير بهذه الصفة من صفات الله الجليلة، أبدان الله عزّ وجلّ حكمته من تعريض الناس لفتنة المؤمنين والمسلمين بالكافرين، إذْ وضع الناس موضع الامتحان في ظروف الحياة الدنيا، ومن ذلك تمكين الكافرين ضِمْن انظمة الكون السبيّة، التي يتصرّف الناس فيها باختياراتهم الحرَّة، من إيذاء المؤمنين، أو تمذيبهم في الحياة الدنيا.

إنّها حكمة الابتلاء الذي يَخْتَبِرُ الله به ما في قلوب الناس من إيمَـان وكفر ونفــاقى وغير ذلك، فقال تعالى :

﴿ وَلَيْمَ لَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيكَ وَامَنُوا وَلَيْمَ لَمَنَّ الْمُنْفِقِيكَ ۞ ﴾.

أي: ولَيَشْلَمَنُ الله ـ بما يتعرَّضُ لـه الناسُ تباعاً من امتحانِ في ظروفِ الحياة الدنباء علماً بقدَ الرقوع الفعلي مطابقاً لعلمه السابق قبـل الوقـوع الفعليّ، كَيْفَلَمَنُّ حقيقة أحوال الّذين آمَنُوا صادقين، وحقيقة أحوال المنافقين، وهكذا إلى سائـر أحوال الناس جميعاً.

فتمكينُ اللهِ الذين كفروا من إيذاء المؤمنين او تعذيبهم في ظروف الحياة الدنياء يتمُّ به تعييزُ المؤمنين الصافقين، من ضعفاء الإيسان، ومن العنافقين، وبدلك ينحقق العلمُّ الرَّيَانِي الذي يتعلَّقُ بما وقع فعاك، مطابقاً للعلم الرَّيَانِي الدي كان متعلَّماً بعا سيقم، ويتحقق إيضاً للمملاككة المحوكلين بأعمال العباد مثلُ هذا العلم المستند إلى مراقبتهم لما يشمَلُ العباد، ثم تَبُّم محاسبةُ الناس على ما صدر عنهم في الواقع، لا على ما كان معلوماً هُ بأنَّه سيُصلَّرُ عنهم.

والله أعلم.

النبص الثانبي

من سُورَةِ (البقرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ نزول) أول سورة مدنية الآيات [من الآية (۸) إلى الآية (۳۰)] حول تعريف التفاق وذكر طائفة من صفات المنافقين وظـواهـر النـفـاق في الســلـوك

يمد أنَّ أيان اللَّهُ عَزَ وَجَلَّ فِي مُسَطِّلُع صورة (البقرة) صفات العنتين، فصفات اللَّلِينَ كفروا مُصِرِّين على كفرهم عنداداً مع ظهور الحق لهم، حتَّى اسْتوى بالنسبة إليهم الإنّذارُ رَعَدَمُهُ مُهَمَا كان الإنّذارِ المعوجَّه لهم إنسفاراً بِمَاقِمةِ إشلاكِ شديدٍ مُـاحِقٍ، فإنهم لا يؤمون.

بعد ذلك ذكر الله عزّ وجلّ قِسْمَ المنافقين، وأبيان حقيقتهم، وفصّل في بيبانٍ وقيق غائلةً رُئيسيَّةً من صفاتهم، وهي الصفاتُ التي برزت فيهم أيّانُ المرحلةِ الممدنيَّةِ الأولى التي نزلت فيها سورة (البقرة) فقال الله عزّ وجلّ فيها:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن بَقُولُ امْنَا بِاللَّهِ وَالْهِ وَالْاجِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِدِينَ ﴾ يَحْدَ عُومُ اللَّه وَالَّذِينَ الشُواوَ مَا يَفْدَهُ عُونَ إِلَّا الفُسَهُمْ وَمَا يَشْمُونَ ۞ فِ الْفُوجِمِ مَنَ هُ فَوَا وَالْم مَرَمًا وَلَهُمْ عَدَابُ أَيْدُ بِمِنا كَافُوا يَحْدُهُ بُونَ ۞ وَاذَا قِلَ لَهُمْ الْفُنِيدُ وَافِي الأَرْضِ قَالُوا وَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهِ مِنَ الْمَافِيمُ هُمُ الشَّفِيدُ وَنَ وَلَكِنَ لَا يَشْعُهُونَ ۞ وَالْإِقِلَ لَهُمْ عَامِنُوا كُمْنَا مَلَوْلُ اللَّهِ مِنَ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِلَّالِيَالِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِ الل

...

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

 (١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: [يُخَادعُونَ اللّهُ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلّا أَنْفَسَهُمْ وما يشْعُرُون].

وقـراً سـاشـر القـراء: [يـخـادِعُــونَ اللَّهُ والَّـذِينَ آمَنُــُوا ومَـا يَخْـذُعُــونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ومَا يَشْعُرونَ]، وسيئتي في الشرح الحكمة من القراءتين إن شـاه الله .

(٢) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: [وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ].
 وقرأ سائر القرآه: [بما كأنوا بُكذَّبُون].

وبين القراءتين تكاملُ في المعنى، فهم يُكْذِبُونَ في ادَّعـاء الإيمــان والإســـلام إذْ هم منافقون، وهم يكذُّبُونَ الرَّســول، ويُكذَّبُونَ بَايات الله وبكتابه.

. . . .

مع النصّ في التحليل والتدبّر

أول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَا مَنَّا بِأَلْقِهِ وَفِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِدِينَ ١٩٠٠.

فيه بيانُ أنّه بوجد صنف من الناس اعلنوا بالسنتهم إسلامهم، ودخلوا ضمن صفوف العؤمنين، وقالوا مثل مقالة العؤمنين الصادتين: وأمنّا بالله وباليوم الأخره مح أنّهم في حقيقة أمرهم ليسوا بعؤمنين، لأنّهم يقولُونْ بالسنتهم ما ليس في قلويهم. إِنَّ فلوبهم غير مُوْمِنَة. فالسنتهم بـإعلانهـا تَقَدُّمُ ادَّعـاءُ كاذبـاً، إذْ هُو غيــر مطابق للواقع الذي هم عليه في دخياة نفوسهم وقلوبهم.

وَللاحظ أنَّ النصَّ قد بدأ بتقديم تعريفٍ محدَّد لهذا الصنفِ من الناس: يقولُونَ: ﴿ عَامَنَا هِاللَّهِ وَيَالْمَرُومُ الْفَرْجُرُومَا هُمْ بِمُثَّوْمِنِينَ ﴿ ثَمَا هُمُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ عَ

واقتصر النص في بيان مقالتهم على إعلان الإبصان بالله وبالبوم الأجر، لأنَّ هـ فين الركتين من أركان الإبمان همه الرُّكنان الاساسيّان في قضية الإبمان لساشر الأركان، وهي لوازمُ لَهُمَا أو فروعُ عنهما.

* * *

وبعد التعريف بهمذا الصنف من الناس، أخذ النصّ يبيّن طـائفـةً من صفـاتهم النفسيّة والسلوكية .

فبدأ ببيانِ الباعث المباشر لهم على إعلانهم الكاذب، وهو رغبة المخادعة، فقال الله عزّ وجلٌ:

﴿ يُخَدِيعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ مَامَنُوا وَمَا يَغْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞﴾.

قرأ جمهورُ القراء: [رَمَا يَخْذَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ].

وقرأ نافع وابنُ كثير وأبو عَمْرو: [وَمَا يُخَادِعُونَ].

المخادعة: هي إظهار ما يوهم الصدق والسُّلامة والسُّداد، وإبطانُ ما فيه خـلاف ك.

والمحذادَعَةُ تتضمَّنُ اسْتِفْفَالَ مَنْ يُراد خَدَّعُهُ لإبضاعه فيما يكره، بـانْ يُطْهِرَ المحادِعُ لَهُ مَا يُعِبُّ، ويُمُغْنِي عنه ما يكره، تغريراً به.

وأصل مادَّة وخَدَّع، فيها معنى الاستخفاه والتواري، ومنها المخدع.

وفعل ويُخادع؛ بهمذه الصيغة يدُنُّ في الأصل على العشداركة، ويمدُّلُ لِيُضاً على العبالغة والاجتهاد الزائد في العمل ولو كان من طمرفٍ واحد، لأنَّ منْ يُضَالِبُ عَمره في عمل ما يُبالغُ مِن طَرَفِهِ بَبْدُل غَانِيْهِ الجَهْدِ، الذي يستطيع بذله، والمنافقون بيالضون جدًاً في استخدام الخداع، ويُشْعِنُونَ فِيهِ ببذل غايَةِ جَهْلهم، حتَّى كانَهم في معركةِ مُخَادَعَةِ بَيْنَهُمَّ وبين المؤمنين.

ويمدلُ الفعل المضمارع في [يُخادعُمون] على تجديمد الخدع وتكريره مسع مرور الزّمن، وهو ما يحتاج إليه المنافقون باستمرار.

أمًا مُخَـادَعَتُهُمْ للذين آمنـوا فـظاهــرة، ولكن كيف يــــُـادعـــون الله وهــــو العليم بسرائرهم، ويكلِّ مَا يَمْـكُرون؟

والجوابُ أنهم إذ يخادعن الذين آمنوا مع أن الله معهم ما الترصوا تعاليمَـهُ وَهُوَ ولهم، إنّصا يحادعون مَقهُم اللهُ رَبّهم، الذي يتولاهم بناييدو ونصّوه، ويحميهم من مكر المنافقين وكِيّدهِم، لـذلك فهم بغفلتهم عن هـلِه العقيقة أو بجحردهم لهـا لا يُخدَفُمون ولا يُخدادِهُون إلا أنْصَتَهُم، إذ إنّهم هم السواقمون في شـرّ أعمالهم، والساقطون في ألَّحَفر الذي يحفرونها للمؤمنين، وهذا يُبين أنهم هم التَحَدُومُون لا الخادِهُون، نظراً إلى أنَّ خديمتهم مردودةً عليهم من حيث لا يشعرون، وسِهَامُهم، مُثَقِلةً إلى نُحُورهم وهم لا يعلمون.

فهم في مخادعتهم للمؤمنين المؤلدين من الله العزيز الحكيم يَكُبُّر بهم ذكاؤهم، فَيَسْتُشُونَ فِي خُفْرَةِ سحيقةً مِنْ حُفْر الحماقة والغباء.

إنَّ من يخدعُ من لا يَتَخَدِعُ بـه، بل يُردُّ مَكُرُهُ إليه، ويقلبُ كيـده عليه، إنّمـا يخذُعُ نفسه.

وَنَتُبِيءُ القراءتان: [وما يُخادعرن ــ وَمَا يَخْدَعُون] على أنّ المنافقين فيهم مُنْ يَخْدَعُ بِصورة عاديّة، وفيهم من يُخادع مبالغاً بحسب مقتضيات الأحوال، فتكاملت الفراءتان في الدلالة على هذا الواقع، وجاه الاستغناء بقراءة [وما يُخْدُعُونُ إِلاَّ أَنْضُمُهُمّ] عن أن يُرد في المظابل قراءةً فيها: يَخْدَمُونَ الله. فالذين يخدعون الله لا يخدعون إلاَّ أنفسهم، والذين يخادعون الله لا يخادعون إلاَّ أنفسهم،

...

ربعُـد ذلك بَيْن الله عزَّ وجلَّ العلَّة الاساسيَّة التي جعلتهم ينــافقون ويُخْـدُحُـون ويُخَادِعُون فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فِي تُلُوبِهِم مِّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَكَ ﴾.

إِنَّ العَلَّةَ الأساسيَّة لـظاهرة النَّصَاق لديهم أنَّ في قلوبهم مرضاً، فما هو هـذا المرض؟

لدى التحليل الفاحص يشيئ لنا أن هذا السرض النفسيُّ الذي وصل إلى داخــل دالـرة تلويهم هو من نــوع الأمراض الخَلَيْــة، وهو سرض مركب من عناصــر هي في هيئتها التركيبيَّة تُشكُّلُ مرضاً مكتسباً عملت إراداتُهم على اكتسابه، وهي:

- (١) الجبن المصحوب بالخوف من نزول المكاره، وفوات المصالح.
 - (٢) الطمع الشديد بالمناقع والمغانم الدنيوية.
- (٣) خلَّق المجحود والكنود، صع معرفة الحق وظهـور أدلته، وهـذا من بواعث الكفر في الباطن.
- (٤) خُلُق كراهية الحقّ الذي يخالف الأهواء والشهوات ونزعات الكبر والحسد،
 ورغبات الفجور في الأرض، وهذا من بواعث الكفر في الباطن أيضاً.
- (٥) الشعور بالقدرة على اتّخاذ حَيل الإخفاء والمصانعة والتنظاهر بغير ما في النفس من مشاعر وأحاسيس، وهذا من بواعث انخاذ مسلك النفاق في الظاهر.

لكنَّ الـذين يعشون في حالة التناقض بين ظواهـرهم وبـواطنهم، يتعرّضـون بــاستمـرار لـسـذاب القاتى، والخـوف من الفضيحـة، والضغط على النفس، لتعمـــل ما لا تهوى، يُغَيِّة المصانعة والظُّهور بما يتلام مع الإعلان الكانب.

وهذا نوع من العذاب يُجُنُونَه على أنفسهم بأيديهم، لذلك قال الله تعالى: ﴿ فَكَرَادَهُمُ أَنْفُهُمُ مُرَضًا ﴾:

اي: فزادهم اللهُ آلماً وصداياً، كلما زادوا نفاقاً، وتُوعُلوا في قباتحه، وممّا لا ربب فيه ألهم كلما توغلوا في الفاق، وطال عليهم الأمد، وهُمْ يُضْاهدون أنَّ شـوكة المؤمنين المسلمين الصادقين تُشَكَّ، وقُدُونُهم تعظم وتعشدٌ، زاد عدائهم النُّسيُّ هـذا، حتى يتغلقل إلى عُمْنِ قلويهم. وعلى هـذا فالسعنى: فـزادهم الله عـذابـاً والمأ كلّمـا تطاول أمـدهم في النفاق، وهذا من سنن الله في عقوباته المعجلة.

وفي هـذا التعبير إيمـاءً إلى أنّ الله عنزّ وجلّ سِنْصُسُرُ العوْمَيْن وَيُمَكُّنُ لهم في الأرض، ويَخَذُل الكافرين، ويسلّهُمُّ أسباب القوة والنمكُّن في الأرض، وهذا أسر من شأنه أن يَتَغِظُ السنافقين، لأنّهم مع الكافرين في الباطن، وهو يزيدُهم عذاباً والماً.

ففي هذه الجملة إذاً: [فزادهم الله مرضاً] بيانٌ للمقوبة المعجّلة التي يُعانـون من آلامها، عن طريق مرض قلوبهم نَفْه، الذي جعلهم يسلكون مسالك النفاق.

إِنَّ عـــذَابَ النفس يكون من خلَق الىخــوف الذي يتــوَلَد عن الحبن أوَّلًا، ويــزيدُه دواماً توقَّع انكشافِ أمرهم، وهَتْلُك بـنترِهم.

ويكونُ ايضاً من القلق المذي يُولَمده الطمعُ مَنْ تبوقُع الحرمان، وهو الطمع المتارجع بين المؤمنين والكافرين المصحوبُ بالفلق والخوف من الحرمـان، والخوف من هنك الشتر والتعرّض للنقمة.

وقد يَمَسُّهُمْ عذابُ الضمير الذي قد يحدُّثُ ننيجةَ جحود الحقِّ، مع الاستمرار على تلفيق الأكاذيب، وتصنَّع الظّراهرِ المخالفةِ لطبيعة النطرة البشريّة.

وقىد يُتْزِلُ بهم عَـذَابُ الام تَقْـبِيَّهُ شَـدِيدةِ نَبِيجَةُ فَصَـر اللهُ المؤمنين الصداقين وتعكينهم في الارض قُـوَةً وَسُلطاناً، ونَبِيجـةً جَذَلانِ الكافـرينِ، وسَلْبِهمْ شيئاً فشيئاً أسبابُ تعكّيهم في الارض.

كُلُّ ذلك من العقوبات المعجَّىلاتِ النُواتِي يُعاتَّدُون من آلامها المتفَّجُرةِ داخل نفوسهم، وعن طريق المسرض نفسه، المذي جعلهم ينافضون، ظائين أنهم بَجَلَّبُرون به لانفسهم خيراً وسعادةً وراحةً ولذَاتٍ ومنافغ ومصالح، ويَذْفَقُونَ به عن أنفسهم مَخَاطِرَ وَمَشْرَات.

أمَّا العقوبة المؤجَّلة إلى يوم الدّين، فقد جاء بيانُها في قولِهِ تعالى:

﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ بِمَاكَانُواْ يَكُذِبُونَ ۞ ﴾.

قَرَأُ الكوفيونُ: [يَكْذِبُون].

وقرأ باقي القراء العشرة: [يُكَذُّبون].

فدلُ قولُه تعالى: ﴿ بِمَا كَانُوا﴾ مُسْتَخْدَماً صيغة الفحل الماضي، على أنّ سبب الصذاب الأليم الذي هـر لهم قـد سبّق آيـام حيـاة ابتـلائهم، أي: فهم الأن في حيـاة العجزاء يوم اللّذين.

وذَكَرُ أَنَّ السَّبَ الحقيقُ هُو كُفُرُهم، إذْ كَلَيْوا رَسُول اللَّهِ في سَرَائِرهم، وكَلَيُوا يوافَعُهُم به يما جاءَهُمْ به من عند ربَهم، وكذيوا بالنَّذُو، وكَذَيُوا بادَعاتهم أنَهم مؤمرون صلاقون في إصلائهم إسلامهم، مع أنهم منافضون يُنْجِلُون الكفر ويُنظهرون الإسلام، فتكاملت القرامان في الدلالة، إشااهما أبانت كذِبهُم، والأخرى أبانتُ تَكَذِيبَهُمْ بالحقّ، وهذا من أيجاز القرآن وإعجازه.

. . .

وبعد التعريف بهذا الصنف من النّاس، وبيان الباعث العباشر لهم على النفاق. وبيان العلّة النفسيّة الأساسيّة التي هي المعرض الخلّيقُّ الذي كنان في هيئته الشركيبيّة وآثاره من مُكتسباتهم الإراديّ، والذي وصل إلى عمق قلوبهم.

شرع النَّص في بيان طائفةٍ من ظواهرهم السلوكيَّة، فقال الله عزَّ وجلُّ :

﴿ وَإِذَاقِيلَاتُهُمْ لَالْفَيدُوافِي ٱلْأَرْضِ قَالْوَاإِنّمَا غَنْ مُصْلِحُوكَ ۞ ٱلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْيدُونَ وَلَكِمَنَ لَايَشْمُهُمَ ۞﴾.

فَسَادُ الشيء: تحوُّلُه عن حالة النفع والفائدة إلى حالةٍ دون ذلك، ويكون الفســـاد كُلِّيًا أُوجُزْنِيًاً.

وإفساد الشيء: يكون بتحويله عن حالة النفع والفائدة، إلَىٰ حالةٍ دون ذلك.

فإفسادُ الزَّرْعِ يكون بِإثْلافه كلَّه أو بعضه، وإفساد البناء يكـون بالتهـديم منه على وجهٍ يضرَّ به، أو يُفُوَّت من منافعه.

وإَفْسَادُ النفوسِ يكونُ بتحويلها عن صحتها الطبعيَّة أو الخلقيَّة، إلى حالاتٍ تَجُرُّ لَهَا اولِغَيْرِها آلِاماً وَمَناعَبْ.

والإفسادُ في الأرض يكون بممارسات الظُّلم والْعُدْرَان، وقَطْع ِ الطَّريق، والقتل،

واستعباد الناس، وأكل أموالهم بغير حقى، وهفشم حقوقهم، ويكون باستعمال المضارّ والمؤذيات ونشرها، ويمقاومة المؤمنين الصالحين، ونشر المعاصي والمدويقات التي تجلّب للنساس الشرور والآلام، والأسراض والأسقام، وأنسواغ العمداوة والبغضاء والخصام، كَنْشُر الزّنا، والشرقة، واللواطة، ونشر شُرب الخمور وتناول المعفرُوات المهلكات، ونشر القمار والرّبا، ومنع مساجد الله أن يُذكّر فيها اسمه، وكمماونة الكافرين، ومناصرة الظالمين، وخذل المؤمنين، وتدبير المكايد ضدّهم، ومخادعتهم والتغير بهم.

ولذلك جاء في وصف قوم لوطٍ وصفّهم بأنهم قومٌ مفسدون، بعد ذكر طائفة من أعمالهم، منها إنبان الفاحشة، وقطُمُّ السطريق، وإنّيَانُ المنكرِ في ناديهم، فقال الله عزّ وجلّ في (سورة العنكبوت/ ۲۹ مصحف/ ۸۵ نزول):

﴿ وَلُوسًا إِذْ قَالَ لِغَوْمِهِ وَانَّكُمْ أَنَا أُونَ الْفَاحِسُمَةُ مَاسَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدِثِنَ الْعَنْكِينِ ۞ آمِينَّكُمْ أَنَا أُونَ الْإِمَّالُ وَقَفَاهُونَ السَّبِيلَ وَقَالُونَ فِي تناويكُمُ الْشُكِرِ ثَمِّنَاكُانَ جَوَابَ قَوْمِهِ وَالَّا أَنْ قَالُوا الْفَقِيدِينَ إِسَّدَانٍ اللَّهِ اللَّهُ كُنْ مِنْ الْمُفْهِدِينَ ۞ قَالَ رَبِ اَنْصُرْفِ عَلَى الْفَوْرِ الْمُفْهِدِينَ ۞ \$

وجاه في وصف فرعون وقومه، وصفّهم بألّهم قوم مفسدون، يصد وصفهم بألّهم قوم فاسقون، فدلَ على أنّ الفشّق منّا يؤكّي إلى الفساد في الأرض، فقال الله عزّ وجلّ في معرض الحديث عنهم في سووة (النمل/ ٧٧ مصحف/ ٤٨ نزول):

﴿ إِثِهُمُ كُولَا فَوَا فَسِيقِينَ ۞ فَلَنَا جَاءَتُهُمْ مَائِنْنَا مُسْمِرَةُ فَالْوَاهَٰذَا سِخْرَتُمِيثُ۞ وَعَمَدُواجٍ، وَاسْتَقَنْتُهُمَ الْمُنْهُمُ طُلْمًا وَمُؤْوَّ الْطُورُكِيفَ كَانْ عَيْمَةُ الْمُسْيِدِينَ ۞ .

وأبان الله عزّ وجلَّ أنَّ الفساد إنَّما يظهر في الأرض بسبب ما يكبيبُّهُ النَّاسُ بأعمالهم، بمخالفة تبراتيه وانظبت في كونه، الفائمة على ما تفضيه البكَّمةُ، وبمخالفة شريعت ومنهاج السلوك اللَّفْين أبانَّهُما في الذّين اللذي اصطفاء لعباده، فقال اللَّهُ عَزَيْجِلُ في سورة (الزُّوم/ ٣٠ مصحف/ ٨٤ نزول): ﴿ طَهَرَالْنَسَادُ فِي الْبُرُوَالْبَحْرِيبَ كَسَبَتْ أَيَكِينَ النَّاسِ لِنَدِيقَهُم بَعَدْلِينَ عِبْلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ •

ويصد معرفة حقيقة الفساد والإفساد نـالاحظة أنّ المنافقيل يُفسدون إلارض ولا يُصلحون، لأنّ عطّتهم في المخادضة، وتَقُسل عجباد العرضين سِراً الذّائِيم، وشرهين قوى المؤمنين وتحفيلهم، والعبث بالـقيت والقاه الشهدات حول، والكيد للإضار بالإسلام، والمسلمين داخل صفوفهم، كُلِّ ذَلِكُ مَن الإفساد في الوم، بل هو الإفساد الأكبَّر، فَهُمْ شُرُّ المفسدين، أو من اشتدهم شراً، لأن ضروم لَكُمْ من ضرر الكافرين الصُرَّحَاء، المجاهرين بكُثْرِهمْ وعداوتهم.

لذلك يصحُّ أن يُقال في شأنهم على سبيل الـمبالغة، للإشعار بأنَّهم في نَنَهُ قانِ المفسدين:

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ .

لكنَّهُم لا يشعرون بهذهِ الحقيقة، وربّما يتصــوّرونَ أنَّ نسبة إفســادهـ القُـلُ من نسبة إفســاد الكافرين الطُـرِحاء، باعتبار أنّهم يــداهنـوتَ المغمنين، ويشــاركـونهُــإتـى كثيــِ من أعمالهم، ويُظْهُرُون بالمظاهر الإسلاميّة في معظم المناسبات العامّة.

وحيتما يشعرون بأنهم يفسدون إفساداً حقيقيًا ۚ فَإِنَّهُمْ يُحالِلُونَ أَن يستُروا أعسالهم بأتوالِهُمُ الكوانب.

واحياناً يُرُون أنّهم بأسواع سلوكهم على خطّة النضاق يُصُلِحون، بـطريقة ذكّية، على خـلاف طريقة الكافـرين الذين يُـواجِهُونَ أصـداءهم من أهل الإيـمـان نواجهـاتٍ صريحاتٍ مكشوفاتِ الوسائل والغايات.

من أجل ذلك، إذا قيل لهم: ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرضَ﴾.

قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحَنَّ مَصَلَّحُونَ﴾:

وقـد يُمثَلُونَ مقالتهم هـذه بأنّهم يُسريئون أن يُقَرّبُوا وجهـاب النَّظَر بين فـريفي المؤمنين والكـافرين، فبمنعـوا وُقُوعَ كـارثة الهـزيمة المنكرة بالكَـافِرين، إذا هم نقلُوا أخبار تحرُّكات المؤمنين وأشرارَهُمُ العسكريَّة، فهم يعملون لصالح السُّلْمِ والأمن العامُ، ولصالح الأُخرُةِ الإنسانيَّة.

وربَّما زَعُمُوا للمؤمنين أنَّهم يُرِيدُونَ أن يتخذوا أيادي لهم مع الكافرين، حتَّى يُخَفِّفُوا عنهم نفستهم، أوحَثَّى يكونوا وَسَطاءَ صُلْح ومُعانِّقَ فِي الشَّدائِد.

إلى غير ذلك من التعالات الّتي يُنتَجلُها المنـافقـون عــادةً، وهي كثيـرةً جــدًاً، ولا نكادُ تُحْصَرُ.

ولكُلُ لؤنٍ من ألوانِ النفاق، ولكل صُورَةِمن صُورِه دعاوى يتستُر بِها المشافقون، ويزعمون فيها أنَّهم مُصْلِبُحُونَ غَيْرُ مفسدين.

فمن ظواهر المنافقين السلوكية أنَّهم يُفْسِدُون في الأرض ِ بأقوالهم وأعمالهم.

فإذا قبل لهم: لا تُفْسِئُوا في الأرْضِ، بَهَنُوا نـاصحيهم، وكذبوا بكُلُ وقـاحـة، وَجعلوا البـاطلُ حقّاً والحقُّ بـاطلُّ، دونسا حيــاء ولا تلجيلُج، وقـالـــوا: إنّسا نحنُ مصلحون، واخذوا يعلَلون سلوكَهُمُّ المتنافق المفسد، بأنّه من الأعمال الإصلاحيّة، وربّما كانت غلبة أهوائهم عليهم تُجْعَلُهُمْ يتمسؤرون أنّ مَا يفعلونه إنّما هــو من قبيل الإصلاح، ولا إفساد فيه.

ويعــد ذلك انتقـل النّصُ إلى بيان ظـاهرةٍ أُخــرى من ظواهــر سلوكهم، فقال الله عزّ وجلّ :

﴿ وَإِنْاقِيلَ لَهُمْ عَامِنُوا كُنَاءَامَنَ التَّاشُ قَالْوَالْقَوْمِنُ كُنَّاءَامَزَالْشَفَهَالَّةُ ٱلْآوِقَيْمُ مُمُمُ الشُفَهَانَةُ وَلَذِينَ لَا يَسْلَمُونَ ۞﴾.

السفيه: هو ناقص العقل، قليل الإدْراك للأمور، ضعيف التفكير.

فعن ظواهر المنافقين السلوكية أنهم ينزعُمون لانفسهم المذكاء ووجاحة العقل، وحسن التصرّف في الامور، للتخلُص من المازق الحرجة التي يواجهونها، ويُسرّدُنُ أنَّ المؤمنين الصادقين في إيمانهم أنـاسٌ سفهاء، نـاقصو العقـل، قليلو التفكير، يتـاثرون ببلدي المرأي وبادئيه. فياذا قيل لهم: أمنوا كما أمَنُ النياس، أي: كما أمن جمهبور المسلمين إيمانياً صادقاً، قالوا: أَنْوُمِنُ كما آمنُ السُّفها؟؟!

هكذا بأسلوب الاستفهام الإنكاري الاستكباري التعجّبي.

لكتّهم لمو كشفوا عن حقيقة الاسر لَّفَلِموا أَنَّهُمْ هُمُّ أَلْفُسُهم السُّفهاء، ناقصو العقل، قليلو التفكير، لا يُتدبُّرُونَ عُواقب الاسور، بخلاف العوضين، فالصافقون يدفعون بأنفسهم إلى مواقع الآلام العميَّلة، والشفاء الأبدي، بما اختاروا لأنفسهم من طرائق، وأساليب، وجيُل ذكية، زعموا أنَّهم يحققون بها لأنفسهم الخير والسعادة والأمن والسلامة والرفاعية.

ومن أكثر سفاهة ممن يُجْني على نفسه عاقبةً وخيمةُ اليمة، وَعَدَاباً ابديّاً، وشفاءً غيماً؟.

إنهم بانحرافهم واتباعهم أهوانهم وشهواتهم، لم يستخدموا ذُكاهم فيما هو خيرً لهم في عناجل حياتهم وأجلها يوم الدين، إنسا استخدموا ذُكاهم وسالمديهم من قدرات جياة، للوصول إلى ما يُهُوَزُنُ ويشتهون من الحياة المدنيا، التي تعلَّقُ بها كُلِّ هِمَّاتِهم، وارتبطت بتحصيل لذَّاتها كلِّ همومهم، باعتبار أنَّهم لم يؤمِنُوا بالاخرة.

وهـــلـّـه الظاهــرة نلاحــظها في كــلّ الذين لا يكتــرثون لللّــين، ولا يُقيــُمونَ لــه في نفوسهم وزناً، إنْهم يتصورون أنّ المتديّنين ضمفاء العقول، ناقصو التفكير، تؤثّر عليهم الأوهام، وتستولي عليهم الخرافات الغيبيّة.

ولو عرف المنافقون الافكياء، وسائرُ الكفرة، حقائقُ الإيمان بنافه واليوم الأخر، وسائر حقائقُ الذين، ببصيرة عقلية واعية عميقة، وببصيرة وجدائيّة نقيّة سليمة من الفشاوات، لعلموا أنَّ اكثر الناس ذكاة ورجاحة عقل همْ من المؤمنين، الملتزمين يشرَّقَةِ الدِّين وَيَنْهاجه، لأَيْهم يعرفون كيف يَنْونَ في خَاضِرِهم مستعبَّلَهُمُّ السَّميد، وكيف يَحْمون أنفسهم من المخاطر المرتقبة.

والأنبياء هم من أذكى النباس، وأرجحهم عقـولًا، فهم في قمّـة أَهْـل_. الـذَّكـاء والفطنة والعقل في مدى تاريخ البشريَّة حتَّى تقومَ الساعة.

أمًا جماهير الأنباع من المسلمين المؤمنين الصادقين ففيهم المستويات البشرية

إِنَّ بَطْرَهُمُ السليمة قد أعطتهم شموراً فطرياً بالحنيقة، وهذا الشعور الفطري السليم قد صاحبه من التحكير السليم بمقدار ما لديهم من هبات فكرية، وهذا يكميهم السليم بمقدار ما لديهم من هبات فكرية، وهذا يكميهم الإسانهم وإسلامهم، وتحقيق ما يُريدون من سعادة عاجلةٍ وآجلة، ويذلك تكونُ رؤيتهم للحقيقة أو إحسامهم النسي الموجدائي بها أصعُ من رُوية أنصاف أو أرباع الاقتياء، الذين وفضوا الإيمان بنالله والبوم الانحر، ووفضوا الإسلام والعمل بشريعته ومنهاج،

ولدى التمحيص تُلاجِط أنَّ اللَّيْنِ لا يؤمنون بِناتَه واليوم الأخر، ينظلُّ الشَّلُّ والتُخَوُّف يُمَلانَ قلوبهم قلْقاً واضطراباً، فهم في الحقيقة السقهاء وناقصو التمكير والعقل، وإنَّ كانوا في أعمال الخبث، والمكر، والكُلْيد، أذكياء، فذكاء المجرم لا قِمة له في ميزان العقل الصحيح، والفهم السديد.

من أجل ذلك وصف الله عزّ وجلّ المنافقين بأنهم هم السفهاء، لا العؤمنون، وردّ عليهم الوصف الذي وَصَفُوا به العؤمنين، هون أن يزيد عليه شيئاً، حتى لا يَكُونَ في الزّيادة معنى النَجنُكِ في الجزاء، فالسيتة نُزَّةً بعثلها.

ولا تخفى نـزعة العجب والكبـر والاستعلاء والغـرور بالنفس، واستنكـارٍ دعوتهم إلى الإيمان الصادق، في مقالتهم:

﴿ أَنُوْمِنُ كُمَّا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾؟!

لذلك ردّ الله عزّ وجلّ عليهم وصف السفاهة انتصاراً للمؤمنين بقوله تعالى : ﴿ أَلَاۤ إِنَّهُمْ هُمُّ ٱلشَّنَهَاءُ وَلَكِن لَا يُعْلَمُونَ ۖ ۞ ﴾.

وباستطاعتنا أن نفهم من استعمال حرف الشرط وإذا، في قول الله تعالى:

(١) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا نُفْسِدُ وَأَفِى ٱلأَرْضِ ﴾ .

(٢) ﴿ وَإِذَاقِيلَ لَهُمْ مَامِنُواْ كُمّا مَامَنَ النَّاسُ ﴾.

أنَّ على من اطّلع على أحوال المنافقين من المؤمنين الصادقين، أن يعظوهم ويتصحوهم بترك الفساد في الأرض، وتَرْكِ خطّة النفاق، وبـالإيمان الصادق الصحيح أُسُّرةً بسائر المؤمنين الصادقين.

نظرةً إلى أنَّ حوف الشرط وإذاه يدخل على متحقق الموقوع، والعؤمنون من وظيفتهم العامة أن يدعوا إلى سبيل رئهم بالحكمة والموعظة الحسن، وأنْ يأشروا بالمعروف ويُهُوَّا عن العنكر، وَبِمَا أَنْ الْمُنَائِقُ لا بُدُّ أَنْ يُنْكَشَف أَمُّرُه لِمِضْ أَصَدقالِهِ من العؤمنين الصيادقين، فإنَّ صديقه أو أصدقاه لا يشركونه منْ دَعُّ وَوَ رُفْسِعٍ وأَمْسٍ بالمعروف ونهي عن المنكر، إذِ العؤمنون مَذَّمُوُّون دواماً أن يقوموا بوظائف الدعوة إلى سيل رئهم، ووظائف الاعوة اللي عن المنكر.

فــلـلُ استعمال اإذاه على تبوجيه المؤمنين التُقـــج من يرون فيه نفاقـاً، وأنَّ من المؤمنين من سَيَستَجيّــؤون لهذا التوجيه، فهذا التُقسُّحُ أمرٌ مؤكّدُ الوقوع، فلا نزال طــالثقة من المؤمنين ظاهرين على الحقّ حتى يأتي أمر الله.

ورما أنَّ المتنافقين لا يعلمون من أنفسهم أَنْهُمْ هُمُّ السفهاء في الحقيقة دون المؤمنين، فإنَّهم يُصابون نتيجة اعتدادهم بتفوُّهما في الذكاء بتُقدَّة الغزور بالنفس، إِذْ يُتَّبِّهُمُ هذا الغرور حتى يما لا جوانب النفس، فَيَنْفَي عليها، فَيَنْفِي عنها وجه الحقيقة، ويَشْبُبَ عن بعيرِتها كُلُّ المنافذ التي يُمَيِّنُ أَنْ تَرَى بِنُها الحقيقة، ويذلك يسقطون في أشد أوحال الغباء، من خَيثُ يَتَصَوَّرُون أَنْهم أَهْلُ الذَّكَاه المتقوق، والعقل الراجع.

إِنَّ مُقَالَة الممتافقين هَمَا تُشْهِِ مقالَة الكَفَار مِن قَبْلِهِمْ، فَمَلَّا وَجُمْهُورُ قوم نوح قىالوا له، كما جاء في سورة (الشعراء/ 77 مصحف/ ٤٧ نزول):

﴿ قَالُوٓ ا أَنُوْمِنُ لَكَ وَأُتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ١٠٠٠

وكذلك قبال له الميلاً الَّذين كفروا من قومه كمنا جناء في سورة (هسود/ ١١ مصحف/ ٥٣ نزول): ﴿ فَقَالَ الْمَكَأُ الَّذِينَ كَفَرُ أَمِن فَوَهِ مِا مَرَمَكَ إِلَّا بَشُرًا مِثْلُنَا وَمَا زَبْكَ أَتَبَعَكَ إِلَّ الَّذِينَ مُمَّمَ أَرَادُنَا بَادِي َ الرَّبِي وَمَا زَيْ لَكُمْ طَيَّنا مِن فَشْلِ إِلَّى نَظْلَتُكُمْ كَذِيبِك

ونظير ذلك قال مشركو قريش لرسول الله محمد ﷺ إذّ طالبوه بـطرد الفقراء المؤمنين عن مجلسه حتّى يتّيمو، أو بائن يكون له بهم اجتماع طبقيّ خاصّ، فأنزل الله عليه قوله في سورة (الأنعام/ 1 مصحف/ ٥٥ نزول):

﴿ وَلاَتَفَارُو الَّذِينَ يَنْعُونَ رَبُّهُم بِالْفَنَدُوْوَالْفَشِيّ بُرِيدُونَ وَجَهَـُمُّ مَا عَلَيْك بِنَ حِسَابِهِمِ بَن شَيْءٍ وَمَا يِنْ حِيالِهُ كَلَيْهِم بَن فَيْءٍ فَتَفْرُدُهُمْ مَنْكُونُ بَن ٱلظّٰلِهِ بِنَ الْ

وبعد ذلك انتضل النصّ إلى ظاهرة أخرى من ظـواهر سلوكهم، فضال اللَّهُ عنَّر يجلّ :

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ مَاسُوا فَالْوَامَامَنَا وَإِنَا خَلُوا إِلَىٰ شَيَطِينِهِمُ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا خَنُ مُسْتَهْرِهُ وَنَ ۞ الفَّذِينَةُ مِنْ وَعِيْهُمُ فِي طُفْيَنِهِمْ تَسْمَهُونَ ۞﴾.

﴿خَلَوْا﴾:

يقال لغة: خلا به، وخلا معه، وخلا إليه، إذا اجتمع به منفرداً.

﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ١ اللَّهُ كِنْسَتُهْزِئُ وَمِنْ اللَّهِ اللَّهُ كِنْسَتُهْزِئُ وَمِنْ ﴾:

الاستهزاء: السخرية والاستخفاف بالمسخور منه.

﴿ وَيَمُذُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ :

أي: يُمدُّهُم بالقوى والطاقات ضمن سنته الدَّالمة التي بمقتضاها يُمدُّ كُلُّ عباده، مُحسنهم ومُسبئيهم، مؤمنهم وكفارهم، لاستكمال ظروف امتحانهم في الحياة الدنيا، كما قال الله عَرْ وجلُّ في سورة (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

﴿ كُلاَنْمِدُ هَنْوُلآ وَهَنْوُلآ مِنْعَلَاهِ رَبِّكَ وَمَاكَانَ عَطَاةُ رَبِّكَ مُخَطُّولًا ۞ ﴾. فالمنذ على هذا المعنى هو كالإمداد، ويتكونُ بعنابعة العطاء بصطالب الحياة من خير أوْ شَرَّ. وبنُّ فعل ومَدُّه الثلاثي على هذا اللَّمعني قوله تعالى:

﴿ وَٱلْبَحْرُيمَدُّ مُونَ بَعَدِهِ مَسَبْعَةُ أَبْحُسِ . . . ١٠ الله ١٣١].

ويأتي المدُّ بمعنى الإمْهَالِ.

والله عزّ وجلّ يُمَلُّهم من المدد بالمعلم لاستكمال ابتلائهم، ويُمُلُمه مُمْهِلًا لهم ليستوقّوا كُدُّ الزّمن المشتّد لابتلائهم، وعسَىٰ أن يشوبوا إلى وُشَـبهم، ويشوبوا إلى بارتهم.

وجاء ذكرُ ﴿فِي طُغْيَانِهم﴾ لبيان أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُملُّهُمْ بعطاءاته ويُمْهِلُهُمْ، حالة كونهم منفسسين في طُغيانهم، لا أنَّ يُمُلُّهُمْ بِمُنْصِرِ الطغيان.

﴿يُعْمَهُونَ ﴾:

أي: يُزَدُّون مُتحرِّرِين، لا يَقْرُونَ على أيّ منهج يَسِرون. ويكون الْمَعَمَّ إيْهَاً
 بمعنى انطعاس اليصيرة، فهو في الفكر واليصيرة كالْمَعْن في اليصير، والمعنيان
 مقصودان في النصّ.

فالمعنى الأول يسطيق على العنافقين الصفيسذيين الـذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، والمعنى الشاني يناسب المشافقين الذين صردوا على التفاق وهم مستقرّون في مواقع الكفر جزماً.

فمن الظواهر السُّلوكية للمنافقين أنَّ لهم أكثرُ مِنْ وجه:

لهم وجه يستعلنون به أمام جمهور المؤمنين، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا:
 مناً.

والظاهر أنّهم يكرّرون هذه المقالة كلّما دعت العناسبة إلى ذلك، نظراً إلى أنّهم لا بُدُ انْ يُلاقوا المؤمنين كثيراً، فهم ضمن صفوفهم ويتكرّد لقاؤهم بهم .

ولملَّ الداعي إلى تكرير مقالتهم هذه أمام العؤمنين الصادقين شُمورُهم الداعلي بأنَّ في تَصَرُّعاتهم ما يُكذُّبُ أدَّعاء أيسانهم، فهم يحاولون سَرُّ ذلك يتكرير قرلهم: إمَّنَاه إذا لَقُوا فريقاً من الذين آمنوا، ورأوا في نظراتهم تشكُّكاً في صدق إيمانهم. وهــذا نظير لجوء الكــذَاب إلى حلف الأيمان المعلَظة، تتأكيد أنَّه يَصْــدُق في كلامه، ولا يكذب.

 ولهم وجه آخر يُوارْوَدُ بِه وَلا يُظْهرونه إلاّ إلى شياطينهم، أي: إلى إخوانهم المنافقين امشالهم، أو إلى العتهم في النضاق، أو إلى أئمة الكفر وقادت، أو إلى الموسوسين لهم بنان يُشلكوا مسلك النضاق من شياطين الإنس، كناليهود، أو إلى كلَّ أولك ، وهو الأرجع .

وتفسير ﴿شياطينهم﴾ بـانَّهم الموسـوسون لهم من قــادة يهود قــول رُوِي عن ابن عباس، وهو قوي.

فإذا خَلَوْا إلى شياطنهم قالوا لهم: إنَّا مَعَكُمُ، فَأَكَدُوا لهم أنَّهم معهم في حقيقة الامر، كافرون بمحمد وبدينه، ولم يؤمنوا مع المؤمنين إيصاناً صادقاً، بـل هم أعداة حقيقون لهذا الدين وللمؤمنين به.

وفي تعدية فعمل دخلاء هنا يحوف وإلى، معنى الميمل النُّفْسِ، أي: خلوا مع شياطينهم ماثلين بقلوبهم إلى طريقتهم، يُسِرُّونَ اليهم بالمودّة.

ويُجِيبُ المنافقون على تساؤل لا بُدّ ان يُوجُهُ لهم، وهـو: ما سببُ هـذا التلوُّنِ إذاً، فيعلَمون لشياطينهم سلوكهم هذا بقولهم:

﴿ إِنَّمَا غَنُّ مُسْتَهُ زِءُونَ ١٠٠

اي: ما نحن إلا مستهزئون بالمؤمنين، وذلك بأن تُنظّهر لهم أنّت معهم نؤمنً بما يؤمنون به، فيُرَكُّنُونُ لنا، ويطمئنون إلينا، فنجيبُ منهم خيراً، ونترصَد غِرَاتهم لـلإيقاع يهم، او التخلّي عنهم عند حاجتهم إلينا، ونُنصُرُ أعداءَهُم الصرحاء المجاهرين بعداواتهم لهم، ونحن ضمن صفوفهم.

وظاهر أنَّ هذا هو الاستهزاء من الدَّرجة الفصوى، أمــا صور الاستهــزاء الكلامي ونحوه التي تجري بين الناس فهي دون هذا النوع من الاستهزاء بدرجات متعدَّدات.

يتكلم بعض النـاس بكلام سخيف في محفـل. فيُربـلُ به آخـلُ خصوم كيداً، فيظهر له الإعجاب بعا بقول، ليتمادى فيما هـو فه، حَتَى يَفْضَحَهُ، ويسقطه في اعين السامعين، ويُذوكُ الأذكباء أنَّ هذا الذي أظهر له الإعجاب قـد كان يُدَرُّرُ به استهـراءُ ليورَّطه، فيندفع مُسْرعاً في الاتجاه الذي دفعـه شطره، حتَّى يسقط في النهـاية ويُسخرُ منه الناس.

كذلك يفعل من يُربِد تُورِيطُ مضرور بنفسه ليصارع رجلًا قبويًا لا يقوى على مصارعته، فيقول له: أنت أقوى منه وأقدر، وستصرعه وتَغَلِّبُ بقوتك وحيلتك وذكاك، وهو في ذلك يستهزى، به ويستخَهُ لِلسرعَ في التورَطِ.

فإذا اغترَّ وتـورَّطُ، مقط طريحاً كلمح ٍ بـالبصـر، فسخر من المشـاهـدون واستضحكوا.

على مثل ذلك تأتي صور الاستهزاء الماكر المستخفي المقنّع.

لكن لعبة الاستهزاء الكبرى إنّما يمارسُها السنافقون الفادة، لأنها في تصدّورهمُ لعبةً توريطٍ لأنّةٍ كاملة، ولا تقتصر على مجلس من المجالس، ولا على فدردٍ أو أفراد، إنّها لعبة استهزاء طويلة المدنى، واسعة الساحة البشريّة، شاملة لعمل أنّه كاملة، بكنّ تصرّفاتها، وكُلّ أسطنتها، لتوريطها وإسقاطها فيما تكره، وهي تظُنُّ خلاف ذلك، ولا تعلم من أين أَيْنَتْ.

وطريقة المنافقين في الاستهزاء طريقة منافقة مستخفية غير مستعلنة، وليست مثل طريقة استهزاء الكافرين الصرحاء، فللكافرين الصرحاء طريقةً أخرى في الاستهزاء، هي طريقة الذي يواجه خصمه بهزئه.

وقد يدرك المؤمنون أنّ المنافقين يستهزئون بهم، ويخدعونهم، ويستخفّونهم ليتورّطوا، وذلك من خلال تصرّفاتهم، وفلتات ألبستهم، فمن الملاحظ أنّ المنافق إذا كان في مجلس من يخدعهم بنفاقه، ورأى أو سمع ما لا يُعْجِبُه مَما لا يؤمن به باطناً. انفعلت نفسه تجاهه بحركة خفية من حركات الهيزه والسخرية دون أن يملك نفسه، فإذا شعر بما جرى منه سارع إلى كتمه وإخفائه وإظهار خلافه لثلا يدلّ على حقيقه.

ومهما يكن من أمر فبأنّ الله عزّ وجُملٌ مطّلع عليهم، وهو ينتصر لأوليـــاتــه، فيستهزىء من أعدائه، فيملي لهم، ويمدّهم بإمدادات الحياة كالممال والصحة والبنين وأنــواع القرى التي هي من عطاءات الله لعباده، حالةً كَـوْيَهِمْ منفــــرين في طغيــاتهم يَعْمَهُون، أي: يتردّوون متحرّين، لا يُذرُون على أيّ منهاج يسيرون، وفي اي سبيــل يسلكون، بسبب عنى بصائرهم، ويُبقي الله لهم إمدادات. في الحياة ليستكمـل لهم ظروف امتحاتهم فيها، حتَى آخر نقطة من أمل بـرجعتهم إلى الصواب، وتـويَتِهمُّ من الكفر والثماق.

إنَّ المنافقين يتصرّرون أقهم بمسايرتهم الظاهرة المنافقة للمؤمنين إنَّما يستهزئون بهم، ليتفعوا منهم، وليُتُقُوا سلطانَهم ذا الباس، وليُوفِعُوهُمْ حين غرّاتهم بما يكرهون، وليتخلّوا عنهم عند الشدائد.

لكنيم في الحقيقة هم الواقعون بما يكرهون في عاقبة أمرهم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ عليم بكل حركاتهم وتَصَرُّ فاتِهم، فهو سبحاته يُدْلِي لهم، ويُمَدَّهم وهم سائمرون منفسون في طفياتهم، ومع هذا المد الذي يُمرَّون فيه أنْصِبَتُهمُ من العنافع والحماية وبعض أنواع الكيد متعققة لهم، تتكانف الغشاوة على يصائمهم، فيسيرون في تصرُّقاتهم على عَمَه، ومع تعاظم الطُّنُيان يُعَاظم المُّمَّة، حتى تطمس بصائرهم تماماً عن رؤية مصائمهم، ويكونون بذلك قد مَردُوا على النفاق، فيتخبَطون في أوديته بجُراً، دون أنَّ يُعِيطُوا انفسهم بحذر.

ويدركهم عدل الله، فيسقطون في شرّ ما يكرهمون، وينالمون عقوبة استهزائهم بالمؤمنين، عندئذ يظهر أنّهم هُمُّ المستهزأ بهم حقيقة.

فمن استهزأ بمن يكون الله معه، فَيُشْلِي الله له، ويَمَثَّمُ بوسائل حياته، ووسائل معارسته لاعساله، حَنَّىٰ يـوقعه في مُهْلكته، عقاباً له على عمله، وينجي أوليـاءَهُ بنُ مُكايد، يكون في الحقيقة هو المستهزأ به.

ألا نفهم ذلك من قول الله عزَّ وجلَّ بشأنهم:

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيُمُّدُّهُمْ فِي طُفْيَنِيهِمْ يَعْمَهُونَ (إلا) :

أي: حتَّى يجدوا أنفسهم ساقطين بِخُيَّائِهم في أوحال ما يكرهون، عندثلٍ ينظر المؤمنون إليهم نظر الكاشف لخباياهم المستهزىء بهم.

. .

بعد ذلك جاء ني النصّ الحكم عليهم، وتقويم سلوكهم في الحياة، وبيان أنّهم أثّرُوا الضلالة على الهدى، فبذلُـوا الهـدى ثمناً، واشتـروا الضلالة ﴿فعا ربحت تجارتهم﴾ الدنيوية، إذْ جرّ النقاق عليهم عافية وَجِيمَةٌ في الدُّنيا ﴿وَمَا كَنُوا مُهِنْـدِين﴾ هداية تتمعهم في آخرتهم، فوزاً بالجنة وخلاصاً من عذاب النار، فخسروا بما اختاروا لانفسهم ثـواب الهدى العـظيم الذي أعـلُه الله للمؤمنين الصحافين، وخسـروا انفسهم إذْ جُرُوا لها العذابُ في الجحيم يوم الدين، فقال الله عزّ وجلً:

﴿ أَوْتَهِكَ الَّذِنَ اشْمَرُوا الضَّلَاةَ ۚ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَحِت يُحَرَّهُمْ وَمَاكَانُوا مُمْتَدِيثِ۞﴾.

شبُّهُ الله عزَّ وجلَّ تركهم لهدى الإيمان الصافق الدُّي كمان في أيديهم. وباستطاعتهم أن يحتفظوا به ملكاً، هو وثمراتُه في جنات النجم، واخذهم لفسلالة النفاق بَذَلُهُ، وما تجنِه عليهم من خيةٍ وعذاب، بمن استبدل شيئاً بشيءٍ عن طريق الشراه واليم.

ولمًا كان غـرضهم من ذلك تحقيقَ الرّبِح الـدنيوي، فبإنّ هذا الرّبِع الـذي هو غرضهم لم يُصِلُوا إليه، ولم يُتخفّرا منه مـا كانــوا يطمعــون في أن ينالــوه، لا من جهة المؤمنين، ولا من جهة الكافرين.

لمذلك قبال الله عزّ وجلًا: ﴿فَمَا رَبَحَتْ تَجَارُتُهُم﴾ ولم يقلُ: فكانت تَجَارُقُهم خاسرة، لأنّ الشرض بيان عدم حصولهم على ربيح دنيويٌ من نفساقهم، وهذا المربع لم يظفروا بشيء منه.

لكنّ خسارتهم العظمى هي خسارتهم الأخرويّة، إذْ يُحْرِمُونَ في الاعرة من ثواب المهتدين، ويكونون فيها من المعذيين في الدرك الاسفل من النار، وهذا هـو الخسوان العظيم، الـذي يخسرون بـه أنفسهم، وقد أشبار إلى هذا الخسران العظيم قول الله عزّ وجل:

﴿وَمَاكَانُوامُهُ تَدِيثَ ١٠٠٠

ويعـد ذلـك ضـرب اله عـزُ وجـلُ للمنــافقين مَثَلَيْن، يَـــَدُلَّانِ على أنهم صنفــان لا صنْفُ واحد.

قالأول: صنف مرد على النفاق.

والثاني: صنف ما زال مذبذباً، لا متجهاً بكليَّته إلى هؤلاء الكافىرين، ولا متجهاً بكليته إلى هؤلاء المؤمنين، لكنّه إلى الثبات في موقع الكفر أقرب.

فقال الله عزَّ وجل في المثل الأول:

﴿ مَثَلَهُمْ كَسَنَ إِلَيْنِي اسْتَوْقَدَ قَازَ فَلَنَا آَسَاءَ تَ مَا حَوَلَهُ دَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَهُمْ فِ ظَلْمَنَ مِنْ أَنْهِمُ وَنَ ۞ مُثَمَّ بَكُمُ عُمَّى فَهُمْ الْإِرْجِمُونَ ۞﴾.

وقالَ اللَّهُ عزُّ وَجَلُّ في المثل الثاني :

﴿ وَكَمَسْ يَسِ مِنَ السَّمَةِ فِعِ طُلُتَتَ وَرَعَةٌ وَرَقَّ يَصَلُونَ اَسْدِعَهُ فِيَّ ادَّانِهِ مِزَالَشَّ عِنَ حَدَرَا لْمَوْجُ وَاللَّهُ مُحِيطًا بِالْحَفِيرِينَ۞ يَكَادُ الْبَرْنُ يَضَلُفُ أَبْصَارُهُمْ كُلُمَا أَصَامَة لَهُمْ مَّسْرًا فِيهِ وَإِذَا أَطْلَمْ مَلَتِهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَدْرِهِمْ أَبِكَاللَّهُ عَلَىٰ عَنْ مِ قَدِرُ ۞﴾.

مثلان ضربهما الله عزّ وجلٌ لمجموع المنافقين. ولدى تحليلهما بنظرات ثـاقيات يُتينُّ لننا أنهما يدُلَّان على أنَّ المنافقين صنفـان. وأنَّ كُلُّ مُثْـل_{اً،} منهما يُلْقِي الضــوء الكاشف على صنف من صنفي المنافقين:

- فالمثل الآول منهما تضمّن تشبيها لحالة الصنف الأشد من صنفي المنافقين،
 وهوالصنف الذي مردعلي الضافى، بقدر زيته أصواء هداية القرآن، وسماحه إندارات عذاب الله للكافرين، ولمّا مرد علي النضافي ملترساً الثبات في موقع الكفر، خَمَس الله بصيرتـه،
 بقانونه ألَّفذري في سُنيّه الجاريات الثوايت.
- والمثل الثاني منهما تضمُّن تشبيهاً لمحالة الصنف الاخر العذيف الذي ما زال
 متردداً مُخاراً بين الإيمان والكفر، وهو إلى الثبات في موقع الكفر أقرب، فهذا الصنف
 لم يطمس الله بصيرته إنْهالاً لـه، ولِيُشْنَحَة أَخِمر نقطة في كاس بصيرته، ولو شماء الله
 لطفَمن بصيرته، حُكماً عليه بالجانب الغالب الارجح من واقعه.

(١) فالصنف الأول، مَنْلَة (أي: وصفه) كمثل (أي: كوشف) الذي استوفد نارأ في مفازة مظلمة مُوجئةٍ فيمن ليل دامس، فلما أضاءت هذه النار ما حوله من لرض المفازة، ورأى صراطه، وعرف سبيل هدايته، ووَجَد أنَّهُ على غير ما يهوى وما يشهى، أتَّخذ وسيلة أبعد عنه بها شُعاع الضوء، رافضاً الاحتداء بالنور، مثابياً أن بلألك المصراط المستقيم، إصراراً على الباطل، ومعاندة للحق، فحوتع عليه قانون نعاب المؤر، الذي تسبّب هو في إذهاب، فأمنى كالاصم الأبكم الأغنى، غير مستعدً لأن يرجع إلى مواطنِ النور.

وفي بيان حال هذا الصنف من صنفي المنافقين، قال الله عزَّ وجل:

﴿ مَنْلُهُمْ كَنَشُلِ الْلِيهَ اسْتَوْقَدَ فَازَاظُمُنَا أَمَنَاهَ تَ مَا حَوْلُهُ ذَهَبَ اللهُ مِنْوهِمْ وَزَكُهُمْ فِ ظُلْمَنَ عِزَلَا يُعِمِّرُونَ ۞ مُثُمُّ بَكُمُ عُنَى فَهُمْ لاَ رُجِمُونَ ۞ .

من هذا الإيجاز الخاطف في هذا المثل، يستطيع المتذبّر اللّماح، أنْ يفهم نشة طويلة للممثّل به، مطابقة لحال العنافي الممثّل له، وهو المشافق الذي اخترار بإصرار موقع الكفر في الباطن، ومرّد على النفاق في الظاهر.

مَنِ الَّذِي يَسْتُوقِهُ النَّارْ ثُمُّ يُعْلَفِتُهَا وَيَشَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ لا يُتَّبْصُسُ، فَيَكُونُ كالاصمُ الابكم الاعْمَىٰ، الذي يتخبُّطُ في ظلماته؟

لا بدّ أن يفهم المتذبّر الذكيّ اللّماح أنّه إنسانٌ هي مَفازةٍ مُوحثةٍ مُـطّلِنَةٍ، يَنخُطُّ في ظلماته على غير هدى.

ثُمَّ افْرَكَ انْ بإمكانه أن يجمع حطبًا، وَيَقلَحُ زِنَادًا، ويستوقِدَ بذلك نــارًا، تُضِيءُ لَهُ ما حَوَّلُهُ مِنَ الأرض، فَتَبِيرُ له طويقه، وتَهْدِيه إلى صراط نجاته.

فَفَعَلَ ذَلِك، واستوقد الندار التي أواد، وأضاءت له النار ما خَوْلَهُ مَن الأوض، على محيط دائرة بعُوْر مَكنان، لكنّه وأى أنَّ مسراط نجاته على خبلاف ما يهوى ويشتهى في رحلت، ففيه تكليفٌ إيجابيُّ بعمل لا يُحبُّ أنَّ بعمله، وفيه تكليفُ سلبيُ بترك عمل لا يحبُّ أن يتركه، فاتُخذَ رُسِلةً للتخلص من النور الذي كشف له الصراط، بإطفاء النّار، أو يغير ذلك، فأجرى الله قوانيته الجبريَّة القدريَّة، فذهَبَ بنوره ضمن ثوابت سُنّه. وهكذا كُلُّ من أتَخذَ بإرافتِه وسيلةً ذَاتَ أثرٍ في سُنَن اللَّه لأشرٍ ما، أجـرى الله له قوانينه الجبريّة القدريّة، فحقّق لُه مَا أواد من المر، سواءً اكان فيه نفعٌ له أو ضرّ.

فصار هذا المتخلِّط في مفارّته يتحسُّس باللّمْس مُواقع مفارّتِه، ويتنقّل من مُـوْقع إلى موقع ٍ، كُلّما وجدّ في بعض ما تقع عليه لامِسَاتُه ما يُمتَّه وَيَلَدُّ له.

وَمَعَ كُلِّ تَنظُّرِ تَخَبُّطُ واشُواكُ وحُفَّرُ وعوارضٌ مؤلمات. وهكذا ظلَّ في متاهـاته. حتى انحدر إلى تهلكته وعذابه الأليم المقيم.

> لَكِنَّ كَلِمات المثل في القرآن اقتصرتْ من الممثل به على عبارة: ﴿ كَمَثُلُ الَّذِي الْسَتَوْقَدَ فَازً فَلَمَّا أَضَالَة تُعَاحُولُهُ ﴾ .

ووقف النصّ هنا في إيجاز بديع ، وترك لذكاء المتدّبر الحصيفِ أنّ يملأ بقـايا هذهِ اللّفطة من الممثّل به .

إنَّ مُسْتَوقِدُ النَّارِ إِنَّمَا استوقدها للإضاءة، بدليل:

﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾.

والصورةُ تُوسِي بأنَّه في ليل دامس، وفي صحراء موجنَّةٍ، وهذا ما دعاهُ إلى أنَّ يتكلّف بحشاً عن الوسائل، ويـطلُّبها ليُروَّة النـار التي يُريدُ، بدليـل استعمال فعـل: ﴿اسْتُوفَّذَ﴾ دون فعل داوقد، ويدليل حال الممثّل لَّه، الذي جاء في وصفه:

﴿ وَزَرَّكُهُمْ فِي ظُلَّتَ تَوَلَّا يُبْعِيرُونَ ١٠٠٠

لكنَّ هذا الذي اسْتَوَقَد النار قد اتّخذ وسَائِسَلْ لِيتخَلَّصَ بِنَّ صَوتِهَا، الَّذِي كَشَفَ لَهُ مَا حُوْلُهُ، فَـذَلُّهُ عَلَىٰ جِلافِ ما يَهْـونى، إمّا بِصَفْبٍ عَيْنَهِ، وإمّا بـإطفاءِ النّـار، وإمّا بالفوار من موقعها إلى مُؤتم آخر.

إنَّ تحديد وسيلةِ النَخُلُصِ من ضوء النار لا تتعلَّق بِه أَهَمَيَّةٌ حَتَّى تُذْكَر، والتَّعْميمُ أولى، ليشمل كُلُّ الصُّور.

وقوانين الله عزّ وجلّ في الخلق تقفيي بأنّ من اتّخذ وسيلةً من الوسائل المحقّقةِ في نظام التكوين الزّبّانيّ لاتُرٍ منَ الامور، فإنّ الله عزّ وَجلّ يُحفّق هذا الاثمر، فَمَنْ رَمَىٰ نفسَـه من شاهقِ على صخْرٍ حطّمـه اللّهُ وكسّر عـظامه وقتله، كـذلك من انَخـدوسيلةً لإطفاء النّار ذهبُ اللّهُ ينوره.

كلُّ هذا يُدْرِكُهُ المتدبّر الذكيّ اللّمَاءُ، دُونَ أَنْ يُذَّكَّر في العبارة.

ويَنْتَقَـل النَّصُ مِنَ الممثَّل بِهِ إِلَىٰ الممثَّل لـه، فيلتي بنــاءُ الحكَّم عَلَىٰ المثَّلِ كَانَّهُ عَيْنُ الممثَّل له، على طريقة القرآنِ في امثاله.

والممثِّلُ له هُو الصنف الأوِّلُ من صنفي المنافقين كما سبقَ بيانه.

وقــلُّدُ ذَلُ هذا الحَكُمُ على مُمرِّئِهُ هَــٰذَا الصَّفَ، فَهُمرَ صَنْفُ وَفَعَ الحَقّ، وأَصَرُّ على الكُفس، وَنَرَدُ على النضاق، فقالَ اللَّهُ عَرُّ وَجلٌّ غِــَطَاءُ لِقُولِهِ: [فلمَّا أَصَــاتُ مَـا حَوِّلُهُ]:

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُّهُمْ فِلْلَمْنَتِوَ لَانْبِعِيرُونَ ۞ ثُمُّمُ عُمَّى لَهُمْ لَا يَرْجِمُونَ ۞﴾.

إنّ عبارة: [فلُمّا أضَاءَتْ مَا خَوْلَة]، هِيَ مِنَ المستَّلِ بِه، أَمَّا مَا جَاءَ عَطاءُ لَهَا فَهُو حَكُمُ يِتمَلِّقُ بِالمستَّلِ لَه، وهم السنافقون العبطنون للكفر جازمين مُصِرِّين، الستظاهرون بالإسلام قناعاً كاذباً، وقد مُزَدُوا على النّفاق، فهم غير مستعدّدين للرجوع إلى حديثة الإيمان، بقدّ اختيارهم طريق الكفر باطناً، والنفاق بالإسلام ظاهراً.

أنهم لمّا اختاروا لانفسهم هذا الاختيار الآم بإراداتهم، أجرى الله فيهم قانونه، فذهبُ بنور بصيرتهم الذي يوجّه مسامعهم لاستماع آيات الله، وبيانات الرسول، فيه ومواعظ الهداية، ويوجّه السنتهم الصادقة للاعتبراف بالحقّ المديني، والدّعوة إله عن إيسان وصدق، ويوجّه أبصارهم لمشاهلة آيات الله في كونه دواماً، والانتفاع منها بتمكين الإيمان وتعيفه.

لذلك فهم بالنسبة إلى قطاع الهداية الرّبّانية التي تُقدُّم لهم دلائـل السعادة الأخرويّة الخالدة:

وصُمْ بُكُمْ عُمَى ﴾.

كيف لا يكونون كذلك، وقد ذهبَ الله بنور بصيرتهم، إذ اتَّخذُوا باختيارهم الحرُّ

الوسائـلُ إلى ذلك، بـإصرارهـم على الكفـر، بعد معـرفتهـم دلائل الإيسان، ورُويتهـم أضـواة آيات الله وبيـانات الـرُسـول ﷺ، وابتغـائهـم تحصيل الامن والمنــافـع من جهـة جماعة المؤمنين، بإفحلانِ الإسلام نفاقاً.

ثُمَّ إِنَّ مِن اختار بِإِرادته الجازمة الراعية مثلُ هذا الاختيار، لا يمكن في العادة أن يُرْجِع إلى مواقع النّور والهداية وصِدْقِ الإسلام، فقال الله عزَّ وجل:

﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ ﴾.

...

(٢) أشا الصنف الأخر من صنّي الْشَذَافِين، فمثّلهم كمثل جساعَة في مَفازَة مظلمة بليل دامس، جانقُم سحابٌ مُبقل، فامطر عليهم مطراً غزيراً، فأصابتهم الحيْرةَ يبتضون النجاة، ورافق ذلك رضّة وبرق، فكانوا ضِمْن هذا الحدّثِ على مفازتهم، في مطر غزير مغيف، وفي ظُلماتٍ مُوجئات، وفي رغدٍ يُدِيرُ الرُّعب، وفي برتي يتلامع بالضوء.

فهم كلما تواتر عليهم الرُّصُدُ الشديدُ المحيف القاذف بـالصواعق، يجعلون أصابعهم في آذانهم خُوفاً من الصواعقِ أنْ تاتيهم بالمدوت، وكُلما اضاء لَهُمُّ البَّرْقُ شَفُرا في ضَوْيَه على مقدار ما يَحْتِفُ لهم وَبيضَّه. فَخَطُواتُهُمْ على طريقِ الهَّدَىٰ قالِمَة يَضَادُ الْوَنَصَات، وكلما انتهتُ ومَضَالُهُ السَّرِيعاتُ الخاطفاتُ تـوَقُدُوا في مواقعهم خَيَارَى، لا يَذَرُونَ كيف يَصرُفون.

إِنَّ أَهِـلَ مِنْنَا الصَّنْهِ مِن المُسْافِقِينَ لَم يُصِفَّوا بَشَّةً إِلَى مُرحِلَةَ العَمْنَاءِ والإصمرار على الكُشْرِ، ورَنُفسَ قَبُولَ الحقّ الـذي جاء به كتابُ الله، ورَنَّفَ رَسُولُ الله ﷺ، بـل ما زالتُ لديّهم بقيَّةً خيرِ تُنْزَعُ في داخلهم إلى الاستجابة، لكنّها بقيَّةً ضعِفةً .

إنْهمْ لم يَفْقِدوا القدرة على رؤية طريق الهداية. كما فقدها أفرادُ الصنف الأول، لكنّها بقبت لديهم في مستوى نزعات تشبه خواطف البرق، وهي قويَّةُ بَالهمّ، إلَّا أَنْهما قصيرَة الزّمن، بينما هُمْ بحابْغِ لالتزام طريق الهداية إلى نور دائم الإشـراق، أو طويــل مُدَّةِ الإشـراق، حَثْنُ بملكوا دوام الهداية.

ولَمْ يفقدوا أيضاً القدرة على سماع إنــذارات العفاب الأليم جـزاءً وفاقــاً، لكنَّها

يقيت لديهم في مستوى نزعات قليلات، تُشْبه الوحدات الرَمْيُّ القليلة الَّتِي يأتِي فيها مع المطر الغزير رعَّدُ يقلف بالصواعق، وهم بححاجة لاجتناب سلوك سبل الكُفُّرِ والشَّـلال إلى خوفِ دائم، أوطويل الشاء من عقـاب الله الأليم، حَتَّى يملكوا دوام اجتناب سُبُّل الكُفُّر والضلال.

نهم حياري بيْنَ بَيْن، ما زال يتجاذَبُهُمُّ النقيضان: الكُفْرُ والإيصان. وهم إلى الثبات في موقع الكُفر اقرب. ويُصْلُقُ في شانهم على وجه العموم أنَّهم متردَّدُونَ مُذْبُدُيُونَ.

إنّهم يُسْمَعُونَ أَحْيَانًا آيَاتِ الْوَعِدِ التي تَهُزُّ قُلُوبَهُمْ هَزُّا عَنِضاً. فيخافـون، وتُنْزع قُلُوبُهم إلى اختيار الإيمان والثبات فيه.

وتتلامع أحياناً لعقولهم والبابهم أضواء الحقّ الشديدة الغريثَة، التي نشبة أصواء البرق الذي يخطف الأبصار لقوّته وشدّته، فتنزع قُلموبُهُمْ لاختيار الإيسان والنبات فيـه، واجتناب سُـلِ الكُمُّر والعصيان.

لكنّهم سرعان ما تغليهم أهراؤهم وشهوائهُمَّ ، فيصَمُونَ نوازغ الخير في قلويهم. ويُشْجِمُونُ عن قبول. الحقّ، ويُعْرِضُونَ ماثلين مبلاً شديداً إلى اختيار الثبات في موقع الكثم والعصيان.

فهم في وسُطِ بين السّمسع والصّمم، بين البصسر والعممى، وهم إلى الصّمم والغَمَنُ أقرب، دلُ على هذا المشهد التعليم قولُ اللّهِ عزَّ وجلُّ في المثل الثاني:

﴿ وَتَصَيْدِونَا السَّمَافِيهِ طَلَتُكَ وَرَعُلُورَكُ بَعَمُلُونَا أَضَيَعُمُ فِتَانَابِمِ مِّزَالَشَوَيِقِ حَدَرَالتَوَيَّ وَاللَّهُ تُحِيطُ إِلَكُورِينَ ﴾ يَكَاذَالبَّنُ يَخَطَفُ اَصَدَرُهُمُّ كُلُمَّا أَصَالَهُ لَهم مُسَّوَافِهِ وَإِنَّا الْمُمَاتِيمَ فَلَمُولُ ﴾ .

﴿كَمُسْبِهُ: الشَّبِّ السَعْلُ الضرير. والسحابُ الْمُشْبِطُوْ مُعلَماً غَرْبِيراً. لِي: أو المنافقون كجماعة في مُفارَة عُمُهُمُّ وَأَخَاطَ بهم صَبْبُ فيه ظلماتُ ورعدُ ويرقَ. وهذا الرَّغَدُ قَدْ يَعْفُ بالصواعق.

وحمرف (أو) هـــو للتقسيم في التعثيـل، العـــاظـر للقسمَيْن اللَّذَيْن يَنقَسمُ إليهمــا

المنافقون، كما تقول: الكلمةُ مثلُ: أكلَّ يَأْكُل، أو سعيد وسماء وماء، أو في ولسًا وثمَّ، أي: الكلمـة: إمَّا فعسُلُ أو اسمُّ أو حرف. فليست كلمــة (أو) في التعمَّ هنا للتشكيك، ولا للتتريع في ضرب المثل، إنما هي للتقسيم.

وهؤلاء الجماعة الذين هم في مفازة مُفُمُورَة بسحابِ مُمُطور مطرأ غزيراً فيه رعدٌ وبرق، يملكون أن يسمعوا صوت الرّغد الـذي قدّ يصدفُ بالصحاواعي، فكُلْمَا سَبِسُوا الرُّغَدُ واحَدُّوا بمقدَّمات الصواعيّ جعلوا أصابعهم في آذانهم من أثر فَمُقَفَةِ الصواعق، وقرِّجها الشديد، والدَّافعُ إلى ذلِك خَوْفُ الموت.

وجاه التعبير بالاصابع بذلَ الانابل ، لأنَّ مشاعِرَهُمْ تُنْفَعُ لو اسْتطاعوا أن يُلْخِلوا كُلُّ أصابعهم في أفانِهم، ليسُلُوا عُنَهم وقعُ الصوّت الشديد، الذي قد يكونُ مصحوبًا بالصواعيّ التي تاتي بالموت، وهذا من الصدق الفنيّ .

وهؤلاء كلَّما أضاء لهم البـرقُ مَشْرًا في ضَــرْتُه، وإذا انْقَـطُعُ فأظلم عليهم الجـرُّ قامُوا، أي: وقفوا في موقعهم في الظلماتِ حيارى.

وذَلُّ النصَّ على أنَّ هذا الصَّنْفَ من صنعي المنافقين. يُحْكُمُ عَلَيْهِ اليَّمَا بِالكُفْرِ، وإنَّ كانَّ لدَيْهِ بِقَيَّةً آمَـلِ بِالرَّجِمة إلى الإيمان الصادق، لأنَّ الإيمان لا يقبل التنصيف ولا التجزئة، فكيف بهم وهم أكثر مَيِّلًا إلى جانب الكفر الجنازم، وإلى النبات الـدائم في موقع الكفر، دون رجعة عنه، فقال الله عزّ وجلًا:

﴿وَاللَّهُ مُحِيطًا إِالْكَنِفِرِينَ ۞﴾.

وما دام لدى هذا الصنف بقيَّة أَسُل، فإنَّ الله عزّ وجلَّ في قـوانيت القـلريّة التي

تَتُمُ نَيْجة إراداتِ عباده الاعتباريّة، يشرُكُ لَهُمْ هذا المقدار القليلُ من الرغبات
الضعفات الضئيلات، الباعثات على استماع أيات الوعيد، ورؤية أنوار الحقّ، مهما
قلَّ هذا المقدار، إنْهالاً لهم، وليرُكُ لَهُمْ كلُّ فرصة في الحياة الذّنيا قد نَسمَحُ لهم ولو
في أضعف الاحتمالات، بأنْ يتماثلُوا إلى العافية والشفاء، مع أنّه لو شأة عزّ وجلَّ لئل تُتركُ لديهم هذه البقايا، على اعتبار أنّها بقايا ضعيفة، غير صالحة بحسب العادة
للتماثل إلى العافية، فإداداتُهُمْ مِالَّةَ برُجُحانِ إلى جانب الكَمْرِ الجازم، لكنَّ اللهُ
عز وجلَّ لا يَفْحَلُ ذَلِكَ رَحمةً بهم، واستيفاة لظروفِ امتحانهم، حتَّى آجرِ قطرة من الإمْهالِ الحكيم، دلَّ على هذا قولُ الله عزَّ وجلَّ في النص:

﴿ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ لَذَهَبِ بِسَمِهِمُ وَأَبْصَدْ مِمَّ إِن اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَّنْ وِقَدِيرٌ ۞ .

أي: ولو شاء الله لجمَّلهُم مثل أهل الصنف الأوَّل. صُمًّا بُكُماً عُمْياً.

ولم يُلْمَعْ الله عزّ وجلَّ هذا الصنف الثاني بـأنّهم لا برجمون، كما ذكر بجانب أهـل الصنف الأوّل، نظراً إلى أنّهم لم يُصِلُوا يُشدُّ إلى مستوى التمسيم الجازم على النبات في موقع الكفر، عن وهي كامل لمّا قرّروه لأنّشيهم بالاختيار الحرَّ، نذلك فهم لم يُصِلُوا إلى حضيض:

﴿ مُثُمُّ بُكُمُّ عُمَّى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

إنَّ هذا الصنف لم تنظيش بصيرتُهُ الطِفاسُ نَامَّا، بل يتلام له نور الحقّ أحياناً فيراه، فيسير فيه فليلاً، ويُسْمَعُ إِنْدَاراتِ آبياتِ اللَّهِ أحياناً فَيَرْهُبُ، لكنَّهُ إِذَا اشْتَدُّتُ عَلَيْهِ مَنْهُ سمعه عنها، وهو بعد ذلك يعودُ إلى حافيةِ الأولى.

وهكذا لـلاحظ أنَّ لـوحّـة المثـل بجملتهـا تُمثَّلُ صـورةَ هـــذا الصنف المتـردّدِ العذبذب الحبران من صنفي المنافقين.

خاتمة

تحدّث هذا النصّ عن المنافقين الذين سلكوا سبيل النفاق من عرب أهـل العدية، وعمّا ظهر من صفاتهم وخلاتههم وأنواع سلوكهم مع المؤمنين، خـلال المدّة التي سبقت نزول هذا النصّ من المرحلة المدنيّة.

ويظهر أنَّ الصفات التي تحدَّث عنها هذا النصَّ من صفـات المنافقين، هي من أولىٰ الصفات التي تبرز فيهم.

فهم بعد إعلانهم الكاذب، وسلوكهم مسلك المعادعة الملازمة لهذا الإعلان، استجابةً لما في قلوبهم من مرض الانحراف الخلقيّ الشائن، تظهر منهم القبائح التالية:

- (١) يبهتمون الناس، فيدتعون مؤكدين أنهم مصلحون، ولا يشعرون بأنهم من أكثر الناس فساداً وإفساداً.
- (٣) ويرزعمون أنهم هم الأذكياء الفطناء الذين يعرفون مصلحة أنفسهم، فيحتالون لتحقيقها، ويُسِمُونَ المؤمنين الصادقين بالسفاهة، وضعف التفكير، وقلة المقل.

ولا يعلمون أنهم من أكثر الناس سفاهةً، بالننظر إلى أنّهم يُسْمَوْنَ إلى شرَّ مصير يصيرُ إليه الناس، وهو الدول الأسفل من النار، أمَّا ذكـاؤهم فيستخدمونه في الحيّـل. الماكرة، لإخفاه هُوَيِّتِهم الحقيقية، وهُمْ غافلون عن حقيقة ما هم إليه صائرون.

(٣) ثم هم في تحركهم في المجتمع يظهرون للمؤمنين دائماً بروجه اقصاء الإيمان، فإذا خَلُوا إلى قادتهم منهم، أو إلى زعماء أهل الكفر الدين يشجعونهم على النفاق من العرب أو اليهود، كَشَفُوا لهم هوية أنفسهم، وحقيقة ما في قُلوبهم، ويُبَيِّشُونَ لهم أنَّ مَا يَظهرونَ به أسام المؤمنين الصادقين، إنَّما هو لَغْبَةُ استهزام بهم، وتضرير لهم.

النبض الثالبث

من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) الآيات من (٧٥ – ٨٢) حول توجيه المؤمنين أن لا يطمعوا في أن يؤمن لدعوتهم منافقو البهود وسائرهم

من الذين دعلوا في الإسلام نفاقاً منذ أوائل العمرحلة المدنية، فريق من الهجود، اشتركوا في خطة النفاق مع المنافقين من عمرب يشرب، وريّما كان لهم في هـذا دور المستدوج والموتّج والمدنير والمدنير لخركة النفاق.

نائزل الله عزّ وجلّ في سورة (البقرة) توجيهاً حامًاً للمؤمنين. يصرف فيه طمعهم عن التعلّق بإيمان البهود، ويصف فيه لهم واقع حال البهود، ويبيّن لهم فيه أنسامهم. ويذكر من ضمن هذه الاقسام يُسمّ المنافقينَ منهم، الذين دخلوا في الإسلام بفاقاً وهم غير مؤمنين، فقال الله عزّ رجل خطاباً للمؤمنين بعد كلام طويل، عن البهود:

﴿ اَنَظَمُونَاَ لَهُ فِيهُوالكُمْ وَقَدَّ كَانَ فَرِقَيْ يَنَهُمْ يَسْمُونَ كَنَمُ الْوَقْدُ كُمْ وَقَرَّ فَلَ مِنْ بَسْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ بَعْلَمُونَ ۞ وَهَا لَقُوا الَّذِينَ وَاسْوُاقَالْوَامَثَنَا وَإِنَّا عَلَا بَعْشُهُمْ إِلَى بَعْنِى قَالْوَالْكُمْ وَهُمْ بِمَاضَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُعْمَلُهُمْ هُمِهِ مِعْدَرَيْكُمُ أَلَلا مُعْقِلُونَ ۞ لَولَا يَسْلُمُونَ الْفَالَةَ يَسْلَمُ مَا لِيُرُونَ وَمَالِمُونَ ۞ وَمِنْهُمْ إِلَيْقُونَ كَا يَسْلُمُونَ الْكِمْنَ الْمَائِقُونَ هُمْ الْوَيْقُلُونَ ۞ وَمَنْكُولِيةً فَيْوِلُ لَلْمُ مِمَّاكِمُنِكُمُ الْمَالِمُونَ الْكَمْمُونَ الْمُعْمِلُونَ الْمُونَ الْمُولِيةِ وَمُنْكُولِيةً فَوْلِلُونَ الْمُعْمَلِيمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللل أَخَذَتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدُ افَلَن نَجْلِفَ اللَّهُ مَهْدُهُ أَمْ لَلُولُونَ عَلَى الْفَوَمَا لاَنصْلَمُوك كَانَانَكُسَّتُ سَيَعِتَكُ وَلَحَمْكَ بِهِ خَلِيتُكُمْ فَأَلْتِهَاكَ آضَحَتْ النَّسَارِّهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ لَالَّذِيكَ مَا سُولًا وَتَحَيلُوا الْفَسُلِحَاتِ أُولِتَهِكَ أَصْحَبُ الْجَنَّوَّهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ .

. . .

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

أَمَائِيَ: بياء غير مشدَّدة قراءةُ أبي جعفر.

أَمَانِيُّ: بياء مُشَدُّدَة قرآءةً باقي الْقُرَّاءِ العشرة.

وهما وجهان لُغَوِيَّان للكلمةِ قُرِىء بهما في المتواتر.

خَطِيثَاتُهُ: بالجمع قراءةُ المدنيِّينِ: نافع وأبي جعفر.

خطيلتُهُ: بالإفراد قراءةُ باقي الْقُرَّاء العشرة.

وفي خالين القراءتين تكامَّل فِكُورِيُّ فقد نُحيطُ الْخَبِلِيَّةُ الْوَاجِنَةُ أِذَا كانت من العقائد أو الأعمال التي تُسْبَطُ في الكفر، وقد تحيطُ عنةُ خطيتاتٍ هي بمجموعها تُسْقِطُ في الكفر، لا أنّ الواحدة منها أو مادُونُ مُجْموعِها يُسْقِطُ في الكُفْر.

(1)

المفردات اللغوية في النَّصّ

﴿أَفَلَتُلْمَعُونَ ﴾:

الطَّفَعُ بالشيء الرُّغبة فيه، وتشهّيه إذا كان مُما يُشْتَهى. يقال لغة: طبع فيه، وطُبع به.

﴿يُعَرِفُونَهُ ﴾:

التحريفُ الإمالةُ والتغيير. ويَكُونُ بتغيير الألفاظ، أو بتغيير المعاني.

﴿مِنْ بَعْدِ مَاعَقَلُوهُ ﴾:

عَقْلُ الشَّيْءِ يَكُونُ بربطِهِ بعقالِ للمحافظَةِ عمليه، وفي الانضاظ والمعاني، يكونُ بحفظ الالفاظِ وَتَدْرينِها، وفَهَمْ المعاني وضَبِطِها و إِذْرَاكِ حَدُودِها، وقعد يُضاحِبُ ذلك تسجيلها في الشّروح والتفاصير، والكتب.

﴿خَلَا بَسَنُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ ﴾:

يقالُ لُفَةً: خلا به، وخــلا معه، وخــلا إليه، إذا اجتمع به منفــرداً، وفي: ،خَلاَ إليه، معنى خلا به ماللًا إليه، على سبيل تضمين خــلا معنى مال.

﴿ بِمَافَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ :

اي: بما فتح الله عليكم من فهم في معاني مصوص توراتكم الدالَّة على البشائر بمحمَّد رسول اللَّهِ ﷺ.

﴿ وَمِنْهُمْ أَمِيتُونَ ﴾:

أي: غير متعلّمي القراءة والكتبابة، فلا يُمدُّرُسُونَ نصوص الدين بتدئير، والأميُّ هو المنسوبُ لأنه، أي: هو كما ولدته أنَّه بالنسبة إلى تعلّم القراءة والكتابة، وصابعة المدراسة في الكتب، ويُعطَّلُقُ الأميَّ على غير المتعلِّم وإن كمان يقرأ ويكتب، فالأمية ذات ينسب.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ إِلَّا أَمَانِنَ ﴾:

أي: إلاَّ قراءة بدون فهم ولا تدبَّر، أو إلاَّ تلاوة عن طريق السماع.

﴿أَمَانِيُّ ﴾:

بتشديد الياء وتخفيفها، جمعُ امنيَّة، والفعل وتَمَنَى، والمصدر والتَّمَنَى، وهمو حركة النفس بما تشتهي وترغب، ويغلب أن يكون مستبعد الحصول عليه. ويهاتي بمعنى الفراءة والتلاوة، ويأتي بعمنى اختلاق الكذب.

ويأتي تفصيل ذلك عند الشرح التحليلي إن شاء الله.

(٢) المعنى العامّ للنّصّ

إنَّ معرفة إمكان تحقق غاية من الغايات في مجتمع ما من المجتمعات البشمريّة، تتوقَّفُ على دراسة واقع حال هذا المجتمع.

فإذا كانت ظاهرات هـ11 المعجتمع بفيرؤبه واقسـاه، تـدلُّ بحسب سُـنَ الاجتماع البئــريُّ، على أنَّه لا مطلّع في إصـلاح النسبة الكبـرى منه، كـان الطمـع بإصـلاحه واستجابة أفرادِه للهداية، تعليقاً لرغبات النفوس والقلوب بأثرٍ غير ذي جَدْدَّي سارَّة.

فمن الحكمة السياسية في سير الدعوة _ والحالُّ كذلك _ أن تُصَرَف الجهوة إلى مجالات والجهوة إلى مجالات والجهوة إلى مجالات ومجتمعات تكونُ الدَّعوة فيها ذات جدرى سارة، أو جدواها أعظم وأكثر، وأن يتعمر توجيه الاهتماء في المجتمعات التي تدلُّ ظاهراتها على أنَّها ميؤوس من إصلاح جماهيرها ولا مظمع فيه، على تصيَّد الأفراد الذين يكون الأملُ بهدايتهم قويًا، أو تكون مدايتهم أمراً غير ميؤوس منه بعد.

ومجتمع اليهود في عصر الرسول ﷺ، ومنذ أوائل العهد المدنيّ، قد ذَلَت ملاحظة واقع حالهم مع تكرار التجربات، على أنّ الطمع بهداية النسبة العظمى منهم طمعٌ في عبر محلّه. وذلك لأنّ الظَاهرات الاجتماعية التي تَكْتِبُهُمّا الملاحظة في مختلف فرقهم وأنسامهم وطبقاتهم، وتُتِبُها التجربات المتكرّرات لهم، تدلُّ على أنَّ هداية جمهورهم هي بمثابة الامر الميؤوس منه، أوالذي لا مطمع فيه. فينهي إذاً التعامل ممهم على هذا الاساس، توفيراً للتجهد، واستغلالًا له فيما هو أجمدًى.

ومن البـدهيّات أنّ التصامل مـع مطمـوع بهدايتـه، غير النعـامل مـع ميؤوس من هدايته بحسب الظواهر الاجتماعية المعتادة، أو الطمع في هدايته ضعيفٌ جدّاً.

هذه قاعدةً من قواعد الدعـوة إلى الله، علّمها الله عزّ وجلّ للمؤمنين، بقـوله في سياق الكلام عن اليهود:

﴿أَفَنَظُمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴿ ؟ إِ.

بصيغة الاستفهام التعجيبي.

اي: انتظممونَ أَيُّهَا المؤسّونَ أَنْ يَوْمَنَ جَمَهُـورَ اليهودِ، لأَجَـلَ نَفُونَكُم، وحرصكم على هدايتهم، وأنّخاذ مختلف الأساليب لإنناعهم واسترضائهم؟!

هذا الطبع هي غير محلّه، لأن النظاهرات الاجتماعية التي يعرزت في مجتمع اليهود تدلَّ على أن هذاية معظم أفرادهم أشرَّ لا يصبح أن يكون مطموعاً به، فالتمامل معهم على أساس الطبع بهذايتهم يبددُّ جهودكم، ويصدونها عمّا ينبغي أنْ تُوبّه له، ومن ذلك توجيه الجهود لدعوة من يعرجي من أفرادهم أن يستجيب، وتوجيه الجهود لمدعوة من يعرجي من أفرادهم أن يستجيب، وتوجيه الجهود لمدعوة مجتمعات أخرى يكون بذل الجهود فيها أنفع وأجدى، إذَّ هي الهمالية والإصلاح أرْجي.

وفي صيغة هذا الاستفهام التنجيبيّ [أفتطَمَّمُونَ أَنْ يُومِنُوا لَكُم؟!] توجيهُ من الله للمؤمنين كي بصرفوا طعمهم عن استجابة جمهور اليهود لمدعونهم، ليوفّروا جهودهم التي يذلونها بينهم لدعوة جماعات أخرى هي أرجى استجابةً للدعوة.

ثُمُّ بَيْنَ الله عَزَّ وجلَّ بالنَّحليلِ التفصيليِّ واقع حال هذا المعجتمع الذي يدلُّ على أنَّ الأمل بهدابة يُسْبَةٍ كبيرةٍ من أفراده أملَّ ضعيف، إذْ هُمُّ:

- إما علماء، وأثمة رقادة، بحرفون كلام الله عامدين متعمدين، الباعاً للهوى، والأمل بهداية هذا القسم ضعيف جذاً، كما تدل سُنن الاجتماع البشري.
- وإمّا منافقون، دخلوا في الإسلام نضافاً، ومعظم هؤلاء هم من علماء اليهود الذين يعرفون الحقّ، وينحرفون عنه، فهم لا ينقصهم تعريف بالحقّ وبيان له، والأسل بهداية هذا القسم، واستجابت الغلبية ضعيف جدًا أيضاً، كأفراد الفسم الأول.
- وإما وضاعون كذابون، يكتبون الكتب من عند أنفسهم، ثم يزعمون الجماهيرهم أنها ويتاجرون بهذه الكتب، فبيعونها بثمن مهما كثر فهو قلبل بالنسبة أنها بمن عبد الأمل باستجابة هذا الشعب اللي ما سيلاقونه من عذاب عند الله على افترائهم عليه، والأمل باستجابة هذا الشعب للمئن ضعيف جداً، لأنه مُلْحَقُ بشم الذين يحرفون كلام الله، بل هو أيلغ جريمة، واعظم إثماً، وأشد جرأة على افتراء الكذب على الله، فأقراد يعرفون اللحق ويتعمدون التزوير في أقبع صوره، ويتعمدون الكتب على الله، أتباعاً لهـوى النفس، والنافع للماجلة الذيرية.

وإمّا أُمّيّــونَ جهلة، إلا أنهم مُقلّدون متعصّبُـونَ، يَتّبــمـونَ النّبتهم من اليهــود
 أتباعاً أعمى، ثقة بهم، وتعصّباً لهم، لانهم من قومهم بني إسرائيل فيما يتصوّرون.

وما دام هؤلاء مرتبطين باثمتهم هذا الارتباط الشديد على غيـر بصيرة، فـلا أمل بهداية جمهورهـم. هذا ما تدلُّ عليه سنن الاجتماع البشريِّ.

وتأتي الأباثُ فُشيِّن هذا الواقع الذي يكشفُ بالتفصيل اقسام مجتمع اليهود بصفة عامّة، أمّا الحارج عن هذه الاقسام فنادر قبل، حتّى كانه لا يعتبر قسماً لقلّة أفراده، وتُفَرِّنَهم، كالذين آمنوا صادقين، ومن الصادقين: ومخيريق، و وعبد الله بن سلام.

(٣)

مع النَّصَّ في النحليل والتَّدبّر

قول الله عز وجل:
 وَاتَنَاعْمُمُونَ أَلَ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْكَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْمَعُونَ كَلَيْمَ اللّهَ ثُمْ يُعْمَرُ وَقُونَهُ
 مِنْ يَسْدِ مَاعَقَدُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ۞ ﴾:

أي: يسمعون كلام الله ويعقلونه، ثم يحرّفونه من بعـد ما سمعوه وعقلوه، وهم يعلمون.

ففي هذه الأية بيان لقسم من أقسام البهود، وهم فريق الأثمة والقادة والـزعمام. وفيهم العلماء بالكتاب المنزّل عليهم.

وقد غدا من عبادة هذا القسم أن يسمعُوا كلام الله من قبرالهم، فيمقلوه بالحفظ والاستذكار، ثمَّ يحرَّفوه بالتاويـلات الباطـلات، وبالـزيادة والنقص والتغيير والتبديـل، وذلك من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم يحرَّفون كماهم الله، وإذَّ يُعِيلُونه بالتأويلات الباطلات عن وجه دلالاته إلى معان اخرى أوافق أهْـواقهم، ويغيّرون بعض كلامه بقصد تغيير المعنى، أو يُزيدون أو ينقصون ويقتطعون النَّصوص، كلُّ ذلك بقصد تغيير المعاني بحسب أهواتهم.

إنهم لا يقعون في خطأ التحريف نسياناً للنصّ، أوجهلًا بـطرق التنبّر والقهم،

يل هُمْ يتعمّدون هذا التحريف استجابةً لأهوائـهم الخامّة، أو استجابة لرغباتِ ملوكهم أو ذوي السلطان أو الجاء أو العال فيهم .

ومن بلغت به الجريمة الدينيّة إلى هذه المسترى من تعريف كلام الله الذي يؤمن هو به، وقد ورثه عن قومه كابراً عن كابرٍ» ويفعلُ ذلك عن تعدّد وسابق إصرار، فإنه لا مطمع في هذايته واستجابته لمدعوة دين جديد عنَّ مُشْرُك، من عند الله تخالف شرائلهُ وأحكامُه أهواه، ورسولُ هذا الدُّين من غبر بني إسرائيل.

أو الطمعُ فيه ضعيف جدًاً، لا يستحقَّ بَقَـّالَ الجهود الكبيرة، أو الكثيرة، وحسِه إقامة الحجَّة عليه بالتبليغ وتأكيد التبليغ، حتَّى لا يكون له عذرُ عندالله.

إنَّ هذا القسم يُرْكُ مركب الباطل مع علمه بأنه باطل، ومع علمه بوجه العقّ. ويتحدَّى قضيَّة كُبرى من القضايا التي يُؤمن هو يها، في دينه الذي يعتزُ به، ويتمسُّبُ له تمصباً لقرمه، لا للحقّ الذي فيه.

فكيف يقبل اتّباع دين آخر، رسولُه عربيّ ، والصفُّ الأوّل من الذين آمنوا به هم من العرب؟!

بعد بيان هذا القسم الأول جاء قولُ الله عزَّ وجُلُّ:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ مَاشُواْ قَالُواْ مَامَنًا ۗ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ يَعْضُ قَالُواْ أَنْحُونُهُمْ بِمَافَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُعَاجُّونُمْ بِهِ. عِندَ رَبِّكُمْ أَلْلَالْمَقْلُونَ ۞ أَوَّلَا يَعْلَمُونَ أَذَا لَهُ يَمْنَامُ عَالْمُبِرُونِكُونَا يُعْلِقُونَ ۞ .

فكشفّ اللّهُ عزّ وجَلّ بهذا عن قسم آخر من واقع حال مجتمع اليهود، وهو قسم الذين نظاهروا باللّخول في الإسلام بنّهم، وهم في حقيقة حالهم منافقون.

وقد اقتضى البيان البلاغي الرفيع التُلُوينَ في عرض الاقسام فطُوبِت الإشارة إلى أنهم فريق آخر، للإشمار بأن هؤلاء السنافقين ليسوا إلا قسماً فليلاً من اليهود، ويحمسل هذا الطيّ معنى أنَّ هؤلاء السنافقين هم في الأصل من فسم العلساء والقادة والألسة المسرّفين لكلام الك، فقد فلّ هذا النَّصَ على أنَّهم في الأصل من طبقة علمائهم وأجارهم الذين يعرفون ولالات التصوص ويفهمونها، وستطيعون أن يَستَّبِطوا منها معاني دقيقة، إذ جاء فيه قولٌ من لم ينافق منهم لمن نافق:

﴿ أَعُدِنُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُم بِدِ، عِندَرَيِّكُمُّ أَفَلا نَعْقِلُونَ ﴿؟١.

إنَّ هؤلاء الدنافقين من علماء اليهبود، كانُّموا إذا لقُوا الـذين أمنُوا من المسلمين الصادقين، قالوا لهم: آمنًا مثلكم، فمحمَّد رسول الله حقًّا، وهو الذي يتُّمرت به كُتُّبًا، فقد عرفناه باوصافه المبيَّنة لدينا، وقَدْ أَنجل علينا المهلَّدُ بَالْهُ نُـوْمِنَ به إذا حـان جيتُه ويعثه الله.

دل على مقالتهم هذه التي طواها النص فلم يصرّح بها، أنّ التُصَ قد بيُنُ أَلَهم كانُوا إذا خلا بعضهم إلى بعض (أي: خلا المنافقون منهم إلى غير المنافقين منهم)، قال غير المنافقين منهم للمنافقين للُؤمينُ: كيف تحدَّثُون المسلمين بما فتح الله عليكم من فهم في كتبكم حول البشائر بمحمّد في النوراة وسائر كتب المهد القديم، إنْ هذا أمَّرُ سِيُّجذُهُ المؤمنون حجَّةً عليكم يوم الدين عند ربكم، فلا يبقى لكم عُـلُرً تعتذرون به في جحود محمّد، وعدم الإيمان به.

إنَّ إخوانهم لا يلزِّمونهم من اجَّل خفّة النفاق، فخفّة النفاق مَكِينَةَ صَّقَق عليها بينهم، لهذم الإسلام من داخله، إنّما يلوّمونهم على التصريح للمسلمين بما في كتب اليهود من بشائر تطبق على محمّد ﷺ.

ولمّنا كان العلم مهذه الحقيقة في كتب اليهبود إنّما وصلوا إليه عن طريق الفهم والتدبّر والاستنباط، لا عن طريق نصّ صريح غيـر قابـل للتاويـل، سَمُوا ذلك فتحاً، أي: هـو باب من أبـواب العلم نُتِخ لهم عن طريق الفهُم والتدبُّر والاستنباط، لـذلك قالوا لهم:

﴿ أَتُحَدِثُونَهُم بِمَافَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُعَاجُوكُم بِدِ، عِندَ رَبِّكُمُّ ﴾ 19.

والمسراد: كان عليكم أن تكتُّموا هـذا الفهم في أنفسكم، لتللُّ يكـونَ مستنداً ضدّكم عند ربكم يوم القيامة.

ولكن من أعجب العجب أسر اليهـود، إنّهم يتساملون مع ربّهم كتماملهم مع ملوكهم وعظمائهم من البشر. إنّهم يتوهّمُونَ أنّهم إذا كتموا هذا الفهم الذي فهموه من دلالات النصوص وأماراتها، والذي فتح الله به عليهم، كان لهم يوم الدين مهربٌ بالنّ ما في كُتبهم غير قاطع الدلالة، فجحدوُهم رسالـةَ محمّد ﷺ لا يُشكّـلُ نقضاً لصـريح دلالات نصوص كتبهم، ويتوهّمونَ أنّهم ربّما يجدونَ بذلك عذراً لهم عند ربّهم.

> لذلك قال الله عزّ وجلٌ في توبيخهم وإسقاط ذريعتهم التوهميّة هذه: ﴿ وَلَا يَشْلُمُونَ أَنَّ اللّٰهَ يَسْلُمُ مَائِيرٌ وَكَ وَمَائِشِلُونَ لَهِ؟ ! .

لى: سواءً عند سبحانه أسَرُوا ما وصلوا إليه من علم أو أعلنوه، فهو يعلَمُ ما يُسِرُون وما يعلنون، لا تخفى عليه خافيةً على غيره في السماوات ولا في الارض ولا في أنشسهم، واليهود يعلمون همذه الحقيقة عن الله عـزّ رجلٌ ولا يجهلونُها، لذلك ويُحتَّهم الله بأسلوب الاستفهام، مستنكراً تجاهلهم، أوَتَطْلِي حيلتهم على الهـ؟!

ثم إنَّ علَمْ اللهِ عزَّ وجلَ بكتمانهم للحق، مع ملاحظة الإثم الذي يترتب عليهم يسبيه، والذي يستلزم المحاسبة والجزاء، يدلَّننا عن طريق اللَّرازم الـذَهنَّة على أنَّ الله عزَّ وجلَّ سَيِّخَـاسيهم، وسيجازيهم بالعدل على كتسانهم ما يعلمون من أمور الدَين، ومن حقَّ الرُّبُّ الخالق عليهم، وهذا مَا أنذرتهم به دلالات النصّ.

وتُشيعُ هُنَا مَسْوالِيَّةُ الذين يفتح الله عليهم أبواب معارف ومفهومات يستبطرنها، وتجزم أفكارهم بصحتها، أو تترجع لديهم صحتها، ثم لا يعملون بها، أو يكتمويها فلا يعلّمونها الناس، وهي من الأمور التي بجب بينانها ويحرُمُ كتمانها، إذْ هي من أمور الدين الأساسية، أو من أمور الشهلدات بالحقوق، أو من ضروريات الحياة.

أمَّا المقسم الثالث من أفسام اليهود فقد جاء بيانهم في قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَرِمْهُمْ أَيْتُونَ لَايَمْلَمُوكَ ٱلْكِنْبَ إِلَّا آمَانِنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿

فذكر الله في هذه الآية قسم الآنين، وَلاَ أَرى أَنْ يَكُون العرادُ بالأميَّة هنا قاصراً على اللّذِينَ لا يُقْرَلُونَ ولا يكتبون، بل الأميَّةُ هَنَا يستخلُ فيهما الجاهلون باللّذِين، والجاهلون بدلالات نصوص الكتب الذينَّة، ولو كان هؤلاء يقرؤونُ ويكتبون، لأنَّ من يقرأ ولا يفهم ما يقرزُهُ هَوْ بشابة الذي لا يقرأ ولا يفهم، كلاهما جاهل بالمعاني المواذ، فكلاهُمُا أمَّى.

وبناءً على هذا نستطيع أن نفهم معنى كلمة ﴿أَمَانِيَّ﴾ في الآية. فالأساني كما

سيق بتشديد الياء وتخفيفها جمع وأُمْنِيَة، والفعل وتمنّى، والمصدر والتمنّي، والتمنّي في اللّغة يأتي دالًا على عِنْدَ معانٍ:

اولاً :

- فيأتي بمعنى تشهي حصول أمر مرغوب فيه.
- ويأتي بمعنى حديث النفس بما يكون وبما لا يكون من مرغوب.
 - ويأتي بمعنى سؤال الله في الحوائج.

وهذه المعاني الثلاثة تـدور حول حـركة النفس بمــا تشتهيه أو ترغب فيه، صــواة أبغي تشهيأً، أو ارتفى إلى مستوى حديث النفس، أو ارتقى إلى مستوى الطلب والتعبير اللساني.

والغالب في التمنّي أن يكون لأمور بعيدة المنال، بخلاف الرجاء.

ثانياً:

 ويأتي التمني في اللّغة بمعنى القراءة والتلاوق يقالُ لَفَةً: تَمنّى الكتابُ إذا فرأه، أو تلاه، قال الشاعر كعبُ بن مالك في مرثيته لعثمان بن عقان رضي الله عنه:

تَسَمَّنَىٰ كِشَابُ اللَّهِ أَوُلَ لَيُلهِ ﴿ وَآخِرَهُ لَافَسَ جَسَامُ الْسَفَايِدِ أَى: ثَلَا كِتَابُ اللهِ.

وفي لســان العـرب لابن منـظور: «تمثَّى الْكِتـابَ قَـرَأَهُ وَكَتَبِـهُ. فـأَصَـاف معنىٰ الكتابة.

وعلى معنى القبراءة والتلاوة فُسَرَتُ كَلِمَةً وتَمَنَىٰء وَكَلَمَةُ وأَمَنْيُه فِي قبول الله عزّ وجلّ لرسوله في سووة (الحج/ ٢٧ مصحف/ ١٠٣ نزول):

﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن فَهُ لِكَ مِن رَّسُولِ وَلَانِعِ إِلَّا إِنَّامَتُنَّ الْفَيْ الشَّيْطَانُ فِي أَفْرَيْكِيدِ فَهُسَخُ اللَّهُ مَالِّلِقِي اَلشَّيْطُنُ ثُمَّرً يُمُسِّحُ اللَّهُ الْمَيْدِ وَاللَّهُ عَلِيدٌ مُصِيِّحً ﴿ ﴾

إِذَا تُمَنِّيٰ: أي: تَلا وقرأ كتاب الله.

أَلْقَى الشيطانُ في أمنيُّته: أي: في تلاوته وقراءته.

ثالثاً :

 ويتأتي التمنّي في اللّغة بمعنى اختبالق الكذب، يقبال لغةً: فُسالاً يُتمنّى الاحاديث، أي: يفتعلها ويختلفها. ويقولون: تَمنّى الحديث إذا اخترع.

ويشول الرجل: والله ما تمنيَّتُ هـذا الكلام ولا اختلفته. وقال وجلّ أصرابيًّ لابن دابٍ وَهُـو يحـدُث: أهـذا شيءٌ رَوَيْتُه أم شيءٌ تمنيّنُهُ، أي : افتعلته واختلفته. ورُويِيَ عَن عثمان رضي الله عنه قولُه: وما تمنيتُ منذ أسلمتُه أي : ما كذبت.

ومن التمنّي هذا أن يقول الإنسانُ ما لا حقيقة له، وما ليس له به علّمُ وهو يحبُّه، فإذا حدَّثَ به قال النـاس: هذه أمنيّة، أي: شيءٌ لاّ صِحَّةً لـه، ومن النّمنِي أنْ يدّعي الإنسان الإيمان قولاً باللسانِ، دون أن يكون لهـذا الادّعاء حقيقـة راسخة في القلب، وأثرَّ في السلوك، وعليه يفهم ما رُوي عن الرسول ∰:

وليسَ الإيمسانُ بالتَّمني، ولا بسالتُخلِّي، ولكِنْ ما وقسرَ في القلب، وصدَّقَــه لعمل، (١٠).

أي: ليس الإيمالُ بالقول الذي يظهره الإنسان بلسانه فقط، ولكنُّه حقيقة تكون راسخة في القلب، ويكون لها آثارُ في العمل داللهُ عَلَيْها.

هذه هي المعاني التي تندور عليها كلمة وأسانيّ، وحين ننظر إلى قسم البهود الأميّن في الدين وفي فهم النصوص المسّزّلة، المقلدين لعلمائهم، أو فادنهم والمتهم وزعمائهم، والمتعصبين لهم، ونسبّر واقـم حالهم تُـلاحظ أنّهم يدورونَ حـوّلُ الأمـور التالية :

(١) فالذين يقرؤون ويكتبونَ لا يعلمـونَ كتابُ اللَّهِ إلَّا عِلْمَ قِرَانةٍ وكتابـةٍ فقط، وهم لا يفهمون دلالات نصوصه. فحالهم حال المقلّد الاغمَن بتعصُّبٍ لِمَنْ يُقلّده.

ويقال في شأنِ هؤلاء:

﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِنْبُ إِلَّا أَمَانِكَ ﴾:

 ⁽١) عن الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس وأشار إلى أنه ضعيف.

أي: لا يعرفونه إلاّ معرفة قراءة وكتابة، دُونَ علم بدلالاته.

(٢) والـذين لا يقرؤون ولا يكتبـون، قد يحفظُونَ عن طَرِيقِ السُماعِ شيئاً من
 الكتاب فيناونه تلاوة دُون فهم ولا تدبر.

ويقال في شأن هؤلاء أيضاً:

﴿ لَا يُعْلَمُونَ الْكِلَّابُ إِلَّا أَمَانِنًا ﴾:

أي: لا يعلمونه إلّا علم تلاوة فقط دون علم بـــــلالاته.

(٣) ومن هؤلاء فريق لا يقرأ ولا يكتبُ ولا يحفظ شيئاً من الكتاب، لكنّه قد
يسممُ مَا يُشْل بِنَهُ، وهؤلاء أشدُ خالاً في الأميَّة من الفارئين ومن الثالين، فهم عميانً
مقلدون، لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيُّ، أي: إلاّ سَمَاعُ تلازَةِ أو قراءة.

وهؤلاء جميعاً قد تدخل عليهم التحريفات المختلفات التي افتراهما المحرّفون والوضّاعون الكذّابون، فيرتكونهما كمّا أُمثلِتُ عليهم، أَوْ كُتِيتُ لَهُم، تُرْوِيد الْلَيْفاواتِ، وحين يردّدونها إنّما يُردّدونَ اكاذبِ وَمُعْزيات.

وفي هذه الحالة أيضاً يصحِّ أن يقال بشأنهم:

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِئْنَ إِلَّا أَمَانِنَ ﴾:

أي: لا يعلمونَ إلَّا اكانيب ومفترياتٍ على الله، وهم يظنُّونَ ظنَّا باطــلاً أنّها من كلام اللهِ المعنزل، وتكونُ الاماني عَلَىٰ هذا بمعنى الاكانيب والمفتريات.

وهؤلاء الأميُّونَ اليهود يسيطر عليهم اتجاهان:

الاتجاء الأوُّلُ:

اعتقادهم بانَّ اصطفاء بني إسرائيل بإنزال النوراة والزبور وسائر ما في كتب العهد القديم على رُسُّل منهم قد جعل لهم الاستحقاق المشرد بدخول الجنّة، وهذه فكرة باطلة اعتلفها لهم معرّفو كتبهم ومغيرو مفهومات دينهم، ووافقت أهواءهم وما يشتهون. وأرْضَت في نفوسهم المقذة القبيحة الني ورتُوها جانِحاً غَنَّ جَانِعٍ، والنِّي يُعبُّرون عنها بأنهم أبناء الله وأحبَّاق. واعتقادهُمْ بأنَّ لهم الاستحقاق المنفرد بدخول الجنَّةِ قَدْ عَبْرِ الفرَان عنه بقول الله عزَّ وجَلُّ في سورة (البقرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ نزول) :

﴿ وَقَالُوا لَنَ يَدْخُلُوا لَجَنَّةً إِلَّا مَنَ كَانَ هُودًا أَوْنَصَّنُوكًا يَلْكَ أَمَّلِيثُكُمُّ فُلْ هَاوُا بُوهَنَكُمُ إِن كُنتُهُ صَدِيْعِتَ ۞﴾.

أي: تلك أكاذيبٌ ومفترياتٌ يفترونها، وهي تُوَافقُ ما يشتهون ويرغبون فيه.

وهذا الاعتقاد الفاسد الذي يعتقده الأنبُّون من اليهود انساعاً لتضليلات معرّفيهم والمفترين مِنهمْ على الله، يدخل في عموم قول الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ أَمِينُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ إِلَّا أَمَّانِ وَانْ هُمْ إِلَّا يَظُلُونَ ﴿).

إذْ مُمْ لا يعلمونَ الكتَفابُ المسنوِّل عليهم إلاَّ أنَّه تضمَّن مسايئلُّ على تحفين امانيهم بأنَّ لهم وحدهم الجَّة، وهي الفكرة التي اختلقها لهم الوضَّاعون والمحرِّفون لكتيهم من أحبارهم والذين يكتبون الكتاب باليديهم وينزعمون لهم أنَّه من عندالله وما هو من عندالله.

الاتجاه الثاني:

اتّخاذُهُمْ آيات الكتاب العنزّل على بني إسرائيل تماثم وتعاويـذ ورُقَى، لتحقيق امانيهم في الحياة الدُّنِيّا، كمطالب الشفاء، والشراء، والإنجاب، والـزواج، والذَّورُةِ. والجاه، والسلطان، والنّصر، وغير ذلك.

أمًا مـا في الكتاب من شـريعـة، ومنهـاج، وتكـاليف، وأحكـام، ووصـــايـا، ومفهومات دينية، فهم عنّها ناؤون، ولَهَا مُجَافونُ، وبها زاهدون.

وهذا الواقع يدخل أيضاً في عموم قول الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ أَيْتُونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِئْبَ إِلَّا أَمَا فِنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظْتُونَ ۞ ﴾:

لي: لا يعلمون الكتاب إلا أنَّـه وسيلة نتضمّن مؤثراتٍ غبيبّـة تتحقّق بها أسانيهم الدنيوية.

هـذا هو حـال الأمّيين منهم، فَهُمْ لاَ عِلْمَ لهم بـالـذّين، ولا بـدلالات كتب ربّ العـالمين، إنَهم لا يعلمونَ الكتـاب إلاّ أمانيّ، يقـرؤون بغير علم أويتلون بغيـر علم، ويتأفُّونَ حمن قافتهم اللَّمْنِيِّنَ مُفتريات وتحريفات، ويحسبونها من كلام الله، ويعتقدون أنَّ الله اصطفاهم بالكتاب، وجعلهم إبناء وأحباءه، وخضهم بالجنَّه، وإذا تعلّقوا بالكتاب أتخذوهً للنمائم والتصاويذ والرقى فقط، من أجل بلوغ اسانيهم في الحياة الدنيا.

ومستندهم في كلّ ذلك الخَلَّ الضعيف، الَّـذِي لا يضع في إثبــات الحق، ولا يُشذَرُ به صاحبه، لأنّه قائم على الثقة بالنتهم الذين ليسرا أهلاً للثقة، وعلى النقليد الأعمى، والتعشّب الذهب المقيت، وعلى الارهام التي لا سُنَدَ لها، وتُصَدَّم مع ذلك عقائد باطلة تتنافى مع كمال صفات الله عزّ وجل، في جلّمِه وعَذْلِه وجُكُمَيْت، دلّ على ذلك قرلةً تعالى في الآية: ﴿وإِنْ هُمْ إِلاّ يظنُونَكِهِ.

أي: ما هُمْ في كلّ اتجـاهاتهم الاعتفادية والفكـرية والسلوكية إلاّ يَظُنُـونَ ظنّاً ضعيفاً، ويعتمدون على هذا الظنّ في كلّ ابنيتهم الفكرية والسلوكية.

وما دام هؤلاء الأميّون من اليهود على وضعهم هذا من التقليد الأعمى مع الجهل المطبق، والتعصّب المتحجّر الـدُميم، فالأسل بهـدايـة النسبة المنظمى منهم ضعيف جدًاً.

بعد بيان قسم الأميِّين من اليهود جاء قولُ الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَمَنِيلٌ لَيَلَيْنِ يَكُشُبُونَ الْكِنْسَبِأَيْدِيمٍ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشَّتُّوا بِهِ مُمَّنَا وَلِيدُ لَّا فَيَدِّلُ لَهُم مِتَاكَشِينَ أَنْدِيهِمْ وَمُثِيلٌ لَهُم مِتَاكِضِوْدَ ﴿ ﴾ .

قـد يكونَّ المشار إليهم في هذه الاية قسماً رابعاً من أقسام اليهبود، وهم قسم الكتبة الوضاعين، الذين يتـاجرون بكتـاية الكتب، فيكتبونُ الكتب المفتراة على الله، ليبعوها من عامّة اليهود، فيزعمون لهم أنها من عند الله، وما هي من عند الله، ليكسبُوا بذلك مالاً فليلاً، وعرضاً يسيراً من أعراض الحياة الدنيا

وقد اقتضى الأسلوب البلاغي الفنيّ النُّلوين في عرض الاقسام، فجاء ذكر قسم هؤلاء الْعَالِين في ارْيُكاب جويهة الانتراء على اللّهِ من أَجْلِ ثَمَنِ مَاليٍّ يسيرٍ، بـأسلوب توجيه الإنذار الفويّ لهم بعدابٍ شدّيدٍ، وهُو عَدَابٌ يُشَرِّعُ مُه بعارة اويل، وهذه الكلمة قـد تكـون اسماً علماً على وادٍ في جهنم، حِــاء وصف في ســورة (المـرســلات/ ٧٧ مصحف/ ٣٣ نزول) مع ترديد آية :

﴿ وَثِلَّ رَسَهِ لِهِ لِلْمُكَدِّدِينَ ﴾ فيها.

وقد أبان الله عزّ وجلَّ الجربيمة العظيمة لقسم هؤلاء الكُنَّيْة من البهود، ذلكر أتّهم يكتبون الكتاب بأيديهم، أي دون أن يستنسدوا في كتابته إلى أدلَّة نظية موثقة بالفكر السليم، فعملهم صناعةً يدويَّة، ثمَّ يقولون لعسامة اليهود الذين لاعلم لهم بوسائل إثبات التُّصوص: هذا من عندالله ليشتروا به تَمَنَّ قليلًا ١٧٠.

ولمَّا كانت جريمتُهُمْ هذه تنحلُّ إلى كبيرتُيْنِ هما :

الأولمى: الافتراء على الله.

الثانية: المكسب الحرام عن طريق الافتراء على الله.

بيّن الله عزَ وجلّ أنَّ عـذابهم الشديـد مفصّل إلى عَـذَابَيْنِ كُلُّ منهمـا شديـدُ إلى دركة وويل».

- (١) فويلُ لَهُمُّ ممَّا كتبتُ أيديهم، أي: من مفتريات على الله.
 - (٢) وويلٌ لَهُمْ ممّا يكسبُون، اي : من مال حرام.

. . .

ويعد بيان اقسامهم ذكر القرآن من أقرالهم ما يتضمّن بعض أوهامهم التي خَفَقْتُ لديهم قيمة جرائمهم الكبرى، منها الافتراء على الله، ومنها الكفر بالإسلام، ويالرسول محمد ﷺ، ومنها النفاق في دين الله، إذ يزعمون أنها جرائم لا تصلُ إلى تخليدهم في النار بُل يمنَّبُونُ عليها في النار عذاباً بسيراً آياماً معدودة، وذلك في قول الله عزّ وجلُ:

﴿ وَقَالُوا لَن تَسَسَنَا النَّكَ لَ إِلَّا أَمْكِامًا مَّفْدُونَا أَفَّذُنُّ ثُمُّ عِندَ الْفَوعَهُ لَا فَأَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدُ أَمْ إِفَرُلُونَ عَلَى الْفَوْمَا لاَنْفَ لَمُونَ ۖ ۞ ﴾.

 ⁽١) يقال لكلُّ بِنُ بَفِلِهِ القيمة وباللَّهِ السلعة من العتبايمين شادٍ، فبالذُّل القيمة شارٍ للسلمة، وساذل السلمة شارٍ للقيمة، وذلك لأنَّ العمليّة هي تبادل بين الطرفين، فكلُّ مهما شارٍ وبائع.

لقد افتروا على الله إذ زعموا أنّ الله يُخرَمُهُمْ كراسةٌ خناصّةٌ بهم لأنهم بنسو إسرائيل، فعهما أجرموا، واستحقوا النمار، والخلودُ فيها على جراتمهم الكبرى، فبإنّ الله عزّ رجلٌ لن يعذّبهم في النار إلاّ أيّاماً معدودة.

ومعلومُ النَّ مثل هذا الأسر لا يمكن ان يُعرَف إلاّ عن طريق بيانِ ربَّاانيٍّ خاصُّ. وعهد تَعَهَّدُ اللَّهُ بِه لَهُم، وهذا النَّرُ لَمَّ يحصُلُ في اتي نعشٌ مُسْؤُل، أو على لسان أيّ نبيًّ أورسول.

ولذلك علَّم الله رسوله وكلُّ مؤمنٍ أهل ٍ لمناظرتهم أن يُناظرَهُمْ بِطَرْحِ السؤال التالي عليهم:

﴿ أَغَٰذَتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُغْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ ﴾ ؟.

وبعد طرح هذا السؤال عليهم لا بُدّ أن يكون موقفهم كما يلي:

الأول: إمّا أن يقولوا: نعم، وعندئذٍ يطالبون بالنّص عليه من كتبهم، ولن يجدوا ذلك في نصّ صحيح النسبة إلى الله .

الشاتي: وإمّا أن ياتُوا بـأدَلَةٍ ذهنيـة أو استنباطيّـة ضعيفـة، لا تقــوى على إثبـات دعواهم، وباستطاعة العناظر الكنّـــةِ أنْ يُدجِضها لهم.

الثالث: وإمَّا أن لا يجدوا دليلًا يستدلُّون به، فينقطعون.

وفي كلَّ ذَلِكَ تنتهي مناظرتهم بـإفحـامهم، أومـراوغنهم وتهـربهم، وتـدمغهم الحجَّة، وتسقط دعواهم.

وفي هذا التعليم قال اللهُ عزَّ وجلَّى:

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُغْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾؟.

ويعد انقطاعهم في المناظرة، أو إفحامهم ودمنهم بالحجّة، يحسُنُ في نهايـة الموقف تُفسُمُهم، أو تلوينُهم وتبكيتهم، والتعبيرُ الذي دلَّ على الأمرين معاً، قول الله عزَّ وجلَّ في الآية التعليمية:

﴿أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَقَدَّلُمُونَ ۞ ١٢٠].

أي: ثبت أنه لا دليل لكم، بـل تقولـون ما لا علم لـديكم به، أتَشُولُونَ على الله ما لا تعلمون؟! أي

- أَتَّقُوا الله واخْلُرُوا عاقبة الافتراء عليه. (في النَّصح).
- كيف تفترون مثل هذا الافتراء على الله؟ (في التلويم).
 - أتتجر وون على الله فويل لكم. (في التبكيت).

والتعبير الوارد في النصّ بصيغة الاستفهام يصلح لكلّ ذلك، فما أبدع البيان القرآني!.

وبعد ذلك أبنان الله عزّ وجلٌ قضاءه الجازم في موضوع الجزاء بالعمدل على العظايا وكُسْب السيئات، وعلى الإيمان وعمل الصالحات، وهو من القضايا التي لهما صفة الثبات في كلَّ رسالات الله لعباده المنزَّلة على كلَّ رُسُّله، وذلك في قـول الله عزّ وجل:

﴿ سَلَوْنَ كَسَبَ سَيْنَكُ وَأَخَطَنْ إِنِهِ خَطِيَّتُكُمُ وَأَوْلَيْكَ أَصْحَبُ الْسَايَّةُ مُ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ وَالَّذِيكَ اسْتُواوَعَيلُوا الصَّلِحَنْ الْوَلَتِيكَ أَصْحَبُ الْمِنَّةُ مُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞﴾.

بلمٰ: جوابُ سڑال مُقَدُّرٍ، يمكن تقديره كما يلي: رَبَّنَا ٱلْسُتَ تُعذَّب اليهـود ضمن قانون موحّدٍ شاملٍ لُكُلُّ عبادك؟

فقال تعالى: ﴿ وَلِمْنَ ﴾ والقانون الموحّد الشامل لكلّ العباد هو: ﴿ مَنْ كسب سبتهُ وأحاطت به خطيته . . . ﴾ .

نقول الله عزَّ وجل: ﴿ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيَّتُكُمْ ﴾.

وفي القراءة الأخرى:

﴿وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئاتُهُۗ : أي : كفر فاحاطتْ بِه خطيته التي اسقطنهُ في الكُفْر، أو أحاطت به مجموعةً من الخطيئات التي اسقطته في الكفر. فاولَوْكَ الْبُغداءُ عَنْ مجالات الرحمة بسبب كفرهم، هم أصحاب النار الذين هم فيها خالدون.

وذلك لأنَّ من كفر بما يجب الإيمان به، أو ارتكب عدة خطيشات اعتقادية وسلوكية أوقعته في الكفر، فقد سند عن نفسه كلَّ منافند النّجاة، وكلَّ منافند وصول رحمة الله الشاملة إليه، فلا يُدَّ أَنْ يكون خالداً في النار بمقتصى قضاء الله الجازم، في قانون المقربات الربّانية، فالكُفُرُ لا تشملُهُ رحمةُ الفقران، لذلك فهو من أصحاب النار الخلدين فيها أبداً.

هذه حقيقة قطعيّة من حقائق الذين، في كلّ ما أنزل اللّهُ بِنْ شرائعُ لعباده، وقــد دلت عليها نصوص قرآنية كثيرة، ودلّ على أنّها هي المرادّةُ هنا في هذه الآية، مقابلتها بما في الآية التالية لها، وهي :

﴿وَالَّذِينَ مَا تُنَّا وَعَيِلُوا الصَّلِيحَاتِ أَوْلَتِكَ أَضْحَكُ الْجَنَّةُ لَهُمْ فِيهَا خَـٰلِهُونَ ۞﴾.

إنَّ الكفر وحده موجبٌ للخلود في النار، ولكن لمَّا كان موضوع النقاش مع اليهـود حول ادَّعـالهم أنَهم لن تسمَّهم النار على كسبهم السِئـات إلاَّ آياماً معـلـودة، ردَّ الله عليهم فأبان لهم أن من كسبّ سية وكان كافراً قد أحاطت به خطيته فهو مقضيًّ عليه بالخلود في النار.

أمّا من كسب سيئةً ولم يكفر فلم تُجعَلْ بِهِ خطيته، فقد سكت النصّ هنا عن بيان قضاء الله في شأنه.

ودَلَت نصوص أخرى علمي أنَّ من ماتُ على معصيته من غير توية، وكان مؤسنًا. استحقَّ العقاب على قلْر معصيته، ولكنَّ أمر معاقبته فصلاً متروكُ إلى الله، إن شـاه عاقبه، وإن شـاه غفر له، وهو سبحـاته الغليم بعبـاده، الحكيم في قضائه وقُلْـرِه، وَفِي يقلّهِه وَعُلْهِه.

النسصُ الرابع

من سورة (البقرة/ ٧ مصحف/ ٨٧ نزول) الآيات من (١٤٧ ـــ ١٤٥) حول مشاركة المنافقين بإثارة الشُّبَهِ بشأن تحويل القبلة إلى الكعبة المشرّفة

قضيًّ تحويل القبلة إلى الكنبة المشرفة عن جهة الشّام حيث مسجد الصخرة في القدس، تضيّة دينيّة شاركَ المنافقون بإثارة الشبهات حولها، لفتنة المؤمنين عن دينهم، كما شارك فيها اليهود، وعربٌ مكة العشركون، وبعض المسلمين من ضعفاء الإيمان.

وبشانها أنزل الله عزَّ وجلَّ قوله في سورة (البقرة):

وسَيَعُولُ الشَّغَيَّة مِن التَّاسِ مَا وَلَنَهُمْ عَن مِنْلِهِمْ الْوَافُولُ عَنْهَا أَلَّ اللَّهُ وَالمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ مَسْلَا الْمَسْرِقُ وَالمَسْرِقُ الْمَسْرِقُ الْمَسْرِقُ الْمَسْرِقُ الْمَسْرِقُ الْمَسْرِقُ الْمَسْرِقُ اللَّهِ مَسْلَا اللَّهِ مَسْلِقُ وَاللَّهِ مَسْلِكُ وَاللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا مَسْلِقُ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ مَالِمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَالِمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا الْمَسْلِقُ اللَّهُ مَا الْمُعْلِقُ مِنْ اللَّهُ مَا الْمُعْلِقُ الْمُنْ اللَّهُ مَا الْمُعْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُنْ اللَّهُ مَا الْمُعْلِقُ اللَّهُ مَا الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ ا

وفيما يلي البيان والتحليل مع تدبر النص:

1)

موقف الناس إيّانَ تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة في عَهْدِ التنزيل

السُّفهاه: جمع سفيه، والسفيه هو الجاهل الطائش، ذو العقل الضعيف والخفَّة، المذي لا رُزَانةً لـ ولا وُزَنَّ لرأب. وهو صفة مشبهة من فعل وسُفَّة، أي: صار السفه سجيَّةً له.

وأصل السفه في اللّغة العنّة ومسرعة الحسركة، وخفة العقل والرأي. ومن كان سفيهاً كان طائشاً سَيِّىء التصرّف، لا يُهجّبنُ إدارة أمراله، ويتاثر ببادي الـرأي وبادثـه، دون رويّةٍ ولا تنبّت، فيقع في أعطاءِ فاحشة.

ومن يكونُ فيه سفّة يحكم على الاشياء بسرعة، وتشرُّة العوارض الخفيفة، غَفَقِقُه صحوابه، وربَّما دفعه ذلك إلى ارتكاب حماقات مختلفات، منهما مسلاطة اللّمسان بالشتائم، ومنها المقاتلة دون داع لهما، ومنها الإسراف والتبذير وسُّوء إدارة الأموال بدون عقل، ومنها التهوُّر والتورَّط في العضايق والمهالك. إلى غير ذلك من تصرّفات بالغة الحمق والجهل.

وقدجاه وصف المنافقين في أوائل سورة (الفرة) بأتُهم هم السُّفهاة، في مقابل اتّهامهم المؤمنين بأنَّهم سفهاه، ومن سفاهة المنافقين تعريضهم أنفسهم للدوك الأسقل من النار.

ووصف الجنُّ إبليس بنأنُه سفيههم، فقـالوا كمــا أخبــر الله عــزٌ وجــلٌ في ســورة (الجن/ ٧٢مصحف/ ٤٠ نزول):

﴿وَأَنَّهُ كَاكَ يَقُولُ سَفِيتُهَنَاعَلَى اللَّهِ شَطَطًا ١٠٠٠

وذلك لأنّه تطاول على ربّه بحماقة بـالفة، وخَنَةٍ وطيش، وعدم تقدير عـاقلي لسوء المصير، فكان ذلك سبباً في طرده من رحمة الله، وحلول اللعنة عليه، والعكم عليه بالخلود الأبدئ في جهتَم. ووصف الله عنزً وجلَّ الـذِين لا يحسنـون التصــرف في أسوالهم، وهم الصــذار والمبذّرون المبدَّدون لاموالهم، ومن لا عَقولُ لهم، يأتُهم سفهاء، فقال تعالى في ســورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿ وَلا تُؤْوَّلُ الشَّنَهَاءَ اَمُوَاكُمُّ الَّيَ جَمَّلُ اللَّهُ فِي فِيمَا وَالْوَقُوْمُ فِيهَا وَاكْمُوهُمْ وَقُولُولُمْ وَلِانتُونِهِ ﴾ .

ووصف موسى عليه السلام الذين أشركوا من قومه فعبدوا العجل في غيبته عنهم بانهم سفهاء، فقال لربّه كمنا جاء في سورة (الأعراف/ ٧ مصحف/ ٣٩ نزول): ٢٠٠٠/٢٤ ٢٠٢٢ بروبرس تاثير من

﴿ أَتُهِلِكُنَّا مِافَعَلَ ٱلسُّفَهَا مُنَّا ۗ ١٢٠

أمَّا الموادُ من السُّفَهاء في هذا النصَّ، وهم المذين صدر عنهم ما كان متوقَّعاً منهم مقالة:

﴿مَاوَلَنهُمْ عَن قِبْلَنِيمُ أَلِّيكُا فُواْ عَلَيْهَا . . . ١٠٠

أي: ما صَرَف المسلمين عن النوجُّهِ لقبلتهم الَّتي كـانوا يشوجَّهون في صلاتهم لها، وهي بيت المقدس؟!

ففيه للمفسرين عدَّة أقوال:

- فقيل: هُمُ اليهود، وهو مرويٌ عن البراء بن عازبٍ، وابن عباسٍ، ومجاهد.
 - وقيل: هم المنافقون، وهو مرويُّ عن السُّدّي.
- وقيل: هم المشركون من أهل مكة، وهو مرويً عن ابن عباس والبراء بن
 عازب أيضاً، والحسن، وهو ما ذهب إليه الزجاج.

روى ابن جسرير بسنده عن السّدي قسال: كنان النبي ﷺ يُصَلَّى قِيسَلُ بيت المقابس، فنسختها الكعبة، فلمّا توجّه الناسُ قِبَل العسجد الحرام اختلف الناس فِيها يَكَانُوا أَصِنَافًا:

فقال المنافقون: ما بالهُمُّ كانوا على قبلةٍ زَماناً، ثُمَّ تركوها وتوجّهوا إلى غيرها.

 وقال المسلمون: ليت شِعْرنا عن إخواننا الىذين مَاتُـوا وهم يُصَلُّونَ قِبَلَ بيت المقدس، هل تقبَّل الله بَنَا وبِنْهُمْ أو لا؟

 وقالت اليهود: إنّ محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده، ولوثبت على قبلتنا لكنًا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي نشظر.

وقــال المشركــون من أهل مكــة: تحيّر على محمّــد دينُه، فتــوجّه بقبلتــه إليكم، وعلم أنكم كنتم أهْدَى منه، ويوشك أنْ يدخُول في دينكم.

فائزل الله جلّ تتاوه في المتنافقين: ﴿ وَمَيْقُولُ النَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ فِيْلَتِهُمُ الَّتِي كَانُّوا طَلَّهَا﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ مَـفَى اللَّهُ﴾ وأثرك في الآخرين الآيات بعدها.

اقبال:

المذي أراء أنَّ المنافقين والهمود والمشركين وكلَّ الكافرين يُعِسِعُّ أنَّ يِسَالًا في وصفهم: سُفُهاء، لأنهم بحماقاتهم، وضعف إراداتهم، وخفتهم وطبشهم في أيمدي أهواتهم، سَيْرًوا لأنَّقبِهِمُّ الطرد من رحمة الله، والخلوذ في عذاب جهتَّم.

فلا مانع من أن تستخف حادثةً تحويل الفبلة أصناف الكافرين جميعاً. وتستخف معهم أيضاً بعض المسلمين الذين لم يتمكّنوا في الإيمان الراسخ بُقدَّ، لإطلاق مثل هذه المقالة، اعتراضاً على هذا التبديل في القبلة، أو تساؤلاً واستفهاماً لإزالة الشَّبْهَ التي قد تنسُّ النفوس الضعيفة بشكُ.

وقد سبق في آيات سورة (البقرة) ما يدلّ على أنّ اللّه عنزٌ وجلّ قـد ينسخ بعض آياته پبديل_{ار} طلها أوخير منها، ليمتحن طاعة المسلمين وصِدَّقُ إيمانهم.

وكانت حادثة تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة انتحاناً صعباً للمسلمين، وأسلوباً تربوياً واثماً قاصيل المفهومات الصحيحة لقضيتي الإيمان والطاعة، وإنَّ تعرِّض هذا التبديل لسهام الشبهات الباطلات، التي لا بـذ أن يُطلقها أصداء الإسلام وخصومه.

إنَّ تأصيلَ مفهومات الإيمان والطاعة في الإسلام ضرورةٌ تستُدْعِي إشارةٌ جَذَلرٍ مـع

الخصوم حول قضيَّةٍ قد تُشْكل عليهم، فيثيرون حولَها شبهاتهم.

وبعدَ إثـارة الشبهـات لا بـُـدُّ انْ ينتصـر الحق، وتتكثَّفَ العفهـوصات الصحيحة وتتأصَّل، وتُصَنَّحُ العفهومات الخاطئة التي قد تسيطر على بعض المنتسبين إلى الدين.

* * * * الحادثية وأمثالها لا بُدّ أن يُسَاهِمَ في إثارة الشبهيات حولها جميع أعداه

الإسلام وخصوصه، سواءً من كمان منهم مُطُهِـرَ العداوة، كماليهود والمشـركين، وغُلاةٍ النصارى، أو كان مُبْطِلَ العداوة كالمـنافقين.

ومع إثارة الشبهات:

 فقد يتساءل عن سبب التحويل، وعن حكم الصلوات السابقات إلى جهة ببت المقدس بعض المسلمين، الذين لم تتوضع لديّهم بَعْدٌ وزّمٌ تعمّش مفهومات الإيمانوالطاعة، إذّمازالت بعض مفهومات الجاهابة الوثيّة عالمة في أذهانهم ونفوسهم.

 وقد يتراثرنُ إسلام معض المسلمين الذين لمّا يَدْخُور الإيسانُ في تلويهم، فيرتدن عن الإسلام، وهؤلاء إمّا أن يُغلّبُوا ردّنهم، وإمّا أن يُخفّوها، فيكُونُوا مِن الذّينَ طرأ عليهم النفاق بعد أن كانوا مسلمين.

وبذلك تظهر لنا جوانب من حكمة الله العليم الحكيم في امتحان قاس مثل هذا الامتحان، حول الففسيَّنِن الاساسيَّتينِ من قضايا الدين، هما:

• قضية الإبسان.

وقضية الطاعة.

آمنا اليهود: فقد كان منهم ما رواه الطبري بسنده عن ابن عباس قال: والسا صُرفت القبلةُ عن الشام إلى الكعبة _ وصُرفتْ في رجب على راس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة _ اثنى رسول الله ﷺ: وفاعةُ بنُ فيس، وفرقهُ بنُ عَشْرِي، وكمبُ بنُ الأَشْرَف، وفافقُ بن أبي نافع، أو رائمةً بنُ أبي رافع (ووايتان عند الطبري،(٢ والحَجْمَاعُ بَنُ عَشْرو حليفٌ كعب بنُ الأَشْرَف، والرَّبِيعُ بن الربيع بن

 ⁽١) رواية ابن هشام عن أين إسحاق: رافعٌ بن أبسي رافع.

لبي المُحقِّني، وكِنَانَةُ بَنَّ الرَّبِيعِ بَنِ ابِسِ الْمُعَلِّينِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، مَا وَلَاكَ عَلْ قبليك الَّتِي تُنْتَ عَلَهِا، وانت نَزْعُمُ الْنَكَ عَلَى مِلَّةٍ إبراهيمَ ودينه 19 ارْجِعَ إلى قبلنِيك الَّتِي كنت عليها نَتَبْعُكُ رَفِّسَدُقُكَ.

وانَّمَا يُربِعُونُ فَنتَهُ عَن دينَه. فانتَوَل الله فيهم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّسِرِ: مَا وَلاَّهُمْ عَنْ يَتَلِيهِمُ النِّي فَاتُنُوا عَلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا لِيَمْلَمَ مَنْ يَتَبِعُ الرُّسُولَ مِمُنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِيبُهِ﴾.....

وهؤلاء الذين جاء ذكرهم في هذه الرواية كلُّهم من اليهود.

وقال البهودُ أيضاً فيما رواه الطبريُّ عن السُّدّي: «إنَّ محمَّداً اشتــاقَ إلى بَلَدِ أبيه وَمُؤَلِدِه.

وَروى البخاري عن البراء بن عازب أنَّ اليهود وأهل الكتاب أنكروا ذلك (١٠).

وَأَمَّا المَمْتَافَقُونَ; فقد كان منهم ما رواه الطبريّ بسنده عن السُّدّي، أنّهم فالوا: وما بالُهُمْ كانُوا على بِثَلُةٍ زَمَانًا، ثُمَّ تركوها وَتوجّهوا إلى غيرها؟!ه.

وأمَّا المشركون: فقالوا كُمَّا رواه الطبري يسنده عن السُّدّي:

وتحيِّرُ علميٰ محمَّد دينَهُ، فتوحَّه بقلته إليكم، وعلم أنَّكُمُ كَتَتُمُ أَهْسَدُىٰ مِنْهُ ويُوشِكُ أَنْ يدخُلُ في دينكم،

وأمّا المسلمون: فقال ابْنُ جَرِيج: بلغني أنّ ناساً مَمَن أسلم رَجَعُوا فقالوا: مرَّةً هَنَهَنَا ومرَّةً هنهُنا.

(عن الطبري)

أقول: وقد أشار النصّ إلى هؤلاء بقوله تعالى:

﴿وَمَا جَمَلْنَا ٱلْفِئِلَةَ الْتِيَكُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن بَلِّيمُ ٱلرَّسُولَ مِقَن يَنقَلِبُ عَلَ عَقِيَنَةٍ . . . ۞﴾.

⁽١) انظر الحديث رقم (٤٠) في فتح الباري شرح صحيح البحاري لابن حجر.

وتسائل مَنْ تُسادلُ منهم عن حكم الصلوات السبابقات إلى بيت المقدس: هلّ ذهبتْ ضائمةً؟ وقالوا: ليتُ تِشْمَزُنَا عنْ إخسواننا اللذين ماتُدوا وهُمْ يُضَلُّونَ بَيْسَلُ بَيْتِ المقدس: هلُ تقبُّلُ اللَّهُ منَّا ومنهم أم لا؟

(ابن جرير الطبري عن السدّي)

فأجاب الله عزّ وجلّ عن هذا التساؤل بقوله تعالى :

﴿وَمَاكَانَاللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَنَكُمُّ إِنَ اللَّهَ وَالنَّاسِ لَرَّهُ وَقُ رَّحِيدٌ ﴿ اللَّهِ ا

أي: ليس من تسابّه سبحانه، ولا من حكمته، ولا من قانون جزائه على المسالحات، أنْ يُفيع تواب صلواتكم التي توجّهتُم فيها شحل بيت المقدس، والّتي على هي تُمَزَّةً من أشرات إيسانكم، فالاساس في عادة الله هو الإيمان، ومن لموازم الإيمان الطاقة في الأهر، فمن أطاع أثر الباري، مؤمناً به نَبَت له الأهر، ولو أنَّ الله وجَههُ في كل يوم لنبلّة ما في صلاته، فترجَّد على وفق الأمر لكان ثوابُ المسالة ثابتاً، المحتقي الإيمان القال على الطاعة التي هي من لوازمه إشمارً بأنَّ الإيمان والأماكن لبّن لَها في ذواتها صفات تستَحقُ ارتباط طاعة الله بها، ولولا الأشرُ الرَّبائي بتخصيصها لما تفاضل مكان على مكان، ولا زمان على زمان، فهي جميمها تستخص هو الآمرُ الرَّبائي، تستخيى في أنّها خَلَقٌ من خلق الله، والذي يُمَرَّد بعضها من بعض هو الآمرُ الرَّبائي، والتعنيمين الرَّبائي، والعبادة في كل الأحوال لهُ وحده لا شريكُ له.

وبناة على هذا فالعباداتُ ومنها الصلواتُ التي لا تكونُ ثمرَةَ إيمانِ صابِقِ صعيح كالتي تكونُ نفاقًا، أو رياةً أو عادةً لا تُقصَدُ منها عبادة الله، أو خاليةً من مضمونها الحقيقي ــ عباداتُ ضائعاتُ، يجعلها الله هباة مُشَوراً.

ومن أجل الدلالة على هذه الحفائق جاه التعبير بالإيسان، بدل الصَّلَاق، في مقام تحقّن الأجّــو وعَذيب، باعتبار أنَّ الأصل في الدين هو الإيسان، وأمَّا العمــلُ فَيُقْتِـلُ يَخْذُ اللَّهِ مُنَّهُ مَا كان أثراً من آثاره، وثمرةً من ثماره.

وأَصَا المسلمون العؤسنون الصادقون: فاستجابوا وأطاعوا، ولم يكُنْ بِنَهُمْ إلاّ التسليم التّأمُ، لانّهم يعلمون أنّ الطاعة شهرة الإيمان، والإيمانُ موصولُ بالله لا بالاشياء العانية. وقد أشار الله عزّ وجلّ إلى سلوك هؤلاء بقوله تعالى في النصّ: ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكِيْرِمَّ ۚ إِلَا كُلِي ٱلْذِينَ هَدَكَ النَّذَّةُ ﴾.

والَّذِينَ هداهُمُ الله، أي: حكم لهم بـأنَّهم مَهْدِيُّونَ وَعَلِمَ أَنْهم مَهْدِيُّونَ، هُمُّ الذين صَدَّقُوا في إيمانهم، والتزموا طاعة أوامر ربّهم في أعمالهم وعباداتهم.

. . .

(Y)

قصّة القبلة قبل التحويل إلى الكعبة المشرّفة وبَعْدَهُ

رُويَ أَنَّ رسول الله ﷺ كانَّ يُصلّي إلى الكعبة أوَّل الأمْرِ، ثُمُّ أَمَرُهُ اللَّهُ أَن يتوَجَّـه شطر بيت المقدس، وذَلَّ على أنَّ هٰذا أَشُرُ من الله عزَّ وجلَّ قرَّلُهُ تعالى في النصّ:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْـلَةَ ٱلَّتِيكُنتَ عَلَيْهَا . . . ۞﴾ .

فهذه القبلة هي بجعل الله، أي: بأمره التكليفيّ.

وفي الصدلاة إلى بيت المقدس رُويُ أنَّ الأنصار في المدينة صَلَّوا إلى بيت المقدس ثلاث حِجَج قبل هجرة الرُسُول ﷺ إليها. ورُوي أنَّهم صَلَّوا إليه سنتين. (دوابات سافها الطبري)

وأمّا بعد هجرة الرسولﷺ إلى المدينة، فوردت بشأنها عـنّـة روايات، أشهـرها إنّ المسـلمين صُلُّوا إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً، وقيل: صَلُوا سَنَّة عشر شهراً، وقيل: ثمانية عشر شهراً.

قال ابن حجر في فتح الباري^(١):

وانَّ العلماء اختلفوا في الجهة ألَّني كان النبيِّ ﷺ يُوجَّه إليها، للصلاة وهـو بمكة، فقال ابن عبَّاس وغيُّر: كان يُصلِّي إلى بيت المقدس، لكمَّه لا يَسْتَطَيُّر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس. وإطلقُ آخرون أنَّه كان يُصلِّي إلى بيت المقدس، وقال آخرون: كان يُصلِّي إلى الكعبة، فلما تحوّل إلى المدينة استقبل بيت المقدس،

⁽١) أنظر فتح الباري الجزء الأول الصفحة (٩٦).

وهذا ضعيف، ويلزم منه دعوى النسخ مُرتين، والأوَّل أصحَّ، لأنَّه يجمع بين القولين، وقد صحَّحه الحاكم وغيره من حديث ابن عبّاس».

وحين كانت الصلاة إلى جهة بيت المقدس قال اليهود: ما بالُ مُحمَّد يُصَلِّي إلى قبلتنا، ولا يَتْبغ ديننا.

وكره رسول الله ﷺ أن يسمع مثل هذه السفالة، فجعل يُفَلَبُ وجهه في السعاء بعض الأوقاب، مُشَّمراً في نفسه برغبته في أن تكونَ الكيمَّةُ هي قبلة المسلمين في الصلاة، وربَّما يكونُ في ذلك إشارةً إلى أنَّ الرسسول ﷺ دعا ربَّه في هذا الأسر، كما جماء في بعض الروايات عن ابن عبّاس. أو يكسون الأمر مجرَّد رغبة داخليّة، وحركة بوجهه نحو السعاء أحياناً، والرغبة دون دعاء أكثر دلالة على التأثّب مع الله فيما يقضي به من أحكام ديه.

فقول الله عزِّ وجلُّ في النصُّ:

﴿ وَقَدْ زَىٰ تَقَلُّتِ وَجِهِكَ فِي السَّمَاءُ فَلَنُو لِيسَنَكَ فِيلَةً زَصْنَهَا ﴾

يُدُلُّ علىٰ الرُّغبة صراحةٌ، وليس فيه دلالة صريحة على الدُّعاء.

ومعنى: ﴿فَلَا نَرَى. . ﴾ أحيانًا نَرَىٰ تقلُّبَ وجهكَ في السماء واغبًا في تحويل القبلة إلى الكعبة .

﴿ فَلَنُولِيَ نَكَ قِبْلَةً تَرْضَلُهُ أَ ﴾.

هي الكعبة المشرفة.

ويعـد ذلك أمـر الله الرســول والمسلمين باتّخـاذ الكعبـة قبلتهم، ويتــوجّههم في صلواتهم شطر المسجد الحرام، حيثما كانوا من الأرض بعيداً عنه، فقال تعالى:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْمَرَارِ وَمَنْتُ مَاكْتُنُدُ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَةً ﴾

لي: فأتبع وشَهَكَ جِهَة المسجد الحرام في الصلاة، وحِشا كُتُم أَلِيها المؤمنون المسلمون فه فأتَبحُوا وشِوفكُم جِهَة المسجد الحرام في صلواتكم، ويرى الجمهور أن المراد من المسجد الحرام الكعبة المشرفة، لكنزة الأخبار الدالةِ على أنَّ القبلة صُرِفت للكعبة. ضَطَّرُ الشيء: يَضَفَّه، وجهيَّه وناحِيته، وقد يُرادُ الجزَّة صُّهُ. فالعَسَوجَّة للشيء يكفي أنْ يُواجِهُ بَكُلُهِ جزءاً منَّ، وعلى هذا فيكفي أن يكون الْـوَجُّهُ سواجهاً لجـزو من الكمة أوجهتها عند البَّفْدِ في الصلاة.

. . .

وقبل توجيه الامر بالتحويل إلى جهة المسجد الحرام آخير الله رسوله بما سبقوله السفهاء من الناس حول حكم هذا التحويل، وبما سُشار حوله من اعتراضات وتساؤلات، فهيًا الله رسوله والمؤمنين معه نهيئة نفسيَّةً مستحدّة لتلقّي الاعتراضات والساؤلات.

فيدل أن تأتي آية: فؤند نرى تقلُّب وجهك في السَّمَاءِ ... ﴾ أولاً، وبعدها تأتي آية: فوسيقول السفهاء من الناس ما ولاهم ... ﴾ حسب المتبادر للأذهان من الترتيب، بدأ الله بآية: فوسيقول السفهاء ... ﴾ مراعاةً للبدء الشربوي ببإعداد النفوس وتهيشها لتلقى أحداث ما بعد التكليف الجديد قبل تَرْجِيهِ التُكليف،

وهو أسلوبُ تربويُ رفيم، قاعدته إعداد النَّفس قبل توجيه التكليف، نظير أن يقول الرئيس الأعلى لعامل من عُمَّاله اختاره لحلَّ مشكلاتٍ ولايةٍ من ولاياته: سوف تلاقي متاعب كثيرةً أنت أهلَ لها، وقادر على حلّها في ولاية كذا، اذهبُ إليها فـأنت والم عليها منذ الأن.

وعلَم الله رسوله والمؤمنين معه كيف تكونُ أجوبتهم لـدفع شبهات مثيري الشبهات، حول الأسر بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام، ولتصحيح مفهوسات المسلمين حول قضيتن أساسيين من قضايا الدين، هما:

- قضية الإيمان.
- وقضية الطاعة أأمر الله كيف كان اأأمر.

وروايات أسباب النزول نقصُّ قصة اعتراضات اليهبود والمشافقين والمشركين وتساؤلات بعض المسلمين حول حادثة تحويل الفبلة، تُمُّ يأتِي في آخرها، فأنزل الله قوله: ﴿سيقـول السفهاء من النـاس. . ﴾ فاشعـر هذا بنأذ نزولُ هـلــــ الأية كـــان بعد الاعتراضات والتســــاؤلات. وأخذ بعض المفــــرين في تأويــل حــــــ المستقبــل في: ﴿سِيقُول﴾ باعتبار أنَّ الروايات تشعر بأنَّ مقالـة هؤلاء السفها، حـذَثُ مضى قبل نـزول الآية.

وارى انّ تـــاويل السروايات اولى من تـــاويل النصّ. القــرانيّ وإخــراجــه عن أصـــل دلالته.

فأصحاب الروايات قد لا بريدون ترتيب نزول النص بعد ورود مثالة السفهاء من الناس، وإنما يكشفون فقط عمّا جسرى منهم، وعمّا نـــزل بشأنهم، وبشــان مقالاتهم. دون تحديد السابق واللّاحق.

ومعظم روايات أسباب الشزول الـواردة في هـذا المــوضــوع تمــوزهــا الــدقــة، وأسانيدها ضعيفة، وعمدتها فهم صحابــي، أوخبر تابعي.

وتظلُ دلالات النصّ القرآني هي الأقوى، ولا داعي لتأويله وصوفه عن ظاهره.

(۲)

إسقاط الشبهات والتساؤلات حول تحويل القبلة

إِنَّ تحديد الشبلة في عبادة الصلاة ونحوها أمرَّ هو في الأصل من أمور التكاليف التعبُّديَّة الْمُخْصُ، التي تُقْبُلُ في مسائل الذّين التغيير والتبديل، والفرض منها مُجَرَّد استحانِ الطاهة، فإن اتَّذِن بها حكمةً ما فهي نافلةً ومزيدً عنايةٍ من الحكيم الخبير.

والنهامُ بالتكاليف التعبُّديُّةِ كُلِّها إنَّما هُو منظهر من منظاهر السطاعَةِ لمن لــه الأمر والنهي.

والطاعةُ في الدين أثرُّ من آثار الإيمان بحقَّ الخالق علينا في أنَّ نَعَبُـذُه ولاَ تُشرِك بعيادته احداً.

فليس لمكان العبادة حقيقةً ذائيّةً خاصةً به تُميّزُهُ من غيره من الأمكنة، مُنفّكَةً عن أولمر منْ لَهُ حَقَّ الأمر بالعبادة، حتى يكون تعلَّقُ العابدين بالمكان لذات المكان.

ومن لَـهُ حتَّى الأمر والنهي، وعلينـا واجب طاعتـه، إذا أمرنـا بفعل الشيء إيجـاباً

وجب علينا فِشُلُه، وإذًا نهانًا عن فعل ذلك الشيء تحريماً حرَّم علينا فعله. وإذا أذن لنا بأن نفعل أو نترك ذلك الشيء جاز لنا أن نَفْعَلُهُ أَوْ نتركه.

ومَنْ لَهُ حَقُّ الأَمْرِ والنَّهِي ، وتجب علينا طاعته ، إذا أمرنا بأن ننوجَه في صلاتنا إلى بيت المقدس أو آيّة بقمة من الأرض، وجب علينا ذلك، وإذا غيّر أمره فأمّرنا بأن نتوجَه شـطر المسجد الحرام في مكة ، أو آيّة بُقَمَةٍ من الأرض، وجب علينا ذلك، ولم يَجُزُ لنا أَنْ تَوجَه في صلاتنا كَما تُنا تَنْجُهُ بِحسَب أمره السَّابِق.

وإذا أَذِنَ لنا بأن تتوجّه لآية جهةٍ نُريدُها كان لنا ذلك دون حرج، كما أَذِنَ لنا بأن ندعوه في غير الصلاة متوجهين لآية جهةٍ من الجهات كلها، والأصُلُّ أنَّ السماء في حالة رفع الزّاس هي قبلة المدعاء، أمّا في حالمة القيام في الصملاة والركوع والسجود فعرضم السجود هو قبلة الدعاء.

وهكذا سائر الأمور التعبّديّة التي يُقصّد منها في الاصل امتحان الطاعة، والطاعةً لله دون ملاحظة مصلحة دنيوية من ممارستها، أَصَدْقُ مُمْتِسر عن صِدْقِ الإيصان بالله وباليوم الآخر، وسلامته من الشوائب.

هذا هو المفهوم الإسلاميُّ الصحيح حول التكاليف التمَّبُريَّةِ المحض ِ، وارتباطها بقضيتي الإيمان والطاعة.

ولكن كثيراً من الناس لا تتضعُ لديهم هذه الحقيقة الكبيرى من حقائق الدين، فيفعون في اخطاء كثيرة، وأكثر هذه الاخطاء شيوعاً ارتباطُهُمْ بأمكنة العبادات التي جمل الله لها تحصّوصِيَاتِ بالامر التبديّ ارتباطاً وثينًا، أو فيه وائحةً الوثيئيَّة، وكذلك الأزمنة، والاشخاص، فيتوَهُمُونَ أنَّ الأمكنة أو الأزمنة أو الأشخاص فواتُ قدسية فاتيَّه، تستَجِقُ أن يكونَ لَهَا تصيبُ من العبادة، وهذا من الشرك، ويتوهُمُونَ أنَّ ارتباط أهسال العباداتِ بها ارتباطً لفواتها، لا من أبيل أولم منَّ لَهُ حَقَّ التَّكليف.

فإذا غُيرُ الآمر أَشْرَهُ ظُنُّوا انَّ خطأً ما قد حصل. إمَّا في امره السابق، أو في أَشْره اللَّاحق، وتقومُ من أجل ذلك في نفوسهم الشُّبهات.

ولمَّــا كان الرسولُ ﷺ يعلَمُ نُسَــاوِيَ الأمكــَـة في أصــل المفهــوم الــديني، دون ملاحظة العوارض التي تجعل لها اعتبارات خاصّـة، فقد كانُ يُرضيه صلوات الله عليــه أَنْ يكون للمسلمين قبلةً متميّزة، لا أن تكونَ قبلتُهم قبلةً أهل الكتباب، وكان يسُرَّةُ أن يُحدُّلُ ذِكْرَى أبويه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، اللَّذَيْنِ وفضا قواعد الكمية المشرفة، بيت اللهِ الحرام، وأنْ تكونَ الفبلة في هذا الدين الخاتم أوَّلَ بيت وُضِع للناس، فحقُّن اللَّهُ رغِيَّه، وكان له بذلك قضاءً سابقُ وافقةً ما رغِبَ فِه الرَّسولُ ﷺ.

إِنَّ ارتبَاطُ النفوسِ الذِي تظلُّ فيها عَوالتُّى وَلَئِيَّهُ، بِالأَمَاكِنِ عَلَى نَوْهُمِ أَنَّ للأَساكِنِ قَلْسُيَّاتٍ مِنْ فَوَاتَ تَكَرِينَاتُهَا، سيدفع أصحابُها للاغْيَواضِ عَلَى تَفْيِر أساكِن العبادات، ومن ذلك تغيير القبلة.

ولكنَّ ذَلَكَ لا يكونُ إلَّا عن سَفَـاهَةٍ، بِطَيْشِ وسُرْعَةٍ في إصْدارِ الأحكـام دون رَوِيَةً، وعن لِلَّهِ عَقْلٍ، وعدم بصيرةٍ بحقيقة الدبن.

فالطاعة في الذين النابعة من قاعدة الإيمان بمن له حقّ السطاعة والعبادة وحده، هي الافتر الأولّ العباشر للإيسان، وليس للامكنة ولا للازمنة أيَّ موضع في ماهيَّة الدَّيْن، وَإِن اقتضت الحكَمَةُ بُمَدْ ذلك في أواصر الدَّين ونـواهـِه ربط بعض العبـادات يُلمِكنَةٍ خاصَّةٍ أن أَرْمِنَةً خاصَّة.

مع العلم بأنَّ الأمكنة والأزمنة وَنَحْوِها من الأسور الفابلة للتخيير والتُبدّيل. وقَّق حكمة مَنْ لَهُ حَقَّ الطَّاعة، فهي تدخل في فقة: وما يقبلُ الخبيره لا في فقة: والدوابت التي لا تقبل الخبيره كالمقائد، والأسس الأخلاقية، وأسس الحقوق.

ومقالة هؤلاء السفهاء في موضوع تحويل القبلة تتمثّل بعبارة الاستنكار التي لا بُدُّ أنْ يطلِقُوها فيقولوا:

﴿مَاوَلَنهُمْ عَن فِلْلِهِمُ أَتِّي كَافُوا عَلَيْهَا . . ١٩٠

وفي طرح التشكيكات حول صحّة الصلوات التي صلّوهًا سابقاً مُتَوَجهين شـطر بيت المقدس.

والمعنى: أي شيء صَرَفهم عن قبلتهم الّذي كانُوا عليه؟!! هلّ كانُّـوا على خطاً قـرأَوا الصواب تتحوُّلوا إليه؟! أو الدَّبنُ لمبةً في أيديهم بغيِّـرونَ فيه ويُبَـدَّلُونَ حسبَّ أهوائهم؟! أو الدَّينُ من مبتدعاتهم فَهُمْ يقرّرونَ فيه الأحكام على ما يشامون؟! ويتضْشُنُ هـ فما التساؤلُ جمدودَ هذا السَّين كلّه، وجحودَ أن يكونَ من عنّد الله، إذْ لوّ كان من عند الله _ يحسب زعمهم _ لعا تعرّض لمثل هـ فما التغيير الجوهريّ. الذي يَمسُّ مُفَدِّساً عَظِيماً من مُفَدِّسات الدّين، الآوهي القبلة.

وجاء الجواب التعليميّ العقليّ البرهائيّ الهادىء، الذي يهدم كلّ البناء التهويليّ الاعتراضيّ، الذي بَشُخْ في تكبيره وتعظيمه الشفهاء، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿ قُل يَلْعَ الْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ . . . ١

أي: إنّ العبادة لله وهُذهً، والشوجَّة في الحقيقة لله وخَدَه، ولمَمَا كان الله غير منظور حتى نتوجّه بوجوها لمَّ مُبَاشِرَةً، كانَ من السحكمة تحديدُ جِفَةٍ ما، في أيّ مكاني من الأرض، وضُوريً الأومن ومُفْرِيُها وسايرٌ جهاتها وكُلُّ مكاني في العالم هو مِلْكُ لله عزُوبِل، وخَلْقُ من خلقه، وجاة ذِكْرُ المشرق والمغرب اكتفائه بهما عن ذكر غيرهما، أو لأن كُلُّ مكاني في الأرض تُشرِقُ من جهم الشمسُ هو مشرق، وكلُّ مكاني تَغْرَبُ من جهم الشمسُ هو مشرق، وكلُّ مكاني تَغْرَبُ من جهم الشعر، كلُّ مُكاني في الأرض.

فحيث بالمُرنا اللَّهُ عزّ وجلَّ أن نتوجُه في عبادته بكونُ ذلكَ ثِلَقَنا، إِذَا قَلِيَسَ لِبيتِ المقدس، ولا للكعبة المشرَّفة خصوصيَّةُ ذاتِيَّةُ من ذاتيهما، وإنَّما أتاهما التشريف والتخصيص بتشريف الله لهما، وَبِخَمْلِهما قِللَّهُ، وأماكن عبادة تُضَاعف فيها الحسناتُ، والأجر عَلَيْهَا.

ولله أنْ يَأْمُر في وقتِ ما بالتوجُّهِ لمكانِ ما، وفي وقت آخر بالتوجُّه لمكـانٍ آخر. فالأماكن كلَّها خلقُ من خلُق الله .

هذا هو الصراط المستقيم في فهم الذين، حول موضوع القبلة، فمن فهمه حتّى فهمه، واشتَّسَلُم لله عزّ وجـل في كلّ أواسره ونواهيه، وأطاع دون اعتسراض، كان من الذين اهتدوا إلى صرالعٍ مستقيم.

ولذلك أتبع الله فوله :

﴿ قُل لِلْهَ الْمُشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ . . . ١٠ ١٠ .

بقوله تعالى:

﴿ يَدِى مَن يَشَآهُ إِلَىٰ صِرَالِ مُسْتَقِيدٍ ﴾ :

 أي: فهو سبحانه يُرشِدُ اصحابُ المشيئة، الذين منحهم في تكوينهم جهاز المشيئة، إلى صراطٍ مستقيم.

فَمَنْ فَبِلَ هَذَايَةَ اللَّهِ عَزْ وجلُّ سلك الصراط المستقيم، وأطماع الله مُسْتَسْلِماً دُونَ اعتراض، ومن أيني تنكّب الصراط المستقيم، وَعَدَلَ عنه، فضلُّ وغَوَى.

وقد سَيْقَ النّمهيدُ في سورة (البقرة) أيضاً ببيان هذه الحقيقة من الحقائق الدينيّة. قبل آيات تحويل القبلة، إذّ قال الله عزّ وجلُّ فيها:

﴿ وَيَقُوا ٱلْشَرِّيُ وَٱلفَرِبُ الْتَنْمَا تُولُوا فَنَمْ وَجَهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عَلِيهُ ٥٠

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجُدُاللَّهِ ﴾:

لي: فاينما تُوجُهوا وُجُـوهَكُم في صلواتكم فَهَنَاكَ يُفْـالِكُمُّ وَجُهُ اللَّهِ إِذَا قَصَـدُتُمُّ التَّوجُهُ لَهُ.

وجاءَ في الآية التكمِيلُ بمثابة التعليل:

﴿إِنَّ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيدٌ ﴾:

اي: فهو يسعت محيط بكــلّ شيء، فناينـــا وجُهِيَّمُ وجوفكم كــانُ اللَّهُ في مُراجهتها، فتحقَّق بذلك التوجُّهُ له. وهو بشمُول. عِلْمِهِ يَنْمُمُ مَفَاصِدُكم من تــوجُهكم له في العباد. فهو يُجازِيكم على عبداتكم بفضله الثوابُ الجزيل الذي وَفَعَكُمُ لِيَّة.

ثم جماء في السورة بعد هذه الاية نَيانُ قِصَة بناه الكعبة، وما لهذا اللبت من سوابق تاريخيَّة، وكيف جعله الله مثابة للناس. وأشناً، وكيف عهد الله إلى إيـراهيم وإسماعيل عليهما السلامُ بأنْ يُطَهِّرَاهُ للطائفين والعاكنين والرَّكِّمِ السُّجُود، وكيف رفع إيـراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام القواعد شه. فدلُّ ذلك على أنْ هذا البيت الرَّبَّقِي بِيتُ تاريخيُّ عنينُ له ذكرياتُ دينيَّة فديمة.

وكانت هذه التمهيداتُ بعناية الإعداد النفسيّ، والأسارات المشعرات بأنَّ أوامر ستَتَّوَلُ يتحزيل القبلة إلى المسجد الحرام، في مكّه، والكمية بيت الله فيها. مع ما فيها بنُّ بيانِ للمفهومات الدبيّة في هذا الموضوع، المتفسّنة الإقداعُ بأنَّ فضيّة القبلة من الغضايا التي تقبل التغيير والتبديل، وليست من الشوابت التي لا تقبل التغيير ولا التبديل، وأنَّ أيِّ مكانٍ منّى نزل الامر الربَائيُّ بتعيينه قِبلةٌ وجُبِ على النَّـاس أمَّخاتُهُ قِبلةٌ حسب الامر، فلله مِلْكُ المشرق والمغرب، والعبادة الصادقة لله تتحقّى بالتوجُّه القلبيِّ والنَّفْسِيُّ لله، أمّا الوجوه فاينما تولَّت فثمٌ وجُّهُ اللَّهِ مَنَى تحقّق التوجُّه القلبيِّ والنَّفْسِيُّ له سبحانه.

ومـــــــ ذلك فـطاعة الأمـــر لقبلة يُعينُها البــاري سبحانــه وتعالى واجبـــة، لأنّ حكمة توحيد اتّجاه المسلمين لفبلة واحدة تستدعي تعيين مكانٍ معيّنٍ يترجّهونَ له.

وفي هذا تحويرً للنفوس المؤمنة من كلَّ شمواتب الوثنيات، وتجويدُ لَها وهي تترجَّد للقبلة من الفبلة ومن غيرها، لتخلُصُّ العبادُّ فقه الخالق وحمده، الذي لا يتجسَّدُ في شيء من الكون، ولا يُبحِلُّ في شيء من الكون.

. . .

مقاصِدُ الشارع الحكيم من تحويل القبلة

كلَّ مَا يُجْرِيه الله عزَّ وجلَّ في خلقه، وفي أحكام دينه لعباده بما في ذلك النسخُّ والتبديلُ، مَشْمُولُ بعلم الله المحيط بكلَّ شيء، وبحكْمَتِه العظيمة.

فمن جكم الله عزّ وجلُّ في النسخ سُراعـاةُ التـدَّرجِ في التكـاليف، وهــو من القواعِد التُّرْبُويُّةِ العظيمة.

ومنها بيان أنَّ الطاعةَ مُرتبطَةً بـالامر الرَّبَاني لا بـالمصالح ِ التي يُحقَّقُها تـطبيقُ التكاليف الرَّبَانية، مهما كانت مصالح عظيمة وضروريّة.

ومنهما تعليمُ البيابةِ عَــذَمَ الإصرار على اختيادٍ اختياروه في أواسرهم ونـواهيهم، ونَظَيهِهُمْ ، وكُلُّ ما هو مَشْرُولَةُ لَهُمْ من الْهورِهِمْ، بـل عليهم أنْ يَطُوزُوا اختيـاراتهم إلى الافضل والاحسن والاكمل دواماً، دون عنادٍ ولا استكبار.

فياذا رأوًا أمرأ افضلَ من أمرهم السابق بعد التجربة والسلاحظة نسخوا الامر السابق وتحلُّلوا إلى الأمر الافضل. وإذا رأوا نظاماً أفضل أو مادَّةً في نظام من الأفضل تعديلُها إلى ما هو خير نُسُخُوا السابق وعدَّلُوا، وقرَّرُوا العمل بما هو أصلح وافضل واحسن.

وهكذا يفعلون دواماً في كلِّ ما هـو متروك لهم من أمـور حياتهم، تـرقياً شـطر الأفضل والاحـن والأكمل دواماً.

وقد ضرب الله لنا من نفسه مثلًا في ذلِكَ لِيُمَلَّمَنَا، مع أَنَّهُ عزَّ وجلَّ قابِرُ على أن يُخْتَار الأَحْسَنَ ابتداءً.

ودلُّنا على هذه الحكمة بقوله تعالى في سورة (البقرة):

﴿ مَانَسَحْ مِنْ مَائِهَ أَوْنُسِهَا تَأْتِ مِعَمْرِمَهُمَّا أَوْمِشْلِهَا ۚ أَلَمْ مَعْلَمُ أَنَّا اللَّهَ عَلَى كُلُ مَّى هُ قَدِيُ ۞ ﴾ .

أي: فمع قدرته على كُلِّ شيءِ ابتداءُ يُنْسَخُ إلى خبرِ مَمَّا نَسَخَ أو إلى مثله، لكَّه لاَ يَسَخَ إلى ما هو دونَ ما نَسَخَ

لكنُّ كثيراً من النباس يُصانسون استكباراً، فيصدُّونُ على أوائهم واختياراتهم السابقات، ويُصِرُّون على أوامرهم ونـواهيهم إذا كانُّ لهم أوامـر ونواهي في أقـوامهم، مهما ظهر لهم أنَّ النسخ والتبديلُ او التعديل هو الأفَضَّلُ والأَحْسَن والأكسلُ.

وقد ابان الله عزّ وجلّ العكمة من أمره السابق بالتوجُّه في الصلاة جهة بيت المقدس، الذي نسخه بالأمر بالتوجُّه إلى الكمبة المُشرقة في حالة القرب منها، وشطر المسجد الحرام في حالة البعد، ألا وهي امتحانُّ المسلمين الدين أتُبعوا الرُّمُول، وهذا الامتحان يهدف إلى اختبار صدق إيمانهم بالله وحده، وفَهْيهم لعمى الطاعة في المدين، وهل أرثباطُهُم بالبَيْلَة ارتباطُ فيه وثبَّة ألمُّشركين، حين كانوا يتملُّونُ بارْنانهم، ويتمسُّمونَ باجسادها، ويُقرَبون لها القرابين، فقال الله عرَّ وجلَّ في النصّ الذي تنتبرَّه:

﴿ وَمَا جَمَلُنَا ٱلْفِئَلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ۖ إِلَّالِيَعْلَمَ مَن يَفَيْحُ ٱلرَّسُولَ مِتَن يَنقَلِكُ عَلَ عَقِيَةً ... ۞ •

فالمؤمنون الذين فَهِمُوا حقيقةَ الإيمان يُتَّبِعُونَ الرُّسُولَ في بلاغاته عن ربِّم، وفي

سُنَبَه الَّتِي يَسُنَهُا، ويالنسبة إلى تحويل القبلة فإنَّهم لا يَرُوْنُ فيه إلاَّ ما هليهم من واجب الامتنال والطاعة، فهُمَّ عبادُ لله، وعليهم أن يُطيئُوهُ في كُلُّ أوامره وضواهيه، وعليهم أن يتحوِّلُوا فوراً إلى القبلة الجديدة التِّي وجُهْهُم لها، إنَّهم لا يعبدون القبلة آيَّا كانت تلك القبلة، حُنِّ يكبُر في نفوسهم التحوُّلُ عُنُها.

أمّا المسلمون الّذِين لمّا يدخُس الإيمان في قلريهم، فقد يكون تحويلُ القِلْقِ سُباً في توضيح حقيقة الدِّين في نفوسهم، وفي تصحيح إيمانهم، وقد يكون سبباً في ردّنهم، الأنهم في الأصل لم يبتعدُوا عن مفهوماتهم الـوثنيّة السبابقة، فيتقلبـون على أعقابهم مرتدّين.

الأعقاب: جمع عقب، وهو عظم مؤخر القدم، يقال: رجع على عُنِيه، إذا رجع على الطريق الذي جاء منه.

وأما المنافقون فقد يكون سبباً في كشف نفاقهم، وإظهار حقيقة حالهم.

وأبان انه عزّ وجلَّ أنْ نَعِيْة تحويل القبلة نفضةٌ كبيرة في نضوس الذين ما زالت مفاهيم الوثنيَّة عالقةً في أفكارهم، إنّها الجهةُ ألَّى بتوجّهُونُ لها في أعظم عباداتهم، وهي الصلاة، فكيف يُمْكِنُ أنْ تتعرَّضَ للتُغْيِير والتبديل، لكِنُ الذين اهتذؤا إلى حقيقة الإيمان الصافي من كلَّ شوائب الـوثنيات، لا يَرَوْنُ في تحويل القِبلةُ شيئًا، ولو نزلَ الأمر في كلَّ يومِّ بأنَّ يتوجُّهوا شـَطْرُ قِبْلَةٍ جديدة، وفي بيان هـذا قال الله عـزَّ وجلَّ في النَّمَنَ

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ... ١٠

لى: وإنْ كَاتَتِ الطَّاعَةُ فِي التَّحوُّلِ عَن القَبْلَةِ السَّابِقَةِ إلَى القِبْلَةِ النَّي تَوْل بِها الأمران المِعان، الاَمْرُ الجديد، لكبيرةً صَعْبَةً فَقَيْهِم الإبسان، الاَمْرُ الجديد، لكبيرةً صَعْبَةً فَقَيْمِم الإبسان، ومُقْهِم الطِبان، في أمام المُعامِنة في ذلك صحبةً على بالهدادية، فهم المذين هدى الله، ومؤلا لا يجدون الطاعة في ذلك صحبةً على نفوسهم، بل يجدونها المغامنة في هدا الأمر كبيرةً صَعْبَةً، مَنْ المهامة في هدا الأمر كبيرةً صَعْبَةً، وقد تَقْبُتُهُمْ عَن دينهم، فيتقابهم مُرْتَقْبَر عن الدين عالين

ومن الجكم الإضافية الَّتي تاتي متأخَّرةُ في الحسبان، أن تكونَ الشِلَّةُ وسَطاً في معمور الأرض، وهو أمرَّ تنفرد به الكمبَّةُ المشرُّفة .

وربّما نجد الإلساح إلى هذه الحكمة من طرفي خفي في الحديث عن وسطيّة هذه الأنّة المحمّدية بين الأمم، فيشنّ غُرْض موضوع تحويل الفيلة، وما سيشار عليه من اعتراضات يطرحُها السقهاء من الناس، فقال الله عثر وجلّ:

﴿ وَكَذَاكِ جَمَلَتَكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِنَكُوفُوا شُهَدَآءً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ ارْسُولُ عَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ ... ﴿ ﴾.

﴿أَمْهُ وَسِطَا﴾: أي: أَمَّهُ عُدُولاً، يُلْفُونَ دين الله للساس كُمَا تَلَقُيْهُم من الرسطة ومن المستجب لكم في يلاغ الرسول محمد ﷺ، لتكونوا إذا يَلْفُتُمُ شُهداء على من لم يستجب لكم في يلاغ الدين من الناس يُؤمَّ اللّذِين، كما يُكُونُ الرَّسُولُ شهيداً على من بلَغَهُ دِينَ اللَّهِ من أَهْلٍ. عضبوه، وأنتم شهم، إذ حمَّكُمُ مسؤوليَّة البليغ، صح مسؤوليَّة ويليَّكُمُ منا عليهم في ذواتِكُمُ منا عليهم في ذواتِكُمُ منا عليهم للهم اللهن تحملها الآنة الإسلامية.

هذا ما دلُّ عليه النصُّ في صريح ألفاظه.

ولا يبعُدُ أن يكون المشارُ إليه في قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كلاماً مـطورًا تَـدُرُّ عليه سوابق النّصَ ولواحقُه .

اي: وإذ جعلنا الكبية الفيلة في مكانٍ وسطٍ من الأرض، جعلناكم إيها المسلمون أتباغ محمّد بهذا الدين ألمّة وسَطأ، مدولًا في الشّلين، وعدولًا في الشهادة، وجعلنا مجتمعكم الرائد في مكانٍ متوسّطٍ من الأرض، وجعلناكم بهذا الدين الموسّط الذي تحملونه للذامر مُلفين وسَطأ بين الناس، لا غالين، ولا مُتّرطين، فلا أنتم تَقَلُونُ في في الحمّلين بالماقيات، وفي تُقدِ مطالب الجمد وشهواته، غلَّو مُتَصَدّوّة الْهِنُّرو، ورّهانِ النصاري، وأشباههم.

وعدالةً هذه الامّة مكتسبةً من وضوح فـاعدة الإيصان في الإسلام، بعـد تبجارب الأمم السابقة، ومِنْ نَمَثُلِ الأخلاق الإيمانية الإسلامية القائمة على الصــدق والامانــة. وَأَذَكُر بِأَنَّ مُمْظُم فضائل ِ الأخلاق هي وسَطَّ بين أقصيْنِ غَيْرِ حَسَنَيْن، فَيْلُحقُ هـذا بعمره وَسَطِيَةٍ هذه الأمَّة المحمّديّة.

--

0)

ما جاء في النصّ حول مشاركة أهل الكتاب في إثارة الشبهات بشأن تحويل القبلة

إنَّ علماء أهل الكتاب الذين شاركوا في إطلاق الشبهات حول تحويل الفبلة ، يعلمون أنَّ تحديد القبلة أم تكليفيّ، لامتحان الطاعة، وهو قابل للتغيير والتبديل، فَنَسُو إسرائيل في مصر حين بعث الله فيهم موسى وهارون عليهما السلام، قد جعل الله لهم بيونَهُم قبلةً، وهو ما بيَّنه الله عزَّ وجلَّ في سورة (يونس/ ١٠ مصحف/ ٥١ منرول) الآية (٨٧) أي: أن يجعلوها مفتوحة إلى جهة القبلة وهي الكمية في الأرجح.

ثمُ تحرَّكُ بعد ذلك قبلتهم إلى بيت المقدس، فهم يعلمون أنَّ الله عَرَّ وجلَّ إذا أمر بالتوجُّه لجهةٍ ما في الصلاة، كان الحقَّ في التوجُّه لتلك الجهة، ثمُّ إذا أمر بالتوجُّو لجهةٍ أخرى كانَّ الحقُّ في التوجُّه للجهة المعينة في الأمر اللَّحق.

ويرجّح هذا الرأي ما روي عن ابن عباس: أنّ موسى عليه السلام كانت الكعبـة يُلْتُهُ، وروي عن الحسن، أنّه قال: الكعبة قبلة كُلّ الأنبياء.

فإنَّ صحَّ هذا فإن علماء ألهل الكتاب يعلمون أنَّ التوجُّه في الصلاة للكعبة أمرً دينيَّ قديم فهو حقَّ من رئهم.

وقد يفهم ذلك من قول الله عزُّ وجلُّ في النصُّ الذي نتدبُّره:

﴿ وَلِذَآالَٰذِينَ أُونُوا الْكِنْتَ لِتَعْلَمُونَ الْتُمَالْحَقُّ مِن زَتِهِمُّ وَمَا اللَّهُ مِعْدِلٍ عَمَّا يَسْمَلُونَ ۞﴾.

وبما أنّهم يعلمونَ أنَّ الحقُّ من ربّهم، فيإنَّ مُشــاركتهم في إثـارة الشبهـــات يستحقُّونَ عليه المؤاخفة الخاصة والعقاب الخاص، فقالُ تعالى في الآية:

﴿ وَمَا أَلَّهُ مِنْ فِيلِ عَمَّا يَهْ مَلُونَ ١

أي: وعلم الله الملازم لحكمته وعُذَّاهِ يَعْتَضَي مَعَاقَبَتُهُمْ عَلَى أعمالهم.

وفي هذا البيان معنى التحذير والوعيد، من محــاربة هــذا الدين بــإثارة الشبهــات الباطلات حول شريعته ومنهاجه وأحكامه.

. . .

٦)

حول مـزالـق الاستــدراج الماكرة التي قام بها فريق من أحبار اليهود

سبق في المعقولة (١) ما رُوي عن ابن عبّاس من أنّه لمّا صُرِفَتِ القبلَةُ عن الشام إلى الكعبة أنن رسولُ الله سبعةً من أحبار اليهود وكبرائهم فضالوا: يَمَا مُحمّد، ما وَلَأْكُ عن قبلتك أنّي كُنتُ عَلَيْها وانتُ تَرْحُمُ أنّكُ على مِلَّةٍ إِمِراهِمِمَ ودينه؟! لوجعٌ إلى قبلتك إلَّى كُنتُ عليها تَتُبِعُكْ وَنُصَدِّقُكَ .

قال ابْنُ عَبَاس: وإنَّما يُريدون فِتْنَتَهُ غَنْ دينه .

ونُـلاحظُ أَنَّ في النَّصَ الَّذي نتـديَّرُهُ تَعْقِيباً على هـَــبُه الْمُفَـاوضةِ الاَسْتِـلْرَاچِيَّـةِ الْمُلكِرَةِ من اليهود.

فقد أبان الله عزّ وجلّ فيه لرسوله أنّ قصّة وفض أهل الكتباب لاتّباصك لا تنتهي بأن تُتبَع قبلتهم. فهم سيظلون على وفضهم الحقّ الذي جنّت به.

وذَلِك لأنَّ رفضهم ليس نائساً عن جَهْل حَيْن تُعلَّمُهُمْ، ولا عن حالمَ فضيّةٍ عارضةٍ حَيْن تَشَتَّرْضِهُمُ، وإنَّما هُوَ عن إصرار على معاندةِ الحن بالباطل تعصُباً والنائبُةُ واستكباراً واتَبَاعاً للعوى.

قلو أتيهم بكل أيّم منْ شأنها إقناطهم بالحقّ الذي جنَّتُ به، منا استجابوا لك، وما أتّبكوا بأنَّك ولا قِلَائِك، ما دامت أسباب وفضهم ليست نـاشــُّة عن جَهْلِهمٌ، وصَــَدْم قناعتهم، وأنّما هي ناشـُّة عن عوامل نفـــُيّة أَشْرى.

> إِنْ اتْبَاعِ الفبلة مظهرٌ من مظاهر اتّباع الملّةِ والدّمين، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهِنْ أَنْبَيْتَ الّذِينَ أُونُواً الْكِنْتَ بِكُلِّي مَايتِرَهَا أَنْبِيعُواْ فِيَالْتَكُ ﴾.

أي: ما نَبِعوا مِلْنَكَ الَّتِي يلزم من اتَّباعهم لها أن يَنبِعُوا قِبْلُنَكَ، فَأَطْلِق الـلازمُ، مُراداً مع إوادة العلزوم ضمناً بالاقتضاء العقلي.

والمعنى: سوف لا يستجيون لك إذا جاريهم فرجعت إلى قبابك السابقة، فلقد كُنْت عليها ولم يُشْجَعِيُوا لك، ولم يصدقوك، فكيُّن إذا النزلُّتَ معهم في صَرْض الاستدراج الذي عرضوه علبك؟!. إنّهم سَيْنُجنُّون ذلك ذريعةً للتشكيك في دينك، ولفتة المسلمين عن دينهم.

واتَّبَاعُكَ قَبَلَتُهُمْ لَا يَكُفِّي لإزالة الموانِع التي تمنعهم من الإيمان بك واتَّباعك.

إِنْهِم لَنْ يَمُوضُوا حَنِّى تَثْبِع مُلَتِهِم وَالْتَ لَنْ تَفْعَلْ فَلِكَ، فما انت بتنابِع مَلْتُهُمْ وَلَا يَلْلَتُهُمْ، إِذَّ لا تَتْبِعُ فَلِلْتُهُمْ فُونَ الْمَرْ رَبُّائِي حَنِّى تَتَّبُعُ مَلْتُهُمْ، وهـذا امر لا يمكن ان تفعله، فَائْتُ رَسُولُ على الحق، وهم على الباطل.

وفِرَقُ أهل الكتباب لا يُتْبِعُ بعضُهُمْ قبلةً بعض أيضـاً، لأنَّ اتَباع الفبَلَةِ مـظهرٌ من مظاهر اتَّباع المئلَّةِ، وكلُّ فرينِ منْهُمْ ملازِمُ مِلْتَه، لا يُفارق قبلته حتى يفارق ملّته.

فقال الله عزَّ وجلَّ لرسوله :

﴿ وَمَا أَنتَ بِسَائِعِ قِبْلَنَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِسَائِعِ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾

وبعد ذلك قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لرسوله:

﴿وَلَهِنِ اَتَّبَعْتُ أَهْوَآءَهُم فِمَا بَعْدِ مَاسَآءَكَ مِنَ الْفِلْمِ إِنَّكَ إِذَالَمِنَ الظّليبِينَ ۞﴾.

إِنَّ الرَسُولَ صلوات الله عليه لا يمكنُ إن يُنِعَ الهوا، أهل الكتاب، ولا أَهَـوَاهُ غَيْرِهِمْ مِن بِلْلِ الكفر، ولكِنُّ قواعدالتكليف والتُخلِير والتربية الرَّبَائية قواصدُّ عَلَمْتُه، يُخَاطِبُ الله بها جميع عباده من أقضل المرسلين حُنى أشـدُّ الناس كُفراً وعناداً ويُعْداً، عن رحمته، فما أخدُ يُعفَى من الحكم عليه بالطَّلَمِ إِذَا ظلم، وما أخدُ يُعفَى من الحكم عليه بالكفر إذا كفر، ولا بنْ مُعاقبت عقاب الكافرين، وما أحدُ يُعفَى من الحكم عليه بالشَرْكِ إذا أشرك، وهكذا إلى سائر قواعد الإبتلاء والجزاء.

وتُمَشِّيًّا مع هذه الكليَّات العامَّة نَجِدُ النصوصَ الرِّبَّانيَّة تُسوِّي في الخطاب بها

الجميع، ولا نُسْتَنِّني إلَّا فاقِدي أَمْلِيَّةِ التكليف، ولو كان المخاطبُ بها مصوماً

وفي هذا تحقيقُ شامل لقائنون العدل، المعبنيُ علَى سنَّةِ اللَّهِ الثابنة في الإبتلاء والحزاء.

وحين يُدَوِّكُ آحدُّ الناس أنَّ الرَّسول بل أقضلُ الرَّسل سيكونُ من الطّالمين بحكم الله لواتيم أهواه أهل الكفر، فإنَّه يقول في نَفْسِه: كِنَّتُ إِذَا خَالَ الَّذِينِ لِس لهم عند الله تفضيلُ ولا تسيُّرُ ولا تخصيص؟!

. . .

النبص الخامس

من سورة (البقرة/ ۲ مصحف/ ۷۷ نزول) الآیات من (۲۰۴ – ۲۰۷) حول بعض صفات فریق مـن المنافقین وظواهر من سلوکهم وهم من الجبگزین

قال الله عزّ وجلُّ:

﴿ وَمِنَ النَّامِ مَن يُعْجِلُكُ فَرَالُهِ الْمَتَوَا النَّيْلُ وَكُمُ إِلَّا الْمَنْ الْمُنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمُنْ الْمُنْ النَّيْلُ النَّيْلُ النَّامِ الْمُنْ الْمَنْ الْمُنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَيُونَا اللّهُ وَاللّهُ وَيُونِكُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَيُونِكُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَيُونِكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَيُونِكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَيُونِكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

من الظاهر في الآيات الثلاث الأولى من هذا النُّصُ أنها نزَّلَتْ لبيان حـال صنفٍ من المناففين بوجه عام.

* *

(1)

حول أسباب النزول

من حكمة الله في تنزيـل القرآن مُنجَّماً، تَرَقُّبُ أَدَى المناسبات لإنـزال بيانـات ومفهومات وكُلِّبَاتٍ عامات، وقد لا يُنطبق النصّ بكلّ عناصره على كلّ عناصر المناسبة. كالأب المرني المعلّم لأولاده، إذا مرّ بهم حيوان أعطاهم درساً من دروس عالم الحيوان. وإذا مرّوا بشجرٍ ما أعطاهم درساً من دروس الأشجـار وسائـر النباتـات. وإذا قُلَـنْتُ لهم باقةً ورد أعطاهم درساً من دروس الورود والأزهار. وهكذا.

وقـد استبصر علمـاه أصول الفقـه هـذه الحقيقـة فقـالـوا: العبـرة بعمـوم النَّصُ لا بخصوص السبب.

وقد رُوي في أسباب نزول هذا النَّصّ روايتان ضعيفتا الإسناد:

ه إحداهما عن ابن عباس، قال: لمنا أصيبت هذه الشرية أصحاب ثميب بالرجيح بين مكة والمدينة، قال رجال من المتنافقين: ينا ديخ هؤلاء المشتولين، أو المفتونين الذين هلكسوا هكذا، لا هُمَّ قصدوا في بينونهم، ولا هُمُّ النَّوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله عزّ وجل:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ فَوْلُمُ فِي ٱلْمَيَوْةِ ٱلدُّنْبَا. . . ﴾ الابات.

وهذه الرواية موقوفة على ابن عبّاس.

و والاعرى عن الستي، قال: نزلت في الاعتس بن شُرَيق اللغفي، وهو سليف لبني زهرة، أقبل إلى النبي ﷺ في المدينة، فأظهر له الإسلام، فأضَّبَ النبيُ زَلِكَ يشتّه، وقال: إنَّسا جثُّ أويدُ الإسسلام، والله يَقْلَمُ أني صادق، ثُمُّ خسرج من عند النبي ﷺ، فحدَّ بزرع لقوم من المسلمين، وحُمَّر، فأحرق الزَّرْع وعفر النَّمُر، فأنزل الله عَزْ وجلُّ: (الأيات). وهذه الرواية مؤفوة على الستي.

وقصة أصحاب الرجيع كما رواها ابن هشام عن ابن إسحاق خلاصتها أنّه قدم على رسول الله ﷺ بعد أُخدِ رقط من عضلِ والفَّارة (٢) فقالوا: يا رسول الله، إنْ فينا إسْلاماً، فائمتُ نفراً من أصحابك يُفقَهُ وتنا في الدين، ويقُرِّدُوننا الفراد، ويعلموننا شرالع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ نفراً سنَةً (٢) من أصحابه، وهم: مُرزَّدُ بن أبني مُرَّدُد الفنوي، وخالد بُنُّ ألْكِيْر، اللَّيْنِ، وصاصم بن ثنابت بن أبني الأقلع، وحُبِّيْبُ بُنْ عَدِيَ، وَزَيْدُ بُنُ الدَّبْتُ، وعبدالله بن طارق.

 ⁽¹⁾ فَضَل والقَاوَة: تبيلة جنَّدها عَضَـلُ بن الهُون بن خُـزَيمة بن مدوكة من كتنانة م مُفَسر وسُمُو القارة لاجتماعهم والتفافهم. وكانوا يجيدون الرمي بالسهام.

 ⁽٢) وروي أنهم عشرة، ستةً من المهاجرين، وأربعةً من الأنصار.

وامّر رسُولُ الله ﷺ على القوم مُرْقَدُ بن أبي مُرْفَد الغنوي، فخرج مع القوم، حتى إذا كانُوا على الرجيع (وهبو ماه لهديل بناحية الحجاز على صدور الهيذاة وهو موضع بين عسفان ومكة) غَذَرُوا بهم، فاستصرخوا عليهم مُذَيْلًا، فَلَمْ يُسرُّع، الْفُوْمَ وهم في رحالهم إلاّ الرجالُ بالمديهم السيوف، قَدْ غَشُوهم، فاعفوا السيافهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنّا والله ما نريد قتلكم، ولكنّا نُريد أن نُصيف بكم شيئاً من أهل مكة، ولكمْ عهدُ الله وبيئاتُه أن لا نقتلكم.

فأمًا مُرْثَةً بن أبِي مُرْتَد، وخالدُ بن البُكيـر، وعَاصِم بنُ ثـابت، فقالـوا: والله لا نَقْبَلُ من مُشرِكِ عَهْداً، ولا عَقْداً أبداً.

وقاتل القوم عاصمٌ، ومرئدٌ، وخالدٌ، حتى قُتِلوا.

واسا زَيدٌ بن السَّبَيِّة، وخُبيَّتُ بَنُ عَدِينً، وعيدُ اللَّه بَنُ طارِق، فالاَشُوا وَفَقُوا، ورهَبُوا في الحياة، فاعَطُوا بـأيديهم، فاسَرُوهم، ثُمَّ خَرَجُوا إلَّى مُكَةَ لَيْبِيهُوهُمْ بِهَا، حَمَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالظَهْرِان التَّزَعَ عَبْدُ الله بن طارق يَدَهُ بنَ القرانِ، ثُمَّ أَحَدُ سيف، واستأخر عنه القوم، فرمَوَّة بالحجارة حَنَى قتلوه، وقَدِموا بزَيْدٍ وخُبيَّتٍ مكة، فباصوهما من قريش بأسيرين من هذَيْل كاناً بمكّة.

أمًّا زَيْدُ بْنُ الدُّبُّنَّةِ فاشتراه صفوان بنُ أمية ليقتله بأبيه، وأمر بقتله.

وأمَّا خُبَيْبٌ فاشتراهُ حُجَيْرٌ بن أبي إهـاب التميمي، ثُمُّ خَرَجُوا بـه إلى التنعيم فقتلوه(١٠).

> (۲) المضردات اللُّفَويِّسة

> > ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾:

أي: ويعضُ الناس فحرف (مِنْ) للتبعيض، وظاهرٌ في النصّ أنَّ المسراد من هذا

 ⁽١) للقصة تفعيلات عند ابن هشام لم أذكرها اختصاراً.

وْمَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ﴾ :

أَعْمَتِ النّبيءُ يُعجِبُ، إذا أوجدَ في النفس الْمَجَبِ، والصّجَبُ: النفسالُ استحسانِ يعرضُ للنفس من مثيرٍ لهذا الاستحسان، وكثيراً ما يكونُ من أمرٍ غير مالوف ولا معناد.

ويُسْتعملُ العَجَبُ بكثرةٍ في استنكارِ غير المألوف.

والنَّصوصُ فيها أحياناً معنى الاستحسان، كقول القائل: أعجبني لهذا الأمر، أي: أرضاني حسنُهُ. وفيها أحياناً معنى الاستنكار أو الإنكار لأنه غير مألوف ولا معتاد.

ومن الفهم الـدقيق في هذه المـادة قـول الكـواشي(١): يقـال في الاستحسـان: أعجبني كذا، ويقال في الإنكار: عجبتُ من كذا.

﴿ وَيُنْهِدُ أَلَّهُ عَلَىٰ مَافِي قَلْبِهِ . ﴿

أي: يحلف بـالله على أن سربـرته مـطابلة لعـلانيـته، أويقــول: الله بشهـد أني صادق، أو نحو ذلك.

﴿وَهُوَأَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾.

الأَلَمَّ لُغَةُ: هـو شديـد الخصومـة الْخَصِمُ الْجَدِلُ الشحيـع الـذي لا يميـل إلى الحقّ. وجَمْمُه: ولَذه و ولِذاده.

قال السُّدِّي: ألَدُّ الخِصَام، أي: أعوج الخِصَام.

يُقالُ: رجُلُ اللَّهُ بِين اللَّذِي أي: شديد الخصومة. ويقالُ: امرأةَ لَدَّاءُ، وقَوْمُ لُدُّ. واللَّلَدُ: الخصومة الشديدة.

 ⁽١) أحمد بن يوسف الشيباني الموصلي (٥٩٠هـ ٥٩٠هـ) من أهل الموصل، ققيه شناقعي، وعالم بالتفسير، له عدة كتب مخطوطة، نقل بعض المقسرين عنها.

وقول الله عزّ وجل: ﴿وَتُنْلِرَ بِهِ قُوماً لَذَا﴾: أي: وتُنْلِر بالقرآن قوماً خُصَمَاة عُوجاً عن الحقّ.

﴿الْجَصَامِ﴾: قال الخليل: هو مصدر بمعنى المخاصمة، كالقِتـال، والطَّمـانِ، بمعنى المقاتلة والمطاعنة.

وعليه فقول الله تعالى: ﴿وهو ألَّذُ الخصام﴾: أي: شديد الجـدل مجانب للحقُّ في المخاصمة، حريص على الغلبة بالباطل.

وقــال الزجــاج: الخِصَـَامُ جـمـُع خَصْــم، كصِمَابٍ وَصَحْبٍ، وضِخَــام وضَخْـم. وعلى هذا فمعنى: ﴿اللَّهُ الخصام﴾، مُخاصِمُ الْمخاصِمين بشدَّة.

قال السُّدَي: ﴿ اللَّهُ الْجُنصامِ﴾: أي: أُغُوحُ الخصام. وقال قتادة: معناه أنه جَدِلٌ بالباطل.

وأرى أنَّه لا مانح من اعتبار كلسة والذَّه أفسل تفضيل بمحنى: الأنسَّة، والأكثر خصومة بالباطل، لأنَّه يُقالُ لَفَقَ: لَذَتَكَ قَلانًا اللَّهُ، اي: جادلته فغلبته. ويقالُ: اللَّهُ يلكُ، اي: خَصَمَّة، واسم الفاعل من لدَّ، لاَذَ، وسالف: لَدُود.

أقول: فيجوز قياساً أن يُشَتِّنُ من ولدَّه الثلاثي أفعلُ تفضيل، فيفالُ: واللَّه وعلى هـذا فمعنى فوهُو الشُّه الخصام): وهـو أشَّهُ الخصوصة بالباطل من غيره، وأكثر المخاصمين جدلاً، وأطَلَّهُمُ الآوانِه بغير حقَّ، وهذا فيما أرى هو الاقرب، ولاحاجة معه إلى أي تاريل.

﴿الْبِحْصَامِ﴾: يأتي مصدراً لخاصَم، يقال: خاصمه مخاصمة وخصاماً، إذا جادله ونازعه، والإضافة على مُعْنَى في .

﴿ وَإِنَّا تُولِّنُ ﴾ : التُولِّي الإدار والانصراف، والمعنى: إذا ادبر وانْصَرف، ويقال لغة: تولَّى الأمرُ إذا قام به، وخَفَلَ مُهمَّة شؤون، وذو الولاية العامَّة كـالسلطان والحاكم والفاضي يتولَّى أمور من هم تحت ولايته.

ومن أسماء الله الوليّ، بمعنى النــاصــر، وقــل: بمعنى المتــولَي لأمــور العــالم والخلائق القائم بها، المتصرّف فيها. فهذا المنافق الذي يُعجِّيكُ قولَهُ في الحياة الدُنيا، لأنه مُمكِّنَ مِهما من أن يَدُعي بلسايه بجلاف ما في قلبه وفضه، وخلاف ما يعملُ في سرّه، أو ما ينوي أن يُقمله في مستقبل أمره، يقدولُ لكُ في حديثه ما يُعجبك عن إيسانه وصدقه وإخلاصه، أو ما يعجبك من مواعيده وما يعزم أنْ يُعمَلُهُ، فإذا أنصرف عن مجلسك وأقبر، وكذلك إذا تركن ولأنهُ مَا يستطيعُ أنْ يقوم بشؤونها ويتصرف فيما هو تحت سلطانه بها، سَفَىٰ في الأرْض للْهُبدُ فيها. أمَّا في الآخرة فلا يستطيع أن يقول غير الحنَّ.

﴿ سَتَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ :

السُمِّيُ المشيُّ الحثيثُ بهشَّةِ ونشاط واجتهاد، ويطلق على كملَّ عصل وكسب بهمة وخقَّة ونشاط واجتهاد، وجاء ذكر: ﴿فِي الأرضُ﴾ لبينان مُتعلَّق هِنَّه وَمَـطامعه، فالمواق وشهواتُه ومطابعُه كُلُها أَرْضيات، لا عُلُويٌ فيها: إنَّه أرضيُّ دُنباري.

﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلُ ﴾:

في هذا بيانًا بشض أثار سعيه، وبالتألس أنديك أنه يسعى لتحقيق المواته وشهواته ومطامعه ولداته وسيار مطالب نفسه وجسده، فتعترضه عقياتُ حُقَّرق الاخرين ومطالبه نفسه وجسده، فتعترضه عقياتُ، وحُقَّرق الاخرين ومسالحهم، وواجبات رب الصالمين عليه، ومحظورات كثيرات، وهذه العقيات لا تُجتلز إلا بالإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث كانع من الروة الباتية وإهلاك النشل دائشل كانه عن طاريق التناسل دينجذ الوسائل المفضية للإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل، ليصل إلى مطالب نفسه وجسده،

وعلى هذا فَنَتَظَنُّ ﴿ لِيُضِيدَ ﴾ محدوف، ويمكن تقديره كما يلي: إذا تولَّى سَخَى بيتغي الوصول إلى مطالبه الأرضية، فتعترضه العقبات، فينَّخذُ مُخْتِلَف الوسائل لِيُفْسِد في الارض، ويُؤلِّك الحرثُ والنسل، ممّا يهيِّسَءُ له في تصوره مطالبُ نَفْسِه وجسِدِه.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾:

الفساد ضدّ الصلاح، ويكون بإتلاف ما هو نافع، أو مــا نفعه غــالبُّ راجع. دون الاستفادة بذلك في نفع مكافىء أو راجع.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنَّقِ ٱللَّهُ ﴾:

أَيْ: اتَّقِ عِفَانِ اللَّهِ على إنسادك في الأرض، وإهماك الحرث والنسل، وعلى معصيتك له. وعبارةً ﴿ اتَّى اللهِ ﴾ شُمَّنَتْ معنى: خف الله، والزم السواطن التي تقيك من عذابه، وهي مواطن طاعته.

﴿ أَغَذَتُهُ ٱلْمِزَّةُ بِٱلْإِنْدِ ﴾:

العرّة هي القرة الغنالية، فهمو يُغَدِّر بقرّة الغنالية التي يتمكن بها في تصوّره من تحقيق مطالبه في الحياة الدنيا، غيرً مكترب لما يُجْيِيه من إفسادٍ في الأرض وإهمالاكِ للمحرث والنَّسْلِ ومعصبةٍ للباري عزّ وجل، وغير عابسيء بالعواقبِ الوخيية التي أُصدَّتُ للاتمين.

ومشاعر هذه العرّة الرّعناء الحمقاء تـأخذُهُ بعيداً عن السواطنِ الـواقيـة من عذاب الله مُكَبُّلًا بـــالاسِل الإثم.

وإذا الحَدِيْثُةُ عِزْتُهُ الحَمِشَاءُ مُكَيَّلًا لِسَلَامِ الإِثْمَ بَسِيداً عن مواطن تَقُويُ الله، أَحَدِثُهُ العِزْةُ العقِيمَةِ التي هي فق فالقت في خِيئَمْ يُومُّ الدين بجوريوة الإِثم اللهٰي ارتكب، والتعبير بهذا نظير قوله تعالى: ﴿ وَفَاتَخَلُمُ اللّٰهِ يُذَكِّبِهِمْ ﴾.

ويهذا الفهم نكونُ قد هُدِينا بتوفيق الله إلى فقْ بديم من فدون الإعجاز البـالاغي في القرآن، وهو استخدام جُملة كمافة بمنفيش شايدنين في الواقع، ومن دون ذلك كان التعبير يجري كما يلي: وإذا قبل له أثق الله أحدثتُه هُرِنَّتُه التُوهُمِيثُهُ مَكْبَلاً بحجال الإلام وســلاسله، فأخدتُهُ عرَّة الله الحقيقة فقدفته في جهنّم بجريرة الإلم الدّي الزّنكب. واختصرت الجملة الأولى، فصارت: أخدتُهُ ألهزةً بالإلم، وأختصرت الجملة الثانية فكانت كذلك: أَخَذتُه المُؤلِّ بالإلم، فجاء في النصّ القرآني الاكتفاء بإحدى الجملتين المختصرتين، مع إرادة المذلاة على ما دلّت عليه كلَّ من الجملتين المعافراتين.

ودَّلُّ على معنى الجملة الأولى ارتباط العبارة بما قبلها، وهو:

﴿ أَتَّقِى اللَّهَ ﴾

ودَّلُ على معنى الجملة الثانية ارتباطُ العبارة بما بعدها، وهو: ﴿ فَحَسَّبُهُ جَهَنَّمُ كَلِيكُسُ ٱلْمِيهَادُ ﴾. وشبية بهذا خطابُ اللهِ لِلكَافرين بعد أحداث موقعة بَذْر، وكانُوا قد طلبوا الفتح من الله على العسلمين، وذلك في قوله عـزّ وجـلٌ في سـورة (الأنفـال/ ٨ مصـحت/ ٨٨ نزول):

﴿ إِن نَسْتَغْلِحُواْ فَقَدْ عَاءَ كُمُ الْقَدْخُ وَان ثَنْهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمُّ وَإِن تُعُودُواْ فَكُّ وَلَنْ تُغْفِّ عَنْكُوْ لِفَدْتُكُمُّ شَيْئًا وَلَوْ كَافَتْ فَأَوْلَقَالَهُ مَعَ الْفَقِيدِينَ ۞ ﴾

أي: إنْ تَطَلِّرُوا الفَّـعُ لكم أي النَّصرَ على المسلمين، فقد جاءَكُمُ الفَـّعُ وهـو النصر للمسلمين عليكم، فيحلف المتعلقات صحّت العبارة للضدّين.

﴿ فَحَسْبُهُ جَهَا مُمَّ ﴾:

أي: فكافيه جَهَنُمُ. حَسُبُ هنا مبتدأ بمعنى كافٍ وخبرُه جَهَنُم. والضمير في فَحَسَّهُ مَفاف إليه، والفاء فيها معنى الترتيب والتفريع على ما سبق.

﴿جِهَمُ﴾: اسم علم من أسماء النبار التي أعدُّهـا الله ليُعدَّبُ بهـا الكافـرين والعصاة، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

ويقـال للقعر البعيـد جهَنَمُ وجِهِنَّام، ويشرٌ جهنَّم وجِهِنَّام يكـــر الجيم والهـاه وتشديد النون، أي: بَعِيدُهُ القعر.

وبعضُ اللُّفويين يَـرَونَ لفظ جَهنُّم أعجميًّا، فقيل: فـارسيٌّ مُعرَب، وقيــل: عِبرِيٌّ، وأصله بالعبرانيّة كِهنّام، وعلى هذا فالمانع له من الصرف العلمية والعجمة.

﴿ وَلِيسْتُسَ ٱلْمِهَادُ ۞ ﴾:

اللَّامِ هي لام الابتداء، وتفيد توكيد مضمون الجملة: بِشُسَ: فعلُ جامـدٌ لإنشاء الذَّم، وهو متقولُ للدلالة على معنى اللَّمْ من بَيْسَ إذا أصابَ بُوساً.

﴿ الْمُعَادُيُّةِ: المُكانَّ المُميَّدُ الْمُرَقَّا، وأَطْلِنَّ على مكانَّ المعلَّنِينَ في جَهِنَّم بِهَادَ على سيبل النَّهِئُم، لأنَّ الشيءَ الممهَّدُ المفروض لهم في النار هـو أساكن التعديب الشديد، وهذا ليس من التمهيد ولا التوطئة، بل هو صَدُّ ذلك تماماً.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْيَعَٰكَةَ مُرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾:

الشراء والبيع مسواء، فكلاهما تبادل، أي: ويَفَضُ الناس وهم أهل الإيمان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذَّعرة إلى الله، يبيعٌ نفسه في الحياة الدنيا مجاهداً في سبيل الله ابتناء مرضاته، ليُكُونَ عوض ذلك سعادة نفسه يوم الدين في الخلود بجنات النبيم.

﴿ وَٱلَّهُ رَءُوفُ إِلَّالِعِبَ الَّهِ ﴾ :

﴿رؤوف﴾: ماخودٌ من البراقة، وهي شنة الرحمة، فالمبراد من البرؤوف أنَّه سبحانه هو المنعم بجلائل النَّعم ودقائقها. والراقة كالرحمة من صفات الله عز وجلَّ.

وفي الإتيان باسم الله الرؤوف هُنا إشمارٌ للصنف الأول المنافق المفترّ بعزته بأنُّ باب رحمة الله ما زال مفتوحاً له يستقبله إذا تاب إلى ربّه وأناب، وهو في حياة الإبتلاء في الحياة الدّنيا. ففي ذكره دعوة إلماحيَّةً للتوية والإصلاح، ضالله تعالى رُؤُوفُ ببالعباد كُلُّ العباد، ضمن القواعد العامة للابتلاء والتوية والجزاء.

وفيه أيضاً إلمـاح للمجاهدين في سبيل الله بصدق ضمن ما أذن لهم، بأنّ الله سيكون رؤوفاً بهم، فينصرهم، ويؤيّدهم، إذا النوموا شريعته ومنهاجه، وسُنتُهُ التكوينيّة والبيانية.

> * * * (٣)

مفهومات مأثورة حول النّصَ

 (١) روى الطبرّي بسنده أنَّ عليًا رضي الله عنه قال بشبان الفريقين المُـذَين ذكرهما الله في هذا النص: اقتتلا وربّ الكعبة.

(٢) وروى الطبري عن ابن زيد قال: كنان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلّى السُّبَخة (هي صلاة التطرّع – ولعلها هنا سنة صلاة الظهر) وفرغ دخل مِرتبداً له (المِرْبُلُه موقف الإبل ومَحْبِسُها) فأرسَل إلى فتيان قند قرؤوا القرآن، منهم ابن عباس، وابنُّ أخي مُنِيَّنة.

قــال: فيأتــون فيقرؤون القــرآن ويتدارســونه، فــإذا كانت الفـــاثلة (أي: وقت نوم القيلولة) انصـرف.

قال: فمرُّوا بهذه الأبة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ ٱلْمِزَّةُ إِالْإِشْدِ . . . ﴾ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى فَفْسَنُهُ آبَيْفَكَآءَ مَهْفَسَتَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوكً إِلْهِسَاوِ﴾.

فقال ابن عباس لبعض م كان إلى جُنْبه: اقتتل الرَّجلان.

فسمع عمر ما قال. فقال: وأيّ شيء قُلت؟

قال: لا شيء يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قال: ماذا قُلتْ؟ اقْتَتْلَ الرَّجُلان؟

قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: ارى هَهُنَا مَنْ إِذَا أَسَرْ بَعَقُوى اللَّهِ أَخَسَنُهُ المِرَّةُ بالإلشم. وأرى مَنْ يَشْرِي نفسه ابتغاء مرضاة الله، يقومُ هذا فيأسُرُ بتقوى الله، فيإذًا لَمْ يُشْلِّ وأخفتُهُ المِرَّةُ بالإلام، قال هذا: وأنا الشتري نفسي، فقاتله، فاقتَّل الرَّجُلانِ

فقـال عـمر: لله تِـالأدُك يا ابْنَ عَبّـاس. {لي: نقه قــدِيمُـكُ وأَصْلُكَ ـــ النـــلاد في اللغة: الممال القديم أورده عـمر رضي انه عنه على التُشبيه).

 (٣) معظم السلف فهموا أنّ هذا النصّ نزل في المشاففين، وفيمن يجاهدهم بلسانه، ثم بسلاحه إن استطاع.

(1)

البيان التحليلي العام

في هذا النص بيان لطائفة من صفات صنف من المنافقين، وهو صنف ذو مكانة في قيوم، وذو بيبان وأسن وذكاء، تعجبُ السامعينَ اقوالُه في أمور الحياة الدنيا، ويستطيع التُصنَّع والتظاهر بغير ما يَّبطن، ويستطيع المواحد منهم أن يستولي في المجلس على جلسلة برخرف القول، والكلام المجرَّد المنثَّن، الذي يوهم أنه صدق، وهو كذَّابُ يخالف باطفُ ظاهِرَه، وتُخالف حَقِيقة أمره ما يَدْعه بلسانه، ويلجنا لتغطية كذبه إلى تأكيد أقواله بالحاف بالله، ويؤشهاد الله على صدق إيمانه، أو صدق حَبُّه وولائه، أو صدق أقواله، أو نحو ذلك، وهو في حقيقة أمره كذَّاب مخادع منافق.

ثم إذا تولَى مدبراً منصرفاً، وانطلق إلى شؤونـه وأعمالـه كذَّبت أعمـاله أقـوالَه، فكشفت أعماله عمّا في خبيئة نفسه وقلبه.

آت يسعى بهمة ونشاط واجتهاد في سُبُسل الأرض المختلفة، ليحقق ما يهبرى ويشتهي وما يُطلُّبُ انفسه أو خَسَده، من مطالب الحياة الدنيا، كالمال، والنساء، وأنواع متاع الحياة الأخرى، وكالجاء والسلطان والعلو في الأرض، فيإذا اعترضته عقبات في سبُله لا تُعْتاز إلا بالإفساد في الأرض، بتضليل النّاس، وصَدِّهم عن صبواط الله المستقيم، وديه الحقّ القويم، ونشر الفاحشة فيهم، ودفعهم إلى ارتكاب المهلكات المويقات، فعل ذلك بحراة إبليس اللّين، غير مكترت إمانية، ولا متحسّس بعاطفة نبيلة.

وإذا اعترضته عقباتٌ في سُبُله لا تُجَنّاز إلاّ بإهملاك الشروات من المزراعة، والثروات من الانسال الحيوانية، أو بإهلاك النماس بقتل المرجال وذبح الذراري وتعقيم النساء فعل ذلك طاغماً باغياً مُجُرِّماً، غير مكترث لعاقبةٍ وخيمةٍ وعـذابٍ من الله شديد، ولا متحسّس بعاطفة إنسانيًّة نبيلة كريمة.

إنَّ هذا الصنف من الناس يوجد في مختلف مستوياتهم وطبقاتهم، فمنهم الطغاة البغاة المتجبَّرون في الأرض، المذين يحاولون فرض سلطانهم على الشحوب بالقرَّة، ويقمع كلِّ من يتحرُّك مطالباً بالحرَّيَّة ورفع الظلم، والتخلُّص من الاستبداد. ويوجد في أعرائهم ونصرائهم ومؤيديهم وجنودهم.

ويوجد هذا الصنف في طبقة طالبي جمع الثروات والاستكتار من الأمموال على اختدافها، واتّضاذ أعظم القصور، وأفخم المراكب، والاستمتاع بألوان المطاعم والمشارب وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا.

ويوجد في سائر طبقات الناس على مقاييرها، وإمكانات الإفساد فيها وإهملاك الحرث والنُسُّل، كلَّ على قَلْر مستواه، وفي خدود إمكانات تحرُّكه في المجتمع البشري، وفي حدود ما أوتي من ذكاء وحيلة، وقدرة على مخادعة الناس، وختل ما يريد الوصول إليه بالحيلة أو بالقوة.

وهذا الصنف من أهل النفاق من الناس، حين يشعر بأنَّه قد غدا ذا قوَّة وسلطانٍ في الأرض، امتلاً غروراً بنفسه، وانتفع كبراً، وصار يأنِس أن تُرجَّه له أَيَّةً ملاحظة. وأيَّةُ نصيحة تحذَّره مغبَّة طغيانه وبَغْيه وإفساده في الأرض.

فإذا قال له ناصح مؤمن ذو جرأة أدبيّة : أتّق الله، وكُثُ عن الطغيان والبغي. والإفساد في الارض، وإهلاك الحرث والنسل، أخدلنّة العرّة أي: اللغة الغالمة التي يشعر بأنه قد استغنى بها، ومَلَكَ كلَّ أقره، والمقترنة برغة الإنم، فاستعوذت على كلّ تفكيره، وكلّ مشاعره، وأصابتُ سائر جوانب الخير في فطرت بالشّلل، فاندفع مع أهواك وشهواك كالأعمى الأصمّ الأبكم.

ومن استحوذت عليه مشاعر الاستخناء بالقوة المقرونة بابتضاء الإثم، لم يكن منه إلاّ البغي والطغيان، والظلم والعدوان، ضربما قتسل من قال له: اتن الله والله وربّما زاد في طغيات وبنيه على النباس، وربّما أممن في الإنساد في الارض ومحسارية دين الله والمؤمنين به، كما هو مُشاهد في أحوال الطغاة البغاة، الذّين يكونون في أوائل أمورهم مُمْجِين بأقوالهم، ويُشْهِدُونَ الله على ما في قُلوبهم من خيرٍ ورغبة هي الإصلاح والنفع العام.

لكتّهم ينصرفون ويصطور أدبارهم لكسل أقـوالهم المُمْجِسة الجميلة الحلوة، فيسمون في الأرض فســاداً ويُهْلِكُــون الحـرث والنَّسَــلُ لتَحقيق ســـاوبهم وسـطاممهم وأوطارهم .

فإذًا كان لهم سلطانً في الأوض استكبروا وطغوا ويُغُوا، وإذا نصَح أَضَكُمْ وَاعِ مِنْ كَاهَ الحَقْ بَقَوَى الله استحودُفُ عليه مشاعر اعترازه بقوّمه، واستغناف بما يملك التصرّف فيه، فطغن واعدته عزّتُه مكبّلًا بسلاسل الإثم الكبير بعيداً عن مواطن تقوى الله، إلى أودية الجرائم العظيمة، وأمواع البغي والطغيان، حتى تُقْيِض عليه يدً العرة الحقيقة الرافية فتأخذه بالمناه، اتحداً غزيز مقتار، فتُهلكمً، ثمُّ تدفع به إلى مصيره في جهنم، حيث يَلقَى فها ذُلاً وهُواناً وصَفَاواً، وعَذَاباً أليماً بما يَنشُه من سَقْر.

ويتسلَقُهُ صداً الصنف الطاعي، وهو في أفرج سُلَقَائِه وَلَأَضِابَه على الدُّعَاة إلى سبيل ربهم بالمحكمة والموعظة الحسنة، فَيَنْكُلُ بِهِم، قَتْلاً وَنَفِياً وَتشريداً، وحرباً بالاقواتِ وساتٍ ضروريَاتِ الحياة.

فـلا سبيل حينشـلٍ للخلاص إلاّ بـإعداد العـدَّة المكافشة للثورة عليـه، ومفاتلتـه،

وتُمجاهدته في سبيل الله ، لإسقاط تسلّطه ، وتخليص الناس منه ، ومن يَقْهِ وظُفُيّاته ، دون تدوّط باعصال غِيْر مكافئة في سُنن اللهِ السبيّـة، لشلا تنتهي بـالخيـة والفشـل. فَتُقَلِي عَكُنَ الائر المرجّر، وتزيد الطاغي في طفيانه ويَقْهِ وَتَسَلّطِهِ وَهُدُوانِه.

وفي الإشارة إلى هذه الوظيفة من وظائف المؤمنين قال الله عزَّ وجلَّ في النص: ﴿وَمِينَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ آيَيْنَكَا مَرْمَهَاتِ اللَّهُوَاللَّهُ رَمُّوْفِكُ إِلْكِيادِ۞﴾.

فهو ناصر المجاهدين في سبيله ما النزموا طباعته، وقبابل تــوية التــاثبينَ من أهل الطغيان والبغي إذا صدقوا وأمنوا وأصلحوا.

وقد أدوك المواذ بنُّ ذكر هذا الغريق المجاهد في سبيل الله عقب ذكر ذلك الصنف المنافق الطاغي الباغي : عليُّ بن أبس طالب، وعبد الله بن عباس، فقـال كلُّ منهمــا : اقتــلا وربُّ الكعبة .

(0)

مع النصّ في التحليل والتدبّر

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قُولُهُ فِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِّيا ﴾.

اي: وبعضُ النَّاسِ صنفُ يُفجِئُكُ فَرُلَّهُ الإيمائيُّ الإسلاميُّ فِي الحياةِ الدنيا، التي يخبري حكم الناس فيها على الظاهر، ويعجبُك قولُهُ فِي أَمُـور الحياة الدنيا، وشؤونها، إذَّ هو فيها ذكي المعيُّ مُين، يقدّم أراة وأفكاراً تُرضي وتُثير الإعجابُ بصا فيها من حكمة وعلم وفهم سديد للأصور، في السُّلم والحرب، وتصريف أمور المال والمجتمع.

﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ - ﴾:

أي: ويُؤكّدُ دُغَاوَه الْمُدرِيفَة بالإيمان المغلظة، ويفوله: واللهُّ على ما أقولُ شهيد، إذْ يَزعم باقواله أنَّه مؤمن تقيُّ نَقِيُّ يُتِنَفِي الخير، ويُضرَّة المجتمع، أو نصرةً الإسلام والمسلمين، ويريدُ الإصلاح والنفع العام، ويُريد، ويُدريد، مَمَّا يشرُّ الناس، ويُقدَّمُ كثيراً من زُخْرُفِ القول، لَيْنَقَ بِهِ النَّاشُ، ويطمئوا له، ويُسْلَموه مقالِد أمورهم.

﴿وَهُوَٱلدُّٱلْخِصَامِ ۞﴾:

لى: وهو أنشأ المختاصمين خصوصة ومجادلة بالبناطل، فمن صفاته أنّه قوي المجدادلة، قبوئي الحجّة غبالاً لمن يخاصمه، يجادل بـالباطل، فيغالط، ويـزوّر، ويُزْخرف الانوال، ويُنْفَق بياناته وادلته، ويُظْهِرُ ويَظْدِي، ويكفّبُ ويكتبه، لِيُهْيِّمِنَ على الناس، ويُقتعهم بآرائه، وافكاره، التي له منها مصالح خاصّة، ويُلْبِسها زوراً وتزييضاً أثواب ابتناء الخير والمصلحة العامّة، أو مرضاة الله عزّ وجلّ:

﴿ وَإِنَا ثَوَّىٰ سَمَىٰ فِى الْأَرْضِ لِنُسِدَ فِيهَا وَيُمْلِكَ الْمَرَثَ وَالنَّسْلُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ النَّسَادَ ۞﴾.

اي: ومن صفاته أنه بندُ أن يخدع الناس بزخرف أقواله وأرائه ، ويُمْنِهُمُّهُم بسلامُهُ نيأته وما يُشْغِي لهم من خيرٍ ونفع وصلاح وإشسلاح أو مرضاةٍ لله عرَّ وجل، ينصرف عنهم فيسُمِّى سئباً حثيثاً بهشّة ونشاط لتحقيق أصدافه الخاصة في الممال والشهوات والاعواء والسلطان والاستعلاء في الأوض بغير حقّ، وذلك لا يتمَّ له إلاَّ بأنْ يُفسِدُ في الأرض يتضليل الناس وصدّهم عن سبيل الحقّ، وطاعة الله عزَّ وجلً، ودفعهم إلى الموبقات المهلكات من كلَّ خاق أو سلوك أو مذهب فكريَّ أو عملي .

ولكن لا بدُّ أن يعترض سُبلُهُ الفسألُهُ مناصرون للحقّ، كاشفون لزيوف تضليلات، فيراهم عقبة في طريق تحقيق أهوائه وشهواته ومطامعه، فبدفع أنصاره وأعوائه لمشارعة أنصار الحق، وقمعهم، ومقاومة دعوتهم فلا يتمَّ له ذلك إلاَّ بأن يُهلك الحرث والنُّشلُ يحـروب ظالمة أثمة طباغية بباغية، أو بأشكال من الفتن يحصل بها إهـلاك للحرث والنسل.

فإذا صدّد أنصار الحقّ، وكاتُما فُوَّةً قادرة على مفاومة فوى الطفيان، وأتَبُدوا منهج الله في الدعوة إليه، والجهاد في سبله ونصرة دينه حقّاً وصدقاً، نصرهم الله، لأنه سبحانه لا يُعبُّ الفساد، وبما أنّه لا يحبُّ الفساد فإنّه يُمدُّ عباده المجاهدين في سبيله المؤمنين الصادقين، بالنّصر، ضمن سننه الشابّنة، المبيّنة في دلالات كتابه المجيد، وسنة رسوله الأمين، واتَّي حَقْقُها التجارب.

وَلِمَا فِيلَ لَهُ اتَّتِى اللَّهُ أَخَذَتُهُ الْمِئَةُ بِاللَّهُ فَتَسْبُمُ جَمَنَمُ وَلِمِلْتُ الْمِينَةُ فَلَ

لى: وقد يتغلّب هسدًا الصنف السطاغي البساغي لقلّة أنصـــار الحقّ وضعفهم وتقرّفهم، أو لاتهم لم يُحقّفوا في أنفسهم الشروط المطلوبة لنصر الله لهم بحسّب سُنّيه الثانة.

عندئنز تقتصر أعمال الدعاة إلى الحقّ على مستوى الجرأة الأدبيّة، ومشابلة الطاقي بالنصح، فإذا قال له مؤمن ناصح: التق الله، أحدثه العرّق. أي قرّتُ الغالبة ــ المعقدة الإثم، فسارت به في طويق الكبر والطنيان والفجور، بعيداً عن مواطن طاعة الله ورحمته وغفرانه وعفوه، فرفض دعوة الناصح الصادق الأمين، وربّما مسطا عليه وبغى، وربما زاد فسداداً في الأرض وطفياتاً، وإهلاكاً للحرث والنسل. ويظلُّ حرّةً الله وقدرته بجرائر أثامه، فتهلك، ثُمَّ تقذف به في جهتم.

ولكن هل من سبيل لانصار الحق ودعاته، قبل أن يأخذه الله بحكمته المُخذَّ عـزيز مقتدر؟

الحلّ: تركّه في الحالة الراهنة لله عزّ وجل، فالله هــو الذي يتــولّى الأمر بحسب حكمته في عباده في الحياة الدنيا، أمّا في الأخرة، فحسبٌ هذا الـطاغي الباغي جَهْمُّمُ ويشّن المهاد.

أمّا على المدى البعيد معلى المؤومين الصادقين أن يُعدِّوا الْمُدَّةُ المكافّة لَنُصُرَةٍ العقى، وإزهاقي الباطل، وإسّقاط الهليه من ذوي السلطان، وقَصْع جنودهم وأنصارهم، وتبديد قواهم.

وعندئلٍ يـظهر فـريق مجاهـد في سبيل الله بـالأســان والفــوة فيبيمــون أنفسهم لله مجاهدين، ابتغاء مرضات الله .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَكُ ٱبْنِيْكَاتَ مُنهَسَاتِ اللَّهُوَالَةُ رَهُوكًا إِلْهِسَادِ ۞ ﴾.

في هذه الأية إيماءُ ضمنيُّ إلى ضرورة إعداد العدَّة الكافية الـوافية للقيـام على الطاغى المتسلَّط. فإذا استكملوا الشروط اللازمة لتحقيق النصر، وإستاط الطلم، وأقامة العدل، وقاموا متوكلين على الله في العرّة الحقيقة الدائمة، نظر الله إليهم بعين الرأفة، فاندّهم بتأييده ونصره، وخذل الطاغي وأنصاره وأعوانه، وجعمل لأوليائه الشكين في الأرض، واستخلفهم استخلافاً محفواً بالعناية والتأييد، كما استخلف الذين من قبلهم.

• • •

النبص السيادس

من سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول) ثاني سورة مدنية الآيات من (٤٩ ــ ٥٥) حول قول المنافقين بشأن البدريين من المؤمنين

إِيَّانَ غَرْوة بِدر: غَرَّ هِؤُلاء دينهم

نزلتُ صورة (الأنفال) بعد غزوة بدر الكبرى، وقد اشتملت على تعقيبات وبيانات وأحكام وإرشادات وتوجيهات ومُسْتَخْلَصات، حول أحداث هذه الغزوة.

وكان لا بُدُّ أن تَتَمَرُض هذه السورة ليبان ما كان من المنافقين، ومن الذين في قلوبهم مرض دون النفاق، ومن التعقيب عليه بما يُعمِّق المفهومات الدينيُّة، ويُبرُدُّ الشُهات.

إنَّ المنافقين، والذين في قلوبهم مـرض دون النفاق. كـالشُك، لم يخـرج منهم أحـد مع الرسول ﷺ لهـنّه الغـزوة، وذلـك لأنَّ الـرسـول ﷺ نـدب المسلمين نـدباً لاعتراض قافلة قـريش، ومصادرتها، بتخيير دون الـزام، وماكـان ظُنُهم أنَّهم سَيَلْقُوْنَ حرباً مع جيش خرج للقنال من مكة، فخرج من خَفُ للأمر ونشط له.

والمتنافقون والمذين في قلوبهم موض لا يخضّون ولا ينشطون مــا دام الأمر نــدبـــاً لا إلزام فيه.

بيد أنَّ الأنباء كانت تَصِل بَباعاً إلى المدينة وإلى مكة وإلى غيرهمـــا، على ألسنة الغادين والرَّائحين.

وفد خرجت قريش مجيش قواممه قرابـة ألف مقاتـل لمـنـم المسلمين من مصــادرة قافلتهم، واتّمجهوا شطر ماه بدر. وانْخرف قائد القافلة أبو سفيان بن حرب عن الطريق الذي ينرصُّـَّهُ المسلمون، فنجا بها.

وتبحوّل الأمر من مصادرة القافلة إلى مواجهة حجيش مقاتل مختال بعده وعُـدَّت، فقد كان المسلمون فلّة في عددهم وعُـدَتهم، وكــان المشـركـون كثـرة مالنسبة إلى المسلمين، في عددهم وعُدّتهم.

ولمّا كانت الأنباء تسري، وتصل تباعاً إلى المحدينة وإلى مكة، فـــلا بُدُّ أن يكــون للناس على اختلاف عقائدهم وولاءاتهم مواقف مختلفة .

- قالمؤمنون المسلمون بدعون الله ويتضرّعون إليه أن ينصر الرسول والذين معه في مواجهة العدو عندماء بدو.
 - والمشركون مطمئنون إلى قُوتِهم، وتَقُوتِهِمْ في عَدَدِهم وعُدْتِهم.
- أمّا المنافقون، والذين في قلوبهم مرض، فقد أبان الله عزّ وجلّ في سورة (الأنفال) موقفهم الذي دلّت عليه عبارتُهُمُ التالية:
 - ﴿غَرَّهَ وُلَّا دِينَهُمُّ ...﴾.
 - فقال الله عزَّ وجلَّ :

﴿إِذِ كَفُلُ الْمُنْيَقُونَ وَالَّذِي فَالْوِيهِ مَنْ صَّّ غَفَوْلَا وَيَفَعُ وَمَرَدَّوَكَ لَمَ اللّهُ وَمَرْيَوَكَ لَا اللّهَ كَذَا اللّهُ اللّهُ وَلَوْتَرَى إِذِي َتُولَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

(١) الفكرة العامّة للنصّ

قـال المنافقـون، وقال الـذين في قلوبهم مرضٌ دون الضافى، وهو مـرض الشُك والترقد مع أنهم متنسبون إلى الإسلام لكنُّ للنَّا يَشْخُسل الإيمانُ في قلوبهم: غَمُّ هؤلاء الذين خرجوا لاعتراض قافلة قريش ومصافرتها، غَرَّمُمْ دِينُهُم، فورطوا والْقُوا انفسهم بأيديهم إلى التهلكة، ودفعوا بأنفسهم إلى مواجهة جيش قويٌّ لاَ تَبْـلُ لهم بِه، وليُسَتُّ قُوْنُهُم مكافئة للصمود له، فضلاً عن الانتصار عليه.

فــأبان الله عــزَ وجلَ أنّ مقــالتهم باطلةً ســاقطة، ببــرهـــان الــواقــع، ولا أدلُ على الحقيقة من برهان الــواقع.

فالرَّسُولُ والذين خبرجوا معه إلى بدر قبد انتصروا صَعَ قَلْتُهم عنداً وعُمَّلُةً، ومَعَ كُثُّرةِ عدوَهم عنداً وعُدُّةً وتمويناً، ومَعَ اعتزازهم وكبريائهم وخُمِلائهم وجبروتهم.

وقد أند الله القلّة المؤمنة بجنود من الملائكة يضربون وجوه الكافرين واقبارَهم، فيفوقون العذاب على المديهم، حتَّى يُموقعُوهم صَرَّعَىٰ تَعَلَىٰ، فَيَوْفُوهم، ويقال لهم: دُقُتُم في السمركة عَذَاب الضرب والقتل، ودُوفُوا يومَ الدَّين عَذَاب الحريق، في جهنَّم ويشن المصير، ذلك بسبب ما قدُنتُ أيديكم الكاسبة من أعمال ظالمة آئمة، عوقتم عليها بالمدل والقسطاس المستفيم، وما ظلمكم ربُّكم مثقال فرة، فالله عزَّ وجلُّ لا يظلم أحداً شيئًا، وليس هو بظلام للعبيد في أي شيء يتمثلُّ بهم، بل هم الظالمون لانقسهم في الحقيقة، لأنهم جَنُوا على أنفسهم بمعاندة الحقّ، ومقاوَمَة، وبارتكاب الظلم والبغي والعدوان ومعصية الرسول.

وهذا الذي جرى للمشركين في معركة بــدرٍ إنّما هــو تطبيقُ لسُنّـةٍ من سُننِ اللَّهِ الدّائمة التي لا تبديل لها ولا تحويل.

فَشَأَنُ الله في حياده كذلك، إنَّ مظهر سُنَّبِهِ النّي جَرَتُ لمشركي قريش على قَـَلَـرُ حاجة العقوبة يومنذ. وعلى قدر ما تقضى به الحكمة، يُسهُ مُظَهْر سَّتِهِ النَّي جَرَتُ فيما مضى من القروب الأولى لأل فرعون والَّذِين كضروا بآيات الله البيانية بسبب كفرهم بها، ناخذهم الله نُذُوبهم بألوانٍ من العذاب الجزئي غير الشــامل، والــذي كان على قدر حاجة العقوبة التاديبية، وعلى قدر ما تقضي به الحكمة.

وما ينتظرهم من إهداك شامل عام إذا رضلُوا إلى مرحلة البلَّى من صلاحهم أو صلاح بعض منهم بَساحاً يُشْهِه مظهّرٌ سُنَّيه التي جربَ لهؤلاه المهلكين الأولين انفيهمٌ بِنْبَ تَكذيبهم بآياتِ اللهِ التكويشِةِ الجزائية الطائِيَّةِ وغيرها من الخوارق والمعيزات، فاستَعَفُّوا الإهلاك الشامل بسبب ذُنُوبهم، وعدم اتُعَاظِهم بالوان العقاب الجزئي المماثل لما حصل للمشركين في بَثْر.

أي: فإذا لم يتّعظُ المشركون بما جرى لهم في بدرٍ من عقاب جُزْفي تاديسي غير شامل، وكذّبُوا بهذه الآيات الجزائية، واستمرُّوا على مقاومتهم لرسالة الرُّسُول، فإنَّ الله يُهْلِكُهُمْ إهلاكاً عَامًا شاملًا، كما أَهْلُكَ عاداً بالربح الصرصر العانية، وكما أهلك تسوف بالصبحة، وكما أهلك آل فرعون بالإغراق في البحر.

ومع أن الله عز وجل أنه يخلق عباده ليهلكهم، سل ليلوهم، لكنهم إذا وصألوا إلى حالة صاروا فيها نسراً حفيقتاً معدّمراً حتَّى لا تُشرَجى منهم فوقنة ولا استفار، ولا صلاح، كان إهلاكهم في الحياة الدنيا إهلاكاً شاملاً هو المحكنة، وعندثل تتحقق فيهم شنة الله في الإهلاك الشامل، كنان الله عز وجل في إهلاك أمّةٍ من ذواب الارض يُحَّرُ شرُّما وقسادها، وتدميرها، وتخريها، ونسلطها عَلَى الحرث والنسل، فيسلط عليها ما يبدها، حتى يرجع ميزان الكائنات إلى حالة الاعتدال المشواز، الذي لا يطفى فيه نوع على نوع، ولا جنس على جنس، ممّا قضى الله بيقائه، ولم يأت إجل إنهاء أمّه.

لكنُّ شرَّ الدَّوابُ التي تستَجقُّ هذا الإهلاكُ العامُ الشامل هُمُّ الكافرون من الشام، الذين وصلُوا إلى حالةِ من العناد والإصرار والطلم والطفيان ميشوس من صلاحها عن طريق إدادانهم بتوبتهم واستغفارهمْ وإنابتهم إلى ربَّهم بالإيمانِ اللّذي يُرجَّنُ معه إصلاح العمل، وتركُّ الظَّلم والطغيان والبغي في الارض بعد ذلك.

وإذا كمان هؤلاء هم شرّ المدواب فهم أحقُّ بمأن يُسلّط الله عليهم مما يكون بـــه هلاتُكُهم الشامل. هذه هي سُنَّةُ الله، فاعتبروا يا أُولِي الألباب.

(*)

المضردات اللُّغويـة

﴿ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم شَّرَضَّ ﴾ :

هُمْ فَهَ غَير المنافقين بدليل عطفهم على المنافقين، مع أنَّ المنافقين في قلوبهم مرض، لكنّ المرض الذي في قلوب المنافقين مرض خُلُقيُّ شَنِيمُ ألوصلهم إلى ركوب مركب النفاق جازمين بأن يكون ظاهرهم على خلاف باطنهم.

أمّا هذه الفتة فلم تنافق ولكنّ منهم من كان لَذَيْهم ميل إلى الإسلام، وقد اتّشتروا إلى الإسلام ضاوقين، غيرانَ الإيمانُ لمّا يدخلُ في قلوبهم، فصرضُهم إذاً هو من قبيل مرض الشُكّ في صحّة القاعدة الإيمانيّة، ومرضٌ عوارض الشبهاتِ التي تُدورثُ القلّق والحيرة، مع الرغبة في السلامة والحرص على النجاة من عذاب الله، والرغبة في الحصول على الأجرِ الموعود به لاهل الإيمان والإسلام، إذا كان الأمر حفّاً.

وقد جاه ذكر هذه الفئة في عدّة نصوص قرآنية منها مـا في الآية (١٣) من ســورة (الأحزاب/ ٣٣) والآية (١٠) منها والآية (٥٣) من ســورة (الحجر/ ٢٣).

وجاه ذكرهــا ضمن عموم الـذين في قلوبهم مرض، وهــو المـرض من المستــوى الشديد، والمستوى الذي من دونه، كما في الآية (٥٢) من سورة (المائدة/ ٥).

﴿غُرَّهَٰٓ وُلَآءِ دِينُهُمُّ ﴾:

يقال لغة: غَوْه يَغُوُّه غَوّاً وْغُوْوراً وْغِرْةً، فَهُو مَغْرُورُ وَغْرِيس، أي: خَدَعَهُ وَاظْمَمَهُ بالباطل.

والمعنى: خـدغ هؤلاء الذين خـرجـوا إلى بـدر من المسلمين دينُهم، وأطمعهم بالباطل. فاندفعوا إلى تهاكتيهم.

﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُ رَهُمْ ﴾:

الادبار جمع الذَّبُر، وهـو في اللَّفة الـظهرُ، والاسْتُ (وهـو الْمُجُزِّ، وقَـدُ يُرادُ بـه حَلَّةُ الدُّيرُ).

وعن مجاهد، وسعيد بن جبير أنّ المسراد من أدبارهم أستـــاههم، ولِكِنُ الله كريمُ يُكُنّي

﴿ وَأَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِظَلَّتِمٍ لِلْغَبِيدِ ﴾ :

ظلًام: صيغة مبالغة، والأصل أنَّ نفي صيغة المبالغة لا يُفيد نفي الوصف من دون مبالغة، فحصل في هذا إشكال عند بعض المتدبرين لكتاب الله.

وأقول: لقد جاء في النصوص القرآنية نفي المظلم عن الله ولو كان بمثقال ذُرَّة، وجاء فيها أنَّ الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكنّ الناس أنفسهم يَظْلِمُون، فَغَمْيُ كُـلُّ الظَّلْمِ عن الله عزّ وجلُّ منصوصُ عليه حتماً.

يقي أن نفهم السرّ في استعمال صيغة وظُلَام، هنا، وفي أربعة مواضع أخرى من القسرآن: (١٨٢) أل عمران/ ٣ ـــ (١٠) الحسج / ٢٣ ــ (٤٦) فصلت/ ٤١ ــ (٢٩) ق/ ٥٠ ــ (٣٣) الإسراء/ ١٧.

والحوابُ الأحسنُ هو أنَّ مِنْ ينظلم مُجُدُومَةً من النَّاس بالذَّني عُلَم لكلَّ واحدٍ منهم أو لقدندٍ كبير منهم، فَهُو يستَنجِنُ أنْ يُقدل بشائه وظدَّام، وللذَّلالة على هذه الفكرة، وتعذير كلَّ ذي سلطان، وكُلُّ من يستطيح أن يَظلم عدداً كبيراً من الناس، بسلطاته أو بحياته ووسائل مُكْرِه، من أنه إذَا فعل ذلك كمان ظلاَساً، واستحقَّ بعمله عُمُّونَة الظَّلاَبينَ، لا مجرَّد عقوبة الظالمين، استخدم القرآن كلمة [ظلاّم] مضافة إلى الجمع.

فجاء الأداء التعبيري مطابقاً في دلالته للواقع بالتكافؤ، فهو سبحانه لا يظلم أحداً شيئاً. وليس بظلام للعبيد الذين هم جمع، وسؤى سبحانه في هذا الموضوع نفَسَهُ يخلق، وفي هذا غاية العدل، وغاية الروعة في الاداء الياني.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْتُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِ مْ ﴾:

المدأَّبُ: العادةُ والشـأن. والمرادُ: كشـأن الله وعادته الثابت المعروفـة عن في عقوباته للامم السابقة. أي: كَسُّنَّتِه فيهم، وهي سُنَّةٌ متكرّرةٌ في كُلِّ الأمم.

والمعنى: عاقب الله المشركين في غزوة بدر بأيدي المؤمنين، وبجنود من الملائكة مُسَوَّيين، على مجرى سنته التي سبقت أمثالُهما في آل فرعون والـذين من قبلهم حتى قوم نوح عليه السلام.

والكلام على تقدير: كدأب الله في عُقُوبَةِ وإهلاك أل فرعون والذين من قبلهم، باعتبار أنها ظواهر جزائبًة متكرّرة.

فالعقوبة والإهلاك من الله عزّ وجلّ، فالأمرُ إذاً سُنَّةً من سُنَن الله التي لا تعـطيل لها ولا تبديل ولا تحويل.

فالتعبير هنا يفيد ما يفيده قول الله عزّ وجـلٌ في سورة (الأحـزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩ ه نزول):

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِ ٱلَّذِيكَ خَلَوْ أَمِن قَبْلٌ وَكَن يَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿ ﴾.

﴿ فَأَهْلَكُنَّهُم بِذُنُوبِهِم ﴾:

الهلاك: المموت. والمرادُ إمانتُهُمْ إمَانَةُ جماعيَّةُ بوسائل فيها تعذيب لهم، وإهانةً وإذْلالُ، ومُحْقُ.

﴿ وَأَغْرَقُنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾:

خِمَاة في هذا بينانُ زَسِيلَة إهلاكهم، لأَنْهُمْ ذُكِرُوا بضريع العبارة فيمنا سبق، بخلاف الْمُهْلَكِينَ الأَخْرِينَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُلْفَكُوا بصريح العبارة، وإنَّمَا ذُكُوُوا بِمُوصَّفِ عامً شامل هو:

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ مَّ ﴾ .

(T)

ما رُوي في سبب النزول

(١) روى الطبريّ بسنده عن عامر حول الآية الأولى من هذا النص، قـال: كان

نــاسٌ من اهل مكّـة تكلَّموا في الإمـــلام (أي: تكلَّموا هي رغبتهم في الإمـــلام واتّبــاع الرسولﷺ) فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلمًّا راؤا فأنّه المسلمين قالوا:

﴿غَرَّهَتُؤُلَّآءِ دِينُهُمْ ﴾.

(٢) وروى الطبري بسنده عن مجاهد قال في الأية: فافة من قريش: فيش بن الوليد بن المشيرة، وأبو فيس بن الفساده بن المعنيرة، والحارث بن زمعة بن الاصود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من مكت، وهم على الارتبياب، فحينسهم ارتبيائهم، فلما رأل قلة أصحباب رَسُول الله على قالوا: غُر هؤلاء دينهم، حتى قَلِموا على ما قليموا عليه، مع قلة عدهم وكثرة عَدْوْهم.

من النظاهر أنَّ مـا ذُكر في هـاتين الـروايتين يشيـر إلى مفـالـة الـذين في قلوبهم مرض، لا إلى المنافقين.

ومن اليدهي أن ندرك أنّ الصنافتين في العديمة، والذين في قلويهم مرض فيها إيضاً، قد قائوا هذه العقالة تُضَمها، أو عبارةً بمعناها، لأنَّ الكافر في باطنه، وكذلك الشباكُ لا يُدُ أنْ يقولها إِيَّان المعركة القائمة، فالدَّلائلُ الساديّة في كُلُّ من الفتشن المتقابَلَيِّن تدلُّ على أنَّ النصر سيكون لصالح من يملكون القوَّة غذداً وعُلَّةً حُماً، وإذا كان الامر كذلك فالمسلمون متورطون، وقد غُرْهم دينُهم.

هذه الكلمة لا بدّ أن يقولُها المنافِقُ، بلسانه أو بقلبه، إنّ طبيعة نضاقه وما يُقْرِزُهُ النفاق عادةً، سِدُفعه تلفائياً إلى أن يقولُها.

* * 1

مع النَّصَ في التحليل

في هذا النّص بيئانُّ لموقف من مواقف المنافقين، يشاركهم فيه الذين في قلوبهم مرضُّ دون الثناق، وهو في قضية الإيمان مرضُّ الشُّكُ، وعَدَم ثباتِ الإيمان واستقراره في القلوب. هذا الموقف يظهر عند مُواجِهة المؤضين للكافرين في قتال جادً، وتكون قُمري المؤسنين في المفايس السبيّة المائيّة أقلَّ من قُوى الكافرين، كما كان الحال في غزوة يدرٍ الكبرى، إذْ كانَّ المؤسنين (٣٦٣) وكان الكافرون قرابة الألف، وكانت فوارق القُوني المثانية والتموينيّة كثر من هذه النسبة.

في مثل هذا المسوقف لا بدُّ أن يقول المنافقون وأشباههم، المذين لا يؤسنون بالقوى المعنوية الإيمائيَّ، ولا بالقُوى الغييَّة التي يؤيَّد الله بها أولياءه، وينمسرُهُمْ بها على أعدات، ويُعدَّلُ بها ميزان تفارُّتِ الفوى المائيَّة التي يُرْجُحُ بها الكافرون رُجُحاناً ظاهراً، لا بُدُّ أن يقول المنافقون وأشباهُهم عندثـنْدِ مقالةً تنسجم مع ضطرتهم غير الإيمائيَّة.

إِنْهِم بحساباتهم المماثيّة يُقدُّرونَ أَنْ الكثرةَ ستتصر على الفلّة لا محالة، إذاً فما الذي يدفع هؤلاء المؤمنين لإلفاء أنفسهم بالنهلكة الـواضحة الّتي لا أمَـلَ فيها بـالظفّـر والنّصر؟

بالتفكير الملكي يَزُوْنُ أَنَّ العؤمنين في خُمرورِ من أمرهم، ويقـولون في انفسهم: ما الذي غرَهم، وقد كانوا بثلثًا بالأس الفريب وقبل أن يؤمنوا بهذا الـدَّين، فقد كـالُوا يفكّرون بعثل ما نفكر به، ويفدّرون الأمور مثل تقديرنا؟

إنّ الجديد في الأمر عليهم هو دينهم الذي أمنوا به، فوعدهم بإحمدى التُحسَّيِّين في اعتقادهم، إمّا النصر في الدنيا مع الأَجْرِ والثواب، وإمّا الشهادة والطّفر برضوان الله والجنّة.

ويما الأهذه العفهومات لا يؤمن بها المتنافقون، ولنَّما يؤمنُّ بها الـذين في قلوبهم مـرضّ دون النفاق، ضلا يُذ ان يعتبـروها من قبيـل الفرور، أو التغـريــر بهم، فهم بهـا يندفعون إلى تهلكتهم.

إذاً: فهم بقولون بعد هذه التحليلات المادِّيَّةِ الصَّرْف: غَرُّ هؤلاء دينهم. أي:

 ⁽١) آو اكثر من ذلك قليلاً: (١١٤) أو (٣١٧) أو (٣١٩)، والعدد الأخير جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب.

خدعهم وأطمعهم وورطهم في التهلكة ما أمنوا به من هذا الدين الذي لا أسىاس له من الحقيقة، او هو أمَّرُ مشكوك فيه .

إِنَّ حساباتِهم وتفديراتهم مانَيَّةً سطحيَّةً ظاهريَّة بحت، بعيدة عن المفهومات الإيمانيَّة، ويعيدةً أيضاً عن شواهد التاريخ التي سبقت للمؤمنين أتباع الرَّسل، ويعيدةً عن الاعتبار بها، فقد البُت هذه الشواهد أنَّ المؤمنين بنافة واليوم الأخر، الملتزمين يُسْنِي الله التكوينيَّة، وبياناته التعليميَّة، لَذَيْهِمْ مَزِيدً على قوى غيرهم من جهتين:

الأولى: شِحْنَات الفوى المعنوية الإيسانية التي تَضيف إلى القدوى المائيّة قُوئُ احتياطيّة كمينةً في الإنسان، وتحجُّبُ العثبطات والمضعفات كالجبن والخوف والشكّ والحيرة والتردّد، عن أن تتحرّك وتنشط أثناء معارك القتال فُلُقيّ أثرٌ يُسْبَةٍ كبيرة من الفوى المائية التي كانت حاضرةً منظورة داخلةً في الحسبان.

الثانية: القوى الغيبَّة الرَّبَانية العائِمة والمنتِّخ، وقد أبان الله عزَّ وجدًّ أَنَّه قد الَّيْدَ العزمتين في بـدر وامدُهم بـآلاف من المسلائكة، للمصونة والشبيت، لا للقيام بكلًّ العمقة.

لقد قال المنافقون والدين في قلويهم مرض: دخرٌ هؤلاًه ينهُمْ، وكرُروا هده المقالة بدليل الفعل المضارع في: ﴿إِذْ يَسُولُ المنافقون...﴾ قبل أن تتصر القلة المؤمنة في بدر على الكثرة الكافرة، تفديراً منهم بأنّ التُصر سيكون للكافرين، وأنّ الهزيمة والهلكة ستحلان بالمؤمنين، وهو تُحكمٌ منهم مبنيًّ على الظواهر السبيّة المنظورة.

فكان الرة الرَّانيُّ العملي بقلب موازين القُوى لصالح المؤمنين، ونصرهم نصْراً مؤرَّراً عظيماً على مُشرِكي قُريش، وجيشهم المستكبر المختال.

وكان الرّدُ الرّبَانيُّ القوليَّ عقب حكابة مقالة المنافقين والَّذين في قلوبهم مرض. يتلخّص بثلاثة عناصر:

الأوّل: بيانُّ العقيدة الإيمانية الفكرية بالنسبة إلى هذا الموضوع، وهي: أنَّ من يتركّل على الله صادتاً في تركّله، ملتزماً منهاجه وصراطه المستغيم، نولاًهُ الله بتأييد ونَصْره، وما النصرُر الأمن عند الله، والله عزيرُز قديُّ غالب، حكيمٌ في تصاريفه بمغاديره، يضُعُ النَّصْرَ بحكمتِه في الجهةِ التي تستحقَّ النصرَ على ما يَعْلَمُ مِنْ بَـوَاطِن الاُمُورِ، وغاياتها، وآثارها التربوية، أو الثاديبَة، أو للجزائيّة.

> دلَّ على هذا قول الله عزَّ وجلَّ في النص: ﴿ وَمَنْ سَوَحَكُمْ عَلَى اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزُّ حَكِيدٌ ۖ ﴿ إِنَّ ﴾.

الشاني: بينانُ نتيجة الممركة التي ظنّ المنافقون والذين في قلوبهم مرضً والكافرون المجاهرون بكفرهم، قُبَلَ بُدْنِها واتَّنَاءَ قيامها، أنَّ الهلكة ستكون فيها للقلّةِ المؤمنة، وأنَّ النصرَ سَيُحُونُ للكُثْرَةِ العشركة.

إِذْ قَلْبَ اللَّهُ عَرُّ وَجِلُّ فِيهَا بِتَاسِدٍ مِنْ عَنِهِ مُوازِينَ الْقَرَىٰ فَعَصْرَ الدَوْمَنِينَ عَلَى المشركين، وامَدُّ الدَوْمَنِين بِجُنُورِ مِن العلاكة، فَعَاتَلُوا أَعَدَاءَ اللهُ مِعْ الولِيالَةِ بِيْنَسِ مِن القُولَى الفَتَالِيَّةُ مَحَدُودَ، لا بَقُولَى الاتَكَبِّةِ تُقُولَى العلاكة الْمُرْسَلَةِ لإِهلاكِ قَرْمِ لُوط

دلُّ على هذا من النصُّ قول الله عزَّ وجلَّ فيه:

﴿ وَلَوْ مَنْ الْمَنْ مَنْ الَّذِينَ كَفُرُواْ الْمَلْتَبِكُةُ يَفْرِيُونَ وُجُوهُهُمْ وَالْمَبْرُهُمُ وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا فَذَمَتْ الْيَدِيضُمُ وَأَكَ اللّهَ لَيْسَ بِطَلْمِ لِشَهِدِ ۞﴾.

ودلُ عليه أيضًا بعض ما جاء في السورة قبل هذا النصّ، وهو قـول الله عزَّ وجـلُّ فيها :

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى المَلْتَهِ كُوْ اَيْ مَمْكُمْ فَيْتُوا الَّذِينَ امْنُواْ مَالْفِي فَلُوبِ الَّذِي كَفَرُوا الرُّعْبُ فَاضِهُمْ افْرَقَ الْأَغْمَانِي وَاضْرِيعُ إِمَانُهُمْ كُلْبَانٍ ﴿ ﴾ .

فحدَّدَ الله للملائكة مُفَادِيرَ أعمالهم في نُصْرة المؤمنين، فهي مقادير للتَّبِيّب، لاَ لِلْقِيَّـامِ بِكُلِّ المهنَّـة، وفي حدود ضَرَّبٍ فَوْقُ الأَصْنَاقِ، لإِضْمَافِ الرؤوسِ والِقالِ الرُّعْبِ، وضَرْبٍ عَلَى الْبَنَانِ لإضعافها عن قبض الاسلحة، ويرى بعض أهل التأويل انَّ الحَظابِ في (فاضربوا) موجَّه للمؤمنين.

امًّا عند قبض الأرواح_. وَتَوَفِّي أَنْفُس الصَّرْعَىٰ مِنْهُم فالملائكةُ يَضربُـونُ وُجُوفَهُم

إهانَةً وإذْلالًا، لاَنْهم صَرفوها عن الحق ويَضرِبُون أدْبَارهُمْ إيلاماً وتعديباً، فــالام الأدبار من أشد أنواع الألام، ولانهم أعطّوا أدبارهم للحقّ بدل وجوههم.

ويقال لهم: وذوقُوا عَذَابُ الْحَرِيقِ، أي: ذوقُوا هـذا العـذَابُ وذوقـوا عـذَابُ الحريق أيضاً.

فَهَلَ هم مع الضرب يمسُّهم عذابٌ فـوقى الضّرب هـو من نُوْع عـذاب الحريق، كحريق الشّرازات الكهربائية، وهذا هـو الأظهر فيما أزْى، أو: وذوقوا بعـد الموت في مُـدَّة البرزخ عـذاباً هـو من نوع عـذاب الحريق. أو: وذوقُوا يـوم الـدَين بعـد البعث والحساب عذاباً في جهنم هو عذابُ حريقٍ فيها.

كلُّ ذلكَ محتمل، وقد يكون كلُّ ذلِكَ متحقَّقاً والله أعلم.

الثالث: بيانُ أنَّ هــذه العاقبة للكافـرين ليست هي من قبيل المصادفة، ولا هي حَمَّكُ شَاذً لاَ نظير له في مجرى الثاريخ الإنساني، بل هي سنَّة اللهِ في عباد.

المْمْ يُهْلِكِ اللَّهُ عَزُّ وجلُ أل فرعون، والَّـذين كفروا من قبلهم، انتصــاراً لرسُّله، وللمؤمنين معهم؟

لقد أخذهم اللُّهُ بِذَنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ فَويُّ شدِيدُ العقابِ.

فلقد كاتُوا في نعمة العال والسلطان والقوة في الارض، ثمَّ جاءتهم نعمة الرُّسُل والدَّعَوةِ إلى الإيمان بالحقّ المذي بمنع العطّمانينة، والدَّعوةِ إلى صراط الله المستقيم الذي يُعقِقُ لهم الراحة وطمانية القلب والعافية في الدنيا، ثمَّ النجاة من عـذاب الله، والقورُ والسعادة بجنّاتِ النجيم يوم الدين.

فقيُّرُوا ما بـانفسهم تُجاه هـذه النعمة، إذْ عَبلوا بنفيض مـا هدتهم إليه بيـانــُت الـرسول ومعجزاتُه ودامفـــُتُ حُجِحه وسراهينه، وقبلوا بنفيض مــا هدتهم إليــ دلائلُ عقولهم وموازين افكارهم التي نظرهم اللَّه عليها، والتي يُدْرُكُونُ بها الحقَّ إِذَا أَلْيَنَتُ لُهُمُّ أَدَلُتُه ويراهينه، وعَبلوا بنفيض ما فُجلِوتُ عليه نفوسُهُم من تُرُوع ضـمــائرهم إلىْ الإيمان بالله وعبادته.

وإذْ غَيْرُوا بذلك ما بـأنفسهم، من سلامـة الفطرة الرَّبَّانيَـة، ومسخوا إنسـانيُّتهم

المكرَّمة باصل النخان، ووضعُوا بدل قواعد الفضيلة في فطرتها، جحدواً وكِبُراً وَرَغَّبُ في الْفَجُور، ونَكُسُوا فطرتهم، وانْحدُّروا بتكويتهم النَّفْسِيَّ إلى النَّفُل سَافلينَ، حَثَّى صَارُوا شَرَّ الدُّوَابِّ عندالله، وأَصلُّ سبيلًا من الأنعام، لأنَّ تشريم قد كان تنبيحة إدافة للكفر والجحود، لا جهلاً بدلالل الإيمان، ولا جهلاً بانَّ الله حقّ، والرَّسُولَ حقّ، وما أَزْلِ من عندالله على لسانِ رسُّلِه حقّ، لذلك فهم لا يؤمنون مَهْمًا قُلْمَتُ لهم من أَلْدَة وَبِيانات.

فاستحقّوا أولاً بمقتضى حكمة الله وغلب، أنْ يسلَبُهُم الله بَغْمَى النّحم ألّتي كان قد أنعم بهما عليهم، وأن يسلَط الله عليهم بعض أسواط الساديب والتربية والتذكير والإنذار، ليرجموا عن غيهم، ويتوبوا إلى بارتهم، فلمّ يرجموا وعلَّلوا ما جرى لهم من عقوبات جُزْئية، وجزاءات تاديبية منذرة، بالنّها ظواهر طبيعيَّة تجري نظائرها دواماً وتكراراً في مجرى الأحداث الكريّة، وليست عقربات وجزاءاتٍ ربَّانية مقصودة للتأديب والإنذار، دنَّ على هذا قولَ الله عزَّ وجلَّ في النصّ:

﴿كَدَأْتِ مَالِ وَمَوَنَ ۚ وَالَّذِينَ مِن فَيَالِهِمُ كَفُرُ إِنَا يَسَالُهُ مِنْ اَلَّهَ مُؤْمُ اللَّهُ بِإَذْ فَيهِمُ إِنَّا لَمَنْ مَوَىُّ شَدِيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ وَلِكَ بِأَكَ العَلَمْ لِللَّهُ مَنْزَا يَسْمَةُ الْشَمَهُ عَلَى فَرَ مَا إِلَّشِيخُ وَأَنْكَ الفَّسَيخُ عَلِيدٌ ۞﴾.

ولمَّا لَمْ يُتَعِطُوا بالعقوبات والجزاءات الزّيَائيّة التاديبيّة الإنذاريّة، التي لم تصلُّ إلى الإهدائ العامُ الشامل، واستمرُوا على كفرهم وظُّلبِهم، وكذَّبُوا بهدَه الآيات من أيات الله التاديبيّة كايات الذّم والضفادع والقُشُّل والاحدُ بالسين العجاف الَّتي كانت لأل فرعون، أنزل الله عليهم ما تُمَّ بِه إَهْلاَكُهُمْ إهلاكاً عاماً شاملًا، كالربح الصرصر العائبة على صاد، والصيحة المهلكة على ثمود، والحاصبِ المدتمر على قوم لـوط، والاشْتِدْراجِ إلى البحر فالإغراق لأل فرعون وجنود.

دلُّ على هذا قولُ الله عزُّ وجلُّ في النصُّ:

﴿كَنَابُ وَاللَّهُ مِنْ وَكُلُّ وَالَّذِينَ مِن تَلِهِمُ كَذَبُوا بِكَابَتِ رَمِّمُ فَالْمَلَكُتُهُم بِنُوْبِهِدُ وَاغْرَقُوْنَا وَالْفِرْصَ وَكُلُّ كَالُوا طَلِيمِينَ لَيُّنًّا﴾. ويتساط المعتدبُر: لِمَ أَنْزَلَ اللَّهُ عليهم هذا الإمْلاكِ الْعَامُ الشَّامِلَ، وهُمْ خَلَقُ من خلقه، وعبيدُ من عبيده؟

ويئتي البيانُّ الضرآئيُّ والأعلى أنْ سُنَّة اللَّهِ في الأحياء واجلغُّ، ومن سنّنه في الأحياء أنَّ إذا وصلتُ أُشَّةٌ بِنَهَا في سوقع من الأوض إلى مستوى من الإفساد العامَّ الشامل، حتَّى صارتُ خُفياناً، وصار رجاء الخير في مقدار صالح للبقاء منها المُراَّ ميؤوساً منه، كان من الحكمة التخلُّص منها بالإهلاكِ العامَ الشامل.

ومن هذه الأحياء الأقرامُ من البشر، بل هم إذا فسدوا فساداً عاملاً، وطفؤا طُفَيْاناً عاملاً، ووصلوا إلى مرحلة البلس من صلاحهم أو إصلاحهم بالوان التربية والتاديب، عن طريق اختياراتهم وإراداتهم الحرّة، كالنّوا شرُّ اللـدُوابُ على الارض عند الله، بحسب علمه وحكمته وقضائه وقنوه، فكانُوا أحقٌ بالإهلاك العام الشامل من الحشرات والفواسق التي تتكاثر حتى تصل إلى مستوى الإفساد والتدمير، ونغيير موازين بقاء الكاتان، بأجناسها واصنافها المختلفات.

> دلَ على هذا قول الله عزّ وجلّ في النصّ: ﴿ إِنْ شَرَّ الذَّوَآتِي عِندَاللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا فَهُمّ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿ إِنَّهُا ﴾.

(٥) تدبُّر النَّـصَ

قول الله عز وجل:

﴿إِذْ يَتُولُ ٱلْمُنْكِفُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُومِهِم مَّرَضٌ عَزَّ هَوُّكُمْ دِينُهُمُّ . . ﴾.

جناء الحديث في مسورة (الأنفال) عن عمدة مواقف كلَّ منها مُضِكُرُ بكلمة وإذه ولفظ وإذه ظرف زمان، وهو اقتل لفظ بعدد حروف من ظروف الزمان، ويُشَهُّل النَّطْق به، وهو يدلُّ على وقَتِ مَا أو أوقات ما، دون تحديدِ بقلَةٍ أو بكثرة.

قال النحاة: وهو ظرف للزُّمن الماضي، ويجب إضافته إلى الجمل.

أقول:

ولعمومه وقلَّة حروفه وسهولة النطق به كثر استعمالُه في القرآن.

ويظهر من سبّر النّصوص الشرآئيّة أنّ الغرض من ذكر النّرمن بحرف وليّه بيان ما جرى فيه، وجاء ذكر الزمن للذّلالة على أنّ الأمر حــَدَثُ جرى، وليس أسراً ثابتـاً دواماً.

وبالتدبُّر العميق نُدْرُكُ أَنْ متمَّلُق هـذا الظرف في القبرآن _ أي: العامل فيه _ يختلف باختلاف المواطن، وقد يكون أحياناً محفوفاً، ويقدَّره المفسّرون بفعل والكره أو والأرُّواء إذَّ قد جله مصرِّحاً به في بعض الممواضع، مشل قول الله تعالى في سورة (الأنفال) خطاباً للمهاجرين:

﴿وَاذْكُرْنَا إِذْ أَنْشُرْقِيلٌ شُسْتَغَىمُمُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَغَافُوكَ انْ يَنَخَطَفَكُمُّ ٱلتَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَايْدَكُمْ وَايْدَكُمْ وَرَزَوْكُمْ مِنْ الطَّيِنَاتِ ٱلمَلَّكُمْ مُثَكِّرُونَ۞﴾.

لكن قد يكون تقـدير فعـُـل واذكره في بعض الصواطن التي لا يكون فيها المتملَّقُ مذكَّوراً غير ملائم.

والمواقفُ الَّتِي صُدُرَتْ بحرف وإذَّه قبل هذه الآية من سورة (الأنفال) هي ما يلي :

- (١) ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ أَلَفُ إِخْدَى أَلْطَا إِفَنْ يَنِ أَنَّهَا لَكُمْ ... ٥٠ ..
 - (١) ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ م ... ٥٠
 - (٣) ﴿إِذْ يُعَنِّفِ كُمُ النَّمَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ... ﴿ ...
- (٤) ﴿ إِذْ يُومِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَتِهِ كَوْ أَنِّي مَعَكُمْ فَنَيْتُواْ الَّذِينَ ، امَنُواْ ... ۞.
 - (٥) ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُ رَفِيلٌ تُستَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ . . . ١٠
- (١) ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِنُنْ تُوكَ أَوْهَ تُلُوكَ أَوْغُر جُوفً . ٢٠ ١٠
- (٧) ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنذَاهُواْ الْحَقِّينَ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا . ١٠
 - (A) ﴿إِذَا أَنتُم بِالْعُدُورَةِ الدُّنياً... ﴿

(٩) ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ أَقَدُفِى مَنَامِكَ قَلِيلًا . . . ٥٠.

(١٠) ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلتَقَيِّتُمْ فِي أَعْيُمُوكُمْ قَلِيلًا ... ٥٠.

(١١) ﴿ وَإِذْ زَيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْسَلَهُمْ . . . ٢٠٠٠

ولكلّ بِنْهَا الْمُتَمَلَّق المناسبُ لَهُ، مذكوراً أو محـذوفاً، والمحـذوف يمكن إدراكه وتقديره بالتديّر والتأمل.

والمناسبُ فيما أرى بالنسبة إلى قول الله عزّ وجلّ :

﴿إِذْ يَتُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِيكِ فِلْوَبِهِم مَّرَضٌ غَرَّهَ وَلَاَّهِ مِينُهُمُّ . . ١٠٠

أن يكون تقدير الكلام كما يلي: لَقَدُّ نصرَكُمُ اللَّهُ إِذْ يقول المنافقون. . .

. . . بدليل قول الله في آخر الأية:

﴿ وَمَن ِ مُوَكَلَّ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ مَكِيمٌ ۞ ﴾:

أي: فإنَّ الله نَاصِرُهُ وإنَّهُ عَزِيزٌ حكيم.

وقذ نباه بيدانُ هذا الكىلام الْمُطْوِيُّ، والْمُذِي يمكن اَنْ يُغَذُرُ فَهِماً، عِي وَلِى اللهُ تعالى في سورة (ال عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) تعقيباً على أحداث غزة أحد: ﴿وَلَقَدَنَهَمُرُكُمُ النَّمُهِ بِدُولَاتُهمْ أَوْلَةٌ الْقَائِمُواللَّهُ لَمُلَكِّمُ تَشَكّرُونَ ﴿ ﴾ .

والمشار إليه باسم الإشارة ﴿هؤلاء﴾ هم المؤمنون مع الرسول في بدر.

.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمَن ِ مَوَكَ لَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ حَكِيمٌ ﴿ ﴾.

في هـذه الجملة بيان لِيُـطلان مقولـةِ المنافقين والـذين في قلوبهم مرض، فكـرأ واعتقاداً.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين أوَلُهما فعل الشرط، والأخرُ جوابُه وجزاؤه. وقد ذَكِرَ فِي الآبة لهُنا فعلُ الشرط فقط، وهو ﴿يَنْوَكُلْ عَلَىٰ اللّٰهِ﴾ وهو مجزوم. والتنوكُّلُ: تفويضُ القلب واستسلامُهُ الكاسلُ لله عزّ وجلُّ، مع القيام بكل الاسباب التي أمر الله بالتخاذها لتحقيق المطالب ضمن سُنيه التكوينيُّ، فهو وظيفة قليك فقط من الوظائف الإيسانية للقلوب، وليس وظيفة من أعمال الجوارح النظاهرة، والتخطيط لها، والتفكير فيها، واتخاذ التدابير اللازمة للقيام بها، فهذه لها واجبات عملة غيرُ التفويض والاستسلام، واللهُ يأمّر بها، والمفرّطُ بها عاص لأمر اله.

هذا فعلُ الشرط، فأبينَ جوابُه؟

قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿وَلَوْتَرَىٰ إِذَيْتَوَقَّ الَّذِينَكَفَرُواْ ٱلْمَلَئِكَةُ يَضْرِيُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذَبَرُهُمْ وَذُوقُواْعَدَابَ الْحَرِيْنِ إِنَّيُّ وَلِكَ بِمَافَدَ شَنَّ أَيْدِيكُمُ وَأَنَّ الْفَالَسِيرِ وَلَلْمِيلَا فِي

وقرأ ابن عامر: [إِذْ تَتَوَفَّى].

في هذه الآية بيانًا لِبُطَلان مقولة المتنافقين والذين في قلويهم مرض، بحدث مَشَّهُورِ هو قَتَلُّ مَن قَتِلَ من المشركين في بدر، وخذتٍ غير مشهود للنّاس، وهم ضربً قتـلاهُمْ على وجوههم وأدبارهم من قبل ملائكة قبض، الأرواح حين يَنْرَفُونُهُمْ لَتَلُونَىُ أنفسُهم الموث، والإهَانَة والمُفَاتِ، وما تمَّ بعد ذلك من تحقيق النصر للمؤمنين.

وجاه التعبير عن الحدث غير المشهور للناس بعبارة: ﴿ لَوَ تُعَرَى ۗ أَيَّ ا وَلَمَ لَكُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا أَيُّهَا الرائي إِنَّا كَنتُ، لأَدْعَرُكُ الْمُشْهَدُ، وَلَهَالُكُ الامر، لشدَّتِهِ وَمَا فِيهِ مَنْ هَـوْلَم تَشْهِرُ منه الفلوب، وهو أسلوبُ للدلالة على هول, المشهد. وجواب الشرط دلوه محدوف، يُعَلِّمُ مضمونُه من حالة خدب ضرب الملائكة لهم على رُجوههم وأدبارهم، ويمكن تقديره بنحو، لهالَـكُ المشهد. أو لـرأيت مشهداً عجبًا مخبةاً.

يتوقَى: النَّوْقِي: قَضُ الرَّوح، مع ملاحظة بلوغ أعمادهم غايـة أجالهـا المفقّرة المقضيّة، لأنَّه بُقَال: نَوْقَى المدَّة إذا بلغ نِهاينها، وتوقَّى المال، إذا أخلَّه فَلْمُ بَيْنَ شُـه شيئًا. وقضاء الله بإمانتهم في مصارعهم مقرونُ بإنهاء أجالهم.

﴿بَنَّوَفَى ٱلَّذِينَكَ فَرُواْ ٱلْمَلَتَهِكُهُ ﴾:

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول به مقدّم. و ﴿ الملاككَةُ ﴾ فاعلُ مُؤَثَّر، وقُدَّمُ المفعولُ به هُمُنا أَلَّهُ الغَرَضُ التَّبِيهُ على حالمةِ قَالَى المشركين في بـدر، فهم الأحقُّ بـأولــويَّـة الاهتمام، لا قابضو أرواحهم من الملاككة.

﴿ يَصَّرِيُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُسُرَهُمْ ﴾ :

جملةً في موضع الحال، أي: يتوقونهم حالة كونهم يضربُونَ وُجُـوهُهم وأدبارهم إهانَةً وإذلالاً وتَعذيباً.

واستُمْهِمِل الفملُ المضارِع في الجملتين لإحضار صورة الحدث المساضي في الذهن، كأنه حذتُ يجري متكرراً، أمّا تجديدُ الضّرب وتكريرُه فهو لكل فرد منهم، إذْ كانت تتوالَى عليه الضربات، وأمّا تجديد التوقي وتكريرُه فهو أمر يُلاَحظُ تسابُهُهُ بالنسبة إلى مجموع الافراد، إذْ لم يُحَدِّثُ دُلعةُ واحدة، وإنّما جاء تُوقَّهِم متنابعاً، فحدَّ التوقّي مُتكرَّر بالنسبة إلى الجميع ، وإنْ كان بالنسبة إلى كلّ واحدٍ منهم واحداً غير متكرَّر.

﴿وَذُوقُواْعَذَابَٱلْحَرِيقِ ﴾:

أي: ويقال لهم مع حَــَنَتْي الضَّرْب والشُّوفي: ذوقوا عــذاب الحريق. العحريق: اضطرام النار، واللّهب، واسم من الاحتراق.

واستُعْمِسُلَ الذوقُ للدلالة على الإحساس الكـامـل بـالشيء، لأنّ اللّـسـان أكشر المحواس إدراكاً مباشراً لاكثر المختلفات من الأشياء الني تُدرُكُ بالحسّ. وقد سبق بيان احتمالات معنى هذه الجملة:

﴿ ذَالِكَ بِمَا قَدَّ مَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾:

العشار إليه هـو ما جـرى لهؤلاء القنّلى من العشركين في بـدر، والخطابُ لهم، وهو تابع لما يُقال لهم، واستُعمِلُتْ إشارة البعيد للدلالة على عظم شأنه، وأنه جـاءهم من رئيم العليّ الأعلى.

أي: هـذا اللي جـرى لكم هو بسبب مـا قلّمت أيـديكم، أي: من عـمل إراديّ كان من كسبكم، وهو كفرهم وتكذبيهُم وظُلْمُهم، وحربُهُمْ للرسول والمؤمنين معه.

وجاء في القرآن التعبير عمًا يكببُه الإنْسَان بعمله في الحياة الدنيا من خيْرٍ أو شرَّ بفعل وَقَدَّم، وتصريفاته، لأنَّ كسْبَ الإنسانِ هو الذي يقدّمه أمامه لأخرته.

وفي مقابله جاه التعبير عمّا تركّ الإنسان من عمل في الحياة الدنيا، ومنه واجباتٌ يتركها بفعل وأشّره وتصريفاته، لأنَّ ما لم يعمله الإنسان في الحياة الدنيا قدْ أشّرَهُ وأبقالهُ هُو وَزَمَنَهُ فِي العاضي، فإنَّ كان واجباً حُرسِبَ على تأخيره له.

وجاه استممالُ والبدين؛ و والأيدي؛ كتبايَّة عن تُحلُّ كسبِ إداميَّ يكسبُهُ الإنسانُ بإرادته الحرّة، لأنَّ عملَ الايدي هُو إسرَّزُ مظهر ماذي للكسب الإراديّ، فيبدخُلُ في عموم الكسب الإراديّ أعمالُ القلوبِ والمعرس الإراديّة.

﴿ وَأَنْ اللَّهَ لَيْسَ بِظُلُّمِ لِلْعَبِيدِ ﴾:

أي: وهذا الذي جرى لكم هو بسبب صنة العدل الربّاني، ومظاهرها من الجزاء بالمقاب. وجاه التعبير عن العدل بنفي الظلم عن اللّهِ عزّ وَسُّل، الأنْ نُفّي الظّلم يشْمَل الجزاء بالعدل، ويشملُ أيضاً الجزاء ببعض حنَّ العدل، وهمو العقرون بشيء من الغفران والعفو والتسامح.

فَذَلُّ النُّصُّ بِبِيانِ السُّبَيْنِ على أَنْ تطبيقَ الجزاء بالعقابِ له سببان:

السيب الأول: كسُّبُ الجاني.

السبب الثاني: عَدُّلُ المجازي.

. فلو لم يكن كسْبُ فيه جناية وظلم لما حصل الجزاء بـالعقاب. ولــو لم يكن في الوجود يُجاز قادرُ عادلُ لما حصل الجزاء بالعقاب أيضاً.

فكانُ من دُفَّة البيان وروعته بيانُ السَّبَيْنِ مَمَّا فِي قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَافَدَّ مَتْ أَيْدِ بِحِثْمُ وَأَكَ اللَّهُ لِيَسَ بِطُلْكُولِلْمِيدِ لِيَّ ﴾ .

وقد سبق بيان ما يتعلُّقُ بصيغَةِ ﴿ظَلَّامِ﴾.

AL TABLES

قول الله عز وجُل :

﴿ كَدَاْبِ مَالِهِ زَعُونَ وَالَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مُمَّكُمُوا بِمَايَنِينَالَّهُ فَأَخَدُهُمُ اللَّهُ بِدُّ فُوبِهِمْ إِنَّالَمَتُونِيُّ شَدِيدُ الْمِفَابِ ۞ فَاللَّهِ أَنَّ الْفَالَمِيكُ مُغَيَّا فِضْمَةً الْفَمَهَا عَلَىٰ فَر مَا إِنَّسِيمَ مِنْ أَنْكِيمَا لَمَنْ مَدِيعً خَلِيدٌ ۞﴾.

البيان في هاتين الأينين يُنبَّه على العقوبات الجزائية الخُبوْنية دون الإهلاك العام الشامل للقوم، وهي عقوبات يواد منها النادب والتبصرة والتذكير بعدل الله، والإشفارُ بها هو أشدّ، كشّقوبات الرّجز التي أنزلها الله على فرعون وشعبه آيماتٍ لموسى عليه السيلام وهي: وجُز السنين، ورجز نقص النمرات، ورجز الطوفان، ووجُز الجراد، ورجزً الشّمل، ورجزً الضفادع، ورجّز الدّم، وكنان لكلّ أشّةٍ الجَرفَّ عضوباتُ تبلائم جرائمها.

واشار إلى أنّ أعندهم بنتُريهم قد كان بحدود هذه العقوبات الجزئية. ما جاء في الأية الثّانية من التعبير بتغيير النعمة، أي: إلى مصائب في الأموال والأنفس، ومؤلمات من المحوارض العامّـة التي فيها صور مختلفات من العقاب، وكلَّ ذَلِكُ دون الإهلاك العامّ الشامل.

﴿ كَدَّأْبِ مَالِ فِرْعَوْتُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾:

أي: كسُّنَّةِ اللَّهِ في عِقَابِ كُفَّارِ الْأَمْمِ الغابرة.

والمشِّبُّة خَالُ مُشركي قريش وتطبيقُ سُنَّةِ اللَّهِ فيهم، كما طُبَّقَتْ في كُفَّار الأمم

من قبلهم، فالمشبِّ به حال كفَّار الأمم السابقة، وتطبيقُ سنَّة الله فيهم.

وسُنَّة الله هذه فيها ازَلاً عُقُوباتُ جزئيةً محدودة، وفيها اخيراً إهلاكُ كُليُّ شاملً، حين تنتهي ظروف امتحان القوم مع الإمهال الطويل، ويصلُون إلى درجة الياس من تأثير وسائل إقناعهم وإصلاحهم .

والسعنى: دَأَبُ اللَّهِ ومُسْتُتُه في مُقالجة ومُعاقبة كُفَّارِ قريش كدابِه في مُقالَجة ومُقاقبة تَقَار أهل القرون الأولى.

فنصر الله المؤمنين عليهم في موقعة بدر، وقتلُ بعض قادتهم وسادتهم، وأسَّرُ فريق منهم، وجعل ما ساقوا من أموال وسلاح غنيمة للمسلمين، هو من صور العضاب الجزئي التأديسي الرَّبائيّ لهم.

والإضافة في : ﴿ فَكَدَابِ آل فرعـون﴾ على نقـديـر محـذوف بين المضــاف والمضاف إليه، وبالنامل استطعنا اكتشافه، وهو كذاب: ائي كشأن وصادة وسُنَّة الله في عقاب آل فرعون والذين من قبلهم .

وهذا العقاب الْجُزْئيُّ قد كان بسبب أنَّهم كَفَرُوا بآياتِ الله، ولا بُدُّ أن تكونَ هذهِ الايات هي ما يلي:

- (١) الحجج والبراهين المثبنة لقضايا الدّين، وصدق رسالة الرسول.
 - (٢) المعجزات وخوارق العادات التي أبد الله بها رسُله.
 - (٣) أيات الله البيانية المنزّلة على رُسُلِه.
- (3) أيات الله الني فطر الله الضوس عليها، والتي تنزع بالنّفس الإنسانية من داخلها إلى الإيمان بالله وعبادته.

هذه الأبات كُمُّها قد كفُرُوا بها مع إشراكهم لدلائلهما. فكفرهم بهما تُمُفر جُمحودٍ لا كفرُ جهل، ومارسوا الأعمال التي هي من آثار كفرهم، وهي ذُنُوبٌ وَمعاص تنفعهم إليها أهواؤهم وشهواتهم.

﴿ فَأَخَذَهُمُ أَلِلَّهُ بِذُنُّوبِهِمْ ﴾:

أي: فأخذهم الله من مواقع النُّغم، ونَقَلُهُمْ إلى مواقع المصالب والآلام، بسبب نُنُويهم، الَّتِي رَتُبُ اللّه عليها انواعاً من العقاب المعجل في الدنيا.

والممنى: أنَّ اللَّهُ قَد غَير أحوالهم بهـذا الاخدَ، من أحوال الموسَّع عليهم بالنَّم، إلى أحوال من الشَّذائد المؤلمات، تأديباً وعقوبة وإنذاراً بما هواشد، ونيصرةً وذكرى، لعلهم يتوبون ويستغفرون من ذنوبهم، ويؤمنون بـرسول ربَّهم، وبمما أنزل الله عليه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْمِقَابِ ﴾:

في هـذه الجملة الختامية للآيـة تذكيـرٌ ببعض عناصـر الفاعـدة الإيمانيـة بالله. وتثبيتُ لها، من خلال ظواهر الأحداث التي تدلُّ عليها.

فكونُ الله قد أخذ هذه الأسم بذنوبها، فانزل عليها الدواناً وصوراً من العذاب، وقابهم في المصالب والآلام ليُتوسوا ويستغفروا، إنّما هو سظهرُ لصف قرّنه وحكمتِه وعدلِه وشِدَّةِ عقابِه إذْ كان من مقضيات علمه وحكمته أن يماقبهم عقاباً لمُديداً.

> وهو دواماً قريَّ شديد العقاب فليحذر الكَفَّارُ وأهل كبائر الذنوب. ﴿ ذَلِكَ بِأَنِّ الْقَالَمْ يَكُ مُفَيِّرًا يُقَـمَّةُ أَنْصَمَهَا عَلَيْقَرِحَقَ بِغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِمِمْ

دلّت هذه الفقرة على سُنَة مِنْ سُنَنِ اللّهِ الدائمةِ في خلقه، وهيَ أنَّ الأصلَ إِيقاة مجاري النّمم الَّتي يُنِّمم الله بها على أيّ قــوم ، بسبب مكسافساتهم، أو امتحسانهم وابتلاتهم، ما دامت أحوالُ الفسهم متمشّية مع فطرتها السليمة التي فطرها الله عليها، لم يُسْرَهوها، ولم يُنْسَخُوها، ولم يُعملوا على إفسادها، فإذا قعلوا ذلكُ التغييرُ في أنَّفَسهم غَيْسر اللَّهُ لَهُمْ في مجاري نعمه، فسلبً منها، وأنسزلُ المصالب، ومسُهُمْ بالشَّر، جزاة وتذكيراً وإنذاراً.

﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا فِنْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ . . . ﴾:

أي: ليس من شأن اله سبحانه وتعالى أن يُغَيِّر يَشْمَةُ اتَّهمها على قوم ما. إنَّ هذا سُنَّةٌ من سنته عزّ وجلّ. لَمْ يَكُنُ: أي: لم يَكُنْ، ففي اللَّسان العربي حذفُ هـذه التون إذا كان الفعل مجزوماً بالسكون غير متصل بضمير نصب ولا بساكن.

﴿ حَنَّىٰ يُعَايِّرُواْ مَا بِأَنفُسِمٍ ﴾ :

أي: فبإذا غَيْروا ما بالفسهم كما سبق في الشرح آنفاً غُيْرَ اللَّهُ في النَّمْم الَّتي كانت مستمرَّة النَّمَذي والعطاء فيهم، وهذا أبضاً سُنَّةً من سُنَنِ اللَّهِ عزْ وجلَّ في الناس.

فهما سنتان:

- (١) سُنَّةُ ثَباتِ النُّعم ما دامت الأنْفُسُ على فطرتها.
- (٢) سُنَّةُ التغيير إلى الأَذَى وإلى الضَّر إذا غير الفوم ما بـانفسهم، بإفســادهم فِظْرِها، أوغدُم استجابتهم لنداءاتها الوجدائية الْفَضْلُم.

ذلك: المشار إليه بهذا الاسم من أسماء الإشارة في الفقرة، هو أُخَّدُ اللهُ لَهُمُّ بذنويهم، والمعنى: حصَلُ لهم ذلك:

باًنَّ الله . . . أي: بسبب تطبيق هذا القانــون من قوانين الله فيهم، وهــو المشتــمل على سُــُتُنِي الثبات والتغيير.

أَنْعَمُهَا: الفاعل ضمير مستتر يعود على دافه؛ والضّميـــر الظاهــر مفعول بـه، يقال لغة: نعمةُ انعَمُها اللهُ عليه، ويُعْمَةُ أنعم الله بها عليه.

﴿ وَأَنَّ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

أي: وهـذا التغيير في مجـاري النعم، وتبديلهـا ببعض مجـاري الضـرُ والبؤس والنَّقم بسبب أنَّ الله سَمِيعُ عَلِيمٌ.

أي: سميعٌ لكل ما يصدُّر عنهم من أقوال وأصوات، عليم بكـلُ ما يصــدُّرُ عنهم من أعمال_{اً} إراديَّة ظاهرة وياطنة، من أعمال السوء والشَّرَ والشَّرَ.

وسميع أيضاً لمدعاء رسُلِه، ودُعاه المؤمنين، وعليم بما يتألُهم من أذى أقوامهم الكافرين لهم، وعليم بأحوالهم الداعية إلى معاقبة مضطهديهم.

خدلَ قولُ الله ﴿فَأَخَذُهُم اللَّهُ بِنَنْرِبِهِمْ ﴾ وقولُه تصالى ﴿وَانَّ اللَّهُ سَمِيعٌ عليم﴾ على أنَّ التغيير المذكور في النَّصَ له سببان:

السبب الأول: ذنوبُ الأقوام الَّتي وصلت إلى المستوى الداعي إلى العقوبة في

الحدود التي لا تصلُّ إلى الإهلاك العامُ الشامل.

السبب الثاني: عدلُ الله وحكمته الملازمان لكونه سميعاً عليماً، وقد سبق قبل هذا في النَّصَ بيان عزّة الله وحكمته، ويسان قُوتِه وشدّة عضابه، والإنسارة إلى عدله، وجاه هنا بيان كونه سميعاً عليماً، فاكتمل بيان كلِّ صفاتٍ الله التي من ظواهرها مُعاقبته للكافرين والظالمين والمجرمين وساير المذنبين.

قولُ الله عزّ وجلّ:

﴿ حَــَدَأَبِ مَالٍ فِرْعَوْرِتُ وَالَّذِينَ مِن مَلِهِمْرَكَذَبُواْ بِنَايَتِ رَبِيْمَ فَالْمَلَكُومُم بِدُنُوبِهِدَ وَاغَرَهْمَا مَالَ وَعَوْتَ وَكُلَّ كَانُوا طَلِيعِينَ ۞ إِنَّ مَرَّ الدَّوَاتِ عِندَالَهُ الذِينَ كَفُرُوا مَهُمُ لاَيْفِتُونَ ۞﴾.

البيان في هاتين الاينين يُنبَّهُ على خاتمة العقوبات الدنيوية ، وهي عقوبةً الإهلاك العالم الشامل، للاقوام التي تُصلَّبُ فيها الكفَّرُ والعنادُ، واستشرى فيها النظمُ والفساد، حتى صارت أقواماً ميؤوساً من صلاحها بلراداتها الحرَّة، عن طريق الإقنع، أو وسائـل التأديب والتربية، أو العقوبات الجزائية الجزئية دون الإهلاك الشامل.

فالأقوام الذين تحوقبوا بالعقوبات الجزئية فلم يرتدعوا بها، ولم يَزُوا أَنَّها آياتُ من آيات الله الهاديات إلى الإيمان، وإلى الاستفامة على طريقة الرحمن، بل كَــُـنُّبُوا بهـا، وقَــُشُرُوها بأنَّها ظواهر طبيعيّة من ظواهر احداث الكون، وأنَّها نجري دون فَصُدٍ وإرادةٍ علويّة، هُمُّ أَنفَسُهم الذين استحقوا بما وصلوا إليه الإهلاك العمامُ الشاملُ، فأهلكُهُمُّ اللَّه بَلْغُرِهم.

> فاقتضى البيان إعادة ذكرهم بِفَنَّيَّةٍ بديعة فقال تعالى: ﴿كَدَأُبِ ءَالِ فِرْعَوْرَكُ وَالْذِينِ مِن قَبِّلْهِ هُرُّ

هذه العبارة قد سبق شرحها، ولكنّهم بعد المعالجة بـالعقوبـات الجزئيّـة أضافـوا إلى كفرهم السابق، تكذيبهم بأذّ ما جرى لهم من أحـداث هو من عقـوبات الله لهم، وهو من آيات الله الدالات على عزّته، وحكمته، وقـوَته، وشِـدَةِ عقاب، وعَدْلِب، وأنّه سميع بصير، فقال تعالَى مبيّناً هذا التكذيب الذي أضافوه إلى كفرهم السابق:

﴿كَذَّبُوأُ بِثَايَتِ رَجِمٌ ﴾.

وإذْ نَذْ وَصَلُوا إلى هذه الحالة الميئوس من صلاحها بإراداتهم الحرَّة، فإنَّ أمر [هلاكهم العامّ الشامل، هُوَ مَا تقتضيه الحكمة، فقال تعالى:

﴿ فَأَهْلَكُنَّهُم بِذُنُّوبِهِمْ ﴾.

أي: أهلكْنَا آلَ فرعَوْن والَّذِينَ مِنْ قبلهم من الأقوام التي أهلكت بسبب ذُنُّوبهم.

ولمَّـا كانَ أَل فـرعـون مَـذَّكـورين بـاسـمهم على وجه التَّميين، كــان الاداء البيانيّ الأنمّ يغتضي ذكر الوسيلة التي تَمُّ بها إهلاكُهُم، فقال تعالى:

﴿ وَأَغْرَ قُنَّا وَالَّهِ فِرْعَوْتُ ﴾.

ويعد ذلك أيـان الله عزّ وجـل أنّ ذُنّرتِ هؤلاء الأقــوام المهلكين لم تكن من الذنوب التي تكثّر في الأمم، فلا تقضي المحكمة إهلاتهم إهـلاكاً شــاملاً، بـل كاتُـوا ظالمين يجملتهم، فالحكمة تقتضي إهلاكهم، فقال تعالى:

﴿ وَكُلَّ كَانُواْظَلِمِينَ ﴾:

أي: فهم جميعاً قد اشتركوا في مقتضى واحـد وهو الـظلم فتناظـروا في الهلاك وإن اختلفت وسائل الإهلاك.

وأبــان الله بعد ذلــك أنّهم قدْ وصلُوا إلى مــرحلةِ البأس من صـــلاحهم بــلواداتهم الحرّة، فكان من الحكمة في عالم الابتلاء إهلاكتُهمْ وإبادتهم.

وأبان أنَّهم قمد صاروا شرَّ الدّوابّ عند الله، الَّتي تستجقُّ في عمالم الأحياء الإبادة، فقال اللهُ مَزَّ وَجَلًّ :

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآتِ عِندَاللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾:

أي: إذا كمانت الحشرات والفواسق الضارة قمد وصلت إلى نسبة تستحقُّ معهما الإبادة لشرَّها وضرَّها، فإنَّ شَرَّا منها قوابُّ بَشَريَّة وصلَتْ في كفرها وشـرَها إلى حالةٍ ميئوس من صلاحهم معها، وقد دلَّ على أنَّ صلاحهم بإراداتهم غير منوقَع ولا مرجُّـوً. قولُهُ تعالَى في الآية:

﴿ ٱلَّذِينَ كُفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :

أي: فهم لا يؤمنون في المستقبل مهما مُولجوا بالوسائل، فقد جُرِيُّوا بكلُّ السحداد للهداية والاستجابة، فلم يهتلوا الوسائل النافعة المؤرِّّة فيمن لديهم أقلُّ استحداد للهداية والاستجابة، فلم يهتلوا ولم يستجيرا، فمن النَّجْرُ للبشريّة إهلاكهم إهلاكا شاملاً، تخليصاً للمجتمع الإنساني منهم، إذْ تجاوز ظلمهم وطفياتهم حدود الفصرر المعتداد في المجتمع البشري، وصمُموا على أن يسلكوا مسلك المقاومة للحق، والتصدّي لمنتم دعموة الحقّ، واضطهاد المؤمنين.

إنّهم لم تنفصهم القناعة، ولكنهم فضدوا السلاصة النُصيّة والصحة الانعلاقية، فهم مرضى في نفوسهم وأخلاقهم، ويحملون الوباء للناس والذراري، فانتضت حكمة القضاء والقدر أن تندّعل للإنفاذ بإفناء حملة الوباء.

هـذا مـا نقضي بــه حكمــة الحكيم، وهـذا هــو الــذي أجــراه الله عــزّ وجــلُ في المهلكين الأوّلين.

وهـو سنَّـةُ للَّهِ دائمـة، فليتعظ بهـا أولـو الالبـاب، وليُعْتَبِرُ بمــا جـــرى لـلاؤلين المعتَبِرُونَ، من المخاطَبين في النصّ، ومن معاصريهم، وممن سياتي بعدهم.

انتهى تدبر النص والحمد لله على فتحه.

النبص السابع

من سورة (آل عمران/ ۴ مصحف/ ۸۹ نزول) ثالث سورة مدنية الآيات من (۲۹ – ۷۶) حول مكيدة أخباث اليهود بالدخول في الإسلام نفاقاً شم الارتـداد عـنـه لإضراء غـيـرهـم مـالـردة

صورة (آل عمران) ثالث سورة مدنية، وقد جاء فيها بيان عـدّة أمور تتملّق بـأهـل الكتاب من اليهود والنصاري، باعتبار أن العهد المدني للرسول 義 قد كثرت فيه علاقة الدعوة الإسلامية بأهل الكتاب.

وممًا جاء فيها بيانً مكينة بهوديّة تراصى بها طائفة من اليهود، وهي أن يتنظاهروا بالإسلام والدخول فيه نفاقاً، فُمُ يُرتَّدُوا عنه مفتعلين أيّ سبّب للارتداد عنه، بغية التأثير على بعض من دخل في الإسلام من عــوب يثرب، فيـرتدوا عنه كما يــوتـد عنه هــذا الغربق الماكر من اليهود.

وبهذا الأسلوب يفتحون طريق الارتداد لأمثالهم من منافقة عرب يثرب، ويُهوَنون على من يصعُبُ عليهم الالتزام باحكام الإسلام ونكاليفه أشر الارتداد عنه.

نجد بيان هذه المكيدة في أخدٍ دُروس السّورة، وهو قولُ الله عزَّ وجلُّ فيها:

﴿وَدَّتَ طَالِهَةً مِنْ أَهْلِ الْكِسَّبِ لَتَيْمِنْ أَيْكُوْ دَمَا يُعِيلُونَ إِلَّا أَشْهُمْ وَمَايَشُمُونَ يَعَاهُ لَ الْكِسِّ لِمَ تَكُمُّرُونَ خِنَائِتِ الْفَوَالْمُ تَشْهُدُونَ فَي تَاهْلَ الْكِسِّدِ لِمَ يَشْمُونَ الْمَوْ يَالْتِهِلِ وَتَكُمُّمُونَ الْمَقْ وَاشْرَقْنَا مُنْ فَالْمَدِنَ فِي وَقَالَتَ ظَالَهِمْ تَيْمُونَ فَي أُولِ عَلَ اللَّذِي المَّشَوَالَيْمَةِ الشَّهَارِ وَالْمُرْوَالْمَائِمُ لَمُنْفَعِلُونَ فَي اللَّهِمِينَ فَي وَ نَعَ دِينَكُوْلُولِيَّ ٱلْهُمَنَ هُدَى اللَّوانَ يُؤَقَّ اَصَدُّمِنْكَ مَا أُولِيثُمُّ اَوْمُهَا لِحُوْمُ عِندَ وَيَحُمُّ الْمُلَا الْفَصْلَ بِيَدِ الْفَوْلِيوِ مِن يَمَنَاهُ وَالْعُوسِعُ عَلِيهُ ۞ يَخْفُ بِرَحْمَتِهِ مِن بَمَنَاةً وَاللَّهُ وُ الْفَصْلِ الْفَطِلِيدِ ۞ ﴾.

وتراً ابن كثير المكي: [أَأَنُّ يُوْتَىٰ] بريادة همزة للاستفهام وتسهيـل همزة (أن) من غير إدخال.

(1)

الفكرة المامة للنَصَ

اشتمل هذا النّص على بينان حركة نضليل للمسلمين قمام بها طائفةً من أهمل الكتباب، وقد كنائوا من اليهود، على أنّ النّص يعطي بـظلاله دلالةً على وجود هـلـه الطائفة دواساً في كلّ أهمل الكتاب، وفي المقلّمة منهم من كنانوا من اليهبود، ثم من كائوا من النصاري.

هـذه الطائفـة المقصـودة قصـداً ارَلِياً في النصّ قـد ودّت لـو تستطيع إضـلال المؤمنين، وإخراجهم عن دينهم.

ولمّا اشتئت لديها هذه الرغبة الأثمة، الدلّة على مبلغ ضلالهم عن الحق بلالة منهم، وإمعانهم في التوضّل في أوحال الفسلال بارتكاب جريمة إضلال النباس عن الحقّ، وعن صواط الله المستغيم، بدأت تُنخذ الموسائل لذلك:

الموسيلة الأولى: التضليل الفكريُّ بلَبس الحقَّ بـالبــاطـل، أي: بخلط الحقّ بالباطل، ودسَّ عناصر الباطل ضمن عناصر الحقّ.

وهذه الوسيلة هي من أخبت وأخطر وسائل التضليل في كلَّ العصور، لأنَّ عناصر العنق في مجموع الأفكار المعروضة توهم أنها كلُها حقّ، فيغلط النَّاظر إليها، فيعتنق الماطل المندس ويعتقدُ على توهُم أنَّه حقَّ.

الوسيلة الثانية: كتمان الحقّ الذي يعلمونه من كتبهم، فكتمانُ الحقّ من وسائل التضليل، ككتمان الشهادة التي يُصلّل كتمانُها قضاة العدل. الموسيلة الثالثة: هي وسيلة الدخول في الإسلام نضاقاً، والارتداد عنه بسموعةٍ سخطةً عليه.

والغرض فتنة المسلمين الصادقين عن دينهم، وتشجيع المذين في قلوبهم موض التفاق، أو مرض دون التفاق كالشك والتردّد وعدم الاقتناع بعنـاصر القـاعدة الإيسانيّة، مع صدق الانتماء إلى الإسلام، أو المبيل إلى هذا الانتماء الصادق.

وهـذه الـوسيلة هي الـوسيلة التي تـدخلُ في موضـوع بحث الضاق، وأعمـال المنافقين، وهي تشبه وسيلة لصـوص الحمام وهـو يطير في السماء، إذ يعث أحـدُهُمْ سِرْباً من طيروه، ليقوم بجولة طيران يستمتع بتحليقه وتحريمه ثم هبوطه في يُرجه، وعودته إليه بعد جولة رياضية من جولات الطيران.

فيأتي آخر من أصحاب هذه المهنة، وهو لصَّ من لصوصها، فيرسل حصامةً من حمامه، فتختلط بذلك السُّرب، وهي معلّمة بإثقانِ أن تصود إلى برجهها، ولهؤلاء في اللُّصوصية والصيد وسائل استدراج.

حتى إذا حان وقت الهبوط والعودة، عادت المختلطة إلى صاحبها، فتغلط معها. حمامات من السّرب، أو تستدرج بوسيلة شيطانية، فتهيط معها، وتصلّ إلى بُرْج اللّص صاحب الحمامة الواحدة، فيصيد منها بشبكته ما يصيد، ويخسر صاحب السّرب عنداً من طهوره.

فهذه حيلة من حيل النضليل، ووسيلة شيطانية من وسائـل المضلَّاين، وهي من الحيل اليهوديّة التي لهم منها عدّة أغراض خييّة.

- فمنها أن يصيدوا عند ردتهم بعض المسلمين فيفتنوهم عن دينهم، ويرتدوا مهم.
- ومنها أن يشجعوا منافقي العرب، والذين في قلوبهم مرض دون النفــاق على
 الارتداد.
- ومنها أن يُحدِثوا في صفوف المسلمين تصندُعاً، فيفقدوا ما هم عليه من تماسك وترابط وتلاحم وطمأتين، ويخسروا قدراً عظيماً من طاقاتهم الشائمة على مبدأ التلاحم في جدّية واحدة.

 ومنها أن يفذفوا في قلوب المسلمين الشُّكِّ والحيرة، فينتج عن ذلك القلق والاضطراب.

وخاف أصحابٌ هذه الحيلة الشيطانية الخبيثة على جماعتهم من اليهود إذا دخَلُوا في الإسلام نفاقاً أنْ يتأثَّروا به، فيُؤْمنوا به إيماناً صادقاً، فأوصى بعضهم بعضاً فقالوا: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾:

أى: ولاَ تؤمنوا منقادين حقًّا مسلَّمين صدقاً إلاَّ لمن تبع دينكم، وهو اليهودية.

ولكن ما السبب الداعي إلى إصرار اليهود على أنَّ دينهم هـو الدين الحق، وأنَّه لا يأتي بعد منوسي دينٌ حقٌّ من عند الله، وإصرارهم على كتمان منا لديهم من بشنائر بالنبي الرسول محمد 鄉؟

والجواب: يوجد احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يتوهِّمُوا أنُّ موسى عليه السلام هو صاحب الهدى بنفسه.

والدُّدُّ على هذا الاحتمال قد جاء بيان أنَّ الْهُـذي هذي الله، وليس هـدي موسَّىٰ حتى ينحصر به الْهُدَى.

الاحتمال الثاني: أن يكون رفضهم للإيمان بمحمّد 激، وللإيمان بما جاء بـ عز الله، ناشئاً عن حسّد له وللعرب، إذَّجاء الـرسُولُ المخلُّص المـوعود بــه، من غير اليهود، أو من غير سلالة بني إسرائيل.

والردُّ على هذا الاحتمال قد جـاء بتوجبه الإنكار عليهم، لجحـودهم الحقُّ بغياً وحسداً من عند أنفسهم، أنْ يُؤتِّن أحدُ مثلما أوتوا.

أى: أنسريدون أن تستأثروا وحـدكم دون عباد الله أجمعين بفضـل الله عزَّ وجـلُّ ذي العطاء الواسع، والعلم الشامل، وهو بحكمته يختصُّ برحمته من يشاء، وهمو ذو الفضل العظيم. أنسا كتمانهم منا عندهم من بشنائر ومنا أنجذ عليهم من عهيد، بشأن رَسُول، الله محمد ﷺ، فالمدوافع لـه أن لا يكون ذكره والإعلان به حبَّةً عليهم عند المناظرة، ولاحبَّةً عليهم عند رَبِّهم، ولئلُّ يقلّم به عامّة البهود والاميّون فيهم فيثائر به ذوو العقل والإنصاف والخشية من الله عزّ وجلَّ، فيؤمنوا ويُسلموا ويتُبعوا الرسول.

وقد جاء في النصّ بيـان بعض هذه الـدوافع، وتُـرِكُ بيان بعضهـا، لأنّ المندبـر الحصيف يسهلُ عليه إذراكُهُ.

(1)

المفردات اللّغويّة للنّص

﴿ وَدَّت طَّا إِفَةٌ مِّن أَهْلِ ٱلْكِتَبِ ﴾:

﴿وَمُثُّ﴾: بقال لغَهُ: وَنُمْ يَوَدُّهُ وَبُدًا. وَفِداداً وَمَوَدُّهُ، إذا أُحَبَّه، والودَّ من الحبُّ هو ما كان هادتاً ثابناً كالمودّة بين الأصدقاء.

ويأتي الودّ بمعنى النّمني والرّغبة الشديدة، وما في النّص هنا على هذا المعنى. فهو المناسبُ لما جاء فيه.

﴿ طَائِفَةَ ﴾: الطائفة هي الجماعة والفرقة، وجماعة من النباس يجمعهم مذهب واحد، أو رائي يعتازون به. وقد يُسطُلُق اللفظ على واحد يمشل رأياً انفرو به، أو عمـلًا انفرو به.

﴿من أهل الكتاب﴾: المرادُ بالمطانفة من أهل الكتاب هنـا جماعـة من اليهود، لأنَّ النصَّ نزل بشأن جماعةٍ منهم، والكلام عن حلث سبق نزول النص.

بيد أنَّ هذا الحدث هو من الأحداث التي تكرَّرتْ نظائِرُهـــا فيما بَشَدُّ وتتكرَّر دواماً، فالعناية بذكره في القرآن تُذُلُّ على أنَّ له نظائرَ ستحدث في المستقبل، وأنَّ على المسلمين أنْ يكونُوا على بصيرة بها، وحذرٍ بنُها.

﴿ لَوْيِضِ لُّونَكُونَ ﴾

﴿لُولِهِ: هنا للتمنّي، وهي لا تحتاج جواباً، واعتبارُهـا هكذا أهــون من اعتبارهــا شرطيّةُ مستعملةً في التمنّي وجوابُها محذوف.

﴿يُشِيلُونَكُمُ ﴾: يخرجونكم من الهداية أنّي أنتم فيها إلى الضلال، وهو الضياع في مناهات الباطل، وأودية القبائح والسيئات والمعاصي والمنكرات، إلى سائر ما يُويق ويُهلك، من فكر أو خلق أو سلوك.

﴿ لِمَ تَكُفُرُونَ ؟ ﴾:

استفهام إنكاريُّ تُوبيخيُّ.

﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَطِلِ ؟ ﴾ :

اللَّبْسُ: هو خلط الشيء بالشيء، تقُولُ لغة: لَبَسَ فُـلاَنُ الشيءَ بالشِّيء يَلْبِسُـهُ لَبُــاً, أي: خلطه به، للنّمويه، والتّغرير، والتَّضْليل.

﴿ وَجْهَ أَلْنَّهَارِ ﴾:

أي: أولَ النهاز، والأصل في وجّمه كلّ شي؛ أوَّلُ سا يُقابلك منه، وما يُقْبِل من كلّ شيء، فهو من المدهر أوَّله، ومن النهار أوَّلُه، ومن النجم ما يبـدو لَكَ منه، ومن الثوبِ ما ظهر لك منه، ومن المسألة ما ظهر لك منها، وهكذا.

• • •

. .

ما روي في سبب النزول

- (١) روى الطبري بسنده عن ابن عباس، قال: وقال عبد الله بن الصيف، وعدى بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لعض: تعالَق تُدُومْ بعاأَلتُول على محمد واصحابه غُذَوْهُ، وتَكُفُرُ به عَثِيمٌ، حَنى نَلْبِسَ عليهم دينهم، لعقهم يصنّعُونَ كما نَصْنَعُ غيرجعوا عن دينهم، فانزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿يا أصل الكتبابِ لِم تلبِسُونَ الحقّ بالباطل ... ﴾ إلى قول: ﴿واللهُ واسمٌ عليم﴾ ... ه...
- (٢) وروى الطبريّ بسنده عن قتادة مي قول الله عزّ وجـل: ﴿ آمِنُوا بِ الَّذِي أُنْـزِلُ
 علىٰ الّذِينَ آمَنُوا وَجُحَهُ النَّهاوِ واتْضُرُوا آخِرَهُ ﴾ . فقـال بعضهم لبعض.

بدينهم أوّلَ النهار، واتقُروا آخره، فيأنّه أَجْـذَرُ أن يصدّقـوكم، ويَعْلَمُوا أنّكُمْ قـد رأيتُمْ فيهم ما تكرهون، وهو أجدّرُ أنْ يرجعُوا عن دينهم.

- (٣) وروى نحوه عن أبي مالكِ الغفاري، قبال: قبالت اليهبود: أُسْلِمُوا أوَّل النهار، وارتدوا آخره، لعلهم يرجعون، فأطلعَ الله على سرَهم.
- (٤) وروى الطبري أيضاً بسنده عن السُّني قال: كان أحبار قرى عَرْيَة، اثَنِي عشر حبراً، فقالموا ليمضهم: ادخلوا في دين محمّد أول النهار، وقولوا: نشهدُ أنَّ محمّداً حقَّ صادقً، فإذا كان آخر النهار فاتَّصُووا وقولوا: إنَّا وجمنا إلى علمائنا وأحبارنا، فحدَّقُونا أنَّ محمّداً كاذب، وانكم لُنتُمْ على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فَهُم أَهْجُهُ إلينا من دينكم، لعلَهم بشُكُونَ، يقولون: هؤلاء كانُوا مَنَا أوَلَ النَّهار، فما بالهُمْ؟

فأخبر اللَّهُ عزَّ وجلَّ رسوله ﷺ بذلك.

- (٥) وروى عن ابن عباس إيضاً: «أنّ طائقة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمّد ﷺ أوّل النهار فابتُوا، وإذا كان أخره فَصَلُوا صلائكُم لعلَهم يقولون: هؤلاء ألهل
 الكتاب، وهم أعلم منّا، لعلهم يتقلبون من دينهم، ولا تؤينُوا إلاّ لِمَنْ لَيَمْ وينكُمْم.
- (٦) وجاه في سيرة ابن هشام: أن طائفة من البهود تذاكروا فيصا بينهم لتدبير مكيدة الدخول في الإسلام صباح النهار، والخروج منه آخره، ليقلدهم العرب المسلمون في ذلك.

وذلك أنه اجتمع عبد الله بن الصيف، وغديً بن زيد (وهما من يهود بني قيفتاع) والحمارث بن عرف (وهمو من يهود بني قريظة) فقال بعضهم لبعض: تعالَّـوًا نؤمن بما أنـزل على محمّد وأصحابه غـدوة، ونكفّر بـه عشيّة، حتَّى نَلْبِسَ عليهم دينهم لعلهم يصنّفون ما نصنع، ويرجعون عن ديت، ففضح الله مكيدتهم هـذه، وأنّزل فيهم قـوله: ﴿وَقَالَتَ طَائِمَةً مِنْ أَمَلِ الكَتَابِ...﴾ الآية.

ورُوي غير ذلك، وكُلها روايات تدور حول مَكْرٍ مَكْرُهُ طَائفة من اليهود، جاء بيانه في النصّ القرآنيُّ الذي تتدبُره. (٤)

مع النَّص في التحليل والتدبّر

قال الله عزُّ وجلُّ خطاباً للمؤمنين أصحاب الرسول ﷺ:

﴿وَدَتَ ظَاهَةً مِنْ آهَـلِ الْكِتَابِ لَوْمِيلُونَكُم ۚ وَمَا يُمِيلُونَ ۚ إِلَّا ٱللَّسَهُمْ وَمَايَشْتُمُونَ ۞﴾:

أي: تَنَشَّتُ طائفة من أهل الكتاب، وقد كانُوا فريقاً من اليهود لــويُضَلُونَكُمْ عن طريق هدايتكم، فَيَخْرُجُوكم عن دينكم، إلى مناهات الفساع، وأودية الكفـر، والفسق والفجور.

وقيـل: إنّ جمـاعـة من يهـود بني قُـريـظة، وبني النضيـر، وبني قينقـاع، ذغـوًا عـمَّارَ بْنَ باسر ومعاذَ بن جــل وحذيفة بن اليمان إلى الرجوع إلى الشرك.

هذا التمنّي مع محاولات الإضلال، والإخبراج من دين الإسلام ظاهرة متكرّرةً لذى جميع أهل الكتاب في كلّ عصور ناريخ الأمة الإسلامية، وهذه الطائفة سوجودة دواماً في اليهود وفي النصارى، وموجودة أيضاً لدى غيرهم من مثل الكفر، ولا سيما قادة المذاهب العادية الإلحادية كالشيوعين.

وقـد نزل قبـل هـــلـه الآيـة قـول الله عـزّ وجـلٌ في سـورة (البقــرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿ وَدَّكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ الْكِنْبِ لَوْرَدُّ وَنَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ الْمُعَلَّمُ كُمُّا لَا حَسَلًا مِنْ عِنداَ اللَّهِ عِلَيْهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ لَهُمُ الْمَثُّ فَاعْمُواْ وَاسْفَحُواْ حَقَّى بَافِي اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَلَى حَلَيْهُ وَقِيدٌ ۞﴾

وهذا التُّمنّي جاء التعبير عنه من قبل بعضهم بهجاء النبيّ ﷺ، كما كان يفعـل الشاعر اليهوديّ كعبُ بنُ الأشرف.

ويَظْهُرُ أَنَّ تَمَنِيهِم كَانَ في حدود حركاتٍ نَفْسِيَة، وتعبيراتٍ كــــلاميّة، كـــانت فيما بينهم، وأقوال هجانة يطلقها شعراؤهم، وهو ما جاء بيانه في آية والبقرته. ثم تحول تمنيهم إلى اتخاذ وسائل مع بعض المؤمنين لإضلافهم، وإعراجهم عن دينهم، وهو ما جاء بيأنه في النصّ الذي نتدبّره من سورة (آل عمران)، ويدُلُ على مذا قول الله عزّ وجلّ فيه: ﴿ وَمَا يَضِلُونَ إِلّا أَمْسِهم ﴾ أي: إنَّ ما يحاولونه بوسائلهم النُّمُشِلَة لإعراج المؤمنين الصادقين عن دينهم لا يؤثّر فيهم، فمن آمن بالإسلام عن اقتناع وبصيرة وصِدَّق لا يزتُدُّ عنه إلى الشَّرِّك، أو إلى أي مذهب من مذاهب الكفر، أو إلى أي دين باطل محرّف.

إذاً فهم لا يُضِلُونَ إلاَ انفسهم، إذَ يُضِيضُون إلى كفرهم الدَّي سيعلقبون عليه، شررًا آخَرَ يستحضُّونَ عليه عقاباً آخَر عند الله، الأوهو رغبتهم بياضلال المهتدين، وممارساتهم العملية لإضلالهم، فيكونون بذلك قد أضلوا أنفسهم إضلالاً جديداً مضافاً إلى ضلال كفرهم في أنفسهم.

وما يحاولونه من إضلال الذين أمنوا حقًا وصدقًا، لا يتحقّن لهم، وذلك لأنّ من آمن وصدّق في إيمانه عن اقتناع ويصيرة، لا يتأثّر بومساوس ودسائس الْمُصْلِّين، بـــل تزيّده هذه إيمانًا وشدّة تَمسُّكِ بما يؤمن به من المعنّ.

إِنَّمَا قَدْ يَتَأَثُرُ بُوسَاوِس وَدَسَائِس وَوَسَائِسُ الْمَضَلِّينَ، الذَّيْنَ فِي نَفَوسِهم نَرْضَاتَ الفَسَلال، والاستعداد له، وأعمال الفضلين تضيف إلى ما في نفوسهم من نـزَّضَاتٍ، قـوىُ مساحدةً للشَّيْرِ فِي طريق الفسلال، وليست هي المؤثر الحقيقي، الذلك تكون مسؤوليات كاملات. مسؤوليات كاملات.

هذا ما نستطيع أن نقهمه من قول الله تعالى في الآية:

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞﴾.

أمّا أنهم لا يشعرون فغهم منه أنهم لا يشعرون بالنهم لا يُصْلُونَ إلاّ أنفسَهُم، والشعورُ هو أوَّلُ إدراكِ للشيء، فنعُه يُفيدُ نعنيَ أنني دَرَجَاتِ النَّمْرِقَة، فهم غافلون عن الحقيقة سادرُونَ في غَيْهم، يقومُونَ باعمال إضلال المهتدين، كَانَّهُمْ يُمارسُونَ جدائِهُمْ إِلَىٰ الحقّ.

بعد بيان هذا التمنّي لدى طائفةٍ من أهل الكتاب خاطَفَ اللَّهُ أَهْلَ الكتاب جميعاً

يقوله:

﴿ يُتَأَهْلَ ٱلْكِنَبِ لِمَ تَكُفُرُونَ بِعَائِنتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تُشْهَدُونَ ٢٠٠٠.

في هذا الاستفهام الذي اشتملت عليه الآية مواجهة لهم بالاستنكار والتوبيخ على تفرهم بآيات الله الكافيات الإثبات الحق، ويسزيد في دواعي التنوييخ كَشْفُ أَنَّهُمْ يعلمونُ أَنَّهَا حَقَّ عَلَماً بَلْغَ مرتبة من يشهد الشيءَ شهودَ عبان، إذْ قبال لهم: ﴿وَأَلْتُمْ يُشَهِّدُونَ﴾ أي: والحال أنتم تشهدون الأدلة الدامغة لكم بأنها حقُ.

وآيات الله تُشْمَلُ الأيات العقليّة، والأيات الوجدانية، وأيات الله الجزائية، والخوارقُ والمعجزات، والنصوصُ القرآنية، وما لديهم من بشائر عن محمّدﷺ، وما أخذ عليهم من عهود ومواثيق أن يؤمِنُوا به حين بيعثه الله، وَيَتَحقّقُوا من أنَّه هـو المبشُرُّ به الموصوف في كتيهم.

ويدخُّلُ في عموم هذا الخطاب الطائفةُ ألَّتي تودُّ إضلال المؤمنين المسلمين، دخُولًا أَوْلِيًّا.

وقد خاطَب اللهُّ مَزْ رَجِلَ بمضمون هذه الأبيَّ أهل الكتاب خطاباً مباشراً بنفسه. لشدّة الأهمية، باعتبار أنَّ المضمون يتعلَّق بأصول الإيمان بـالله، وهم يزعمون أنّهم يؤسّرن به رباياته.

وبعد ذلك خاطبهم أيضاً خطاباً مباشراً بقوله لهم:

﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ نَلْبِسُوتَ ٱلْمَقَّى إِلْيَظِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْمَقَّ وَآنَتُوتَهُ لَمُونَ ٢٠٠٠

وفي هذا الاستفهام أيضاً الذي اشتملت عليه هذه الآية مواجهة لأهل الكتــاب بــوجو عــامُ ـــ والمقصودُ علمــاؤهم وأحبارهم العــالمـون بــالحق والباطــل ـــ بالاستنكـار والتوبيخ على عَمْلَيْنِ من أهــال التضليل التي يمارسوفها .

الأوَّل: لَبِشُهُمُ الحَقَ بالباطلَ، أي: خلطهم الحقُّ بالباطل، للتمويه والتضليل، والإيهام بأنَّ الباطِلَ المندسُ هو من قضايا الحقّ.

وهم يعلمون أنَّهم يفعلون ذلك تضليلًا للناس، وتغريراً بهم.

الثاني: كتمانُهم الحقّ، ومن الحقّ الذي يكتمونه ما في كتبهم من البشالر بنبيًّ الله ورسوله محمد ﷺ، وهمُّ يملَّمُون انطباقها عليه تصاماً، لتعلَّدِ صفاته في كتبهم، وانطباقها جميعاً عليه ﷺ.

وهكذا ظهر لنا كيف خاطبهم الله عزَّ وجلَّ بطريقةٍ مباشرةٍ، مويَّحَاً لهم على أمور ثلاثة :

الأمر الأول: كُفُّرُهم بآيات الله وهم يشهدون أنَّها حتَّى.

الأمر الثاني: لَبْشُهُم الحقّ بالباطل، وهذا من وسائل تضليلهم للناس.

الأمر الثالث: كتمانُهُم الحق، وهدفُهم من كتمان الحق ما يلي:

أن لا تقوم عليهم الحجّة بأنّهم يرفضون الحقّ مع علمهم به.

وتضليل من يتأثر بهم من أتباعهم وعوامهم، أو من غيرهم من العرب الذين
 لم يسلموا بَدْدُ، أو أسلموا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم.

بعـــد ذلك كشف الله مكيــدتهـم التي تعنصــد على الــدخــول في الإســــلام نفــاقـــأ. فالخــروج منه سخطةً عليه، وفضحهم فيـما تأمروا عليه قبل التنفيذ ففال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَقَالَتَ ظَالِهَ قُمْنَ أَهْلِ ٱلْكِتَنْبِ النِّوَا إِلَّذِينَ أُنِزَلَ عَلَ ٱلَّذِينَ مَا مَثُوا وَجَهَ الشَّهَارِ وَاكْفُرُوا مَا يَوْمُ المَّلَهُمْ يَرْجُونَ ۞ وَلا تُؤْمِثُوا إِلَّا لِمِن تَعِمُ دِينَكُرُ . . . ﴾ :

أي: وقالت طائفة من أهل الكتاب بعضهم لبعض: أغلنوا إيسانكم باللذي أنزل على الذين أمنوا أوّل النهار، واتخُرُوا آخر النهار، رجاة أن يرتَّدُ مكمُّ بعض المؤمنين بمحمَّد عن الذين الذي جاء به . ولكنَّ إيّاكم أن تؤمنوا إيماناً صادقاً، أو تأثُّروا إذا دخلتم في الإسلام نفاقاً بما فيه من آيات، فتؤمنوا بعد ذلك إيماناً صادقاً، وإيَّكُمُّ أنَّ تتفاوراً أو تُسْلِمُوا للمؤمنين.

وقـال قـادتهم من أحبـارِهم وعُلمـائهم لمن وجُهــرهم للفيـام بِمكيــدة النفــاق: ولا تُؤمِنُوا مُفّادِينَ أو مُسْلِمِينَ إلاّ لمن تَبَعَ دينكُمْ من اليهود المحافظين على يهوديّهم. هذا ما تـدلُ عليه تعـدية فعـل ولا تُؤمِنُواه بـاللاّم، وفلـك لأنْ فعل وآمرَ يُؤمِنُها يُعدَّى يحرف والباءه فتقول: آمَن بِه، ويؤمن به، فيذًا عُدِّي بـاللَّام فهو على تفسين فصل وآمن، ممنى فِعْل والسَّلَم، أو وانشاده فيُعدَّى حيثنية تَشديتَهُ، وهمذا من الإيجاز القرآني الذي يُستفاد مَثُهُ معنى كُلُّ بنَّ الفعاليّن، فَيُذَكَّرُ الفعلُّ الآوَل بلفظه، ويفَدُّرُ الفعلُ الآخرُ بدلالة تعديت، فالمعنى: ولا تُؤمِنُوا بغير دينكم، ولا تُسْلِمُوا إلاّ لِمَنْ تَبِعَ وينكم، أي: وكونوا على حفر شديدٍ حينما تعلنون إيمانكم نضافاً بـالذي أدوّل على الذين آمنوا.

وبعد أن فضح الله مكيدتُهُم التي كانت سرّاً فيما بينهم كلّف اللهُ رسولُهُ أنْ بَتُولُنَ مجاداتهم، وإقناعهم، وإقبامة الحجّة عليهم، تُجاه هـذه المكيدة القبائمة على خطّة النّفاق، وعلّمه طريقة مجاداتهم، فأعطاه رُموزُها.

وهـذا التعليم هو في مضمونه مناظرةً غيـر مباشـرة لهم، وتعليمُ لأهل المناظرة والمجادلة من المؤمنين، تبعاً لتعليم الرسول.

فقال الله عزَّ وجلَّ لرسُوله:

﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللّهِ أَن يُؤَكَّ أَصَدُّ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمُ أَوْهَا لِمُؤَكُّرُ عِندَوَيَّكُمُ قُلْ إِنَّ الْفَصْدَلِ بِيدَا لَهَ يَوْتِيهِ مِن مِنشَاةً وَلَهُ تَوْسِعُ عَيْدٌ ۞ يَخَفُّسُ بِرَحْسَتِهِ. مَن مَسَاةً وَلَهُ دُو الْفَصْدَلِ الْمَطْلِيدِ ۞﴾ .

في هـغا النص مفتطعات هي بعثابة الرّصوز من مقولات فيها ردود وإفتاعات وحُبِيَغُ دوامغ صَدْهم، وكشْفُ لدوافع نفسيَّةٍ تدمنُهُم بالانحواف عن الحقّ، والخروج عن دين الله للناس.

- (١) فالمقولة الأولى: اخْتُزِلَ بِنَّهَا:
 - ﴿ إِنَّ ٱلْمُكَنَّ هُدَى أَلَّهِ ﴾ .
 - (٢) والمقولة الثانية: اخْتُزِلَ مِنْهَا:
- ﴿ أَن يُوْفَةَ أَمَدُ مِثْلَ مَا أُونِيتُمْ ﴾.

وفي قراءة المكي: [أأنَّ يؤتَّىٰ أحدٌ مِثْلُما أُونِيتم].

(٣) والمقولة الثالثة: اختزل منها:

﴿ أَوْبُهُمَا جُولُهُ عِندَرَتِكُمْ ﴾.

(٤) والمقولةُ الرابعة: خلاصتها:

﴿إِنَّ ٱلْفَصَّلَ بِيدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآةُ وَاللَّهُ وَمِعْ عَلِيدٌ ﴿ ﴾

(٥) والعقولة الخامسة: خلاصتها:

﴿ يَخْنَصُّ بِرَحْ مَتِهِ عَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَخْ لِي ٱلْمَظِيدِ ﴾.

إنَّ موقف اليهود يتلخَص برفض كلَّ دين جديد جماء بعد موسى عليه السلام، ما لم يكن نابعاً له، ومعتمداً على ما جاء في نصوص التوراة.

فما هي أسبابُ هذا الموقف المتعنَّت؟

بالتفكير المتعمَّق بنكشف لَنَا أنَّ موقفهم يشتمل على ثلاثة عناصر:

العنصر الأوَّل: دعوى باطلة لا دليل عليها.

العنصر الثاني: دوافع نفسية من وراء الدعوى الباطلة.

العنصر الشالث: كيدُ تَشْلِيلي، لصدُّ النـاس عن الـدين الحقّ، وصـــراط الله المستقيم، وإيمام الناس بأنّهم على الحقّ.

أمّا الدعوى التي لا دليل عليها: فهي ادعاؤهم أنّه لا مُدى إلا هُـدى موسى
 عليه السلام.

وفي هذا حصرً للهداية به، يقطّع صِلْتِها بالله مَزَل الهدى على موسى، ومن له أمرُ الْهَدَىٰ كَلَّه، أو بإلزام الله بأنَّ لا يُزَل هَدَىٰ على أحدٍ بعد موسى، أو بـادّعاء أنَّ الله التزم بأن لا يُنْزَلَ هدى على أحدٍ بعده، وأَغْبَرَ بذلِكَ في التوراة أو على لـسَالْ موسى عليه السلام.

والرُّدُّ على هذا الادْعـاء الكانب البـاطل يكـونُ بِيّانِ أَنْ اللَّهِـدَىٰ مُدَىٰ الله، فهـو الـذي أوحى إلى موسى وكلّمـه، وهو الـذي أنزل عليـه التوراة، وهـو الـذي اصطفـاه رسولاً. وبمما أنَّ الامر كـذلك فـالمناظـرة لاصحاب هـذه الدَّعُــوىٰ تكون بـطرح الاسئلة التالية، ومناقشتهم على أساسها:

- (١) هـل بمتنع على الله أن يُنزّل هدى آخر على من يصطفي من عباده، بعد الهدى الذي أزله على موسى؟
- (٢) ممل يمتنع على الله تعالى أن يبعث رسولاً أو رُسُــلاً بالـدَين الحق للناس.
 ويأحكام وتكاليف فيها تعديل ونسخ وزيادات؟
 - (٣) هل يتنافى مع حكمته سبحانه شيء من ذلك؟
- (3) هـل أبان الله في التـوراة أو عـلى لسان أيّ نبئٍ من أنبيـاه بني إسرائيـل أنّه قطع الرسالات وختمها بموسى، فلا رسول بعد موسى؟

والجواب في كلّ هـذه الأسئلة هو النفي حتمـاً، فإذا لم يُجبُــوا بالنفي فـالحجج البرهائيّة تدمفهم كما يلي:

أَوْلَا: البرهان المعلمي تُبْشِفُ أَنْ هُمْ أَنْ يُبَوِّلُ هذى آخر بعد الهدى الذي انزله على موسى، وأنَّ هه أن يبعث رسولاً ورُسُلاً بعد سوسى، وأنَّه لا يتنافى شيءٌ من ذلك مع حكمته عزّ وجلّ.

ثانياً: إنّهم يُثْبِتُونَ في كُنّبهم عدداً كثيراً من أنبائهم أوحى الله إليهم بكــلام من كلامه، وأنزل عليهم هُدّن رائداً على الهدى الذي أنزلُه على موسى.

ثالثاً: الدليلُ النقليُّ يُنْيَتُ أَنَّ الله عَزْ وجلَّ قد بَيْن لأمل التوراة أَنَّه مَيْزُسِلُ النبييّ المخاتم، وأخذ العهـد والميثاق عليهم أن يؤمنـوا به إذا جــاء، وأن يتّبعوه، ويعملوا بــا يأتيهم به عن رئهم.

ولكنَّ اليهود تُتمُّوا ما في كتبهم من بشائر بالنبيّ المتسقر، وجحدوهـا بعد بعشة النبيّ محمَّد ﷺ أنَّا قبل بعثته فقد كانوا يظهرونها، ويتحدُّنُونَ بها.

هذه الحجج الدامغات قـد رمزت إليهما الفقرة المختزلة من المقبولة الأولى من التعليم الرّباني:

﴿إِنَّ ٱلْهُنَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾:

أي: وبما أنَّ أصل الهدى مُدى الله لا مُدى موسى أو غيره، فلكَ أن يوبــلَ غير موسى رسُّلاً يحملون للنباس مُدى الله ، ولله أن يكلُف النباس بـاتبــاع من يختــارهـم ويصطفيهم لحمل رسالاته.

إِنْ مَثْلُ مَنْ برفض الرَّسُول الللاحق متعصباً للرَّسُول السَّابِق، كمشل من برفَضُ مبعوث الملك القائم تعصباً لمبعوثه السَّابِق الذي مضى زمانه، والمبعوث إِنَّمَا يُمثُلُّ مَنْ بعث، ويُبَلِّمَ كلامه، وليس بمثل نفسه، ولا يعتر عن إرافته الخاصة.

 وأما الدافع النفسي: فهو يرجع إلى أنائي اليهود المفرطة، ورغبتهم الشديدة في حصر كل الخير الرئامي بيني إسرائيل، وحسنيهم العرب إذ بعث الله النبئي الرسول
 المنتظر منهم لا برن بني إسرائيل.

يضاف إلى ذلك إدادتُهم العمل بالتحريفات التي أدحلوهـا على دين الله، لأنها توافق أهواهم وشهواتهم، وليس فيها تكاليفُ شاقّةُ تصطدم مع ما يُهْـرُونَ من فجور وظلم وعدوانِ على الناس، ورغبةٍ في التسلّط على شعوب الارض.

وأمًا الكيدُ التضليليُ: فقد تمثِّل بعنصرين كما سبق:

الأول: لَبْسُ الحقّ بالباطل وهم يعلمون.

الثاني: كِتْمَانُ الحقُّ وهم يعلمون.

وهذا لا يحتاج من المناظر اكثر من التوبيخ على أيس الحق وكتمانه، بعد تمييز عناصر الباطل من عناصر الحقّ، وبعد كشف ما لُمُذيهم من علم يكتمون، وإقناعهم بأنَّ كلا طريقتي التضليل ممّا يزيمه هم ضلالاً عند الله ولا يُقيدُهم في الوصول إلى ما يَهْرُونُ ويشتُهُون من إضلال المؤمنين الصادفين الفاهمين لعناصر إيمانهم.

والأسْلُوبُ الإقناعيّ حول الدافع النفسيّ والكيد النضليلي يتلخَص بما يلي:

(١) إِنْكُمْ تكرهون حسداً وبغياً من عند انفسكم أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم.
 وهذا لا ينفعكم عند الله بشيء بل تُضِلُونَ به انفسكم.

(٢) هل تملكون أن تمنعوا أن يُؤْتَى أحدٌ بثَلْما أوتيتم من اصطفاء موسى وعمده
 من الأنبياء منكم، وأنتم تعلمون أن الأمر تابع لإرادة الله، ولحكمته في عطائه واختياره

واصطفائه، وتعلمون أنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء؟

(٣) هل يَغْمَكم أن تلبسوا الحقّ بالباطل، وأنتم لا تُضلُّون به إلّا أنفسكم، أسّا
 من تقميدُون إضلالهم من المؤمنين الصادقين فإنكم لا تستطيعون التاثير عليهم؟

(٤) هل ينفعكم في محاولة تضليل المؤمنين الصادقين أهل البصيرة أن تنافقوا
 أوّل النهار بإعلان الإيمان، وترتدوا عن الإسلام أخره؟

إنَّكُم لا تُضلُّون بهذا النفاق إلَّا أنفسكم، إذْ تزيدون جرائمكُمْ عند ربكم.

(٥) هل يفعكم عند الله أن تكنموا العنق الذي تعلمونه من دينكم، متوقمين
 بهذا الكنمان أنكُمُ لا نصطون العؤمين، ما يتخذونَهُ حُجَّدةٌ عليكم يُحاجَونكُمْ به عند
 ربكم؟ ويقيمون به الحجّة عليكم في الدنيا؟

أليس الله عليماً بما تكتمون؟!

(٦) اعلَمُوا أنَّ من الحقائق الشابتة التي لا تملكون بمحاولاتكم وألـوان مكركم
 وكيدكم وحيلتكم ومغالطتكم تغييرها:

أنَّ الفضل بيد الله وحده، فلا تملكون أن تمتعوا فضل اللَّه عن أحدٍ أواد الله الله عن أحدٍ أواد الله أن يضحه من لكَّر تشوم، ومن كلَّ شعب، كلَّ الناس عباده، وهو سبحانه عليم حكيم، يختار بعلمه ويحكمته من هو أهـلُ لأن يعتمه فضله ويختصه به.

وهو سبحانه إذ يملّم أنّ بعض عباده من أيّ قوم من الحكمة أن يختصه برحمة من رحماته، أو نعمةٍ من نعمه، فإنّه يختصّه بها، وهو سبحانه دو الفضل العظيم على كلّ عباده، لا أحد منهم له حقَّ ذائعً بفضل من فضل الله، سواءً منهم من اختصّه برحمة زائدة، أو من لم يختصه.

هـذه العناصر الجدليّة والإقناعية قد أشارت إليها أو دلّت عليها المختـزلات والملخصات التي اشتمل عليها النصّ بياناً وتعليماً، وهي:

(١) ﴿ وَمَا يُعْضِلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾:

أي: لا يؤترون بوسائل إضلالهم على المؤمنين الصيادتين، إتَّما يُمْمِنُون في إضلال أنفسهم، بارتكاب أنام يستحقون عليها عقباباً فـوق عقاب كضرهم وتولِّيهم عن دعوة الرَّسُول محمّد ؟

(٢) ﴿لِمَ تَكُفُرُونَ إِنَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿؟؟:

أي: لمَ تُعَرِّضون أنفسكم لعقاب الله بالكفو الإراديّ بآياته الّتي تَشْهَـدُونَ يُرْهَـانَ أنّها آياتُ الله حقّاً وصدقاً، فلا غذر لكُمْ عنده في أن تُكفُروا بها.

(٢) ﴿لِمَ تَلْبِسُوكَ ٱلْحَقَّ بِأَلْبَطِلِ وَتَكُلُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنسُّمْ تَمَلُّمُونَ ﴾ ؟؟:

أي: لبُسْكُمْ لَا يَنفُكُمُ ، بل يُلْعَفُكُمْ عند الله بجريمة تحريف السَّدين، وكتمانِ الحقُّ الذي فيه، وهذا يُضِيف إلى عقابكم عقابًا آخر.

(٤) ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾:

أي: فليس هُدُى موسى أو أحدٍ من بني إسرائيل حتى تتعصَبُوا لــه تَعصُباً قَــوميًا. والله يصطفي لتبليغ هَدَاه من بشاء، من بني إسرائيل أو غيرهم.

(٥) ﴿ أَن يُؤْقَ أَحَدُ مِثْلُ مَا أُونِيتُمْ ﴾:

آي: اترفضون هدى الله الذي أنزله على رسوله محمد حسداً من عند انفسكم، وكبراهية أن يؤتى أخبد من خاق الله بثلّنما أوتيتم من اصطفاء رسُل منكم، وإنزال مُمدى الله عليهم؟ أو أتكفرون بما أنزل من عند ربكم وتتخذون وسائل الإضمالال عنه لأجّل أنَّه غاظكُمْ أنْ يُؤْتَىٰ أَخَدُ مثلماً أُوتِينُمْ؟

(١) ﴿ أَوْبُهُ الْجُرُو عِندَرَيِّكُمْ ﴾:

أي: أتَكْتُمُونَ الحَقُّ الـذَي عنــدكم عن المسلمين وأنتم تعلمــوفــه، خشبــة أن يُحاجُّوكُمْ عَنْـدَ رَكِكم، اليس الله عليماً بكلّ ظواهــركم وبواطنكم، وبكــل ما تُعلِّنُــون، وما تُمرِّون؟ إنّه لا تخفى عليه خافية، وسيعاتبكم على كتمان الحق.

وتىرابط الجملتين كما يلي: أتحسدون فتجحدون وتُضِلُّون، أو تَتُبعـون أهواءكم فتجحدون وتكتمون ماعندكم خشية أن يحاجوكم به عند ربكم.

(V) ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيدِ مَن يَشَاآةُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيدٌ ﴾:

أي: إنَّ العطاء الزائد الذي يتفصَّل الله به على عباده، ليس لأحد به حنَّ، وليس لأَحْدِ أنْ يُطَالِبُ به الله، ولكنَّ الله هو الذي يؤتيه بحكمتِه مَنْ بشاء.

على أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد مُنع بنُ نضله كلَّ عباده، إذ هو سبحانه واسع الجدود، واسع العطاء، واسع الفضل، يمنع منه عبىاده بحكمته المفدونة بعلمه المحجط بكلّ شيء، ما يشاء على ما يشاء.

الفضل: هو الزيادة، ويأتي بمعني الإحسان والعطاء، ابتداءٌ دون علة ولا جزاء.

(A) ﴿ يَتَعْلَصُ إِرَّحْ مَتِيهِ ، مَن يَشَاآهُ ﴾ :

أي: وبدا أذّ الاصطفاء بالنبرة والرّسالة نفسلٌ يتفطّل به الله بمقتضى علمه وحكمت على من بشاء من عباده، وهو من الله زحمةً، فهمو عزّ وجُلّ بعنص بغيض فضله ورحمت من بشاء من عباده، على أنّ مشيئة الله عزّ وجلّ مقرونةً بواسع علمه، وعظيم حكمت،

(٩) ﴿وَأَلَقُهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾:

أي: والله ذو الفضل المظيم على كلَّ عباد، من اختصه منهم برحمة خاصة، ومن لم يختصه منهم بها، اليس من فضل الله تكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير ممنن خلق تفضيلاً عظيماً؟ الا يكفي يني إسرائيل أن جمل الله منهم أنيباه ورُسلاً وملوكاً؟ أيرون أن يحتكروا لأنفسهم كُلُّ فضل الله، فهم يكرهون أن ياتي من غيرهم الرسول الخاتم الموعود به؟ اتنتَّع الحقُّ أهواءهم؟ هذا مرفوضٌ حتماً.

. . .

ويعد بيانات عديدة تتعلَّق بأهل الكتاب من اليهود عقب هذا النصّ الذي تدبّرناه من سورة (آل عمران) ومناقشات لهم متعدّدة، قال الله عزّ وجلّ لرسوله فيها:

﴿ قُلْ يَكَافَدُوا الْكِنْسِ لِمُ نَكُثُرُونَ إِمَائِسَ الْقَوَاقَتُ شَهِدُّ عَلَى مَاضَّسُلُونَ ﴿ قُلْ يُعَافُلُ الْكِنْسِ لِمَ تَصَدُّونَ عَن سَيِيلِ اللَّهِ مَنْ مَامَنَ تَشَوْبَهَا عِوْجُ اوَانْتُمُ شُهُ كَدَ أَقُومَالَقُ عَمَّا تَمْمُونَ ﴾ .

النبص الثامين

من سورة (آل عمران/ ۳ مصحف/ ۸۹ نزول) ثالث سورة مدنية الآيات من (۱۱۸ ــ ۱۲۰) حول مبي المؤمنين عن اتخاذ بطانة من المنافقين لأنهم مفسدون ميفضون مغيظون

في هذه السُّورة حدِّر الله المؤمنين الصادقين من أتَخاذ المتنافقين الدِّين تَبِدُهُ عليهم أماراتُ النفاق وعلاَفاتُه، بطانة مُداجئة مُخالطة، تـطُلعُ على الاسرار، وتَهْمَلُ على ضُرَّ المسلمين المؤمنين، وإفساد خسططهم، وتَقْلِ المعلوسات إلى أعمالهم المجاهرين بعداواتهم، وتثبيط المؤمنين عن الخروج مع الرسول في الغزوات، وعن المشاركة الجادة في القتال، إلى غير ذلِكَ من أعسال غَسادٍ وإفساد، فَصَلَّتُ وقائمها نصُوصٌ قرآنية متعدد، واطلَقتِ الافكارُ للحذر من نظائرها والشاهها، وتقديمِها ذِهْمَناً، ومتابعة تحرُّفاتِ المنافقين بمنتضاها.

فقال اللُّهُ عزَّ وجلَّ خطاباً للمؤمنين الصادقين:

(1)

القراءات المتواترة في هذا النص (من الفرش)

في الآية (١٣٠):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة [لا يُضُرُّكُم] من ضَرَّهُ يَضُرُّه

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عَشْر ويعقوب [لاَ يَضِرُكُمْ] من ضَارَهُ يَضِيرُهُ إِذَا اضَّرُ به. والمعنى في القراءتين واحد، واللفظنات ماذنان لغويتان متكافئتان.

* *

(')

الفكرة العامة للنص

اشتمل هذا النصّ على تحذير شديد للمؤمنين، من اتّخاذ بطانَة تطُلعُ على أسرار المؤمنين، من المسافقين المخالطين للمؤمنين في الأعصال العامّة، ومختلِف أنواع الحركات والنشاطات اليوميّة، فضلاً عن الكافرين المجاهرين يكفرهم وعمداواتهم، ويُلحَق بهم المذين لا يُؤْتَذُون على أسرار المسلمين من المذين في قلوبهم مرض دون النفاق، ومن الفاسقين الذين يُسَهِلُ عليهم بع ضمائرهم للأعداء.

وقد بيِّنَ النَّصُّ أسباب هذا التحذير الشديد، فالمنافقون في هذه المرحلة التي نزلت فيها سورة (آل عمران) وهي مرحلة ما بصد غزوة أحد، التي انْخَذَل فيها المنافقون عن الرسول والمؤمنين معه، بقيادة عبد الله بن أبي ابن سلول، وهي مرحلةً بلغ المنافقون فيها مبلغ التكتُّل المستور، وتدبير المكايد ضدّ المؤمنين في الخضاء، وقد طال بهم الانظار، واشتذ غيظهم من الرسول ∰ ومن المؤمنين الصادقين معه.

أمًّا أسبابُ التحذير الشديد من اتّخاذ بطانةٍ من المنافقين فهي كما يلي:

الأوّل: أنّهم لا يُقَصُّرُون ولا يبطّنون في إنساد أحنوال العُومين، وإنزال الصَّرَر يهم، وتنوهين قواهم، وتسزيق صفوفهم، ومؤازرة أعندائهم ضنّدهم، حَتَّىٰ استثصال شافتهم. الشاني: النَّهم يتمنُّونَ أنَّ يسنول بالمؤمنين كُلُّ بلاءٍ وعَنْتِ ومَشْقَةٍ وضَـرَرٍ، وهـذا يدفعُهم إلى اتّخاذ الوسائل لتحقيق ما يتمنُّونَ، وإلَى تدبير المكايد ضدّ المؤمنين.

الشاك: انَّ اسارات بُفْتِهم للمؤمنين قد ظهـرت فصـلاً من أقـوالهم وفلَتساتِ السنتهم، والخبير الذكي اللّفيلن يستطيع أن يكتشف ما في خبايا القلوب والنشـوس، من معاريض الأقوال وفلتات الالسنة.

هذا مع أنّهم يُبالغون جدّاً في كنّم ما في قلوبهم ونفسوسهم، لثلا يتكشف للرسول ﷺ أو للعزمتين الصادقين نضأقهم فيحاسبوهم على كفرهم في بـاطنهم الذي تظهر دلائل الإدانة به.

الرابع: أنّ ما تُخفيه صدورُهم من يَفْضَاء للمؤمنين، وما تَذْفُعُ إليه هـذه البنضاء من مكر وكيدٍ، وأتَخاذ الوسـائل لـلإضرار بـالمؤمنين، هو أكبرُ مَنا ظَهَـرُ من أمارات البغضاء على السنتهم.

الخماس: أنّ منافقي البهدو منهُمْ وهم أخطَرُهُم واخبُهُمْ وصُوجَهههم كان المغروض فيهم أن يكونُوا أخفَ شرَّا وضُرَّا من مافقي المشركين، بسبب أنّ الصلمين المؤمنين الصادقين يؤمنون بكتب الله كلها، ومنها التنوراة، ويسبب أنّهم يُعبَّونَ هؤلاء المنافقين بدافع الأخوَّة الإيسانية، وسراءةٍ قلويهم وتضرسهم تجاهيم، إذْ يصاملونهم بحسب ظاهرهم.

لكنَّ هؤلاء المنافقين من اليهور يقابلون محيَّة المؤمنين لهم بالبغض إلى حدَّ أَيْهِم إِذَا خَلُوا عَضُّوا أَنْابِلُهُمْ مَنَ النَّفِظ من المؤمنين، فلو أمكنَّهم أن يُنصُّسوهم عضَّ اقتراس للفتك بهم لفعلوا ذلك، فَعَبُروا عن مشاعرهم هذه بعضَّ أناملهم، دلَّ على هذه المشاعر قوله تعالى في النصَّ خطاباً لمؤمنين:

﴿ وَ إِذَا خَلَقُواْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْفَيْظِ ﴾ .

ودلُّ هـذا أيضاً على كفرِهمْ في قُلُوبهم على نقيض ما يتنظاهرون بـه من إيسانٍ وحبُّ للمؤمنين، فبإذا لُفُوا المؤمنين قــاالـوا لهم: آمَـــا، أي: ونحنُّ نجبُّ إخــوانـــا المؤمنين، وإذا خلوا كشفوا كُلُوهم وتُفضَّهُم للمؤمنين المصحوبُ بإرادة الفتك بهم.

ولا بُدُّ أن يدفعهم غيظُهُمُ الشديدُ من المؤمنين إلى تدبير المكابد صَدَّهم.

السادس: أنهم يرفيون احوال المؤمنين وما ينزل بهم تباعاً بوماً فيوماً، بعين عدوً حاقير ماكر. فإنْ تُمَسَنَّهُم حسنةً ما ولو كنان مساً رفيقاً، وبنسبة قليلة، مساهم ذلك، وإنْ تُمِينَّهُم سينةً ما يفرحوا بهما، لأنهم في قلوبهم ونفوسهم أعمداد للمؤمنين، ممتلئونَ غيظاً منهم، ويغضاً لهم.

هذه هي أسباب التحذير من المنافقين عامّة، ولاسبما منافقو اليهود، فهم الاعبث والاشدّ كيداً ومكراً، وغيظاً وحنالً، وعداوةً ويُغضاً.

وأمّا العنهج الرّباني الّذي وجّمه الله المؤمنين أن يسلكوه في هذا النّصّ،
 لاتّقاء شرورهم، فيتلخص بالأعمال التالية:

أوَلاً: الاَ يُتَخذُ الموشُونُ بطائدُ من العنافقين. أي: الاَ يُقرَّبُوهم إلى أساكن أسراوهم، ولا يُطلِمُوهم على ما يُنتَرون ويُخطُّطُون، ولا على ما يُبدُّدون من تُوى بجب إخفاؤها عن العدق.

فمن السواجب على المؤمنين الا يجعلوا أحداً من المنسافنين بعض محاصّتهم، أو مستشارين لهم، أو وُلاءً أو أمراءً أو موظّفين وتحمّالاً في السواطن التي يَطَلِمُون فيها على أسرار المؤمنين، ومواطن أمروهم وتدبيراتهم وتُحَلِّهم.

ثانياً: أن يتضوا بالله ويستوكّلوا عليه، فهبو الذي سينصُسرُمُمْ ويحميهم من مكايد المسافقين وشرورهم، إذا أتبموا أوامره واجتنبوا نواهيه، والنزموا منهاجه في السّلم والحرب، ومنها أن لا يتخلوا بطانـةً من غير المؤمنين الصدادتين الاكفياء لحصل امانـة أسراد المسلمين.

وأن بدأسرا للمتنافقين بموجه عالم، دون تعيين أسمائهم، أو تحديد أعسائهم بالخطاب، فيضولوا لهم: مربّوا بغيظكم، أي: استمووا على غيظكم حتى تناتيكم أجالكم، أو ليشتد غيظكم حتى يكون سبباً قاتدًلاً كم مُعيناً، فيأتُكُم أن تُحقَقُوا ما تَشتَوْن في المؤمنين، إو سينصوم الله ويويدهم بناييد من لدن، ويعدَّل أعداءهم المجاهرين بعداواتهم وأعداءهم المستخفين بعداواتهم من المتنافقين، وسيُحجَط الله مكايد المنافقين وكلَّ تدبيراتهم ضدُّ المؤمنين، أوضدُ انتشار الذين وظهوره، وسيوداد بذلك غيظهم، وسيستمر فيهم حتى يكون قاتلاً لهم، أو مصاحباً لهم بالامه حتى

يموتُوا وهم مغتاظون أشدُّ الغيظ.

واتَّتَغَىٰ النصُّ بـإشارَةِ عبـارة: ﴿قل: مُـرتُـوا بغيظكم﴾ للذُّلَالة علىٰ كُلُّ هــلــه المعاني.

ثالثاً: أن يصبروا عليهم، ولا يُنزِلوا بهم بَفَعَهُمْ قبل أنْ يناذن الله لهم، أو تُثبتُ إدائتُهمْ صراحةً بالكفر والرَّدَة، كما هــو معلومٌ من أحكمام الــدين، دلُّ على هــذا في النصّ: ﴿ وَإِلْهُ تَصْبِرُوا﴾.

رايصاً: أنْ يَتُقُوا اللهُ رَبِهم في كلُّ أعمالهم، وأن يكونُوا على حَذْرِ شديدِ من السنافقين، وفي حالة مرافية تاشة لهم ولتحرّكاتهم، ولما يديّرون في المخفاء، ليُتُقُوا شُـرورهم، وليُدادُرُوهم بهاجاط أعسالهم ضدّ المؤمنين أوضدّ الإسلام قبـل أن تبلُغَ مُداها. دلَّ على هذا في النَصْر: ﴿وَتَتَقُولُهِ.

لنبيجة:

ظاذا حَقَّى المؤمنون التوجيهات الزَّيَانَةِ التي جاءت في هذا المنهج، أَمْ يضُرِّمُمْ كِيدُ الصنافقين شيئًا، لأنَّ الله سيكون معهم وناصرهم وفؤيدهم، ومُحَيِّفُ مَكَايِيد أعداتهم، ومنهم المنافقون المندسون في صفوفهم والمخالطون لهم. فالله واسع تدير، محيط بما يعملون، فلا يسمح لمكايدهم بأن تصل إلى غايتهم منها. دلَّ على هذه التبجة في النصّ:

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَنَتَّقُواْ لَا يَصُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيِّعًا إِنَّا لَقَهُ بِمَا يَعْمَلُونَ يَجيطُ ١٠٠

(٣)

المفردات اللُّغويَّة للنَّصَ

﴿لا تُتَخذُوا﴾: اتَنخَذَ: انتَعل من واخذه ويأتي الأخذ والاتَخذَ في اللُّغَة بمعانٍ كثيرة، منها: حيازة الشيء، والحصولُ عليه، وتناولُه، وتُجُولُه، ولَوْلِوُمُها، ومع اللَّوازم تكثر المعاني وتتشعب، فأخذ ذي السلطان لأحد الناس يأتي بمعنى حبسه، أو معاقبته، أو قتله، أو إهلاكه، أو نحو ذلك، وفي كلّ نصُّ يُحمّل على المعنى الملائم له.

وأخذ الشيء للشيء يأتي بمعنى تغلُّبه عليه، وإحاطته به، ومصاحبتـه له، ونحـو ذلك.

ويُعدُّى فعل داخدُه بالبـاء فيكون بمعنى الإلـزام، أو المعـاقبـة. ويُعدُّى بعلَىٰ فيكون بمعنى العنم والنصييق، وهكذا تكثر المعاني.

فأخذ المذهب واتّخاذه هو بمعنى اعتقاده والتزامه والسير على منهاجه.

واتّخاذُ الصديق، أو الخليل، أو البطانة، هو بمعنى الموافقة والقبول، أو مباشرة الأسباب المؤديّة إلى أن يكون صديقاً أو خليلاً أو بطانة.

إلى غير ذلك مما يكون من لـوازم الأخذ والأتّخـاذ بـاعتبـار أنّ الأخـذ هـو من المعاني الكلبة العامّة الأولية .

﴿ بِطَائَةُ ﴾ : بطائةُ النوب هي ما يلي البدن منه، وهي خلاف ظهارته، ماخوفة من الْبَطْن، فيطُنُ كُلُ شيءٍ جَوْلُه، أو ماخوذ من فِلْمارِ : وَيَطَنُ بِمعنى غَفِي، وفِسلَّهُ وظَهْرُهِ.

واستعمل لفظ وبطانة، بمعنى الانجلاء المداخلين المطلعين على الدفغايا والاسرار الباطنة، والمستشارين المستشقلصين، إذَّ تُكَفَّفُ لهم الاسرار، وما يُخرَصُ على إيشائه باطناً غيَّر ظاهر لعموم النــاس، باستثناء الامناء عَلَيْها، من انجلاً»، أذَّ أهمل دينٍ وعقل يُصْلُحُون للمشورة.

وأطلق على هؤلاء بطانة تشبيهاً لهم ببطانة الثوب، ودرج عليهم لفظ البطانة على سبيل الاستعارة، لأنهم أقرب من غيرهم إلى معرفة الأسرار والخفايا.

هؤمن دونكم﴾: أي: من غيركم، وكلمةً ودُون، هي في الأصل ظرف مكان صالح لكل الجهات ما عدا المكان الذي يكون فيه ما نضاف إليه، لكنّ جَدِّر معناها يُفيد معنى المكان التُدَّيِّنَ حَسَّاً أَوْمعنَىٰ، وقد تُهمل ملاحظة هذا المعنى لـــدى الاستعمال. واشْتُقُّ من معنى المكان التَّحتيُّ كلمةً واللُّون؛ بمعنى الْخَسيسِ الحقير.

لذا ألاحظ في معنى وبنُّ فويَكُمُّ من غيركم مَنْ هم سَافِلون بكفرهم أو تفاقهم أو ترفيهم وعَدْم. ثبات إيمانهم من الذين في قلوبهم مرض، وقد يُلُحقُ بهم الفاسقـون الَّذِينَ لا أمانة لهم على الأسرار، فهم ليسـوا في مرتبة المؤمنين الصـادتين القـائمين بمفتضيات إيمانهم.

وكلمة (من) في هذا التعبير هي بعض التبعيش، وهو أحد معانيها، أوبمعنى الجنس، أي: لا تتخذوا بطانة كائنة بعض غيركم السافلين عن مرتبتكم في الإيمان، أو: لا تُتَجَذُّوا بطانةً هي من جِنْس غيركُمُ السافلين عن مرتبتكم في الإيمان.

﴿لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالاً﴾: أي: لاَ يُقَصُّرون مُجْتهدين، ولاَ يُبطُّنون في إلقاء الإنســاد والإضرار بكم.

يالو: مضارع فعل: الآ، يـالُو، الْمُواْ، والْوَاْ، والْبَاْ، وهو يـاني بمعنى اجتهد، وبمعاني فَنَر وضَعُف، وقصّر، وإبطا.

تقول لصديقك: لاَ الوك نُشْحًا، أي: لا انْقُصْك نُصْحًا، فإنا البَّذُلُهُ لك مجتهداً غيرَ فاترٍ ولا ضعيفٍ ولا مُقصرٍ ولا مُبْطَىء.

وتقول لعدوُّك: لاَ آلوهُ خَبَالاً، أي: لا أنقصُهُ ما أستـطيع من فســادٍ وإضرارٍ بــه، فأنا اجتهد في ذلك فلا أفترُ ولا أصفُّك ولا أفصَّر ولا أَبطَىء.

عبالاً: الخبالُ النقصان، والهبلاك، والسُّمُ القاتل، والخبالُ فساد العقل، والجُنون، وفسادُ عضو من الاعضاء من داءِ أو قرح، أو قطع أو نحو ذلك، وهـو مصدر خَبِلَ يَخْتُلُ غَبِلاً».

ويُقالُ: خَبِلَتْ يَدُهُ إِذَا شَلْتُ، فَهُو خَبِلُّ وَأَخْبَلُ، وهِي خَبْلا، والجمع هُخَبَّل. ويأتي الْخَبْلُ بمعنى الجراح، والفتنة من جراح أو قتل.

فمادةُ الكلمة تدور حول أنواع الإفساد والإضرار.

﴿وَدُوا مَا غَبُّم﴾: أي: تَمَنُّوا عَتْكُمْ، أي: مشقتكم والإضرار بكم، وإفساد أعمالكم.

الْمُغَنُّ: المشقَّةُ، والتُّعبُ، وشِدَّةُ الضَّرْرِ وتَحَمُّلِ الألام والفسادُ.

يصالُ لغةً: عبَتَ الشيءُ يُغَنَّتُ عَنَّاءً، إِذَا فَسَدَ. وَعَبَتُ فَلانَ يَفْتُتُ إِذَا وَقَـعَ فِي مشَقَّةً وشَدَّةً. وغَبَتَ الْمُقَلَّمُ إِذَا التَّكَسُّرُ بِعِد الجبرِ. ويصال: اعْنَتُ فَلانَّ فِلاناً إِذَا أُوقَمَّةً فِي مشقةٍ وشِكَّةٍ. واعْتَتَ العريضَ، إذا أضرَّ بِهِ، وأَفْسَدَةً.

﴿البغضاءُ): شِدُّهُ البغض.

﴿مَنَ الْغَيْظَ﴾: الغَيْظُ اشَدُ الغَصْبِ مَنْ أَمْرٍ مَكَرُوه، مَعَ عَدَمَ التَّمِيرَ عَنْهُ بِمَا يُهُوَّنَ مَنْ صَغَطُ عَلَى النَّسَ، ولكن يُلازَمَهُ غَالِباً الرَّغِيَّةِ بِالانتقام.

﴿ فَهَأَاتِ الصَّدُورِ﴾ : أي: بصاحة الصدور، وهي ما يكون في القلوب والتقوس من خواطر، واتّفعالات، وحركباتٍ وجدانية، وزيّاتٍ ونحو ذلك. فـذاتُ الصدور هي صّـاحية الصدور المختصّةُ بهـا، والتي لا تكون في غيـرها، وقـد تـظهـر في السيسا الظاهرةِ أماراتُها، وفي الأعمال آثارُها.

﴿إِنْ تَمُسْكُمْ حَسَنَةً﴾: السلُّ هو الأَنصاق السطحيُّ الخفيفُ بين الشيئين. والحسنةُ: ما يُسَرَّ من خير.

﴿ وَإِنْ تُصَبِّكُمْ سَيْتُهُ : يُقَالُ: أصابَ الشيءَ، إذا أَدُّرِكَهُ أُو نَزَلَ بِه، وهو أبلغ من المسّ لأنّه قد يفذ إلى المُمْن، كإصابة الشهم الهدف.

والمصيية: من فعل أصاب، وهي تُطْلَقُ على كُلِّ مَكْرُوهِ يحلُّ بالإنسان، جمعها مصائب. والْمُصَابُ: الشَّمَةُ النازلة.

والسيئةُ : ما هو مكروهُ مِنْ شرَّ اوضًرُّ او أيَّ مؤلم.

﴿ كَيْلُهُ هَمْ ﴾: الكَيْلُ: الاحتيال، والاجتهاد، والحربُ، وكلُّ تدبير لامرٍ ما، والعائة تدور حول انتخاذ أعمال وتدبيرات تُوقع المقصودين بالكيد بما يكرهون، وهمو يكون في الشَّر، ويكون في الخبر، لكنَّ كَيْدُ المنافقين للمؤمنين لا يكون إلاَّ شَرَّاً. (1)

حول سيب النزول

لم يئات في أقوال شيوخ المفسّرين من الصحابة والتنابعين رواينات تبيّن مبب نزول هذا النّص.

لكن تواردت أقوال أكثرهم على أن المراد بما جاء فيه المنافقون، ولاسبما اليهود منهُمْ، فالآيات قبل هذا النُص تتحقّت عن اليهود من أهـل الكتاب، وفي هـذا، النصّ إنسارةً إليهم في قولـه تعالى: ﴿وَتُومِّنُونَ بِالكتابِ كُلُهُ إِلَى: وتؤمنون بكـلَّ الكتب الرَّبَانَة ومنها التوراة التي يؤمنون هم بها، ولا يؤمنون بـالقرآن كتـاب الله الخاتم للكتب الرَّبَانَة.

والقولُ بالنَّ هذا النصَّ قد نزل في المنافقين. رواه الطبريّ بالسانيه عن مجاهد. وقتادة، والسربيح، والسدّي، وابن جسريح، وابن زيسد، وهــو إحســـاى روايتين عن ابن عبّاس، ويدلُ على هذا من النصّ قوله تعالى فيه:

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ٓ مَامَنَا وَإِذَا خَلَوْا عَشُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْفَيْظِ . . . ﴿ ﴾ .

(4)

. مع النص في التحليل والتدبّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾.

أي: يا أنجها الدين أمنّوا صادِيقينَ في إيمانكم، لا تتُخِدَلوا أَجَلَاء، أو اصفيها. أواصدقاء، أو أولياء، أو عُمَالًا في أعمال يطلعون فيها على أسرار المسلمين، وخفايا أسورهم، وما يُدنَبِّرون من خطط للسلم والحرب، من دون المؤمنين الصادقين في إسلامهم، أي: من غير نوعهم وصنفهم وجنسهم. لثلاً يتمكّوا بذلك من مخالطتكم ومداخلتكم في أموركم المهمّة، فيطلعوا بذلك على أسراركم، وبواطن أحوالكم وشؤونكم، ثمَّ يتَخذوا من مواقعهم أسباباً للإضرار بكم، وإفساد أموركم. إنَّ على المؤمنين الصادقين ألَّا يتخلوا من غيـر المؤمنين الصادقين في إيـمـــاتهـم وإسلامهم أصدقـــاء ولا وُلاةً ولا أمراء ولا مستشـــارين ولا عُمَّالاً ومــــوظفــن يظّـلمــــون عــلى أسراء المولة الإسلاميّة وبواطن أمـــــو المؤمنين.

ولمًا كان الخطاب في هذا النص للذين أمنوا، فالذين هم من دونهم يشمَلُ كلُّ غير المؤمنين الصادقين في إيمانهم وإسلامهم، ويتناول أوّل ما يتناول المنافقين واهمل الرّيب الذين في قلويهم مرض، لأنهم المخالطون الداخلون في صفوف المسلمين، بمقضى ظاهر إسلامهم، وهم الذين قد يتّخذ المؤمنون بطائمةً شهم، اغتراراً بهم، وصلاً بظاهر أحوالهم، إذّ قد اغَنُوا انتماءهم إلى الإسلام.

أمّا الكافرون الشُرِّتِ، المجاهرون يكفرهم وعداواتهم من الستركين أو أهل الكافرون الشُركين أو أهل الكناب أو غيرهم، فالنُّعْلِيمُ من التخاذ بطانة مِنْهُمْ أَسُرٌ معلُومٌ لذَى المؤمني، فقد سَيَق فيما نُولِ عالى الله الله أَنْهَا الكنافرين أولياء، ولو كانت هذه الموالاة في حدود المناصرة، والموادّة أني لا تعبلُ إلى مستوى أتخاذ بطانة منهم، أمّ مُفارفُون عباعدون غيَّر محالطين، واحتمالُ أتخاذ بطانة منهم امرً مستبعد جداً في منهم المؤمنين، الذين عاصروا رسُولَ الله ﷺ، وعاصروا مراحل تنزيل الفرآن.

ففي أواثل سورة (آل عمران/ ٣) قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿لَا يَتَغِيدُ الْلَهُمُونَ الْمُعْمِينَ ٱلْمِيْآءَ مِن دُونِا الْمُؤْمِنِينُّ وَمَن يَفْعَلَ وَلِكَ فَلْسَ مِر الْمَوْفِ ثَنْهُ وَإِلَّا أَنْ تَكَفَّواْ مِنْهُمْ تُشَنَّةً وَيُعَذِّنُ كُمُ أَلَمَا نَشَكُمُّ وَالْمِنْ الْمَؤْمِنِينُ ﴿ ۖ ﴾.

ففي هذه الآية نَهِيَّ مُشْدَّدُ للمؤمنين عنَّ أن يَتَخذوا الكنافيرين أولياء من غير المؤمنين الذين هم دونهم بسبب كفرهم، على آية صورة من صُور الموالاة، ومَنْ يَفخل ذلك فليس من الله في شيء، أي: أخرج نفسه بعمله من دائرة الزَّبَالَئِينَ المنسوبين في ولائهم إلى الله، الذين يتولاهم الله بمعونته ونَصْرِه.

وقولُ الله عزّ وجل:

﴿ إِلَّا آلُا تَكَتَّقُواْ مِنْهُمْ ثُقَلَةً ﴾.

يُبَيِّنُ أَنَّ أَيَّةً موالاة مهما كان مستواها ضعيفاً فهي موالاة منهيٌّ عنها نهياً جازماً

مُشَلِّداً فيه، وهذا الاستثناء لم يُبحُ إلَّا المصانعَةَ الصُّوريَّةِ، لاتَّقاء شرورهم.

أمًا اتّخاذُ بطانةٍ منهم فهي مــوالاةُ من مستوىُ رفيـع جدًاً، وهـــو أمــرٌ لا يليقُ إلاّ بالْخُلُص من المؤمنين، فلا يجوز اتنخاذُ بطانةٍ من الكافرين بداهة.

لكنّ الأمر الذي قد تحصُّلُ فيه شبهة هـو اتّخاذُ المنافقين بطانةً، فجاه النَّصُّ للتُحذيرِ منه بالقصّدِ الأوّل، مع شمول النصّ للكافرين، والفاسقين والذين في قلوبهم مرضّ دون الضّاق، إذْ كُلُّهم يدخلون في صُموم وصف:

﴿ مِن دُونِكُمْ ﴾.

إنَّ الدَّنِينَ هم من دون المؤمنين الصدافين يَشِدا فَصَلَّهُمُ اعتباراً من الصلاحدة المدهريين، فالمشركين، وأهل الكتاب من اليهود، فأهل الكتاب من التصارى وأشياههم، فالمنافقين الذين ظاهرُهُم الإسلام ويخالطون المؤمنين، فالدَّين في قلويهم مرضً مون النضاق، إذَّ هم من دون المؤمنين الصدافقين، وَغَيْرُ مامونين على أسرار المسلمين.

وأُطْلِقَ علىٰ المقرّبين من مواقع أسرار السّرجل بـطانـة، لأنّ بـطانـة الشوب هي الاقرب إلى بدن لابسه، والادنى إلى ملامــة بشرته، ومناطق عوراته.

والمهتربون هم الذين يخالطون من الداخيل، ويطلمون على الاسرار، ويكونُونُ أعلم بمواطن الضعف، ومواطن الفترة، فإذا كأنوا في حقيقة أمرهم أعمداة، كاتُسوا أشدّ نكاية، وأبلغ إضراراً وإفساداً.

. . .

قول الله عز وجل:

﴿ لَا يَأْ لُونَكُمْ خَبَالًا ﴾:

أي: لا يُقَصَّرون مجتهدين، ولا يُبطُئون في عمـل بينونكم به فساداً ونقصـاناً وإضراراً، دونما فتور ولا ضعف، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

فهم يَطْلُبُونَ لكم في نفـوسهم هذه الأمـور، ويعملون جاهـدين غير مقصّرين،

﴿لا بِالرِنكم﴾ فاعله ضمير مستتر يعود على ﴿بطانة من دونكم﴾ والكناف في ﴿يَالُونَكُم﴾ مفعول به أوّل و ﴿خبالاً﴾ مفعول به ثانٍ على رأي الـزمخشري، وقبــل: منصوب بنزع الخافض، وقبل: منصوب على أنه تسيز بتأويل متكلّف.

قول الله عزّ وجلٌ:

﴿ وَدُّوا مَا عَنِيٌّ مُ ﴾:

أي: تمنُّوا أي ينزل بكم الضرر الشديد، والأذى، وأنواع المشقة، والنعب، وأن تُعْبَطَ أعمالكم وتَفْسُد.

وهـذا التّمني يتُلَننا على أن هدفهم إضعاف قوى العؤمنين، وتوهين أسرهم، وتغريق صفّهم، وإنزال الهزائم بهم، للتخلّص منهم، ومن دينهم، ومن ظهور دعوتهم التي بدأت تكتسح عقائدهم، وتنسف زعاماتهم، وتفوّت عليهم مصالحَ وأهـواءً وشهواتٍ ظالمات يحققها لهم كفرهم.

وفي بيان تمنّيهم هذا دلالة على الدافع النفسيّ الذي يجعلهم لا يتألون المؤمنين خالاً.

قول الله عزّ وجل:

﴿ قُدْ بَدَتِ ٱلْمَفْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِم ﴿):

أي: قـد ظهـرت البنفساء التي يـطوونهـا ويكتمونهـا في نفـوسهـ وقلوبهم من
 أفواههم، إذ تنطلق منها ما بين حين وآخر فلتات أقوال ندلُ على ما يكتمون، وهم قـد
 يبطُنون أقوالهم بمعاني يرمزون لها رمزاً، ويشيرون إليها من طرفِ خفي .

وجاء ثاكيد الجملة بحرف وقدم للتنبيه على أنّ ما يبدو من أفواههم من العلامات والأماراتِ كافٍ لمعرفتهم والحذر منهم . وفلتات الأقوال من العملامات والأمارات التي تذلّ على ما في النفروس، وقـد بيّن الله عـرّ وجلّ لـرسولـه ثـم لكلّ مؤمنٍ من بعـبّه هذه العملامة التي تــدلُّ على نفــاق المنافقين بقوله تعالى في ســورة (محمد/ ٤٧ مصحف/ ٩٥ زول):

﴿ وَلَوَنَنَاهُ لَأَتِنْنَكُهُمْ فَلَعَرَفَنَهُم بِسِيسَهُمٌّ وَلَتَعْرِفَنَهُمْ فِي أَحْنِ ٱلْقَوْلُ وَاللّهَ بَشَاكُمُ أَصْلَكُمُ ۞﴾:

لى: ولو تَشْلَهُ فَضَّحَهِم الأربَناكُ علامَاتِ يَفاقِهمْ في وجوههم، فهي سِيما (أي: علامة) خناصة تَشَيِّرُ بها وجنوه المنافقين، يُنْهِسِرُها من وفَيِّهُ الله معرفة سبيه النوجوه وأماراتها، وهو من عِلْم الفِرَاسة، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: وأتُشُوا فِرَاسةً المؤمِن فإنَّه ينظُرُ بنور اللَّهِ عَزَ وجِلُ.

(عن الجامع الصفير (١٥١))

﴿ وَلَتَعْرِفُنَّهُ مَ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾:

أي: وَلَنْهِ فَنْهُم نِما تُشِير إليه اتوالُهم من طرفٍ خَفيّ، أو ما تُسْبِق إليه تعبيراتُ السنتهم ممّا يعتلج في نفوسهم، دون وغي منهم لما انفلت من السنتهم.

لَخَنُ القول: هو وهُزُه وما يتضمَّن الإِشارة إلى العراد من طرف خفيّ. وما يقهمه السامع بالنائل فيه من وراء لفـظه. وَلَحْنُ القول ايضـاً: الخطأ فيـه، وهو مـا يعبُّر عَنْـه بِفُلَتُكُ الأَلسنة.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكُبُرُ ﴾ :

أي: وما تخفي صدورهم الحاوية لقلويهم وليُعْمَقِ نَفُوسهم مِنَ البقضاء أكبَّرُ مَمًا تَشَكُّلُ عليه رُسورُ أقوالهم وفلتنائها التي تصَدَّرُ من أفدراههم، لأنهم يَحْسِسون السنتهم، فحلا يسمحون لها بأن تعبِّر عن كلّ ما في صدورهم، حَنَّى لا تنكشف ضمائرهم وصا يكتمون فيها من بغضاء للمؤمنين، ومن كفرٍ بالإسلام، الأمر اللذي يكشف أنهم منافقون كذَّابُون في ادْعائهم الإيمان والإسلام.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿فَدَّ بَيَّنَا لَكُمُّ ٱلْآيَنَةِ إِن كُنتُمْ ضَقِلُونَ ۞﴾:

لى: قد أوضحنا لكم العلامات والذّلاش التي تَـلَّكُمُّ على أعدائكُمُ العخالطين لكُمْ، وبيَّنَّا لكُمْ العـظات التي تحميكُمْ من شــرورهم، والتي تَنَيَّنُونَهـــا، وتستَهـُـدُونَ بهديها إنْ كتم تعقلون، آيها العؤمنون.

فجواب الشرط في ﴿إِنَّ كُتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ محدوف دُلَّتَ عَلَمُ جُمِنَّةً ﴿فَطْ يَنَّا لَكُمُّ الأيات﴾، والتقدير: قد بيَّنا لَكُمُّ الأيات فالنم تَنَبِّئُونَ ولالاتها وتعملونَ بمقتضاضا إِنَّ كُتُمُّ تعقلون.

والمبراد من المقل هنا فيما ينظهر المقبل العلمي بمعنى المحافظة في التذكّر الدائم على ما جاء في النظاهرات من الدائم على ما جاء في النظاهرات من الدائم على ما جاء في البيان، واستباط ما تُذلّ عليه الأمازات كانشفات للبواطن، وبمعنى العقبل الإرادي، ويكسون بشلّة الحسفر وضبط النفس، وعدم الاستجابة لما يُخارع به المنافقون منا يُرضي أهراة النفوس وشهواتها، أو يُكُرُّها من أقوال، أو أعمال أو تُرْضِيات آخرى لها ظواهر كافيات.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ هَاأَتُمُ أُولَاءً غُيثُونَهُمْ وَلَا يُحِيُّونَكُمْ ﴾:

أي: هـا أنتم أنيها المؤمنون الصادقون تحيُونُ هؤلاء المنافقين، اغتراراً بطاهر إسلامهم، ومخادعتهم بـإظهار مودّاتهم في أقوالهم، ويبعض ظواهر اعسالهم، فتعتبرونهم إخوةً لكُم أصفياء أخِلاء، وتجعلونهم بـطانةً لكُم وهم في حقيقة أمرهم لا يُجبُّونكم بدليل ما يظهر من أفواههم مما يذُلُ بأماراته على ما في قلوبهم نُحوكم من بغضاء، فامرفوا دليل الأمارات، ولَتَكُنُّ هاديةً لَكُمْ في الحيطة والحذر والمراقبة الدائمة وعدم الاستمان.

قول الله عزّ وجلٌ:

﴿ وَتُثَوِّمِنُونَ بِٱلْكِنَابِكُلِّهِ. ﴾:

إِنَّ من المنافقين شياطين من البهود، وهم مقصودون بالنَّصِّ قصْداً أوَّلِياً لأنَّهم أُحبتُ المنافقين واشدُهم مكراً، وكَيْداً، ويغضاً للمؤمنين، فنَبُقتُ هذه الجملةُ عليهم.

والمعنىٰ الذي تدلُّ عليه: هو أنَّه قد كـان المفروض في المسافقين من اليهود الآ تكونَ هذه البغضاء لكم في قلوبهم، لأنكُم تؤمِنُون بُكتبِهمْ وبسائرِ الكُتُب الرَّبَانيَّة.

لكِنَّهُمُّ على خلاف ذلك، فلا تثقوا بهم، ولا تنتظروا منهم خيراً.

قول الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ مَامَنَّا وَإِذَا خَلُواْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَّامِلَ مِنَ الْغَيْظُ ﴾:

أي: والمنافقون لهم وجهان:

الأول: وَجَّهُ يَخَادِعُونَكُمْ بِهِ إِنَّا لَشُوكُمْ، وَإِنَّا لَشُوكُمْ قَالُوا لَكُمْ: أَنَّمُا معكم مُثْلُ إيسانكم، ونحن نُجِبَكُمْ وتُوذِّكم، لأنكم إخسواننا في السدين، وهُمْ في الانصافيْنِ كافيون.

الشائي: وَجَهُ يُسْظُهُونِهِ إذا خَلْرًا، فَهُمْ إذا خَلْوًا بِأَنْضُبِهِمْ، أو خَلا بعضهم إلى بعض كَشَفُوا حقيقة تُصرمه بما أغَلَنوا أمام المؤمنين أنّهم أمَنُوا بـه، وكَشَفُرا مـا في قلوبهم من غيظٍ من المؤمنين ومن الرسول ﷺ.

ومع الغيظ الشديد يفكُرون ويُضَدُّرون ويحالولونَ جَهْدَهم خالبًا أتَخاذُ الوسائل للنكابة بالمؤمنين، وتدبير المكايـد لهم، وإفساد أسورهم، وإنزال العنت بهم، تحقيقاً لامانيهم وقد يسأل سائل: ما موقع ﴿عليكم﴾ هنا في النصّ، وقـد كان يكفي أن يُقــال: وإذا خَلُوا عُشُوا الأنامل من الغيظ؟

أقول:

إنهم في موقف ألمغيز عن بتحاية المؤمنين وإنزال المصالب فيهم، مع وجود الرُّغة العارمة في نفوسهم للتخلص بتقيم بالمة وسيلة، وحينما يُخلُون ويتحرّرون من ضغط المراقبة، وتتحرُّكُ أعضاؤهم للتميير عما في نفوسهم وقلويهم ضدَّ المؤمنين، فإنَّ تحَيَّلُهُمْ بِسَبُهُمْ إلى تصوُّر القبض على المؤمنين وافتراسهم باسنانهم عضاً ونهشا، لكنَّهُمْ حِين يُقدَّمُونَ الصُّورَ المتحَيَّلة بالمديهم إلى أفواههم لا يُجدُون ما يَفضَّونه إلا التاليقيم، بيد أنَّ نفوسهم من الداخل نعشَكُمُ أنتم، فالتميير الملائم للحالتين النفسية الباطة، والحسَيَّة الظاهرة، أن يُقال كما جاء في النصّ بدايداعه المجيب مع إيجازه:

عَضُوا: حركةً حسية ظاهرة. عليكم: حركة نفسية باطنة.

الأنامل: حركة حسية ظاهرة.

من الغيظ: حركة نفسية باطنة.

و (مِنْ) في فِهن الفيظَـ الـابتـداء، ابتـداءً من عَــقي الفيظ حَــى ضغط الاستــان بالمنض، الذي يتوهّــون أنّه عضَّ عليكم لإيلامكم وافتراسكم، او للتعليل، لكن المعنى الأول المقَّ.

وتَذَلُ عِبارة ﴿عَلِيكُمُ﴾ على أنّهم يشَدُّدون عضهم على أناملهم، لأنّهم يسوهُمُونُ أنّهُم يمشُّونُها وأنتم فيها، رغبَّةً في إيـلامكم، وهم في الواقع يؤلمون أنفسهم، وهـذا غايةً في التعبير عن شدّةِ غيظهم، الذي غفلوا معه عن آلام أناملهم.

وفي العبارة حذف من الاترال لدلالة الأخر، وحذف من الأخر لدلالة الأول وهو ما يسمّى عند البلاغيين والاحتباك، وبيايراز المحذوفين تكون العبارة كما يلمي: وإذا لقوكم قالوا: أمنًا ونحزُ إخوانكم ونحيّكم وإذا خلوا قالوا: لم نؤمن بل نحن علمى ديننا الأول، وعضوا عليكم الأنامل من الغيظ.

قول الله عزّ وجل:

﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمُّ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ المُستُدُونِ ﴿ ﴾:

أي: لن تصلوا إلى ما تتشنّونَ من كيــد العؤمنين وعنتهم، وإفســاد أمـــووهم، والإضرار بهم، وإيقاف مـــيرة دعوتهم، ومناصرة أعــدائهم الظاهــرين ومؤازرتهم، بُشّيَةً استئصـال الفقرة الإيمانيّة، والتخلّص من دين الإسلام.

إِنَّ اللهَ سَيْرَةً كَلِمْدَكُم إِلَى صدوركُم، ولنَّ بِضُرَّ المؤمنين كَيْـدُكُم شيئاً، مهمـا كان كيداً كَبَّاراً.

فــاسـتَبـرُوا على غــظكم تكنُّون بـالامه مــاخييتُـم، حَتَّى بشنَّد ويتــزاندُ بــانصــار المؤمنين وهـراثم أهـدانهم، فيكــونُ سـبياً لـــونكم، فتموتــوا به، أو حَتَّى تنتهي آجــالكُمُّ المقدّرة لكُمْ، فَشَمُونُوا وانتم مُلْتَبــونُ بـغيظكم تُمَانُونَ آلامه.

فالله عزَّ وجلَّ لن يَتُرُكُ أولياءُهُ المؤمنين المتقين، تُفْسِدُ أَمُـورُهُمُ مكايـدُ المنافقين المخالطين المداخلين، ما دام المؤمنون يهتدون بهذي بيانات الله وعظاته لهم.

أَمَّنا استخفاه المستافقين بعداواتهم وبفضائهم ومكايدهم فلن ينفعهم في إضرار المؤمنين، وذلك لأنَّ الله عزَّ وجلً يعلمُ ما يكتَّمون، وما يُخْضون عن المؤمنين في خلواتهم، ويعلَّمُ ما يُضْمُرُون لهم في صُدُورهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ إِذَاتِ ٱلصَّدُورِ ﴾:

أي: بالأسرار والنيّات والرغبات المصاحبات للصدور، فضلًا عمّا هــو دون ذلك في الحفاء، ممّا يُبيّئونه ضدّ المؤمنين في خلواتهم.

ويدخُسل في عصوم عبارة ﴿ذات الصدور﴾ ما تُفسيرُه الصدور حتى أعمالى الافتدة، من كفر، وبغض، وغيظ، وحقد، وإرادة سوم وشرً، وتدبيرات كيد، وتعني غَنْتِ المؤمنين، وحبّ انتصار الكفر والكافرين، إلى غيـر ذلك من ثـوابتُ ومتحرّكـات داخل النفس.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِن تَمْسَنْكُمْ حَسَنَةً شَوْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِئَةً يُفْرَحُوا بِهِا ﴾:

أي: ومن علامات نفاقهم وكفرهم الذي يُبْطِئونه، وما يحملون لكم في نفوسهم من البغضاء أمران:

الأمر الأول: ما ينظهر على وجوهم وفي أقوالهم من أسارات مُسانتهم، إنَّ تُمُسكُمُ حسنةً ما، ولـو مُشاً وفيقاً قليماً، لأنَّ الحسنــة لكم تـــرُكُمْ، ومســرَتُكُمْ تسوؤهم.

الأسر الثاني: مـا يـظهـر على وجـوههـم وفي أقـرالهم من أصارات فـرحهـم، إنْ تُصِبْكُمْ سَيَّةً ما، ولو إصابةً بالغة، لأنّ السينة لكم تسـوؤكم، ومساءتُكُمْ تسَرُّهم.

واستعمال (إنَّ الشرطية هنا للدلالة على مطلق الشرط، دون النُّظر إلى انَّ الشرطُ مشكولُ في وقوعه، لأنَّ الحياة فيها دواماً تعاقبُ ما يشرُّ وما يسوء، لكن يُختار غالباً للشرط المشكوك فيه، استعمال حرف (إنَّ ويُخْتَارُ للشرط المتحقّق الوقوع استعمال حرف (إذا) كما يقولُ البلاغيون.

على أنْ حَرْف (إنْ) هو أصل أدوات الشرط، فلا يلزم دواماً في شرطها أن يكون نادراً أو مشكوكاً في وقوعه، بل قد يكون متحقّق الوقوع.

قول الله عز وجلً:

﴿ وَإِن نَصْبِ رُواْ وَنَتَّقُواْ لَا يَصُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْعًا ﴾.

في هذا التعليم بيان للمؤمنين أنّهم إن حقَقُوا بإراداتهم أمرين تولاًهم الله، فلّمْ يَضُرُّهُمْ كَيْدٌ السّافقين شيئاً.

الأمر الأول: الصير، وفي التوجيه للصير على المنافقين، وصدم التُسرُّع بمفارعتهم متازعة علتيةً واضحة، كمفارعة الكافرين الصرحاء، يبانُ للمنهج الرَّبَاني في معاملة المنافقين، الملين لم يُطْلِنوا تُقْشِرُهُمْ صراحةً، بل اقتصرت دلائل تضرهم ونفاقهم على الأمارات التي لم تعللُ إلى درجة الإدانة الفضائية بالتُحْفِر والرَّدَة.

الأمر الثاني: التقوى، وتعني التفوىٰ هنا ما يشمل قضبتين:

قضية أتناه سخط الله وعـذابه، بفعـل ما أمر بـه، واجتناب ما نهى عنـه،
 ولاسيمامانهى عنه من أتخاذ بطانة من المنافقين والكافـرين والذين في قلوبهم مـرض
 الشــن والزيب، وعدم سلامة الإيمان.

 وقضية اتفاء مكر المنافقين ومكايدهم، بشئة الحذر منهم، ويوضعهم موضع المسراقية المدانمة، ويعدلم تقريب أحد منهم، أو لمُخاللته ومصافات، أو مصادقته بطمانية، فهم أهداء مُفتَّمُون بافنمة أولياء وأصدقاء ومحبين، وهى أقدمة كاذبات.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَصْمَلُونَ يُعِيطُ ١

أي: فهمو سبحانه وتعالى يفسد عليهم كلَّ مخطَّطاتهم، ويبردُ عليهم مكرهم وكيدهم، ومن ذلك كشف ما يُنبَّرون للمؤمنين، قبل أن يصلوا به إلى الإضرار بهم.

كيف يفلتمون من الله العليم الحكيم، وهو بكلّ ما يعملون محيط. وبما أنّ الله عـرٌ وجلٌ محيطٌ بما يُعْمَلُ العنافقون، وهـو العليم بـذات صـدورهم، وقـد وعـدُ الله المؤمنين بـأنْ لا تفُسرُهم مكايد المنافقين شيئاً، إذا صبــروا وأتقوا كمـا أمــرهم، ولم يُخذوا منهم بطانة، وكانوا على حذر دائم منهم، وتقرُّس بما ينظهر من أمــاراتٍ عليهم، في أقوالهم أو أعمالهم أو حركاتٍ وتغيّراتٍ وجوههم.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ لن يدعُ مكايـد المنافقين تبلغ إلى مـداها فتضـرُ أولياءه المؤمنين العاملين بوصاياه .

هذا وعدُّ من الله عزَّ وجلَّ، مشروطٌ بالتزام منهاجه ووصاياه وما وعظهم به.

• • •

مقدمة عامة

للنصوص (٩) و (١١) من سورة (آل عمران) حول ما جاء بشأن المنافقين وظواهرهم السلوكية بمناسبة أحداث غزوة أحد

اشتملت سورة (آل عمران) على عدّة بيانات تتعلق بغزوة احد وأحدائهها، ومن احداثها ما كان من المنافقين فيها، فجاء في هذه البيانات قُضُحُ أقرال وأعمال المنافقين التي ظهرت منهم خلال أحداثها وغفيها، مع التعقب عليها بالتحليل، والتنوجيه، والبيان الديني، الموجّه لهم أو للرسول والعؤمين.

وقـد جاه في السـورة ثلاثـة نصـوص حـول هذا المــوضـوع، أحـدها الأيــات من (١٥٣ ـــ ١٥٨) منهـا، والثناني الأيــات من (١٦٥ ــ ١٦٨) منها، والثــالث الأيــات من (١٧٦ ـــ ١٧٩) منها.

وقبل تدبُّر هذه النصوص الثلاثة نستعرض قصة المنافقين في غزوة أحد.

• •

مواقف المنافقين في غزوة أُحُد

(1)

موجز معركة أحد

(١) استقر رأي رُعماء قريش على أن يثاروا لأنفسهم من الهنزيمة المخزية.
 التي حلّت بهم في معركة بـدر الكبرى، فقرروا أن يخرجــوا لقتــال المسلمين في
 المدينة، فأعدّوا جيئاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، بكامل عدّتهم وعنادهم.

(٢) وبعد اثني عشر شهراً من هزيمتهم المنكرة في بدر، وفي أوائل شهر شوال لشلات خلون منه، خحرجت قريش بحدّها وجدّها وحديدها، لقتال المسلمين في المدينة، وخرج من اجتمع معها، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة.

واخرجوا معهم نساءهم ليزدن في حماستهم، وشدّة بأسهم، ونزلوا مقابل العدينة قريباً من أحد.

(٣) وَعَلِمُ الرُّسُولُ ﷺ بتحرُّكهم منذ خرجوا من مكّة، ولمّا سمع بوصولهم
 استشار المسلمين في الأمر، وعرض عليهم رأيه، فقال لهم:

وفإن رأيتم أن تُقيموا بـالمدينـة، وتَدَصُّـوهم حيث نزلـوا، فإنَّ أقــاموا أقــاموا بشــرَّ مقام، وإنَّ هم دخَلُوا علينا قاتلناهم فيها؟.

وروى الطبري بسنده عن قتادة أنَّ الرسولَ ﷺ قال لأصحابه يومثلًا:

وإنَّا فِي جُنَّةِ حَصِينَةِ فدعوا القوم، إنَّ يدخُلوا علينا نشاتلهم، فقال نـاسُ من أصحابه من الانصار: يا نبي الله، إنَّا نَكْرَهُ أنْ نقل في طُرق المسدينة، وقـد كُنَّا نستنـع في الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحقُّ أن نستنم فيه، فائرَّزُ بنا إلى القومه(٢٠.

وكان رأي كبير المسافقين عبد الله بن أُبَيّ بـن سلول مـع رأي رسول الله ﷺ في ذلك، يرى الاّ يخرج إليهم.

وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة لقتال جيش قريش خارجها.

(٤) فقال رجال من المسلمين من الذين فاتهم شهود بدر: يا رسُول الله، اخرج
 بنا إلى أعداثنا، لا يرونَ أنَّا جَبُنَّا عنهم وضعفنا.

وكان من كبار الراغبين في الخروج حمزة بن عبد المطلب عمَّ الرسول ﷺ.

 (٥) فقال عبد الله بن أُنبي بن سَلُول^(١): يا رسول الله ، أقم بالمدينة ، لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدَّر لننا قط إلا اصاب مناً ، ولا دخلها عليسا إلا أَضَيْناً

⁽١) انظر الطبري، الجزء الرابع ص ١٦٤.

⁽٢) سَلُول: جَنَّة عبد الله بن أُبِّي لأبيه، وعبد الله بن أُبِّيَّ هذا هو كبير منافقي المدينة.

منه، فدعهم يا رسول الله، فإنَّ أقاموا أقاموا بشرَّ مسَّبس، وإنَّ دخُلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهُمُّ النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رُجَمُوا رَجْعُوا خالبين كما جاءوا.

(٦) فلم يزل الذين كان من أموهم حبّ لقده القوم يُلحّدون على رسول الله ﷺ بالخروج إلى عدّوهم، حتّى دخل رسول الله ﷺ بيتّه، فلبن ليمان الحرب استجابة لرأيهم وهم الاكتر عدداً، وكان ذلك عقب صلاة الجمعة الرابع عشر من شهير شوال للسنة الثالثة للهجرة.

 (٧) وقال سعد بن معاذ، وأُسنيَّهُ بن خُضير، لجمهور العسلمين الدفين أَلْخُوا على الرسول ﷺ بالخروج: استَكْرَهُتُم رسولَ الله على الخروج، فَرُدُّوا إليه الأسر، فندموا على ما صنعوا.

(٨) وخوج رسول الف 纖 على المسلمين لابساً لباسَ الحرب، إشعاراً بأنَّه قرّر الخروج لقتال المشركين.

فلمًا رأوه لابساً لباس الحرب قالوا: يا رسول الله، استكرهناك ولم يَكُنُ ذلك لنا، فإن شئت قاقعد صلّى الله عليك.

فقــال رسولُ الله ﷺ: 1مــا يُنْبَغِي لِنَبِيٍّ إذا لبِسَ لأَمَنُهُ أَن يضمهــا حتَّى يحكُم الله بينه وبين عدوه1.

لْأَمْتُه: اللاَّمة درع الحرب، أو لباس الحرب من درع وغيره.

وفي رواية الطبري عن قتادة دان الرسول بعد أن قال له ناسُ من أصحابه من الأنصار: فابرُز بنا إلى الفنوم، انطأق فلبس لامته، فتلاوم القوم، فقالوا: عرض نبيُّ الله ﷺ بامر، وعرضتُمْ يغيره، انتحبُ يا حمزة فقُلُ لنبيَ الله: المُرْف لابرك نَبع، فأتَى حمزة فقال له: يا نبيُّ الله إنْ القوم قد تلاوموا، وقالوا: أمرنا لأموك نَبَع، فقال رسول الله ﷺ: إنّه ليس لنبيً إذا لبس لأمّة أن يضمها حتى بنَاجِز، وإنّه ستكونُ فيكم مصية.

قالوا: يا نبعيُّ الله، خاصَّةٌ أو عامَّةٌ؟ قال: سَنَرُوْنَهاء.

 (٩) وخرج رسول الله چ بـــالف من السلمين بعد صــــلاة العصر من يـــوم الجمعة، وبات ليلة السبت خارج المدينة، في مكان بينهـــا وبين جــل أُحــد. وقبيــل طلوع الفجر ادليج متجها شطر أُخــد.

 (١٠) حسد لم أن أخيل عن الرسول ﷺ عبد الله بن أنبي بن سلول، كبيسر المنافقين، ومعه ثلاثمائة رجل من قومه، من أهل النفاق والسريب، وقفلوا عائدين إلى المدينة.

وقال في تعليل انجذاله: أطاعهم وعصاني ويشير إلى الذين ٱلخُوا على الرسول بالخروج) ما ندري علَامَ نقْتُلُ أنفسُنا لهيَنا أيُها الناس.

فىاتُبغُهُم عبدُ الله بنُ عَمْسرو بن حَرام ينـاديهم: يا قــوم، أَذكُرُكُمُ الله آلَا تَخــفــلــوا قومكم ونبيكم عندما حضر علدُكُمْ.

فقال المنافقون: لو نعلَمُ أنْكُمْ تُقـاتلون لما اسلمنــاكم، ولكنًا لا نــرى أنَّه يكــونُ قتال.

وهذا تعليلُ ظاهريٌّ كاذب.

فلمًا استعصَّوا عَلَيْهِ وَإِنَّوا إِلَّا الرجوع إلى السدينة قبال: أبعدكم اللَّهُ أعـداة الله، فَسَيُشْنِي اللهُ عنكم نبيّه.

(١١) وهمَّت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا (أي: أن تَفْعُفا وَتُجَنَّا) تأثَّراً بما
 فعل عبد الله بن أُبِّي ومن تَبِعه من قومه، لكنّهما لم تفعلا فقد ثبتهما الله.

وهاتان الطائفتان هما: بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج.

(١٢) وأراد رسول الله 歳 أن يختصر السطريق إلى أُحد، وأن يتضادى العبور من طريق يعرُّ بها على المشركين فقال:

ُ وَمَنْ رَجُلُ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القوم مِن كَتَبِ^(١)، مِن طريقٍ لا يَمُو بِنَا عَلَيْهِم؟٥.

⁽١) من كت: اي: من قُرْبٍ..

فقال أبو خيثمة: أنا يـا رسول الله، فلهذ بالمسلمين في حرَّه بني حارثـة، وص أموالهم، حتَّى سلك في مال إيعرابع بن قَيْظِي، وكان رَجُلًا منافقاً ضرير البصر.

فلمًا سمع جسُّ رسول الله 激 ومن معه من المسلمين، قيام يحثي في وجوههم التراب، ويقول: إنْ كنتَ رسولَ اللهِ فإني لا أجلُّ لك أنْ تُلدُّطُرَ حائطي، وظهر نفاقه.

وابتدره المسلمون ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ:

ولا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب وأعمى البصره.

(١٣) ومضى رسول الله ﷺ بالمسلمين حتى وصل إلى جبل أحمد، وجعل منزله مُثاك، واتّخذ لجيشه منزلاً في الشعب من جبل أحد في عُلدُوة الوادي، وعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة، وظهرُه إلى جبل أُحد.

 (١٤) ومع أول النهار من يوم السبت الخامس من شهر شوال لسنة شلاث هجرية، عباً الرسول في أفراد جَيْبُه، ورتُبهُم صفوفاً للقتال.

واختار من الزُّناة كليةً عندُها خمسون رامياً، واتَمر عليهم عبد الله بن جُبِيْر الأنصاريّ الأوسيّ، واختار لهم موضعاً مُشْرَهاً على ساحة المحركة، وهو جَبُلُ صغيرٌ قُرْبُ أَحْدِ، يقم وراء جيش المسلمين، ليحموا ظهور الجيش، من غارات خيسل المشركين إذا جاءت من ورائهم.

وقال الرسول ﷺ لأمير الرماة:

وانضح الخيل عنّما بالنَّبل، لا يأتُـونَا مِنْ خلفِتا، إنْ كانت لنّما أوعلينا، فماثّبَتْ مكانك، لا نُوتّينُ مِنْ بَيْلِكُ.

وقال للرُّمَاة:

واخْمُوا ظهورَنـا، فإن رايتمـونا نُقْتـلُ فَلاَ تُنْصـرُونـا، وإن رأيتمـونـا قــد غَنِمْنـا فلا تَشْرَكُوناه.

وفي رواية البخاري أنّه قال لهم: وإنْ رايتُمُونا نَخَطَفُنا الطير فعلا تَبْرَحُوا مكانكم حتى أُرسِل إليكم، وإنْ رايتُمونَا هَرَمَنا الْقُومَ وَوَطِئنَاهُمْ فلا تَبْرَحُوا حتى أُرْسِل إليكم،

(١٥) ونَهي الرسول 鐵 المسلمين عن مباشرة القتــال حتّى يأذَنَ لهم، وحضَّهم

على المصابرة، وشدَّة البأس عند اللَّقاء، وقال لهم:

هَإِنَّكُم ستظهرون فلا تأخذوا ممَّا أصبتُمْ من غنائمهم شبئاً حتى تُفَرِّغُواه .

ثمّ التغنى الفسريقان، ودنما بعضهم من بعض، واقتطوا حتى خبيّت الحسرب، فأنزل الله عزّ وجلّ نَصْرَهُ، وصدّق العسلمين وعَدَهُ، فحسُّوا المشركين بالسُّيُوف، خَمَّى كشفوهم عن مُصَّكّرِهم، وكانت الهزيمة في المشركين لا شكّ فيها.

روى عبد الله بنُ الرُّبير عن أبيه أنَّه قال: والله لقند رَأَيْتَي أَنْظُر إلىٰ خَـنـَــم سوق هِنْدِ بنت عُنْبَه وصَواجِهَا مُشْمَراتٍ هوارب، ما دون أخْذِهِنَّ قالِمُ ولا كثير.

ونظير ذلك عن البراء بن عازب، فيما رواه البخاري.

(١٦) وتُنبِع المسلمون المشركين يُعْجِلُونَ فيهم السلاح، وينتهبُونَ الغنائم.

(١٧) ولمّا رأى الرُّماةُ الذين كانُوا خُراسَ ظهور المسلمين ما حلَّ بالمشركين من هـزيمة كشفتهم عن تُعشَكرهم، أنطَلق أربعون منهم وهم يتناذؤنَ: الغنيمةُ الغنيمةُ لاَ تَفتَكُمْ. وأمسِرُهُمْ عبد الله بُن جُبَيرٍ ينهاهم، ويقسول لهم: أَنْبِيتُمْ ما قسال لكُمْ رسولُ الله ﷺ

ولكنَّهُمْ أَصَرُوا على معصيتهم طمعاً بـالغنيمـة، وقـالـوا: واللَّهِ لنسأتِينُ السَاسَ فَلَنَّصِينَ من الغنيمة.

وثبتَ عشرةً منهم مكانهم، وقالوا: لن تَتْرُكُ موضعنا حتَّىٰ ياذَنَ لَنَا نِبِيُّ الله ﷺ، وعلى رأسهم عبد الله بْنُ جَيْرٍ.

(١٨) وَخُلَّىٰ الرُّمَاةُ الذينَ تَركُوا مواضعهم ظهورَ جيش المسلمين لغارات خيل.
 المشركين دون حماية.

عندلد دارتُ كتيبةً من حيول المشركين بقيادة خـالد بن الـوليد، (ولـم يكُنُ قـد أسلم بعد) وأغارت على الرّماةِ العشرة الذين بقوا في مواضعهم فابادتهم.

وخَلْتُ ظُهُورُ جيشِ المسلمين من أَيَّةٍ حماية، فَأَغَارَتُ خيلُ المشركين على المسلمين من وراه ظهورهم، فاستدار المسلمون يدافعون الغارة المهاجة من ورائهم. (١٩) عندالله رأى جيشُ المشركين المنهزم ما حلَّ بالمسلمين، فاستداروا وكرُّوا على المسلمين، ووقع المسلمون عندلله بين فريقين من العدوُ كأنهم بين حجري زحاء ودارَّتُ الدائرةُ عليهم، وسقط منهم سبعون قنيلًا، وصاحَ صالح الله إنَّ مُحمَّداً قد قَبَل.

(٣٠) وأَصْعَدْ جمهورٌ كبيرُ من جيشٍ المسلمين هدارين نحو المدنينة، وفي ألطون الأودية والشعاب، حتى وصل بعضهم المدينة ودخلها، وانطلَق بعض العسلمين شطر جيل أحد.

والرسول ﷺ يُناجي المسلمين المشهزمين: إلىَّ عبادَ اللهُ، ولم يكُنُّ حولَّهُ منهم إلاَّ تسعمةُ مقاتلين يحمسونَـهُ من هجمساتِ المشسركين، سبعمةُ من الأنصدار والنسان من المهاجرين.

وافتداه هؤلاء النفر بانفسهم، وحَمَوْةُ بالجسادهم، وقائلُوا قتال الأبطال الـذين لا يخشونُ العوت، ويرونُ الشهادة في سبيل اللَّهِ بابِ الجنَّدُ والسعادة الأبدئيَّة والنحيم العقيم.

وَقِتُلُوا جميعًا إلاّ طلحة بن عبيد الله، فقد جُرِخ نَيْفًا وثلاثين جرحًا، واصببت بَلْهُ فَشَلُتُ، إذْ كان يَقِي بِهَا النبيُّ ﷺ.

(٢١) وَسَعِمَ كثيرُ مَنَ المسلمين صوتَ رسول الله ﷺ يناديهم، فأخملُوا يفيئونَ إليه، ويجتمونُ حوله، ويحمونه ويفتدونه بانفسهم.

وأصيّب رسُولُ الله ﷺ، فدعَلَتْ خَلَقَنَان مِن خَلِيَ البَعْفُو^(۱) في وجته، اتنزعُهُمَا منها أبو عبيدة بنُّ الجرّاح بـأسنانـه، فسقطت بـذلك ثنيّناهُ، وكُبيرَتْ وَيُـاجِيتُهُ^(۱)ﷺ، وأصبيت ركيتُه بنخلش.

 ⁽١) المعقّم: زَرْدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأسُ لِلنِس تحت القلنسوة، وجمعُه المعقاق، وهو من المفقر بمعنى الستر. يُقال: غفر الشيء إذا ستره وغطاه.

 ⁽٣) لشيخة: الشيخة: هي إحمدى الأسنان الأربيع التي في مقلم اللهم. ثنتان من فوق. وثنتان من تحت.
 وتباعيمة: المرباطية: هي السُرَّ بين الشية والنساب، وهي أوسع، وساجيشان في الفسك الأهلى،
 ورتاعيمان في الفلك الأسقل.

(٢٢) وَقَتَلَ اللَّهِينُ ابنُ قَبِنَةَ مُصْعَبُ بنَ عمير، الداعيةَ البطل، حاملَ لِـوَاهِ
 المسلمين يومنذ، وهو يفتدي رسول الله تلله بنفسه.

وكان مُصْعبُ بْنُ عُميرٍ يُشبهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فـظنَّ ابْنُ قَمِئَةَ أَنَّه قتلَ الـرسول، فَذَهَبَ إِلَى قومه وأخبرَهُمْ أَنَّهُ قَتَلَ محمّداً.

(٢٣) وأنزل الله النُّمَاسُ أمَّنَةً على طائفةِ المؤمنينَ الثابتين مع رسول الله ﷺ.

فعن الـزبير قـال: كُنْتُ مع النبـي ﷺ حينَ اشتـدّ الخــوفُ، فــارسُـلَ اللَّهُ علينــا النومَ. وقال عبد الرحمن بنُ عوف: أَلْقِيَ النومُ علينا يومَ أُحُد.

(٢٤) وشاغ مُقتلُ النبيّ ﷺ بين المشركين، وكثيرٍ من المسلمين المتفرقين عن موقع الرسول ﷺ.

ثمّ علم المسلمون كذب الشــائعة. وعـوفوا مكــان الرســول ﷺ، فأخـــلـوا يفيئون إليه.

(٢٥) ثمّ انسحب الرسول ﷺ مسع المسلمين إلى معسكرهم في الشُّعب من جَرَل أُحُد.

وأراد المشركون أن يُنابُوا قتال المسلمين في مسكوهم في الشُّب، فضَمَّدُوا الجبل، فتصدَّدى لهم عُمَرُ بُنُ الخطّاب، ورهقاً من المهاجرين، فقاتلوهم حَمَّى اهطوهم من الجبل.

(٢) مواقف المنافقين في غزوة أُحُد

تتلخُّص مواقف المنافقين في هٰذه الغزوة بما يلي:

(١) انخذالُ عبد الله بن أبيّ بن سلول، مع نحو ثلث الجيش من قىومـه من
 أهل النفاق والرّيب.

 (٣) موقف المنافق الضرير بربع بن قَينظي، إذ حاول منع الرسول والمسلمين من عبور أرضه إلى أحد.

(٣) أُصِيبُ يزيدُ من حاطب بن أميّة بن رافع بجراحة يوم أُحدٍ، فأَلِي به إلى دار قومه وهـو على شفّا المـوت، فاجتمع إليه أهـل الدار، فجعـل المسلمون من الرجال والنساء يقولون له: أثبرًا يا أبنّ حاطبٍ بالجنة.

وكمان أبوه حاطبُ شيخاً عَسَا وأي: أَسَنَّ فِي الجاهليّة، فضال: بمأيٌّ شيءٍ تُبَشَرونه؟ بِجنَّةٍ من خُرْمل؟! غررتم والله هذا الفلامُ من نفسه.

وكانت الأرض التي دُفنَ فيها تُنبَّتْ نبات الْحَرْمل، ومرادُه أن يقول: ليس له جنَّةُ إلَّا هذه الأرض التي دُفِنَ فيها. فهر إذن ينكر البعث ويوم القيامة.

في مثل هذا الموقف الحزين تظهر كوامنُ النفوس، في فلتات الألسنة، ولـوكان حاطبُ هذا مؤمناً صادقاً في إسلامه، ما ظهر على لسانه مثل هـذا الكلام في شـأن ابنه الشهيد يوم أشـدٍ.

(٤) وكنان في المسلمين رجلٌ يُقالُ لـه: وَفُرْمَانَه لا يُدَّدَىٰ مَمَّن هـو، وكنان وصول الله ﷺ إذَا ذُكْرٍ له يقول: وإنّه لَمِينُ أهل الناره.

فلمًا كان يومُ أَحد خرج مع المسلمين، وقاتل فتالاً شديدًا، فقَتَلَ وحُـدَةُ ثمانيـةً أوسيعةً من المشركين، وكان ذا بأس، فأنبَّتُهُ الجواحة، فاشْتَبِل إلى دار بني ظَفَرَ.

فجعلَ رجَالٌ من المسلمينَ يقولون له: والله لقَدْ أبليتَ (١) اليوم يا قُرْمانُ فَالْبَشْرْ.

فقال: بماذًا أَبشُرُ؟ فواقه إِنْ قَاتَلْتُ إِلّا عن أَحْسَابِ قومي، ولولا ذلك ما قاتَلْتُ. فلمًا اشتَدَت عليه آلام الجراحة، أخذَ سهماً من كنانته فَقَتَلُ به نفسه.

وهكذا كشف عن حقيقة نفسه، وأنّه كـان كـافـراً مُنــافقـاً حينمـا علم أنّـهُ مَيْتُ بجراحَتِه.

 ⁽١) أبليت: أي: اجتهدت في الفتال اجتهاداً عظيماً، يُقالُ لفة: آلِكَ في الأمر، إذا اجتهاذ فيه وبالغ.

(٥) وخرج مع المسلمين بوم أخمير الحارث بن سُويَّد بن صامت، وهُو من المنافقين، فلما التقى الناس غذا على رجُل من المسلمين فقتله، وهو المجذّر بن ذياد البلوي، لأنَّ المجذِّر بنَ ذياد كان قد قتل أباه سُويداً في بعض الحروب الجاهلية التي كانت بين الأوس والخررج، فخرج مع المسلمين ليَسْتَقِلُ الْحَرْبُ القائمة فَهِيبُ ثاره. وبعد أن قتله فر إلى مكّة ولَجنَّ بقريش.

وهكذا عبّر النفاقُ عن نفسه بهذا الموقف الخائن الغادر.

(٦) عن الزَّبِير أَنَّه قال: وكنتُ مع النبي ﷺ حين اشتد الخوف، فارْسَلُ اللَّهُ
 علينا النوم، وإنِّي الاسمع قول مُفتَب بن قَشْهُرٍ والنَّمَاسُ بغشاني يقول: لمو كان لنا من الأمرشئ، ما قَبْلًا هَمْناه.

(٧) كان عبد الله أبن أبي بن سلول قبسل أُحبد لَـهُ مشامٌ يقسومُه إذا جَلَس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة رهو يخطب الناس، فيقول: أَيّها الناس، هذا رسولُ الله بين أظْهَرَكُمْ، أكرمَكُمُ الله وأعرَّرُكُمْ بِه، فانْصَرُوهُ وَعزَّروه٬٬٬ واسْمَعوا لـه وأطيعوا، ثُمَّ يجلسُ.

فلمًا كان منه ما كان يومَ أُحد، إذِ النَّخَذُل عن الرسول ﷺ بنحو قُلُمْ الجيش، قام يوم الجمعة ليقول كلامه الـذي كان يقولُه قبـل أُحد. فـاخذ المسلمـون بثابـه من نواجيه، وقالوا: اجيش أيَّ عَلُوُ الله، للسَّ لذلِك باهل، وقد صَنْحَتَ ما صنعت.

فخرج بَنْخَطِّنَ وقابَ النّاس وهو يقول: والله لكانَّما قُلْتُ هُجْراً ^(٢) أَنْ قُمْتُ أَشَدَّهُ امرَه؟

فلفيه رجُلٌ من الأنصار بباب المسجدِ فقال: ما لَكَ؟ ويُلَك!

قــال: قُشْتُ أَشَدَد الْسُوم، فوثب عليّ رجـالٌ من اصحاب يجذبـونَني ويَعَقُونَني. لكانّما قَلْتُ هُجُرًا (وفي رواية: بَجْراً، اي: المرأ عظيماً) انْ قُمْتُ أَشْدُهُ أَمْرَهُ؟

⁽١) عزَّروه: أي: أعينوه وَقُوُّوه وعظَّمُوه ووقَّروه.

⁽٢) الْهُجْرُ: الكلامُ القبيخُ.

حول ماجاء بشأن المناقفين وظواهرهم السلوكية بمناسبة أحداث غزوة أحد

قال: ويلك، ارجِمْ يَسْتَغْفِر لكْ رَسُولُ الله ﷺ.

قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

وهكذا كشف عن نفاقه أيضاً ببعض أقواله، وكان قد كشف عنه بانخذاله.

(٨) بدأ المنافقون بعد أُحْدٍ يَهْمِدُون بشأن الذين قُتلوا من المسلمين فيقولون:
 لوكانوا عندما ولم بخرجوا إلى قتال المشركين في أُحدٍ ما ماثوا وما قَتِلُوا.

. . .

النص التاسع

من سورة (آل عمران/ ۳ مصحف/ ۸۹ نزول) ثالث سورة مدنيّة الآيـــات مـــن (۱۵۲ ـــ ۱۵۸) حول أحداث غزوة أحد وبعض ما كان من المنافقين فيها يتول الله عزّ وجل نم سورة (آل عمران):

﴿ وَلَقَدُ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ وإِذْ نَحُسُونَهُم بِإِذْنِهِ " حَقَّى إِذَا فَشِلْتُ مُ وَتَنْذَرُعْتُمْ فِي ٱلْأَمْدِ وَعَصَيَتُم قِنْ بَعْدِ مَآأَرَكُمُ مَّاتُحِبُّوكُ مِنْ عِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَ ارْمِنكُم مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمُّمَ مَكرفَكُمْ عَنْهُمْ لِينْتَلِيكُمُّ وَلَقَدَ عَمَاعَنكُمُ وَاللَّهُ ذُو فَضَهِ إِعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ﴿ إِذْ نُصَّعِدُوكَ وَلَا تَكُورُك عَلَىٰ أَحَادٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِتَأْخُرَىٰكُمْ فَأَنْبَكُمْ عَمَّا بِغَمْ لِكَيْلًا تَحْذَنُواْعَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلَامَا أَصَحَبَكُمْ وَاللَّهُ عَبِيرُ بِمَاتَصْمَلُونَ ﴿ ثُمَّ أَنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَمِّدِ ٱلْفَرِدَ أَمَنَةً شَاسًا يَفْشَى طَآلِفَ أَ مِنكُمْ وَطَآلِفَةٌ قَدَّ أَهَمَّهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهَ غَيْرَ ٱلْحَقِي ظَنَّ ٱلْمَهِلِيَّةُ يَقُولُونَ هَل لَنَامِنَ ٱلْأَمْرِ مِنهَى وُ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلُمُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي آنْفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۚ بَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَامِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتِلَنا هَنهُنَا قُلُ لَوْتُكُمُّ فِي بُيُوتِكُمْ لَنَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفَتْلُ إِلَى مَضَاجِمِهِمٌّ وَلِبَتَ لِي ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَجِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمُّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ لِذَاتِ الصُّدُودِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَ لَلْمَهُونِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوٓ أُولَقَدْعَفَاٱللَّهُ عَنْهُمُّ إِنَّاللَّهَ عَفُورً حَلِيمٌ ١ۗ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْكَانُواْ غُزَّى لَوْكَانُواْ عِندَنَا مَامَانُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةَ فِي فُلُوبِهِمُّ وَاللَّهُ مُعْي

وَكُيثُ وَاللّهُ مِهَا مَسْلُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَلَيْنَ فَيَاتُمْ فِي سَجِيدِاللّهَ اَوْمُنْذَ لَمَغَفِرَا أَيْنَ أَقَ وَرَحْمَةً خَيْرِيّمَا يَجْمَعُونَ ﴾ وَلَيْنَ مُنْتُمَ أَوْقِلُنُمْ لَإِنْ اللّهِ غَضْرُونَ ﴿ ﴾ .

ما في النصّ من القراءات المواترة (من الفرش)

- (١) قرأ حمزة والكسائي وخلف [تَقْشَى] أي: الأمَّنَّةُ تَقْشَى.
- (٢) وقدراً البصريان: أبو عصرو ويعقوب: (قُـلْ: إِنَّ الأَثْرَ كُلَّهُ لِلهَ] برفع لفظ
 «كُلُّ» وهو مبتداً، وجملة (كلَّهُ للهَا خبر إنَّ والمعنى واحد.
- (٣) وقرأ ابن كثير المكي، وحمزة والكسائي وخلف: [والله بصا يَعْمُلُون بَصير]
 بياء الغائب، وبين القراءتين تكاسل في الاداء البياني مرةً بالخطاب ومرةً بالغبية، أو على التوزيع، فالتي بالخطاب للمؤمنين، والتي بالفية للكافرين.
- (3) ونوأ نافع وحمزة والكسائي رخلف: [بتّم] بكسر الميم الأولى، وهـو وجه عربي لهذه الكلمة، يقال: مُتّم ويُشم بالضم والكسر.
- (٥) وقرأ كلَّ القراء غيرٌ حفص: [خَيْرٌ سَمَا تُجْمَعُونَ] بناه الخطاب، فَيْنَ القراءتين تكامل في الأداء البياني

(1)

الفكرة المامّة للنّص

 بدا النّص ببيان صدق وعد انه للمؤمنين بالنّصر والتأييد قبل أخدٍ، وهو الوعد الذي أخبرهم به الرسول (في إلا أنه وغذ كساتر وعود انه لخصوص المؤمنين مشروط بالطاحة والترام التكاليف، وعدم المعصية نه ولرسوله، ولمالأثمة والقادة من المؤمنين القائمين على حدود انه المطيمين لرسوله.

وبيهان أنَّ هذا الوعد قد تحقَّق فعلًا في المسرحلة الأولى من المعركة، لمَّا التنزم العسلمون بالطاعة، فلمّا عصى فرينٌ كثير العدد منهم طعماً في الغنائم، وتركوا مواقع الفتال المحدّدة لهم، أمسك الله عنهم معونته، وصوفهم عن التمكن من السظفر بحدّوهم، وأوقع فيهم الفتل فقُولً من انتهت أجالُهم، ليكشف الصادفين في إيمانهم مريدي الآخرة، ويكشف في الواقع العملي مريدي الدنيا منهم.

وأبّانَ الله عُزُّ وَجَلَ فيه أنّه عفا عن المسيئينَ من أهـل الإيمان منهم فضـلاً
 منه، لأنهم مؤمنون عضوًا وَنَيْمُوا وحَصَل لَهُمُّ النّاديب.

 وضوَّر النص حالة هزيمة الاكثرين منهم سالكين في صعيد الأرض مسالك شكن، مع أن الرسُول ﷺ كان يدعوهم إليه، كي يثبتوا معه، وهو في موقيع من المعركة ضِمْنَ الفرقة الَّي كانت أكثر ثباتاً، ملتفة حولة تُذافع عنه رَقْديه بالشَّبها.

فلماً فعلوا ذلك جازاهم الله عليه بتراكم الذمّ عليهم، وكان جزاءً تربوياً من الله لهم يعتم أن يسمّى شواباً باعتبار ما يُفقى إليه، كي يتعظوا ويستبصدوا الحقّ ومنهج الله، وليعَلَمُوا سُنَّة الله في خلقه، فلا يحزنوا مستقبلاً على الشياء فاتقهم، ولا يحزنوا بسبب مصالب أصابهم، وليَعْلَمُوا أنَّ ما فاقهم أو ما أصابهم إنَّما هو بقضاء الله وقدره أو إذنه وعلمه، لحكمة أو جكم هو يُعْلَمُها، منها التأديبُ والتربية والمجازاة على بعض المعاصي، فيكون ذلك من المحَضّرات للذنوب، ولما كان الله عليماً خبراً بعا يعملون ظاهراً وباطناً، فكل تصاريفه سبحانه رتعالى حكيمة.

 وأينان الله عزّ رجل في النص أنّه بعد أن أنزل بـالمسلمين في معركة أحميه ما أنزل. جزاة على ما كنان من كثير منهم من طمع بالغنــائم، وما كنان منهم أيضاً من معصية للرسول، أنزل على طائفة منهم وسيلةً من وسائل الأمن لقلوبهم. وهو النصاصً الذي يصرف الأفكار والتصوّرات عن الاشتغال بما وقع للمسلمين في المعركة.

لكنّ طائفة أخرى لم تَرْق إلى مستوى إسعانهما بهذه الأُمْدَة من الله، فَشَفَلُهُمُ الْهُمُّ على أنفسهم، وأخدلت أفكارُهُمْ تنخبُّهُ في ظنون باطلة، كالظنون التي تجليها المفهومات الجاهلية لاصحابها، واخدوا يُطلقون عبارات تدلُّ على النفاق أو مرضم في القلوب أخف من النفاق، ويُشفون في انفسهم ما لا يُشونه لمؤسول في ويشفول قائلون منهم: لو كان لنا من الأمر في صنع قرار الخروج إلى العدوّ أو علم الخروج إليه شيءً، لكنًا الزمنا الزسول بعدم الخروج، ولما قُتِلَ مَنْ قتل مثّا في أُخد. وعلَّم الله رسوله ما يَبِيِّن لهم يه المفهوم الدقيق للقضاء والفدر، السابقين للاحداث والوقائع، وأنَّ كُل مَيِّتِ ماتَ في أُحَدِ قند ماتَ بباخلِه، ويبلُم الله وأذَّبه، وأنَّه لولم يخرج المسلمون لمواجهة عندوهم عند أحد، لَخرَجَ هؤلاء بسبب آخر غير قتال المشركين، فَقَبُلُوا في المواضع التي قتلوا فيها، والتي كانت مضاجعهم التي هي مضاجِعُ موتهم المُشَيِّه للنُّوم، في انتظار يختهم المُشْبِه للفظة من النوم،

وعلَم الله رسوله أيضـاً أن يُبيّن لهم حكمة مـا حدث للمسلمين في أحـد. وأهـم عناصر هذه الحكمة ما يلي :

- (١) كشف ما في الصدور من إرادة الأخرة، أو إرادة الدّنيا، الأصر الـذي
 لا يُكشف إلا عند المطامع، والشدائد المؤلمات المحزنات.
- (٢) تمحيص ما في القلوب من عبوالل وشوائب، فبالشيدائد كمالنار تنفي
 الشوائب، وتجمع المعدن الصافي إلى بعضه خالصاً نقيًا.
- (٣) تعميق إيمانهم بالذ الله عليم بذات الصدور، مهما كانت صاحبة الصدور مذه التي هي من الرغبات والليات ويُشو ذلك خفيةً مكتومة لم تظهر علاصات لها على سطح السلوك، وإنَّ ما يُجْرِيه الله سيحانه من أحداث ظاهرات لا نعلَم لها في الساس أسبانا ظاهرة، فلا يُد أنَّ لها أسباباً باطنة كامنة في الصدور، واللَّه عليم بها، ويُجْرِي تصاريفه سبحانه بما يُلائمها.

وجاء في النص بيان عن الذين فروا مثيرين من المعركة خوفاً على أنضهم،
 وأن ذلك الفشل والشَّمْف الذي حصل لهم، إنّما استرَلْهُم الشيطان له، وأزلَقُهُم فيه بسبب بعض الكسب الذي كسبوه، وهذا الكسبُ هو معصية الرسول طمعاً بالدنيا.
 والمغائم.

ودلَّ هـذا على أنَّ المعاصي التي تجرَّ إليها النفس بمطامعها وشهـوانهـا تُمكُنُّ الشيطان من الإنسان، فيستدرجُه إلى مواطن الزُّلُل، ومزالقِ الخيبة والفشل.

لكنّ الله تداركهم بعفوه، فهي من أولّيات تجربـاتهم، فعفا عنهم، إنَّ الله غفــورٌ حليم لا يستمجل بالعقوبة . وخساطب الله عبرً وجسل السؤمنين في النصر، فنصاهم عن أن يكسونسوا في مفهوماتهم كالمنافقين وسائر الكنافرين، وهي المفهومات التي عبر عنها المشافقون إذ قالوا بشأن اللذين قبلوا في أكمد: لوكنائوا عندنا ما مأثوا وما قبلوا.

إنَّها مقولَةً لاَ نَصْدُرُ إلاَّ من منابع الكفـر بالله وقضـائه وفَـذَره، وهي مقولـةُ وخيـهةٌ من آثارها نوليدُ الْحَسْرَة في القلوب، والحسرةُ بنَّ مُعَجَّلِ العقابِ على الكفر.

بخلاف أهل الإيمان فإنّهم يُسلّمُونَ تسليماً، فتكون قلوبُهم مُطْمئتُه سعيدةً خياليّةً من الْخَسْرة والأمها.

 وأتم الله عز وجل النص بعقائد إيمانية ذات ارتباط بأحداث موقعة أحد، وهي في مرضرع الحياة والموت، وموضوع مجاري مقادير الله، وموضوع يوم المدين الذي يُحشر فيه الناس للحساب، وفصل القضاء، والجزاء.

(Y)

المفردات اللّغويَّة للنّصَ

﴿ مَكَدَقَكُمُ أَنَّهُ وَعُدَهُ: ﴾:

يقالُ لَفَةُ: صَدْقَ فِلانُ فِي الحديث يشكَّق صِدْقًا، إذَا انحبر بما يُبطابقُ الواقع . ويفال: صَدْقَ فُلانُ فَلاَتَ فِي الحديثِ صِدْقَاً، وصَدْقَاً الصَّديثَ، إذا أَنْبَأُ بما يطابقُ الواقع فيستعمل لازمًا، ومتعديًا لمفعول به واحد، ومتعديًا لمفعولين.

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾:

الْحَسُّ فِي اللَّفَةِ القَتْلُ الشَّهيد باستِتصال، والمعنى بداتُم تقتلون فيهم قتلاً مُتّابِعاً فِيه معنى الطَّبَةِ المستاصلة، والظاهر أنّ العراد من الحسَّ هنا إزاحة المدَّقّ وكشفُّه عن مواقعه إلى ما بعد مَخطَّ رِخَالِه حَيْثُ ترجَدُّ المثالم.

﴿بِإِذْنِهِ ۗ ﴾:

أي: بِعِلْمِه وإباحْتِهِ وتمكينه.

﴿ مَتَّى إِذَا فَشِلْتُ مُ ﴾:

وإذاه هُنَا اسم زمان مع تجريده من معنى الشرط، أي: حتى وقت قَشْلِكُم،
 وحين تُجردُ من معنى الشرط تكون لمطلق الزمن، فلا تختصُ بالمستغبل.

والْفَشَلُ: هُو الفزع، والجبن، والضعف، والوهن.

وتَتَازُخُتُم: التنازُعُ هو النّخالُفُ والتخاصُمُ، وتَدافُعُ المحجج في الخصومة.

﴿ ثُمَّ صَدَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ :

أي: ردِّكم الله وحوَّلكم عن التسلُّط عليهم بالقتل.

﴿لِبَنْتَلِيَكُمُّ ﴾:

أي: ليكّشِف مَنْ يُريدُ الدّنيا منكم ومن يربد الآخرة، ومن يَصْبِرُ صدادقاً محتسباً أجره عند الله، ومن يَبْرُ مُصْبداً في الأرض لا يلوي على شيء، بينغي النجة بنفسه.

﴿إِذْ تُصْبِعِدُونَ ﴾:

 أي: إذْ تَشْطَلِقُونَ فارّين هائمين في كلّ أتّيعا، في الوادي، ونحو المدينة، ونحو الجبل، والإصداد في اللّغة: هو المذهابُ في الأرض والإيصادُ ميها، لأنّ وجبّه الأرض يُسمَّى صعيداً، وكذلك الترابُّ يسمَّى صعيداً.

وجاء الخطابُ عاماً والسراد مَنْ فرُّ واصعَــذ، نظراً إلى أنَّ العــد الأكثر قــد فعلُوا ذلك .

﴿ وَلَا تَسَانُونَ عَلَىٰٓ أَحَسُدٍ ﴾:

أي: ولا تُعَطِفُون على أحـدٍ منكم، ولا يُلْتَفِتُ بعضُكُمْ إلى بعض، لأنَّ كلُّ فـارًّ قد طلّبَ النجاة لنفسه.

ومن عادّة المتصرف عن مكانٍ ما، أو أيّ شيّء، إذا خطر في باله ما انصرف عنه أو أوله الرَّجوع إليه، أو الانفسمام إلى بعض جماعته المنتَصرفين مثله، لـوى عنقه وجسمه أو لوى عُمَّن دائِته، أو لوى حركة سيره متعلقماً إلى من ينضمَ إليه، لكنْ إذا انشغَلْتُ ساحَةً تفكيره بالفرار والنجاة فقط لم يُلُو على أحد.

﴿وَالرَّسُولُ.. يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَسَكُمْ ﴾:

أي: يناديكم إلبه وهو في الفئة الأخرى منكم الذين ثبتوا نلم يفرُّوا. . ١٠٢٠ ـ موس

﴿ فَأَثَّنَّهَ كُمْ ﴾ :

أي: فجازاكم على فراركم، والأصل في النواب الجزاء على الطاعة، قبل: واستثمل هنا بمعنى مُطلَق الجزاء، أقول: أرى أنَّ في اختيار فعل وأثابه هنا معنى النرقق بالمسلمين، إذ ما حصل لهم لم يكن في الحقيقة عقاباً، وإنما كنان للتربية والناديب، وما يحصل به ذلك هو في حقيقه بمنزلة الثواب، لأنَّه لِخَيْر من يُوادُ تأديبه وتربيتُه، فإذا تأثَّبَ جُرُه ذلك إلى اغتنام الثواب العظيم.

والتُّمسوص النرآنية التي جاء فيها لفظ «ثواب» وفعل اثّلب» جميعها جامت بمعنى الجزاء على الطاعة وفعل الخير منًا يُحِبُّ النَّتَابُ أن ينالَّهُ لاَ منَا يَكُرُهُ، باستثناء هذه الآية، وبالفهم الذي فهمناه نفول: إنَّ الفعل لم يخرج عن أصل معناه، بالنظر إلى الفاية البعيلة الموادة منه.

واستعملتْ كلمةُ ومَثُوبَةٍ و في القرآن مرتبن:

الأولى: التي في الآية (١٠٣) من سورة (البقرة/٢) وهي بمعنى الجزاء بخير.

والشائية: التي في الآية (٦٠) من سورة (السائدة/٥) وهي فيما أرى بمعنى المكانة، لأنّ أهل الكتاب العرابين في الآية هم من اليهبود الذين كمانوا يستهرثون من المسلمين إذا ناذوا إلى الصلاة، ويتخذون عبادتهم لربهم هرُّواً ولعبًا، فقال الله لهم:

﴿ ثُلُ هَلَ أَنْيِتُكُمْ مِنْمَرَةِنَ ذَلِكَ مُشُوبَةً عِندَافَةً مِنْ لَقَدُا لَقُدُرَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَل مِنْهُمُ الْفِرْدَةَ وَلَغَنَا زِرْ وَعَبَدُ الْطَانُونُ تُأْوَلِكِ شَرٌ تَنكَا فَاوَامُنلُ عَن سَوّاءِ السِّيدِلِ ۞﴾.

فهم يستهزئون من مكنانة المسلمين في الصلاة يسجدون إلى رئهم، وهم شرًّ مكانـةً عند الله، فقد لعنهم وغضب عليهم وجعلُ منهم القروة والخنسازير وغَبــَــــةً الطاغوت. وجاه قوله: ﴿الرائكُ شَرَّ مكاناً﴾ دليلًا على السراد من ومثوبة والله أعلم.

وفعل وتَابَ، هو بمعنى رجع، والمكانُ الذي يُعرجُعُ إليهِ مثوبٌ إليه، والمكانَةُ التي يُعرجُعُ إليها: مُثُوبَة، أي: مرجوعُ إليها. وجاء فِعْلُ رُئُوبٌ) بالبناء للمجهول، وهو من أَوَّبَهُ بمعنى عَوَضَهُ، فقال نعالى في سورة (المطففين/٨٣):

﴿ هَلْ ثُونِ ﴾ ٱلْكُفَّأَرُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ ﴾.

إنّهم كانوا في الدّنيا يضحكون من الذين أمنوا، أمّا في الاخرة فالدّين أمنوا من الكفّار يضحكون، فهل تُوضُّوا على ضحكهم من الدونتين في الدنيا، بضحك عليهم من الدونتين في الاخرة؟

ويهذا استوفينا كُلَّ ما جاء هذه المادة، ونستطيع بعد هذا السبر والتحليل أن نقرَر أنَّ التواب في القرآن قد استعمل في العجزاء بما هو معجوب وخير.

﴿ غَمَّا ﴾ : الغمُّ: الكرب، وسُمِّي الكربُ غَمَا لاَنَه يشتملُ على الفلب ويُعَلَّفُه ويُشْرُرُهُ المؤلمات.

﴿ فَمُأْيِعُمُ ﴾: أي مُلْتَبِساً ومُلْتَصِقاً ومُتَّصلاً بغمّ آخو. أو بسبب ما أنزلوه بالرَّسول والمؤمنين الصادقين معه من غنّى

﴿ أَمَنَّهُ ﴾: الْمُنَّاء مصدر وأبن، اي: اطمأنُ ولم يخف، فهو آبنُ وأبنُ وأبينُ.

﴿ إلى مضاجعهم ﴾: المضاجع جمع مُضَجّع، وهو مُؤضِعُ الصُّجُوع، والضجُوع وضُمُّ الجنب على الارض أو نحوها للراحة أو النوم شُبّهت المواضع التي ارتمى عليها شهداء المسلمين في أحدٍ أو دفوا فيها بالمضاجع التي تكونُ للراحة أو النوم، لأنهم في تمام الراحة بمُذ استشهادهم، وكانّهم نائمون، وحينما يُبْتَقُون فكأنّهم ينهضون من مضاجع راختِهمٌ وَذَوهِم.

﴿ وَلِيُمَحُصُ مَا فِي قُلُويكُمُ ﴾: تمحيصُ الشيء تخليصُه مما يُخالِطُهُ ممّا لا خير فيه للغاية المرادة منه.

فالممخصُّ من الخيل والإبل هـو الشـديـد الْخُلَّقِ، الــذي دُهْبَتْ من جسمــه الشُّحرم وعناصر الترهُّل والفَّهف، فصار لحماً مكتنزاً قوياً.

والوَّرُّ الْمُمَحُّص هُو الذي ازيل عنه الشَّحْمُ لفتله وإحكام إبرامه. ويقال مَعِضَى الحَّبْلُ يَمُحُصُّ مَحَصًا فَهُوَ مَحِصُّ وَمُجِيعِسٌ، إذا ذَهَبَ وَيَرُّهُ حَثَّى صار أَمَلَسَ أَجْرَدَ. ﴿ فَمُولُوا ﴾: أي: أَدْبَـرُوا فارَين مُنْهَـزِمين، والتوليّ إدارة النظهر وإعطاءُ الـذَّبـر. ويُتُبِعُهُ عَالِماً الانصراف والابتعاد.

﴿اسْتَوْلُهُمُ الشّيطان﴾: أي: استدرجهم حتى أوقعهم في الزُّلُل، أو حملهم على الوقوع في الزّلل بالوسوسة والتسويلات، والاستدراج.

الزُّلَلُ: الخطأ في الرأي أو النيَّة أو القول أو العمل الباطن أو الظاهر.

والزَّلُوُّ: الـذنب والإثم، وأصل الـزَّلُلِ الانـزَلاقُ في طين أوْ عَنْ صخرة أو نحـو ذلك، والوقوع بسبب ذلك في مزلتٍ غير محمود، ومنه قولهم: زلَّت قدمه إذا زُلْفَت.

يُقَال: زَلَ بَزِلُ وَيَزَلُ زَلًا وزَليلًا ومَزَلَّةً، إِذَا زَلِق.

ويُقَال: ازْلُ الرَّجُلُ بَنَّهُ عَنْ مَقَامِهِ إِزْلَالًا، إذا دفع به. حَمَّى زَلِقَ، وكذلك أَزَالُه.

وصيفة واستَرَّقُ، من معانبها طَلَبُ تعقيق مضمون الفعل، والسَّمُّيُ لهُ باتَخاذَ الـوسائـل، حتَّى يحصـل المـطلوب، وهـذا ينطبق على مـا يفعله الشيطان دوامـاً في الإغواء، وما فعله في الذين أوقعهم في الرَّألُ يوم أحَد.

﴿فَلُوا لِإِخْوانِهِم﴾: أي: لأَجْلِ إخوانهم، أو عن إخوانهم، فَالَلَامُ للتعليل، أوهي بمعنى وعزه .

إذا ضربوا في الأرض: الضوب في الأرض الإبعادُ فيهـا سُيْراً، وهـو كتابـة عن السفر.

﴿فُرِّى﴾؛ جَمْعُ غازٍ، والغازي هو الذي يقصِدُ عدُّوُّهُ للقتال.

﴿ حَسْرَةً ﴾: الْحَسْرَةُ أَشَدُ النَّذَمِ ، وبالغ الألم على ما فات من المحابّ، بسبب من الأسباب.

(۲) ما رُوي في سَبُب النزول

اتُفَق شيوخ أهـل التفسير من السُّلُفِ على أنَّ هـذا النصَّ قــد نـزل بمنساسبة الأحداث التي جرت في موقعة أحد. والآيات فيه ظاهرةُ الاتفاق مع أحداث هذه الغزوة .

- - -

(1)

مع النصّ في التحليل والتذبُّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَقَدُ صَدَقَكُمُ أَمَّهُ وَعَدَهُ ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُ مِبِإِذْنِهِ ۗ ﴾

وَإِنُّكُمْ سَتَظْهِرُونَ فَلا تَأْخَذُوا مِمَا أُصْبُّتُم مِن غَنائمهِم شَيئًا حَتَّى تَفْرَغُواهِ.

وقال للرماة :

ولا تُبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنَّ رَايْتُمُونَا قد هزمناهم فإنَّا لَنْ نَزَالَ غَالِبِينَ مَا نَبَتُمْ مَكَانَكُم،

وعن البواء أنه قبال لهم: \$لا تبرحوا مكانكم، إنَّ رأيتُمونيا ظهــرنــا عليهم فلا تبرحوا، وإنَّ رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينُوناه.

وقــد تحقّق النصر للمؤمنين مُـــدُّة محافـظتهم على الطاعــة لأوامر الــرســول ﷺ، وصدّق الله وعده، ونصُرُّ اللهِ لعباده المؤمنين مشــروط بالطاعة ومُلازَمَةِ منهاجه.

لكنّ أكثر المسلمين في المعركة طمعوا في الغنائم فعصّوًا أمرَ الرّسول، ولا سيما معظم الرماة، فاقبلوا على جمع الغنائم قبل أن يأذن لهم الرسول ﷺ.

وكانوا قبل المعصية يُحسُّونَ المشركين مُسَّاء قدلاً وضرباً والزاحة لهم عن مواقعهم، ومُخطَّ رِضالهم، الأمر الذي أغراهم بجمع الفنائم الوفيرة، وتملاحظً في معنى المُخسَّ مناء هذه الإزاحة عن مُخطً رحالهم السساسلة لِمُقابَلَهم بالإبعاد عن متراكمات الفنائم، ولا يُقْتِهم الحسُّ على مجرّد معنى القنل، لأنَّ قتلي المشركين لم يُصلوا إلى المقداد الذي تُنشمُ منه رائحة الاستئصال بالقنل، والحسَّ فيه معنى الاستئصال، فهو استئصال بالقنل، والحسَّ فيه معنى

وهـدا الحسّ من المؤمنين للمشركين لم يتحقّق لهم إلاّ بباذن من الله، قلولا أذّ اذن الله بذلك إذناً دينياً، وإذناً قَدْرِياً بالتمكين، ويسير الأسبّ، ما استطاع المسلمون أن يَتَسَلَّقُوا بسيونهم على أعدائهم، ويَحسُّوهم حيَّى أَجْلُوهُمْ عن موقعهم، وحَلَّفوا ورامهم عائلهم،

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ حَقَّى إِذَا فَنُسْلَتُ مَ وَتَنَزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْدِ وَعَمَدَيْتُم مِنابَة دِمَا أَرَسَكُمُ مَا تُحِبُّونَ مِنْ صُحْمَ مِنْ رُبِيدُ الدُّنْ إِنَّا وَمَنطُم مَن رُبِيدُ الْآخِرَةُ فِي

أي: استَمرَّتُ ظاهرةً توالي خسَّ المؤمنين للمشيركين في أُخرِ حَمْى خَمَلُ الفَّشَلُ ـ وهو الضعف والعبنُ والفَزْعُ والوهن ـ بعداهمة كتية تحالد بن المولد على الخييرك من وراء ظهورهم، إذْ نَزَكُ مُعظم الرَّماة سواقعهم، وقد كانوا فيها دِرْعاً لظهور المسلمين،

وقد حصل الأمر وفق الترتيب النالي :

أوَّلاً: عضَى معظم الرُّماة، فتركّوا مواقعهم حين أراهم الله ما يُحبُّون من النُصر، ووجود غنائم العددَ سهلة الناول، وطُفَع أكثر العسلمين في المحركة بالظفر بها، قبـل أن يأذن الرسول ﷺ لهم بذلك، وجاء التعبير عن هذا بقولة تعالى:

﴿ وَعَصَى يَتُم مِن المِنْدِ مَا أَرَىكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ﴾.

ثانياً: وقع الخلاف بين العسلمين في الأمر الفائم حول متابعة الفتال والثبات في المرافع وفي المحدال المواقع والإسراع إلى جمع الغنائم، ووقع الجدال فيما ينهم، فتفرّفت وحدلة الكلمة، ووحدة الصف، وجاء التعبير عن هذا بقوله تعالى:
﴿ وَكَنَذَرْعُكُمْ فِي الْأَصْدِ ﴾ .

ثالثاً: دبُ الضَّعْفُ في صفوف المسلمين سبب التنازع وتفرّق الكلمة، وتمرّق الصف.

وهجم العدوّ عليهم من وراء ظهورهم، فـاضطربـوا، واختلّ نـظامهم، وأصابهم

الغزع، ورأؤا المّهم مُحْصُورون مُحَاطون من أسامهم ومن خلفهم، ووقع القتل فيهم، فَجُنُّوا، وَعَدُوا فَارْيِن، وكان هذا هو الفشل الذي حلّ بهم، وجاء التعبير عنه بشوله تعالى:

﴿حَقَّلَ إِذَا فَشِلْتُهُ.

وابعناً: وكنان السبب المداخليّ في النفوس الذي جزّ إلى المعصية والتمازع والفشل، هو وجود فريق كثير فيهم أخذت نُفُوسُهُمْ ندور دواليبها حول إرادة المدّيا، أي: إرادة الحصول على الفتائم والتسابق إلى حيازتها. وجاه التعبير عن هذا السبب النفسيّ بقوله تمالى:

﴿ مِنكُم مَّن تُرِيدُ ٱلدُّنْي كَاوَمِنكُم مَّن بُرِيدُ ٱلْآخِسَوَةُ ﴾.

فَالنُّرْبَيْبِ الَّذِي جَرَىٰ في الـواقع كمـا يلي: إرادة الدنيـا، فمعصيـة، فتنازع، فشل.

ولكِنْ: لِمَ انْعَكَسَ هذا التوتيب في البيان القرآني؟

المذي يظهر لمي أنّ الغرض المدلالة على أنّ ظُهُورَ المسلمين على عدوَّهم قمبه استَّمرُ حَمَّى حلَّ بهم الفشل، ولم تَتَخَوْلُ رباحُ النَّصر عنهم إلى حدُّوهم عند المعصية والتنازع في الأمر، بل أخذ الامر يتشلَّشلُ على مراحل، ولمو انعكسَ الترتبُّ في النَّصَ لأَوْهَمَ أنَّ ظهور المسلمين على عدُّوهم قمد توقّف منذ لحظة معصية الرَّساة، وحدًا خلاف الواقع، وخلافُ سنة الله في الأحداث.

والنُّصُّ يهدف إلى الإعلام بأنَّ توقف النَّصر وتحوُّلَ رياحه قد حصلا بعد حصول لفشل.

فاللَّقَةُ في التعبير نقتضي أن ياتي البيانُ دالاَّ على انَّ حــوكة السَّلُهور على العــدُّرُ قد نوفقت عند حصول الفشل.

إذن: فقد كان لهذا الانتصار نهايةً توقّف عندها، وهذه النهاية مقـرونة بحصُـول. الفشل، فالتعبير الفرآنيُّ دالً على هذه العقية بدقة بالغة، فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدُ مَسَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ وَإِذْ تَحْسُونَهُم بِإِذْنِهِ * حَقَّ إِذَا فَشِلْتُدْ ﴾ :

أي: حَتَّى وقُتِ فَشَلِكُمْ.

ولكن لا بدُّ أيضاً من بيـان التراكُمـاتِ السبيّة الَّتي ادَّت إلى الفشـل، باعتبـارها أسباباً متابعةً لحصوله.

أمّا السبب السباشر للفشل فهو التنازع في الأمر، ولذلك جاء تمرتيه بعمد ذكر
 الفشل مباشرةً، فقال تعالى:

﴿ حَقَّى إِذَا فَشِلْتُ مُ وَتَنْفَزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْدِ ﴾.

وفي نصّ سابق في النزول لهـذا النّصّ أبان الله عـزّ وجـلٌ للمؤمنين أنَّ التـــأزُع يؤتّي إلى الفشل، إذْ قال الله تعالى لهم في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿وَالْطِيعُوا اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَلاَتَنَزَعُواْ فَنَفَشَلُواْ وَنَذْهَبَ رِعَكُمٌ ۖ وَاصْرِوٓاْ إِنَّا لَلّ الصّنديريت ۞﴾.

فكان هذا البيان بعد غزوة بدر بعثابة التوطئة الإنداريّة الّتي كـان على المسلمين في أحد أن يضعوها نُصْب اعْيُهم، حتى لا يتنازَعُوا فيضُلُوا، ولاَ يقصُوا الله ورسوله، ومنى فشلوا ذهبت ريحُهُمْ، أي: ذهبت قُدَّرُهُمُّ المعنوبَّة التي فيها بسرُّ انتصارهم على أعدائهم في المعاوك.

فما جرى للمسلمين في أحْدٍ قد كان ظاهرةٌ من ظواهر سُنن الله، الَّتِي أبانهما الله لهم في كتابه بعد غزوة بدر الكبرى.

ولكن ما سبب التنازع الذي حصل في أحد؟

المجواب: معصيةً من عصى من المسلمين أمرَ الرَّسُول، ومخالفتهم لإخوانهم، وتعرَيْقُهُمْ المصفّ، فجاء قبوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَواكُمْ مَا تُبِجَّبُونَ﴾ عقب قوله تعالى:

﴿ رَتَنَنَزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْسِ ﴾.

فحصل بهذا الإشارة إلى أنَّ العصيان هو سَبُّ التنازع.

 حسناً، فما هو السُّبِ النفسيّ الإراديّ الداعي الـذي تنتهي عنده سلسلة الأسباب، والذي أذى إلى معصية من عصى منهم؟

الجواب: إرادةُ مطامع الدنيـا من العصاة، وإنَّ كـان الفريق الأخـر يريـد ثواب الآخرة. فجاء قوله تعالى في آخر بيان سلسلة الأسباب:

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْكَ اوْمِنكُم مِّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ ﴾.

وهكذا جاء الترتيب في البيان القرآني كامل الدّقية في الأداء، ومطابقاً لما يسرادُ الدلالةُ عليه.

يضافٌ إلى ذَلِكَ أَنَّ السَّلْسُلِ المنطقيِّ لِبحث آيةٍ ظاهرةٍ، وكشف الأسباب التي أنّت إليها، يقضي بأنَّ تُعَدِّد الظَّاهِرَةُ أَوَّلَ، وبعد ذلك يُشْقِر إلى السبب العباشر الذي أنّى إليهاء ثم إلى السبب الذي أنّى إلى السبب العباشر، وحكمة تستُسلُّ مسم الأسباب، حَتَى يَتْقَهِيَ البحث عند السبب الأوّل، السذي تنتهي عنده عقمالًا سلسلة الأسباب،

والإرادةُ ودواعيها عند ذوي الإرادات الحرّة، تُعتَبَر هي السبب الأوّل الـذي تَقِفُ عند، عقلًا سلسلة الأسباب، ولا يُبيّحُتُ بعدها عن سبب آخر.

* *

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ثُمَّ مَكَرَفَكُمْ عَنَهُمْ لِيَبْتَلِيكُمْ وَلَقَدْ عَفَاعَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَغَسْلٍ عَلَ ٱلْتُوْمِنِينَ ۞﴾.

لي: وبعد توقّب حريج الظّهُورِ والسَّلُط عن العدوّ بسبب حصول الفنسل، ويَعْدَ مرور مُدُةٍ من الزمن حصل فيها وُجُومٌ واضعرابٌ ضِمَّنَ الْمَمْرَكِةِ، صرفكم اللَّهُ عنهم. نُفْهَم هذا من العطف بحرف العطف رُثُمٌّم الذّالَّ على التراخي. وبهمنا الصُّرِف انعكَنتْ بِيَاحُ النصر بتنسدير الله وحكمت، لكَشْفِ أحوال المسلمين مُريدي الدنيا، ومُريدي الأخرة، وكَشْفِ الصَّابرين الصَّادقين، وغيرهم، كلُّ بِحَسَبٍ مُرْفِتِه في الإمان والصَّدق مع الله في المعركة، فالمصائبُ كُولِشِفٌ، والشَّدائد كواشفٌ، والمعلم كواشفٌ، والمعلق الامتحان أنْ يوضع المعتَّفُنُ في المواقف التي تَكْشِف صدقة وإيمانه، أو ما دون ذلك من درجات، حَنَى أدنى الدركات التي هي دركة النَّفاق.

دلُّ على هذا قول الله عزَّ وجلِّ: ﴿لِيُبْتَلِيكُمْ﴾ والابتلاءُ الامتحان للكَشْفِ.

وهذا الامتحان يستلزم التربية والتأديب، فالإنسان كثيراً ما يكون امتحانه الـذي لبس هو الامتحان الاخير لِتَرْبِيَته وتاديبه بما يجب أو ينبغي أن يكون عليه.

وقد أثبت هذا الامتحان أن معظمهم لم يستطع الثبات عند تحوَّل رياح النصر عنهم، لكنّه قد كان لهم جميعاً نُوْساً تربوباً تاديباً رائماً، أعدَّمم إعداداً معتازاً للمعارك القادمات.

وإنّما جعل الله عزّ وجلّ هذا الصَّرْق للمؤمنين عن الظهور على عدوّهم ابتلاء. ولم يجعله جزاة، لأنّه سبحانةً وتُصالَّىٰ قد مُنْخَهُمُ العضو، ذَنَّ على هذا قبولُ الله لهم عقب بيان غرض الابتلاء:

﴿ وَلَقَدْ عَكَاعَنه عَجْمُ وَٱللَّهُ ذُوفَقَه لِيعَلَ ٱلْمُؤْمِنينَ ۞﴾. والعفُو ازْفَى مرَبَّةُ من الغفران، لانَّ الغفران سَتْر، آمَّا العفو نهو مَحْوَ للاثو.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِذَ تُصْعِدُونَ وَلَاتَكُونَ عَلَآ أَحَكِهِ وَالرَّسُولُ لِيَدْعُوكُمْ فِيَّا أَخْرَىٰكُمْ ﴾.

انتقل النُصَ بهذا إلى بيان مرحلة نالية من مراحل المحركة، وهي مرحلة انهزام معظم المسلمين، الأمر الذي ما كان ينبغي أن يصنُّد منهم، بعد أن أدوكوا أنَّ المعصية والطمع في الغنائم قد حوّلا عنهم ويَاخ النُصر. لى: افتروا عند كل فتال لعدترى حالكم في غزوة أحد إذ كنتم تُصيدُونَ في الرادي، وشيط المدينة، الأرس هانمين منطلقين منهزمين في شنّى الانجاهات، في الوادي، وشيط المدينة، ونحو الجار، ولا تتنجيلون لداء الرسول الذي منكم النجاء بنفس، فلا يلتفت بعضُكم إلى بعض، ولا تتنجيلون لنداء الرسول الذي كان يناديكم: إلى غبياد الله ارجعوا، إلى عَبَيدُ الله الرجعوا، إلى عَبَيدُ الله المرابعة الله من يكرُ فله الجبّه، يُناديكم وهو ثابت في موقعه مع الفته الثابتة الله العة عنه، وهي الفتة الأخرى من فيقيكم ، الفتة المنهزمة، والفتة الأخرى القليلة النابتة التي لم تفرّ ولم تَشَرَقُول، بل

وجاء استعمال الفعل المضارع في حكاية المرٍ مضى لتصويــر ما وقـع كانــه حلَثُ يقع .

* قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ فَأَثْبُكُمْ غَمَّا بِغَدِ ﴾:

أي: فجازاكم جَزَاة تـابدِب وتَرْبِية فانْـزَل بكم كرباً محيطاً ضـاغطاً على الفلب وكلُ النفس موصولًا وملتبساً وملتصقاً بكرب آخر (فالباء للملابسة أو الإلصاق).

أو: فجازاكم جزاء أديب وتربية فأنزل بكم تُزياً محيطاً ضاغفاً على الفلب وكُلُّ النفس بسبب ما أنزلتسوه بالرسول والشابتين معه من الصادقين، من غَمَّ إذْ طمحتم بالغنائم فعصيتم فلم تَنْبُوا وانهزمتم ولم تستجيبوا لنداءات الرسول 義: (فالباء بمعنى المقابلة أو السببة».

وهذا الجزاء يصحّ تسمينُه ثـواباً بـاعتبار غـابته النـاّدبية السّربويّـة، المفضية إلى الترام منهج الله، فتحصيل الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

وعلى المعنى الأول، الماخوذ من كنون الباء للمسلابية أو لمجلساتي يكدوه الغثم الأول هو ما حصل لهم بسبب ما نزل بالمسلمين من جراحة، وبسبب مقتل إخوانهم المذين تُجلوا، وفوات الغشائم التي كاتُنوا قد بمدؤوا يجمعونها، ويكون الغثم الشاتي هو ما حصل لهم بسبب الشائعة التي قبل قيها: إنّ محمّداً قد قُتل، فكان هـذا الغمّ الشدّ عليهم من الغمّ الأوّل، ثم ما كان من انعطاف ثُلُةٍ من المشركين على فريق منهم وهم في الشُّمْبِ من الجبل، يَبَعُونَ استئصالهم، غير أن الله قد أظفر المؤمنين بإنزال جماعة المشركين الذين عَلُوا الْجَبْلُ بقيادة أبي سفيان.

* * *

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ لِكَ يُلْكُنْهُ لَا تَحْدُنُواْ عَلَى مَا فَانَكُمْ وَلَا مَا أَصَدَبُكُمْ ۚ وَاللَّهُ ضَإِيرٌ

في هذا بيانُ للغرض التربـويُ من مجازاتهم بـالغمّ على ما كـان منهم. ونلاحظُ أنّ بيان الفرض التربويّ هنا موافق للمرحلة التي وصلّتُ إليها مَسِيرَةُ المعركة.

لقد جاءت الحركة متسلسلةً ملائمةً لتطوُّراتِ الواقع الذي تــدرَجُ فيه المسلمــون في معركة أحد.

إنَّ مسرفهُمْ عن عدوَهم أوَلاً قد كان لامتحان إيمانهم وثباتهم. فلما لم يبشُوا جازاهُمُ اللَّهُ غَنَا بِفَمْ، ولكِنْ لم يكن هذا الجزاءُ عقاباً في الحقيقة، بل هـــو أسلوب تربّويِّ تَاديسٌ.

والتَّفرضُ الشربويُّ الشاديبيُّ هنسا: أنْ تشاهَسُلُ وَتَعَمَّقُ فِي قلويهم ونفوسهم الطُّفَتَانِينَة، والنسليمُ الله فِيما تجري به مقاديرُهُ الحكيمة، ولوُّ جامت على خلاف ما يَهُوُونُ ويشتهون، ولو جامت كذلك في صورة مصائب ونكباتٍ، أو فـواتِ مطامع ورغافِ كَانُوا يُجِنُّونُها ويَرْجُونُها.

فالإيمان الصادق الراسخ يستلزمُ ألَّا يكونَ فِتالَهِم طمعاً في الغنائم، حتَّىٰ يتهافتوا عليها، إذا ظُنُوا أنّهم ظافرون بها، ويتركوا واجبات الثُباتِ والطّاغة.

والإيسانُ الصادق الـراسخ يستارم أن يُسلّمـوا لحكمة الله دائساً فيما تجري بـه مقاديره، سواء نزل بهم ما يُجبُّونَ أو ما يكرهون، وأنَّ يعلَمُوا أنَّهُ هُو الخيـر لهم، ومُثَّى رسَخَتُ في قلوبِهمْ هذه الحقيقةً لم يحزَّلُوا على ما فاتهم مما يحبُّون، كفـوات الغنائم، ولم يحزُّوا على ما خُبِرُوهُ بسبب المصائب التي نزلت بهم، كَجِراخَة أبدانهم، وقتل إخوانهم.

فما اكتسبُوهُ من تربيةِ إيمـانيّةِ فيمـا نزل بهم، ومن إعـداد نفسيّ لِمُسْتَقبَل سعيـدٍ ظافر، أعظمُ بكثير ممّا فاتَهُمّ، وممّا خسروه فيما أصابهم.

وأشار قولُ الله عزَّ وجل في آخر الآية:

﴿وَأَلْلَهُ خَبِيرٌ بِمَاتَعُ مَلُونَ ﴿

إلَى أنَّ تصاريف تعالى في عطاك ومنه، ونُصْرِو وغَلَم تصوء، مظاهِرُ لحكمته المستندة إلى علمه وخبرته، والخبرة هي العلم بالشيء بعد تجربته واستحانه في الواقع، وهذا العلم يشمل الدقائق والخفايا عن تجربة.

إنَّه سبحانه وتعالى خبيــوٌ بما يعملون، هــذه حقيقة من حقــاثق صفات الله، من لوازمها ما يلي:

ــ إذا كان ما يعملونه يقتضي بحسب حكمته أن ينصُّرهُمْ نَصَرهم.

ــ أو يقتضي بحسب حكمته أن يصرفهم عن عدوّهم صَرَفَهُم عنه.

ـ أو يقتضي بحكمته أن يُنْزِلُ الغمُّ فيهم أَنْزَلُ الغمُّ فيهم.

* * *

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ ثُمَّ أَنْلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَمَّدِ ٱلْفَرِ أَمَنَةً شَّاسًا يَفْشَىٰ طَآبِفَتُهُ مِنْكُمٌّ ﴾.

في هذا بيان أنَّ الله عزَّ وجلَّ تَـذارَكُ أَهُلَ الإيمـان الصادقِ الشابتينَ والذين ثـاموا إلى رشـدهم بمشاعر الأمن والسكينة بعد الغمَّ الذي غَلْفَ فُلوبهم.

وقد دَبَّتُ إليهم مشاعر الامن هذا في نُعَاس يَقْشَى، فيصرفُ الأذهانَ عن التفكّو فيما نزل بهم من مصيبة، وعن الوسناوس المزعَّجة، ويصرفُ النَّفُوسَ عن مشاعر المخـوف والقلق والاضطراب، وعن الاهتمـام بلـواتهم وأهليهم، فــالنوم لا يــأتي إلاّ مع الأمن، أمّا مع الخوف واللـــعر والقلق وثورة الأفكار فإنّ النَّوْمَ لاَ يَجِدُ له سبيلًا.

* * *

غول الله عزّ وجل:

﴿ وَطَاهِنَّهُ قَدَ أَهَمَّتُمُ أَشْهُمْ يَطُنُّوكَ إِلَّهَ عَبْرَ الْمَقَ ظُنَّ ٱلْجَهِلَةِ يَقُولُونَ هَلَ لَنَا يَنَ ٱلْأَمْرِينَ ثَنَّ وَقُلَ إِنَّ الْأَمْرَ كُلْمَيْقِهُ يَغْفُونَ فِي الْغُسِيمِ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يُقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَامِنَ ٱلْأَمْرِ عَنْ مُّ مَا تُقِلَا مَنْهُنَّ ... ﴿ ﴾.

وفي هذا بيانً عن طائفة المنافقين وأهل الريب وضعفاء الإيمان، فلدًا على الهم بقُوا في الفَمَّ، لم تأتهم الأمَّةُ من الله، إذَّ لم يُسلَموا السَّرْهُمُ لله ومقاديره، وجكّمتِه في تصداريف، فاتُجَهِّتُ كُمُّ أفكارهم وتصبُّوراتهمُّ للاهتمام بانفسهم، وما نبزل بهم وبإخوانهم، وما يُخالِّون منه على انفسهم في المستقبل، معد همذا الذي تبزل بهم، فأهمَّتُهُمُّ انفسهُم، ونَسُوا أمر الدين وضايات الجهاد والدَّعوة، وواجباتهم نحو ربّهم، وما تَعَلَّبُ منهم طاعتُ ورضوانه.

وبدلك ثنارت في قلوبهم الشُّكوك، واهتاجَتْ في نفوسهم الآلام، وصاروا يستعيدون في أفكارهم وحركات قلوبهم ونفوسهم الأمور التي كنانت قد جَرتْ قبل خروجهم من العديثة إلى العموكة، ويسترجمون أنهم كانُّوا من الفريق الذي لم يكُنْ يرى الخروج إلى العدد، ظم يُقمَل الرُسولُ بوايهم، وإنَّما عصل برأي المتحسِّينَ للخروج

إنَّهم طائفةً فد تراكبت عليهم عدَّة أمراض:

المرضُ الأول: مرضُ نفسيٌ، يتحلّى بشدة خونهم، وبتوجُه كلّ مهيمم نحو أنفسهم، ومستقبل أمرهم في المعركة وبصدّها، فَهُمْ في همَّ النجاة وبالرغهم مانتهم، وهمَّ احتمال تعاظم أسر المشركين وسائر الكافرين، وتضاؤل أثمر المسلمين، حتى يكون للمشركين سلطانٌ يستأصلون به المؤمنين، وكلَّ الذين معهم، يضاف إلى ذلك غمَّ ما نزل بهم من جراسة. المرضَّ الثاني: مرضَ فكريُّ اعتقاديًّ، فما نمزل بالمسلمين من حزيمة جعلهم يظنُّرنَ بالله غير الحقَّ ظنُّ الجاهليّة، ايُّ: حعلهم ينظُّونَ بالله ظنُوناً باطلة، مشاقية لقواعد الإيمان بالله، وهذه الطُّنون مشابهة لظنون الجاهلية التي لا تستند إلى أساس إيماني صحيح.

وقىد يكون من هــلـه الظُنــون شكُهُمْ في تـاليــد الله للمؤمنين، وشكُهُمْ في وعُــود العَــر الذي تكفّل الله به لأوليائه على أعدائه، وإشباه هذه النظنون البناطلة، التي أثبت الواقع بعد ذلك خلافها.

المرض الثالث: ما كان من أشاره إعلائهم التَّلويم على الخورج إلى أُخد، وأنَّ البقاء في المدينة كان هـو الأعقل والأحـزم والأصحّ رأياً. ولكن الـرسـول لم يعـمــل برأيهم، إذَّ لم يجعلُّ لهم من الأمر شيئاً بحـب تصوّرهم، مع أنَّ ﷺ استشار وعمــل برأي الأكثريَّة، وقد كان على خلاف رأيه.

وفي التعبير عن هذا التلويم جعلوا يقولون مُخَرِّرين مقالتهم: ومُمَّلُ لَنَّا من الأَسْرِ مِنْ شَيِءِ؟» أي: لم يكنُّل لننا من الأمر أقبلُّ شيءٍ، ولم يكنُّ لراينا اعتبار، ونحن أهــل العقل والرأي والحكمة. دنُّ على التكرير فعل ﴿يَقُولُونَ﴾.

وكنان لا بدُّ من ردَّ هذه المقالد المُمَلَّذ، فخاطب الله رسوله بقوله: وقُلْ: إذَّ الله وسوله بقوله: وقُلْ: إذَ الأَّمْرِ كُلَّهُ الله، أي: ليس الأمر لكم، ولا لي، ولا للفريق الأخر الله يكان متحسساً للخروج، بل إنَّ الأَمْرِ كُلُّهُ للله، ومن منهاجه العمل بالشورى والأخذ برأي الأكثرية المؤتمنة، ما لم يتزل من لدته المرَّ خاصًّ. وقد اقضت حكمتُ سبحاته فوق ذلك بأن يعتمن جماعة المسلمين في هذه المعركة، ويُمتكسَ ما في قلوبهم. فجوت مقاديره على ما قد وقع فعلاً.

المرض الرابع: إتكارهم في قلوبهم لركن الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه بمحابه ونغيه، ومكارهه ونصائيه من الله عزّ وجل، او شكّهم في هذا المركن، مع ليصانهم وتعلّقهم الثامّ بالأسباب. دل على هذا قول الله تعالى في النصّ:

﴿ يُغْفُونَ فِي ٱلنَّسِمِ مَا لَا يُبْدُونَ لَكُ ۚ يَقُولُونَ لَوَكَانَ لَنَامِنَ ٱلْأَمْرِ مَنَى ۗ مَا قُيلَنَا هَهُنَّا ﴾ . وكان لا بُدُّ أيضاً من ردَّ هذه المقالة التي ودَّكُوها في نفوسهم ولم يعلنوها بالسنتهم أمام المسلمين، وكان لا بدَّ من بيان عنصر من عناصر العقيدة الإيمانية في القضاء والقدر، فعلَم الله رسوله في تتمة الآية ما يقوله لهم، وتعليم الله لرسوله يتضمَّن تعليماً لسائر المؤمنين، ولا سيما أهل العلم منهم.

* * *

قول الله عز وجل:

﴿قُلْ لَوْتُكُمْ فِي مُيُوتِكُمْ لَبَرْزَ الَّذِينَ كُنِّبَ عَلَيْهِمُ الْتَقَلِّى اللهُ مَناجِعِهِمْ وَلِيَبَقِيلَ اللهُ مَا فِي مُدُورِكُمْ وَلِيمَحَصَ مَافِي أَنُوكِمُ وَاللّهُ عَلِيمًا بِذَاتِ الصُّدُودِ ﴿﴾:

أي: لو لم تخرجُوا إلى قتال العشركين في أُحيد وبقيتُم في بيوتكُم في العدينة، لخرج الذين كُتِبَ عليهُمُ القتل بعِلَم الله وقضائه وقدره، بسبب ما من الأسباب، ولو كان غير سبب الخروج إلى القتال، ولسفكوا صرحى في الاماكن التي سقطوا فيها قتلى فكانت مدافقهم مضاجعَهُمُ العريحةُ لهم، لأنهم مؤمنون، حتى ساعة يُتحَمُّون، ففي العبارة محدوضات تُمُهُم باللوازم الله هيه، أي: لبرزوا ولتمرّضوا لسبب من أسباب العوت فكانوا صرعى فانتهوا إلى مضاجعهم.

وفي هـــذا تعليم من الله للرسول ﷺ ولـسـاشر المؤمنين من بعـــده كيف يكــون الجــواب على المقالـة التي قالهــا فــريق من المــنافقين والــذين في قلوبهم مــرضٌ دون النفاق: وَلَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الأَمْـرِ شَــيُّ مَا تَجَلَّنَا هَهُمَاهِ.

الأولى:

﴿ لَوَّكُمُّمُ فِي يُبِيُوتِكُمُ لَكَرَدُ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَى مَسَاجِمِهِمٌ ﴾. ﴿ لَيْرَزِهِ: اي: لَحْرَجَ إِلَى النَرَادُ، والبَرازُ الفضاة الواسِمُ.

الثانية:

﴿ وَلِيَبْتَلِي ٱللَّهُ مَا فِي صُدُودِكُمْ ﴾.

﴿لْبِيتْلِي﴾: أي: ليمنَّجنَ فَيُكْشِفُ بِالامتحانَ مَا فِي صُدُّوركُمْ.

الثالثة:

﴿ وَإِلَّهُ مَحِصَ مَالِي قُلُوبِكُمْ ﴾

أي: وليُّنغِّي ويُعفِّلُص ما في قلوبكم من شوائب لا تتلاءم مع كمال الإيمان.

فالمقولة الأولى: تتنول التصحيح الاعتقادي بشأن ركن الإيمان بالفضاء والقدر، وجماء التصحيح بيبان أنّ المذين قنارا في أُحَدِ كان لا نُدُّ أن يُشَقِّطوا في مصارعهم بفضاء الله وقدره على كلّ حال، فأجالهم محتومة، ومصارعُهُمْ مقدَّرة مكتربة معلومة.

إذن: فقد كان خروجهم إلى معركة أُحد سُبِياً لتحقيق المقضيّ العقض العقد لا محالة، لكنّ جهادهم في سبيل الله قد اكسهم الشهادة والجُرْهَا العظيم عند الله، إدا كـانوا حَضًا قد خرجوا جهاداً في سبيله وابتغاة مرضاته.

والمقولة الشائية: تتناول بيان غرض امتحان ما في صدور الدين عرجوا مع وسول الله ﷺ إلى أحد، وصدور الذين لم يخرجوا، والذين انخذلموا من بعض الطريق إلى أحد.

ويشمل ما في الصدور عناصر الإيمان، وعناصر الاخلاق، والنيّات، والإرادات، ونوازع الأهواء والشهوات، وحركات الأنفس في ابتغاء الدنيا وشوابها، أو ابتضاء الأخرة وثوابها.

والمقولة الثالثة: تتناولُ بيانَ الغرض التربوي، وهو نمحيص ما في القلوب.

وقد عوفنا أنَّ التمحيص يدور حـول معنى تنفية الشيء وتخليصــه ممَّا لا خيـر فيه للغاية المرجوة منه .

فتمحيص ما في قلوب المؤمنين يفيد تخليصهـا مما لا خيـر لهم فيه عنـد ربهم، وفي آخرتهم.

ويكون ذلك بتنقية الإيمان وتخليصه من شوائب الشكوك والشبهات، وغير ذلك من معهومات منافية لعناصر الإيمان الحقّ. ويكون أيضاً بتنقية النيّات والمقاصد ممّا يخالطها من ابتغاء العاجلة، وإرادة زينة الحياة الدنيا.

ويكون أيضاً بتنقية الجذور الخلقيّة ممّا يخالطها ممـا لا خيـر فيـه، كـالجين والبخل، والحسد والكبر، وحبّ الفخر، والطمع بالمال والجاه ونحو ذلك.

فالتمحيصُ وَسِيلةُ تربويَةٌ نَهْدِفُ إلى تربية الإنسان من سنتوى العمق فيه، وهـو عُمَّقُ قَلْهِ، فمن صلح قَلَهِ صلح كيانُه كَلَّه.

والأزماتُ والمصالب تُمنَّص ما في قلوب المؤمنين، إذَّ تهزَّها هزَّ عَنها، وتُوقِدُ فيها حرارة الإيمان، وتُندَرِّها عمليًا على تقبُّل مفادير الله بالصبر، وتُنفِي عنها كثيراً من أدران الشبهات، وأخلاط الانحرافات الخلقية، وتُمنَّهُها عن طريق الألم والحرمان وتراكب الغنم، كيف تصحّح نباتها في السّلم والحرب، والأمن والخوف، وعند المطلع، وفي أحوال الدُّعر، وتُكْبيلًا عَنْها ويَرْ التَّملِّي بزينةِ الحياة الدنيا، حتَّى تكون ربَّائِةً خالمةً فه تعالى، وابتغاء ثواب الآخرة.

> نفهم كلّ هذا من قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِصَمَافِى قُلُوبِكُمُ ۗ ﴾.

ولـدفـع تــوهُم أنّ ابتــالاه الله لـمــا في صــدورهم قـــد كــان لكشف أمـــر لم يكن معلوماً لله ، تعالى الله عن ذلك عالُواً كبيراً قال عزّ وجلٌ في ختام الآية :

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ إِذَاتِ الصُّدُودِ ١

أي: عليم بكلَّ صاحبة الصدور، والأمورُ التي تختَّشُ بالصدور حَى عُمُقِ الافتدة، تشملُ العقائد، والنَّبات، والعواطف، وحركات الانفس وانفعـالاتها، وما فُطِرَتُ عليه أو اكتَسْبَقُهُ من أخلاق، وغير ذلك.

إذن: فالابتمادة لا للكشف العلميّ بـالنسبة إلى الله عزّ وجلّ ، واتّسا للكشف النَّسْجيليّ والإصلامي للملائكة ، وللنساس يوم الدين، وهو الدّي تُجْرِي بمـوجــه المحاسبةُ والجزاء ، ولكشف بعضه للناس في الدنياء لبخكم كثيرة.

قول الله عزّ وجل:

﴿إِنَّا لَذِينَ قُولُوا مِنكُمْ وَمَ الْتَعَى الْمُمْمَانِ إِنْمَا أَسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَمُوا وَلَقَدْ عَمَّا التَّهُ عَهُمُ إِنَّا لَمَّةُ عَفُونُ حَلِيدً ﴿ ﴾ .

بهذا انتقل النَّشُّ إلى تُشْف جُدُور عوامل الهزيمة الَّتِي كانت من المنهزمين في أُشَد، وهم الَّذِينَ أَشْمَشُرُوا فِي الأرض، فَلَمْ يَلُووا على أحد، والرَّسولُ يدعـوهم في أُشْرَى فِقِنِي المسلمين.

أي: إنّ الذين وأزّا ادبارهم منهزمين فارّين من مواجهة المذّى يرم النفى الجمعان أخد، ما أوقعهم في الرُّلُلِ اللذي وقفرا فيه إلاّ الشيطانُ الذي أطمعهم بالمعانم أولاً، وخوّقهم من أن يُقْتَلوا ثانياً، وكان ذلك بسب بعض ما كُنتُوا، وهو إثم معصية الرسول، إذْ أرادوا الذّيا لمّا لاَحَتْ لَهُمُ النائم مطروحة لاجنبيها، وهذا الكشبُ الذي بَدُوّا به مِنْ عَنْد الفّيهِمُ الدي المنافقة، فكان للشيطان بذلك مَدْخَلُ للتأثير فيهم بوساوسه ودسائسه وتسويلاه، واستدراجهم إلى أمُورِ أَصْرى جعلَتُهُمْ يَزُون، فِسقُطون فيها يكرهون من غَمَّ مُضاعَفٍ، فيه قتلُ وجراحة، وخوتُ وقَلَقَ.

لكِنَّ الله تبـارك وتعالى أكَـذ لهـم أنّـه تـداركهم بحلمـه ورحمتـه مرزَّة أُخْــرَىٰ في مراحل المعركة، فعفا عنهم، إنّه جلّ وعلا غَفُورُ حليم.

أي: وسعهم بحلمه، فغفر لَهُمْ اوَّلًا، ثُمَّ عَفَا عنهم.

المغفرة: الستر. والْمَفُّو: الْمَحُّو وَعَدَمُ إِبْقاء أي أَثْرِ للذُّنب.

وجاه بيان العفو أوَلَّا لأَنَّهُ عَايَّةُ البِشَارَتِينَ، فهي الأَحقُّ بالتقديم، وجامت الإنسارة إلى أنَّ المفغوة سبقت العفو، من خلال الآية بـذكر اسمين من أسماء الله، أحدهما: غفور، والآخر: حليم. أي: حَلَّمَ فففَرْ ثُمَّ عَفَلَ

قولُ الله عزَّ وجلَّ:

﴿ يَتَأَيُّنَا الَّذِينَ مَامَتُوا لَا تَنكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَنِيهِمْ إِذَا مَرَبُوا فِ ٱلأَرْضِ

ٱڒػڷۉؙٵڠٛڔؘٞىۘڐؘۊػڷۅ۠ٳۼۮٮۜٵڡٙٵڡٛٳٛۄؘڡٵۼؖؿڷڔٳڽڿڡٚڷٲۺڎڸڬ ڝۜۺڗؘ؋ۣۿڷۑۺؖۄؙڷۺۧؽڝٚ؞ ۅؙؿؠؾٞ۠ٷٲؿڎؠڝٵڞ۫ٮڷۏؽۼڛڋ۞ۅڮؠڽڎ۠ۼڶۺڒڣڝۑۑٳڶۼۊٲۏۺؙڞ۫۫ڞڬۄڬۺ ۅؘۯڝٞڎؙۼؖڒڗ۠ڛؿٵڿۼٮؿؙۅڮ۞ۅڮڽڽۺۺ۫ۄؙڷٷڶؿۺ۫۫ڒڮڶٲۼؖڞۺۺؽؽ۞؞

وفي القراءة الأخرى: [وَاللَّهُ بِمُسَا يَهْمَلُونَ يَضِيرًا فجمعت القسراءتان أسلوب الحديث عنهم بالغالب، وأسلوب مواجهتهم بالخطاب، أو مواجهة الدين آمنوا بالخطاب، والحديث عن الكافرين بالغالب، وكلَّ ذلك من الأداء البديع، مع الإيجاز بنغير حرف واحد.

وانتقـل النّصُ هُمَّا إلى تحـذير المؤمنين من أن يكُونوا كـالذين تُفروا، وقالـوا: لأجل إخوانهم الذين مائوا في أسفارهم بحوادث برزّية أو بحريّـة أو غير ذلك، أو قُيلُوا في معـارك حربيّـة وهم تُمَرَّاة: لَـمُّ كَانُـوا عِنْدُنـا مَا عرضوا أنفسهم للحـوادث فسائـوا، وَمَا خَفُلُوا فِي الحربِ فُقِيلُوا.

إِذَ مِن اللَّوازِم الفَكْرِيَّةِ للكَفْرِ باللهُ أَو بقضائه وقدره، سبواءُ أَكَانَ فَضَّرَ كَافَرٍ صريح، الرَّكَافِر مُنافَق يُنْفِي كُفُرُه مخافَّق، اغْتِيازُ الأَسْبابِ الكَوْنِيَّة فَاتَ أَفْسَالُ حقيقة فَاتِنَّة فِي مُسْبِّنَها، على خالاف العقيدة الإيسانِيَّة النِّي تُقَرِّرُ أَنَّها أَسْبابُ ترتَيطُ بِهَا مُسِبَاتُها بِتَأْثِرِ الخَالِق وقَصْله وَفَدْرِه من خلالها، أو من ورالها، فهو سبحانه الْفَمَّالُ الحقيقيُّ في كلَّ الظَّواهر الكونِيَّة، وهو المقدَّر لَهَا والقاضي بها قبلُ خُدْرِثها.

ولكنَّ أفعاله سبحانَهُ مستُورَةُ بقوانين الكون، وبأنظمة الأسباب وارتباط مسبِّساتها بها، ليُمْتَجنَ بذلكَ إيمان الناس بالغيب.

فَكُمَا الَّذَ قَاتُهُ سِبحانه وَتَعالَى غَيْبٌ عَنَّا كذَلِكَ أَفِعالُهُ فِي كُونِهِ غَيْبٌ عَنَّا، نُشَاهِيدُ ظواهرها المفترنة بأسبابها، والعشلُ المفكّر يذلُّنًا على أنَّ الأسباب لا تفعل بـذواتها، وأنَّها بحاجة إلى مُسبّب حقيقيٌ لها، عليم قدير حكيم يُجْوَنُ كلَّ شيءٍ صُنعاً.

وقعد انطلقَتُ اثناء يوم أحُدِ كلمةُ النضاق التي قـالهــا بعض المنــافقين، وهمي: ولو كانَ لنا من الأمر شيءُ ما قَبَلْنَا ههنَاهِ .

وانطلقت بعد يُوم أحد كلمة النفاق التي قـالها كبيـر المنافقين عبـد الله بن أُبـيّ

أبن سلول، ورَكَدْهـا بلسانــه أو بقلبه سائر العنـافقين، بشأن من قُتِـلَ من إخـوانهم في أحد، وهي : ولو كانوا عنّدنا ما قُتلواه.

وانطَلْقَتْ قبل المحركة في مناسباتٍ مختلفات من عموم الكافرين. وتنطلق دواساً، بشان من يُسُوتُ اويُقَتَّلُ في سَفْرٍ أَثَرَ غَرْزَةٍ، مَصَالَةً: دلـو كانُـوا هِنْدُنـا مَا مَاتُوا ومَا تَجْلُوا.

فَذَلُّ النُّصُّ بإيجازه واختزاله على هذه الصور الثلاث:

من قُتِلُ في أُحُدٍ من المسلمين.

ــ من يموت بحادث مهلك في سفره ضارباً في الأرض للتجارة أوغيرها.

من يُقْتَلُ غازِياً في معادِك الفتال ولو لم يكن في سبيل الله .

وهـله المقالة من اللوازم الفكرية الطبيعية للكفر بقضاء الله وقـدو في الحياة والموت، فلا بُدَّ أن تظهر على ألسنة الكافرين كلَما وُجد المحرَّض على الطلاقها، دون حذر يدعـو إلى الاستخفاء بهـا، سواة أكـانوا كافرين صـرحاء، أو كـأنوا كـافرين منـافقين، ولذلك أثر النُمُّ بـدقيّه وإيجـازه إسناد هـله المقالة إلى الـذين كضروا، ولم يَحْصُها بالمنافقين الذين قالوها في معركة أُحدٍ.

وَلَئلاً بِقع بعض البذين آمنوا في زَلَّةٍ تَرْدِيد هذه المقالة التي هي من الثمرات الخبيثة للكُفْر، ومن لوازمه، خاطب الله الذين آمنوا محذَّراً لهم، فقال تعالى :

﴿ يَتَانُهُمُ الَّذِينَ مَامُنُوا لا تَتَكُونُوا كَالَٰذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَنِهِمْ إِذَا صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ آوَكَافُوا هُزُّى لَوَّكُونُوا مِندَنَا مَامَانُوا وَمَا فَيْلُوا . . ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنْ ا

أي: ما مات من مات منهم بحادث مُهْلِكِ وهو مسانرُ يَضْرِبُ في الأرض للتجارة أو السياحة أو غير ذلك، ومَا قَبِلَ مَنْ قُبِلَ بِنْهِم في معركة قتال غازياً.

والمعنى: يا أيها المدنى آنئوا لا تكوثوا كالكافرين الذين من صادتهم ومظاهر كفرهم في كلّ وقتٍ دماض، وحاضر، ومستغبل، إذا ضَرَبِ إحموانُ لهم في الأرض مسافرين، فتعرّضوا للهملاك، أو خرجوا غزاةً فَقَيّلُوا، قالوا: لموكانموا عندنا ما مسأتوا وما قِلُوا.

وأصل نَسْق ترتيب الكلام كما يلي:

يـا أيها الـذين أمنوا لا نكـوقُوا كـالذين كفـروا: إذا ضَرَبُ إخـوافهم في الأرضى فعاتوا (اي: بحـادث مهلك) أو كانـُـوا غُرَّىٰ فَقُبِلُوا، قـالُوا من أجلهم: لــو كانــوا عندنــا ما مأتوا وما قَبِلُـوا.

ولكن جماء في النّصُ تقديم عبدارة ﴿قَالُوا لإخوانهم﴾ على ذكر الشرط، تنبيهـاً على بشاعة هذه المقولة بالمنظار الإيمانيّ، وأنّ المؤمن لا يقولُهَا ولا يقول ما هـو شبيه بها.

ومثل هذا التعبير القرآني يصلُّحُ لبيان ما كان وما هو كائن وما سيكون.

واقتضتِ التربيّةُ الرّبائيّةُ بيانَ الحقيقة من كلّ أطرافها حول هذا المموضوع، وهي تشتمل على خمسة أمور:

الأمر الأول: بيانُ أنَّ العقوبة الفدريّة التي تباتي نتيجةً طبيعيَّةً بمتضى سُنَّةٍ الله في خلفه للكفر ومفهوسات، أنَّ يَـذُوقَ الكـافـرون آلام الحسـرة، على مـا فـاتُ من المحابّ، عند كلَّ مصبيةٍ تنزل فيهم.

وذلـك لأنّهم يعتقدون أنّهم لـو فعلوا كذا أو لم يفعلوا كـذا، لَمَا نـزلت بهم هذه المصيبة.

دلَّ على هـذه العقوبة قولُ الله تعـالى في النّصَ: ﴿لَيَجْعَلُ اللَّهُ ذَلِـكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِم﴾.

بخلاف أحوال المؤمنين بالله وقضائه وقدو، فإنهم إذا نزلت بهم مصيبةً ما ولمو كانوا هم الكابسيين لأسبابها، لم يذوقـوا الام الحسرة على ما كان منهم، إلاّ أن تكـون المصيبة نتيجة مصية لله عزّ وجل، وعندلذ يتحشرون لائهم عصّرًا، لا لأنهم قد نزلت بهم المصيبة، إذ يعلمون أنها مكفّرة للخطية، وهي لخيرهم تأديرًا وتربة وجزاة.

أما فيما عدا ذلك فإنهم يؤمنون بأنّ ما جرى بقضاء الله وقدو، سواة أكمانوا هم الكاسبين للأسباب التي باشروها، أو لم يكونُوا الكاسبين لها، ويؤمنون بأنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكنّ. وانتفاء ألم الحسوة لا يستلزم انتفاء ألم الحزن، فالحزنُ عنـد نُزول. العصيبـة يذوقه المؤمنون والكافرون جميعاً.

أنّا آلام الحسرة على ما جرت به مقادير الله ثلا يلـأوقُها إلاّ الـذين لا يؤمنون إلاّ بالاسباب، وهم بقضاء الله وقدره كافرون، ويقولون: لو لم تحدُّث الاسباب لمّا حدَّثَتِ الْمُسَبِّدَاتُ المؤلمات.

الأمر الثاني: بيهان أنَّ الحياة والمسوت من الأمرو التي يشولاهما الفضاء والضَّدُّ استقىلالاً، دون أن يكون لمالاسباب تـاثيرات حقيقية فيهما، وإنَّ كمانت لهما تـائيرات صوريَّه، فحين لا يكون ثله عزَّ وجلَّ قضاء وقدر بحياة أو موت، لم تفعل الأسباب شيئاً إنَّ وجلت، أو تتذخَّل المقادير الزيانيَّة بصرف الأسباب، أو إقامة الحواجز دونها.

> دَلَ على هذا الأمر قول الله عزّ وجلّ في النصّ: ﴿ وَاَلَمُهُ يُتَّىءُ وَكُمِيثٌ ۗ ﴾.

الأمر الثالث: بيانُ أنْ أعمالُ ذوي الإرادات الحرَّة في الحياة أنـواع من الكسب السببيّ الذي ناط الله عزَّ وجلَّ به الحساب والجزاء بالثواب أو بالمقاب، وإن كانت في الحقيقة وباطن الأمر لا تؤثَّر في تغيير مقادير الله .

وإشارةً إلى هذه الحقيقة من حقائق الابتلاء ضِمْنَ دائرة القضاء والقدر، قـال الله عزّ وجلّ في النصّ:

﴿ وَأَلَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيدٌ ﴾:

أي: والعليم البصير بما يعمل عبادّة بإراداتهم الحَرّة، إذْ يستخدمون ما سُخَرٌ هُـو لَهُم في انفسهم وفي الكون من حولهم تسخيراً مصحوباً بالإسداد والعلم والمشاهــــة والعراقية الدائمة، هل يُبّقي لهم إمداده وتسخيره وتيسير الأسباب إذا لَمْ يَكُنُ له فيصا يتحقّن بهذه الأسباب ضمن فوانيتهاالتي جمَلْها مُوْ لها قضاءً وقدرًا؟!

هـذا أمر لايقُبله فكـر أيّ ذي فكر، فضـلًا عن فكوالمؤمن بـالله وقضائـه وقدره، ومشاعرٍ ضميرٍه ووجدانه.

الأمر الرابع: وهو مبنيُّ على ما سبق، فَمَنْ تُتِلَ غَازِياً في سبيـل الله عزَّ وجـلَّ،

أومَاتُ بحادثِ ما، وهو مُسَافِرٌ في سبيل الله وابتغاء مـرضاتــه، فأجــره ثابت عنــد الله. ولوكان الفضاءُ الرّبانيُّ من الأمور النافذة لا محالة، قتلًا أو موتاً.

فالمملُ ثَمْرَةً إرادةٍ حُرِّةٍ مُخَارَة، وله جزاؤه عند الله، والإرادة لا تغيرَ في نطبقات الفضاء والقدر لكنّها تجعل الأسر المفضي المقدّر طباعةً أو معصية، فيكون لصاحب الإرادة الحرة أجرَّ بسبب إرادته الصالحة التي فيها طباعةً لله، ويكون على صاحب الإرادة الحرة وزرَّ بسبب إرادته السيئة التي فيها معصية لله، وقد يكون كسبه مكروهاً أو مباحاً. والمحاسبة عند الله على النياب والإرادات من وراء الأعمال، وعلى مقادير قرَّبها في استعمال المُستَخْراب بالقضاء والقدر.

وثوابٌ من قُتِلَ أو مات في سبيل الله يَشْمَلُ عُنْصُرَين:

الأول: مغفرةً من الله لِسَوابق الذنوب والآثام.

الثاني: رحمةً من الله في دار رحمته، وهي جنَّات النعيم.

دلُّ على ذلك قول الله تعالى في النص:

﴿ وَلَين قُتِلْتُدْ فِي سَيِيلِ اللَّهِ أَوْمَتُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ فَيْرُقِهَا يَجْمَعُوك ﴾:

أي: فالمغفرة والسرحمةُ النَّسَان تكونسان لهم من الله خيرٌ من كـلُ ما يجمعـه أهلُ الدنيا لِمُنْجِهِم ورفاهيتِهم ومفاخرِهِم.

الأسر الخامس: بيان أن الجزاء الرّبّاني الأوفى على الصالحات في الحياة الدنياء التي يقدّمُها المؤمنون الصادقون، إنّما يكون بعد هذه الحياة الدنياء يموم يُخشُرُ الناس إلى رئهم.

> دلَّ على هذا قول الله عزَّ وجلُّ في النَّصَّ: ﴿ وَلَكِن مُنَّمُ أَوْقُتِلَتُمْ لَا لَى اللَّهِ تُحَشَّرُونَ ۖ ۖ ﴾.

مع دلالة الأية السابقة، أي: ولئن تُقِلْتُمْ فِي سبيل الله أو مُشَّمْ فِي سبيل الله أيُّها المؤمنون الصلاقون، ليَفْفِرْنُ الله لكم، ولِيَرْحَمْنُكُمْ، يوم الساين بوم تُعَشَّرونَ إليه، وذلك يشتمل على نعيم لا نهاية له، ومثهد ومُلكِ عظيمين، عند ربّ كريم، وهو خير لكم من كـلّ ما يجمع الجامعون من الدنيـا التي يرون فيهـا وسائـل سيادتهم وعزّهم ومجدهم ومفاخرهم.

وجاء تقديم القتل على المموت في الاينة الأولى. وتقديم المموت على القتل في الآية الثانية، إشعاراً بالنّ من خرج في سبيل الله فإنّ له مففرةً من الله ورحمة، سواةً أقَيْسِلَ مجاهداً، أومات بحنائث ما في خروجه، فبالأمران متساويان ما دام الخروج خروجاً في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

فَتُمُّ بذلك بيان العقيدة الإيمانيَّة من مختلف الجوانب:

- - وبعض ما اشتمل عليه النص هو بيانٌ وإقناع وترغيب للمؤمنين.

. . .

نظرة عامّة حول النص في نقاط

- (١) قبل معركة أحد وعـد الله المؤمنين بالنصـر على عـدوّهم وعـداً مشـروطـاً بالطاعة والتزام منهج الله.
- (٢) وبدأت المعركة وصدق الله المؤمنين ما وعدهم من التصر حتى غضوا وتسازعوا فدب إليهم الغشل، فتحوّلت عنهم رباح النصر، والسبب في ذلك حبّ الدنيا، والطمع بجمع الغنائم.
- (٣) صدف الله المؤمنين عن النسلَط على عدوّهم بصد معصيتهم أمر المرسول ليبتلهم، فيمتحن صبرهم وثباتهم وإيمانهم، ويكشف ما في صدورهم. ومع ذلك نقد عفا الله عنهم، وجعل رياح النصر تتحول عنهم إلى عدوهم لنربيتهم وتأديبهم.
- (4) لكن معظم المسلمين في أحدٍ لمناً أُخدُوا على حين عره، وحوصروا من امامهم ومن وواه ظهورهم، لم يصبروا ولم بيئتوا، بل أعذوا يُفرُون متطلقين مصحدين هَرَباً في كل اتجاه، ولا يُلُؤون رؤوسهم ولا اجسامهم على أحد، ولا يستجيبون لدصاء

الرسول الذي كان يدعوهم وهو ثابت في موقعه مع الفئة المؤمنة الأخرى، وهي الفئة الثابة الفدائية.

- (٥) فائاب الله الفارين غَماً بغم، جزاء ما أحدثوا من غم، أو غَماً موصولاً بغمَ
 وملتصفاً بغم. ومن الاغراض التربوية لهذا الجزاء:
- ألا يحزنوا مستقبلاً على ما فاتهم، ولا على ما خَيسُرُوهُ بسبب ما أصابهم ونزل بهم.
- ليعلّمُوا أنّ تصاريف الله في عطائه ومنعه، ونصره وعمدم نصره، مظاهر
 لحكمته المستندة إلى علمه وخبرته.
- (٦) خص الله طائفة المؤمنين الثابتين فأنزل عليهم النَّعاس الـذي جلب إلى قلوبهم الأمن.

أما طائفة المنافقين واهل الريب وضعفاء الإيمان فقد استمرّو في الغمّ والخوف والقلق يُعذّبون، لأنّهم قد أممتهم أنّفُسُهم، وهم يظنُّون الله غير الحقّ ظنّ الجاهلية، وجعلوا يقونُون بالسهم وفي نفوسهم مقالات جاهليّة.

- (٧) عَلَمَ الله السرسول والمؤمنين الصادقين من بعده، أن يُبَينُـ وا الصحاب
 المقالات الجاهلية، المفهومات الإيمانية السليمة، وحكمة الله في مقاديره.
 - (٨) أبان النص جذور عوامل الهمزيمة، التي جعلت الشيطان يستزلهم بسبب ذنوب كسبوها.
 - (٩) حـدًر الله المؤمنين من أن يكنونوا كالـذين كفـروا في مفهـرماتهم وأنـواع سلوكهم، فيقولوا مثل مفالاتهم الجاهليّة.
 - (١٠) تخلّل ما سبق إيضاح جملة من المفهومات الإيمانية الاعتقادية، التي من شانها تصحيح السلوك، بعد تعميق الإيمان.
- (١١) أبان الله عزّ وجـل بعض موافف المنافقين والذين في قلوبهم مرض دون
 النقاق خلال أحداث غزوة أحد.

النبص العاشير

من سورة (آل عمران) ۳ مصحف/ ۸۹ نزول) ثالث سورة مدئيّة الآيسات مسن (۱۹۵ - ۱۶۸) حـول بيان بعض مواقف المنافقين في غـزوة أُحـد و إقناع المؤمنين يأن ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

هـذا النص كالنص التاسع اشتمـل على بهانـت تتعلّق بغزوة أُشــدٍ واحــدالهــا، وما كان من المنافقين فيها، فيقال فيه مــا سبق عرضــه في النصّ الثامن، بــاســثناء تُــذَبّر آبائه، وما دلّ عليه من معانٍ وافكار.

يقول الله عزّ وجلّ:

وَالْوَلْمَا اَصَّدِينَكُمْ مُصِيدَةً قَدَا اَمَيَتُمْ يَفْلَيُهَا فَلَمُ اَفَ هَذَ مِنْ عِندَ الْفُسِكُمُّ الْمَا اللهُ عَلَيْهِ الْفُلْمِيكُمُّ اللهُ الل

. . .

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

 قرأ هشام عن ابن عامر: [لَوْ أَطْاعُونَا مَا تُتَّاوا] بتشديد التّاء، وهو بالتَّشديد يُبيدُ معنى التكثير، فدلَّت القراءتــانِ على أنّ فريفــاً من المنافقين قبالوا: [لــو أطاهــونا مًا تُخِلوا وفريقاً آخر من المنافقين قالوا: [تُوَ أَطَاهُونَا مَاتَئِلوا] يُعسرُوون بقولهم أذُّ مَا حَلَثُ قد كانَ تُقْيِلاً شَدِيداً من المشركين للمسلمين بانتصار وفَلَيَةٍ وعُنْفٍ ونكايـة، وهذا التعبير يُلاُ على انفعال قائله وثورة نفسه على الأمر كلّه.

• • •

(١) المعنىٰ العامُ للنَّصَّ

يبيِّن هـذا النصّ للمؤمنين ثمَّ من شاه أن يفهم كـلام الله، حكمة اللَّهِ فيسا جرئ للمسلمين في أخدِ من مُعِيبَةٍ على أبدي أعدائهم، ويزيلُ عنهم إشكـالاً قد يثيـر شبهةً تستذعى جلاءً.

هذا الإشكال قد حرَّك لدى المسلمين تساؤلًا، ظهر في العبارة التساية: ﴿ أَمَّىٰ هـٰذا﴾، أي: من أين حصل هـذا المصابُّ؟ أو كَيْفُ حصـلُ هذا المصابِّ؟ وتتضمُن هذه العبارة معنى:

- _ هل تخلُّي الله عنًّا، وقد وعدنا بالنصر؟
- هل آثر المشركين علينا بالغلّنةِ وهم الكافرون به؟
- _ ألسنا نَنْصُر دينه ونُعْلي كلمته، وأعداؤنا بقاتلونَنا لنصرة الكُفُر وإعـلاء كلمة الشيطان؟

وهو إشكال يقوم في نفوس المسلمين في كلّ معركة ينهزمون فيها، ويغفلُون عن إخلالهم بشروط النّصر الذي وعدهم الله به، ويَرْوَن أنَّ من حقّهم على الله أن ينصرهم على كلَّ حال، ولو لم يُحقّقوا في أنفسهم الشروط التي يجب عليهم أن يحققوها، حتى يستحقّوا نصر الله والفتح يحسب وعده، يمعوناتٍ إضافية يكشُلُ لهم فيها التقص في أسبابهم عن أسباب عدوهم فيشَن النّسبِ التي وغَذهم بها في سورة (الأنفال).

ومعالجةُ هذا الإشكال الذي عَبُّر عنه تساؤلهم: [أنَّى هَذَا؟] اشتملت على عمَّة بيانات، وهي البياناتُ التاليات:

البيان الأوّل:

ما كان من حَقَكُمْ إليها المومنون أن تَطْرَحُوا مثل هذا التساؤل، وقد نصرَكُم الله في يمدر فاصيتُمْ من عَلَوكم يُوسَدْدِ يَغْلَىْ ما أصابَ منكم في أَصْدِ، لقَدْ تَتَثَمْ منهم سبعين، وأسرَثُمْ سبعين، وكان بهامكانكم أن تقلُّوا هؤلاء الأسرى، وتَظْلُم كان أولى لكم، لكِنْكُمْ أَنْزُتُمْ قَبُول الفدية منهم، أمّا في أَصَّدٍ فقد قَثْلُوا منْكُمْ سبعين فقط، وكانُوا في كلتا المعركين أكثر منكُمْ عَدَداً وعُدَّةً.

دلُّ على هذا قول الله تعالى في النصُّ:

﴿ أُولَمَّا آصَنبَنَّكُم مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْهَا قُلْمُ أَنَّ هَنداً ﴾ ١٠.

هذا من جهة المقارنة العامّة بين مصيبتكم ومصيبة أعدائكم.

البيان الثاني:

إِنَّ مَا نَزِلَ بِكُمْ مِن مصِيبة فِي أُحُّدٍ قَدْ كَانَ بِسِبِ مِن عَنْدَ أَنْفُسِكُمْ:

_ ألم تعصُّوا أمر الرسول؟

ــ أَلَم تَطْمَعُوا فِي الْغَنَائُم وتَتَرَكُوا مُواقع القَتَالَ قَبْلِ أَنْ يُؤْذُنُ لَكُمْ؟

_ ألم تتنازعوا في الأمر؟

_ أَلَم تَفَشَلُوا فَتَضَعَفُوا وَتَجِبُنُوا وَتَقْزَعُوا؟

ــ الم تنهزموا حتى صرتُمْ تُصْعدُون ني الأرض ولا تُلُوُّون على أَحَدٍ؟

- أَلُمْ يَمْص فريقَ منكم الرسولَ إذْ كان يـدعوكُمْ في أُخْرَاكُمْ: إلي عباد الله ،

وأنتم منهزمون؟

ــــــ الاَ تَكَفِي تَلُ هَنه الاسباب لنرككُمُ لانفسكم ووسائلكم حتَّى نزل بكم ما نزل من مصيبة، بإذن الله وتمكينه؟

دلُّ على هذا قول الله عزَّ وجلُّ يُجيبُهُمْ عن طريق رسوله:

﴿ قُلْهُوَمِنْ عِندِأَنفُسِكُمُ ﴾ .

البيسانُ الثالسث:

ليس ما جرى لكم من مصيبة على أيدي أصدائكم عجزاً في قــدو الله عزّ وجــلُ عنْ نُصْرَتكم، فالله عزّ وجل قادر على نصرتكم دواماً ضع كلّ ما كان منكم، لكنْ هـــدا يتنافى مع حكمته التي قضت وقدّرت تأديكم وتربيتكم، ونسييز المؤمنين الصادقين من غيرهم، وابتلاءً ما في صدوركم، وتمحيض ما في قلوبكم.

أشار إلى هذا قول الله عزَّ وجلُّ في ختام الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّي شَيْءِ قَلْدِيثُرٌ ۞ ﴾:

أي: فهو قلارٌ على نَصْرِكُمْ، وقادرٌ على مجازاتكم بالغمّ الذي نَول بكم، وقـادر على تمكين أعدائكم من الظُّهُور عليكم.

البيان الرابع:

إِنَّ سَا أَصَابُكُمْ يَوْمُ الْتَغَنِّ جَمْعُكُمْ وَجَمَّعُ مُشْرِكِي قُرِيْسٌ فِي أَشْدٍ قَدَ أَصَابُكُمْ بِإِذَّنَ اللَّهِ، أَيْ: بَمْنُكِيّةُ أَصَاءَكُمْ مِن الظّهُورَ عَلِيْكُمْ، وَإِصَائِكُمْ بِمَا أَصَابُوكُمْ بِم ورفع يد معونته الناصرة لكم، وجعلكم تتصرفُون ضمن خُدود قُواكم ووسائلكم، مع حمايته لكم من أن تُصابُوا باكثر مما أُصِيْتُم.

ولو لم يأذن الله بذلك إذنَ تمكينِ قَدَرِيّ لما استطاعوا أن يُعِييوكُمْ بما أصــابوكُمْ

لو لم ياذن بذلك لاتمام العقبات في طريق أعدائكم، ولافسد خططهم، ولألقىً في قلوبهم الرَّعب، أو لامذُكُمُّ بالملائكة كما فعل في يوم بـنـدٍ الكبرى، إلى غيــر ذلك من وسائل نصره جلّ وعلاً .

فالإذن هنا همو من قبيل التمكين القـذَرِيّ ضمن حدود الأسباب والمسببات في سنن الله الدائمة.

> نفهم هذه المعاني من قول الله عزّ وجل في النصّ : ﴿ وَمَا آَصَكَبُكُمْ يُومُ الْتَقَى ٱلْجِلْمُكَانِ فَهَادْنِ اللَّهِ ﴾ .

> > البيان الخامس:

حول بيان بعض مواقف المنافقين في غزوة أحد وإقتاع المؤمنين بأنَّ ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

إنَّ ما نزل بكم من مصيبة هي أُحُدٍ كان له في حكمة الله غاية، وهي:

أوَّلاً: أن يكشف الله بــالامتحان المؤمنين الصــادقين منكم. ويكشف ضُـطــاة الإيمان، وأهل الرَّيْب والشَّكُ والنفاق، الذين خرجوا مع الرســول إلى قتال المشــركين في أُحَـّد.

دلُّ على هذا قول الله عزَّ وجلُّ في النصُّ:

﴿وَلِيَعْلَمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . . 🕲 ﴾ :

أي: ولَيْغُلُّمَ المؤمنين بحسب مراتبهم ودرجاتِ إيمانهم ضعفاً وقوَّةً.

ثانياً: وأن يكشف نفاق الذين انْخَذَلوا عن الرسول في أَحْد، والذين لم يخرجوا معه إطلاقاً.

فالحوادث الشديدة تكشف ما في القلوب والنفوس فتظهرها على منطح السلوك، باقوال ٍ وأعمال إلى غير ذلك من أمارات.

دلُّ على هذا قول الله عزَّ وجل في النَّصَّ:

﴿ وَلِيَمْ اَلَيْنَ نَافَقُواْ وَقِلَ لَكُمْ شَالُواْ فَتِلُوا فِي سَبِيلِاللَّهِ آوَادْ فَكُواْ فَالْوَالْوَشْلَمُ فِيَاكُ لَاتَّبَسْنَكُمْ ﴾ .

وهـذا الكشف يجعل المعلوم الْمُحْفِيُّ في القلوب وســراثــر النفــوس معلومــاً في الأقوال والاعمال وسائر الأمارات والعلامات.

وعلمُ الله السابق لحدوث المعلوم، والمطابقُ لما سيحدث يصير علماً مطابقاً لما حدَثَ فِعْلاً، وعلى هذا المعنى جاء في النصوص: وليُقْلَمَ الله، ونحو ذلك.

الميسان السسادس:

التنبيه على بعض مظاهر النفاق، بالنسبة إلى المذين لم يحضروا معركة أُحَدٍ، بغية تعريتهم، وتبصير المؤمنين بأمارات وعلامات نفاقهم، ومن ذلك يتدرّب المؤمنون على معرفة علامات النفاق، وكشف المنافقين بها، فمن هذه العملامات المدالات على النفاق والمنافقين ما يلي: (1) قبل لهم قبل المعركة: تعاقراً قائلوًا في سبيل الله قتال المؤمنين الصادقين. أو تعاقرًا ادفقوًا عن أرضكم وأمرالكم ومفاخركم وإخوانكم، أو بُقُوا في المعركة موقف المدافع لا موقف المهاجم المستبعل الشجاع.

فقالوا تَعْلُلُا بِالقوال باطلة، زاعمين أنّها بَسَاجِ عَفَل وحكمة وبصيرة: لـــرنَعْلُمُ أَنَّهُ سَيْكُونُ قِبَالًا لِانْبِغْنَاكِم، ولدافعنا عنكم، ولمّا خذلّناكُم، ولكنّنا نرى انه لن يكونَ قتال.

أي: عند المواجهة ستَرَوْن أنَّكُمْ أضعفُ من عدوكم، وأنَّه لا قِبَلَ لكُمْ بجيشهم.
 فترجمون إلى المدينة، إذَّ ترون رأينا الذي كُنَّا قد رأيناه، من البقاء في المدينة، وعدم المخروج إلى المدو، قالمدينة أخضنُ لكم.

أو لـو نعلم أنّه سيكـون قتال يُسطّنُ معه النُّصْرُ الْبُعْنَكُمْ، ولكن سيكـون إلقـاءُ بـالانفس في التهلكة، كما قال عبـد الله بن أبـي بـن سلول حين انخـــلـل مـع قــومــه: ما ندري علامَ نَشُّلُ الْفُسَنَا هُوَنَا أَبُيا الناس.

دلُّ على هذا أيضاً قول الله عزَّ وجل:

﴿وَرِيْمُمْمُ الْذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَكُمْ ثَمَا لُوَا فَسِيلُواْ فِسَبِيالِهُو الْوَدَفَعُواْ قَالُوا لُوَثَمَّامُ فِنَا لَا لَاتَّمَسَنَكُمُّ هُمْ يِلْحَكُنِي يَوْمَهِ إِلَّمْرَبُ مِنْهُمْ الِلْإِيمَانُ بِعُولُونَ بِأَفْوَهِهِم مَّالِسَ قَالُو بِهِمْ وَالْفَاطَةُمُ بِمَا يَكْمُنُونَ ﴿ ﴾ :

أي: هم يوم تملّيهم بهذا القول الذي ذكره بأفواههم للاعتذار عن المشاركة في الفتال، والذي يرعمون أنّه لاينقش إسلامهم، إذْ هُوَ مبنيُ برعمهم على اجتهاد يُعذُرُونَ به، قد كاتُوا أقربُ للكُفر الصريح منهم لادّعاء الإيسان، فأقوالهم هذه مح خذلهم الرسول والذين أمنوا وخرجوا معه للقتال، كافية لأنْ تكشف اقترابهم من مواقع الكفر الصريح، وابتعادُهُمُ عن مظلّة دعوى الإيمان.

وربُسا كان فيهم فريقُ لم يُكُنُّ منافضاً من قبل، إلَّا أَنَّهُمْ قد انْشَوُوا في هذه المرحلة نفاقاً، وخَعَلُوا فيه خُطُواتِ كانوا بها أقرب للكفر الخالص منهم لملإيمان المذي كانُوا فيه . حول بيان بعض مواقف المنافقين في غزوة أحد وإفتاع المؤمنين بأنَّ ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

فَذَلَ النصَّى بهذا على أنَّ الأمارات والعلامات القويَّة تَسْمَعُ للمؤمنين بأن يحكموا على من ظهرت منه باقترابه من الكفر، وابتصاده من الإيسان، وأنَّ أدَّصاء الإسلام والإيمان مع ذلك هو من قبيل النفاق.

وهذا يرتجع شدة الحذر منن تظهر عليه هذه العلامات واشبائهها، وضرورة توجيه السراقية المدائمة لـه، وَوَضِّهِ مَـوْضِع من يُنظَنُّ فِيهِ النضاق، فـلايُـوْتَمَنَّ على أسـرار الســلمين، ولا يُتُحذُّ يُطَانَةُ لايلي الأمر منهم.

وتُلاحظ في النصّ أنَّ الله عزّ وَجلُّ بعد ترجيهه المؤمنين لمنهج البَّمُسُّ بالأمارات والعلامات الـدَالَاتِ على نفاق المنافقين للحـنْدِ منهم، أبـان أنَّ مؤلاء الـفين قبالـوا للمؤمنين: ﴿إونعلم تنالاً لاتُبَمَّنَاكم﴾ هُمُّ كذَّابُون، منافقون، يقولون بالسواههم ما ليس في قلويهم، فقال تعالى:

﴿ يَقُولُونَ إِفْوَهِمِ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُسُونَ ۞ ﴾ :

أي: إنَّهم لا يُريدُونَ نُصْرَةَ الرسول ولا المؤمنين معه مطلقاً، حين قالوا: ﴿لونعلم قتالًا لاَتُبْعَاكُمْ﴾.

فقىد عَلِمُوا أَنْ سيكون تشالَ، وأَنْهِم لو نَصْروا إخوانهم لامُكَنَ أَبْتَصَارُهُمْ على عَمُرُهم، ومع ذلك نَمدَ من نَمَدَ منهم فلم يخرج، وأنْخَـذَل من انْخَذَل منهم من بعض الطريق.

لكِنَّ الله عليم بما يكتمون في صدورهم، لأنَّه سبحانه عليم بكلَّ شيء، ومنه ما تُوسُّوسُ به النفوس، وتخفيه القلوب.

* * *

 (ب) وبعد أن قعد المنافقون عن الخروج مع الرسول 續 إلى موقعة أُخدٍ،
 وُقُولُ مَنْ قَبْل من المسلمين فيها، قالُوا عن إخوانهم الذين قُبْلوا مع من قَبْل: لو اطاعونا فقعدوا معنا ولم يخرجوا مع الرسول والدؤمنين ما قُبْلوا.

هذه المقالة تتنافى مع صدّة الإيمان بالله عزّ وجلّ وقضائه وقدره وعظيم حكمته. وهي تعدّلُ على أنّ الطب غَيْرٌ صحيح الإيمان، فهمو في كُشُور، أوريّبٍ أو زُيْــغ عن الحقّ، قديم أو طارى، فهي علامة من علامات النّفاق. كشف مقالتهم هذه قول الله عزَّ وجلَّ في النَّصُّ:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْرَجِمْ وَقَمَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾.

وبياناً لنساد هذه المقالة التي تُشَيَّر عن جهلهم بفضاء الله وفندره أوجُحُودِهم لـه علّم الله رسوله منا يُرَّدُ بِه عليهم، وهو ردَّ يُرُدَّ بِه كُلُّ مؤمنٍ بعد الرُّسول، فقال الله عزَّ وجلّ :

﴿ قُلَّ فَأَذَرَءُ وَاعَنَ آنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمٍّ صَلِا قِينَ ۞ ﴾:

لي: إنَّكُمْ تَدْعُونَ لَنَّ الذين خرجوا إلى أُحْدٍ من إخوانكم فَفْتِلُوا، لو استجابوا لشيطكم فاطاعوكم ولم يخرجوا للفتال، ما فُتِلُوا، فَلْمْ يُمُوتُوا.

والجوابُ أنَّ هذا الادّعاء ادّماء كنافُ مخالفً للواقع والحقيقة، وهم غير صادقين فيه، لأنَّ الموت قضاة رَبَّتي محترة للناس جميعاً، ولكلَّ حيَّ أجلُ لا يتقلّم ولا يَشاخَر، ومن جماء أجلُّه ذاق الموت عنده لا محالة، سواءُ أتعرض لسبب القتل أولم يتعرَّضُ له، وإن كان على الإنسان أن بتخذ الحيطة لنفسه فلا يتعرَّض لاسباب القتل دون إذّنٍ أو تكليفٍ ديني من الله عزَّ وجلٌ، وإلاّ كان عاصياً، بدليل نصوص أخرى.

فَانَّ كَتُشْمِ صَادَقِن فِي انَّ مِن خَنَى نفسه من أسباب الموت الظاهرة التي تعرفونها وتقونها، لم يَشُتُّ فِي انجلِه المقلَّد له، فـادرؤوا عن أنَفْسِكُمُ الموت، بحمساية أنفسكم من أسبابه.

ولَنَّ يستطيعوا ذلك.

وهذا الجواب قد تَضَمُّنُ بَيَانًا لِيَقْصِ الحقيقة حول قضيّة المموت. وبعضُ آخَرُ من هـذه الحقيقة قـد تضمَّنَهُ جـواب سابق في الآيـة (١٥٤) من السورة نفسهـا، وهـو قول الفـ عرَّ وجلَّ فيها:

﴿ قُلُ أَوْكُمُ فِي أَيُونِكُمُ لَمَرَدُ الَّذِينَ كُنِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَّى مَشَاهِمِهِمٌ ... ١٠٥٠: أي: لخرجوا بسبب آخر إلى البَرَادُ (وهو الفضاء الواسم) الذي تُتِلُوا فيه، فكان حول بيان يعض مواقف المتافقين في غزوة أحد وإقتاع المؤمنين بأنَّ ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

مَعِيرُ بُروزِهم إلى الاستقرار في مدافنهم التي دُفِنُوا فيها، فكانت مضاجعهم المديحة إلى يوم يُتَكُون، كمضاجع النائمين المستريحين.

وفي نصوص أُخْرَىٰ جاء استكمال سائر عناصر الموضوع .

(1)

المفردات اللُّغويَة في النَّصَ

﴿ اَوْلَقُلُهُ: الهمزة للاستفهام الإنكاري، الذي قيه معنى العجيب من مقالهم: ﴿ أَنَّى هَذَا؟ ﴾. والواد عاطفة، في: القداون هـذا وانتم الْتُتَسَبَّيُون فيمــا نزل يكم، إنَّ هذا الامر مستنكر استنكاراً يُنميُّبُ مه المتعجّبون.

ولسّاء هنا اسمّ زمان، فهي ظرفيّة بعثني دحين، وتختصُّ هذه بـــالصافعي، ولتضمُّتها معنى الشرط كانت بحاجة إلى جواب، ويكون جوابهما فعلاً مـاضياً كما في النصّ هنا، أو جملة اسميّة مقدوفةٌ بــدإذاء الفجــائية، أو بــالفاء. وقــد يُخذَفُ جــوابها لوجود دليل يَمَلُنُ عليه.

و دلمًا، الظرفية هذه تُلازم الإضافةَ إلى جُمُلة الشرط.

﴿ أُوَلَمَّا ٓ أَصَائِبَتَّكُم مُّعِيبَةً ﴾:

أي: أَوْجِينَ أَصَابِثُكُمْ مُصِيبَةً...؟

﴿ قَدْ أَصَبْتُمُ مِثْلَتِهَا ﴾:

لي: قد يَلْتُمْ مِثْلِيْهَا، العثلُ الْمُسَادِي، فعالْمِثْلان هُما مُسَادِي الشُّيء وقَدْرُهُ مُرَّةً أخرى، وفي هذا إشارة إلى أنهم في يدر قتلوا سبعن من المشركين، وأسُرُوا سَبْعين، لكن المشركين في أحد لم ينالوا أكثر من قتل سبعين من المسلمين.

يقال لفة: أصّابُ الإِنْسَانُ من العال. وغيره: أي: أخذ وتناول، ونَسَلُ. وقد كشر في الشُّنَّة استعمال فعل واشبَّت يُعيبُّ، بمعنىٰ: ثال، وأخد، وحاز، واستمتع، مثل: أصابُ كذا من الفتيمة، أي: ثال وأخذ. وأصابَ من امُوأتِه، أي: استمتع بهما، فكلُّ شيء يحصلُ الإنسان عليه يقال فيه: أصابهُ.

﴿قُلْتُمُ أَنَّ هَنذًا ﴾:

هذه جملةً جواب ولمَّاهِ .

وَأَنَىٰهَ هُمُنَا استفهاميـة، فهي أداة استفهام، وتـاتي بمعنى: وبنُ ٱلْبَنَ، وبمعنى: وكيْف.

والاستفهام هُذَا استفهام تَعَجَّبِيُّ، وهو بمعنىٰ: كِيفَ خَذَلْنَا رَبُّنَا وقد وعَذَنا النَّصْرُ على لسانِ رَسوله؟! أو من أيِّ مكانِ دَخَلَتْ علينا هذه العصيبة؟!

ويظهر أنَّ أصحاب هذه المقالة لم يضطئوا إلى المعصية التي ارتكُنَّها الطامعون في جمع الغنائم، النَّاركون لمواقعهم قبل أن يأذن لهم الرسول ﷺ، منصرفين لحيازة ما انكشف عه المشركون من أموالهم، فقالموها مُتَعْجَبِين وباحين عن العلَّة، هل هي من كيفية الإخلاف في الموعد، أو من جهة أنفسهم إذَّ تُنسِّبوا فيما يستحقون به أن يرفع الله عنهم عونه ومنذة لهم حتى النَّصر العبين، فجاء استعمال وأثَّى، صالحاً للمعنَّيْن.

وجاء الجوابُ مُبيناً مكان سبب المصية، إذْ علَّم الله رسوله أن يقول لهم: ﴿ قُلُ هُوَمِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾:

أي: أنْفُسُكُمْ هي المكان الذي صدر عنه السُّبَبُ، فحلَ بكم ما حلَ من مُعِيبَةِ الفتل والهزيمة.

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾:

هو يومُ احد، والجمعان هُما جمع المسلمين بقيادة الرسول ﷺ، وجمع لمشركين بقيادة أبي سفيـانُ بِّن حَرِّب، والمـرادُ من التقانهمــا التقاؤهُمــا على تَقَاشُل_م يَحَرُّب.

﴿ فَيِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ :

حول بيان بعض مواقف المنافقين في غزوة أحد وإقناع المؤمنين بأنَّ ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

الإَذُنُ فِي اللُّمَة يَاتِي بِمعْنَى الْعِلْمِ، يَسَال: أَوَٰنَ قُلانٌ يَـأَذُنُ بالشيءِ إِذْنَـاً وَأَنْنَا إذَا عَلِمَ بِهِ.

ويَــأتي الإذَنُ بَمَعَى الإبـاحـة ولكن هـذا المعنى لا يَصلُحُ هُنـــا، فـالله لا يُبِيـــحُ للمشركين إباحة تشريعيّة حُكْميَّة قَتْل المؤمنين.

لكِنَّ الْعَالَمَ بِالشَّيْءِ عَنْدُ خُدُونَه، وهو قنادر على أن يُشْغُ خُدُونُه، يَشْخِ إِشْدَاهِ الفاعل بالطاقة اللازمة له، أو بإقامة العقبات والمموانع، أو بالصرف والتحويل، فبإنَّ عَلَمْهُ عَدَائِذٌ يُكْثِرُ مَرْوناً بالتمكين القدري.

فيكونُ مُشْنَى فِوْنَهِأَذِنِ اللَّهِمَ على هذا، فِيعلَيهِ وتسكيه تمكيناً فَـذَرِيّاً، وتُسْجِيرهِ الأَسْبَابُ والعسبَيّات. وضِيقُنَ هذا المعنى تُفهَمُ مُعظُمُ النَّصُوصِ القرآنية الَّتي جاء فيها نحو هذا الاستعمال، مثل: [بِلِقُنِ الله _ يلدُّنِ رَبِّه _ بلِذِّنِ رَبِّهمْ _ بـ بلؤُن رَبِها _ بـالْذَبه، والضمير لهح].

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴿ ﴾:

أي: بِعِلْمِهِ وَإِبَاحَتِهِ وتمكينِه وتسخيره الأسباب والمسبّبات.

والاستثقان: إعلامُ مع طَلَبِ الإباحة والتمكين.

﴿ قُلُ فَأَدْرَهُ وَاعَنَّ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ :

فَاقْدُرُووا، أي: فَادْفَقُسُوا، اللَّرْءُ: اللَّهُمْ. يَسَالُ لَغَّةً: دَرَأَهُ بِلَدُرُوُهُ دَرَّاأً وَذَالًة دَفَعَهُ، وتَدَارًا الْقَرْمُ: أي: تدافعوا في الخصوبة ونحوها واخْتَلَفُوا.

وتغولُ: دَرَأْتُ الشيءَ، إذا دَفَعْتُهُ عَنْكَ.

وقول الله تعالى:

﴿ فَأَذَارَهُ تُمْ فِيهَا ﴾:

أي: تُذَارِأَتُمْ فِيها، بمعنى اختلفتم وتـدافعتم، فكلُّ فَحِيق يَدَّفَعُ عَنْ جَهَيْهِ قُسْلَ

النَّفْسِ الَّتِي قُتِلَتْ من بَنِي إسرائيل، ويُلْقِي التهمة على الفريق الآخر.

·w.

ما رُوِي في سبب النزول

هذا النّصَ كسابقه اتّفَق شيوخ أهـل التفسير من السّلَف عَلَىٰ أنَّ هـذا النصّ قد نزل بمناسبة الأحداث التي جرت في موقعة أُخدٍ.

والآيات فيه مع سِبَاقِ النَّصَ وسياقِهِ في السورة ظاهرةُ التوافق مع أحداث هـذه الغزوة.

مع النّص في التحليل والتّدَبُّر

قول الله عزّ وجلً:

﴿ أُولَمَّ ٱ أَصَنبَنَّكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَتِهَا قُلْمُ أَنَّ هَدَاً ﴾؟!.

لى: أوْ جِينَ أَصَابَتُكُمْ أَلِهَا المسلمون مصيبةً وهي مصيبتُكم المحاصلة بيَّغُ أَصُده، إذْ قُتِلَ مَنكُمْ سَبُعون، وكُنتُمْ قَدْ أَصَنْتُمْ مِن عَدْرُكُمْ بِثَلَيْهَا فِي بدر، فَقَتْلُمْ منهم سبعين، وأسرَّتم سبعين كنان في مقدوركم أن تقتلوهم أيضاً، لسَّا حصل ذلك قُلَّمْ من أيْنَ حصل هذا؟! أو كيف حصل هذا؟! متعجيين من الأمر، ظَانِّينَ أَنْ من حَقَّكُمْ عَلَى الله أن يُتَحَدِّمُ عَلَى كُلُّ حال، ولَوْ غَضَيتُمْ، وَخَالَقْتُمْ، ولَمْ تُحَقَّدُوا فِي الْفُبِكُمْ شُروطً النصر.

إِنَّ تَعَجِّبُكُمْ مَمَّـا أصــابكم هــو الــذي يستحلُّ أَن يَتَعَجَّبُ منــه المتعجّبــونَ لوتِشَرُثُم.

فالاستفهامُ في: ﴿ أَوْ لُمَّا أَصَابِتُكُم مُعِينَةً؟ ! ﴾ استفهامٌ تعجيبيٌّ من تعجُّيهم بقولهم: ﴿ أَنَّى هَذَا؟ إِنَّهِ. والجواب الرَّبَّاني الذي أمر الله رسوله أن يجيبهم به هو ما جاء في :

قول الله عزّ وجلّ:

﴿قُلْ: هُوَمِنْ عِندِأَنفُسِكُمٌّ ﴾.

أي: تسألونَ: من أين حصل لكم هذا الذي نزل بكم، متوقبين أنه من جهة. إخداف الوعد؟ أو كيف حصل لكم هذا وقد شيق وعد أنه لكم بالنصر على لسان رسوله؟ وجوابكم أنّ ما حصل لكم هو من عِنْدِ انْفَبِكُمْ فما في أنفسكم قد كان هو السبب الذي جَلَبَ لكمْ مَا أَصابِكم من مصية.

إنَّ وعد الله لكم بالنَّصر مشروط بـأن لا تُجلُّوا بما أرجب عليكم، أمّا وقد رُجِــَّ في نفوسِكُم الطُّمَــُمُ في الغنائم، وإرادةُ الـدنيا، فجركُمْ ذَلِكَ إلى التسازع في الأمر، والمعصية للرسول، فالفشل، والانهزام، فما بعد ذلك من أشيــاء، فالأمُـرُ كُلُّهُ من عِنْدٍ أَنْفُــِكم.

أنّا أسبابُ الله فقد كانت مُشَقَّدُة إليكم، لكنُكُمُ إَنْهَدَئَمُ عَنْهَا، وتركتموها، فكيفَ تنصُرُكُمْ أسبابُ لم تمبيكُوها، بَلْ تحوَّلُتُمْ عَلَها؟! كيف تشربون من حوض هجرتموه، واندفعتم نحو سراب غَرْكُمْ بالوهامه؟! كيف تَطْلُبُونَ من الله نصراً خارجاً عن حمدود إمكانياتِ أسبابكم، وقد خالفتم أثرةً وعَصْيَتُمْ رسُولَةً وَعَصْيَتُمْ قادتُكُمْ؟!

إنّ ما نزل بكم لَمْ يكُنْ تجاوزاً لقدرة الله، وإفـلاتاً من سلطانهــا، بل هــو ضمّن سلطانها، ولكن اقتضت حكمته جلّ وعلا أن يُنزِل بكم ما نَزِل بكم، دلّ على هـذا:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّي شَيْءٍ فَلَيْكِرٌّ ۞﴾.

فاكذ الله لهم أنه على كلّ شيء يشاؤهُ سبحانه قديرٌ، لا يُشجِرُهُ منْهُ شيء، ولو كان خَلَق السماواتِ والأرضِ وسا فوقَ ذلك أو نَشفَها وإزائتها إلى العدم، فما بَالْكُمْ يُنصَّرِكم على عدوكم، وهي من صُفَرِيات الأحداث؟!. لكنّ الله عزّ وجلّ لا يُجرِي تصاريفه في كونه بمنتضيات صفة قدرته فقط، بل يُجرِي تصاريفُهُ بقدرته القادرة على كلّ شيء، المقرونة بعلمه المحيط بكل شيء، وحكمتِه التي بِهَا تَبَمُّ إِرادَتُهُ، وقضاؤه وقَدَرُه.

إذن: فعليكم أن تبحثُوا عَنْ حكمة رَبِّكم فيما أَذِنَ بأنْ يُنْـزل بكم من مصيبة في أحد، وكذلك في كلّ مصيبة تنزل بكم مستقبلًا.

إنَّ البحث والتأمل يُهديهانكم إلى اكتشاف أنَّ حكمة الله عزَّ وجلَّ قضت أن يؤذبكم، ويُسرَيّيكم، ويَنْظي ما في صدوركم، ويمحَّصها ويميَّز المؤمنين الصادقين، ومن هم دون ذلك حتى دركة المنافقين.

وقد جاء ما يذُلُّ على عناصر هذه الحكمة في نصوص سابقة، ونصوص لاحقـة، جاء فيها بيانات وعظات وتعليقات على أحداث معركة أُحدٍ.

قول الله عزّ وجل:

﴿ وَمَا أَصَبَكُمْ وَمَا لَنَمَ الْمُنْسَانِ فَإِذْنِ اللَّهِ وَلِيمُلُمُ ٱلنَّوْمِينَ ﴿ وَلِيمُلُمُ الَّذِنَ وَقِيلَ لَمُمْ شَالُوا فَينُولُ فِي سِيرِلْ اللَّهِ لَوِا دُفَعُواْ قَالُوا لَوْنَعْلَمُ قِنَالًا لَا تُنْبَعْنَكُمْ ﴾ :

اي: وما اصابكُمْ من مُصِية تُعجَّبُمْ من تُؤولها بكم، يومَ التَّفَى جَمَّكُمْ وَجَمَّعُ مُخْرَكُمْ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَجَمَّعُ وَبَعْدِهِ مَسْكِمَ فَعَدَياً وَعَدَياً وَمَنْ اعداءَكُمْ مِنْكُمْ لَجَكُمةٍ وَتَحْمَيةً الوادَتِه، وهي وتسخيرهم من غيرهم ترييكُمْ وتأويزيه ويميزُهم من غيرهم ترييكُمْ وتأويزيه ويميزُهم من غيرهم أصحاب الرّبِب والشّك، وضعفاء الإيسان، فيعلم حدوث ما سبق في علمهم أنسسمُذُنُّ ، وليعلَم أيضاً عند هذا الأشوَّوا بَقَافاً عند هذا الأشادو، ارغات إسلامية وهم مُنافِقُونَ في الحقيقة .

وقد دلاً على نفاقهم هذا أنهم قبل لهم قبل معركة أُخد: تُعَالُوا قاتلوا في سبيل الله مؤمنين صادقين، أو تعالزًا إلى المعركة مدافعين عن جماعة المسلمين، أو مدافعين عن احسابكم وأهل بلدكم، ففالوا متعلّين بأعذارٍ ظاهرة البطلان: لو نعلم أنَّه سيكون قتالً حول بيان بعض مواقف المناهين في غزوة أحد وإقتاع المؤمنين بأنَّ ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

لاتبعناكم وقاتلنًا ممكم، ولكن سترون عند وصولكم إلى موضع الصواجهة أَنْ رايَّنا هو الأصوب، وترونُ أنَّ المغامرة تهلكُة، وترون الرَّجوع لـلاعتصام بـالمدينـة، أو لو نعلَمُ أنَّ سِيُّونُ قِتالُ يُطُنُّ معه النَّصر لاتبعناكم.

﴿وَمَاۤ أَصَانِكُمْ ﴾:

ما اسمُ موصول تضمَّنَ معنى الشرط، لذلك اقترن الخبر بالفاء ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهُ﴾.

﴿ وَلِيَعْلَمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

معطوفة على جملة مقــدّرة دلّتْ عليها عبــارة ﴿فَبَـاِذْنِ اللهِ﴾ أي: لتـــربينكم وتأديبكم، ولِنُعْلَمَ العؤمنين.

﴿ وَلِيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ﴾:

معطوفة على سابقتها, نافقوا: أي: أحدثوا نفاقاً, أو تظاهروا بإسلاميـات هم بها كاذبون منافقون.

وقد عرفنا أن المراد من علم الله هنا أن يعلم الأمر بُعـذَ وقوعـه، المطابقَ لِعِلْمِـهِ السابق به قبلَ وقوعه.

قولُ الله عزّ وجلٌ:

﴿هُمْ الْكُفْرِ يَوْمَهِذِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ الْإِيمَٰنِ ﴾.

نحن نعلم أنَّ المنافقَ كافِرٌ في باطنه غير مؤمن، فكيف يكون هؤلاء الذين نــافقُوا أقرب للكفر منهم للإيمان؟

لدينا احتمالان:

- (١) إنّا أن يكونوا قد أنشؤوا نفاقاً لم يكونوا فيه، وساروا فيه خطوات، لكنهم لم ينغمسوا بَعْدُ بالكفر الثابت، فيكونـوا كافـرين منافقين، وقـد صاروا بخطواتهم هذه أقرب للكفر منهم للإيمان.
- (٢) وإمَّا أنْ يكونُوا قد أَظْهَرُوا بأقوالهم وأعمالهم ما قدَّمُوا به دليـالاً من الأمارات

والعلامات الماديّة، ما يُنكُنُ المسلمين من الحكم عليهم بأنّهم قد صاروا أقــرب للكفر منهم للإيمان.

> فالدلائل تُرجِّعُ احتمال كُفْرِهِمْ على احتمال كونهم مؤمنين. وفي هذا إرشادُ رُبَانيُّ إلى أماوات الإدانَةِ البشريَّة.

> > 1 1 2 2 1

* قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَقُولُوكَ إِلَّهُ وَلِيهِمِ مَا لَيْسَ فِي تُلُوجِمُّ وَاللَّهَ أَعَلَمُ بِمَا يَكْتُنُونَ ۖ ﴾.

يكشفُ انه بهذا أنُّهم كذَّابُـون، ومِنْ أكافيهم قـولُهُم لِبَعْضِ الَّذِينَ خـرجوا مـع الرسول إلى معركة أحد من المؤمنين: قُو تُعْلَمُ قِتالًا لاَتَبَعْنَاكُمْ.

فهم يقولون بافواههم كلاماً عمّاً في قُلوبهم، مع أنَّه ليس في قُلوبهم ذلك الـذي ادْعَوْهُ وقالُوه بالسنتهم، إنَّهم يكتمون في قلوبهم عدم الرغبة بُنصَّرة الرَّسول، وعدم الرغة بانتصاره، ويظهرون بالسنتهم الإسلام، واذعباة الإيمان، والمحرصُ على انتصار الإسلام، وانتصار الرسول والمؤمنين معه، وهم في كلَّ ذلك كاذبون، وأقوالُهم إنَّما هي أُسلُّوبُ من أساليب النماق.

وإذا كان ما يكتمونه في قُلوبهم، قد يُشْفِئون عنه، فلا يكون حاضراً دواماً في تصوراتهم، وحركاتِ أفكارهم، وخلجات نُقُوسهم، ضافه عزّ وجلُّ لا يعزُّبُ عنه عِلْمُ ذلك في أعماق قلوبهم، طرفة عَيْنِ ولا أقلَّ من ذلك. إنَّهم قد يَعْفُلُون عَمَّا يكتمون في قلوبهم، لكنَّ أفته عزّ وجلُّ عليم به دواماً، لذلك جاه في النَّصْ:

﴿وَأَلَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُنُونَ ۞ ﴾:

أي: أعلم منهم بما يكتمون في قلوبهم، يضاف إلى هذا أنَّ بعض مَّا يكتمون في قلوبهم همو من قبيل المشاعر الحبيسة الضامضة، التي لا تستطيح أذهانهم ولا تصوَّراتهم تُخدِيدُ حقيقتها، لكنَّ الله يعلم حقيقتها علماً دقيقاً شاملًا، فهو سبحانه أعلم بما يكتمون.

ويلاحظ أنَّه قد جاء التعبير هنا بالأفواء، على خــلاف ما جــاء في سورة (الفتــح/

حول بيان بعض مواقف المنافشين في غزوة أحد وإقناع المؤمنين بأنَّ ما جرى لهم قد كان من أنفسهم

٤٨ مصحف/ ١١١ نزول) من التعبير بالألسنة ، في قوله تعالى :

﴿ سَيَثُولُ لَكَ ٱلْمُطَلَّمُوكَ مِنَ ٱلْأَمْرَ بِ شَفَلَتْنَا ٱلْمُوْلُنَا وَٱمْلُونَا فَاسْتَغَفِرْ لَنَابُعُولُونَ بِٱلْسِنَتِهِ مِنَّ النِّسَ فِي هُوْمِهِمْ . . . ﴿ ﴾ .

ويتأثل النَّميِّينُ وَنَصَّامِينِهما ترى انَّ النميرِ بالافواء يُشْجِر بالنَّهمِ يملُؤُون افواههم متشكّقين بكلام يُفخّدونه على قُلْر تجاويفها، حين يزعمون أنَّهم حريصون جداً على مشاركة المؤمنين في الثناز والدفاع، لو أنّهم يعلمون أنه سيكون فتالَ فعليُّ جادً. وهي حركة تلقائم يُندفع الكذّابُ المنافِرُّ إلى نَصَنَّبها، ليُفطِّي بِها كذْبَةُ ويْفَافه.

أمّا التعبير بالألبنة فقد جاء في وصف كلام معتذرين مستغفرين، وهؤلاء يأتُـون عادة مُتَمَسُّكِيْنِ لا يتشدّقُون. وقدْ يُغْضُّون من أصواتهم، ويكتفون بتحريك السنتهم.

فالتشدُّق بالمعاذير من أمارات الكذب، وعلامات النفاق.

وضَح لنا أنَّ هذا البيان قد تضمُّن ما يلي:

(أ) كشف الله فيه واقع حال المنافقين في سربرتهم على خلاف ما بسظاهرون
 به في أفواههم متشدقين.

(ب) أعلم الله المنافقين أنَّه لا تخفي عليه منهم خافية.

(ج) أبان الله للمؤمنين بعض أمارات النفاق وعلاماته، وهو التشدّق بالأفواه لدى المعاذير ودعارى صدق الإيمان والإسلام والحوص على المسلمين والرغبة في البذل من أجلهم، مع مخالفة الأعمال للأقوال.

...

قول الله عزّ وجلن:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا لِإِخْرَاثِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا فَيْلُوا ﴾:

أي: : هؤلاء المنافقون الذين يقولمون بافعواههم ما ليس في قلوبهم، هُمُّ اللَّذين قالُوا بعد معركة أُحدٍ عن إخوانهم، أو لأجل إخوانهم الذين قُبْلُوا فيهما، والحالُ أَنْهم كانوا قد قَفدُوا عن المعركة ونَصَحُوا إخوانهم بعدم الخروج: لو أطَاعونَا فيما نصحناهم به ما قُتِلُوا.

هذه المقالة من مقالاتهم تدُلُّ على عدم فهمهم لركن قضاء اللَّهِ وقـدره من أوكان الإيمان، أو عدم إيمانهم به كليًا .

وقىد تتضمُّنُ هَذِه المقالَّةُ تَصَمُّوزُ أَنَّ تَفَاهِيَ أَصَبُابِ السوت كُلُّهـا يمنىع حـدوث المعوت ويَذْرَؤُه، فجاء البيان التالي في تتمَّة الآية، وهو:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ قُلُ فَأَذَرُهُ وَاعَنَ أَنفُسِكُمُ ٱلْمُوْتَ إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ۞ ﴾:

أي: قل لهم يا مُحمَّدُ جوابـاً على ادّعاتهم أو تصَوَّرُهم الذي تضمَّتُتُهُ مَعَالَتُهُمُّ: فادَّفُمُوا عن أنفسكُم المسوتُ إذا جاءت آجـالكُمْ، إنَّ كتتم صادقين في ادّعـاء أنْ نفاديّ أسباب الموت يمنع حدوث المموت ويدرؤه.

والجواب هنا خــاصٌّ بالـرَدّ على مـذهب المــادّتيين السَبَبِيّين، الَــذين لا يؤمنــون بمفادير الربّ الخالق في الحياة والمــوت، والوجود والعدم.

وفي نصوص أُخْرى جاء الرَّدَ على الأوهام الأخرى حول هذا المموضوع، ومنهــا جميعاً تُستخْرَجُ كُلُّ الرَّدُود التي يَنكامُلُ بها عِقْدُ الموضُّوع.

. . .

النص الحادي عشر

من سورة (آل عمران/ ۳ مصحف/ ۸۹ نزول) ثالث سورة مدتية الآيسات مسن (۱۷۳ – ۱۷۹) حول الذين بدؤوا خطوات النفاق إيّان غزوة أحد ومسارعتهم في الكفر وتربية الله رسوله والمؤمين بشأمهم

هذا النص مثل النصين السابقين التاسع والعاشير، اشتمل على بينانات وعنظات وتعليضات ومتابعات تتعلَّق بالأحداث التي جرت في غنزوة أُحدٍ، وصا استتبعتُ هـذه الغزوة، وما كان من المتافقين فيها وبعدها.

يقول الله عزَّ وجل في سورة (آل عمران) خطاباً لرسوله:

...

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

(١) قرأ نافع: [وَلَا يُشْرِنُكَ] بضَمّ الياء، من احْزَنُهُ الأمرُ يُشْرِئُه. وهي لُغَة، أمّـا

قراءةً سائر القُرَاء فهي من حَزَنَهُ الْأَسْرُ يَحْزُنُهُ، وهي لَفَةً. قبال الجوهسري: حزنَـهُ لُغَةً قريش، وأخْزَنَهُ لغة تعييم.

- (٧) وقدراً حمزة: [ؤلا تُشْمَيْنُ اللّذِينَ كَفُرُوا] بتاء الدفطاب وقتح السين، فبين القدراءتين تكاشلُ في الأداء البياني، قبراءة جمهور الفراء تتحدث بالفيهة عن اللّذين كفروا، وقراءة حمزة تخاطبُ الرُسُول وكلّ مؤمنِ خطاباً إفرادياً، وهذا من الإيجاز الذي يعتمد على تغيير حرف واحد.
- (٣) وقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر: [زَلا يَخْسَبُنُ اللّٰين كفروا] بفتيح السّنن ويناء الغائب، وقرأ سائر الفرّاء العشرة [زلاً يَخْسِبُنُ الذينَ كَشُرُوا] بكسر السّنن ويناء الغائب. وهما لغتان للكلمة، يضالُ: خَسِبُهُ يَخْسَبُهُ وَيَحْسِبُهُ بفتح السين وكسرها في المضارع جَسْباناً بكسر الحاء، أي: ظَهُ يظّمُ ظُنَّ الظَّرُ.
- (٤) وقرأ حمزة والكسائي وَخَلْفَ: إخَمَّى يُمَيَّزُ الْخَبِيتُ مِنَ الطَّنِبِ] من مُيَّزُ بالياء المشددة يُنيِّزُ تمبيزاً، وقرأ سائر القُرَّاء (حَثَى بَمِينَ من مَاذ يُمِيزُ مَيْواً، أي: عزل الشيء وفرزه ونحاه، وهما لغتان في الكلمة والمعنى واحد.

(1)

المعنى العام للنّص

موافف المنافقين وأهل الرّيب والشّلك وضعفاء الإيمان في معركمة أُحْدِ وما بعدها، قدالُمَتِ الرسولﷺ، وفريقاً من المؤمنين الصادقين، فاقتضت الحكمةُ الْعِلاجِيُّةُ النَّرِيقِّة، إنزال بيانِ خاصّ مُوجِّه للرّسول، ويستفيدُ منه سائر المؤمنين تبعاً، مع ما فيه من توجيع غير مباشر لأصحاب هذه المواقف.

فقال الله عزَّ وجل لمرسوله:

﴿ وَلا يَسَرُّنُكَ الَّذِينَ يُسَنَّرِعُونَ فِي ٱلكُفْرِ أَيْهُمْ لَنَ يَشْمُوا اللَّهَ شَيْئًا أُمِيدُ اللَّهُ أَلَا يَجْمَلُ لَهُمْ حَظَانِ الْآخِرَةِ وَلَمْ عَلَاثُ عَلِيمُ ۞ ﴾.

في هذا النُّصْ قضيُّتان:

- القضية الأولى: عنابعة حركة تدرُّج الذين سلكوا مسلك النشاق، وذلك لأنهم بعد أن خَطُوا الخطوات الاولى في النفاق، تبعاً للذين كأسُوا عناقين من قبلُ، أَخَذَتُ خُطُواتُهُمْ تسارع في طريق الكفر، ويُختَى أن يُصِلُوا تربياً إلى حضيضه الوخيم.
- القضية الثانية: مُتابعة تربوية من الله لوسوله تُبيَّن له أنه لا يبغي له ان يحسزن إذا وجد بعض أتباعه لوتلوا منافقين، بعد أن كمانوا في ظاهر حالهم مؤمنين، فأحمذوا يسارعون في طريق الكفر إلى شفائهم، نظراً إلى أنهم مسائرون في مسيرتهم المرتمئة إلى مواقع الكفر الخالص في الباطن.

وهذا الحزُّنُ يُحرَكه في الرَّسول 瓣 أمران:

الأمر الأول: رحمته صلوات الله عليه وسلامه بهم، وحرصُه عليهم، وخوفه من سوء المصير الذي هم إليه سائرون فصائرون.

الأمر الثاني: تخوَّلُه ﷺ من تناقُص أصار هذا الدين، ومن حصول الضرر في صيرة الذعوة الرّيانية.

وقد عالجتْ تربية الله لرسوله لهذين الأمرين ببيانٍ لكُلِّ منهما.

(١) آمَّا تخوَّه على الدَّعوة الإسلاميَّة الرَّبَائيَّة من تساقص أنصارها، وارتِذَادِ بعْض المستمين إليها، بسُلوكهم مسالِك الثغاني الذي يحرَّهُمْ إلى الكُفْر الخالص، فقد جماء البيان بخصوص، يكشف للرسمول ﷺ أنَّ هؤلاء المذين يُسماوِعُونَ في الكُفسر لنَّ يشرُّوا الله شيئاً.

أي: لن يضرُّرُوا الله في مسيرة أنظمة أكوانه شيئاً، ولن يضرُّوا الله في ذاته أوصفائه شيئاً، ولن يضُّرُوا دين الله الدوّيد بنائيده شيئاً. فظهور هذا الدّين لا يؤثّر عليه ارتداد المرتدّين عنه، بنطاق أو بغيره، ولمو انحازوا إلى أعمداء الإسلام بكلّ صراحةٍ ووقاحة، فهم غير صالحين منذ البداية لان يكوثوا جنود دعوة، أو جنود جهاد في سبيل الله صادقين، دنّ على هذا قول الله عزّ وجلّ في النص:

﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا أَلَّهُ شَيْعًا . . . 6 .

 (ب) وأمّا رحمت ﷺ بهم، وخرقُه عليهم من سوء المصير، فقد جاء البيان بخصوصه يكشف للرسول أنّ من اختار لنفسه الكفر فقد قُلْث هو بنفسه إلى حيث يستحقُّ بعدل أه في حسابه وعقابه الحرمانُ من نصيم الجنّة، والعذابُ الأليم في النار.

وعَدْلُ اللّهِ في احكامه من إرادته الْعَدْلِيّة، وتشهيد هذه الأحكام من إرادته الجزائية المحكيمة العلالة، ومن استحقّ ذلك بهارادة الله الحكيمة الصادة، المبيِّسة على قضاك بالمدل، وحكمه بالعدل، المستند إلى فعل المجرم باختياره الحرّ، فليس هو بأهل لأن تُرْخَدَّهُ، وتُخْوِّدُ من أجله.

> دلُ على هذا نولُ الله عزْ وجلَ في النصُ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَا يَجْمَلُ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْآخِرَةُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمُ ۞ ﴾:

أي: فليس لهم حطٌّ في الجنَّه، وهذا من عـدل الله بإرانته الحكيمة، ولَهُمْ في النَّار عذابٌ عظيم، وهذا أيضاً من عدل الله بإرادته الحكيمة.

ويحد الحديث عن المذين سلكوا مسلك النضاق سدرعين في الكفسر تبعاً للذين مركّوا على النفاق، أبنان الله عزّ وجلٌ في النَّصَ حبال المذين استكماوا مسيرتهم في النفاق، واستقرّوا في الكفر، فاستبدلُوا الكُفّرُ بالإيسان، ولم ينَّ في قُلوبهم أي الْبَفّاتِ إلى مواقع الإيمان، وأمشّوا في مواقع الكفر الخالص، في الباطن.

إنَّهِم أيضاً مثلُ الَّذِين يسارعون في الكُفر:

(١) لَنْ يَضُرُّوا اللَّهُ شَيْئاً.

(٢) ولهم عذابٌ أليم.

دلُّ على هذا الفريق قول الله عزَّ وجلُّ في النَّصَّ:

﴿إِذَا لَذِينَ الشَّمَرُ وَاللَّهُ عَنْ إِلْإِيمَنِ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْعًا وَلَهُمْ عَذَابُّ أَلِيمُ ١

ومن هذا نُلاحظ أنَّ حركة النقاق فد تشابَعَتُّ خِلاَل أحدثُث غزوةٍ أُحُـدٍ وَبَعْدُهُــا ضمن خطُّ بيانيَّ اشتمل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بَدْوُهُمُ السَّيْرَ في طريق النفاق.

دلُّ عليها قولُ الله عزَّ وجلُّ في النَّصَ السابق من سورة (آل عمران):

﴿ وَلِيثُلَمُ الْنِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَكُمْ شَالُوَا قَتِلُوا فِي سِيلِالَةِ لَوِيْدَفُواْ قَالُوا لَوْنَفَلَمُ فِنَالُا لَانَتِمَنَكُمُّ هُمْ لِلصَّلْمِ يَوْمَهِمْ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمِينَ مِثْقُولُوسَ بِالْفَوْهِهِم مَالَيْسَ قُلُو هِمْ وَالْقَةَ أَضَامُ مِمَا يَكَمُنُونَ ۞﴾.

العرحلة الثانية: مسارعتهم في طريق الكفر مُتَجِهِينَ شَـطُرَ غَايتـه، بَقْدَ انْـزِلَاقِهِمْ في المرحَلَةِ الأولى.

دلَ على هـذه المرحلة قـول الله عزّ وجـل في هـذا النَّصُ الحـادي عشــر الـذي تدَّرُه:

﴿ وَلَا يَشَرُنُكُ الَّذِنُ مُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنْهُمْ لَن يَصُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً أُرِيدُ اللَّهَ أَلَا يَصُلَّ لَهُمْ حَظَّانِ الْآخِرَةِ وَمُعْمَّعَنَاكُ عَظِيمُ ﴿ ﴾ .

المسوحلة الثالثة: بلوغَهُمْ إلى غايـة الكُفر، واستقىرارُهُمْ في مُوقِعِه، إذِ الشَّمَرُوَّا الكُفْر بالإيمان.

دلُّ على هذه المرحلة قول الله عزَّ وجلٌ في هذا النَّصَ أيضاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا ٱلْكُفْرَ إِلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْعًا وَلَهُمْ عَدَّا أَبُ أَلِيدٌ ﴿).

ويَشَدُ أَنْ تَحَقَّنُ هؤلاء الذين نافقوا بالكفّرِ الخالص، إذَّ وصَلُوا إلى غايـة الطريق التي الزلقُوا في مبادئها أوَّلًا، ثمَّ سارعوا منحـيـدين في أواسطهـا، حتَّى اشْتَرُوا الكُفُّرَ بالإيــان في غايتها، واستقُرُوا في موقع الكُفْر، وَآبَقُوا ظاهر الانتماء إلى الإسلام نقاقًا، تحوّل الحديث عنهم إلى كلام من كافرين.

وهنـا يكشف الله عزّ وجـلّ طرفـأ من حكمته في إمهـالهم، وعدم المــــارعة في الانتقام منهم.

فالله عزّ وجلَ يُمُلِي لهم ليَنْمادُوا في مُمارسات الكُفر، فيزدادوا إثْمًا، وإذا ارْدادُوا إثماً كانت إدانتُهم بالكفر أقوى ادلّة واكثر براهين، وليم يكن لهم يوم الدّين صا يعتذرون به، من أنَّ ما كان منهم قد كان أثر طَيْش عارض، أو انفعال طارى.، أو جهالـَّة كان من الممكن أن يُصْحُوا منها. لو تُركَثُ لهم قُرصَةً الْتوبةِ والرَّجْعَةِ.

فَمَنْ أَشْهِلَ مَعْ الإَنْدَارِ إِنهِهَا كَافَياً للتوبَة، وقد فتحت له أبوائِها، ثُمُّ ظَلُّ مكامِراً معانداً، يزداد إشماً وطفيهائاً، فقد أسقط كل أعشاره، وكُلُّ تُعلَّذَته، واستَحَقَّ العقاب بلا شفقة ولا رَحْمةٍ، لأنّه لم يشفق هو على نفسه، ولم يرخمُها.

فقال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَا يَعْسَنَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْمَا أَمْعِلِ أَمْمَ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا تُعْلِ فَلَمُ لِيزَوَادُوا إِنْسَمَا وَقَهُمْ عَمَانَا مُثَمِّدِينٌ ﴿ ﴾ .

بعد ذلك النفت النّص إلى المؤمنين ليّبين الله لهم فيه حكمته حول تساؤلات قـد تقع في نفوسهم، ولو لم ينطقوا بها في ألسنتهم، ومن هذه النساؤلات ما بلي :

التساؤل الأوّل: لماذا أنّـزل الله بنا هـذه العصبية العـامّة الّتي شَمَلَتِ المحسنين والمسيئين يومَ أُحدِ؟

وحاء جواب هذا النساؤل النفسي في قول الله عزّ وجلّ في النصّ: ﴿ مَاكَانَالَقُدُلِيدُو ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ صَا أَانْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيرُ لَلْفَيْسَ مِنَ ٱلطَّيْبَ ﴾ .

أو: [خَنَّىٰ يُمَيِّزُ الخبيث من الطُّلَّب] في القراءة الأخرى.

أي: ليس من شأن الله ولا من شأن حكمته في مسيرة أولياته حاملي وسالتـه، أن يتركهم وقد اختلط بينهم الاخباث المنافقون اختلاطاً بجعل جماهير المؤمنين لا يميّرون بسببه المنافق الخبيث من المؤمن الطيّب.

فهذا الاختلاط من شأته في نظام الاسباب والمسبّبت أن لا يُمكّن رسالة الله من أن تبلغ مداهما الطّلاس، ولا يُمكّن المؤمنين الصادقين من الطُّهور في الاوض على أعدائهم الكثيرين، لأنَّ المشافقين سيتابهمون عبثهم من داخل صفوف المؤمنين، ويُتابهون مكايدهم، حتَّن بحتَّلُوا مراكز القيادة، فيطفوا برسالة الإسلام عن صراط الله المستيم، ويسلكوا بجماهير المؤمنين في مسالكُ شيطائية خيينة، وعندشة تسقط المسيوة في براش الشياطين.

فُسَلامةً مسيرة الدعوة الربّانية، وتنامي الامّة الإسلاميّة، يفتضبان هذا التمييز.

التساؤل الثنائي: إذا كانت الغاية تمييز المنافقين الأخباث السندسين في صفوف المؤمنين من المؤمنين الصادقين، لتحذير المؤمنين من مكايدهم، أما كماذ من الممكن أنْ يُنْوَر الله بصائر المؤمنين فيكشف لهم بدلك المنافقين، دون ابتلائهم باستحان عامً يتمرُّضون فيه للمصالب العامَّة؟

> وجاء جوابُ هذا النساؤل النفسي في قول الله عزّ وجلَّ في النَّصَر: ﴿ وَمَاكَانَ الشَّرْلِيُطُلِعَكُمْ عَلَى الْمَنْسِ ﴾ .

أي: ليس من سنة الله ولا من حكمته أن يختصُكُم بـالاطّلاع على سواطس قُلُوب العنافين، فتحذروهم بناءً على علمكم بهم. إنَّ ما تُكُنُهُ الْقُلُوبِ هو من دواشر الغيب الذي حجبه الله عن الناس بحسب سبَّته الثابتة.

هـذه هي الشاعدة والسُّنَّةُ الشابَعة، ولكن قيد يبجنبي الله من رُسُلهِ مَنْ يُسَاءً. فَهُلِلْهُهُم على ما يشاه ممّا هو غيبٌ عن الناس بحسب سنته، لحكمة من حكمه الجليلة تبارك وتعالى:

وبياناً لهذا الاستثناء فال الله عزّ وجل:
﴿ وَلَنَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَنَى مِن زُّسُلِهِ مَن يَشَآ ۗ ﴾.

فعلى المعرّمين إذنّ أنّ يُذَقّعوا عن انتسهم وانعانهم كلَّ الْخُواطِر الَّتِي يُشَكِّكُ في حكمة الله في تصاريف بقضائه وقدره، مهما كانت مُخَالفةً لَمَا يُحبُّونَ، ومهما اشتملت على مكارة لهم يكرهونها.

فمثل هذه الخواطر تُؤتِّر على كمال الإيمان الذي يستوجب التسليم الكامل فه فيما تجري به مقاديرُه، ويستوجبُ النّقة النّائة بأنّه هُوَ الأحكم والأصلح، فهو سبحانه وتعالى العليم الحكيم، الذي لا تنفلُّ حكيتُه المظيمة عمّا تجري به مفاديره، وإن جاءت على خلاف ما يهوى المؤمنون أو يحيّون.

وإرشاداً إلى هذا العنصرُ من عناصر الإيمان، وتنبيهـاً على وجوب التقيُّـد به، والمحذر من خَدْشِهِ بالخواطر والتســاؤلات حول مقــادير الله الحكيمـة، قال الله عــزّ وجل

للمؤمنين بعد بيان سنته الحكيمة لهم:

﴿ فَكَامِنُوا إِلَهٌ وَرُسُلِهِ عَلِن تُقْمِنُوا وَنَسَّقُواْ فَلَكُمُ آَجَرُ عَظِيدٌ ﴿ ﴾ :

أي: فأكملوا عناصر إيمانكم بالله ويعلمه وحكمته، وأكملوا عناصر إيمايكمْ برُسُلِه، ولا ترتابوا في صدق وعودهم، ولا تنقصوا هذا الإيسان شيشاً، أو تجرحوه بالخواطر الْمُشْكُكة بكسال حكمة الله عزّ وجلّ، وإن تُمُونُوا هذا الإيسان الكاسل المصحوبُ بالتسليم النامَ لله ورسوله، وتقوا مخالفة أوامر فه والرسول ونواهيهما، فلكُمْ بهذا الإيمان وهذه التفوى أجرٌ عظيم.

. . .

(۲)

المفردات اللغويّة للنّصّ

﴿ وَلَا يَعْدُنكَ ﴾ :

الحزن: قال اللغويُون هو نقيض الفرح، وخلاف السرور. أقول: يمكن أن تُعرَّف بأنَّه مشاعر ألَّم في النفس بسبب محبوب أو مرغوب به فنات، أو بسبب مكروه نازَل، أو بسبب مكروه متوقّع النزول كالحزن على محكوم عليه بالإعدام.

وفعله: حزَّنه يَحْزَنُهُ واخْزَنُهُ يُحْزِنُه حُزْنًا. فَهُوْ مَحْزُونُ وحزينٌ وحَزِنٌ. وهم جـزَانٌ وحُزَناه.

﴿ يُسَدِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ :

السُّرْعةُ: العجلة، وهي في العمل في الحركات المتنابسات، إنجازُ الحركات مع تقليل الوقت بحسب نسبة السُّرْعة، وتُحكُّسُهَا البطء، ولكلُّ منهما درجات كـدرجات الحرارة والبرودة.

والمسازغة، فيها معنى العبالغة في السُّرغة، لأنَّ صيغة العفاعلة إنَّ لم تَذَلُّ على العشاركة فهي للعبالغة. يقــال: سازغ يُســارخُ مسارغــةُ إلى الامر، أي أســرع بحركتــه أو في طريقه للوصول إلى الامر. ومعنى يسارعون في الكفر، يُسَارِغُونَ بخطواتهم المتنابعات في مُنْخدرات الكفر، يسلوكهم مسالك النقاق، وغابة مسارعتهم الوصولُ إلى حضيض الكفر.

﴿حَظَّا﴾:

الحظّد: التصيب من الخير أو النعمة أو السعادة أو الفضائل النفسيّة أو ما فيه نفع، وقد جاء في القرآن استعماله في التصيب من الميراث، وفي النصيب من الأموال، وفي النصيب من فضائل الأحلاق، وفي النصيب في الأخرة من الجنّد، وفي النصيب من الوصايا والشرائع والأحكام الدينية الرّبانية (وقد استعملت الكلمة في القرآن سبح مرّات).

﴿ ٱشْتَرُوا ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴾:

أي: استدأوا الكفر بالإيمان، فاخدوا الكفر وتركوا الإيمان، وفي هذا التعبير استمارة قائمة على تشبه عمليّة ترك الإيمان واغتناق مفهومات الكفر، بعمليّة البيع والشراء.

﴿ نُعْلِيٰهُمُ ﴾:

أي: تُمْهِلُهُم. يقالُ لغةً: أملَىٰ الله له، أي: أطال له وأمْهَلُهُ. ويقال: أَسْلاَهُ اللَّهُ العيشَ، أي: أمهلُهُ وطُول له.

﴿حَتَّى يَمِيزُ ٱلْخَيِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾:

الخبيث: الرَّديء الفاسدُ الضَّارُ من كلَّ شيء، وقد بطلق على الشيء الكريه في رائحته أو منظره، ولو كان نافعاً كتباتي النوم والبصل كَرِيهي الرائحة مع نفعهما.

لِهَالُ: خَبُّثَ الشيءُ خُبثًا وخبائةً، إذا صار فاسداً رديثاً مكروهاً، فَهُو خبيث.

والطيّبُ: ضِدُّ الخبيث، ويُطالق على الطاهس، والطيّبُ من المماكل ما هو لـذيذ لا ضرر فيه، الطبّ من الأرض ما كان منها طاهراً نـظيفاً، ومـا كان منهـا خصبياً حسن الإنبات. والشجّر الطيّب الذي يؤتي أكّله جيّداً بإذن ربّه، والشجر الخبيث لا بخرج إلاّ غيـراً نكِداً.

وهكذا فكلمنا الطيب والخبيث من الكلمات العامَّة، المتضادَّة.

﴿ ٱلْنَيْبِ ﴾ :

الغيبُ أثرَّ بنَّسِيُّ وهو كُلُّ معجوب عن إدراك الصدوكِ فهو بـالسبة إليه غيب، وقد لا يكون غياً بالنسبة إلى غيره، فسا يكون غيباً بالنسبة إلى يعض المخلوقات قمد يكون شهوداً بالنسبة إلى مخلوقات أخرى، والحجاب الذي يجمل الشيء غيباً، قمد يكون الماضي، أو المستقبل، أو البعد المكاني، أو وجود حاجز، أو عجز أداة الحسّ عن الإدراك.

﴿ يَجْتَبِي ﴾ :

أي: يختار ويصطفي، يُقالُ لغةُ: اجتباهُ يجتبيه اجتباءُ، إذا اختاره واصطفاه لنفسه.

-

ر ٠٠) ما روي في سبب النزول

ظاهر هذا النصّ كسابقيه، قد نزل بمناسبة الأحداث التي جرت في موقعة أُسُدٍ، وبعدها، والآيات فيه ظاهرة التوافق مع هذه الأحداث.

(*)

مع النَّصَ في التحليل والتَّدَبُّر

قولُ الله عزّ وجلّ خطاباً لرسوله:

﴿ وَلَا يَعْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْكُفِّرِ ﴾.

أو: [وَلَا يُحْزِنْكَ] في القراءة الاخرى.

لي: ﴿ولا يحرَفُك﴾ يا محمَّد ﴿الدَّينَ﴾ كناشوا معنك مسلمين، ثَمَّ بَسَدُّوها خُطُوْاتِهم في أوائل سُبُل النَّفاق مع المنافقين، وهم الآن يُسارعون بناعمالهم النظاهرة والباطنة ﴿في﴾ طريق ﴿الكثر﴾ مُتُوجُّهِي إلى مواقع الكُفر الخالص، الذي ليس فيم من عاصر الإيمان شيء. وبهذا الفهم يتضع لنا الغرض من تُذيبة فعل ﴿ فَيَسَادِهُونَهُ بِحَوْفَ ﴿ فَيْ ﴾ فلوس الغرض مجرّد التعبير بالنّهم يسارعون إلى الكفر، بل الغرضُ بيانُ حركةِ أعسالهم التي يُسَادِعونَ بها، والإشارةُ إلى الشُّئُلِ التي يجعلون حركتهم السَّريعة فيها، ويَبَانُ الغنابة التي تَشْهِي عندها مُسَارِعتُهم وهي الكُفر الخالص.

فـدَلَ على الأول فعـل ﴿يسـارعـونَ﴾ ردَلَ على الشَّاني حـرف ﴿ني﴾ ودَلُ على الثالث كلمةُ ﴿الكفر﴾، وبإبراز المطويات بيَّن المثاني تُظهُرُ المعاني.

قول الله عزّ رجلً:

﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيَّناً ﴾.

أي: ﴿أَيْهُم ﴾ بسلوكهم مسالك الضاق، ومساوعتهم في طريق الكُفر مُتّجهين للإستوار في الكُفر الخالص ﴿أَنْ يَضُرُوا الله شيئاً ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في قوابين كوف، ولا في سيرانية الثابئية التي يُجري على وفقها تصاريفه في السماوات والأحياء والناس، ولا في مسيرة دعوة رسوله التي تضى لها بالظهور والانتصار والاستمالاء في الأرض على سائر الدعوات، مهما تألّب عليها الإعداء من الخارج والداخل، أو أنحس عن مُناضَرَتِها المنافقون والمرتَّدون.

لَا تَحَزَنْ يَا مُحَمَّد من أَجَلَ السَّين وحرصك على ظهوره وانتصاره، فَهُو مَوَّيدً بتأييد الله، وسُيُظهِرُهُ اللَّهُ على الدَّينِ كُلُّه ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون.

ولا تحرَّنُ من أَجُل هؤلاء المسارعين في الكُفُّر، فبإنّهم لا يستحقُّونُ شفقتكَ عليهم، ولا رحمقَـكُ يهم، وارْضُ بمُرادِ اللهِ فيهم، فسإنَّهُمُ بمُسَسارِعَتِهمْ فِي الكُفُّـرِ استحقُّوا أن لا يكون لهم حظَّ سعيـد في الاعرة، واستحقوا أن يكون لهم عــــفابٌ عظيم.

قول الله عز وجل:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْمَلُ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلَّاخِرَةِ وَلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ﴾.

أي: ولمَّا استَحقُوا بفتض قانون الصدل العكيم، أن لا يكون لهم حظَّ سَيبَدُ في الاخرة، وأنْ يكونَ لهم عـذابُ عظيم، فـإنَّ إدادة اللهِ الستايحة لحركة أعسالهم النُتَنَابِعة المتجدَّدة في الجرائم، تقضي بـأن لا تعفل لهُمْ مَـظَّا سعداً في الاحرة في جنات السهم، وتقضي بأن يكون لهم عدابُ عظيم، ملائمٌ لجرائمهم العظيمة، في دار العداب الأليم.

هذا هو مقتضى حكمة اللَّهِ الرُّبِّ العليم الحكيم.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّا لَّذِينَ اشْتَرَوا ٱلكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَصُرُّوا أَقَهُ شَيْمًا وَلَهُمْ عَذَاجُ أَلِيتُ ﴾:

أي: هؤلاء البنين نافقرا تُمْ أَخَدُوا يُسارِعُون باعمالهم ومسارسانهم في طريق الكفر، قد انتهت بهمُ المسيرة المتحدرة المجرمة، إلى أنْ بَلَغُوا موقع الكفر الخالص من كل عناصر الإيمان، فاستبدلوا الكفر بالإيمان، فالقوَّلُ فيهم الأن كالقول فيهم إذْ كانوا يسارعون في الطريق الموصل إلى الكفر الكامل، مع النَّبيه على أنَّ المذاب العظيم الذي لهم، هو عذاب اليم أيضاً، فهو عظمُ واليم.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَا الَّذِينَ كَشَرُوا الْمَانَسُ لِي لَهُمْ خَيْرٌ ۚ ثِلَا أَشِيهِمْ إِنَّمَا نَسْلِ لَمُمْ لِيزَدَادُوا إِلْسَمَّا وَلَمُ عَذَابٌ مُنْهِينٌ ﴿ ﴾ :

أي: هؤلاء الـفين اشتُغُرُوا في الكُفْرِ في الباطن، مع اتَختاذ نقيَّة النفاق في الظاهر، تُشهِلُهُم كما نُشهلُ سَائر الكافِرين الصنافقين والمعجاهرين يكفرهم، فيحسُّرونَ أنَّ مَا هُمْ فيه هـو لمصلحتهم، إذَّ يمكُنُهم من الاستقرار في معيشة هادلة مطبشة، بعيدين عن أن تنزل بهم نقمة المؤمنين الصافقين.

لكنَّ ظَنْهُم هذا ظنَّ مُغَنَّرُ بالظواهر، غيْر مستَبْصِر بحقائق الامور، إنَّهم ينخدعون بائمهال الله لهم، فيظُنُونَ أنَّه لا تُوجَدُّ قُونًّ غييبُةً قاهرةُ قاهرةُ على الانتقام منهم، إذْ قَدْ حول اللبن بدؤوا خطوات النفاق إيّان غزوة أحد ومسارعتهم في الكفر وتربية الله رسولةُ والمؤمنين بشأتهم

مُضَتَّ مُشَّةً كافيةً فيما يَصْرِفونَ مَنْ ظَيَائِع البُسْرِ، لإنْزَالِ النَّقَمَة بِهِم، لكُمُّها لَم تَشْرِل بُقُدً، فلو كان هذا الدين الذي كفروا يه في سريرتهم حقّاً، لنزلت بهم مقمة الله، عقاباً لهم على كفرهم ومكايدهم.

إنَّ ظُنُّهم هذا ظنُّ باطل، فالإمْهالُ له في قضاء الله وقدره حكمة بالغة.

وكذلك من ظنَّ مثل هذا الظَّنَ من المؤمنين بوجُّهِ آخرَ فظنَّه غير صحيح أيضاً. إَذَكَ: فصحَّعْ فَهَمَكَ أَيُّها المؤمِنُ ﴿وَلَا تَحْسَبُنُ﴾.

إذن: فلا يُغَرِّنُ ﴿ وَلا يَحْسَرُ الَّذِينَ تَغُرُوا أَنَّمَا نَعْلَى لَهُمْ فَنْمِهُمْ ، وَلا نَمْجُلُ لِهِم العقاب ﴿ خَيْرُ لَالْقَبِهِمْ ﴾ بِلْ هُو إذَا لم يُحُوبًا إلى سرائهم ، ويرجعوا إلى مواقع الإيمان والتَقْرَى، شرَّ لِهم ﴿ أَشَا نَشْلِي لَهُمْ إِيرْوَادوا إِنْساً ﴾ في مُسدَّة الإمهال حن يُصِرُونَ على تُخْرِهم وَلا يتوبُون ، ويانون النامهم مع وضوح الحق لهم تغفيغ يرم الحسب والجزاء أغذارُهم ، فلا ينقى لهم عَذَر يعتلرون به وتكون متراهمات أشامهم من قبط المتعلق المنافقة بالقهم معمنون في الكفر والفجور، ولم يكن تُضُرُهم وفجورُهم من قبل المتنافقة عند صحوات الضير، وبذلك يستخون دخول دار العذاب يوم الدين ، ﴿ ولهم ﴾ فيها ﴿ عذابُ عُهِينَ ﴾ أي : مُذلُ لهم، وهو في مقابل بُلْمِهمْ وتَعَالُولِهم على مَقَام الخالق القادر القاهر المنعم جلً

فتحصَّل أن لهم عدَّاباً عظيماً أليماً مُهيناً.

• • •

قول الله عزّ وجلّ:

﴿مَاكَالَهُ لِلدِّنَا لِلْفُرِينَ عَلَىٰما آئَمُ عَلَيْهِ مَنَّى بَعِيزَ لَقَيِيهُ مِنَالَفَيْتِ وَمَاكَانَاكُ يَظْلِمَكُمْ عَلَ الْفَتِّبِ وَلَكِنَّ الْفَدَيَّقِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاهُ أَغَايِفُوا إِلَّهِ وَرُسُلِهُ عَلِي فَقَصْوا وَمَنْظُوا ظَلَكُمْ أَنْمُ عَظِيدٌ ۞﴾:

أي: وأمّا أنتم أيّها المؤمنون فلا تُعْبَثْ فيكم وساوسٌ الشيطان وخواطر السـوء. فتقومَ في أنْفُسِكم مُقْتَرَحاتُ تقترحونها على اللّه، فيما هـو من خصائص مشاديـو، العلازمة لعلمه وحكمت، فتطنّوا أنّه قد يكونُ من الإصلىع أن يُنْصُرَكم دون ابتلائكم لتمييز المنافقين المخالـطين لكم من المؤمنين الصادقين، أو يكثيف لكم المنافقين فيُطلمَكُمُّ على ما في قلوبهم، تُميزُّوهم عنُكُمُّ، وتُتُقُوا مُمفونكم منهم.

اعلموا أنه : ﴿ مَّا كَانَ أَلَّهُ لِيكُوراً لُمُوَّمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْدِ ﴾ :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِمَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ :

لي: وليس من شائه ولا من سُتِيه، أن يُنَيِّرُ مَظامَ جَكَنِيه في خَلْفِه، فَيَخْصُ السؤمنينَ وَالنَّمْ مِنْهُمْ سِاطْمَادِعِهِم على الغَيْب، وينسهٔ سَرائِسُر القَلُوب، حَمَّى تَكْشِقُوا المنافقين في صُفُونِكُم، فَصَيْرُوهم، وتَنْزِلُوهُمْ، وَتَشْلِموهم من صغونُكُمْ.

فَفَضِيَّةُ الإطْلاع على الْغَيْبِ مَمَا يَخْصُ الله به رُسُله الَّـذِين يَجْتَبِيهم ويصطفيهم بمشيئته لحمل رِسَالاته، ولا يَجْعَلُه أمرًا عامًا لكلِّ المؤمنين.

إِذَنَّ: فاحَّفَرُوا أَلِمَّا المؤمنُونَ مِن هَلَمُهُ الخُواطُرُ والوساوس، التَّلُّ تَجْرَعُ إِيمانَكُم، إِذْ هِي شُخُوكُ فِي كمالُ حكمةِ الله ﴿فَامِنُوا بِاللهِ ﴾ إيمانًا كابلًا نقياً من الشكوك، ومن أن تَظُنُوا باللهُ مَا لاَ يَلِينُ بكمال صفاته، و ﴿ أَمِنُوا﴾ بـ ﴿رُسُلِهِ﴾ وبصِنْقهم فيما يُبلَقونُ عن رَبُهم، ومن قلك وعُذْهم لكم بِتَأْبِيد الله ونصره ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾ هذا الإيمانُ الصادقَ الذي لا تُخالطُه شكُوكُ ولا ظُنُونَ لا تلقُ بالله ورُسُله ﴿وَتَقُوا﴾ الله في أعمالكم الباطنة والظاهرة ﴿فَلَكُمْ أَجْرُ عَظِيهُ﴾ عند ربكم في عامل أمركم وأجله.

وجاء ذكر الرَّسل هنا مع أنَّ المقصود الرسولُ محمَّد ﷺ لتثبيت عقيدة الإيمان بكلَّ الرُّسل، وأن المؤمن المسلم لا يفرق بين رسول، وآخر في قضية الإيمان.

عظات حركة النفاق

اقتباساً من النصوص القرآنية المنزّلة في سورة آل عسران

أَوْلًا: نَهَىٰ الله المؤمنين نهياً مُشَدَّداً عن اتَخاذ بطانـة لهم من المنافقين، فضلًا عن اتَخاذ بطانةٍ من الكافرين المجاهرين بكفرهم.

- (أ) لا يقصّرون في إفساد أحوال المسلمين من الداخل.
 - (ب) يُودُّون كلِّ عَنْتِ ومشقَّةٍ وضرر وإضرار للمؤمنين.
 - أمارات المنافقيس:
- (أ) قد بدت البغضاء من أفواههم وفلتات ألستهم.
- (ب) إِنْ تَمْسَسُكُمْ حسنةً تسؤهم وإنْ تُصبكُمْ سَيْنةً بفرحوا بها.

حقيقتهم تجاهكم:

- (أ) ما تُخفي صدورهم من البغض لكم أكبر مما يظهر على ألستهم من فلنات أقوال.
 - (ب) إنَّهم لا يُحبُّونكم مطلقاً.
 - (ج) إذا خَلَوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ.

ثانياً: الامتحان الشديد في غزوة أحد كشف منافقين كانوا يُخفُون نفاقهم، ودفح بعض ضعفاء الإيمان وأهل الرَّب، للسير في طريق النشاق مع المشافقين، حنَّى بلغوا غايت، فكانوا كافرين في حقيقة حالهم، وباطن أمرهم.

الظواهر:

- (أ) تخلُّف منافقون عن الخروج مع الرَّسولﷺ.
- (ب) انخذل منافقون وهم في الطويق، ورجعوا إلى العديث، وقالوا: لو نعلم
 قتالًا لا نبعاكم.
- (ج) لمّا تعرض المسلمون بسبب مخالفاتهم لما تعرضوا له من مصائب،
 نجمت بدايات النفاق في أهل الريب والشكّ وضعفاء الإيمان.

فظهر فيهم:

- مَنْ يَظْنُون بِالله غير الحق ظنُّ الجاهلية، ويقولون أقوالاً تتنافى مع صدق الإيمان.
- وَمَنْ قَـالُوا: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مِن الأَصْرِ شيءً، إذْ لَمْ يَعْمَىلِ السُّرسُولُ برأينا
 وَمَشُورِيّنَا الصَّائِة.
- وَمَنْ قَالُوا: لو كان لنا من الأمر شيء، ما قُتِلَ من قُتِلَ مِنْا فَهمنا في معركة أُحد.

ثالثاً: كان من السنافقين الذين انخذارا عن الرسول في بعض الطريق، والأعرين الذين لم يخرجوا مع الرّسول ابتــداءً، أنّهم استغلوا ما حــدث من قتل في العسلمين وهزيمة، فقالوا: لوكان إخوانًنا عندنا فلم يُخَرِّجوا إلى المعــركة كـسا لم نخرج نحنٌ سا فَيْلُوا. وقالوا: لوأطاخنًا إخواننا فارْتُدُوا معنا، أو لم يخرجوا ابتداءً ما قبلوا.

المظات

من هذه الظراهر التي سجُلها القرآنُ لحركة الفاق، وعالجها بالتربية الإينانية الإسانية الإسانية الإسانية الإسانية الإسانية، وتصحيح المفهومات، تصحيحاً محاصراً من كلَّ الجروانب بالبيان والإلتاع المقالة على الحجج والرُّجوع إلى الأسس الإيمانيّة، يتّخذ المؤمنون عظاتٍ يتعظون بها لحركات الفاق في كلُّ عصر، ويتخذون تجاهها المواقف الإسلامية التي وعظهم الشعر وقبل بها، وحذّهم فيها من الانزلاق مع مؤمرات الكيد التي يكيدها السنافقون، وهم مخالطون مُذاخلون.

مقدمة عامة

حول موجز غزوة الأحزاب

- (١) كان يهود بني النضير قد أجلاهم الرسول ﷺ في شهر ربيح الأول سنة أربع للهجرة، عقاباً لهم على خيانتهم، ونقضهم للمهد، إذ ديروا مؤامرة اغتياله صلوات الله عليه، لما قدم إليهم مع نفر من كبار أصحابه، في شبأن مشاركتهم في دية قتيلين من يني عامر، حسب بنود المعاهدة القائمة بينهم وبين العسلمين.
- (٢) وكمان قد ارتحل معظمهم إلى خيبر، وآخرون منهم إلى الشام، وكمان قائدهم وحبرهُمْ يومئذ وحميني بن أخطب.
- (٣) اجتمع زعماء يهود دبني الشهيره في خيبر، وقرروا تأليب العرب مع آخر قبيلة يهودية بثيت في المدينة، وهم دبنر قُريَظة، على المسلمين، وتجميعهم في جيش واحد، يكون قادراً على استثمال شأتهم، وإبادتهم عن آخرهم.
- (٤) فخرج عشرون من رؤساء اليهود وساداتهم، منهم نفرٌ من بني النَّفسِر،
 ومنهم نفر من بني وائل.
- فمن بني النضيــر: وسالام بن أبي الْحُقَيْق، وحُيَيُّ بْنُ أَخْـَطْب، وكِنَـالْــةُ بْنُ الربيم».

ومن بني وائل: ههوذة بن قيس، وأبو عمَّاره.

فحرضوا قريشاً على فتال المسلمين، وينبوا لهم خطّتهم في أن تجتمع كلمة قبائل مشركي العرب ويهمود بني قويطة ضدّ المسلمين، وأن يضربوهم في المدينة ضوية واحدةً، فاستجابت قريش لذلك.

- (٥) ثُمُّ خرج الوفد اليهوديِّ إلى قبائل غطفان، فدعوهم إلى مشل ما دَعَـوًا إليه
 قريشًا، فاستجابوا لهم طمعاً في الغنائم.
- (٦) وعلم الرسول 義 بنبأ اجتماع قريش ومن معها، وقبائل غطفان^(١) على حرب المسلمين، وضربهم عن قوس واحدة.

فاستشار أصحابه، ثمّ قرّر خطّة الاعتصام بالمدينة، واتَخاذ موقف الدّفاع، وفَيلً مَشُورة وسلمان الفارسي، بحفر الخندق في الجهة المكشوفة من الصدينة وهي الجهة التي يمكن أن يُذاهم منها جيش المُمذّر.

- (٧) وقام المسلمون بحفر الخندق قبل قدوم جيش الاحزاب، وعَاتُوا بذلك مشقةً كبيرة.
 - (A) قدمت كتائب الأحزاب، وكانت كما يلي:
 - (أ) وأربعة ألأف، من قُريش ومن معها.
 - (ب) وستَّة آلاف، من قبائل غَطَفان.

ونزلت خارج المدينة.

(٩) قدم دُحَيِّ بن اخطب، سيد يهود بني النضير، ورأس تدبير المكيدة ضدّ المسلمين، إلى سيد يهود بني قريظة وكلب بن أسده فعا زال يحاول إقناحه بومسائله حتى جعله يوافق على نقض العهد مع الرسول ؟ قبائل العرب القادمة إلى المدينة، والندر بالمسلمين من وراه ظهورهم.

واختار وُسُمِينُ بن اخطب؛ لإقناع الْفُرظين بتقض عهدهم مع الرسول ﷺ الوقتُ المناسب الذي يشعرون به أنَّ المسلمين قد أَمُسُوا في موقف الضعف، وفي شدَّة بالغةِ من أمرهم.

⁽١) كانت منازلهم ببجد مما يلي وادي الشرى، وجبل طيء، ويرجم نسبهم إلى مصد بن عفدان، أسلموا ثم اوتدوا بعد وفاة الرسول على فصاريهم أبو بكر الصديق، إذ بعث إليهم خمال بن الوليد، فتناهم شرّ تنلة. كانوا يعدون والمرّزي، وكان فهم صمم في مشارف الشام يحجّون إليه، يقال له: والأقيمرء (معجم قبائل العرب).

(١٠) وعلم الـرسول 樂 بمــا قعل يهــود بني قريــظة من نقض لعهدهم، فــاهـتم للأمر، ولكنّه توكّل على الله، وأظهر للمسلمين ثقته التامة بالله وبنصره.

ففرُق الله بين اليهود وأحزاب العرب، بــرجــل من غـطفــان، أسلم وجــاء إلى رسول الله 義، وهو وتُعَيِّمُ بن مسعود بن عامر الأشجعيّ.

فقال له الرسول: إنَّما أنت فينا رجلٌ واحد، فخذُّل عَنَّا إنِ استطعت، فإنَّ الحربَ خُدَّعَة.

فقام ونُغيِّم، بحيلة محكمة فرنَّى فيها بين الأحزاب.

(۱۱) حاصر جيش الاحزاب المسلمين من وراء الخندق، لاتُهم لم يستطيعوا اختراق، وتناوش الفريفان بالنبل، واقتحم بعض فرسان المشركين من مكمان ضبي من الخندق، فأشرى عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه إمشرو بنبو عبد ودً، وكمان من أقوى العرب وأشجعهم، فنصره الله عليه فقتله، ففرَّ من كمان قد اقتحم، وقضل رجاعاً إلى جيش المشركين.

(١٣) وطال الحصار، حتى بلغ قريباً من شهر، من آخر شوال إلى أواخر ذي القعدة، ونـزل بالمسلمين جـوعٌ وخـوتٌ وليـال بـاردات، وزاغت الابصـار، وبلغت القلوب الحنـاجر من شـدة الخوف، وإنّلي المؤمنـون ابتلاءً عـظهـماً، وزُلْوَرُلُوا زُلْوَالًا شديداً، فالعدو أمامهم بجيشه الكبير المحاصـر لهم، واليهود الـذين نقضوا المهـد من وراء ظهورهم يُبدُونُ المُدَّة لِحَرْبهم.

(١٣) ونجم نفـاق المنافقين في صُــورٍ متعدّدة، قبــل وصــول جيش الأحـراب، ويعد وصولهم ومحاصرتهم للمدينة.

وأخـذت الظُنـون والمقالات السُيئـات تدور في نفـوس المنافقين وعلى ألسنتهم وفي نفوس الذين في قلوبهم مرض في أثناه الحصار.

فمن مواقف النفاق في هذه الحادثة المواقف التالية:

الموقف الأول: أخذ رجالٌ من المنافقين يسطَّئون في عملهم بحفر الخندق،

ويراؤون مُراءاةً، ويستترون بالعمل الهين الضعيف، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير إعـلام للرسول ولا استئذان منه.

المسوقف الثاني: قرلهم: ما وعدنا الله ورسولُه إلاّ غروراً، وقبال: (مُعتَّبُ بِن قُطيره وهو من العنافقين: كان محمَّد يَبِلُنَنَا أَنْ نَاكُـلَ كُثُورَ كسرى وقيصر، وأحدُنَا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط.

الموقف الثالث: قول طائفة من المنافقين: يا أهلَ يشرب لا مُقَامَ لكُمْ فـارجعوا. قيل: إنّ قائل ذلك هو «أوسُ بن قَيْظِي» ومن كان على رأيه من قومه.

المصوفف الرابع: استئذان فريق منهم النبي ﷺ بأن يرجعوا إلى المدينة، متملّلين بأنّ يوتهم عورة، أي: مكشوفة للعدّرة، وهي في الحقيقة ليست بعورة، إنّما يريدون الفرار من المعركة.

فقال وأوسُّ بُنُّ قيظيهِ: يا رسول الله ؛ إنَّ يبوتَنَا لعمورة من العدَّر ــ يتحدَث عن بيوت ملاً من رجال قومه ــ فأَذَنُ لننا فلنرجمح إلى دارنا، وإنَّهــا خارجـة من المدينــة، والحقيقة أنَّهُمُّ كاذبون .

المسوقف الخامس: تُخَلِّفُ فريقٌ من المنافقين، وجعلوا يشطون إخوانهم عن الخروج لمواجهة الاحزاب، ويقولون: «ملَّمُ النِناء أي: إلى الأمن والراحة والطَّلِّ والطعام والشراب.

وهذا الفريق ديذنَّهم التخلُّفُ عن مواقع الجهاد في سبيـل الله، ولا يأتــون مواطن الباس إلاً قليلًا، مصانعةً ورباءً، ولئلاً ينكشف نفاقهم لجميع المسلمين.

(١٤) وبعد شق الصف الذي صنعه وتُعتِّم بن مسعود الاشجعي الغطفائي، بين يهود بني قريظة والاحزاب الفادمين لحرب الرسول والمسلمين من قبائل العمرب، رأى العمرب أنَّ اليهود قبد أخلفوهم، وطبال عليهم الحصبار، وكبادت تنضد مؤفهم وهلكت جمالهم وتُعيولهم.

وجماعهم ليلة شديمة الربح والبُرْد، وجعلت المربح تقوّض خيامهم، وتقلب قدورهم، وتطفىء نمارهم، ولا تُبَرُّ لهم قـدراً ولا ناراً ولا بنـاءً، وأرسل الله جنـداً غَيْـر مرئية، فألقت في قلوبهم الرعب. فقام في القوم فقال:

ويا معشر قريش، إنَّكُم وافقه ما أصبحتم ببذار مُقام، لقد هَلَكُ الكراع والمُغتّ (أي: هلكت الخيل والإبل) وأَخْلَفْتَا بنو قُريظة، ويلفّنا عنهم الذي نكره، ولقبّا من شـقة الرّبعج ما تَرَوُّد، ما تـطمئنُّ لنا قِـدُر، ولا تقومُ لنا نار، ولا بستَمُســك لنا بناه، فارتَجَفُوا فَإِنْ مُرْتِعِلُ، فَإِنْ مُرْتِعِلُ،

ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضوبه، فوثب به على ثـلاث، ولم يطلق عقاله إلاّ وهو قائم.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فشدُّوا رحالهم وانصرفوا إلى بلادهم.

(١٥) ﴿ وَوَذَاللّٰهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَرَيْنَالُواْ خَيْلًا وَكَفَى اللّٰهُ ٱلمُتُومِينَ ٱلْيَتَالُ
 وَكَاكَ اللّٰهُ فَوِينًا عَرِيدًا ۞ [الاحزاب/ ٣٣].

...

النصّ الثاني عشر

من سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) رابع صورة مدنية الآيــات مـــن (٩ ــ ٢٧) حول مواقف المنافقين وظواهرهم السلوكية إبّان غزوة الأحزاب

قال الله عزّ وجل:

﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُ وانِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرْوَهَا أُوكَ انَالَتُهُ بِمَانَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِدْجَاءُوكُمْ مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَيَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ الْحَنَىٰ حِرَ وَنَظُنُونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُويَا ١ هُمَا لِكَ ٱبْتُلَى ٱلْمُوْمِنُوكَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالَاشَدِيدَا ﴿ وَإِذْ يَغُولُٱلْمُنَافِقُونَهُ وَالَّذِينَ فِى قُلُومِ مَ مَنْ مَلَ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ إِنَّ وَإِذْ قَالَت ظَا إِغَةٌ مِّنْهُمْ بِنَأَهْلَ يَثْرِبَ لَامْقَامَ لَكُو فَأَرْجِعُواْ وَيَسْتَثَذِنُ فَسِرِينٌ مِنْهُمُ ٱلنِّيَ يَقُولُونَ إِنَّ يُوْمَنَا عُورَةٌ وَمَاهِي بِعَوْرَةٌ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَازًا ١٤ وَلَوْدُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنَ أَقْطَارِهَا ثُمَّ شَهِلُوا ٱلْفِسْدَةَ لَآنَوْهَا وَمَا تَلْتَثُواْمِهَا ۚ إِلَّا يَسِيرًا ۞ وَلَقَذَ كَانُوا عَنهَدُولُ التَّقَونِ قِبْلُ لا يُولُّونَ ٱلْأَدْبَدُّ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْتُولًا ﴿ اللَّهِ مَا لَمَا مَا الْفَرَارُ إِن فَرَرْتُمةً ﴿ ٱلْمَوْتِ أَوِالْفَتْدِلِ وَإِذَا لَاتَمَنَّعُونَ إِلَّاقِلِيلًا ﴿ فَلْمَن ذَاللَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَبِكُمْ سُوٓهُ الْوَّالَادَ بِكُرُّرَهُمَّةً وَلَا يَجِدُونَ لَمُّمُ مِن دُوبِ اللّهِ وَلِبَّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ فَلَا يَعْلَرُ اللّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ سِكُوْوَالْفَآبِلِينَ لِإِخْوَتِهِمْ هَلُمُرَالِينَا ۚ وَلَا بَأَنُونَ ٱلْبَأْسُ إِلَّاقِيلًا ﴿ الْشِحَةُ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآة لَلْوَكُ زَآيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ مَدُورًا عَمُنَهُمْ كَالَّذِى يُعْنَىٰ عَلَيْهِمِنَ ٱلْمَوْتِ ۚ فإذَا ذَهَبَ ٱلْمُوْثُ سَلَقُوكُم وِالْسِنَةِ حِدَالْإِ أَشِحَةً عَلَى الْغَيْرِ أَوْلَيْكَ لَرَيْوْمِنُواْ فَأَحْبَطُ اللّهُ أَعْمَالُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ

عَلَى اَلْهِ عَدِيلِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَدَا اللهُ عَدَا اللهُ عَدَا اللهُ ال

مًا في النَّصُّ من القراءات المتواترات (من الفرش)

(١) الآية (٨): قرآ أبر عُشرو: [زكان الله بِنا يَشْمَلُونَ بَعِيراً] بياء الغبية، وباقي القرآء إيما تَشْمَلُونَا بناء الخطاب، ففي الفراءتين تكاسل فِكْوِي، فبالتي بناء الخطاب تبين للمؤمنين أن الله عليم بما يعملون هم، والتي بياء الخطاب تبين أنَّ الله عليم بعا يعمل الجنود الذين جاءوهم.

(٢) الآية (١٠): قول تعالى: ﴿ وَنَظُنُونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا﴾ أثبت ألف ﴿ الخاوفَ ﴾
 مطلقاً المدنيان والشامي وشعبة. وحذف هذه الأنف مطلقاً حمزة وأبر عمرو ويعقوب.

وحذفها وصلاً وأثبتها وقفاً ابن كثير، والكسائي وحفص وخلف في اختياره. وهي وجوه من الأداء جائزة في اللّسان العربي.

 (٣) الآية (١٣): قرأ حفص عن عاصم [لا مُقامَ لَكُمْ] أي: لا إقامة لكم مصدر ميمي من أقام. وقرأ باقي الفرّاء: [لاَ مُقَامَ لَكُمْ] أي: ليس لكم هُنَا مُكان قِيـام، اسم مكان من قَامَ. فَفِي القراءَين تكامُلُ فكري، أي: ليس لكم إقامة ولا مكان قيام.

(٤) الآية (١٤): قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير [لأنَّوْها] أي: لجاۋوا إليها.

وقرأ باقي الفراء العشرة [لأنّـؤها] بمنذ الهمزة، اي: لأنسَلُوْهَا، ففي القراءتين تكامُّلُ في الأداء البياني، اي: لائوا الفتنة فلخَلُوا في غَشرتها، ولأُعْطَوْهَا من أنفسهم بالارتداد عن الإسلام وإعلان الكُفْر.

- -

(١) المفردات اللَّفَويَّة في النصَّ

﴿ مِن فَوْفِكُمْ ﴾:

أي: من قِبَل ِ نجد، وموقعها الجغرافي موقع علوَّ بالنَّسبة إلى المدينة.

﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ :

أي: من مكَّة، وموقعها الجغرافي منخفضٌ بالنسبة إلى المدينة.

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَلُو ﴾ :

أي: وإذْ مَالَتْ عن سوائها ومُسْتَوى نـظرها، ويكـون من الخوف، ومن الحيـرة، ومن عوامل أخرى في النفس.

وأصل النزيخ في اللَّقَة الميلُ والبعدُ، يقسال: زاغت الشمسُ إذا مالت إلى الغروب، وزاغ السالك عن الطريق إذا عدل عنه، ذات اليمين أو ذاتَ الشمال. وزاغ الفكر إذا عدل عن الصواب، وزاغ القلب إذا مال عن الحقّ والهندى، إلى الضلالة والرَّذَى.

زاغَ يَزِيغُ: أي: مَالَ. ويُقَال زاغَ عنْه، أي: مالَ وغَدَلَ عنه.

﴿ ٱلْحَنَّاجِرَ ﴾:

جمع اخْنَجْرَة، وهي الْخُلْقُرم، ومُجْرَىٰ النَّفْس في الرقبة. ويُقالُ لِلْخُنْجَرَةِ الْخُنْجُورُ إيضاً.

﴿ ٱبْتُلِيَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾:

لي: المُتَجنَ إيمانُ المؤمنين امتحامًا شديداً، بدليل وصف زلزلتهم بـأنها زلـزلةً شديدة.

﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾:

الزَّلْزَلَةُ : الهَزُّ والتحريك بشدّة، تقول لغة : زَلْزَلَهُ زَلْزَلَةُ وَلِلْزَالُا. إذا هــزُه وخَرَكَـهُ حركةً شديدة.

والمعنى: خُرُكُوا بالامتحان تحريكاً شديداً واصلاً إلى الاعماق، فعن لم يكن في أعماقه إيسانً راسخُ أصابُـةُ الاشرابُ والقائقُ والخوفُ والضَّجر، وظهرت منه تصرُّفاتُ تكشف سُرائرَ نفسه وقله، أمَّا صادق الإيمان وثابته فتزيدُ الزلؤلة إيمانُهُ رُسُوخاً وعمةً واستقراراً.

﴿إِلَّاعُهُ وَلَا ﴾:

الغُرُور: مصدر غَرُهُ يَفُرُهُ، أي: خدعه وأطمعه بالساطل. وسبق في النصّ (٥) من سورة الأنفال.

﴿ يَقُولُونَ إِنَّ أَيُوتَنَّا عَوْرَةً ﴾:

البيث الْمَوْرَةُ هو كُلُّ بيتٍ فيه خَلَلُ أو هو بعيد عن الحماية ويُخْشَى دخولُ العدوّ إليه . أو دخوله منه إلى ما يروم .

والعورةُ: الخلْلُ والْغَيْبُ في الشيء ـــ وكُلُّ ما يُسْتُرُهُ الإنسان استنكافـاً أوحياءً ـــ وما يجب سنُرهُ شرعاً.

﴿ مَنْ أَفْطَ ارِهَا ﴾ :

جمعُ وَقُطْرِهِ وَالقُطْرِ: الناحية، فمعنى ﴿من أقطارهـا﴾ من نواحيها كُلُها، أي: دخل عليهم جيشُ العدوُ من كُلِّ نواحي المدينة فلم يَتَّقَ لهم مهوب ولا مفرّ.

﴿ ثُمَّ سُيِلُوا ٱلْفِئْ نَهَ ﴾:

العراد هنا من الفتنـة الخروج من الـدين، والارتداد عنـه، وإعلان الكفـر، وَفْتَى طَلَبِ الكُفُار العهاجمين بقوتهم وأسلحتهم.

﴿ لَا تَوْهَا ﴾ : بالمدُّ والمصدر إيتاء ، وفي القراءة الأخرى : ولأَ تُوْهَا، والمصدر إتيان :

﴿وَمَاتَلَبَّثُوا ﴾:

أي: وما توقَّقُوا ومَا أقامُوا، يُقالُ: تَلَبَّتَ بِالمَكَانِ، إذَا تَوقَّفُ وأقام. سرء

﴿يَمْصِمُكُمْ ﴾:

أي: يحفظكُم ويُقِيكم ويمنعكُمْ. يقال لغة: عُصْمَ الشيء إذا مُنْعَهُ وحفظه ودفَعَ 4.

﴿وَلِيَّا وَلَانَصِيرًا ﴾:

الْمُولِيُّ: الَّذِي يَتُولَّى رعايةً كُلِّ شُـوُونِ مَنْ هُـوَ نَحْتُ وِلَايتُه، ومِنْها الحماية والنَّسَرَة، أَمَّا النَّصيرِ فهو المناصر بقوة وصدق وإخلاص، ولو دون ولايةٍ شاملة.

﴿قَدْيَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾:

التعويق: هو التثبيط عن فعل الخير، والحبسُ والصرفُ عنه بالقول أو بالفعل.

يقال لغة: عَاقَهُ عن الشيء يَعُوفُهُ عَوْقًا، وعَوْقه يُعَوَّفُه عن الشيء تعويقًا. إذا منَعه منه، رشغله عنه. فهو عَائِق، ومُعُوق.

﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾:

هلُمُ: اسمُ فطر بعمني تعالنوا، تستعمل هكذا في لفة الحجازيين بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، المفرد والمثني والجمع، وهو الأقصح، وتستعمل في لفة بني تميم وأهل نجد بإلحاق عملامات الثنية والمجمع والنائيث، فيقال فيها: هلُمُّا، وهلُمُوا، وهلُمُن، وهلُمُمُنْ.

﴿ٱلْبَأْسَ﴾:

يطلق على الحرب، وهـو المراد هنـا، ويُطلق على الشـدّة في الحرب، وعلى العذاب الشديد، وعلى الخوف، ويصلح هذا المعنى أيضاً في هذا النّص.

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾:

أشِحَّة: جمع شحيع، وهو البخيل الشديد البخل، ويجمع أيضاً على وشِحـاحـه و وأشِحَّاء.

﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾:

السُلُقُ: في اللَّفة هو الصُّياح وشِدَّة الصوت، ويقال: سلقه بالكلام سُلْقاً إذّا آذاه بكلامه الشديد العنيف، وأسمعه منه ما يكره فاكثر عليه، وبألثم في مخاصمته.

جِذَاد: أي: قويّة جارحة للنفوس، كالسيوف المحدَّدة المسنونة القراطع للأجسام.

﴿ فَأَحْمَطُ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ ﴾:

لي: البطلها. يُقَالُ لغة: حَبَطَ عَمَلُهُ يَجْبِطُ حَبْطًا، وحُبُوطًا، إذا بطل. وأَخْبَطَ اللَّهُ عَمَلَةً يُشْجِطُهُ إذا أبطله، فلَمْ يكن له الثر.

﴿يُوَدُّواً﴾:

أي: يتمنُّوا، فالمراد من الودِّ هنا التمنِّي.

﴿بَادُونَ فِي ٱلْأَغْرَابِ ﴾:

البادي: اسم فاعمل من: بَدَا يَشِدُو بَدُواْ وَسُدَاوَةً إذا خرج إلى السادية، فهمو بَادٍ، ويقال: بدا إلى البادية، وأقام بالبادية، فهو بادٍ، البادية فضاء واسعٌ فيه المرعى والماء. ﴿ أَنْسَرَةً ﴾ :

أي: قُدْرَةً يُقْنَفَى به. يقالُ: أَسَا يَاسُو فلانناً بِفُلانٍ إذا جملُه يَـأَتَسِي به. ويُقَـالُ: التَّسَىٰ به، إذا اتّخذه أَسُوة واتّقذى به.

﴿ فَيِنْهُم مِّن قَضَىٰ نَعْبَمُ ﴾:

النَّحْبُ: يأتي في اللَّنة لعدَّة معان، منها: الحاجة ـ والمدَّة والأجل ـ والنذر والعهد.

وهذه المعاني الثلاثة كلُّها تصلح هنا في هذا النصّ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في التدبّر.

﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾:

أي: من خُفُونهم وأطَّابهِمُ، واحدها صِيصَة، يقال للحصن: صيصَة، وجمعها صَيَّاصِ.

(Y)

سببب النيزول

من الـواضح في هـذا النّصُ أنّ سبب نزولـه غزوة الأحزاب، التي تُسَمَّىٰ أيضاً بغزوة الخندق. وعلى هذا أئمة أهل التفسير من السلف فمن بعدهم.

...

مع النَّصَّ في التحليل والتديّر

🟶 قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَكَانُهُمُ اللَّذِينَ مَامَنُوا اَذَكُرُوا نِسْمَةَ الْفَوَعَلَيْكُرْإِذَ بَمَاءَتُكُمْ جُنُورٌ كَارْسَلَنَا عَلَيْهِمْ رِيعًا وَيَعْمُونَا لَمْرَوْهِ عَالَمُونَا مِنْ اللَّهِ بِمَا السَّمَلُونَهُ مِيمًا ۞ .

وفي قراءة أبي عمرو: [وكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيراً].

عـرضت هذه الآيـة من هذا النصّ نتيجـة غزوة الخنـدق قبل ذكـرٍ أيّ حدّثٍ من أحداثها، مقرونةً بالبدء بـالتذكيـر بنعمة الله على الـذين آمنوا. إذّ دفع الله عنهم جيشً علُوهم بالسريح، ويجنود غير منظورة، والظاهر أنَّ هذه الجنود من الملائكة، وكان عملهم إلقاء الرعب والخوف في قلوب المشركين.

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾:

نداءً من الله للمؤمنين الذين كمانوا مع الرصول الله في غزوة الاحزاب، فهم المقصودون أوّلاً وبالذات، ويشمل هذا النداء كلّ مؤمنٍ من بعدهم، باعتبار أنّ نعمة الله على المؤمنين في هذه الموقعة وما تضمّته من عظات، قد شملت كلّ المؤمنين حمّى قيام الساعة، إذّ هي نعمة جرّت للمؤمنين خيراً عظيماً ينعمون بثمراته، ويتغمون من عظاته إلى أن تقوم الساعة.

﴿ اذْكُرُ وَانِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُونَ ﴾:

أي: ردّووا في تذكّركم هذه النعمة من حين لاخر، ولا سيّما عند المتاسبات الدّاعيات لتذكرها، للاستفادة من عظائها، وأنت خبير أنّ الشدّكُر انفكـريّ يجلّه غالبًا المحافظة على تكرار الذكر باللّسان، ويهذا نستطيع أن نفهم أنّ النصّ يدعو الدين آمنوا أن يذكروا بالسنتهم من حين لاخر أحداث غزوة الأحزاب، ليجـدّدوا في أذهانهم تذكّرها، بغية الاستفادة من عظائها، وأنّ على اللدعاة منهم أنْ يُذكّروا جماهيو المؤمنين بها.

هـذا التوجيه يُضاس عليه اشباهـ ونـظائـرُه، فنجـديـدُ ذكـر أحـداث غـزوات الرسول ﷺ مَمَا يحثُّ القرآن عليه، وكذلك سائر النظائر للاستفادة من عِبَرِ الناريخ.

﴿ إِذْ جَالَةَ ثُكُمْ جُنُودٌ ﴾:

أي: جنود كثيرة بالنسبة إلى جنـودكم، وهم جنود الأحــزاب وقريش، وغـطفان، ومن معهمه.

والمعنى: اذكروا نعمة الله التي أنعم بهما عليكم في المزمن المـذي جـرت فيـه أحداث غزوة الأحزاب إذْ جاءتكم...

أي: ريحاً شديدةً شاهدتموها، فجعلتُ تقوّضُ خيامهم، وتكفّأ قدورهم، وتقطّع حبالهم، فلا يقرّ لهم قرار. - مرة ي سرمر أ

﴿ وَيَحْنُونَا لَّمْ تَرَوْهَا أَهُ:

أي: وجنوداً خفيّةً من الصلائكة، وكمانت وظيفة هـذه الجنود من الصلائكـة أن يقذفوا الرُّعبَ في قلوب الأحزاب.

وطوى النصّ هنا بيان ما فعلته الربح والجنود من السلاكة بجنود الاحزاب من إلقـاه الرعب في تلويهم، وحَمْلهم على الانصـراف والارتداد على أعقـابهم خـالبين، اعتمـاداً على ما يُـدركه الـدَّهن باللّزوم العقلي، لأنَّ المـربـل للربـح والجنـود هـو الله عزَّ رجل، فلا بدَّ أن يكون ذلك راداً عن المؤمنين به ويرسـوله بناس عدوُهم، واعتمـاداً على ما جاه بعد ذلك في البيان التفصيليّ.

﴿ وَكَانَ أَلَّهُ بِمَا تَفْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ ﴾:

وفي القراءة الأُخْرَىٰ: [يَعْمَلُون]: أي: ومن صفات الله الدائمة أنـه سبحـانـه وتعالى بصير بما يعمل عباده جميماً، مؤمنوهم وكافروهم.

وتكاملت قرامتا [تَشَمَلُون] و[يُشَمَلُون] في بيان المعنَى الشـامـل، وفي الأداء البياني، ممّا يحققه خطاب المؤمنين من أغراض بيانية وفكرية، وممّا يحققه الحديث عن جنود الأحزاب بالفية من أغراض بيانية وفكرية أيضاً.

أي: إنَّ الله عَزْ وجل مـطَلع دواماً على جميع أعمالكم الـظاهرة والبـاطنة، فهـو يعلم من كـان منكم نابشاً صادقاً متوكّداً على ربّه، واثقاً بوعـنه ووعد رسـوله صـابراً محتسباً، ويعلم من كان مُرْتجفاً خالفاً، ومن كان متزلزلاً مضطرباً، ومن كانت الـظنون تتلاعب بقلبه ونفـه.

ونلاحظ في هذه الآية أنها اشتملت على موجز مختزل لغزوة الأحزاب، أنا أهمُّ تفصيلات أحداثها، ممّا يتضمُّن عِظَاتِ وأغراضاً تربوية، فقد جاء بيانه في مسائر آيمات النصّ.

قول الله عز وجل:

﴿إِذْ جَآ عُرُمُ مِنَ افْوَقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِسْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَيَلَفَتِ الْقُلُوبُ الْمَسَتَامِرَ وَتَطْلُّوْنَ بِاللَّهِ الشَّلُونَا ۞ مُثَالِكَ اَبْتُؤَكَّ الْمُفْتُونَ وَذَٰذِلُوا ذِلْوَا لا شَدِيدًا۞

﴿ إِذْ جَآءُ وَكُمْ مِن فَوْقِكُمْ ﴾ :

أي: اذكروا نممة الله التي أنعم بهما عليكم في الزمن المذي جرت فيه أحداث غزوة الاحزاب، إذَّ جَاءَتَكُمْ جَنُودَ كثيرة بالنسبة إليكم من فوقكم، أي: من قبل نجد، فموقعها المجغرافي موقع علوَّ بالنسبة إلى المدينة، والجنود الأتمون من قبل نجد هم قبائل غطفان (بنو فزارة، وبن مُرة، ونو أشجع، وبنو أسد، ومن تبايعهم من اهمل نجده.

﴿وَمِنَّأَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾:

أي: من مكة، وموقعها الجغرافي موقع منخفض بالنسبة إلى العمدينة، والجنود الأتمون من جهة مكة هم: وقريش، وأحماييشهم، ومن تابعهم من يني كنانة، وأهمل تهامة، بقيادة أبي سفيانه.

وقد أقاموا الحصار وراء الخنلق، واشتذ الأمر على المسلمين شدّةً عظيمة. ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَلِمَكُونَ ٱلْفَلُوبُ الْحَسَاجِرَ ﴾ :

أي: واذكروا الحالة التي وصلتم إليها من الشَّلَة حينتُهِ، إذْ زاغَت الأَيْصَارُ من الجوع والخوف، فصارت تعيل عن سوالها، لما في النُفس من حاجة واضطراب. وإذّ بلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف، أي: صرتم تشعرون بانقباضها وانشمارها من مواطنها، إلى الحناجر من شدّة الخوف الذي نزل بكم.

ومع ما في قوله تعالى: ﴿وَيَلْقَتِ الْفَلُوبُ الْخَنَاجِرَ۞ من تعيير أَدْبِي وَبِي وَمِ في وصف حالتهم، ويبدُّو فيه أنَّ المبالغة أصد عناصره الكبرى، فهو تعيير مطابق لمشاعرهم بصدق نتي كامل، إذَّ هو يكشف حالة مشاعر أنفسهم بصدق. إنَّ الخالف الذي يَمَسُّهُ اللَّمْ الشَّدِيد بشعرً بأنَّ قله قد أَنْشَمَرَ منقبضاً إلى خَنْجُرته فيكاد يختش، مع أنَّ القلب لم يوح مكانه من الصدو.

﴿ وَتَظْنُونَ بِأَلَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾:

أي: وتظنُّونَ بالله الطُّنونَ المحتطفة، فمنكم صادق الإيمان بطُنُّ بالله أنَّ سينصرُّ رسوله والمؤمنين معه، ويردُّ كيد أعدائهم في نحورهم، ومنكم من يظنُّ غير ذلك من ضعفاء الإيمان ظنوناً دون ذلك فيها ارتبابُ وتشكُّك.

وشرّ هذه الظنونِ ظنون المنافقين الذين قال قـائلهم وهو ومعتّب بن قُنَـيْـره: كان محمّد بَعِدُنا أن ناكل كُنوز كــرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أنْ يذهب إلى الغائط.

حتى حاول بعض المنافقين الفرار من موقعه، متظاهراً بالاستثنائ الذي يتمثّل له بما يبرّره بحسب الظاهر، وهو في الحقيقة كناذب، فقال وأوس بن قبطي، عن مالاً من رجال قومه: يا رسول الله، إنَّ بيوتنا لعورةً من العدوّ، فأَذَنَّ لننا فلُترجِع إلى ديارنا، وإنّها خارجة من المدينة.

﴿ هُنَا لِكَ ٱبْتُكِيَّا لَمُوْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَا لَاشَدِيدًا ﴾:

أي: مُنالِك في ذلك الموقع الذي كان فيه المسلمون مُخاصَرين، داخل المدينة من قبل أحزاب العرب، الشجن المؤمنون ومن معهم من مُدّعي الإيمان امتحاناً قاسياً، وزُأْزُولوا زُلْزالاً شديداً، على غربال التجربة العنية السرَّة، تُخيَّلُوا بها نخلاً، ظهر فيه من كان قوي الإيمان صادق اليقين، ومن كان دون ذلك، ومن كان في قليه مرض. وسقط في الامتحان من ظهر نضاته بقوله أو بعمله، وكذلك الأحداث الشديدة على النفوس، والتي فيها مناعب وآلام، وجوع مُمضَّ، وخوفُ هالـمَّ، هُرُنْ كواشف ما في القلوب والنفوس، ومُممَّصات.

ومن شأن الزلزلة التي هي حركة عنيفة أن تجمع الأشباء والنُظائر إلى بعضها ضمن الخليط، فبإذا كانت على الضرابيل أسقطت ما لا تمسكه، وطيّرت منع الربيح ما لا وزن له.

بيان مواقف المتافقين في غزوة الأحزاب

قول الله عز وجل:

﴿ وَإِذْ بَقُولُ ٱلْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُومِهِم مَّرَضُّ مَّا وَعَدْنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُورًا ١٠٠٠

هذه المقالة إحدى ظواهر النفاق الَّتي ظهرت من المنافقين في غزوة الأحزاب، وذكرها القرآن في هذا النَّص.

وهي مقالة قبالها المنافقون، لأنّهم في بناطن أمرهم كنافـرون بـالله ورسـولـه، ويطرحونها لتشكيك المؤمنين بدينهم ويرسولهم.

وردّد هذه المقالة ضعفاء الإيمان، وأهل العريب والشك، وأهمل الطُّيش الّـذين لا يصر لهم بالأممور، ولا رويّة عنـدهم ولا صبر، وجــاء التعبير عنهم بالنّهم الذين في قلوبهم مرض.

روى الطبريّ عن قتادة أنّ ناساً من السنافقين قـالوا في غــزوة الأحزاب: قــد كان محمّد بَعِدُنا فتح فــارس والرّوم، وقــد حُصِرْتــا فهنا، حتّى مــا يستطيــم أحدتــا أن يهرز لـحاجته، ما وعَدَنا الله ورسوله إلاّ غـروراً.

وفي روابة ابن إسحاق، أنَّ هـذه الكلمة الكبيـرة: ومـا وعـدنــا الله ورسـولــه إلَّا غروراً؛ كلمة قالها ومُعتَّب بنُ قُشَيره يوم الخندق.

وروى الطبري أيفساً عن ابن زيد، قال: قال رجلُ بعوم الأحزاب لرجل من أصحاب الرسول هذه المرجلُ من أصحاب الرسول هذه المحلف المنافقة في المحلف المنافقة في المحلف المنافقة المنافقة

فقال له: كذبت، لأخبرنَ رسول الله ﷺ خبرك.

قال: فأتى رسول الله 繼 فأخبره فدعاه، فقال: وما قُلْتُ؟، فقال: كـلبُ عليّ يا رسول الله، ما قلتُ شيئاً، ما خرج هذا من فسي فطّ. ودلُّ تمولُّه تمالى: ﴿ وَوَادُّ يُقُولُ السَائِقُونَ... ﴾ على أنَّ هذه المقولة ردّدها المنافقون والذين في قاريهم مرض، ولم تكن مجرَّد مقولة قالها واحد منهم، فصيغة الفعل المضارع تدلُّ على التكرير والتجدد،ولا سيما أن النصّ يخبر عن حدث مضى.

قول الله عز وجل:

﴿ وَإِذْ قَالَتَ ظَالَهِ فَا أَيْنَهُمْ يَنَا هَلَ يَأْمِبُ لَا مُقَامَ لَكُونَ فَٱرْجِعُواْ ﴾:

يُشْوب: قال الطبري: اسم أرض يقـال: إنَّ مدينة الرسول 義 في ناحيـة تقع نها.

وفي لسان العرب: يثرب: مدينة سيدنا وسول الش ﷺ. وروي عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقال للمدينة: يثرب، ومسّماها طيّنة، كأنّه كُوّ، الشُّرْبُ، لأنّه فسادٌ في كلام العرب. قال ابن الألير: يترب: اسم مدينة النبيّ ﷺ قـديماً، فغيّرها وسمّاها طبية وطابةً، كراهية التثريب، وهو اللوم والعبير.

مُقَام: فيها قراءتان: بفتح الميم، أي: لا مكان إقـامة لكم هنـا عند الخنـدق. ويضمّ الميم، أي: لا إقامة لكم هنا.

وفي قول طائفة من المنافقين: [لا تُقامُ لكم فارْجِصُوا] دعوة للتخلّي عن الرَّسُولﷺ والمؤمنين الصادقين معه، وهي تعبِّر عمّا يكنَّه قاتلوها من نفاق وعدم إيسان، وفيها إعرابٌ عمّا تكنَّه صدورهم من عدم اعتراف بالاسم الإسلامي اللهي سمّى الرسول به المدينة، إذَّ انطلقت الستهم بقصد أو يدون قصد بالاسم الجاهليّ الذي نهى الرسول ﷺ عنه، ولفلتات اللّان دلالات.

. .

قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَيَسْتَعْذِهُ فَهِيَّةً يَنْهُمُ النِّيَ يَغُولُونَانَ ثُبُوتَنَا عَرَثَةً وَمَامِى بِمَوْرَثَمْ البِّيدُونَالَة وَلِذَكِهِ}.

عن ابن عباس: أنَّ أصحاب هذا الاستثذان هم بنو حارثة، وقد استأذنوا في أن

يتركوا مواقعهم في الغزوة، وينصرفوا إلى بيوتهم.

﴿ إِنَّ أُسُونَنَاعَوْرَةٌ ﴾ :

العورة الخللُ في الشيء، فهو بذلك عرضةً للسلب والنهب والسرقة ونحو ذلك.

يقولون: [إنَّ يُبُوتَنا غَوْرَة] اي: لَبُسَت محروسة ولا محصَّنة، فهي عـرضة لأن يتسلّل إليها العدر، فيسطو عليها ويسرق ما فيها، أر يُداهمنا من قِبُلها.

ولكنّها في الحقيقة ليست كما قالوا. وقد بيّن الله كذبهم في مقالتهم، وغـرضهم الحقيقي من استئذانهم المعلّل بمقالتهم الكاذبة، فقال تعالى:

﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ أَن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿ ﴾.

ورَدَ أَنَّ الـرســول 織 بعث من كشف لــه الحقيقــة، فبيــوتهم ليست بعــورة كمـــا زعـموا.

إنهم ما يريدون باستثنائهم إلا فراراً من مواجهة العدق، وهروياً من موقع المبرابطة، لانهم منافقون، ولا يؤمنون بجدوى ما يفعلون، لكنهم بعد تنظاهرهم بالإسلام لا يستطيعون إلا المصانعة والمهذادعة والمراوغة والتستر بالاكماذيب والتُبلأت المباطلات.

* قول الله عز وجل:

﴿وَلَوْدُخِكَ عَلَيْهِم مِنْ أَلْطَارِهَا ثُمَّ شَهِلُوا الْفِشْـنَةَ ٱلْاَنْفِهَا وَمَا تَلْبَثُواْ بِهَا إِلّا يَسِيرُا ۞﴾:

﴿ وَلَوْدُ خِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَفْطَارِهَا ﴾:

أي: ولو دخل جيش المشركين المدينة، وهجموا عليهم من جميع نواحيها، فلـاهُمُوهم وهم في بيوتهم.

﴿ ثُمَّ سُهِلُوا الْفِتْ نَهَ ﴾:

أي: ثُمُّ بعد ذلك طلب منهم المشركون أن يكفُّروا بـالإســلام، ويعـودوا إلى

الوثنيّة والشسرك، وهذه هي الفتنـة في الدين، أو طلبـوا منهم تسليم الرمسـول والمؤمنين لفعلوا.

﴿ لَا تَوْهَا ﴾ فيها قراءتان بهمزة واحدة من وأثَّىٰ، وبالمدِّ من وآتَّىٰ،:

أو [الْأَتُوها] كما جاء في القراءة الأخرى، والمعنى: لأَعْطَوْها.

فتحاملت الفراءتان فكريًّا وأداة بيانيًّا، أي : لأنَّوا إلى صواقع الكفر بأجسادهم وأنفسهم ، ولأعفوا ما يُطلبُ منهم من كفي ، ومن لوازمه القرلية والعمليَّة، ولاستجابوا للكافرين، وأعلنوا ردّتهم عن الإسلام، ولسقموهم أهل الإيمان الصادق.

إنّهم بعد أن كشف الله عزّ وجلّ كذبهم في ادّعاتهم أنّ بيوتهم عمورة، وأبـان حقيفة غرضهم من الاستئذان في الذهـفب إلى بيوتهم، وأنهم منا أرادوا إلاّ الفرار من مواجهة العـدوّ، جنباً وعـدم إيماني بمشـاركتهم للمسـلمين في أعمـال الجهـاد قـال الله بشأنهم:

﴿ وَلَوْدُخِلَتَ عَلَيْهِم مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ شُهِلُوا ٱلْفِشْــَنَةَ ٱلْاَتَوْهَا وَمَا تَلْبَشُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيدُا ۞﴾.

ولكِنُ الله عزَّ وجلَّ انذرهم بأنَّهم لو دخلوا في الفتنة طلباً للأمن، فكفروا وارتدُوا عن الإسلام، لعاجلهم الله بالعقاب، فما استطاعُوا أن يتلبُّرًا إلاَّ زمناً يُسيراً في بيوتهم، أو في المدينة وفي الأمرز الذي ظنّرا أنّ الفتنة في دينهم تحقّقه لهم، فقال تعالى:

﴿ وَمَا تَلْبَتُواْ بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۞ ﴾:

أي: وما بقوا في يوقهم في العدينة إلاّ زمناً يسيراً، لوحصل منهم ما ذُكر سابشاً. لانَّ الله سيمكن العؤمنين منهم حيشةٍ، فيقتلونهم، أو يلجشونهم إلى الفسوار أو الجملاء عن العدينة، حتى يكونوا مطاودين مشركين في الأرض.

واستمرَّ النصَّ القرآنيُّ يتحدَّث عنهم وهو معرض عن مخاطبتهم، فـذكر أنَّهم

كانوا قد عاهدوا الله من قبلُ، إذْ خلفوا أن ينتوا في الصواقع مع الرسول والمؤمنين، وأن لا يولُوا الأدبيار، والمفروض في المسلم أن يحافظ على عهده، وذلك في البيان التالى:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَنهَ دُوا اللَّهُ مِن فَبْلُ لَا يُؤلُّونَ الأَدْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْوُلا ١٠٠٠

أي: وكان عَهْدُ اللَّهِ مسؤولًا عنه، فمن نقض عهد الله جعل نف تحت طائلة العقوبة الرَّمانية.

رُوِي أَنَّ هَذَا النَّصُّ نَزلَ فِي بنِي حَارَثَةَ ، إحدى الطَّائِقَينَ اللَّينَ هَمَّنَا فِي خَزوة أُحُد بأَنَّ تَشَلَّا، وهما وبنو سلمة وبنو حارثـة؛ فنزل بشأنهم ما نـزل من قرآنٍ يـومثـق، فعاهدوا الله أن يُتِيتُوا ولا يولُوا الأدبار بعد ذلك.

لكنّ يني حارثة كان منهم ماكان من أصحاب الاستثنان الممثل بالكذب في غزوة الأحزاب، وهو يدلّ في أقلّ الأحوال على مرض في قلوبهم، دون الثفاق، وهـو الأرجع، لذلك ذكّرهم الله بعهدهم، وهذههم تهديداً صُمنيّاً بقولـه: ﴿وَكَانَ عَهْمُ اللّهِ مسؤولًا﴾.

واستمر النص معرضاً عن مواجهتهم بالخطاب، تربية لهم، إلا أتّه خقّف من ثقل الإعراض، بتكليف الرسول ﷺ أن ينقل لهم مقولة إقناعية، تتَصل بقضيّة اساسيّة من قضايا الإيمان، ولملّ مرض قلوبهم فيها هو المؤثر في الظواهر السلوكيّة التي تكوّر ظهروها منهم، فجاء في البيان التالي:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ قُلْ أَرْمَعَتَكُمُ الْفَرَكُ إِنهَ ذَرَعُهِ مَن الْمَوْتِ أُوالْفَشْلِ وَإِنَّا لَّا تُشْتَقُونَ إِلَّا وَلِيلا ﴿ قُلْهَنَ اللَّذِي يَسْعِيثُ كُونَ اللَّهِ إِنْ أَلَّادِ كُمُّ سُوّا الْوَالْوَكِكُرَةِ مُذَّوَّ لِكَيْمُ وَنَظَمُ فِن دُوبِ اللَّهِ وَلِنَّا وَلَنْظِيدِ لِي ﴾ . هذه المقولة الإفتاعيّة التي كلّف الله رسوله أن يقلها إليهم على لسناد، شمارحاً لمضمونها، ومبيناً له، تتضمنّ إشعاراً بأنّ الله معرضٌ عنهم، لأنّ المذنب قد تكرّر منهم.

ففي غزرة أحد كمانت مخاطبتُهم فيها رقّةً وتلطّفُ بـالعتاب، بـاعتبار أنَّ مـا كان منهم في أحدِ قد كان ذنبًا أوْليًا في تجربة أولمن من تجارب القتال بالنسبة إليهم فقال الله تعالى في ذلك خطابًا لجمع المؤمنين في سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿إِذْهَمَّتَ ظُلْهِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفَشَّلَا وَأَلَّهُ وَلِيُجُمَّا وَكُلَّ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتْوَمِنُونَ ۞﴾.

لكن لمًا تكرّر الأمر من بني حارثة في غزوة الأحزاب، اقتضت الحكمةُ التربويّـة التشديدُ في الأسلوب التربوي .

فارتفع من أسلوب التلطّف إلى أسلوب الإعراض، فالتّبيه المشدّد على قضيّة أساسيّة من قضايا الإيمان الّتي لوكانت سليمةً لـديهم ما تكرّرَتُ منهم ظاهرة الفوار الجماعيّ من الزحف.

إنَّ ظاهرة الفرار من مواجهة الدئرُ حين تدعو الضرورة إلى هذه المواجهة تبرجع إلى الخوف من الموت، والحرص على الحياة، وكلا الأمرين ينموان في الأنفس ــمع وجدود موجبات التضحية والاستهسال في القتال ــ بمقدار تناقص الإيمان بقضاء الله وقدره، وتناقص الإيمان بأنَّ الحياة والموت خاضمان خضوعاً كاملاً لسلطان الله وإذنه، ويمقدار المفلة عن ملاحظة عفوية الله الذي قد ينزلها الله بالذين يولُون الأدبار عند واجب الزحف لقتال العدَّر.

لذلك جاء تنبيهُهُم على هذه الحقيقة من الحقائق الإيمانية.

فالفرار من الموت باتخاذ الوسائل المائية للحماية منه، وكذلك الفرار من القتل للحماية من الموت ولدفعه، لن يفعهم شيئاً في دفع الموت أو القتل عنهم، إذا كان أمراً مقضياً بقضاء الله.

فإنْ فرُّوا من القتـل بتجنُّب مواقع القتال، ظـانِّين أنَّ ذلك يحميهم من المـوت،

فـــــأنّهم لن يتمتّعوا بــالحياة إلاّ قلــــلأ، إذْ سـبـاتيهم المـــوت حسب آجـــالهم المقــرّرة في قضاء الله وقدره.

ثمُ إنَّ فرارهم في السواطن التي لا يجبوز لهم فيها أن يفرَوا يجعلهم عصاة. وهذا يعرَضهم لعقاب الله ونقت، فإذا اراد الله بهم سوءاً عقاباً لهم على فرارهم، قمن ذا الذي يعصمهم من الله؟

إنَّهم عندئلًا لا يَجدون لهم من دون الله وَلِيًّا يتولَّاهم، ولا نصيراً ينصرهم.

ومع ذلك فقد ترقّ النّصّ بهم، فقتح لهم نافذة إلى رحمة الله إذا تسابوا واستغفروا، نلاحظ ذلك في قول، تعالى: ﴿ أَوْ أَزَاذَ بِكُمْ رَحُمْةً﴾ ضمن نصّ الإنشار الشديد، فقبله: ﴿ قُسِلُ: مَنْ يُفْهِيمُكُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَزَاذَ بِكُمْ شُوءاً﴾ ويَصْنَدُ: ﴿ وَلاَ يُجِدُّونَ مَن دُونِ اللّهِ وَإِيّاً ولا نصيراً﴾ .

إنَّ نافذة الرحمة هذه مرتبطةً بكلام مطويٍّ، يمكن تقديره على الوجه التالي:

قُلْ: مَنْ فا اللَّذِي يعصمكم من الله إنْ أواد بكم سوءاً، أو من فا اللَّذِي بمنسع عنكم رحمة الله إذا تبتم واستغفرتم وأواد بكم رحمة .

وَأَتَّفِكَ النَافَذَة، واستمرَ النَصَّ يُتمُّ موضوع الإنذار فقال تعالى: ﴿وَلا يَجِـدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلاَ نَصِيراً﴾ معرضاً عنهم، وموجهاً الحطاب لغيرهم.

ومنا انتهى المقصود بيانه حـول حادثـة استثنان الفـريق الذين كـانوا في غـزوة الأحزاب يستأذنون الرسول في ترك مـواقعهم حيث هم مرابـطون، متعلّلين بأنّ بيـوقهم عـورة.

وانتقل النصّ إلى بيان الظاهرة الرابعة من أعمال المنافقين في هذه الغزوة.

قول الله عزّ وجلٌ:

﴿ فَنَرَمَلُوا أَنَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ سِنْكُرُ وَالْقَابِلِينَ لِإِخْوَتِهِمْ هَلُمُ إِلِنَنَا ۚ وَلَا يَأْتُونَ ٱلبَأَمِرِ إِلَّا قَلِيدُ ۞ • هـ فـ الظاهـرة الرابعـة من أعمال المنـافقين، وهي ظـاهـرة التخلّف والتثبيط عن مشاركة المؤمنين في مواقع القتال.

﴿ قَلْدِيمُ أَرُّ أَلَّهُ ﴾:

قد: لتحقيق وتأكيد حصول العلم، والتحقيقُ أحد معاني حرف وقده.

﴿ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾:

التصويق هو الشبيط عن العصل، والحبُّسُ والصرف عنه، والشُّفُل عنه بغيره. يقال: عاقَهُ وعُوَّقُه، إذا منعه أو حبسه أو ثبُطه أو صرفه، أو شغله عمَّا يهُمُّ به من عصل بأبة وسيلة من الوسائل.

﴿ هَلُمَّ ﴾ :

اسم فعل بمعنى تعالَوًا، تُستعمل هكذا في لغة الحجازيين، بلفظ واحد للممذكر والمؤنث، المفرد والمثنى والجمع، وهو الأفصح.

وتُلحق بها علامات الثثنية والجمع والتأثيث في لغة بني تميم، فيقال فيها: هَلُمُّا وهلمّوا وهَلُمُّي وهلُمُمُنَّرَ.

﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ﴾:

أي: ولا يأتون مواقع القتال. البأس في اللُّفة يأتي بمعنى: «الحرب ــ والعذاب الشديد ــ والخوف، والعراد منه هنا الحربُ.

لقد تخلف فريق من المنافقين في بيونهم، فلم يخرجوا إلى مكان الترأم لمواجهة العدو في غزرة الاحزاب عند الخنف، ولم يشاركوا المجاهدين، وجعلوا مع ذلك يعرفون إخواناً لهم من أقاربهم، ويتبطونهم، ويدعونهم إلى البقاء في منازلهم، ويثيرون الرعب في قلوبهم، ويقولون لهم: لا يستطيع محمد وأصحاب أن يثبتوا لهيفا الجيش المنفوق عليهم عدداً وعلق، القادم لمنزوهم من أحزاب العرب، وأنهم هالكون لا محالة، فما لكم ولهذه المخاطرة.

ويَحلفُ حالفُهم أنَّ محمَّداً سوف لا يستقبل المدينة أبداً بعد هذه الموقعة.

ويقولون لإخوانهم الذين يظنون أنهم لن يلَّقُوا محمدًا ﷺ ما يدعونهم إليه: هُلَمَّة إلينا، أي: تعالَوْ إلينا، واتركوا مشاركتكم لجيش المسلمين، واستمتعوا معنا بالأمن، والراحة، والظَّل، والطعام الطيّب والشراب الوافر للحسن.

إنّهم فريق من المنافقين جريئون في مسارسة الأعسال التي تدلّ على نضافهم، فالتخلّف عن الرسول ﴿ في مواطن الساس دَيْنَهُم، فهم لا يأتون الساس إلّا تليلاً ه أي: بعشدار ما يكفي ــ بحسب تصوّرهم ــ للمصائمة والمخدعة والرّياء، وفي الأحوال التي يكون الطمع بالفنائم فيها هو الأرجع بحسب تصوّراتهم وتشديراتهم للأمور.

وقد آخير الله فيما أنزل من قرآن بهؤلاء المنافقين المتخلفين المموقين لإخوافهم والذين يدعوفهم إلى الانخذال عن الرسول والمؤمنين، فكشف أحوالهم، وسجّل ذلك عليهم في آياتٍ تُتَّلَّىٰ، ليكونوا مثلًا للمشافقين في كلّ زمـان، مـع مـا يتضمُّن البيـان القرآئيُّ من عطّةٍ للمؤمنين، وتحذيرٍ لهم من مكايدهم.

وتابع النَّصُّ الكلام عن هذا الفريق المتخلِّف المثبِّط، فكشف صفاتهم النَّمسيَّة، وآثارها في سلوكهم، فجاء في وصفهم:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ اَيْسَةً عَلَىٰكُمُ ۚ فَإِنَّا مَا مُلَوْقُ رَاَّتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰكَ تَدُوكُ أَعَيْنُهُمْ كَالَّذِى يَغْنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ النّوتِ ۚ فَإِذَا ذَهَبَ كُلُوقُ سَلَقُوهُم إِلَيْسَةِ عِدَادٍ إِلَيْسِفَةً عَلَى الْخَيْرِ الْوَلِيَّالُ فَلَسَيِظَ الشَّاأَعُمُ لُكُمْ وَكَانَ وَالْفَاعِلَ القَّدِيدِ بِإِلَىٰ ﴾.

﴿أَشِخَةً ﴾:

جَمَعُ شحيح، وهو شديد البخل. ولفظ والبَدّة، منصوب على الحال، وصاحبُها المعقّون والفائلون لإخوانهم: هلُمُّ إلينا المذكورون في الآية السابقة، والمسراد جميع المنافقين. يقال: شعُّ بالشيء، إذا أمسكه، وشعّ على فلان أو على الشيء، إذا بخل عليه بيذل ما، من مال أو عمل أو غير ذلك.

يين الله للمؤمنين أنَّ من صفات المنافقين أنهم شحيحون عليهم، بماسوالهم وأعمالهم ومعوناتهم وأنفسهم، وهم فوقَ ذلك شحيحون عليهم بمثل ذلك من غيرهم، فهم يكرهون أن يبذل أحدًّ لهم من ماله أو عمله أو نفسه .

والشحيح هو انسدُ البخلاء، لأنَّ بخله لا يفتصر على كراهية أن يبلُ من ماله أو نفسه، بل هو يكره أيضاً أن يبذُّلُ غيره من ماله أو نفسه، فهو بدافع من شُحَّه يحرَّق ويتِبَقُّ ويُخذُّل عن البَلْل.

إنهم المسحةً على المؤمنين خاصة، وقد لا يكونون اتسحة على غير المؤمنين، وذلك لأنهم منافقون، لا يؤمنون بما يؤمن به المؤمنون، ولا يستون التحقيق الفعاية التي يسعون إليها، بل لهم في قلوبهم اتجاء آخر مباين مبايئةً كُليَّةً لاتجاء المؤمنين، وليس المظهر الذي هم فيه الأ مظهراً كاذبًا، ومن الطبعي في حال من يكون كذلك أن يكره كلَّ ما يدعم الاتجاء المباين والمناقض لاتجاهه، وأن يكون شحيحاً عليه ببذل منه أو من غيره، وشحَّة هذا يدفعه إلى محاولات الصدَّ عن أن يبذلُ أحدُّ في هذا الاتجاه من ماله أو عمله أو نفسه.

﴿ فَإِذَا جَآهَ لَلْوَفُ رَأَيْتُهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ مَدُورًا عَيْنَهُمْ كَالَّذِي يُعْفَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾:

لي: فإذا جاء ما يُبيرُ الْخَوْف في نُفُوسِهم رايُنهم من شدة الخوف الــذي لم يخفّف منه الإيمان بالغابة المحققة للسعادة ينظرون إليـك مذعـورين تدُور أغينُهم كدوران غَيْني الذي يُشْفَىٰ عليه من العوت.

﴿ يُفْشَىٰعَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُوْتِّ ﴾:

أي: يُفْتَى عليه من خوف الموت، فَيَغَطَّل بسبب انفعال الخوف في نفســه وعُيُه وإِذْراكُهُ ذُعُراً وهلماً.

وأصل مائة الكلمة من الستر العامُ بغطاء أو نحوه. وفعلُ ويُفَشَى عليه، يُشْمِر بـأنّ سحابات الإضماء تُفشّيه وتنقشع عنه، وهكذا يتكرّر الأمر. فــالذي يُغَشَى عليـه من الموت النــازل به تــدور عبناه زائفَتَين بين حــالتي الوعي والإغماء الذي يُغطّى وغيّه .

وهؤلاء المنافقون قوم جيناء جيناً عظيماً، وحريصون على الحياة حرصاً شديداً، لأنهم لا يؤسون باليـوم الأخر، فهم إذا جاءت الاسباب المحقية، من الـوت، اشارت خوفهم الشديد، وذعرهم البالغ مذاه، وظئوا أنَّ السوت نازل بهم لا محالة، فاخدت سحاباتُ من الـوهم تشبه غشاوات الـموت تجلّل نفـوسهم، فيكون من مظاهرها أن يُصابرا بالوجوم والسكون الأخذ بهم إلى الفيـوية، فزاهم ينظرون إليك والحال أنَّ أُعينهم تدور مثل دوران عيني الذي يُشْتَى عليه من الموت.

ومن التقابل بين حالتهم عند الخوف وحالتهم إذا ذهب الخوف تلاحظ أنَّ في الكلام محذونًا مقدَّرًا، وهو ما قدَّراه من مجيء الأسباب المخيفة للجيناء.

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخُوْفُ سَلَقُوكُم بِٱلَّهِ مَعَ إِلَّهِ مَا يُعِدَادُ ﴾:

أي: فإذا ذَهَبَتِ الأسباب المخيفة، وأخَسُوا بِالأمنِ انطلقَتْ جُرَّأَتُهم عليكم بالستهم السَّلِعة.

﴿سَلَقُوكُمُ﴾: السُّلُقُ في اللَّفَة: الصَّياحُ وشَدَّة الصَّوتُ. ويقال: سَلَقَه بالكلام سلقاً، إذا أذاه بكلامه الشديد العنيف، وأسمعه منه ما يكوه فاكشر عليه، وبالخ في مخاصمته.

﴿ بِاللَّمِينَةِ حِمَّادَى : أي: بالسنة قوية جارحة للنفوس، كالسيوف والمحاكين المحدّدة المستونة القواطع للأجسام.

إُنهم في ساعات الخرف جيناه صادتون تُملِلسُون منهارُون لا تتحرُكُ سُيوفهم، ولا أي سلاح من أسلحتهم، بل تدور أعينهم ذعراً وهلماً، كأن الموت نازل بهم، فإذا ذهب الخرف، وتحركت السنتهم، فلهم موقفان السنتهم فيهما سليطة جداد:

(١) فإنْ كانت المعركة لصالح العدة اخذوا يوئيون اللّرم والتشريب للعؤمنين، وقائد معركتهم، ويطانته الصادقة المخلصة، ويتبجّحون بصحة آرائهم الانهوزامية التي كانوا يطرحونها ولو بالهمس أو في الخفاء. (۲) وإنَّ كانت المعركة قد انتهت بانتصار المؤمنين أخذوا يطالبون بأوفر النصب من الغنائم، وتنطلق ألسنتهم كالسيوف الحداد القواطع، وتعلو أصواتهم، كأنهم قد كانوا أصحاب الصولة الكبرى في القتال، ويتبجّحون ببطولانهم، ويطالبون بأنصبتهم من الغنائم، كأنهم قد كانوا هم فرسان المعركة الأوائل، والمستحفين لأوفر النصيب.

على ضدّ ما يفصل المؤمنون الصادقون الباسلون الذين يقسلَمون أعسظم التضحيات، ويّلون أحسن البلاء، فسيوفهم وأسلحتهم هي العاملة في المعارك، ثم تكون السنتهم في حالة الهزيمة عاذرة، وتفوسهم صابرة. وعند تـوزيع الغشائم تكون السنهم شريفةً قاصرة، وتكون نفوسهم عفيفة شاكرة.

﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْحَيْرِ ﴾:

أي: ليسوا فقط أشِحَّةُ بالأموال والأعمال والأنفس منهم ومن غيرهم عليكم لـفواتكم وأشخاصكم، بل هم أشحَّةً بكلّ ذلك على الخير أين كـان الخير، لأنهم لا يؤمنون بفائلة البذل في سبيل الخير ومرضاة الله عزّ وجلّ، وظاهر أن من لَمْ يؤمن بجدوى شيء من الأشياء، فلا بدّ أن يكون شحيحاً عليه.

﴿ أُوْلَيْكَ لَتَرِيُّوا مَا مُعَمَلُ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾:

أي: اولئك البعداء عن مهابط رحمات الله عبرّ وجل، وهم قسم من المنافقين الذين جاء وصفهم أنهم يتخلفون عادة عن مواطن البأس، ولا يأتونه إلاّ قليلاً، ويشطون إخوانهم، ويدعونهم للتخلف، وهم ألبدّةً على المؤمنين وعلى كملّ خير، وهم جيناه خوارون إذا جامت أسباب الخوف، فإذا ذهبت كانبوا أصحاب ألسنة سليطة مؤفية في التلويم، وفي طلب أوفر نصيب من النائم.

﴿ أُولَئِكَ لُمْ يُؤْمِنُوا﴾: وإن نظاهروا بالإسلام، بل هم كافرون من مستوى الكضر الذي لم تختلط به أضواء ليمانية .

﴿ فَأَخْبُطُ اللَّهُ أَصْمَالُهُمْ ﴾: أي: أبطل الله أعمالهم، فلم يجعل لها الآثار الَّتي تُرجَى منها عادة.

ولكن ما هي أعمالهم الَّتي بلاحظ فيها أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أحبطها؟

لـ دى التحليل نـ لاحظ أنَّ لهم صنفين من الأعمال، ولكلِّ منهما إحباطُ مناسب

لە,

الصنف الأول: أعمال إسلاميّةً في ظاهرها، كإقامة الصلاة مع العملمين، وحضور معارك الجهاد في بعض الأحيان، ودفع الزكاة المأزّمين بدفعها.

وإحباط هذا الصنف من الأعمال يكون بإسقاطه من سجل حسناتهم، لأنه ليس نابعاً من منابع الإيسان، ولا الرأ من أثناره، فهو غير ذي قيمة عند الله، إنّه مصانعة ونقاق ورياه، هم به كافبون، وقد أخلوا جزاه في الدنيا، بِحَقْن دمائهم من القتل الذي كانوا يستحقونه لواظهروا كُفْرهم.

الصنف الثاني: أعمال كيَّدِ ضدَّ الإسلام والمسلمين، كأعمال التعويق والتخذيل والتثبيط التي يقومون بها.

وإحباط هذا الصنف من الأعمال يكون بكشف عناصره للمسلمين، وإفساد الخطط التي تدبّر فيه، وإبطال أثر المكايد التي تُحاك فيه.

وهذا الصنف من الأعمال هو الصنف الذي يلائمه قوله تعالى بعد قرار الإحباط: ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَصِيرًا ﴾ :

ونستطيع بـالاستنباط أن نقـدّر للصنف الأوّل المعنى الذي يساسبه، وفق قـاعدة العدل الرّبانيّة، وتقدير الكلام يمكن أن يكون كما يلي :

أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فأحبط الله بمقتضى عدله أعمالهم التي يظهر منها أنها أعمال حسنة؛ لأنها غير صادرة عن إيمان، وأحبط بمقتضى حكمته ونصبرته لأوليائه أعمالهم التي يكيدون بها المسلمين، وكان ذلك على الله يسيراً.

ويتـابع النصّ الكـلام حـول هؤلاء المتخلفين عن غـزوة الأحـزاب، والمثبـطين لإخوانهم عن شهودها، فيصف حالهم بعد انصراف الاحزاب، وهو:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿يَشَـَهُونَا لَقَرَابَ لَمَهِنْهُ مُولًا وَلِن بَأْتِ الْأَخْرَاتُ يَوَدُّوا لَوَانَتُمُ بَادُونَ فِي الْأَصْرَابِيسَتَقُونَ عَنْ أَشَاتِهِكُمْ وَلُوْكَافُوا فِيكُمْ مَافِئلُوا إِلاَّ لِيَلِاكُ﴾.

إنّ الأحزاب قد انصرفوا عن حصار المدينة دون أن ينـالـوا خيـراً، وكفّى الله المؤمنين القتال.

ولكن ما زال المنافقون المختبئون في منازلهم خاتفين متــوارين، يعُسَبُون الأحزاب لم يذَّهوا، لأنَّهم لا يفارقون مخابئهم في منازلهم، ليعرفوا ماذا حــدث في المدينة.

وفي هـذا تصويـر بديـع دقيق لشدّة لصـوقهم في أرض مخـابثهم، وذعـرهم من الأحزاب، وتوقعهم أنّهم لا بدّ مداهمون المدينة، ومنتصرون على المسلمين.

لكنهم بعد ذلك علموا من إخوانهم وذويهم بىرجىوع أحزاب العرب خالبين وسلامة جيش الإسلام في العدينة.

وكان تخلُّفهم أمراً يُدانُون به، وَيُحاسبهم عليه الرَّسول ﷺ والمؤمنون.

﴿ وَإِن َأَتِ الْأَخْرَابُ بَوَدُّوا لَوَاتُهُم بَادُوكِ فِي ٱلْأَغْرَابِ يَسْتُلُوكَ مَنْ أَلْبَالِهُمُّ وَمُوْكَانُوا فِيكُمُ مَا فَنَكُلَ إِلَّا فِيلَاكُ ﴾ :

﴿بَادُونَ﴾: جمع وبادٍه وهو الذي خرج إلى البادية، وترك الحاضرة.

لي: وإن يأت الأحزاب مرة أخرى لفتال المسلمين، يوة مؤلاء المنافقون لو أقهم يلدن في الأعراب، بعيدين عن المدينة، ولا شأن لهم في الصراع المدائس بين المسلمين، وبين أعمدائهم من العرب، ومن هنالك يسالون حاملي الأخيار عن أنباء الحرب الدائرة بين المسلمين وأعدائهم.

لقد كانوا عند قدوم الاحزاب يعتقدون أنهم لا محالة متصرون على المسلمين، اعتماداً على الظواهر السببية، فاتتفوا بالتخلّف عن العشاركة، ليكون ذلك عذراً لهم عند جموع الاحزاب، بأنهم لم يكونوا مع المقاتلة من المسلمين.

لكنَّهم بتخلُّفهم قد عرَّضُوا انفسهم للمحاسبة من قِبل الرسول والمؤمنين، فلو

جاء الأحزاب مرَّة أخرى فإنَّ الأمر لا يُدَّ أن يختلف، إنّهم لا يستطيعون أن يخلصوا من الإدانة بالتخلّف، ومن المعاقبة عليه، ولا يملكون الشجاعة على مشاركة المسلمين في قتال أعدائهم.

لذلك فهم يتمنّون عندائز لو ألهم كانوا بادين في الأعراب، يسألون من بعيد عن أنباء معركة المسلمين مع أعدائهم درن أن يكونوا مع مؤلاء أو مع مؤلاء، حرصاً على سلامة أنفسهم من مقاتلة الأحزاب، وسلامة أنفسهم من محاسبة المؤمنين.

﴿ وَلَوْكَ اتُّوا فِيكُمْ مَّا فَنَنْلُوۤ ا إِلَّا قَلِيلًا ﴾:

أي: وإنْ يبات الاحزاب مرّة الحرى، واضَّـطُر هؤلاء المنافقون أن يكونوا في صفوف مقاتليكُمْ، لللا تحاسبوهم على تخلفهم عنكم، ما قناتُلوا معكم إلاَّ فنالاً فليلاً كُمَّا وكيفاً، يراءونكم به، ويصانعونكم فيه، محافظةً على مظهـر انتمائهم إليكم بـادّعاه الإسلام.

ومع ما في هذا من بيان لصفات هؤلاء المنافقين، ففيه إشعارٌ ضمينٌ للمؤمنين بأن لا يضموهم في حساب القوى الّتي يملكونها ضدّ أعدائهم، بل عليهم أن يعتبروهم فؤة تشيط.

وجاه في نصّ آخر بيان اعتبارهم قُوئُ سلبيّةً لا قُونٌ إيجابيّة، وهو ما في قول الله عزّ وجلّ في سورة (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول):

﴿ لَوْ حَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَاحَبَ الاَ وَلاَ وَسَمُوا خِلَاكُمْ يَنْعُونَكُمْ ٱلْفِنْنَةُ وَفِيكُوْ سَنَعُونَكُمُّ وَاللَّهُ عَلِيدًا بِالظَّلِيدِينَ ۞ ﴾ .

﴿خَبَالًا ﴾:

أي: فساداً وإفساداً وإضراراً.

﴿ وَلاَ وَضَعُوا خِلَاكُمْ ﴾:

أي: وَلأُسْرعوا وهم بين صفوفكم ينشرون أسباب فتنة المسلمين المؤمنين عن
 دينهم، إذ بين المسلمين من قد يستمع لهم، ويصفي لاقوالهم ويتأثر بها.

فتكاملت التصوص في المثلالة على أنَّ وجود المنافقين في صفوف المسلمين أثناء معادلًا القتال بمثابة قُوْى سلبيَّ، تضاف إلى قوى الأعداء، ولا تحسب ضمن قوى المسلمين.

والمعنى: أنَّ على المؤمنين أن لا يعلَقرا على المنافقين أسلَّا ما، مهمسا كان ضعيفاً، بل عليهم أن ينشوا بالله عزَّ وجلَّ ويتوكَلوا عليه، ولا يضعوا في حسابهم إلاَّ القوى المؤمنة الصادقة في إيمانها، والصادقة في جهادها، والمخلصة لربَّها ولدينها.

وعليهم أن يتأشّوا في ذلك برسول ش 續 الذي يتوكّل عمل الله وحده، ولا يضع في حسبانه إلاّ الله ومن أتَبعه من المؤمنين، امتئالاً لقول الله عزّ وجل لرمسوله في سسورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿ يَكَأَيُّمُ النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ النَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾.

وإشارةً إلى هذه المعاني خاطب الله المؤمنين بما في قوله:

﴿ لَقَدُكُانَ لَكُمْ إِن رَسُولِ اللَّهِ السَّوَةُ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُواللَّهَ وَالْبَوْمَ الْخَمْرُوكُمُ اللَّهَ كَيِرَا ۞ ﴾ .

﴿ أَشْوَةً ﴾ :

قُذْوَةً يُقْتذى به، في عمله وخلقه وكلِّ ما يصدُّر عنه.

والمعنى المشار إليه المناسب للموضوع، مع عموم الآية في دلالتها الكليّة، يمكن أن نوضحه بما يلي:

كما أنَّ الرسول لا يقيم للمنافقين وزناً، لذى حساب فوه جيشه، بل يكتفي بريَّه، وبعن أتَبعه من العؤمنين، فيا أيُّها العؤمنون أتَخذوا رسولكم أُسوةُ لكم في ذلك، إنكم ما أتَخذتموه أسوةُ إلاَّ ظفرتم ﴿لَقَدْ كَانَّ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهُ أَسْرَةٌ حَسَنَةُ ﴾ يستغيد منها ويشَّمَد بها ﴿مَنْ كَانَ يُرَجُّو اللهُ وَلَيُومْ الاَجْرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كِيرَاً ﴾ .

﴿يَرْجُواْللَّهُ ﴾:

أي: يرجو مترقّباً عونه ومَدَدَه ونصره وَثوابه ورضوانه.

﴿وَٱلَّيْوَمُ ٱلَّاخِرَ ﴾:

أي: ويوجو السعادة الخالـدة يوم الـدين وما فيـه من أجرٍ عـظيم للمتقبن والأبرار والمحسنين.

﴿ وَنَكَرَأَلُلُهُ كَثِيرًا ﴾ :

أي: وكان مع ذلك على صِلْةٍ بالله تعالى في معظم أوقاته، لأنَّه كان كثيـر الذكــر

قمن يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً فإنَّه يتَخذ رسول الله أسوةً حسنةً له."

وهنا ينتهي الكلام في النصّ عن مواقف المنافقين في غزوة الأحزاب (الخندق) وصواقف الذين في قلوبهم مرض، منذ بـداية قـدوم الأحزاب حتّى رجـوعهم خنائين لم ينالوا خيراً.

. . .

وصف حال المؤمنين

بعد ذلك شرع النّص يلخّص مواقف المؤمنين بدءاً من أوّل قُدوم الأحزاب.

قول الله عزُّ وجلٌ:

﴿ وَلَمُثَارَهُ النَّهُ عِنْ وَالْحَدْوَلَ الْخَدْرَابَ قَالُواْ هَذَا مَا وَعَدَا التَّهُ وَرَسُولُمُ وَسَدَقَ التَّهُ وَرَسُولُمُّ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِمِنَا وَضَلِيمًا ۞ ﴾:

أي: ذلك ما كـان من أمر المنـافثين والذين في قلوبهم مـرض، وأمّا العؤمنــون فحالهم هو ما أصف لكم .

لمًّا رأى المؤمنون جيشَ الاحزاب، لم يرهبوا ولم يخافوا، ولم يقولـوا مثل مقـالة

المنافقين: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً، ولكنّهم قالـوا: هذا مـا وَعَدَنَـا الله ورسولـه وصَدَقَ الله ورسُوله.

إِنَّ كثرة الجيش القنام لقتالهم لم تَفَتُّ فِي أعضادهم، بــل حـدَّتههم قلوبهم المؤمنة بأنَّ الله قد ساق لهم هذا الجيش الكبير الـذي يفوقهم عــدداً وعُمَّة، ليحقَّق لهم ما وعدهم به من التأليد والتمكين، والنصر والفتح المبين

فالله عزّ وجلّ لم يُدْفِلُهم وعده، والرسول ﷺ لم يكذيهم في شيء، والأحداث الماضية شواهد، فلا بدّ في هذه الحادثة أن يكون الله معهم ظهيراً نصيراً.

إنَّ تقتهم بـالله ووسولـه قد كـانت في حصن حصين، من ثبات الإيمــان ورُسوخ البقين، فــلا تستطيع أن تنال منهــا شيئاً ببــالُ الشكوك التي يقــذفها الخــوف، وإن كان جيش العدوَ أكثر منهم عَدداً وعُدَة.

ومــا زادهم ما رأوا من كثـرة عدوهم، إلاّ إيـــاناً بــانَّ الله عـرُّ وجــل سُيُحَقِّق لهم ما وعدهم من التأبيد والنصر، وما زادهم إلاّ تسليماً لفضائه العكيم.

كلُّ المؤمنين الصادقين كانوا كذلك تفاؤلًا بإقبال بشائـر تحقيق وعد الله، وزيـادةً إيـمانِ بالله ورسوله حين قدرم الأحزاب لحربهم.

لكنهم فيما بعد، ولدى ممارستهم التطبيقية لأعمال المرابطة والمصابرة والجهاد، كانوا على درجات، بحسب ما لدى كلٍّ منهم من قُوّة وصبر.

. . .

قول الله عزُّ وجلَّ:

﴿ مِنَ ٱلْمُوْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْمَا عَهَدُواْ اللّهَ عَلِيْهِ ۖ فَيَنَهُم مَن قَضَىٰ غَبَهُ وَوَنْهُم مَن مِنْفِطِرُوَمَا لَكُواْ بِدِيلًا ﴿ ﴾ .

﴿ يِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَنِهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْسَةً ﴾:

أي: بعض المؤمنين كان منهم هذا الصــدق، ولم ينف الله عزّ وجـلَ الإيمان عن الذين لم يكونوا كذلك، بل أثبت أنهم من المؤمنين أيضاً.

﴿ فَيِنْهُم مِّن قَضَىٰ تَعْبَهُم ﴾:

أي: فمن هؤلاء المؤمنين الصادقين مَنْ قضَى نَحْبُه.

النُّحُبُ في اللَّغة: يأتي بعدّة معانٍ، منها ما يلي: والحاجة ــ والمدّة والأجل ــ والنذر، والمهدء.

ومذه المعاني كأنها تصلح هنا، فلقد كان المؤمنون قد عاهدوا الله أن ينصروا رسوله، ويفاتلوا معه أصداء الله حتى يُقتلوا أو تنقضي أجالهم، أو يتحقّق النصر الذي هو حاجة كلّ مؤمن.

فكان منهم من تُضَى نحبُّ، فجاهد صادقاً مخلصاً، وماث سوتاً طبيعيًا، وكان منهم من تضى نحبُّ، فجاهد صادقاً مخلصاً، وقُصِلَ فكان شهيـداً في سبيل الله، نَسَالُ حاجته من الشهادة.

وكلَّ منهما قضى نذره إنَّ كان قد نذر، وقضى عهده الذي عاهد الله عليه إنْ كان ممُن عاهد الله.

﴿ وَمِنْهُم مِّن يَنْلَظِرُ ﴾:

أي: ومن هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا ما غـاهدوا الله عليه مُنْ يُنْتَظِرُ أن يقضيَ يُحَيَّهُ بِالشهادة، أو بانتهاء الاجل، أو بتحقيق نصر الإسلام والمسلمين الـذي هو حـاجة كلّ مؤمن، مع قيامه بما عاهد الله عليه.

﴿وَمَابَدُّلُواْتِّيدِيلًا ۞﴾:

أي: وكلا القريقين المذين قضوا نحبهم، والمذين ينتظرون قضاءه حتى غايته، ما بدّلوا فيما عاهدوا الله عليه تبديلًا ما، بل حافظوا على عهودهم، ونقَدُوها ووقُوا بها.

وسكت النص عن قسم أخسر من المؤمنين، وهم السذين لم تَفْسَو إراداتُهم على الموفاء العملي الكامل بمنا عاهدوا الله عليه، مع سلامة إيمانهم، وتسليمهم لله عـرَّ وجلُ. ولا بدُّ أن يكون التبديل بين المهـد والتنفيذ عنـد هؤلاء وهم من المؤمنين المسادقين على درجات ومستويات بعضها أدنى من بعض، وهي تناسب تفاوتهم في قُوى إراداتهم، وتفاوتهم في بنسب شجاعاتهم، وفي بنسب غَلَبَةِ أهواتهم عليهم، ويُسْبَةٍ تعلَّقهم بالدُنيا وما فيها.

بيان الغاية من

الابتلاء بمواجهة جيوش الأعداء

قول الله عزّ وجلّ:

﴿لَيْجْزِىَ اللَّهُ الصَّدِيفِينَ بِصِدْفِهِمْ وَلُمَّذِبَ ٱلْمُنْفِقِينَ إِن شَاةَ ۖ أَوْيَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّالَهُ كَانَ عَفُورًا رَجِيسًا ۞﴾.

﴿ لِيَجْزِى أَللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾:

أي: لقـد كان هـذا الابتلاء بسواجهة جيوش الأعداء ليتحقّق بـه كشف أحـوال المنتسبين إلى الإسلام، وبعد الكشف يأتي تحقيق قاتون الجزاء.

أمّا العؤمنون الصادقون في إيسانهم فيجزيهم بحسب صدقهم، في إيسانهم، وفي عملهم، ويتفاوت الجزاء بحسب درجة كلّ واحدٍ منهم، في الصّدق إيمانًا، ووفاة بالمهد، وعملًا.

وأمّا العنافقون الذين أعلمنـــوا إسلامهــم ومم في داخــل قلويهــم كافــرون. فيكشف بــالامتحان نفــافهـم، وكذبهـم في ادّحــائهــم الإيــان، وبعــد الكشف يأتي تحقيق قــانـــون العبزاء:

(١) فــانُ أَصَرُوا على نفــاقهم، ولم يصلحــوا من أحـــوالهم، استحلَّــوا أنْ
 يُعَذّبهم الله بمشيئته المفترنة بكمال حكمت وعلمه، فقال تعالى:

﴿ وَيُعَذِّبُ ٱلْمُنْفِقِينَ إِن شَاءً ﴾:

أي: ويعذَّب المنافقين الذين لم يتوبوا من نفاقهم، إنَّ شــاء تعذيبَهُمُّ، وعلَّق الله

تعذيهم بمشيئته، ليبان أن ظواهر عدل في خلفه سبحانه، لا تحصل بالضمرورة الجبريّة، وإنّما تحصل بالمشيئة، لكنّنا نعلم أنّ مشيئته تعالى لا تّفكُ عن حكمته، ونعلم أنّ حكمته تعالى مقترنة بكمال علمه، وعظيم قدرته على كلّ ما يشاه.

(۲) وإذْ تابوا واستغفروا وأصلحوا وآمنوا إيماناً صادقاً، فإنَّ الله عزَّ رجل يسوب عليهم، ويقبل استغفارهم رحمةً منه، فقال تعالى:

﴿ أُوْيَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ :

أي: إذا تابوا من نفاقهم، وصحَّحوا عقيدتهم، وقوَّموا سلوكهم.

ونلاحظ أنّ الله يفتح لهم بهذا باب النوبة ليتربوا ويستغفروا، حتى يتوب عليهم، ويغفر لهم ويرحمهم، ودلّ على أنّ تدوية الله عليهم إنّسا تكون بعد ترويتهم هم من نفاقهم ما نعلم من قانون الله في الجزاء، فمن موادّه أنّ الله لا يغفر أنّ يُشْرِكُ به، ويَشْفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء، والنفاق أنشدً في دركات الكفر من الشرك.

> وأطمعهم الله بمغفرته ورحمته إذا تابوا واسْتَغْفُروا، فقال تعالى: ﴿إِنَّاللَّهُ كَانَ عُفُورًارُّحِيمًا ﴾:

أي: هو سبحانه في الكينونـة الدائمـة المستمرة كثير الغفران لمن استغفره من
 عباده، كثير الرحمة بخلقه.

بيان فصل الحتام من فصول غزوة الأحزاب

قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَرَدَالْمَثَالَيْنَ كَفُرُواْمِنَظِيهِمْ لَرَبَالُواْمَيْزَاْوَكُوْ الْقَالْلُوْمِينَ الْفِئالُ وَكَاكَافَهُ فَوَيِنَاعَهِدَنَ ۞ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ طَهُمُ رَهُدُ وَنَى أَهْلِ الْكِتَبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَلَفَ فِي قُلُوبِهِمُ النِّصَةَ فَرِيقَاتَمْتُلُونَ وَقَالِمِرُونَ فَيْفِا ۞ وَوَيَنَكُمْ أَنْضَهُمْ وَمِيْرَهُمْ وَأَمُولَكُمْ وَأَرْضَالُهُمْ عَلَيْمَا أَوْمَاكَ الْفَنْمُونِكُمْ فَى وَقَوْرِنَا ۞ .

﴿ وَرَدَّاللَّهُ ٱلَّذِينَ كُفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ ﴾:

أي: ردُّ الله الأحزاب عن المدينة إلى دِيارِهمْ مصْحـوبين بغيظهم، يكُتـُـوُون بنار الغيظ الذي اغتاظوه نتيجة خبيتهم، وعدم تحقيق شيءٍ مما جمعوا جموعهم له.

وتحقّق بذلك النصر المعتري العطيم للمؤمنين على أحزاب العرب المشركين، لأنّ الله قد قطع به داير غزو العرب الكافرين لهم بعد يوم رجمة الأحزاب عن المدينة خالبين.

جاء في صحيح البخساري أنّ الـرســـول ﷺ قـال لأصحـــابـه حين أجْلَىٰ اللَّهُ الأحزاب:

الآذَ نَغُزُوهُمْ وَلا يُغْزونَا، نَحْنُ نَسِيرُ إليهم.

وهذا في الحقيقة نصر عظيم وفتح مبين، فلقد كان مقدَّمة للفتح الـذي جاء بعـد لك.

﴿ لَرِّينَالُواٰ خَيْرًا ﴾:

أي: ما نال الذين كفروا من جمعهم أحزابهم، وقدومهم لحرب المسلمين في المدينة خيراً ما صغيراً ولا كبيراً.

﴿ وَكُفَى ٱللَّهُ ٱلْمُوْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾:

إذَّ الهم الله سلمان أن يُشِير بحضر الخندق، فكان بمثابة الدّرع للمدينة، وإذَّ بعث على المحاصِرين بعد أن أجهدهم طول الحصار، الربع الباردة والجنوة الخفيَّة، فأزعجتهم، وحملتهم على أن يرتدّوا على أعقابهم خالبين تنفيَّز قلوبهم من الخيظ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ فَوِينًا عَرِيزًا ﴾:

أي: ومن أوصاف الله في الكينونة الدائمة المستمرّة أنّه قَوِيٌّ على ما يشاء، عَزِيزٌ غالبُ لكلَّ القوىٰ.

وحقّق الله عزّ وجلّ للمؤمنين نصراً مادّيًا عظيمـاً في توابـع غزوة الاحـزاب، على الـذين ظاهـروا أحـزاب العـرب من أهــل الكتــاب، وهم يهــود يني فـريـظة، إذ انكفـاً المؤمنون على حصونهم، بعد جلاء الأحزاب عن حصار المدينة، فحاصروهم، فقذف الله في قلوبهم الرّعب، فرلوا من حصونهم مستسلمين خائفين فقتل المسلمون رجالهم، وأسروا نساهم وفراريهم، وغَيْمُوا أرْضَهم وبيارهم وأموالهم، فقال تعالى:

﴿ وَأَنْزَلُ ٱلَّذِينَ ظَنهَ رُوهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتنبِ مِن صَبَاصِيهِمْ ﴾:

أي: من حصونهم، وكان هؤلاء المظاهرون من أهل الكتاب هم من اليهود. ﴿وَقَدُفَىٰ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّبُّ ﴾:

في هذا بيان للسبب الذي جعلهم ينزلون من حصونهم مستسلمين.

﴿ فَرِيفًا نَفْتُلُوكَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾

أبـانت روايـات السيـرة النبـويّـة أنّ المسلمين قتلوا رجـالهم. وأَسَـــرُوا نسـاءهم وَقَرُورَهِم.

ونىلاحظ في هذه العبارة جمالًا في الأداء البياني، إذ جاءت كلمة وفريقاً، في البدء والختام، وبينهما فعلا وتقتلون وتأسرون.

﴿ وَأُوْرُثَكُمْ أَرْضُهُمْ وَدِيدَرَهُمْ وَأَمْوَكُمْ وَأَرْضَا لَمْ تَطَعُوهَا ﴾:

أي: وجعل ارضهم وديارهم واموالهم ميراناً لكم، ووصف الله هذه الغنائم باتُهما ميرات أورثة الله للمؤمنين، لأنّ الرّجال المالكين لها تُتلوا، وللذّلالة على أنّ عودة هـذه الأرض والمديار والأسوال إليهم أو إلى نساءهم وذراريهم أسر ميؤوس منه، كمما أنّ من مات لا تعود أمواله إليه، إذّ تصير ميراثاً لغيره.

ومع قوار العيوات المنتجز الذي منح الله به المسلمين أرض بني قريظة، وبيارگم وأتُموَالَهُمْ، أنزل الله عَرْ وجلَّ قراراً آخَرَ محقَّقاً، هو بحكم القرار المنتجز تماماً ولُمُخَقَّ بد، إلاّ أنّ زمن التنفيذ لم يمات بعد، الا وهو توريثهم أرضاً لم يطوَّرها بعد، وفسر الموقع بعد ذلك أنّها أرض الفتوحات الإسلامية في أرض العرب وغيرها من بعلاد الذّنيا.

وهذا من أنباء الغيوب الفرآنية الّتي تحقّقت فيما بعد، وكان هـذا الفرار الرّبانيُّ المحقّق إعلانًا عن بدايات النصر العظيم، والفتح العبين.

﴿ وَكَالَ ٱللَّهُ مَكَاكَ لَكِ شَى وَفَدِيرًا ﴾:

أي: ومن أوصاف الله في الكينونة الدائمة المستمرّة أنَّ الله قدير على كملّ شي؛ يريد فعله وتكويت، فنصره لرسوله وللمؤمن على الذين كفروا وعلى الدّين ظاهـروهم من أهل الكتاب، أثرَّ صغير من مذه الكلّةِ العامّة الكبرى.



نظرة عامة حول بعض ما جاء في سورة الأحزاب بعد هذا النص تماً له تعلقٌ ما به

(1)

ثمّ جاء في سورة (الأحزاب) بيان تربويٌ من الله عزّ وجلّ لـرسولـه، حدّد لـه فيه وظيفته تجاه رسالته ودعوته، وهي تتلخّص بمنهج إيجابي، ومنهج ِ سلبـي.

- فالمنهج الإيجابي بتناول العناصر التالية:
- (١) النّبليغ النّامُ لحقائق الدين، ولواجبات النـاس تجاه ربّهم عـزّ وجلّ، وهـذا التبليغ يعطيه حق الشهادة عليهم بوم الدين.
 - (٢) التبشير لمن أمن وأطاع بالنعيم المقيم الخالد في جنات النعيم.
 - (٣) الإندار أمن كفر وعصى بالعذاب الأليم في دار العذاب يوم الدين.
- (٤) الدعوة إلى الله وإلى سبيله بالوسائل التي أذن بها، المقترنة بالحكمة والموعظة الحسنة.
- (٥) أن يكون للناس سواجاً منيواً، أي: قدوة حسنة يقتدي بــــه الناس في أقـــواله وأحماله وأخلاقه وسائر تصرفاته الإختيارية.
- (١) تبشير جماعة المؤمنين بأن لهم من الله في الدنيا فضالاً كبيراً، وهو ثواب يعتجله الله لهم، إذ ينصُرهم، ويستخلفهم في الارض، وبذليل لهم كنوزها وخيرانها، ويُمثكن لهم ملطانهم، ويستخر لهم أسباب ووسائل التأبيد والتمكين.

وهـذا يتضمن التلويع بـإنـذار غيـر المؤمنين، بـأنَّ الهــزائم ستـلاحقهم ضمن

سنن الله في المجتمع البشري، وأنَّ الله سيجعل الـذين أمنـوا خلفـاءهم في ملكهم. ووارثي أرضهم والخيرات التي هي في أيديهم عند نزول النصّ.

وقد دلُّ على هذا المنهج الإيجابـي قول الله عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿يَنَأَنُّهَا النَّيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَهِدًا وَمُشِرًا وَمُذِيرًا ۞ وَدَاعِيًّا إِلَى اللهِ بِإِذَبِهِ. وَسِرَكِا أَشِيرًا ۞ وَشِرِ النَّوْمِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضَالا كَبِيرًا ۞﴾.

والمنهج السّلبيُّ نُجاه الكافرين والمنافقين في مجال الدعوة يتشاول العناصـر
 نالية:

 (١) عدم طاعة الكافرين والمنافقين في أي أمرٍ من الأمور التي تتنافى مع رسالة الرسول، أو تتنافى مع واجباته تجاه دعوته، أو تحاه ربّه، أو تجاه آية قضية من قضايا المسلمين، فقال الله لرسوله:

﴿ وَلَا نُعِلِعِ ٱلْكَنفِرِينَ وَٱلْمُنَفِقِينَ . . . ١٠٠

 (۲) عدم الاشتغال بمدافعة أذاهم، أو الانتقام منهم إذا أذوه بـاتهـــامـات، أو مطاعن، أو شنائم، أو طرح تشكيكات وشبهات.

وذلك لأنَّ صرف جهده لمدافعة أذاهم قد يحقّل للكنافرين والمنافقين بعض صا يريدونه، من إيضاف الدَّعوة عن مسيرتها، وشغل الرسول وأصحابه بصبراصات شخصيّة، فتتحوّل الرسالة عن أهدافها وواجاتها، إلى نزاعات حول الأشخاص، ويضيع الَّجْهَلُة العبدول مُدى، وتظهرُ العصبيات والأنانيات

لكنّ رسول الدّعوق، وأمّة الدُّغوق، ليس همّهم الشخاصهم، إنّما همّهم الأكبر مبادئهم، وتبلغ رسالة رئهم، والرغبة بهداية عبىد الله إلى دين الله، ودعوة النّماس إلى سبيل رئهم بالمُحكمة والموعظة الحسنة، فقال الله تعالى لرسوله:

﴿ وَدِعَ أَذَالُهُمْ . . ﴾:

أي: دع التفكير في أذاهم الموجّه منهم لك وللمسلمين، ودع الاشتغال بدفعه، ودع تدبير الأمور الرامية إلى الانتقام منهم على أذاهم، وتجمّلُ بالصّبر والصفح. ويلاحظ أنَّ التعبير بقوله تصالى: ﴿وَوَدُعُ أَدَاهِم﴾ عن هذه المعاني التي فهمناهــا منه، فيها من الإيجاز والتعميم لكلَّ الصَّـور ما لا يوجد بأسلوب بياني آخر.

 (٣) التوكّل على الله في التزام هذا الدنهج، ثقة بأنَّ الله سيحقَّق له ولاصحابه نتائج يحبُّونها أعظم بكثير ممّا أو شخلوا أنفسهم بمدافعة الأذى، أو الانتقام من الذين يوجمونه ضدَّهم، فقال الله تعالى لرسوله:

﴿ وَتَوَكَّ لَ عَلَى اللَّهِ وَكُفَّى بِأُلَّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾.

ثم تحدّثت السورة عن جملة أحكام أ. أنها ما يتملّن بالنكاح والطلاق وما يستبع، ومنها أحكام خاصّة بالنبيّ، ومنها أحكام من أحكام آداب المدخول إلى بيوت النبي، وبيان أنّ بعض تصرّفات الصلمين كانت تؤذي النبيّ، ويستحيي أن بنهى عنها، والله لا يستحيي من المحق، والسرجيم لسؤال أزواج النبيّ من وراء حجساب، وتحسريم نكاحهنّ من يعده، والأمر بالصلاة والسلام على النبي، ثمّ أتبم الله ذلك بقوله تعالى:

﴿إِنَّالَٰذِينَ يُؤَذُونَ اللَّهَ وَرَسُولُمُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَٱلْآيِخِرَةِ وَأَعَدَّ لَمُتْمَعُونَاكِ تُمْهِينَاكِ﴾.

فتولَّىٰ الله عزَّ وجل الدَّفاع المباشــر عن رسوك، ضدَّ الّـذين يؤذونه بشكــل عامً. وجعلهم ملعونين في الدنيا والأخرة، وأنذرهم بعذابٍ مُهين.

واللَّبيب يلمح أنَّ لِقُلَ هذا الدَّفاع موجُه ضدَّ الكافرين والمنافقين، الذين قال الله لرسوله بشائهم قبل ثماني آيات: ﴿وَرَمُ أَدَاهِم﴾.

لكنّ الله عزّ وجلّ قد جعل هـذا البيان ضمن أوامر موجهة للمؤمنين، ليشـُعـر الكافرون والمنافقون أنّه إذا كان انتصار الله لوسوله بهـذا الشكل ضدّ الذين يؤذرنـه ولو كانوا من المؤمنين، فكيف يكون انتصار الله له ضدّ الكافرين والمنافقين.

إنَّ هذا التعريض من أقوى أساليب التهديد، وذلك لأنَّ الذي يشتدُّ في معاقبة اولياته شدَّةً بالغة انتصاراً لحبيب له، لا بدُّ أن يكون عقابه لاعدائه أشدَّ وأعظم في انتصاره لهذا الحبيب. وغلف الله هذا الانتصار العظيم لرسوله بمتنابعة بينان أحكام خناصَّة بالموضين، فيها التحذير من إيذائهم بالاتهامات الباطالات، وفيها أسر المسلمات بالحجاب، كي بعرفن أنَّهُنَّ حرائر عفيفات، فلا يؤدين بقول أو عمل.

* * *

(۳)

ثم توجهت السورة مباشرة للمنافقين، ومرضى القلوب، والمرجفين في المدينة، بإندارهم بالنهم إذا لم يتهوا عن أعمالهم، وحركاتهم المستأنة بالصداء الملاسلام والمسلمين، والتي فيها إبداء للرسول، فننسسلط الله رسول، عليهم، وينهي أسلوب التخاضي عنهم، والصبر عليهم، والتسلمح معهم، كما سلط على أمثالهم فيما شرع لرسله السابقين، إذا تماذؤا في عميهم، ولم ينتهوا عن إيذا، رسول الله فيهم، فقال الله عرَّ وجلً:

﴿ لَهِ لَا يَنْهَ النَّنَفِقُ وَالَّذِي فِالْمُوجِهِ مَنْ وَالْسُرْجِفُوتَ فِالْمَدِيثَوَلَنُويَاتُكُ بِهِمْ ثُمُّ لَايُحَارِدُونَكَ فِهَا إِلَّاقِيلَا ۞ مَلْمُونِكَ أَيْنَمَا ثُوفُواْ أَخِدُوا وَقُتِلُواْ نَقْتِبَلَا ۞ شَتْمَالُقَ فِ الَّذِيرَ خَلُوانِ تَلَّوَلُونَ يَجْدَلُسُتَةَ الْمُوتَدِيلًا ۞ ﴾.

وقد جملهم الله في هذه الآبات ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المنافقون الذين ينطبق عليهم كلُّ صفات المنافقين.

القسم الشاني: الذين في قلوبهم مرض، وهؤلاء نـاس قـد أسلمـوا، ولكن في قلوبهم شكوك وشبهات، ولم تتكامل عناصر الإيمان في فلوبهم.

وهژلاء يشائرون بموسماوس المسافقين والكمافحين وتسويلاتهم، فهم يشابعون المنافقين، ويسيرون معهم، ويتعرّكون مثل تحرّكهم تأثراً بهم، دون أن يكونوا منافقين تعاماً.

القسم الشالث: المرجفون، وهم طنائفة من المنافقين ومن المذين في قلوبهم مرض، تواقحوا فظهرت منهم عبارات التخذيل، والإرجاف بأنَّ المسلمين مهنزومون لا محالة، كمقالتهم التي جاء ذكرها في أوائــل السورة: ﴿ يَا أَهُلَ يُشْرِبُ لَا مُقَامُ لُكُمْ فَارْجُمُوا﴾ .

ووصَفهم الله بأنهم مرجفون دمغاً لهم بمنا ظهـر من صفـاتهم، وهـو الإرجـاف. بالهزيمة ورواية الأخبار الكاذبة المخذلة.

الإرجناف في اللُّغة: هـو الإخبار بـالاكـاذيب، لإثـارة الفتن والاضـطرابــات، وإحداث الرجفان من العنوف.

وهؤلاء الأقسام الثلاثة، إنَّ لم يتهوا عن تحركاتهم العدائية، فيأنَّ الله عزّ رجلً سيخري رسوله بهم، أي: يرجمهه لملانتمام منهم، والتسلط عليهم، ومعاقبتهم على أعمالهم، ثم طردهم أو فرارهم من المجتمع الإسلامي الذي يتحرّكون فيه تحرُّك عداء، ولا يقفون فيه عند حدود مظاهر النفاق والمسايرة، وتنفيذ واجبات الانتماء إلى الإسلام.

وبعد طردهم من المجتمح الإسلامي، أو فعرارهم خشية إنــَـزال العقوبــات بهم، يكونون مطاردين أينما ثقفوا، وحيثة يكون حالهم حال ردّةٍ عن الإسلام بعـــــ الانتساب إليه، والمرتدون المحارّ أون يُؤخذون ويقتلون تقتيلاً شنيعاً.

وليُشلَمُ أنْ معاملتهم بهذا الاسلوب إن استمـرُوا على مكايسـدهم وتصـرُفــاتهم العـدائية، وهم داخــل صفوف المسلمين، هي سنــة الله في الـذين خَلُوا من قــلُ، من أتباع الرسالات الريانية السالفة، وهذه السنة هي من السنن الثابتة في الشرائم الريانية، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وفي هذا دلالة على أنَّ المتنافقين متى بلغت بهم الحال إلى هذا المستوى من صناعة المكايد، وتدبير الأمور العدائية للإسلام والمسلمين داخل المجتمع الإسلامي، فيأنَّ حكم الله فيهم هو معاقبتهم ومحاسبتهم على أعسالهم، ثم نفيهم، ثم مطاونتهم في مواطنهم التي يدبرون فيها المكايد، و لملاحقتهم للقبض عليهم بجريمة الرُّقة والخيانة العظمى، وتقتيلهم تقيلاً شنيعاً.

وهذه السنَّة هي سنَّة الله في كلِّ ما أنزل على رسله السابقين.

(£)

ثم ختم الله سورة (الأحزاب) بقوله عزّ وجل:

﴿ إِنَّا عَرْضَا ٱلْأَمَانَةَ طَلَ اسْتَوَتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيْتِكَ أَنْ يَجِلْلُهَ وَالْفَقْفَنَ مِنْهَا وَحَمْلُهَا ٱلْإِنْسُنَّةُ إِنَّهُ كَانَ طَلُومًا جَمُولًا ۞ لِمُؤْتِبَ اللهِ ٱلشَّيْفِينِ وَالْمُشْفِقَاتِ وَالْشَرْصِكِيرِكَ وَالْمُشْرِكَتِي وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَكَانَ اللهُ غَفُولً تَجِسَنًا ۞ ﴾.

فابان الله عزّ وجل في هذا الختام للسورة مسؤوليّة أمانة الاختيار وشروطه، وثمرة هذه المسؤولية وهي الجزاء بالعدل والفضل.

أمَّا الجزاء بالعدل: فقد دلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لَيعَذَّبِ الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾.

وأَمُنا الجزاء بالفضل: فقند دلّ عليه قبوله تعالى: ﴿ويَتُنُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ المؤمنين والمؤمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفْرِراً رَجِيماً﴾.

مقدمة عامّة

حول عادة التبني الجاهليّة والفائها وإلغاء أحكامها وكلّ آثارها وتكليف الرسول أن يكون أول مطبّق لهذا الإلغاء وصوقف الكافرين والمنافقيس معن ذلـك

كان النَّبَيّ في الجاهلية عادةً متّبعةً ذات شريعةٍ من شرائعهم العنوارق، وذات احكام وأصراف شابشة، هي لـلميهم بمشابة أحكام دينيّةٍ لا يجوز الخسروج عليها ولا مخالفتها.

وقضت حكمة الله في ديد الـذي اصطفداه لعباده أن يُلفي عنادة التبني، لالنها لا تقوم على أساس تكويني، ولا على ضرورة اجتماعيّة، بـل من شناتها أن تُحرِمُ ذوي الحقوق الطبيعيّين من بعض حقوقهم في الإرث، وتستلزم تُحرِيمُ نكاح لم يُحرَّمه الله على عباده.

ومعلومً أنَّ إلضاء هذه العداة الجاهليّة التي صارت شعريعة من شعرائيم القعوم المتحوارثة، والتي لها عندهم أحكام في الإرث وتحريم النكاح ثابتة، وأعراف حَيْعة، لا بُدُّ أن يُشِر في نفوس الكافرين والممنافقين استمطام هذا الإلفاء واستنكاره، ولا بيدُ أن يتربّ أن ألْبِيتُهُمْ بالنقد والاعتراض والاستنكار واستمطام الأمر، ومحاولات الشنيع على أحكام هذا الدين الجديد، باعتبار أنَّ التَبني هو في ظاهره سلوكُ إنسانيُّ نبيلُ، فيه على عرفة وراطً وراصًا في المراسل.

فكيف يأتي محمّد الـذي يقول: إنّه يُبلُغ عن الله، ويدعـو إلى النواذ والتـراحمُ والتـواصـل، فَيُعلِنُ إلغـاه التبني، وإلغـاء كلّ آشاره التي هي من أحكــام الجـاهليّــة وتقاليدها، ثمّ يتزَرَّجُ هو مطلَّقة وزيد بن حارثة، الذي كان قد تَبَنَّه على عادة الجاهلية. فكان يقال له: زيد بن محمد؟!

إِنَّ هذا الأمر مثيرُ جدًا لنفوس غير المؤمنين، من التقليديّين المتأثرين بالأعراف الجاهلية.

إِنَّ فَضَيَّة إِيطَالَ صَادَة التِّبِي الجَاهلِيّة قَدَّ استَدَّعَتَ قَبِلَ إِسْرَالَ أَحَكَامُهَا فِي الإسلام، وقَبَّل تغيير التقليد الجاهليّ فيها، عن طريق البيان القولي والعملي، التمهيدُ لها بإعداد نفس الرسول ﷺ وتفوس المؤمنين لذلك.

ولا سيّما أنَّ التغيير العمليّ لهذا التقليد الجاهليّ بتطبيق حكم الله العمنيّرُل أشرُّ سيَّتَحَمَّلُ الرَّسُولُ نَقْسُهُ عِبُّءَ أَوْلُ مَتَمَّدٍ له، وهمو بذلك يُعَرِّض نفسه لاَتُهاصات تَمَسُّ شخصه الكريم صلواتُ الله وسلامه عليه.

وهذه الاتمهامات تُمكّن الكافرين والمنافقين من توجيه مقالة السوه له، على اعتبار أنّه يفعل في نــظرهم ويحـّب تقاليــدهم الجاهليــة كبيرةً من الكبــائر أنّي يستنكف عن يُغْلِها مشركو العرب، أنّباعاً لتقاليـدهم وأعرافهم، وأحكام جاهليّتهم.

ولهذه المقالات التي يتهيّا للأعداء من الكافرين والسنافتين أن يطلقُوها ضغطً اجتماعيًّ يحدُّرُه عادةً عظماء الرّجال وقاداتهم، ويخْشُرُن منه على مكسانـاتهم الاجتماعيَّ، ولاسيماإذا كانت لها ذرائع من شُبَهِ يُمْيُكِنُ تفسير سلوكهم معها بأنّه تابع لهوى شخصي ذاتي، ومن أجله قاموا بتغير أعرافٍ وتقاليدُ وأحكام مستندها في تصور الناس فضيلةً إنسانية.

﴿ يَكَانُّهُا النِّيْ أَقْوَالْمَهُ وَلَا نَطِيعُ الْكَنْفِينَ وَالْمُسْفِقِينَّ إِلَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيسًا حَكِيمًا ﴿ وَانَّتِهُمْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن زَلِقًا إِلَّ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَفْسُلُونَ خَبِرًا ۞ وَقَوَظًا عَلَا أَشُو وَكُنَّى إِلْمَوْرِكِيدُ ۞ ﴾.

إنَّ الرَّسول المبلِّغ عن الله ، والَّـذي يُعلِنُ دوامـاً تجـرُّدُهُ عن الهـوَى والمصلحة

الخناصة، ويشفدُ على النّاس لتزكية نفوسهم وتطهيرها من أهدوائها الجانحة، ومن نزعاتها التي تدفّقها إلى مخالفة شريعة الله، لتحقيق شهواتها ومصالحها الخاصة الدنيورية، لَيْجِدُ أَفْسَى امتحانِ يتموْضُ له أَنْ يُكلَف القيام بأعمال يمكن أَنْ تُشتَغَلُ ضدُّ نزاهته وتجرُّده، ويُمكِنُ أَنْ تُستَعَلُ لاتهابه بالهوى النفسيّ الخاص، وللتشهير به تجريحاً في بلاغاته عن ربّه، ومعارساته في إعماله الخاصة.

وبالنظر إلى بشريّة صلواتُ الله عليه فقد يدهمه النّحَدُّرُ الشديد من أن تُمَسُّ قُدسيَّةُ رسائِتِه بمطاعن الشبهاب، إلى الشرقَّةِ أو النمهُّل والشريَّتِ، في القيام بـالتكليف المخاص المحاط بشُبُهاتِ الأنّهامات الشحصيّة.

لذلك بدأه الله عزّ وجلُّ بقوله له:

﴿ بَتَأَيُّهُا ٱلنَّبِيُّ ٱلنَّقِى ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَفِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ ﴾.

من المعلوم بدامةً في صفات الرسول لدى المؤمنين أنّ التَّقُونَ سِنةُ الرَّسُولِ. الدّائمة، فمن صفاته العصمة عن المعصية، بل هو صلوات الله عليه فوق مرتبة المنتفين والأبرار، إنّه قنّة المحسنين.

لكنَّ التمهيد للتكليف الخطير الذي بخاف فيه الرسول على قدمية رسالته من مطاعن الكافرين والمنافقين، التي يُلقون فيها الشبهات الخادعات، يتطلَّب التحذير الشديد من الشرقد أو التريَّث، وقسَّةً هذا التحذير بالنَّسبة إلى الرسول ﷺ أَمْرُهُ بأن يتغيِّ الله.

وقد جاء في البيان الإشارة إلى أنَّ موضوع التكليف الآتي سوف لا يُبر الشبهات حوله إلاّ الكمافرون والمسافقون، وهؤلاء ليس من شـأن الرسـول أن يتاثَّمر بمطاعنهم، وأتَّهاماتهم أو بالشبهات التي يستطُونها، فلا ينبغي أن يكون لضغطهم الاجتمـاعي أيُّ تأثير على نفـه.

ولمَّنا كان مثل هذا التأثير ربَّمنا يولَّمد حركة التباطؤ في تنفيذ حكم الله، وهذا التباطؤ يُقهم منه الاستجابة للمؤثرات الاجتماعية، وهذه الاستجابة هي في معناهـا نوعٌ من أنواع الطاعة الاصحابها، ولو مع الكرامة لها، قال الله عزّ وجلَّ له:

﴿ وَلَا نُعِلِعِ ٱلْكَعْفِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ ﴾:

أي: ولاَ نَتَأَثُّرْ بأقوال الكافرين والمنافقين واتُّهاماتهم وضغوطهم الظالمة.

ولمّا كانت أحكامُ الله وأتفيئه القدريّة والنشريعيّة، تستند إلى علمه الشامل لكل معلوم موجود أو معدوم، وإلى حكمته العظيمة ألتي يختار بها دون اضطرار ولا إجبارٍ ما هو أحكم وأعمدل، انسجاماً مع كمال صفاته عزّ وجملٌ ختم الله الأيـة الأولى من السورة بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِمًا ۞﴾:

لي: إنّ صفتي كمال العلم وكمال المحكمة هما من صفات الله الأزلّية، فهمنا إذاً ابديتان، لأنّ ما كان أزليًا فهو أبديًّ لا محالة، ومن كان عليماً حكيماً فهو لا يختار في أحكامه وأفضيته القذريّة والتشريعيَّة إلاّ ما هو الأحكم والأعدل، ولا مُعجِّر له سبحانه، بل أفعاله وأوامره الحكيمة هي من مقتضى كمال صفاته عزّ وجلً

هذا التمهيد المسوئه للرسول بطريقة مباشرة، يتضمّن تنوجهها غير مباشر للمؤمنين، وللاخرين، إذّ فيه إشعار بأنّ الرّسول وهو السيَّ المجتبى، يقُع تحت طائلة العقاب إذا عصى، فكيف يكون حال من دونه، وفيه إعلامٌ بأنّ زواج الرّسول من مطلقة زيدٍ الذي كان قد تبنّاه قبل تحريم التبنّى وإلغائه، تكليفٌ من الله له لا خيرة لهُ فيه، ومخالفةً هذا التكليف تعرّضه للعقوبة.

بعد هذا التمهيد بيّن الله عزّ وجلّ لرسنوله الحندود التي يكون بـالتزامهـا متحقّقاً بتقوى الله، فقال تعالمي له:

﴿ وَأَنَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ :

أي: مهما أمرك ربُّكَ أو نهاك عن شيء مطريق الوحي فـانت مكلَّف أن تُجِمه. وإن خـالف هواك. وإن تصـوّرت أنّه يؤثر على صِـدْقِك في رسـالتـك، وعلى كمـال نزاهتك وتجرُّيك عن الهوى وعن المصالح الشخصيَّة، فالله عليم حكيم.

وإشارةً إلى أنَّ ايُّ إخلال ٍ أو تقصيرٍ بهذا الانّباع المأمور به لا يخفى على الله منه شيء، قال الله له في آخر هذه الآية الثانية من السورة: حول النبتَّى الجاهلي وإلغائه وتكليف الرسول أن يكون أول مطبق لإلغائه وموقف المنافقين من ذلك

﴿ إِلَّ ٱللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ ﴾.

هـذه الخبرة الرئائيّة المحيطة بكلّ ما يُقمَل الحَدَلائق، هي منَّ صفاتِ اللهِ الأزلَيْة، فَمَا يجري من شيء من الخلائق إلاّ كنان محاطناً صُلاخفاً بالعلم الرّباني التفصيليّ المتتبّع لكُلّ الدفائق الظاهرة والباطنة بعد امتحان، وما كان أزليّاً فهو أبدئيًّ لا محالة.

وتلطُّفاً بحال الرسول ﷺ مع قصَّدِ التعميم جاء الكلام على صيفة الجمع، فقال تعالى: ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِراً ﴾ لا على صيفة العفرد: بما تعمُّلُ خَبِراً.

لكنّ الرسول ﷺ قد يتعرّض في قضيّة اتباعه لما يُوخى إليه من ربّه حول موضوع إلىفاء عادة التبنّي وإلغاء كلّ آثارها وأحكامها الجاهلية قولاً وعملاً، لاتهامات ومقالات سوء تُوجّه ضدّ.

وهذا يستدعي في التربية الحكيمة نهيئة نفس الرسول وقلبه ويُحْرِه تهيئة نابعةً من القاعدة الإيمانيّة، وهي في هـذا الموضـــم التذكيرُ بالسركُّلِ على الله، الـذي وجّه لـه التكليف، فهو الذي يحبـه ويصونه، ويجعل ما يخشى منه سبّاً في زيادة التمكين لُتُونّه ووسالته، وكمال نزاهته، ورفع ذكــره، مع ما يُصيب ممّا يشتهي لنفسه وجسه فقال الله عزّ وجلُ لَه في الآية الثالثة من السورة:

﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَا لَيَّا وَكَنَى وَاللَّهِ وَكِيلًا ۞ ﴾.

بعد التمهيدات التربوية من الله عزّ وجيلً لرسوله محمدﷺ في الآيات الشلاث الأولَّياتِ من سورة (الأسرّاب) انتقلت السورة إلى بيان حقائق عقلية وعلميّة تكشف فساد مفههمات وأحكام جاهلية شائمة، منها البنّي وصا بْسَتْتْبِعَهُ من أحكام متوارثة في العادات والتقاليد الجاهليّة.

المفهومات الجاهليّة التي تعرّض لها النصّ

المفهوم الأوَّل: ادَّعاء بعض أهل الجاهليَّة أنَّ له قابين:

روي عن ابن عباس أنّه قال: كان رجلٌ من قُريش بُسمَّى مِنْ دَهْيِهِ (أي: من دَهائِهِ) ذا القابين فانزل الله في شأنه قوله:

﴿ مَّاجَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلِ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِيدً ﴾.

 وروي في سبب نزول هذه الآية عن مجاهد، أنه قال: إنّ رجلاً من بني فيشر قال: إنّ في جوفي قلتين أغقِـلُ بكلٌ واحد منهما أفضَـلُ من عقل محمّد ــ وكذّبَ ــ قائرل الله هذه الآية.

نعم: كذبَ وخُسِيء.

وروي عن قتادة وعن عكرمة نحو ما رُويَ عن ابني عباس.

وهذا الاذعاء اؤصاء كافبٌ ليس لـه في الواقـع حقيقة ينطيق عليها ووبمـا كانت فكرةً وجود أفراد في الناس يمكن أن يكـون للواحد منهم قلبـان، من الأفكار الجـاهلية الشائمة.

المفهوم الثاني: كان أهل الجاهائية يعتبرون الظهار طلاقاً تعرَّم به العراة، وأصُلُّ النظهار في عرفهم أن يقول المروج لزوجته: أنت عليّ كظهـر أنّي، أي: حرامٌ عليُّ معاشَرتُكِ كحرمة أنّي عليّ.

وهـذا كذبٌ مخالفٌ للحقيقة، فالزّرجة لا تكونُ أَلَى، والأمَّ لا تكونُ رَرجة، وجعل الزّوجة الماذون بمعاشرتها كالأمّ الّتي تُحَرُمُ معاشرتُها هـو من قبيل الجمع بين الضَّذِينَ اللَّذَيْنِ لا يجتمعان، فهو كذب تنطق به الأفواء فقط، ولا يُجِد في الواقع حقيقةً ينطِّن عليها.

والجمع بين الضدِّين مرفوضٌ بداهةً في العقول.

المفهومُ الثالث: التَّبِيِّي الذِي يجعل بحسب التقاليد والأعراف الجاهليَّة من ليس إثبًا في الحقيقة ابْنَا بالأدّصاء والإلزام بعقدِ اختياريَّ إراديَّ يُعلِنُه المُنَيِّشُ ويفيَّلُهُ العَبِشُّى.

وهـذا النُّبنِي يستّبعُ عنـدهم جميع الأحكـام الخـاصـة بـالابن النُّسبـي، ومنهـا الميراث، ومنها تحريمُ زوجةِ هذا الدّغي على من نَبًّا، تحريمًا مؤبّدًا، كما لوكـان ابّنهُ حول التبنّي الجاهلي وإلغاله وتكليف الرسول أن يكون أول مطبق لإلغائه وموقف المنافقين من ذلك

حفيقةً، فلوطلّقها أو مـات عنها لم يحـلٌ في عرفهم لمن تُبنّـلُهُ أن يتزُوّجهـا، نظراً إلى أنّها بشابة زوجة ابنه النّسبـي.

وهذا عدوانً على ما هو من خصائص الله عَرْوجلَّ فِي فضيَّة التحليل والتحريم. وكذُّبُ على الواقع والحقيقة، وذلك لأنَّ تَنِيَّ منَّ لِس انْيَّا فِي الحقيقة لا يزيد على كونه كلاماً كذباً صادراً عن الأفواه فقط، تفاخواً يعصل إنسانيٍّ، لا تعبيواً عن الواقع، بل الواقع بخلالة تماماً.

- الواقع يقول: إنَّ الْمُتَنِّى ليسَ أبناً في الحقيقة.
 - والادّعاء يقول: إنّه ابّن.

هاتان فضيَّتان مُتَناقِضَتَان، والتناقُضُ مرفوضٌ في بداهة العقول.

البيان القرآني

جاء البيان القرآني كاشفاً للمحقيقة في هذه الفضايا الجاهليّـة الثلاث، وذلك في قول الله عرَّ وجلَّ في سورة (الاحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول):

﴿ مَاجَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلِ مِن قَلْبَرِنِ فِي جَوْفِدْ وَمَاجَعَلَ أَنْذِجَكُمُ ٱلنِّينَ تُطَنَهُ رُونَتِنْنَ أَمْهَنِكُرُّ وَمَاجَعَلَ أَدْعِياتَكُمْ إِنْمَاتُكُمْ إِنْكُمْ وَلِكُمْ وَأَفْوَكُمْ وَأَلْقَ بَقُولُ ٱلمَّقَ وَهُونِهَ لِمِي السّكِيلِ ۞ .

- (١) مَا جُعَلَ اللَّهُ لُرجُلِ مِن قَلْبِينَ فِي جَوْفِهِ.
- (٢) وما جعل أزواجكم اللَّائي تظاهرون بنُّهُنَّ أَمُّهَاتِكُمْ .
 - (٣) وما جعل أدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ.

والجامع لهذه الفضايا الجاهلية الثلاث أنّها فضايها كاذبات، بينها وبين ألـواقع نناقض، والتناقص مرفوضٌ في العقول بداهةً، لذلك فهو لا يستتبـع أحكاماً تستند إلى اعتباره مقبولاً غير مرفوض.

فالقضيَّة الأولى:

﴿ مَّاجَعَلَ اللَّهُ لِرَهُلِ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . . . ١٠

 أي: ولا لامرأة من باب أولى، وخُصُّ الرجلُ بالذُّكر، للردّ على من ادّعى ذلك من رجال العرب، أمّا النساء فعا ادّعت ذلك واحدة منهنّ.

والسياقُ يدلُّ على أنَّ الصراد مِنْ نَفي أَنْ يكون لاَي إنسانِ قلبان، هــو نفي الازواجيَّة المتناقضة في ذاتِّة الإنسان العاقلة المسريدة، وهـذا من جعل الله وخلقــه، وفطرته التي فطر الناس عليها، ولو شاء غير ذلك لفعل.

فإذْ ليس للإنسان إلاّ قلبٌ واحدٌ يعقىل به ويُعريدُ به، فإنَّـه لا يُمكن لهذا القلب الواحد أن يكون متناقضاً مع نفسه، ولا أنْ يقبلَ العتناقضات، ولا أن يسلَم بها.

إنَّه لا يُمكن للقلب الواحد العاقمل العربيد أنَّ يؤمن بالله حقُّ الإيسان، وتكون عناصر هذا الإيمان واضحة لديه، قُمَّ يؤمنَ مع ذلك بالطاغوت، لأنَّ الإيسان الصحيح بالله الواحد الأحد يستنزم استازاماً عقليًّا الكُفِّرُ بالطاغوت.

إنَّ الإيمان بـ ولا إلَّه إلَّا الله، لا يمكنُ أن يجنم في قلبٍ واحد مع الإيمان بــإلّـ غير الله، لأنَّهما قضيتان متناقضتان:

الأولى: تنفي وجود إلَّه غير الله.

والثانية: تثبت وجود إلَّه غير الله.

وهذا تناقضٌ مرفوضٌ بداهة، والفكرُ الواحد، والقلب الواحد لا يمكن أن يقبل التناقض، تلك فطرةً قاهرةً فطرائة الخَلَّقُ عليها.

ولكن قد يخفى التناقض، حين يكونُ بيّن لوازم المتناقضات، عندللٍ فقد ينساق الإنسان مع المتناقضات في الحقيقة جهلاً منه بواقع تناقضها، لا ازدواجاً في هُـوَيّيهِ ذاتِ الشخصيّة الواحدة.

إنَّ من لوازم الإيمان الصحيح الواضح الشامل لكلَّ عناصر القاعدة الإيمانيَّة في الإسلام، أنَّ لا يُوجَد في قلب المؤمن بها تناقض في التقوى.

فالله عزّ وجلّ بموجب هذا الإيمان هــو وحّدُه الأهــل لأنْ يُتَّفَى، فإذَا أسر بشيءٍ، أو نهى عن شيءٍ، فإنّ المفروض في العؤمن ذي الإيمان الكامل أنْ يوجّه كلّ صا لديــه من خوف وخشية لتقوى الله، لأنّه هو الذي يبده كُلّ شيءٍ، وهو القادرُ على كلّ شيءٍ، والمحاذير الاخرى التي تخضع لسُنَن الله في كونه لا يصحُّ أن تأخــدْ حظَّا من الخــوف والخشية مناقضاً لما يجب أن يكون لله وحده.

وهُمَا نَقُول: إنَّ ملاحظة مُسَن الله فيما خلَق وذرا ويرا، ومنْهما سُنتُه في العجتمـع البشري، قد يكون فيها مخاوف تستدعي من الإنسان أن يخافها ويخشاها.

وإنَّ أوامر الله ونواهيه وزواجره تستدعي من المؤمن أن يتَّقِيَ مخالفتها.

فإذا تناقضت مقتضيك تقوى الله ، سع مقتضيات الخبوف من غير الله ، فإنّ مقتضيات تقوى الله هي الأحقّ بأن تعتش كُنّ عناصبر الخبوف والخشية في هـذا المجال، وهذا ما تستلزمه ألمُهزّيّة الواحدة للغلب الواحد في الإنسان .

لكزّ وُضوحَ رؤية الحنيقة بهذاالعمق انتقالاً من اللّوازم إلى أصل عناصر القـاعدة الإيمانية فلما يوجد عند الناس.

وإذَّ أُمر الله عزَّ وجلَّ نبهُ في الأية الأولى من سورة (الاحزاب) بمانُ يتُعي اللهُ ولا يُطيع الكافرين والمنافقين خوفاً من تشنيعاتهم عليه، وحفاظاً على قُلسيّة رساليه، ونزاهته من الأغراض الشخصيّة الدنيويّة في القضايا الدينيّة، وفي كُلُّ تبليغاته عن ربّه، أرْشَلَهُ إلى الأسلس العمين الذي يستلزم أن يُحصر تقواه بالله، ولا يحتَّى أحداً سواه، مهما كانت الدواعي لهذه الخشية، وذلك بمقتضى وحدة الْهُوَيّيّة للقلب الواحد الذي لا يقبل بفطرته التناقض.

إنَّ هذا البيان يقدم برهـاناً عقليًا وعلمياً على ضــرورة الالتزام بجــانب تقوى الله . إذا تعارضت مع الخــرف من غيره، وعلى أنَّ هــذا هو مــا تقتضيه الفـطرة الَّتي فطر الله الناس عليها، إذا كمل الإيمان، ووضحت الرؤية .

وحين يقبل الإنسان التناقض في بعض الأمور فذلك لخفاء التناقض عليه، وعدم وضوح الرؤية له، باعتباره من لوازم المتناقضات.

وكثيراً ما يَحْفَى التناقُضُ على الناس بين لـوازم المتناقفسـات، ولو وضحت لهم الرؤية تماماً لرفضُوا التناقُضُ ومَا قبلوه.

وإذا قال قائل: إنَّ هذه المعانيَ العميقة الَّتي دلُّ عليها النَّصُّ قلُّ مَنْ يفهمها من الناس. فإنَّا نَقُولُ لَهُ: إِنَّ الخطاب في هذه الآيات للرسول محمَّد صلوات اللَّهِ عليه ومن كان مِثْلُه كُنَّهُ الإشارات والتلميحات الفَّمَسَيَّة، والموجزات اللَّفَظية، وإِنَّ كانت خفيَّةً عميقةَ الْمُذَرِّكِ، يَصِمُّبُ على أكثر الناس إفراكُها.

وهَذَا من أسرار القرآن وبدائعه وروائعه.

. . .

القضيّة الثانبة:

﴿ وَمَاجَعَلَ أَزُوْجَكُمُ ٱلَّتِي تُطْلِعِدُونَ مِنْهُنَّأَ تَهَنِيكُوْ ... ۞ ٢:

أي: كما أن أزواجكم اللأتي لا يصحّ في حكم الله أن يُكُنُّ أقهاتكم اللاتي ولدتكم فلا يجوز لاحد أن يتزوّج بأنّم، ما جمل الله أزواجكم إذا ظاهرتم منهنَّ فقال قائل لزوجه: أنّبِ عليّ كمظهر أنّي _أي: حرام عليّ كرحمة أنّي عليّ _ماجملهنَّ أَنْهَاتِكُم لَفولكم ذلك بأفواهكم، ولاجملهنَّ في التحريم مثل حرمة أنّهاتكم.

فالزوجة ليست أمّاً في الحقيقة، ولا تكونُ في التحريم مثل الأمّ إذا ظاهر زوجهـا منها.

ومرجع هذا أيضاً من الناحية العلميّة والشرعيّة إلى النضاة بين حقيقتين: الأولمى: الزوجة الّتي ليست أمّاً في الواقع لا تكون بـالقول أمّاً (الزوجة ليست نُهُ.

الثانية: الأمُّ لا يصح في حكم الشرع أن تكون زوجة (الأم ليست زوجة).

فكيف يجمع المظاهر من زوجه بين حفيقتين متضائتين. زوجتي ليست أمي، زوجتي أمي، لمجرد كلام يشوك بفيه، وهمو لا أمساس له في المواقع ولا في حكم الشرع.

وقد أوجب الله على من يظاهر من زوجته الكفّارة عقوبية له، إذْ حـرَّم على نفسه ما أحلَّ الله لـه. والكفارة هي: تحرير رفّية من قبل أن يتمانًا، فمن لم يجمد فصيام شهرين متابعين من قبل أن يُتمانًا، فمن لم يستطع فإطعامُ ستين مسكيناً. حول التبني الجاهلي وإلغائه وتكليف الرسول أن يكون أول مطبق لإلغائه وموقف المنافقين من ذلك

وقد أنزل الله حكم هذه الكفارة في أوّل سورة (المجادلـة) التي نزلت بُعُـد أربَعَ عشرة سورة من إنزال سورة (الأحزاب).

القضية الثالثة:

﴿ وَمَاجَعَلَ أَدْعِيآ مَكُمْ أَنْآ مَكُمْ . . ٥٠

الدُّعيُّ: المَنْبَنَّى الذي تبنَّاهُ رجلَ فَذَعاهُ البَّنَّهُ، وهو ليس بالبَّنِهِ في الحفيقة.

والدَّعِيُّ: أيضاً المنسوبُ إلى غير أبيه، والجمع أدعياء.

لي: وما جعل الله أدعيـاءُكُمْ ــ المذين تَنَبَّنُونَهُم وهم ليسـوا بـابـُـــاقكـم تـــبــاً ـــ أبناءكم، ولا لَهُمْ أحكامُ أبنائكم فيما اصطفى لكم من الدِّين.

فإذا قال فاللكم لمن ليس ابنة نسباً: أنّت أبني ترثني وأرثك، فإنّ إنْساءة لعَلْد التَّبَنِي هذا الاغ وباطل، ولا يغيّر من الحقيقة شيئاً. فالواقع بخلاف ذلك، إنّ الإرادة القدريّة لم تجمله ابنّة نَسَباً، بل جعلته نشلٌ شخص آخر، كفالك إرادة الله التنسريعيّة لم تُجَمِّلُه ابنّه حُكُماً إذا نَبنًاه، لأنّ التبنّي ولوازمه على خلاف مفتضيات الحكمة الزّبانية.

ومرجع هذه الفضَّية أيضاً التَّضادُّ بين حقيقتين:

الأولى: من ليس ايناً في النّسب بمنتضى الأدلة المثبتة للنسب، لا يصحّ في حكم الشرع أن يُلخن بغير أبيه، على آية صورة من صُور الإلحاق النّسبي، ومن ذلك عقّدُ البّيني، فلا أثر للبنّي لا في النّسب ولا في الحكم الشرعي.

الشانية: النَّبَنِي يَضَمُنُ إلبَّـات حقوق النِّنُوّةِ لمنّ ليس ابْدَأَ في النسب، فيكون المتبنّى شــريكاً في الميـراث كالابن، إلى غيـر ذلك من احكــام، وهــو يتضمّن إلبــاتَ شيء، مضادً للواقع.

وقىد جنامت هـذه الفضيّة الثنائشة تمهيداً لمنا سيناتي في السورة من تكليف الرسول ﷺ أن يتزرّج بنت عمته: وزينب بنت جحش، التي كان قد زُوْجِها على كراهية منها وزيّدُ بن حارثة، الذي كان عبداً أهدته إيّاه خديجةً زوجّه وضي الله عنها، ثم أعتمه الرسول وتبنّاه قبلُ أن ينزل في المدين إلغاءً حكم التبنّي، فلمّنا قضى زيدٌ بيّهما وظراً طُلّقها، وأمّر الله رسوله بأن ينزوّجها، تأكيداً عمليناً لإلغاء عمادة التبنّي الجاهلية، التي نزل بإلغائها القرآن.

والفاصل بين هذا التمهيد وبين التكليف الأني يُناسب الفاصل الزمنيُ الذي كان بين الأمرين.

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر قال: إنّ زيّد بن حارثة مولى
 رسول الله إلله التُكنّا ندمُوهُ إلاّ زيدُ بْنُ مُحمّد، حَنَى نَزَلَ القرآن: [آدَمُومُمْ إلا بالهِمْ هُوَ
 أَقْدُمُهُمْ عَنْدُ اللهِ].

(الحديث رقم (٤٧٨٢) في فتح الباري)

واخرج ابن أبي حاتم عن السُنتي قال: وبلَغنا أنَّ مذه الآية: ﴿إِي: وتُخفي فِي اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ احقُ أَن تُخشَاءُ ﴾ نزلت في زينب بنت جَدْشر، وكانت أمّها أنتَبَحَة بنت عبد المحلل عمّة رسول الله ﷺ أراد أن يُؤرِّجُها زَيْدَ بُنَ حارثة مولاه، فكرفت ذلك، ثُمّ إنّها زَضِيتُ بما صنع رسول الله ﷺ فروَجَها إِنّه.

ثم أغلَمَ اللَّهُ عَرْ وجلُ نَبِيَّهُ ﷺ بَشَدُ أَنَهَا من أزواجه، فكنان يستحي أنَّ بِأَسُرَ بطلاتها، وكان لا يُزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس (أي: خصام وخملاف وشجار بين الازواج، وهمو بسبب توقّع زينب على زيد الّمذي كمان غُبِّداً، فأسامره رسول الله ﷺ أن يُنْسِبُكَ عليه زوجهُ وأنْ يَتْتِيَى الله، وكان يخشَى الناس أن يعبيوهُ عليه، ويفولوا: تزوَّجُ امرأةً أيّه، وكان قد تبنَّى زيداًه\!

♦ وروى عبد الرزاق عن معصر عن فتادة قال: وجاء رُبِّدُ بنُ حارثَة فشال: يما رسول الله، إنَّ رَبِّتِ الشَّنْدُ على لسائها، وأنا أُريدُ أن أَطَلَقها، فقال له: اتَّتِي الله وأَنْسِكُ عليك رَوجَكُ، قال: والنِيرُ عظِيرٌ يُحبُّ أن يُطلَقها ويَخْضَى قَالَة النَّاسِ؟*).

^{. . .}

⁽¹⁾ انظر فتع الباري، الجزء /٨/ المفحة (٥٢٣).

⁽٢) انظر فتع الباري، الجزء /٨/ الصمحة (٢٥).

حول التبنِّي الجاهلي وإلغائه وتكليف الرسول أن يكون أول مطبق لإلغاله وموقف المنافقين من ذلك

بعد بيان الحقّ والسبيل الأقوم حول الفضايا الجاهلية الثلاث، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ذَلِكُمْ هَوْلُكُمْ يَوْلُونُهِكُمْ ﴾ .

أي: ذلك انفولُ الذي تقولونه في القضايا الشلات قاصــر على كونــه قولاً صــادراً عنكم تملُؤون بــه افواهكم فقط، ولا يــهابشُ من الحقّ شيئاً، ولا يــوافق حكما شــرعيــاً مترُّلًا من عند لله.

فهو متحصر في كونه كلاماً كاذباً. او غلاواناً على حقّ الله يصا هو من خصائص الالرهيّة، لمما في معض هذه الفضايا من تحريم ما لم يحرّمه الله، وترتب حَمّدوّي لم يقض بها اللهُ عزّ رجلّ.

وقد دلُّ على القصُّر تعريف طوفي الجملة الخبريَّة: [ذَلِكُمْ قُولُكُمْ بأفواهكم]:

[قَلِكُمْ]: مبتدًا، وهو معرفة، لأنّه اسم إشارة، أشيـر به إلى كــلام ٍ مميّن معروف بق بيانه.

[قَوْلُكُم]: خبر، وهو معرفة، لإضافة القول إلى ضمير المخاطب الذي هو معرفة جايّة.

[بأفواهكم]: قيدٌ دلُّ على أنَّه ليس فولاً معتبراً، إذ هنو مجرَّد قنول بالْفُم ِ فقط، ولو مُلَّكِّتُمْ بِهِ فَراغ أفواهكم.

. . .

ولمًا كانت القضايا الجاهلية الثلاث بمجموعها تشتمل على نوعين:

النوع الأول: كلامُ يتحدَّث عن الواقع حديثاً كدباً باطلًا.

النوع الثاني: كلامٌ ينشىء أحكاماً تشريعيّة جاهلية تجانب سبيل الهمدى، وما أنزل الله بها من سلطان.

قال الله عزَّ وجلُّ عقب بيانها: وبيان كلمته حولها:

﴿ وَأَلْلَهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُويَهُدِى ٱلسَّكِيلَ ١٠٠٠

أي: فهو سبحانه يقول الحقّ بالنسبة إلى الواقع والحقيقة.

وهو يَهْدِي السبيل الأقوم الأحقّ بأن يكون هو السبيل لا غيره بالنسبة إلى الكلمة التشريعية.

- (١) ﴿ مَّاجَعَلُ اللَّهُ لِرَجُلِ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِيدً ﴾:
 - قول حتَّ مطابق للواقع تمامأً.
- (٢) ﴿ وَمَاجَمَلُ أَزُوا بِمَكُمُ ٱلَّتِي تُظَانِهِ رُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَا يَكُونُ ﴿ :

قول حتَّى مطابق للواقع من الناحية المعادّية الواقعيّة، وهو قول يهدّي السبيل الأقوم من الناحية التشريعية التي قد تعتمد على أقوال الناس والتزاماتهم، كـالنُّذور، وعقـود الزواج، وكلمة الطلاق، وساثر عقود النمايك والتوكيل وغير ذلك.

لكن السبيل الاحكم والأقوم في كلمة الظهار أن لا تكون محرَّسة للزوجات اللاشي أباحهنَّ الله لازواجهنَّ، فمن قال هذه الكلمة عوقب بالكفّارة، حتَّى لا يقولها مرَّةً أشرى.

(٣) ﴿ رَمَاجَعَلَ أَدْعِيَآ أَكُمْ أَبْنَآ مَكُمْ ﴾:

قول حقَّ مطابَقُ للواقع تماماً من الناحية العادية الواقعية. وهو قول يهدي السبيـل الأقوم والأحكم من الناحية التشويعيّة.

فالسبيل الأقوم يقضي بأن لا يؤسَّسُ غَقْدُ التِّبَي حقوقاً واحكاماً تشريعية، هي في الأصل للابناء من النسب.

إذاً فَغَفْدُ النَّبْنَي امرٌ لَغُو لا أثر له في الإسلام.

نمُّ بَئِنَ الله عَزْ وجلَ الحكمة منْ إلغاء عادة النَّبِيّ الجاهليّة وأحكامها، في حكم الإسلام، وبينَّ المنهجَ الاقْنَمَ في معاملة من نُريدُ النِّ نُفِظفَ عليه بـالنَّبُنِّي، وبيُّن أحكامَ الْحَظَلُ والْمُثَمِّدِ في قضيَّةِ الانساء النَّسْبِيّ، فقال عزْ وجلُّ:

﴿ أَدْعُوهُمْ إِلَّا بِآيِهِمْ هُوَأَنْسَطُ عِندَالْهَا فَإِن أَمْ هَمَلُمُوٓ أَمَاسَاً مُعْمَ الْمِؤْنُكُمْ فِ الْلِين وَمُؤِلِيكُمُّ لَلِشَى كَلِيْسِكُمْ جُدَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِينَ مَالْعَمَدَتْ فَالْهِكُمُّ وَسِحَانَ

اللَّهُ عَفُورًا رَّجِمًا ۞﴾.

﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَآيِهِمْ ﴾:

أي: أنْسَبُوا الابناء إلى آبائهم الَّذِينَ خرجوا من أضلابهم، بحسب ما ينظهر لكُمُّ في الدلائل الإنسانية، ولا تنسَّبُوهُمْ إلى غير آبائهم بالادّعاء والتبني.

﴿هُوَأَقْسَطُ عِندَاللَّهِ ﴾:

أي: نسبةُ الابناء إلى أبـائهم النُسْيِينَ أعدلُ عنـد الله من نسبتهم إلى من يعطف عليهم وَيَنْبَاهُمْ .

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْسَطَهُ ؛ آي: أكثر تشطأ، وإشماراً بأنَّ دافع النبني في الأصل قد يكون دافعاً إنسانياً نبيلاً، فقد يكونُ رحْمةً بالعنبُّن، أو تشريفاً له وتكريماً، وقد يكنون ستراً لحاله إذا كان مجهول السَّب كاللَّفظاء، وكالصَّغار الذين يُسْرَفُون من الهليهم، أو يؤسرون ويُسْتَرَقُون ظلماً وعدواناً.

فالدافع له قد يكون الرغبة بتحقيق عدالة اجتماعيَّة تُعوِّض الْمُتَنِّئَي عمَّا فقده.

لكنُّ النَّبَنِي قد يتولَّد عنه مشكلاتُ اجتماعيَّة، ومنافاة لقواعد الحقَّ والعدل، أكثر من العدالة الاجتماعيَّة التي قد تتحقَّن به.

فالتبنّي يجمل المتبنّى وارثاً موروثاً كالابن، وهنا ياتي الـوارثون من النسب فتسور في نفوسهم اعترافـــاتّ وأحقاد، ويحــاولون بكـل الوســائــل إلغــاء عقــــد التبنّي، لــشلاّ يشاركهم في حقوقهم غريبٌ عن أسرتهم.

والتبني يجعل قسماً من النساء اللاي يجوز الزواج منهنَّ محرِّماتٍ لمجرَّد كلمة التَّبَنِي، فتصير الغربيات بعقد التبنَّي بنات وآخوات وعمَّـات وخالات ونحو ذلك، وهنُّ لَـُـنَّ كذلك.

إلى غير ذلك من مشكلات.

ولدى المعوازنة بين رغبات العدالة الاجتماعية التي قـد يحقّقها التبنّي، والحضوق التي يهضمها التبنّي، وأنواع المظلم التي قد يُجلّبها، والأحكام المسافية للحكمة التي يستلزمها من تحليل وتحسريم، نلاحظ أنّ نسبـة الأبناء إلى آبـائهم النسبيّين أقسط وأكثر عدلًا، وأعظم حكمة، وهو ما بيّنه الله عزّ وجلّ بقوله:

أمّــا مشكلة مجهـــولي النّـب السذين لا يُعلم أبـــاؤهم من المسلمين، وهم في المحجـــم الإسلامية المحجـــم الإسلامية، المحجــم الإسلامية المحجــم الإسلامية المحجــم الإسلامية، فإذا نُسِبَ أو اتشَــن سواءً أكان مُراً أو عبْـداً، فهو أخــو بني قلان السذين جعلوه أخاهم في الدّين، من ذوي الأنسّاب السقاهرة المعــروفة، وهــنه الأخوة تسخيل ضمن الأحــوة الإيمانية، ولا تستلزم أحـكاماً خاصّةً ماليّةً ولا غيرها، لأنها أُخوةً في السدين فقط لا أخُوةً في السدين فقط لا أخُوةً في السدين فقط لا أخُوةً في السّب.

وإذا كان رقيقاً وأعتق فهو مولى من أعتقه.

وبياناً لذلك قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا ءَابَاءَ هُمُ فَإِخْوَنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوْلِيكُمْ ... ٥٠.

لكنَّ الَّذِينَ تَشْبُهُم إلى آبائهم بحسب مسا يظهـــ لننا من الادلــة والامارات وانتماءات الناس، قد لا يكونون كذلك في واقع الامر، فهل نحن مكلّفون أن لا تُشْبَ الناس إلى أبائهم إلاّ إذا كنّا على يقين من ذلك؟

وجاء الجواب الفرآني على هذا التساؤل بقول الله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِدِ ... (١):

أي: في نسبة الابناء إلى آبائهم بحسب ما ظهــر لكم من الادلـة والامــارات وانتماءات الناس، فلستم مكلّفين أن تُتبُّمُوا اليقين العلميّ في هذا الأمّـر، والخطأ في هذا لا جُناح فيه .

أمَّا التعمُّد الإرادي في نسبة الإنسان إلى غير أبيه فهو محل المسؤولية الدينيَّة، فقال الله عزَّ وجلّ:

﴿ وَلَئِكِن مَّانَعَمَدَتْ قُلُوبُكُمُّ ... ۞ ﴾:

أي: ما تعمّدت فلويُكُمُّ تعمُّداً إراديًا من نسبة إنسان إلى غير أيه، وأنتم تعلمون أنّه ليس أياه، ففي هذه الحالة يكون عليكم جُنـاحٌ في هذه النسبة، وأنتم بها أثمــون تشهدون شهادة زور، وأنتم عالمون بأنها كذب وزور.

ومن رحمة الله وفضله أنّه بفتح لعباده بناب غفرانـه ورحمتـه، ليستغفـروه متّـا ارتكبُّوه من آثام بُعَدْ بيان أحكام شريعته لهم، أمّا مواقع الإثم فهي ألّتي من سقط فيهـا عصى واستحقُّ المؤاخذة والعقاب، فقال الله عزَّ وجلَّ في ختام الآية مبيّناً لهم أنّه غفور رحيم بعباده دواماً:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنْهُورًا رَّحِيمًا ۞ ﴾.

وإذْ قد تضمّن الآيات السابقات من السورة إلغاء النّبي وأحكامه الجاهلية، ومنها التوارث على أساسه ، تمهيداً لتكليف الرسول ﷺ أن يَطْيَق إلضاءه عملياً بنفسه» في أن يتزوج وزينب بنت جحش، ابنة عمته، وهي مطلّقة وزيد بن حارثة، الذي كان يقال له بمقضى تَبَيَّه له: وزيد بن محمده.

ولمّا كان في أصل قصّة تزويج الرسول زينب من زيّد بن حارثة نوعٌ من الولاية الإلزاميّة بأن يتزوّجا، فقد جاءت الآية السادسة من السورة تعالج الإجابة على تساؤلات تدور حول ولاية الرسولﷺ، وحول حتّ التوارث، والمعخرج لمن أراد أن يُحْسَنِ لوليّه من غير أولي الأرحام، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿ النَّيُّ أَوْلَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِمٍ مَّ . . . ١٠

أي: فإذًا تولَّى لهم أمراً، أوعقد لهم عَقْداً، أو كَلَقَهُمْ عَمَلًا، فهو نافلُه عليهم يحكم ولايته الإلزامية، ومن ذلك تـزويجه وزينب بنت جحش، من وزيـد بن حارثـة، وهي لهذا الزواج كارهة.

ولمّا كان الرسول أولى بـالمتومنين من أنفسهم، فهو بعشابة الأب المجبر، وعليه فأزواجه بعثابة الأمهات لهم، فلا يجوز لاحد أن يتزوّج بإحداهنٌ من بَعْلِه، مع كَوْنهنُ مأموراتِ بالنَّـنُتُم منهم، فقال اللَّه عزّ وجلُ:

هذه قضية جرّتها المناسبة وهي ليست من أصل الموضوع، وتعتبر أمثال هذه الإضافة من الطرائف الفكريّة في البيان، ومن روائم الادب.

وإذْ قد تَمُ إلغاء النَبْنِي وَمَا يستنبُعُ من أحكام، ومنها النـوارث، فلا بُـدٌ من التنبيه على من هو أحقُّ بالتوارث، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَأَوْلُوا ٱلْأَتْمَارِ بَعْشُهُمْ أَوْلَكَ بِمَضِ فِي كِنْسِاللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْتُهَجِينَ ... 60.

فكان في هذا بيانًا لإلَّغَهُ السوارث على أسلس النَّبِنِي الذي جاء في السباق، وإشعاراً بإلغاه التوارث على أسلس الهجرة والمؤاخاة الذي كان بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حَنَّى نزلت آيةً المواريث.

وَلَكُنْ مَا المَخْرَجُ لَمَنَ ارَادَ أَنْ يَصِنْعَ لِوَلِيَّهِ أَوْ صَدَيْقَهُ أَوْ أَخْرٍ فَي الإسلام معروفًا؟ وجواباً على ذلك قال الله عزّ رجلّ :

﴿ إِلَّا أَنْ تَفَعَلُوْا إِلَىٰ أَوْلِيَا إِنِّهُمُ مَّمْرُوفًا كَاكَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِتَنْبِ مَسْطُورًا ۞ ﴾. أي: إنّ باستطاعتكم أنْ تَفْفُلُوا إلى أوليائِكُمْ معروفاً بالـوصية، أو بـالعطاء وانتم أحياء، فهو المخرج، ولا داعي لجمل ذلك ضمن حقوق النوارث.

وبعد ذلك ذكر الله عزّ وجلّ رسوله محمّداً ﷺ إلى النّبليخ، واتباع ما يُمرخى إليه من ربّه، والتزام كمال التقوى، وعدمَ طاغةِ الكافرين والمنافقين، الفضايا التي بدأت بها السورة، هي ممّا آخذ الله عله ميثانى النّبيّين، وجملهُ ميشاقاً غليبظاً على أولي العزم من الرُسُل، محمّد ونوح وإسراهيم وموسى وعينى عليهم الصلاة والسلام، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَإِذَا أَغَذَنَا مِنَ النَّبِيَدَنَ مِيشَفَهُمْ وَمِنكَ وَمِن فُعِ وَالِزَهِمَ وَمُومَىٰ وَعِسَى أَيْنَ مَرْيَمُ وَأَغَذَنَا مِنْهُمُ مِيْنَاهُا عَلِيطًا ۖ ۞ .

وظاهر أنَّ ميثاق التبليغ بصدقي يستلزم تقديم شهاداتهم يوم الدِّين بأنَّهم قـد بلَّغُوا الأمانة وأذُوا الرُّسالة . حول التبنّي الجاهلي وإلغاثه وتكليف الرسول أن يكون أول مطبق لإلغائه وموقف المنافقين من ذلك

﴿ لِيَسْنَلَ الصَّدِيقِينَ عَن صِدْفِهِمْ . . . ۞ ﴾ .

فوصفهم بكونهم صادقين، ووصف ما بلَغُوه بالله صِنْق، فبالسؤال للشهادة، التي هي من حجج الإدانة للذين تبلغُوا ولم يستجيبوا.

وبعد هذه الشهادة، ومحاسبة أهل الكفر على رفضهم بلاضات رسُل ربُهم. يصدُّر الحكم على الذين كفروا بأنَّهم أصحاب النار هم فيها بعذُبون عذاباً ألبناً. فقال اله عزَّ وجلَّ :

﴿وَأَعَذَ لِلْكَنفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞﴾.

فاكتفى بذكر الإعداد عن ذكر تنفيذ الجزاء، كما اكتفى بالسؤال عن ذكر المحاسبة لأن الأشياء تدلُّ باللزوم الذهني على المقتـرنات بهـا، ولواحقهـا في سلسلة الموضوع.

. . .

وقضَّتْ حكمةً الله عزّ وجل مع إنْرَال الشريع بإبطال عادة النَّبَى الجاهلة، وإلغاء الاحكام المتربّة عليه، كالميراث، وتحريم المزواج من مطلّقة المبنئى، أن يقضى بمنزويج وزين بنت جحشء من وزيد بن حارثة الذي كان عبداً للرسول تُمُّ أحقه وتبناء، ليُسمِر بالغاء الفوارق الطبقة في مفهومات الإسلام، فهذا الرسول يزوّج ابنة عمته لمولاء وهي قرشة عربقة، وقضى الله أن لا يُتم وفاق بينهما حن طلقها زيد، واعلم اللهُ رسوله بالنها ستكون إحدى زرجانه، وتهيّب الرسول في من مواجهة الناس بحدث يُسُابِرُه بنفسه، مُخالف لاعراف القوم في الجاهلية وصَدْر الإسلام، ومستنكح عند للكبري والمنافقين، فعاول الرسول في تميّل مقالات سُوء تمثّل نواهته، من جهة الكافرين والمنافقين، فعاول الرسول في تميّل نفس وزيد بن حارثه تُجلة تمالي زينب عليه، حين فكي تعرفهاتها تحوه، وقال له: أنبيلًا عليك زوجك، مع علمه بانًا قضاء الله نافذ لا معالة، لكنَّ الخلاف اشتدُّ بين زيد وزينب حَتَى طُلْقها، عندئذُ أمر الله رسوله بأن يتزوَّج زينب، فأطاع لأمر الله عَرْوجلَّ.

ولمَّا تُمَّ الأمُّرُ أخذ المنافقون يقولون: إنَّ مُحمَّداً يُحرِّم يَكاخَ نساء الأولاد. وقد تزوّج امرأة ابنه زيد.

قال ابن الأثير: ووتكلّم المنافقون في ذلك، وقالوا: إنَّ محمَّداً يُخرَّم نكاح نِسَاءِ الأولاد، وقد تزوَّج امرأة ابنه زيد، لأنّه كان يقال له: زيْدُ بنُ محمده ٩٠.

وإذْ فعد رُرِيَ أَنَّ العنافين وجُهُوا هذا الانشاد للرسولﷺ، فينَ السرَجِع أَنَّ يكونَ الكافرون الصرحاء قد رَدَّدُوا مثل هذه المثالة، وقد ينُلُّ عليه قولُ الله عزَّ وجِلَّ له في صدر السورة:

﴿ يَكُنَّا إِنَّا النَّهِيُّ الَّتِيالَةَ وَلَا تُطِعِ الْكَفِينَ وَالْمُسْفِقِينَ اللَّهِ كَاتَ عَلِسًا حَكِمًا ﴿ ﴾ :

وقول الله عزّ وجُلّ له بعد عرض البيانات المتعلّقة بزواجـه من زينب بنت جُحْش في السورة نفسها أيضاً:

﴿وَلَانُطِعِ ٱلْكَدِينَ وَالْمُنْذِفِينَ وَدَعْ أَذَنَهُمْ وَنَوَكُمْ ظَالَقَوْرَكُنَى إِلَّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾.

فأضاف في الشوجيه الشاني إرشادةً بنان يدنح أذاهم، أي: بنان يشركه ويُهْجِلَهُ، ولا يُشْخَل نفسَه بعردُه وبالانتصار لكرامته، فمن شان همذا النَّرْكِ والإهمال للاذي أن تنطفىء ناره، أو يذوب جليده وبنساح في الارض.

وصاحب الأذى يجد نفسه قميثاً أمام من سنَّد له سهام أقواله وتشنيعاته.

⁽١) انظر أسد الغابة، ج/٧ ص ١٣٦.

النصّ الثالث عشر

من سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) رابع سورة مدنية الأيسات مسن (٣٦ ـ ٤٠) والآية (٤٨) حـول موقف المنافقين من زواج الرسسول مطلقة وزيد بن حارثة، الذي كان قد أعتقه ونبنًاه

قال الله عزّ وجل فيها:

﴿ وَمَاكَانُ لِشُوْمِنُ وَالْمُفْوِمَةُ إِنَا فَضَى اللّهُ وَسُولُهُ الْمُراانُ بِكُونَ كُمُّ الْجَيْرَةُ مِن الْمَرْهِمُ وَمَن يَسْمُ اللّهُ مَلِينَا فَالْمَالُومُ مِننَا فَاللّهُ وَاللّهُ مَلْكِ الْمَامُ اللّهُ مَلْقِهُ وَالْمَسْتَ عَلَيْبِهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ مَلْدِيهِ وَيَخْتَى النّاسَ وَالْمَالَّاتَ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ مَلْدِيهِ وَيَخْتَى النّاسَ وَالْمَالَّاتُ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ مَلْدِيهِ وَيَخْتَى النّاسَ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ مَلْدِيهِ وَيَخْتَى النّاسَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَمَا لَمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وقال الله عز وجل فيها:

﴿وَلَانُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَدَعْ أَدْنَهُمْ وَقَوَكُمْلُ عَلَىاللَّهِ وَكَفَنَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾.

مًا في النَّصِّ مِن القراءات المتواترات (من الفرش)

- قدأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وهشام: [أنْ يَكُونَ لَهُمُ الْغِيرَةُ] بياء التذكير.
 - وقرأ باقي القراء العشرة: [أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْجَيْرَة] بتاء التأنيث.

وهما وجهان نحويًان في استعمالات العرب لأن لفظ [الْمِغْيَرة] مجازيٌ التأنيث.

(1)

.,

المنى المام للنص

ذكر الله عزّ وجلّ في هذا النّصّ لفطات من قصّة تـزوجج وزينب بنت جحش، من «زيد بن حارثته أوَّلًا، ثم تطليق زيدٍ لها، وتكليف الله رسولًه بأن يتزوّجها، بُكِّنَة إلغاء عرف التبنّي الذي كان عند أهـل الجاهلية، وبفي في صدر الإسـلام حتى نزل إلفاؤه نصّاً، وبصورة عمليّة يتَقَلُّها الرسـول بنفسه. وذكـر فيـه أيضاً بيـانـات تتعلّل بهـذا الموضوع.

(١) فجماء في اللّقطة الأولى: الإشارة إلى أن تزويج الرسول ﴿ وَيَسْء مَنْ وَيَسْء مَنْ وَيَسْء مَنْ وَيَسْء من وَيَسْء من رَبْع، ومن رَبْع، من رَبْع، ومن رَبْع، ومن الله من الله الإشارة الضمنية إلى أنّه المرّ واجرٌ الطاعة، الأمر (أي: من زينب، لتطابها بعلمقتها الاجتماعية) حتى علمتُ أنّه المرّ واجرٌ الطاعة، فأطاعت وهي كارهة، لأنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة خيارٌ في أمرهم ولسوكان من خصوصياتهم الشخصية، إذا قضى الله ورسوله فيه أمراً.

(٣) وجاء في اللّفظة الثانية: بيانٌ عمّا كنان من الرسول محمد على حين شَكَا وزيد والله بريد طلاقها، فقال له وزيد بن حارثة للرسول عدم صبره على تُوقع زينب عليه، وأنه بريد طلاقها، فقال له الرسول: والسبكُ عَلَيْكَ زُوضِكُ واتَّق الله مع أنَّ الله عزّ وجلّ كنان قد أعلمه بالنّها ستكونُ إحدى زوجاته إلاّ أنُه خَيْمي من فالله السوء أن تُوجَّه له من أجل أنه إذا تروجها بعد طلاق زَيْد لها قال الناس: تزوج محمد زوجة ابنه رأي: من كنان قد تبتّماه) الأنهم كانُوا في الجاهلة برون أنَّ المتنفى بعناية الإبن تماماً.

فوجَه الله لرسول. عبارات التشجيع على تحاوز خشية الناس، وعـدم الاكتراث أنها، لمدى تنفيل. حكماً دينياً من أحكام الله عزّ وجلً، وإن كان يتعلَّق بِمَا فَذْ يُقالُ فِيه: إنّ له فيه هوى نفسياً.

- (٣) وجاه في اللّقطة الشالثة: بيانُ طلاق هزيده لـ وزيب، وتزويج الله رسوله منها، ليكون أوّل مُنفَّذِ بنفسه لإلغاء مرف النّبني واحكامه وما يستبعه، ويكون بذلك فُدُّوةً للمؤمنين، فلا يُجِدُ بعد ذلك أحدُ منهم حرجاً في أن يتزوّجَ مَنْ كانت زوجَةً مَنْيَاهُ على عرف أهل الجاهلية.
- (٤) وأبان الله عزّ وجلّ للمؤمنين وللناس أجمعين: أنّ النبيّ بشرٌ من البشر في احكام الدين حلاله وحرامه، وهو فيها كسائر الناس، هما أباحه الله للجميع ولم يحرّمه عليه بالخصوص، فلا حرج عليه فيه.

وأبان أنَّ السِيُّ محمَّداً ﷺ في هذا شأتُه كشأن سائر النبيين من قبله:

- فهم يشاركون الناس في فِطرِهم، وفي تناول العباحـات التي أباحهـا الله من
 أكل وشرب وزواج وسائر لذات الحياة.
- وهم جميعاً يُلتَّفِن وسالات الله، فما أمرهم الله بقوله قالوه، ومَا أمرهم بقعله
 فعلوه، ليكونوا أسرة لمن بعدهم من المؤمنين، فَـذَلَ بهذا على أنَّ فصلَ الرسول تبليغً
 عمليًّ لرسالة الله.
- وهم جميعاً يخشون الله في تبليغ رسالاته، ولا يخشؤن أحداً غيره ويتوكلون عليه، مكتفين بأنه حسيب، أي: كاني لمن تتوكّل عليه، ومحاسبٌ لمن يتحرّمُل لهم بالأذى، أي: ومجانٍ، فالحساب يستنبع الجزاء.
- (٥) وأبان أنه للتاس: أنّ مقولة التبني أو عَقْد النَّبَني لا يُؤَرّ في تغيير الحقيقة شيئاً، فزيد هو أبنٌ حارثة، وليس أبن مُخمَد كما تُنطلقون استداداً إلى تبنّه لـه فيما سبق، لقد تمّ إلغاء عرف التبني .

ومحمّد لم يَّنِي الله له ولداً ذكراً يَيْلُغُ مِلْغَ الرِّجال، فَمَا كان مُحمَّدُ آبَا أَحْدِ مِن رِجالكُم. وأشار الله عزَّ وجلُّ إلى الحكمة من ذلكَ ضمناً، فقال تُعَالى:

﴿ مَا كَانَ مُحْمَدُ ٱلْمَا لَحَوِين دِهَالِكُمْ وَلَكِن زَسُولَا لَهِ وَخَاتَمَ الْتَبْعِثُ وَكَانَ اللّهُ بِكُلُ وَيْ عَلِيمًا كَ€ :

أي: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا شاء أن يعتم النَّبُواتِ التي جملها في سلالة إسراهيم عليه السلام من بعده، أوقف الذريّات الذكور عند محمّد بن عبد الله في عرق النوّة الموصول بشملر سلالة إسماعيل بن إبراهيم، كما أوقفها في عرق النوة السوصول بشطر سلالة إسحّق بن إبراهيم، عند يُحْيى وعبّى عليهم السلام.

نُدْرِكُ هَذا من قوله تصالى: ﴿وَرَكَانَ الله بَحَلَ شِيءٍ عليماً لِهِ بَعَدُ قُولُه: ﴿وَخُاتُمُ النِيِّين﴾ مع قوله تعالى بشأن إبراهيم عليه السلام في سورة (العنكبوت/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول:):

﴿وَجَمَانَنَافِ دُرِيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابُ ... ٥٠

(٦) وتعرَّض الرَّمُولُ ﷺ للأدَّى من قبل الكافرين والنَّنافقين من أُجْلِ تَفَيْدِهُ
 غَمْلِيًا إلغاء حُكم النَّبْنِ، فَتَبَّه الله، فأكَّد له أن لا يظيع الكافرين والمسافقين، ونَضَخَهُ بأن يَدَعَ إذاهم، فيتُعرض عنه ولا يُفالِله بشيء، وان يتوكّل على الله.

 فعدمُ مقابلة الأذى بمثله من شأنه نسيانُ أصل السوضوع في المجتمع البشري.

 ومن توكّل على الله كفاه الله، فصرف عنه كلّ همًّ وغمًّ وأذى، وردّ عنه كيد أعدائه وخصومه.

(Y)

المفردات اللّغويّة للنّصّ

﴿ وَمَاكَانَ لِمُمْوِّنِ وَلَامُؤْمِنَةِ إِذَا فَضَى أَلَمُ وَرَسُولُهُ الْمَرْأَنَ يَكُونَ لَمُمَّ أَلِيْنَ وَمِنَ أَمْرِهِمْ ﴾: هذا الاستعمال ونظراؤه في القرآن، مما سُلّط فيه النفي على جملة مصدّرة بفعل الكون يدلُّ على ففي اجتماع خبر كمان واسمهما دواماً، نـظراً إلى أنهما متنـافيـان، والمتنافيان لا يجتمعان.

نىمنى: ﴿وَمَاكَانَ لِنَفْسِ أَن تَمُونَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

لا يجتمع بصورة دائمة موتُ نَفْس ما وإذْنُ اللهِ بموتهـا غير مـوجود، فمــوتُ أَيَّةٍ نَفس مع عدم إذن الله به، أمران متنافيان لا يجتمعان.

ومعنى: ﴿مَاكَانَ لِنِشَدٍ أَن يُقِيِّيهُ اللّهَ الْكِينَابُ وَٱللَّهُكُمْ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِكُونُوا عِبَادًالِي مِن دُونِاللّهِ ﴾.

لا يجتمع بصورة دائمة اصطفاء الله لبشرٍ بالكتاب والحكم والنَّبَوَّ، وأمرُه للسَّاس بأن يعبدوه من دون الله ، إذْ هُمنا أمران مُتنافِيان لاّ يجتمعان .

وحيرياتي في الكلام اسمُ كمانُ أو خبرها وَصَفَا مُشتَقَا أُو بمعناه، ورأينا أَنَّ الاجتماع المنفي غَيُّر متحقَّقٍ دواماً في الأفراد، فالمرادُ من الموصف المشتَّقُ كمالُه، أو كمال مرتبة من مراته، أو أنَّ هذا الوصف المشتَّق غير موجودٍ في الحقيقة.

فمعنى: ﴿وَمَاكَاتَ لِمُؤْمِنِ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّاخَطَتًا﴾.

لا يجتمع بصورة دائمة كمال الإيمان وقَتْلُ إنسانِ مُوْمِن غَمَّداً.

ومعنَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَهِيَّ أَن يَغُلُّ ﴾.

لاَ تَجَمَّعُ النَّبُوَّةُ وَالْغَلُول بِحِمَّال مِن الاحوال، فيإنْ وُجِدَتِ النَّبُوَّةُ فَلاَ غُلول، وإنْ وُجِدَ الْغُلُولُ فَلا نَبُوَّةً.

وبناءً على هذا البيان التحليلي أقول في قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلِا مُؤْمِنَةٍ ۚ إِنَا فَنَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمُّوا أَنْ يَكُونَ لَمُثُمُ ٱلْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهُمْ ﴾.

المعنى: لا يجتمع مشورة دائينة كمالُ مرتبة التُصوى، واختيارُ غَيِّر ما قضاه الله ورَسُولُه من أمرِ تَكلِيقِيَّ. دلَّ على أن المراد كمالُ مرتبة التقوى من مواتب الإيسانِ الشَّيِّة في الآية على أن المخالف عاص . أمّا ما قضاه الله باثمرٍ تكوينيّ فهـو نافـذٌ حتماً، ولا نِجِيرَةَ فِيه لاَحَـدٍ أصلًا، مُـوَّمِنِ أو كافرِر

﴿ إِنَا فَضَى آلَلَهُ وَرَسُولُهُ وَ أَمُّوا ﴾:

أي: إذا أمضى الله ورسوله أمراً تكليفيّاً ، وتمّ إبلاغُهُ لِلْمُكلُّف.

أصل الإمضاءِ الَّبِتُ والإنهاء، ويكنونُ بسالنسبة إلى الإرادة التكليفيَّــة، بِبَتِّ التكليفِ وإنهائِهِ وإعلامِهِ للمكلّف.

الْجَيْرَة: اسمٌ بمعنَىٰ الاختيار والتُخَبُّر، تقول لَفةً: اخْتَارَ الشيءَ وتُنَخَيُرُهُ إذا انتقاهُ وفضًله على غيره. وتُطلقُ والْجَيْرَةُ، على ما يُخْتَارُ.

فالمؤمنُ المُثْقِي الله لَا يَختارُ لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَا قضاهُ الله ورسولُهُ من تكليف.

﴿ ضَلَّضَلَّالًا تُمبِينًا ﴾:

أي: فقد خَرَخ عن صواط الاستقامة على طباعة الله، ودَخل في مُسَاهَاتِ الفسلالِ العبين الواضح الذي لا شُهُهةَ فيه، وقَلَف بنفسه إلى المعصية واستحقاقِ العقاب والمؤاخلة.

﴿لِكَنْ لَايَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾:

الْخَرْجُ: الضَّمِقُ والشَّمَة، والنَّصَابِقُ الَّتِي لا يَشْتَطِيعُ السَالِكُ الغَمْوَ بَيْهَا، والْخَرْجُ: غُضُةُ الشُّجَرِ الطاغة التي لا يستطيع الداخل إليها ان يتَفَذْ فيها، وضِدُّ الحرْجِ في المعنويات الاعمال والتكالِف التي فيها يُسْرُّ وسُهُولَة، وكذلك اليَّسُرُّ والشُّهُولة.

ونفي الحرج في الشرعيات يدلُّ على الإباحة، أو رفع التحريم والحظر. * مُرَّدٍ م

﴿أَدْعِيَآيِهِمْ ﴾.

أدعِيه: جَمَّعُ وَدَعِيّ، وهو هنا الْمُثَيِّشُ، ويأتي بمعنَىٰ المثَّهِم في نَسْبِه، وبمعنى المنسوبِ إلى غير أبيه.

﴿ وَطَلَّا ﴾:

الْوَطُّرُ: الحاجة التي فيها ماركِ وَهِمُّهُ، وجمعه واوطاره ويُقالُ: قَضَى مِنُهُ وطُوه، أي: نال منه بُغْيَّه. وجاء التعبير بقضاء الـوطر في هـذا النَّسُ كتابـهُ عى إنهاء الحاجة لمعاشرة الـروجة بـطلاقها، مالـطلاقي عن عـرَم إرادي تعبيرُ عن إنهاء وغبـة الـروج بزوجت، وأنّه لم يَثِقَ لُهُ وطرُ لديها.

مُبيناً: اسم فاصل من: وأبَانَه الشيُّة إذا ظهر واتَّضَحَ من اللازم، ويُستَعَمَّل الفعل متعدَّباً، فقول: أَبَانَ فلانَّ الشيءَ إذا اوضحه واظهره، كما يستعملُ وَبَانَه لازماً ومتعدِّباً أيضاً على وأبانه.

. . .

ما رُوي في سبب التزول

معظم الروایات تذلُّ علی اَنَّ النَّصَ نزل بشأن تـزویج الـرسـول وزینب بنت جحش، ابنة عَشّب، لـمـولا، وزید بن حـارثة، ثمّ طـلاق وزید، لهـا وزواج الرسـول منها بأمر الله، کما سبق بیانه.

(1)

مع النُّصُ في التحليل والتدبّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمَاكَانَ لِمُثْوِينِ وَلَامُؤْمِنَةٍ إِنَا فَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَشَرًا أَنْ يَكُونَ لَمُثُمُ ٱلْحِيْرَةُ مِنْ أَمْرِيشًمْ . . . ۞﴾.

هذه الجملةُ مَبْدُوءَةُ بحرف العطف، وقد لاَ يظَهْرُ في السوابق الغربية مَا يُلائم أَنْ تكونَ معطوفةً عليه، لَكِنْ إذا رَجعنا إلى صدر السورة وتركّنا ما عرضته من أحــداث رُوعِي في ترتيب ذكرها جكمُّ بيائيّة تستدمي تدبُراً عميقاً، راينا أنّها معطوفةً على ما جاه في الاية السافسة من السورة، وهي: ﴿ النِّيَّا لَانَ بِالْمُؤْمِينِ مِنْ أَفْسِيمٌ وَالْوَيَّهُ أَنْوَانُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْعَادِ بَعْمُهُمْ أَوْلَى بِتَعِن فِي كِنْبِ اللَّهِ مِنْ أَفْرِيمِ وَالنَّهُ عِينَ ... ﴿) .

إذا تذَّرُّنا هذه الآية وما جاء فيها، وجدنا من المناسب جدًّا أن يُعطف عليه:

﴿ وَمَا كَانَ لِشُوْمِنِ وَلِا مُؤْمِنَةِ إِذَا فَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ ﴾ . . . إلى آخر الآية .

ولا يضرٌ كونُ الفاصل طبويلًا، لأنَّ السبورة القرآنية هي بمثابـة شجرة متشــابكة الأغصان، ولأواخرِها صِلَّة بأواثلها، وبالعناصر الرئيسة لموضوعها.

والمعنى: ليس من وصف المستكملين شسروطُ مــرُتِــة التقـــوى من المؤمنين والمؤمنات إذا أمضى الله ورسوله أمراً تكلينها إلزامياً بفعل شيء أو تــرك شيء أن يكون لُهُم اختيار آخر غير ما امضى الله روسوله ، أو شيءَ آخر يختارونه غيرٌ مــا امضى الله ورسوله من أمر ، وإنْ كاتُوا مُمَكِّنين من ذلك بإرادة الله التكوينيّة، لكن تقواهم تمنعهم .

وجاه ذكر الله مع ذكر الرّسول للإشعار بأنّ ما يُغرَّمُ عليه الرسول من أمرٍ ويقضيه مُلْزِماً به، فهدِ من أمر الله وقضائه، إنّما ينكليف من الله وهـو مُبلِّق، أو بـإنّن من الله وإمضاء لما قضى به الرّسـول، فهو أيضاً من قضاء الله وأَشـرِه، وحين لا يكون لِلّه في الأمر قضاء فإنّه يُوقف رسوله عن إمضائه ولا يأذنُ لَهْ به.

قول الله عز وجل:

﴿ وَمَن يَعْضِ اللَّهَ وَرَسُولُمُ فَقَدْضَلَّ ضَلَاكًا لا مَّبِينًا ۞ ﴾.

ولمَّا كانت معصيةُ اللَّهِ ورسولِه تُخْرِجُ العاصي عن صراط الله المستقيم، الـذي

يُوصِلُ من التَّزَمه إلى النجاة من عذاب الله، والطفر بنوايه، ولمَّا كان الخروج عنه يوقع الحَارِج في استحقاق عـذاب الله، والحرسان من ثواي، على بقَدَادٍ نَــَـَةِ خـروجـه، فلا يُدُّ أن يكون العاصي لله ورسوله قد صَلَّ بعصيانه مَا إَشَادُ عن صـراطِ النجاة والمُُظْفر بالثواب، وضلاله هذا ظاهر واضح جليُّ لذَى كلَّ مؤمن صحيح الإيمان.

وهـو أيضاً مُبِنَّ كـاشفٌ لمَـا في نفسـه من نقص في الإيــان، أو حبُّ للماجلة وإيثارٍ لهَا، أوضعفِ في الإرادة أمام مطالب الأهواء والشهوات.

والضلال: هو الضياع، والابتعادُ عن طريق الهدى.

* * *

قول الله عزّ وجلّ خطاباً لرسوله محمد ﷺ:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي َ أَنْصَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْصَمَّتَ عَلَيْهِ أَسْدِكُ عَلَىٰكَ رَوْجَكُ وَأَقْنِ الْفَرْغَيْ فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَغَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنَ غَشَنُهُ فَلَمَّا فَضَوْرَنَيْدٌ تِنْهَ وَطُرَّ رَوْجَنَكُهَا لِكُنَّ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَيِّ فِي أَزْفِج أَرْعِيَّا بِهِمْ إِذَا فَضَوا لِمَثَنَّ وَطُرَّا وَكُاتَ أَمْرُلِلْهُ مَفْهُولًا ﴿ ﴾ .

زيدٌ بنُ حارثة هو الذي أنْمَمَ الله عليه عن طريق الاسترقاق حتى صار لخديجه، فمحمّد ﷺ، ثم أنّهم عليه بالإيمان والإسلام فكان من طليعة الصف الأول، ثم صار أحد كبار أصحاب الرسول ﷺ، وأنّمَ الرسولُ عليه بالبشي، وبالتني قبل إلفائه، فيتزويجه من وأمّ أيّمنَ، مولائه، فبتزويجه من وزين بنت جحش، وهي ابنةً عجته وأميمة بنت عبد المطلب، فياعلان أنّه جبُّ رَسُول، الله بعد إلفاء النبي، إلى غير ذلك من إنّمانات جادت بعد ذلك، وبين ذلك.

لمُنا جاء زيند يشكو لمرسول الله تُعماليَّي وزينب، بالسرنها وحسبها ونسبها عليه. ورغيت في طلافها، وكان قند أُقْلِمَ بأنها ستكونُ إحدىٰ زوجاته بحكم من الله لِتَّهبِت حُكم ِ الله بإلغاءِ التنبِّي وكُلُّ توابعه، قال الرسول له:

﴿ أَمْسِكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتِّنَ ٱللَّهُ ﴾.

ويبدو أنَّ زيداً كرَّر شكواه، وكرَّز الرَّسُولُ مقالته هذه له، لذلك ذُكُرَّهُ الله بما كان يقول لزيد عند منكرّرات شكواه، ضاستعمل الفصل المضارع المذي يدلُّ على نكوبو المُخذَف.

أي: واذكُرْ إِذْ كُنْتَ تَقُولُ هذا الفول، وكـان الرسـول ﷺ في كُلِّ مَـرْةٍ يُخفِي في نفــه ما الله مُبديه.

وَلَوْ أَنَّ الحَدَثَةُ جَرُثُ مرةً واحدةً لكان البيانُ المطابق يقتضي أن يجيءَ كما يلمي : وإذْ قُلْتَ . . . وَأَخْشِتُ .

إِذْ: ظرف زمان لما مضى، متعلِّقٌ هنا بفعل ٍ محذوف تقديره: اذَّكُّرْ.

ومقالة الرسول لزيدٍ في المرَّات اشتملت على إرشادين بنصيحتين:

(١) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زُوْجُكَ.

(٢) واُتُقِ الله ـ

امًا قوله له: ﴿ أَمْسِلُكُ عَلَيْكُ زُوْجُكَ ﴾ :

فنلمحُ فيه نَصِيحتَيْنِ:

الأولَى: أَنْ لَا يُطلُّقها.

الثانية: أنَّ يتحمُّلَ تعاليها عليه.

فالأولَى نَاحَفُمَا من وأشبك، أي: لا تَعَلَق، والناتِهَ نَاخَلُهما مِن وَعَلِيَكَ، وذلك لانَ الاصل في الزوجـات أنْ يَكُنْ تُحْتَ أَزْواجِهنَّ، لا فوقهم، لكنَّ وزينبَ، للنَّا كانت متعالمَّ مُشْرَفَعَةً، غير واضِعَةٍ نفسها موضع الشَّخِيَّة، نضحَةُ الرَّسول بَانَ يُشَهِّرُ على تعاليها ويتحمُّلها، وإنَّ كان مشلَّ هذا يشُقُّ على السرّجال، لكِنَّ من فَعَلَهُ من أجـل حُشن المعاشرة الذي أمر الله به كان مأجوراً.

ولا نَسَىٰ أَنَّ وَرِينَبَ، تَزَوَّجْته طاعةً للَّهِ ورسُوله وهي كارهة .

رامًا قولُهُ له: ﴿ وَأَنَّقِ ٱللَّهَ ﴾:

أي: وأتَّق الله بحسن معاشرتها بالمعروف، ولا تَظْلِمُها من أجل نَفْسِها المتعاليـة الكارهة لهذا الزواج، والراضِيّة به امتثالًا. ومع تذكير الله رسولَة بهذه الحادثة ذكره أيضاً بأنّه كان يعفي مع سرّات الشكوى في نفسه أمراً، فقال له: ﴿وتحفي في نفسك ما اللّه نَبْدِيهِ﴾.

أي: لكنَّ هذا الأمر الذي تخفِّيه في نفسك النَّر اللَّهُ مُبْدِيهِ (أي: مظهره وكاشفه) الآن، ذلَّ عليه قولُ الله عزَّ وجلَّ في الآية نفسها.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَازَوَجْنَكُهَا ﴾.

أي: تُخْفِي علمكَ بِمَانُهِـا ستكونُ زُوْجَـةُ لـك بِأَمْرِ الله، وَانَّ زَيداً سَيُطلَّقُهـا * مُحالة.

﴿وَكَانَ أَمْرُاللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

ونقول مع ذلك لزيد: أمْسِكْ عليك زَوْجكَ واتَّنِ الله .

وأبان الله لرسوله دافِعُهُ لمقالة النَّصح وَإخفاء ما أخفاه في نفسه فقال له:

﴿ وَتَخَشَى ٱلنَّاسَ وَاللَّهُ ٱلْحَقُّ أَن تَخْشَلُهُ ﴾ :

أي: توالت عليك في مرّات الشكوى خشبةً مقالة الناس فيك: إنَّ محمّداً ينهى المؤمنين عن الزواج ممّن كُنْ زَوْجَاتِ البنائهم، وهو الآن يتزرَّج مُطَلَقة البّه بالنبّي، فتقول لزيد: وأسك عليك زوجَك واتن الله، ولا تقولُ له طلّقها، أو افعلُ ما يناسبك، فإن لله فضاة بأن تكونُ زوجـة في أزواج أدعائهم، تَحَثَّى مقالة الناس، والله أخلُّ أن تخشاه فسرع إلى تفيد ألمُو الله بجراًة وصوراحة، هون اكتراك لما يُعِيب عليك الناس، ما أمتَ مطيعاً لربّك تسمّى في مرضاته،

بعـد ذلك أَثَمَجَ اللَّهُ إبداءَ مـا كان يخفيـه الرسولُ ضِمْن حكايـة طــلاق وزيــده لــ وزينب، وتزويج الله زينب رَسُولَ الله، فقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ يِنْهَا وَطَرَّازَوَجْنَكُهَا ﴾.

جاء التمبير بعبارة وقضَى زيدٌ مِنْهَا وَطَرَأَه عن طلاته لهما، لأنَّ المطلَّق عن عزم وتصميم لا عن انفعال طارىء لا يُسطَلَّن إلاَّ إذا انقطت عملائق وَطَرِ نفسه بمسطَّلَقِتِ، والوطَّرُ كما عرفنا: حاجةُ النُفس المتعلَّقةُ بما تحتاجُ له. قدلٌ هذا التعبير بإبداعه على عنَّةِ قضايا: الأولى: طلاقُ زيد لزينب.

الثانية: أنَّه كان طلاقاً عن إرادة جازمة منه ورغبة ذاتيَّة فيه.

الثثاثة: أنَّ وطَرَهُ النفسيُ الذي كان متعلقاً بهما قد انتهى فصلًا، فلم تَعَدُّ بـالنسبة إليه زوجةً شهرة ولا مصلحة .

الرابعة: أنّه لم يطلّقهـا إيثاراً للرسول على نفسه، ولا لأنّه شعر بـرغبة الــرّسول فيها.

وفي هذا دفعُ لكلّ الأوهام النّ يمكن أن تُمرِدُ حول هـذا الموضّـوع، والأكاذيب الّتِي يختلفُها الوضّاعون.

وقد افترى الوشاعون قديماً مفزيات على الرسول لم تصبح سنداً، وتعسَّك بهما أعداء الإسلام بعد ذلك من مبشرين وسنشرقين، وأضافوا إليها أوهاماً ممّا يَشْرِفُون من سُلُوك عظمائهم ومقدِّميهم، وغلا بعض علمائنا السابقين في نَشَل كلَّ ما يقع لهم من روايات فنقلوا السقيم مع السليم، وربعا نقلوا المموضــوعات، وجعملوها ضمن موسوعاتهم، فأتخذ منها أعداء الإسلام ذواتع لمحاربة دين الله ووسول الله.

وأبان الله عزُّ وجلُّ حكمة تزويجه زينب لرسوله فقال تعالى:

﴿لِكُنُ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَيٌّ فِي أَرْفَتِجِ أَدْعِيّاً بِهِمْ ﴾:

اي: قضينا بهذا الزواج والترتّاب اكي بكون الرُسُول فيمها يطبّق من أمر الله تُحدُّوقًا للمؤمنين، فحلَّة يكونُ على المؤمنين بعد تطبيق السرسول بنفسه لمحكم الله حَمرَثُم وَلا تتخرّفُ من مقالمة الناس، في تنزيجهم إذا رضبوا من اللّواني كُنُّ الْرُوانَجُ أدعيائِهم الذين كانوا قد تَنْبُوتُهُمْ، وفق العرف القدم عند أهل الجاهلية.

والجمع بين الملام التي للتعلمل ودكي، التي هي للتعليل أيضاً يفيد توكيد التعليل بالعلّة المذكورة بعدهما مع بيان أهمينها.

ونــلاحظ أنّ الحملة الفرانية التعليليّة هـنه مخترلةٌ اخترالاً من كــلام يــدلُّ على الفهم الذي وضح في الشرح. وأقلّ ما يمكن أنّ نبرزه من المعلويات للتعبير عن كامــل المعنى بعبارة صريحة واضحة لا محاذيف فيها، أن نقول:

﴿لَكُيْلًا يَكُونُ﴾ بَنَذَ زُواجِ النِّبي من زينب مطلقة زيد الذي كان قد نبَّاه ﴿خَرجٌ في﴾ أن يتزوجوا من اللَّواتي كنّ بنْ ﴿أَزُواجٍ أَدْهِيائِهُمْ﴾ إذا صِرَّن خليّاتٍ من زُواجٍ.

بعد ذلك أبان الله عزّ وجلّ أنّه إذا قضىٰ الله أمرأ أن بكون ولمو من خلال إرادات الناس، فإنّه لا بَدّ أنْ يتحقّق ويكونُ أمراً مُفْعُولًا، فقال تعالى:

﴿ وَكَاتَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ١٠٠٠ ﴾.

إنَّه سهل عليه سبحان، فهو يُحرَّكُ القلوب، فتتَجه لتحقيق أمر الله، فتتحرُكُ الإرادات، وتسير الأفعال على وفقها، وتتمُّ النتائج على وفق مراد الله وأمره.

والأمر هنا أثرّ تكويني ، وليس أمراً تكليفياً فيما يظهير، حتّى يكون قابلاً للفصل أو التبرك من الموجَّّت لهم التكليف، والمفعولُ هنو المراد بـالأمـر، فـأشرُ الله مكوّن، والمراد به مفعول وكائن لا محالة.

بعد ذلك وجُه الله الخطاب للمؤمنين وغيرهم ولاسيما أهلُ الكتاب الـفين يؤمنون برسُلهم وكُتُهم، فأبان فيه أنَّه لاحرجَ على النَّبي المحتَّبَى وهو بشرَّ من البَّسر في أن يكون له زوجات، وفي أن يستمتع بهما أياح الله لمه من لفَّات، فشـأنُّ كُلُّ رُسُـل الله كذلك، ولاسيماحينما يكون الأمر يتضمُّن تبليغ رسالات الله عَمْلِيَّاً، ليكوتُوا بأفصالهم أسوةً حسنةً للناس من ورائهم، فجاه في النص:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿مَاكَانَ ۚ مَلَ النَّبِي مِنْ مَعِ فِيمَا هَرَضَ اللَّهُ أَمُّ شَنَّهَ اللَّهِ فِي اللَّذِنَ خَلَوْ إِن مَنْ أَوْكَانَ أَمْرَالُقُو فَدَرَاتَمَدُورًا ۞ الَّذِيرَ : يُلِغُونُ رِسَائَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْمَ وَكَا يَخْشُونَ أَخَدًا إِلَّا الشَّوكَيْنِ بِالْقَو حَسِيبًا ۞ ﴾ .

فيما قرض الله له: أي: فيما أباحةً لمه، أو خشة بدم من أحكام إباحة. وأصلُّ الْفَرْضِ حُرُّ يُجْمُلُ على عُود، أو خشبةٍ، أو خجرٍ، أو نحو ذلك، لبيان المقادير. كالتَّخُرُّ المتذرّج على المِسْطَرة لبيان مقادير الأطوال، وكالقُروضِ التي تُجْمَل على الرُّخْمانة لتكون ساعةً شمسيَّة تبيّن الوقت مع تحرُّكِ الظلَّ، ونحو ذلك. وأحكامٌ الله حُدُودٌ على مقاديرَ مفروضةٍ، أي: مبيَّنة بفواصل.

فما أباحه الله لعباده فقد فرضه لهم: أي حدّده لهم، وأبانَ فيه الحدود، ومنه
 فد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم أي: أياح لكم ذلك.

فالفوقُ بين الفَرضَيْن أنَّ فرضَ الإبـاحة يُصَدُّىٰ بالـلام، وأنَّ فرض الإلـزام بُمَدَّى بحرف وعلى.

والْقَلْرُ المحدَّد من الميراث فريضة، وجمعها فرائض، وسميت بذلك لما فيها من تحديدات تُمَرُفُ بها قسمة المواريث، وهي تحديدات مبيَّةً مَفْسُلة مفروضة.

واستعملت كلمة والفريضة؛ في القرآن بمعنى المهر المحدّد عند عقد النكاح.

والمعنى: ليس على النبيّ ذراماً وهو بشرّ من البشر من أيّ حَرَج يُضايفُهُ في استمتاعه بما أباح الله له، سواة أكان ذلك مباحاً لسائر المؤمنين أيضاً، أو كان خاصاً به فقط.

فإذا أتَّجِهِت نَفْسُ النِّبِيِّ للاستمتاع بما أباح الله له، فليس عليه أدنَّي حرجٍ في أن يستمتح، وليس من الفضيلة أن يُجاهِسـذ نفسـه في كفِّهـا عن المبـاح الْمُستَّـوِي الطرفين، بل من الخير أن يستمتع، ليستبقي طاقات مجاهدته حتى يستخدّمها فيما هو من الفضائل من أفعال يمارسها، أو يكفّ نفسه عنها.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْأَمِن فَبْلُّ ﴾:

أي: ليس على النبيّ محمَّدِ من حرج قليل ولا كثير فيما أباح اللهُ لـه، حالة كـون رفع هـذا الحرج طـريقة الله في منهاجه لـلانبياه الـذين خَفَّرًا من قبـل مُحمّـد، والذين جملهم الله بشراً.

فنصبُ وسَنَّة الله، فيما أزى نصبُ على أنـه حال وتقــلير الكــلام: النبـيُّ مرفــوعُ عنه الحرجُ فيما أباح الله له، حالة كون رفع الحرج هذا سنَّة الله في الأنبياء الذين خلوا من قبل، إذخلقهم بشراً، وجعل لهم طبائع البشرية، وأباح لهم أشياء من متاع الحيـاة الدنيا كما أباح لسائر البشر.

السُّنَّة: في اللَّغة الطريقة، والسّيرة، والعادة الدائمة.

وسنة الله: طريقته الدائصة، وسُنتُه: طراقته الـدائمة في خلقه، أو في أحكامـه وشرائعه. وسنةً الله في الأنبياء أن يجعلهم عباداً بشراً، وأن يُبيح لهم مباحـات تتطلّبهـا طبيعتهم البشرية.

خَلُوا: أي: مُضَوَّا في الأزمان السابقة، فمعظم الانبياء كنانت لهم زوجنات، وبعضهم كداود وسليمان كان له زوجات متعددات بكثرة عدا الجواري اللَّواتي يستمتع بهن.

والمعنى: ليس محمدً في هذا يدَّعاً في الرُّسُل، بل شات كَنْأَنهم، طعاماً، وشراباً، وزواجاً، واستمتاعاً باللَّذَاتِ العباحات في الحياة الدنيا، فليس لأحد من الناس أن يعيبه بشيء من ذلك، إنَّ النبيِّ بشرَّ من البشسر، وعبدٌ من عبدادالله، اصطفادالله لتبلغ رسالته لنظراته من عبادالله، وليكونُ لهم أسوة حسنة، مبلّغاً دينَ الله باقواله، وأفعاله، وإقراراته.

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَدَرَا مَّقَدُورًا ﴾:

أي: وكان أثراً الله في التكرين، وأمر الله في التشريع، مسبوقاً دواماً بقدتم وموجهاً بقدر، أي بتُحديد دقيق المقادير كُلُّ شيء: فأشر التكوين يَبُمُّ على وفق المقادير التي حددها الله بإرادته المحكيمة، ومن ذلك أن يجعل للبشر طبائعهم الجسديّة، والمفسيّة، ومنهم الأنبياء المصطفون، وأشر التشريع يتم على وفق المقادير التي حددها الله بإرادته المحكيمة، وفرض مُنيِّزاً خُلُودَ ما الزم به نملاً أو تركاً، وحُدُودَ ما مارغب في نملاً أو تركاً، وحُدُودَ ما أباحة إياحةً مُستَويةً طَوْقي الفِصْلِ والترك، وجعل أنباءه وغيرهم سواءً في ذلك، ورُبُسا زاد الأنبياء تكليفاً، وربُما حصّهم يعض المحات لحكمةٍ من حكمه الجلية. فأثرً الله إذا وقور.

وكان أمُّرُ الله أيضاً مَقْدُوراً، أي: نَفْسُ الأمر وذاتُه أيضاً مَقْدُور.

مُقَدُّور: اسم مُفَمُّول من فعل وقدَرَهُ يُقَدِّرُه فحين يوجَمُ اللهُ أَمْرَ النَّحُوينَ أَوْ أَمْرُ التَشْرِيعِ فَالأَمْرُ عَسه مُقَدُّور، أي : مُحدُّدُ بسابل الإرادة كما أنَّه يُوْجَه لتنفيد مُحَدُّردات المقادير.

ومن جملة النصــوص نُسْتَعَيدُ أنَّ أفعـال الله، وأحكامــه وتكاليفــه تُيَمَّ مُسُبُوقــة بـما يلي:

الأول: شمولُ العلم المحيط بكلُّ شيء.

الشانمي: الإرادةُ الَّتِي تَنَرَجُهُ لَتُخصُصُ من الأفعال والتشـريعات وكـلّ ما هــو من متعلّقاتها دون إجبار ولا إلزام ولا تلقائيّة طبعيّة .

الشالث: الحكمة في اختيار ما تتوجّمه لتخصيصه الإرادة بمقاديره الصغرى والكبرى، ومن ذلك لحظة توجيه الأمر.

الرابع: إمضاءُ وبتُ ما تمَّ اختياره، وهذا هو القضاء، والقضاء في اللغة الإنهماء والإمضاء.

ويهـذه الأربع يتحقَّقُ القضاء والقدر، فـالقضاء إمضـاءُ والقدر يتمُّ بــ تـخصيص المرادات الحكيمة بكل مقاديرها، ومنها أوقاتُ ترجيه أوامر التكوين أو التشريع.

الخامس: وعند حُلُول. الاجل لتنفيذ ما تُمَّ بالفضاء والقدر يتنوَّج، أَمْرُ التكوين، أو أمر التشريع، والتكليف.

أمَّا أَمْرُ التَكوين فيتمَّ تنفيذ المأمور به بالْقُـنَدَةِ الرَّبَـانَيَّة التي لا يُفجزها شيءٌ من مرادات الله، ممَّا تمَّ بقضائِه وقدره.

وآما أثرَّر التشريع والتكليف، فيتم بتوجيهه فقط، ويستنبع تبليغه وبينانه لِمَنْ يُسرافً خِـطائِهُمْ بـه، ويستنبع التكليف الحسابُ والجزاء، وكلُّ ذلك إنَّمـا يتحقن بـالعلم والحكمة والإرادة والقدرة وكثير من صفات الله عزّ وجلُّ الاخرى.

> بهذا التحليل نستطيع أن نفهم قول الله عزُّ رجلٌ: مِنْ رَدِيدِهِ مِنْ مِنْ مِنْ

﴿ وَكَانَ أَمْرُ أَتَّهِ فَلَدَ رَامَّ فَدُورًا ﴾.

وهـــنـــه الجملةُ مُغْترِضَــةُ بين الموصــوفين ــــوهـم الأنبيــاء الـــنين خَلُوا بنُ قبــل ــــ وصفتهم بقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِيكَ بُّلِغُونَ رِسُلَاتِ اللَّهِ وَيَغْشُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ ﴾:

لي: الدِّين يُبلَقُونُ بِسالاتِ اللّهِ بِالسّوالهِم وأعمالهِم وتقريراتهم، ومن تبليخ رسالات الله بأعمالهم أن يفعلوا ما أباح الله للناس، ليكونُوا أُمْسُوةً للناس في ذلك، وليس من شانهم أن يتورَغُوا عمّا أباح الله إباحةً مستوية الطرفين.

واؤمنًا الله لرسوله بهمذا البيان إلى ان يُهْنيدين پهُننى الأنبياء والرُمُسل من قبله، فيخشى الله، ولا يخشى أحداً إلا الله، كما أنّ الرُمُشل مِنّ قبله كمانوا بيلَمْمون رسالات الله بأقوالهم وأعمالهم، ويتُخفّونُه ولا يخشؤن احداً إلاّ الله.

المخشية: خوفٌ مصْحُوبٌ بتقدير واحترام المخوف منه.

ولمَّـا كـانت الخشيةُ من الله لا تستلزم عـدمُ الخشيــة من غيره اقتضى البيـــان التصريح بالأمرين فقال تعالى:

﴿ وَيَخْشُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا أَنَّهُ ﴾

﴿ وَكُفَّنَ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ١٠٠٠

حسيباً: أي: كافياً، من الْخَسْب، وهو الاكتفاء، والمعنى: وكفى باق كافياً لمن توكّلَ عليه.

أو فعيل من الحساب، بمعنى سريع الحساب، فهو يحاسبُ من لم ينقَذ أوامره، والحسابُ يأتي بعده قرار الجزاء.

والمعنى الأوّل فيما أرى هو الأكثر ملاءمة في هذا النّصّ.

. . .

قول الله عزّ وجل:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَوِيْن رَبَهالِ كُمْ وَلَكِن زَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَدُ النَّبِيْتِ نُّ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّي فَيْءَ عَلِيسًا ۞ .

بعد إلغاء عُرْفِ النَبْنِي بحُكم اللهِ أبانَ الله عزَّ وجلَّ للقوم، والْمَنْيُّون منهم على وجه الخصوص الذين أرجَّهوا بإشاعة مثالة السوء فقالوا: وإنَّ محمداً يُحرَّم نكلح نساء الأولاد وقد تزوَّج امرأة ابته زيده إذ كان يقال له: زيدٌ بن محمد، أبان الله لهم أنَّ محمداً ما كان أباً أحدٍ من رجالكم، وذلك لأنَّ أولاده الذكور وإبراهيمَ القاسم، والطيب، والطاهره ماتوا وهم صغار لم يلكُّوا تَبَالع الرَّجال.

أي: فزيد ليس ابنَ محمّد، والله إنّما حرّم زوجات الابناء من الأصلاب، ولم يُحرّم زوجات الادعياء.

وينطلق الذهن فيتساءل: لماذا لم يُّبِّي الله لرسوله محمَّد ولَدأً ذكراً؟

وقد أجابُ الله عزُّ وجلُّ عن هذا التساؤل ببيانِ جكُّمتِه في ذلك فقال:

﴿ وَلِلْكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَالَمُ النَّبِيَّ فَأَوَّكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ ثَنَّ عِلِمُنا ﴾:

أي: لمّا فَضَى الله بختم الرسالات والنوّات كلّها بمحمَّدٍ، لم يُبّن له ولداً ذكراً، حَى لا يَنْضَ برُّ سُلالًا النُّبُوّةِ عاملٌ وزائعٍ، إذ جَعلَ اللَّهُ البَّرةِ والكتابُ في ذُرّيّة إيراهيم، كما سنّ بيانه، ولم يق فُرّيّة ذكراً لاَخر أنبياء بني إسرائيل يجيى وعيسى.

ودلَ هذا على أنّ العامل الوراثي النباقل للخصائص المؤمّلة للاصطفاء بالنبوة إنّما يُنتقِلُ في الذكور لا في الإناث، فلا تُنبّأ امرأة.

ودلَّ على الْهَ كَلُّ رسول, نِسيَّ، فَإِذَا انتقت النبَّوَة فيلا رسالة، فكُفَّى ذكرُّ كُونه خاتم النبيين عن ذكر كونه خاتم السوسلين، لأنَّ إذا كنان خاتمُ النبيَّين فهـو خاتم المرسلين حتماً.

وخَتْمُ النّبيّن بمحمّــد هــو من حكمــة الله، وحكَّمَـةُ الله في اختيـــاراتـــه لا تُبَمُّ ما لم يكن غليماً بكُل شيء، فقال تعالى في ختام الآية :

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ ثَنَّ وَعَلِيمًا ١٠٠

أي: وهو عليم دواماً بكلُّ شيء.

وبعد زواج الرسول من ابنة عمتِه وزيب بنت جحش، تعرَّضُ لأنّى الكافرين والمنافقين، وتوجّهتُ نحوه الضُمُوط الاجتماعية الّني ربّسا أثَّرتُ على ضعف، الإيمان من السلمين، فوجَّه الله لرسوله ما يُنَيِّتُه به على طاعة الله، والقيام بما فرض الله له، والقيام ببليغ رسالة ربّه بقوله وعمله فقال له ما جاء في الآية (٤٨) من السورة وهو:

قول الله عزّ وجل:

﴿ وَلَا تُطِعُ ٱلْكَنْفِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَيَعْ أَذَنَّهُمْ وَقَوْكُلْ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾ .

(١) ﴿ وَلَا نُطِعِ ٱلْكَنفِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ ﴾:

تأكيد لما جاء في صَدْرِ السُّورَة، من جهة اللَّفظ، لكن هناك قبل أن يؤدِّي رسالة ربَّه في موضوع التبنِّي، وهُنَا بُعْدَ أَنْ أَنْى رسالة ربّه بفوله، ويفعله.

(٢) ﴿ وَدَعَ أَذَناهُمْ ﴾:

أي: أتَـرُكُ أَذَاهُمْ، فـلا تَهْتَمُ لـه، ولا تنـظُرُ إليـه، ولا تَشْغَـلُ نفــَـــك بـدَفْهِـــهِ أو الانتصار لنفسك .

وهذه وصيةً ربّائيةً نفيسة لكلَّ منْ يتعرّض للاذى، فَشَرُكُ الأذى، وعدمً الاهتمام به من شانه أن يُطْفى، نَارَ المؤذين، ويبطَّى، حركتهم، ويبجمل أقوالهم كالهباء المنثور، يخلاف مقاومت، فإنّها توقيد نار الأدى، وتفساعف من جهود المؤذين، فدويد من آلام الأذى.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكُفِّي بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ :

تأكيد لمّا جاه في صدر السورة ايضـاً، أي: ومن توكّـل على الله كفاه مـا أهمّـه، وردّ كبد أعدائه إلى نحورهم.

النص الرّابع عشر

وهومن سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٧ نز ول) سادس سورة مدنية الآيسات مسن (٩٥ ــ ٧٠) حول تحاكم المنافقين إلى الطافوت وقد أُمِرُّوا أن يكفروا به

قال الله عزَّ وجل فيها:

﴿ يَثَانَتُهَا الَّذِينَ مَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِمِنَكُمْ فَإِن لَنَزَعْلُمْ فِي مَنْيَ و فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُمُّمُ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَّرِ مِا الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَٱحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ الْمَ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ مَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَ كَاكُمُواْ إِلَى الطَّاعُوتِ وَقَدْ أَيْرُوا أَن يَكُفُرُوا بِدِّ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلَكُلُ بَعِيدًا ۞ وَإِذَا فِيلَ لَمُمْ تَعَالُواْ إِلَىٰ مَآأَسَزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُسْتَغِفِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّعِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ آيْدِيَهُمْ تُمَّ جَآ مُوكَ يَعْلِعُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنَا وَقَوْمِيقًا ۞ أُوْلَيْكَ الَّذِينَ يَسْلُمُ التَهُمَا فِي قُلُوبِهِ مَ فَأَغْرِضَ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي ٱنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا 📆 وَمَآأَرُسَلُنَا مِن زَسُولٍ إِلَّا لِيُطَكَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَ ظَلَمُوٓ أَلْفُسَهُمْ جَاآهُوكَ فَأَسْتَغَفَرُوااللهُ وَأَسْتَغْفَرَلَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهُ وَأَبَّ ازَّحِيمًا فَلَا وَرَبُكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى بُحَكِمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِثَنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْسُهِمْ حَرَجُامِمَا قَضَيْتَ وَيُسَلِمُوا ضَلِيمًا ۞ وَلَوَانَا كَنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱفْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَو آخْرُجُواْ مِن دِيَرِكُمْ مَّافَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّيْهُمْ وَلَوَا أَنَهُمْ فَعَلُواْ مَايُوعَظُونَ بِهِ. لَكَانَ خَيْرًا لَمُنْم وَأَشَدَّ تَثِّيتُ اللَّهِ وَإِذَا لَا تَبْنَهُم مِن لَدُنَّا أَجَّرًا عَظِيمًا ﴿ وَلَهَدَيْنَهُمْ مِرَطَا مُسْتَقِيمًا ﴿ وَمَنْ يُطِعُ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأَوْلَتِكَ مَ الَّذِينَ أَنْهُمَ اللّهُ عَلَيْهِم قِنَ النَّبِيْتِنَ وَالسِّدِيفِينَ وَالشُّهُدَادِ وَالصَّلِيحِينُ وَحَسُنَ أُولَتِهِكَ رَفِيهًا ۞ ذَلِكَ الْفَضْـلُـمِــُ اللّهِوْكُـفَىٰ يَافَوَعِلِـــمًا ۞﴾.

(1)

موضوع النّصّ وسبب نزوله

في هذا النص بيانُ لطاهرة من ظواهر الضاق، وهي ظاهرة التحاكم إلى غير حكم الله ورسوله، والصدّ عن حكم الله والرسول، في كلّ مَا هو مشمول بحكم شرعيًّ دبنيّ، خَكَمَ به الله، أو خَكَمَ به رسوله ﷺ، ودلّ عليه نصّ صريعً الذّلالة من قرآنٍ أوسَدَّ، أو استنبطه الفقها، المجتهدون ممّا دلّت عليه نصوص القرآن الكريم، أو دلّت عليه السنّة المطهّرة.

وقد نزل هذا النص بسبب ما كنان من بعض المنافقين قبل تنزيله ، إذ دعاه خصمه إلى حكم الله ورسوله في خصومة بينهما ، فرفض التحاكم إلى الرسول، وصدً عنه صدوداً منكراً ، وأراد أن يتحاكما إلى الطاغوب، أي: إلى حكم أهل الكفر، من الهود أو المشركين، طناً منه أنه سيجد لنفسه مخرجاً فيهضم من حقّ صاحبه ، أمّا الرسول شيخ ضيحكم بالحقّ فلا يجد عنده مخرجاً .

وقد ورد في أسباب النزول عدّة روايات تدور كلُّها حول ذلك.

(١) روى الطبري بسنده عن عاصر، قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من العنافين خصوصة، فكان المتنافق يدعمو خصمه إلى اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعمو إلى المسلمين، لأنّه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهنٍ من جُهيَّيَّة، فانزل الله قوله:

﴿ أَلْمَ ثَمَ لَلَ الَّذِي َ زَعْمُونَ أَفَهُمْ مَا مَثُوا بِمَا أَمِلَ لِلَّكَ وَمَا أَزِلَ مِن هَلِكَ بُرِيدُونَ أَن يَنَاكَمُوَّ إِلَى الطَّلَقُونِ وَقَدْ أُرُوا أَن يَكَمُوُوا فِي ... ۞ .

حُمْنُ بَلَغَ: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ نَسْلِيمًا ۞ ﴾.

(٢) وروى الطبري بسنده عن الشَّغبي رواية مشابهة لروايته السابقة عن صامر،
 وروى عن قتادة أنَّ المسلم المنافق هو رجل من الأنصار يقالُ له: بِشْر.

(٣) وروى الطبريُّ روايةً أخرى فيها أنَّ المسلمُ المنافقَ هو من منافقة اليهود.

أقول: كون هذا المنافق من اليهود هو ما يشير إليه النصّ بدلالاته، ففيه ما يلمي: ﴿يَرْغُمُونَ}أَشَّهُمُّ مَامَنُوا بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

فَلِكُرُ ﴿وَمَا أَنْزِلَ مِنْ فَبِلِكَ﴾ في هذا المقام يُشْعِر بأنهم كانُوا من أهـل الكتاب، قبل الإسلام.

وفيه ايضاً:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَنَبْنَا عَلَيْهِمْ آنِ اَفْتُلُوۤ الْنَفْسَكُمْ أَوِ اَخْرُجُوا مِن دِيَرِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا ظَيلٌ يَتُوْهُوْ ﴾

فغي هذا إلماح إلى ما كتب الله على بني إسرائيل آيام موسى عليه السلام، وهؤلاء يزعمون أقهم أحفاد أولئك، وأنهم قبل الإسلام كانوا يهموداً، وأنهم يؤمنون بسا أنول على موسى وعلى سائر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

ويؤيد كونه من اليهود الذين دخلوا في الإسلام نفاقاً ما جاء في الرواية التالية:

(4) وروي عن السّدّي قال: كان ناسٌ من اليهود قد أسلموا، ونافق بعضهم، وكان فريق منهم من بني قريطة، فقتل رجلٌ من بني النضير وخيرة منهم من بني قريطة، فقتل رجلٌ من بني النخير رجلاً من بني النخير وجلاً من بني النخير وجلاً من النخير وجلاً من النخير وجلاً من النخير وجلاً من النخير وجلاً النخير والنخير والنخير وجلاً النخير وجلاً النخير وجلاً النخير والنخير والنخير

وحكم الرسول ﷺ بقتل النُّضيري، وقَتَلُهُ بصاحِبهِ.

فتفاخَرَت النضيرُ وقُرُ يظَةُ:

فقالت النضير: نَحْنُ أَكْرُمُ مِنْكُمْ. وقالت قُريغُلةُ: نَحْنُ أكرَمُ منكم.

وطمالب المنافقيرن من قريبظة والنُضير بـأنْ يحكم بينهم في مفاخـرتهم أبو بَـرُزَةُ الأَمْـلُـمُرُ الكاهن.

وقال المسلمون منهما: بل النبئ ﷺ هو الذي يحكم بيننا.

- (٥) وروي عن ابن عباس، أنّ الطاغوت الذي أراد المنافق التحاكم إليه، هو
 اليهوديّ كعب بن الأشرف.
- (٦) وأخرج ابن أبي حاتم، والطبرائي بسنده إلى ابن عباس، قال: كان أبـو بُرَّرَة الأسلمي كاهناً يُقْفِي بين اليهود فيما يتنافرون فيه. (أي: يتغاخرون فيه). فتنافر إليه ناش من الحسلمين فأنزل الله قوله:

﴿ أَلَمْ تَنَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنْهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَالَّزِلَ مِن قَبْلِك يُرِيدُونَأَن يَتَعَاكُمُوا إِلَى الظَّاهُوتِ وَقَدْ أَبْرُوا أَنْ يَكَمُّرُوا بِدِّ... ۞ الابات.

(Y)

نظرة مجملة عامة إلى النص

(١) يبدأ النصّ بتكليف الذين آمنوا أنَّ يُطيعوا الله والرسول وأُولِي الأمر منهم.

فإن حصل التنازع بينهم في شيء سواة أكان بينهم وبين أولي الأمر منهم، أو بين المرابد أو جماعات منهم، فهم مكلفون أن يرقوه إلى الله والرسول، أي: إلى كتاب الله، وإلى رسول الله في حياته، ثمّ إلى سنته التي صحّت عنه من بعده، هـذا إذا كــانــوا يؤمنون بالله واليوم الأخر إيماناً صحيحاً صادقاً.

 (۲) بعد ذلك عرض النص قصة طائفة من المنافضين يزعمون أنّهم مؤمنون، نُمُ يُرِيدُونَ أَنْ يتحاكموا إلى المطاغوت، أي: إلى حكم الجماهليّة، وإلى حكم من يحكم بأحكام الجماهليّة من النماس، كحكم الكهّان، أو حكم طماغوت من طواغيت أهمل الكتباب، مثل: وَكُمْبُ بْنِ الْأَشْرَفِ: عـدَّو الإسـلام، والعـدَّو الكبيـر لـلوسـول ﷺ من اليهود.

وقىد حــاء عــرض قصــة هؤلاء بـأسلوب التّعجيب من التنــاقض المستغـــرب بين زعمهم، وبين ما يربدون من التحاكم إلى الطاغوت.

وكان من أمر هؤلاء المنافقين أنّهم إذا قبل لهم: تعالمُوا إلى ما أَنْزَلَ الله، وتعـالُوا إلى الرسول ليحكمُ بينكم نفروا، وصدّوا عن الرسول صدوداً فبيحاً منكراً.

(٣) وبعد ذلك ألمدح النص إلى احتمال تسليط الله عزّ وجلٌ رسولة عملهم، لمعافيتهم على أعمالهم العنافية لمقتضيات الإيمان، والذالة على باطن الكفر المستور بالفاق، فتصيبهم مصيبة عقاب الرسول لهم، بسبب ما قدّمت أيذيهم من جُرم عنظيم، وأنهم حينلة يسارعون إلى الاعتذار عن جرمهم المنافي لاتعائهم الإيمان منافأة كليّة. بأنْ يحلقوا للرسول بالله، على أنهم ما أرادوا بعملهم هذا إلاّ إحماناً وتوفيقاً.

ويطرح المتدبّر هنا سؤالًا، وهو: ما معنى أنّهم ما أرادوا إلّا إحْسَاناً وَتوفيقاً؟

أقسول: حين نـالاحظ أنَّ الخصسومة كسانت بين مسلمين منافقين، وبين غيسر مسلمين، كما جاء في معظم روايات سبب النـزول، يظهـر لنا أنهم يستُدرون غرضهم الأساسيّ من التحاكم إلى الـعافوت، وهـو أن يحكّم لهم ولو كـان الحقّ لخصمهم، ويتعلَّلُونَ أمام الرسول، وأمام العسلمين، فيما لو خُوبِسُوا على عملهم، بـالَّهم قد كـان لهم هدفٌ دينيَّ من وراء ذلك، وهو الإحسان والتوفق.

ولكن كيف نتصوّر هـذه التعلّات التي يمكن أن يُـزيّنُـوا فيهـا، أنهم مـــا أرادوا بالتحاكم إلى غير حكم الله والرسـول إلاّ الإحـــان والتوفيق؟

ويخطر لي في ذلك أنهم يغولون مثلاً: إنّ خصمناً غير مُسلم، وهو لا يؤون بما أنزل الله، ولا يؤمن بالرّسول، فلو دصوناهم إلى الرسول ليحكُم بيننا، لكان في ذلك تهمة أننا ندعوهم إلى زعيمنا ليُخابِيّنا فيحكُم أنّا.

ويفولون: أيُّهم لا يُريدون أن يضموا الرسول موضع الاتَّهام والتجريع من قِبَـل. الكافرين به، فمرتبة الإحسان لمقام الرسول تدعوهم إلى إيمايو عن مواضع الشبهـات والاتَّهامات من قِبَل الكافرينَ به. لذلك دعموناهم إلى رجُلهم اليهمودي «كعب بن الأشرف» أو إلى الكاهن الوثني وأبي يُزِزَّة الأشْلَميّ» الذي ليس هو منًا ولا منهم.

ويقولون: إنّنا أُريد أن نصل إلى التوقيق بينا وبين خصمنا، على يد أي مُرفَق، وذلك بالمصالحة بيننا مصالحة توفيقية، ولم نقصد رفضَ المحكم بالحق، ولم يخطر في بالنا أنّ حكم اليهودي أو الكاهن الوثني سيكون لصالحنا، هاضماً حقّ خصمنا، فأثرنا بذلك التحاكم إليه ليحكم لنا بالباهل.

وهكذا تبدو مضائنهم مُرزِّنة لعملهم، وسائيرةً لجريمتهم، وما دامت إرادتهم العقيقة شيئاً في ضمائرهم، وليس عليها بيَّنات قضائيَّة، فإنَّ وسيلتهم لتأكيدها هي أن يحلفوا بالله على ما زيَّنوه.

(٤) وهنا بين الله لوسوله إدانتهم بعلمه بما في قلوبهم، ولكن لم يسمح له بأن يحاسبهم على جريمتهم حساباً صادياً، إذ لا يملك بينة قضائية بشرية تكشف إرادتهم الحقيقة.

وبَيْنَ لـه المنهج التربـويُ العـلاجيُّ الـذي يَتَبعـه معهم، وهــو يتلخَص بشـلائــة عناصر:

العنصر الأوّل: الإعراض عنهم، بعدم مؤاخذتهم. مبع إشعارهم بـأنّ جريمتهم مكشوفة له، وقد استوجبت منه أن يُشرض عنهم إعراض مُسّناء من عملهم.

العنصر الطاني: أن يُوظَهم ببيان وجرب التحاكم إلى الله وإلى الرسول، مهما كانت الدواعي، ومهما زُيِّنَ لهم الشيطان أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وَبِيَّنان عاقبتهم عند الله.

العتصر الثالث: أن يقول في سرّهم قولًا كاشفاً حقيقة ما في أنفسهم، بالنّأ ما اسرّوه في أعماقها، ليعلموا أنّ الله يُطلع رسوله على خبايا قلويهم، ونواياهم، فهم مهما تظاهروا بحُسّنِ إسلامهم معروفون للرسول بشاقهم، إذّ يُعْلِينُه الله عزّ وجلّ بحقيقة ما في قلويهم.

(٥) بعد ذلك بيَّن الله عزَّ وجلَّ وجـوب طاعـة الرســول، وأنَّ محمَّداً ليس بــدَّعاً

في الرُّشُل، بل كُلَّ رَسُولِنِ مِنْ رُسُل اللَّهِ السابقين، إنَّمَا اصطفاه الله وارسله إلى قومه، ليكون قائداً مطاعاً من بَيْلِ الذينَ آمَنُوا به، في كُلِّ ما يأسرهم به، وفي كُـلُ ما ينهــالهُمْ عنه.

والنمج الله عزّ وجلّ إلى أنّ الرسول لا يائر ولا ينهي إلاّ بإذن الله، فهـــو مأخرتٌ من يُتَــل الله بانْ يأثّر ونَنْهَىٰ في السّتين، وعلى مَنْ آمَنَ به أن يُطيّغَهُ، فـطاعَتُــهُ جزّة مِنْ طاعة الله، كماجاء في نصَّ لاجق من سورة (النساء) نفسها، وهو قوله تعالى :

﴿ مِّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدَّ أَطَاعَ اللَّهُ وَمَن تَوَلَّى فَمَاۤ أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِم حَفِيظا ٢٠٠٠.

(٦) بعد ذلك قتح الله باب الاستغفار والتوبة، فقال لرسوله:

﴿ وَلَوَ النَّهُمُ إِذِ ظُلَمُوٓ النَّهُسَهُمْ جَـآ مُوكَ فَاسْتَغَفَّرُوااللَّهُ وَاسْتَغْفَــُرَلَـُهُمُّـ الزَّمُولُ لَوَجِدُوااللّهَ وَأَبِدَارَجِيمًا ۞﴾.

وفي هذا الأسلوب إطماعٌ لهم بـأنهم إذا تابـوا واستغفروا، وعفـًا عنهم الوســولُّ واستغفرَ اللَّه لهم، تابُ الله عليهم، وشملَهم برحمته .

ومع هذا الإطماع تلاحظ أنّ النصّ لم يخـاطبهم خطاباً مبلسـراً، بـل خـاطب الرسول بشانهم، معرضاً عنهم، لِجفْهم جُرْمِهِمْ.

 (٧) وبعد ذلك بين الله عز وجل قاعدة كبرى من قواعد الإيمان، وشرطاً اساسياً من شروطه، فقال تعالى خطاباً لرسوله:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُقِمَنُونَ حَنَّى يُحَكِّمُوكَ فِيسَا شَجَدَرَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِمَدُوا فِي َ النَّسِيهِ مِرْ عَرَبْنَا لِشَائِمَةِ مَنْ يُسَلِّمُ السَّلِيمَ اللَّهِ ﴾.

فَلَلَّ هَٰذَا عَلَى أَنَّ سَلَامَةَ الإِيمَانَ مَن النَقْضِ أَوَ النَقَصَ مَشْرُوطُـةَ بَتَحَقَّيقَ كُبُرِيُ لوازمه، ومن هذه اللوازم الكبرى، ما يلي:

أ) تحكيمُ الّذينَ أغلنوا إسلامهم رُسُولُ الله في كلّ ماشجر بَيْنَهُم من خلافاتٍ
 وخصومات.

(ب) أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً (أي: ضيفاً وعدم ارتباح) مما قضى

الرسول، وهذا من آثار الإيمان الصحيح الكـامل بـافه ورسولــه واليوم الأخــر، النفسيّة الداخليّة .

(ج) أن يُسلّموا لمحكمه تَسْليماً كامـلاً لا يشوبـه شكُّ ولا اعتىراضٌ ولا معصية، وهذا من آثار الإيمان الظاهرة، بعد صدور الحكم.

(٨) وبعد ذلك كشف الله عزّ وجلّ أنهم لو لم يدخلوا في الإسلام نفاقاً، ويُقُوا على يهدويُنهم، فإنهم ليسوا على مثل بني إسسرائيل الأولين، الدين كانتوا في عهد موسى عليه السلام، فإنّ أولئك لما كتب الله عليهم المخروج من مصر بقيادة موسى وهارون عليهما السلام خرجوا طائعين، وحين ظلموا أنقسهم باتخاذهم المجل، وكتب الله عليهم أن يتوبوا إلى بارئهم فيقتلوا أنفسهم، أطاعوا، فاجتمعوا يقتل بعضهم يعضاً.

وأتبمه ببيان أنّهم لو فعلوا ما يوعظون به من التحاكم إلى الله وإلى الرسول لكان خيراً لهم، واشدّ تثبيناً لهم في الإيمان، وأنّهم لو فعلوا ذلك لاتــاهم الله من لدنــه أجراً عظيماً، ولهداهم في حياتهم صراطاً مستقيماً، وهو صراط الإسلام، الذي يشرح الله له صدور الذين آمنوا حمّاً وصدقاً، فكان سبب طمانيتهم وسعادتهم في العاجل والأجل.

(٩) وأخيراً ختم اله النعى ببيان النصرة الأخروية لمن آمن وأطباع الله وأطباع الرسول وأولى الأمر من المؤمنين، وأنَّ الذين يطيعون الله والرسول فبإنَّ الله عزَّ وجلَّ يجعلهم في جنات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النيين والصدَّيقين والشهداء والصالحين، وحُمنَّ أولئك رفيقاً.

ذلك الفضل من الله، يعطيه سبحانه الـذين أمنوا وعملوا صــالحاً، والــزموا في حياتهم الدنيا طاعة الله والرسول.

وأنهى الختـام ببيان صفـة من صفات الله عزّ وجلّ ذات صلة بمـوضـوع النصّ،

لتثبيت عُنْصُرٍ من عناصر القاعدة الإيمانية، فالمشافقون يكتمـون نفاقهم، لكنّ الله عليم بهم، وبما في سرائرهم، فقال تعالى:

﴿ وَكَفَىٰ بِٱلۡمَوعَلِيــمَّا ۞ ﴾.

(T)

﴿ أَطِيعُوا ﴾:

الـطاعة: الانقياد، والعمل وفق وغية العنقاد لم. يُقال: طباعَه يُبطُومُهُ طُـوْعًا. وطَباعُهُ يُنطِيمُه طَيْعًا، وطَاع لَـهُ يَطُوعُ لـه، ويَطلِعُ له، إذا النّداد له، وعصل على وفق رغيته.

المفردات اللّغوية في النصّ

ويقال: أطاعه، إذا انْقَاد وخضع له، وكذلك انْطَاع له.

﴿ وَأُولِ ٱلأَمْرِ مِنكُونَ ﴾ :

أولس الأمر: هم المذين لهم حق الأمر بحكم الشرع على من يتولُّـون أمورهم، فالأمير من أولي الأمر، والخليفة من أولي الأمر، والزرع من أولي الأمر على زوجته، والأب على أولاده من أولي الأمــر، ومن لهم حقّ الفتوى في المدين من أولي الأمــر ضمن اختصاصهم، والقاضي في مجال الفضاء من أولي الأمر، وكذلك كلّ راع هو مسؤول عن رعيته.

﴿ فَإِن لَنَازَعْلُمْ ﴾:

أي: فــــإن اختلفتم، والمعنى أن كلّ فـــريق من المختلفين يحــــاول أن ينتـــزع الاعتراف بأنّ الحقّ هو ما يدّعيه هو.

﴿ فِي شَيءٍ ﴾ :

أي: في شي؛ ما، ممّا له في الدين حكم، أو بيان، أمّا الأمور المتروكة للناس، كالعلوم التي تكتسب بالوسائل الإنسانيّة فمرجعها البحث الإنساني، فالعقليّات لبراهين العقل، والحسيَّات لمشاهدات الحـواسِّ، والتجريبيُّات للتجارب، والخبريَّات للتثبُّت من صحة الأخبار بمقتضى برهان العفل، لذلك جاء قوله تعالى:

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَيَّا لَلْهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾:

فدلُ فعل «رُدُّوه» على أنَّ مصدر الحكم أو البيان مصدر دينيٌّ، فوجب عنـد التنازع في الأحكام والبيانات ذات المصدر الديني ردُّها إلى كتاب الله بحثاً واستنباطاً، وإلى ما ثبت عن الرسول ﷺ في أقواله أو أعماله أو أخلاقه أو إقراراته، أو إلى ما يفـاس على ما جاء فيهما أو في احدهما.

فرد الشيء إلى الشيء إنما يكون بإرجاعه إليه، وهذا يبدلُ على أنه كان لديمه أَوَّلًا، فصدّر عنه، فهو يُرَدُّ إلِه.

﴿وَآحُسَنُ تَأْوِيلًا ﴾:

أي: وأحسن رَدّاً وإرجاعاً، يقال: أوَّلَهُ تَأْوِيلاً إذا رُدّه وأرْجَعُه إلى مكانه الذي كان فيه. وتأويل الألفاظ يكون بإرجاع دلالاتها إلى المماني المرادة منها، في أصل التعبير.

﴿ بُرْعُمُونَ ﴾:

بِدُّعُونَ بِٱلسَّتِهُمِ، بِطُلَقَ النَّرِّعُمُ عَلَى الظَّنِّ الضَّعِيفُ، وعَلَى الاَدَّعَاءُ دُونَ بَيِّنَـة مُثِّبِّةٍ للادَّعاء، وأكثر ما يستعمل في الادَّعـاء الكاذب، والاعتقـاد الباطـل، وفي الادَّعاء الذي تحيط به شبهاتُ وشكوك بأنه ادّعاء كاذب، ولذلك قـالوا: الـزعم أخو الكـذب. وقالوا: وزَعَمُواه مطيَّة الكذب. وفي الحديث: بش مطيَّة الرجل وزُعَمُوا، وقال شُرِّيُح: وزَعَمُواه كنية الكنيب. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُواْ ﴾ :

أي: يريدون أن يرفعوا خصومتهم إلى حاكم ليفصل الحكم بينهم.

﴿ إِلَّ ٱلطَّلغُوتِ ﴾:

الطافوت: هـ و كثير الـ طغيان، وكـ لّ رأس في الضلال، ويـ طلق على الشيطان، وألكاهن، والمساحر، وكلُّ ما عُبد من دون الله، وبيت الصنم، (يستـوي فيـه المفـرد وغيبره، والمذكر والمؤنث، وأصله من فعل طفّى طُقيّاً، وَلُطْيَانَاً، إذَا جِـاهِزَ الحِـدُّ المقبول، وصار ضارًاً، أو مفسداً، أو ظالماً معتدياً جـائزاً. والمــراد من الطاغـوت كلّ معبود أو مطاع من دون الله، ومنهم الكهّان، والأحبار والرّمبان.

﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُّودًا﴾:

 أي يُفرضونَ عَنْكُ إعراضاً شديداً، الصدّ في اللّغة الإعراض، والانصراف عن الشيء، يشال: ضدٌ عنه نيسلًا ويَصلُّ صَدَّا وصَدُوراً، إذا أعرض وانصرف عنه، ويستممل متعدّيًا، فيقال: ضدُّه عن الأمر يُشلُدُ صَدَّاً، إذا منعه وصرفه عنه.

﴿إِلَّا إِحْسَنَاوَتُوْفِيقًا ﴾:

الإحسان: فعل مـا هــو حــن وجيّـد، وأحْسَنَ الشيءَ إذا أتقنه. وأحْسَنَ إلَيْهِ وأحْسَنُ بِهِ، إذا فعل ما هوخَسَنُ من أجله.

التوفيق: إذا كان بين خصمين فالمراد منه الإصلاح بينهمــا، والتوفيق في الأمــور تــــير ما هو ملائم لصلاحها، وبلوغ المطلوب الحسن منها.

ويظهر أنَّ المراد هنا في النصُّ هو المعنى الأوَّل منهما.

﴿ وَعِمَّاهُمْ ﴾:

الموعظ: هو النصح المقرون بعا يثير الرغبة أو السرهبة لـلانتفاع بـالنصح، واتبـاع ما هدى إليه فعلاً أو تركأ.

﴿ قَوْلَا بَلِيكًا ﴾ :

بليغاً على وزن وفيرل صيغة مبالغةٍ لفاعل، يقال: يُلغَ الاَلْمُرُ بُلُوهَا وَيَـالَاهَا، إذا وصل إلى غايت، نالقول البليغ هو الذي يصل إلى غاية مداه في قُوَّةِ التَّالِيّــو، قمن كان قديه استحدادً للتَّاثُر بالقول البليغ اثَرَّ فِه على مقدار استعداد.

﴿إِذِ ظُلَلُمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾:

الظلم: تجاوز الحدّ، ووضع الشيء في غير موضع، فمن عصى الله ورسولــه فقد ظلم، ومن اعتدى على حقّ غيره فقد ظلمه، ومن فعل شيئاً يُعرّضهُ للمقويــة ويجرّ لَّهُ مَا يكره في عاجـل أمره أو آجله فقـلـ ظلم نفــه، ولمَّــا كانت معـاصي العباد لـرئهم لا تضرُّ اللَّهُ شيئًا، وبَنِّما يُعرَّضون بها أنفسهم لمعقوبات الله، فإنهم يكونــون بها ظــالــين لانفســهــ

﴿ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَكَرَ بَيَّنَهُمْ ﴾:

ضُغِرَ يَتَنَفَعُمْ: أَيُّ : اختلف الأمر بينهم. ويُصَالُ: شُجَرُ بِينهم الأَسْرُ يَشْجُرُ صَّجْرًا إذا تشارعوا فيه. واشْنَغِرَ القمومُ تخالفوا. واشتَغِرَ القمومُ وَنَشَاجُرُوا، أي: تشارعوا. والمشاجرة السنارعة.

قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿فِيمُمَا شُجَرَ يَنْهُمْ﴾ أي: فيما وقع من الاختمالاف في الخصومات حتى اشتجروا وتشاجروا، أي تشابكوا مختلفين.

والتشاجر مأخوذ من الشجر، لتشابك أغصانها بعضها ببعض.

﴿حَرَّجًا﴾:

أي: ضِيفاً. قال الزجاج: الْحَرْجُ في اللُّغة: أَضْيَقُ الضَّيقِ أي: إنَّه ضيَّق جدًّا.

والْخَرَجُ فِي الأصل كما قال ابن عبّس هو الموضع الكثير الشجر الـذي لا يُصل إليه الراعية، ففي قول الله تمالى: ﴿فِيَجْمَلُ صَـَدُرُهُ ضَيِّقًا خَرَجاً﴾ قـال: وكذلك صدر الكافر لا يصلُ إليه الحكمة.

فالمؤون لا يجد في نفسه ضيقاً من حكم الله ورسول. إذا كنان على خلاف ما يهوى. لانَّ طاعة الله والرسول، وحبَّ الحقَّ، وابتناه ثواب الأخرة، تَصُبُّ في نفسه الرضاء فتَنْفَرج محيدة بحكم الله والرسول.

﴿ وَيُسَلِّمُوا نَسَلِيمًا ﴾:

أي: وينقادوا لحكم الرسول انقياداً كاملًا، ويرضوا بـه رضاً صحيحاً لا تصحُّبُهُ كراهية ولا استياء.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَّبُنَا عَلَيْهِمْ ﴾:

أي: فرضنا عليهم. وإطلاق فعل «كتب» على معنى «فرض» هو من قبيل المجاز

العرسل، وهو من إطلاق النَّمَنَّبُ على النَّسُّ، غالإازام التكليفي بالأمر مَبَّبُ يُنْزل به بيمان من الله، وهذا يُكتُبُ في اللَّوح المحضوط، وفي صحف المملاكحة، وفي الكتب الريانية المنزَّلة، فالكتابة مُنسَّة عه.

وليست كلَّ كتابة جامت في الفرآن أو في السنة هي على هذا المعنى، فالأصل في الكتابة تسجيل معلوم ما، سواء أكان ازليباً نفياً أو البياناً، أو كــان حادثـاً بقضاء الله وقدره، أو كان من اختيارات العباد التي جعلها الله من رُسمهم.

﴿ وَلَوْا نَهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُّونَ بِهِ ﴾ :

أي: ولو انهم فعلوا ما يُنصحون به، من أوامر الله ورسوله إلزاماً أو ترغيباً، ومنه تحكيم الرسول فيما شجر بينهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ ﴾:

أي: لكان فعلُهم خيراً لهم في عاجل امرهم وأجله.

﴿وَأَشَدَّتُنِّيتًا ﴾:

أي: وأشدّ تثبيتاً في مواقع الإيمان الصادق، والإسلام الصحيح، الذي يكون فيه العمل الظّاهر دالاً بصدق على ما في الباطن.

﴿ وَإِذَا لَآنَيْنَهُم مِن لَّدُنَّا أَجَّرًا عَظِيمًا ﴾:

إِذَاً: حَرْفُ جوابِ وجزاء. أي: وَلَوْ أَنْهِم فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ إِذَا لَاتَيْنَـاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجِراً عظيماً. فَحَرْفُ (إِذَا) هنا واقع في جواب الشرط وجزائه.

﴿ وَلَهَدَ يُنَهُمُ مِنَ طَأَامُ سُتَقِيمًا ﴾:

أي: ولكانت لهم من معونة الله وتوفيقه في الحياة أن يسلكوا الصراط المستهم، فيكون ذلك مُحَقّقًا لهم طمأنينة الفلب، وسكينة النّس، وبلوغ المضاصد من أقصر الطرق، وأوسعها، وهو الصراط المستقيم، صراط الله الذي أبانه الله ورسوله للناس.

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأَوْلَتِهِكَ ﴾ :

أشار إليهم بإشارة البعيد، إشعاراً بارتفاع منزلتهم جدًّا عن سائر العباد.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱنَّعَمُ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾:

أي: مع الَّذين قضىٰ الله بالإنَّعَام عليهم يوم الدين في جنَّات المعيم، وفي منازل الفردوس الأعلى منها.

الإنْصَام: الإعلماء النزائد مَمَّا يُحقَّقُ قدراً وافتراً من النَّعبم وطبِ العيش، وأهل الفردوس في الجنة هم أنْمَمُ أهل الحبَّة بفضل العطاء الزائد الذي يكرمُهُمُ الله به.

وقد جاء في هذا النصّ تفصيلُ ما جاء مُجْملًا في سورة (الفاتِحَة):

﴿ آهْدِنَا ٱلصِّرَطَ ٱلْسُنْقِيمَ ۞ صِرَطَ ٱلَّذِينَ ٱنْفَسْتَ عَلَيْهِم ﴾.

فقال تعالى مُنَا بَيَاناً للذين أنعم عليهم:

﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالسِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّلِحِينَّ وَحَسُنَ أُولَيْهِ فَ رَفِيعًا ﴾:

فعالَ على أنهم يكونون رُفقــاة النبيّـن في دار النعيم، وهم من أهــل الفــردوس الأعلى، والرفقاء يشاركون رفقاءهم.

﴿ ذَاكَ ٱلْفَصْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾.

أي: ذلك المقام الرقيع عطاءً من الله بفضل منه، إنعاماً وإكراماً.

﴿ زَكَفَىٰ بِأَفَّهِ عَلِيهُمَّا ﴾:

أي: كفي الله حالة كونه عليماً بكل شيء، أو المعنى كفي علمه بالحوال عباده المنافقين، وعباره المؤمنين الصادقين، ليجزي كلاً بحسب حالم، فلفظ وعليماً، حالً أوتمبيز، ويرى بعضهم التمبيز أرجع.

والباء في «بالله؛ حرف جرَّ زائد يُؤاد للنَّاكيد، وهو هنا تأكيدُ كِفاية علم الله.

(٤)

مع النصّ في التحليل والتدبر

يأتي هذا التلبُّر في فِقَرات عشر:

الفقرة الأولى: بيان قـاعدة وجـوب طاعـة الله وطاعـة الرسـول وأولي الأمـر من المؤمنين، والردّ إلى الله والرسول في حالة الننازع في شيء ما.

قول الله عز وجل:

﴿ يَأَتُهَا الَّذِنَ مَامَثُواۚ أَفِيمُوا اللَّهَ وَالْمِيمُوالْرَسُولَ وَالْوِلِ الْأَمْرِيسَكُمُ وَانَ لَنَزَعُمْ وَمَعَوهِ وَرُدُّوْ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِيانِ كُمُمُ وَوْمُونَ بِاللَّهِ وَالْذِيرِ الْآخِرِ وَالْكَافِيرُ وَالْكَ

في هذه الآية ستُّ قضايا:

القضيـة الأولى:

يُنادي الله عزَّ وجلَّ الَّذِينَ أَشُوا، فِخصُّ المؤمنين بهذا النداء مشيراً به إلى أنَّ الله المُضافِم بعضة الإيمان الصحيح الصادق لا يُدَّ أنَّ يكون وازعاً لهم وذافعاً إلى تنفيذ التكاليف التي يوجَهها لهم، إذْ يُذَكِّرُهُمْ بحنُّ الله عليهم، ويستوراتِهم تُجاهف، ويالجزاء الذي أعلَّه من أركان الإيمان.

وفي نـدائهم بوصف الـذين أمنوا، إلمـاحٌ إلى أنَّ الإعراضُ عن تنفيذ التكاليف الرَّبَائيَّة، وعدمَ الاهتمام. بها والاكتراكِ لها، إنَّما يكونُ عند عـدم صـدق الإيـمان المدِّفَى، وذلك في حالة النفاق، أو يكون عند نفص الإيمان وضعف، أو غلبة سلطان الهوى، وذلك في حالة العصبان والفسوق وتراكم المفلات عن الله، واليوم الإخو.

القضيّة الثانية:

الامر بطاعة الله عزَّ وجلَّ، بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهُۗ ﴾ إن: يا أَلِهَا اللَّذِينَ امَسُوا لِيُطِمُّ كُلُّ فَردِ مَنكُمَ الله في كُلُّ ما يأمر به، وفي كلَّ ما ينهى عنه، سواة أكمان المطلوب من الأمور التي لها صفة العمل الفردي، أرمن الأمور التي لها صفة العمل الجماعي.

فالطاعة فدعز وجسل هي العبادة العمليّة أنّه، وهي من كُبّريات نصرات الإيمان الصحيح الصادق، بعد إعلان الخضوع لأوامر الله، ببإعلان الإسلام له، والاستسلام لاوامره ونواهيه.

الفضية الثالثة:

الأمر بطاعة الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وأطيعوا الرسول﴾ أي: يا إيها الذين آمنوا، لِيُطِعُ كُلُّ فرد منكم الرسول في كلَّ ما يأمر به، وفي كلَّ ما ينهي عنه، سواءُ أكان المطلوب من الأمور التي لها صفة العمل الفردي، أو من الأمور التي لها صفة العمل الجماعي.

نطاعة الـرسول 繼 جزَّة من طاعة الله عزَّ وجـل، لغول الله عـزَّ وجل في سـورة (النساه) أيضاً:

﴿ مَن يُعلِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهُ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفيظا ۞ ﴾.

والرّسول مأذون بالتفويض الإّلهي في أن بأمر وينهى وراء ما يبلّغه عن ربّه، إذْ هو معصوم عن الخطأ في بيان الشرائع الربّانيّة، ابتداءً أو بالمتنابعة والتسديد.

وقد جاء التصريح بأنّه مـأذون من الله بأن بـاثرّ وبنهى في الشــراتع في الفيـادة والإدارة، وهذا شامل لكلّ الرُسُل عليهم الصلاة والـــلام، فقال الله عزّ وجلّ فيما يأتي من النصّ الذي تنديُرُه:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَامِن زَسُولٍ إِلَّا لِيُطْكَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ... ﴿ ﴾.

فعلّت هذه النصوص على انّ كل رسُولِ أرسله الله قد أذن الله له بأن يأمر ويتهن وراة تَلْبَيْجَه ما أسر الله به ونهى عنه، وأنّ آتته الدلين استجابوا لمدعوته فـأسنوا قمـد أسرهم الله أمراً مباشراً بطاعت، دون البحث عن الدليل الخماص الذي استند إليه الوسول في الموضوع الذي أمر به أوَنَهِي عنه.

القضية الرابعة:

الأمر الربّاني للمؤمنين بأن يطيعوا أولي الأمر منهم، فقال ا& عرَّ وجلُّ ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إي: وأصحاب الأمر منكم.

أمّا أولو الأمر فهم كلَّ من جعل الله له ولاية ما على رعيَّة ما، بدماً يأسر المؤمنين والخليفة الاعلى، وتشازلاً إلى كـلَّ ذي ولايـة، حتى النروج في ولايت على زوجتــه وأولاده، والام في ولايتها على من هم تحت رعايتها من أولادها. كلَّ في حدود رعَبته، وفي حدود اختصاصه. (١) فأصحاب السلطة التنفيذيّة والحكّمام الإداريّون وكلّ من لـه ولاية عامّةً
 او خاصة، يدخلون في عموم وأولى الأمرو ضمن حدود دوائرهم واختصاصاتهم.

 (٣) وأهمل الاجتهاد والاستنباط من العلماء المجتهدين الموثوقين، الذين يستنبطون الاحكام الدينية من مصادرها التشريعية، يمدخلون في عموم وأولي الأمرء ضمن حدود اختصاصاتهم.

(٣) وأهل الحل والعقد في كل اختصاص من الاختصاصات، كالصحة،
 والاقتصاد، والتعليم، والإدارة، والسياسة، وغير ذلك، يدخلون في عموم وأولي الأمره
 ضمن حدود دوائرهم واختصاصاتهم.

وتـالاحظ في الآية أنّ الله عـزّ وجلّ لم يُبعدُ فصل الأمـر بـطاعـة أولي الأمـر من المؤمنين، كما فعل في الأمـر بطاعـة الرسـول، بل اكتفى بـالعـطف المبـائـــر، أي: لم يقل: واطبعوا أولي الأمر منكم.

ونستطيع بالنامل مع دلالات تصـوص أخرى أنَّ نفهم أنَّه سبحانـه قد ذَلَّ بهـذا على أنَّ طاعة أولى الأمر من المؤمنين ليستُ مطلقةً، كما هي حال طاعة الرسول.

وبالبحث ومتابعة تدبُّر سائر النصوص من الكتباب والسنّة، نعلم أنَّ طباعة أولي الامر من المؤمنين مشروطة بشرط عام، وهو أن لا يَكون أمرهم أو نهيهم في معصية ثه أو الرسول، أو في تغيير أو مخالفةٍ لحكم الله أو الرسول في أيَّةٍ فضيَّةٍ من القضايا.

فليس لاولي الأمــر تفــويض مــطلق، بــل لهـم إِذْنُ مَقَيــُـدُ في أن لا يكـــون في معصية الله أو رسوله، أو في مخالفة لحكم جاء عن الله أو رسوله.

وطاعة أولي الأمر مشروطة أيضاً بأن يكونبوا من المؤمنين، أمّا طباعة من يتولّى أمور المؤمنين من غير المؤمنين، فلا تدخل في عموم هذا الأمر الرّبّاني، وهي قضية تخضع ــفي غير معصية الله ووسوله ــ لمقتضيات جلّبِ المصالح والمسلف، ودفع المضار والمفاسد، بحكم الضرورة.

وقىد دَلَت النصوص على أنّ البطاعة إنّمها تكون في المعروف، فـلا تكـون في المنكر، وأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وينظرة عامَّة فاحصة نكتشف أنَّ طاعة أولي الأمر من المؤمنين تكون على وجوه، فعنها الوجوه التالية:

الوجه الأول: مباحات عامّة يأمرون أو ينهون عن شيء منها.

الموجه الشاني: أن يكون تكليفهم بياناً في فتوى شرعية، أو إعملاناً إداريّاً، أو تنفيذاً فضائبًا، لحكم الله أو حكم رسوله .

وفي هذا ليس لأولي الأمر من المؤمنين على من هم تُحتُ ولايتهم من المؤمنين أيُّ حكم استقالالي، إنسا يستخسفون سلطانهم لحمسل من هم تحت ولايتهم على تطبيق أحكام الله ورسوله، أو كشفها وبيانها لهم، وتعريفهم بها.

الوجه الثالث: أن يستبطوا أحكاماً دينية بطرق الاستبطاط الشرعية المأفون بها لأهل الاجتهاد في استباط أحكام الدين، كَفْهُم النصوص، أو القياس عليها بإدراكات استباطئة تختلف فيها إدراكات أهل الاستباط من المجتهدين، والهدف منها التعرَّف على حكم الله ورسوله، وهذا من خصائص فئة من المؤمنين ذات أهلية لهذه المهنّة.

وبعـد استنباط الحكم الـذي يراهُ أهــل الاجتهاد، يــوجّه أولــو الأمر من المؤمنين الأمرّ به، فيكون واجب الطاعة .

الوجه الرابع: أن يضموا أنظمة إدارية لتنظيم أمور المؤمنين المدنيّة، وهـذا من خصـائص ذري الأهلية لـوضع الأنظمة الإدارية المـدنية. وبعد اعتصادها من ذوي الاختصاص، يرجّه أولو الأمر من المؤمنين الأمر بها، وعنداتْه يجب على المؤمنين طاعة الأمر والعمل بها.

وهمذه خاضعة لاحتمالات التغيير والتبديل، بحسّب المصلحة التي يبراها فوو الاختصاص، ويأمر بها بعد ذلك أولو الأمر.

القضيّة الخامسة:

ما تضمّنه قول الله عزّ وجلّ:

﴿ فَإِن نَتَزَعْمُ فِي مَنَى وَفَرُدُوهُ إِلَا لَقِواَ لَرْسُولِ إِن كُمُّمُ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيُورِ الآخِرُ ذَلِكَ خَيْرٌ ۗ وَأَحْسَنُ تُلُولِكُ ۗ ﴾: أي: فإن تنازعتم يا أنّها الدّين آمنوا في شيء من الأحكام، أو الأوامر التي يوجّهها أولو الأمر من المؤمنين، فقال بعضكم: إنّ حكم الله، أو حكم رسوله في هده المسألة كذا. وقال آخرون منكم: بل حكم الله أو حكم رسوله فيها كذا. أو قال بعضكم: إنّ هذا الأمر التنظيمي ليس فيه معصية لله والرسول. وقال آخرون منكم: بل فيه معصية لله والرسول. فإنّ عليكم جميعاً أن تروَّوه إلى الله والرسول، أي: إلى كتاب الله وسنة وسوله، لمعرفة الحكم الشرعيّ منهما.

وطريق الردّ إلى الكتاب والسُّنة هو الردّ إلى أولي الأمر من أهل الاستباط المجتهدين، الذين يحتون في آيات كتاب الله، وفيما صحّ من سنة رسول الله، للتعرّف على حكم الله ورسوله، فيما قام حوله التنازع، كما قد جاء التصويح بأنَّ المجتهدين أهلَ الاستنباط همُّ الذين يعلمون بالاستباط المثَّ والصواب في قضايا المسلمين العامة، من قضايا الأمن والخرف، أي: السُّلم والحرب، فقال تعالى في صورة (النباء):

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلأَمْنِ أَوِالْخَوْفِ أَذَاعُوالِهِ ۚ وَلُوَرَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِ ٱلأَمْرِيمُهُمْ ٱلْمَلِيمُ ٱلَّذِينَ يَسْتَشْطِونَهُ بِيَهُمْ ۖ . . ﴿ ﴾ .

أي: إلى الرسول في حياته وتحت فيادته، وإلى أولي الأمر منهم إذا كانـوا في سراياهم أو أقاليمهم بعيدين عن الرسول، ثم معد وفاته ﷺ في كلَّ الأحوال.

وهـذا الرّدَ إلى الله والـرسول، عن طـريق اكتشاف أهـل الاجتهـاد والاستنباط، الذين يُحسّون تديَّر كلام الله في القرآن، وفهم ببانات الرسُّول عليـه الصلاة والــــلام، في حال التنازع في الاثمرِ الشَّهِمَّ، يَدَّلُ على امرين:

الأمر الأول: أنّ المؤمنين من أجمعوا على أمر ولم يتنازعوا فيه، هَإِنَّ خُكُمُ اللهُ فِيهِه، أَوْ وَجُهَ الْمُسُّلُ والصَّـواب، أو الوجُّن الأَشْمَلُ والأَفْضُلُ، هو فيما أجمعوا عليو، وهذا من عصمة الله لجماعة المؤمنين في هـله الأمّة مِنْ أنْ تُخَصِّم فَتُجْمِعُ عَلَىٰ ضلالة.

إِذْ جَعَلِ النَّصَ الرَّدِ إلى اللهِ والرسول مُفَيِّداً بظاهـرة التنازع، فـدلُّ على أنَّه لا زدِّ

في حالة الإجماع، نظراً إلى أنه لا يكون إجساع للمؤمنين على ضلالـة، ولا على أمر فيه معصية لله ورسوله.

وقد روى البخاري ومسلم عن المغيرة أنّ رسول الله ﷺ قال: ولا تُزَلُّ طَائِفَةُ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقْ حَتَّى يَاتِي أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَهِ.

فيإذا اتفَقَتْ أَنْهُ مُحمَّدٍ على أمْر فهو الحقّ والصواب، أو الأحسن والأفضل. إذْ تدخل فيهم الطائفة التي هي على الحنّ، والتي لا تزال في أمّة محمد 鑽.

وإذا اختلفُسوا وتنازَعُسوا فالحقّ والصسواب، أو الأحسن والأفضل، مـا عليه طـائفة منهم، وهذه الطائفة ظاهرة بيّنة، ليست خفيّةً ولا مستُورة.

الأصر الثاني: أنَّ مَنْ لم يكن أهـلًا لاستنباط خضايا الاحكمام من مصادرها، أو استنباط وجه الحقّ والصواب، أو الاحسن والافضل من أمارته، فـلا يجـوز لـه أن يتصدّى للاستباط ويُشَّتْ فيه وأياً.

وباستطاعتنا أن نفهم من الإحالة على أهل الاستبياط من المؤمنين، أنّه إذا بقي التنازع والخلاف الاجتهادي، فالترجيح العقليُّ يقضي بترجيح رأي الاكثرية من أهـل الاستنباط المعاصرين، وهذا قابل للتعديل في آزمان لاحقات، فقد يختلف الترجيح، أو يكثر عدد الذين كانوا قلة في زمن سابق، أو يحصـلُ إجماعٌ لاحقٌ، وعنـدالمُ يكون ما أجمعوا عليه هو الحق والصواب، أو الاحسن والافضل.

وقد جاء تقييد الأمر بالرّد إلى الله والرسول بقيد: ﴿إِنْ كُتُمّ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الأَخِرِكِ الإشعار بأن عدم الرّدّ إلى الله والـرّسول. من الأسور المنافية لمقتضى الإيمان بالله واليوم الأخر، وذلك لأمور:

- (١) لأنَّ الإيصان بالله يــدفع إلى معــرفة حتَّى الله على عـــاده، وإفراده بــالعبادة. ومنها طاعته والعمل بأوامره ونواهيه، وتطبيق أحكام شريعته لعباده.
- (٣) ولأنّ الإيمان باليوم الآخر يددم إلى طباعة الله في أراسره ونواهيه، بدافعي
 الرغّب بثوابه في دار النعيم، والرُّهُب من عذابه وعقابه في دار العذاب.

ويُمْكِنُ أَنَّ يكون قيداً لكلام مطويِّ تقديره كما يلي:

وأنتم تردّونه إلى الله والرسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.

والغرض بيانً أنَّ المؤمنين الذين يكون إيمانهم صحيحاً سليماً صادقاً حاضراً في تعسّروانهم فإنَّهم يسؤُون كلَّ شيء يتنازعون في حكسه إلى الله والرَّسول بدوافع من إيمانهم الصحيح الصادق المماثل في تصوُّراتهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَذَلكَ خيرِ واحسن تأويلاً﴾ أي: ذلك الرّدَ الذي هـو رفيع المقام في مراتب الدِّين هو خير لكم أيها المؤمنون، وهو أحسنُ تأويلاً، أي: إرجاعاً من أن ترقّوا ما تشارعتم فيه من أمرٍ إلى حكم آخر، كتحكيم المقبل، أو العرف، أو القرانين الرضعيّة، أو تحكيم السطاغوت، أو غير ذلك. وهـو أيضاً أحسنُ عـاقبة يؤول أمركم إليها.

. . .

الفقرة الثانية: عرض ظاهرة تحاكم العنافقين إلى الطاغوت، وتركيم التحاكم إلى كتاب الله وإلى الرسول في خصوماتهم، على خلاف منتضيات الإيمان، ولّ عليها:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ آلْمَتَرَالِ ٱلَّذِيرَ كَرْهُمُونَا أَنَّهُمْ ءَامُثُوا بِمَا أَنُولَ إِلَيْكَ وَمَالُولَ مِن قَبِكَ يُرِيدُونَا أَن يَتَكَدُّوا إِلَى الطَّنشُوتِ وقدْ أَيْرُوا أَن يَكُفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُصِلِّهُمْ صَلَكُا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا يِبْلَ لِمُعْمَاقًا إِلَى مَا آمَزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ وَأَيْت المُسْتَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞﴾.

أَلْمَ فَرَ: الخطابُ للرُّسُولِ الرَّلُ، ثم من بعده إلماحاً وتعريضاً لكلَّ من يُضَلَّخُ لأن بخاطب به، حتَّى المنافقين المتحدَّث عَنْهم في النَّصَّ، للتحجيب من سلوك المنافقين المتنافض، بين ادَّعاء الإيمان والعمل بخلاف مقتضياته من التحاكم في خصوماتهم إلى الطاغوت، مع إرادة ذلك عن تصميم.

والمعنى: انظر تجد سلوكاً متناقضاً عجباً، لفشة من المنتمين إلى الإسلام، وهم

الذين يزعمون أنّهم أمنوا بما أُنْزِلَ إليك يا محمد، وما أنــزل من قبلك، وهم مع فلـك يُريدون أنّ يتحاكموا إلى الطاغوت.

لقد جاء التعبير بأنهم هؤيريدون بصبغة الفعل المضارع الذي بدلً على الحركة المتجدّدة، لإفادة أن سلوكهم لم يكن نتيجة نزوة طارنة، أو شهيرة عاوصة، أو رغبّ في المعصية عارضة، وإنما كنان نتيجة عصل إرادي قلمي متجدد، لا يكون في العادة إلا أثراً لعقيدة مضادة لادّعاء الإيمان بالله ورسوله، وهذا يدلُّ على أن إحملائهم بالستهم أنهم آمنوا بما أثرل إليك، وهو القرآن، وما أثرل من قبلك وهو التوراة وما أثرك على أنبياء بني إسرائيل، إعلانً كماذب، فهو أحرى بأن يكون زعماً، لا خبراً يترجع فيه الصدق، أويُظنُّ فيه الصدق.

ولمًا كانوا يُكرُّرُون دواماً هذا الإعلان جاء التعبير عنه بقوله تعالى: ﴿يَرْغُمُونَ﴾ يصيغة الفعل المضارع.

أي: فهم بتكرارٍ يَدْعون الإيمانُ ادْعادُ كاذباً. وهم بتكرارٍ يُمريدون أن يتحاكموا إلى السطاغوت، أي: إلى غير حكم الله ورسوله ـــ وقد سبق بيمان هـــذا فيما ورد من أسباب النزول ـــ مع أنّهم قد أُبــرُوا بأنَّ بِكُفَـرُوا بالطاغوت، وذلك في عدّة نصوص قرآنية منها ما يلي:

- فو الله عز وجل في سورة (الزمر/ ٣٩ مصحف/ ٥٥ نزول):
 وَاللَّغِهَا المَّذْخُرُةُ الطَّنْخُرِتَ أَنْ يَسْبُدُوهَا وَالنَّابِّ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّالِمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ ال
 - وقول الله عزّ وجلّ في سورة (النحل/ ١٦ مصحف/ ٧٠ نزول):

﴿وَلَقَدُهُمُنَانِكُ إِلَّهُ وَشُولًا أَبِ عَبُدُواللَّهُ وَلَجَنِيْوا الظَّنَفُوتُ فَينَهُم مُنْهَكَ اللَّهُ وَمُنْهُمُ مَنْ حَفَّنَ عَلَيهِ الضَّلَاةُ فَيَبِرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَاكَ عَقِبَةُ الْمُكَذِيدِكُ ﴾ .

• وقول الله عزّ وجل في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):
 ﴿لاآ إِكْرَاءُ فِي الدِّنِّ قَدْ شَبِّينَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيْ فَمَن يَكُفُدُ بِالْقَلْمُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ

هَمَّتُ لِمُ الشَّمِّتُ لِمُ إِلَّهُ وَالْوَقَىٰ لَا أَنْهِمَا لَهُ أَوَالَّهُ عِيمُّ عَلِيمٌ ﴿ اللَّهُ وَلِيُ يُغْرِجُهُ مِنَ الظَّلْمُدَ إِلَى النَّوْرُ وَالَّذِيرَ كَفُرُوا الْوَلِسَاقَهُمُ الطَّنِحُونُ يُغْرِجُونَهُم مِنَ التُّورِ إِلَى الظَّلْمُدَ الْوَلَتِهِ لِكَنَّا أَمْسَحَتُ النَّالِيَّهُمْ فِيهَا خَدِيدُونَ ﴿ ﴾ :

أي:والكافر بالشيء لا تتوجّه إرادته بتصميم للتحاكم إليه، فتوجُّه الإرادة لـه دليل عدم الكفر به.

وإرادتهم التحاكمُ إلى الطاغوت ضلالٌ بعيدٌ عن دائرة الإيمان والعمل بمقتضاه، وتحاكمُهُم الفعلي إلى الطاغوت ضلالٌ بعيد عن صراط الإسلام، وكلَّ بنُّ هُـذَيْنِ الضلالين يطابق مراد الشيطان فيهم، إذَّ هو يُريد أن يجدهم ضالَين عن دائرة الإيسان، وعن صراط الإسلام ضلالًا بعيداً.

ألم يتمهّد بإغواء ذُريَّة آدم أجمعين إلاّ عباد الله منهم الْمُخْلَصِينَ والْمُخْلِصِينَ. منذ حكم الله عليه بالغواية إذَّ عصى أمر الله ، وأصرَّ على عصيانه، ولم يتراجع ولم يُنَبُّ ولم يستغفر؟

وقد أبان الله عزَّ وجلَّ إرادة الشيطان المتجدَّدة دواماً أن يُضَلِّهُمُّ ضلالًا بعيـداً في النصّ الذي نتدبّره، فقال تعالى:

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ مَنَكَلًا بَعِيدًا ۞﴾.

وإذا كان الثيطان يُبرِيدُ دواساً أَنْ يُضَلَّهُمْ، فهو يتخذ دواماً كلَّ ما يستطيع من وسائل إغواء لإضلالهم، وحين يُضِلُون خيروجاً عن دائرة الإيسان، أوخروجاً عن صراط الإسلام، فإلَّهم يحققون في أنفسهم مراد الشيطان فيهم، إذَّ إِنَّ أَكِبر همّه أَنْ يجدهم يوم الدين في جهتم يُعَذِّبونُ معه.

ومن دلائسل نفاق هؤلاء، وأنهم ليسوا مجرَّد عصلةِ بدواضعِ تَسَرُواتٍ أو شَهُواتٍ أو تَزَعاتٍ عارضاتٍ، أنَّهِم إذا تُشَرُوا باللَّهِ واليوم الأخر، وقبل لهم: تعالَّوْا إلى ما النزل اللَّهُ فِي كتابه فاصَّلُوا به، وتَعَالُوا إلى رسول الله ﷺ لِيحَكُمْ يَنْتِكُمْ، كانَّ رَدُّ فعلهم التَّلُقائِيُّ السَّرِيعِ الذي يَصَدَّر عنهم دون رويّة، باعتباره أثر كُفر مُستَفِدٌ فِي النَّس، هو أن يصدُّوا عن الرسول أو عنْ دعوةِ الدَّاعي إلِه صُدُّوداً كاشفاً مُوْيَتُهم الحقيقيَّة، ودالاً على أنَّهم منافقون.

ومن هـدا نعلم أن ردود الأفعال التلقائيّة كـواشفُ لما في السواطن، والله يُعلَّمُنَا هـذا الأسلوب من أساليب اختبار المنافقين، فقال الله عزّ وجلّ في النص:

﴿ وَإِذَا قِيلَ أَمْمُ فَمَا لَوْا إِلَى مَاآَخَزُلُ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّدُونَ عَنكَ صُدُودًا ۞﴾.

أي: أمَّا غير المناففين فتكونُ لهم أحوالُ أخرى غيـر هـذا الصُّـدود الكـاشف للنفاق.

فالذي لا يكون منافقاً يُلاحظ أنَّ ردَّ فعله استجابةً للدعوة، وتويَّة، أو لينَّ وسكيّةً نفس, ، أو محاولةً ما للتغلّب على الهوى، بقدر قوة الإيمان لدّيّه، وقوة إرادته الإيمانيّة في التغلب على دوافع الفس المضادة.

إِنَّ وضع كلمة ﴿المستفقين﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَلِّتُ المسافقين بَضَافُون عَلْكَ صدوداً﴾ بدل الضمير، إذ كان السياق في البيان الصادي، يقضي بأن يكون النص: وأيتهم يَضَدُونَ عنكَ صُدوداً. قد دلَ على هذه المعاني التي وضحت لنا آنفاً، ودلَّ على هذه المعاني التي وسلودهم على أقهم بسلوكهم المائيّ الإيجابي بتحاكيهم إلَى الطّأَغُوت، والسُّلِيّ بصدودهم التقائي السّريع عن الاستجابة لدعوة الداعي إلى التحاكم إلى ما أشرل الله وإلى الرسول، قد كشفوا تُعرهم الباطن، ونفاقهم فيما يدُعون بالستهم فصارت إدانتهم بالنقاق مقترنة بالسلوك المائي الذي يدلُّ على حقيقتهم.

لذلك اقتضى الأداء البيائي الرفيع إعلان أنهم منافقون، وتركّ الكتباية عنهم بالضمير، والعدولُ عنه إلى الاسم العسريع، وهمو وصفهم بأنهم منافقون. مع ما في هذا الأسلوب من دلالة احترازية لإخراج عصلة المؤمنين من غير المنافقين، وهم الذين إذا ذكّروا بالله واليوم الأخر، لأنّوا، ولُم يُصَلُّوا هذا الصدود، وكان منهم سلوك ما يدلً على عدم نفاقهم.

فكشف النص واقع التباين بين ما يُعْلِمُه المنافقون دواماً، وما يكون من سلوكهم،

وهذا أمر مثيرُ للعجب حقًّا، أليس عجيباً أنْ يُكذَّبُ الواقع العمليّ المدعوى الكملاميّة، وأن يظهر ما ينهما من تبأين وتنافض؟!

إنَّ الأمر المنطقيَ السطبيعيَ الذي لا يشير العجب والاستغراب، هـــو التطابق بين الادّعاء والواقع، أمَّا التناقض أو التضادّ بينهما فهو المثير للعجب حقًاً.

هذا ما دلَّ عليه الاستفهام التعجيبي في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ وَاسْتُوابِمَا أَنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾.

إلى آخر النص، فهي تثير التُعكُّب من واقع حالهم المتنافض بين الادعاء والسلوك.

الفقرة الثالثة : طرح احتمال تمكين اللَّهِ رسُولُـه من معاقبتهم على نضاقهم الذي ظهرت آماراته، مَمْ بيان تَهلاّتهم التي ستكون منهم للاعتذار عن سلوكهم، دلُّ عليها :

قول الله عز وجل:

﴿ فَكُنِكَ إِذَا أَصَلِتَهُم شُوسِيَةٌ بِسَا قَدَّسَتَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَعَلِعُونَ بِأَقَوانِ أَرْدَنَا إِلَّا إِحْسَنَا وَقَوْمِنَا ۞ ﴾.

أي: فكيف تكون حالهم، إذا أؤنَّما لك بـا محمَّد بمماقيتهم على نفاقهم المذي ظهر لك من أماراته ما يدينهم بالكفر والرَّفّة، فحلّت بهم مصيبة حكمك عليهم بالرّفة، التي تجعل دماءهم مستباحةً بسبب ما قدّمَتْ أبديهم؟

والجواب المطويّ الذي لم يذكر في النصّ، ونستطيع فهمه: هو أنهم سيصابون بالهلغ والخوف الشديد عندئله فيفكّرونُ في انتحال الأعذار التي يرونُ أنها تخرجهم من سواقع الإدانة فالمقاب، ثمَّ يسعنونُ إليكَ سفحورين، يحلفُون بناهُ على أنّهم ما ارادوا بعملهم إلاّ إحسانًا وتوفيقاً.

وبالتأمل في واقع حالهم. والتفكر فيما يمكن أن يقدّموه من عذر. يظهر لنا أنّهم يعتذرون بأمرين:

الأمر الأول: أن خصومتهم مع كافر غير مسلم، فهم لا يريدون أن بضعوا الرسول موضع الاتهام والتجريح من قبل أهمل الكفر، إذَّرَبُّما أتّهموه بمحاباة من هـو مؤمن به، فمن الإحسان إلى الرسول إبعاده عن مواطن الاتهامات والشبهات، بالتحاكم إلى غيره من غير المسلمين.

الأمر الثنائي: أنّهم لم يتحاكسوا إلى الطاغوت ليحكّم بينهم بسلا حكم انة ورسوله، وإنما ذهبوا إلى بعض أهل الخبرة في حلّ الخصوصات، من غير المسلمين، ليوقق بينهم وبين خصومهم توفيقاً يقوم على المصالحة وتـرضية الفـريقين، لا على الحكم بينهما بحكم مخالف لحكم الشرع.

دلَ على هذين الامرين قولهم: ﴿إِنَّ اردنا إِلاَّ إِحساناً وَشَوْيَقَا ﴾ اي: مااردنا الآ إحساناً للرسول، وإجراء شوقيق بيننا وبين خصمتنا، وليس في هَذَيْنِ الأَشْرِين منافــاة لقاعدة الإيمان، ولا لصراط الإسلام.

رِيُّوَكُدُونَ هَذَا المَدْفَاعِ عَن سلوكهم لَشِرَة أَنْفُسهم باللحلف بالله، والحلف بالله حَجَّةُ مَن لا بِيَّنَةً لَه، فهو من أكبر وسائل الكَفَّابِين والمنافقين، ولا سيما حين يتحدُّثُونَ عن سرائرهم، وضعائرهم.

* * *

الفقرة الرابعة: المنهج الرّباني في معالجة المنافقين حول مثل هذه الـظاهرة من ظواهر سلوك المنافقين، بيبته:

قول الله عزّ وجل:

﴿ أُوْلَتِهِ لَا الَّذِينَ يَسْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْلُهُمْ فِ النَّسِهِمْ قَوْلَا بُلِيعًا ﴿ ﴾.

أولئك: أشار الله إليهم بإشارة البعيد، تعبيراً من انحطاط دركتهم وبعدها الشديد إلى الاسفل. والمعنى: أولئك البعداء جداً عن الإيمان وعن مواطن القرب من الله ومن رحمته، أولئك: يعلم الله معا في قلوبهم من كفر، صع تـظاهـرهم بـالإسـلام نفـاقـًا، فلا تشَعَلُ قلبك يا محمّد بهم، ولا توجّه جهودك لمعاقبتهم على ما بـدر منهم من دلائل نفاقهم وعابلُهُمْ وفق هذا المنهج ذي المراحل الثلاث:

المرحلة الأولى: أعرض عن معاقبتهم ومؤاخذتهم على صابدر منهم، وأعطهم

من وجهك إعراضاً يُشْعِرُهم بأنُّك مستاءً ممَّا فعلوا، ويُشْعرهم بأنَّك خبيرٌ بما فعلوا.

المرحلة الثانية: عظّهمْ بالتحذير منْ نعّبَة تحاكمهم إلى غير حكم الله ورسوله، وبالإطعاع بثواب الذين يُعَكِّمُون كتاب الله وسنّة رسوله في كلّ مـا شـجر بينهم، وبمـا يُصَحِّحُ إِيمَانهِم ويقرّيه ويرسّخه.

فالوعظ هو النصح بما هو خيس، مع التحذير من المخالفة بسوء العاقبة، ومع تليين القلب بوسائل الإقناع والترغيب.

المسرحلة الثنائشة: قبل لهم في انفسهم، اي: في سِيرُهم، أو في شبأن حقيقة أنفسهم، قولًا بليغًا، أي: بالفأ عمق وجدانهم، حيث تكون غاية التأثير.

وإذا أمعنا النظر في نوع هذا القول البليغ، لم تجد أبلغ من أن يكشف الرّسول لهم به، حقيقة نضاقهم الذي يكتسونه، مع بعض أعسالهم التي يختصونه، مع بعض أعسالهم التي يختصونها، ممّا يدلُ على أنهم منافقون، ليعلسوا أنهم مكشوفون للرسُول، وأنَّ الله عز وجلَّ قد أطلعه على سرائرهم، فما يتظاهرون به من إسلام ومتابعة إنما هو نفاق، وما يقدّسونه من معاذير وتعالّت، لا يتبلها الرسول مصدّقاً لهم، وأمّما يتبلها لأنَّ السباسة اقتضت أن يعاملهم بحسب ظواهرهم، لا بحسب بواطن سرائرهم، وما يُشتَّفون في صدورهم.

وبعد أن يكشف لهم في سرّهم ما يُغلّفه من حقيقة أمرهم، يتوعَدهم بـإعلان حقيقة كفرهم أمام المسلمين، وعندئذ فلا بـدّ أن يُدانّـوا ويعاملوا مصاملة أهل الكفر، أو أهل الرُّدَة.

. . .

الفقرة الخامسة: بيان أنَّ كلُّ الأمم مأمورون بطاعة رُسُّلِهِم وهو ما في:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن زَسُولٍ إِلَّا لِيُعْكَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ... ﴿ ﴾:

أي: وما أرسل الله من رسول لأمّةٍ من الأمم إلاّ جعل هذا الرّسولَ في أمّته قائداً وإماماً يطيعونه بإذن الله، فيجب عليهم طاعته فيما يأسرهم به أريّنهــاهم عنه بـــإذن الله، من كلَّ أمرٍ داخل ٍ في حدود إمامته وفيادته، إذْ أَذِن الله له بأن يامرهم وينهاهم، وكلَّفهم طاعته في ذلك.

فليس محمَّدُ ﷺ بصاحب خصوصيّة في هـذا الامر، بـل كُلُّ رُسُـل الله الأوامهم كانوا بالنُّولَة الريَّانيَّة والإذن الزَّيَانِيَّ كذلك. ونلاحظ أنَّ النَّبِيه على هـٰهـ السُّـة الريَّانِيَّة الدائمة في شأنَّ الإلزام بطاعة الامم لرسلهم، من أساليب التربية النافعة، الفائمة على الإتناع وقاعدة النساوي.

الفقرة السادسة: إطماع الذين تحاكموا إلى الطاغوت بتوبة الله عليهم وغفراته لهم، إذا استغفروا الله وتابـوا إليه، وصُــدُقُوا في انتصائهم إلى الإنســلام، أو صحّحــوا إيمانهم، واستغفر لهم الرسول، دل عليها:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذَ ظُلَمَ مُوَالَّهُ مُهُمْ جَاءَوكَ فَاسْتَغَفَّرُوا اللَّهُ وَاسْتَغَفَّرَلَهُمُ اَرْمُولُ لَوَجُدُوا اللَّهَ وَأَبْدَارَجِيمًا ۞ :

أي: ولو ألهم بَلَدُ أن ظلموا أنفسهم، فلم يُضُرُوا أحداً عبر ألَفْبهم بالتحاكُم إلى الطاغوت، جائوك يا تحصّد، فأشَلْتُوا تُوبتهم مما فعلوا، واستغفروا الله، وطلبوا منك أن تستغفر لهم، فاستغفرت لهم يوصفك رسولاً، ولذلك وُضع الوصف الظاهر والرسول، موضع الضمير، إذَّ لم يُقُلُ: واستغفرت لهم، لوجدوا الله تَوَاياً رحيماً، فهو يتوب عليهم أي: يعود عليهم يتوجُّهاته كما تبابوا، ويرحمم فيغفر لهم ذنويهم، ويزيدهم من قضله رحمةً من.

قباب التوبة مفتوحٌ لهم ولغيرهم، ما داموا أحياة، ولم يُقْفَلِ الباب العامُّ للتوبة.

وهنا نلاحظ أنَّ التربية الرِّبَانيَّة تقوم باستمرار، على الإطماع بالتوبة والاستغفار، مهما عظم جُرَّم المذنب، وتَبعدُ بقبول التربية، وبالعفو والففران لمن ثاب واستغفر صادقاً مخلصاً في توبته واستغفاره، ما دام باب التوبة مفتوحاً.

. . . .

الفقرة السابعة: من دلائل صحة الإيدان وصدقه تحكيم الرسول ﷺ فيما شجر بين المسلمين، دون شعسور بالحسرج من أقضيته، ودون وفض ٍ أو عصيسان الأواصره ونواهيه، دل عليها:

قول الله عزُّ وجل:

﴿ فَلَا وَرَبِكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَنَّى يُعَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَدَرَيْنَهُ مِّلُّهُ لَا يَجِهُ فُوا فِيَ أَنْفَيْهِ هِمْ مَرَّئَامِ مَا فَضَدِّتَ وَيُسَلِّمُ وَاشْلِيمًا ۞ .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:

جماء في هذا التعبيد تكريم حرف النفي، وبينهما قسم، ويمكن أن تفهم هذا التعبير بأحد وجهين:

الوجه الأول: أن يكون: وزَرَك لاء تأكيداً بالقسم وحرف النفي الثاني، لحرف الثني الأول. والأصل: ولا. لاء تأكيداً، وجاء القسم بينهما تأكيداً مضافاً لحرف الثمني الثاني، وهذا من أساليب تأكيد النمي صد العرب.

الوجه الثاني: أن يكون حرف ولاه الاول جوابـاً لسؤال مطويّ، تقــديره: أيكــونُ الَّذِين لـم يُحَكّموا رسول الله فيما شجر بينهم وبين الآخرين مؤمنين؟

والجواب ولاء ونسمَّى هذه حرف جواب، وهي تنفي ما جاء في السؤال، وهــذه تُعذَّفُ الجمل بعدها كثيراً. ثم جاء تأكيد الجملة بقوله تعالى:

﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوكَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَحَكَ بَيِّنَهُمْ ... ﴾

إلى آخر النص.

والمعنى: وربّك يا محمّد لا يكونـون مؤمنين صادقي الإيصان أو كاملي الإيمـان هم ولا غيرهم، حتى يُحكّموك في كلّ خلافٍ على حقّ متشابك فيمـا بينهم، كتشابـك أُهّمـان الشجر بعضها في معض، الامر الذي احدث خصومة بينهم. ولا يكفي مجرّد تحكيمهم لك، بل لا بُدُ أن يتحقَّق فيهم أمران آخران يأتيان بعد أن تقضى بينهم:

الأمر الأول: الآ يجدوا في داخل انفسهم حرجاً ولي: ضيقاً وانزعاجاً، ممّا قضيت به عليهم.

وهذا التكليف موجَّه لحركة نفوسهم الإراديَّة التي يؤثر فيها صدق الإيمان.

الأسر الثاني: أن يُسلَموا تسليماً كماملًا، فيلا يصارضوا ولا يصانحوا في تنفيذ قضائك، بل يسارعون في تنفيذه مسلَمين مستسلمين. وهذا التكليف موجَّه لتصرفاتهم الماديّة الظاهرة.

ويتساءل المتدّبر: هل المراد نفيٌ دخولهم في دائرة الإيمان إذا أرادوا ذلك؟ أو نفي ارتقائهم إلى مرتبة الإيمان المائل في التصوّر والمؤثّر في السلوك بالتوبـة، وترك العصيان؟

وأُجيبُ بأن التعبير في الآية يصلع للامرين معاً، وذلك كما يلي:

(١) فهو بالنسبة إلى السنافقين يدلً على أنهم لا يدخلون في الإيمان الصحيح،
 حتى يتخلّصوا من نفاقهم بصدق الإيمان، فيكون من آثاره تحكيم الرسول فيما شجر
 بينهم . . .

 (٣) وهو بالنسبة إلى المؤمنين العصاة يبدل على أنهم لا يسرقدون إلى سرتبة الإيمان المائل في التصور، والمؤثر في سلوكهم، حتى يظهر من آثاره تحكيم الرسول فيما شجر بينهم. . .

وقد سبق في النصّ ما يشير ضمناً إلى هذا الصنف في قول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا فِيلَ أَمُّمُ ثَمَا لَوَّا إِلَى مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلمُتَنفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞﴾:

أي: أمّا غير السنافقين من الذين قد يتحاكسون إلى الطاغوت فإنّهم لا يُصُدُّونَ صدوداً منكراً، بل يتعظون، أو تلين قلويهم، او تكون منهم محاولات ما للتغلّب على أهوالهم، بمقدار نسبة ما لديهم من إيمان عامل مؤثر، كما سبق بيانه. الفقرة الثامنة: استثارة دافع الاقتداء بأسلافهم، مع بيان أنّهم أسوأ حالاً ممّا كان عليه أسلافهم حين كانوا يذنبون، دل عليها:

قول الله عز وجل :

﴿ وَلَوْاَنَا كُنْسَا عَلَتُهِمْ آنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوَا خُرُجُوا مِن دِيَنِكُمُمَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنهُمْ ۚ .. ۞﴾.

سرينهم... ١٩٩٠

قرأ ابن عامر فقط: [إلاّ فليلاً بنَّهُمْ]. فالرفع على أنه بدل من الضمير في وما فعلوه، والنصب على الاستثناء من

الكلام المنفي .

وهما وجهان جائزان عند النحاة.

أي: ولو أنّا كتبنا فريضةً عليهم ليكفّروا عن ذنبهم الـذي ارتكبوه بتحاكُمهم إلى الطاغوت، كما كتبنا فريضةً على أسلافهم الذين عبدوا العجل:

﴿ أَنِ الْمُتُلُوِّ أَنْفُسَكُمْ ﴾:

«أنَّ حوف تفسير، و ﴿ أَقْطُوا أَنْفَسَكُم ﴾ بينان للغريضة التكفيريّة التي كتبّها الله
 على أسلافهم، ويَذْكُر الله أنّه لوكتبها على هؤلاء ما فعلوا القتل الانفسهم إلاّ قليل
 منهم.

وكذلك لو أنا كنبنا فريضةً عليهم من الفرائض الجهاديّة أنَّ يخرجوا من ويبارهم، كما كنبنا فريضةً جهاديّة على أسلافهم أن يخرجوا من مصر مهاجرين مجاهدين شيادة موسى وهارون عليهما السلام، ما استجاب من هؤلاء النَّخُلُوف لأسْرِ التَكليف إلاّ قليل منهم.

إذن: فهؤلاء أسوأ حالاً من أسلافهم اليهود، مـع ما كــان عليه أســـلافهم من سوء حال، وقسوة قلب، وفسق ومعصية فه عزوجلّ ولرسله.

ويهذا نلاحظ أنّ الآية تُشعر بأنّ هؤلاء المناففين قد كانوا من منافقة اليهود، وهــو ما جاء في طائفة من روايات أسباب النزول. الفقرة التاسعة: عُودٌ إلى معالجتهم بالموعظة المشتملة على الترغيب، دل عليها:

 قول الله عزّ وجلُ:

﴿ وَلَوْاَ أَشَهُ فَعَلُواْ مَا يُوعَطُّونَ بِهِ لَكَانَ خَيَّا أَهُمُّ وَأَشَدَّ نَفِيدَنَا ۞ وَإِنَّا أَوْ نَيْنَتُهُم تِن لَدُنَّآ أَمِرًّا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنِتُهُمْ مِيرَاهًا مُسْتَقِيمًا ۞ .

في هذه الفقرة من النصّ شرط وجزاء:

- أما الشرط فهو:
- ﴿ وَلَوَّ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِدِي ﴾.

والذي يوعظون به في موضوع هـذا النص نستخلصه مما سبق من بيان فيـه وهو ما يلي :

- (١) طاعة الله عزُّ وجلُّ.
 - (٢) طاعة رسوله 纖.
- (٣) طاعة أولي الأمر متهم.
- (٤) رد كلّ ما بتنازعون فيه من أمور الدين إلى الله والرسول.
 - (٥) عدم التحاكم إلى الطاغوت.
 - (٦) تحكيم الرسول فيما شجر بينهم.
- (٧) الرضا النمسي الكامل بحكم الرسول، دون شعور بالضيق والكبراهية، ولوخالف الهوى.
 - (A) التسليم الكامل، بتنفيذ ما يقضي به الرسول دون معارضة ولا تهرّب.
 - (٩) التوبة والاستغفار بعد أن ظلموا أنفسهم.
 - ...

وأمّا الجزاء فهو عطاة ربّاني يتكون من أربع ثمرات:

الشعرة الأولى: مافلٌ عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَكَانَ خيراً لهم﴾ أي: لناأوا بفعلهم ما يُوعظون به خيراً منا يفوتهم من دنياهم بسببه، إذْ يُعرَّض الله عليهم من فضله ما هو أفضل وأحسن، كسعة في المرزق، وطعائية في النفس، وسلامة، ومجد، إلى غير ذلك من مطالب الحياة الدنيا التي كانوا يرجونها بالتحاكم إلى غير حكم الله ورسوله، وهذه الشمرة هي إحدى سنن الله في عباده في الحياة الذباً.

الثمرة الثانية: ما ذَلُّ عليه قوله تعالى:

﴿وَأَشَدَّتُنَّهِ عِنَّا ﴾:

أي: ولكان فعلَهُم مَا يُوعَلُونَ بِهِ أَسْدَ تَنْبِيتاً لهم في الإيمان، وفي أساكنهم بين السلمين، وهذا الشبيت يصرف عنهم قلق النفس السلمي يجلبُه النفساق، أو تجلُبه المعصية التي هي ثمرة ضعف الإيمان، ويُصرف عنهم الخوف من انكشاف حالهم للمسلمين الذي قد يعرّضهم للمتاب والمؤاخفة، ويجعل لهم تمكيناً واسخاً مطمئناً بين صفوف المسلمين، الأمر الذي يُجني لهم نفعاً عظيماً، إذَّ به ترتضع أقدارهم، وبع يكتسون الثقة الاجتماعية، فتفتح لهم في المجتمع الإسلامي أبوابُ كثيرة من الخير الذي يرغون فيه، ويكونون فيه أصحاب وزن اجتماعي تقبل، وهذا من التنبيت.

وهذه الشمرة هي إحدى سُنَن الله في الأَنْفُسِ، وفي الاجتماع البشري.

الثمرة الثالثة: ما دلُّ عليه قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَا تَيْنَاهُم مِن لَّدُنَّا أَجُّرًّا عَظِيمًا ﴾:

أي: وَلاَئَيْنَاهُمْ فِي الأخرة يومُ الدَّين أجراً عظيماً. وهذا الاجر العظيم يكنونُ في جَنَّات النعيم، التي جاء وصفها في نصوص كثيرة من القرآن الكريم.

ولمّا كانت هذه النمرة آمراً أخروبّاً على خلاف النمرتين السابقتين، بدأها الله عرّ وجلٌ بحرف وإذاء الذي هو حرف جواب وجزاء، مع أنَّ البّيّان كنان يكفي فيه: والأنّيّاهم من للنّا أجراً عظيماً. لكنّ إضافةً حرف وإذاً، لا بُذُ أن تُشْهِر بشيء، فما هو هذا الشيء الذي استدعى الاهتمام بذكر هذا الحرف الذي هو للجواب والجزاء، والكلام معطوفً على ما فيه واللام، الواقعة في جواب الشرط؟ أقول: إنّه التنبية على أنه جزاة أخروي عنظيم جدّاً، وليس هنو من نوع ما سبق حتى يُعطف عليه عطفاً عاديًا.

> الشعرة الرابعة: ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا تُسْنَقِيمًا ﴾.

الصراط المستقيم هو صراط الله المبين في الإسلام بمعالمه الكبرى، وكثير من تفصيلاته، أمّا سائر التفصيلات التي تحتاج إليها مستجدات الحياة فتقاسُ عليها، ويُشتَهْدَى فيها بهديها.

لكنّ إدراك تفصيلات هذا الصراط يحتاج إلى هـداية خــاصّـة، زائــدةٍ على البيان العامّ، وزائدةٍ أيضاً على ما يستنبطه المجتهدون، من أهل الاستنباط.

والهداية إليها تحتاج معونة من الله وتبوفيقاً، فالذين يَقْعَلُون ما يوعظون به مشا سبق بيانه، يُعِدُهم الله بمعونته، ويوفقهم، ويُسَوَّر بصائرهم لممعرفة الحقّ في الأمور، وإدراك وبَّه الخير، ومعرفة الأنفع والأقوم والأصلح، ويُصَرِفُ عنهم وساوس الشيناطين وتسويلاتهم، التي تُبعدهم عن الصراط المستقيم في مسينرتهم في حياتهم، وهكذا تكون هدايتهم إلى صراطٍ مستقيم.

أمّا الدَّين لا يفعلون ما يوعظون به. من طاعة أنف، وطباعة رسوله، وطباعة أولي الأمر منهم، وردَّ كلَّ ما يتنازعون فيه من أمور الدين إلى الله والـرسول، وعـدم التحاكم إلى السطاخوت، والـرضـا النفسي الكسامـل بحكم الله ورســوله، دون شمــور بضيق أو كـراهية، والتسليم الكنامل يتنفيذ أحكام الله ورسوله، ومتابعة مخالفتهم بالتوبة والاستغفار، فإنهم سيتخيطون في حياتهم في شُبلٍ ومتاهـاتٍ متشعبات، ولا يهتدون إلى صراط مستقيم.

وجماء عطف هـذه الثمرة على ثـمـرة الأجر العـظيم في الأخرة، لأنَّهُمـا ثـمـرتــان متماسكتان، فالأجر العظيم طريقه المصراط المستقيم.

الفقرة العاشرة: إفغال النصّ ببيان أنّ الذين يـطيعون الله والـرسول على صـا سبق بــانه، سيكـونون في جنّـات النّعيم يوم الـدين رنقاة الـذين أنـم الله عليهم من النبيّين

والصدّيقين والشهداء والصالحين، دلُّ عليها:

قول الله عز وجل:

﴿ وَمَن يُعِلِمُ اللَّهُ وَالرَّمُولَ فَأُوْلَتِكَ مَعَ الَّذِينَ أَشَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّذِينَ وَالشِّدِ بَعِينَ وَالشُّهَاءَ وَالصَّلِحِينُ وَحَسُنَ أُولَتِهِكَ رَفِيهًا ۞ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهُ وَكُفَلَ وَالشُّهَاءَ عَلَيْهُمَا ۞﴾.

في هذه الفقرة ترغيب بالمنتازل الرفيمة في جنّاتِ النصيم، مع رفاق أجبلاء قد أنعم الله عليهم يَعَمَّا فنانقات، في منتازل الفردوس الأعلى، وهؤلاء الرّفناق هم من التَيْيِّن والصَّدِيْقِيْن والشهداء والصالحين.

هـذه المنازل السرفيعة والصحبـةُ الجليلة المجيدة تكـون لِمَنْ يُطيعُ الله والسُرسول طاعة مستوفية شروطها، على ما سنق بيانه في النصّ.

- أمّا الشرط فني قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللّهُ وَالرُّسُولِ﴾ أي: طاعةً مستموفية
 كامل شروطها، على ما سبق بيانه في فقرات النص النسع ومن: اسم شرط جازم.
 - وأماً الجزاء ففي قوله تعالى:

﴿ فَأُوْلَتِكَ مَا الَّذِينَ أَنْشَالُهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيْنَ وَالْصِّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّلِحِينَّ وَحَسُنَ أَوْلَتِيكَ رَفِيهَا﴾.

﴿ فَالْوَلْنَكِ ﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط وجزائه، والكلام بعدها هو الجنزاء، واسم الإشارة مبتدأ.

أي: فالمعليمون فله والرسول على ما سبق يسانه وأشيس إليهم بإشارة البعيد.
 تعبيراً عن ارتفاع مكانتهم، وارتفاء درجتهم، وبعد منزلتهم عند الله عن سائر الناس من
 دونهم.

﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعُمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ :

خبر للمبتدأ وأرقيك والمعنى هم رفقاء الدين قضى الله بالإنسام عليهم يوم الدين، في منازل الفردوس الأعلى من جنّات النصيم جزاءً لهم بما كان منهم من أعمال صالحات، وإبتغاء لرضوان الله، وعمل بمحابه.

وجاء بيانُ أصناف الذين أنعم الله عليهم بقوله تعالى:

﴿ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّلِحِينَّ ﴾.

(مِنْ) لبيان أصناف الذين أنعم الله عليهم، وهم:

(١) البيّتون: وهم بَدُشُون السرسلين، الآن كلّ رسول بنبيّ، وهم من أهل الفسردوس الأعلى في جنّات النعيم، الـذين أنسم الله عليهم بقضله العنظيم، ولو لم يكونوا أهل المرتبة العليا من عباد الله ما اصطفاهم الله بالنبوّة، وهم على درجات متفاضلات.

 (٢) المستميقون: الصّدين حالدائم التصديق باللحق، المذي لا يلوي عنه ولا ينحرف، مهما كانت الدواعي. وهو أيضاً الذي يُصَدِّقُ عملَةٌ قولَه، فلا يكون لمديه نفاق ولا رياء. وصيغة وفِصِّل من صبغ المبالغة السماعية.

وإذا كانت صفة الصديق مما يتصف به غير الأبياء من فضلاء المؤمين، فلا بذ أن تكون صفة للانبياء والمرسلين، ولذلك وصف الله بها إبراهيم عليه السلام وإدريس عليه السلام إشعاراً بأن كل النبين صديقون، ووصف الذين آمنوا بالله ورُسُله إيماناً صحيحاً صادقاً بقوله: أولئك مُم الصديقون، ويدخل فيهم بنداهة النبيون، فقال الله عزّ وجل في سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٤٤ زول):

﴿ وَالَّذِينَ مَامَنُوا مِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَوْلَيْكَ هُمُ ٱلصِّدِيقُونَّ . . . ١٠٠

وفي مفدَّمة الصَّدِّيقين من أتباع النبسِّ محمَّد ﷺ سَيَّدُنا أبو بكر رضي الله عنه.

(٣) الشهيداء: وهم مَنْ ثَبَتْ لهم الشَّهادةُ في سبيل الله، بأن جاهـدوا جهـاداً
 صادةاً لتكون كلمة الله هى العليا، فقتلوا في سبيل الله.

الشهداء: جمع شهيد، وأصل والشهيد، صيغة مبالغة لاسم الفاعل والشاهد،

وهو الحاضر العالم بظواهر أشياء وأحداث أدركها وهو حاضر، فهو يقدّم شهـادته بهـا، وقد أطلق في لسان الشرع وَفق هذا المعنى اللّغوي، في عدة مواضع.

وأطلق لفظ والشهيده أيضاً وجمعه والشهداء، في لسان الشرع على من قتـل في سبيل الله، وهذا هو الأصل فبمن يستحقّ هذا الإطلاق.

وسمّى الرسول ﷺ من صات من العؤمين مبطوناً، او غريضاً، أو بالحريق، أو تحت الهدم، أو بلمات الجنب، أو نحو ذلك شهيداً، وينهغي أن تكون شهادة هؤلاء نوعاً آخر غير شهادة الذين يُقتَلُون في سبيل الله فيكونون أحياة عندريّهم يرزقون، كما ثبت في القرآن والسّة.

وتخصيصٌ بعض من يصوت من المؤمنين بلقب أو بموصف «شهيما» فيه عسدة احتمالات ذكرها العلماء:

الاحتمال الأول: أنّ لفظ والشهيد، يطلق في اللّغة على والعيّ، فَسُمُّي اللّغي يقتل مؤمناً في سبيل الله، محتسباً أجره عند الله شهيداً، إذّ تكونُّ له بعد موته حياةً عند ربه، كما قال الله عزَّ رجلٌ في سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿ وَلَا تَفْسَبَنَ الَّذِينَ فُتِلُواْفِ سَبِيلِ اللَّهِ أَمَوْنَأُ بَلَ أَشْيَاهُ عِندَ رَبِهِمْ يُرَوَّونَ ۗ فَرِعِينَ بِمَا مَانَتُهُمُ أَنَّهُ مِن نَصْلِيهِ وَيَسْتَنْبِدُرُونَ بِالَّذِينَ لَمَ بِلَحْقُواْ بِهِم مِنْ طَلِّهِمْ ٱلْاحَوْلُ عَلَيْهِمَ لَاهُمْ يَنْحَدُونَ ۖ ۞ ﴾ .

وقىد جاه بيـان نوع حيـاتهم هذه عنـد ربّهم، فيما رواه مسلم في صحيحـه، أنّ عبد الله بن مسعود قـال: أما إنّـا سالنـا عن ذلك ايعني رسـول الله ﷺ ققال: (أي في بيان ما جاه في فوله تعالى: ﴿ فِرْلُ أَحَيَاةُ عند ربّهم يُرْزَقونَ ﴾):

الْرُوَاحُهُمْ في خَوْف طَيْرِ خُفْسِرِ لَهَا فَنَـابِيلُ مُعَلَّفَةً بَالْضَرْشِ، تَـشُوحُ مِنَ الْجَنَّـةِ خَيْثُ شَاءَتُ ثُمُّ نَأْدِي إلى بَلْك الْقنابِيلِ ، فَاطَّلغ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ الْمَلاَعَةُ:

فقال: هل تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

قالوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْنَهِي وَنَحْنُ نَشْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْثُ شِقْنَا؟!

فَغَفَلْ فَلِكُ بِهِمْ تَلَافُ مُرْابِ، فَلْمُا رَاوَا أَقُهُمْ فَلَ يُتُرَكُوا مِنْ أَنْ يُسَالُوا قالوا: يَاز فُرِيدُ أَنْ تَرَقُ أَزُواجُنَا فِي الجِسـادِينا حَتَّى نَقْتَـلَ فِي سَهِيلِكَ مَرَّةً أَحْرَى. فَلَمَّا زَاق أَنْ لِلسَّ لَهُمْ حَاجَةً تُرِعُواهِ:

الاحتصال الثاني: قـــال ابنُّ الانباري: سُـمَّي الشهيـنـُ وشهيداً؛ لأنَّ الله وملالكتــه شُهُودُ لَهُ بِالْجَنَّهُ، أَي: فهو مشهودٌ له بالجنَّه، ففعيل على هذا بمعنى ومفعول».

الاحتمال الثالث: وقيل: لأنه حيٌّ لم يمت، فكأنه شاهد أي حاضر، ففعيل على هذا بمعنى وفاعل.

الاحتمال الرابع: وقيل: لائه يُشْهَدُ ما أعدّ الله له من الكوامة بالقتل، ففعيل على هذا بمعنى وفاعل.

الاحتمال المخامس: أنّه مشهودُ له بحُسْنِ الخاتمة، باعتباره قُتِلَ وهُـو يجاهـد في سبيل الله، ففعيل على هذا بمعنى مفعول».

أقول: كلَّ هذه المعاني صالحة. فلا مانع من ملاحظتها جميعاً في تعليل همذه التسمية، والله أعلم.

 (4) الصالحون: جمع وصالح، وقد جاء في القرآن وصفاً للانبياء والعرسلين،
 إذ الصلاح شرط لمن هم أدنى مرتبة من الانبياء، وما هو شرط للمرتبة الادنى هو شرط للمرتبة الأعلى بداهة.

وجاه وصفاً لمن هم دون الأنياء من المؤمنين، ودون الأبرار من الصالحين، فقد جاء وصفاً لمن هم أهل اللّرجة العلما من المنتين، فهم من الصالحين أيضاً، ويلحق إيضاً بهم الذين يُقصرون بحقوق هذه الدرجة لكنّهم أوّابُون، فقال الله عزّ وجل بشأتهم في سورة (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

﴿ تَثْكُرُ أَعْلَرُ بِمَا فِي نَقُوسِكُو ۚ إِن تَكُونُواْ مَلْلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَقَرِيتَ غَفُورًا ﴿ ﴾.

أي: إن تكونوا مستوفين حقوق مرتبة السنقين بتأدية الواجبات وتبرك المحرّسات بصورة إجمالية عامّــة، لكنكم تُذيبــون وتخطئــون، فتُنبعون نـنــوبكم وخطايــاكم بالشُّـريّة إلى الله والاستغفار والرجوع إلى صواط الاستقــامة، فــأنَّه يَقْضِرُ لكم، ولا يخرجكم من زَّمْرِ الصالحين، وهذا فضل من الله دواماً بالنسبة إلى الأوابين الرَّجاعين إليه: ﴿ فَاتَمُّكَانَالِمُ أَوَّامِكَ عَفُورًا ﴿ فَيْهِ ﴾.

فلا تعزجكم إذَنْ هذه الذُّنوب والخطاب الميُّرضةُ بالتوبة والاستغفار عن زُمْرة الصالحين، وكذلك حال الابرار إذا كانوا خطّائين أوّابين من بناب أولى، وكذلـك حال المحاسين بل هم أحقّ.

فالصالحون وصف يطلق على أهل مرتبة الإحسان، وعلى أهل مرتبة البرّ، وعلى أصحاب الدرجة العليا من مرتبة التقوى، ولا تخرجهم الخطايا عن زمرة الصالحين إذا كانوا أوابين.

هذا ما هدى إليه تدبُّر نُصُوص ِ الصالحين في الفرآن الكريم.

فمن يُطع الله والرسُولَ يَجْمَلُه اللَّهُ مع هؤلاء الـزَّمر الأربع الذين أنعم الله عليهم يوم الدين في جنات النعيم .

بعد هذا البيان أثنى الله على موافقة هؤلاء الزَّمر، فقال تعالى:

﴿ وَحَسُنَ أُوْلَنْهِكَ رَفِيقًا ﴾.

والرقيق: المرافق المصاحب، يستوي فيه المفرد وغيره.

وَخُسُنَهُ: فَعَلُ مَلْحَ، يَجْرِي مجرى وَيْعُهُه وفيه معنى التعجب: أي: أَحْسِنُ باولتك رَفيقًا أُولَٰبُكِ، فاعل وخُسُنَه و روفيقًا تسيز أو حال.

والمعنى: ونعمت الصحبةُ صُحْبةُ هؤلاء الذين انعم الله عليهم، فقد حُسنَ هؤلاء وفيضاً، لأنَّ من كان رفيضاً للمنصّين كان معهم مُنعَماً، ومن كان رفيضاً للسحداء كان معهم سعيداً.

وأشــار الله إليهم بإشــارة البعيد تعبيـراً عن ارتفاع منـزلتهم عنده بــالنـــبــة إلى من دونهم من الذين لا يكونون مع الذين أنعم الله عليهم .

ولكن هل بنالون هذا العطاء الرّبّاني بالاستحقاق الأصلي، أم بفضل من الله؟ ويأتى الجواب في قوله تعالى:

﴿ ذَالِكَ ٱلْفَصْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ :

أي: ذلك النجم الذي يُعييهُ هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، ويُعييهُ معهم الذين يطيعون الله والرسول كما سبق به البيان، هو فضل من الله يتفضّل به على هؤلاء الزمر، بوعمه الكريم، وليس باستحقاقهم الذاتيّ له.

وفي هذا ربط بعنصر من عناصر القاعدة الإيمانية في الجزاء، وهي أن العقاب بالعدل، وأنّ الثواب بالفضل.

واخيراً ختم الله عزّ وجلّ بيبان عنصر أخر من عناصر القاعدة الإيسانية، ملاثم لما جاء في النصّ، فالامتحان في الحياة الدنيا بالتكاليف الرّبانيّة، ومنها الإيمان، والطاعة لأوامر الله ونواهيه، ونبُّة ابتغاء مرضاة الله في كلّ مطلوب اختياريّ من العباد طلبه الله منهم، لا بدّ أن يكون كلَّ ذلك مُحاطاً إحاطة تأشةً بعِلْم شامل. يُجْري على وفقه الحمابُ والجزاء بالفضل أو بالعدل، لمختلف زُمْرِ المكلّفين على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم، فقال الله عزّ وجلّ :

﴿وَكَفَىٰ بِأُفِّهِ عَلِيهُمَا ۞﴾:

أي: والله بكلّ شيء عليم، ونخفّ بنالله عليماً بكلّ ما يفعل عبساد، وبكلّ ما يضمرون في قلوبهم ونضوسهم، من إيمان، أو كفس، ونيبات، وغيـر ذلـك وبكلّ ما يُظهرونه من أعمال صادقة أو كاذبة.

فمن كان منافقاً متظاهراً بأنه من المؤمنين المسلمين، فالله عدَّ وجواً يَقْلُمُ ما في قلبه، وكفي بالله عليماً يعلم حقيقة ما في القلوب والتفوس، لا تخدعه المظواهر، وهمو مسحماته يضح الناس في المدرجات والمسراتب بحسب ما يعلم من أحسوال قلوبهم وسرائرهم، لا بحسب ظواهر أعمالهم المخالفة لما في دخائل تفوسهم.

وبهذا الختام أقفلت وحدة هذا النَّصَّ.

النص الخامس عشر

قال الله عزّ وجل فيها:

﴿ يَتَأَيُّهُ الَّذِينَ وَامْتُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَأَنفِرُوا أَبَّاتٍ أَوِ انفِرُوا جَيِيعًا ١٠٠٠

﴿ وَإِنَّ مِنْكُولَسُ لِنَبُطِئَنَّ فَإِنَّاصَٰبَتُكُم مُصِيبَةٌ قَالَفَدَّائَتُمَ اللهُ عَلَيَاذٍ لَوَ أَكُنْ مَمَهُمْ شَهِيدًا ﴿ وَلِينَ أَصَنَبُكُمُ فَضَدَّكُمُ وَاللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَانَ لَمَ تَكُنْ يَيْنَكُمُ وَيَثِيْنَهُ مَوَدَّةً يُسُلِّينَ كُنتُ مَمَهُمْ قَافُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ ﴾ ﴿

﴿فَلَيْمَنْتِلْ فِى سَكِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْمَتَيْزَةَ الدُّنْيَ يَا لَكَوْمَرَةً وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ فَيُقَتَّلُ أَوْيَقُولُ فَسَوْفَ فَرْتِيهِ لِتَجْرَاعِظِيمًا۞﴾

﴿ وَمَالكُّرُ لَا تُشْتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْقَوْلُلُسُّتَضَعَفِينَ مِنَ الْإِمَالِ وَالْسِنَةِ وَالْوِلَذِي الَّذِينَ يَشُولُونَ رَبِّنَا أَشْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْفَرِيَّةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلَ أَنَا مِن أَشْرُتُكَ ضَمِيرًا ۞﴾

﴿ الَّذِينَ اَسَوُا يُعَتِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُعَيَيلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاعُوبَّ فَعَتِيلُوّا أَوْلِيَا ٱلفَّيْعَالِيزِانَ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَبِيقًا ۞﴾ ﴿ أَنْ مَا إِلَّا الَّذِينَ قِلَ الْمَتَمُكُوا الَّذِيكُمُ وَأَهِنُوا الصَّقَوَةُ وَالْوَالُوَّكُوْ اَفْتَاكُب عَلَيْهِمُ الْفَالَ الْوَلَا إِذَا فِيقٌ مِنهُمُ يُصِّحُونَ النَّاسَ كَمَثْنَهُ القَّلِقَ الْمَانَّذِيلَةً وَقَالُوا رَشَّالُ كَلَيْتَ عَلَيْنَا الْفِنَالُ لَوَلَاَ الْمُتَوْتَا الْمَالِمُونَ وَالْمُنْفُولِهُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لِفَلْلُمُونَ قَلِيلًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلاَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلاَ اللَّهُ اللَّهُ وَلا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ لِلللْلِيلُولِيلُولِيلًا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ وَلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَالْمُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِلِيلِيلُولِكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفَاللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُ اللَّهُ الْمُنْفِقِ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفَالِمُولِمُ اللَّهُ الْمُنْفِقِيلُولِلْمُلِمُ اللَّالِيلِيلِيلُولِيلِيلِيلُولُولِ

﴿وَانِ نُصِّبُهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِيهِ بِنْ عِندِاللَّهِ وَإِن نُصِّبُهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَدِيهِن عِندِكَ قَالِمُّلِّ بَنْرَعِندِ الْعَرِّفَالِ هَوْلَامَ اللَّهْوِلِالِكَادُونَ يُفَقَّهُونَ حَدِيثًا۞﴾

﴿ مَّأَ أَصَابُكِ مِنْ حَسَنَةٍ فِهُزَا لَقُومَا أَصَابُكَ مِن سَيِّتَةٍ فِينَ فَفْسِكُ وَأَصَلَتَكَ إِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُفَى بِأَقَوْشِيدًا ﴿ ﴾

﴿مَّن يُعِلِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهُ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ١٩٠

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا مَرُولُونِ عِندِكَ بَيْتَ طَآبِفَةً يَنْهُمْ غَيْرَالَذِى نَقُولُ وَاللّهَ يَكُنُّبُ مَا يُنَيِّدُونَّ فَأَعْرِضُ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهُ وَكَفَى إِلَّهَ وَكِيلًا ﴿ ۞ ﴾

﴿ أَفَلَا يَنْدَبَّرُونَ ٱلْقُرَّءَانَّ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِعْثِرِ اللَّهِ لَوْجَدُ وأَفِيهِ آخْيِلَنَفَا كَثِيرًا ١٠٠٠

﴿ وَإِذَاجَاءَهُمْ أَمْرِثِينَ} لأَمْنِ أَوِالْخَوْفِ أَنَاعُواْبِمُّ وَلَوْرَدُّوهُ إِلَى اَرْشُولُووَإِلَى أَوْلِي الأَمْرِ مِنَّهُمْ لَمُلِمَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمُّ وَلَوْلاَفْشُلُ اللَّهِ عَلَيْكُم لِأَنْبَسَنُمُ الشَّيْطِلُنَ إِلَّا وَلِيدِلا ۞﴾

﴿فَقَنْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَاتُكُلُّفُ إِلَّانَفُسَكَّ ثَخَوِضِ الْقِبِينَّ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفُّ بأَسُ الَّذِينَ كَفَرُازًا وَاللَّهُ أَشِدُ بَالسَّا وَاشَدُّ تَنكِيدًا ۞﴾

(۱) موضوع النَّـصَ

أمر الله عزّ وجلّ الذين آمنوا بأن يـأخذوا جـذُرهم فيتأهُبُـوا للرّه كَيْند أعداتهم، أخذين بأسباب المبادهة، قبل أن يُبّـاغِتهم عَذُوهم وهم على غيـر استعداد لمـواجهته وصدّ كيده.

ومن أسباب المبادعة أن يغروا إلى القتال أو التصدّي للمواجهة جماعات متضرّقة أو تُتتابعة ، أو جيشاً واحداً، فالمبادعة هي الخطّة الحربيّة الاكثير سلاّمة، والأرْجَى لتحقيق النّصر.

عقب هذا أبان الله عزّ وجل مواقف من مواقف العنـافقين وضعفاء الإيـــان الذيين يستجيبون لوساوسهم ومكرهم الإفسادي، وهي تتلخّصُ بما يلي :

- (١) التباطُو والتَهاون والتواني عن الخروج مع المسلمين لقتال عدوهم.
 - (٢) تثبيط من يستجيب لهم من الجبناء وضعفاء الإيمان.
- (٣) تحدّث بعضهم بالفرح والمسترة إذا أصاب الخارجين من المسلمين للفتال مصيبة أو مضرة، ويسرى أن الله قد أنهم عليه، إذّ لم يُشْهَدُ معهم قتال عدوهم فنجا بذلك من المصيبة.
- (2) التَحشُّر والنَّدم على ما فاتهم من الفوز بالغنيمة، إذا انتصر الخارجون من المسلمين، وأصابوا من علوهم غاتام، وهم مع هذا التحسُّر يَحسُّدون الخارجين على ما أصابوا من غنائم حَسَد من لم يكن ذا وَدُّ سابق، فيضول القائل منهم: يا لينني كنتُّ معهم فافوز فوزاً عظيماً.
- هـا يوجـد لدى بعضهم من التناقض بين ما كـانوا يُـطَالِبُـون بـه قبـل الإذن بالقتال، وبين حالهم بعد أن كتب الله عليهم القتال.

فقبل الإذن بالفتال كانوا يُطالِبُون بأن يؤذن لهم به، فيُؤمَّرُون بأن يكُفُّوا أيديهم. وبعــد أن كتب الله على المسلمين القتـــال دَبُّ الخـــوف في قلوبهم، فصـــاروا يخشون الناس كخشية الله أو أشدّ خشية، وقالوا:

- ربنا لِم كتبت عَلَيْنَا الْقِتَال؟
- أُولاً أُخُرْتَنا إلى أجل قريب.
- (٦) أَنْهِم إِنْ شَهِيْهُمْ حَسَنَةً مِن نَصْرِ أُو غَنِيمةٍ أُو أَيِّ أَلْمٍ قَنْدِي يُسَرِّهُم كَغَيِّتٍ وخِصْبٍ وسَغَةٍ رَزْقِ وصَغَةً وَبَيْنِ قَالُوا: هَذْهِ مِن عَنْدَ الله، أي: لَم تَاتَهِم بِبركة دعاء الرسول، ويسبب إكرام الله له.

وإنَّ تُصبَّهم سَيَّةً من مصيبة في الأنفس أو في الأموال من أمور قدْرَيَّة بيتليهم الله بها قالوا: هذه من عند محمد، أيَّ: لم يُشبِن النصرَف في إدارته أو قيبادته في السلم والحرب.

أمَّا من كان منهم ذا كُفْرٍ وعناد فإنَّهم يقولون مقالة المشركين من قبل:

إنّ ما نزل بنـا من سيّئاتِ ومصـائب إنّما كــان من شُوْم دعــوة محمّد الّتي فــرّفت قومه، وجلبت النزاع والخلاف والحروب.

(٧) التّناقض بين ما يُعلنُون للرسول من الطاعة والخضوع عند المحواجهة، وبين
 ما يُبيئُونَ إذا خرجوا من عنده من المعصية والمخالفة، والعمل بغير ما أعلنوا له.

وخلال عرض هذه التصرّفات التي تصدر من المشافقين ومن الذين يشأثّرون بهم من ضعفاء الإيمان، شرحت الآيات المفهومات الإيمانية الملائمة لموضوعاتها.

فالظاهرات السلوكية التي أبانها هذا النصّ هي من أعمال المستافقين أساساً، ثمّ من أعمال أهل الرّيب والشّك وضعفاء الإيمان، وربّما يشاركهم في بعضها بعض أهل الفقلة من المؤمنين.

وفيه أيضاً بيانٌ لبعض ظاهرات اخرى تكون من المؤمنين، ولكنّها لا تتلاهم مع صدق الإيمان، ولا مع الدفاعات، الحماسية التي قد تنظير قبل الاعتبار بالتطبيق الْعَمْلِيّ، وقد ضُمَّت هذه لبعض ظاهرات المنافقين في النّص، للإشمار بالَّمه يُبْغِي الْنَّ لا تظهر إلاّ من المنافقين، إذَّ هي تتلام مع طبيعة النفاق، ولا تتلام مع طبيعة الإيمان الصحيح الصادق، لكنَّ الله يعلم ما في النفوس قيمايل كلَّ إنسان بحسب ما في نفسه وقلبه من إيمانِ أو كفرٍ، أو شكِّ، أو جُرْنٍ، أو حُبِّ للحياةِ الذُّنْيَا وَتَعَلَّقٍ بها، فَيُحَاسِبُ ويُجازى بمقتضاها، لا بمقتضى ظاهرات الأعمال فقط.

واشتمل النّص ايضاً على توجيهات رَبَائتُوّ حُولُ هَذِه النظاهرات التي أبائها، من خلال دعوة المؤمنين إلى الاستعداد، وأخذ الوسائل كَلَها التي يقتضيها الحدارُ منّ الأعداء دون تفريط، وأتبع ذلك بالأمر بالخروج لفتال العدوَّ حسبً المنظروف الداعية بأسلوب الوَضَدات التي تَنْبُثُ عصابات موزَّعات تَنالُ من العدوَ النّيلَ المعطلوب، أو بأسلوب الجيش المجتمع الذي يخرج إلى الفتال بقيادة واحدة.

ومن البدهي أنَّ القيادة هي التي تقرَّرُ الفتال، وهي التي تقرَّر أسلوب الوحـدات التي تَنَبُّ على شكل عصابات، أو أُسلوبَ خروج جيش فظاميٌّ يقاتلُ جيشاً نظامياً.

واشتمل النص على النرغيب بـالأجر العظيم لمن يُقاتل في سبيل الله ، والتنبيه على بعض المقتضيات التي دعت إلى أمرِ العؤمنين بقتال عدوِّهم من أهـل الشرك في مكة، إيَّانَ تنزيل هذا النَّصَ، وهي الانتصار لدين الله ، وإنقاذ المستضعفين من الرّجال والنساء والولدان ، الذين يتعرَّضون لـظلم كفار مُكّة لهم من أجل إيمانهم وإسلامهم، وهم يدعون الله قالمين:

- (١) ﴿ رَبَّنَا ٓ أَخْرِجْنَامِنْ هَاذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِرِ أَهْلُهَا ﴾.
 - (٢) ﴿ وَأَجْعَل لَّنَامِن الدُّنكَ وَإِيًّا ﴾.
 - (٣) ﴿ وَأَجْعَل لَّنَا مِن أَدُّنكَ نَصِيرًا ﴾.

وقد دل النص على أن الله تبارك وتعالى اختار أن يجعل إنفاذهم وتلبية مطالبهم.
بتكليف المؤمنين قتال قادة الكفر وجنودهم، ليتضرفهم عليهم، فيتحقق بذلك انتصار
الإيمان وقشعُ الكفر، وابتلاء المؤمنين، وإنفاذُ المستضعفين، وتُخريعُ البلد الحرام من
الشرك والمشركين، وتمحيصُ المؤمنين، وكشفُ نفاق المنافقين وأهل الرَّيْبِ وضعفاء الإيمان.

. . .

أمَّا الظواهر التي أبانها النصُّ فأعرضُها بشيءٍ من التفصيل فيما يلي:

الظّاهرة الأولَى: ما يُفْعَلُه السِطَّكُونَ عن الفتال، فيإذا خرج المؤمنون إلى الفتال لم يخرجوا معهم، ودّغُوا من يستجيب لهم من أهل السريب وضعفاء الإيسان إلى عدم الخروج، ثم هم بعد المعركة على إحدى حالين:

 (١) إنْ تعرَضُ المسلمون لمصيبة، كهزيسة أو كثرة شهمداه، فرحّ هؤلاء المتخلفون، وقال قاتلهم: قد أنعم الله عليّ إذْ لَمْ أكنّ مع المسلمين حاضراً المعركة التي أصابتهم فيها المصيبة.

(٢) وإن انتصر المسلمون، وناالوا من عدوهم غنائم تتحلّب لهما أشداق الهل الطمع بالدنيا، تحسَّرُوا وَنَدِمُوا حسداً، وقال قائلهم: يا لينني كنتُ مَمْهُمْ فافوز فروزاً عظيماً، أي: بما أنالُ من نصيب من الغنائم، وبما احافظ به عليه من سَتْرِ حالر بين المسلمين، إذْ قد يكشفُ التخلُف المتكرر نفائه.

الظاهرة الشانية: مَا يكونُ من أهـل الاندفـاع الحماسيّ من إظهـار الرّغبـة بلقاء العدوّ ومقاتلته، قبل أن يجدّ الجدّ، ويأتي الإذن بالقتال، أو تُوجُه نصوص الأمر به.

وهذا فريق يوجد في الناس دواماً، فعنهم صادقون ظاهراً وباطناً، إذا خَزِبُ الأمر وجاءً الإذا المتالين الصادقين ومنهم صادقو الرغبة، لكنّهم إذا لجدًّ الجدًّ وحزبُ الأمر، ودُمُوا إلى القتال، جَنُوا وتَخَاذَلُوا، وضعفُوا عن مواجهة المقاتلين في مَعَارِكَ يُكونُ فيها قَتْلُ وجراحة وآلام، وكانت رغباتُ حبَّ السلامة وحب الحياة أقوى في قلوبهم ونفوسهم من رغبات قتال العدو ودواعيه. ومنهم كذابُون يتظاهرون فقاقاً أو رياة، وليس لديهم رغبة أصلا في مواجهة العدو الأنهم غير مؤمنين، أو هم شاخون لم يصبح إيمانهم بَعْدَه، أو هم ضعفاه الإيسان. فهم في ساعات الأمن والسَّمَّم يتظاهرون بالدعارى الكوانب، ويُسَابقون إلى إعلان رغباتهم بالقتال تضاخراً وتخبراً، يَسْتُون بدلك حقائق ما في نفوسهم، ابتغاء مكانة أو مصلحة أوجاء بين المسلمين. إنهم رغباتهم بالمقتال جعلوا يُسوِقُون

المظاهرة الشالة: ظاهرة هي من ظواهر المنافقين أساساً، وتُوجَدُ عند أهـل الرئيب، وضعاء الإيمان بالرسول ﷺ. من المعلوم أنّ الرسول في أمّتِه قائدٌ وإمامٌ يَسُوسُهم ضمن ما يمرى من مصلحة وخيرٍ للإسلام والمسلمين، لكنّ قَضَتُ حكمة الله في خلقه أن يمتحهم بالحسنات التي تسرُّهم، وبالسَّبَاتِ الَّتِي تُرْعجهم أو تؤلههم، وهم يُعجُّبُون الحسنات منها، ويكرهون السَّبِشات، ويغفلون عن أنّ الله عَرْ وجُلْ يبلُو عبادهُ بالشرَّ (أي: بالمصائب) ويالخير (أي: بالتَّمَم) فِتَةَ (أي: امتحاناً واختباراً).

فإذا تصرف الرسول الله تصرّفات بمقتضى إمامته وقياذته الإدارية والسياسيّة والعسكريّة الأبيّه، فكان من تتاثمها حَسَنَاتُ دُنيويَّةٌ كَشَر وتَمكِين وَقَسَائِم، بقضاء الله وقدره، قال المنافقرن: هذه مِنْ جنّد الله، جاحدين حكمة الرسول في إدارته وسياسته، أي: لم تكن حكمة الرسول هي السبب في جلب هذه التيجة الحسنة التي سرّت المسلمين.

وإذا تصرف الرسول # بمقتضى إمانته وقيادته الإدارية والسياسية والمسكورية لامته، فكان من نتائجها مُرْيَاتُ دُيرِيَّةً، كَهْزِيعة وحسارة شهداة من المؤمنين، وظَلْمٍ الأحداء بغنائم من المسلمين، وقد حصل ذلك بقضاء الله وقدوه، قال المسافقون، ومعهم أهل الرَّب والدين في قلويهم مرض: هذا الذي حصل هو من عند محمّد، أي: بسبب تصرفه الذي لم يكن ملائماً للمصلحة، ومن أمثلة هذا ما قباله عبد الله بن أبي ابن سلول بعد غُرُوة أحد، وسُقُوط من سقط من المسلمين شهداه فيها، إذْ قبال: أطاع الأحداث وعصائي، وقال المنافقون معه: لو كانوا عندنا ما مَاتُوا وما قَبلوا، وجعلوا الرَّسول هو السبب فيها نول من مصية بالمسلمين في غزة أحد،

الظاهرة الرابعة: نَقْصُ ما يُعْلِنه السانفون من طاعة لأوامر الرُسُول، وتَبِيتُ غيره حينما يَخْلُو بعضهم ببعض، فيفرُرُونَ أموراً أخرى غير الَّتي أَعْلَنُوها حينما كانوا عند الرسول في مجلسه يُظهرون الولاء والطائف، وهذه ظاهرة تتناسب مع طبيعة النشاق لا محالة، وقد يسير مع المنافقين أَمْل الرَّبِ وضعفاء الإيمان، لكنّهم باالتَّبع لا بالأصالة، فالذين يُبَيّون الخلاف بعد إعلان الطاعة هم منافقون حتماً.

النظاهرة الخنامسة: أنَّ المشافقين ومعهم أهل الرَّبب وضعفاء الإيمان، وربَّمنا انساق معهم أهل الخفة والطيش، من صفاتهم الدائمة أنَّهم يتسقطون الأحداث والأنباء والأخبار التي تتمثّق بالمسلمين، من قضايا الأمن وقضايا الخوف، أي: من أمور السَّلم والحرب، فيذيعونها وينشرونها، ويتحدّثون فيها بزعم المشاركة في حرَّ مشكلاتها، لأنهم لا يشعرون داخليًا بالولاء للمسلمين، فهم لا يهتمدن لكتمان ما يضرَّ المسلمين إذاعتُ من أمور السلم وأمور الحرب، وهذا يشمل كلَّ القضايا.

فالمنافقون ومن يسيرون معهم لا غَيْرة لهم على مصالح المسلمين، فلا يَهْتُمُون لكنمان شيء من أمورهم التي قـد يضرّ إعـلائها مصـالحهم، وقـد يصـل بعضهـا إلى عدوهم، فيكيدهم، ويمكّر بهم.

وخلال عرض هذه الظواهر شرحت الآيات المنطق الإيماني، وقدمت التوجيهات المناسبات، وعالجت ونصحت ووعدت وأوعدت.

...

المفردات اللَّغويَّة في النَّص

وْخُذُواْحِذْرَكُمْ ﴾:

الجذّرُ، والْحَذْرُ: هو التُنْقُطُ والتُلُقِبُ، واتَحَادُ الوسائل الـلازمة مضافة مباغتة المحكاره، من عدُّو سداهم، أو صائل مهاجم، اوذي شُـرُّ مُشَرصُد، ينَرقُبُ الفِرَات والغفلات، أو أي عارض من عوارض الكون يحمل المصائب.

تقولُ لُغةً : خَلِرَ يَحْلَرُ جِنْراً وَحَلْراً.

والمرَّ الله المؤمنين بأن ياتحذوا جذّرهم من عدَّرَهم ليس أمراً بأن يخافوا عـدَرَهم، ولكَّه أمرَّ باليقظة حتّى لا يباغتوهم وهم غافلون، وأمرَّ بالدّخاذ الوسائـل الكافيـة لصدّهم وقمعهم، إذا داهموا مباغتين في حينِ غِزَّة، أو مترصّدين وقت غفلة.

﴿فَأَنِفِرُواْ ﴾:

أصل النفر الضرُقُ عن ذُغْر، أو الشيرودُ عن ذُغْر. ومنه نُفُور الـدابـة، ونُفُـور الظباء، ويقال: نَفَرَ عن الشيء خوفاً منه، ونَفَر إلى الشيء طلباً للأمن عنده. ثمّ استعمل لمطلق النفرق. ومنه قبولهم: نَفَر الحجاجُ من منى، يُنْفِرُونَ نَفْراً وَفَوْاً. ويستّى اليومُ الثاني من آيام التشريق يُؤمّ النَّفر، لأنّ الحجّاج فيه يَنْفُرُقُونَ.

واستُعْبِلُ النَّقْرُ ايضاً بِمعنَى الخروج لدفع الخطر، ولقتال العندَّق، وهذا المعنى هو العراد هنا في النصّ، وهو اصطلاح قرآني لما سيأتى بيانه.

والنَّفيرُ: هُمُّ القومُ الَّذِين يخرجُون لِدَفْعِ الخطر، أو لقتال العدُّوّ.

﴿ثُبَاتٍ﴾:

جَمْعُ ثُبَّة، أي: جماعة، قال علماء اللَّغة: الثُّبَةُ: الجماعة، والعصبةُ منَ الْقُرْسان، والجمع: ثُبّات، ويُبُون، ويُبُون.

فمعنى قوله تعالى ﴿فَانْفِرُوا ثَبَاتٍ﴾: اخرجوا لدفع خـطو أعدائكم، ومجـاهدتهم جماعات متفرّقاتٍ متنابعات، أو مفرّقات لجهاتٍ مختلفات بحسب الحاجة.

﴿ أُوانَفِرُواْ جَبِيعًا ﴾:

أي: أو اخرجوا لقتال عدوكم جيشاً واحداً مجتمعاً متمامكاً قوياً، فكلمة وجميع، تُقِيدُ الاجتماع على الأمر راياً وعملًا.

والتوجيه لأن ينفروا ثُبات أو ينفروا جميعاً فيه التنبيه على أنه ينبغي لهم أن يقعلوا ما يوجّبُه عليهم أخذُ الحذر. أي:

- فإن اقتضى األمر أن تنفروا جماعات متفرّقات فافعلوا ذلك.
- وإن اقتضىٰ الأمر أن تنفروا جميعاً جيشاً واحداً متماسكاً قوياً فافعلوا ذلك.

ومعلومٌ أنَّ القيادة المسؤولة السراقبة لمواقع العموّ، والتي تخطّط لمدفع خمطوه. أومقاتك، هي التي تقرّر هذا أو هذا.

وجاء في تعليم قرآني آخر أنه مَا كان للمؤمنين أن ينفروا كافـة، فظهـر أن العراد من قوله تعالى :

﴿أُوانفِرُواجَيِيعًا ﴾:

أن ينفر الجيش المهيّا للخروج بصورة جماعيّة لا أن ينفر كلّ المؤمنين.

ونستطيع أن نفهم من ترتيب الأمر بالنفر على الأمر باتحد الجلد، أنَّ من عناصر أخذ الحذر الذي يُخشَى عنده من أن يُباغِت العلقَ جيشَ المسلمين على حن غرّة، أن تختار القيادة المسلمة الْحَلَرَةُ خُطةً البدء بالتحرّك لمواجهته وقتاله، وعدم ترك الفرصة له أنْ يكون هو البادى، بالقتال، ما دام الأمر قد وصل إلى مرحلة التصادم المعرقف، فإمّا أن يكون هو البادى، وإمّا أن يكون المسلمون هم البادئين.

أي: فَمِنْ أَخْذِ الْجِذْر حِينَةٍ أن يكون المسلمون هم البادئين.

اشار إلى هذه الفاعدة العسكرية قول الله عزّ وجلّ في النص: ﴿ يَكَانُّهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُواجِـدُركُمْ فَأَنْفِرُوا أَبُّاتٍ أَوِ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿ ﴾.

فَرَتُبَ الأمر بـالنَّفْر بمعنى بَـدُهِ الفتال، على الأمـر بأخـذ الحذر، إذَ عَـطَفُه بضـاء العطف التي تدلَّ على الترتيب مع التعقيب.

﴿ وَإِنَّ مِنكُولَكُن أَنُّهُ إِنَّا مِنكُولُكُ أَنَّهُ :

﴿وَإِنَّ مَنكم﴾: أي: وإذَّ من جمعكم المشتمل على المؤمنين الصادقين، وأهلِ الرُّيب، وضعفاء الإيمان، والمنافقين.

﴿لَمَنَّ﴾: أي: لَفُريقاً، واللَّام هذه لتأكيد وجود هذا الفريق.

﴿لَيْسَطُنُنُّ﴾: اللَّام، قـالوا: هي واقعة في جواب قسم محـــلوف، والمراد تــاكيد المفسمون. وقيل اللام للتاكيد ايضاً، فهو تأكيد بعد تأكيد.

الْبُطَّةُ، والْإِبْطَاءُ، والنَّبْطِيءُ، هو تأخير العمل عن الـوقت الذي ينبغي القيـام به فيه، تكاسلًا، أو رغبة بعدم القيام به، لـدافع من اللـوافع.

ويُقالُ: بَطَّأَ فُلانُ بِفُلانٍ، إذا تُبْطَهُ عن الْمرِ عزْم عليه.

ويمكن فهم ﴿لَيْنَظَّانُّ ﴾ بمعنيين:

الأول: بمعنى أنَّه هو بنفسه يتباطُّأ عن الخروج إلى القتال في سبيل الله.

الثاني: بمعنى أنَّه يُتَّبَطُّ غيرُهُ عن الخروج، ويكون المعَّمُول محـذوفًا، تقـديره:

وإنَّ منكم لَمَنْ لَيْسَطِّئنَّ يغيره من المؤمنين، أو ضعفــاء الإيمان وأهــل الـريب، فيجمله يتباطأ.

ويمكن حمل ما جاء في النصّ هنا على المعنيّن معــاً، فهذا الفـريق يُبطَىء هــو بنفسه، ويبطّىء بغير،، فيجعله بشبيطه يُبطّىءً عن الخروج للقتال في سبيل الله.

﴿ فَإِنَّ أَصَابَتُكُمُ ﴾:

أصل المائة من أصَّابَ السَّهُمُّ الهدَّتَ، إذا وقع فيه ولم يُخْطِئُه. والإصابةُ حِن تكون مؤلمةً لمن وقمت عليه أو على شيء يخصُّه فهي بالنسبة إليه مُصيبة له. ومنه أطلق العرب على النازلة المؤلمة مصيبة، وجمعها مصائب، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَصَابِتُكُم مصيبةً ﴾.

ويرمي المباد سهمه إلى المبيد، فإنْ أصابه ولم يخطئه، أثَيَّتُه فنداتُهُ صبداً، ومن هذا أطلق العرب عبدارة: أصاب الشيء، بمعنى: تاله وظفر به. وأطلق العرب على الأفكسار والأعمال المسطابقة للحق أو الخيسر أو ما هسو أحسن وأفضل، اسم وصواب، وقالوا: وأصابه إذا جاه بالصواب.

ولمّا كان مُسدَّد السهم إلى هدف إنما يُسدُّده بإرادته، أطلق العرب كلمة أصاب بمعنى أراد على وجه العموم، وبمعنى: قصد الصواب واراده.

ويرمي ذو العطايا أعطياته إلى من بريد الإنصام عليهم، فمن أصابَتُهُ كانت له نعمةً ونضلاً، فالإصابة هنا سارَّة، وعلى هذا المعنى قول الله تعالى في النصَّن: ﴿وَلَئِينُ أَصَابِكُمْ فَضَّلً بِنِ اللهُ ﴾.

فَتُوجُّه المادَّة في كلِّ موضع بحسب المعنى الملائم للسَّباق والسَّياق.

﴿فَضَّلُّ مِنَ ٱللَّهِ ﴾:

أصل الفضل الذيادة، ولمّا كانت مطايا الله عزّ وجلّ لعباده فيضاً منه، دون استحقاق أحدٍ لهذا العطاء مهما كان شأنه، كان عطاؤه جديراً بأن يوصف بـأنه فضـل، فالله ذو الفضل العظيم.

﴿ مَوَدَّةً ﴾:

مصدر وَوَدُه تَقُول: وَدُهُ يَـوَدُهُ إِذَا بِسُلِيتُ الواو، وَوِدَاداً بِسُلِيتُ الواو اليضاً، وَوَدَادَهُ، وَمَوْدُهُ.

الرَّد: نوع من الحبّ الهادى، الثابت الذي يكون بين الأصحاب والإعوان وفوي العلاقات الفتريّة، ولا يطلق على المشبوب بالعواطف الشائرة، أمّا الحب فهو لفظ عـامً يطلق على كلَّ الأنواع وكلَّ المستويات، من الحبّ بدافع الجنس، إلى الحبّ السامي الرفيع فهر جنس لأنواع مختلفة، ومستويات متفاوتات.

﴿يَلَيَّتَنِي﴾:

وباه حرف تنبه، أو حرف نبدا، والمنادئ به محذوف تشديره: يا هذا، أو يا هؤلاء، أو هو يجرّد من نفسه مخاطباً فيناديد. ولينّه حرف تَمَنَّ، والتنبي هو طلب ما لا طمع فيه، أو طلبٌ ما فيه عُشرٌه وهو يعمل عَمَل وازّه فينصبُ الاسم ويرفع الخير، وضعيرالمتكلّم اسمها، والنون للوقاية. وجملة وكُنْتُ مَمَهُمٌ، خبير وليّتُه والمراد من النداء وما بعده هنا التحشّر.

﴿ فَأَفُوزَ ﴾:

الفَوْزُ بَاتِي بِمعنى الحصول على أمرٍ مرغوب فيه . ويأتي بمعنى النجاة من مكروه والمبرادُ هنا المعنى الأول، لأنه يتحسر على مرغوب فناته بتخلفه ، إذْ فاته الطفر بمشاركة المجاهدين الذين خرجوا لملاقاة المدوّ في الفنائم التي تالبوها، ويستر حاله بين المؤمنين، لأنّ التخلّف عنهم قد يكشف نفاقه.

﴿ يَنْسُرُونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلذُّنْبَ إِلَّا لَا خِدَةً ﴾:

يقال لغة: شَرَى الشيءَ وانشَرَاه إذا باعَهُ. قال الفرّاه: للمسرب في شَرَوًا وانْشَرَوْا مُذْهَرَان، فالأكثر منهما أن يكون شَرَوًا بَاعُوا، واشْتَرَوْا ابْشَاعُوا، ورُبُّسا جَعَلُوهُما بِمُغَنَّى يَاعُوا.

وممّا جاء في القرآن من استعمال وشرك بمعنى باع ما يلى:

(١) قول الله تعالى في سورة (يوسف/١٧) بشأن يوسف عليه السلام:

﴿وَشَرَوْهُ مِنْكَنِ بَغْسِ دَرُهِمَ مَعْدُودَةِ وَكَاثُولَفِيهِ مِنَ ٱلزَّهِدِينَ ۞﴾:

أي: باعوه بشمن بخس ، والذين باعوه رجال القافلة الذين التقطوه من الجُبّ.

(٢) قول الله عزّ وجلّ في سورة (البقرة/٢):

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ آلِيَعْكَاةَ مُرْهَنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَمُوفَظَّ وَالْمِبَادِ ﴿ ﴾: اي: نيمُ نَفْتُهُ لربَّه ابتغاء مرضايهِ.

أقول: إذا كان فعل دشرى» أو «اشترى» بمعنى دباع، فالمناخوةُ هو اللذي دخلت عليه الباء. وإذا كان بالمعنى الآخر وهو المعنى الذي اشتهر عرفاً، فالمتروكُ هـــو الذي دخلت عليه الباء.

﴿ وَٱلْمُسْتَضَعَفِينَ ﴾:

أي: المضطهدين بسبب ضعفهم عن المقاومة. وأصل المستَضَّفَهِ هو من وُبيد ضعيضًا، أوعُدُّ ضعيفًا، أي: فهم بسبب ضعفهم يضطهـدهم المشركـون ويُذِلَّـونهم، ويحاولون إكراههم على الكفر والفسوق والعصيان لله ولرسوله.

﴿وَٱلْوِلْدَانِ ﴾:

وِلْمَانَانَ جَمْعُ وَلَيْهِ، قال الجوهري: الصبيّ والْفَيْد، كصبيّ وصِيّبان. وقال تعلب: الوليد الطفل، والأثنّ ولَيْنَة، وتجمع على وِلْمَان وَوَلاَئِد، وقد قُطْلَق الـوليدةُ على الجارية والأمة وإنْ كانت كبيرة.

أقول: فَيُحَمَّلُ لَفظ الْمِلْدَانِ في النصّ على كل معانيه: الصبيان والعبيد. والإناث الصغيرات، والجواري والإماء، وهذا من الإيجاز في القرآن المجيد، ومعلوم أنَّ هؤلاء جميعاً من الذين يُستضعفون في الناس.

﴿مِنْ هَاذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِرِ أَهْلُهَا ﴾:

الممراد مكة يمومثغ بدلالة قرائن أحموال الئص، لأنّ الصمواع يمومثغ كنا بين المؤمنين في المدينة بقيادة الرسول كي، وبين النة الشرك والكفر في مكّة، وهؤلاء هم المذين كانوا يضطهدون المستضعفين فيها من المذين آمنوا ولم يستطيعوا الهجرة، والمُحاق بالمؤمنين في المدينة.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَلِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاعُوتِ ﴾:

الطَّافوت: صيغة مبالغة من الطغيان، وهي تطلق على الواحد والجميع والمذكِّر والمؤنث، وتجمع على وطُواغيت.

ويُوادُ من الطاغوت كلُّ مَفْهُمِودٍ أو نُطاع من دون الله على غير منهج الله، كساهناً كمان أو شبطاناً أو وثناً أو رأسماً نبضياً من السكس، كالاحسار والوهبان الذين يُشَرِّعون لاتباعهم شرائع ويَضَمُون أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان، فيُطيعهم أتباعهم فيها.

المعنى: والـذين كفروا يقاتلون في سبيل الـطاغـوت من أشخـاص أومبـادىه باطلة، أو شياطين، أو نحو ذلك، وهم بذلك يكونون أولياه الشيطان، لذلك قال تعالى خطاباً للمؤمنين عقب هذه الفقرة:

﴿ فَفَا لِلْوَا أَوْلِيَا وَ الشَّيْطِانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطِينَ كَانَ صَعِيمًا ۞﴾.

الكيمة: هو تـدبير الأمــور بباطــل أوبحق، بـغيرٍ أو بشــرٌ، ويطلقُ على الحــرب، وعلى إعداد الوسائل الحربية للنكاية بالعدوّ.

ويؤكد ربّنا أنّ كيد الشيطان ضعيفٌ دواماً، فقط وكان، يصيغة الساضي يدلُّ في الصفات على الكينونة الدائمة المستمرّة غالباً، وينظهر هذا في مصظم النَّصوص القرآنية .

﴿ ٱلَّذِتَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ فِيلَ لَمْتُمْ ﴾:

الفعمل في : ﴿ أَلَمْ تُـرَكِ يتعدّىٰ بنفسه لغة، ولكنّ النص جماء همنـا (وتكحّرُر في القرآن) متعدّياً بحرف الجرّ (إلى) فما الغرض البياني في هذا؟

بالتأمل يبدو لنا أن معمول: ﴿الْمِ تَرَى محدّوف، وأن عبارة ﴿إِلَى الدَّينَ ﴾ معمول لفعل محدّوف، على طريقة التضمين، والتقدير: ألم تر أبها الرائي أمراً عجباً ناظراً إلى الذين قبل لهم: - عصد معادد معادد المعادد المعاد

﴿ كُفُواۤ أَيۡدِيَّكُمْ ﴾:

أي: امتنعوا عن قِتال أهل الكفر، وكمانَ هذا قبـل أنْ ينزل الإذن بـالقتال. يقـال

لْغَةُ: كُنُّ الرَّجِلُ الشِّيءَ، إذا ضمَّ بعضَهُ إلى بعض، فعبارة: وتُحُلوا أَيْدِيكِمهِ يَشَايةً معناها: استموا عن الفتال، لأنَّ من ضمّ ينده إلى جسده، تعذّر عليه أن يقاتل بها عنفره، فالمقاتلة لا بدَّ فيها من مدَّ الابندي إلى جهة العندوَ على أيّة صورة من صُور المدَّ،

﴿ فَلَمَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفِئَالُ ﴾:

لي: فحين أَذِنَ لَهُمْ بِالْقِبَالِ. ثُمُ أَلْزِمُوا بـه، وكُتِبَ ذَلِكَ في صُحُفِ المــلائكةِ، وأنْزِلَ في القرآنِ، وكَتِبَتِ الأيات المنزَلَةُ في، وصَارَ فضيّةُ مُثِرَمَة.

ولمَّاهُ ظرفية بمعنى حين.

﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشُونَ ٱلنَّاصَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْأَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ :

الخشيةً مُنا مُطَلِقُ الخوف. وخشيةً الله تكون غالباً مقرونة بتصظيم وإجلال وحبّ لدى صادقي الإيمان، الأنّ فيها عدّة معان: ففيها معنى الخوف من عقابه ونقمته، وفيها معنى الخوف من سخطه والإخراج من دائرة رضاه وحُبّ، وفيها معنى الخوف من فوات المطموع فيه من ثوابه العظيم، وفضله الجسيم، والحرمان من منازل المقرّبين.

> وَإِذَاءَ حَرِفَ فِي الأَرْجِعِ وَمِعَنَاهِ الْمِفَاجَأَةِ، وَتَعَرِفُ بِأَنْهَا: إِذَا الْفَجَائِيةِ. * تُعِيدُ؟ رَسِّرُكُ كُنْ يُنِي * *

﴿ لَوُلآ أَخَّرُنَنَّا إِلَىٰٓ أَجَلِ قَرِيبٍ ﴾:

لولا: بمعنى دهلاه حرف تحضيض. والاجل القريب يحتمل صدّة احتمالات، منها أجلُ موتهم الطبيعي، ومنها أجل الاستعداد بأنواع القوى المتفوّقة على قوى المشركين، ومنها الأجل الذي يُتَرَقَّبُ معه بَدَّهُ المشركين القتال، وأرى أنه مطلب معاطلة رتسويف.

﴿ وَلَا نُظْلُمُونَ فَئِيلًا ﴾:

الفتيل: الخيط الذي في ثبقَ النّواة، وكلُّ مـا فتله الإنسان بين أصابعه من خيطٍ أو وسخ ٍ ونحو ذلك .

المعنى: ولا تظلُّمُون مقدار فتيل.

﴿ وَلَوْكُنُمُ فِي رُوجٍ مُشَيِّدَةً ﴾:

مُسروج جمع بُـرْج ، وهو الحصن، والبناء العالي الـذاهب في السمـاء، والبيتُ المحصُّنُ الذي يُنِّنَى على سور المدينة، وعلى سور الحصن.

مُشَيِّدَة: أي: محكمة البناء، ورفيعة البنيان، ومطلبّة بالشّيد، وهو كلُّ ما يُـطلَّىٰ البناه به من جصُّ ونحوه.

والمعنى: ولو كنتم في حُصُونِ محكمةِ البناء رفيمةٍ مُحْيِثُةٍ بالاسوار، مطلبّة بالسَّيدِ لاَ تَشْقُدُ إليها القوائل من الاسباب، كالاقنات والحشرات وتغيَّراتِ الحرّ والسرد، وإذا كانت مُشَيِّلةً كاملة البناء، مكسوةً بالشِّيدِ، فلا يدّ أن تكون ابوابِّها ونـوافـلْـها مستكملةً كُلِّ مَّا يلزم لها من إتقان وإحكام وتحصين.

﴿ وَإِن تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ ﴾:

الحسنةُ ضدّ السيّدةِ من قول أو فعل، وتُطلقُ الحسنة على النعمة التي تَسُرُّ من نزلت به وتُطلقُ السيّةُ على المُصيبة، وكُلُّ مَا يُسرءُ مَنْ نَـزَلَتْ به. وهـذا هو المسراد من الحسنةِ والسيّةِ مَنَا في النصُّ.

أمّا الحسناتُ والسِّئات من أفعال المكلفين نهي منا يحب الله من عباده وأضدادُ ذلك، وقد وعد الله علمي الحسنات بالتواب، وآمّا السيّات فإمّا أن يعاقب عليها أو يغفر بمقتضى حكمته عزّ وجلًا، باستناه الشرك نما هو أشدّ منه كالإلحاد والنفاق.

﴿ وَمَن تُولِّي فَمَّا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾:

أي: ومن أدبر وانْصَرَف ولم يُطِعْك فما أرسَلْناكَ يا محمَّدٌ عليهم حفيظاً.

العخيظ: والحافظ هو المموكّلُ بـالشيء ليحفظه. والمعنى: لستَ مـأمـوراً بـأن تحفظهم من التؤلمي والانصراف عن صراط ربّك، وتَمَنّعُهُم بالإلزام والإكراء، لأنّهم في ظروف امتحان إراداتهم الحرّة، والإكراءُ يُنفي طبيعة الامتحان.

فما جاء هنا نظير قولـه تعالى لـرسولـه في سورة (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

﴿ وَمَا أَرْسَلَنَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿ ﴾:

أي لست وكيلًا عليهم حتى تكون مُلزماً لهم إلزاماً بالإكراء بمقتضى الوكالة، ولا وكيلًا عن ربّك حتى تنولُي محاسبتهم ومعاقبتهم.

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةً ﴾:

أي: أَمْرُنَا وشَائْنَا طَاعَةً لِامْرِك، أو عَمَلْنَا طَاعَةً لِامْرِك، وهذا قـولٌ بالسنتهم غيـر صادر عن إرادةٍ صادقة من قلوبهم لأنهم منافقون.

﴿ فَإِذَا بَسَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ ﴾:

الْبَرَازُ: بفتح الباء المكان الفضاء من الارض البعيد الواسع، وإذا خمرج الإنسان إلى ذلك الموضع قبل: بَرَزْ يَبْرُزُ بُرُوزًا، أي: خرج إلى البراز.

والعسراد أنّهم خرجوا إلى العكان البذي بياسنون فيه، مطعثين إلى أنّهم غيرً واقعين تحت أعين الرّقباء الذين يرصدون ما يُذيّرون ويُبيّنون.

﴿ بَيَّتَ طَالِهَةً مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ ﴾:

يُقال لغة: بيُّتَ الأمر إذا دَيَّرُهُ ليلاً، أو عَبلَهُ أو نواهُ ليلاً، وكُلُّ عَمَىلِ يُعَمَّلُ لِيلاً يسمَّى تبييتاً، أخذاً من البيت، لأنَّ النامى ياوون إلى بيوتهم ليلاً. وكلُّ مَنَّ أُدركه اللَّيلُ فقد بلت، نامَ أولم يَنَمُّ.

أي: فهم يستخفون بحذر شديد في اختيار المكان، وهو المكان الخالي من العراقية، واختيار الزمان، وهو جوف الكيل، ليدبّروا فيه أمراً آخر غير ما أعلنوه من طاعة، ولا بدّ أن يكون هذا الامر عصياناً ومكراً سيّناً.

﴿ وَاللَّهُ يَكُنُّتُ مَا يُبَيِّتُونَّ ﴾ :

أي: يَعْلَمُ ويُسَجُّلُ ما بييتون ويدبَّرونه من السوء ليلاً، وقد قُهم العلم لزوماً ذهنيًّا. ﴿فَأَعْرِضُ عَنْهُمْ ﴾.

كي: فـَاعْطِهِمْ غَارِضَكَ، وهـو جَانِبُ الـوجه، والمعنى: فقـابل تـوَلَيْهُم وإدبارهم بالإعراض فقط، لا بمثل تولّيهم وإدبارهم.

﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ ٱلْقُرِّءَانَ ﴾:

النَّذَيْرُ هُو التَّغَكُّرُ فِي القضايا وفي معاني النصوص حتى أدبارها وأواخر مواقعها الفُكريَّة، وفي عواقب ماله عواقب منها. والمادة مشتقة من ذُيْر الشيء وهو أخره، ولمَّا كانت عواقب الأمور هي أواخر ذيولها كان التدبيرُ النظرُ في العواقب، وإعدادُ ما ينهي لها. وكلَّ ذلك من الحكمة في الفهم أو في التخطيط والعمل.

فتابُّر القرآن هو التفكّر العيق بيصيرة لفهم معانيه ، حتّى الأطراف البيدة التي يـدلُّ عليها النَّصُّ من نصوصه، ولو عن طريق اللوازم الـذهبَّيّة، وفحوى الكلام، وما يُقْتَضِيه النَّص لإحكام الترابط بين مفرداته ويُجمله.

﴿ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَنَافُا كَثِيرًا ﴾:

أي: اختلافاً بينـه وبين الحقّ. أو بينه وبين مـا هو خيـرٌ وأفضل وأحكم وأقـوم. او بين بعض نصوصه وبين بعض آخر منها.

﴿أَذَاعُواْ بِهِيهِ ﴾:

يقال لغةً: أذاغ الأمرَ أو الخبرَ، وأذاع به إذَا أَفْشَاهُ ونشره، ويُقَالُ: ذَاعَ الْمُخَبِّرُ إذا فَشَا وانتشر.

﴿ وَلَوْرَدُّوهُ ﴾:

اي: ولو أرجَعُوه، واستعمال الرّدَ هُنا يكُلُّ على أنّ الأمر هو بالأصل منوط بعرجع قيادي فيستفتى فيه الرسول أو أولو الأمر من قادة المسلمين، إذْ هو فيما يظهر أمر بتمكّن بأمور المسلمين العامّة، التي لا يصعّ فيها التصرّف من قبل الأفراد، بل يجب ردّها إلى فويها، وهو قبائد الأمة، وأولو الأصر المختصون الذي هم مؤهلون لمعرفة البواطن، واستباط ما هو الأنفع والأصلح لجماهة المسلمين.

﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾:

استنباطُ الشيء استيخراجُه من مواطن العمق التي هو قيها. وأصل الفعل من نَبَطُ الشيءُ يُنِيظُ إذا ظهر من مكانِ كان خفيًا في يباطن، يُصالُ لفةً: حضَرَ الارْضَ حَنَّى نَبَطُ الساءُ أي: ظهر، ويقال: جدُّ في التنقيب حَنَّى نَبَطُ المعدن، أي: ظهر، ويُصالُ أَنْبَطُ الشيءَ إذا الظهرةُ وأبرزُه واستَخْرَجُه. فالاستنباط من هذا، والفضايا الفكرية في أعماقها جوانب خفية إنما يستنبطها المؤهلون للاستخراج والبحث في اعماق الافكار، والنصوص الرفيعة في أعماقها معاني خفة، إنما يستنبطها المؤهلون لتدبّر النصوص واستخراج ما فيها.

﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

أي: حرّضهم على القتال. التحريضُ هو العدُّ بتأكيد وستابعة، والتحضيض، قـال الجوهـري: التحريض على الفتال الحدُّ والإحماءُ عليه. قال الزّجاج: تـأويل التحريض في اللّفة أن تحدُّ الإنسان حنًا يعلنُم معه أنّه خَـارضٌ إِنْ تخلّف عنه، قـال: والحارضُ الذي قد قارب الهلاك.

أقول: قد يكون أصل المعنى اللُّمْدي الحضَّى والإحماء على القتال ولو دفعت بهم الحماسة إلى أن يُصاربوا الهبلاك، أو الحض والإحماء لـدفع أن يكونوا مضاربين الهلاك.

﴿ أَن يَكُفُ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾:

المِبْأَسُ: الشَّدَّةُ في الحرب. والعذابُ الشديد.

﴿تَنكِيلًا﴾:

عقاباً رادعاً، يقال: نكُل به إذا عاقبه عقاباً رادعاً لغيره.

...

(٣)

مع النصّ في التحليل والتدبّر

ويأتي هذا التدبُّر في فِقَرات:

الفقرة الأولى: تتضمّن تكليف الله الذين آمنوا أن يأخذوا جذّرهم، وأن يخرجوا ليمثال عدوّهم مضرّفين على شكل عصابات أو فِـرْق، أو مجتمعين في جيش_ر، بحسب ما تقضيه المصلحة والحكمة في الحرب.

قال الله عزّ وجل:

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ وَامَنُوا خُذُوا حِنْرَكُمْ فَانِفِرُوا ثَبَّاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ١٠٠٠

في هذه الآية ثلاث قضايا:

القضية الأولى:

هي أنَّ الخطاب فيها مرجَّة لَلَيْنِ أَمَنُوا، فِيخَصُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّدَاء، إشَارَة إلى أنَّ أَنْصَافَهُم بَصِغَة الإبمان الصحيح الصادق، لا بدَّ أن يكون دافعاً لهم إلى إنْضَاء التُكالِفُ الرَّبَانِة السُوجَّةِ لَهم، إذَّ يَتَصَمَّن نَدَاوُهم يوصف كونهم مؤمنين تَذْكَرُهم بحقّ الله عليهم، وبمسؤوليتهم تُجاه، وبالجزاء الذي أعلَّه سبحانه لعباده ثواباً أو عقاباً، فهذه أمور هي من عناصر القاعدة الإيمانيّة.

وفيه أيضاً إلىساح إلى أنَّ الإهراض عن إمضاء التكاليف الريَّانية، يكون بسبب علم صدق الإيمان، أو ضعفه، أو غلبة سلطان الأهواء والشهبوات وضعف الإرادة تجاه مطالب الحياة الدنيا.

القضية الثانية:

أَمْرُ المؤمنين بأن يَاخَذُوا حِذْرهُم، فقال اللَّهُ عَزَّ وجلَّ لهم: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

لم يأت التعبيرُ بصيغة: اخَذُرُوا، وإنّما جاء بصيغة وخُذوا جِنْرُكم، فما الحكمةُ البيانية في هذا مع أنّ عبارة واحذرواه اخصر؟

بالتفكّر يَشْقِيرُ لننا أنَّ الاَحْدَ في اللَّغة هو في الاَصل يُطلقُ على تشاول أو حيازة شيءِ مافكيَ يُقْبَضُ بالاَيدي، أو يُفضَّمُ إلى النملُكِ بوسيلةِ مشابهة، نمَّ حصلَ توسُّحُ في دلالة مادّة الأخذ، فصارت تدلُّ على الامور المعنوية التي ليس فيها أشياء مادّيَّةً تُرْخَف، أو تَاحَد.

فجاءت التعبيرات في القرآن وفيها: أُخْــَذُ الميثاق، وأخْــدُ الإصْر، وأخــدُ الأَمْر، وأُخْدُ العفو.

وجاءت فيه التعبيرات وفيها أنّ الاشباء المعنوية تأخذُ ايضاً، فعنها: آخَذَته العزّة ــ فاخذهم خَذَابُ يُومِ الطُلّة ــ لا تأخذُكم بهما رأفّة في دينِ الله ــ .

ولمُمَا كان الأَخْدُ في أصله أمراً مسادّيًا مُحَسّاً، وكانتُ السطباشع البشرية تطعمّنُ

للحسيات في التوقّق من تحقّق الأمور، أكثر مما يحصّلُ لديها في الفكريات والنَّمسيات وسائر المعنويات، مهما عظمت لديها البراهين والأدلّة أو المشاعر كان استعمال الأخيد بجانب المعنويات أكثر تأكيداً على لزوم التحقّق مما جناة الأمر باخله من هذه الأمور المعنوية، وأخذ الفمن وهو المهد، وأخذ العمنويات أخذ المناقبة، وأخذ الإصر، وهو المهد، وأخذ المعنويات أخذ على تحقّق ما تصفّق الإستاد من مجرّد نسبة المسنّد إلى المسند إليه، فعبارة: وأخدلتُه المؤرّق أكد من عبارة: وأخدلتُه فلا أراقوا بهما، مع ما في معنى الأخد من إماد المأخوذ عن مكانة إلى مكانٍ آخر أو معنويًّ،

وهذا من دقائق البيان الفرآني العجيب.

يضاف إلى ما سبق أن موضوع أخمدُ الَجَفْر يلزم لتحقَّقِه في الواقع مع النيقُظِ والشاهب، اتَخَذُ الرسائل اللازمة لدر، المخاطر، وكثيرُ منها امورُ تُجْمَعُ وَتُوخَفُ، كالاسلحة، وأمورُ تُعَدُّ وَتُهاً، كالحصون والخنادق، وأمورُ تُكْتَبُ في الصحف والرقاع، كالعهود والمواثق والانفاقات، وهي نؤخذُ ويحتفظُ بها، للتقاضي بمقتضاها، ضالتميرُ بأخَذِ الحذر من أدقً التمبيرات المذالات على جملة معانٍ مُرادة، لا تذلُّ عليها عبارة: احذروا.

إنّ الأمر باتخاذ الوسائل قضيّة تُفْهم بفحوى الكلام ولوازمه الفكرية، وتفهم أيضاً بإشارة عبارة دُخَذُوا.

القضية الثالثية:

أثرُّ الله الذين أمنوا بالخروج إلى مقاتلة العدن، ومداهمته في مواقعه، وعدّم انتظاره حتى يكون هـو المهاجم، فبأمّا أن يكون على طريقة عصابات أو جماعات متفرقات، أو على طريقة جيش موحّد مستكمل شروطه القتالية، في الهجوم، والدفاع، والانسحاب، والكرّ والفرّ، كلّ ذلك بحسب ما تقتضيه المصلحة التي تُقدُّرها الميّادة العسكرية المؤمّلة تدبير شؤون الحرب، فقال الله عزّ وجلّ في الآية:

﴿فَأَنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ أَنفِرُوا جَمِيعًا ﴾.

وقد خصّ الله عزّ وجلّ في القرآن للكرة الخروج للقتـال في سُهِيلِهِ مادة وَلَفُوهِ ومشتقاتِها، وهي ماجاء في هذا النصّ من سورة (النسـاه) وماجـاء في سورة (الشـوية/ ٩ مصـخــ/ ١١٣ نزول) في سنة مواضع منها.

أمًا مادة وجماهد، ومشتقماتها فقىد جاءت عمامًة، للدُّلالـة على الجهاد بـالدعـوة والكلمة، والجهاد بالأموال، والجهاد بالأنفس، ومنه الفتال.

وأمّا مادة وخرج ومشتقاتها، فلم تستعمل في القرآن بجانب الدعوة إلى الخروج للفتـال، إنّما جـاءت في معرض الهجـرة، وجاءت في منـاسبات الكـلام عن المنافقين وخروجهم أوعدم خروجهم مع المسلمين لفتال المشركين.

وساثر النصوص القرآنية في هذا الموضوع جاء فيها استعمال مادّة والقتال، ومشتقاته.

وأمّا ونَفَره ومشتقاتُها فالظاهر أنّها اختيرت من الكلمات اللّغويّة لتكنون مصطلحاً قرآنيًّا لللّـالة على فكرة الخروج للقتال.

وبين هذا المصطلع وأصل المعنى اللغوي مناسبة ظاهرة مُرادة، فالنُّمر والنُّفرر حركة انزعاج تُنجه إلى مواطن الأمن والسلامة بهمَّة وقرة ونشاط، والمطلوبُ في المُّخروج إلى الفتال أن يكون مقترتُ بهمَّة وقرة ونشاط، وحالَة توثُّبٍ نفسي وقلبي وحَرَّيْ، لا أن يكون مجرد خروج باره، فمُطلَّنُ الخروج قد يكون مقروناً بتكاسل وتتاقل وضعف، والله عز وجل يُوجي المؤمنين بغلاف هذا، فكان اختياراً مادة ففره ومشققاتها مصطلحاً للخروج إلى المقتار في سبيل الله اختياراً حكيماً مُلاخطاً فيه المعاني التي سبق بيانها، مع ما في النُّمر والنُّمُور في سبيل الله من نهاية سعيدة فيها الأماني الذي سبق بيانها، مع ما في النُّم والنُّمُور في سبيل الله من نهاية سعيدة فيها الأماني الذي سبق بيانها، مع ما في النُّم والنُّمُور في سبيل الله من نهاية سعيدة فيها الأمان والقوز بجنات النعيم. الفقرة الثانية: تتضمَّن بيان ظاهرة وتنوابعها من النظاهرات السلوكية للمنافقين، وقد يشاركهم فيها من هم دون المنافقين من أهل الرّيب، وضعفا، الإيمان، وأصححابُ الأهواء الذين تضعُف إراداتهم عن التضحيات، وعن مخالفة مطالب تفوسهم من الحياة الدنيا، هذه الظاهرة دل عليها:

قُولُ الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَإِنَّ مِنْكُو لَمَن لَيُبِطِئَنَّ فِإِنْ أَصَدِيَكُمْ تُصِيدَةٌ قَالَ فَدَائَتُمُ اللَّهُ عَلَى إِذَا أَنْ مَمَهُمُ شَهِيدًا ﴿ وَلِمَنْ أَصَدِبُكُمْ اَضَدْ لَيْمِزَالَهِ لِيَغُولُنَّ كَانَ لَمْ تَكُنَّ بَيْنَكُمُ وَبَيْنَكُمُو كُنتُ مَمَهُمْ فَالْهُوزَ فَوْزَا عَظِيمًا ﴿ ﴾ .

- (١) قرأ ابن كثير وحفصٌ ورُويس: [كَأَنْ لَمْ تَكُنْ] بالتاء الفوقية.
 - (٢) وقرأ باقي الفراء العشرة: [كَأَنَّ لم يكن] بالياء التحتيَّة.

فىالفراءة الأولى جماعت مطابقية لتأنيث ومبودّة والقراءة الأخبرى روعي فيهما أنّ ومودّة تأنيثها مجازي، مع وجود الفاصل الذي يحسّن معه التذكير.

في هذا النص أربع قضايا متداخلة منصوص عليها، وقضايا أخرى تقهم من فحوى النصّ باللزوم اللذهني، أربدلالات نصوص أخسرى مقيّدة أو شارحة لبعض ما جاء فيه من أفكار، أو بدلالات إلماحيّة في النص.

ففيه خطاب المؤمنين بمانً فريقاً يُعدُّونهم منهم بحسب ظاهر انتصائهم، توجد منهم ظواهر من السلوك عند الدعوة إلى النَّمرِ لقتال الأعداء من أهل الكفر، منسافية لمما يدفع إليه الإيمان الصحيح الصافق، فهي من الأمارات على النفاق أو الشك أو ضعف الإيمان.

- فيوجد من هذا الفريق تباطؤ عن الخروج مع المؤمنين للفتال، أحداً من بطأً اللازم.
- ويوجد منه نتيط لفيره عن الخروج للقتال، أخذاً من بطأ المتعدي. فقعل ولَيْتُطُننَ مستعمل في مَعنيه.

هذا في بداية الأمر عند الدعوة إلى النَّمْرِ، أمَّا بعد انتهاء لفته الأعداء في مواجهةٍ فتاليَّة، فالنصَّ يخاطب المؤمنين بسا ينضمَّن ما يلي: إنّكم إمَّا ممتحدون بمصيبة أصابتكم في لفائكم لمدوّكم، كتل أو جرح أو هزيمة أو خسارة ماليَّة، وإمَّا مُمُتَحدون بفضل من الله أصابكم، من مصِّرٍ وغنيمةٍ وتحقيقٍ لما ترغيون.

فإن أصابتكم مصية على أبلني صدركم. وقد أنذ الله بها لحكمة بُريئها. كالمتحائكم، وتربيتكم وتأديكم، وإجراء سته في عباده. قال هذا الغريق: قد أنهم الله علي أذ الهمني أن لا أخرج مع المؤمنين، فبلا أكون معهم شاهداً حاضراً هذا اللّفاء الخاصر الذي جلب المصية لهم، وهو تعبير فيه نثات الشمائة، وبدل على كلب أدّماء الإيمان، أو على الشك أو ضعف الإيمان.

 وإن أصابكم فضل من الله، مظفرتم وضعتم ندة وتحسر على ما فاته من ضعيمة ومن مشر حاله بين المسلمين، وقال متندّماً أمنحسّراً، يها ليمني كنت معهم فأفروز فوزاً عظيماً، إن كل محمّر بحصور بأمور الدّنيا، لـذلك لا يسرى الفوز العظيم إلاّ المكاسب منها، والغنائم من زيتها ومناهها.

لماذا يتندّم ويتحسّر؟ ألم يكن بحسب الظاهر واحداً منكم إمسلاماً وإيصاناً فيمــا يُظهِرُ لكم من أمْرِه، يُبادلكم المودّة، ويُظهر لكم أن يحبّ الخير لكم؟

لماذا طفع الحسد في نفسه، فعبّر عنه لسانه بالتحسّر؟ إن صاحب المعرّدة الصادقة لا يَحسُد على نعمة أصابها من يودّه، بل يفرح له بها، ويدعو الله أن يجعلها له متاعاً حسناً، وغوّناً له على طاعة الله وتحقيق مراضيه، واختيرت فكرة المودّة دون صدق الإيمان للذلالة على أنَّ العبارة عبارة حسد.

ما الذي كان يمنعه من الخروج مع المؤمنين حين دُعُوا لقتال عدّوهم؟ ألم يكن بحسب ادّعاته واحداً منهم؟

إذن: فحال هذا القربق المتخلف بعَّد انتهاء معركة المواجهة للعدوَّ:

 إما شامت، أو قريب منه، بحسب كفره أو شكّه أو ضعف إيمانه، لذلك جماء التعبير القرآني صالحاً ملائماً لكل ذلك، فقال تعالى معبّراً عن مقالته:

وْقَدْ أَنْعُمَ اللَّهُ عَلَى إِذْ لَوْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ١٠٠

 وإما حاسد، ويستوي في الحسد المنافق والشالة وضعيف الإيمان، فجاء التعبير القرآني ملائماً للمنافق الحسود، ومن يكون مثله في الحسد مهن هو دونه، فقال تعالى معبراً عن مقالته:

﴿ يَكَنَّتُ مَنَّ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ١٠٠ ﴾.

وَللاحظ فِي النَصَ انَّ الله عَزَّ وَجِلَ قد جعل عبارة؛ ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَيَنْكُمْ مَوْتُنُهُ معترضةً بِين؛ ﴿لَيُقُولُنُهُ وِبِينَ فِإِنَا لِيَنِي كُنْتُ مَنْهُمْ فَأَفُوزَ فَوْفًا عظيماً ﴾ للدلالـة على أنها عبارة حَمَدِ ثائر، ولتذكّ بالتقابل على أنَّ عبارة ﴿فَقَدْ أَنْهُمُ اللهُ عليُّ إذَّ لُمُ أكن معهم شهيداً﴾ هى عبارة شماتة أو قريب منها.

أمًا الدوافع لهذه النظواهر السلوكية، فنستطيع استنباطها بـالتنامـل في أصــل الموضوع المرتبط بالإيمان وجوداً، أو انعداماً، أو شكاً، أو نقصاناً. والله أعلم.

وننظر في المتقابلين:

- (١) ﴿ فَإِنْ أَصَنَبَتْكُمُ مُصِيبَةً قَالَ ﴾.
- (٢) ﴿ وَلَهِنْ أَصَنَبَكُمْ فَضَّلُّ مِنَ أَلَّهِ لَيَقُولَنَّ ﴾.

فنرى الأوَّل من غير نأكيد وفإنَّ، للدلالة على نَدَّرته وقلته.

ونرى الأخر مؤكّداً ووَلَيْنَ للدلالة على أنّ هو القناعدة المؤكّدة بالنسبة إلى المؤمّنن ، إذا الترموا بالشروط التي يستحقون بها نصر الله لهم ، وإمدادهم بمعونته وفضله . ونرى أنّ الأول جاء التعبير فيه بجارة [مصينة] .

وترى أن الأخر قد جاه التعبير فيه بعبارة [فضل من الله].

ومقتضى المتبادر من التقابل أن يكون التعبير بعبارة: ونعمةه.

فما الحكمة من ترك هذا المتبادر؟

بـالتفكر والتـدبّر نُـلاحظ أنّ أصل الكـلام قبل اختصـاره واختزالـه هو على نحـو ما يلي: فإنَّ أصابتكم مصية بإذن الله وتمكيته على مقتضى حكمته في التربية والتاديب والامتحان وإجراء سنته العامّة قال: قد أنّمم الله علي إذَّ الْهَمْنِي فلم أكُنَّ معهم شهيداً حاضراً المعركة. ولَيْنُ أصابتكم نعمةً من فضـل الله عليكم بمقتضى حكمته، ليضوّلُنَّ: يا لينني كنت مَعْهُمْ فَافوز فوزاً عظيماً.

وخُلِفَ من ثاني المتقابلين ما يُضابل لفظ [مصيبة] مثل كلمة: ونعمة، استغنـــاءُ بدلالة التقابل، وحلَّ محلُّ المحذَّوف عبارة [فضل من اله].

وحُلِفَ من أوّل المتقابلين ما يقابل عبارة [فضــل من الله] مثل عبــارة: «بإذن الله وتمكينه استغناءً بدلالة النقابل أيضاً.

فجرى حذف من الأوائل لدلالـة الأواخر، وحـفَكُ من الأواخر لــدلالة الأوائــل، وهذا ما يُسمَّىٰ عند أهل البديع والاحتباك.

ونلاحظ أنه جاه في أوّل المتقابلين فعل [قال] بصيغة الفعل الماضي، للإنسارة إلى أنّ قوله هذا قد حصل فعلاً، بعد موقعة مضت، وناخذُ من فعل الشرط أنّه سيقـول هذا القول بعد كلّ موقعة قادمة تحصُل فيها هزيمة للمسلمين. أمّا ثاني المتضابلين فقد جاه التعبير فيه بصيفة: [لَيُقُولُنَّ] وهي صيفة مؤكّدة تدلّ على المستقبل، ونفهم من هذا أنّه لم يقُلْ يَقَدُّ هذا القول، لكنّ واقع حاله النّفسيّ بسبب نفاقه أو شكّه أو ضعف إيصائه، لا يُدّ أن يُعرز مثل هذا القول.

...

الفقرة الثالثية: تتضمّن حتّ المؤمنين الراغبين في الآخرة وما أعدّ الله فيها من أجرٍ عظيم، أن يذلوا متاع الحياة الدنبا، ويُضحُّوا بها، مقاتلين في سبيل الله، وهم إذا فعلوا ذلك أصابوا إحدى الحسنين مع الاجر العظيم عندالله، فيلمّا أنَّ يُقْتَلُوا وإِلَمَا أنْ يُغْلِبُوا عدَّوهم إذَّ يتصرهم الله عليه.

قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَلَيْمَنْظِلْ فِيسَكِيدِلِ اللَّمَوالَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيْوَةَ الشَّلْكِ الْآخِرَةُ وَمَن يُمُنظْ فِي سَيدِلِ اللَّهِ يُشْقِلُ أَنْ يَغْلِبُ فَسَوْنَ لَوْتِيواْ تَجْرًاعظِما ۖ ﴾.

> في هذه الآية قضيتان: القضيـةُ الأولـــ.:

دعوة المؤمنين الذين ارتقوا في مراتب الإيمان فكانوا من أهل مرتبة البرّ، أو أهل مرتبة الإحسان، إلى أن يقاتِلُوا في سبيل الله.

وقد دلّنا على أنهم قد ارْتَقَوْا فَوْقَ مَرْتَةِ التقوى (وهي مرتبة تادية الواجبات وتسركِ المحرَّمات الله عمرَّ وجل ذكرهم بوصف مُتَكَرَّر فيهم، يَبْرُوْ فِي مُتَجَدَّد سلوكهم، وهو كونهم يَبْذُلُونَ الحياة الدنيا ومَتَافَها وشهواتِها ومطالبَ أهوائهم منها، ابنشاء الظفر بشواب الآخرة، فهم كلَّما أرادوا سلوكاً ما وزاّزًا الله تحقين ثواب الآخرة يتطلَّبُ منهم التضحية بما يُحبُّون من زينة الحياة الدنيا، ضُحَّوًا به، طمعاً بما هو خيرً عند الله.

فَهْمُـلُ [يَشْرُون] بمعنى يبيمـون. وهو فعـل مضارع يُفيـد التجدُّدُ والـدُّوام، يدلُّ على تكرّر هذه الظاهرة في سلوكهم.

وهذه التضحية المنجدّدة في السلوك نكون في أعسال اليّ، وأعسال الإحسان، كالإنفاق فوق ما يجب إنفاقه، وقيام الليل فوق الفرائض، وصيام النوافل المسنونة، وأنواع التطوّع في مختلف العبادات، وكالصبر في الباساء والضرّاء، والمفر والصفح عن المسيء، والجلّم، والاشتخال بمجاهدة النفس لاكتساب فضائل الأخملاق فوق المقادير المواجبة منها إلى غير ذلك، وكَثَرك المكروهات وسا هو خملاف الأولى ممّا لا يلقى بالمقرّين أن يفعلوه.

ومن هذا نُدُوكُ أنَّ الأمر في قوله تعالى:

﴿ فَلَيُقَدِّتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾:

أَمْرَ تَوغيبيٍّ، وليس أمرأ إلزاميًّا، لأنَّهُ مُوجَّهُ للذِين من عادتهم أنَّهم يَشْرُون «أي: بيبعون» الحياة الذنبا بالاخرة، وليس موجّهاً لمطلق المؤمنين، ولمطلق المسلمين. أمّا العراد من الحيلة الدنيا، فما فيهما من متاع وزينة وما تحبّ النّصوس وتهوى وتشتهي. وأشّا العراد من الأخرة، فما فيهما من ثواب جسيم وأجر عنظيم في جنّاتٍ النّميم.

والكلام على تقدير يبيعون مناع الحياة الدنيا بشواب الأخوة، أقيم المضاف إليه فيهما مقام العضاف الممحلوف.

القضية الثانية:

وَعُدُ مَن يُقَاتِلُ في سبيل الله صادقاً محتسباً أُجْرَهُ عنـد الله، بأنَّ الله صوف يؤتيه يوم الدِّين أجراً عظيماً.

قول الله تعالى :

﴿ وَمَن يُقَارِّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾:

لا بدّ أن يُشغل عَلَى كونه صادقاً محسباً أَجْرَهُ عند الله ، لأنّ المنافق والمسرائي لا يكون فتالهُما ـ ولو فَـانَلا ـ في سبيل الله ، والكافر لا يكون فتاله في سبيل الله ، والذي يقائل للمغالم، أو لِيَقال إنّه شجاع ، أو للفخر، أو لبدافع عن أحساب فوسه ، أو ليحقق أمجاداً فهم ، لا يكون فتأله في سبيل الله ، فسيل الله له شرطان:

الشرط الأول: قلبسي، وهو أن ينوي به رضوان الله وظلب ثوابـه، وهذا لا يكـون إلاّ من مؤمن.

الشوط الثاني: أن يكون لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله، وضمن ما شرعـه الله وأذن به في القتال.

إذا تحقَّق هَذَان الشرطان كان الفتال في سبيل الله.

قول الله تعالى:

﴿ فَيُقْتَلُ أَوْيَغُلِبُ ﴾:

نلاحظ فيه الاقتصار على احتمالي الشهادة أو النّصو، ولم يتعسرُض النّصُ للاحتمال الثالث، وهو الهزيمة والفرار، ولا للاحتمال الرابع وهو الـوقوع في الأسر، فما الحكمة في هذا؟

بالتفكُّر والتدبّر ندرك ما يلي:

(١) أنّ الله عزّ وجل أمر في آول النّص بأخذِ الجذر، وفهمنا من ذلك أنّ إحداد
 كامل الوسائل الفتالية للمعركة ضمن أنظمة الله السببيّة في كونه هو من لوازم أخط
 الحذر.

إذن فالمواجهة فيها كفاية لاكتساب النَّصر بالنسبة إلى الوسائل.

(٢) أنّ العثومن يرجو من الله ما لا يرجو عدّق الكافر المقاتل له، فهو يباشر قتاله
 بكلّ شجاعة، ثقةً بوعد الله، وطمعاً فيما عند الله من أجر عظيم.

إذن فهو لا يُجُبّن ولا يضعف، فلا ينهـزم ولا يفرّ، ولا يمكّن العـلـوّ من أسره إلاّ عند الضرورة القصوى.

 (٣) أنَّ الدَّعوة موجُّهةٌ للابرار والمحسنين، وهؤلاء متفوقون في مراتب الإيمان، فالاستشهاد من بُنبل أفرادهم هـو السبيل لتحقيق انتصار جماعـة المسلمين على عدوهم.

إذن: فالواحد منهم إمّا أن يُقتَـلَ وإمَّا أَنْ يَغْلِبَ، فــلا يَفِرَ، ولا يُمَكَّن عــدُوه من اسره إلاّ مضطرًا.

أما الانسحاب من المصركة فهو أمر لا يقرّرهُ الفرد المقاتل، وإنّما يُمكّره أمير الجيش وقادة عمليّاته، فما دام التوجيه للقتال قائماً مستمرًا، فليس أمام الفرد المقاتل إلاّ أن يُقْتَلُ أَدْ يَفْلِب، فإن قَرْ فهو متول, عند الرّحف، ويكون تولّيه من الكبائر الكبرى، وهـذا لا يفعله المتقرن فضلاً عن الأبرار والمحسنين، وأما أمره فيستيعده النصّ عن الذكر، ليستيمده المقاتل عن تصوّره، حتى يكون ضرورة.

قول الله تعالى:

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجَرًا عَظِيمًا ﴾:

وعدٌ ربّانيُّ بأجْرٍ عظيم.

الفاء واقعة في جواب الشرط (وَمَنْ بُقَاتل).

﴿سُوفَ﴾: حرف استقبال، قبل: هو مثل السين، يختصُ بالمضارع، ويخلُّصه للاستقبال، وقبل: هو أوسع من السين استقبالًا، أي: فهو للمستقبل البعيد.

﴿ أَمِراً مَطْيِعاً فِي: جاء لفظ وأجره منكراً للدلالة على كترت عدداً، وَوُصِفَ بِأَنه عظيم للدلالة على جسامته في كيفيته ونوعه، وثوابُ الله في الأخرة كثير الكمّ، عنظيم الكيف.

. . .

الفقرة الرابعة: تتضمّن بيان الموجب لقتال المشركين، وهذا المـوجب يتلخّص إيّان نزول النّص بأمرين:

الأمر الأول: الانتصار لدين الله الذي يحاربه هؤلاء المشركون.

الأسر الثاني: إنشاذ المستضعفين في مكة من الرجال والنساء والولىدان المذين يُضطهدون، ويُذُعُون ربِّهم أن يخرجهم منها، ويجمل لهم من لدنه وليَّا، ويجمل لهم من لدَّه نصيراً.

فقال الله عزّ وجلّ:

﴿وَمَالكُّرُولاَلُقَيْلُونَ فِيسَبِيلِاللَّهِ وَالنَّسَمَّ مَنْ رَبِّ الرَّبِالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِوالْقَرَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْمَلُ أَنَامِن أَذَنكَ وَلِيَّا وَأَجْمَلُ أَنَامِن أَذَنكَ ضَيدًا ۞﴾ .

في همذه الآية قضيَّة واحدة، هي بيان الموجب لقتال مشركي مُحَّة إيان نشرول النصّ، مع الإلماح بـالاستفهام إلى الإنكار على المذين يمودُّون إعضاءهم من القتال المدعوّين إليه.

قول الله عز وجلّ:
 ه مَمَالكُمر لَالْقَائِلُونَ ؟ ﴾

صُدّر بالعطف على ما جاء في الآيات السابقات، وهمو من عطف الجمل، للذّلالة على أنَّ المعطوف تبايع للموضوع الـذي يداً به النص، وهمو أخد الحذو، والحثُّ على القال في سبيل الله.

هماء اسم استفهام، وهو في محل رفع مبتدًا، ومعناه: أيُّ شيءٍ؟.

وَلَكُمْ ۗ مَعْلَقَ بِمَحْدُوفٍ هُو خبر، تَقْدِيرُه ثَابِتُ لَكُمْ.

والمعنى الذي يدلُ عليه هذا التعبير هو: أيُّ شيءٍ من الأصدار ثابتُ لَكُم حالَةً كويَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ . . ؟ فجملة ﴿لا تُفَاتِلُونَ﴾ ولواحقها في محل نصب على أنّها حال. والفرض أنّه لا غُلْرَ لكم .

والخطابُ تابعٌ لخطاب الـذين آمنوا الـذي بدأ بـه النصّ، فلا الْيَضَاتُ فيه فيـمـا ارى.

قول الله عزّ وجلٌ:

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ :

أي: ما لكم لا تقاتلون تتالأ كانناً في سبيل الله، والمعنى أن سبيل الله ظرف له، وسبيل الله يشمل كلّ ما شرعه الله لعبداده وارتضاه لهم من الدّين، ويشمل استجماع النّية في ابتغاء مرضاته، والأجر العظيم منه، في كلّ عمل ظاهر أو بناطنٍ يكون مطابقاً لما شرعه، أو أوصى به، أو رغّب فيه، أو أذن به.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَٱلْسُتَضَعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ ﴾.

أي: وفي سبيل نُصْرَةِ وإنقاذ هؤلاء المستضعفين.

ومع أنّ نصرة هؤلاء بالفتال. هي من الفتال في سبيل الله، لأنّ الله يأمر بُشْرَتِهم ويحُثُّ عليها، إلاّ أنّ في ذكرهم استارةً للفاطِفة نحوهم، باعتبارهم إخواناً في الإيمان والإسلام، وهم في مكة يتعرّضون لـظلم واصطهادٍ من قبل أئسة المشركين فيها، فالاخوُّة الإيمانية تَسْتَحَدُّ العاطفة لإنقاذهم، بعد أن جاء الإذن بقتال هؤلاء المشركين، وعدم كفُّ الايدي عنهم.

هذا النَّصَ وارد بمناسبة المستضعفين في مُخَة إِنَان نُرول سورة (النساه) ولكن له حكم القاعدة العامة، إذ يقاس عليه كل أحوال المستضعفين من المؤمنين في كلَّ بلد وفي كلَّ عصر، إذا استطاع إخوانهم نصرتَهُمُ، فالله عزَّ وجلُّ يشدَّم لنا الأمثلة والنساذج لنقيس عليها أمثالها وأشباهها.

والمستضعفُون كانوا رجالًا لا يستطيعون المقـاومة ولا الهجـرة، ونسـاءً، وصــــــاراً من صبيان وبناتٍ لا يجدون حيلة، وعبيداً لرقاء وإماءً.

وقد رُوي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: وكنتُ أنَّا وأنَّي من المستضعفين.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ ٱلْفَرَىٰةِ الظَّالِرِ أَهَلُهَا وَأَجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ وَلِيَّا وَأَجْعَل لَمَنَا مِن لَدُنكَ ضِيرًا ۞﴾ :

أي: إنَّ هؤلاء المستضعفين يدعون ربَهم بهـذا الدَّعـاء، فيخبر اللَّهُ بــه إخوانَهُم المؤمنين في المدينة.

هذا الدُّعاء يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رُبُّنًا الحُرِجُنَّا بِنُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ الْفُلُهِ. دُلُّ هذا المطلب على الهم غَشِرُ مُمَكِّنِن من الهجرة، والهم لا يُجِدُّون حيلة ولا وسيلة للخروج، بغية الخلاص من ظروف الاضطهاد الذي هم فيه.

ودلَّ على أنَّهم مظلومون مضطهدون وصُفَّهُمُّ القـريَّة وهي مَكَّة يومشـلْـِ بانَّ أَهْلَهــا ظالمـون.

الظالم أهلُها: «الـظالم» نعتُ سببيُّ للقرية، وهو في الحقيقة وصف لاهلها، والنعت السبييُّ يطابِق ما قبله في حركة الإعراب، وفي التعريف أو التنكير، ويراعيْ في تذكيره أو تأنيثه ما بعده. ويكون مفرداً دائماً إلاّ جمع النكسير، فيجوز فيه الوجهان: الإفرادُ وجمع النكسير.

المعظلب الثاني: وَاجْمَعُلْ لَنَا مِنْ الذُلْكَ وَلِينًا. أي: مَنْ يَتُولُى اصورنا، غير اراياتنا الذين يضطهدوننا وينظلموننا من المشركين، من أجـل إيماننا بدينـك، وإسلامنا لك ولرسولك.

الولي في اللّغة: من يسولَى أمور من هـو تحت رعابتـه وإدارة شؤونه وتـدبيرهـا، فوليّ اليتيم هو الذي بلي أموره ويقوم بكفايته، ووليّ المرأة الذي يتولَىٰ عقد نكاحها.

المطلب الثالث: واجملٌ لنا من لدُّنُكَ نصيراً. أي: ضافت حيلُنَا، فلا نجد من إخواننا مَنْ ينصرنا، وإننا نمذُرهم فوضعهم ربّما لا يسمح لهم بنُصرتنا، فاجمل لنا من لدُّنُكُ انت نصيراً ينصرنا ويُنْقلنا، فيرفع عنا الطلم والاضطهاد، حتى نمارسَ ديننا بحرّية.

. . .

الفقرة الخامسة: تتضمن بيان الفروق ما بين قتال الدؤمنين وقتال الكافرين، مع حث المؤمنين على قتال الكافرين ملاحظين أن كيد الكافرين الحربي كيَّد ضعيف دوامًا، لأنّ الشيطان الذي يقاتلون في سبيك ذو كيد ضعيف دوامًا، أشا الله الذي يشاتل المؤمنون في سبيله فكيَّله الذي أوصاهم به في الحرب كيَّدُ متين، مع ما يمدَّهم به من عون غيسيً، لا يدخل في حساب الأسباب البشرية.

قال الله عز وجلً :

﴿ الَّذِينَ ۥ اَمَنُوا بُعَنِوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقْتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّعُوتَ فَقَتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّبْطَانِ إِنْ كَيْدَ الشَّيْطِينَ كَانَ مَنِيعًا ۞ ﴾ .

في هذه الآية ثلاث قضايا:

القضية الأولى:

بيان أنَّ الذين آمنـوا إيمانـاً صحيحاً صـادقاً بـالله ورسولـه واليوم الأخـر، ويكلّ ماجاء به الرسول ﷺ عن ربُه وما أذن له بـه، إذا قاتلوا وفق مـا بقتضيه ليمـانُهم منهم، فَإِنَّهُم يَقَاتَلُونَ في سبيل الله، أي: ضمن سبيله صهحاً وعملًا وغاية ونيَّة. فلا ينحرفـون عنه.

وحين يخالفون فلا يُلتزمون السنهج، ولا يتفيّدون بالعمل الإسلامي العشروع في الفتال، ولا يتقيّدون بالغاية الإسلامية، ولا بنيّة ابتغاه مرضساة الله وثواب الاخبرة، فإنّهم يُشَكِّمُونَ سبيله بمقدار المخالفة، فيُحْرَمُون من الشائح التي يحبّونها على مشادير تتكيهم.

قول الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ مَامَنُوا ﴾ :

أي: الذين يصحُ أن ينطبق عليهم كمال هذا الوصف.

قول الله تعالى:

﴿ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾:

أي: يتقيدون في قتالهم بحدود سبيل الله منهجاً وعملًا وإعداداً وغاية ونيَّة، ما داموا متحلّين بكمال وصف الذين آمنوا، وسبيل الله يجمع كلّ عناصر الخير.

ومع أنَّ التعبيرُ تعبيرُ خبيريَ يَمُلُلُ على النَّروم بين كسال الإيسان والقتال في سبيل الله، فهو يتضمَّن توجيهاً للذين آمنوا بأن لا يقاتلوا إلاّ في سبيل الله منهجاً وعملًا وغاية ونيَّة.

القضية الثانية:

بيانٌ أنَّ الذين تفروا يقاتلونَ في سبيل الطَّافوت، أي: في سبيل الشيطان الذي يمثل الداعي إلى كلَّ شرَّ، فسبيل الشيطان بوجه عامّ يحتري على كلَّ عناصس الشرَّ، والسالكون فيه يمارسون من الشرور على مقادير تأثرهم بإغواء الشيطان.

قبل الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

أي: والذين رفَضُوا الإيمانُ وأَبُوًّا أَنْ يُسْلِمُوا، بعد إعلامهم بأركان الإيمان

مقرونةً بادلتها، مـا دفعهم إلى هذا الكفـر إلاّ تأثَّرهم بإضواء الشيطان، فهم إذا قــاتلوا المؤمنين فإنّهم يقاتلونهم ضمن حدود سبيل الطاغوت.

> لذلك وصفهم الله بقوله: -

﴿ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاعُوتِ ﴾.

وسبيل الطاغوت سبيل يحتـوي على كلّ الشّـرور، فهم يَسلكون في قتـالهم هذا السبيل.

وقد دلُّ على أنَّ المراد من الطاغوت هنا الشيطان ما جاء في تتمة الآية.

القضيسة الثالثة:

حث الذين أمنوا على أن يقاتلوا الكافرين باعتبارهم أوليا، الشيطان، وناصبوي الشرو التي يدعو إليها، مع ترغيهم بأتهم أقوى منهم، وسينتصرون عليهم، نظراً إلى أن كبد الشيطان ضعيف دواماً، فكيد أولياله المذين يقاتلون في سبيله، وضعن خططه ووصاياه التي يوسوس بها، وتهديهم إليها أفكارهم الشيطانية، هو كيد ضعيف، بالنسبة إلى قوى المؤمنين الذين يتفيدون بحدود سبيل الله إعداداً ومنهجاً وخطة وعمالًا وغاية .

قول الله تعالى:

﴿ فَقَائِلُوًّا ﴾:

خطاب للذين أمنوا، وهو أمر ترغيبيّ كما سبق بيانه.

قول الله تعال*ى*:

﴿ أَوْلِياآء الشَّيْطَانُ ﴾:

آي: الذين كَفُرُوا، وقد ذكرهم الله بـوصف آخر من أوصافهم، وهو أنهم أولياة الشيطان، أي: أَصْراؤه ومؤيدر خططه وأحماله التي يـدترهـا لإغواء بني آدم أجمعين، فالذين كفروا قد جنّدوا أنفسهم في كتائب الشيطان، لكنّهم مهما ديّروا من مكايد ضدً الذين آمنوا فمكايدهم شيطانية ضعيفة بالنستة إلى قوى الذين أمنوا، إذا كمانوا حضًا يفاتلون في سيل الله منهجاً وخطة وعملاً وفاية ونيّة وإعداداً.

قول الله تعالى:

﴿إِنَّ كُيْدَ ٱلشَّيْطَانِكَانَ ضَعِيفًا ﴾:

أي: إنَّ كيد الشيطان هـو ضعيف دواماً، إذ فعـل وكان، يـدلُّ في الصفات على الكينونة المستقرّة المستمرّة غالباً.

. .

الفقرة السادسة: تتضمّن بيان ظاهرة من ظواهر النفاق وهي ظاهرة إبداء الرغبة بالتعجّل قبل الإذن بالفتال، والخوف منه عند الإذن به أو الأمر به، مع التسويف وطلب تأخيره إلى أجل قريب على سبيل المعاطلة.

وهذه الظاهرة قد تكون من أهل الشكّ والرّبيب، ومن ضعفاء الإيمان، ومن أهـل الجبن والتعلّق بالحياة الدنيا، ورئيسا كان هؤلاء هم المقصدودون، بالـدرجة الأولى لأن المعرحلة المكينة لم يكن فيهـا نضاق، والمسلمـون فيهـا هم السدّين طُلِبُ منهم كفّ أيديهم.

وتتضمَّن التوجيه الربّاني حول هذه الظاهرة.

قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ اَنْرَالِهَ اللَّهِ مِنْ فِهَا لَمُتَكُمُوا اللَّهِ يَكُمُ وَالْفِيدُوا السَّلَوَةُ وَمَاقُوا الْأَكُونَ فَلْقَاكُمِنَ عَلَيْهِمُ الْفِئَالُ لِلّهُ إِنَّا فِي اللَّهِ مَنْ مَنْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَالِيهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَالِمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الْ

في هذا النصّ قضيتان:

الأولى: بيان الظاهرة المستنكرة، مع التعجيب منها والتوجيه لاستنكارها.

الثانية: التوجيه الرّباني الإقناعي لمعالجتها.

القضية الأولى:

يوجه الله النظر الفكري بأسلوب الاستفهام الإنكاري التعجيبي، لاستثارة

العجب والاستنكار لظاهرة ذات طرفين متضافين متخالفين حول موضوع واحد، هي ظاهرة التحمُس للقتال عند الأمر بالكفّ وعدم الإذن به، والتخاذل عنه وطلب التــاجيل مماطلة وتسويفاً عند الأمر به.

والخطاب موجّه بصيغة المفرد للرُّسول أوّلًا، ومن بعده إلى كلُّ ذي نظر فكريّ. ق ل الله تعالم :

﴿ أَلَوْتَرَ ﴾:

أي: أَلَمْ تُذُوكُ بِيصِيرتَك الفَكريَّة؟ والاستفهام هنا استفهام تعجيسي استنكاري. قول الله تعالى:

﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ أَنْمُ أُنُّواۤ أَيْدِيُّكُمْ ﴾:

أي: قبل لهم لا تفاتئوا الكفّار والمشركين الذين يضطهدونكم من أجل دينكم، وكان هذا ظاهراً في المرحلة المدكّة، التي لم يكن فيها منافقون يومثه، وروي عن ابن عبّاس أنّ من هؤلاه: وعبد السرحمن بن عوف، وسعد بن أبسي وقاص، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظمون، وأصحابهمه.

وربّما كان من المنافقين وأهل الربب والشكّ وضعفاء الإيمان في أوائـل المرحلة المدنية قبل الأمر بالقنال نظاهُرُ بالنُّحمُسِ لمقاتلة مشركي مكةً لاسباب مختلفة، نقيل لهم: كُفُّوا أَيْلِيكُمُ.

قول الله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَوْةَ وَمَا تُوَاْ الزَّكُوٰةَ ﴾ :

أي: حافظوا على حدود ركني إقامة الصلاة وإيشاء الزكاة، فدلً هـذا على أن ركني الصلاة والزّكاة من أركان الإسلام كانا قد شُرِعًا والمسلمون ما زالوا مأمورين بكفُّ أيديهم عن قتال أعدائهم، وقد جاء في عند من السّورالمكية الحث على إقامة الصلاة وإيثاء الزكاة، وهو في مضمونة أمر تكليفي.

عزَّ وجلُّ في سورة (الأعراف/ ٧ مصحف/ ٣٩ نزول):

﴿وَرَصْمَتِي وَسِمَتُكُلِّ مَنَ الْمَصَّلُمُ اللَّهِ يَنَقُونَ وُوُوُوُكَ الزَّكُووَ وَالَّذِينَ هُم يِثَائِننَا يُؤِمِثُونَ ۞ الَّذِينَ بَنَّهِمُونَ الرَّسُولَ الذِّي الأَثْرَكَ الَّذِي يَهِدُوسَكُمُ مَكُونًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَدُو وَالْإِنِجِيلِ أَشْرُكُمُ وَالْمَسْرُوفِ وَتَهْمَعُمْ عَنِ الْمُسْكَوِّ...﴾

 (٢) ثم في صدر سورة (النمل/ ٢٧ مصحف/ ٤٨ نزول) المكية، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ طَسَ يَلْكَ مَا لِنَتُ ٱلْفَرَانِ وَكِتَالِ مُّيِنِ ۞ هَلَكَ وَفُمْرَى الْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوَ قَوْفُونَا أَزْكَوْنَ وَهُمْ مِ الْإَخِرَةِ مُمْ يُحِهَّدُونَ ۞ ﴾.

(٣) ثم أنزل الله عز وجل في صدر سورة (لقمان/ ٣١ مصحف/ ٥٧ نزول)
 وهي سورة مكية قوله تعالى:

﴿الَّدَى يَلْتُ مَائِنُ الْكِتَبِ الْحَكِيمِ ۞ هُدُى وَرَحْمَةً لِلْمُصْيِينَ۞الَّذِينَ يُقِيمُونَا لَصَّلَوْهَ وَيُؤْفِّوْهَ الزَّكُونَ وَهُم بِالْاَيْرَةِ هُمْ يُوفِئُونَ۞.

(٤) ثم أنزل الله عزّ وجل في أواسط العهد المكني وعبداً للمشركين بالوبل،
 ذاكواً من صفاتهم أنهم لا يُؤتُونُ الزكاة، فقال تعالى في سورة (فَصَلت/ ٤١ مصحف/ ٢١ ذول):

﴿ وَوَالَّ الْمُشْرِكِينَ ۞ الَّذِينَ لَا يُؤَنُّونَ الزَّكَوْةَ وَهُم إِلَّا خِرَةَ هُمَّ كَفِرُونَ ۞ ﴾.

(٥) ثُمَّ أَنْزَل الله عزَّ وبيلٌ في أواخر العهد المكي الأمر ببايتاء في القربى حقَّة والمسكين وائن السبيل ووعد على ذلك بالفلاح لمن يريد به وجه الله ، ومهّد لتحريم الزَّيا بأنَّه لا يربُّو عند الله ، ورغَّب في إيتاء الزكاة بالوعد بالإخلاف المضاعف، فقال تعالى في سورة (الروم/ ٣٠ مصحف/ ٨٤ نزول):

﴿فَكَاتِنَاٱلْقُرْقَ حَقَّمُ وَٱلْمِسْكِينَ وَإِنَّالَتَهِيلِذَوْكَ مَثْرٍ لِلَّذِيتَ ثُرِيدُونَ وَهَمَّ الْقَ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُطْهِضُنَ ۞ وَمَا مَاتَيْتُمَوْنَ زِيمًا لِيَرْتُولَا فِياقُولِ النَّاسِ فَلاَ يَرْقُوا عِنْدَالَقِهِ وَمَآءَانَيْنَمُونِ زَكُوْمَ تُرِيدُون وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْمُضْمِعُونَ ٢٠٠٠.

فهذه النصوص المكبّة تَذَلُّ على أَنْ الزكاة كانت واجبة مُنذُ الْمَهْدِ المكبي. فقول الفقهاء: إنَّ الزكاة مُرعَت في السنة الثانية من المهد المدني ينبغي أن يُحفل على معنى قيام الدولة الإسلامية بجبايتها، وتوزيهها على مستحقيها، أو على تحديد المقادير المقادير المقادير المقادير المقادير المقادير وضة منها في مختلف الأموال، بينما كان التكليف تكليفاً عاساً يتبع الحاجات والضرورات.

قول الله تعالى:

﴿ فَلَنَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفِئَالُ ﴾:

أي: فحينَ بُتُ الإفْذُ بِالفتال ثمَّ الأشرُّ بِهِ، وجاء التعبير عن إيسرام الأمر وبَتُ بالكتابـة، لأنَّ من عادة الصظماء إذا بَسُوا وأبرموا أمراً عامًا كتبوه، ولم يكتُمُوا بمجرّد التوجيه الكلاميّ، وهو من باب إطلاق اللَّارَم وإرادة الممازيم.

قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ لِنَافِقٌ مِنْهُمْ يَغَنُونَ النَّاسَ كَغَشْيَهُ القِوْلُولَ اللَّهِ عَشْيَةٌ وَقَالُوا رَشَّا لِرَكَتَبَتَ عُلَيْنَا ٱلْهِنَاكَ لَوَ لَا الْخَرْنَا الْفَالِمِ فِي بِنِ ... ﴿ ﴾.

واذاء فَجَائِيَّة كما سبق، والمعنى أنَّ فريقاً من الذين كنانوا يتمجَّلُون العطالبة بالفتال قبل الإذن به، ولم يكن من الحكمة في بناء الاسة الإسلامية ذلك التعجل، يُفَاجِئون بعد الإذن بالقتال والامر به بظاهراتٍ ثلاث مضادًة لمَّا كانوا يَبَدُّونَهُ من رغبات التعجّل.

الظاهرة الأولى: خشيئَهُمْ مِنْ مُلاقاة الناس في الْقِتَال كخشيتهم من ملاقاة الله يوم الحساب أو أشدُ خشية، أو من عقابه المعجل على مخالفة التكليف.

الخشية: حركة نفسيّة، ولكن لمّا كانت لها أثار في السلوك الظاهر كانتُ ظاهـرة مُلْرَكةً باثارها.

وسبب هذه الخشية كفَّرٌ في الباطن وهـو عند المنافقين. أو شكُّ وهـو عند أهـل

الرّيب بالدين وما جاء فيه . أو ضعف إيمان وهو عند العصاة، أو تعلَّق بالدّنيــا وهو عنــد الغافلين الذين يحبُّون العاجلة . وقد جاء النصّ عامًا ليشمل كلّ هؤلاء .

وجاه ذكر هذه الظاهرة ضمن ظواهر النّفاق لـلإشعار باتّها في الأصل هي من صفات المنافقين، فعلى المؤمنين أن يحدفروها لئـلا تجرّهم إلى النضاق، ولئلا تكون علامة من علاماته فيهم، وكذلك الظاهرتان الثانية والثالثة.

المظاهرة الشانية: انسزعاجُهم وتـذَمَّرهم من إلىزامهم بالقتـال، حَنَى قالـوا: رَبِّنَـا لِم كَتَبَّتُ فَلَيْنَا الفتال؟.

أي: أساكان من الممكن أن تنصرنا على عدوّنا دون أن تُكلّفت قتالـه، فتتركّى أنت إهملاكهم، وهذه مقولة تصلح لأن يقولها المسافقون والشاكّون وضعفاء الإيمان والمخافلون الذين استأثرت بتصوراتهم الحياة الـدنيا، وكذلك من شغلتهم الـدنيا عن طلب الآخرة.

ويبلاحظ أنَّ المطلب هنا مشابه لمطلب يني إسرائيل، إذ قبالُوا لمموسى عليه السلام:

﴿فَأَذْهَبْ أَتَ وَرَبُّكَ فَقَنْتِلآ إِنَّاهَهُمَّا قَنْعِدُونَ ﴾:

ولكنَّه بأسلوب أخر غير مباشر، إنَّه أَسْلُوب المتسائل عن الحكمة.

وقد أجاب الله عزّ وجل عن هذا التساؤل فيما أنزل في سمورة (محمد/ ٧٤ مصحف/ ٩٥ نـزول) التي أنزلت بعد سمورتين من نـزول مسورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٧ نزول) فقال الله عزّ وجل فيها:

﴿ وَلَوْ مَنْكُ اللَّهُ لَا نَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن إِلَيْلُوْلِمُ هَضَكُم بِتَعْفِينً . . ١٠

أي: فحكمةُ الابتلاء في ظروف الحياة السدنيا هي السداعيَّة إلى تكليف المؤمنين قتالَ المشركين، ولولاها لكان أمر الانتقام من الكافرين يسيراً.

أمَّا أسلوب بني إسرائيل فهو حَشِنٌ جافٌ يُمْلِن الرَّفْض بوقاحة.

الظاهرة الثالثة: التُسُويفُ والمماطلة بطلب التأخير إلى أجل قريب، دلُ عليها قولهم:

﴿ لَوَ لَا أَخْرَانَا ۚ إِلَىٰٓ أَجَلِ قَرِبَ ۗ ﴾.

بمعنى: هلاً أُشْرِقُنَا إلى أحل قَرب، والأجلُ القريب الذي يطلبون تأخير الزامهم بالقنال إليه، قد يُعلَّلونه بتكاثر عدد المسلمين، أو استكمال استعداداتهم لمضائلة عدوهم.

برى بعض أهل التفسير أنّ المراد من قولهم هذا تأخيرُهم حتى يموتوا موناً عــاديّاً في آجالهم.

لكنَّ هذا التفسير لا يُناسب الموضوع هنا، ولو كان هــو المـراد لكــان التعبير على نحو: لولا أعفيتنا حتى نموت في آجالنا.

فطلبُ النّاخير تأجيل وتسويف ومماطلة، ولهذا التعبير نظيران في القرآن هما بمعنى التّاجيل لإصلاح الحال واستدراك ما فات:

الأول: ما جاء في سورة (إبراهيم/ ١٤ مصحف/ ٧٧ نـزول) بشأن بيان طلب الظالمين حين يرون نُذُر العذاب النازل بهم، وهي مقدمات ما أنـذوهم به رسـولهم، وهو قول الله عزّ وجل خطاباً لرسوله ﷺ:

﴿وَلَنْدِ النَّاسَ يَوْمَ الْبِيمُ الْمَدَّاتُ فَقَوْلُ الَّذِينَ طَلَمُواْرَاثِنَا أَغِزَا إِلَّ اَكِلَ فِي غِيْدَ دَعْوَكُكُ وَتَنْجَ الرُّسُلُّ أَوْلَمْ يَكُونُواْ أَفْسَمُ مِن فَيْلُ مَالَكُمْ مِن زَوَالِ ﴿ وَسَكَمْ تَمْ فِي مَسَكِ اللَّذِي ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمُّ الْأَمْسَالُ إِلَهِمْ وَسَكَمْ كَلَا الْمُعْمَلُونِهِمْ وَمَثَرُثُنَا لَكُمُ الْأَمْسَالُ ﴾.

﴿مَالَكُم مِن زَوَالِ ﴾:

لى: يُقْسِمُونَ أَنَّهُمْ لاَ يَتَمَرُّصُونَ لإهلاكِ جَمَاعِيَّ عَنَايًا لِهِم، مع أَنَّهِم سَكَنُوا في مساكن الَّذِينَ اهلكوا من قبلهم إهلاكماً جماعياً بسبب أنَّهم ظلموا أنفسهم، كما ضرب الله لهم الامثال من النظالمين الأولين الَّذِينَ أنـّول بهم عقابَهُ فاهلكهم إهلاكماً جماعيًّا. الثاني: ما جاء في سورة (المنافقون/ ٦٣ مصحف/ ١٠٤ نـــزول) وهو قــول الله عرَّ وجلٌ:

﴿وَأَنفِقُواْمِنَةَازَفَنْكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْفِ أَحَدَكُمُ الْمَرْثُ فَيَقُولَ رَبِ اَوْلَا أَخْتَقِعَ إِنَّ أَخْلٍ وَرِبِ فَأَصَّدَوْكَ وَأَكْن مِنَ الصَّيْلِحِينَ۞ وَلَن بُوْخِرَالَّهُ فَفَسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَمَّ وَالتَّهُ خَيِّرُكِمَا أَمْتَمَلُونَ۞﴾.

فهـذا عندما يأتيه الموت، ويُـذَرك أنه نـازل به، وتتكشف لـه أشياه من عالم الأخرة، يدعو ربّه أن يؤخّره إلى أجل قريب فياشر بدلل الصدقات وفعل الصالحات، لكنّ الله لا يستجيب لـطلب، ولا يغيّر سنته في امتحـان عباده، وإنهـاء ظـروف، بحلول الأجل المقرّر للموت.

القضية الثانية:

ما تضمُّنه قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ قَايَمَنَا اللَّهَا قَبِيلٌ وَا لَآخِرَهُ مِّرَائِسَ الْفَقَ وَلاَنْطَلَمُونَ فَبِيلًا ۞ أَيَنَمَا ۚ تَكُولُوا يُدّرِكُمُ المَّرْفُ وَلَوْتُمْ فِي بِمُعِينَّ شَبْيَدُوْ ... ۞ .

في هذا النص يعلّم الله عزّ وجلّ رسوله فكلٌ مؤهّل لتقديم الحجج الإقتاعية من بعده، كيف يقلَّمُ الحقائق الإنتاعية للذين جنبُّوا عن قتال الكافرين حينما أمر اللهُ به، بعد أن كانوا يتظاهرون بالتحمُّس لمقاتلتهم حين كانــوا مأمــورين يكفّ أيديهم، وقــالوا بعد الإذن به ثم الأمر به:

(١) ﴿ رَبَّنَا لِمَ كُنَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْفِئَالَ ﴾؟

(٢) ﴿ لَوْ لَا أَخُرْنَنَا إِلَىٰ أَجَلِ قَرِبٍ ﴾.

وفي هذا النصّ التعليمي توجيه للإقناع بأربع حقائق:

الحقيقة الأولى: أنَّ متاع الحياة الدُّنيا الَّذِي يحرصون عليه متاعٌ قليل:

﴿ قُلْمَنْهُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾.

حين يبحث المنتفكر المجرّب في الحياة النبيا يجدُها مزيجاً من المناعب والآلام والأكدار والمنفصات والكُذُّ والكُذْمِ ولْقَطَاتِ من اللَّذَات وسُحُباً ملونةً بأصباغ جميلةٍ من أحلام الأماني .

أمّا ما فيها من لذَّاتٍ ملتقطاتٍ من مجموع المزيع، فهي لذَّات سريعات عابرات غير مستقرّات، فهي متاعٌ سريع الزوال قليل المقدار.

﴿ مَنْهُ إِنْ الْمَتَاعُ فِي اللَّمَةَ، قال الأرْهَرِيُّ فَأَمَّنَا المَتَاعُ فِي الأَصْلُ فَكُلُّ شَيْءٍ يُشْخُمُ بِهِ، وَيُشَلِّمُ بِهِ، وَيُشَرِّدُهُ، والْفَقَاءُ يَأْتِي عليه فِي الدنيا.

اقول:

جاه استعمال هذه المادة ومشتقاتها في الغرآن زائداً على ستين مرَّة، وكلَّها فيمــا يُتَّنف به في الحياة الدنيا وهو تُعرِّضُةُ للفّناء، وسُرعةِ الزُّوال.

إنَّ الأشياء التي يُنتَفَع بهـا صـائـرة إلى النزوال بين زمنٍ قصيــر وزمن أطول. والاستمتاع بالأشياء أكثرهُ ينقفي في زمنِ قصير يسير.

وقد وصف الله عز وجل الحياة الدّنيا بأنّها مَناعُ الْغُرُور، والْخُرُورُ هو الْخَدْعُ
 والإطْمَاعُ بالنّاطل، فقال تعالى في سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نزول):

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَنعُ ٱلْفُرُودِ ١

ووصف الله عز وجل كل الحياة الدنيا بجانب الآخرة وبالقياس عليها بأنها
 متاع، فقال تعالى في سورة (الرعد/ ١٣ مصحف/ ٩٦ نول):

﴿ وَفَرِحُوا بِلَلْيَوْوَ الثُّنَّا وَمَالَلْيُوَةُ الثُّنَّافِ الْآخِرَةِ إِلَّا مَنَعٌ ١٠٠٠

وانذر الرسول صالح عليه السلام قوت ثمود بعد أن عقروا النّاقة بالعذاب
 النازل بهم بعد ثلاثة آبام وقال لهم كما جاء في سورة (هود/ ١١ مصحف/ ٥٣ نـزول)
 في قوله تعالى:

﴿ فَمَثَوَّهُمَ اَفَقَالَ تَمَتَّمُواْ فِي دَارِكُمْ ثَانَيَةَ أَيَاتُوْ ذَالِكَ مِّدُّ عَيْرُ مَكَّدُوبٍ ﴿ ﴾. فكان بفاؤهم في دارهم في حياة عاديّة ثلاثة أيّام ممّا يصحُ أن يقال بشأنه لهم: وَنَنْظُوا ﴾. فدلَّنَنَا الاستعمالات القرآنية على أن المتاع والنمتَّع والاستمتاع ونحوها تـطلق ويراد منها ما يعقبه الفناء أو هو سريع الزوال.

بخلاف ما في الجنة يوم الدين من خيرات حسانٍ ولذَّاتِ فقد سنّاهُ الله نعيساً مقيماً، وجعل من خصمائص أقسام الجنّـة أنها جُنْـاتُ المعيم، وقال تعالى في سعورة (الإنسان/ ۷٦ مصحف/ ٨٨ نزول) بشأنها:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ فَيِهَا وَمُلَّكًا كَيِيرًا ۞ ﴾.

إن من يؤمن بهذه الحقيفة يزهد في الحياة الدنيا، ويقلُّ تَعلُّقه بها.

الحقيقة الثانية: أنَّ الأخِرَةَ خيرٌ لِمَنِ اتَقَىٰ. أي: من أدَّنَى درجات النَّقوى، باتَقَاء الخلود في النَّار بكلمة التوحيد، حتَّى قمّة المتنين، فقمَّة الابرار، فقمةِ المحسنين.

خَيْر: أفعل تفضيل، أي: اخمير وأحسن وأفضل وأكثر تحقيقاً لمطال النفوس ولذّاتها. والأخَيْرِيَّةُ تشملُ مازاد بدرجّة، ومازاد بدرجات لا تُفَدَّرُ بمقدار، انطلاقاً إلى غير نهاية، وليس في اللّفات كلمات تذلّلُ على ينّب درجات التفاضل، فاقتصر النّصّ القرآئيُّ على التعبير بكلمة خير.

لكن جاء في بيان الرسول ﷺ ما يُصوّر كلّ لذّاتِ الحياة الذّنيا وما فيها من مناع، وكلّ آلامها وما فيها من عذاب، يصورة كاشفة لِقلّرٍ كبير من الحقيقة، فقد روى الإسام مسلم، والإمام أحمد، والنسائيّ والبيهنيّ، عن أنس، أنّ النبيّ ﷺ قال:

رُوْزَىٰ بِأَنْعَمِ أَقُلِ اللَّذِيَا مِنْ أَقُلِ النَّارِ يَوْمَ الْفِيَامَةِ، فَيَصْبَغُ في جَهَنْمَ صَبَغَةً، ثُمُّ يُقالُ لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ، هَلُ رَأَيْتَ خَيْراً قَطْ؟ هَلْ مَرْ بِكَ نَعِيمُ قَطْ؟

فَيَغُولُ: لَا واللَّهِ يَا رَبِّ.

رَبُوْتِي بَأَضَدُ النَّسِ بُوْسًا فِي السَّنْيَا مِنْ أَصَلِ الْجَنَّةِ، فَيُصَّبِّعُ فِي الْجَنَّةِ صَبَّضَةً، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنِ ادْمَ، هَلْ زَايْتَ بُوْسًا فَعَلَّ هَلْ مَلْ بَلْ بَسُنَّةً فَطُّا؟

فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرُّ بِسِ بُوْسٌ فَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِلَّةٌ فَطُّه.

(حديث صحيح)

إنَّ من يؤمن بهذه الحقيقة تهون عنده الدنيا، ويسهل عليه أن يبـذل نفسه ابتضاء ماعند الله من أجر عظيم.

العقيقة الثالثة: أنَّ الجزاء يوم الدين على السيئات بالعدل الربّاني، وأنَّ الجزاء على الحسنات وفعل الخيرات بالفضل الرّباني، لذلك فلا يُظْلُمُ السيئون ولا يُنظلم المحسنونُ شيئاً مهما قلَّ، ولو كان بمقدار أقلَّ الأشياء واسقرها.

دلَ على هذه الحقيقة قول الله عزّ رجلُ: ﴿ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَيِلاَكِهِ أَيْ: ولا تنظلمون يوم الدين، يوم الحساب والجزاء، عند الله ربّ العالمين، شيئًا مهما كمان ضييلًا حفيراً، كالخيط المذي يكون في شقَّ النواة، أو بعقدار سا يفثل الإنسان بين إبهامه وسبّات من وسخ يجمعه ليرمه.

والسبب في ذلك أنَّ الثواب على الحسنات يضاعف أضعافاً كثيرة، وهو في الأصل عطاء بفضل الله، فلا ظُلَّم فيه، أنَّا العقاب على السيئات فيقترن بعفو كثير، والأصل في الجزاء على السيئات هو ما أبانه الله بقوله تعالى في سورة (يمونس/ ١٠ مصحف/ ٥١ نزول):

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيْعَاتِ جَزَّاةُ سَيْنَتَغِ بِعِنْلِهَا وَثَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَالَهُمْ بَنَ اللّ عَاصِيْرٍ... ۞﴾.

إنَّ من يؤمن بهذه العقيقة، يحشى اكتساب السيئات من دركة النفاق إلى دركة المعاصي والمخالفات العادية، ويندفع لفعل المطاعات والصالحات طمعاً بثواب الله عزَّ وجلّ.

الحقيقة الرابعة: أنَّ العوت المعقَّر المقضى بقضاء الله وقدو حثَّمُ لاَ مهوبَ منه ولا مَنْر، ولا يستطيع مخلوق أن يُتَّنيه مهما أنَّخَذُ من وسائل يتصوُّرُها عـاصــةٌ لـه من العوت، كبروج مشيَّذةٍ مُخصَّةٍ صُحِيَّةً صَمَّنَ أمـوارٍ وحُصُون.

وقد جاء بيان هذه الحقيقة في التعليم بقوله تعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْكُهُمْ فِيرُقِع مُشَيِّدَوْ ... ﴿ ١٠

والمعنى: ما الداعي إلى المماطلة والتسويف في موضوع الأمر بقتال أصدائكم، وكلّ إنسان يموت باجله. سراءً أقاتل أو لم يقاتل. إنَّ من يؤمن بهذه الحقيقة يُؤيُّرُ أن يموت شهيداً لينال كرامة الشهداء، وهو خير لمه عند ربّه من أن يموت موتاً عناديًا دون أن يغنم الشهادة وأجرهما العظيم وكرامتها عند الله.

...

الققرة السايمة: تنصَّن بيان ظاهرة من ظواهر الضاق لدى المنافقين، وهي ظاهرة نسبة ما يُصيبهم من حسنة بسبب حُسِّن القيادة والإدارة النبوية إلى محض القضاء والقدر من الله، ونسبة ما يُصيبهم من سيئة إلى سوء القيادة والإدارة النبوية، وتنضمن أيضاً التوجيه الرياني إلى الحقّ في الذي يصيب الناس من حسناتٍ وسيئات.

قال الله عز وجل:

﴿ وَإِن نُصِّبُهُمْ حَسَنَةٌ يَمُولُ اهَذِهِ مِنْ عِندِ القِّرُونِ نُصِيْهُمْ سَيِّنَةٌ يَمُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قَرْيُلُّ مِنْ عِندِا مَقْ خَالِ هُوَلِادَ الْفَرْمِ لَا يَكُادُونَ يَفْتُهُنَ حَدِيثًا ﴾ .

﴿ مَآأَ صَالِكَ مِنْ حَسَنَةِ فِيزَا لَمُؤْمَا أَصَالِكَ مِن سَيِتَعَ فِينَ نَفْسِكُ وَٱرْسَلَنَكَ لِلنَّاسِ رُسُولاً وَكَانَى وَلَقَ ضَهِدًا ﴿ كُلَّا مِنْ الْحَسَنَةِ فِيزَا لَمُؤْمَا أَصَالِكَ مِن سَيِتَعَ فِينَ نَفْسِكُ وَٱرْسَلَنَكَ لِلنَّاسِ رُسُولاً وَكَانَى

إيرادُ هَاتَينَ الآيَتِيْنِ ضِمْنَ مَوْضُوع الدَّمَوة إلى القتال في سبيل الله كما يُلاحظ من سِبَاقِ النَّصُّ وسِناقِهِ، فَبْلُهُما ويَعْدَهُما، ومَا يَبَّرُ فِينْ طواهِرْ هي في الأساس طواهرُ نفاق، وقد نظهر من أهل الشك والرّيب، وقد يَظهر بعضها من ضعفاء الإيسان، ومن أهل الفقلات الذين سيطرت الحياةُ الدُّنيا على أفكارهم وتصوّراتهم مع صحة إيمانهم، يدلُّ على أنَّ هذه الظاهرة التي كشفتها وعالجتها هاتان الآيتان ظاهرة نفاقية تُبرَّزُ عند الحصائل التي تكونُ من التنافي الغربية للمعركة القتالِيّة، في أثناء القتال أو بعد انتهاء المعركة. وهذه الحصائل منها ما يُسرَّ كالنصر والغنيمة، وكلُّ واحدة مما يسرَّ تُسمَّى في اللَّفة: حسنة، ومنها ما هو مكروه كالقتل والجرح والخسارة والهزيمة، وكل واحدة من النُوازل المكروهات تُسمَّى في اللغة: سيئة.

فالمنافقون في حالة ظفر المؤمنين بما يحبُّون من حسنات نُصْر وغنيمة، يقولون:

هذه من عدالله، أي: من محض فضل الله في عطائه، ولم يكن لحكمة السوسول في إدارته وسياسته وقيادته وأمره بقتال العدوُ تسبُّبُ في إكرام الله لهم بالنَّصر والغنيمة.

وهـ أبو في المنافقين بين المسلمين، وهم في يـ باطنهم مشركــون بؤمنــون بالــوبّ الخالق، ويشركون به، ولا يؤمنــون بالـرَسول، نـظير مقـالة المساقيين الملحدين الــفين يجحدون الرّبّ الخالق، إذْ يُقُولُونَ عمّا يناله المؤمنون من فضل الله، هذا قد جــاء على سبيل المصادفة.

والمناففون في حالة إصابة المسلمين بما يكرهون من سيئات قتل ألوَجُرَّح أوخسارة أو هزيمة، بُلُقُون تبعة ذلك على الرسول ﷺ، وأنَّه قد كنان بإدارته، أو قيادته، أو أمره بالخروج إلى قتال العدن، هو السبب فيما نزل بالمسلمين من سيئات يكرهونها.

هـ فنا ما يُدَلُّنُ عليه سباق النَّصَ وساقه، ولا يمنع أن تكون هـ فه الطاهرة من الغاوهر التي تكون هـ فه الطاهرة من الغاوهر التي تكونًه عند نزول الدم والمصائب التي يُسوقُها الله كمما يشاء في عبداده، للابتداء، أو التربية، أو العزاء، فحين تنزل النَّمم، يقول المنافقون، هـ فه من عند الله، أي: هي عــطاء من خزائن ملك الله. وحين تنزل المنافقون مُنظَّرين بالرُّسول ضمَّن خرافة التناؤم بالأشخاص ذوي المصائب، يقول المنافقون مُنظَّرين بالرُّسول ضمَّن خرافة التناؤم بالأشخاص ذوي للمصائب والمحكم: هذه من عندك. أي: من الشؤم الذي هو عنَّـذك. الجالب للمصائب والمحكرة.

وهـذا كلامٌ لا يقـولُه إلّا المشافغون، وأهـلُ الـرّبِ الَّـذِين رَجَحَتُ لَـذَيْهِم كِشُةً التكذيب على كِفّة التصديق.

﴿ وَلَقَدَ أَخَذُنَا مَا لَهُ مِعْوَنَ بِأَلْسِنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الشَّمَرَتِ لَمَلَّهُمْ يَذَّ حَكُرُونَ ۞ فَإِذَا جَاءَتُهُمُ الْمُسَنَّهُ قَالُوا لَنَاهَذِهِ، وَإِنْ تَصِيْبُمْ سَيِّتَةٌ بَطَيْرُولِمُوسَى وَمَن مَعَهُواً لَآ إِنَّمَا طَلَيْهُمُ عِنْدَا فَوَلَائِنَ أَكَمْهُمُ لَابِعَلَمُونَ ۞ . ونتساءل: هل كانوا يواجهون الرَسول 瓣 بقولهم حين تصيبهم السَيَّة: ههذه من عندك؟؟

لدينا احتمالان:

— أرجحهما فيما أرى: أنهم كانوا بفولونها في نفوسهم وهمساً فيما بينهم وهم في مجلس الرسول. فائلة أفاعها وكشفها لرسوله ولسائر منلقي الذكر الحكيم، وأعلمهم بذلك أنَّ ما يُسرُّون به لا ينخى على الله منه شيء، وينضئن هذا الإعلان حجةً عليهم بأنَّ محمداً هو رسول الله حقاً وصِدْقاً، ووسيلةً إقناع لأهل الربي بصدقي الرسول.

ـ الاحتمال الثاني: أن الله يخبر رسوله خطاباً بمضمون ما يقولون في فحيته عنه، وهذا من أساليب الكلام الخبري القائم على إخبار المخاطب على سبيل الخطاب بما جرى الحديث عنه بضمير الغائب، كان تقول لمخاطبك: فلالاً أثنى عليك، فقال: أنت عالم فصح اللسان، شجاع في العق، جواد. مع أنه قال في غيته: هو عالم. . . إلى آخر الكلام.

أمّا موضوع ما ينزل بالناس من حسنات وأي: مِنْ يَغم، وها ينزل بهم من سيئات وأي: من مصائب، فيتعلّق به قضيتان:

القضية الأولى:

هي قضيّة الفاصل الحقيقيّ لما يُتُولُ من يَعَم ومَصَالبٌ، والمسرسل لها من خزائنِ ملكه التي هي عنده في كونه .

ففاعلها جميعاً، ومُرْسِلُها جميعاً من عنده، إنّما هو الله عزّ وجلّ، وذلك إنّما يُتِمُّ بأمره سبحانه، وهو أمر التكوين، لما أراد منا قدّره بمفاديره، وأمضاهُ بقضائه.

ودفعاً للاأتياس والخلط بين الاسباب والمجكم والقبائل التنفيذي الذي هو تكوين لما قضاه الله وقدّو، قال الله عزّ وجلّ مُعَلّماً رسوله فكلّ داع ٍ من يعد، أن يقول للذين قالوا ما سبق بيانه، ولانباههم:

﴿ قُلُكُلُّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾:

أي: كلَّ ما يجري في الكون ومن ضمنه الحسناتُ والسَّيْفات وأي: النَّمْمُ والمصالِّبُ، النِّي تنزل بالعبد هي من عند الله، وظاهرٌ أنها لا تُمُوزُ من حزالِتِه إلَّا بِأَمْرِهِ، ويقضائه وقَدْرِه وإرادته.

وهذه قضية هي من بدهيّات القاعدة الإيمانية، التي جاء بيانها فيما نزل من قرآن طُوال العهد المكّي ونحو ربع العهد المدنيّ قبل نزول سورة والنساء، وجاء بيانهما على لسان الرسول ﷺ خلال هذه المدّة، وكان على الّذين تحدّث الله عنهم بقوله:

﴿ وَإِن تَصِيبُهُمْ سَيِتُهُ يَتُولُوا كَذِهِ مِنْ عِندِكَ ... ١٠٠٠

أن لا تُخْطُرُ على نفوسهم خُواطر الشُّرَكِ السَّبِيِّ، ولا خواطر الشرك الخرافيُّ القائم على التطيّر، لذلك قال الله بشأنهم:

﴿ فَالِ هَا أُلَّهُ الْفَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ١٠٠ ﴾ ١٠.

أي: أيُّ شيءِ ثـابتُ لهؤلاء من انحراف نفسيًّ او خلقيًّ أو فِكُـريًّ حالـة كَـوْنهم لا يَكادُونَ يُفْقَهُونَ خَدِيثًا؟!

﴿ لَا يُكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ :

أي: لا يُقْتَرِبُون من فقه حديثٍ ما، والذي لا يقتـربُ من الشيء، لا يتصف به، ولا يَذْخُل في حدوده.

الفقه: هـــو الفهم العميق لــــلأشياء، وللنصـــوص، وعــدم الاكتفـــاء بـــالإدراكِ السطحيّ .

والمعنى أنّ هؤلاء يدركون من الأحاديث سُطُوحَها الظاهـرة، ولا يُكلُفونُ أنفسهم إعمال أفكارهم لفقه دلالاتها العميقة، فيقعون في أغاليط فكرية، ينشأ عنها مثل الـذي مُبُّرُوا عنه بقولهم السابق بهانه.

ولــو فقهوا لأدركــوا أنّ الشيء يُنسَبُ إلى فاعله الحقيقيّ نسبة الفعل والتكــوين، ويُنسَبُ إلى غير فاعله الحقيقيّ لملاقة ما من العلاقات، كأنْ يكــون مو السّبب، أو هـــو المقتضى، أو من أجله فُعِل، ونحو ذلك. فيقال: هذا السارق قطع يد نفسه، أي: كنان السبب بقطع يمده. ويقول الرجل لمطلقته التي ردّهـا: أولادي منك هم الـذين ردّوك إليّ، أي: من أجلهم أرجعتك إلى عصمتي، وهكذا.

وهنا تظهر لنا القضية الثانية:

القضية الثانية:

هي قضية نسبة الفعل أو الحدث أو الشيء إلى من كنان هــو السبب الــداعي لوجود، أو من أجله أو لمصلحته أوجده مُــوجدُه أو جلبــه، وأتى به، أو لامـــٍ ما يتملّق به، كانتحانه، أو تربيته وتأديم، أو ثوابه أو عقابه.

وبياناً لهـذه القضية الثـانية مقــارنة بــالقضيّة الأولى، قــال الله عزّ وجــل لرســوله، ويقاس عليه سائر الناس:

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةِ فِيزًا لِلَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيْسَتَةٍ فِينَ نَفْسِكُ . . . ﴿ ﴿

أي: كلُّ الحسنات وهي النَّعَم ، التي تُصيبُكَ فهي عطاءً من فضل الله ليس لك تَسَبُّ فيها.

وكسلُّ سيِّسَةٍ تُعِيسِّكُ فهي بسبب أو مُقتض أو داع من تقبيبك، والنَّفُسُ هي الكاسبة، فإذا كانت السبة الاحتمان والإبتلاء، فاختبار نفسه هو الداعي، وإذا كانت للتربية والثانيب، فهما المقتضي، وإذا كانت للجزاء نفسه الكاسبة هي السبب. فكون ما أصاب الإنسان من سيِّقةٍ هو من نفسه، ينبغي أن يُقهم على هذا، فالإسناد ملاحظً فيه هذه العلاقة، لا الخلق والتكوين والإيجاد. فعلمننا الله عز وجبل بهذا أن التُحذَفُ يُنْسَبُّ إلى مُسَبَّه، ويُسب إلى من كان لمصلحته، أو من أجف، أو لأمر ما يتعلنُّ به.

وإدراك هذه النسب في النصوص بحسب العلاقات بحتاج إلى فقه، وهمو الفهم العميق الذي لا يقتصر على السطوح، بل يكون فيه تمثّق وتُذبّر.

ولمَّـا كانت مشالة المنافقين والشاكّين التي عـرضها النَّص إنمـا قـالــوهــا بسبب تكذيبهم الرسول وعدم تصديقهم برسالته، وَاسَىٰ الله رسوله بقوله له:

﴿ وَأَرْسَلْنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُفِّي وَأَقْوَ شَهِيدًا ١٠٠

أي: لئن كذَّبك أوشكَ فيك هؤلاء القلَّة من المنافقين وأهل الرّبيب، فأنت لست رسولًا لهم فقط، ولا رسولًا للعرب فقط، بل أنت رسول من الله للناس جميعاً.

وإنْ كنت تحتاج من يشهد لبك بأنبك رسولُ حقَّ وصدق، فَكَفَىٰ بـاللَّهِ شهيـداً يُشْهَدُ لك بذلك.

والمعنى: الم يشهد لك بأنّك رسولُه، عن طريق معجزة القرآن، والمعجزات الاخرى التي أمدّك بها، وما اتاك من تابيد ونصرٍ مبين، وما سيُؤتيكُ من معجزات وتأبيد ونمّذٍ وفتح في البلاد والعباد وتمكين.

. . .

الفقرة الثامنة: تتضمّن بيان أنَّ طاعة الرّسول من طباعة الله وخطاباً للرّسول بأنَّ من تـولَى عن طاعت، مديراً ظهره الواسره ونواهيه، فعلى الـرسـول أن لا يهتمّ لـه، ولا يشغل به باله، فإنَّ الله لم يُرْسِلُه حفيظاً على الناس، ضابطاً لهم عن الانحـراف، وماتماً لهم من النُّولِي عن الخـروج عن الصراط.

وفي هذا ترجية وتربية لكل داع إلى دين الله وصراطه المستقيم من بعده، أو آمر بالمعروف ناه عن المنكر، إذ هم ليسوا مسؤولين عن حفظ الناس على النزام صراطه، إنما هم مسؤولون عن الدعوة لمن هم خارج الصراط، وعن الأمر بالمصروف والنهي عن المتكر لمن هم داخله، ومحاولة إلزامهم الصراط ما أمكن عن طريق اختيارهم الحر.

قال الله عزّ وجل:

﴿ مَّن يُعِلِمِ الرَّسُولَ فَفَدْ أَطَاعَ اللَّهُ وَمَن تُولَّى فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ١٠٠٠.

في هذه الأية قضيَّتان:

القضية الأولى:

أنَّ طاعة الرسول في أوامره وتواهيـه هي من طاعـة الله، والسبب في ذلك أنَّ الله عَرُوجلَّ قد أمر بطاعته دون قيد، لأنَّه قد عصمه جلَّ وعلا في قضايا الدّين عن أن يامُـر بشيءٍ نهى الله عنه، أو ينهى عن شيءٍ أمر الله به.

وهذه القضية واضحة من صيغة الشرط والجزاء في قوله تعالى:

﴿ مِّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهِ ﴾.

وقد جاء النَّصَ عامًا في الرسول، فلم يقل الله لرسوله: من يطعك فقد أطاعني. للدَّلالة على أن صفة الرسالة تفتضي هذه الطاعة. فهي إذَّ تَشْسَلُ كُلُّ رَسُّول، فيلتقي النَّصَ هنا مع قوله تعالى في النَّصَ السابق له من سورة (النساء) نفسها:

﴿ وَمَا آَزُسُكُنَا مِن زَّسُولٍ إِلَّا لِيُعْكَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ٥٠٠

ويزيد عليه فكرة أنَّ طاعة الرسول هي من طاعة الله.

نضية الثائي

انَ الرسول لم يُرْسِلُه الله حفيظاً على الناس، إذن فهو ليس مسؤولاً عن تولّي من تولّى منهم، ويُفيدُ ذلك لزوماً إشعارَهُ بأن لا يهتمّ لمن يتولّى منهم، ولا يشغلُ به بالله .

دلُّ على هذه القضيَّة قوله تعالى:

﴿وَمَن نُولَى فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾.

تُولِّي: أدار ظهره وانصرف، وهذا إنما يفعله الكافرون، والمنافقون.

حفيظاً: الحفيظ هو السوئل بالشيء المؤتمن عليه ليحفظه وهو وفعيل؛ صيغة مبالغة لحافظ. فالحفيظ على الشيء هو العسؤول عن سلامت، والمكلف أن يمنعه من الخروج عن موقع سلامت، ويمنع عنه ما يُفُسُرُ سلامت، كالحفيظ على الأسوال في مخازنها، والأنعام والخيل ونحوها.

لكنَّ الرسول مبلِّع للناس دين الله ، وهادٍ رداع ومرشد، ولم يُجْمَلُه الله عليهم حفيظاً، حَمَّىٰ يكون مسؤولاً عند الله عن تولِّي من تولَّى منهم، أو إدبار من أدبسر، أو إعراض من أعرض وعرِّض نفسه لعذاب الله .

وإذْ لم يجعلُه الله حفيظاً عليهم فمن الخير أن لا يشغـل قلبـه ونفـــه بـالـــذين يَتَوْلُونَ، وعليه أن يهتمَّ بوظيفته التي كلّفه الله إيّاها. وإذا كان الرسول كذلـك فالـدعاة من بعـده هـم أجدر بـأن يكونـوا غير مسؤولين عـمّن تولّى، لأنّ أقد لم يجعل أحداً حقيظاً على الناس.

وقد جاءت هذه الفقرة تمهيداً للفقرة التالية لها.

* * *

الفقرة التاسعة: تتضمَّن بَيَانَ ظاهرةٍ من ظواهر الفساق لدى المستافقين، وهي ظاهرة إعلان طاعة الرسول في أواموه ونواهيه في وجهيه، فإذا خرجوا من عنده وخلوا بعيدين عن الرَّقياء، بَيْتَ طائفة منهم الممصية والمخالفة صع ما يبيَّدون من أمور كيديّة الحرى.

وهذه الظاهرة هي من سمات المنافقين مع قــادة مــن دخلوا فيهم نفاقــاً، وهي سمةً متكرّرة فيهم.

وتتضمّن أيضاً بيان ما ينبغي للرسول ﷺ أن يفعله إذا اكتشف هذه المظاهرة، ويقاس على الرسول كلّ قائد للمسلمين من بعده.

وتتضمّن توجيهاً إفناعيًّا للمتنافقين بعبدُق الرسول، عن طريق خفَّهم على تدبُّر القرآن ليدلموا أنّه كلام الله حقّاً وصدقاً، وإذا كان صو كذلك فعبَلَتُه عن ربّـه صادق لا محالة في أنه رسول الله.

قال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَيَقُولُونَ مَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوامِنَ عِندِكَ بَيْتَ طَآفِةٌ ثِيْتُهُمْ غَيْرَا لَذِى تَقُولٌّ وَالتَّهَ يَكْتُبُ مَا يُنَيِّبُونٌ فَأَعْضِ عَنْهُمْ وَقَوْلًا عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِالْفُورِكِيلًا ﴿ ﴾ .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرُونَ ٱلْقُرُونَ الْوَكَانَ مِنْ عِندِ عَيْرِ أَنَّو أَوْجَدُوا فِيهِ أَغْيِدَنا فَاكْثِيرًا

في هذا النصّ ستُّ قضايا:

(١) بيان الظاهرة النفاقية، وهي التضاد بين إعلان الطاعة وتبييت ما يضادها.

 (٢) وبيان أنها معلومة اله، وأنَّ الله يكتب عليهم ما يبيتون، ومن الكتابة ما تقرم به ملائكة تسجيل أعمال العباد في الكتب والصحف.

- (٣) توجيه الرسول للإعراض عنهم، وعدم الاهتمام بهم، وكأنَّ شيئاً لم يكن.
 - (٤) توجيه الرسول للتوكُّل على الله وتفويض أمرهم إليه .
 - (٥) بيانَ أنَّ من توكَّلُ على الله ضمن حدود أوامر الله ونواهيه ووصاياه كفاه.
- (١) حض المنافقين بأسلوب الحديث عن الغالب على أن يتدبروا القرآن ليعلموا أنه كلام الله ، مع لفت النظر إلى أنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً عن الواقع والحق، واختلافاً كثيراً بين بعض نصوصه وبعضها الاخر، فإذا ثبت لليهم أنه كلام الله ثبت لديهم أن ميلفه عن ربه هو رسول الله حقًا وصدقاً.

وتفصيل هذه القضايا فيما يلي:

القضية الأولى:

قال الله عزَّ وجلُّ في بيان هذه الظاهرة النفاقية:

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً هَإِنَا بَسَرُدُواْ مِنْ جِندِكَ بَيْتَ طَآيِفَةً مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُّ ... ۞﴾.

جاه بيان هذه الظاهرة ضمن الظواهر النفاقية التي تبرز عنـد الدعــوة إلى القتال، للإشـعار بأنّ ظهورها عند هذه المناسبة هو الأكثر والأغلب، وهو الذي يلفت الأنظار.

ولكنّ للنصّ دلالةً عاشّة تشمَلُ مُناسَباتٍ أُخْرى، كمناسبات الأمر بالإنفاق في سبيل الله، والأمر باللحوة إلى دين الله، والأمر بكتسان أسرار المسلمين عن أعدائهم، إلى غير ذلك من أمور تُهمُّ المسلمين بصفةٍ عامة.

وقد دلُّ قولُه تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةً ﴾:

على أنَّ قولهم ﴿طَاعَتُهُ سَبَوقَ بِتَكَلِفَ مِن الرسول بأمر أو نهي، مثل: استمدُوا لقتال العدّو فإنَّا خارجون لملاقاتهم، فيقولون: طاعة، مع من يقول ذلك من المؤمنين الصادتين.

وطاعةً؛ خبرٌ لمبتدأ محذوف، تقديره: أمرُنا طاعةً.

﴿ فَإِذَا بَسَرَثُوا مِنْ عِندِكَ ﴾:

جاه استعمال فعل ﴿ بَرْزُوا﴾ هنا، وجاه استعمال فعل ﴿ خَلُوا﴾ في النصّ الـذي في (البقرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ نزول) بشأن المنافقين:

﴿ وَإِذَا خَلُوا إِلَّ شَيَطِينِهِمَ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ . . ٥٠

وفي النصّ الذي في سورة (آل عموان/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) بشانهم ابضاً: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمُ قَالُوا اَمُنَنَا وَإِذَا خَلُوا عَضُوا عَلَيْكُمُ ٱلأَنَاهِلَ مِنَ ٱلْفَيْقِذَ . . . ﴿ ﴾ .

مع أنَّ الهدف من الاستعمالين واحد، فهل هو مجرَّد تنويع في التعبير؟

بالتأمل والتفكّر يظهر للمنذبر أنّ فعل ﴿ يَرُوا﴾ الذّال على خروجهم إلى الفضاء الواسع الخالي من الشجر ونحوه، بدين عن الرقباء والعيون الرواصد، هو الأليق هنا، لأنّ الموضوع يتناول غالباً الأوامر التي تتعلّق بموضوعات القتال، وهي قد تكون أوام صادرة خارج حدود البلد، والمحكانُ الخالي الذي يمكن أن يُبَيّتُ المنافقون فيه أمراً مخالفاً لما أعلنوا الطاعة فيه، هو وألبّرازه أي: الفضاء الواسع الخالي من الشجر ونحوه، ليكونوا في بعيدين عن الرقباء، وهذا من المنتَّة العجيبة في انتقاء الألفاظ الفرامع ما متعمالاتها.

ومتابعة للدّقة التمبيريّة الذّالة على معانٍ مقصودة جاء استعمال فعل ويَّتَ، في النصّ، الذّال على أنّ ندبيرهم يكون في «النّراز» من جهة اختيار المكان، وفي اللّيل من جهة اختيار الزمان، فالنبيتُ هو الندبير أو العمل في اللّيل، ويشمل هذا النبيتُ معصيتهم لما أعلنوا المطاعة فيه، وتدييرً أمورٍ أخرى تهدف إلى إحباط أعمال المسلمين، ونصرة أعدائهم عليهم.

ومن الدقة أيضاً عدم التمميم بـاستعمال كلمـة وطائفـّـة الدالة على أنَّ بعضهم يفعل ذلك لا جميمهم، لكن الظاهرة هي من ظواهر المنافقين التي قد يُصررها النصاق في سلوك الناس.

القضية الثانية:

أنَّ هذه الظاهرة النفافية معلومة فله عـزَّ وجلَّ، وأنَّ الله يكتُب عليهم مـا يُبيِّتون،

فقال تعالى في النص: مع كرية هـ مرود

﴿ وَٱللَّهُ يَكُنُّتُ مَا يُبَيِّتُونَّ ﴾

وظاهر أنَّ الحدادثة لا تُكتَبُّ من قَبَـل الحكيم العليم إلاَّ وهي معلومة لـه، فدلَّت الكتابة على العلم لزوماً.

لكن قد بغال: لقد سبق في التنزيل القرآني قبل هذا النصّ ما يدلً على علم افه بأعمال العباد، وعلى أن ما يعملونه يُسجُّل عليهم في صحف أعمالهم، فما اللذي أضافهُ النصّ هنا في هذا الموضوع؟ هل هو مجرَّد التأكيد والتنبيه على هذه الحقيقة من حقائق مراقبة أعمال العباد؟

اقىول:

إنَّ بيان أنَّ الله يُخْتَبُ مَا يُبَيِّتُ المستافقون من أسور مضادّة لإعمالان الطاعة الذي كان منهم في مجلس الرسول، عند عرض هذه الظاهرة، يضمَّن إلساحاً بتهديد خاصً هو الازم فكريُّ لترجيه العناية لكتابة ما يُبيِّتُون تباعاً، دون إمهال تُتْرقُبُ فيه النوية، هذا التهديد الخاص يُمْجُن إدراكُ استنباطاً، وهو أنَّ الله عزَّ وجلَّ سيُحْبِطُ ما يُبَيِّتُون، ويَرُدُّ عليهم مكرهم وكيدهم، إذا مكروا مكراً أو كادوا كيداً.

ويؤدّي هذا التهديد غرضين:

المغرض الأول: إلفاء الرعب والتخاذل في قلوب المنافقين.

الغرض الثاني: كُدَّمَانَّةَ قُلْبِ الرسول والمؤمنين بان الله مُحْجِعَّ كيد السنافقين، فُلْمِستمروا فيما هم فيه، ولا يُكُنُّ ما يُبَيِّت المنافقين سيباً في إقلاقهم وإلشاء الـوهن والتخاذل في قلويهم ونفوسهم، وجامت القضيّة الثالثة مرتبةً على هذه الطّمانة.

القضية النالشة :

وهمي توجيه الرسول ﷺ للإعراض عنهم، وعدم الاهتمام بهم، وطسرح القلق من جهتهم، دُلُ عليها قول الله لرسوله:

﴿ فَأَعْضَ عَنْهُمْ ﴾ :

أي: أعطهم عارضك وجانيَكَ إشعاراً بأنَّك عارفٌ بما يُبيتون، كارهُ لما يفعلون، غيرُ مكترث لمكرهم وكيدهم.

ولا بدَّ أن نفهم أنَّ الإعراض عنهم وسيلة إبجابية تـربويـة بالنسبـة إليهم، وليس إهمالًا لهم ولا تهاوناً بأمرهم.

فإنَّ هذا الإعراض يُشْعِرهم بصخارهم، ويأنهم مكشوفون، ويُلقي في قلوبهم الرعب والوهن، ويجعلهم بين المسلمين كالمنبوذين الذين يكرهُ الرَّسُول النظر إليهم، فتخاذل عزائمهم عن تنفيذ ما يُنُّوا، إذَّ لدركوا أنهم صاروا تحت العراقية والمحلسبة، فهم لا يستطيعون النحرَك يحريّة المطمئن على سعلامة نفسه، الواثق من أنَّ الْمُيُونَ لا ترصُّمُه، وأنَّ أصاله ستحقق غاياتها.

وما هو توجيه للرسول هو نـوجيه لكـل قائـد للمسلمين من بعده، مـا لـم يكن من خصوصيات النبوّة والرّسالة.

القضيّة الرابعة

وهي توجيه الرسول للتوكّل على الله، بقول الله تعالى له:

﴿وَتَوَكَّلُءَكَىٰ اللَّهِ ﴾ .

لمَّا تَضَمَّنُ الترجيم الإعراض عن المنافقين، خَدَمَ اتخاذ أعمال فيها محاسبةً لهم، ومكاشفةً لهم بعا يغعلون، إذ يلزم من ذلك معافيتهم بصراحة، أو وضعهم موضع الأعداء الصرحاء، وهو أمرَّ منافِ للحكمة الإداريّة والسياسيَّة، اقتضى الأمر الإشعار بأنَّ الله عزّ وجلَّ هو المذي يتولَّى إحبَّناظُ ما يَيْشُون مكراً وكِيداً، ولكنَّ شرط ذلك مع تنفيذ الإعراض عنهم صلفَّ التركُّل القلبيَّ على الله، قامر بالتركُّل عليه،

واقتضى التنوجيه للمتنوكُّل على الله تُقَـديمَ الوعـد بأن يكفي الله من تنوكُلُ عليـه ما أهَمُّه، فجامت الفضيَّة المتالية تُلمح إلى هذا الوعد.

القضية الخامسة:

وهي بيان أن من توكُّل على الله كفاه، بقول الله تعالى:

﴿ وَكُفِّن مِا لَّهِ وَكِيلًا ﴾:

أي: ومن كان الله عزّ وجلّ وكيلًا عنه، يتولّى أصره فيما هــو وكيل عنـه به، فــأنّه لا بدّ أن يكفيه كلّ ما يُهمُّهُ تـعقيلُه في ذلك الأمر.

وقىد دَلَتنا النصوص القرآئيّـة المبنيّّة في سور متعدة على أنَّ الشوكّـل على الله وظيفة قلبيّة إيمانيّـه , يجب أن تكون ضمن حدود أواسر الله ونواهيـه ووصايـاه، وضمن يُتخذ الاسباب التي أمر يهما .

> وألمح قول الله تعالى: ﴿ وَكُفِّنَ بِأَلْلَهِ وَكِيلًا ﴾ .

الى وعدٍ من الله بأن يكفي من تــوكُل عليــه، مع قيــانه بــمـا هو مـطلوب منه دون تهاون ولا كسل ولا نفريط.

القضية السادسة:

وهي حض المسافقين بالسلوب الحديث عن الغنائب على أن يتندئبروا القرآن، ليشَلُمُوا أنَّه كلام الله، وتنزيلُ من للنه حقاً وصدَّقاً، مع النَّبيه على أنَّ الفران لوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، أي: اختلافاً بيت وبين الواقع والحقَّ، واختلافاً بين بعض نصوصه وبعضها الاخر، فقال الله عزّ وجلًا:

﴿ أَفَلَا يَنَدَبُّرُونَ ٱلْقُرْءَانُّ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِغَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْفِلْنَا فَاكْثِيرًا ١٠٠٠

وفي هذا الحضُ عودٌ بهم إلى القاعدة الإيمانية التي لم تكتمل في فلويهم، فهم لم يؤمنوا بَعْدُ بصدقِ الرسول محمَّدﷺ، ولا بصدق بلاغانه عن رَبَّه، ومنها القرآن.

فضد لهم المهد المبارّب أعلى صدق الفرآن، وصدّق رسالة الرسول، ولكن إدراكهم الهذا الدليل البرهماني ينطلب أن يجتهدوا في تدبُّر الفرآن، وتغهُم ولالات، فأنهم إذا فعلوا ذلك ادركوا أن مطابق للحق والواقع في كلّ قضاياه، وأدركوا أن نروله منجماً مفرقاً لم يؤثر على وحدته وتكامل المخالق فيه، وادركوا أنه لو كان من أوضاع البشر، ومن تأليف الناس وصناعتهم، لوجدوا فيه تناقضات بيه وبين الحقّ والواقع، ولوجدوا فيه تناقضات بين بعض نصوصه المتقدمة نزولاً، وبعض نصوصه المتأخرة نزولاً، ولا سيما التي بينها أزمان تُقدّر بسين. إُنهم لمو تدبَروه بإنصافي وتجرُّر من سوابق الرفض، لموصلوا إلى الاقتناع بأنه كتـابُ من عند الله ، وحين يصلون إلى هـذه الحقيقة ، يتقلون تلفائناً إلى الاقتناع بأنَّ محمّداً رسول الله حقًا وصدقاً.

ثم إذا كمانت لمديهم إرادة الاعتراف بـالحقّ آمنوا، وصدّقــوا في إســلامهم، وتخلّصوا من رجّس النفاق، أو من رجس الرّيْب والشك.

ويُعلَّمنا الله بهذا الأسلوب الإنساعيّ أنَّ العلاج بينني أن يكون بالمرجوع إلى مواطن العلل في الجذور والأصول والقواعد الأولى، ولا يكون العلاج من الفروع صع فساد الجذور والأصول والقواعد، إنَّ الْعِلَلُ بجب أنْ تُعالَّجْ من مواطنها.

﴿ أَفَلاَ يَتَذَبُّرونَ ﴾ : حضٌّ على النَّدبَّر، والندبُّر تفكُّرُ دقيق عميق تُلاَحظ فيــه العواقب بيصيرة، حتى الاطراف البعيدة التي يَذُلُّ عليها النصّ.

والاختلاف: يشملُ التناقضُ والتضادُ، فالمختلفان في اللَّمَة هما اللَّمَان قد لا يكون بينهما التلاف ولا النَّماق، وهذا المعنى اللَّمَوي غيرُ المعنى الاصطلاحي عند علماء المنطق والاصوليين، اللَّين يجعلون التخالف هو التغاير بين معنيين، مع إمكان اجتماعهما وإمكان ارتفاعهما في شيء واحد.

وقد جاء خطأبهم في الآية بأسلوب الخطاب بفسير الغائب سلائماً للوصية الله لرسوله بالإعراض عنهم، ففي المواجهة بخطاب الحاضر إقبال يشعر بالرضاء أمًا الخطاب بفسير الغائب فيُشيرٌ بالإعراض وعدم الرضا.

. . .

الفقرة الماشرة: تتضمّن بيان ظاهرة من ظواهر الضاق لدى المنافقين، وهي ظاهرة إنشاء أمور المسلمين، وإذاعتها ونشرها، من أمور السُّلم والحرب، لأنهم لا يشعرون في أنفسهم بالولاء للمسلمين، فهم لا يهتمُون لكتمان ما يضرّ المسلمين إذاعت.

وهذا يشمل كلّ القضايا، ولكنّه في قضايا الحرب أشدّ خطراً وأشدّ ضرراً، فجاء بيان هذه الظاهرة ضمن الـظراهر النفـاقية التي نبـرز عند الـدعوة إلى الفتـال وبعده، للإشعار بأنَّ ظهورها عند هذه المناسبة شديد الخطورة، وقد يجلب شرَّاً كبيراً لجماعـة المسلمين، وللمصالح الإسلامية.

وقد تُوجد هذه الــظاهرة عنــد أهل الشــكّ والرّبيب وضعفــا؛ الإيمان، وعنــد أهل الخفّة والطيش، ومن لا بصيرة لهم بعواقب الأمور.

وتتضمَّن هـذ الفقرة أيضاً التوجيه لما يجب على جمهور المسلمين أن يقعلوه بالنسبة إلى قضايا المسلمين العامة، من أمور الأمن والخوف دأي: من أمور السُلم والحربه.

قال الله عزَّ وجلِّ:

﴿ وَإِذَا بَمَا اَحُمُ أَمْرُتِينَ الْأَمْنِ اوَالْخَوْفِ اَدَاعُوا بِدْ وَلَوْرَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَت أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ اللَّهِمُهُ الذِّينَ يَسْتَلْبِطُونُهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لاَفْضُلُ اللَّهِ مَلَيَكُمْ وَرَحْمَنُمُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطِلانَ إِلَّا قَلِيهِ لاَ ﴾ .

في هذه الفقرة من النصُّ ثلاث قضايا:

(١) بينان الظاهرة النفاقية، وهي الشُنرُّع إلى إقشاء أمور العسلمين وإذاعتها ونشرها، تعلَّلاً بالرَّغبة في المشاركة في الأمور العسامة، أو غفلة أو غباء وسوء تقدير لعواقب الأمور من قبل أهل الخفة والطيش من السواد العام.

 (٢) التوجيه لما يجب على جماهير العسلمين بالنسبة إلى القضايا العامة التي تُهِمُّ العسلمين، وتنعلق بمصالحهم العامة من أمور السلم والحرب.

(٣) بيان عناية الله بالمسلمين تُجاه أهذه الظاهرة الخطيرة، التي من شأنها إفسادُ
 أمور المسلمين، وإشباط أعمالهم الإسلامية، وهذه العناية الربانية تتناول أمرين:

الأمر الأول: فَشَلُ اه عليهم بالحماية والحفظ، إذْ يَكُفُّ بَفِضله السنة المؤمنين عن المشاركة في نشر ما يجب كتمانه من معلومات، ويُلْجَمُهم عن التسرَّع في التأثر بالإشاعات والإرجافات المذاعة بينهم.

 مُّتَدارَكاً بما يقي من الآثار الضارّة لجماعة المسلمين، وأعمالهم الإسلامية.

القضيسة الأولى: قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا جُمَّاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِدِّ . . . ﴾ .

الضمير في ﴿وَإِذَا جِاءَهُمْ ﴾ يصودُ على من جرى الحديث عنهم في النصّ وهم المنافقون، وهم المعنوُّون بالمدرجة الأولى، وقد يُلتَّنُ بهم في بعض الطّلهمرات التي هي من صفاتهم أساساً من هم لم يصلوا إلى دركة النصّاق، كأهمل الريب والشـك، وضعفاء الإيمان، وقد يتأثر ببعض أخلاقهم بعضُ المؤمنين من أهمل الخفة والـطيش الذين ينخدعون بشياطين المنافقين الذين يتظاهرون بأنّهم مؤمنون مسلمون.

وفعل وجاء قد توسّع العرب في معناه حتى صار يشمل كلَّ ماتَّتِي ومعنوي انتقل إلى مكان لم يكن فيه، فبالتوسع يقال: جاء الخبر، وجاء الأمر، وجماء الخوف، ونحـو ذلك.

﴿ أَمْرٌ يُنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِدِّ. ﴾:

أي: أثَّرُ ما على وجه العموم من أمور الأمن، التي يعبَّر عنها في متعارف عصرنا اليوم وأمور السّلم، أو من أمور الخوف، التي يُغَبِّر عنها في متعارف عصرنا اليوم وأمــور الحرب.

ودنً إطلاقً كلمة دامره بالتنكير الذي يفيد هنا التعبيم، أو يفيد أمه أمرً دُر أهمية، على أنهم يُسَارِعُون إلى تلقُّب الأمور المهمة من أخبار والنهاء وأحداث ووقائع، فيليعونها ويشرونها، ويتحدَّثون بها، ويحاولون التدخل فيها، والمشاركة في حلها، إظهاراً للاهتمام بها، والحرص على مصالح المسلمين العامة. فيتخذج بهم بعض العامة من غيرهم فيشاركونهم في الإذاءة والنشر، ومحاولات التدخل في الأشر لمطرح الأراء والمقترحات، ومعالجة مشكلات بصورة غوغائية، تسمح للمنافقين باستغلال المشاركات الغوغائية للإضرار بالمسلمين، وسالمصالح الإسلامية، وتمكين أعداثهم من تحقيق بعض أغراضهم، وأخطرها الأمور المتعلقة بقضايا الخوف والحرب مع الأعداء. وجاء البدء بـذكـر والأمن، في النصّ لأنّ أزمان السّلم أكثر وأطول من أزمان الحرب، على أن من أمور السّلم ما يكون في إفشائه خطر جسيم، ونفع للعدوّ عظيم.

> القضيّة الثانية: قال الله عزّ وجلّ:

فال الله عز وجل: ﴿وَلَوْرَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَنْهِلِ ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَمَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُلونَهُ

بين ٠٠٠

دل التعبير بفعل وزفوه على أن المسؤول عن النظر في الأمور العامة ، التي
تتعلق بالمصالح العائد الإسلام وجماعة المسلمين ، هو الرُسُولُ عند إمكان الردّ إليه
بوصفه إمام المسلمين واقتلدهم وصاحب إدارتهم وسياستهم في حياته ، فإنّ لم يمكن
الرّة إليه لِنْها السكان ، أو لأن الرسول قد انتقل من الحيابة الدنيا، فالردّ يكون لأولي
الأمر من المسلمين ، لانهم هم المسؤولون عن النظر في الأمور العامة ، الإدارية
والسياسية والحربية وفير ذلك ، وليس من حقّ جمهور المسلمين الترشرة ببحث الأمور
المهمة، ونشرها وإذاعتها ، أما تقديم المشورة لأولي الأمر بطريقة لا إذاعة فيها
ولا نشر، فهو من حقّ أهل الكفاية لتقديم المشورات النافعات ، من قبل كسل
المسلمين .

ودلُّ قولُه تعالى بشأن أولي الأمر من المسلمين:

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنَاجِطُونَهُ مِنْهُمٌّ ... ﴿

جواباً للشرط في : ﴿ وَلُوْ رَدُوهُ على انْ الامر الذي يقوم المنافقون ومن معهم بإذاعت، هو من الامور المهمّة المشكلة التي تتطلّب استبياط الحلول لمعالجتها، دفعاً للمخاطر، وجلباً للمنافع، وتحقيقاً للعمل الأفضل الذي يتنج خيراً لـلإسلام والمسلمين، ويكون أقرب لمرضاة الله، ولوفق لمصالح المسلمين.

ونلاحظ أن جواب دلوء في حالة الرة إلى الرسول مطويٌّ في النصّ للعلم به، ويمكن تقديره كمنا يلي: لكفي المسلمين ما أهمهم منه، بالنوحي، أو يحسن إدارته وسياسته ومشورته لأهل الرأي من أصحابه. أمًا في حالة الرّة إلى أولي الأمر منهم، فقد جداء حوله البيان المذي يتضمُّنُ توجههاً لاولي الأمر الاعلين، بأن يستشهروا أهل السراي والاختصاص المذين يستنبطون الحاول المناسبة لمعالمجة الأمر الطارى، والذين يدخاورنفي عمرم أولي الأمر من المسلمين.

ونستطيع أن نستخلص من هذه القضية ما يلي:

(١) على المسلمين أن يردّوا الأمور المهمة العامة إلى الرسول في حياته، فهو
 صاحب الحق فيها، والمسؤول عن معالجتها، وسيجدون لديه الحلول المناسبة لها.

(٣) على المسلمين أن يردّوا الأمور المهمة العامة بعد الرسول إلى أولي الأسر منهم، فهم أصحاب الحق الإداري فيها، والمسؤوليون عن معالجتها. وفقهم من هذا أن أولي الأمر هم قادة، ومجالس شورى، فالقادة هم السلطة العليا الأمرة، وأعضاء محالس الشورى هم السلطة المشيرة ذات المشورة الإلزامية (١).

القضية الثالثة:

قال الله عزُّ وجلُّ:

﴿ وَلَوْلَافَضَلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَنُهُ لِأَنَّهَمْنُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ١٠٠٠

في هذه الفضيّة يخاطب الله عامّة المؤمنين محذّراً إيّاهم من أن يتأثّروا بـوساوس ودسائس العنافقين، المدين يتحرّكون في طاهـرات نفـاقهم متّبـين الشيـطان، المـذي يستخدمهم لإفــاد أمور المؤمنين المسلمين، والإضرار بهم، وبرسالة الإسلام.

ولمًا كان هؤلاء المنافقون مداخلين مخالطين. ومجهولي الهويَّه بالنسبةُ إلى عامة المسلمين، كان لحركاتهم الشيطانية تأثير بين المسلمين صابقي الإسلام.

لكن الله عزّ وجلّ لمّا أمر بالإعراض عنهم، ولم يأذن يحربهم ومعاقبتهم وطردهم من صفوف المسلمين، حتى يُذان من يُذانُ عنهم، بما يُرجب محاسبته ومعاقبت يبجّرم مشهور، كان من حكمت عزّ وجلّ أن يتداوك عامة المؤمنين بأمرين:

الأمر الأول: أن يتفضل عليهم فيحفظهم من التأثر بطائفة من مسائس المنافقين، التي هي في الحقيقة أتباع لأوامر الشيطان، إذ يكشف لهم بما يُشاة من سُبب خطر

 ⁽٩) ينظر تفصيل هذا الموضوع في الفصل الثاني من كتاب وكواشف زيوف في المداهب الفكوية
 المعاصرة، للمؤلف ولا سيما ما في الصفحة (٢٩٦٦).

ما يكون من هؤلاء وضرّوه، ولو كنان مع ظلّهم أنّهم مسلمـون اجتهدوا فناخطؤوًا. فهم ربّما لايعتبرونهم منافقين، ولكن لا يَتّبعونهم، إذّ يعلّونهم مخطئين، وهمـذا من فضل الله على المؤمنين، ومن معونته لهم.

الأمر الثاني: أن يرحمهم بالعقو والمغفرة، فيأذا تأثّر بعضهم بيعض دسائس العنسافقين عن ضعف أوغفلة، تـدارك الله بــرحمت فعفًـــا وتحفّر، وحمَّى العــــلـــين والإسلام، من أن يكون لتأثرهم كبير خطر أو ضرر.

ولــولا هذان الأمــران: فضلُّ الله على المؤمنين، ورحتُّ بهم، لكان للمتنافقين تأثير كبيــر على جمهور المؤمنين إلاّ فليــلاً منهم، فأتبـــوا بهذا التأثير الشيــطان، فنزل بالمــؤمنين بلاء عظيم، وخطر جـــيـم، وتمـكن أعـداؤهم منهم.

ويدل هذا على أنهم إذا مكتُوا المنافقين من أن يَنُوا دسائسهم ووساوسهم في صفوفهم، فتأثروا بهم تأثراً عاماً، إذْ لم يكن فيهم نسبة كافية معن هم أهلُ لأن يحضظهم الله بما يصطيهم من رُشيد ويصيرة، بسبب ارتضاع درجهم في الإيصان والإسلام، فإنَّ البلاء العظيم والشرّ الجسيم واقع بهم لا محالة، بسبب المسافقين، الله الفلين يجملونهم بوساوسهم ودسائسهم بيَّمون الشيطان.

هـذه المفهومـات قد دلاً عليهـا نصّ هذه القضية دلالة دقيقة عجية، من العسيـر إدراكها، لولا مراعاة قاعدة وحـدة النصّ، وضرورة البحث عن روابـطه، مع الاستعـانة بالله وفتح منه سبحانه.

لكن بعد اكتشافها وعرضها تُصْبِح واضحةَ الروابط، سهلةً قريبةَ الْمُذْرُك.

قال الله عزَّ وجل:

﴿ فَقَنِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلَّا فَسَكَ أَوَحِنِ الْقُوْمِينِّ عَسَى الْقَالَ يَكُفُّ بَأْس الَّذِينَ كَثَرُواْ وَالْمَهُ السَّدُّ بَالْسَا وَاشَدُّ نَكِيلًا ۞﴾.

في هذا النص بيان وظيفة إمام المسلمين وقائدهم الأعلى، بالنسبة إلى مهمة القتال، بدءاً بالرسول ﷺ فمن بعده من أنمة المسلمين وقادتهم.

لقد ظهر اننا أن موضوع النص بفترات كلها يدور حول قتدال من تدعبو الضرورة أو الحاجة إلى قتالهم من أعداء المسلمين من أهـل الكفر، ودعوة الذين امنوا إلى أن يأخذوا جذرُهم ويتمُروا إلى قتال عدوَهم، وكشف الظواهر النفاقية من تخاذل وتلبيط، وتضاد بين ما يُخلِئون من طاعة وما بيتون من أضدادها، وتشكيك في الرسول، ومحاولات بتّ القلاقـل والفتن بإذاعة الأمور المهتمة العامة المتعلقة بشؤون السلّم والحرب.

يعـد كلّ ذلك كان لا يدّ من تحديد وظيفة إسام المسلمين وقبائـدهم الأعلى، وما هي مسؤوليته، وكان لا يدّ من إطماعه وإطماع الذين آمنوا معه برجاء أن يمدّهم اله بنددٍ من عنده، وأن يكون معهم، فيكفُّ عَنْهُمْ بأس الذين كفروا.

فاشتملت هذه الآية الختامية من هذا النص على خمس قضايا:

القضية الأولى:

أمر الله الرسول (وكذلك كل إمام من أثنة المسلمين من بعده) يأن يقائل في سبيل الله، باعتبار الرسول أوَّلُ المسلمين المكافين المطالبين بما يطالب به عامة المسلمين، وكذلك ينبغي أن يكون الأثنة من بعده، فقال الله عزَّ وجلُّ:

﴿ فَقَائِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾:

أي: حينما تنوافر الدواعي للقتال. وتنهيّا أسبابه وشروطه. فالأمر بالقتال يتناول أوّل سا يتناول إمـانَهُم وقائدُهُم الأعلى، وهو الـرسول في حيـاته، فـإمامُهم الأول من بعده.

ولم يُطلق اله عزَّ وجـلَ الأمر بـالقتال، بـلْ جعَّله مُقَيِّداً بـان يكـون في سبيله،

وسبيل الله في القتال مُبيَّن في عدة نصوص من القرآن الكريم.

الفضية الثانية

بيات أن إمام المسلمين وقائلهم لا يعصل من مهمة الفتال الفعلي أكثر من الزام نفسه، لأن الإنسان مهما بلغت مكاته الإدارية والسياسية في الناس، فإنّه لا يملك إلاّ نفسه، إذن فهر لا يكون مسؤولاً عن وزر غيره، مهما كان من أقرب الناس إليه، إلاّ أن يكون متأثراً به، فيحمل وزر تأثيره فيه، وهذا من عمله، دون أن يُعفَقَف خُملُه هذا من مسؤولية من تأثّر به عما فعل بإدافته.

فقال الله عزّ وجل لرسوله:

﴿لَاثُكُلُفُ إِلَّانَفْسَكُ ﴾:

لي: لا تُكَلَّفُ نَشْنَ غيسرك، والمعنى: لا تُكَلَّفُ إِلَّا إِلْسَرَامَ نَـَفْسِـك فـفط دون غيرك، فاقيم المضاف إليه مقام المضاف الذي حَذِفَ إيجازاً، والمعنى يقتضيه بداهة.

القضية الثالشة:

تكليفُ الرّسول (وكذلك كلّ إصام من أثمة المسلمين من بصده) أن يحرّض المؤمنين على القتال (أي: الذي وُجدت دواعيه وتوافرت شروطه وأسبابه). والمراد من القتال هو القتال في سبيل الله، لأنه هو الذي أمر الله به رسولًا في صدر الآية.

والتحريض كما سبق بيانه هو الحث وإثارة الحماسة بتحريك الدوافع وإلهاب الحميّة.

ولمَّا كانت مُقَاتَلَةُ المؤمنين للكافرين من مرتبة البَّر، بحسب مقتضيات الموحلة التي نزل فيها النصّ، وليس من مرتبة التقوى، قال الله لرسوله:

﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ولم يقُلُ له: وكلّف المؤمنين، أو: وأَمُّر المؤمنين. فما هو من مرتبة التغوى التي يَعْجِي مخـالف تكاليفهـا، يكون التكليف فيه بالأمر والإلزام، ومـا هو من مرتبة البـرّ والإحسان يكون التوجيه له بالعثّ والتحريض، وشدّة الترغيب.

بالزام، وهذا بثُلُّ أمره إلزاماً بقيام اللَّيل، أما المؤمنون فدعوتهم إلى الفتال هي من درجة التحريض والحت والنرغب دون تكلف إلزاميّ، فتنالهم إذا قاتلوا هو من مرتبة المبرّ أو مرتبة الإحسان، وهما فوق مرتبة التقرى.

وهل نقيس أثمة المسلمين من بعد الرسبول على الرسبول في هذا، أوهم مثل سائر المسلمين؟

الجواب يحتاج بحثاً متأنياً طويلًا، والمسألة من المسائل الاجتهادية.

القضية الرابعة:

ترچِيَّةُ الله عـرُّ وجلَّ الرَّسولُ والـذين أمنوا أن يككُّ يفضله عنهم بـأسُ الـذين كَفُرُوا. أي: إذا قاتلوا في سبيل الله، ضمن حُدودِ أحكام دين الله ووصايـه، فقال الله عرَّ وجل عقب الفضايا الثلاث السابقة:

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفُّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾:

وغسى، فعل جامد معاه العربجي. وقد حصل الله كثّ بأس الدين كفروا على سبيل الترجية، لا على سبيل الموعد المجزوم به، لأنّ الموعد المجزوم به يَسَطَلُبُ شروطاً، على المقاتلين من المؤمنين أن يحققوها بإراداتهم في انفسهم وأعسالهم، وهذا أمر متروك لحرّية المكلفين، ولمّا لم يشتمل النفسّ هنا على ذكر هذه الشروط، كان المناسب الاكتفاء بالترجية هنا.

أمّا في سورة (محمد/ ٤٧ مصحف/ ٩٥ نزول) التي نسزلت بعد (النسساء) بسمورتين، فقد جماء فيها الموعد مجزوماً لأنّ جاء جزاء لشرط يحقّقه المؤمنون في أنفسهم، فقال الله عزّ وجلٌ فيها:

﴿ يَتَأَيُّ الَّذِينَ مَامَنُوَّ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَصُرُكُمْ وَيُثِيِّتْ أَفَامَكُونِ ﴾.

وهم لا ينصرون الله إلاً إذا النزموا بما أمر الله به ونهى عنه في كلِّ ما يتعلَّق بقتال الكافرين، باعثًا، وشروطاً وأسباباً وغاية.

وَكُفُّ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا يكون بـإحباط أسبـابهم القتاليَّة، وتــوهين قــواهم في

حربهم للّذين أمنوا، وإفساد خططهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وضسوب قلوب بعضهم ببعض، وغير ذلك.

القضية الخامسة:

ختم النص بالنبيه على جزئيّة من جزئيّات القاعدة الإيمانية، ذات صلة بالنرجِيةِ التي أطمعهم الله بها، فقال الله عز وجلّ:

﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسَا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿ ٢٠

أي: اشدُّ باساً منهم ومن كلّ ذي بـأس. واشدٌ عقـاباً وادعـاً من كل ذي عقــاب إدع.

والتنبيه على هذه الجزئية تَسْزُلُ يُراد منه التَّلُويعُ بَهديد الكافرين، مع طَفَأَتُه المؤمنين، حول موضوع القتال بينهما، وذلك لأنَّ من بيده مُلكُ الساوات والأرض وهو على كلَّ شيء قدير، وإنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، هو أسمى من عبارة: واشدُّ بأساً واشدُ تنكيلاً، بحسب صفة قدرته الفادرة على كلَّ شيء. لكنه تعالى لا يُطْمع المؤمنين في تأييده ونصره بكامل قدرته، إنما يطمعهم منها بمعونة هي أشدُ بأساً من بأس عدوهم، وأشدُّ عقاباً وتنكيباًك، وهذا المقدار يكفي لتهديد الذين كفروا، وبهذا ينحقن المقصود هنا والله أعلم.

. . .

النصّ السادس عشر وهو من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) سادس سورة مدنبة الأيسات مسن (٨٨ ـ ٩١)

حول السياسة التي ينبغي معاملة المتافقين بها بحسب اختلاف أحوالهم

قال الله عزّ وجلّ فيها:

﴿ فَمَا لَكُوْفِ لَلْنَفِهِ فِنَ فِتَتِنِ وَلَقَهُ أَوْكَسُم مِنا كَسَيَوا أَوْلِدُونَ أَن تَهِ دُوامَن أَضَا اللَّهُ وَمَن صَلَيْكُ وَلَا تَكُونُونَ كَلُمُ وَلَا تَكُونُونَ كَلَا كُوُوا وَتَكُونُ وَلَا كَالَا وَلَا مَن الْمَالُولُونَ كَلَا لَهُ وَلَا الْمَلْوَلُونَ مَن الْمَالُولُونَ مَن الْمُعْلَمُونُ مَن الْمَالُولُونَ مَن الْمُلْكُونُ مِن مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ وَلَا مَن اللَّهُ اللَّهُ وَلَا مَن اللَّهُ اللَّهُ

(1)

ما في النصّ من القراءات المتواترات (من الفرش)

ني الآية (٩٠):

(١) ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ خَصَرْتُ صُدُورُهُم ﴾: قراءة جمهور الْقُرَاء [خَصِرَتْ]: أي:
 حالة كونهم قَدْ خَصِرَتْ صُدُورُهم على أَخَسَنِ وُجُوه الإعراب.

(٢) [أو جاءوتُمْ خصرةَ صُدُورَهُم]: قراءة يعقُوب فقط، أي : ضيئة صُدُورُهُمْ، على الحال أيْضاً، والفراءتان متكافئتان في الإعراب والمعنى، أمّا عدم وجود حرف وقدة قبل جملة الحال المصدّرة بالفعل المماضي، فهو من الأدلّة التي تشهد لمرأي الكوئين والأخفش من البصريين القمائلين بأنّه لا يشترط، لكثيرة وروده في لسان العرب. واشتراطمُه دَفَعَ بعض أهل التأويل إلى أن يتكلفوا تأويلات في الآية تَتُحرُّج بالنّص عن دلالته التي تُذرَّدُ بالبداهة لدى تلاوته مترابطاً.

ومعنى: [حَصِرَت صُدُورُهم]: صَاقَتْ صَدُورُهُمْ. الْحَصَـرُ: ضَرّبُ مَنَ الْعِيَّ في اللّسَان، وضِيقُ الصَّدْر، يُقَالَ لُغَةً: حَصِرَ يَحْصَرُ فَهُوَ حَصِرُ.

۲)

موضوع النَّصَّ وما وَرَدَ في سَبَب نزوله

تدرر آيات هذا النَّص حول بيان السياسة التي يَنبغي للمؤمنين معاملة المنافقين بها، بحسب اختلاف أحوالهم داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه.

فالذين هم ضمن المجتمع الإسلامي مخالطون مـــــااخلون يعـــاملون بمقتضىٰ السياسة التي عاملهم بها الرسول ﷺ، وجاء بيان أطراف منها في نصوص متعدّدة.

والـذين هم خارج ديـار الإسلام، يعاملون بسياسة مختلفة، بحسب اختـلاف أحـوالهم، وقد جـاء في هذا النصّ تفصيل هذه الأحـوال، وبيان السياسة التي ينبغي أبّـاعها في كُلُّ حالةً.

وما ورد من سبّبِ النُّزُول يُساعِدُ على فهم دلالات آياتِ هذا النص.

ما وردِ من سبب النزول

 (1) روى البخاري رمسلم والإمام أحمد عن زيد بن ثابت (والفظ ما عند الإمام أحمد) أن رسول الله ﷺ، خبرج إلى أحمد فبرجع نباس خوجوا معه، فكمان أصحاب رسول الله فيهم فرقتين:

- ـــ فِرْقة تقول: نَقْتُلُهُمْ.
- وفراقة تقول: لاء هم المؤمنون.

فَأَمْوَلَ اللَّهُ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمَنَافَقِينَ فَتَدِينَ. . . ﴾ فقال رسول الله 鑫:

وأيَّمًا طبيَّة، وإنَّهَا تَشْيَ الْخَبَّتُ كما يُنْفِي الكيرُ خَبَثَ الْمُعْبِدَء. أي: إنَّ المدينة طبَّة، لا تقبل الاخباث دواماً في أوضها، وإنَّها بما تتعرَضُ له من تطهير تنفي الاخباث منها، كما ينفي كبر الحدَّاد خَبَثُ الحديد بحرارته وجَمْره ومطارِق الحدَّاد على الحديد الذي يُحْمَى في، فلا ضَيَّر من إغضاء النظر عن المنافقين المخالطين المداخلين فيها. مؤمَّاً، حَمَّى تأتي أحداثَ جَمْريَةً تَضْبِه، وتَبْعِدُهم عن مجتمع المسلمين فيها.

وقد ذكر ابن إسحاق في موقعة أحد، أنَّ عند الله بُن أَبَيَّ ابن سَلُول، رَجْع بِمِثلُو بثلث الجيش، منخذلاً عن رسول الله ﷺ وعن المؤمنين، رَجْع بشلائمـــائـة، وبفي النبيِّ ﷺ في سَبِّمالة.

(٢) وروى ابن أبي حاتم عن العوفي عن ابن عباس، أن الآية نمزلت في قوم
 تكلموا بالإسلام (أي: أعلنوا أنهم أسلموا، ولكنهم بقوا في مكة مع المشركين بغير
 إذن خاص من الوسول، ومكة يومثر قد كانت دار حرب بالنسبة إلى المسلمين).

قال ابن عباس: وكانوا ينظاهرون المشركين، فخرجوا من مكّة ينطلبون حاجةً لهم، فقالُوا: إنْ لَقِينا أصحاب محمّد فليس علينا منهم بأسٌ (أي: بسبب إعلائهم الإسلام، فالمسلمون يعتبرونهم منهم فلا يتعرّضون لهم بأذيّ).

وإنَّ السؤمنين لمَّا أُخْيِروا أَنهم خرجوا من مُكَّـة، فالت فته من العؤمنين: اوكيوا إلى الجبناء فاقتلوهم. فإنَّهم يظاهرون عليكم عَشُوكم. وقائثُ فِثَّ الْخَرَىٰ من السؤمنين: شُبِّحانَ الله (اوكما قبالوام: اتَقْتُلُونَ قَبُوماً قَبْدُ تَكَلُموا بِيشْلِ مَا تَكَلُشُمْ بِـهُ*! من أَشْل أنُّهم لم يهاجِروا ولم يتركُوا ديارَهم نَسْتَجلُّ دِماءهم وأموالهم؟!

فكانوا كـذلك فتتين، والـرّسولُ عنـدهم لا يُنْهَىٰ واحداً من الفـريقين عن شيءٍ. فَتَرَلَّتُ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمَنافَقِينَ فَتَتَيْنَ . . . ﴾ .

ورُوي قريبٌ من هذا عن أبي سلمة بن عبد المرحمن، وعكرمة، ومجاهد والضّحاك، وغيرهم.

وتردُّدَتُ أقوال أهمل التأويل في اعتماد السرواية الأولى الأصحّ التي جاءت في الصحيحين، ورواها الإمام أحمـه. واعتماد السرواية الأخسرى، إذَّ في النصّ ما يلائمها صراحةً، وهو قوله تعالى فيه:

﴿ فَلَا تُتَخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهُ ﴾.

أقول:

بـاستطاعتـــا أنَّ نفهم النصَّ بطريقـة تلاثم الــروايتين معاً دون إشكـــال. وسيــاتي تفصيلها إن شاء الله, لدى ندبَّر فقرات النصّ.

....

المفردات اللَّغوية في النَّصَّ

﴿ فَمَا لَكُونِ فِاللَّنَا فِقِينَ فِتَنَّيِّنِ ﴾؟:

أيْ : أيُّ شيءِ حصل لكم أَيُها المؤمنون، في شأن المنافقين حالة كونكم افترقتم فيهم فرفتين؟

﴿ فَمَا لَكُونِ إِلَّا نُنَفِقِينَ ﴾:

﴿مَا لَكُمْ ﴾ مبتدًا وخبر، بمعنى: أيُّ شيءٍ حصل لكم، ﴿في المنافقين﴾ أي: في شان المنافقين، وهو متعلّق بما تعلّق به الخبر.

﴿ فِقَتَانُو ﴾:

أي: حالة كونكم فتتين. الفشة: الفرقة والطائفة، أصل الكلمة كما قال

أَبُنُ بَرَي: وَفِئُوهُ والسّاءُ عـوضٌ عن الـواو، وهي من وفَأَزْتُ؛ أي: فـرُقْت، لأنّ الفشة كالمبرقة.

ولفظ وفتتين، حال من ضمير المخاطبين في الخبر.

والاستفهام في الجملة يتضمّن معنى الإنكار على المؤمنين، في افتراقهم بشأن المنافقين فرقتين، إذْ كان المفروض أنْ لا يفترقوا، لوضوح أمر المنافقين الذين أظهروا بما كسبوا ما يدلُّ على ردّتهم عن ظاهر إسلامهم، وارتكاسهم في الكفر الذي دلَّ عليه سلوكهم، فأجرى الله سنّته فيهم فاركسهم بما كسبوا، ومكّنكُمٌ من أن تحكموا عليهم بهذا الارتكاس.

﴿أَزُّكُ مُهُم ﴾:

أي: ردُّهُمْ على أعقابهم ونُكِّسَهُمْ، فقلَبَهُمْ على رؤوسِهم.

الرُّكُسُ: ردُّ أَوْل الشيءَ على آخِره، وفَلِّهُ على راسه. يُقَالُ لغة : رَكَسُهُ يُرُكُسُهُ رَئْساً، فَهُو مَرْكُسُ وَرَكِسُ، ويقالُ: أَرْكُسَهُ يُرْكِسُهُ إِرْكُاساً، ورَكُسَهُ يُرَكُسَهُ، بمعنى رَهُ على غَهِه، ونَكُسُهُ

والمرأد أنّهم كُنِّهوا إلَّماً عظيماً دَلَّ على حقيقة كفرهم بعدْ ظاهر الإسلام الذي أعلنوه بالستهم، فَسرَدُهم الله بسبب ذلك على أعقىابهم متقلبين، مُنكَّمِين تتكيساً معنوناً، فهم بسبب ذلك تجري عليهم أحكام الكافرين، بما شرع الله للمؤمنين من أحكام إدانة بالكفر، استناداً إلى ما كان منهم من كُسبٍ إجراميّ.

﴿ فَلَا نَتَّخِذُ وَأُمِنْهُمْ أَوْلِيَّا ۗ ،

أي: فلا تُشَجِدُوا منهم جماعة تُضافُونهم، وتنبادلون معهم الودّ والتعاون والأعمال الأخوية التي يتوَلَّىٰ بها بعض الجماعة عن بعض أمورَهُ أبَناً مطمئتاً، غُيِّرُ حَلِيْرِ مِن الْفَلْدِ والخيانة .

﴿ فَإِن تُوَلَّوْاً ﴾ :

أي: فبإنْ أَذْمِرُوا وابتَصَدُوا ولم يعملوا بمقتضى الإمسلام الـذي أعلسوه، ومنـــه المهاجرَةُ من دار الكفر، وتركُ مظاهرة الكافرين المحاربين.

﴿ يَنْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيشَقُ ﴾ :

الميثاق والموثق: الْعَهْد، وجمعه مواثيق.

﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾:

أي: ضاقت صدورهم. التحصر في اللغة: ضِيقُ الصَّدْو، وضَرْبٌ من البي في اللّمان، يُقالُ لغة: حَصِرُ يشمرُ فَهَرَ حَصِرٌ.

﴿ كُلَّ مَارُدُّوۤ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾:

أي: كُلُما رُدُّوا إلى اختيار صـدق إسلامهم الـذي أعلنوه، بمـا يخالف رغبـاتهم وما يَهُوَوُن.

﴿ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾:

أي: نُكِسُوا في الفتنة، إذْ يظهر من سُلوكهم حقيقة كفرهم.

﴿ وَيُلْفُوا إِلَيْكُو ٱلسَّلَمَ ﴾:

السُّلُمُ: الاستسلامُ والانقيادُ، وهو مصدر يقع على الواحـد والاثنين والجميع إذا وُصِفَ به الاشخاص.

وْحَيْثُ ثَقِقْتُمُوهُمْ ﴾:

أيْ: حَيْثُ ظُفِرْتُمْ بهم، وقدرتُمْ على الإحاطة بهم.

* * (£)

مع النُّصُّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ فَمَا لَكُرُ فِي ٱلْمُنْفِقِينَ فِقَتَتِي وَأَلَّهُ أَزَكُسُهُم بِمَا كُسَبُوّا ﴾ ؟ ! .

يخاطب الله عزّ وجلّ بهذا المؤمنين من أصحاب الرسول الذين اعتلفوا في شأنٍ المنافقين، الذينَ كان مِنْهُمْ كَسُبٌ من عَمَل ِ ظَاهِرٍ يَذَلُّ عَلَىٰ أَنْهُمْ مُنَافِقُونَ غيرُ صدادقين في إعلانهم الإسلام. فمنافِقو المدينة انخذلوا عن الرسول ﷺ في معركة أحُد، بقيادة كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول.

ومنـافقـو مكـة الّـذين أعلنـوا إسـلامهم، ولم يُهـــاجــروا في سبيــــل الله، إيشاراً لـمصالحهم، فقد ظهر من أعمالهم الدّالة على نفاقهم، أنهم كانوا يظاهـرون المشركين.

فاشترك هذان الفريقـان في ظاهـرة متماثلة، وهي ارتكـابهم من الأعمال مـا يدلُّ على حقيقة نفاقهم، إذَّ كان عملهم من قبل الخيانة العظمى للمُسلمين، التي لا تظهـر غالباً إلاّ من الكافرين، وهي خللُ المسلمين، ومظاهرةُ أعدائهم الكافرين المحاربين، الماملين على إلعاء الإسلام، وإذاء المسلمين.

ولمّا كانت هذه الظاهرة السلوكيّة ذاف دلالة راضحة على أن مرتكيبها متافقون، غيرٌ صادقين في إصلائهم الإسلام، كان مقتضى الاستدلال بالنظواهر يُشَندُهي أن لا يفترق المؤمنون في الحكم على أصحاب هذه النظاهرة، بل كان عليهم أن يكونوا مجمعين على الحكم عليهم بالنفاق، إذّ أسر الخيانة العنظمي آتي تعرّض الإسلام والمسلمين لإلناء الوجود، أو استعلاء الكفير والكافرين في الأرض، ليس من الكبائر التي قد يسقط بها المؤمنون في كُثل مجتمعة، فاجتماع فرينٍ على ارتكابها يدلُّ على كُفْرِهمْ في الباطن.

لذلك وجَّه الله عزَّ وجل التلويم للمؤمنين بأسلوب الاستفهام الذي يحصل معنى الإنكمار عليهم، وهذا الإنكمار هـو في الجفيقة سـوجّـه للفشة التي حــاولت أن تبـرّـى» المنافقين من الإدانة بالنفاق، أي. بأنهم في باطن أمرهم كافرون غير مؤمنين.

وأبان الله عزّ وبحلَّ سبب توجيه لهذا الإنكار للفتة الني حاولتُ تبرئتهم وإيجادُ معاذير لهم، وهو ألهم ارتكُسُوا بمنا تُسَيُّوا مِنْ خيانة عنظمي، إذَّ إنَّ هذه الكبيرة ذات دلالة واضحة على ارتندادهم عن ظاهر الإسلام إلى ظاهر الكفر، والله في أسكام شريعته قد مكن العومنين من أن يستندوا إلى الظواهر للحكم على اليواطن.

فمن سجد للصنم وعَبْدَه حكمنا عليه بالشرك، ومن ألهان كتاب الله وداسَهُ أودسَه في القاذرات عامداً متمدًاً باعتباره الحرّ، حكمنا عليه بالكفر والرّدَة، وإذا اجتمع فريق من المسلمين على مظاهرة الكافرين ضدّ الإسلام والمسلمين حكمنا عليهم بالـرّدة عن الإسلام، وعاملناهم معاملة المرتدين الكافرين .

وعبارة:

﴿ وَاللَّهُ أَرْكُ مُهُم بِمَا كُسَبُواْ ﴾.

التي هي جملة حاليَّة وتُشِير إلى حالة المنافقين، تُدُلُّ على قضيُّتَيْن:

القضية الأولى: أنَّ السنافقين كسبوا إنَّماً عظيماً من سستوى الكبائر العظمَىٰ الدَّالة على ردَّتهم عن ظاهر الإسلام الـذي يُقلِنُونه، فردُّهُم الله به إلىٰ الكفر، وجعلهم منكَّسين تنكيماً معتوياً، إذ كشف بما جَنُوا وأَجْرَلُوا انتكاسهم، في مجرئ مقاديره.

كذلك كل مَنْ أَسرَ شَرّاً فلا يُدّ أَنْ يعمل عملًا أو يتضرّف تصرّفاً يُظهر الله به ما أخفى مِنْ شَرَ.

الفضية الثانية: أنَّ الله وضع للمؤمنين فيمنا أنزل على وسوله قنواعد يستطيعون بمقتضاها أن يحكموا على مَنْ عمل أعمال الرَّدَة بالارتباد عن الإمسادم، وأنَّ يحكموا على من عبل أعمال الكفر بالكفر، وأن يحكموا على من عمل أعمال الفِسْق بالفِسْق، وهكذا، وهذه الأحكام أحكامُ أنذن الله بها للمؤمنين، فهي منه سبحانه.

إِذَنَّ: قَمَنَ أَرْكُسُهُ اللهُ في أحكام شريعته بِمَا كَسَب، فعلينا أَنْ نُـرُكِسُهُ، فَنَحُكُمَ عليه بالارتكاس، أي: بالرَّدَة والانقلاب منكَساً.

قول الله عزّ وجل:

﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَحِبَدَ لَهُ سَيِيد كَ ﴿ ﴾.

استفهام يحمل معنى الإنكار أيضاً صوبّح للفشة التي حاولت من المؤمنين تبرئة المنافقين المعنيين في النصّ كما ورد في سبب النزول.

والممنى: أتريدون بفتواكم التي قدّمتصوها أن تحكموا بالهداية لمن حكم الله عليهم بالفسلالة ، وأنزل إليكم القواعد التي تبيّن لكم إدانتهم بالكفر ، وتـدُلُكم على أنّ ظاهر إسلامهم إنّما هو نفاق؟! فالحكّم لهم بالهداية حكّم على خلاف الأسس التي شرعهـا الله فيما أنـزل على رسوله، وعلى خلاف قواعد الأحكام بين العباد.

وجاه استعمال التعبير بالإرامة دون الرّغبة أو الـودّ، لأنّ ما كـان من هذه الفشة قد اقتمرن بسلوك ظاهر، ولم يقتصر على حركة داخلية نفسيّة.

ودلَ الفعل المضارع [أتُريدُون] على تكرّر هذه المحاولة منهم، والمجادلة من أجل تبوئة المنافقين من الإدانة بالرّدّة والكُفر.

وأبيان الله عزّ وجلّ لهذه الفئة أنّ حكمهم بالهداية للمنافقين المعشين لا يفع هؤلاء المنافقين شيئاً عند الله ، ولا يكون سبيلاً لتجانهم عنده تبارك وتعالى ، فمن حكم الله عليه بالضلالة فأصله ، فل تُجدّ له _ يَا مَنْ تُسَاعِرُهُ وَيُحْرِصُ على نجاته وهدايته _ سبيلاً لهدايته ونجاته عند ربّه ، فما الحكُم الشافع عند الله إلا له وحده لا شريك له ، أمّا فضاوى المخلوقين في براءة الفسائين والحكم لهم بالهداية فهي لا تغيي شيئاً عند ربّ العالمين ، فقال تعالى :

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ إِنَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

أي: ومن يحكم الله عليه بالضلالة بسبب ما هو عليه من ضلالة فلن تُنجِذُ له ــيا من تبريد الحكّم لــه بالهــداية ـــ سبيــلا كي تجعله عنــد ربّـه مُهــَدِيّـاً من أهــل الإيمــان والنجلة.

قول الله عز وجل:

﴿ وَدُّواْلَوْ تَكُفُرُونَ كَمَاكَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾.

أبان الله عزَّ وجلَّ بهذا صفة من صفات المنافقين النفسيَّة، تُجاه المؤمنين، وهي حركةً نَفْسُ لا يُعْلَنُونُها، لكِنُّها تُفْمَلُ في داخلهم عَمَلها.

والمعنى: ودّ المتناففون مُتَمَنِّين أن تكَفُّروا أنتم آيها المؤمنون المذين تدافعون عنهم كفراً باطناً، كما كفروا هم في قلوبهم مع تـظاهرهم بـالإسلام نفـاقاً، فتكونوا مباشرةً مُثْلُهُمْ في حالَّي الباطن والظاهر، وعندثلةٍ ينهيًا لهم أن يتخلَّموا من النتـاقض بين الظاهر والباطن، فيما ينكم وينهم. ويعجبني هنا من كلام النحاة اعتبار ولوه مصدرَّبةً، ولكِنْ مع بقناء معنى التمني الذي تدنُّ عليه كلمة ونُوه أحياناً.

وجاء استعمال التعبير بالودّ هُنا لأنَّ ما هو عند السنافقين تجاه المؤمنين قد اقتصر على حركة نفسيّة قلبيّة داخليّـة، ولم يكن له اثـر في سلوك عمليّ ظاهـر، على خلاف ما كان من الذين دافعوا عنهم من المؤمنين.

* * *

قول الله عزّ وجلً:

﴿ فَلَا نَتَّخِذُ وَأُمِنْهُمْ أَوْلِيَّاهَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهُ ﴾ :

أي: فَلا تَتَجْدُوا أَلَها العَوْمُـون من العنافقين عُصْبةُ ذَاتُ وُدُ لَكُمْ تُصَافُونُهُمْ
 وتَبَادُلون معهم التَّعاون والأعمال الاتحويّة التي يتولَّى فيها بمسكم عن بعض أموره أمناً
 معلمتُنَّا، غَيْرَ حَلْدٍ من الغَدر والخيانة، فالطنافقون خويةً غير مأسونين على مصالح العؤمين، وهم ليسوا مؤهلين لهذا الإحاء الذي يكون معه تباذل الولاء.

وفي هـذا النَّهِلِ إشارةً إلى احتمال أن يكون بقَناعُ من دافعَ عنهم من العؤمنين متأثّراً برُغَةِ أنَّ تكون لهم عندهمْ يِذَ، حَثَّى يكونوا اولياء لهم، يحققون لهم مصالح، ويتبادلون معهم العناف، ويتعاونون ويتناصرون فيما يينهم.

هُنا نتوقَف قليلًا عند نهاية قول الله عزّ وجلُّ:

﴿ فَلَا نَتَّخِذُواْمِنْهُمْ أَوْلِيَآهَ ﴾:

ولدى مراجعة النصّ من أوّله، وإمعان التنبّر، يبدو لنا أنّ الله عزّ وجـلّ نحدّث أوّلاً عن قسمين من المنافقين، هما:

ــ الذين انخذلوا عن الرسول ﷺ في أُحُد من أهل المدينة.

ـــ والـذين أعلنوا الإمـــلام من أهل مكّحة، ولم يُهاجــروا، لكتُهم صاروا بــوالون المــــركــين ويظاهـرونهم، ولــم يكن بشاؤهـم في مكّة بتوجيــه من الرســـول، ليكونـــوا عــونـــاً للمسلمـين على عدّوهـم.

هذان القسمان يجمع بينهما أنَّ المؤمنين افترقوا في أمرهم إلى فتتين:

(١) ففئة قالت: هؤلاء منافقون، ظهر من أعمالهم ما يَدِينهم بالكُفر.

 (۲) وفقة قبالت: هم مؤمنون، قيد تكلموا بمثل منا تكلمتم به، فجمع الله عزَّ وجلَّ البيان بشأنهما فقال تعالى:

﴿ وَمَا لَكُونِهِ ٱلنَّمُوفِينَ فِتَدَيْنِ وَاللَّهُ أَنْكَسَمُم مِمَاكَسَبُوا أَثَرِيدُونَ أَنْ تَهُ دُوا مَن أَصَلَّا اللَّهُ وَمَن لِشَلِيلِ اللَّهُ فَانَ تَجِدَ لَهُ سَبِيدُلا ﴿ وَدُوالْوَ تَكُفُرُونَ كَمَاكُمُرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاتُهُ فَارَتَنَجِدُدُانِينَهُمُ أَوْلِيَّاهِ ﴾

وهُنَا سكنَّ النَّصَ عن القسم الأول، وهُمْ مُنافقو أهل الصدينة، اعتماداً على ما يفهمُه السلمون من سياسة الرسول ﷺ بشأنهم، وهو قبُّرلُ ظاهرهم، وعدقمُ معاقبتهم بالفتل الذي يستحقّونه على أعمالهم أثني تُنْبِيء عَنْ كُفُرهم، لشلاً يُقال: إنَّ محمّداً يَقُلُل أصحابه، وهي مياسة تتعلّق بالمنافقين المخالفين المداخلين الذين يُعْطون بحسب الظاهر ولاءهم الكامل للمسلمين العوّمتين وقيادتهم، ولا سيما في أوائل بناء المولة الإسلامية.

وإذْ سَكَتُ النَصُّ عن بِيان السياسة التي ينبغي معاملةً هـذا القسم من المنافقين بمتنضاها، أبان الله عزّ وجل الحكُمُ بالنَّسِبة إلى السنافقين الآخرين الذين هم في دار الكمر، ويُظاهرون الكفَّار المحاربين للمسلمين، فقال تعالى بشافهم في استكمال الحديث عن المنافقين:

﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

أي: فلا تُشخَذُوا من المنافقين أولياء حَنى بَهَاجُرُوا في سبيل الله، إذّا لمُ يكونـوا من أهل دار الإسلام وسكّانها، والمعنى: حَنّى يُشَقِّلُوا من دار الكفر التي يحاربُ اهلُها المسلمين إلى دار الإسلام، وتكونُ هجرتهم في سبيل الله، لا هجرة المكرِ والخديمة، لطمنِ المسلمين في ديارهم.

أمّا السّياسة التي ينهني أتباعُها بالنسبة إلى هؤلاه الصنافقين، الّذِينَ يُطَاهِرُونَ الكافرين المحاربين، ولا يهاجرون في سبيل الله، فقد أبّانُها الله عزّرجلّ بقولـه في النّصّ: ﴿ وَإِن ثَوَلَوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَد نَّمُوهُمُّ وَلاَنَلَخِذُوا بِنَهُمْ وَلِيَّ اوَلاَ ضَيِرًا ﴾ :

أي: فإن لم يستجيوا لمطلب الهجرة الصادقة في سبيل الله الدالمة على براءتهم من وصمة النفاق، او تخلصهم من وجيه، بل الأبروا ويقوا في دار الكُفر يظاهرون من هم في حالة حرّبٍ صَدْ المسلمين، فخلوهم أسرى إن استَطَعَتُمْ وخذوا ما معهم من أموالهم، واقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه إن ظفرتم يذلك.

ولا تتبخذوا منهم ولياً يحولى اي اثر من اسوركم، لأنه غير ماسون، ولا يضلّح لإنشاء علاقة ولاء بينكم وبيت، ما دام ظهيراً لكذّلز المحاربين، ولا تتخذوا منهم على وجه الخصوص نصيراً تعتمدون عليه في تُصرة شيء من قضاياكم، فهم ليسوا امناه على شيء من ذلك، إذ هم في حقيقتهم اعداء، والاغترار بظاهر ما يضولون بالسنتهم لا يليق بأهل الإيمان الصادق الذين يعملون بوصايا الله عزّ وجلّ.

واستثنى الله عزَّ وجلَّ مِنْ هذا القسم من المنافقين فريقين:

الفعريق الأوّل: من ينحـاز منهم إلى فـوم بينكم وبينهم ميشاق. فيصلون إليهم. ويدخلون فيهم، فهؤلاء يعاملون معاملة هؤلاء القوم. فلا تُطبَّق بشأنهم قاعدة:

﴿ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدِثُمُوهُمْ ﴾.

فقال الله عزَّ وجل بشأن هذا الفريق:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَيَيْنَهُم بَيِثَنَّ ﴾.

وفي التجيعر بـ ايصيلون، ولالة على أئهم لا يحمون انقسهم بمجرّد الانتصاء. أوعقد معاهدة مع هؤلاء القموم، بل لا بُدّ أن يُصِلوا فِمَلَّدُ إليهم، ويـدخلوا ضمنهم، وبذلك يُعاشَّلُونَ كما يُعَافَل هؤلاء القوم.

وهذا من أحكام العلاقات الدوليّة الّتي شرعها الإســـلام، ولم يَكُنُّ للنّاسِ نَصِيبٌ مامنها، وقد الزم المسلمين بها، ولوْ لم يلنزم بمثلها أعداؤهم.

الفريق الثاني: من يأتي المسلمين مُستَسلِماً مُعْلَساً وقوف على الحياد، فهمو

لا يريد أن يقائل المسلمين مع قوم، ولا يريد أن يقاتل قومه مع المسلمين، فقـد ضاق. صَدَّرُه عن قتال المسلمين وعن قتال قومه، مؤثراً السلامة لنفسه.

إنَّ هذا الفريق لا تنطبق عليهم أيضاً قاعدة:

﴿ فَخُذُ وَهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَد تُمُوهُمْ ﴾.

بل يُتْرَكُ ويُغْضَىٰ النظر عنه، فقال الله عزَّ وجلَّ بشأنهم:

﴿ أَوْجَاءُ وَكُمْ حَصِرَتُ صُدُورُهُمْ أَنْ يُعْنِئُوكُمُ أَوْيُعْنِلُوا فَوْمَهُمْ وَلَوْمَنَا اللّهُ السَّلْطُهُمْ عَتِيْحُرُ فَلْفَنْلُوكُمْ فَإِنِ اعْمَرُلُوكُمْ فَلَتْمِيْقِنِلُوكُمْ وَٱلْفَوْالِيَّكُمُ السَّلَمُ فَاجَمَلَ اللَّهُ لَلْمُعَتَّتِمِمْ سَهِيدًا لا ۞ ﴾.

إنَّ مجيئهم مُستَسَلِمين قد يُغْرِي بعُضَ المؤمنين بمعاقبتهم بالقتـل جزاء صا كان منهم من مظاهرةِ للكافرين المحاربين، مع أنهم كانوا قد نظاهروا بالإسلام.

لكنُّ اللَّه عزّ وجلَّ قَـلُـ حماهم بمجيئهم واستسلامهم، وحسبُّ المؤمنين من مجيئهم واستسلامهم ألَّهُم الفَضَلُوا عن قومهم المحاربين، وأضَّعفوا بهذا الانفصال قَوَّة قومهم.

ولـو شاه الله لجعـل في قلوبهم قدراً من الحيـة والشجاعـة، وبقـلـك يكـونــون محـاريين للمسلمين مع قـرمهم المحاربين لهم، ويكـونون بـذلك مــدداً وقـَـوّة للكفــار المحاربين، هذا ما ذلّ عليه قوله تعالى:

﴿ وَلَوْشَاهَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُرْ فَلَقَائِلُوكُمْ ﴾.

وفي هذا تحذير من عدم النزام حدود الله في معاملتهم، وإشعارٌ للمؤمنين بـالّـ مجيء هذا الفريق مستسلمين من عناية اللَّهِ ومعونته لأوليائه .

إذن: فالسياسة التي يجب أتباعها معهم، هي قاعدة:

﴿ فَإِنِا غَذَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتِلُوكُمْ وَٱلْقُوَا إِنِّكُمُّ السُّلَمُ فَمَا جَمَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْم سَهِيلًا ﴿ ﴾: أي: فإذْ قرُّرُوا اعتزال اللَّخول في صفوفكم، واعتزال مشاركة جيشكم في فتال قـومهم، واعتزال الدخـول في المفتائيل من قـرمهم لفتـالكم، وأَلْفَـرُا الِكُمُّ السُّلَمَ، وأعَلَنوا حيادهم التامَّ، وطيُّفوا ذلك فِمَلاً، فلمَّ تبـدُّرُ مُنْهَم بادرةً تسـووُكُمْ فما جمــل اللَّهُ لكم أيّها المؤمنون عليهم سبيلًا، تتخذون منه ذريعةً لأخفهم وقُتُلِهم.

أنه احتيار يحميهم، وفي بيان هذا الاحتمال الذي قد يختاره جبناه المنافقين ليأَضُوا على انفسهم إضماك لجبش العدوّ من جهة، ولملّ بعضُهُم بصحّ إيمانه مستقبلًا، أو يكونُ من فُرَيّه مؤمنون صادقون من جهة أشرى، فيكون ذلك خيراً لجماعة المؤمنين الصادقين.

قول الله عزّ وجلُّ:

﴿ سَتَحِدُونَ ۥٓسَخِينَ رُبِدُونَ أَن يَأْسَوُكُمْ وَيَأْسُواْ وَيَمُهُمُّ كُلَّ مَارُدُّوَا إِلَى ٱلْفِنْسَةُ أَنْكِسُوا مِيهَاْ فَإِن لَهُمِينَةُ لِوَكُرُونِلُقُوْ الِنِجُو السَّمَةِ رَبِيجُمُّوااً لَيْدِيهُمْ وَمَثُدُّوهُمْ وَاقْ فَقِفْمُوهُمْ وَأُوْلَكِهِ مُّهِمَنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ مُلْطَانَا يُبِينا ۞﴾.

بعد بيان الفريقين اللَّذَيْنِ سَنِقَ شَرَّحُ احوالهما واللَّذِين مَرَّ المؤمنون في عصر الرسود مهم بتجارب وافعية، تحدّث الله عزّ وجلَّ من منافقين آخرين، سيظهرون في الستجل، يُريدُون أنْ يَخذُوا بالنّسية إلى اعمال القتال موقف الحياد، طلباً للأمن من العتال سوقف جهتكم ومن جهيمة قومهم، وهؤلاء يتظاهرون بالإسلام، ويؤثرون في القتال سوقف الحياد، ثم تظهر منهم اعمال تدلُّل على أنهم في الباطن كافون، ويتهرّبون من أن يوضي أم تظهر مهما أركبُوا فيها، أي: ظهر بها عدم صدقهم في إسلامهم، وأقهم منافقون غير صادقين في إسلامهم، وأقهم منافقون غير صادقين في إسلامهم، وأقهم

والسياسة مع هؤلاء أن يُعْطُوا الأمن كالفريق الّـذين جـاؤوا مستسلمين معلمتين حيادهم، بشروط ثلاثة:

(١) أن يعتزلوا صفوف المسلمين الصادقين.

(٢) أن بُلْقُوا للمسلمين الاستسلام.

(٣) أن يَكُفُوا آيْديَهُم عن المسلمين.

فإن أخُلُوا بشرط من هذه الشروط انطبقت عليهم قاعدة:

﴿ فَخُذُوهُمْ الْمُشْلُوهُ مَ حَيْثُ وَجَدَثُمُوهُمْ ٥

ويشأن هؤلاء الَّذِين سَيُوجَدُونَ ويُـواجِهُ المسلمـون المــــوْمنون مُشْكِلَتَهُم، قــــاك الله عزّ وجلّ :

﴿ سَتَجِدُونَ ۗ اخْرِينَ . . . ﴾.

أي: وأولئنك الأخباق البُخداءُ عن رحمة الله جَمَلُنا لَكُمُ اليُّم المؤمنون عليهم حُجُّةُ واضحةُ أن تُعابِلُوهم بمقتضاها معاملة الكَفَّار المحاربين، إذا أخلُوا بالشروط الَّتي سبق بيانُها.

• • •

النصّ السابع عشر

وهو من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٧ نزول) سادس سورة مدنية الآيسات مسن (١٠٥-١١٦) حول ما يجب على القضاة والخصوم وأنصارهم بمشاسبة حادثة سسرقة المشافق مش بني أُميثرق

قال الله عزَّ وجلَّ خطاباً لرسوله:

﴿إِنَّا أَرْكَا إِلَى الْكِنْ بِالْحَقْ لِنَصْكُمْ بَدُوَ النَّاسِ عَالَّرْكَ الشَّوْلَا تَكُن لِفَغَلِينِ وَا خَصِيما ﴿ وَالسَّغَفِي اللَّهِ إِلَى الْكِنْ اللَّهُ عَلَى الْكِيمَا ﴿ وَالْمَالِينَ اللَّهِ وَالْمِنَا وَوَالْمَسَاءُ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَالْمَالَةُ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَالْمُوالِقُولَ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللْمُوالِلَّا الللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَ الْقُوفَسُوفَ تُوْلِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ وَمَن يُشَافِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيْنَ لَهُ ٱلْهُدُكَ وَبَشَعْ غَيْرَ سَيِيلِ الْمُؤْمِّيِينَ فُولُهِ، مَا قَوْلُ وَنُصْلِهِ، حَمَّا خَمِّ مُسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ لَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَعْفِرُ مَادُونَ ۖ وَلِكَ لِمَن يَشَكَأَهُ ۚ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ صَلَّ صَلَكُمْ جَمِيدًا ﴿ ﴾ .

. . .

ما في النّص مِنَ القراءات المتواترات (من الفرش)

في الآية (١١٤):

(١) قرأ جمهور القرَّاء [فَسُوْفُ نُوْتِيهِ أَجراً عظيماً] بنون المتكلم.

 (٢) وقرأ أبو عمرو البصري وحمزة وخلف [فَسُوْفَ بُـوْتِيهِ أَجْراً عظيماً] بياء الغائب.

وفي الفراءتين تكامل في الأداء البياني، فمن كان في حالة حضورٍ مــع الله كانت قراءة [تُوتَيه] ملاءمة لحالته، ومن كان غير ذلك كانت فراءة [يُوتِيه] ملاءمةً له.

موضوع النصّ وما ورد في سبب نزوله

يدور هذا النُص حول بيان رجوب الحكم بما أنزل الله من أصول وقواعد للفصل بين الخصوم، وتحذير الفاضي من أن يقف موقف الدفاع عن أحد الخصمين لاحتمال أن يكنون من الخائين، وتحذير كل صالح للخطاب من أن يكنون مدافعاً محملهاً (= خصيماً) يجاذل لمصلحة من كان من الخصمين خائثاً، ومن أن يُجادل عن الذين يختانون أنسهم، مع الترغيب في الاستغفار والنوبة، لذي المشوط في مخالفة هذه التعليم الرَّائيَة.

وفيه تحذيرُ شديدٌ للمذنب العاصي من اتَّهام غيره من الُّبُرآء بما ارتكب هو من

إثْم، ليخلّص نفسه من تبعة جريمته، أو ليّبُعد عن نفسه النُّهُمَة الملاحقة له بـالدلائــل والأمارات

وفيه بيان أنَّ التناجيَ في السَّر بين النـاس داخل المجتمع المسلم أكثره لأخيرَ فيه، إذِ الخيرُ لا يحتاج إلى التناجي في السرّ، باستثناء بعض الأمور، ومنها:

الأمرُ بالصدقة، لستر حال المتصدّق عليه.

ــــ والأمرُ بالمعروف ويدخل فيه النهي عن المنكر، لستر حال من يوجُّه له ذلك، إذا كان من أهل الذنوب أو المفصّرين المتهاونين.

والإصلاحُ بين النّاس، لأنّ المذاكرات العلنية في قضايا الإصلاح بين الساس
 قد تزيد بينهم شقة الخلاف.

وفيه التحذير من مشاقة الرسول، ومن أتباع غير سبيل المؤمنين، خارجاً عن جماعتهم لاحقاً بغيرهم، ويمكن أن يدخل في عُموم اتباع غير سبيل المؤمنين مخالفة ما يقرّر جمهور أهل الحلّ والمقد منهم من الأمور التي هي من المصالح العامّة، الّتي جعلها الله منَّ أمْرِهم، وجعَلُ البّتُ فيها قائماً على قاعدة الشورى، التي يُعْتَنَدُ فيها رأيُّ الاكثريّة، ويمكن أن يدخل ايضاً ما يُجمعون عليه من حكم شرعي. ا

واخبراً فتح الله للمدنيين باب منضرته، مينيّناً أنّه لاَ يُشْعَر أَنْ يُشْرَكُ بِهِ، ويَفْضُرُ ما دون ذلك لمن يشاء، وبما أنّ الشركُ هو أوّل دركمات الكفر، فبإنّ الله لا يغفر ما هو أشدّ من الشرك حتماً، وهذا يُقْهِم بأنّه الأولى بالحكّم.

والخطاب الموجّه في النَصِّ للرسول موجَّة في الحقيقة لكلَّ صالح للخطاب به من المسلمين حتى آخر الناس في الحياة الدنيا، لأنَّ مضموته ليس من خصائص النبي في فمن أساليب القرآن في الخطاب أن يُخاطب الله رسوله ببعض الأصور الشاملة لكلَّ المؤمنين، باعتباره أول المؤمنين، وقائدهم، وأوَّل المعليمين المسلمين الملتومين لأوامر الله المجتبين لنواهيه، وللإشعار بأنَّ الرسول أوَّلُ المكلفين المُلْزَمينَ بشرائع الإسلام وأوامر الدين، فهو أتفاهم إلَّه.

ما وردَ في سبب النزول

روى الترمذي في سنته قال: حدّثنا الحسرُ بْنُ أَخْسَد بْنِ ابْنِي شُعَيْبِ ابْرِ مُسْلِمِي الحرَّانِي، حدّثنا محمّد بن سُلَمَة المُعَرَانِي، حدَّثنا مُخسَّدُ بُنُ إِنْسَخاقَ، عَنْ عَاصِم بُنِ عُمَرَ بْنِ قَائَة، عَنْ أَلِيهِ، عَنْ جَدْهِ قَتَادَة بْنِ الشُّمَانَ قال:

اكان أقَلْ يَئِبِ مِنَّا يَقِيلُ لَهُمْ يَنُو أَنْبِيقِ: بِشُورُ رَبِيورُ وَيَنِيرُ وَيَنَذَى، وَكَانَ بَشِيرُ رَجُلاً مُنَافِناً يَقُولُ الشَّمْزِ فَهَنْجُو بِهِ أَصْحَابُ رَسُول. اللَّه ﷺ ثَمْ يَنْحَكُ بَضْنَ الْعَرْب، ثُمْ يَقُولُ: قَالَ هُلَانُ كِذَا وَكَذَا، قَالَ فَانَكُ كَذَا وَكَفَّا، فَإِذَا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَلِكَ الشَّمْرَ، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَشُولُ هَذَا الشَّمْرَ إِلَّا هَذَا النَّجِيثُ، أَرْتُحَمَّ قَالُوا، وقَالُوا الثَّمْرُ، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَشُولُ هَذَا الشَّمْرَ إِلَّا هَذَا النَّجِيثُ، أَرْتُحَمَّ قَالُوا، وقَالُوا

قال: ووَكَانَ أَلَمُلَ بَيْتِ حَاجِةٍ وَفَافَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإَسْلَامِ، وَقَعَانَ النَّاسُ إِنَّسَا طَعَالُهُمْ بِالنَّذِينَةِ النَّمْرُ والشَّهِيرِ، وَقَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ لَهُ يَسْلُو فَقَدِمَتْ ضَاهِطَةُ^(۱) من الشَّامِ مِنَ النُّزِمَكِ⁽¹⁾ ابتاع الرجل منها فَخَصَّ بِهَا نَفْسَهُ، وَأَمَّا الْمِيَالُ فَإِنَّنَا طَعَامُهُمُ النَّمْرُ والشَّهِرُ.

فَقَيْمَتُ صَائِطُكُ مِنَ الشَّامِ فَانِتَاعَ عَلَى وَفَاعَةً بُنُ زُنِيهِ جَمَّلًا مِنَ الشَّوْمَلِينَ؟، فَجَمَلَةً فِي مُشْرِنَهِ؟؟ لَمُنَّ وفِي النَشْرَيَةِ سِلاَحٌ وَفِرْعٌ وَسَيْفٌ، فَصَّدِي عَلَيْهِ مِنْ نَحْتِ النِّبِ، فَقَبَتِ الشَّفْرِيَةُ؟؟ وأَجِدُ الطَّمَامُ والسَّلاَحُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَنَانِي عَمَّى رِفَاضَةً فَقَالَ: يَـا ابْنَ اجْيَ، إِنَّهُ قَـدٌ عُدِي عَلَيْنَا فِي لَيُلتِنَا هَذِهِ، قَنْفِيتُ مُشْرِيْنَا، فَذُهِبَ بِطَمَامِنَا وَسِلَاجِنَاء.

 ⁽١) الصَّابِفَةُ: البِيرُ تحبِلُ الستاع. ومن الناس الحمَّالُونُ والتُحكَّارُونَ الذي يَجْلَبُونَ السيرة والستاع
لِلْمُنْذَ، والنَّكَارِي هو الذي يُحْرِي الأحمال، وكانوا يومئةٍ قوماً من الأنباط يحملون إلى المشيئة
الشقيق والزيت وغيرها. (عن لسان العرب).

⁽٢) الدُّرْمكُ: الدقيق الأبيض.

 ⁽٣) الْمَشْرَنَةُ: الْمُرْقَةُ وهِنَّ مُلِّلَةً لَئِينَ في الأعلى فوق سطح المبنى الملاصق لملأوض. وجمعُها:
 مشرَّبات، ومشارب.

قال: وَفَتَحُسُّمُنَا هِي الدَّارِ، وَسَالُنَا، فَقِيلَ لَنَـا: قَدْ رَأَيْنَا نِنِي أَبْيَرِقِ اسْتُوقَدُوا فِي هذه اللَّيْلَةِ، وَلاَ نُرَى فِيمَا نُرَى إِلاَّ عَلَىٰ بَعْضِ طَعَابِكُمْ.

قال: ووَكَانَ بَنْمُ أَيْرِيِّ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ فِي النَّارِ: وَاللَّهِ مَا نَرَىٰ صَاجِبُكُمْ إِلَّا لَيْدِ بْنَ سَهْلَ : رَجُلُ مِنَا لَهُ صَلاحٌ وإسَلامٌ، فَلَمَّا سَمِعَ لَيْنِهُ اخْتَرَفُ^{رٍ ال}َّبِيَّفَةَ، وَقَالَ: أَنَّا أَسْرِفُ؟! فَوَاللَّهِ لِيَضَالِطُنْكُمْ ضَفَا الشَّيْفُ أَوْ لَنَيْئِنَّ هَذِهِ السِّرِفَةُ. فَالُوا: إِلَيْكَ مَنَّا أَيُّهَا الرُّجُلُ فَمَا أَنْتُ بِصَاجِبِهَا.

فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشُكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُها (أي: بَنُو أَبَيْرِق).

فقَالَ لِي خَمِّي: يَا ابْنَ أَجِي، لَوْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُء.

قَالَ فَتَعَةُ: وَقَلِيَتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أَلْهُلَ بِيْتِ مِنَّا أَلْهُلَ جَفَاهِ^›، عَمَدُوا عَمَّى رَفَاعَةً بِنَ زَلِيهِ فَتَقَبُرا مَشْرَيَّةً لَهُ، وأَخَذُوا سِلَاحَةً وَطَعَمَاتُهُ، فَلَيْرُدُوا عَلَيْنَا سِلَاحَنَا، فَلَمُ الطَّمَامُ فَلَا خَاجَةً لَنَا فِيهِ .

فَقَالَ النَّبِيُ ﷺ: سَامَرُ هِي ذَلِكَ، فَلَمَّا سَمِعَ بَشُرَ أَيْسُونِ آشَوْا رَجُلاً مِنْهُمْ يَضَالُ لَهُ أَسْيَدُ بُنْ مُرْوَهُ، فَكُلْسُوهُ فِي ذَلِكَ، فَاجْمَنَعَ فِي ذَلِكَ نَاسُ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَتَافَةَ بُنَ النَّمْمَانِ وَعَلَّمُ عَمْدُوا إِلَىٰ أَهْلِ بِيْتِ بِنَّا أَهْلِ إِسْلاَمٍ وَصَلاّحٍ، يُؤْمُونُهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ خَبْرِ بِيَنَاقِ وَلاَ تَبْتِ، ٣٠.

قَالَ فَتَانَة: فَأَنْيَتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: وَصَمْـلُـتَ إِلَى أَهُلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلَامُ وَصَلَاحُ تَرْبِيهِمْ بالسُّوفَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَلَا يَبْتُؤَ؟!».

قال: وَفَرَجَعْتُ، وَلَمُودُتُ أَنِّي خَرَجْتُ بِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أَكَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في ذَلِكَ.

فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةً فَقَـالَ: يَـا ابْنَ أَخِي، مَـا صَنْعَتْ؟ فَأَغْبَـرْتُـهُ بِمَـا قَـالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فقال: اللّه المُستَمَالُ.

⁽١) الحترط السيف: إذا سُلَّه من غِمَّتِه ليفاتل به.

⁽٢) أهل جفاء: أي أهُّلُ سوء خُلُق.

⁽٢) الثُبَتُ: الْحُجُة.

فَلَمْ يَلْبَتْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ:

﴿ إِنَّا أَرْنَكَ ۚ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِتَمْكُمُ بَهُنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَكَ ٱللَّهُ وَلا تَتَكُ لِلْغَالِمِينِ خَصِيمِ اللَّهِ ﴾ .

بَني أُبَيْرِق.

﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ ﴾:

أيْ: مِمَّا قُلْتَ لِقَنَادَةَ.

﴿إِنَّ القَدَّانَ عَفُودًا تَجِعَانِي وَلَا جَعُولُ مَنِ الَّذِينِ يَفْنَا وُوَ الْفُسُهُمُ إِنَّ اللّهَ لا ال يُحِبُّ مَنَانَ وَ خَوَانَا أَيْمَا ﴿ يَسْتَخَفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَمْهُم إِذْ يُبْيِئِنُ مَا لا يَرْخَىٰ مِنَ الْفَوْلُ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَسْمَلُونَ فِحِيطًا ﴿ عَاللّهُمُ مَثُولًا جَدَلَتُمْ مَنْهُمْ فِي الْحَمِنُو الذِّينَ قَمَن يُجَدِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْدُ الْفِينَمَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿ وَمَن يَسْمَلُ سُوّا أَوْ يَطْلِمْ فَلْسَمُ ثُمُدَّ يُسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ عَمْوُرَا تَجِيمًا ﴿ ﴾ .

أي: لَوِ اسْتَغْفَرُوا اللَّهُ لَغَفَرَ لَهُمْ.

﴿ وَمَن يَكْسِبُ إِنْسَا فَإِنِّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰفَسِيهُ. وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَمَن يَكْسِبُ خَلِينَةٌ أَوَلِمَا لُشَرِّرِهِ بِمِرَيِّنَا فَقَدِ احْسَدُلُ مِّتَنَا وَإِنْمَا لَهِينَا ﴿ ﴾ .

قُولُهُ لِلْبِيدِ.

﴿ وَلَوْلا فَصْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُمُ فَسَتَ ظَاهِنَ ۖ فَمِهُمَّ أَن يُضِلُوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ الْفُسُهُمُّ وَمَا يَعْمُرُّونَكَ بِن مَنَ وَوَاَمْزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِنَبُ وَالْمِكْمَةُ وَعَلَيْكَ مَا لَمْ تَكُنُ فَعَلَمُ وَكَانَ ضَعْلَ اللّهِ عَلَيْكِ عَظِيمًا ﴿ ﴿ فَاعَمْ يَضِعُ عَلَيْمًا ﴿ وَمَ مِن نَجُونِهُمْ إِلَا مَنْ أَمْرِيسِكَ قَوْ أَوْمَدُوفِ أَوْ إِصْلَيْجِ بَقِرَى النَّاسُ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْهَاءً مَنْ صَافِ الْقَوْضَوَقَ فَوْنِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ﴾ .

حول ما يجب على القضاة والخصوم وأنصارهم بمناسبة حادثة سرقة المثافق من بني أبيرق

فَلْمَا نَوْلَ الْقُوْلُونُ أَنِي رَسُولُ اللّٰهِ بِالسَّلَاحِ فَرَثُهُ إِلَى وَفَاعَةً، فَعَالَ فَتَلَعَدَ، لكا أَنْتُتُ عَنِّي بِالسَّلَاحِ وَكَانَ شَيْعًا فَلَمْ صِينَ ١٠ أَوْ عَنِي فِي الْجَاهِلِيَّة، وَكُنْتُ أَرْقَ إِلَسَالَات مَنْشُولُانَ هَلَمَا أَنْتُمْ بِالسَّلَاحِ فَالَّذِينَا إِلَنْ أَنِي عَلَيْهِ مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَرْفُتُ أَنَّ إِلَيْلَاسَةُ كَانَ صَعْيِماً.

فَلَمَّا نَوْلَ الْقُرْآنُ لَجِقَ بَشِيرُ بالْمُشْرِكِينَ، فَنَوْلَ عَلَىٰ سُلاَفَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ سُمَيَّة، فَأَنْزِلَ اللَّهُ :

﴿ وَمَن يُشَافِقِ الرَّسُولُ مِنْ بَعَدِ مَا نَبَيَّنَ أَهُ الْفَدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْفَوْمِينِ ثُولُو. مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ حَجَهَ نَّمَ رَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ إِنَّ إِنَّالَةَ لَا يَفَقُرُلُ يُشْرِكَ بِهِ وَيَقُورُ مَا دُورِكَ وَالْمَدِينَ وَنَشَاءٌ ۚ وَمَن يُشْرِكِ إِلَّهِ فَقَدْ صَلَّ صَلَّاكُمْ بِعِيدًا ﴿ ﴾ .

فَلْمُا نَوْلُ عَلَىٰ مُسَلَاقَةُ رَمَاهَا حَسُانُهُ بَنُ تَابِ بِالْبَيَاتِ مِنْ شِصْعِهِ، فَالْحَدَثَ رَحَلُه فَوَضَعُتُهُ عَلَىٰ رَأْسِهَا، كُمْ تَحْرَجْتُ بِهِ فَرَسَتْ بِهِ فِي الْأَبْطُحِ، كُمْ قَالَتْ: أَفَدَيْتَ لِي شِمْرَ حُسُانِ، مَا كُنْتُ تَأْتِينِي بِخَيْرِهِ.

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حَدِيثٌ غريب، لاَ نعلَمُ أحداً أسنده غير محمَّــــ بْنِ سَلَمَةَ الْحَرَّانِيَّ .

وهـذا الحديث رواه ابن جـرير، وابْنُ المنـذر، وابْنُ أبـي حـاتم، وأبــو الشيــخ، والحاكِمُ وَصَحْحهُ عَنْ قَنَادَةً بْنِ النَّعْمَان. ورواه أخرون مُرْسلًا.

(٣)

المفردات اللّغويّة في النَّصّ

﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَالِينِينَ خَصِيمًا ﴾:

الخائِنُ: اسم فاعل من (خانَ يَخُونُ خَوْناً وَخِيَانَةً وَمَخَانَةً) والحيانة ضدّ الاسانة.

⁽١) غييَّ: أي كبرت سِنُّهُ.

فهي تشغّلُ كلَّ نفس من الحقّ، وعدم أداء للواجب، وعدم وفاء بالعهد عمداً مع القدرة عليه، وكلُّ عُلْمُؤَانِ على ما استُؤمِنَ الإنسانُ عليه، من جَسْدٍ أو مَالر أو عِرْض أو قُوْلر أو عمل أو نُبُّؤ، أو سِرٌّ أَلْ مَشْورَةٍ، أَنْ نَحْوِ ذلك.

﴿خَصِيمًا﴾:

الْحَصِيم: المخاصِمُ المجادِل المنازع، لنفسه أو لغيره، في خصومة بين فريقين بحنَّ أو باطل.

﴿ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾:

أي: يَخُونون انفسهم، اخْتَانَ مثل خَانَ مع زيادة في معنى قباحة الخيانة، لأنها خيانة الأنها للشمه، وحَبِّر الله عن المعاصي بأنها من قبيل جيانة الإنسان لنفسه، لأنَ نَفْسَهُ أَمانة بين يدي إرادته، فإذا عصى الله عز وجلً من أجل أهرواته وشهداته عرض نفسه للعقوبة الإنهائة فيكون بذلك قد خان نفسه، وظلم نفسه، وأقبعُ الخيانة أن يخون الإنسان نفسه، وأقبعُ الخيانة أن يخون الإنسان نفسه.

وقد جاء في القرآن فعل واختان، في خيانة الإنسان لنفسه فقط.

﴿نَسْتَخَفُونَ﴾:

اسْتَخْفَىٰ وَتَخْفَىٰ واخْتَفَىٰ بمعنىٰ اسْتَسَر وتَـوازَىٰ، وفي واسْتَخْفَىٰ، معنى زيــادة اتّحاذ وسائل الاستنار، أخذاً من الصيغة العزيلة بالسين والناء

﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾:

أي: إذْ يُدَبَّرُونَ أَشْرَهُمْ بليل، النَّبْييَّ: غَمْلُ الشيء أوتدبيره أو الاتفاقُ عليه

﴿ وَمَن يَعْمَلُ سُوَّا ﴾:

السُّوءُ: كُلُّ مَا يَقْبُعْ، واشْمُ جامعُ للأفات، وكلُّ فعل شائن.

﴿ وَمَن يَكْسِبُ إِنَّمًا ﴾:

حول ما يجب على القضاة والخصوم وأنصارهم بمناسبة حادثة سرقة المنافق من بني أبيرق

أي: ومن يَغُمُّم إلى نَفْسِه بِمَمَلِهِ ذَنَبًا يَسْتَجقُّ عليه العقوبة بالعدل، وهو بههذا الضمَّ يحْبلُهُ نِقُلًا على نفسه.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيتَةً أَوْ إِثْمًا ﴾:

الْخَطِيْثَةُ: نَقْتُ على الفعل المخالف للصواب بقصيد أو بغير قصيه، وتَقَعُ على الشُّنوبِ كُلُها صِغَارِها وكِيَارِها، أمَّا الإنم فهر الذَّبُّ وجاه إطلاقه في القرآن على جميع المعاصي صغارها وكبارها.

﴿ ثُمَّ يَرْهِ بِهِ بَرِيَّنَا ﴾ :

آي: ثُمَّ يَقْدِف به إِنْسَاناً بَرِيتاً، مُنْهِماً إِيَاهُ بـه، لَيُبْعِدُهُ عَنْ نَفْسِـه، ولِيَحْمِيَ نَفْسَه من تَهْتِهِ اوعقوبته.

﴿فَقَدِآحْتُمَلَ۞:

أي: فقد كُلُّفَ نفسه حَمْلَ عِبْءٍ ثَقِيلَ لا يُحْمَلُ إلَّا بمشقَّة.

﴿ يُهْتَنَّا ﴾ :

الْبَهْتَانُ: افنراءُ الكذب، واتُّهامُ البريء بذنْب لم يَرْتكُه، ظلماً وعدواناً.

﴿وَإِثْمَاتُهِينَا ﴾:

أي: وذنباً واضحاً جلياً، لا تخالطه شبهةً قـدٌ تُساعِــدُ على تخفيف حَجْم الجريمة، فهو من الكبائر.

﴿ لَمُنَتَ ظُلَّ إِفْكَةٌ يَنْهُمْ ﴾:

الْهَمُّ: حركَةُ نَشْبِيَةٌ لِتَنْهِيدُ أَمْرِ ما، وهو فوق الرُّغَية، ودون الإرادة التي يَقْتَدِنُ بها الحِرْمُ، ويكون التَّفيذُ في وقته عِنْد عدم الموانع ومَعْ توافر وسائل التغيذ.

الطائفة: الجماعة والفرقة من الناس، والجزء والقطعة من الشيء.

﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِئنَبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾:

الكتابُ هو القرآن، والحكَمَّةُ كُلُّ ما ذَلْتُ عليه السُّنَّةُ النبويَّة من قَـوْل.، أو فِعْمل. • أو إقرار، أو خَلُق. وجاء عند الإمام أحمد في مسنده وأبسي داود وغيرهما أن الرمسول 義 قال: وألاً أُوتِيتُ الكتابُ ومثلُهُ مَعَهُ، وهو حديث صحيح .

﴿ لَاخَيْرَ فِي كَيْدِرِ مِن نَجُوطُهُمْ ﴾:

يُقَالُ لَغَةُ: نَجَا فُلَاناً الْحَدِيثَ يُنْجُوهُ نَجْواً، أي: اسَرُ إِلَيْهِ الْحديث.

فَالنَّجُونَى: الْإِسْرَارُ بالحديث. ويُطَلِّقُ هـذا اللفظ على المتناجين، من قبيل الوصف بالمصدر، ويستوي فيه الواحد وغيره، يقال: هم نَجُوى.

﴿ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ :

أي: رِضَىٰ الله، يقــالُ لغةً: رَضِيهُ، وَرَضِيَ بـه، ورضي عـنـه، يَـرْضَىٰ رِضـاً، ورِضـاً، ورِضُواناً، وَمَرْضَاةً. والرَّضَىٰ هو قَبُولُ الشيء مع الاكتفاء به.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾:

أي: ومَنْ يُخَالَفِ الرَّسُول ويُعَاديه، ويَتَّخَذْ لِنَفْسِه شِفًّا غَيْرَ شِقِّه.

﴿ نُوَ لِهِ مَا تُوَكَّىٰ ﴾ :

نَوْلَىٰ فَلاَنَّ قَلاناً، او نَوْلَىٰ فَلاَنَ الشيء، إذا أحبَّه، ونَصَرَهُ، ولَزِمَهُ، أو اتَّخَلُهُ وَلِيَّا

فَمَنْ نَوْلَى بِلِرادَتِهِ شُيُّناً مَا طائعاً مختاراً، وَلاَّهُ اللَّهُ إِيَّاهُ في مجرى سُنَتِه التكوينيّة.

﴿ وَنُصَّاهِ ، جَهَانُّمْ ﴾ :

اي: نُلِيَّةُ عَذَابَ الاحتراق في نار جَهَنَّم، جَهَنَّم: اسم علم من أسماء النار التي أعدَما الله ليُعدَّب فيها الكافرين والمصاة يوم الدين، وهو ممنوع من الصرف للملميَّة والتأثيث.

ويقال: بِثْرُ جههم، أي: بُعيدةُ الفَعْر. ويقال للفَعْر البعيد وجهنّمه.

(٤) مع النصّ في التحليل والتّدبّر

قولُ الله عزَّ وجل لرسوله:

﴿إِنَّا أَرْلَنَّا إِلَكَ ٱلْكِنَبَ بِٱلْمَقِ لِتَعْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مِمَّا أَرَنكَ اللَّهُ ﴾.

يتحدُّثُ الرَّبُّ في هذا المقام بضمير المتكلّم العظيم ﴿إِنَّا الْزَلْنَا﴾ مُؤكداً السيان بحرّب التُوكيد وإنَّ فيفولُ لرسوله: إنَّا بعظَمَةِ البَّمْمِ الشاملِ والحكمةِ الكاملةِ، والنُّنَّرُّ عِمَّا لا يُلِيقُ بَخَلالِ الزَّبُوبِيَّةِ، أَمْرُلْنَا إلَيْكُ الكِتابُ الْفُرْآنُ مُنّْصِفاً بِالْخَقْ الَّذِي يَفْتَرِنُ بكلّ قَضِيَّةٍ خَبْرِيَّةٍ مَنْ قضايةً.

وما أنزله الله إلى رسوله بوصفه مكلّناً، وَمِنْلَعًا ما أَنْزَلَ الله إليه، هُمُو أَيْضًا مُشَرِّلً إلى الناس المأثورينَ بتدئيره والعمل بما جاء فيه، وهذا النصّ مُطَالَبُ بمضمونه الفضاة والحكام على وجه الخصوص.

ومن الحقّ الذي أنـزَلَهُ الله في الفـرآن أصبولُ الحصُّوق بين النـاس، وقـواعِـدُ العدل، وقواعدُ التُحكُم بالحقّ والعدل بيَّن التُصوم، فهذا هـرما اراه الله لـرسـوله فكلّ حاكم وقاض مِنْ بعد، بمعنى المُلْمَهُمُّ به علماً بينًا لا غبوض فيه، حَتَّى كـالَّهُ مُـرْقِيًّ بالْجِسُّ البَصَرِيِّ دون غَيْش، لـمن تديَّره بصِلةِ وقَهِم سليم.

فجملةً ﴿لتحكّم بَيْنَ النّماسِ بِمَا ارْاكَ اللّهُ﴾ تعليليت، تُبِينُ العكمة منْ بعض ماجاء في الفرآن وهو ما يُتعلَق بأصول وقواعد الحكم بين الناس بالحق والعدل، وذلك لأنّ الفرآن يشتمل على قضايا اخرى ذواتِ مِلَلٍ وَجِكْمٍ أَخْرَىٰ تكليفيّةٍ وإرْشَاديّة وتعليميّة وغير ذلك.

وبعد هذه الجملة توجد جملة محدولة لفظاً مقدّرة حكماً، وهي: فاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَوَاكُ اللَّهُ، بدليل قوله تعالى بَعْدَ ذلِكَ: ﴿ وَلَا تَكُنُ لِلْخَاتِينَ خَصِيماً﴾ فدلَّتُ جُمِّلةُ النَّهِي هذه المصدَّرة بحرف العطف، على أنَّها معطوفة على الجملة المحلوفة المقدّرة

قول الله عزّ وجل:

﴿وَلَانَكُن لِلَّهَ آبِنِينَ خَصِهِمًا ﴾:

لي: ولا تكنّ لاجل الخالتين وليرتهم مخاصماً مُدافعاً عنهم من حيثُ لا تشعّر، بسبب عَلْم تقيُّلِك تقُلِداً تَلمَّا بَأَصول وقواعد الحكم بين النَّاس بِالحقّ والعدل، التي أراك الله إيّاها بيان تعليميّ جَلِيَّ شِيهِ بِالرَّوْيَةِ الْيَصْرِيّة.

وهذا النَّهُيُّ يَشْمَلُ بِعِمُومِهِ وَلُوَازِمِ دَلَالَتُهُ عَدَّةً صُورٍ :

الصورة الأولى: نهْي كلّ مؤمن عن أن يدافع عن الخنائين، ويجادل لتبررتهم، سواء أكان عاضياً، أو وسيطاً، أو شفيعاً، أو وكبلاً، أو شُخابياً، أو شاهداً أو خكماً، أو غير ذلك، فالدَفاع عن الخائن والمجادلةُ لتبرئته خيانة، ومعصيةً من الكبائر، الأنها تُسَاعِدُ على إيطال الحقّ وإحفاق الباطل.

الصورة الثانية: نَهِيُّ الْفَاصِي أو الحاكم الدؤون عن أن يَأَثَّر بِماطَمَهُ مَا، وَيُحَارُ إلى أحد الخصمين ويُجَادِلُ عنه طَأَنَّنَا أنَّه صناحب حقّ، فيقع في احتمال أن يكنون للخاتين خصيماً.

الصدورة الشائشة: فَهِيُّ النّفاضي أو الحاكم الدؤمن عن أن يتسرّع في حكمه أو إيداء رأيه في إذانة أو تبرثة أخير الخصمين قبل استكمال أصول وقواعد الحكم بين النّاس بالحقّ والعدل، التي أبانها الله عزّ وجلّ، لأنّ ذلك مظنّة الـوقوع في احتسال أن يكون للخائين خصيماً

فُنْزَلْتُ مُظِنَّةُ الوقوع في نبرثةِ الخائن منزلةَ المخاصمة الفعليَّة عنه، والممجادلة من أجله.

وقد وُجد في قصة السارق من بني أبريق من جعل نفســه خصيماً لاجلهم مُــدافعاً عن مجرمهم.

قول الله عزّ وجل:

﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّ اللَّهُ كَانَ عَنُوزًا رَّحِيمًا ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّهُ اللَّهُ كَانَ عَنُوزًا رَّحِيمًا

حول ما يجب على القضاة والخصوم وأتصارهم بمناسبة حادثة سرقة المتافق من بني أبيرق

أي: واستثقير الله ممًا وَقَشَ أو قد تقعُ فيه من تقصير أو مخالفةٍ في هذه الامور، يُقَفِر الله لك، دلَّ على جواب الطلب هذا وصف الله عزَّ وجُلَّ بأنه غفور وحيم دواساً. الذي تضمّنه قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهُ كَانَ غَنُورًا زَحِيمًا ۞ ﴾.

فعل «كان» في مثل هذا الاستعمال يدلُّ على الكينونة الدائمة.

غَفُوراً: أي: كثيرَ المغفرة عظيمها. رَحيماً: أي: واسعُ الرحمة عظيمها. أخذاً من صيغتي العبالغة.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَا تُجْدَدِ لَ عَنِ الَّذِينَ يَغْتَنَا ثُونَ أَنْفُسُهُمْ ﴾:

جملة معْطُوفَة على جُملة ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَالِنِينَ خَصِيماً﴾ ومَا عُطِفَ عليها.

وقد يبدو أنَّ مضمون الجملتين واحد، فالخصيم لتبرئة الخالتين هو الذي يــدافعُ ويُجادل عنهم، والــمجادلُ عن الذين يختانون أنفسهم هو الذي يحاول بأقوالــه تبرئتهُم، فالمعنان متماثلان بحسب الظاهر مع اختلاف في اللَّفظ.

ولكن إذا لاحظنا أنَّ القرآن استعمل فعل واخْفَانَ، في خيانة الإنسان لنفسه فقط. في هـذا النصَّ، وفي نعسَّ آيـات الصيـام في سـورة (البقـرة/٣ مصحف/ ٨٧ نـزول) إذجاء فيه:

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ ثُمُّنُو غَمَّا نُونَ آنفُسَكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَاعَنكُمْ ١٠٠٠

أي: كنتم تصاشرون الـزوجات في ليـالي رمضان. إذ كــان هذا محـرَماً في أوّل الأمرئّمُ أذن الله به. ولم بأت استعمال فعل (اختان) في غير هذين النّصين.

إذا لَاحظنا هذا أَدْرَكُنَا أَنَّ الله عزَّ وجَلَّ قد جعل الخيانة قسمين:

الخيانة الأولى: خيانةُ الإنسان لحقوق الآخرين من الناس، وجماء فيها استعممال فعل دخانه. الغيانة الثانية: خيانة الإنسان لِنُفْسِهِ فيما للَّهِ عَلَيْهِ مَن تَكَالَيْفَ وأمور تَعَبُّديَّةَ. وجاء فيها استعمال فعل واتّخنّانه.

والله عزّ وجل نهى المؤمن سواء اكان حاكماً أو قاضياً أووكيلاً أو أشاهداً أو وسيطاً أو محامياً أوغير ذلك، عَنْ أن يُدافع ويُبْجَادلُ عَنْ خانُ غيره من الناس وعمّن اختان نُفّسه في أمْرٍ يتملّق بينه وبين رَبِّه فقط، ويؤكسد هذا الفهم أنَّ الله استعمسل كلمة وخصيم، بجانب القسم الأول، وفعل المجادلة بحانب القسم الثاني.

وفحن نعلم أنَّ دلالات النصوص المنزَّلة لا تقتصرُّ على العناصر التي جاءت في سبب النزول ولو صحّ ، لأنَّ المناسبة قد كانت مفتاحاً لتنزيل النصّ ذي الصيغة الكليَّة العامَّة التي تنمل العناصر التي جاءت في سبب النزول، وتشمل غيرها.

وهذا المعنى هو ما يُريده الأصوليون بقولهم: العبرةُ بعموم النصّ لا بخصوص السبب.

وقمد جادل عن المجرم من بني أبيرق مجادلون لتبرئتهم مما جنى جانبهم من كبيرة السرقة.

* * *

قولُ الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَيْدِمًا ١٠٠

الْحُوَّال: هو كثير الخيانة، أوالذي صارت الخيبانة عـادة لازمـة لُهُ، أخـذاً من صيغة المبالغة ونشَّال.

والأثيم: هو كثير ارتكاب المعاصي والذنوب، أو الذي صار ارتكاب الإثم عادةً لازمةً له، أخذاً من صيغة المبالغة وفعيل.

فالخوَّانُّ الأثيم لا يُعِيِّهُ الله ، إذَ أشْرِج نفسه بخياناته وآثامه التي يلازمها من داشرة محبَّة الله لدباده . ومن أخرج نفسه من هذه الدائرة تراكمت على قلبه ونفسه المظلمات. وصار محلًّ لنساقُط سخطِ الله عليه ونقمته ، وابتَّمَدُ عن مجالات منفرة الله ورحمته .

وجاء في سورة (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول) قولُ الله عزُّ وجلُّ:

﴿إِنَّ أَلْلَهُ لَا يُعِبُّكُلُّ خَوَّانِ كَفُورٍ ١٠٠٠

أي: لا يحبُّ كلُّ خَوَّانٍ لحقـوق الله عليه كفـور باتُعُبـه، فلا يخـرج المؤمِنُ من كلَّ دائرة محبُّة اللّهِ حنَّى بكونَ خَوَاناً البِّماً، أَوْخُواناً كفوراً.

لكن خيانة قرّم ما لجماعة المؤمنين في عُمودِهم، وتُذْبِرَ المكايد صُدْهم كمافيّة لإخراج هؤلاء الخائنين من داشرة محبَّة الله، ولو لم يصلوا إلى دوكنة خوّانيين، وفيهما يقول الله عزّ وجلّ في سورة (الأنقال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿ وَإِمَّا نَفَا فَكَ مِن قُوْمٍ خِمَانَةً فَأَنْبِذًا لِنَهِمْ عَلَى سَوَآءً إِنَّا لَلَهُ لَا يُصِبُ ٱلْمَآلِينِينَ ﴿ ﴾:

أي: فنانبذ إليهم عهدهم، وأعلمهم بـذلك، وكُنْ معهم على سـواءٍ في عـدم الالتزام بالعهد السابق.

وهكذا تكاملت النُّصوصُ في دلالاتها.

وقد كان في قصة بني أُبَيْرِق من هو خوَان أثيم، وهو منافقهم السارق.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَسْــتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ :

أي: يُحاولون جَهْدُهُمْ أَتُخاذ وسائل الاستار عن أعين الناس ومراقبتهم لارتكاب جرائمهم وأثامهم في الخضاء، وهم لا يستطيعون الاستخفاء عن الله العليم السميح البصير الذي هو معهم شاهدُ حاضرٌ أينما كانوا، ومهما استَخْفرا. وقد كان من بني أبيرق أنهم استخفرًا بجريمتهم من الناس، لكنهم لم يستطيعوا الاستخفاء من الله، وقد فضحهم الله.

غول الله عزّ وجلٌ:

﴿ وَهُوَمُعَهُمْ إِذْ يُنَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْفَوْلِ ﴾:

أي: والله عزّ وجلّ مَع هؤلاء الخائين ومَع كلّ خائن حين يُيْرِمُرنَ في اللّبل حيث يُستِمونَ عن المين المُقالِم اللّب المُقالِم اللّه يُرضَى مِنَ الْقَوْلِهِ اللّه يجعلونه متضّمناً خطط الخيانة التي سجعلون بمقتضاها.

وإذا كان الله معهم عليماً بما يُبيئُون فإمَهم لن يستطيموا أن يُفلُتُوا من عقب الله منى شاء الله إنزال عقابه فيهم، ولن يستطيعوا أن يُنَفَّـذُوا أمراً لم يأذَن الله بَنْفَينِذِو ضِمْنَ مقتضى حكمته.

وقد كان من بني أبريق تبييتُ قول، فيما بينهم لا يرضاه الله.

...

قول الله عز وجل:
 ﴿وَكَانَ أَنَدُهُ مِمَا يُعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿

أي: والله بما يعملون محيطً دواماً، لا يُشرَّكُ من أعمالهم عميلاً يُستَقَّى أَهْدافَهُمْ منه إلاّ أَنْ يَأَذَنَ بـفلك ضمن مجاري حكمت، فـإِنْ أَخَيَطُهُ فبحكمته، وإِنْ أَذِنَ بنفاذه فبحكمت، والله في كلّ الأشوال لا يَهْدِي كَنْذِ الخالتين.

* * *

قول الله عز وجل:

﴿ هَنَا أَنَّدُ هَوْلَا مِهَدُ لَنْدُ عَنْهُم فِي الْحَيَوْةِ الدُّنِيَا فَحَن بُجَدِلُ السَّعَتُهُم بِوَرَ الْفِينَمَةُ ﴾ .

هذا الخطاب موجّه على وجه الخصوص للذين جادلوا مدافعين عن الخائنين من يني أَيْرِق، بأنّهم أهل إسلام وصلاح، بغيّة تبرئتهم وإبعاد تهمة السرقة عنهم، وموجّمه على وجه العموم لكلّ من أخذ يدافع عن أيّ خائنٍ أو مجموعةٍ من الخائنين حتى أخر الدهر.

ويُلاحظ أنّه قد كان يكفي هي النصير لتوجيه الخطاب أن يقال: هَا أنتم جَـاذَلْتُمْ. فلماذا جاء التحبير: ها أننم هؤلاء جادلتم؟

قال النُّحاة: إنْ حرف (ها) الـذي للتبه لا يدخل إلاً على اسم الإنسارة الذي لغير البعيد، وعلى الضمير الرفع المخبر عنه باسم الإنسارة، مثل: هـا أنتم هؤلاء ــ ها أنتم أولاء ــ ها أناذا ــ والجملة بعد هـذا التعبير تـأتي حالية أوخبراً بعد خبر. والثالث أن تدخل بعد (أيّ) في النداء نحو ﴿إِنَّا أَلِهَا الذِينَ آسُوا﴾. واعتبر النحاة التعبير بنحو ﴿هَا أَنْتُم هَؤُلاء﴾ من التعبيرات العربيَّة العتبعة، التي يلازمها هذا الأسلوب، وجعلوا: أنتم هؤلاء _أثَّتُم أولاء _ أنا ذا _ مبتدأ وخبراً.

وقال بعض النحاة: إنَّ ومؤلاء في مثل [ها أنتم هؤلاء جادلتم] و [ها أنتم هؤلاء -حاجَمِتُم] و[ها أنتم الاء تُعبَّروَهُم] نداة معترض بين المبتدأ اللذي هو ضمير الرفح والخبر الذي هو الجملة بعد اسم الإنسارة المنادئ بحرف نداء محدوف، ولم يرضه صيوبه.

أقول: هذا الفهم أقرب لكمال التعبير القرآنيّ، ويكون نداه المخاطبين باسم الإشبارة، فيه معنى الدوبيخ لهم في هـلم الاستعمالات القرآنية الشلائـة، كمـا يقـول القائل: إليك عني أنت با هذا، وابتعدوا عني أنتم يا هؤلاء.

أمَّا تخريج العبارة على طريقة جمهـور النحاة فتكلُّفُ لا يتــلاءم مع مــا يُعُهَم من التعبير بالنلقائية، والله أعلم.

والمعنى: ها أنتم يا هؤلاء الذين أعتم الخائنين على نبرتهم من جريعهم، جادلتم عنهم في الحياة الدنيا، فدفعتم عنهم أمام الناس النهضة، وحميتموهم من المقوبة، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة، حين يحاسبهم على خياشاتهم، ويُدينهم بجرائمهم، استداداً إلى صحف أعمالهم وشهادة جوارحهم عليهم، وعلمه بواقع حالهم؟!

إنَّ الحواب البدهيِّ لهذا السؤال: لا أحد، إنَّهم سَيُدانون ويستحقون عقاب الله بالعدل.

قول الله عزّ وجل:

﴿أَمِّ مِّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞﴾.

إنَّ الجواب البدهيِّ لهذا السؤال: لا أحد. الوكيل على إنسان أو غيره هـــو الذي يتـــولَى مَصَالِخَـةُ وحمايتُــه ويَقِيه من السُّــوء ويـرغىٰ مختَلِفَ شُؤونه، ويـوم الحساب لا وكيـلَ ولا نصيرَ من دون الله، ولا شفيـغ إلاّ بإذنه.

قول الله عزّ وجار:

﴿ وَمَن يَشْمَلُ ۚ سُوَّءًا أَوْيَظْلِمْ نَفْسَمُ ثُدَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِبِ اللَّهَ غَلُورًا

رَحِيمًا 🚭 -

بعد الوعيد الفسمنيّ بالعقوية على جريمة الخيانة، فتح الله عَزُوجلٌ في هذه الآية للمذنبين بماب الاستفار والرجعة إليه بالاعتراف بـالـذنب، وطلب المغفرة، ولا يكون الصّدق في هذا إلاّ مع الندم والعزم على الاستضامة، فمن صدق في رجعته لربّه واستغفاره من ذنبه وجدالله كثير الغفران واسع الرحمة.

السُّوة: في اللَّفَةِ كُلُّ مَا يَقْبُحُ، وكُلُّ مَا يكرهُهُ وَيَشْنَاءُ مَنهُ مَنْ مَسُّهُ، أومَسَّ شيشاً يُحْرِص هو على سلامته.

وأطُلِقَ عَفَلُ السُّوء في الغرآن على ارتكاب الذُّبُ سواة أكان من الصخائر أومن الكبائر، لأنّه عملٌ قبيح من جهة، وعقويته تُسُوه مرتكبَّ من جهة أُخْرَى، وإذا كان هذا العمل من قبيل العمدوان على ذي شعور يُدْرِكُ العملُ القبيح فإنـه يسـوَّه أَنْ يُمُشَدَىٰ عليه.

﴿ أَوْيَظُلِمْ نَفْسَهُ ﴾

لي: بارتكاب معصية من المعاصي الطاهرة أو الباطنة مع الناس أو بينه وبين ربّه، لأنّه يعرّض نفسه لعقوبة الله ونقمته، وظلم النفس يكون بارتكاب أعظم المعاصي كالكفر بالله والنفاق والشرك، بارتكاب الكبائر وكلّ معصية تجلّب لمرتكبها عقومةً أوخُسُوانًا عند الله.

> ونتساءل: لم قسم الله في هذه الآية المعاصي إلى قسمين: القسم الأول: سمّاهُ اللهُ سُوءاً.

والقسم الثاني: وصفه الله بأنه من قَبِيلِ ظُلُم مرتَكبهِ لنفسه.

وبالتأمّل يُشكن أن نُجيب: بأنَّ عمَلَ السُّوه يشمَلُ كلَّ عصل يُفرِك السَاسُ فَيْحه، فيسووهم أن يرتكبه مذبّب، أمّا المعاصي التي يظلم الإنسان بها نفسه فنهها أنواع لا يُدوكُ كثير من الناس قَبِّمَهَا، كالأمور الخاصّة بين العبّد وربّه، وبدأ الله بما يُدْرِكُه النامُن من عمل السُّور، وهو بعضُ أفواد ما يظلم به العبَّدُ نفسه، ويصنهُ ذكر العنوان الذي يشَمَلُ كلَّ الذَّنوب، ما يُدْرِكُ الناس سُونَهُ منها وما لا يُدْرِكون، ممّا أبانه الله لعباده فيما أنزل على رسوله، ولا سيما الأمور التعبُّديَّة.

قول الله عز وجل:

﴿ وَمَن يَكْسِبُ إِنْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِدْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا عَكِيمًا ١٠٠

أي: ومَنْ يَضُمُّ إِلَىٰ نفسه بعمله إِنَّمَا يَخْمِلُ لَقُلْمَ، وَلَمَا يَحْمِلُ جَائِياً عَلَىٰ فَقَسِهِ ظالماً لها، ولا يُحْمِيُّ لنفسه وإن بدا لَهُ في عاجل أمره أنَّهُ لمتفحه ولدُّنِه، لاأنَّ العسرة بعواقب الأمرو، لا بأوائلها ألني تغرُّ المتعجلين، والإثم هو الذُنْب الذي يستحقُّ مرتكبُّه العقوبة، من صفائر الذنوب وكبائرها.

إنّه بعمله الذي يظُنُّ أنّه يكبيبُ بِـه شيئًا لمصلحة نفسه، إنّما يكسب به شيئًا يُتْزِلُ بِه على نفسه ضرراً وعقوبة، فهو على نفسه لا لها.

إنه سبكون عرضةً للحساب وفصل القضاء والجزاء يوم الدّين، وقد دلّ على هذه الأمور قول الله عزّ وجلّ:

﴿ زَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ إِنَّانَ اللَّهُ اللَّهِ ﴾.

قول الله عزّ رجلٌ:

﴿وَمَن يَكُسِبْ خَطِينَةً أَوْلِهُا ثُمَّ رَرْمِ بِهِ مِرِيَّا فَقَدِ أَحْتَمَلَ مُهُنَّنَا وَإِثْمَا تُمِينًا ﴿

الْخَطِينَةُ: تُطْلَقُ عَلَىٰ مَا يُخَالِفُ الصُّوابَ والْمَطْلُوبَ من العبد عن عَمْدٍ أو خَطَامًا،

من صغار المخالفاتِ وكبارِها، وعلى الذنوب كلُّها.

والإثمَّ: هو الذَنْبُ الذَي يستَجقُ عليه فاطه العقوبة من الصغائر والكبائس. والمعنى: ومن يَعْمَلُ خَطِيئة أو يَعْمَلُ إِنْصاءً، ثَمْ يَرْم بِالَّذِي تُسَبَّهُ من خَطِيعةٍ أَوْ إِنْمِ إِنْسَاناً بَرِيَاءً لَيَّبِعِد النَّهِمَةَ عَلْ نَقْسِه، أو لِيُوقعَ أَنْرِي، في نظر النَّاس بارتكاب الإثم مكراً به وكيداً له، وليتخلص منه أو من مكانت الاجناعية، بما يَمَزل فيه من عصابٍ عصل لم يعمله. فقد اختَمَل من الجرائم جملًا نقبلًا لا يستطيع حمله إلا بتكلُّب ومشقة، وهذا الحمل يَشْنِيل على جريمتين كبرين:

الجريمة الأولى: البُّهْنان وهو افتراء الكذب.

والجريمة الأحمرى: الإثمُّ السبن، وهو ماكان منه من قُلْفِ لِلْبري، بما يَجُسُّ عليه العقوبة، وهو ظلَّمُ عظيم، من الكبائر الكين، وبما يُصِمُّه في نظر النَّاس من ارتكاب الإثم الذي هو بريء منه، وربَّما يكون هذا أشدُّ إيلاماً له من العقوبة، وهيو أيضاً ظلم عظيم من الكبائر الكبرى.

وقد اشتملت قصّة بني أَبَيْـرِق على هذا النوع من الجراثم، إذِ ارتكب مـرتكبهم الإثم الكبير، ثمُّ رَمُوا به شخصاً غيرُهُ من البرءاء.

قول الله عز وجل :

أي: وأولا فضلُ الله عليك يا محمدً بالممبرة والمطفئ، وقضُّ المصلَّين عَنْكَ، ولولا رحَمْتُه أيضاً بالمعفرة لما لا يليقُ بمنزلتك العطيمة، لَهَمَّتْ طائفةٌ مِنْهُمْ مِنْ أهـل الكيد والمعصية والنفاق، أنْ يُصِلُّوكُ عَنِ الحقَ بما رغيوا في أن يُقَدِّمُوا لَكُ من حُجَج وأتوال كاذبة خادعة، لكنّهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى مستوى الْهَمَّا") الذي هـو دون

⁽١) أعطا بعض أهل الشاريل في تفسير الهم بالإرادة لجنزمة أوبلغزم . فبارقمهم هذا الخطأ في مقاميم غير شرافة من النصر، انظر في (الفصل الرام) من كاب الاصلاق الإسلامية وأسسها للمؤلف: مستويات نوئه النفس إلى العمل الإرادي بواقع السؤويّة.

حول ما يبجب على القضاة والخصوم وأنصارهم بمناسبة حلائة سرقة المنافق من بني أبيرق

الإرادة الجنازمة التي تعفع إلى التنفيذ هنادة، ففسلًا عن أن يصلوا إلى مستوى الإرادة الجنازمة، ثم التنفيذ بسبب فقسل الله عليك ورحمته، فرجودُ ففسل الله عليك ورحبت، جَعَل رغباتهم لا تَعِيلُ إلى مستوى الهمّ بأنَّ يُضِلُوكَ.

ولو أنّهم حاولوا أن يُعِلُوكُ فَإِنَهم لا يُعِلُونَ إِلاَ أَنفسهم، إِذْ يَخَبِفُونَ وَيَسْقُطُونَ في المكينة الّتي سَيَجِيدُونها، وَمَا يَهُسُرُونَكَ بِهَسرٍ ما من شيءٍ من الأشياء الّتي يُمْكنُ أَقْ تُهُرُ.

فيسبب فضل الله عليك ورَحمته ما وقع منهم همَّ بأن يُفِيلُوك. ولو وقع منهم هذا الهمّ لما اضلُوا إلاّ انصهم، ولَمُنا استطاعوا أن يُفُسرُوك ضرراً مُنْشَرُهاً من شيءٍ من الاشياء.

وفي هذا البيان نتبيهُ موجَّهُ لأهل الكيد والمكر أنْ يُكُثُّموا كُلُّ جَيْلِهم، فمانف حافظً رسولَهُ من كـلَّ ما يُمكن أن يكـون منهم من مكرٍ سُيْسيءٍ وكيـد عظيم، وصاحبُمُ له من الناس.

قول الله عزّ وجل:

﴿وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمْكَ مَالَمَ تَكُنّ تَمَلَّمُ وَكَاكَ ضَلْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿﴾ .

يُنابع الله خطابه لرسوله فيمنتُ عليه بنائهُ أَنْزِلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ الَّذِي هُمُو القرآنُ المجيد، وانزل عليه الحكمة، وهي كدُّلُ ما ذَلَتْ عليه السُّنَّةُ النبويَّة من قبول ارفعل أَوْخَلَقِ إِنَّ إِلرَارٍ. وعلمه فوق ذلِكَ من العِلْمِ في غير قضايا اللَّينِ ما لَمْ يَكُنْ يُعْلُمُ.

وامْتَنُ عليه بأنَّ فضله عليه بذلك وبغيره من عطاءاتٍ جليلات كانَ عظيماً.

والمقصود من توجيه هذا الامتنان إشمارُهُ بمسؤوليته العظيمة تجاه ربّه، بالنسبة إلى كلّ ما تفضّل الله به عليه، من تشريف بإنزال الكتاب والحكمة عليه، وهبة العلم، وعطمات الفضل العظيم.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ لَا نَدَمْرَ فِي كَنْ يُعِرِينَ نَجُوطُهُمْ إِلَامَنُ أَمْرَهِمَدَقَةِ أَوْمَمُوْفٍ أَوْإِمْسُكَج بَيْرَكَ النَّاسِ وَمَن يُفْمَلُ وَالِكَ أَيْفِكَا مَرْصَاتِ الْعَوْشَوْفَ نُوْلِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ۖ ﴾.

بمناسبة التناجي الشري الدي حصل بين بني أيشرق وبعض الذين جاذلُوا عنهم من أدلياتهم، وجمه الله عزّ وجلّ عائمة المسلمين بشأن الاجتماعات السّرية، التي تكون داخل المجتمعات، بعيداً عن مراقبة قادة المسلمين ذوي البيعة الإسلامية الصحيحة، مبيّناً لهم ضرورة البقظة والحذر من التجمّمات التي تحدّث داخل المجتمع المسلم، والتي تكون فيها النّجوي، اي: الأحاديث السّريّة بعيداً عن علم ومراقبة القيادة المؤمنة المسلمة.

إنَّ الاجتماعات السَّرِيةِ التي تكون فيها النَّجُوى بعيداً عن علم وسراقبة قيادة العسلمين المؤمنة الرَّشيلة اجتماعاتُ مشهوهة بصفةٍ عامَةٍ لا خير في كثير منها:

﴿ لَاخَيْرَ فِي كَيْبِرِ مِن نَجُوطُهُمْ ﴾.

فالقاعدة العامة بالنسبة إلى هذه التجمّمات والتُكتُّلاتِ التي لهما مجالس نجوى تجري فيها أحاديث سرّيَة، أنّها لا خبر في كثير من نجواها، بـل احتمالات الإضسرار فيها بمصالح المسلمين أفرادهم أو جماعاتهم أو دولتهم هي الاحتمالات الاكثر.

إذن فيجب مراقبتها والحذر منها. ويجب على جماهير العسلمين أنَّ لا يَلْجَدُّوا إليها باستثناء بعض الصّور، ومنهما صور ثـلاثة يُمَكن أن يُصاسَ عليها أشبـاهها، وهي ما أيانَّة الله عزَّ وجل بقوله:

﴿ إِلَّا مَنْ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ أَوْمَعْرُونِ أَوْ إِصْلَاجٍ بَيْكَ النَّاسِ ﴾:

والصورة الثانية: مجلسٌ تكونُ فيه نَجْوَى قائمةً على أَشْرٍ بمعروف أو نهي عن منكر، لشخص بعينه أو أشخاص بأعيانهم، فواجب النصيحة في مثل هذه الحالة أنْ تكون نَجُوى، حديثاً في السّر، لا حديثاً معلناً، وإلاّ كان فضيحةً لا نصيحة، وربّما جرّاتُه الفضيحة على التمادي في الغيّ، والمجاهرة بالإثم، مع المكابرة والعناد، فالنجوى القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأشخاص بأعيانهم يُعطِي الله من يفعلها ابتغاءً مُرْضاته اجراً عظيماً.

والصورة الثالثة: مجلسٌ تكونُ فيه نجوى قائمةً على محاولة إصلاح بين فريقين مُتَخاصين أومتعاديّين من الناس، فالنجوى في قضايا الإصلاح بين النَّالس، تُقينيءً أَحْسَنُ النَّطُووف لتقريب وجهات النظر، وتهديم عواسل الشُقاق والخلاف، ونفير الأفكار التي تستير الغضب وتوقظ الحميّات والأنائيات، وإطفاء نار الفننة، وإعطاء قرصة للمُصلحين أن يكتموا عن الفريقين كثيراً ممّا يَعْلُمون ويستمعُون منهما، وأن يقولوا من عندهم ما يكون سبياً في تأليف القلوب، وإنشاء الممودّات، عمالًا بقول الرسول ؟ ::

وَلَيْسَ الْكَذَّابُ بِالَّذِي بُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِي خَيْراً، ويَقُولُ خَيْراً.

(حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم)

فَيْنِي خيراً: الى: يُبْلِغُ خيباً ويَرْفَعُه على وجُهِ الخير، للإحسلاج. يُقالُ لُفَةً: نَمَى الرُجُلُ الْخَبِيثَ، إذا رُفَعُهُ وَبَلْفَهُ عَلَى وَجُهِ الإصلاح.. أمَّا نَمَّى الْعَبِيثَ بالتَشْهِيد يُنْنِه تَنْبِيَّةً، فهو أنْ يَبْلَغ أخد الضريقين كلاماً عن الفريق الأخر، على وَيُهِ الإفساد والنمية، وهذا مضموم، وهو من الكبائر.

فلاجظِ الفرقَ بَيْنَ نَمَىٰ الْحَدِيث يُنْمِيه بالتخفيف وبَيْن نَمَّاهُ يُنَمِّيه بالتشديد.

فالنجوى القائمة على الإصلاح بين الناس ابتفاء مرضاة الله يُعطي الله عليها أجراً عظماً.

وبعد بيان الصُّوْر الخَيْرة المستناة من عموم النجوني، قال الله عزّ وجل: ﴿ وَمَن يَفْصَلُ ذَلِكَ آبَيْهَا آهَ مَرْصَاتِ التَّوفَسُوفَ نُؤْلِيهِ أَجَّرًا عَظِيمًا ﴿ ﴾.

المشار إليه باسم الإشارة [ذَلِك] الصور الثلاث التي سبق شرحها.

قول الله عزَّ وجلَ:

﴿ وَمَن يُشَافِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا لَبَنَّ لُهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قُلُهِ. مَاتَوَ لَنَ وَنُصْلِهِ، حَجَهُ خَتَّمَ وَسَامَتْ مَصِيرًا ۞ ﴾.

يدخل في عموم مشاقة الرسول كلّ عمل يخالف سبيل المؤمنين، ومنه التناجي في السّر بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، بدليل الإحـالة على هـذا النص في النصّ اللاحق الذي أنزله الله في سورة (المجادلة) في الآية (٨) منها، كما سيأتي بيانـه إن شاء الثلاً).

ومن هذه المشاقة ما كان من المنافق السارق من بني آيرق وبشيرء على ما جاه في رواية سبب النزول، إذْ فتر من المدينة دار الإسلام يومشة، وخبرج عن جماعة المسلمين، وأتّم غير سبيلهم، ولحق بالمشركين في مكّة، حين انكشف أمره، وخاف من إنزال عقوبة السّرقة به، وقد أبان الله عزّ وجلّ سُتّة الثابتة في كلّ من يشاقق الرسول من بمدما تبيّن له الهدى (وهبو الحق الذي انزك الله على رسوله) ويتّبع غير سبيل المؤمنين، بإرادته الحرّة، وهذه السُّنة تلخّص بثلاثة عناصر.

العنصر الأول: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُمكُنُهُ مِنْ مُتَابِعة مسيرة حياته، وفق ما اختبار هو لنفسه، حتى تنتهي رحلة امتحانه في الحياة البدنيا، ليلقىٰ عند ربَّه يبوم الدِّين حسبابه وجزاءه.

فما اختار لنفسه فتولاًه، بأن احمّ واعتقده وأزمه واتّبهَه، من مفهومات، وأعمال، وشياطين إنس، وجنَّ، ولأه الله إيّاه، فسخَر له الروسائـل والاسباب، ومختلِف المنظروف لمما يُريسُدُ ممّا تولَّى، ومكّنه من ذلـك ضمن سنته العمامّة لكـلَّل عبـاده، دلُّ على هـذا العنصر قول الله عزَّ وجل:

﴿ نُوَ إِيهِ مَا تُوَلَّىٰ ﴾:

 ⁽¹⁾ وهي قبول الله تعالى فيها: ﴿ لَلْمَ تُسر إلى المدين نُهُوا عن النجوى ثم يصودون لما نُهُوا عنه
 ويتناجون بالإثم والعدوان ومصية الرسول. . . ﴾ (من المجادلة /٨٥).

أي: نمكته من أن يتولَى ما اختار هو لنفسه أن يتولاً، فنجري لمه الأسباب على وفق السُّن العالمة، دون أن نمنع عنه شيئاً منها، ما لم تُقْض الحكمة العامة له أو لغيره بعدم تحقيق مواده.

العنصر الثاني: أن يُذيفُه الله عذاب النّعرِيق في جَهَنَم. يُضَالُ لَفَةً: صَلَيَ النّعارُ وصَلِيَ بِهَا يَشَلَىٰ صَلّى وَصِلِيّاً، إذا احْتَرَقَ فيها. ويُقال: أَشَادُهُ النّارُ وَأَصْلَاهُ بِها وفيها وعليها إذا شَوَاهُ عليها وأخَرْقُهُ.

> دلَ على هذا العنصر قول الله عزَّ وجلُ: ﴿وَنُصِّــلِهِ.جَهَــنَّهِ ۗ

العنصر الثالث: أن يجعله الله خالداً في جهتَم إذ تكون هي مُصِيرُهُ الأخيرَ الذي هو صائر إليه، وسَاءَ ذَلِكَ المصير، دَلُ على هذا العنصر قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَسَآةَتْ مَصِيرًا ﴾.

إنّ التعذيب بنار جهنم قد يكون تصديعاً مُرقّقاً، إذْ يكون المصير الأخير لبعض المعقر الأخير لبعض المعذين فيها الحبّة دار النصيم، لكنّ هذا الذي شاق الوسول واتّبَع غير سبيل المؤمنين يُصليه اللهُ جَهَا، وليجعلها مَهِيره الأخير، فيكون خالداً فيها، ولتأكيد الدّلالة على هذا الممنى، جامت جملة الدّم: ﴿وَرَسَاءَتُ مَصِيراً﴾ مفصولة بالعطف الذي يتضي نوعاً من التغاير الذي فيه إضافة عنصر جديد للعنصرين السابقين، وليست مجرّد جملة مَمْ للعبهنم.

قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿إِنَّالَةُ لَايَمْفِرُكُ يُشْرِكَ بِهِ، وَيَعْفِرُمَادُونَ ۚ فَالِثَ لِمَنْ يَثَنَاهُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكُ بِأَهِ فَقَدْ مُثَلِّ مُثَلِّا مُنْظِرًا ﴾.

اشتملت قصّة سرقة المنافق من بني أبيَّرق على كبيرة السرقة، والكبيرة الأشدّ الني هي قلف أحد البرآء بها، وعلى الكبيرة المكفّرة الكبرى الني هي مُشَاقَةُ وبُشير، للرسول، وخروجُه عن جماعة العسلمين، ولُمُوقه بالمشركين. إنَّ هـذه المناسبة استدعت أن يُسْرِل الله بيانـاً حول مـا يُغْفِـرُه ومَـا لا يغفـره من المعاصى.

فوضع الله عزّ وجلّ حدًا فاصلاً، أبانَ فيه أوّل دركاتِ الكيسائر الكبرى الّي لا يُفْفِرها، إذْ تَقَدَّعُ تَنَّحَتُ أَفْنَى دَرَجَاتِ الإيصان والإسلام، وتبدأ عندها أوّل دركـاتٍ الكفر.

ونفهم من بينان هذا الحدّ الغامسل أنّ مَا هُـو أَشدٌ من هـذه الدُّركة من دركات الكفر، لا يُغفّره الله من باب وأولَى.

إِنَّ أَوَل دركات الكبائر التي لا ينفرها الله دركة الشركِ به، إذن: فما هو أشدَّ من الشرك كالكفر بوجود الله، والكفر بصفاته، والكفر برسُلِهِ وبمــا أَنْزَلَ، إلى ســائر أنــواع الكفر وصُوْرِه جرائم لا ينفرها اللهُ حثماً.

وبعد بيان هذا الحدّ الفاصل أبان جلّ وصلا أنّ ما هــو أخفُّ من دركة الشــرك به من كلّ المعاصي كبائرها وصغائرها قابلةً لأنّ يُغْيَرها الله لمن يشاه.

بعد هذا أبان تعالى السبب في كونه لا يغفر الشرك به فما هو أشدً من الشرك من أنواع الكفر، وهو أنَّه ضلال بعيدٌ جناً، فصاحِبٌ هذا الكفر قد أبعد نفسه عن كلَّ دائرة رحمة الله بالعفو والمففران، فهي لا تشملُه، فقال تعالى:

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِأَلَّهِ فَقَدْضَلَّ ضَلَاكُلا بَعِيدًا ١٠٠

وتُلاحظ في هذه الاية دليلاً لفول جمهور الفقها، والعلماء من أنَّ من ترك الصلاة تهاوناً وتكاسلاً غير جاحد لها ولا مستكبر عن عبادة الله، فيأنه لا يكفر، ولا يخرج من الملّة، ولا يكون محروماً من احتمال أن يفضر الله له إذا شماء، لأنَّ ترك الصلاة دون الشرك بالله حماً.

النصّ الثامن عشر

وهو من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) سادس سورة مدنية الآيسات مسن (١٣٦ – ١٤٧) بشأن قسم المذبذين من المنافقين، وبعض صفات عموم المتنافقين

قال الله عزَّ وجلَّ:

 النَّاسَ وَلاَيْدَكُورِكَ الْقَابِلَا فِيلَا فِي مُنْبَدَّينَ بَنْ ذَلِكَ لَآلِ مَعْوَلَا وَلَآلِ هَوُلَا وَلَ يُمْلِلِ اللَّهُ فَانَ غَيْدَلَهُ سَيِيلَ فِي يَكَانُهُا الَّذِينَ ءَاسُوا كَانَتَجْدُوا الْكَنْبِينَ أَوْلِيَاتَهُ مِن دُونِ الْمُؤْمِينَ أَنْرُعِينَ أَنْزُيدُونَ أَنْ جَمَّسُلُوا يَقَ عَلَيْحَكُمْ سُلَطْنَا مُيسَاقِهِإِنَّ الْتَنْفِقِينَ فِي الذَّرْكِ الْأَسْفَىلِ مِنَ النَّارِ وَلَن يَجْمَلُهُمْ نَصِيرًا فِي إِلَى الَّذِينَ قَابُوا وَأَصْلَمُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَمُوا دِينَهُمْ فِيهِ فَأُولَئِهِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْفَ يُؤْتِ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ آخِرًا عَلِيمًا فِي مَا يَفْعَمُ أَلْلَهُ بِمِنَالِكُمْ إِن شَكَرَتُمُ وَءَامَنَـمُمْ وَكَالُلُهُ

. . .

(1)

ما في النَّصُ من القراءات المتواترات (من الفرش)

في الآية (١٣٦):

- (١) قرأ أبن كثير، وأبو عمرو، وأبنُ ضامر: [وَالْكَتَـابِ الَّذِي نُـزُلُ عَلَىٰ وَسُولِـهِ
 وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزِلَ مِنْ قَبْلَ اللَّهِا لِهَا لَمْ يُسَمَّ فَاجِلُهُ فِي وَنُزْلُ، و وَأَنْزِلُه.
 - (٢) وقرأ بَاقِي العُشرة: [نَزُّلُ وَأَنْزُل] بالبناء للمعلوم في الفعلين.

وفي الفراءتين تنويعُ في الأداء البيباني، وقـراءة جمهـور الفرّاء تُفسّـر القـراءة الاخرى.

* في الآية (١٤٠):

- (١) قوأ عاصم، ويَعْقوب: {وَقَدْ نَزُلُ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ] بالبناء للمعلوم. في فعل [نَزُل].
 - (٢) وقرأ باقي الفُرَّاء الْعَشرة: [وَقُدْ نُزْلَ عَلَيْكُمْ] بالبناء لما لم يُسَمُّ فاعله.
 - وفي هاتين القراءتين أيضاً تنويعٌ في الأداء البياني.
 - في الآية (١٤٥):

- (١) قرأ الكوفيُّونَ وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف»: [في الدُّرُكِ] بإسكان الرَّاه.
 - (٢) وقرأ باقي القراء العشرة: [في الدَّرَكِ] بفتح الرّاء.

والقراءتان وجهان غربيانِ للكلمة، وقيل: والدُّرْك؛ بفتح الراء جمع وتُرْكَة.

- ♦ في الآية (١٤٦):
- (١) قرأ يعقوب في الوقف: [وَسَوْفَ يُؤْتِي] بإثبات الياء على القاعدة النحوية.
- (٢) وقرأ باقي الغراء العشرة [وستوف يؤت] بحذف البياء مطلقاً وصلاً ووقفاً، مراعلة لرئسم المصحف، وحذف الباء جاء للتخفيف ومراعلة حالة الوصل، فالفراء تسان وجهان من الأداء العربسي.

(Y)

موضوع النص ور صنف من المنافقين وهم العنافقان المبادلين

يتناول هذا النص الحديث عن صنفٍ من المنافقين، وهم السنافقون السفيفبون بين المؤمنين والكافرين، المتردّدون بين الإيمان والكفر. فهم تُلِقُون لا استقرار لهم، ولا ثبات لهم على رأي إعتفاديًّ واحد، ولا منهج سلوكي صاديٍّ واحد.

وتناول هذا النصّ كشف طائفة من صفاتهم، فهم يؤوندون، ثُمَّ بَكُفُرونَ، ثُمَّ يؤمنون، ثمّ يَكُمُّرونَ، وهذا النرقُّدَ يجعلهم في حالة نوبة الإيسان يتطلّمون إلى الكافرين ذوي القوّة الظاهرة، فيتغون أن يستندوا إليهم، ويتقوّق بهم، ويوالُوهُمُّ من دوبُ المؤمنين، وهذا يدفعهم إلى أن يُكْتِروا من مجالستهم في مجالسهم، ويُقْصُوا النظر عنا يشمعون منهم من كُفّمٍ بآياتِ الله المنزّلة على رسوله واستهزاء بها.

وهذا التردّد الذي هو وصفهم، إذْ يتماقبُ عليهم الإيمان والكفر، يجملهم وهم في نوية الكفر يظلُّونَ محافظين على الانتماء إلى الإسلام في الظاهر، ويجملُهم في حالة تربُّص دائم بين المؤمنين والكافرين، يُراقبـون الأحداث بين الفـريقين، فمن غلَب أو غَيْم منهما اتبلُّوا عليه مطالبين بالمشاركة، زاعمين له أنّهم منه. وحالة التذبذب النفسي لمدى هذا الصنف من المنافقين تدفعه إلى أن يتُخذ أسلوب المخادعة لنسَّر حقيقته .

ومن عـــلامات هــذا الصنف من المنافقين في ظــاهـرات السلوك الإســـلاميّ.، ومن علامات سائر المنافقين ما يلي:

(1) أَنْهِم إِذَا قَـامُوا إِلَى الصَلاة قَـامُوا كُسـالْيَ، يراءون النّـاس، إِذْ لَم تَسْتَقِرُ
قُلُوبُهم، على الإيمان حتى يؤمنوا بجدوى الصلاة، وكذلك سائر الأحسال الإسلامية،
والمراثي لا يستطيع أن يكُونُ مُنْفَعلًا أَنْهمالاً ذَاتِينًا مع العمل الذي يُؤْدِي رياة ومخادعة.

(٢) أنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، إذْ مُمْ في نوية أتجاه قلوبهم للإيمان وبقائها فيه قد يمذكرون الله حمرٌ وجلَّ، لكِنُّ صغه النوية لا تطول، إذْ سَرَعان ما يُرْتَدُونَ إلى الطرف الأخر الاقضى باطناً، وإنْ ظَلْوا محافظين في الظاهر على الإسلام ومشاركة المسلمين في أعمالهم، والانخراط في صفوفهم.

وجـاء في النصّ مُراعـاةً نوبـة الإيمان الـذي يكـون لـه إشــراقُ مـا في قلوبهم، فَيَطالُهُم بأن لا يَتَخــُفـوا الكافــرين أولياء، لشكّ يجعلوا للهِ عليهم حُجُّةً واضحــةً بأنّهم يستحقون العقاب الشديد، كما هو موجه لـــاثر المؤمنين.

وجاء في النّصَ مراعلةُ نَوْمَةِ الكُفُر الّـذي يُغلّفُ بصائـرهم، مع محــافظتهم على ظاهر إسلامهم، فيُوجَه لهم الوعيد بأنّ المنافقين في الدّرُكِ الأسفل من النار.

وبعد ذلك يفتح الله عزّ وجلّ لهم باب التربة وإصلاح وضعهم بالإيصان الثابت المستمرّ، والاستفامة على مقتضيات الإيمان، وإخلاص دينهم لله عزّ رجلّ، ويُصدُّمُمْ بنان يكونـوا مع المؤمنين، ويتجـاوز عن تقلَّهم السابق بين الإيمان والكفر، إذا تمابوا وأصّلحوا واعتصموا بالله، وأخلصوا دينهم لله، ويُبيّن الله لهم أنه ليس له سبحانه خرضٌ خاصٌ بعد ايهم، أي: لكنَّ قانون الجنزاء العامّ الذي تقتضيه الحكمة لا يُدّ أن يُنَّفُ له بالمدل، فيإذا تابوا واصلحوا واعتصموا بالله، وأخْنصُوا دينهم لله، استَحقُّوا بمقتضى قانون الجزاء العام وقانون الففران لمن تاب قبل فوات الأوان أن يغضر الله لهم ماكان منهم قبل الثوية والاستفامة من تردُّة وتقلُّب بين الإيمان والكفر.

(٣)

المفردات اللَّغوية في النصّ

﴿ لَرْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾:

هذه من الصفات السلبيّة فه عزّ وجلّ، أي: من صفاته الّتي يتُصف بها دواماً من الأزل إلى الآبد أنه سبحانه لا يغفر لمن تركدوا بين الإيمان والكفر، ثمّ استقرّوا أخيراً على الكُفّر وازدادوا فيه، وانتهت رحلة استحانهم في الحياة الدنيا وهُمّ كذلك.

والَّلام في [لِيقْفِرَ] يُسمَيها النَّحاةُ لامُ الْجُحـودِ، لوقـوعها بَعُـدَ كُرُنِ مَنْفِيَّ، لي: هي لتأكيد معنى النفي.

﴿ بَشِيرًا لَّمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَمُتَّمَّ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾:

يُقالُ لفة: بَشْرَةُ بَيْشَرَهُ، إِنَّا أَخَيْرَهُ بِمَا يُسُرُّهُ وَيُقْرِحُهُ، وَكَذَلِكَ أَيْشَرَهُ، وَسَفْرَهُ بِشْراً وَيُشْراً وَيُشْوراً، والاسم والبَّشْرَيُّهِ، وقد تُستَعملُ هذه العاقة اللّفوية في الإعبار بالشّر ويما يَشُوه، وقد يقال: هذا على سبيل التهكّم، باستعمال اللّفظ في ضدّ ما وُضِع له.

﴿ ٱلِّعِزَّةَ ﴾:

العزَّة: هي الْقُوَّةُ الغالبة، يقول العرب: منْ عزَّ بزَّ، أي: من غلَّب سلَّبَ. ومن مدة عد من مرم عن ع

﴿حَقَّنْ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ ﴾:

أصل الْخَوْضِ الْمُشْقِي فِي الساء وتحريك، ثمّ استُقْمَل فِي النَّلِسُ بِالأمرِ والتُّصُّرُف فِيه . ومن التوسُّع استعمال والْخَوضِ، بَمْقَنَى اللَّبِسِ فِي الأمر، فالْخَوْضُ من الكلام ما فيه الكافِبُ والباطلِ .

تفول لغةً : خاصَ الماءَ يَخُوضُهُ خَوْضاً وَجِيَاضاً، وَتَقُولُ اخْتَاضَ وَتَخَوَّض.

واستُشهِلُ في بيانسات الرسول النُمُقُوصُ في مال الله. بعمنَى النُصرُّفِ في بما لا يرضاه الله، وجناء في سورة (الأنعام/7) استعمال الخوض في آيباتِ الله بمعنى النُطَّشِ فيها والكُمُّرِ والاستهزاء بها، فقال الله عزَّ وجل فيها:

﴿ وَإِنَا رَأَيْنَ ٱلَّذِينَ يَكُومُونَ فِي مَائِلِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَنَّى يَغُومُوا فِ حَدِيثٍ غَيْرٍهُ ﴿ ﴾.

وقد جاء بيان هذا الْخَوْضِ في آيات الله في قوله تصالى الذي نتـدَبَّره من ســـورة (النساء):

﴿وَوَلَدُنْزَلُ عَلَيْكُمْ فِى الْكِنْسِالْ إِنَّاكِمَانُمْ مَالِتِ اللَّهِ يُكْفَرُجُا وَيُسْتَهْزَأُجِهَا فَل تَقْمُدُوا مَعْهُمْ حَنَّى يَحُوشُوا لِي حَدِيثٍ غَيْرِعُوْتُكُوا الْمِنْلُهُمُّ إِنَّاللَّهَ جَامِعُ ٱلمُنْتَفِقِينَ وَالْكَنْفِينَ فِي جَهَنَّمُ جَمِيعًا ۞﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يَكَّرُبُّصُونَ بِكُمُّ ﴾:

التُربُّصُ الانْبِطَالُ، يُقالُ لَفَةً: تَرَيُّصَ فَلانَ يَفَلانَ، لِي: انتظرَ بِهِ عَبِراً لو شراً يحلُّ به. وقذلك يُقال: رَبْضَ بِمُـلانٍ يَرْبُصُ رَبْسَةً. ويقال: تَـرَبُصَ بسلقبِهِ الْفَلاء، لي: انتظرُهُ

﴿ فَتُحْ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ :

أي: نُصُرٌ من الله.

﴿ نَصِيتُ ﴾:

النَّصِيبُ الحظُّ من كُلُّ شيءٍ، والجمع: وأنْصِبَاء وأنْصِبَة ونُصُّب،

﴿ أَلَدُ نَسْتَحُوذُ عَلَيْكُمْ ﴾:

يقــال لغة: اسْتَحْـوذَ على الشيء، إذا حَوَاهُ. والحــاوي للشيء يضمُّه ويحميــه. ويقال: استحوذَ عليه إذا غَلْبُهُ واستولى عليه.

قال أبو إسخَن: أَلَمْ نَشَتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ معناه: الله نستـول. عليكم بالسـوالاة لكُمْ. وقال الجوهري: أي: اللم نَقْلِبُ عَلَى أَمُورِكُمْ وَنَسْتَوْل عَلَى مَوْدِيْكُمْ.

قول:

بما أنَّ من معاني استحوذ على الشيء معنى «خُواُهُه فلا حاجة إلى اعتماد المعنى الآخر وهو الغلبة على الشيء والاستيلاء عليه بالقوة، وتكلَّف تأويل الجملة حتى تُغِيَّن مع ما هو ظاهر من المراد منها. وعلى هـذا يكون المعنىٰ: ألم نُجطُ بِكُمْ إحاطة حمـاية ومعـونة ونُصْـرَة، وتأتي مملة:

﴿وَنَمْنَعَكُم مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

بمعنى وَنَحْمِكُمْ وَنَحْفَـنَّكُمْ مِنْ تَسَلَّطِ المؤمنين عليكم، وغَلَيْتِهم لكُمْ، مُتَمَّعَـةً لفكرة الاستِحْواذ بمعنى الإحتواء والإحاطة، فالنُنتُم في اللَّغَةِ الحمايَّةُ والحفظ.

﴿ يُخَلِيعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَخَلِيعُهُمْ ﴾ :

المخادعة: هي إظهار ما يُوهم الصدق والسّلامة والسّداد، وإبطان ما فيه خملات ذلك.

والمخادعة تنضمَن استغفال مَنْ يُرادُ خَـدُعُهُ، لإيقـاعه فيمـا يكره، بـأن يُطهِـرَ لهُ المخادِعُ ما يُحبُ. ويُخْفي عنه ما يَكْرَهُ، تَغْرِيراً به.

وأصلُ مادة وخددَع فيها معنى الاستخفاء والتواري، ومنها «المحدَدع». وفِعْمل ويُخادع» بهذه الصيغة يكُلُ في الأصل على المشاركة، ويُمكُلُ أيضاً على العبالغة والاجتهاد الزائد في العمل ولو كان من طرفٍ واحد، لأنَّ مَنْ يُخالبُ غيره في عَمَل ما يُبالغُ من طرفِه بِيَثْل غاية الْجَهْدِ الذي يُسْتَطِيعُ بَلْلَهُ، والمستافقون يُبالنُّونَ جمااً في استخدام الخداع، ويُمْمِنُونَ فيه بِيَلْل غاية جَهْدِهم، حَتَى كأنهم في معركة مخادعة بينهم ويَّينَ المؤمنين.

ويـذُلُّ الفعل المفسارع في [يُخَادِعُـون] على تجديــد الخدع وتكـريره مــع مرور الزّمن، وهو ما يحتاج إليــه المنافقون باستمرار.

ونتساءل: كيف يخادعون الله وهو العليم بسرائرهم، وبكلِّ ما يمكرُون؟

والجواب: أنهم حين يخادعون الذين آمنوا مع أنّ الله ممهم، وهو وليهم، إنّما يخادعون ممّهُمُ الله ربّهم، الذي يتولّاهم بتأييده ونصّره، ويحميهم من مكر المنافقين والكافرين ومكايدهم، فالمنافقون بسبب خفلتهم هن هذه الحقيقة، أو بسبب جحودهم لها لا يُخذَّصُونَ إلاّ أضمهم، وذلك لانهم هم الراقمون في شرّ أعمالهم، والساقطون في الْحُضْر التي يحفرونها للمؤمين، وهذا يُبّين أنّهم هم المخدوعون لا الخادعون، نظراً إلى الاً خديعتهم مردودة عليهم من حيث لا يُشْعُرون، والاَ سِهَامُهُم مُنْظَلِيةً إلىٰ لَنُسُورون، والاَ سِهَامُهُم مُنْظَلِيةً إلىٰ لَنُحُرومُهُ وهُمْ لاَ يُظْلِيهُ الله العزيز الله العزيز المدورة الله العزيز المدورة وهذا التدبير خفي عنهم، والله يُعاقبهم بنثل عملهم، إذْ يستدرجهم من حيثُ لا يُشْعُرون، حتى يُوقِعَهُمُ بشرَ عَمْلهم الذي يمكُرُون به، أو بنظيره، قال الله عزّ وجللًا: ﴿يَعَادِجُونَ اللهُ وَهُو خَادِجُهُمْ ﴾. أي: مجازيهم بمثل عملهم، أو موقعهم في عاقبة الأمر الذي أرادو للمؤمنين، وخاذشوا فيه.

﴿ يُرَآهُ ونَ أَلنَّاسَ ﴾ :

أي: يُظْهِرُونَ لَلنَّاس أَنْهِم أَهل خير وصلاح، وهم على ضدَّ ذلك. يقالُ لغة: رَاءَاهُ يُرَائِيهِ مُزَاءَاهُ، ورِءَاءُ وَرِيَاءً، أي: أراه أنَّه مُنْصفٌ بالخير والصَّلاح على ضدَّ ما هو عليه.

﴿ مُّذَبَّذَ بِنَ بَيْنَ ذَالِكَ ﴾ :

يضالُ لغة: قَبْلَبُ فَالاَنَّ فَلاَنَّ فَلاَنَّ إِذَا جَمَلَهُ حَيْرانَ يَتَرَدُّهُ بِنِ طَرِفِينٍ، أو فريفين. وَفَيْنَابُ الشيءَ إذَا حَرِّكَمُ، فصار فَلِمَا مَضطرباً. ويُقَالُ: فَيْفَتِ الشَّيْءُ الْمُمَلَّقُ، إذَا تحرُّكُ وَتَرَدُّهُ فِي الهواء. ويُقَالُ: فَبْلَبُ فَلاَنَّ: إذا تردَد بين الْمُرينِ، أو بَيْنَ رَجُلَّيْنِ مثلاً، فلا تثبُّتُ صُحَبِّةً لواحدٍ منهما.

فَمُدَيَّذُب: اسم مفعول، من ذَبْذَبَهُ الْمُتَعَدَّي، فما الذي جعـل هذا الصَّنْف من المنافقين مُدَّبَذُبين؟

بالتفكر يُنَيِّنُ لنا أنَّ عواملَ هي داخلهم مُنضادة تتجاذَيُهُمْ بين أقصيين مُنتاجينين، هما الإيمانُ والكُفْرُ، نَجُدُ الخير وَفَجْدُ الشَّر، فالسُّرُونُةُ الفكريّة السُليمة، ومشاعرُ النَّجِيزة الوجدانية، ولَمَةُ الْمَلْكِ في داخلهم، تَجْدَيُهُمُّ إلى جانب الإيمان والمؤمنين، وأهواهُ نَفُوسهم، وشهواتُهم، وتعلَّقُهم بالدُنيا، ووساوسُ شياطِينِ الإنس والجنّ، تُشِدْبُهُمْ إلى جانب الكُفُر والْكَافِرين، وإذْ قَدْ نَفَدُوا الإرادة الجازمة الحارمة بَعْلَم اسْتعمالهم لَهَا ضَارُوا مُذْبُدِينَ بَيْنَ قُونُنِ مُنكَافِئتِينَ.

﴿سُلطَنَا مُّبِينًا ﴾:

أي: خُجُّةٌ واضِحةً.

﴿ فِالدَّرُكِ ٱلْأَسْفَىلِ مِنَ ٱلنَّادِ ﴾:

الذَّرْكُ، والذَّرُكُ: الشّفَلُ كُلُّ شيءٍ في عُمْقٍ. والدُّرُكُ الأَسْفُلُ من النّار، الطّبَعَةُ السُّفْلَى من طَبَّغَاتِها النَّارَلَة في أَتَجاه أَصافِها. فدار الصفاب يومُ السّين كالْبِشْرِ تِبدأً من أعلى إلى السُّفْل، ودارُ النّعِم يسوم السابين بعكس ذلسك تبسداً من أدنَّى إلى أعلى، والفروس منها أوسط البِّذَة وأعلاماً.

﴿تَابُوا ﴾:

اي: رَجْعُوا عَن مُعْصِيتِهم، يقال لفة: تابَ، بُنُوبٌ، تُوبًا وَتُوبَّةُ، وَمَتاباً، وَتَابَّةً، فَهُو تائبٌ وَتُوابُّ.

﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾:

أي: فعُلُوا مَا هُو صَالِحُ بَعْدُ تَوْتِهُمْ وأصَلَحُوا النساد الـذي كان في نصوسهم وأعمالهم، من جرّاء ما كان في قلوبهم من نفاق.

﴿ وَأَعْتَصَمُمُواْ بِاللَّهِ ﴾ : أي : نَقُوهُا بالله ، وامتنعوا به ، ولم يبتغوا العزَّة عندالكافرين . ﴿ وَأَخْلَصُواْ وِينَهُمْ لِلَّذِي ﴾ :

الإخلاص فه في الدين، هو ابتغاء مرضاة الله في كلَّ عمَل_، من الأعمال الدينيَّة، القوليةُ والعملية الظاهرة والباطنة.

> (٤) مع النص في التحليل والتدبر

> > قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِئْبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ

وَالْكِتَنِ الَّذِى أَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنِكُفُرٌ بِلَقَهِ وَمَلَتِهَكِيهِ وَكُنُيهِ وَرُسُلِهِ وَالْبُورِ الْخِرْ فَقَدْصَلَ صَنَافًا بَعِيدًا ۞﴾.

إنَّ الإيمان حركةً قلبيَّةً كَخَرَكةِ العيماة، من آثاره حركةً العبـادات التي يجب أن تتجدّد دواماً، دليلًا على فاعليّة الإيمان وحياتِه وحركته.

فإذا لم يكُن للإيمان منذ يُغَلِّيه ويُجلَّه دواماً سَكَن وَبَرَد، وصار شابلاً لموارض الامراض، وكلَّما طال تخزيهُ أو سُجَّهُ مُهْملاً نائماً غافلاً، لا يأتيه مَدَّدُ يُعَدِّلهِ بـوسائــل حياته وحركته وفاعليّته، كان أشدٌ مُـرْضَةً للضعف والأمراض، التي تفسده، وإذا طال عليه الأمدُّ وهو على هذه الحالة كان بعثابة شيء لا فاشدة منه من صنوف المهملات، وربَّما نَبْلَهُ الفَلَّهُ وَيَخلَّى عنه، وتحوَّلُ إلى الكَّفُر الذي تُعِلَّهُ دواماً الشُّبُهات والشهوات والأهواء ووساوسُ شياطين الإنس والجنّ.

من أجل ذلك، ويصاحبة الحديث الذي سيتناول العنافقين الصنبذين بين الإيصان والكُفُر، إذْ يُؤمِنُونَ في نومية من حياتهم، ثمّ يُكَفِّرونَ في نومية أخرى، صع المحافظة على ظاهر إسلامهم، ثم يعودون إلى الإيصان في نومية، ثم يعردون إلى الكفر، وهكذا. خاطب الله عزّ وجل في بداية هذا النَّصُّ الذين آمنوا، فأمَرَهُمْ بان يُهدُّوا إيمائهُمْ دواماً، بما يُغذَيه ويجلده، ويجعله حبًّا يقظاً ذا خَرَقَةٍ كَفَرَقَة الحياة، وذا فاعلية في السُّلوك الظاهر والباطن العلائم لمقتضياته، وبما يمُنتَمَّ عنه العوارضَ التي تُشْبِقَهُ، وتُعْرِيْه، وتَشْنِيه، ثمّ قد تُميتًا.

إِنَّ الحبُّ وهـو من آشة المحواطف الفعّالـة في النفس، إذا لمَّ يكُنُ لهُ وقـودُ دائم سَكَنَ، ثَمَّ هَجَعَ، ثَمَّ استولت عليـه الغفلات، ثم سَـلًا، ثمَّ ضَعُفَ وهَزُّلُ، ثمَّ مات، قَتُهِذَ، وكذَلك سائر العواطف.

والإيصان مع جانب العلمي العلمي في دائسرة الإسلام، أَسَهُ في الفَّلَبِ حياةً عاطفيّة، وهذه الحياة العاطفيّة هي التي تَشِعْلُهُ يُسْرُكُ الإرادة الَّتي توجُّهُ السلوك، وحينَ يُفْقِدُ الإيمانُ حَيَاتُهُ العاطفيّة بسبب عدم إمداده بالأغذية التي تُلالمـهُ ليبقَى حيَّا يقِشظُا، فاجلًا، فإنَّ الإرادة تَسْتَولي علَيها عواطفُ أخرى من عواطف النَّمس، وهـنم العواطف مضادّة للإيمان، فتُوتِّه سلوك الإنسان وجَهةً أخرى مضادةً للسلوك الإيماني، ومعمرور الرَّمَن لا يَنْقَى للإيسان قُوَّةُ فاعلة، ولا أثَرَ في السلوك، ويُنتَهي بـه الامر إلى أنْ يُمْسِيَ مُريضاً ضاوياً، ثمّ يكون تُحرَفَّة لان يلفظ انفاسه الاخيرة، ويُطرَّخ خارجاً.

فالمؤمنون مطلوبٌ منَّهمُ أن يُجَدِّدوا إيمانهم ويُمدَّوهُ دواماً بـــوســـاثـــل التخـــلــــة الملائمة له، التي تمدّم بالحياة والحركة والفاعليّة، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿يَكَأَنُهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا مَامِنُوا مِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِئْبِٱلَّذِى فَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ. وَٱلْكِئْبِٱلَّذِى ٱلزّلَوِينَ قِبْلً . . . ﴿ .

وهذا نظير أن نَقُول: با أيُّها الأحياء أحيُّوا أنفسُكُم دواماً بالغذاء والوقاية والدواء، وسائر وسائل استمرار الحياة.

إنّهم وهم يُخَسَاطُهونَ يَمْتَكُسُونَ بِالخَسِاةِ، لكنَّ هذه الحيساة لا تستَبِسُرُ فِيهم ما لم يُبدُّوها بما يُشَدِّيها ويَقْبِها ويُحْبِيها ويُشالِجها إذا مسَّهًا عارضُ مَرَض، فهم مُطَالِونَ بَانَ يُحْبِوا أنفسهم على هذا المعنى.

واقتصر النصُّ هنا على بعض أركان الإيمان لأنَّ الإيمان بالكتماب الذي تَـرُّلُه الله على رسوله، يَتَضَمَّنُ الإيمان بكلُّ أركان الإيمان وعناصره، ولا يكون الإيمان بـالكتاب إلاّ مسبوقاً بالإيمان باللهِ ورسوله.

وجاه الأمر بالإيمان بالكُتُب السابقة على وجه الخصوص، لتبرقة المؤونين من التعصُّب للفرّان ضدّ سائر الكتب الربّائيّة المنتزّلة برزّ قبله، فالإيسان في الإسلام لا يتمّ ما لم يتحقّن الإيمان بكلّ الانبياء والمرسلين، وكلّ الكتب الربّائيّة المنزّلة.

والعمراد من الكتاب المـذي أنزل من قبـلُ كلُّ الكتب المربّانيـة العنبّرَلـة من قبـل القرآن، وذلك لأنَّ أداة التعريف (أل) في [الكتاب] للجنس، فهي تشمل كلُّ الكتب.

ولمّا كان إهمال الإيمان بعدم تغذيته الدائمة التي تجدّد حياته وقوّته وفاعليّت، قد يُعرِّضُهُ للضمف والهزال والموت، وعندئذٍ يحلُّ الكفر محلّه في القلب، حـلّـر الله مَنْ يُعْدِثُ كُفّراً بَعَدّ إيمان، فقال تعالى:

﴿وَمَنڍَكُمُورُ بِاللَّهِوَمَلَتَهِكَتِهِ. وَكُنْبُهِ. وَرُسُلِهِ. وَالْيُورِ ٱلْآخِرِ فَقَدَضَلَ ضَلَلاً تَصَدُّاكُ﴾؛ فَشَمَل فِي التَّحَذَير مَنَ الكُفِّرِ كُلُّ عَناصِرِ الإيمانَ الأصول، وذلك لأنَّ الإيسان بالقضاء والقدر خيره وشرَّه من الله تعالى، هو من توابع الإيمان بـالله في الحقيقة، وقــد فُصِل في البيان النبويّ، فجاءَ رُكْناً خاصًا لأهميَّته، ولمّا يُلابسُهُ من مسائـل تُشكل على كثير من الناس.

ونفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُفُرُ ﴾ بصيغة الفعل المضارع الدائـة على إنشاء الكُفْر في الحال أو المستقبل، على تحذير المؤمنين على وجه الخصوص من أنْ يُنْشِئُوا كُفِّراً بعَد إيسانهم، ويفَّعَلُوا كما يَفْعَلُ المنافِقُونَ المذبـذبون الـذين سياتي الحـديث عنهم، فهذا البيان هو بمثابة التوطئة للحديث عن هذا الصنف من المنافقين.

وجواب الشرط في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكُفُرُ﴾ هو قوله تعالى:

﴿ فَقَدُضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ :

أي: فقـد ابتغدَ عن صـراط الهدى، وسَلَك مســالك الضيـاع، وأوغـل في هــذه المسالك إلى متاهات هو فيها بعيد جدًّا عن مهابط رحمة الله وغفرانه وعفوه.

قول الله عزّ وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ مَامَنُوا ثُمَّزً كَفَرُوا ثُغَرَ مَامَنُوا ثُمَّزَّكُمُ وَاثْمُزَّازُوَا ثُقْرًا لَمْزَكُم اللَّهُ لِيقَفِر المُمْ وَلَا لِيَهِدِيمُ سَبِيلًا ﴿

في هذه الآية بيانٌ لصنف من المنافقين وهم المشافقون الْمُـذَبَّذُبُّونَ بين الإيمان والكُفر، والمؤمنين والكافرين.

إنَّ هذا النَّذَبْلُب ناتجٌ عن تساوي قُوتي الْجَلَّبِ في داخـل نفوسهم نحــو الخير والشر، مع ضعَّفِ في إراداتهم عن أنْ يحزمُوا الْمُرَمُّم، ويستَقِرُّوا كُلِّياً في إخْذَيْ جهَتَى الْجَذْبِ المتضادّتين المتباعِدَتَيْنِ في أَقْضِينَن مُنْباينين.

وعلى سبيل المصالحة بين قُوتَى الجنُّب المتكافئتيِّن في داخلهم، التي لا يمكن أن تحصُّل في وقت واحدٍ، للتشاقض بين الإيمان والكفر، فهما لا يجتمعـان معـاً في قلب رجل واحد، إذْ لم يجعل الله لرجُـل من قلبين في جوفـه، يُلْجُأُ هؤلاء العــاجزون إلى اتّخاذ أسلوب استرضاء القُوتَيْنِ بـالتّناوُب في مختلف الأزمـان والأوقات، فيؤمنــون حينًا، ويكفُرون حينًا، ويتردّدون بين الإيمان والكفر، والمؤمنين والكافرين.

لكِنَّ هَذَا التَّرَقُدُ والنَّذَيْلُبُ المتناوبِ لا يُلْبَثُ طُوالَ خُمْـرِ الواحـد من هذا الصنف من المنافقين، إذَّ لا بُدُ بُعَدَ حين:

ــــ إِمَّا الْنَّ تُرْدَادُ لَذَيْهِ فُرُةُ الجاذِب إلى الإيمان، فيزداد إيمانُ ويَشْغَيَرُ فِه، وعنثلثِه يُشْمَلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجِلَّ بمعونته، ويُنَّبُّهُ فِي الإيمان، ويُخفَّقُ له الهداية، ويُشْمَلُهُ بمَشْفِرَته وغفّوه وواسع رحمته.

_ وإمّا أنْ تَزْدَدُ لَذَيْهِ فُوَّةُ الْجَاذِبِ إلى الكَّمْر، فيزدادُ كُفُراً ويستقرُ فيه، وعندڤيْ يجعله الله مع صنف المنافقين الكافرين في الباطن دواماً، ممن وصفهم الله بقـوله في أوائل سورة (البقرة/٣):

﴿ مُثُمُّ بُكُمُّ عُنَيُّ فَهُمْ لَا يَزْجِعُونَ ۞ ﴾.

إنّه حين يزدَادُ كُفراً ويستنز فيه بعد طول تردّه بُشيي إنساناً كافراً، لا يغفرُ الله له، ولا يَهْدِيه سبيلاً إلى نجاته وخلاصه منّا هو فيه، بل يَتْرَكُه وشاأنه وكُفرَهُ وما اختار هـ لنفسه من سبيل، تطبيقاً لستّه العامّة في امتحان عباده ضمن ظروف اختيارهم الحرّ، ويُسي شأنّه في هذا كشأن سائر الكافرين عن إصرادٍ وتصميم، ذَا حالةٍ ميؤوسٍ من إصلاحها باخياره.

لكُه حين كان في أطوار التردّد والتذبذب، كمان حالُم كحال المديض المحتار الذي يحتاج إلى مساعدة، فيساعدُه الله بانواع من المساعدات الذي تُنوّر بَصيرتـه عسَى أن يتجه بإرادته الحرّة إلى الثبات في الإيمان، والاستغرار فيه.

فدلٌ قولُه تعالى في الآية:

﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفَّراً ﴾:

على أنَّ عــوامل الكفــر فيهـم قد زادت على مفــدار التكافؤ مــع عوامــل الإيـمان، فاستقرَّوا في الكفر باطناً مع المـحافظة على ظاهر الانتماء إلى الإسلام.

فْأَنْطُبِق عليهم من موادَّ قانون الامتحان مادَّتان:

الأولى: دلُّ عليها قول الله عزَّ وجل:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾:

أي: من صفىاته الــدائمة سبحـانه أنّـه لا يغفر لمن استقـرّ في الكُفْرِ وأصَـرٌ عليه دواماً، حتى لَفِي ربّه وهو على ذلك، وإنْ زعم في الظاهر أنّه مسلم.

الثانية: دلُّ عليها قول الله عزُّ وجل:

﴿ وَلَا لِيَهْدِينُهُمْ سَبِيلًا ﴾:

أي: ومن صفاته الدائمة سبحانه أنّه لا يهدي من استقرّ في الكفر باراوة واعية جازمة، وأصرّ عليه دواماً سبيلاً بحقّ له النجاة والخلاص ممّا هو فيه، بل يتركّه وشائمه وكُفّرَهُ، وما اختار هو لنفسه من ضلالة، تطبيقاً لحكمة الاختيار القائم على حريّة الإرادة في الاختيار.

قول الله عز وجل:

﴿ بَشِرِ ٱلمُنْفِقِينَ بِأَنَّ لَمُتُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠٠٠

خطابٌ مُوجَّـه الكُـلَّ من يصلحُ للخطابِ من المؤمنين، بـان يقـــول للمنــافقينَ بأنــُلُوب الإعلام العامُّ : أَبْشِرُوا بعداب اليم أعَدُّه اللَّهُ لَكُمْ.

هذا الخطاب المـوجّه بـأسـاوب الخطاب الإفـراديّ لكلّ مؤمنٍ صــالح للخـطاب يحقّق غرضين:

الغرض الأول: إلزام أفراد المؤمنين بأن يوجّهوا ضدّ المنافقين ضغطاً اجتماعيّاً. يُمارِسُه كلُّ واحدٍ بمضرده، ليجذُ المنافقون أنفسهم منبوذين داخل المجتمع المسلم المؤمن.

الفسرض الشاني: إشصـــار المنــافين بـــإعــراض الله عنهم، وآنهم ليســـوا أهــــلأ لمخاطبتهم بأسلوب الخطاب المباشــر لهم، فهو يكلف كــلّ مؤمن بأن يــوجّه لهم هـــــذا الخطاب.

قول الله عز وجل:

﴿ الَّذِينَ يَفَخِذُونَ ٱلْكَفِرِينَ أَوْلِيَّا آمِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠٠٠

في هذا بيان لبعض صفات المنافقين، فمن صفاتهم أتّهم يجملُونَ الكافرين اولياه لهم، يوادّونهم، ويتعارنون معهم، ويتراعدون معهم على المناصرة والتأييد، من تُونِ العرّومين، أي: من غيرالمؤمنين الذين هم دون المؤمنين عند الله، لأنّهم سافلون عقيدة وسلوكاً، وسافلون متزلة في دار العذاب يوم الدين.

﴿يَنَّخِذُونَ ﴾:

أي: يجْمَلُونَ، واتَّنفُلَه على وزن ءاقَتَعَلَ من الاَخــلَّ، ومن معاني هــلـــه الصيغة العبــالغـةُ في معنى القعـل، والاجتهـادُ في الـطُلب، فهم يعملون مجتهــدين متخـــــُـين مختلف الوسائل لجمل الكافرين أولياء لهم.

﴿مِندُونِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

كلمة ودُون، في اللّغة، تأتي في الأصل مقابلة لكلمة وفــوق، فهي مثل: وتحت، وكلُّ من وفَوْق ودُون، يُستَعْمُلُ في الحسيّات والمعنوبات.

ودرج المفسّرون على تفسير عبارة ومن دُّون، بعبارة: ومن غيره.

فول:

من حُسْنِ التعبّر أن نلاحظ في العبارة معنى الدُّونِيَّة إضافةً إلى معنى المغايرة، في كُلُّ ما تظهر فيه الدُّونِيَّة، مثل: [من دون الله ــمن دون المؤمنين ــشههوة من دون النساء إلى غير ذلك.

قولُ الله عزّ وجلّ:

﴿ أَيَبْنَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيمًا ١٠٠٠

في هذا كشفُ للباعث على اتّخاذ المنافقين الكافريين أولياء من دون المؤمنين . إنّهم يُبْتَغُونُ عند الكافرين القرّة الغالبة، لأنّهم يتصوّرونَ أنّ الكافرين أشـدُّ قوةً وَنَمَةُ مِنَ المؤمنين، وأنَّ النَّفَلَةِ بَعْدَ الحروب الـدائرة بيْن الْفَرِيقَيْن سَنَكُونُ للكافرين، قَهُمْ يحاولون أن يُوالُوهُمْ بِرَأً، ليكونَ لهم خُلُوةً عندهم، مَنَى كانَّ لهم النَّصُرُّ والعَلَيْةُ على المؤمنين في المستقبل.

فكشّف اللّهُ عزّ وجلَ هذا الباعث لديهم بأسلوب طرح الاستفهام دُون مُواجَهَتِهم به، بل خاطبُ المؤمنين به، فقال تعالى :

﴿ أَيَّبُنْغُونَ عِندَهُمُ الْمِزَّةَ ﴾ :

أي: أَيْبُتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْقُوَّةَ الْغَالِبَ.

بعد طرح هذا السؤال أبان الله عز وجل أنْ كُل القُوّة الغالية قه وشقد، فَهُو يَسْتُحُ منها عبادة بحسب حكمت، في مجاري مقاديره، فمن كان مؤسناً بالله حقّاً اعتماد عليه، وسلّف سبيل المؤمنين، وانضم إليهم صادقاً مخلصاً، ولم يتّخذ الكافرين أوليا، له من دون المؤمنين، لأنّ المؤمنين هم أولياء الله، فهو ناصِدُهُمْ إذا صندَّقُوا، وأخلصوا، وأتخذوا الأسباب التي أمر بها، فإذا فعلوا ذلك فلنٌ يجعل الله للكافرين على المؤمنين سيلًا، فقال تعالى:

﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَيِيمًا ﴾ :

أي: فإنْ كانوا بَيْنَغُونَ عند الكافيرِينَ العرَّة، فــإنّ العرَّة فه جميعـاً، ويسبب ذلك فإنّهم لن يحصلُوا على العرّة عند الكافرين.

قول الله عزّ وجلً:

﴿ وَقَدْ نَزُلَ عَلِيْصَكُمْ فِي الْكِنْبِ أَنْهِانَا تَجِعْلُمُ ءَايَنتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهَزُأُ بِهَا فَلَا لَقَمْدُوا مَنَهُمْ حَنَى تَخْوَسُوا لِيَحْدِيثٍ غَيْرِهِ * . . ﴿ ﴾ .

يُذَكِّرُ الله المسلمينَ في هذا بما كانَ قد أمَزله في العهد المكي، ممّا مضمونُه النَّهي عن مجالَّسَةِ الكافرين والقصود معهم، إذا أخذوا يُخُوضُون بالسنتهم في الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، ونفهم أنَّ مجالستهم والشُّكُوتُ على طعنهم في آيات الله هو مُظْهَرُ مَن مظاهر موالاتهم، من إيراد هذا البيان بعد قوله تعالى في وصف المنافقين:

﴿ الَّذِينَ يَنَّخِذُونَ ٱلْكَفِرِينَ أَوْلِيَآة مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَّ ﴾ .

وهو ايضاً يُشيرُ إلى ما يُساوِسُه المسافقون من مُجالسةِ الهمود في المدينة، والسُكُوتِ على ما يكون منهم من طُعني في دين الله، وآياته المئزَّلات، وسا يمارسه يعض المسافقين من لقاماتٍ لبعض المشسركين من أهسل مكسة، في أسفسار هؤلاء أو هؤلاء، وما يشمَعُونه منهم من طعن في آيات الله وكفر واستهزاء بها، وهم يسْكُون فلا يُفارقون مجالسهم، ولا يقومون بما يجب عليهم من دفاع عن آيات ربّهم.

وقمد سبن ذكر النصّ المذي كمان أَنْزِل في العهد المُكيّ في سمورة (الأنعام / ٢ مصحف/ ٥٥ نزول) وهو قول الله عزّ وجمل فيها خطاباً للرّسول ولكلّ مسلم مؤمنٍ من بَعْدِهِ:

﴿ وَإِنَّا لَيْنَ اللَّهِ مِنْ يَغُوشُونَ فِي مَائِنَا الْمَاعِنَ مَعْمَمُ مَثَّى عُصُولُوا فِ سَدِيثٍ غَرُومُ لَمَالْمُنِينَا فَكَ الشَّيْطُلُ فَلَا نَقْفُدُ بَعْدَا لَلْبَكَرَىٰ مَعْ الْفُورِ الظَّلِينَ ﴿ وَمَاعَلَ الَّذِينَ يَتَغُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن عَن وَلَهِ حِلْ وَحَدَىٰ لَمَلَهُمُ يَنْقُونَ ﴿ ﴾ .

ويُمكن أن يُقاس على الكفر بايات الله والاستهزاء بها كلَّ طعن في الدَّين ومظهرٍ من مظاهر الكفر، إذ هو إمّا من قبيل المشاركة الصامتة، على طويقة الشيطان الأخرس، أو من قبيل موالاة الاشخاص والشّكوت عن جرائمهم.

وتحمل مجالسة عصاة المسلمين في حال ارتكابهم لمصاصيهم، دون موعظتهم أو مفارقتهم قدراً من الإثم يتلاءمُ مع نسبة المعصية وحُجْبها في حكم الإسلام.

قولُ الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ... ﴾:

أي: إذا جالستموهم وقعدُّتم معهم وهم يخوضون في آيات اللَّهِ كُفُّراً واسْتِهُزَاءً بها فإنكم تَكُونُوذَ في تلك الحالة مثلَّهُمْ في ارتكاب الإِثْم العظيم.

ولَيْسَ معنى هذا أنَّكُمْ تكُونون كافِرِينَ دَوَاماً، إلَّا إذَا كان الْمجَالِسُ لهم من أهمل

النفاق، فإنّه حينئذٍ يكون من أهمل ِ الكُفْرِ باطناً وظاهراً، إذا انْكَشْفَ للمسلمين أشرُهُ. أو إذا كان راضياً بما يقولون.

ومن العجيب مــا رُويني عن مقاتــل بن حيّان كمــا ذكر ابْنُ كثيــر في تفسيره، وعن الكلبــي كمـا ذكر الشوكاني في تفسيره أنْ هَلِج الجملة منســوعة بقـــول الله عزّ وجــلُ في ســودة (الأنعام/٢):

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُونَ مِنْ صَابِهِ هِ مِن شَيْءٍ وَلَهُ كِن فَصَّرَىٰ لَمُلَّهُمٌ بَنَّقُونَ ﴿ ﴾:

وسنيُبُ العجب أنَّ هذا النُّصُرُ من سورة (الأنعام) هو من أواسط التنزيل العكي. وأنَّ النَّصُّ المدُّعَىٰ نُسُخُهُ من سورة (النساء) هــو من الثلث الأول من التنزيل المدني. فكيف يستقيم أنَّ يُنْسَخُ تنزيلُ مكيُّ تنزيلًا مَذَنِيَّاً، هذا آتٍ من عــدم النظر في تـرتيب التزول وعدم مراعاته.

إنَّه لا نسخ هنا، وقوله تعالى:

﴿ إِنَّكُمْ إِذَا يَشْلُهُمْ ﴾:

نصُّ مُحْكمٌ بلا ريب.

57 54 1--- 0--

* قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْكَنفِرِينَ فِجَهَنَّمَ جَمِيمًا ١٠٠٠

في هذا بيانُ عاقبة المنافقين الذين يجالسون الكافرين راضين بمما يخوضون فيه من كُفّرٍ بأياب اللهِ واستهزاء بهما، غير تماركين مجالسهم ولا منكرين عليهم، لأنَّ هذه المجالسة بهذه الاوصاف هي من علامات النفاق.

والعقوبة هي أن يجمع الله بين المناقفين والكافرين في جهنم جميعاً، يذوقون معاً عدابها، ويمسُّهم الحريق منها، نظير ما اجتمعوا في الدنيا على الكفر بدآيات الله والاستهــزاء مها، بعضهم لبعض أوليساء، لكنهم في جهنم يجمعهم الله وهم يوششـــؤ بعضهم لبعض أعداء، فالآخلًاء يومثلٍ بعضُهُمْ لبعض عدُّو إلَّا المُتَّقِين.

-

قول الله عزّ وجل:

﴿ الَّذِينَ يَكُرَّشُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ بِنَ اللَّهِ كَالْوَالْدَ تَكُنُ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ الكَفِرِينَ نَصِيبُ قَالُوا الْفَرْسَتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْتَعْكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴿ فَي • .

في هذا بيان وشُفِ آخر من أوصاف العنافقين، وهو الانتظار والتربُّصُّ البقظ، وَرَقُتُ ما يجدُّ من نتائج الأحداث بين المؤمنين والكافرين، طلباً للسلامة والمختم، من هؤلاء أو هؤلاء.

أمَّا نتائج الأحداث فتَتَرَّدُّدُّ بين احتمالين:

الأول: أن يتصُّر الله المؤمنين على الكافرين، وفي هذه الحالة يسارع المنافقون دون إيطاء للمشاركة في الفنائم، قسائلين لجماعة المؤمنين: اللم تكُنُّ معكُمْ في السوقعة؟ استفهام تقريري، والمؤمنون لا يدّ أن يُجيرهم بحسب ما زَأْوًا من ظاهر شُهُرِهِهم الموقعة معهم، فيقولوا لهم: يلى.

عندانة يُطالبُ المنافقـون بان يُقتم لهم من الغنائم كما يُقتَمُ لسائد الدومتين المقاتلين المجاهدين في سبيل الله بصلق، ويُخفي المنافقون ما كانوا عليهم من خَذَّل في الحقيقة، وتظاهُرٍ كانبٍ بالمشاركة في القتال، فقال الله تعالى خطاباً للمؤمنين يشأن المنافقين:

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ مَنْتُ مِّنَ اللَّهِ فَكَ الْوَالْلَهُ نَكُن مَّعَكُمْ ... ٥٠

الثاني: أن يكون للكافرين نُصِيبُ مَنا تُخَسِّرُوا بِالسَّبَابِهِم، ضِمْنَ سُنَّةِ الله عزَّ وجلَّ. في رِخَلَةِ الابتلاء، وبمنتضى جَكَتِه التربويّة، أو الجزائيّة، أو الاسْتِقْراجِيّة والإمهاليّة، كما حصل لهم في معركة أخدِ ثانياً، وفي معركة خَشِّن أَوْلًا.

وفي هذه السناة يسارع السانقون دون إنطاء قاتلين لجماعة الكسافرين: ألَّم نَكُنُّ مُعْتَرِينَ عليكم احتراء حماية وحفظ ومُدَافعَ، بِعَدْم مُقاتلتكم في المعمركة، وبالعمل على أصعاف صفوف المؤمنين، وإيجاد التخلخل فيها، مع حركات الإفساد والشيط. ولِعِلْم الكافرين بحقيقة حالهم في المعركة وقبلها لا بُدُّ أن يقولوا لهم: بلي.

عندئذ يكون لدى المنافقين الجرأة الكافية لمطالبة الكافرين بتعويض ما فعلوا من أجلهم داخل صفوف المؤمنين.

فقال الله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَفِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلْدَنْسَتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

اقتصر النصّ على إيراد التساؤل في الحالّيّ، لأنّه يدلُّ لزوماً على ما يُريدُونَ من وراثه من منافع ومكاسب.

ويُلاحظُ أنَّ اللَّهُ عَزَّ وجلَ جَعَلَ مَا يُصيبُهُ المؤومُونَ فِي المعاوِك من عـمُوهم فتحاً منه، أمّا ما يُعيبِه الكافرون من جماعة المؤمنين، فهبو نصيب، أي: حظَّ من حظوظِ الدّنيا، مَكَنْهُمُ اللَّهُ من الحصول عليه بأسبابهم التي تُتَخَذُوها، وطاقاتهم التي يذلوها، ضمن مجاري سُبَّه في الحياة الدنيا نعباده جمعاً.

* * *

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ فَاللَّهُ يَكُمُ يَيْنَكُمْ يَوْمُ ٱلْفِينَمَةُ وَلَن يَجْمَلُ اللَّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى الْتُؤمِينَ سَبِيلا ﴿

تعقيباً على حالة التُريُّص الَّتي تكونُ من السنافقين، وسا يحدُّثُ بعدها من نصّــر من الله للمؤمنين، أو نَصِيبٍ يحمُسلُ للكافعرين، اقتضى البيان أن يشتمـل على إيضـاح فَضَيَّشُن:

الفضية الأولى: عـاقبـة هؤلاء وهؤلاء يـوم الفيـامـة، وقـــد دلَ عليهــا قـــول الله عزّ وجل:

﴿ فَاللَّهُ يَعَكُّمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْفِينَمَةِ . . ﴿ اللَّهِ مَا لَكُ اللَّهِ مَا لَكُ اللَّهُ اللَّهُ ا

هذه الجملة على إيجازها ذاتُ لوازم فكريَّهُ تَشْمَلُ البعث، والحساب، وفصـلَ الفضاء، والجزاء في جنات النعيم، أو في جهنم دارِ العذاب الأليم.

القضية الثانية: حالَّةُ هؤلاء وهؤلاء في ظروف الحياة الدنيا، وقمد دلُّ عليهما

قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَلَن يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْكَنفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿ ﴾.

ولكنُّ كيف نفهم هذا الوعد الرَّبَّانيُّ المقطوع به؟

أَمُّا الانتصارات الوقتية في بعض المعارك فهذه لا تتنافى حُصَاً مع الوعد الرّباني، لأنها حاضمة لسُنن الاسباب والمسبّبات، وظروف الابتبلاء والنربية والعزاء في العيــاة الدنيا، وقد وُجد شيءٌ منها في حياة الرسول ﷺ، وهــو الفائد لأمت، وأصحابه خيــرة الأمّة.

وأمّا الانتصارات الحاسمة والغلبة الدّائمة واستباحة بيضة المسلمين العمامّة فهي التي تتنافىٰ مع الوعد الرّباني.

ولكِنْ مَنْ هُمُّ الموعُودرن بهذا الوعد الرّبَاني؟

هل هم العسلمون الذين هم عُمَّاة كفَّناه السيل، ليس لديهم من حقيقة الإسلام عقيدةً وتطبيقاً إلاّ الاسمُ والانتماءُ إليه؟

هل همُّ الكثرة المنافقون الموالون لأعداء الإسلام؟

هل هُمُّ الَّذِين حرَّفوا مفهومات الإسلام وبدَّلوا فيها؟

وهؤلاء جميعاً ليسوا بمؤمنين حقًا، حتَّىٰ يستجقُّوا تطبيق الوعد الرّباني بصفتهم الجماعيّة .

بقي أنَّ الذِينَ يَسْتَجفُون هذا الوغدَ هم الأمَّة ذاتُ الاكثريّة المؤصنة المسلمة ، المعالمة ، المعالمة والمعالميّة بوجه عمام بمقتضى إيمانهم ، في أفرادهم ، وفي مجتمعهم ، وفي دولتهم ، هؤلاء مُم الذين يطبق عليهم الرعد الرّيّائيّ ، فأنْ يَجْمَلُ اللهُ للكافرين عليهم سبيلًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، بمعنى أن الله عنز وجلٌ لا يُمكنُ الكسافرين من استخدام السُّبُل المهيَّة في الحياة الدنيا للناس ، على وجو يستطيعون به التغلّب الدائم على المؤمنين إذا عملوا بعا أمرَهُمُ الله به من إعداد المستطاع من القوة ، على يساحدٌ المؤمنين إذا عملوا بعا أمرَهُمُ الله به من إعداد المستطاع من القوة ، حتى يَعْزَفُوا بأسبابهم على أعدائهم ،

ويكونوا هم المنصورين الغالبين، وقد كان هـلما مستمّراً في قـرونٍ غديـدَةٍ من الدهـر، حتى كثر فيهم الملاحدة والمنافقون والفجرة.

ويستحقّ عموم المؤمنين ولو لم يحقّفوا في انفسهم مقضيات الإيمان على الوجه المطلوب، أن لا يستبيح عدّوُهم بَيْضَهُمْ ويُسْتَأْصِلُ شَـاقَتُهُمْ ولـو اجتمع عليهم مَنْ بأقطار الأرض من الكافرين، كما جاء في بيان الرسول ﷺ

روى مسلم عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ:

وإنَّ اللهُ زَوَىٰ فِي الأَرْضَ(٢، وَأَلْتُ مَشَادِتُهَا وَمَعْلِرَهِمْ، وَإِنَّ أَشِي سَيْئِلُغُ مُلْكُهَا مَا زُويَ فِي جَهَّا، وأَضْطِيتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ والأَيْضِ، وَلِيُّ سَالَتُ رَبِّي لَأَمْنِي أَنْ لاَ يُهْلِكُهُ الْمِنْ وَاللهِ وَأَنْ لاَ يُسْلَطُ عَلَيْهِمْ صَدْوًا مِنْ سِوَى الْقُسِهِمْ، فَيَسْتَيْبِحَ بَيْضَةُمْ (٢)، وإنْ رَبِّي قَالَ: يَا مَحْمَدُ، وَأَنْ فَاصَلَتْ فَعَلَمْ صَدْوًا سِوَى الْقُسِهِمْ، وَلَلْتَك لاَئِنْكُ أَنَّ لاَ أَمْلِكُهُمْ مِنْ يَعْطَمُ، وَأَنْ لاَ أَسَلَطُ عَلَيْهِمْ صَدْوًا سِوَى الْقُسِهمَ فَيَسْتِيحَ بَيْضَتُهُمْ وَقُو اجْنَعَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ يِاقْطَاوِهَا، حَنْى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْصاً، ويَشْهَى بَعْضُهُمْ بِنْهِمَا،

وهـذا الوعـد بالنسبة إلى عموم أمّـة محمّد مع معـاصيهم وانحرافـاتهم مُتَحقّق دواماً.

وأخيراً تُسْتَجقُ من عموم هذا الوعـد طائفةً من المؤمنين أن يظَلُوا ظــاهرين على الحقّ يعملون به، لا يَضَرُّهم من خالفَهُم، حتَّى يَأْتِي أَشَرُ اللّهِ.

روى البخاريّ ومسلم والإمام أحمد، عن معاوية، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

ولا تَـزَالُ طَـاانِفَةُ مِنْ أَنْتِي قَـائِنَـةٌ بِأَمْرِ الله، لا يَضُـرُهُمْ مَنْ خَــلْلَهُمْ، وَلا مَنْ
 خَالَقَهُمْ، حَتَّى يَأْتِينَ آمْرُ الله، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النّاسِ ه.

وروى مسلم وغيره عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال:

⁽١) زُوْي: أي: قبض وجمع، يقال لغة: زُوْاهُ يزُويه زُيًّا إذا قبضه وجمعه.

 ⁽٢) بيضة الشيء: أصله، ويضة القوم: حوزتُهُم وجماهم وساحتُهُم.

وَلاَ نَوْالُ طَائِمَةُ مِنْ أَمْنِي ظَاهِـرِينَ عَلَىٰ الْحَقّ، لاَ يَضُرُمُمْ مَنْ خَـلَـٰلَهُمْ حَتَى بَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ، وَمُمْ تَخَذِلِكَ،

وهذا أمر مشاهد في تاريخ المسلمين دوامناً، والموادُ من النظهور ظهـورُ حجتهم واعتزازُهُمْ بإسلامهم وإعلائهم له.

• • •

قول الله عز وجل:

﴿إِذَالْمُتَنفِقِينَ يُحْتَنِعُونَ اللَّهَ وَلَهُوَخَنِيعُهُمْ وَإِفَافَامُوْ إِلَى الصَّلَوْقَ قَامُوا كُسُاكَ مُرْتُهُونَ النَّاسَ وَلا يَدْكُرُونَ القَالِا قَلِيلًا ۞ مُنْتَذَيْنِهُ بَيْنَ ذَيْكَ لاّ إِلَى هَوْلَاهَ وَلا إِلَ هُوُلاً ﴿ .. ۞﴾ .

في هذا ّ بيان خُمْس ِ صفاتٍ من صفات المنافقين السلوكيّة.

الصفة الأولى: أَنَّهُم يُخادَعون الله ، أي: يُخادِعُون المؤمنين الذين هم أولياء الله ، فالمياه في أنه عزوجل الذي هو ولي المؤمنين ، إلله المؤمنين أيساء المؤمنين المؤمنين شديدي الحفر العاملين بمفتضى إيمانهم، ومنه أتّحاذ الأسباب على ما ينبغي، فيضَّمَ انظمة وقوانين الأسباب والمسبّلات الكونية، فيُحَيْثُ الله لهم خدائم المنافقين ويحديهم من تأثيراتها، فيرتذ كبد المنافقين إلى نحورهم، ويذلك يكونُ الله عزوجل هو خادعهم، أي: رادُ خداتهم عليهم، دل على هذه الصفة قول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ يُخَلِيعُونَ أَلَّهَ وَهُوَ خَلِيعُهُمْ... ١٠٠٠

الصفة الثانية: أنَّهُمْ إِذَا فَاسُوا إِلَى الصَّلَاءَ فَاسُوا َ مُشَالِنَ. وذلك الأنهم غير مومنين باطناً، فهم لا يؤمنون بجدوى الصلاة، وإنّما يُؤَثّرِنها بعضور المؤمنين ستراً الضاقهم، ومعلوم أنَّ من يُشَمَّلُ عملاً مَا وهر غير مؤمن يجَدّلوا لنفيسه فإنّما يؤدُيه بشَنَاقُل وكَسَلرِ وفُكْرِر، ولا يُعارشُهُ بشَناطٍ وهمّة ورغية . . ذلَ على هذه الصفة قول الله تعالى:

﴿ وَإِنَاقَامُوا إِلَى ٱلصَّلَوْةِ قَامُوا كُسَالَى ... ﴿ وَإِنَاقَامُوا إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُوا كُسَالَى ...

الصفة الثالثة: أنَّهُمْ يُرَاقُونَ النَّاسَ في أعدالهم الدّينية المختلفة، ومنها الصلاة، أي: فإذا خَلُوا إلى أنفسهم لم يُؤدُّوا هـلم الأعمال، لأنَّ أصـل غـرضهم من أدائها أنْ يُطْهِروا لِجَماعة المؤمنين المسلمين، أنَّهم منهم إيماناً وإسلاماً، وأنَّهم صادقون في إسلامهم غير كاذبين.

دلُّ على هذه الصفة قول الله تعالى:

﴿ يُرَاَّةُونَ أَلْنَاسَ ﴾.

الصفة الرابعة: أنَّهُم لاَ يَتْحَرُونَ اللَّهُ الْإَ فَلِيلَاءَ وقد سَبَقَ بِالْ سَبِّ ذَكْرِهِمُ اللَّهُ قليلًا إِذَا كَانُوا مَنْ قسم المنافقين المنزدُوبينَ، الَّذِينَ ثَمَّ يَشْتَقُرُوا بَقَدُ في الكُفُّــواماً في داخلهم.

أمّا المنافقون الذين استقروا في الكُفّر دواماً وأنْقَهَنْ لديهم حالة التردَّد، أو كاتـوا مستقرّين في الكُفّر مُثَذَّ البداية ، فإنَّ ذَكَرْمُمُ القليل فله هو من قبيل ذكر المسشركين وسائر الكافرين الصرحاء، الذين يؤمنون بربويّية الله، لكنّهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ بِالْهِيَّه، ولا يؤسنون برسوله، ولا بما أنزل عليه، وإن ذكـروا الله فإنّهم يـذكرونه لدنياهم لا لأخرتهم، دل على هذه الصفة قول الله تعالى:

﴿ وَلَا بَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

الصفة الخامسة: أنَّهُمُ مُذَّذِذُونَ يتأرجون بَيْنَ أَلُمُونِينَ والكافرين في ولانهم، وفي سلوكهم، فمالا هم متعمون حقيقة إلى هؤلاء المؤدنين المواقفين في أقصل جهّــةِ اليمين، ولا هم متعمون إلى هؤلاء الكافرين الواقفين في أقصى جهة الشمال، ويظلّون في حياتهم هكذا فلقين لا ثبات لهم، يتذبّذُبُونَ على أَرْجوحةِ التشكّل بين الأضداد، ولَّ على هذه الصفة قول الله تعالى:

﴿مُّنَابَدُ بِينَ بَيْنَ ذَاكِ لَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءً وَلَا إِلَىٰ هَا وَلَا عَالَىٰ مِنْ اللَّهُ عَلَىٰ إِلَىٰ هَا إِلَّهُ إِلَىٰ هَا إِلَىٰ اللّٰ عَالَىٰ الْعَلَالَٰ إِلَىٰ الْعَالِمُ عَلَىٰ إِلّٰ الْعَلَالَٰ عَالِهُ اللّٰهِ عَلَىٰ إِلَىٰ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ هُمَا إِلَىٰ هَا إِلَىٰ الْعَالِمُ اللّٰهُ عَلَىٰ إِلَىٰ الْعَلَامُ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ الْعَلَامُ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ الْعَالِمُ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلّٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَيْكُوالِهُ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ إِلّٰ عَلَى عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ إِلَّا عَلَىٰ إِلّٰ عَلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلّٰ عَلَى الْعَلَىٰ عَلَىٰ إِلَى عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ إِلَىٰ عَلَىٰ إِلّٰ عَلَىٰ عَلَىٰ إِلّٰ عَلَىٰ عَلَىٰ إِلّٰ عَلَى عَلَى الْعِلْمُ عَلَى عَلَى عَلَى الْعِلْمُ عَلَى الْعِلْمُ عَلَى عَلَى الْعِلْعِلَىٰ عَلَى الْعَلَالِيْعِ عَلَى إِلَى عَلَى الْعِلْمُ عَلَى إِلّٰ عَلَ

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَن يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۞ ﴾.

في هذا تهديدٌ للمنافقين بانَ الله عزّ وجلّ سيحكم عليهم بالضلال، وسيجازيهم على ضلالهم بما يستحقّون بمقتضى قانـون العدل، ومن يحكم اللهُ عليه بـاللفــلال فليس له بعد الله من يمحكم لـه بالهـداية، أي: ليس لـه من يُنجه من عـذاب الله على ضلاله، وليس له من يتَخذ لـه سبيلاً ما يجعله من أهل دار النعيم، أو من النـاجين س عـذاب الجحيم، بفدّية أو شفاعة أو غير ذلك.

* * *

قول الله عزّ وجلّ:

﴿يَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ لَانَذَخِذُوا الْكَنْدِينَ ٱوْلِيَـآة مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينُ أَثُرِيْدُونَ آن يَخْعَلُوا يَوْعَلَيْكُمْ مُلُطَنَاتُهِينَا ۞﴾.

بمناسبة بيبان أنَّ مِنْ صفاب المنافقين أنَّهُم يَتُجْلُونَ الكافرينَ أولياة مِنْ دون المؤمنين، وهـو ما جـاه في الآية (١٣٩) التي سبق تـدَيُّرُ دلالاتهـا، وجَه الله عـرُ وجـلَّ للذين أمنوا النَّهِيَّ الدخاصُ بصورةِ مباشرة أنَّ لا يُتَجِدُ أحـدُ منهم الكافرين أوّلياة من دون العؤمنين، وخـاطبهم بهذا النهي إشعاراً بخطورة المنهيَّ عنه، وأنَّه ليس مجرّد وصفي يُصفُ به المنافقون من جملة ما يتصفون به، بل هو من الكبائر التي يُخــلُو اللهُ الذين آمنوا منها تحذيراً مشدّداً، فقال الله تعالى في هذا الخطاب:

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَانَنَّخِذُوا الْكَنْفِينَ أَوْلِيآ مَن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينُّ ﴾.

وأبَّانُ اللهُّ عَزَّ وجلَّ بعد هـذا النهي الجازم الحازم أن الذين يتُخـذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يرتكبون من كبائر الإثم ما يجعلُونَ بهِ للهِ عليهم سلطاناً مبينًا، أي: حجَّةً واضحة جليَّةً لا شبهة فيهما وهي تُقْتَضي أن يرفع عنهم ولايت، ويُشْزِل بهم عقوبته.

وجماء هذا البيمان بـأسلوب الاستفهام التحديسري قبـل ارتكــاب المنهيّ عنــه، والإنكاريّ بعد ارتكاب المنهيّ عنه، فقال الله تعالى:

﴿أَثْرِيدُونَ أَن يَغَعُلُوا بِقَو عَلَيْكُمْ سُلُطَنَنَا ثَبِينًا ﴿﴾.

السلطان المبينُ هنا: هو الحجُّةُ الواضحة الجلَّةِ التي لا شبهة فيها تجملُ لهم فَذْرًا ما.

ومعلومُ أنَّ المؤمن الصادق الإيمان لا يُسريد أن يسرتكب من الإثم العنظيم

ما يكون لله به عليه سُلْطانٌ مبين، يقتضي تعرَّضه لعقاب الله، ورفع ولايته عنه.

قول الله عزّ وجلً:

﴿إِذَالْكُوْفِينَ فِي الدَّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تِجَدَّلُهُمْ غَسِيرًا ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاغْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَاخْفُسُوا دِينَهُمْ يَقِوَا أُوْلَتُهِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْجُرَاعُولِيمًا ﴿ ﴾ .

بعد الحديث عن المنافقين المذبذين، وبيان طائفة من صفات عموم المنافقين، أبان الله عاقبتهم يوم الدّين، باستثناء التالين منهم الذين تأثيرا توبة نصوحاً، وتخلّصوا من كلّ عناصر النفاق التي كانت تنزع فيهم لارتكاب الآثام الكبرى الّتي هي مظاهر سلوكيّة لا تجتمع غالباً إلّا في المنافقين.

أمّا عاقبة العنافقين الذين يموتون وهم منافقون فهي أنهم يكونون يوم المدين بعد الحساب وفصل القضاء في الطبقة السُّقْلَى من طبقات دار العذاب النار، يـذوقون فيهـا عذاباً خالداً.

ودلُّ على هذه العاقبة قولُ الله نعالى:

﴿إِنَّ ٱلْنَتَوْفِينَ فِي ٱلدَّرُكِ ٱلْأَسْفَىلِ مِنَ ٱلنَّادِ وَلَن يَجِدَلُهُمْ نَصِيرًا ٥٠

فهم يعوم العدين في السفرُكِ الأسْفَل من النسار، أي: في الطبقسة السُّفَل من طبقاتها، وتسلُّ قراءة وفي السُّمُزكِ، إذا قلسًا: إنَّها جمع وفرّكة، على تضاوت مسازل السنافقين في الطبقة السفل من النار، تبعاً لتفاوت شرورهم في تفاقهم.

ولتَّشِيبِهِم من النَّجاة خاطب الله عزَّ وجلَّ كلَّ من يستمع هـذا الخطاب أو يَتْلُوه من اللين يُصُلِّحُون للخطاب ويكونون خالدين يوم الدِّين فقال تعالى له:

﴿ وَلَن يَحِدُلُهُمْ نَصِيرًا ﴾ :

أي: ولن تجد أيُّها المخاطَبُ آياً كُنْتَ للمنافقين نصيراً ينصُرُهُمْ فيرفع عنهم عذاب الله، أو يحميهم منه يوم الدين.

ولم يخاطب الله المنافقين بهذا الخطاب للإشعار بأنهم وصلوا إلى حالةٍ من

الإصرار والعناد لا يقمهم معهما الاهتمام بترجيه الخطاب لهم، إذ استوى لمديهم الإنذار وعلمه، مع ما في عدم توجيه الخطاب لهم من الإعراض عنهم إعـراض مُقْتٍ وغضب.

واستثنى الله من عموم هؤلاء العنافقين ألمذيين تابىوا توبـةُ نَصُوحـاً، وقد أبــان الله عناصر هذه التوبة الصادقة النّصوح:

العنصر الأول: أن ينوب المنـاقق إلى اللهِ من نفاقـه، وذلك بـأن يرجـع إلى الله معلناً رجعته إلى الإيمان الصحيح الصادق، نادماً على ما كان منه.

العنصر الثاني: أن يُسارِضُ العملُ الصالح الذي يقتضيه الإيسان الصحيح الصادق، من ظاهر السلوك وباطنه، وأن يُصْلِح من نصه وسُلوكه ما كمان أفسدُهُ النضائق السابق، وأن يُصْلِح من آثار سلوكه ما يستطيع إصلاحه منه.

العتصر الثالث: أن يصرف عن نفسه تصوُّرات الاعتزاز بالكافرين، وأن يعتصم باقه يَتَّغِي العزَّة والثَّمَّة والنَّمَّخَةُ لَـذَيه، منضَمَّا إلى جماعـة العؤمنين المسلمين الصادقين.

العنصر الواسع: أن يجعلَ أعْمَالُهُ الـدَينيَّةُ التي يَشُوم بها خـالصةُ فه عـزُ وجلَ. لا يبتغي منها مُرادَاةُ النَّاس، أو مغانم الدنيا ومنافِعة بنُها.

دلُّ على هذه العناصر قولُ الله تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَتَمُوا فِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾.

وهنا يرد سؤال: هــل استثناء هؤلاء التائبين يُحْرَجُهُمْ من أن يكونوا في الــدرك الأسفل من النار فقط، أم يجملهم مع جماعة المؤمنين، تجري فيهم أحكام المؤمنين، ويُجَارُونُ جزاءَ المؤمنين في جنّاتِ النعيم؟

لقد أجاب الله على هذا التساؤل بقوله تعالى:

﴿ فَأُولَتِهِكَ مَعَ السُّوْمِينِينَ وَسَوْفَ يُؤْمِنِ اللَّهُ ٱلسُّوْمِينِينَ آجْرًا عَظِيمًا ﴿ ﴾.

ونـالاحظ في هذا أنَّ كـون هؤلاء النـاثبين مـع المؤمنين لا يقتصـر على الأحكـام

الدنيرية، بل سنوف تجري عليهم ينوم الدين أحكام المؤمنين الأخرويّـة بدليـل قولـه تعالى: ﴿وَسُوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ المؤمنين أَجْراً عظيماً﴾

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ يِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٠٠٠.

صدّرت هذه الآية باستفهام يُراد منه النفي، إذَّ هو موجَّه لانتزاع الجواب من المخاطين بالنفي، أي: لا يَفْعَلُ الله بعذاب المعذّبين من عباده شبيئاً لفسه عرّر وجلً، فهو لا يَجْلُّبُ به لنفسه نقماً، ولا يدفع به عن نقس ضرّاً، لكِنُّ قانون العدل العمامُ لا يُثّ أن يتحقّن، هذه الحقيقة هي من يُذهبُك قواعد الإيسان في الدين الذي اصطفاه الله للناس، وقد جاه شرحها في الحديث القدسي الصحيح عن رسول الله ﷺ:

روى الإمام مسلم، عن أبي ذرَّ جُنْدُبٍ بْنِ جُنَادَة، عن النبيقِ ﷺ، فيما يعروي عن الله تبارُكُ وَتَمَالَى أَنَّه قال: وَيَا عِبَادِي، إِنِّي خَرِّمْتُ الظَّلْمُ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَمَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُعْرِمًا فَلاَ نَظَالُمُوا.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالَّ إِلَّا مَنْ هَذَيُّتُهُ فَاسْتَهُدُونِي ٱهْدكُمْ.

يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ جَائِمٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارِ إِلَّا مَنْ كَسَوْنُهُ، فاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يًا عِبَادِي، إِنْكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنْكُمْ لَنْ نَبْلُغُوا ضَرِّي فَنَضْرُّونِي، ولَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا جِبَادِي، لَوْ أَنْ أَلْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَلْفَىٰ قَلْبٍ رَجُـل وَاحِدِ مِنْكُمْ مَا وَادْ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يًـا عِبلدي، لَــُو أَنْ أَوْلَكُمْ وَاجْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنُكُمْ كَـانُوا على أَفْجَـرِ قُلْبِ رَجُّلَ واجدٍ، ما نَفَصْ ذَلِكَ مِنْ مُلَكِي شَيْئًا.

يَا عِبْادِي، لَوْ أَنْ أَوْلَكُمْ وَآجِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ فَاهُوا فِي صَعِيبٍ وَاجِدٍ،

فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلُّ إِنْسَانِ مَسَّأَلَتُهُ مَا نَفْصَ فَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيطُ إذَا لَدْجَلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي، إِنْمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمُّ أُوفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلَيْحُمْدِ اللَّهَ، ومَنْ وَجَدَ غَرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومُنْ إِلَّا نَفْسَهُۥ‹‹١

فلا طاعةً العباد تضع الله شيئاً، ولا معمينهم له تَشُرُهُ شيئاً، وإنَما يُحْجِي الله أعسال عباده في رحلة استحانهم في الحياة المدنيا، ثُمُّ يُوفِّهِم الجزاه عليها، ضِمَنَ قَالُونِ الْفَضَل، وقاتُونِ الْفَذَل، فمن وجد من الجزاء خيرا، فَلَيَحْدِ اللَّهُ عَلَى فَصْله، ومِنْ وَجَدَ من الجزاء خير فلك، فيلا يُلومَنُ إلاَّ نَفْسَه، لائنَهُ هُو اللهي جَنَى على نفسه، باستخدامه قوانِنَ الله، ومُنْتُه الثابتة.

إنّ من أدخل يَدَهُ في النّار أُخرقَ الله له يَدَهُ، ضمن سُتِهِ الدّائسة، الشاملة لكلّ عباده، ومَنْ كفر بالله، أو سُلْكَ سبيل النفاق، عاقب الله ضمّن سُته الدائمة، الشابلة لكُلّ عباده، ومن دَسُ لفَما موقوت التلجير ولو بعد سنين عديدة تحت صَرْجِه، فَجُسَرُ اللّه لَهُ لَفَمَنَهُ فِي الوقت المجلّد فَدَمَر له صرحه، ضمن سُتَه الدائمة، الشّاملة لكلّ عباده.

فمعنى قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿مَّا يَفْكُلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ؟﴾.

بهذه الصيغة الاستفهامية التي يُقصَدُ منها انتـزاع الجواب: لا يُعملُ الله بتعلميــه لكم على آثامكم وجرائمكُم شيئًا لنفسه سبحانه، من جلب نفع أودفع صَرًّ.

أي: وإنَّما هي أعمالكم يعصيها الله لكُمْ ثُمُّ يُوفِكُمْ إِيَّاها، ضمَّن القانون العامَّ، فهو سبحانه لا يفعل شيئاً لنفسه بعذابِكُمْ إن قدَّمتم من العمل ما يفتضي تعذيكم.

أَمَّا قُوْلُهُ تُعَالَىٰ:

⁽١) عن ارياض الصالحين، للنووي، الباب الحادي عشر في المجاهدة الحديث رقم (١١١).

﴿ إِن شَكَرُتُهُ وَءَامَن تُمُّ ﴾.

فهـو شرط مُــذِف جوابـه، للعلم به، والمعنى: إنْ شَكَرَتُم وانشَمْ اتناكُمْ أجراً عظيماً، ولا يَنْفُسُ ذلِكَ العطاءُ العظيم من مُلْكِه فَيْنَاً، ولا يزيدُ شَكْرُكُمْ وإيصالَكُمْ في مُلِكِه شيئاً.

وبعد هذا أبانُ اللَّهُ عَرَّ وجلَّ من صفات أَنَّهُ شَبَاكِرَ عَلَيمٍ. أَنَّ صَغَةُ الشَّكر، فهي تناسب مكافأة عباده المؤمنين الشاكرين، وأمّا صفة العلم، فهي تناسب قضية إحاطته علماً بأعصال عباده جميعاً، من يستحقّ منهم الشواب، ومن يستحقَّ منهم العقاب، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السعاوات ولا في الأرض، فقال تعالى:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۞ ﴾:

أي: إنَّـهُ شاكرٌ عَلِيمٌ دواماً، وذكرٌ كون شاكِـراً عليماً يـومى، إلى صفة عــدله، يقرينة ما يفعلُ الله بعذابكم؟

ويُلاحَظُ أَنَّ الله عزّ وجل قَدَّمَ شُكّرَ عباده على إيمـانهم مع أنَّ الشكـر أثرَّ سلوكي من آثار الإيمان، فقال تُعالى:

﴿ إِن شَكَرْتُكُ وَءَامَنتُمْ ﴾.

وبالتفكّر يظهر لنا أنّه بدأ تعالى ببيان ما يُظهّرُ للناس من سلوك، وأبان بعده شرط صحّة هذا السلوك وقبوله عنىد الله، وهو الإيسان البذي تنعقد عليه الفلوب، فمن لم يصحّ إيسانه لم يكن لعمله الصالح شرةً عند الله.

. .

النص التاسع عشر

وهو من سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نزول) شامن سورة مدنية الآيسات مسن (١٣ ــ ١٥) حول لقطات من مشاهد أحوال المنافقين يوم القيامة

قال الله عزَّ وجل:

. . .

(1)

ما في النص من القراءات المتواترة (من الفرش)

في الآية (١٣):

(١) قرأ جمهور القرّاء: [انْظُرُونَا] بضمّ الظاء ووصل الهمزة من ونَـظَرُهُ بمعنى
 انتظره.

وقرأ حمزة فقط [أَنْظُرُونا] بَكْسُرِ الظاء من وأَنْظَرَهُ، بمعنى أَمْهَلُهُ، قال الـزجاج: قيل. معنى وأنظرُوناء انْظِرُونا أيضاً، ومنه قول عَمْرو بن كُلُثُوم:

أبَسَا جِنْدِ فَسَلَا تَعْجَسُلُ عَلَيْنَا ﴿ وَأَنْسَطُرُنَّا نُحَبِّسُوكُ الْسَيْفِسِنَ

وقال الفراء: تقول العرب: أَنْظِرني، أي: انْتظِرْني قَليلًا، ويقولُ المتكلم لِمَنْ يُعْجِلُه: أَنْظِرْني البَّلِغ ريفي، أي: المهلني.

فالقراءتان على هذا هما بمعنى: انتظِرُونَا وتمَهَّلُوا من أجَّلِنا ولاَ تسَّبقونا.

- * في الآية (١٤):
- (١) قرأ جمهور الفرَّاء [الأَمَانيُّ] بِتَشْديد الياء.

وقرأ أبو جعفر فقط بتخفيف الياء ساكنة.

والقراءتان وجهان عربيان لهذه الكلمة، فهما متكافئتان، وكـلاهما جمع أمنيّة، كما يُقال: في أضحيّة أضاح وأضاحيّ، وفي أثنيّة اثاني واثانقيّ.

- * في الآية (١٥):
- (١) قرأ جمُّهور القرَّاء [لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمٌ فِلْنَةً] بالياء من يُؤْخَذ.

وقرأ ابنُ عامر وأبو جعفر ويعقوبُ [لَا تُؤْخَذُ] بالتاء.

والقراءتان وجهمان عربيهان لأن لفظ وفيثية، مجازي التنانيث، فيجوز في الفعـل المسند إليهما التذكير والتأنيث.

* *

(T)

موضوع النص ودلالاته بوجه عامً

يقدّم هذا النصّ لقطات من مشاهد أحوال المشافقين يوم القيامة، مقابل بيان لقطات من مشاهد أحوال المؤمنين.

هذه اللّقطات تصوّر معاملة المنافقين يوم الحشـر بمثل مـاكان منهم في الـدنيا، إذّ كانوا بين صفوف المؤمنين، ينتمون إليهم ظاهراً، ويعملون بمثل أعمالهم الـظاهرة، لكنّهم كنانوا منخذلين عُنْهُمْ سراً، ومنّجهين لغير اتجاههم، وسالكين غير سبلهم ياطناً، وكنانوا لا يملكون نور الإيمان الصادق والإسلام الصحيح، يخلاف أحوال المؤمنين، فقد كان لكلّ منهم من النور بمقدار قوة إيمانه والتزامه بشرائع الإسلام وتطبيقاته.

نفي يوم القيامة يتعرض أهل المحشر لظلمة شديدة لا يرون فيها مسيرهم الذي يُضَافُون أو يساقون فيه إلى موقف حسابهم، ثمّ إلى مصائدهم، باستشناء المؤدنين، فيان الله عزّ وجل نَهْهُم نوراً يوجُهونه بايسانهم، وهذا النور يسُمَّى بين أيديهم في مسالكهم مع سعيهم في مسيرهم، نظير النور الكهربائي الذي يوجهه راكب السيّارة في اللّيا، إذّ يكشف له الطريق أمات، وعلى مقدار سرعة سيّارته يَسْمَى نوره بين يديه كاشفاً له طريق.

أمّا المنافقون فيُحشرون أوّل الأمر مع المؤمنين، باعتبار أنَّهم كـانوا في الـدنيا معهم بحسب الظاهر.

لمَّ يُؤْمِر المؤمنون بأنَّ يتوجّهوا لموقف حسابهم، فيتوجّهون ساعين، ويُسْرِعُ كلُّ منهم على مقدار ما كنان يُمَلِك من قوّة إيمسان، وكثرة زادٍ من العمسل الصالح، ويجعل الله لهم نوراً يمشون فيه، وهذا النور يُسْغى بين أيديهم، ويملكُونَ بَثُمُّ وتوجيهم بأيمانهم، ويقالُ لهم لتطمئن قلوبهم وتفوسهم:

﴿بُشُرَنكُمُ ٱلِوَمَ حَنَثُ تَعَرِينِ عَنْهِ ٱلْأَنْهَ رُخَلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَلِيمُ ۞﴾.

ولمّنا كان المنافقون محرومين من الإيمان ومن زاد العمل الصالح فرأتهم لا يملكون القدرة على السّميّ السّريع في اتجاه موقف حساب المؤمنين، ولا يملكون بأيماتهم نموراً يبتُونه ليسْمَىٰ بين أبديهم، فهم في بداية المسيرة يستغيدون من نمور المؤمنين، فيمشسون وراءهم قليلًا، ثمّ ينقسطمون عجسزاً عن المتابعة، ويسقّهم المؤمنون، وتسبقُهم معهم أنوارُهم، حتى من كان لديه منهم من النور ما يكشف له بين يديه موطىء قده.

عندللاً يقول المنافقون والمنافقات لممارفهم من المؤمنين، انتظرونا وتمهُلُوا قلبلاً من أجلنا، لتستغيد من نوركم، ونسير معكم في سُبُلكُم، فعلا يستجيب لهم المؤمنون، لانه لا يُسْمَعُ لهم بذلك.

ويُقال للمنافقين والمنافقات:

﴿ أَرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ ﴾ :

أي: فليست هـذه الجهـة جهـة مُبيـركم، إنهــا جهـة المؤمنين، وليست جهــة الكافرين ولا المنافقين.

> ويقال لهم أيضاً: ﴿فَالْنَيْسُوانُورًا ﴾:

اي: التَمَسُّوا نوراً بــانفسكم مَمَا قَـلْمَتُمْ من كــب في دنياكم، إنَّ كَتُمْ قــادرين على التماس نور، فليس لكافر ولا لمتنافق يوم الدين أن يكونَ كَلَّا على مُؤْمِن في إيمان أو عمل صالح، او آثار ذلك وشراته.

هذا القول يقال لهم من قبل العوكُلين من الملائكة بقيادة النــاس أوسوقهم في يوم الحشر، أو هو قول يخلفه الله جواباً لهم، فهم يسمعونه ولا يرون مصدره.

حيثة يقيم الله عزّ رجلٌ بين المؤمنين والمنافقين سوراً يحجبُ المنافقين عن
متابعة السُّير في جهة مَسِير المؤمنين، ويجعل الله لهذا السور باباً، يدخل منه بقايا
المؤمنين المقصّرين في السير، الذين ليس لهم من الفرّة الإيمانية، ولا من النسور
ما يجعلهم من السابقين، لكنَّ لديهم قليل من ذلك، فيقف الحرّاس على الباب،
ويسمحون لهم بالدخول منه بحسب مراتبهم ودرجانهم في الإيمان والعمل الصالح،
حتى يدخُلُ أَصْعَفُهم إيماناً، وافقرهم نوراً، وعندته يُقفِّلُ الباب على المنافقين،
ويُحْجَزُونَ، ويُصُرفُونَ إلى جهة الكافرين، فيكونون معهم، الأنهم كنانوا مع الكافرين
في الدنيا باطناً.

وهذا السور له باطنّ حسَرٌ جميل، وهو ما هو منه إلى جهة المؤمنين، وله ظاهر مخيف موحش، وهو ما كان منه إلى جهة المنافقين، ففي جهة بـاطن السّور تنسّوًل رحمات الله على المؤمنين بما يُسمدُهم ويفرحهم ويطمئن قلوبهم ونفوسهم. أمّا ظاهر السّور فياتي مِن قِبَله أنواع من العذاب للمنافقين، ويذلك يشتدَّ عليهم الموقف حتَّى يحاسبوا ويسائوًا إلى دار العذاب. حينتُه لا يبقى أمام المنافقين إلا وسيلة نداء المؤمنين، فينادونهم:

﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾.

يريد المنافقون أن يشهد لهم المؤمنون لـدى ربّهم أنّهم كانـوا معهم في الدنيـا، فمن حقّهم أن يكونوا معهم في الاخوة.

فَيْجِيبُهم المؤمنون قائلين: ﴿ بَلَكَ ﴾:

أي: لقد كُنتُم معنا في الظاهر.

وأتبعوا هذه الإجابة بما يدُلُّ على أنّهم لم يكونوا معهم في البياطن، أي: فليس من حقهم أن يكونوا معهم في باطن السور، ولا أن يكونوا بعد ذلك معهم في الجنّة.

فذكروا بالتفصيل أموراً خمسةً دالَّة على أنَّهم لم يكونوا مع المؤمنين في الباطن، وهي ما يلي:

الأسر الأول: أنّهم فتدرا انفسهم، أي: أصَلُوا أنفسهم وعرّضوهـا لعقـاب الله ونقمته، باختيار الكفر باطنًا، ومخادعة المؤمنين ظاهرًا، وأتّخاذ وجهين متناقضين.

الأصر الثاني: أنَّهم تَـرَّنَصُوا أَنَّ تـدور الدائـرة على المؤمنين فَيَنْقَضُوا عليهم مـع الكافرين.

الأسر الثالث: أنّهم ارتباوا في الحقّ الـذي جناءهم من حند ربّهم على لسنان رسوله، مع أنّه لم يكن لهم عُـذُرٌ في أن يرتبابوا فيه، لوضوحه، وقدّة أدلّتِه وَسِراهيته الدامغة.

الأمر الرابع: أأنهم غَرْقُهُمُ الأمانيُ التي كانوا يُعشُون بهما أنفسهم، وكان شيناطين الإنس من اليهود والمشركين وغيرهم من الكافرين يُعشُّونهم بها، واستمرّت تُصَرَّهم هذه الأمانيُ حتى جاءتهم مناياهم وماتوا على كفرهم ونفاقهم دون توبة.

الأمر الخامس: أنّهم غَرْهُم بالله الْمَرْرُرُ، وهو الشيطان، بما كنان يوسـوس لهم من أفكار وضلالات، كالشكيك في البعث والحساب وعذاب الأخـرة، والتشكيك في الرسول والقرآن، وكتريين أنواع الشرك والكفريات التي كانوا يعتقدونها، إلى غيـر ذلك من زيوف. بعد هذا البيان التفصيلي يقال للمنافقين: فاليوم لا يؤخذ منكُم فديةً ما عشا فلمتم ولا من الذين تفروا، ولا بُدُّ أن تُلاقرا جزاءكم بالعدل، وطواكم الدي سناوون إليه النار، هي الّتي سنتولّى أمور عدابكم عن طريق خوزتها من المملائكة الضلاظ الشداد، وهي المصير الذي سنصيرون إليه، ويشّى المصير هي.

/90

المفردات اللُّنوْية في النَّصَ

﴿ بُشْرَينَكُمْ ﴾:

أي: ما تَبَشَرُونَ به، الْبُشْرَىٰ: اسم يُطْلَق على الشيء السَّارَ المفرِح الذي يـاتي. به الخبرُ أو العلم.

﴿ ٱلْفَوْرُ ٱلْمَظِيمُ ﴾:

الفوز: الظفر، والنجاة من الشرّ، والربح.

﴿ ٱنظُرُونَا ﴾ :

أي: انتظِرُونا، يقالُ: نَظَرَهُ بِمَعْنَىٰ انتظَرَهُ.

﴿ ٱنظُرُونَا ﴾ :

أي: أَمْهِلُونا بالانْتظار، أو انتظرونا.

﴿ نَقْلَبِسُ مِن فُورِكُمْ ﴾:

أي: نستَفِدٌ من نُوركم، يُقَالُ: اقتبَسَ فلانُ من فُلانٍ نوراً أو علماً، إذا استفاده

-. ﴿ فَالْتَبَسُوا ﴾ :

أي: فأطُلُبُوا نوراً، وابحثوا عن نور بأنفسكم ولا يسمح لكم أن تستفيدوا من نور يركم.

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾ :

ضَرِّبُ السَّورِ إقامتُه وأنشاؤه وإحداثه، يقول العربيّ: ضربتُ بيشاً إذا نصبُه واقعامه أو إنّاه، وأطلق على إنشاء الإبنية فعل الضرب، لأنَّ عمل الضرب بالبيد أن بالأدوات من أهمَّ أعمال إنشائها. والسُّور: كلُّ ما يجيط بشيء من بناه أو غيره.

وصُدِّي فعل وضُرِب، يحرف الجرِّ والباءه لأنَّه ضُمَّن معنى فعل ويحجزه أو ويفصل، فالمعنى: فَضُرِبَ بَيْهم حاجزُ أو ضامسل بسورٍ يفصسل بين المؤمنين والمنافقين.

﴿ مِن قِبَـٰ لِهِ ﴾:

أي: من جهته، قِبَلُ الشيءَ: جِهَتُه وناحيتُه.

﴿ نَنْتُمْ أَنْفُ كُمْ ﴾:

لي: أَضْلَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَعُرُضْتُمُوها لعداب الله ونقمته، وهمذا فيما أرى أُولَىٰ العماني بالاعتبار هنا من معاني الفتة.

﴿ وَرَبِّي تُصَمِّمُ ﴾:

التَرْبُصُ الانتظار، يُقال لغة: نربُصَ فُلانٌ بِفُلانٍ، أي: انتظر شـرًا أوخيراً يحـلّ

﴿ وَأَرْبَبُتُمْ ﴾:

أي: شَكَكُتُم، يقال لغة: ارتاب في الأمر وارتاب به إذا شكّ فيه. وارتابُ به إذا أنّهمهُ بأمرٍ مستنكر، ككذب أر سرقة أو خيانة ونحو ذلك.

﴿وَغَرَّتُكُمُّ ﴾:

أي: خَذَعَتْكُمْ وأطمعتكُمْ بالباطل.

﴿ٱلْأَمَانِيُّ ﴾:

جمع والْأَمْنِيَّة، وهي ما يتمنَّى الإنسان حصوله مما هو بعيد المتال.

﴿ أَلْفَرُورُ ﴾ ; كلُّ خدًّاع ٍ يُطمع بالباطل، وصيغة اغَرُور، من صيخ المبالغة، أي :

شديد الخدع عظيم الحيلة، ويطلق غالباً هذا اللفظ على الشيطان، ومن كان مثله في التغرير والمخادعة للإضلال.

﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِلْدَيَّةُ ﴾:

اَلْهِـذَيَّةُ مَـا يُفَـدُّمُ مَن مالر أو غيره لإنشاذ مَسْتَجَقَّ العقاب، وتخليصِه من تَبِغَةِ ماجنَىٰ.

﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُّ ﴾:

اي: مُنْزِلِكُمُ الذي تَأْوُونَ إليه النار، يقال: أوَىٰ إلى المكان إذا نزل فيه، فهو أ

﴿هِيَ مَوْلَنكُمْ ﴾:

من معاني والْمَقِلَىٰ، من يتنولَى أمر من هــو مشرف عليــه، وهذا المعنى هــو اَلْيق معاني هذه الكلمة هنا. فـالثار عن طـريق خزنتهــا من الملائكــة، هـي التي تتولَّى أسور تعذيب المنافقين يوم الدين.

﴿ وَبِثْنَ ٱلْمَصِيرُ ﴾:

بِشْن: فعل جامد لإنشاء الـدِّم، وهو منقـولٌ للذّلالة على معنى الـدُّم من ويُسَنَ. إذا أصابَ بُؤْساً، ضِدّ ونَجمَ».

﴿ ٱلْمُصِيدُ ﴾: اسم المكان الذي سيصيرون إليه، أو مصدر ميمي من «صار». والمعنى: وبشَّى المصير النار التي سيصيرون إليها.

يقال لغة: صار إلى كذا بمعنى انتقل إليه، أو تحوّل إليه، أو انتهي إليه.

. . .

(1)

مع النصّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَتِ يَسْعَى تُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيمٍ مَو يِأْتَشَيْهِ بِشُرَيكُمُ ٱلْبَوْمَ جَنَتَتُ تَغْرِي

مِن تَعْنِهَا ٱلأَنْهَارُخَالِدِينَ فِيهَأَذَالِكَ هُوَٱلْفَوْزُٱلْمَظِيمُ ١٠٠

أي: يا مَنْ تصلحُ للخطاب ضغ في ذاكرتِكُ مشهداً من مشاهد يَرُم القياسة،
 فاذُكُرُ من حين لاخر يَرْمَ أَرْقَى إِذَ تَقُومُ القيامة، ويُخشُرُ الناس للحساب وفصل القضاء،
 المؤمنين والمؤمناتِ مخطوظين بميزة خاصةٍ دون سائر أهل الحشر.

هذه العيزة هي أقهم اصحابُ نور يكثيف لهم مُبْلَهُمْ في مُبيـرِهمْ، فكُلُ مُثْهُمْ لَهُ نورُ عَاصُّ بِهِ يَكْبُفُ لَهُ الْمَبِيرِ اللّهِي يَبِيرُ فِيهَ عَبْرُ طَلامٍ مُحطٍ مُجْلُل، ولا بُدُ أن يكون نورُ كلَّ واحدٍ منهم على مقدار قُوَةٍ إيسانِه في الدنيا، ومقداو زادٍه من العمل الصالح.

هذا الور الذي يكون لكل مؤمن ومؤمنة نورُ يُشْمَى في سُبُلِ أَرض الحضر أمامُ السّاعين فيها على مقادير سَمُّهِهم شَدَّةً وَضَعْنَا، فساع منهم بسرعة فالقدة، ونورُه يَسْمَى بين يديه بمثل سُرْعت، وساع منهم بسرعة دون ذلك، وتتنازلُ السُرعات حتى أدناها، ونورُ كلَّ واحد منهم يسعى بُين يديه على مقدار سنرعت، وسنرعة في سعيه يومشةِ تناسب سَمْيَةً في طاعة الله ومراضيه في الحياة الدنيا.

وهذا النور يملكون بنُهُ وتوجيهه بالبُمانهم، كالمصابيح الكهربائيَّة الَّتِي اكتشفها الناس لإنمارة طرقاتهم في اللَيلِ ، ذاتِ الأنواع المختلفة، فعنها ما يستعمله الناس في مركباتهم، ومنها ما يحمله المشلة بأبديهم.

ف النص على تقديسر: اذكر يسا من بصلح للخسطاب فإسرة تسرى المُؤبينن والْمُؤبِسَاتَ له حالة كَرْيَهِم فَإِيسَمَى نُمُورُهُمْ الخاصُّ بكلُ واحدٍ منهم بحسب إيمانه وما قدَّم من عمل صالح في مرضاة الله فيين الديهم للكشف طُرُقائهم بحسب مقدار سعي كلُّ منهم، ودلت الحاجمة إلى النور على أنْ مُحيط المكان محيط مظلم لا نور فيه إلاَّ ما يكون ساعياً بن أيدي المؤمنين الساعين، فوق وسيلة بتُ هذا النور وتوجهه تكون فوالميانهم .

وضع في ذاكرتك أيضاً يـا من تصلُح للخطاب أنّ المؤمنين والمؤمنـات لهم ميزةً أخرى يميزهم الله بها، دون سائر أهل المحشر يوم القيامة . هذه الميزة الأخرى هي أنَّهم يُبشُّرون قبل الحساب وفصل القضاء بِيُشْرَى، فيقال م:

﴿ بِثَمْرَنَكُمُ الْيُوْمَ جَنَنَتُ تَغِرِى مِن تَعْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا . . . \$ ♦.

﴿ بُشْرَينَكُمْ ﴾:

أي: الشيء السَّارُّ المفرح الذي تبشَّرون به، وهو مبتدأ.

﴿جَنَّتُ ﴾:

خبرٌ. إنُّها جَنَّةً عُظْمَىٰ مفصَّلة إلى جنَّات.

ومن أوصافها ألها تُجْرِي من تحتها الأنهار التي جناء في نصوص قدرآنية أخسرى وصفها، فمنها أنهار ماء غير آسن، ومنها أنهار لبن، ومنها أنهبار عسُل مُصَفَّى، ومنها أنهار خَمْرٍ لاَ غَوْلَ فِيهِ .

﴿خَلِدِينَ فِيهَا ﴾:

أي: هي معدَّةً لكُم، فإذا دخلتموها كُنَّتُمْ خالدين فيها.

بعد عرض هذه اللفطات من مشاهد يوم القياسة متّما هو خاصٌ بالمؤمنين والمؤمنات، أبان الله لننا على سبيل التبرغيب في أن نكون من أهـل الإيمـان، فقـال تعالى:

﴿ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ ﴾:

أي: ذلك الثوابُ الرُفيعُ يوم الدين للمؤمنين والمؤمنات هو وحُدَّة الفوز العظيم، الجامع للظفر بما هو فوق أمانيّ العباد ومحابّهم، وللربح العظيم على العمل الفليل، وللنجاة منّا هو معدُّ للكافرين والمنافقين من عذاب أليم، وضمير (هو) ضمير فصل لتأكيد التخصيص.

ونلاحظ أنَّ هذا النور الذي عرضته هذه الآية على أنَّه خَيْرٌ عن مُشْهِدٍ مقتَظَم من مشاهد يوم القيامة، قد جاه بيانه في سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نزول) نفسها بأسلوب وغير من الله للمؤسين من أهل الكتاب إذا اتقوا وآمنوا برسوله محمد ولا سيما النصارى الذين اتَّبُعُوا عيسَىٰ بصدقٍ، فقال تعالى فيها:

﴿يَكَايُّهُا الَّذِينَ السَّوُا اَتَشُوا اللَّهَ وَعَلِيثُوا بِصُولِهِ . يُؤْتِكُمُ يَكَنَايُنِ مِن ذَهَيِّهِ ، وَيَعَمَل لَّكُمْ فُولَا مَنشُونَ بِهِ . وَيَعْفِرُ لَكُمُّ وَاللَّهَ عَقُولً تَحْجِمُ ۞ ؛

أي: يا أيها الذين آمَنُوا برسُل الله السابقين وبما جاؤوا به اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ، يؤتكم كِفُلُيْن (أي: تُعيييُّن) من رحمت، مقابل إيمانكم أولاً برسلكم، ثم إيمانكم بمحمَّد. ويجمل لكم نوراً من الهداية تَشُون به في الدنيا، ونموراً تمشونَ به يوم القيامة، ويغفر لكم، والله غفورٌ رحيم.

وجاء بيانه أيضاً في سـورة (التحريم/ ٦٦ مصحف/ ١٠٧ نــزول) بأسـلوب وغــدٍ من الله لعصاة المؤمنين، فقال نعالى فيها:

﴿ يَتَانِّهُمْ الَّذِينَ مَا مُثُوا ثَوْمًا إِلَى اللهِ وَمَنهُ فَصُومًا عَنَىٰ رَبُّكُمْ أَنَهُ كَفُرَ عَنكُمْ سَيْنَا يَكُمُّ وَيَدْخِلَكُمْ جَنَّنَ تَخْرِى مِن فَقِيقَ الْأَنْهُ رُوّمَ الْكُفْرَ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّي مَا مُنْوَا مَقَمُّ وُرَكُمْ مِنْسَى بَيْنِ كَلْيَتِهِمْ وَيَأْتِمَنِهِمْ بَعُولُونَ رَبِّنَا أَنْهِمْ لَنَا فُرْدَا وَالْفَهْرُلِنَا إِلَى عَلَىٰ هَا يَكُولُونَ فَقِيدٌ ﴿ ﴾ .

نُلاَجِطُ في هذه الآية أَنْ دُعَاة المؤمنين يوم القيامة ربَّهُمَ أَن يُبِمُ أَنِّمُ مُورَهُمْ وَيَغَفِّرَ لَهِم لهم، يدُلُّ على أنَّ نور كلَّ واحد منهم نـورٌ ناقصُّ عن صربة الكسال التي يشاهدونها للانبياء والمرسلين، ولا بُدَ أَن يكون ذلك بسبب ما كان منهم من تقصيرات وذنوب ارتكبُّوها وضعف في الإيمان، فهم يسألون الله أن يُبَمَ فَهُمْ وَيفَضَرُ لهم، حُثَى يكونوا مع السابقين، ونفهم ذهتاً بمتضى قانون العدل الربائي أنَّ نفص النور لكلَّ واحد منهم يعادل تقصيراته وما ارتكب في الحياة الذنيا من سيّات، وهذا يُشَهَدُ للتصورُد الذي أظهره تدبُّر الآية التي هي موضوع البحث من سورة (الحديد) كما سبَنَ البيان حولها.

قول الله عز وجل:

﴿ مِرْمَقُولُ السَّنْفِقُونَ وَالْسُنْفِقَتُ لِلَّذِيكَ مَامُنُوا الْفُلُوفَ فَقَنِسْ مِن فُرِكُمْ قِبْلَ آرِجِهُوا وَرَاتَهُمُّ الْفَيْسُوافُولُا فَشْرِيَ يَرْتَهُمْ مِيْوِلُهُ مَا بَالطِيمُولِ الرَّمْقُ وَكُومُورُ مِن قِيلِهِ يَنْادُونِهُمْ الْمَرْتُكُونُ مَنْكُمُ قَالُوا الْوَقِكِكُمُّ وَمَنْتُمْ الْمُعَلِّمُ وَرَيْقَتُمْ وَلَوَيْقَ حَنَّى مَنْهُ أَلَّمُ اللَّهِ وَخَرَكُمْ إِلَيْهِ الْمُرْقِدُ ۞ .

أي: وَضَعْ فِي فَاكْرِيْكُ أَيْضاً يا من تصلُح للنطاب مشهداً آخَرَ من مشاهد يرَّم. التابعة يرَّم. التيامة، التيامة، التيامة، التيامة، ويُخْر، يوم تَزَى إِذَّ تُقُومُ القيامة، ويُخْرُر النَّاسُ للحساب وقصل القضاء، المنافقين والمنافقات، يُشَسُّون وراء المؤمنين والمؤمنات بتباطؤ وضَعْفٍ وغَجْرٍي، وهم يقولون للذين أمنوا انتظرونا وتنهَلُوا من أَجْلِنا حتى نستفيد في ميرنا خَلْفَكُمْ مِن تُورِكُمْ، في هذا الظلام الدامس.

ونستطيع أنَّ ندركُ أنَّ هذا إنَّسا يكون قبل الحساب وفصل القضاء، إذَّ يبرّعم المنافقون والمنافقات أنَّ خداعهم للمؤمنين ما زال سارياً تبعاً لما كمانوا فيه في الحياة الدنيا، أمَّا بعد الحساب وفصل القضاء، فإنَّ الحكم بشأتهم يكون قد صَدَّر، وعندثنُّ يُجْمَعُونَ مع الكافرين، وتنكشف سرائرهم للجميع، فما يذكره بعض المفسوين ممَّا يخافف هذا لا يستنيم، ومنه قول بعضهم: إذَّ هذا يكون على الصراط.

دلُّ على هذه اللقطة من مشاهد يوم القيامة قول الله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَعُولُ ٱلْمُنْفِعُونَ وَٱلْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ عَامَنُواْ انظُرُونَا نَقْنَيِسْ مِن فُرِيكُمْ ﴾ :

أي: الذُّكْرُ يا مَنْ تَصْلُح للخطاب ﴿يَوْمَ يَقُـولُ. . . ﴾، فضع هـذا في ذاكـرتـك ليكون واعظاً لك ومُنْذِراً، فتكون شديد الحذر من أن تَسْلُك مسالك النفاق والمنافقين.

ولمّا كان المنافقون والمنافقات على علم بأنّ النور الـذي يستهدي بــه المؤمنون والمؤمنات إنما هــو نور إيمــان كلّ منهم ونــورٌ عمله الصالح في الحياة الــدنيا، فــأتّهم يقولون لهـم:

﴿ ٱنظُرُونَا نَقْنَبِسْ مِن فُورِكُمْ ﴾ .

ولاً يقولون لهم: نقتبس من النور الذي تستَهَدُون به في ظلمات المحشر، إنهم يعلمون أنه نُورُهُمْ المنبعث من كلَّ منهم. ودلَّ المشهد على أن الذين أمنوا يَسْفُونُ، أي: يُسْرِعُونَ في السَّير الأن نورُهُمْ يَشْفَى بَيْنَ المِديهِم، فسَمَّى نورهم جماء كنايةً عن سعيهم، ولمو كنانوا مستقرين في أماكنهم لكان نورهم مستقرًا معهم.

ودلُّ المشهد على أن المنافقين والمشافقات يخاولون اللَّحاق بِالَّـذِين آمنوا، استمراراً لما كانوا عليه من نفاق في الحياة الدَّنيا، ولكنَّ الشعف والعجز الناجمين عمّا كانوا عليه من كفر في البناطن لا يمكّنانهم من مسايرة أضعف المؤمنين إيصاناً وأقلّهم عملاً صالحاً.

ولا بدّ أن يكون هذا السّمي في اتّجاه موقف الحساب وفصّل القضاء الخاصّ بالمؤمنين والمؤمنات.

عندثذٍ بقال لهم:

﴿ أُرْجِعُواْ رَزَاءَكُمْ ﴾:

أي: لِسَتُّ هذه الجهة جهتكم، ولا تشلُحون للّحاق بالذين آمنوا في مسيرهم، لا بالاستحقاق ولا بالتبعّه، فمكانكُم الخاصُّ بكم هو وراتكُمْ، فارجعـوا إليه، وسيـروا في الانتجاء المماكس حيث يُسِيرُ الكافرون الصرحاء.

فالذي بظهر أنهم يُحذّعون في أول الأمر فيُحشّرُون مع الذين أمَنُوا، ثُم إذا دَعِي المذين أمنُوا للسعي في اتجاء موقف حسابهم، مشى معهم المنافقون مشي الضعفاء العجزة، فيسبقهم كلّ المؤمنين، عندلذ يكونون كالذيل، ثم ينفصل المذيل عن مؤخّرة المؤمنين والمؤمنات، وتَشتَدُ على المنافقين والمنافقات الظلمات، فلا يستطيعون متابعة المؤمني الماذين أمنُوا، فيطلبونَ منهم الانتظار، عندلمَذ يوجّه لهم النّداء الرياني، عن طريق الملائكة أو عن طريق خلّق صوتٍ يسْمَعُونه:

﴿ أَرْجِعُواْ وَرَآةً كُمْ ﴾.

أَنْهِم يُجَازُونَ في موقف الحشر بعثل سا كان منهم في الحياة الدُّنيا، كانوا يُخادعون الله والذين آمنوا، فمن العدل أن يُعاملوا يوم النيامة بمثل عملهم في الحياة الدنيا. ولست أرى أنَّ عبارة ﴿وَزَائَكُمْ ﴾ تأكيدُ لعبارة ﴿(أرْجَعُوا﴾ على اعتبار أنَّ الرُجُوعِ يستلزم السَّيس إلى الوراء، بسل أرَّى أن عبارة ﴿وَزَائَكُمْ ﴾ هي على معنَى: إلَّــرَشُوا وَزَاءَكم، أي: فالجهةُ ألَّتي هي وَزَائَكم المساكسةُ لجهة الذين أشُوا هي الجهة التي ستتخذون خطوط مسيركم فيها مع الكافرين، إلى موقف حسابكم، فإلى جهتَم، أمّا جهة الذين أمَنُوا فهي إلى موقف حسابهم، فإلى الجنة، وإن استحقّ بعضهم مقداراً من التعذيب في النار.

> ويقال لهم أيضاً بعد أمرهم بالرّجوع، وأمرهم بأن يلْزَمُوا وَرَاءَهم: ﴿ فَالْتَيْسُوانُولَا ﴾.

أي: فاطلبوا نوراً بِجَهْدِكم من عملكم، إن كنتم قادرين على ذلك، والبَخُوا عن نورِ تستهدون به بانقسكم، فمايَّه لاَ يُسْمَعُ لكم اليوم أن تستفيدوا نوراً من غيركم كما كُشُمَّ في الذَنيا تُشَاركون الذين أمنوا في ثمرات أعمالهم، إذ كتم تزعمون أنكم منهم، وانتم كافبون، فاليوم لا كذب ولا مخادعة، إنّه يوم الدين يوم الحقّ والعدل بالنسبة إلى الكافرين، ويوم الفضل والإحسان بالنسبة إلى المؤمنين، ويوم العقل والإحسان بالنسبة إلى

وعقب هذا الفول الذي يُوجُّهُ للمنافقين والمنافقات يُقامُ سورُ حاجِزُ بين المؤمنين والمنافقين، لئلا يُتابع المنافقون السَّير خلف المؤمنين على سبيل المكابرة وتجاهل الإعلان، بقلٌ تقيل، وتَطَلَّمُن عليل، ويُهْمَلُ في وسط هذا السَّور باب، ولا بدُّ ان يكون على الباب حُرَّاس، ويظهرُ أنَّ الغرض من هـذا الباب فحص المتخلفين المقصرين في السَّير من عصلة المؤمنين، وضعفاء الإيسان الذين لم يَلِكُع ضعف إيمافهم إلى دركة الشرك أو الفاق، فمن كان له فَلَرَّ ما من نور الإيمان والعمل الصالح مهما قلَّ أَفِلاَ لَهُ باللَّخول، من هذا الباب إلى جهة المؤمنين، ويُمَثِّعُ المنافقون ويُردُون.

هذا السُّورُ لَهُ بَاطِنٌ يَقُعُ إلى جهة المؤمنين، وله ظاهر يقع إلى جهة المنافقين.

ونعلم من سُنَةِ الله في الْخَلْقِ أَنَّ الباطنُ يكون في العادة لينناً ناعمناً ضائماً لُمُنا يشتُوي علَيْه بِرفق وخفظ، بخلاف الظاهر فإنّه يكون عادة قاسياً خَشِناً، يجد من يقترب منه ما يَصلُه ويُرُدُّةُ ويؤذيه. ووفق هذه السنة يجمل الله هذا السّور ذا باطن لين مؤنس نــاهم حــُسنِ جميل، وذا ظاهر صَلَّدِ خَتِن يــاتّـي من جهته العــذاب، الذي ينزل بعن يقترب منه، ويُحاوِلُ تَــَّـُـوُّه، لينخرط في جماعة المؤمنين، وهو ليس منهم، فيطاقة الدخول من الباب لا يُدُّ أن تكون بطاقة من نور الإيمان والعمل الصالح في الحياة الدنيا.

فقال تعالى :

﴿فِيلَارْجِمُواْ وَلَا تُمَّمَّنَا أَنْسُواْفُقُ صَدْرِبَ بَيْتُهُ إِسُولِلَّهُ بَابْ بَالِمِنْمُ فِيهِ الرَّغَنَّةُ وَظَاهِمُوْمِن فِيَهِ الْمَنَابُ۞﴾ .

فلا يستطيع المنافقون والمنافقات الاقتراب من السور، ولا يُسْمَحُ لهم بـالذّخـول من الباب، نظراً إلى أنّهم لا يملكون نور إيمان وعمل صالح، ولو من أقلَ الدرجات.

عندائل لا يبقى أسام كلّ واحد منهم إلاّ أن ينادي مُمَارِقَه من المؤمنين أنم أكّنُ معكم؟! لعلّ بعضهم يرضى أن يشُهَدُ له بأنّه كان في الدنيا مع المؤمنين، فيشفع ذلك له عند ربّه، فيأذن لملائكته بأن يُلحقوه بهم.

لكنّ المؤمنين يكونون قد اكتشفوا حقيقة معارفهم من المشافقين، فيجيبونهم بعـا يقُلُّ على أنهم كانوا منافقين كاذبين، مع المؤمنين ظاهراً، وليسوا مع المؤمنين باطناً.

فقال تعالى :

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ مَكُنْ مَّعَكُمْ فَالْوَالِمَنَ فَلَكِنَّكُمْ فَلَنَعُمُّ أَنْفُسَكُمْ وَزَيْفَسَمُّ وَآرَيْفَسُمُ وَغَرَقَكُمُ الْأَمَانِ ۚ خَنَّىٰجَلَقَامُهُمُ الْفَوِيْفَرِكُمْ إِلَّهِ الْفَرُونُ ۞﴾ .

اسْتُعْمِلُ فَقُلُ ﴿يُسَادُونَهُم﴾ نظراً إلى حباجز السور البذي أقيم بين الفريقين، فمنعهما من التحادث والتخاطب بصوت منخفض.

﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ ؟ إ

يدعو المنافقون بهذا الاستفهام الـذين آمنوا بـأن يشهدوا لهم عند ربّهم بأنّهم كانوا في الدنيا مع المؤمنين.

فيقنول المؤمنون لهم: ﴿بَلَيْ﴾: أي: بلي لقند كنتم معننا في ظاهنر انتسابكم

﴿وَلَكِنَّكُمْ﴾ لم تكونوا معنــا في حقيقة إيصانكم وولائكم، بل كنتم على خــلاف ذلك ونقيضه في باطن أمركم.

واليوم نذكر لكم بالتفصيل حقيقة أمركم تجاه دين ربُّكُم وتجاه رسوله والمؤمنين.

أَوْلًا: ﴿ فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾:

أي: أضللتُمْ أنفسكم وعرضتموها لعذاب الحريق في نار جهنَّم، باختياركُمُ الحرُّ سُّبُلَ الضَّلال والغواية وإبطانِ الكُفْر، ورفض الحقُّ الذي جاء بــه رسولُ ربَّكم، وكيــدِ الإسلام والمسلمين، ومخادَعَةِ الله ورسوله والمؤمنين.

ثانياً: ﴿ وَتَرْبَقُتُمْ ﴾:

أي: وانتــظرَمُّم أنَّ تُدُور على الإســلام والمسلمين الـدوائــر، فتنقَفُّــوا على المسلمين الصَّادقين مع الكافرين الصرحاء قتلًا وسَلْبًا وتشريداً، وعندثٰلِ كُنُّتُم سَتُعَلِّنُـون كفركم وعداوتكم الصريحة، ولكنَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ نصْرَ المؤمنين وخذل الكـافرين، فـردَّ كيدكم عليكم، فكنتُم أنْتُمُ المكيدين.

ثَالِثاً: ﴿وَٱرْتَبْتُمْ ﴾:

أي: وشككُتُم بصدق رُسُول ربكم مع كلِّ ما شاهدتموه من دلائل نبوَّته ورسالته، وشَكَكَّتُمْ في صحَّة ما جاء به وبلُّف عن ربَّه، مع أنَّــه حقٌّ تشهد لـه براهين العقل، ويشهد له الواقع، وتشهد له التجارب.

رابعاً: ﴿ وَغَرَّتُكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ ﴾ :

أى: وأطْمَمُتْكُمُ الأَمَانِيُ الْتِي كُنْتُمْ تَنَمَّوْنَهَا بِالْبَاطِيلِ، وتُؤْجَلُونِها من حين إلى حين بعده، كلَّما توالب الآجالُ دون تحقيقها ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمُّرُ اللَّهِ ﴾ بإنْهَاءِ آجالكُم أنتم في الحيـاة الدنيـا، فحلَّت بكم منايـاكم، دون تحقيق أمانيكم، وأنتم مـا تزالـون على نفاقكم، كُفْراً في الباطن وإسلاماً في الظّاهر.

خامساً: ﴿ وَغَرَّكُم بِأَلْفَوَ ٱلْغَرُورُ ١

أي: وَخَدَعَكُمْ بِاللَّهِ رَبُّكُمُ الشيطانُ الْغَرُورُ، إذْ كَـانَ يَعِدُكُمْ وَيُمنَّيكُم ويـوسوس لكم ويسوَّل، فبزيَّن لكم أنـواع الشـرك، وصَّـور الكفـر، ويقـدَّم لكم زيـوف الأفكـار والضلالات بزخارف الأقوال، وما يصطنعه هو وجنوده من شياطين الإنس من فلسفات وسفسطات وأفكار باطلة، ويزيّن لكم النشبث بـالحياة الـدنيا وزيساتها، ويصــرف عن تصوّراتكم الآخرة وما أعدّ الله فيهـا من غذاب خــالد للكـافرين والمنافقين، ومن نعيم خالد للمؤمنين، بالتشكيك يأخبار الرسُّل عن الله ربّهم.

* * *

قول الله عز وجل:

﴿فَالَيْمَ لَانِوْخَذُ بِنَكُمْ فِذَيَةٌ وَلَا مِنَالَذِينَ كَفَرُواْ مَأُونَكُمُ الثَارِّعِينَ مُولَنكُمُّ وَبِشَن النَّمِسِيرُ ﴿۞﴾.

هذا بيان رَبَائيُ يُوجُّهُ لَهُمْ عَفِبَ الْجَوَارِ الَّذِي يكونُ بينهم وبين المؤمنين، على طريقة النداء، إذ يحجز بين الفريقين السُّور المضروب بينهما.

هذا البيان الرّبَاني بأتي إعلاناً عاشاً يسمعه المنافقون جميعاً، في موقفهم يدم القيامة، لتشمهم من النجاة، وقبطع أمالهم، حتى لا يُخاولوا أتّخاذ سببٍ مسا أو حياةٍ ما، طمعاً في الخلاص منّا هم فيه.

صـــوتُ مَلَكِ يَتُلُو عليهم هــذه الآبــة بحـــب لفــــانهم، أو إذاعــةُ تَبَتُّهـــا عليهم بخلق الله، أو شيءُ اخر يوصلها إلى أسماعهم وقلوبهم بخلق الله، الله أعلم.

هذا البيان يشتمل على أربع قضابا:

القضية الأولى:

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةً وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ .

اي: فـالنَّيرَمُ لاَ تُقْبِلُ مِنْكُمْ وَلاَ مِن الَّذِينَ كَفَرُوا كُفُراً صَـرِيحاً فِـلْـيَةً مـا لــوكُتُتُمْ تَمْلِكُونَ وَفَعَ فديةٍ تَدْرُون بها عذابَ اللَّهِ الخالدَ عَنْكُمْ .

وجاه التمبيرُ بغُني أُخبُرُ الفدية عن قبولها، لأنّ قبولها يستازم الخدها، على الهم لا يملكون بومَ الفيلة شيئاً يُقلّمونه، لا فِلْبَةً ولا تُونِها، إنّ ما يملكه المكلّفُ يوم الدين هر عمله الصالح الذي قلمه في الحياة الذياء والمنافضون والكافرون ليس لهم أعمال صالحة مقبولة عند لله حبرُ يُقلّمها منها فليةً ما.

القضية الثانية:

﴿مَأْوَنَكُمُ النَّارُّ ﴾:

أي: مكانَّكُم الَّذي تأوُّون إليه وتنزلون فيـه النَّارُ دارُ عـذاب الكافـرين والمنافقين والعصاة يوم الدين.

القضية الثالثة:

﴿مِيَ مُولَنكُمُ ۗ ﴾:

أي: النَّارُ دار العذاب يوم الدين هي الَّتِي تشولُّى شُؤُونكم، ومَنْ كانت النـار هي مولاه كانت ولايَّمُها عليه ولاية تعذيب وتتكيل.

وقد نُرُلَتِ السَّارِ مُتَوَلَّهُ في حياة وإرافة يُعُوفَى شؤون من يَقَعُ تَحَتَ مينطرته على سبيل المجاز في التعبير، بتنزيل غير في الحياة منزلة في العياة، أو على سبيل ملاحظة خونة النار من الملائكة الفلاظ الشداد الذين يتولُون تعذيبٌ أهلها، على سبيل المجاز العرسل، من إطلاق المحلّ وإرادة الفاتم على شؤونه.

القضية الرابعة:

﴿ وَبِثْسَ ٱلْمَصِيدُ ﴾:

أي: وهــذه النار هي مصيــركم الأخير الـذي ستصيرون إليــه، فــلا خــلاص لكم منها، لانكم فيها خالدون، وبِنْسَ الْمَصِيرُ الذي ستصيرون إليه هي .

وينتهى النصّ بهذا الختام أغاذنا الله من الكفر والنفاق.

...

النص العشرون

وهو من سورة (محمد/ ٤٧ مصحف/ ٩٥ نزول) تساسع سورة مدنية الأيسات مسن (١٦ – ٣٧) حول عدم تفهم المنافقين لما يسممون وهلمهم لدى ساعهم آيات الدعوة إلى الفتال

قال اللُّهُ عزَّ وجلَّ :

﴿ وَمَهُمْ مَن اَسْتَعَمُمُ اللّهُ مَنْ الْمَدْوَا لَمِنْ الْمَوْلُ فَالْوَا الْمَدِنُ الْمُوْلَا الْمِدْمُ الْمَالُّةُ الْمُولِدُونَ الْمَدْوَا وَادْمُو مُدَى وَالْمَالُونُ الْمُدَوَّا وَادْمُو مُدَى وَالْمَالُونُ الْمُدَوَّا وَادْمُو مُدَى وَالْمَالُونُ الْمُدَوَّا وَادْمُو مُدَى وَالْمَالُونُ الْمُدَوْلُ وَالْمَالُونُ الْمُدَوْلُ وَالْمَالُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

سنطيبه كنه و بقين الأشر والله يستار المرارة في فكيف إذا وَفَيْهُمُ الدَاتِكُمُ السَّكِمُ الدَّاتِكُمُ المَّدِي يَضَرِيُونَ وَمُوْهُمُهُ وَ وَابَدَرُهُمُ فَي ذَلِكَ إِلَّهُمُ الشَّعُوا مَا اَسْتَطَالَقَ وَكِيمُ إِلَّهُ رِضَوْمَهُ وَالْحَدَّالَةُ لَمُسَلَّهُمُ فَيْ أَمْ حَبِّ الْذِينِ فِي فَلْوَيْهِمُ مَرَضُّ أَن لَيْجُمِ اللَّهُ المُسْتَنَامُ فَي وَلَوَنَذَا لَا تُوْرَفَكُمُ مَنْفَقَهُمُ بِسِيسَتُهُ وَلَقَوْهُمُ لِي لَمِي القرل والله اللَّيْنَ كَذُوا وَمُنْدُولُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنَاقُولُ الرَّمُولِ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ وَمُنَاقًا النَّ مَنْهُ وَاسْتُومُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمُنَاقًا الرَّمُولَ مِنْ إِنَّهُ مَا لَمُنْكُونَ لَي مُعْتَمُولاً اللهُ وَمُناقًا الرَّمُولَ مِنْ إِنِهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا مُنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ وَلَا لَا لَهُ وَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ وَلَالِلْلَهُ وَلَا لَا لَا لَا مُنْ اللَّهُ وَلَا لَا لَا لِلْمُؤْلِقَالِمُ اللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لِللْلَّهُ وَلَا لَاللَّهُ وَلَالِهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّةُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا لَمُؤْلِقًا لِمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَالْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَاللَّهُ وَلَالِهُ اللَّهُ وَلَالِهُ وَلَالِمُلِلَّةُ لِلْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْعُلِيْلِيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُهُ اللَّهُ اللَّهُ لِلْمُنْ اللَّهُ اللَّلِيْل

(1)

القراءات المتواترات في هذا النصّ (من الفرش)

* في الآية (١٦):

(١) قرأ جمهور الْقُرَّاءِ [آيْفاً] بمدَّ الهمزة.

وللبزِّي روايةً عن ابن كثير [أبغاً] بالقصر، والأخرى كقراءة الجمهور.

آنفاً: بالمدّ هي بمعنى الزمن المماضي القريب من زمن التكلّم، أي: مماذا قال منذ قريب إذْ كان يتكلّم.

أَنْفَأَ: بالفصر هي بمعنى المترّم المتشكّي الذي يظهر انزعاجه، كالبعير الذي يُسَاقُ بالخطام من أَنْفِه، فهو ينقاد كارها مُشكّياً، يقال: بعيرٌ مأنوك، اي: يُساقُ باأَنْفِه فَهُو أَبْكَ، ويُقالُ: أَيْفَ البعيرُ إِذَا شكا أَنْفَهُ من الخطام الذي فيه ويُسَاقُ منه.

ويقال أيضاً: بعيرٌ آبْفٌ بالمدّ إذا كان دائم المتشكّي مثل: أَنِفَ، بالقصر.

ففي الفراءتين تكاسلُ في اداء المعنى المراد، أي: ماذا قال محمَّد في خطيته أو حديثه الذي قاله من قريب حالة كونه متشكِّلُ متيرًماً من أحوال بعض النامن، أي: ماذا يقصد من تُشكِّي، ومنَّ هُمُّ الاشخاص الذين يتحدَّث عنهم متيرًماً من أحوالهم؟

في الآية (٢٢):

(١) قرأ جمهور القراء العشرة [عَسْيَتُمْ] بفتح السين.

وفرأ نافع فقط [غَسِيُّتُمْ] بكسر السين.

وهما وجهان عربيان في هذه الكلمة.

(٢) قرأ جمهور القرّاء العشرة [تَوَلَّيْتُم] على البناء للفاعل.

وقـراً رُويْسُ فقط عن يعقوب [تُـولُّيتُم] بضمَّ الناء والـواو وكُسْرِ الـلَّام على البنـاء للمفعول.

وبين القراءنين تكامل في أداء المعنى المراد.

تُولِّيُتُم: تأتي بمعنى تسلَّمتُمْ ولاية امور الناس، وتأتي بمعنى أديـرتم عن الحقّ وانصرفتم عن طريقه.

تُؤلِّينُهُ: هي بمُعْنَى أُسْنِدَتْ إليكُمْ ولاية أمور الناس.

 (٣) قـراً جمهور القـراء العشرة (وَتَقطَّمُوا] بتشـديد الفعـل من وفَـطَّعـه المشـدّد لطاء.

وقرأ يعقوب فقط [رَتَقْطَعُوا] بالتخفيف.

وفي القراءتين تكامل في أداء المعنى العراد، إذ من الناس العرادين من بيالغ في تقطيع أرحامه، ومنهم من يقطع رحمه دون إسراف.

* في الآية (٢٥):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة [وَأَمْلَىٰ لَهُمْ] أي: أَمْلَى الشيطان لهم.

وقرأ أبو عُشْرو: [وَأَمْلِيَ لهم] بالبناء للمفعول وفتح الياء، أي: وأَمْلِيَ لهم من قِبَلِ من يؤمَّر عليهم.

وقرأ يعقوب [وَأَمْلِي لهم] بالبناء للفاعل على أن الفـاعل ضميسر المتكلّم وهو الله عزّ وجلّ . وفي همذه القراءات تكامل في الأداء البياني وتكامل في أداء المعنى الصراد. يقال: أمَّلَيْ له: إذا أطال له وأمَّهُمُّ.

- * في الآية (٢٦):
- (١) قرأ جمهور الفراء العشرة [أَسْرَارَهم] جمع وسِرُّه.

وقـرأ حفص عن عاصم، وحمـرة والكسـائي وخلف العـاشــر [إسْـرَارَهُمْ] بِكُسْـرِ الهمرة، مصدر اسرّ إشـراراً.

وفي القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، فالله يعلم أسرارهم التي يخفونها، ويعلم عملهم إذ يُسِرّون».

- * في الآية (٢٨):
- (١) قرأ جمهور الفراء العشرة [رِضُوَانَهُ] بكسر الراء.
 - وقرأ شعبة فقط [رُضوانه] بضمَّ الراء.
 - وهما وجهان عربيًان لكلمة رضوان.
 - ☀ في الآية (٣١):
- (١) قسراً جُمْهُـورِ القسراء العشـرة: [وَلَنَّلُونَكُمْ حَنَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَـاهِـدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَلُولُ أَخْبَارَكُمْ] بنون العظمة في الأقعال.

وقىرا شعبةً فقط: [وَلَيْنَلُونُكُمْ حَتَىٰ يَمْلَمَ المجـاهِـدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّــابِـرِينَ وَيَبْلُوَ أُخْبَازُكُمْ] بياء الغائب.

وفي القراءتين تكامل في الأداء البياني.

وقرأ رُويس عن يعقوب: [وَنَبُلُمَ بِإِسَكَانِ اللواو على استثناف الجملة دون عبطف فعمل [نَبُلُوع على فعل [نَعَلَمُ] فبكـون فعل [نَبُلُوع مـوفوعـاً، أي: ونبحن نبلو أخباركم. وهو وجه من الأداء البياني فو دلالة خاصة مضافة.

. . .

۲)

موضوع النص بوجه عاتم

يكشف همذا النصر حالة المنافقين وهم في مجالس العلم الديني، وييس ألهم يتضنّعون النظاهر بأنهم يستمعون الأقوال ويصغون إليها، لكنهم في الحقيقة متصرفون عنها في نفوسهم، فلا يصل إلى أدهنتهم وقلوبهم منها شيء، إذّ قلوبهم مطبوعٌ عليها بسبب انصرافهم عنها، وعدم إيمانهم بها أصلًا.

ويكشف أيضاً حالة السنافقين حين كانوا يستمعون الأيات المستولات المتضمئات المعوة إلى الجهاد في سبيل الله بالأموال إعداداً لفتال الكافرين، وبالأنفس في الخروج لمفائلتهم، وهي الأيات التي كمان رسول الله ﷺ يتلوهما على المسلمين في المجامع العاقمة التي كان يشهدها المسلمون، المؤمنون منهم والمنافقون.

فقد كان المنافقون إذا أنزلت سورة معكمة وذُكر فيها الدعوة إلى قتال الكافرين أصابهم الهلع والجزع، فجعلوا ينظرون إلى الرسسول 義 نظر المغشيّ عليـــ من الموت.

وبعد كشف هاتين المظاهرين من أحوال المنافقين يشابع النص معــالجتهم بالإفتاع، والموعظة، والدعوة إلى تدبّر أيات القرآن، والوعيد بالعاقبة الوخيمة والعداب الأليم، والإنذار بفضحهم أمام سائر المسلمين، بإخراج ما في سرائرهم رضمائرهم من أضغان.

وضمن ذلك يسِّ الله عزّ رجلٌ حكمته في الابتلاء الذي يكشف به المؤمنين والكافرين، والمطيمين والماصين، والمجاهدين والقناعدين المتخاذلين، والصابرين والجزعين، إلى غير ذلك من تصرّفات الناس الإرادية التي تصير بعد الوقوع أخباراً.

(٣) المفردات اللّغوية في النّص

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْنَعِعُ إِلَيْكَ ﴾:

أي: ومن الـذين كضروا منافقون ضمن جمــاعــة المسلمين يستمعــون إليـك يـا محـّـد، بمعنى يصخّـون سمعهم إليـك، فيُميلون آذانهم ورؤوسهم تـظاهـراً بـأقهم مُهّتَّهُون بما تقول، سُرَّراً لَنَاقهم.

يقال لغة: استَمَع له واستَمَع إليه، وكذلك تُسمَّع إليه، بمعنى أصغى إليه، أي: أمال رأسه وأذنه إليه ليتسمَّع منه ما يقول.

﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾:

أي: صادًا قال محمّد في الزمن المناضي الفريب إذّ كُثّنا في مجلسه. وأحياناً يقولون هذا القول على معنى: صادًا قال محمّد وماذا يُقْصِيدُ ومَنْ يَشْنِي بقولـه السَّذي يَشْكَىٰ به، وذلك حين يُدَرِّض بالمنافقين وأعمالهم غير السَّارة، وعلى هذا المعنى تُشمّل قراءً وأيْفاًه أي: ماذا قال حالة كونه متشكّياً مَثيرًاً. فكلمتا والأَيْف، و والأَيْف، تأتيان في اللغة بمعنى المنشكي، كما سبق في اليان لدى توجيه القراءات.

﴿ طَبِّعَ أَلَّهُ عَلَى أَلُوبِهِمْ ﴾ :

وعلى سبيل التوسّم في التعبير بنشل ما هو للمادّيات إلى المعنوبات، جاء في الشرآن التعبير بالطبع والخم على القلوب، للدلالة على أنّها صارت محجوبة عن إدراك أيّ شيء يتملّن بما هي محجوبة عنه ً

﴿ فَهَلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْنِيَهُم بَشَنَّةً ﴾ :

تُطْلَق الساعَةُ في القرآن على الزمن الذي يكون عنده إنهاء نظام الحياة الدنيا

حول عدم تقهُّم المنافقين لما يسمعون وهلمهم لدى سماع آيات الدعوة إلى القتال

لجميع الخلاق، وتُطلّق إيضاً ويُرادُ ساعـةُ البث إلى العياة الاخرى، حياة الحساب والجزاء، ويُذَنخ المرادانِ في تعبير واحد لأنّ ساعة الإنهاء مقدّمة لساعـة ابتداء الحيـاة الاخرى.

وساعةً كلّ حيٍّ في الحياة الدنيا هي ساعةً موته، ومند بعث إلى الحياة الأخرى لا يشعرُ بالنسبة إلى الزمن إلاّ كما يشعر الشائم إذا صحا من نمومه، كمانّه لم يأبّت بين المعرت والبعث إلاّ ساعةً من نهار.

﴿ بَشْنَةً ﴾ :

أي: فجَّأَةً. يُقال لَغَةُ: بَغَنَهُ يُغَنَّهُ بَغْناً ويَغْنَةً، بِمعنَىٰ فَجَأَهُ بِفُجَوُّهُ فَجْنا وَفَجَّاةً.

فالساعة الأولى والساعة الأخرى لا تأثيان بقضاء الله وقدره على جميع الأحياء إلاّ فجأةً.

﴿ فَفَدْ جَالَةَ أَشْرَاطُهَا ﴾:

أشراط الساعة علاماتُ قربها، وأماراتها، أَشْرَاط: جَمْعُ شَرَط، بفتح الراء، وهو الْعَلَامة، ويقال: أَشْرِطُ الشيْءُ إذا جعل له علامة.

﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَأَةً تُهُمْ ذِكْرَيْهُمْ ﴾:

﴿ اللَّهِ مَا بِمعَنَى دَكِفَ. ﴿ وَلِكُواهِ إِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ الأن الساعة منى جسامت لم يضع التذكّرُ صباحِبُهُ، لقد مضى زمن الابتلاء، وأقبل يوم العبزاء.

﴿ وَاللَّهُ يُعَلَّمُ مُنْقَلِّكُمْ وَمَثُونَكُو ﴾:

التَقْلُبُ: التَقُلُّ، والتَصُّرُف في الأعمال، يقال لفة: تقلَّب في الأمور إذا تصرّف فيها كف بشاء. ويضال: تقلَب في البلاد إذا تنقَل فيها، فلفظُ ومُقَلَّبُ، اسم مفصول بعض الكسب الذي حصل نتيجة تقلَب كاسبٍه وتصرُّف. أو مصدر ميمي، بعضى التقلّب.

فالمعنى: والله يعلُّمُ ما تعملون في تصرُّفاتكم، ويعلُّمُ حركتكم في تقلُّبكم.

﴿وَمُثُونَكُونَ ﴾:

أي: وسكونكم واستقراركم ومكان إقامتكم وزمانه. يقال لغة: ثوى بالمكان وفي المكان يُثوي تُواءً وُثُويًّا، إذًا أقام فيه واستقر.

فلفظ وتتُوىء اسم مكان من تُوَى ، واسمُ زمان، ومصدرٌ مبمي. فالمعنى: والله يعلّمُ شواءكم، أي: استقراركم وسكونكم، ويعلم المكان اللّـني تُشُوُون فيه، ويعلّمُ الزمان الذي تثوون فيه، لا يخفى عليه سبحانه من ذلك شيء.

﴿ لَوْلَا نُزِلَتَ سُورَةً ﴾:

أي: هلَّا نُزَّلتُ سورةً تأمر بالقتال، فلفظ وَلُولًا، هنا للتحضيض بمعنى وهلُّه.

﴿ نُعَكَّمَةً ﴾:

أي: واضحة الدلالة، لا غموض فيها ولا شبهة ولا تحتاج إلى تأويل. ولا يُردُ هنا أنّها غير منسوخة، لأنّ السورة حين إنزالها لا ننزل منسوخة، بل قند تكون نباسخة لما نزل قبلها، فتفسير بعض أهل التأويل كلمة ومحكمة، هنا بمعنى غير منسوخة، من النّسرع.

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّسَرَضٌ ﴾:

هو مرضٌ أَشَدُّهُ النفاق، وقد يُجفُّ إلى ما هو قريبٌ من النفاق، كضعف الإيمان لشديد.

﴿ نَظَ رَأَلْمَغْشِيَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾:

أي: مثل نظر الذي التابت إغماءةً مضلمات المدوت، فجلّلت بصره، فصدات عيناه تدوران على غير هُدى، أو جَمَلَتْ عيناه عن الحركة كما ينظر الشاخص بيُصُوه عند الموت، وهذا يكون من شدّة جزعهم وانزعاجهم.

﴿ فَأُوْلَىٰ لَهُمْ ﴾:

هذه عبارة تهديدٍ ووعيد، قال الأصمعي: معنى قبولهم في التهديد: أولى لك، وَلِيكَ وَقَارِبُكَ مَا تَكُوه. قال تعلب: لَمْ يُقُلُّ فِي وَأَوْلَىٰهُ أَخْسُنُ مَمَّا قَالُهُ الاصمعي.

﴿ أَفَلَا يَنَدُبُّرُونَ ٱلْقُرْءَاتَ ﴾:

حضٌّ عَلَىٰ نَفَهُمِ وَلَالَاتِ آيات القرآن فهما يُشابع سلسلة لوازم معاليها حتى إخبرها . فَصَلْهِير الأسر وتذيُّرهُ إِنَّما يكُون بالنظر في عواقبه ، إذْ فَبُرُكُلُّ شيءٍ عَقِبُهُ ومُؤخِّرُهُ.

﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾:

أي: وبلُ ا أعلى قلوبِ أفغالها وأمْ ه هنا هي التي نسمًّى المنقطعة، وهي بمعنى وبل، مع الاستفهام، فهي استفهام مستأنفُ بعد كلام يتقلَّمُها بإضرابِ عنه.

﴿إِنَّا لَّذِينَ الْمَدُّوا عَلَىٰ أَذْبَرِهِ مِنْ بَعْدِمَا لَبُنَّا لَهُوُّ الْهُدَعَ ﴾:

أي: رجَمُوا إلى الكفر الذي كانـوا فيه بعد أن تبنّ لهم هدى الإسـلام الـذي دخلوا فيه، والمراد أنهم رجعوا إلى الكفر باطناً، دون أن يعلنوا ردّتهم، فهم من الذين طراً عليهم النفاق.

﴿ ٱلشَّيْطَانُ ﴾:

كملٍ متمرَّد مفسد من الإنس والجن، وإمامُ الشياطين إبليس، وجنودُه فريَسه، ومعهم كلُّ متمرَّد على ربَّه من الجنّ والإنس.

﴿ ٱلشَّيْطُانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾:

أي: زُيِّنَ لهم الباطل والضلال والشرّ، وحبّب ذلك إليهم، وأغراهم بـه، وسَهَّلُهُ م.

﴿وَأَمَّكَ لَهُدٌ ﴾:

أي: طوّل لَهُمْ والنّهَائِهُم، والسراد أنّه صبر طويلًا في التسمويل لهم، حتى تمكّن من إغرائهم وإغوائهم، إذّ لم ينمّ له الأمر إلاّ بعد جَهْدِ جَهِيد، وصبّرٍ مديدٍ، ومتابعة في خطوات متدرجة عديدة.

﴿ فَأَحْبُطُ أَعْمَالُهُمْ ﴾:

أي: أيطُلُها.

﴿ أَضْفَانَهُمْ ﴾:

أي: الْحَفادهم وما يُشْمِرُونَ في صدورهم من عَدَاوَةٍ وغَيْظٍ وإرادةٍ كَيْدٍ لـلإسْلَام والمسلمين.

أضفان: جمع دَضِفْن، وهو الحقد الشديد. والحقَّدُ: هو إضمـارُ العداوة، مـع إرادة الكيد، وتربّص الفرصة للإيقاع بالمحقود عليه.

﴿ فَلْعَرَفْلُهُ مِ إِسِيمَنْهُ مْ ﴾:

السّيما العلامة، والمعنى أنَّ العنافقين لهم عـلاماتٌ خـاصة في ظـواهـوهم تــدلُّ على نفاقهم، فمن عرفها عرفهم بأشخاصهم.

﴿ وَلَتَمْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾:

لَحَنُّ القول هو القول الذي يُبرادُ منه غير ظاهـره، ويفهمه الفَيظِن من وراه لفظه بالفطنة والتأسل، وأصل اللَّحن إسالة الكمالام إلى نَحْرٍ من الأنحـاء لغـرض النمعيـة والإخفاء عمّن لا يُراد إعلامه بالمقصود منه.

حكى ابن كثير عن عثمان بن عفان أنه قـال: ما أسـرّ أحدٌ سـريرة إلاّ أبـداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

قال: وفي الحديث: وما أُسرَّ أحدُّ سريـرة إلَّا كساه الله تمـالى جلبابهما إنْ خيراً فخير أَوْ شَرَّا فشرَّه.

﴿ وَلَنَبَلُونَكُمْ ﴾:

الابتلاء الامتحان والاختبار وكشف ما في السرائر.

﴿ وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱلَّهِ ﴾:

الصدّ الإعراض عن الشيء والانصراف عنه، وفعل وصُدَّه يستعمل لازماً ومتعدّيًا، يقال صدّ عن السبيل إذا أعرض، ويقال صدّ غيره عن السبيل إذا متعه وصرف.

﴿ وَشَآفُوا الرَّسُولَ ﴾:

حول عدم تفهّم المنافقين لما يسمعون وهلمهم لدى سماع أبات الدهوة إلى القتال

أي: وعلاوًا الرسول وخالفوه، يقال لغة: شاقَّه مُشَائَةً وشِفَاتًا، إذا خالفه وعلداه، قال الزجاج: الشقاق العداوة بين فريقين، والخلاف بين النين، سُمَّي ذَلك شقاقاً، لأنَّ كل فريق من فرقتي العداوة قضدُ شِفَاً، أي: ناحية، غير شِنَّ صاحبه.

(1)

مع النَّصِّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَيْمُ إِلَيْكَ حَقْحَ إِنَّا خَرَجُولِينْ عِندِكَ قَالُولِلَّذِينَ ٱوْيُوْاٱلْمِهُمَاذَاقَالَ مَايِثاً أُولَئِكَ الَّذِينَ مَنَهَاتُهُ عَلَى تُقُومِهِمْ وَاَنْتِكُوالْ اَهْزَاءُ مُنْ ۞﴾.

في مُعْرِض الحديث عن الذين كفروا ابتداءً من أوّل السورة، تحدُّث هذا النصّ عن المنافقين، باعتبارهم يدخلون في عموم الكافرين، لأنّهم كافرون باطناً، وإن كانسوا منتسبين إلى الإسلام بحسب الظاهر، وتعرّض أيضاً لضعفاء الإيمان الذين قد يشاركون العنافقين في طائفة من النظواهـر السلوكية، لتحذيرهم من أن تجسرُهم أعمالهم للانفماس في حَمَّاةِ النفاق.

﴿ وَمِنْهُم مِّن يَسْنَعِعُ إِلَيْكَ ﴾ :

أي: ومن الكافرين مُنافقون يُشتَعِمُون الِيكَ يـا محمد مُظْهِرين إصفاءهم إليك بإمالة رؤوسهم وتوجه أذانهم مخادعين بأنهم مسلمون.

﴿حَقَّتِهِ ذَاخَرَ مُوامِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوثُوا ٱلْمِلْرَمَاذَا قَالَ الِنَا ﴾:

أي: ويستمرّون مظهرين إقبالهم على تلقي العلم حتّى إذا خرجوا منّ عندكُ وفَارقوا مجلسكُ الـذي كنت تحدّث فيه وتتلو آيهات الله، توجّهُوا لاولي العلم من المؤمنين الذين كانوا معهم في المجلس فقالوا لهم: ماذا قال محمّد حين كنّا عند في الزمن القريب؟ فيكشفون بسؤالهم هذا أنّ ما كانوا يظهرونه من إصغاء لاستماع أقواله لم يقترن به توجَّة فكريٌّ مطلقاً، بل كانت أفكارهم وقلويهم منصرة عنه انصرافاً كليًّا.

وأحياناً يقولون كما دلَّت القراءة الأخرى: ماذا قـال حالـة كونـه متشكَّياً متـذمّراً.

وماذا يعني من قوله، ويظهر أن هذا القول كانوا يقولونه حينما كان يتحـدَّث عن صفات المنافقين، ويكشفُ سرائرهم، ويتذمّر من أعمالهم غير السارَّة.

وقد استفدنا الممُنيَّنِ من قراءتي: [آيفاً] و[أيفاً] كما سبق بيانـه، وهذه الـظاهرة من منافقي عصر النبوّة، ظاهرة تتكرُّرُ من منافقي كلّ عصر وكلّ أمّة.

﴿ أُولَيْهِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى مُّلُومِهِمْ ﴾:

أي: أُولِيَك البعداءُ عن رحمة الله، والبعداءُ عن نَفَهُم. العلم النافع ليدوم الدين، والسنافع لحياة دنيويّة رضيّة رضيّة من يسدده، اللّذين أتَخَدُّوا من الأسباب الصداوفة عن الحق والهداية إلى الصحراط المستقيم، ما كمان من نتيجته ضمن سنن الله السببيّة أَنْ تُفَقَل قلوبُهم فلا نصلٌ إليها دلالاتُ اقوال الحقّ والهداية إلى الصحراط المستقيم، بل يُسطنيّم على اقفالها إيذاناً بأنّها صارت غير مستعدّة لتقبل الحقّ والهداية مطلقاً، أي: صارت على بعنابة حُجُراتٍ صمّاه، لها أبواب، وهذه الإبوابُ سكّرَتُ وأَفْقلتُ وضُرِبَ الختمُ على هذه الإنوان.

فليس الطبعُ على قلوبهم أمْراً جُبْريّاً، بل هو نتيجة ما يفعلون من أسباب.

ونتيجةً لإتفال. قلوبهم والطبّع عليها بالنّسة إلى الحقّ والهدئ إلى صراط الله. فلا بدّ أن تكون أهواؤهم هي التي تــوجّه إراداتهم وتُحرُّك سلوكهم في الحياة، فقــال تعالى:

﴿وَالَّبُعُوا أَهُوا أَهُوا أَهُوا أَهُمْ ﴾:

الأهواءُ: رَغَباتُ الأنْفُسِ من زينة الحياة الدنيا، ومشاجهًا، وشهواتها، وهـذه الأهواء إذا لم تكن موجّهةً ومنضيلةً بشريعة الله لعباده، انطلقتُ في المعاصي والفساد والإفساد في الأرض، وقاذتُها الشياطين إلى الشرور والمهالـك، ومسّالِكِ الفسلال والبغي والظلم والعدوان.

وسُمَيْتُ الْهُوَاءُ، لأنَّ النفوس تنجَدِبُ إلَيْها انجـذابَ مَنْ يَهْوِي مِنْ مكـانِ مرتفــع. آمِنِ إلى مُهُواةٍ مُهْلكةٍ، تَسْتَقْبِلُ الهاوي إليها بالعذاب الأليم، والشقاء الدائم.

قولُ الله عزَّ وجلٌ :

﴿ وَالَّذِينَ آهْنَدُوْ أَزَادَهُمْ هُدًى وَءَانَنَهُمْ تَقُونَهُمْ ﴿ ﴾.

أي: وفي مقابل أولك المنافقين المندسين ضمن جماعة المسلمين، يظهر في الصورة المؤمّرة المسلمين، يظهر في الصورة المؤمّرة المسلكوا الصورة المؤمّرة المسلكوا النفاق، ضافّندُوا بهذا الاختيار الحكيم إلى المنق وصوراط الله المستقيم، في الحياة منّجهين ضمن حدود هذا الصراط، ابتداءً من أوّله، إيمانًا وعملاً صالحاً.

لكنّ السائل في طريق المحقّ والهدى بطّلُّ عُرضةً في رحلته في الحياة الدنيا للخروج عنه من ذات اليمين أو ذات الشمال، فهو بحاجة إلى مزيد من المهداية بالتوفيق والمعونة من الله، إدا استمان بالله وسأله التوفيق والسداد والرشاد، وصدفّى في الطلب، فيزيده الله مُذَى، حتى يُكُمِلً مسيرته في الحياة مُعاناً موفقاً على مقدار صحة إرادته، وصدقه في الطلب والاستمانة بالله وحسن الترجّه في ابتغاء مراضي الله.

والهدى الذي يزيده الله عزّ وجل منه، يكون بفتح أبواب المعرفة له، فيزدادُ علماً بالله، ويزداد معا يُسْجِلُه في آخرت فهماً ويصيرة مشسرقة، ويكون بإصابة الله لـه، على ذكره وشكره وحسن عبادته، والعمل بمعراضيه، واجتنابٍ ما يُسْجِمُله في حركته وسكونه.

دلُّ على هذا كلُّه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَذَوًّا زَادَهُم هُدى﴾.

وبعد تقلِّبِهِ في مختلف أعماله وتصرُّفاته في الحياة مَهْدِيًّا، بعاملين:

فالأول منهما: إيمانُه وصدقُه ورغبته في الاستفاصة على صراط الله، والتجاؤه إلى الله في أن يُمِنَّه بالعون والتوفيق والسداد.

والآخر منهما: تـوفيق الله وممونته له، وشــرحُ صَدْرِه للعمــل الصالــح، وتنويـرُ بصيرته لإدراك المعارف الرّبانية.

بعد ذلك يُورِّيه الله عزَّ وجلَّ تَقْرَأهُ، وإيساءُ هـذه التقوىٰ يكـونُّ بمنحـه مَلَكُخَّ الاستفامة على ما يقيه من المعناصي والأنام، وذلك لأنَّ الممارسـة الطويلة على أي عصل من الأعمال، وآية مهارة من المهارات الجسدية أو النفسية أو الفكريّة يُكْبِبُ العادة، أنّي تكونُ مَلَكَةُ تَشَكَّرُ عنها ظواهرها السلوكيّة بالتُلقائيّة، دون تكلُّف زائد ومعاناة، وهذا مُشَاهَدُ لدى كلُّ أصحاب المهارات، حتى المهارات الفكرية والنفسية. والتقوى في السلوك الباطن والظاهر تنطيق عليها هذه السَّة من سُنَّن الله في الأحياه، وسُنَّن الله تَمُّ بخلقه في الأشياء وفي الأحياء.

وإيشاءُ هَلِهِ التفوى يكون أيضاً بأن يُكُتُبُه الله عنده من المتَقِين، فَيُصَرَفُ للغَى الملائكة بهمله الصفة، ويُلقِي الله في قُلُوبِ الناس ما يُشْبَرُهُمْ بِالَّه مِن المتقين، كما جماء في العديث الصحيح: ووما يَزَالُ الرُّجُـلُ يُصُدُّقُ وَيَنْحَرُّى الصَّلْقُ حَتَّى يُكُتَبَ عند اللَّهِ صِدْيقاً.

وما يكتبه الله عنده يقذفه في قلوب عباده .

دلتا على هذه المعاني قوله تعالى:

﴿ وَوَالنَّهُمْ تَغُونَهُمْ ١

قولُ الله عزّ وجلّ:

﴿ فَهَلَ بِنُطُونِهَا لِا السَّاعَةَ أَن قَالِيمٌ بَعْنَةً فَقَدْ حَةَ أَشْرَاهُما ۚ فَأَنَّ لَمُهْإِفَاحَة مُم وَكُرَهُمْ ۞ ﴾

﴿فهل ينظرون؟﴾:

أي: فهل ينتظرون؟

طرح هذا السؤال يدلُّ على أن المنافقين يتظرون ثبيتًا، وأنَّ الله عمرَّ وجلُّ يَفْطُخُ آمالهم ويَيْشُهُمُّمُ من تحقيق ما يتنظرونه حَى قيام، الساعة، التي ستأيي النساسُ وسَائسُ الخلائق بغنَّه، أي: مضاجأة، فقد أخفى الله عزَّ وجلُّ العلَّمُ بوفتها عن كلُّ عباه في الأرض والسَّماء،

فما هو الشيء الذي ينتظرونه؟

دنَّ النصُّ المسابق من سبورة (الحسيد، ٥٧ مصحف/ ٩٤ سنود) على أنَّ السنافقين كانوا يَتْرَنَّصُون، أي: ينظرون أن تبدر الدائرة على الرسبول والذين أنشُوا معه، حتى يُخْتِفُوا حقيقتهم، ويَنْقَلِبُوا صَراحةُ صَدَّ أَنَّةِ الإيمان، مُنَاصِرين وسُوالِينَ آمَةً الكفر الصريح.

فابان الله عزّ وبيل لهم وللمؤمنين النّهم إذا كانوا ينتظرون شيئاً سيتحقّقُ بلا ويب، قَـالُّ ذلك الشيء يُنحَسِرُ فِي الساعة التي يكون بعد تيامها حسابُهم وقَصْـلُ الفضـاءِ بشانهم، ثم عَذَائِهُمْ فِي نار جهتَم.

إنهم يُنكِرُون الساعة ويوم الفيامة وما فيه من حساب وجزاء، فهم لا يتنظوون ذلك بتصوّرهم وإراداتهم، لكنَّ وإقع انشظارهم لن يكون بعده إلاَّ ما سيكرهـون، إنهم يتنظرون شيئاً لا يتحقّل، ولكن الـذي سينحق بعد انشظارهم همو الأسر الـذي لم يكونوا يُشَطِّرُونه ولا يُتَوَقِّعُونه.

فالبيانُ تحدَّثُ عن واقع انتظارهم، وجاه لمسرادهم منه فـأيأسَهُمْ من وقــوعــه، بأسـلوب حصر واقع انتظارهم في أمرِ حَنْمِيَّ الوقوع، وهي الساعة.

> وهذا من بديع دمُج عِمَّة بيانات في جملة استفهاميَّة قَصِيرة: ﴿ تَهَلَيْنَظُرُونَكِإِلَّا ٱلسَّاعَةُ ؟﴾.

نظير ما لو طمع جماعة من النّاس بمقدم قاصح جبّار مشل دهولاكوء لينقذهم من خصومهم السّياسيّين في بلدهم الذين يّنافِسُونِهم في المصالح، بأَشُوقُ ورَحْمَةِ، فخرجوا لاستقبال هذا الفاتح الجبّار وجبشه، وقياموا يستظرون، فيجاهم خبيسٌ فقال لهم: هل تتنظرون إلاّ قطغ رؤومكم ونثر أشلاء أجسادكم السباع؟ أي: إنّ ما تنتظرونه لن يتحقق لكم، ولكنَّ الذي سيتحقّق هو أن الجبار وجبثه سوف يّبدُؤون بقتلكم وإبادتكم قَبْلُ أن يدخل بلادكم وإبادتكم قَبْلُ أن يدخل بلادكم وإبادتكم قَبْلُ

فدل طرح هذا الاستفهام على نفي حصول ما يتنظرون بتصوّرهما العمريض، وإثبات حصول شيء سيتحقق بعد واقع انتظارهم، وحُصّر واقع حال انتظارهم في حصول هذا الشيء.

وقد دلُّ على الحصر النفيُّ المستفاد من الاستفهام مع أداة الاستثناء وإلَّاه.

وإذْ قد ورد ذكر الساعة فإنّ من الحكمة الرّفيمة في البيان الديني أنْ يُضَـاف إلى المفصود من ذِكْرِها بيانَ عنها، يتعلُقُ بزمنها، وأماراتها، مع تــوجيه العــظة لمــن شــاء أذ يُذَكّ:

أمّا زمنها فإنّها لا تأتي إلا بعنة، فقد اخفاه الله عن كلّ خلقه، فقال تعالى:
 فَهَلْرَيْشُلُونَإِلَا النّبَاعَةَ أَنْتَأَلِيتُهُمْ بَشَتّةٌ ؟﴾

﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَفْتَةً ﴾: بدل اشتمال من الساعة.

وجاه التعبيرُ بهذا الأصلوب هنا وفي الآية (٦٦) من سورة (النزخوف)، ولم يالت بأسلوب: هل ينظرون إلاّ أنْ تأتيهم الساعة بغنة؟ لأنَّ في تقديم ذكر السّاعة لفت نظر إلى حقيقة السّاعة أوَلاً، فهذه معرفةً بُقُصْد تَثْبِيتُها ابتداءً، ثم يأتي صوضوعٌ وقتٍ إِنّانها، فهي جزئيَّةً معرفة تأتي في الدرجة الثانية بعد إثبات أصل قضيّة السّاعة، ومع هذه الإضافة الفكرية لم تردَّ عبارة النصّ حرفاً واحداً، إذَّ لم يحصل في العبارة إلاّ تقديم كلمة السَّاعة، وهذه من بدائع القرآن.

ـــ وأمَّا أمارات الساعة، فقد قال الله عزَّ وجل بشأنها في النصُّ:

﴿ فَقَدْ جَآةَ أَشْرَاطُهَا ﴾:

أي: جاءتُ علاماتها، ومن هذه العلامات ما تحقّق في الواقع، كيمشة الوسول محمد ﷺ بالدّين الخاتم، وانشقاق القمر، ومن هذه العلامات ما أغلَمْنَا الله ورسول به ممّا سيتحقّق، ومجهىءُ العلم بهده الأضراط على لسان الرسول العوثيد بالممجزات الباهرات هو بقوة مجينها في الواقع، على أنّ القرآن بهقائه محضوظاً وتبلاوته في تبوالي العصور هو بطابة بيانٍ رَبَّاني متجدّه، فكُلُما ظُهَرَ شُوطً من أشراطِ السَّاعة، يقترن به العصور القرآني:

﴿ فَقَدْ جَآهَ أَشْرَاطُهَا ﴾.

يُضافُ إلى هذَّيْن الأصرين أنَّ القرآن من أساليه أن يتحدَّث عن الأمر المتحقق الوقوع في المستقبل بصيغة الفعل العاضي، للدلالة على أنَّه لا بدّ أن يتحقَّن، كما نقول لمن أطلق تذيفةً إلى هدفٍ معيّن، وهذه القذيفة محكمة التسديد: لقد أصاب الهمدف. ولو أنهما ما زالت مسائرةً في طريقهما لم تُصِبُ همدَّقهما، ومن همذا قبول الله عزَّ وجلَّ في أول سورة (النحل/ ١٦ مصحف/ ٧٠ نزول):

﴿ أَنَّ أَمْرًا لِلَّهِ فَلَا شَنْعَجِلُوهُ مُسْبَحَنَاهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٠٠.

أمَّا تفصيل أمارات الساعة فموجود في كتب الحديث وكتب العقيدة(١٠).

ـ وأمَّا توجيه العظة لمن شاء أن يتذكَّر منهم، فقد جاء في قوله تعالى:

﴿ فَأَنَّ فُهُمْ إِنَاجَاءَ تُهُمْ ذِكْرَتُهُمْ ﴾:

أي: فكف تكونُ نافعةً لهم ذكراهم للسَّاعة، وصارفة عنهم عـذابها، إذا لم تحصل لهم هذه الذكرى إلاّ بعد مجيئها.

إنَهم يوملةٍ لا يملكـون أن يعملوا عملًا يُنْفَعُهم، فقـد انتهت رحلةُ الابتلاء وجُــاة يومُ الْحِسْابِ والعجزاء.

من أجل ذلك خالعاقـل الحصيفُ الرُشِيدُ هو اللّذِي يتداركُ أمره وهو في رحلة ابتلاله، فيعملُ فيها ما ينفعه عند ربّه في اليوم الأخر، يوم الحساب والجزاه، إذّ يُلُوكُ أنّه إذا جامت الساعة لم ينفعه من الإيمان والعمل الصالح إلاّ ما كان قد قدّمه قبل موتـه في الحياة الدنيا حين كان في رحلة الامتحان.

. .

قول الله عزّ وجلّ:

﴿فَاعْلَتُوْلَكُمْ إِلَّهُ إِلَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِدَنْلِكَ وَلَلْتُوْمِينَ وَالْمُؤْمِنَتُ وَلَقُهُ يَسْلُمُ مُتَقَلِّتُكُمْ وَمُوْرِكُمُ ﴿ ۞ ﴾

ينوجُه الله عزّ وجلّ في هذه الآية الخيطاب للرّسول فلكنَّ من يصُّلُع للخطاب بمضمونها من بعده بصورةٍ إفراديَّة، لأنَّ مسؤوليَّة كلَّ مخاطب بها مسؤوليَّة فرديَّة تُجاه الله عزّ رجل.

⁽١) انظر بحث أمارات الساعة في كتاب والعقيدة الإسلامية وأسسهاه للمؤلف.

والفاء في ﴿فاعلم﴾ جاءت تغريصاً على ما تضمّت الكلام السابق في السورة، المذي تعرّض للكافرين، ولفئة المنافقين منهم، وللمؤمنين، وتُتجَمّتُ همله الأصنافُ الثلاثةُ جميع المكلفين، المأمورين بأن يعلموا دين الله لعباد، ويؤمنوا به، ويعملوا به.

وقد دَلَّت هذه الآية على جملة نضايا أصول من قضايا الدين، وهذه الفضايا بعضُها مذكور بصريح اللَّفظ، وبعضُها مطويٌّ بُفُهُمُّ بدلالات النَّزوم العلميُّ، وبالقرائن، وبما يُفْهُمُ اقتضاء من ترتيب الجمل المنتقيات اعتزالاً من موضوعاتها، وبدلالات نصوص أخرى موزعات في سور القرآن.

القضيَّة الأولى:

﴿ فَأَعْلَرُأَنَّمُ لَآ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾:

أي: فاعلم أنَّ الشَّأَن العظيم الجليل في الموجود ولاَ إلَّـه إلَّا الله الي: لا معبود يستحقُ العبادة كائنَّ في الوجود كُلُه إلاَّ اللهُ وحد، لاَ شَرِيكَ لَهُ .

والأسرُ بالعلم بهذه الحقيقة العظمى من حقاتن الدين يتضمنُ ويستارم ثلاث قضايا هي: طلبُ العلم بهذه الحقيقة علماً فكرياً عفاياً مفروناً بالدّتها، وطلبُ الإيمان بهذه الحقيقة إيماناً إرادياً يتمُّ بالاعتراف والنسليم القلبي مع الطمانية التامة وانعقاد ذلك بالعاطفة، وطلبُ العمل بمنتفى ترحيد الإلهية لله عزّ وجلّ. فالقضية الأولى من هذه الفضايا الثلاث قد تُهمتُ من صريح اللفظ، والقضيان الثانية والثالثة تُفهمان باللّزوم العقلي، ويقرينة عطف جملة فوراشتغفر لذنيك عمل جملة فوضاعلم لا لأ الاستغفار إنما يكونُ بُعدِ مخالفة للعمل بمقتضى ولا إنّه إلاّ الله، والعملُ بمقتضى ولا إنّه إلاّ الله الله لا يكونُ إلاّ بعد الإيمان بمضمون ولا إنّه إلاّ الله، إيماناً صحيحاً، فظهرت لنا بهذا التحليل القضايا الثلاث، فعنها ما هو مصرّح به، ومنها ما هو مطويً.

وكلَّ من العلم والإيمان والفيل بمضمون دلا إلَّه إلَّا الله له مستويات، ادناها هو الذي يكون به أدنى الإيمان والنجاة من الخلود في النار، وأعلاها هو ما يكون بـه استحقاق الفردوس الأعلى في جنّـات النعيم، المخصَّصُ لخيرة عبـاد الله الصالحين، المصطفين الأخيار، من الأنياء والصدّيقين ومن تبهم بإحسان. إِنَّ الْعِلْمَ بِاللهِ وكمالاته وصفاته الحسنى وآثار فدرته وإدادته وحكمته كلّما ازداد ازْدَادْ العلّمُ بعضمون ۱۶ إِلَّه إِلَّا الله وكلّما ازداد صدا العلم ازدادت نسبة الإيسان بعضمون ۱۷ إِنَّه إِلَّا اللهِ وازداد المدافع للقيام بالزاع من العبادات تستدعيها نسبة العلم والإيسان المُذَين ازدادا.

فمن الحكمة تُبداء هذه النّب المفاضلة ذوات الدرجات المرتقبات أن يكون النخطاب في قول الله عرّ رجل: ﴿ وَفَاقُلُمُ اللّهُ إِلّهُ إِلّهُ اللهُ موجّهاً لكلّ من يصلُحُ لأن يضاطب بمضّعونه، فغير المؤمن يطالب بالعلم بها وبالإيمان والعمل من مسترى اللوجة المدنوء، والمؤمن يُطالب بمشل ذلك ولكن بان يرتقي في درجات العلم والإيمان والمحمل، بدءاً من درجته التي هو فيها، حتَّى الأنباء والمُرسل مطالبون بزيادة العلم والإيمان المقاهدة فيذا قول الله الرسولة محمد في صورة (طه/ ٢٧ مصحف/ ٤٥ نزول):

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمُالِ ﴾.

وبهذا الفهم يسقط ما طُمرح من إشكال حول أمر الرسول بـأن يعلم أنّه ولا إلّـه إلا الله مع أنّه عالم بذلك، إذ الجواب أنّ مفسمون ولا إنّه إلاّ الله، قبابلٌ دون حـــــود لزيادة العلم فالإيمان فالعمل .

القضية الثانية:

﴿ وَأَسْتَغَفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُوْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَتِ ﴾.

إنَّ الأمر بالاستغفار ملاحظ فيـه قضيةً مـطويَّةً في النَّصُ سبق بيـانها، وهي الأمـر بالعمل بمضمون ولا إنَّه إلا الله؛ بعد الإيمان به.

ولكل أهل مرتبة من مراتب المؤمنين: «المتقين، والأبرار، والمحسنين، تكاليف مطالبون بها ليكونوا حقاً من أهـل تلك المرتبة، لكن بني آدم خطائون جميماً، فكلُّ أهـل مرتبة تقع منهم خـطايا بـالنسبة إلى حقـوق تلك المـرتبة، فهم بحـاجة إلى أن يستغفروا الله عزّ وجل من خطاياهم تلك، ليغفر الله لهم، فلا ينزلوا عن مُرتَّبَتِهم.

إنَّ أهل مرتبة والإحسان، مشلًّا إذا ارتكبوا تقصيرات تقتضي إنـزالهم عن هـذه

المرتبة إلى مرتبة والأبرارة مطلوبٌ منهم أن يستغفروا لذنوبهم حتى يُحافيظوا على مرتبتهم بفضل الله وغفرانه، وهكذا إلى سائر المراتب ودرجاتها.

ومطلوبٌ من كلَّ مؤمن بمدءاً من الرسول ﷺ حتى آخر المؤمنين درجةً، أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، توثيقاً للرابطة الجماعية والأخوّة الإيمانيَّة بين المؤمنين، وهذا من روائع الوحدة الجماعية الإيمانيَّة.

القضيَّة الثالثة:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُنْقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَنَكُو ﴾:

أي: والله يعلم حركتكُمُ التي بها تتصرّفون وتتقلّبون في الأعمال، ويُعْلَمُ مكـانها وزمانها، ويُعْلَمُ سُكُونكم واستقراركم ومكانهما وزمانهما.

إِنَّ إِنْبَات قَضَيَة العلم الرَّيَاني بكلُ ما يصدُّر عن العباد من حركة وسكون بعد الأمر بعلم وأنَّه لا إِلَّه الله، والإيماني والعمل بعضمونها، يدلُّ على أنَّ التكليف يَرْتِب عليه الحساب والجزاء، فهو يستدعي العلم بسا يصدر عن المكلفين من أعمال صالحة وسينة، فجاء ذكر العلم بعبارة:

﴿ وَأَلِلَّهُ يُعَلَّمُ مُنَّقَلِّكُمْ وَمَثَّوَنَكُمْ ﴾.

وفي اختيار المنتلُب والْمُتُوى في هذا العقام إيجاز بديع. لانهما يـذُلاُن على الحدث ومكانه وزمَانِه، كما جاء بيانه فيما سبق لدى شرح المفردات اللَّغويَّة، والتدبُّر الاحلى يقتضي هنا أن نحمل اللَّفظ على كلّ معانيه التي يدلُّ عليها، إذ صيفة ومتقلَّبه وصيفة ومُثَوى، فصلح كلَّ منهما لأن تكون اسم مكان واسم زمان ومصدواً ميميَّالاً.

قول الله عزّ وجل:

﴿وَيَفُولُ الَّذِيكَ مَا مَثُوالُولَا تُؤلِنَ سُوزَةً فَإِذَا أَنزِكَ سُورَةً تَحْكَمُةٌ وَوُكِرَ فِهَا الْهَمَالُ رَاتِتَ الَّذِينَ فِى فَلُورِهِم شَـرَصُّ يَظُـرُونَ إِلَيْكَ نَظَـرَا الْمَنْشِنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَنوَتِ فَاقَوْلَ لَهُمْ ۞﴾.

⁽١) انظر القاعدة الثامة والعشرين، من كتاب وقواعد الندَّمر الأمثل لكتاب الله عزَّ وحلَّ، للمؤلف.

يعرضُ الله عزَّ وجلَّ موقِّفينِ متناقضين أمام قضيَّة واحدة:

الأول: موقف الذين أمنوا إيماناً صادقاً.

الشاتي: موقف الّـذين في قلوبهم موض النضاق فما هـو أقلَّ من النضاق كضعف الإيمان، وعدم الصدق الكامل فيه .

أمَّا القضيَّة فهي قضية إنزال الأمر الصريح الواضح البِّينَ الْمُحْكَم بقتال الـذين كفروا، لإعلاء كلمة الله، وتأمين الدعوة إلى دين الله، ونشر الحقّ والعدل في الأرض.

وقد كان موقف الذين أمنوا إيمانياً صادقاً بالنسبة إلى هذه الفضيّة ألّهم كانوا يقولون من حين لأخبر مطالبين يتحضيض: لـولا نُؤلَتُ سُـوزَةً بَيْنَةً واضحةً نُؤسُرُ فيهـا صراحةً بالنوجُه إلى الأُمم الكافرة لفتالهـا، بغية إعماده كلمة الله، وتأمين الدعوة إلى دين الله، ونشر الحقّ والمدل في الأرض.

لكن موقف الذين كان في قلوبهم مرض النفاق فما هو أقل صنه. قد كان موقفاً مختلفاً، فلفذ كانوا إذا أنزلتُ سورة محكمةً بينةً واضحة لا غموض فيها، وجاه فيها ذِكرُّ الفتال، بوشبه والمدّعوة إليه، والحضّ عليه لاغتنام الأجر العظهم عند الله، ولمو لم يُقْتِنُ ذَلك بِما بجعلُه فويضةً لازمةً، خَلِمُوا وظهرتُ على وجوههم علاسات الهلْمِ وذلائلًا،

فكانوا إذا نَلاَ الرسول الله آيات المتنال وهم حاضرون يستمعون، يُصابون باللهُ خَوْف ان يُرْفروا بِها هم به كافرون باطناً، او بما لم يؤمنوا بقد به إيماناً صحيحاً كاملاً، ويستناجي منهم تعريض انفسهم للقتل، وهم حريصون على الحياة، وهذا اللهلّم الذي تُصابُ به فلويهم، وتُقوسُهم، إذْ يَنظُرون إلى الرسول الله مَهُوتِين نَظرَ تُصابُ به فلويهم، وتُقرَسُمات الموت، فجللت المُنعَانَم عَلَم ما الموت، فجللت بعصره، فضحت عيناه جامدتين، أو صارت تدوران بِخَبْرة على غير هُدى، لا تُقِم لا يعتبرون ان يعترضوا بالستهم، إذْ يحقونون انكساف هويهم للمؤونين، فتنظهر المي المؤونين، فتنظهر الموابدة الموابدية على وجوههم، وهذا شيءٌ لا يملكون منعه ولا دفعه، إلا يالتدون والممارسة الطوبية.

وبعَّدَ بيان هذه الظاهرة المناقبة لمقتضى الإيمان الصحيح، والدَّالَّة على وجود

مرض داخلي في مركز الإيمان داخل القلب قال الله عزّ وجلّ: * رَبُّهُ لَدُ اَمْمُ * مِنْ

﴿ فَأُوْلَىٰ لَهُمْ ﴾:

أي: فقمد اقترب منهم ما يكرهـون، بمحـاولَتِهم الخـلاص من القتـال الـذي يكرهون، وفي هذا تهديد ووعيد لهم.

. . .

- قول الله عزّ وجل:
- ﴿ طَاعَةٌ وَقُولً مَمْرُونَ أَعَا عَزَمُ الْأَسْرُ فَاوَصَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ غَيْرًا لَهُمْ ١٠٠٠
 - ﴿ طَاعَةً رَفَوْلُ مَعْدُونِكُ ﴾ :

جملة مستأنفة ، حُدِيْف منها أحَدُّ رُكِّي الإسناد فيها. والمعنى: المطلوبُ من المسلم في موضوع آيات النظاعة وان يقول المسلم في موضوع آيات الن يُعدَّل الطاعة وان يقول بلسانه قولًا ممروفًا ، والقولُ المعروف من مسلم صادق الإسلام هو ما يدلُّ على صدق إسلامه ، كان يقول: مسمعتُ وأطعت، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم أمدَّنا بعونٍ من لدنك، اللهم تُقص لنا الخير حيث كان الخير حيث كان الخير عيث القال الخير الكافرين، اللهم أقض لنا الخير حيث حتى الخير ، واكتب لنا السلامة والعافية، ونحو ذلك، إنّه لم يدخُلُ بصُدُ معركة القتال حتى يُصاب بالفِفم، وينظرَ مثل نظر المغشى عليه من الموت.

لكنّ هؤلاء لا يستطيمون صرف الانفصالات المضادّة عن قلوبهم ونفوسهم، وتجاه الدعوة العامّة لقتال أولياتهم في الباطن، من المشركين واليهود والتصارى، إذ هم منافقون أو قريون من النفاق، فالأمر بالنسبة إليهم أخْطَرٌ منْ مُجرُّد كونهم يخافون على أنفسهم من الموت إذا خرجوا إلى القتال.

وإذَّ كان هذا هو المعنى المراد قال الله تعالى:

﴿ فَإِذَا عَزَمُ ٱلْأَمْرُ فَلَوْصَ لَهُ وَاللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾:

أي: بعد إعلان الطاعة والقول المعروف قبل أن يجد الجدّ، يأتي في المستقبل
 احتمال صدور الأمر الجازم بالخروج الفعليّ إلى القتال، إذا عزمَ أولياء الأمر وهم قادةً
 المسلمين على الإلزام بالخروج للقتال، وعندثذِ فقد يُقدِّرُ التخاذل بالجيّن، الذي

لا يُناقض الإيمان، أمّا الهلّع منذ نزول آيات القتال بوجه عامّ فهو من أمارات النضاق. أو الضعف الشديد في الإيمان المشوب بشوالب النفاق حتماً.

وهكذا أشار النصّ إلى أنّ الجيّن عن قتال الكافرين في آيام الممارك لا يدُنُّ على النفاق، إذَّ قد يكون ظاهرةً من ظواهر الضمف البشري، عند فريق من المؤمنين الصادقين في إيمانهم، فقال تعالى:

﴿ فَلُوْصَ كُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾:

أي: فلو صدقوا الله في قتـال الكـافرين حينشة ولم يَضْعُفوا عن القتـال بسبب الجبن، لكان ذلك الصدق خيراً لهم عند رئهم، إذْ يكون أجرهم عنده عظيماً.

والمعنى: ولو لم يُصْلَمُوا في الفتال يوم المعركة لما كان ذلك ذليلاً واضحاً على كضرهم، لاحتمال أن يكون أثرَّ جُنْنِ في قلويهم، الأسر الذي لا يتصارض مع صحّة أصل الإيمان، وقد اشتهرت عبارة الصَّلْق في الفتال بمعنى بذل فاية الوسع فيه، لأنه يدلُّ حقاً على طلب ثواب الأخرة وابتفاء مرضاة الله بصدق.

عبارةً (عَزْمَ الأَشْرَا فيها إسناد فعل وعَزْمَ إلى والأمرى، فالأمر هو الفاصل في هذه الجملة، والمرادُ من الأمر أشرَّ التوجيه الفعلي الجازم لقتال الكافرين، والمرادُ من العزم هُمَّا الإرادةُ من مستواها الأعلى المملَّنَةُ من قِبل وَليَّ الأَمْرِ بالإَلْزَام بالخروج للقتال.

فكيف يُسْنَدُ العزمُ الذي هو فعلُ ولي الأمر، إلى المأمور به، وهو التوجُّه للقتال.

قال البلاغيون: هذا من المجاز المقلي، الذي يُسْتَدُ فيه الفصل أو ما في معناه لغير من هو له، ممّا يُلابسه بوجه من الوجوه، كالمقمول به، والمصدر والزمان والمكان والسب.

وهنا أُشْبَدُ الْقِمْلُ إلى المعمول، إذِ الفاعل لفعل وعَزَمَ هو وليُ الاشر، والمعمُّولُ هو الاُمْرُ بالفتال، وقَدْ أَسْبَدْ فِشَل وعَزَمَ إلى المفعول به، وهو والأسرو أي: الاُمْرُ بـالفتال، فهو من قبيل المعجاز العقلي، أمّا السّكّاكي فيدخل المعجاز العقلي في عموم الاستعادة.

أقول: هذا الأسلوب المجازي هُـو من المجازات المموجودة كثيراً في كـلام العرب، وهو من روائع مجازاتهم.

قول الله عز وجل:

﴿ فَهَلَ عَسَيْتُمْ إِن ثَوْلَيْتُمْ أَن ثُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَثَقَطِعُوا أَرْحَا مَكُمْ ١٠ أَوْلَيْكَ أَلَيْنَ لَمُنْهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَدَرُهُمْ ١٠٠٠

في هذا معالجةً لافكارِ يتحدَّث بها المنافقون في أنفسهم، ولا يُفْصِحون عنها بألسنتهم، ونُسْتطيع أن نستدلٌ عليها من طريقة المعالجة.

إنَّهم يقولون في أنفسهم: لِمَاذَا نُؤْمَرُ بالقتال الَّذِي قَدُّ يُنَّجُمُ عنه إفسادٌ في الأرض، وخرابٌ للعمران وإهلاكُ للحرث، والذين نُـزِّمَرُ بقتالهم قد يكونون من أرحامنا، ومن أقرب الناس إلينا، فلِمَاذَا نُقاتِلُهُمْ ونُقطُّع أَرْحَامَنا؟!

والجوابُ على هذا الحديث النفسيّ الذي يتردّد في صدور المنافقين يكون بكشف ما سيكون من سلوكهم، لو كانوا هم أصحاب القوَّة، وكانـوا هم أولياء الأمـر، وكانت الدولة القائمة دولتهم، فَمَاذا سيفعلون؟

إنَّهم إن تَوَلُّوا فسيكونون جبَّارين في الأرض، لا تُنْسِكُ بهم رحمة، ولاَ تَرْدَعُهُم مبادي ۽

إنَّهم سيُّفْسدون في الأرض آيِّما إفْسَاد، وسيقطَّعون أرحامهم، لتحقيق أغراضهم الشخصيَّـة، ومصالحهم الـدنيويَّـة، ولا تكون لهم مبـادىء ولا قِيمُ بدافعـون عنها، إنَّ قيمهم ستكون أهواءهم وشهواتهم ورغباتهم الحاصة.

وقـد عرض الله عـزّ وجلّ عليهم هـذا الجواب بـأسلوب الاستفهام، فقـال تعالى مخاطباً لهم:

﴿ فَهَ لَ عَسَيْتُمْ إِن قُوَلَيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلأَرْضِ وَتُقَطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿ ؟ ﴾ !

وقــد دلَّت شواهــد التاريخ على أنَّ المنافقين مــا ظهـرتْ لهم دولـة في الأرض، ولا قـام لهم سلطان تُولُـوًا فيه على عبـاد الله، إلَّا أَفْسَدوا في الأرض إفسـاداً عـظيمـاً، وقطُّعوا أرحامهم، فلم يُعْبُووا بقوميَّة ولا دين ولا مبـدأ، بل كـانت أهواؤهم ومصـالحهم الخاصة هي الموجّهة لهم، بأنانيّة مقيتة لا تعترف بمبدأ ولا بقيمة من القيم.

هكذا كان المنافقون في الشعوب النصرانية، وهكذا كـان المنافقـون في تاريخ

الآمة الإسلاميّة، وقد شهدنا في عصرنا الحاضر الذي عشناه أمثلةً كثيرةً من توقّي المنافقين وافسادهم في الأرض، وتقطيعهم أرحامهم، وقتلهم لقسومهم بـلا شفقــةً ولا رحمة.

فمن الحكمة في البيان أن يُعْرضَ الله عزّ وجل عُنَّهُمْ بعد أن رَجّه لهم الخطاب، ويخاطِبُ الذين أمّنُوا بشأنهم فيقول:

﴿ أَوْلَتِكَ أَلَّذِينَ لَهَنَّهُمُ أَلَنَّهُ فَأَصْمَعُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَدَرُهُمْ ۞ ﴾:

أي: أولئك البعداء عن دائرة الإيمان، وعن الصّراط المستقيم، الَّذِين طبرَقُكُمُّ الله فـأعرجهم عن دائرة واسع رحمت، فهم في ضلالهم يشردُدون ويتحيَّرون، وفي الظُّلُماتِ يَتَظَرُّونُ، وفي المهالك يتخيطون.

لقد اختارها لانفسهم السُّيْر في الظُّلُمات، بعيداً عن دعوة الحقّ، وأنوار الهداية، فجرت فيهم سُنَّة اللَّهِ اللَّ لا يسمَعُوا شيئاً من بيانات دعوة الحقّ، وأن لا يُرَوَّا شيئاً من محالم الهدى، كَمَنَّ في أَكْنَيْهِ صَمَّمٌ وفي عينيه عمرٌ بالنسبة إلى ذلك، وهذا من كبهم الذي جَنَّوًا بِه على انفسهم، إذ استخدموا سُنَّة الله التي تُعِيمُهم وَمُّعِيهم باختيارهم، ولم يَشتَخْبُوا سُنَّة الله التي يكونون بها سميين ميصرين.

* قول الله عزّ وجزُّر:

﴿ أَفَلاَ بِنَدَبُّرُونَ ٱلْفُرْءَاتَ أَدْعَلَى قُلُوبِ أَفْمَا لُهَا ١٠٠٠

إنَّ قوله تعالى خطاباً للمنافقين:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُ إِن تَوَلَّيْمُ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿:

تضَمَّن مخاطَبَتُهُمْ بجواب إمْكاتِيُّ لَهُمْ يستند إلى ما في ضمائرهم وسرائرهم من رغبات إنساد في الأرض وتقطيم لـلأرحام لتحقيق مصالحهم وأهموائهم وشهمواتهم الدنيوية.

أمّا الجواب الذي يتضمّن تبرير قتال الكافرين بالاستناد إلى مبادىء الحقّ والخير ومصالح الإنسانية جمعاء، فهو مورّع في سُور القرآن المختلفة، وعلى طـالب الجواب أن يتديّر الغرآن، لا أن يطرح شبهاته، ويندعها تشرّدُدُ في نفسه، دون أن يشديّر الفرآن وآياته، وهو يزعُمُ أنّه من المسلمين.

ولم يخاطبهم الله بهذا، بل أغرضَ عنْهم وخاطب المؤمنين به، فقال تعالى: ﴿ أَمَّلاَ يَشَدَّرُونَ ٱلْقُرِّحَاكَ ؟! ﴾:

أي: ليتعرَّفوا من خلال التدبَّر على ما يدهعون به كلُّ شبهاتهم وأوهامهم.

والاستفهام هنا هو من قبيل الاستفهام التوبيخيّ لهم على إعراضهم عن القرآن وتدبّر دلالات آيات، وتركّ نفوسهم وعقولهم وقلوبهم عُرضةً لوساوس الشياطين، تطرح فيها الشبهات.

بعد هذا الاستفهام التوبيخيُّ لهم قال تَعَالَىٰ:

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقَمَالُهَا ١٠٠٠ ﴾:

أي: بل أَحَالُهُمُ التي هم عليها أنَّ على قلوبٍ مريضةٍ في داخلهم اتَّقَالُها، الَّتِي ضَرَيتها على أنفسها، بكُفَّرها وعنادها، بعد أنْ عَلَقَتُ الْبُوابُها، لتمنع واردات المعارف المدينة، والهداية الرَّيَانِيَّة؟.

وهذا الاستفهام هو من قبيل الاستفهام التقريري، ويتضمُّن التربيخ أيضاً.

والمعنى أنهم أقفلوا قلوبهم، وأنصَرفُوا عن تدبَّر القرآن، وظاهرُ أنَّ جعل القلوب ذاتَ أبواب وأقفال هو من قبيل الاستعارة.

. .

قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّالَٰذِيكَ اَنَتَنَّافًا عَلَى اَنْتَزِهِمِ مِنْ مِنْدِمَا تَبَنَّنَ لَهُمُّ الْهُدَّكِ اَلَّشَبِكُنْ سَوَّلُ لَهُمْ وَأَمْلُ لَهُمْ ۚ هُو ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَالُوا لِلَّذِيكَ كَرِهُواْ مَا تَزَّكَ ٱللَّهُ سَنُطِيمُ كُمْ فِي بَضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ مِنْهَ لَكِيْسُرُوهُمْ ﴿ ﴾.

يكشف الله تعالى في هاتين الأيتين حالةً ذوي النفاق الطارى، من عصوم المنافقين، وهم الذين طرأ عليهم الاستقرار في النقاق بعد ضعف الإيمان الذي كانوا

فيه، وتبيّن لهم به الهدى، وقد طرا عليهم الاستقرار في النفاق بعد أن وجدوا أنفسهم مدعوين للقنال، ويوجد في الذين سيفاتلونهم أقارِبُ وأرحمامٌ لهم، وآخرون كمانـوا أوليا.هم قبل الإسلام.

فوصف الله عزّ وبطل هذه الفئة من المنافقين بـأقهم ارتُلُوا على أدبـارهم، أي: رجُعُوا إلى الكفر الذي كانوا فيه قبل الإسلام، بعد أن تبيّن لهم الهدى الـذي تلقُّوهُ من تعاليم الإسلام، وبيانات آيات الله في كتابه.

ولم يُرْجِعُوا إلى الكفر في رقة ظاهرة، بل ارتَدُوا إلى الكفر بـردّةٍ باطنـة، فكانـوا بذلك منافقين.

﴿ عَلَىٰ أَدْبَنْرِهِمِ ﴾:

والنّباره: جمع ددُيره ودُبُر كُلُّ شيءَ عَقِبَهُ ومؤخّره، والشيئة الذي كانوا قد تركوه بالإسلام وراء أديبارهم، هو الكفر، وحين ارتَدُوا سالكين جهة أديبارهم، ماشين في السُّبُل الَّتِي كانوا فارقوها، ضائهم قد انقلبوا بذلك على أديبارهم كنافعرين، لكنّهم لم يعلنوا كفرهم وردّتهم، بل استيفوا ظاهر انتمائهم إلى الإسلام، فهم بذلك قد نافقوا نفاقاً طارفاً.

﴿إِنَّ الَّذِيكَ ٱزْمَدُّوا عَلَىٓ أَدْبَرِهِم مِّنْ بَعْدِمَا نَيَّنَ لَهُمُّ ٱلْهُدَكْ ﴾.

اسمُ موصول وصلته وهو اسمُ وإنَّ التي جاءت لتأكيد الخبر، فما هو الخبر؟ الخبر هو جملة:

﴿ ٱلشَّيْطَكُ مُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾:

أي: إنَّ الـذي جعلهم يرتَدُون على النَّادِهِمْ هـو أنَّ النَّيـطانَ سَـوْلَ لَهُمْ وأَمْلَىٰ
 م.

ونتساءل: كيف سوَّل لهم الشيطان وأمَّلَى لهم؟

أقول:

إنَّ الشيطان حرَّكَ في نفـوسهم مصالحهم وأهـواءهم تُجاه أوليــائهم السابقين من أهل الكفر، حينما وُجِد المشير، وهو دعوَتهم إلى قتالهم. وهنا تنطلق في أذهانهم سلاســل الأفكار، وتنقلُب في داخلهم أحــاديثُ النفس، ومعلومٌ أنّ الشيطان يحري من ابُنِ آدم مجرى الدّم.

فيقولون: لمَّاذَا تُقاتل من كانـوا أولياءنـا بالأسن قبـل أن تُسلم، فنقتلُ منهم ويقتلون منـا؟ ولماذا نخسر مصالحتـا معهم؟ أليس العيش معهم بـسلام خيـراً لنـا في حياتنا؟ ما هذا الدين الجديد الذي مرَّق وحدتنـا، وشقَّ صفوفنـا، وجعل أمننـا أتنين، وعرَّضناً للشفاق والخلاف والثقاتل؟ ألا يمكن أن تكون قشة البعث والدار الأخرة مقولةً مخترعة؟ ألا يمكن أن يكون وجودنا مقتصراً على وجودنا في هذه الحياة الدنيا؟

وهكذا إلى سلسلة تساؤلات تسويلية، صبر الشيطان طويلاً وهو يقذف بها واحدة
بعد أخرى، فكلما ولد تسويل شكًا، انتقل إلى تسويل آخر، باسلوب الخطوات
المتدرّجة، فيكون الشيطان بدلك قد سوّل لهم، وأملى لهم، أي طرّل صبره لأجل
إغوانهم، أو طوّل لهم الحبل ليتطلقوا في سلاسل الأفكار التي تُقْويهم وتقريهم، وبهذا
يكون بدّة السويل بالأفكار من الشيطان، ثم تنوارد سلاسل الأفكار الباطلة من تطويل
الشيطان الحبل، حتى يسوموا في المرتع الذي يجعلهم فيه، كمن يأتي لدابته فيطمعها
الشيطان العبل، حتى إترتم بنفسها، لكنها لن تأكل إلاّ من النبات الذي وضعها هو
الرس وأملاه لها، حتى ترتم بنفسها، لكنها لن تأكل إلاّ من النبات الذي وضعها هو
فيه.

فما الذي جعل الشيطان يسيطر عليهم بالتسويل لهم والإملاء لهم، حتى أخرجهم من الإيمان إلى الكفر مزندين منافقين؟

إنَّه ضعف إيسانهم الذي ازلقهم فعملهم يقولون لأهل الكفير من أوليائهم السابقين: المشركين واليهبود والنصارى بمناسبة دعوتهم إلى قتالهم: سنطيعكم في بعض الأمر.

أبـان الله عزَّ وجلَّ هذا السبب الـذي جعل الشيطان يتسلَّط عليهم فيسوَّل لهم

ويُمْلي لهم، فقال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَالُوا لِلَّذِيكَ كَرِهُوا مَا نَزَّكَ آلَهُ سَنُطِيعُكُمْ فِيقَضِ الأَمْرِّ . . . ۞ .

المشار إليه بلفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هو مضمون:

﴿ ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَ لَهُمْ ﴾.

والمعنى: ذلك كان يسبب أنهم قالُوا للَّذِين تُومُوا ما نُزُلُ الله، وهم أهل الكفر من المشركين واليهود والتصارى، فهم الذين كرهوا ما نزَل الله على رسوله بــوجه عــام، وكرهوا ما نُزَل الله من دعوة المؤمنين إلى قتالهم على وجه الخصوص.

وينظهر أنّ الكنافرين استدرجوا من كانبرا أولينا،هم قبل الإسلام من ضعفاء الإيمان، فقالُوا أنهُمْ: كيف تقاتلوننا مع محمّد وأصحابه، وانتم إخواننا قبل هذا الدّين، وكانّ بينا وبينكم موّدة وصفاء وموالالالا! فأجنابوهم بنائهم لا يستطيعون أن يرجعوا إلى الكفر، ويحاربوا الرسول وأصحاب، ويُمَدّ مراوضة ومضاوضة، قالوا لهم مداراة لهم، ومحافظة على مؤدتهم: سنطيحكم في يعض الأمر، فقبلوا منهم ذلك.

ويمكن أن يدخل في بعض الأمر هذا إعلامُهم ببعض الأخبار والتحركات. وأنّهم إذا واجهوهم في القتال فإنّهم يرائون بقتالهم ويكفّون عنهم فعُلاً.

فاتخذ الشيطان من هذا المنزلق سبباً يجُرُّ به هؤلاء إلى الكفر والنفاق.

ولمّا كان هذا الأمّر قد حدّث سِرًا بين الفريقين، كـان من الحكمة في البيــان أن يختمه الله بقوله:

﴿ وَأَلَّهُ يَعْدَ لَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴾:

جمع وسِرَّه كما جاء في قراءة الجمهور.

﴿ وَأَلْقَهُ يَعْلَمُ إِسْرَادَهُمْ ﴾:

مصدر وأُسُوَّه كما جاء في القراءة الأخرى.

فعدلت القرامتان على أن الله عزّ رجلً يعدم وأسرّ زَرَم، التي أسَرُوا بها للّذين كرهوا ما نُزُلُ اللّهُ من ذُعُوة المؤمنين إلى قتالهم، ويَعْلَمُ حَدَثَ الإسرار الذي كان منهم في زمانه ومكانه.

ويبانُ هـذا العلم يتضمن إشعاراً باتهم تُهـَـدُونَ بفضيحتهم لـدى الـرّسـول والمؤمنين، وتُهَذَّدُون بمعاقبتهم على ما كان منهم من اتخاذ الكافـرين أولياء من دون المؤمنين، يُبرُون إليهم بالمؤدة، ويمض المعونة والمناصرة.

قول الله عزّ وجلّ :

﴿ فَكَيْفَ إِنَّا فَوَقَتْهُ ٱلْمَلْتَهِ كَأَيْضَ فِن وَجُوعَهُ وَالْبَرَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنْهُمُ الْتَبَعُوا مِنْ وَمُوا مِنْوَا مُؤَلِّمُ الْعَبْدُ الْعَنْفُرُ ۞ ﴾.

بعدما سبق من حديث حول الصنافقين ويعض صفاتهم في السلوك المظاهر والباطن، اقتضت الحكمة الريائية في الدعوة والتربية، إنذارتُمَّ بما هو مَمَّدُ لهم عندما تتوقاهم ملائكة الموت. إذَّ يواجهون ساعتيْدُ أوَّل عذابهم مع أوَّل متازلهم في الأخرة.

إنَّ سلائكة المسوت إذا جاءتهم لتُقْبِض أرواحهم، فبإنَّ أَوَّل ما تلقاهم به من تعذيبٍ أن تضربُ وجُومُهُمُّ المنافقة الكافنَة الَّتي كانـوا يستقبلون بها المؤمنين، زاعمين بها لهم أنَهم مؤمنون مثلهم، وهم كافِئرن، وأن تضربُ أَفباؤهم الَّتي ارتَـُدُوا عليها مِنْ بَعْلِهُ مَا نَبِّشِنْ لَهُمُّ الْهَٰفَتَى، فَتَخْفُرُوا بعد ليمانهم.

وقـد جاء هـذا الإنذار بـأسلوب الاستفهـام عن حـالنهم حين يضـرب المــلائكـة وجوهـم وأدّبارهـم ساعة قبض أرواحهم عند انتهاء أجالهم في الحياة الدنيا.

أي: فكيف تكونُ حالتُهم النفسية والجسدية حيثلة؛ إنَّ جواب هذا الاستفهام يُدْرَكُ بالبداهة، فلا حاجة إلى التصريح به في البيان البليغ، إنَّ حالتهم تكون حالة الأشفياء التعساء الخياشعين المعذّبين المخزيين النادمين على ما كمان منهم من كفر ونفاق.

هذا ما نفهمه من قوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا فَوَفَتْهُمُ ٱلْمَلَتِيكَةُ بُصِّرِيُوتَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَنَوَهُمْ ۞ ١٩٤.

بعد هذا الإنذار أبان الله عزَّ وجل سَبِّ إِنْزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، فقال تعالى:

﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمُ أَنَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهُ وَكُرِهُوا رِضْوَنَهُ فَأَحْبَطُ

أَعْمَالُهُمْ ١

المشار إليه بلفظ [ذَلِك] ما سبق بيانه من ضَرْبٍ وجُوهِهمْ وأدبـارهم عنـدمـا تشوفاهم المىلائكة. والبـاءُ في [بِأَنَّهُمْ] سببيَّـة، أي: بسبب أنهم، وجاء في الآيـة ذِكْرُ

الأول: أَنْهُمُ اتَّبُعُوا مَا أَسْخُطَ الله، وذلك لأنهم حين ارتَـدّوا على أدبارهم في الباطن كافرين، فإنَّهم منذ تلك اللَّحظة أتُّبُمُوا الأهواء والشهـوات وخطوات الشيـاطين، وتعماليم المضلَّين من الإنس والجنَّ، وكلُّ ذلِّكُ من الأمور التي تسخط الله عـزَّ وجلَّ، لأنَّها تناقضٌ الدين الذي ارتضاه لعباده، دلَّ عليه قوله تعالى:

﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُ مُ أُتَّبَعُوا مَاۤ أَسْخَطُ اللَّهَ ﴾.

الثاني: أَنَّهُمْ كَرَهُوا رِضُوانَ اللَّهُ، وَذَلِكَ لأنَّهُمْ كَرَهُوا العمل بِمَا أَنزل الله لعباده من أوامر ونواهى، ومنها الإذن بقتال الذين كفروا لإعـلاء كلمة الله وتـأمين الدعـوة إلى دينه، وإقامة المحقّ والعدل في الأرض، فهي الأمور التي رضيها لعباده، وجعل رضوانه على عباده لا يتحقَّق إلا إذا أطاعوه فيما رضى لهم من عمل.

فجمعوا بين الخسِّتين، المعصية التطبيقيَّة العمليَّة، والكراهية القلبيَّة لـدين الله والعمل بمراضيه، فكانوا بذلك كافرين، لا مُجرَّدَ عُصَاةٍ مؤمنين، إذْ كَراهيةُ رضوان اللَّهِ من نواقض الإيمان.

أمَّا أعمالهم الصالحة التي عملوها في مدَّة إيمانهم قبل ردَّتهم إلى الكفر في البـاطن فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُعْبِعُلها لهم، لأنَّ الكفـر كـان السبب في إلغـائهـا، ومعنى ويُحْبِطُهاه يُبْطِلُهَا ويُلْفِيها.

وكمذلك يحبط الله أعمالهم التي يعملونها ضدّ المؤمنين، لمناصرة الكافرين الصرحاء الذبن اتفقوا معهم على أن يطيعوهم في بعض الأمر، وينصرُ الله أولياءً ضدًّ أعداثه من الكافرين والمنافقين.

قول الله عزّ وجل:

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِيكَ فِي قُلُونِهِ مِ مَرْضُ أَن لَن يُحْرِجُ لَقَالَمَ عَنَهُمْ ۞ وَلَوْشَكَ، لاَرْتِنَكُمُ فَلَمَرْ لَنَهُ رِسِينَهُمُ وَلَتَوْنَفَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَرَلُوالَهُ يَقَالُهُ مَلِكُمُ ۞ ﴾.

هـاتــان الأيتــان تُصَالـجـان قطيــة إعضاء المتــاففين هُــوَيَّــة أنسهم، الّــي تُضهــر الأضَّــفَانَ، أي: الأحقاد المشتماة على العداوة للإســـلام والمسلمين، مع إرادة الكيــد، وتَرَبُّص الفرص الملائمة لمحو الإسلام واضطهاد المسلمين وتعزيقهم وإيادتهم.

وهمله المعالجة تناولت تُحذِيرَ المسافقين من كشف هوَيَتهم الحقيقية للرّسول وللمؤمنين، وتناولت الإلماح للمؤمنين بأنّ باستطاعهم التعرّف عليهم بوسيلتين:

الوسيلة الأولى: التقرّس في سيماهم، وهي العلامات التي قد تظهر أحياناً على وجوههم وفي أعمالهم وتصرفاتهم، ولكنّ هذه الفراسة تحتاج خاصيَّة استشعار يمنحها اللّه لبعض عباده، وتقدّم ظنّاً، يمكن بالبحث والمتنابعة للتصرفات السّرية تناكيده أو وفضه.

الوسيلة الثانية: التعرف عليهم من خلال أقوالهم التي لا يستطيعون أن يجعلوهـا صديحة واضحة تندفع بالتلقـائية. بـل لا بدّ أن تـدخل فيهـا تعريضــات وتلميحــات ورمـزيات وكنـايات تكشف مــواداتهم، وبالتـالي تكشف هوّيـاتهم الحقيقيّة، وقــد جاء التعبير عنها بعبارة ولحنن القول.

فهي أمور ثلاثة قد يفضحهم الله عن طريقها:

الأمر الأول: وضعهم في اختبارات صعبة يكشف الله بهنا أضغانهم، فيعرفُ المؤمنون بذلك حقيقهم.

دلُ على هذا الأمر قول الله عزَّ وجل:

﴿أَمْحَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضًا أَن أَن يُغْرِجَ اللَّهُ أَضَفَنَهُمْ ۞﴾:

أي: إذا تركنا أَمْرُ عقابهم منذ أوّل منازل الأخرة حتى بلوغهم الدرك الأسفىل من النّار يوم الدين، أُخبِّب هؤلاء الدين في قلوبهم مرض الثقاق اذْ لن يُعَرِّضُهم الله في حياتهم الدنيا لاخبارات صعبة على نفوسهم يُقْسطوون معها أن يُعبَّروا عن أَضْغَاتهم المكنونة في صدورهم، باعسالهم واقوالهم، فينكشفوا للرسول وللمؤمنين، فيعامَّلُون. بمقتضاها على أنهم كافرون مرتدُّون، وعندتُدُ يُنزل المؤمنون بهم العقاب الملاثم.

فعل وحَسِبَ، لم يأت في القرآن إلاّ بمعنى الـظنّ الكـاذب والنـوهُم الضعيف المردود.

الأمر الثاني: السيما، وهي العلامة الظاهرة التي تدلّ على ما في الباطن، فمن سُنَّة الله في الوجود كلّه أنَّ جمل لكلّ أَثْرٍ منفينٌ في الباطن ما يشُلُّ عليه من الـظاهر، بعـرف هذا من يعـرفه من أهــل الفـراســة أو الخيــرة الـطويلة، ويجهله من يجهله وهم الأكثرون.

إذّ لذي النفس الثمليئة علاماتٍ في وجهه وتصرّفاته تدلّ على ثمليّته، وللغضب المداخلي علامات، وللغضب المداخلي علامات، وللكراهية علامات، وللكراهية علامات، وللمراهية علامات، ولنبرها علامات، وللحراهية علامات، وللمراه في باطن الأرض علامات في ظلمرها يستشعرها الخبراء، وللماء في باطن الأرض علامات في ظلمرها يسدركها طائر الهدهد، وبعضُ المنتصيّن على الأرض بأذائهم من الناس، إلى غير ذلك.

فمن أسرُّ سَريرة من خير أو شرَّ البسه الله منها رداءً.

دلَّ على هذا الأمر قول الله لرسوله: ﴿ وَلَوْنَشَآهُ لَاَرُنِّنَكُهُمْ فَلَصَرَفْنَهُم رِبِيمَنْهُمْ ۖ ﴾:

أي: ولو نشاء لاريناكهُم باشخاصهم، وعندلذ نكتشف أنّ لهم سبعا في وجوههم وتصرّفاتهم ندلُّ عليهم، فمن وهبه الله قدرة التفرس في الناس، او كانَّ ذا خيرة بأحوال المنافقين نتجت عن تمامله ممهم، كان مؤهلاً لأن يعرف المنافق عن طريق العلامات الظاهرة التي خبرها في المنافقين، أو لديه القدرة الخاصة على استشعارها.

الأمر الثالث: لَحْنُ القول الذي يجري في أقوالهم في كثير من الأحيان، لأقُهم لا يستطيعون دائماً أن يكونوا صرحاء، يقولون ما هو في باطنهم، لـذلك فهم يتكلّفون أن يقولوا في مجالس المؤمنين ما لا يعتقدون، ومع هذا التكلّف لا بدّ أن تغليهم طبيعة نفوسهم، فيظهر في فلتات السنتهم ما يدل على حقيقتهم، أو يقولون أقوالاً مزدوجة الدلالة، فإحدى الدلالتين لما يظهرون من إسلام، والأخرى لما يتبطنون من كفر، والالمعني الفَيفِن يدرك الدلالة الأخرى التي يكشف بها نضاقهم وباطن كضرهم، ومن لحن القول الذي يضدر عنهم أن يُشابعوا اليهود في نحيتهم للرسول والمؤمنين، فيقولوا: «السّام عليكم» بدل «السلام عليكم» فيخفوا اللام من لفظ السلام، والسّام هو الموت، وسياتي مزيد بيان إن شاء الله في النص (٢٧) من سورة (المجادلة).

دلُّ على هذا الأمر قول الله تعالى لرسوله:

﴿ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾:

أي: ولتعرفقهم في لحن القول المذي يقولونه أمامك، ولو لم نعيَّهُم لك باشخاصهم. ويظهر أنَّ هذه المعرفة لا تختصّ بالرّسول، إلاّ أن الرسول أكثر فطانة من غيره، فمعرفت للمنافقين عن طريق لحن القول أُسَدَّ وأشدً.

وأخيراً يوجّمه الله عز وجلّ الرسول والذين أمنوا للعمل على كشف المنافقين بمختلف الموسائل المتاحة، لا من أجل إدانتهم بـالكفر مـا لم يعلنـوه، ولكن للحـذر منهم، ولئلا يغتروا بهم، فيقموا فريـة مكايدهم وهم داخل صفوفهم، فقال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَغْسُلَكُو ۞ ﴾:

أي: واغملُوا للحذو من المنافقين بملاحظة علاماتهم، والتَّمــُطُن إلى لُحْنِ أقوالهم وتَشَّع تصرَفاتهم، لاستبطان هويتهم الحقيقية، والله الذي يعلَّمُ أعمالكم يُعينُكم ويهديكم، ويكشف أضغانهم لكم.

أقبول:

ومع الأسف الشديد فقد سقط المسلسون في حبائل كثير من المستافقين. لأقهم لم يتنهُّبوا لهذا التعليم والتوجيه الرُّباني، وظنَّدوا أنَّ الأسر بمصاملة الناس بحسب ظواهرهم يلغي واجب التقرّس والتيع والحذر الشديد.

إنَّ معاملة النباس بحسب ظواهـرهم تقتصـر على دائـرة الحكم عليهم بـالـرَّدة أو الإسلام، ولا تتعداها لاتّحذاذ بطانة من المشكـوك في أمرهم، ولــو بالتفـرس والظنّ، فضريب المشكوك فيهم إلى مواطن معرفة الاسرار، أو إلى مواكز القيبادة والتوجيب، أو إلى كراسي الاستثبارة، ورطة عظمى تُدَمّر شؤون الامة الإسلامية، وتسمع لملاعدا، بأن يسلّلوا للقبض على تواصي إدارتها، وهي غافلة مُدَرَّرُ بها، تسيير بغياء، بمدعوى حسن الظنّ، والعمل بالظاهر.

وكم من عدوً للإسلام أعلَنَ إسلامه فقامت دعاية الفسرحة بــه، ورفعته طــاثفة إلى مراكز القيادة والترجيــ، فكان المعرِّبه والمستشار الكبير لمشكلات المسلمبين.

هذا غناء، ومخالف لوصنابا رَبّنا عزّ وجـلّ، وينضمُن خبانـةُ للأمـة الإسلاميـة، وخيانةً للإسلام.

قول الله عز وجل:

﴿ وَلَسَلُونَكُمْ مَنَّ مَلَدَ ٱلدَّحَهِدِينَ مِنكُو وَالصَّنبِينَ وَيَتْلُوا أَخْبَارَكُون ﴾.

بمناسبة الكلام المتعلّق بقتال الكافرين، وهلّع السنافين لدى سماعهم الآيات التي يُذكّرُ فيها القتال، وشبهاتهم التي تتردّد في صدورهم، وقد يظهر بعضها في لحن القول الذي يقولونه، وقد يبرافق ذلك تساؤلات، منها: ألّا يستطيع ربّعا أن يتخدّ من لُمُنّةٌ وسائل ينْصُرُ بها الذين أمنوا على الـذين كفروا، دون أن بعرض أولياءه المؤمنين لقتال الكافرين؟.

وفي هذه الآية أبان عزّ وجلّ أنّ من أغراض أمر المؤمنين بأن يقاتلوا الكافرين، أبتلاء المؤمنين أنفسهم، فيهذا الابتلاء يتميّز المجاهدون بحسب مراتبهم ودرجاتهم من غير المجاهدين، ويتميّزُ الصابرون بحسب مراتبهم ودرجاتهم من غير الصابرين، ذوي الهلع والجزع، وتنكشف أمور كثيرة تُميّز طلاب الآخرة من طأرّب الدنيا، وتكشف المنافقين وأعمالهم، إلى غير ذلك، والخطابٌ في هذه الآية موجّه لعموم المسلمين وفهم المنافقون.

فَأَكُذُ الله عزَّ وجلَّ بالقسم وتوابعه إراذتُهُ الجازمة في امتحان المسلمين فقال: ﴿ وَلَسْبُلُونَكُمْهُمْ :

أي: ياأيها المسلمون جميعاً.

وأبّانُ أنْ حكمة الابتلاء ستستمرُ مع ظروف الحياة الذّيباء حتى يشُلُمُ في تتابع الأجيال المجاهدين، أي: على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم، وحتى يقُلُمُ الصابرين، أي: على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم.

وحتَّى يَعْلَمُ اخبار جميع السلمين، في مجال نصرة الدين، ومقاتلة الكافرين، أي: حتَّى يعلم ما يكون من كـلُّ منهم من تصرّفات وأعمال، وسمّـاها الله عـرُّ وحـلَّ اخباراً لانها بعد الوقوع تغدو اخباراً كالشقة لما في السّرائر، فقال تعالى:

﴿وَنَبْلُوا أَخْبَازَكُونِ﴾.

وقد أكّد الله عزّ وجلّ وفصّل في هذه الآية بالقسم ما جاء في أواثل السورة نفسها من غير قسم ولا تفصيل، وفلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ كِشَاءُ اللَّهُ لَا نَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن إِينَالُوا مِنْضَكُم بِبَعْضِ . . . ٥٠ .

إذّ وجود الإنسان في هذه الحياة المدنيا قنائم على حكمة الإنتـلاء فيها، ليكون أساساً للحساب وفصل القضاء وتحقيق الجزاء بالفضل أو بالعدل في الحياة الاخرى يوم الذّين .

قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّالَايِنَ كَثَرُواوَمَنُواعَنَ مَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ فَمُ المُلْدَى لَ يَشَرُّوْ الطَّهَ مَنْ يَكُورَ مِنْ مِنْ عَلِمُ الْمَنْكُمُ فَي ﴾ .

في ختام هذا النصّ من سورة (صحّد) الذي عالج قضايا تتملّق بالسنافين، قضت حكمة الله بأنْ يُبِين لهم وللمؤمنين أنَّ الاهتمام بمعالجتهم إنما هو من أجلهم، لإنقاذهم وإسعادهم، لا من أجله ولا من أجل ديته ولا من أجل رسول،، وذلك الأنهم مهما عملوا من عمل وكائوا من كَيْدٍ وتَكُرُوا بِنْ مَكْرٍ، فَإِنهم لَنْ يَشُرُوا اللَّهُ شِبناً في ذاته أو ديته أو رسوله، لأنَّه عزَّ وجلَّ سَيِّحُظ أعمالهم، أي: يُخطُها ويلغي آشارها، أنّا الدين والقرآن فقد تكفّل الله بحفظهما، والنا الرسول فقد تكفّل الله بحفظهما، التاس، بقيت أعمالهم التي يعملونها ضدّ جماعة الصلمين، وهذه تدخل في حكمة الابتلاء، فبإذا نقيد المسلميون بمنهاج الله واتبعوا تصاليمه في المنافقين، فسيكشفهم الله لهم ويتصرَّهم عليهم، وإن أهمل المسلمون منهاج الله، ولم يتبعوا تعاليمه في المنافقين، فعن سنّة الله أن يتركهم وشانهم، وينزل فيهم عقابه، ويمكّن أعداءهم منهم، وهذا ما حصل في عصور تاريخ المسلمين.

فالعنافقون الذين تصرّضت لكشفهم ومعالجتهم معنظم آيات هذا النصّ. هم الذين طرأ عليهم النفاق، من بعد أن أشلَّمُوا وَيُبَيِّن لهم الهدى، فـارتَّدُوا على أدبــارهم كافرين.

فمن المناسب أن تُبِينَ آية الختمام كُفُرُهُمْ في الباطن، وصدُهُمْ عن سبيل الله، ومشاقتهم للرسول، وأن تُبَينَ أنَّ ذلك كلّه قد حصل منهم بعد ما تبيَّن لهم الهدى، وأن تني على هذه الاوصاف التي حدَّدتها لهم قضيتين:

الأولى: أنُّهم لن يضرُّوا الله بكفرهم وصدُّهم ومشاقتهم الرسول شيئاً.

الثانية: أنَّ اللهَ سُيْحْبِطُ أعسالُهُمْ صَدَّ دينـه وكتابـه ورسولـه، مهما كــادوا ومكروا مُكُراً كُبَّاراً داخل صفوف المسلمين.

فقال تعالى:

﴿إِنَّالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾:

أي: إنّ هؤلاء الـذين كفروا مــرتدين عن الإســلام في الباطن، وظلُّوا محــافظين على انتمائهم للإسلام في الظاهر.

﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱلَّهِ ﴾:

أي: أعرضوا عن دين الله وامتنصوا عن متابعة المسير فيه، وربّما منعـوا غيرهم أيضاً عن ذلك سرّاً.

﴿ وَشَآفُوا الرَّسُولَ ﴾:

أي: وعادوا الرُّسُول وخالفوه، وجعلوا أنفسهم باطناً في شنًّا غير شقه.

﴿ مِنْ اللَّهِ مَا تَبُّنَّ مُا مُمَّا أَهُدُى ﴾:

أي: من بعد أن أسلموا ورأوا وضموح صواط الله المستقيم، وتبيّن لهم أنه حتّى وخير ورشاد، وأن النور يملّؤه.

﴿ لَن يَعَنُّرُواْ اللَّهَ شَيَّنًا ﴾:

أي: في ذاته، أو دينه، أو كتابه أو رسوله.

﴿وَسَيُحْيِظُ أَغْمَالُهُمْ ﴾:

أي: وسيطل ويلغي أثر أهمالهم التي يعملونها بالكيد والمكر عن طريق النفاق،
 ليخفظ دينه وكتابه ورسوله والمؤمنين الصادقين الملتزمين منهاج الله وتصاليمه وسنة
 رسوله.

وانتهى النص

...

النص الحادي والعشرون

وهو من سورة (الحشر/ ٥٩ مصحف/ ١٠١ نزول) دالسورة الحامسة عشرة من التنزيل المدني» الآيسات مسن (١١ ــ ١٧)

> حول موقف المنافقين وخيانتهم في أحداث إجـلاء يهـود بني النضـير

> > قال الله عزّ وجل:

﴿ أَلْمَ مَلُ الَّذِيكَ الْمُعْوَلِمُ الْمَعْوَدِهِ أَلَيْنَ كَثُرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِنْدِ لَهِمْ أَلَيْنَ كَثُرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِنْدِ لَهِمْ أَلَيْنَ كَثُرُواْ الْمَا الْمَا أَمْنَا وَلَهُ فَيَلَمْدُ لِنَهُمْ رَكَّمُ وَاللَّهُ مِنْكُا وَمُواْللَّهُ مُواْللَّهُ لِلْمَا أَلَيْنَا لَمُ اللَّهِ فَوْلِكُ الْمَعْمُونَهُمْ وَلَيْنَ فَسُرُوهُمْ لَيُعْمِيلًا الْمُعْمِدُ وَلَمْ فَصَلَّا وَلَمْ وَلَمْ اللَّهُ وَمُلِكُ وَلَمْ اللَّهُ وَمُلِكُ وَلَمْ اللَّهُ وَمُلِكُ وَلَمْ اللَّهُ وَمُواللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَمُنَا اللَّهُ وَمُلِكُ وَلَمْ اللَّهُ وَمُلِكُومُ مِنْكُومُ مِنْكُومُ مِنْكُومُ مَنْكُومُ اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَمُلِكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلِكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلِكُومُ اللَّهُ وَمُنْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُلْكُومُ اللَّهُ وَمُنْكُومُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللْمُومُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللْمُؤْمُونُ الْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُونُ اللَّهُ وَمُنْ اللْمُؤْمُومُ اللَّهُ وَمُنْ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُولُومُ اللْمُؤْمُونُ اللْمُؤْمُولُومُ اللْمُؤْمُولُومُ اللْمُؤْمُولُومُ اللْمُؤْمُولُومُ اللْم

(1)

القراءات المتواترة في هذا النصّ (من الفرش)

في الآية (١٤):

(١) قرأ جمهور الْفُرَاء العشرة: [مِنْ وَرَاءِ جُدُّرٍ] جَمْع وجِدَار، .

وقرأ ابن كثير المكي وأبـو عمـرو البصـري: [بنُّ وَرَاهِ جِدَابِ] بـالإفـراد. فـملَـت القــراءتان على أنّهم إنْ كـنازا قلّه يكفيهم جــدار واحد، فـإنّهم لا يقــاتلون إلاّ من وراء جـدار، وإنْ كانوا كثيرين يحتاجون جُـدُواً كثيرة، فأنهُمْ لا يُفاتِلُونَ إلاَّ بنُ وَرَاهِ جُدُو.

في الأية (١٦):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة: [إنِّي أخافُ} بإسكان الياء من [إنِّي].

وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر، والمكمّ ابن كثير، والبصـريّ أبو عُمْـرو: [إَنَيّ] يَفْتُع اليّاء.

والقراءتان لغتان في ياءِ المتكلّم.

(٢)

موضوع النص وسبب نزوله

تمرّض هذا النصّ لبيان ما كمان من المنافقين من خيانة للرسول وللمؤمنين، إذّ بشوا إلى يهود بني النضير يشـدّون أزرهم، ويُصدّونهم بـالنصـر، حين حــاصــرهم الرسول وأصحابه، ثم أجلاهم، لأنّهم ديّروا أمر قتله غيلةً وهو في حيّهم.

ودار النصّ حول كشف خيانة المنافقين هذه، وما يتـطلّبه البيــان الربّـاني بشأنهــا يومثــد.

سبب الشزول:

لا خلاف في أنّ سروة (الحشر) نزلت بمناسبة ما كان من يهبود بني التضير من خيانة ونقض للعهد، بمحاولتهم اغنيال الرسول ﷺ في ديارهم، فحاصوهم، وألقى الله في قلوبهم الرّعب، ثم طلبوا إجلاءهم، فوافقهم. فمناسبة إنزال الآيات الّتي تكشف موقف بعض المنافقين الخائن خملال تلك الأحداث، نابعة لإنزال السورة كلّها.

لمذلك كمان ابن عبَّاس بسمّي صورة والحشرة صورة وبني النضيرة كمنا روى البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما.

خلاصة الغصة:

لصًا قدم الرسول ﷺ المدينة، وقامت فيها النواة الأولى لدولة الإسلام والمسلمين، كتب لليهود فيها عهدة أنشَهُمْ فيه على أوراجهم، وأسوالهم، وأعراضهم، وحرّياتهم المدينة، بشرط الآيفذووا، ولا يُخرزوا، ولا يُعِينُوا أحداً على المسلمين، ولا يُشَوَّا بِداً بأذى، لكُهم ما ليُّوا حتى خالفوا في كلّ ذلك.

فكان الرسول ﷺ يعاقب من ينقض العهد منهم أوّلًا بـأول، بحسب قبـاثلهم، ولا يُعامِلُهم جميعًا بخيانة قبيلة واحدةٍ منهم.

فخافت يهود بني قينقاع، فحاصرهم الرسول وأصحابه، وألقى الله الرعب في قلويهم، ونزلوا بعد محاصرته لهم خمس عشرة ليلة على حكمه، فنبوسط من أجلهم رئيس المنافقين وعيد الله بن أبني بين سلول، للذى الرسول، وكانبوا حلفاء، وحلفاء فيبلته الخزرجين سابقاً، فاتخفى الرسول بإجلائهم عن المدينة، فخرجوا منها إلى الشام، ونزلوا بالزعات، ولم يأشوا حتى هلك أكثرهم.

واستمرَّ الرسول ﷺ يعامل سائـر اليهود في الصدينة بُحُّنِ الجوار، وبمقتضى بنود العهد والموادعة، في الكتاب الذي كان قد كنبه لليهود، منذ قبم المدينة .

وقد نضمَّن الكتاب إقسرارهم على أوضاعهم الأولى، ومنهـــا الاستصرار على ما كانوا عليه مع غَرَب العدينة في الذّيات، فهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وتــَـفلواً إلى الأخلافِ التي كانت بين عرب المدينة ويهودها، فإنّهم كانوا يشتركون في دفع الديات، وقد أقرّ الرسول ﷺ هذا من أعرافهم.

ودعت المصلحة الاديّة أن يدفع المسلمون دية قنيلين مشركين من بنبي عاصره قتلهما أحد المسلمين، واسمه: «عشرو بن أُمَّيَّة وكان معهما عقد من رسمول الله 郷 لم يعلم به عشرو. وقد فعل وعشرو بن أميّة ما فعل انتقاماً لوقد المسلمين، الذين ذهبوا إلى بني عامر، بجوار سيّدهم وأبي براه بن مالك، وكانوا سبعين رجُلاً، يحملون معهم يطلب من سيّدهم وأبي براه بن مالك، كتاب رسول الله ، كن ولكنّهم لمّا وصلوا إلى الشوم عدا عليهم منهم وعايرُ بن المُقفيل، واستصرخ على المسلمين بعضَ القبائل، فاجابوه، وأحاط بالمسلمين، فقتلهم كلّهم، ولم يُسْلَمْ منهم إلا وكمبُ بن زيسد الأنصاري، فقد تركوه وبه رشّ، فعلش حتى أيل يومَ الخبلة.

إلّا أن النبيّ ﷺ ـ مع ذلك ــ رأى أن يدفع دية القتيلين من بني عــامر، لأنَّ معهما عقداً منه، فقال لعمرو بن أمية: ﴿قَلْدُ قَتَلَتُ قَبِيلِينَ لَابِيْنَهُمَاهِ.

وعملاً بالاعراف والأحلاف المتبعة , في جمع الديات من القرم ومن أحلافهم ، فقد جمع الرسول ﷺ من المسلمين صاجع ، وخرج مع نقر من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، إلى بني النضير ، وطلب منهم أن يُشاركوا في دية القتيلين ، يُشْرِهم بالتزامه بكتاب العهد ، ويحسن الجوار ، ويسلامة نيّه نحوهم ، وبأنّ إجلاة بني قينقاع قد كان بسبب ما كان منهم من شرّ ونقض للعهد .

فقـال رؤساء بني النضير: ونعم يـا أبـا القـاسـم، نُعينُـكَ على مـا أحببت، ممّــا استعنت بنا عليه.

وذهبوا ليفكروا فيما يدفعون من العال، مساهمة في دينة القتيلين، وخلا بعضهم ببعض، ورسول ش 激 قاعدً إلى جنب جدارٍ من بيوتهم، مع النفر من أصحابه.

فقال اليهود في خلوتهم: وإنَّكم ل تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فَمَنْ رجُّلُ يَقْلُو على هذا البت، فيلقي عليه صحرةً فيريحنا منه؟ه

فانتدب لذلك وعمرو بن جُمُّاش بن كعب أحد يهود بني النضير، فقال: وأننا لذلك فنهـاهم عنه أحـد أحبارهم، وهــو سلامُ بن بشُكُم، وقــال لهم: وهـو يعلم، فلم يقبلوا منه.

وصعد وعمّرو بن جحّاش؛ ليلفي على الرسول 秦 صخرة يغتاله بهما، فنزل على رسول الله ﷺ الوحي من السماء بما أراد القـوم، وأنَّ اليهود قـد انتصروا بـه ليفتلوم، وطلبَ منَّه الانسحاب في صمت، فقام وقال لاصحابه: لا تبرحوا حَن انتيكم. وخمرج راجعاً إلى المدينة دون أن يُنخبر اصحابه بـالأمر، وظنُّموا أنَّه قــد ذهب لـبعض حاجته، وهو عائد إليهم.

فلمّــا طال انتظار أصحاب الـرسول قـاموا في طلبــه، فالْنَقَـرُا برجُــل_م مُقَـِــل_{مٍ} من المدينة، فسألوه عنه، فقال: وايتُه داخلًا المدينة.

فاقبل أصحاب الرسول ﷺ حَتَى انتَهَوَّ الِدِء فاخبرهم الخبر، وبما كانت اليهود قد دَبَرت من الفقد به، وشاع في العدينة خبر العكبلةة التي ديّرها يهود بني النضير، لقتل الرسول غيلة وغدراً، وضيّج المسلمون بالتذمّر، وأخذ اليهبرد يلوم بعضّهم بعضاً على هذه الجريمة الشنعاء، ولم يُنكروا مكيدة الغدر بالرّسول.

عندننم أمر الرسول ﷺ بالنهيُّة لحرب بي النضير، والسَّيـر إليهم بعد الـذي كان منهم، واستعمل على المدينة وابَّن أم مكتوم».

وسار بالمسلمين في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، حتَّى نزل بهم، فتحصَّدُوا من المسلمين في حصونهم، وحـاصـرهم وســـول اش 織 حصاراً دام ست ليالو .

وفي هذه الاثناء لعبت اصابح النضاق الموالية لليهبود، فبعث إليهم وهماً من المنافقين، منهم: وعيد الله بن أبسي بمن سلول» رئيس المنافقين في المدينة و ووديعة، وقالِكُ بنُ شُولًا، وسُرِيد، وذاجس، ان البُنُوا وَمَنْكُوا، فيإنَّا لن نُسُلمكُمْ، فيإن قُونِلُكُم قاتلنا معكم، وإنَّ أَغْرِيجُمْمْ مَرْجِنا معكم.

فانتظر يهدو بني النضير منهم أن يُنصُروهم فلم يفعلوا، وخافوا على أنفسهم، وقذف الله الرُّعب في قلوبهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم كما أجلَى بني قيضناع، ويَكُفُّ عن دمانهم، على أنْ لهم صاحملت الإبلُ من الأموال إلاّ السسلاح، فوافق الرسول على ذلك، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجلُ منهم يهدم بنه عن يَجَافُلًا، بابه، ليحمله معه، فيضمه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى

⁽١) نِجَافُ الباب: الخشب الذي يلصق بالجدار عند فتحه الباب، من الجانبين ومن الأعلى.

خيير، ومنهم من سار إلى الشام، وأنزل الله فيهم وبمناسبة ما جرى من هـلم الأحداث سورة (الحشر).

/W\

المفردات اللُّغوية في النصَّ

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾:

استفهام عن عدم وجود الرُّوية ، بمعنى العلم، والفرضُ منه الإعلام بالمستَّقْهم عنه . أو لفتُ النظر إليه لمعرفته . أو التَّنيةُ عليه لاستحضاره في اللـهن، تمهيداً لبشاه ما يراد التعريفُ به وبيانُه من قضايا تتعلَّق به .

والخطاب موجّه لكل مؤمن بـأسلوب الخطاب الإفرادي، ومع هـذا الخطاب يُسْمَع المنافقون، وإعوانهم من الكـافرين الصرحاء، فيحـفر من يُعفّر، أو يُشوب من يترب، أو يكفّ من يكف، ويعلم الجميع أنَّ الله لا يخفى عليه شيء.

﴿ إِلَّ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ﴾:

أي: إلى الـذين سبق منهم النضاق، فهو صنتمرً فيهم، وبمفتضاه يكون منهم تصرّفات منافية لمفتضى الإيمان، وتحدّي فعل وترى، بحرف الجر وإلى، لتضميته معنى فعل وتنظر، فالمعنى: الم تر ناظراً إلى الذين نافقوا.

﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمْ ﴾:

أي: ليهود بني النضير الذين كفروا بـالرسـول محمّد ويسـا جاء بـه عن ربّهم من الحقّ والَّهُدى، وجعلهم الله إخوانهم لأنّهم اشتركوا معهم في هذا الكفر، إذِ المسَافقون كافرون باطناً بمحمّد ويما جاء به عن الله .

﴿ لَمِنَ أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَ ﴾ وَلَكُمْ مُ عَكُمْ ﴾ :

 أي: نُقْبِمُ لكم لَيْنُ أخرجكم محمد إذا أجهدكم الحصاد، ولم تستطيعوا مشاتلة أصحابه، النُخْرِجُنُ معكم. خلام في إليْنَ موطئة للقسم، واللاّم في [لَنَخُرَجُنُ واقعة في جواب القسم، وجوابُ القسم سدُّ مشدَّ جواب الشرط.

﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُو أَحَدًا أَبْدًا ﴾:

أي: ولا نُعِلِمُ في شــأن حربكم وقتـالهم، او إخواجكم، او سلبكم أحــداً أبداً، لا محمّداً وصحبه، ولا غيرهم، فانتم إخواننا وحلفاؤنا.

﴿ وَأَلَّهُ يُشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكُنِيعُونَ ﴾:

 أي: والله يُعْلَمُ عِلْم شهود الاحوالهم ظاهراً وباطناً، ويقدّم شهادتُه بذلك في بيانه للمسلمين المؤمنين. والقـول الذي يشهـد الله به هـو: إنَّهُم لكاذبـون أي: فيـما قـاالـوا لإخوانهم من أهـل الكتاب ويهود بني النضيره.

فعل هشُهده يأتي بمعنى وحَضَرَه ويئاتي بمعنى: أخبر بنانه يعلم بـأن الواقــع هو ما قَدَّمه من خبر عِلْم شهوري، أي: حضور، والحاضر يُدُرِك عاحضره بحواسه.

﴿لِيُولِّكِ ٱلأَدْبِرُ ﴾:

أي: وَلَتُنْ حَضْروا المعركة لِنُصْرَتِهم لَجَيْنُوا عن مواجهة المؤمنين، ولأداروا ظهورهم فارين هاربين.

يىاتىي فعل دولَى، بمعنى داستقبل، وعلى هذا فمعنى وَلَيُـوَلُنُ الأَدْبَارَ، ۚ لَيَسْتَخْبِلُنُّ الأَدْبَارُ فارينِ.

وَدُيْرِ كُلُّ شَيْءٍ: عقبه ومؤخره، وجمعه دأدباره.

﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ فَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾:

لي: لا يفهمون الأمور فهماً سديداً عديقاً. الفقه في اللغة: الفهم المؤدّي إلى العلم المؤدّي إلى العلم المؤدّي إلى العلم بحقيقة الأمر وباطنه، يقال: فقّة بضمّ الفاف، إذا تمكن من الفهم والعلم، حتى صاد ذلك ملكة له، وذلك في العوضوع الذي صاد فيه فقيهاً، وخُلّب القنف في الدلالة على علوم الدين، لأنها أشرف العلوم التي تُمُّهُمَّ وَمُعلم، ويكُلُ الفقه على فهم المعاني الدقيقة والدفقة.

﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَقَّىٰ ﴾:

شُشَّىٰ: جَمْــُعُ شَبَيْت، أي: متفرَق غيـر مجتمع، والمعنى: وقلوبهم متفــرَقة غيـر مجتمعةٍ على رأي واحد، أوعاطفة واحدة.

﴿ لَا يَسْقِلُونَ ﴾:

العقل يأتي بمعنيين، بمعنى الإمساك بالمعرفة في الأداة العاقلة داخل القوة الإدراكية. ويمعني ضبط النفس عن اتباع الهوى يارادة حازمة.

واليهمود النفين لم يسلموا نفه ولرسوله محمّد لا يعقلون على المعنيين، فهم لا يمسكون في الأداة العاقلة لـديهم ما قـد يصلون إليه من معارف تخالف تحريفاتهم وأهواءهم، ولا يُفْيطون نفوسهم عن أتباع الهوى يارادة حازمة.

﴿ كَمَثُلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ مُرْقَرِبَآ ﴾:

المراد يهود بني تَيْنَقَاع الذين أجـلاهم الرسـول ﷺ أوّل من أجلى من اليهود في المدينة .

﴿ وَيَالَ أَمْرِهِمْ ﴾:

أي: سُوءَ عاقبةِ أمْرهم. الْوَيَالُ في اللغة: الشَّدُّةُ، والنُّقُلُ، وسُوءُ العاقبة.

• •

...

مع النَّصَ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ اَلَهُمْ َ إِلَىٰ الَّذِيبَ اَنفُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَيْهِ مُ الَّذِينَ كَفُرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ لَين لَّمْزِجْتُمُ الْنَجْرُمِ مَنكُمُ وَلَا تُطِيحُونُهُ أَسْدَا الْبَادَ إِن فُولِلْتُمْرِ أَنْسُرُكُمُ ... ﴾.

تتحدّث هذه الفقرات من هذا النصّ السوضوع للتدبّر، عن ظاهرة من ظواهر نفاق الذين مرّدوا على النفاق في الصدينة، وعلى رأسهم وعبد الله بنُ أبي بُسُّ سلول،ه وهي ما كان منهم من ولاء في السّرّ ليهود بني النفسو، حين حاصوهم الرسول، كما جاء بيانه في القصة التي سبق ذكرها في سبب نزول سورة (الحش).

﴿ أَلَمْ مَرَ إِلَّ ٱلَّذِيثَ نَاهَعُوا ﴿ :

أي: ألم تَوْ نَاظَواً إلى الذين نـافقوا، وجباعت تعدية فعل وتسرى، بحرف وإلى، لتضعيت معنى فعل وتنظر، والغرض تأكيد الحث على المطلوب، فالاستفهام هنا ليس لطلب الفهم، بل هو مستحمل مجازًا لأغراض انحرى،منها ما يلي:

- (١) الإعلام بالمستقهم عنه وبيانٌ حصوله.
- (٢) لفت النظر إلى المستفهم عنه لمعرفته.
- (٣) التنبيه على المستفهم عنه لاستحضاره في الذهن.

وكـلّ ذلك يكـون بمثابــة التمهيد لهما يراد النصريف به وبيـانه من قضــايــا تتعلّق بالمستفهم عنه.

العبراد: اعلم علماً بَيْناً واضحاً شبيهاً بالـذي يُذَرُكُ بـالحسّ البصري، أورَجُه نظرُكُ للمعرفة، اوتَبُنَّة، أو أحضرُ في ذاتوتك، يَا من له يصيرة من كـلّ من يَصْلُح للخطاب، ما جرى من الذين مردوا على النفاق في المدينة، وتُخذُ جُذْرُكُ منهم، وحاذر أن تسلك مسالك النفاق.

﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَغَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ ﴾:

أي: حالة كونهم يقولون الإخوانهم المشاركين لهم في الكفر اللذي عقد بينهم أخُرقُ خاصَةً، قائمة على الاتحاد في الكفر برسول الله محمد وبما جاء به عن ربّه ، والمراد من إخوان المنافقين هنا يُهُودُ بني النفير، وقد وصفهم الله يقوله: الذين كفروا من أهل الكتاب، وقد دلّت المناسبة والقرائن على أنهم يهمود بني النفير، فلم يمتح وصفهم بنائهم من أهل الكتاب أن يوصفها إيضاً بانهم كافرون، لأنَّ من كفر بعض ما يجب في دين الله الإيمانُ به فهو من الذين كفروا، ولو كان مؤمناً بعناصر أخرى من أركان الإيمان، لأنَّ الإيمان الذي يُخرج من كلَّ دائرة الكفر هو الإيمان بكلَّ العناصر التي يتب الإيمان بها في دين الله، أمّا من يؤمن بعضها ويكفر بعضها فابتُ يُحكمُ الني يعلى بأنه كافر، على أنَّ الكفر له منازل ووركات، بعضها أخسَ من بعض، وأَمَرْلُ من يعض، وأَمَرْلُ من

ونفهم من النصّ أنّهم كانوا يُحكّرُون لهم القول، دلَّ على هذا التكرير استعمال الفقل المضارع، إذ لو كان مرّةً واحدة لكـان المناسب أن تكـون عبارة النصّ: إذّ قـــالوا لإخوانِهمُّ من أهـل الكتاب.

فماذا كان يقول المنافقون لإخوانهم هؤلاء حين حاصوهم الرسول 囊 وأصحابه؟ لقدجاء في النصّ بيان ثلاث مقالات:

المقالة الأولس:

﴿ لَهِنْ أُخْرِجْتُ رُكَ خُرْجَكَ مَعَكُمْ ﴾:

أي: نُقْسِمُ لكم لَيْنُ أَشْرِجُمْم من مساكنكم هي العدينة، بأن عجزتم عن المقاومة والمعراجهة، واضْسَطُرِزْتُم إلَىٰ قبول الْبَضَلام، لَنَخْرُجُنُ مَعْكُمْ من ديبارنا ولنبرافقنكم في جلائكم.

هذه المقالة تدلّ على مثالة مطوية، نستطع فهمها دون إجهاد فكري، وهي: البُشُوا ولا تجبُّوا وقاوسوا الحسار، فنحن معكم وسندً لكم ضمن صفوف أصحاب محمد. وقد جناء في قصّة الحادثة في السيرة، أنهم قالنوا لهم: البُّوا وَمَنْمُّوا فَإِنَّا لنَ نُسْلِمَكُمٌ.

المقالة الثانية:

﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُو أَحَدًا أَبْدًا ﴾:

أي: ونحن لا تُنطِع في قبول الإضرار بكم، وتَرُكِ موالانكُم، أو عدم الخروج معكم أحداً كاثناً مَنْ كان، على مدى المستقبل من الـزمــان، ولــو كــان من الأهــل واللـرُيّة.

هـذا المحذوف في عبارة [فيكم] يُقُهُمُ من بياق الكملام وسياق، ومن قبرائن الحذث، فمن أسلوب الفرآن حذف ما يمكن إدراك ذهناً بالفرائن أو بإشارات بعض الالفاظ.

ومن الظاهر أنَّ هذه الجملة غير داخلة في الْمُشَسَم عليه، بل هي معطوفة على الجملة السابقة، فهي من مقول القول، وغير مؤكَّلة بالقسم، لكن إذا كانت مؤكَّلةً مِنْ جهة المعنى لجملة ﴿لخُرُجُنَّ مَفَكُمْ ﴾ وأنها تكون من توابع المقسَم عليه.

المقالة الثالثة:

﴿ إِن قُونِالْتُعْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾:

اي: وإن قويتأثم من فيل محمد واصحابه، الزيّدنُكُمْ ولنُمايِنَكُمْ ولنُمايِنَكُمْ ولنَدَايِفَكُمْ عنگم، ولنكوفَنْ شُوكاءكم في جيهة الفتال، او مُخَلَّلِين عن مفاتلتكم، ونحن داخل صفوف المسلمين.

وفي التعقيب على هذه المغالات التي كرّر المنافقون قولهــا لإخوانهم في الكفـر من يُهُود بني النصير، جاء في النص القول التالي :

قول الله عزّ وجل:

﴿وَالنَّدُيْتَهُ أَيْهُ الْكَيْبُونَ ۞ لِنِ أَنْهِجُوا لَا يَتَرَجُونَ مَمَهُمْ وَلَيْنَ فُوتِلُوا لَا يَشَرُونَهُمْ وَلَيْنَ ضَّرُوهُمْ إِنَوْلُ ﴾ الْأَدْبَرُ ثُمَّةً لَا يُسَرِّونَ ۞ •

لقد جاء في مقلمة هـذا النعقيب الكاشف لأحوال المنافقين العبـاية لاقـوالهم. بيانٌ عامُّ ينسِفُ كلَّ مقالاتهم نسْفاً، وفي هذه المقدمة يقول افد عزّ وجل:

﴿ وَأَنْلَهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكُونِهُ وَ

أي: فلا صدَّة مطلقاً لايمة مقالية من المقالات الشلاث التي قائموها، فملا ينبغي الاعتمام بمواعيدهم لإنتوانهم من الكافرين، ولا ينبغي أن تُقُّ مشالاًتهم في اعضاد المؤمنين، فالمنافقون بقولون بالسنتهم ما ليس في قُلوبهم.

ولمَّا كان الله عَرَّ وجلَّ يُعَلَّمُ حقيقة المنافقين عَلَمْ شُهُودِ لَمَا فِي صَـُــدُرهـم، فَالَّـه إِنَّا أَشَرَ بِعا يعلَمُ عنهم فَاللهُ يُخْبِر خَيْرَ شهادة، وهو لا يُحَــدُّكُ حديث نــائل أخسِــادٍ عن غيره.

إنَّ خبر الشهافة غَبَرُ مُشاهِدٍ حاضِرٍ مُعَاين، فليظَّمَثنَّ الرسول والمؤمنون، ولَيْكُن

إخوان المنافقين من الـذين كفـروا من أهـل الكتـاب وغيــرهـم على علم بحقيقتهم. وأَيْفُلُم المنافقون أنْقُـلُهم أنّهم لله مكشوفون، وعند المؤمنين بصفاتهم مفضوحون.

وبعد البيان الصامّ المؤكّد بصيفة ويشهده وبأداة التوكيد وإنَّه وبـلام الابتـداء المزحلقة إلى الخبر ولكافيمون، جاء في النصّ تفصيل كذبهم في مقـولاتهم الثلاث، بعباراتٍ مؤكّدةٍ مسوقة بأسلوب القسم في كلّ واحدة منها.

وقد جاء هـذا التفصيل بـأسلوب طرح الاحتمـالات التي يُتَصُوَّر حصـولُها وبيــانِ ما سيكون من المنافقين مع كلِّ احتمال منها.

الاحتمال الأوّل: أن يَتَمرُّضَ إخوانُهم الذين كفروا للإخراج والطرد من المـدينة، وموقف المنافقين عند حصول هذا الاحتمال، هو ما أبانه الله بقوله:

﴿لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَغْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾:

اي: فهم كانتُون في قولهم لهم: ﴿ وَأَنِنُ أَمْرِجُمُمُ أَنْحُرَجُمُ مَنْكُمُۗ﴾ وقد اثبتَ الواقع ذَلِكُ، فقد طلب بنو النضير من الرسولﷺ الجلاء، فوافق على جَلاَيْهم، ولم يُجُلُّ معهم من المنافقين أحد، ولم يستطع المنافقون أن يدافعوا عنهم، ويثبَّدوهم في مساكنهم.

وبافتضاح هـذه المقالة الكاذبة سقطت مقالتهم الثانية التي قالوهما، وهي: ﴿وَلَا يُطِيمُ فِيكُمْ أَحَدًا أَلِدَاقَهِ. فَسُكُوتُ المنافقين حينما أجلى الرسول بني النفسير، وعـذَمُ تقديم أيّ شيءٍ يُثبِّت ولاءهم لهم، وعـذُمُ اتّخاذ ما يحميهم من الجلاء طـاعَـةً جبانةً خَرْسًاء لإجراءات الرسول في إخوانهم.

الاحتمال الثاني: أن يتعرَّض إخوانهم الذين كفروا لمواجهة قتالية يـواجههم بها الرسول وأصحابه.

وموقف المنافقين عند حصول هذا الاحتمال هو ما أبانه الله بقوله:

﴿ وَلَيْن فُونِلُوا لَا يَشُرُونَهُمْ وَلَيْن نَصَرُوهُمْ لِكُولُ ۖ ٱلْأَدْبَــُرُ ﴾ : اي : فهم كاذبون ايضاً في قولهم لهم: ﴿ وَإِنْ فُونِاتُمْ لَنْتُصُرْنُكُمْ﴾. إنَّ المَعَافَقِينَ لَم يَخَالُوا الْغَمَمِ سِيلِ النَّعَاقِ إِلَّا بِسِبِ جُبُيُهِمْ وَلَوَ كَانَتُ لَمُيهِمَ الشَّجَاعَة الكَافِية لَكَانُوا كَسَارُ الكَافِرَيْنِ الصَّرِحَاء، كَانْمُسِ حَقِيقَة هُوَيَّاتِهم، ويُوَاجِهون جَمَاعَة الذِينَ آمَنوا بِعِداءِ سَافِر.

فكيف وهم منافقون مداخلون مخالطون بتصرون إحوانهم الذين كفروا إذا تعرّضوا لمواجهة قتالية مع المؤونين، إنّ المنافقين لو بدرت منهم أيَّهُ بادرة فيها مناصوة للذين كفروا، لكان ذلك منهم من قبيل المخيانة المنظمى، ولانتقم منهم المؤمنون انتقاماً شديداً، والمنافقون بعرفون هذا المحقيقة، ويَجْبُون عن مواجهة ما هـر أقلَّ منها بكير، فكيِّف تكون منهم نصرةً لإخوانهم الذين كفروا في قتال وحالتهم هذه؟!

ومع ذلك فقد طرح النص احتمال أن تاتخلهم ثورة الحميّة عند قيام المحركة الفتالية، فيدخلوا إلمُناصرة إخوانهم الكافرين، لكن موقفهم حينط يكون موقفه المُمُلِين لا المقبلين، إنهم يستقبلون جهة ادبارهم فارين جارين جبناء، حينما يُحرُقُنُ إنَّ الامر جدُّ، وأنَّ المؤمنين العلَّ باس، يعرون العوت طريقاً إلى الفعردوس الأعلى في جنات النميم، فلا يَهَائِرُونَه، وقد يُجبُّون الشهادة في سبيل الله أكثر من حبّ الكافرين والمنافقين للحياة، فقال تعالى:

﴿ وَلَيْنِ نَصَرُوهُمْ لِيُوَأَكُ ٱلْأَدْبُنُو ﴾.

فعاذا يكون حال المنافقين إذا وَلُوَّا الآلِيَارُ فِي حَلَّ هَذَا المُوتَسِمِ الشَـائِن الخَائنُ؟ هَلُ يُنْجُونُ بفرارهم؟ وهل يُشْلِّمُونَ؟ ويَهلُ يَجِلُونَ مَنْ يُنْصُرُهم من الله ومن مُلاحقة الذين آمنوا لهم؟

أجاب النصّ على هذا السؤال المطويّ، فقال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَا يُعْمَرُونَ ۞ ﴾:

أي: ثم مهما تدراض بهم المزمن، فارين بعدد عيانتهم المنظمي للمؤمنين، يُوقُونهم ضدهم مناصرين للذين كفروا، فائهم لا يُكتبُ لهم النصر، عن طريق النجاة بالفرار، أو الخلاص من متابعة المؤمنين لهم، أو الخلاص من نزول عقوبة ألله فيهم المعجّلة في الدنيا، فيأنَّ واحداً من العقاب سيّزل بهم لا محالة، وهذا إنذارُ من الله لهم، إذا انحازها إلى الذين كضروا مناصرين لهم ضدَّ المؤمنين. هـذا الفهم أولى فيمـا أرى من اعتبـار ﴿أَمَّ لا يُنْصَـرُونَ﴾ راجمــاً إلى إخــوافهم الكافرين الصرحاء، فامر أولئك تحكُمُه سنّة الله العامة، بين المؤمنين والكافـرين الذين يتقابلون بعداء سافر وتقاتل مكشوف.

وظاهر كـلام المفسرين يفيـد أنّ ضمير ﴿ثم لا يُنْصَـرُونَ﴾ راجع إلى الكـافرين الصرحاء.

قول الله عز وجل:

﴿ لَأَشَدُّ الشَّدُوهَ مَنَ فِي صُدُودِهِمِ مِنَ القَوْلِكِ النَّهِمُّ مَّوَمٌ لَا يَمْفَقُونِ ﴿ لَا يُعْنِيلُونَكُمْ مِعِيمًا اللَّهِ فَرَى تُعَسَّمُ أَوْنِ وَلَا جُدْرٍ بِأَشْهُم يَنْهُمُّ مَنْدِيدٌ تَعْسَبُهُمْ جَيِمًا وَقُولُهُمْ مِشَقَّ فَلِكَ بِأَنْهُمْ وَمَّ لَا يَعْمَلُونَ ۖ ۞ .

الـذي يظهـر لي أنّ الحديث في هـذا النّصَ يكشف واقع حـال البهود، بشكـل. عام، فـنو النضير الذين نزلت الــورة بشـأنهم هم من اليهود، ومـا ينطبق عليهم يشطبق على سائر اليهود.

أمّا المنافضون فليس من شأنهم أن يجتمعوا لقتال المؤمنين، إذّ لا يجتمعون إلاّ في حالة إظهبار كفرهم، وحيشة لا يكونيون منافقين، فسا جاء عنـد المفسرين من أنّ الآية تتحدث عن حال المنافقين واليهود معاً مستبعدٌ فيما أرى.

والخطابُ في الآية موجَّه للمؤمنين، فالله عزَّ وجل يخاطبهم بقوله:

﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِ صُدُورِهِم مِنَ ٱللَّهِ ﴾.

يقال لغةُ: رَهِبُهُ يُرْمَبُهُ، رَهَبًا، وَرَهُبَةً، وَرُهُبَاً، إذا خَافَهُ. ويُقَـالُ: رُهِبُ فُلاَنُ إذا ف.

فالدَّرُقْبَةُ وَشُكُ يَكُونَ فِي صَدَّرِ الخَائِف، وهم البهود هنا، أمَّنَا العَوْبَشُونَ فَمَرُهُويُونَ مَخُوفَ بَنُهُمُّ، فَكَيْفَ جاءت الرهبُّ فِي الآية وصفاً للذين آمنوا؟ وكيف يكون العَوْمَونَ أشَدَّرَ مُنَهُ فِي صدور اليهود من الله؟ فهل نقول كما قال الزمخشري: الانتم أشدُّ مرهوبيَّة فِي صدورهم من الله؟ أقد ل:

إنَّ الآية تجعلُ خُصُّـوزَ الَّذِينَ آمنوا في صُدُّور الههود حالة كونهم رجالُ قتالر ويأس، على شكل خواطرَ ومشاهد صُورٍ مقاتلين، بمشابة حضور الرُّقِبَةِ في صُدُورهم، فَكَالَّ الرُّقِبَةَ غُنُصُرُ من عناصر صُورِ المؤمنين التي تمرُّ في صدُورهم على شكل خواطر.

والمعنى: لأنتم ينا أبها العؤمنــون إذا تمثّلُتُمْ في صدورهم كــان من صفاتكم في داخلهم صفّةُ الرهبة الّتي تخلع فلوبَهُمْ، وكنتم أشدّ رهبةً فيها معا يُحْدِثُهُ ذكرهم لله.

إنَّها لفكرة عجبية صعُّ معها أن تكون الصفة التي هي للخائف صفةُ للمخوف .

أو نقول: في الكلام مضاف محذوف، والتقدير: لأنتُمّ بإرْهابكُمْ لهم في القتــال المنذُ إحداثَ رهبةٍ في صدورهم من رهبتهم من عقاب الله إذْ يُذْكُرُونَ عقابه.

والمسراد من الصدر دائرةً في عُمنيّ الإنسان نشتمل على دائرة أعمق منهما يكون فيها القلب، وضمن دائرة الفلب دائرة ألهنيّ منها يكون فيها الفؤاد، وحول دائرة الصدر في الحباشية من المظاهر تكون دائرة عموم النفس، حيث تسرتم الأهواء والشهوات المعلميّة داخل النفس.

فما يصل إلى الصَّدْر من الانفعالات والعـواطف فقد دخـل في مستوىً عميق من النفس(١).

وأبان الله عزّ وتبلّ السبب في كون الذين تفروا بمحمّد وبما جاه به عن ربّه من اليهود يرهبون المؤمنين في الفتال اكثر من رهبتهم من عقاب الله، فقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَلْتُهُو النَّمُ اللّهُ مُفْتَهُونَ ۖ ۞ ﴾.

 ⁽١) أنظر تحليل النفس في الباب الثاني والإنسان في دائرة الدلالات الفرآنية، من كتاب والأخملان
 الإسلامية وأمسمهاه للمؤلف.

المشارُ إليه بعبارة ﴿ وَلَكِنَ ﴾ هـ ﴿ لاَنَّمُ النَّـ ُ رَمَنَةً فِي صُدُورِهِم بِنَ الله ﴾ ، وقـ لا رجع اليبان في هذه النمان ﴿ المِ تَرَكُ اللهِ عَلَى النمان ﴿ المِ تَرَكُ اللهُ وَلَكَ ﴾ لخطاب المفرد، ولنا كانت الرهبة لا تحدث في قلوبهم إلا إذا اجتمع العؤمون على قالهم خاطب الله جماعة المؤمنين بقوله: ﴿ لاَئَمُ مُنَ اللهُ مَنَا اللهُ مِنَا اللهُ اللهُ مِنَا اللهُ اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ اللهُ مِنَا اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ اللهُ مِنَا اللهُ مِنْ اللهِ مِنْ اللهُ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللّهُ مِنْ أَلْمُنْ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّ

والباء في: ﴿بِأَنَّهِم﴾ سببيَّة، أي: بسبب أنَّهم قومٌ لا يفقهون.

ولكن كيف نتضوّر أن يكون عدم فِقْهِهِمْ سبباً في أنَّهم يرهبون الـذين آمنوا أكشر مما يرهبون عقاب الله؟

لقد عرفنا أنَّ الفقه هو فهم دقائق الأمور وأعماقها وتخاياها، وبعد التذكير بهذا نستطيع أن تُدَوِّك أنَّ الذين كفروا قد تعلَّشوا بالنظواهر والسَّطْمِيَّاتِ التي يَشْهَهُ مُوفَها بحواسّهم، وألِّي يفهمونها من قريب دون تعمَّق في التفكير، ودُونُ أن يستندوا إلى مفهرمات العقائد الإبنائيّة التي يشتمل عليها الإبمان بالف واليوم الآخر.

والنظراتُ السطحيَّة تكْشفُ لَهُمْ أنَّ جماعة المؤمنين الصادقين حينما بُواچهُون أصداءُكُمْ فِي معارك القتال، فإنَما يواجهونهم بقلوب ثبابتغ، كانُها تَشَفَّقُ السوتُ والاستشهادُ في سبيل الله فهم يقاتلون بيأس شديد يستعملون فيه كلَّ طاقاتهم الجسديّة والنُّهْبِية.

والَّذِينَ كَفُرُوا لا يستطيعونَ أَنْ يُجبُّوا العوت، لانقطاع آمالهم بمنا يعد السوت، فهم لا يستطيعون أن يقاتلوا بكل طاقاتهم الجسدية والنفسيّة، وهذا يكشفُ لهم الفرق الكبيـر بين المقاتل العؤمن ويُيِّن المقاتـل من جماعتهم، الأمر الذي يضفف الرُّعْبُ والرُّمُيَّةُ فِي تلويهم، بنسبة عظيمة.

آمًا إيمائهم بافد واليوم الأخر _ إنَّ كانوا من الذين يؤمنون بالأخرة _ فهو ليمسان لم يَنْلُغُ مبلغ الفقه الصحيح، حتَّى يرهبوا من عقـاب الله رهبةُ رادعـة فهم عن الكفر، ودافعةً فهم إلى الإيمان بمحمّد ربما جاء به عن ربّه.

إنّ من مفهوماتهم الاعتقادية ما جاء في قبولهم: ولَنْ تُنسَّنَا النّبار إلّا آيامـاً معدودة، فهم لا يرهبون من عقاب النار في الاخرة رقميةً كبيرة، سبّبها عدم بْفْههم في دين الله. ومن مفهوماتهم الاعتقادية ما جاء في قولهم: وتُحَنَّ أيناءً الله واحبًا أوه، هم لا يرهبون من عقاب الله لهم في الدنيا رهبةً كبيرة، سَبُهُما عدَّمُ ففههم في دين الله. وعدمٌ فقههم لعدل الله يمالنسبة إلى جميع عباده، وعدَّمُ ففههم لتساوي الناس في عبوديتهم لله، وأنَّ الله يعامل عباده من مُخْتَلِف الأجناس والأصناف والألوان يقانون واحد، وسنة واحدة.

إلى غير ذلك من مفهــومات فـاسـنـة حــول عقائـنـــ الدين، وسنن الله في الكــون. وهي ندلُ على أنهم محرومون من الفقه في واقعهم.

وبما أنهم قد أنتُرُوا وتَوَلَّوا وافضين تقهُم الحقائق الدينيّة والسُّنَ الرَيَائيّة الكويئة. مُهِّمَا نَصْحُهُمُ الناصِحونَ، وتأبّعُهُم بالبيان والشرح والتحليل المعلّمون المغقّمون، لَنْشُبِّهُم بِمغهوماتهم الفاسدة التي هم عليها، فإنَّهُمْ لا يُفْقَوْن، أي: لا يُناهِمُون أمارك المعرفة الدقيقة وذلائها وبراهينها حَيْ يَغَفُّهُوها، فهم على توالي البيانات والتصالح والإرشادات والإنذارات في تتابع الأزمان لا يُفْقُهُون.

كيف يُفَقَّهُ مَنْ خَجَبُ عن المعرفة حواسّه الظاهرة والباطنة، وانفَلَقَ على نقسه. واستَخْجَرْ فِكُرُهُ على مفهوماته الباطلة أو الفاسدة أو النـاقصة؟! ألا فَلَيْـدَّمَنَّهُم قول لله عزّ وجلّ:

﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ فَوْمٌ لَّا يَفْفَهُونَ ﴾.

ولمو ألهم كانسوا يُقْقَهُونَ لكانت رهبُيُهمْ من الله أشَدَّ من رهبيتهم من أي مرهوب في الوجود، ولدفعتهم هذه الرهبة من الله إلى الإيسان بمحمّد وبما جاء بـه عن ربَّه، والعمل بمقتضى هذا الإيمان، ولكاتُـوا مع الـذين آمَنُوا إخواناً متحـايين، يمملون مثل عملهم، ويقاتلون مثل قالهم.

نهي الفقه لا يستلزم نقمي كل معرفة وعلم، فاللذي لا يفقه حقائق المشهومات الديئية والسُّنن الرَّبائية الكونية، قد يعَلَمُ مما دون ذلك أشيباء كثيرةً من أصور الحياة المدنيا، وشهواتها، ومتاعها، وزينتها، وعافيها من قوى وطاقات واسْباب ومنشيات، لكنّه غي الله والاخرة مدير أو مُعْرِضُ أو غافل، كما فال الله عيز وجبل بشمان عموم الكافرين وهم أكثر الناس، في سورة (الروم/ ٣٠ مصحف/ ٨٤ نزول):

﴿وَلَكِئَأَ كُثَرَاتَاسِ لَابِمَلْمُوكِ۞ يَمْلَتُونَ ظَيهِرَاءِنَ لَلْمِزَوَالدُّيَاوَهُمْ عَنِ ٱلْخِرَوَالْمُ غَيْلُونَ ۞﴾:

وبعد كشف حالة اليهرد الداخليّة بـالنسبة إلى المؤمنين، وبيـان أنَهم يـرهبـون المؤمنين أكثر منا يرهَيُونَ الله، أبـان الله عزّ وجـلُ أثر هـنـه الرهبـة النَّمْسِيّة في سلوكهم الظّاهر، فقال تمالي:

﴿ لَا يُعْنَيْلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّافِ قُرَى تُصْسَنَةِ أَزَّين وَلَلْهِ جُدُّرٍّ ... ٥٠٠

جميعاً: كلمة وجميع، على وزن وفعيل، ثاني بمعنى ومجموع، اسم مفعول من وجَمَشَهُ إِذَا ضَمَّ بِقَضَدُ إِلَى بعض. وتاني بمعنى ومُجَمَّعِ، اسمِ فاعل، من فسل واجَتَمَع، وهذا من التنوشُع على غير القياس المنيع، وتأتي دالَّة على التأكيد بمعنى وكُلَّ،

وكلمة وجميعاً في التش هنا حال بمعنى ومجتمعين أو ومجموعين، وهذه الحال تَصْلُح لأن تكون حالاً من فاعل يقاتلونكم وهو ضمير الرفع، أو من المقعول به، وهو ضمير النصب.

أي: لا يقماتلونكم حالمة كونهم مجتمعين لقمالكم، أو حمالةً كمونكم مجتمعين لقتالهم.

وأَرْبَحُ الاحتمال الساني: اي: حالة كرنكُم مجتمعين لقسالهم، لأني ارى أنّ المؤمنين إذا كانوا مُشَفَرُقين، أركم يجتمعوا جميعاً بمعظم قراتهم لقتال البهود، فإنّ البهود لا يرهبونهم حيثتني، فيقاتلونهم دون أن يكونوا في قُرىً مُخصَّنَةِ أَوْسَ ورَاءِ جُدُّوٍ، فينهي أن نفهم النّصَ على ما يُطابق الواقع.

وقند رأيت ظاهر عبارات المفسرين اقتصر على الاحتمـال الأول، دون طـرح الاحتمال الثاني، فضلًا عن اعتماده.

فدلَ هذا البيان على أنّ المسلمين إذا اجتمعوا لفتال اليهود قـذف الله الرعب في قلويهم، فلا يضائِلُونهم إذا فـاتلوا إلاّ في قُـرىٌ مُحَصِّنَـةٍ، أو من وراء جُـدُرٍ، كجُــدُو الدِّبَابات والمصفّحات، والبوارج المعربة، ويقتصر قتالهم غالبًا على قتال الدّفاع، ^{دون} قتال الهجوع وجهاً لوجّع.

وليزيد الله المتؤمنين طُمئانية بالنَّسْبَة إلى المدّين كفروا من اليهـود، أبان لهم أنَّ ما قد يرونه ظاهراً من وحـلة كلمة اليهـود، واجتماعهم على قـادتهـم، إنَّما هــو اجتماع ظاهريَّ مصطنع، غير قائم على أمـلس اتفاق حقيقيًّ بين قلوبهم، قال تعالى :

﴿ إَلْسُهُ مِ يَنْهُ مُ شَدِبِدُّ غَسَبُهُ مَ جَيِمًا وَقُلُوبُهُمْ شَقٌّ ٠٠٠ ۞ ﴾:

أي: بأشهّم بن جماعاتهم وفرقهم ومشاهيهم وأحزابهم وأفرادهم بأسُّ فَسَديد، والمعنى: إذا وقعت حرب أو معارك فيما بينهم كانبوا فدي بأس شديد على بعضهم، لعلم كلَّ فريق منهم بجبن الفريق الأعنى، وجرَّصِه على الحياة الدّنيا.

البأس: الشدّة في الحرب.

فياذا نظرت إليهم أيها الناظر من يُشدٍ، ولم تُشاجِلُهم ولم تخالطهم خَسِبَقُمْ متفقن مجتمعين، وأنَّ هذا الموصف مستمرٌ فيهم، لكنَّ للوبهم متضرفة هشتُّن، بسبب اختلاف اهوائهم، ومصالحهم، ونزعاتهم، ونزغاتهم، ولماهيهم وأحزابهم.

والمراد: فلا تُخْشُرا يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا مِنْ مُلاَقاة اليهود في قتال جادُّ تكونو^{ن فيه} مؤمنين حقًا، ومجتمعين على قتالهم ، فإنَّهم لَنْ يُنْشُوا لقتالكم .

بعد هذا أبــان الله عزّ وجــلُّ الــُـنِبُ في النّ بأسَهُمْ بينهم شــديد، وفي الْ قلوبهم متفرقة متعادية متخالفة، ولو كانوا في الطاهــر بَيْدُون الانضاق ووحدة الكلمــة والصف، فقال تعالى:

﴿ وَلِكَ بِأَنَّهُ مُرْ مَوْمٌ لَّا بَعْدِيْلُونَ ﴿ ﴾:

لي: لا يضبطون نفرسهم وسلوكهم بـإرادات حــازسات، عن اتبــاع أهـــواثهم وشهواتهم، والاستجابة للتحاسد والـتباغض فيما بينهم.

العقل في اللَّغة: يدور حول معنى الإسساك بالشيء، وحبسه وربط، واستعملت مادة وعَقَلُ يُغْقِل، ومشتقاتهما في القرآن، بمعنى العقــل الإرادي، ويعمنى العقــل العلمي . ضالعقل الإرادي: يكون بحبس النفس وضبطها عن فعل الشير والمعصية وكـلّ ما لا يحسن نعله بإرادة حازمة قوية.

والعقل العلمي: يكون بربط الفهم وحبسه وتثبيته في الدائرة التي من صفاتها داخل الغس التفكّر والفهمُ والمعرفةُ والعلم، والتمييز بين الحق والساطل، والخير والشرّ، وتثبت المعلومات، وتذكّرها عند الحاجة إليها⁽¹⁾.

* * *

قول الله عزّ وجل:

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن مَّلِهِ مِرْمَيًّا ذَاهُوا وَيَالَ أَمْرِهِمْ وَلَمْمَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ﴾.

مُثَل: هنا بمعنى ووصف.

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ مُوقِيبًا ﴾:

هم يهبود بني يُنْقَاع، الذين أجلاهم الرسول بسبب ما كنان منهم من نقض للعهد، وخيانة، وتعرّض بالأذى لبعض نساه المسلمين، واستعدادهم لحرب الرسول والذين آمنوا معه.

والمننى: حال يهدو بني النضير في خيانتهم واحتسائهم بحصونهم، ثم استسلامهم، وطأبهم قُبُولُ جلام، ثم استسلامهم، وطأبهم قُبُولُ جلام، كما قبل الرسول من يهود بني فَيُقَاع الجلام، يُشبهُ حال بني فَيُنَقَاع اللي مضى قرياً، إذْ دانوا سُوء عاقبة الأمر الذي صدر عنهم، فحاصرهم الرسول ثم قبل جلامهم عن الصدينة، إرضاء لوساطة عبداله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين في المدينة، على أن بأخذوا أموالهم واثقالهم وخفيف صلاحهم. فخرجوا من المدينة إلى الشّام، حتى نزلوا بأفرعات وأتماموا فها، ولكنّهم لم يلشوا إلاّ قليلاً، حتى هلك أكثرهم، ونالوا جزاء خيانتهم وغدرهم ومكرهم ومحاربهم الله ورسوله.

[ولهم] فوق ذلك [عذابٌ اليم] عند ربّهم يوم الدين.

⁽١) انظر تنمة بحث العقل في كتاب والأخلاق الإسلامية وأسسهاه للمؤلف.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ كَنَدْلِ الشَّيْكَ إِذْ قَالَ لِلْإِنْنِ الْحَدُّ فَلْتَاكَثَرُ قَالَ إِلَيْ بَرِئَ مِنْكَ إِنَّ أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْمَدُّفِينَ ۞ فَكَانَ عَفِينَهُمْ النَّمَا فِي النَّارِ خَلِيْنِو فِيهَا وَقِكَ جَزَّزًا الظّالِينِ ۞ ﴾.

ماتان الآيتان تكشفان النّشاق المُنيَّز المناقس الذين وعلوا إخوانهم من الكافرين الصَّرِحاء الحَوانهم من الكافرين الصَّرِحاء الصَّرِحاء وسَّدَوْهُم إِنصَالِه السَّرِحاء الصَّمِدُو والتَعْسَع ضدَّ الرَّسُولِ، والمؤمنين معه، وقالوا لهم: لَيْنَ أَخْرِجُمْ النَّمْرَجُنُّ معكم ولا تُطلِعُ فيكم احداً أسلاً، وإن قدولتُم لتَصُرُوهم بشيء، وبين الشيطان الذي يعد الإنسان ويشهر ومع ولسلمسوهم، ولين الشيطان الذي يعد الإنسان ويشهر ورم، ويقولُ له: اكَثَرَد للنَّاسِينَ المُناسِدَعِم، فين الشيطان الذي يعد الإنسان ويشهر ورم، ويقولُ له: اكْتُرد للنَّسْرَبَه، فَيْقُولُ الشيطان الكَابِرُ الشيطان للكَابِرُ الشيطان الذي يعد الشيطان الذي يعد المناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك الله ولهم المناسِك الله ولهم المناسِك المُناسِك الله ولهم المناسِك الله ولهم المناسِك المُناسِدُن الكَابِرُ الشيطان الله ولهم المناسِك المناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المُناسِك المناسِك المناسِ

الشيطانُ منافقُ جبانُ، وشُولسُ خَلَس، والمنافق شيطان جبان وَسُواسُ خَلَس، وكلاهما إذا حدّنا كـذبا، وإذا وعـدا أعلفا رإذا التُّبِينَا خَانَا، وإذا خَاصَمَـا أَخِرا، وإذا عاهدا غدرا، وإذا استُنْصِراً خَذَلا، وكلاهما يُمْرِيان ويُقْوِيان، لاشتراكهما في الصفات الأساسية التي ينجم عنها النّفاق، وأعمالُ الشياطين.

وإذْ قد تماثل جنس الشيطان وجنس المنافق في صفاتهما وفي سلوكهما، وفي كفرهما، وفي تحريضهما على الكفر، ومقاوسة الإيمان الحق والمذين آمنوا، أبنان الله عزّ وجل أن عاقبة الفريقين أنَّهما يوم الدين يكونان في النار خالذُين فيها، عضاباً لهما، على ماكان منهما في حباة الابتلاء في الحيلة الدنيا، فقال تعالى:

﴿ فَكَانَ عَنْهِ مَنْهُمَّا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَلِدَ يُرْفِيهَا ... ١٠

وقد أثبتُ أنَّهُما في النار اعتباراً بما سيكون متحققاً، فما سيُتحقَّق وقوعُه حتماً هو بشرّة الأمر المواقع فعملاً، قَيْمَتُرُّ عنه بـالمــاضـي ويُعبِّرُ عنه بـالحــال، كمـا يُعبَّرُ عنه بالاستقبال. ولبيان أنَّ عمل المنافق وعَمَلَ الشيطانِ كلاهما من قبيل الظُّلُم الشَّمَيع ، ولبيانِ أنَّ كُلُّ مَنْ ظُلَمَ بِثْلُ ظُلْمِهما كانت عاقبُه أنَّه في النار خالداً فيها قال الله عزَّ وجل في ختام النصّ :

﴿وَنَالِكَ جَزَّزُوا ٱلظَّالِمِينَ ۞ ﴾:

أي: وذلك الْمَجْزَاءُ الىذي تَبْتُ لَهِمَا يُنْبُتُ جَزَاءُ لكل الطالمين الذين يطالمون طُلماً مشابها لظَّلْمِهما، فَفَاتُونُ الله واحد، وسُنَّةُ الله في عباده واحدة لا تتبدُّل ولا تنغير ولا تنحرّل.

أقسول

إِنَّ قول الشيطان الإحسان: اكفر، فلمَّا كفر قال: إِنِّي بريء منك، إِنِّي أخاف الله ربَّ العالمين، بينغي أن يكون شاملاً كلَّ إنسانٍ أخراه وأغراه ووسوس له الشيطان فاستجابَ له فكفر، فشأن كلَّ إنسان كفر بتأثير دعوة الشيطان له أن يكون سع الشيطان يوم القيامة في النار خَالِدَيْنِ فيها.

وَخَمْلُ هَذَا النصَّ على قصَّةٍ بعينها لا يستقيم مـع عموم النَصَّ، وشمــول سُنَّةِ الله في عباده.

أمّا الاستشهاد استثناساً بالحوادث والقصص بعد بيان عموم دلالة النصّ فأمّرٌ غيـر مرفوض.

ومن القصص التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال ما يلي:

 (١) ووى الطبراني يستنده عن ابن عباس قال: جاء إيليس يوم بدر، في جنّدٍ من الشياطين، معه وايته، في صورة رجل من بني مُذّلهج، في صورة سُرَاقَةً بْنِ مَالِك بنِ جُعشْم.

فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جارً لكم. فلمًا اصطفًا الناس، أخذ رسول (本 義 قبضةً من التراب، فرمن بها في وجموه المشركين، فولُّوا مُذْهِرِين.

وأقبل جبريـل إلى إبليس، فلما رآه، وكـانت يده في يـد رجُل ٍ من المشــركين،

انتزع إبليس يده، فولَى مُدْبراً هو وشيعته.

فقال الرجل: يا سُراقة، تزعم أنَّك لنا جار!

قبال: وإنِّي أرَىٰ ما لا تبرون، إنّي أخاف الله، والله شديد العقباب وذلك حين رأى الملائكة .

وأنزل الله قوله في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿ وَإِذْ نَيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعَمَدُ لَهُمْ وَقَالَ لَا قَالِبَ لَكُمُ ٱلْبُوْمَ مِنَ انتَاسِ وَإِنْ جَارٌ لَكُمُ مَّ فَلَمَا تَرَاهُ فِي الْفِتَنَانِ نَكُصَ عَلَى عَبِمَيْهِ وَقَالَ إِنِّى مِنَ ثَيْنَكُمْ إِنَّ أَرْفَعَمَا لاَ تَرَوْنَ إِنْ أَغَافُ اَقَدُوا لَقَسُدِيدُ ٱلْفِصَابِ ۞ :

﴿نَكُصْلُ»: أي: رَجَعَ الْقَهْفَرَىٰ على قَفَاهُ هـاربـاً، يقـالُ لَفَةُ: نَكَصَ يَنْكُصُ وَيَنْكِصُ نَكُوصاً.

(٢) ومنها قصة العابد الراهب الذي ذكر القصَّاصُونَ أنَّ اسمه وبرصيصاه.

وقد وردت قصته دون ذكر اسمه في روايـات عن عليّ وابن مسعود وابن عبّـاس رضى الله عنهم، وعن طاوس ومقاتل بن حبان.

فروى اين جوير بسنده عن عليّ رضي الله عنه قال: إنّ راهباً تَشَدُّ ستين سنة، وإنّ الشيطان أرائهُ فاعيد، فعمَدَ إلى امرأةً فَأَجَنُهَا، ولها إخسوة، فقال لإخسوتها: عليكم بهذا الفَسّ، فيداويها.

قال: فجاءوا بها إليه، فداواها، وكانت عنده، فبيتما هو يوماً عندها إذْ أعجبته، فاتاها، فحمَلَتْ، فعمَد إليها فقتلها.

فجاه إخوتها، فقال الشيطان للراهب، أنا صاحبك، إنَّك أهيتني، أنا صنعت هذا يك، فاطعني أَنْجِكَ مَا صَنْتُ بك، فاشجَدُ لي سَجِدَهُ، فسجد، فلمَّا سَجَدَ ك قال: إنّي بري، بنَّك، إنّي أخاف الله ربّ العالمين، فذلك قوله تعالى:

﴿ كَنَالِ النَّبِكُورِ إِذْ قَالَ اِلْمِرْسَنِ الْكُثَّرُ فَالْمَالِكُمْرَ قَالَ إِنْ مَرْقَةٌ تُسْكَ إِنَّ أَخَافُ الْمَرَبُ الْسُكِيدِينَ ۞﴾: وروى ابن جرير في هذه الأية عن ابن مسمود: قال: كمانت امرأة ترخى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بـالليل إلى صــومعة راهب، فنــزل الراهب، ففـجــر بها، فحملت.

فاتاه الشيطان فقال له: التَّنْلُها، ثم ادفنها، فإنَّـك رجل مُصَدِّق، يُسْمَعُ قَـرُكُكَ. فتتلها، ثم دفنها.

قال: فأتر الشيطانُ إخوتها في المنام، فقال لهم: إنَّ الراهب صاحبُ الصومعة فَجَرْ بِأَختكم، فلمَا أخْبُلها تنلها ثم دفنها، في مكان كذا وكذا.

فلمّــا أصبحوا قـــال رجلٌ منهم: والله لقــد رأيت البارحــة رؤيا مــا أدري، أقصُّهــا عليكم أمّ أترك؟

قالوا: لا بل قُصُّها علينا. فقصُّها.

فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيتُ ذلِك.

فقال الأخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك.

قالوا: فوائله ما هذا إلَّا لشيء.

قال: فانطلقوا، فالسَّقَدُوا مُلكِمُهُم على ذلك الراهب، فاتوه، فأَنْزُنُوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان، فقال: إنّي أنا الذي أوقعتك في هذا، ولن ينجيك مه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة، وأُنجيك مما أوقعتُك فيه. قبال: فسجد لـه، فلمّا أثنوا به ملكهم تبرًا منه، وأُنجِذْ فَقِيلَ

الفهشرس

نحة	الموضوع الم
٧	بين يدى الكتاب
	المقسم الأول
	مقدمة وتعريفات عامة
11	القصل الأول: مقدمة عامة
17	(١) النفاق وخطره العظيم
11	(٢) تسلل المنافقين وإفسادهم من الدخل
14	(٣) صناعتهم للنكبات والفنن الداخليُّ
۲,	(٤) خطأ بعض الدعاة بشأن النفاق
۲٥	المفصل الثاني: الإيمان والإسلام
¥0	أُولاً : الإيمان
YA.	ثانياً: الإسلام
۲۸	تعريف الإسلام
4	اقسام معلني الإسلام
0	المفصل الثالث: الكفر والنفاق
	أولاً: الكفر.
٥	(۱) تمهید
٥	(۲) تعریف الکفر
	(۳) الكفر دركات

الصقح		٤	الموضو
	 		_

	ثانياً: النفاق
ρY	(۱) تعريف النفاق
9 0	(٢) النقاق سلوك مركّب
٥٦	(٣) أقسام المنافقين باعتبار وضعهم عند نشأة نفاقهم
٥٩	(٤) أقسام المنافقين باعتبار موقعهم في الكفر.
11	(٥) دوافع النفاق
۸۶	(٦) أقسام المنافقين باعتبار غاياتهم ودوافعهم
77	(۷) درکات النفاق
٧٢	(A) النفاق الأصغر
٧٧	(٩) تخوّف الصحابة من النفاق الاكبر والأصغر
۸Y	(١٠) المنافق في التشبيهات النبوية
Α٣	(١١) من صفات المنافقين الجسديَّة
٨٥	الفصل الرابع: مجالات المنفاق وصور منها
٨٥	(١) مقدمة حول مجالات النفاق
۸٧	(٢) النفاق الأصغر (وهو الرياء)
٩,٨	(٣) نفاق الجاسوسيّة
٠.,	(٤) النفاق في السياسة والإدارة والحكم
٠,	(٥) النفاق في التعامل المالي
۳۰۱	(٦) النفاق بتقديم الخدمات والمساعدات الإنسانية
١٠٤	(٧) النفاق الاجتماعي بين الأفراد
	الفصــل الخـامس: ملخَص صفـات المشافقين النفسيـة وآشارهــا في سلوكهم الـظاهـر
٠٧	
۰٧	(۱) مقلبة
٠.٨	 (۲) ملخص صفات المنافقين المفتيسة من النصوص القرآنية

اقسم الثني تدبّر التصوص القرآبة التي نزلت بشأن المنافقين مرتبة بعب ترتب النزول

جدول النصوص الموضوعة للتدبر ١٤١
المتص الأول: من سورة (العنكبوت) الإنان (١٠ ــ ١١) حول بدايات ظاهرة النفاق في
المجتمع الإسلامي١٤٧
المتص الثاني: من سورة (البقرة) الأيات من (٨_ ٢٠) حول تعريف النفاق وذكر طـاثفة
من صفات المتافقين وظواهر النفان في السلوك
المتص الشالث: من سورة (البقـرة) الأينك من (٧٥_ ٨٢) حـول تـوجيـه المؤمنين أن
لا يطمعوا في أن يؤمن لدعوتهم ساففو اليهود وسائرهم
المنصى المرابع: من سمورة (البقرة) الأينات من (١٤٢ ــ ١٤٥) حول مشباركة المسافقين
بإثارةَ الشُّبَهِ بشأن تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة
النص الخامس: من سورة (البقرة) الأيات بن (٢٠٤ ــ ٢٠٧) حول بعض صفات فريق
من المنافقين وظواهر من سلوكهم وهم من الجبارين
لتصى السادس: من سورة (الأنفال) الأبات من (٤٩ ـــ ٥٥) حول قول المنافقين بشأن
النَّذُريين من المؤمنين إبَّان غزوة بدر: غرَّ هؤلاء دينهم
لئص السابع: من ســـورة (أل عمران) الأيات من (٦٩_ ٧٤) حــول مكيــدة أخبــاث
اليهود بالدخول في الإسلام نفاقاً ثم الارتداد عنه لإغراء غيرهم بالرَّدة ٢٦٦
نص الشاهن: من سورة (أل عمران) الآيات من (١١٨ ــ ١٢٠) حول نهي المؤمنين
عن اتخاذ بطانة من المنافقين لأنهم مفسدون مبغضون مغطون
: مقدمة عامة للنصوص (٩) و (١٠) و (١١) من سورة (آل عمران) حول ما جاء بشأن
المنافقين وظواهرهم السلوكية بمناسبة أحداث غزوة أحد ٢٠٠٣
(۱) موجز معركة أحد
(٢) مواقف المنافقين في غزوة أحد

الصفحة	
outal)	الموضوع

	النص التاسع: من مسورة (آل عمران) الأيسات من (١٥٢ ــ ١٥٨) حول أحمدات غزوة
411	أحد وبعض ما كان من المنافقين فيها
	النص العباشر: من سبورة (أل عميران) الآيبات من (١٦٥ ــ ١٦٨) حول بيبان بعض
	مـواقف المنافقين في غـرّوة أحد وإقناع المؤمنين بأن صاجري لهم قــد كان من
220	القسهم
	التص الحادي عشر: من سورة (أل عمران) الأينات من (١٧٦ ــ ١٧٩) حول النَّذين
	بدؤوا خطوات النفاق إيّان غـزوة أحد ومـــارعتهم في الْكفر وتـربية الله رسـولــه
1	والمؤمنين بشأنهم
**	 عظات حركة النفاق اقتباساً من النصوص القرآنية المنزّلة في صورة (آل عمران)
***	• مقدمة عامة: حول موجز غزوة الاحزاب
	النص الثاني عشر: من سورة (الأحزاب) الآيات من (٩ ــ ٢٧) حول سواقف المنافقين
4 7.8	وظواهرهم السلوكية إيّان غزوة الأحزاب
	 نظرة عامة حول بعض ما جاه في سورة (الأحزاب) بعد هذا النص ممّا له تعلُّنُ
113	ما به
	 مقدمة عامة: حول عادة التبني الجاهلية وإلغائها وإلغاء أحكامها وكل آثارها وتكليف
£ 40	الرسول أن يكون أوَّل مطبق لهذا الإلغاء وموقف الكافرين والمنافقين من ذلك .
	النص الثالث عشر: من سورة (الأحزاب) الأيـات من (٣٦ ــ ٤٠) والآية (٤٨) حـول
	موقف المنافقين من زواج الرسول مطلقة وزيـد بن حارثـة، الذي كــان قد أعتقــه
110	وتينًاه
	النص الرابع عشر: من سورة (النساه) الأيات من (٥٩ ــ ٧٠) حـول تحاكم المنافقين
373	إلى الطاغوت وقد أمِرُوا أن يكفروا به
	التص الخامس عشر: من سنورة (النساء) الأينات من (٧١_ ٨٤) حول ظنواهـر من
0 • £	النفاق تبرز عند الدعوة إلى القتال وبعده
	لنص السادس عشر: من سـورة (النساء) الأبيات من (٨٨ ـــ ٩١) حول السياسة التي .
٥٧٢	ينبغي معاملة المنافقين بها حسب اختلاف أحوالهم
	لنص السابع عشر: من سورة (النساء) الأيات من (١٠٥ ــ ١١٦) حول ما يجب على ·

الصفحة	الموضوع

٥٨٧	القضاة والحصوم وأنصارم بمناسبة حلانة سرنة المنافق برمي أبيرق
	المتص الشامن عشر: من سورة (النسساء) الأيات من (١٣٦-١٤٧) بشمأن قسم
111	المذبذين من المنافقين وبعض صفات عموم المنافقين
	المتص المتناسع عشر: من سورة (الحديد) الأينات من (١٢ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
725	مشاهد أحوال المنافقين يرم الفيامة
	المنص العشرون: من سورة (معد) الآيات من (١٦ ـ ٣٢) حواعدم تفهُّم المنافقين
111	لما يسمعون وهلعهم لني سماعهم آيات الدعوة إلى القتل
	المتص الحادي والطرون: من سورة (الحشر) الأيات من (١١-١٧) حول سوقف
111	الممنافقين وخيانتهم في أحداث إجلاء يهود بني النضير

...

إلى هنا ينتهى الجزء الأول من كتاب ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين ويليه الجزء الثاني، وأوله: النص الثاني والعشرون: من سورة (النور)



في سلسلة (أحمراء الله *ب*لك) **V**

عَلَّا مِنْ فِي السِّنْ الْمِنْ فِي الْمُعَافِقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعِلَّ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعَلِيقِ الْمُعِلَّي الْمُعَلِيقِ الْمُعِلَّي الْمُعِلِيقِ الْمُعِلَّي الْمُعِلِيقِ الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلِي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّي الْمُعِلِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلَّيِي الْمُعِلِي الْمُعِلَّي الْمُعِلَّي الْمُعِلِي الْمُعِلَّي الْمُعِلْمِي

داْسَة نمليُليَّدَ وَصَهِيَّدَ وَلِمُرْفِدُ بِالشَّفَانِ وَلِمُنَا فِيْنِ تَرْبُرُمُوشُوعٍ شَابِلُ لِلصَّحْصِلُغُلِّنَةِ فِي الْفَانِ دَلْمُنَا فِيْنِ نُظُونُ امِسَدُواصَةً لِمُنَافِقِينَ عَبِلِنَّاجِ

عارر حرجب جبكالميداني

أبحرج الناني

وليراليك

حقوق الطبيع كفوظت للؤلف

الطّبعَة الأولت ١٤١٤ه ~ ١٩٩٣مر

المُوالِقِيْنِ الْمُؤْدِنِينِ يَعْنَانُةُ وَالْمُؤْدِنِينِ مِنْ - عليوني - ص.ب: ٢٥١٥٠ - هاف : ٢٩٩٧٧ بيرون - ص.ب : ١١٥/١٥١ - هاف : ٣١٠٩٣



النص الثاني والعشرون

من سورة (النور/ ۲۶ مصحف/ ۱۰۲ نزول) «السورة (۲۱) من التنزيل المدني، الآيــة (۱۱) حول موقف المنافقين من حادثة الإفك

قال الله عزّ وجل:

﴿إِنَّا الَّذِنَ مَا لَوْ الْإِفْكِ عُسَمَةُ نَعَكُولاً فَسَسُوهُ مَثَلَ الْكُمَّ لِلْهُوَ خَيْرٌ لَكُوْ الْمر هَا اكْتَسَهُ مِنْ الْإِنْ وَالْمَاعِنَ فَكَ يَكِرُونُهُمْ أَمْ عَلَىكُ عَلِيمٌ ﴿ ﴾ .

(1)

CO

القراءات المتواترة من الفرش

قرأ جمهور القراء العشرة (كِبْرَةُ) بَكْسُرِ الْكَاف.
 وقرأ يَشْقُونُ (كُبْرَةُ) بِضُمُّ الكاف.

الكِبْرُ: الإثُّمُ الكبير، ومُعْظَمُ الشيء.

الكُبُّرُ: مصدر كَبُرْ إذا غَظُمَ وجَسُمَ. تقول لغة: كَبُرْ يَكُبُرُ كِبَراً وكُبْراً.

فالفراءنان تتكاملان في أداء المعنى المراد، فـالمعنى: والذي تـوقَّى الإثمُّ الكبير لحديث الإثَّك، وتولَّى معظم أحداث إشاعته والترويج له، وتـولَّى تعظيمه وتكبيره في صفوف المؤمنين.

(Y)

موضوع النص وسبب نزوله

همذه الآية أولَىٰ آيات عشر أنزلها الله بمناسبة حديث الإنْفكِ المذي تردّد بين المسلمين حول أمّ المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وتعرّضت هذه الآية لمن تولَّىٰ قَلْفَ هذه اللهرية وإشاعَتها وعبدِ الله بن أَبْني ابن سلول، دون التصريح باسمه، وتوقّفته بالعذاب العظيم.

سبب النزول:

ني شهير شعبان من سنة وخمس، على الراجمح، غزا وسول الله 囊 وأصحابُـه بني الْمُصَّطِلِق(١٠ من خُزَاعة.

وفي هذه الغزوة بدرت عدَّة بوادر نفاق من عبد الله بن أبـي بــن سلول وأعانه فيها بعض جماعته من المنافقين.

ولمّما قفل رسول الله # ومعه أصحابه من غزوة بني النَّهُ طَلَق، ولم تَبَنُ بِيَّنه وبين المدينة إلاّ مرحلة، أذن بالرّحيل آخر اللّيل، فلمّا علمت أم المؤمنين وعائشة، رضي الله عنها بذلك، خرجت من فمرُّوجها، وابتمدت عن الجيش لقضاء حاجتها الطبيعة، كما هو شأن النساء قبل التُرَّحُل، فلمّا فرغت أقبلت إلى رَّحُلها، فالقَفْلَتُ عِقْداً فِي جَرِّعُ ظَفار، كان في صدوها (جَرَّعُ ظفار: أي خرز هو من صناعة مدينة ظفار باليمن قرب صنعاء) فَرْجَعْتُ تُلْقَيِه.

قالت السيدة عـائشة رضي الله عنهـا (كما عنـد ابن إسحاق): ثُمُّ أَذَنَ في النـاس بالرّحيل، فازْنَعْنَ النّاس (أي: أخذوا يحملون أمنعتهم على رواحلهم) وتَحْرَجْتُ لِعض حاجتي، وفي عُنْفِي عقَدْ لمي، فيه خَرْعُ ظفارٍ، فلمّا فرغُنْ انْسَلُّ من عُنْقِي ولا أَدْرِي،

 ⁽١) بنو المُشْكَلُون: حيُّ من خراعة. وضراعة قصطانيون عند اكثر النسايين، كانت مشاؤلهم بغرب
 (البواء (بين مكة والسدينة) وفي وادي ضرال، ووادي دوران وصفان في تهامة الحجاز. قال المسموعي: كانت ولاية البيت الحرام في خزاعة ثلاثمانة سة.
 والمُشْطَيْلُ في اللَّمة عو المندرُع على جيه من الألم.

فلمًا رَجَّتُ إلى الرَّحْل ذهبُّتُ النمسُّةُ في عنفي، فلَمَّ اجِـدُّهُ، وقـد أحـدُ السّاس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبُّ إليه، فالنمسُّة حتَّى وجنته.

جَزُّع: نوع من العقيق. وظَفَادٍ: مدينة لحمير بالبمن.

وجاه القوم خلاني، الذين كانوا يُرتَعُلُونَ لِي البحير، وقد فرَخوا من رحلت، فاصفرا الهَوْفَح، وهم يظنّون آتي فيه، كما كُنّتُ أصْنع، فاحْضَلُوهُ، فشَدُّوهُ على الْبَجير، ولَمْ يُشكُوا آتي فيه، ثمُّ الحذوا برأس البحير فأنطَلُقُوا به، فرحمتُ إلى العسكر، وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس.

قَالَت رضي الله عنها: فتلفُّفُ بجلبابي، ثم اصطجعت في مكاني، وعَرَفْتُ أَنْ لَوِ انْتَقِلْتُ لَرْجِعَ إِلَيْ.

قالت: قواللهِ إنِّي لمضطجعة إذْ مرَّ بي وصَفُوانُ بن المُعَطُّلِ السُّلَمِي،

وجاء في الرواية التي عند البخاري ومسلم هنا عن عائشة:

ورَكَانَ صَفُوانُ بِنُ الْمُعظَّلِ السَّلْمِي، ثُمُّ النَّكُوانِي قَدْ عَرْسُ(١ مِنْ وَرَاء الْجَيْسِ، فَالْلَجُ(١)، فَاصَّتِح عند منزلي، فبرأى سواد إنسانِ قائم، فاتاني، فمَرْفني، فمَرْزَى والني، وكان قد راني قَبْلُ العجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه ٢٠٠ حين عرفني، فخيرُت وجَهِي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة، ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه، حين الناخ راحلت، فوطىء على يُدِها، فركِتِها، فانطلق يُصُودُ بي الراحلة، حتى النِنا الجيش، بعدما نزلوا مُوهِرِينَ(١٠ في نَحْوِ الظهيرة، فهلك من هَلَكَ في شاني، وكان الذي تولَى يُحَرَّهُ عِد الله بن أبي بن سلوله.

قىال علماء السيرة: كان «صفوان بن الْمُعَلِّل، على ساقة العسكر، يلتقط في

⁽١) عرُّسَ: أي: نزل آخر اللَّيل للراحة.

⁽٢) اللُّمج: أي: سار في آخر اللَّيل.

 ⁽٣) باسترجاعه: أي: بقوله: إنا أله وإنا إليه راجعون.

⁽٤) مُوغِرِين: أَوْغَرُ القرمُ، إذا دخلوا في وقت الْوَغْرَقِ، وهي شِلَّةُ الحرِّ.

مؤخرة الجيش ما يسقط من متاع المسلمين، حتَّى يأتيهم به، ولذلك تخلَّف عن الجيش.

وكسان في الجيش دعيســـد الله بن أبــي بـن سلول، وأس المنسافقين، فقسال بين خاصّـــه: والله مــا نجــــ منها . وانطلقت كلمته تشرده، وانخدع بهــا بعض المسلمين من أهل الإيمان، فشاعت بينهم وذاعت.

وجاه في الصحيح أنّ أم المؤمنين عـائشة رضي الله عنهــا كـانت تقـــول في عبد الله بن أَبَـيُّ ابن سلول وحديث الإفك: ووهو الّــنِّي كان يَشْشَوْشِيهِ ويَجْمُعُهُ، وهو الذِي نَوْلُىٰ كبره منهمه.

يَسْنَوْشِيه: أي: يُخَرِّكُه ويُرْسله ويُذيعه.

وَيَجْمَهُ: لِي: يعزم على إشارته ونشره، ويجمع عنـاصره ويرتبها ليــروجه بين الناس. يقال لغة: جمع الأمر إذا عزم عليــه، ويقال: جمــع الأمرُ إذا صُمَّ بعضــه إلى بعض.

وظلّت أم المؤمنين في كرب شديد، ومَرض مُعِضّ، حتى أنــزل الله براءتهــا في كتابه، ونزل بشأنها عشر آيات من سورة (النور) من الآية (١١ – ٢٠).

جاه في رواية البخاري ومسلم عنها أنّ رسول الله ﷺ لمّا نـزل عليه الـوحي من السماء ببراءتها، قال:

وأَبْشِرِي يَا عَائشَة، أمَّا الله عزَّ وجلَّ فقد بُرَّاكِء.

قالت عائشة: هفقالت لي أمّي: قــرمي إليه، ففلتُ والله لا أمّـوم إليه، ولا أحــــد إلاّ الله عزّ وجلّ، هو الذي أنزل براءتي».

وجاء في الروايات أن من الذين وَلَقُوا في هذا الأمر من المؤسنين وأقام الرسول ﷺ عليهم حدَّ القلف: حَسَان بن ثابت، وبسُسلغَمُ بُنُ أَنْاتُنَّهَ، وحَمَّنَّهُ بِنتُ جَحْسُ، الْحُتُّ أَمَّ العَوْمِينَ وَبِيْبُ بِنتَ جَحْسُ، أما زينِبِ فلم تَقُلُّ إلاَّ خيراً، عَصَمُهَا وَرُعُها وَدِينُها.

(4)

المفردات اللَّفويَّة في النُّصَّ

﴿ بِأَلْإِمْكِ ﴾ :

هو في اللُّمَة الكذب، والخديعة، يقال لغة: أَلْكَ فُلاَنَ يَأَلِكُ أَنْكَا وَإِلْهَا وَأَلُوكًا. ويقال ايضاً: أَلِكَ بكسر الفاء، يألَكُ أَفْكًا وإفْكًا، إذا كذب أو حدّث بكلام كلبّ.

قيل: وهو مشتئٌّ من الأُفْكِ بفتح الهمنزة، وهو فَلَبُ الشَّيْء عَالَبُهُ سافله، ومنه سميت قرى قوم لوط والمؤتفكة، أي: التي قلب الله عاليها سافلها، وخَسْفَ بها.

وحديث الإفك: صار علماً بـالغلبة على صاجرى في القصة الني صبق بيانهـا. ونؤل بشأته قرآنُ يُتّلَىٰ .

﴿عُصْبَةً يَنكُونُ ﴾:

الْمُفْسِيَّةُ: الجماعةُ من الناس، قال جمهور أهل اللَّمَةِ: اللَّمْسِة الجماعةُ من عشرة إلى أربعين. وقيل: من الشلائة إلى العشرة، وهو اسم جمع لا واحد لـه من لفظه.

﴿ تُوكُّ كِبْرَهُ ﴾:

يقــال لغة: تُــوَلَّـىٰ فلانَّ الأمــر، بمعنى: تقلَّدُهُ، وقام بــه، ولزم العمــل به أو بمــا يتعلَّق به.

أمَّا كُبْرُهُ: فقد سبق لدى توجبه القراءات بيانه.

• • •

(\$)

مع النصّ في التحليل والتَّدبُّر

قول الله عز وجلّ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَآ مُو يِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُو ﴾.

يخــاطب الله في هـذا عمــوم المسلمين الـذين يجمعــون المؤمنين الصــادقين والمنافقين، فَيَيْنُ لهم أنَّ الذين جاءوا بحديث الإفك هم عُصَبَةُ منهم.

أي: لم يُستَزّه الذين تفروا صراحة، لا اليهود ولا النصارى، ولا المشركون من المسركون من المستركون من المسركون من المسركون أمن أن المستنقين قد تولوا بجُره، إلا أن في قولمه تصالى: ﴿مُعْصَبَةُ بَنُكُمْ ﴾ إلماحصنات المحصنات قلب المحصنات المتوافقة من المتوافقة ا

. . .

قول الله عزّ وجلّ:

﴿لَا تَصْمَبُوا مُثَرًّا لَكُمُّ إِلَى هُو خَيْرٌ لَكُمْ ﴾:

 أي: لا تحتبُوا يا آيها المؤمنون وجود ظاهرة حديث الإندك في مجتمعكم الإسلامي الاطل والرُسُولُ فيكم، شيزاً لكُم، يُفيدُ مُجْمَعكُم، ويُحيرُ وحدتكم، ويمؤق صفَّكُمْ.

والمعنى: لا يَفَعْ في توهُمكُمْ هـذا، ففعل وخسِب، في الفرآن لم يُسْتَعْمَلُ إلّا في التوهُّم المردود الذي لا يُبْنى أن يُحْسَبُ له جَـابٌ ما .

بـل هو خيـرٌ لُكُمْ بــبب النتائـج التي نجمت بعد ذلـك من وجود حــديث الإفك فيكم، وهي نتائج فيها خير عظيم.

ونتساءل عن همذه التساشج التي جعلت وجسود حمديث الإفسك في المجتمع الإسلامي الأول خيراً؟

وبالتأسل يكشف لنا أنّ العلل المداخلية، والأسراض الكمينة، إذا بقيت خشّيةً تفاقع شرَّها، وعَظَّم ضُرَّها، وصارَّ من العتمدَّر معالجتها واستئصالها، فَمِنَّ الخبر ظهورً أناوها مع بداياتها، لتدارُكِ علاجها، واستئصال دائها.

وهـذا ما حصـل فعلاً بـالنـــبة إلى ظهــور حادثـة الإفك، فقــد كشفت للمسلمين بالنـــبة إلى مجتمعهم وظاهراته الاجتماعية أمرين:

الأمر الأوَّل: أنَّ المنافقين لا يَقْتَوُّون ينتهزون كـلَّ حدث، لـلإنساد، ولإشـاعة

البلبلة والاضطراب، وشقّ صفوف المسلمين، وهدم وحدتهم وتمزيقها، بما ينشرون من أكاذيبَ ومفتريات وأنواع من الإغك، وبما يذيعونه ويشيعونه من إرجافات.

الأمر الثاني: أنّ المجتمع المسلم مهما عَشَنتُ تربيتُه الإسلاميّة، وصَلَّعَ حالَّه، وارتقى فوق سائر المجتمعات، فيإنّه لا يخلو من وجود أفرادٍ فيه يتأثرون بالشائعات الكوافب، ويَتُنُونَ على الطّنون الضعيفة، ويُتابعون بتحرّكاتهم أصحاب الأغراض الخاصة، وألمَّل الأهواء، ويُشتَجيبونَ لوساوس العنافقين ودسائسهم.

وانكشنافُ هَلِين الأسرين في المجتمع الإسلاميُّ الأول استدعيُّ إِشْرَالَ بَيْاضَاتِ وتُشْرِيعاتِ رَبَّالِيَّه ، يحمي الله بها المجتمعات الإسلامية القادمة من شــرور هَـلَيْنِ الأمرين ، إذا التَّزَموا بهذه البيانات وَاحكام هذه الشريعات، وعملوا بما جاه فيهما.

وهذا خيرٌ عظيم جلبُهُ حدُوث هذه النظاهرة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي الأول، إذْ كان رسول الله فيه، وكانت آيات الله وشرائعه تنزل عليه.

وكان من حكمة الله أنَّ المُشَهِمَّة في الحذت من أعثِّ المفيّفات وأطهر الطاهرات وهي زوجةً الرُّسول المجنبي، وأنَّ المُشَهِم فيه من أهمل بدر، ولم يُشرف النساء قَطَّ، واسْتُشَهَذ بعد ذلك في سبيل الله، وسُئِلَ عنه فوجدو، رجلًا حصوراً، ما يُثني النساء.

. .

قول اللهِ عزّ وجلّ:

ولِكُلِ آمْرِي مِنْهُم مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِنْدِ ﴾:

أي: لكل الْمُرِىءِ من أفراد المُصْبَةِ الَّذِينَ جَائُوا بِـالإِقْكِ جـزاءٌ بمقدار مـا اكْتُسَبُ من الإثم .

فابان اللهُ أنَّ قَذْف المحصنات والمحصنين من المؤمنين إثَّمٌ يترتَّب عليه عقوبةً عند الله عزّ وجل، تعادل ما حمل من ثقل الذنب. رجاء فعل ﴿اكْتَسَبُ بَصِيغة واقتعل، الدالة على التكلّف، للدلالة على أنّ إثم القذف إثْمُ ثقيلُ الْجِمْل على ظهر حامله، لا يستطبع حَمْلة إلّا بكُلّفة.

وحسبُ هذا الإنم العظيم أن جعل الله له حدّاً شرعيًا، أنْ يُعْبَلُه مرتكبه ثمانين جلدة، وأن يكون من الملمونين في المدنيا، وأن يكون له عنذابٌ عظيم في الأخرة إيضاً، ما لم يُتَّنُ من ذنب، ويغفر الله له.

• • •

 قول الله عز وجل:
 ﴿ وَاللَّهِ عَنْ وَجَلْ:
 ﴿ وَاللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَّا عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَّا عَل عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَّا عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَّا عَلَيْهِ عَلًا عَلَّا عَلَيْهِ عَلَّا عَلَيْكُولِ عَلَيْكُوا عَلَّا عَلَيْكُلَّا عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَّا عَلَيْ عَلَيْكُوا عَلَّا عَلَيْ عَلَّا عَلَي

أي: والذي تولَّى بئَّهُ أوَّلًا سَرًا بين جماعته، وتابع الوسوســة لترويجـه وإشاعتــه، من أفراد هذه العصبة، له عذاب عظيم عند الله يوم الدين.

وقد صبق أن عرفنا أنه رأس المنافقين وعبد الله بنُ أَبِي بْنِ سَلُول. أَبِيُّ: ابوه، وسَلُول: أمَّ أبيه.

ولم ينبت أن رسول أله ﷺ قد أقام عليه الحدّ، وأرى أنَّ السبب في ذلك أنَّه كان يبتَّ مقالاته سراً بين السانقين، ولم يصرّح بها أمام من يشهد عليه شهادةً شرعية بأنّه قافف، بخلاف اللذين أقيم عليهم الحدّ، فقد أدينوا باقوالهم بمقتضى الشهود اللين شهدوا عليهم، والله أعلم.

. .

النصّ الثالث والعشرون

من سورة (النور/ ۲۶ مصحف/ ۱۰۲ نزول) السورة (۱٦) من التنزيل المدني الآيسة (۳۳) حول موقف بعض المنافقين من إكراء الإماء على البغاء

قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَلَا تُحْرِهُوا فَنَيْنَتِكُمْ ظَا لَغِنَاهِ إِنَّا أَدَنَ غَصَّسًا لِتَنِعُوا عَرَبَا لَحَيْوَ الدُّيَالُونَ يُكْرِهِهُنَّ فَإِنَّا لَهُ مِنْ يَعْدِلِ كُرُوهِ مِنَّ عَفُورٌ تُحْصِدٌ ۞ ﴾ .

(۱) موضوح النص وسبب نزوله

موضوع النص:

خص الله عزّ وجلّ الإماء في الإسلام بأحكام خناصّة تخفيقَة في موضوع تمرّضهنُ لفاحثة الزناء على خلاف الأحكام التي انزلها بشان الحرائر، وذلك مراحلةً لاوضاعهنّ في المجتمع، بمقتضى كونهنّ وقيقاتٍ يُستين في خدامة اوليسائهنّ، و ويمقتضى كونهنٌ غير مُلزَّناتِ بالحجاب المفروض على الحرائر، وهو الحجاب السائر لمفاتهنّ، من أجسادهن، أذْ حُكُمُ عورة المراة الأمة كحكم عورة الرجل.

ويسبب ذلك فقد يتعرَّضْن في المجتمع لامور لا تتمرّض لمثلها الحواشر، فيصعُبُ عليهنَّ أن يُحْمِنُ أنْفُسُهُن بالعَفْ، كما أنُهنُ يجدن أنْفُسهنُ عرضة دواماً لمعاشرة من ينتقلَّنُ إلى مِلكِه بعد التأكُّد من بـراءة أرحامهنّ من الحمــل من قَبَل مــالك . أو زوج سابق.

وقد سبق في نجوم التنزيل بيان عقوبهن إذا زنين برضيهن ودن إكراه من أولياه أمورهن، وهي نصف ما على الزانيات المسلمات الحرائر المحصنات بالضوابط الاجتماعية من العذاب. فالإماء إذا زنين تُجلِلْنُ خمسين جلدة دون تثريب، ولمو كانت إحداهن بعاشرها مالكها، أو كانت زوجةً لهيد أو حرً.

فالرَّق حالة اجتماعية تستدعي الأحكام المخفُّفةَ بحكمة الله عزَّ وجلَّ.

وما سبق في نجوم التنزيل هو قول الله عزّ وجلّ في سنورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٧ نزول) بشأن الإماه:

﴿ وَإِذَا أَحْمِنَ إِنْ أَتَابَ بِفَعِشَةِ فَلَتَهِنَّ نِصْفُ مَاعَلَ الْمُحْمَنَّتِ مِنَ الْمَدَابِ

أي: فإذا المُلَفَّنَ، فينمهُنَّ إسلامهنَ من ارتكاب فاحشه الرنبا، او إذا كُنُّ مترَوَّجات، فإنُّ أتين بعد ذلك بفاحشة الزنا فإنَّه يكون عليهن من العـذاب عقابـاً لهنّ، يَضُفُّ ما على المحصنات بالحرّبَة وضوابطها من العـذاب، وهو حـدُّ مقداره خمسـون جلدة فقط، آمّا الرُّجُمُ فلا يُرْجَمُنُ لأنَّه لا يُشَفَّفُ، ولو كُنَّ متروجات.

هذا هو الحكم الذي دلَّ عليه النصَّ بالنسبة إلى الرقيقات المحصنات إذا ارتَكُبْنُ فاحشة الزنا برغبتهن.

واختلف العلماء في المراد من إحصابهنّ، هل هــو إسلامهن أو زوائجهُنُرُّ؟ وعلى هــذا فالإماة غير المسلمــات اللّواتي لم يُشعِينُ بالإســلام أَتَّفَسُهُنُّ قــد اختلف العلمــاه بشأنهنَ على رايّين:

الرأي الأول: وهو مـذهب الجمهور، قـالوا: إنّ الأَمـةَ إذًا زَنت تعليها خمسـون جلدة، سواة أكانت مسلمة أو كافرة، مرّوجةً أو بِكراً، عملًا بما ورد في السنة.

الرأي الثاني: أنَّ الأمة الكافرة لا تُجلَدُ إذا زنت، عملاً بالمفهوم المخالف للشرط الوارد في الاية. وقد ورد في السنة بشأن الأملة التي تزني عدَّة أحاديث منها:

(١) روى مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه، أنه خطب فقال: (يا أليها النّائر أليكوا الحكمة على إماليكم، حمّن أحجين بنهّن ومن قرن أن يُعضن، فيأن أنه يُرشول. الله ﷺ إنّ المقارف الله ﷺ إن الله على الله ﷺ إن الله على الله ﷺ فقل بناس، فخليت أن المقالف.
أنّ أثنائها، فذكرت ذلك للبني ﷺ فقال: وأخسنت، أثرتها حتى تشماله.).

يقال لغة: تماثل العليل، أي : قارب أن يبرأ من علته فصار أشبه بالصحيح.

(٢) وروى مسلم عن أبسي همريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

وإذا زَنَتُ أَمَّةُ أَسَدِكُمْ فَتَشِنَّ زِفَاهَا فَلْيَجْلِيدِهَا النَّحْدُ، ولا يُشرِّبُ عليها، ثُمَّ إِنْ زَنَتُ الشَّائِيةَ فَلْيَجْلِلْهَا الْحَدُّ، ولا يُشَرِّبُ خَلِيّها، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الشَّائِنَةُ فَنَشِنَ زِنَاهَا فَلْيَرْهَا وَلَوْ يَحْبَلِ مِنْ شَمْرِهِ.

...

يَعي خُكُمُ الإساء اللَّواتِي يُخْمِوْهُنُ أُولِسَاؤَهُنَّ على البغاء، وهُنْ يُهِرُذُنَ النَّحْسُنَ بالعفة والنزام خُكُم تحريم الـزناء، فهـل يُقامُ عَلَيْهِنُّ الحدَّ الذي هـو نصف مـا على المحصنات من العذاب، أو لا؟

لقد ظلَ هـذا الحكم معلَّمًا شـدُةً من الـزمن، لأنَّ اكثر أحـوال الإمـاه أن يَرْنين برغيتِهِنَّ، لا بالإكْراه على البغاء في مُهُنَّةٍ خاصَّة، وقد تُشْخَذُ لها بيـوتُ ذاتُ علامـاتٍ خاصَّة، تَسْمَى المواخير، حمّى نزلت سودة (النور) بعد نزول تسع سور من نزول سورةً (النسه) فترل فيها قول الله غرَّ وجلَّ :

﴿ وَلَا ثُكْمِ مُوافَّيَنِيكُمْ طَالِّغَلَمِ انْ أَنْ تَصَّمَّا لِنَنْفُوا مَرَا لَيْوَ الدِّيَّاوَسَ بُكِمِ هُنَّ فَإِنَّا تَصَنِّ بَعْدٍ إِكْرِهِ مِنْ عَفُولَا تَحِيدٌ ۞﴾.

فنهى اللهُ أَوْلِياء الإماء نَهَى تحريم عن إكراههنَّ على معارسة مَهْنَ البغاء لكسب المال بكذ فروجهنَّ، واعمين على عَادات أهـل الجاهليَّة أنَّ امتلاك وقابهنَ بيبع لهم تأجير فروجهنَّ بالمال.

وأبان تبارك وتعـالى أَنْهُنَّ إذا تعرَّضْنَ لـمصارسة الــزنا بــإكـراه من أوليـــاء أُمورِهِنَّ.،

وهُنُّ يُسِرِّدُنَ التَّحَشُّنَ بالعَفَّة والالتزام بحكم تحريم الزنـا، فَإِنَّهُنَّ حِينِنْذِ لا يُقَامُ عليهِنُ الحدُّ الذي سبق إنزاله في سورة (النساء).

ولمَّا كُنَّ قد يتمرَّضْ لمشاعر الاستمتاع عند العمارسة، مع عدم رغبتهنَّ أصلًا بالبناء، فقد الدح الله لهنَّ أن يستغفرن، ووعلهنَّ بأن يتفر لهنَّ ويرَحَمَهُنَّ .

سبب التزول:

أورد الطبري في تفسيره عدّة روايات في سبب نزول هذا التُصَّر، وهي في معظمها تين أنّها انزلت لإلغاء عادة جاهلية، وقد بتمي يفعلها راس المشافقين في العدية وعبد الله بن أُبيّ, بن سلول؛ وهي إكراه من يشاء من إمانه على البغاء، لكسب العالم بالزّنا.

وقد أزل الله هذا النّص للنّهي عن هذه العادة الجاهلية الخبيئة، ولبيان عُذْرٍ المكرّفة من الإماء، ورفع عقوبة الحدَّ عنها، ودعوتها للاستغفار عنّا قد تستمع به عنـد المعاشرة، مع كزنها كالرفة مُكْرِفَةً، ليغفر الله لها ويرحمها.

فمن الروايات التي أوردها الطبري ما يلي:

(١) روى الطبري بسنده عن جابر بن عبد الله قال:

وكانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول، يقال لها (مُسْيكة) فأجَرها وَأَكْرَهُها،
 فأنت النبي ﷺ فشكت ذلك إليه فأنزل الله:

﴿ وَلَا تُكْرِهُمُ النَّذِيكُمُ مِنَ الْمِنْهَ إِنَّا لَمَا الْمَاذَةُ تَصَمَّنَا لَيْنَعُوا مَرَمَا لَشَيْوَ الدُّيْلُومَ وَيُكْرِحِهُنَّ وَإِنَّا لَهُ مِنْ مِنْهِ إِكْرِهِمِنْ مُفَوَّدَتِيمٌ ۞﴾.

يغني: بِهِنَّه.

(٢) وروى الطيريّ أيضاً بسنده عن عكرمة.

وأَمَّةً لَمِيدَ اللَّهِ بِن أَبِي بِن سَلُول أَمْرِهَا فِرْت، فَجَامَت بِيُرُّو. فقال لها: ارجمي فازني، قالت: والله لا أفمل، إن يَكُ هذا خيراً فقد اسْتَكَثَّرَتُ مُنَّى، وإن كان شـراً فقد إنّ لِى أَنْ أَدْعَهُ. (٣) ويدلُّ على أنّها كتات عادة متّهة، ما رواه الطيري بسنده من الزهري، أنَّ رجلًا من قريش أمّس المراح الله على الله الله الله الله أسرة، وكان لعبد الله بن أبي بن سلول أسرة، وكان لعبد الله جارية، يقالُ لها: مُعَانَّة، فكان القرشيُّ الأسير يدريدها على نفسها، وكانت مُسْلمة، فكانت تعتبع منه لإسلامها، وكان أبنَّ أبني يُخْرِفها على ظلك ويضْرِبُها، رجاء أن تُعْمِلُ للقَرْشيُّ، فيَطْلُبُ فداء وأبد، فقال الله تعالى:

﴿ وَلَا تُكْرِيمُوا فَنَيْنِكُمْ عَلَ ٱلْبِغَلَهِ إِنَّالُونَ فَصَّنَّا ﴾.

قال الزهري :

﴿ وَمَن يُكْمِهِ مُنَّ فَإِنَّاللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِ مِنَّ غَفُورٌ زَجِيدٌ ﴾

يقول: غفورٌ لَهُنَّ مَا أَكْدِهُنَ عليه.

(٤) وروى الطبري ايضاً بسنبه عن ابن عباس في الاية قال: كأنوا في الجاهلية يُحرِهُونَ إماتكمْ على الزنا، يأخذون الجرزفُنَ، فقال اله: لا تُحرَهُرهُ على الزنا من إجل النَّنَالَةِ في الدنيا، ومن يحرمهنَّ فإنَّ الله من بعد إكراههنَ غفور رحيم لهنَّ، يعني إذا أَكرفنَ.

(٥) وروى بسنده عن مجاهد، قال:

كانوا يامرون ولاندهم يُباغين، يَعْمَلُنْ ذَلِكَ، فَيُصِيْنَ، فَأَلِنَهِم بِكَسْبِهِنَ. فكانت لعبدالله بن أبيّ بـن سلول جارية، فكانتُ تُباغي، فكـرهت، وحلفت أن لا تفعله، فكرمها العلها، فانطلقت فباغت بِنْرِدٍ أُخْضِر، فأتَّتُهمْ به، فانزل الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا لَلْهَانِيَكُمْ عَلَى ٱلْبِغَلِّو ... ﴾.

قال: وقالوا: إنَّ عبد الله بنُ أَنِسَي قد أخَدُ معافة لإكرام ضُيعوفه، فبإذا نزل عليه ضَيْتُ أرسلها إليه ليواقعها، إرادة الكرامة له. نَّاقِيْكُ معانةُ إلى أبي بكر، فشكت ذلك إليه، فذكر أبربكر ذلك للنبيّ ﷺ. فأكرَّ النبيّ ﷺ أبا بكر بقيضها، فصاح عبد الله بن أُبيّ، مَنْ يُمُؤَرِّنا (١٠ من محمّد، يقلبنا على مماليكتا، فانزل الله هذه الآية.

قال: وكنان بمكة تسع بغناينا شهيرات، يجعلُنُ على بينوتهنُ راينات، وذكر أسماءهن.

(۱) المفردات اللّغوية في النّص

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا ﴾:

الإِكْرَاهُ على العمل: الْفَهْرُ عليه، والْحَمْلُ عَلَىٰ فعله بالقوة، أو بالتَّهديد بــالْزَالــِ نُكْرُوه.

﴿فَلَيْنَتِكُمْ ﴾:

أي: إماءكم، جمع ونَّشاقه وأصل والْفَتَــاته مؤنث والفتي وهي الشــابـــة أول شبابها. وقد كرَّم الله الإماء فسـمّاهن فنيات.

وروى مسلم عن أسي مربرة أنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿لاَ يُقُولُنُ أَخَلُكُمْ: عَسِدِي، وأنتي، كَلَكُمْ عَيسُدُ للله، وكلُّ يَسَـالِكُمْ إِضَاءُ اللَّهِ، ولَكِنْ لِيقُـلُ: خُـلَامِي، وجَـارِيتي، وَتَعْنِي وَقَتْلَتِيءَ.

﴿ عَلَى ٱلْمِغَلَّهِ ﴾:

﴿ إِنَّ أُرَدُنَّ تَعَصَّمَا ﴾:

التَّحَصُّنُّ: النَّمَنُّ بالطَّاعة من ارْبِّكَابِ المعصية، وبالتعقَّف من الوقوع في الزنا،

⁽١) مَنْ يُعْلِرُنا مِنْ محمد: أي: مَنْ يُنْصِفُنَا مِن محمد.

وفي الصيغة معنى التكلّف وتحكّل مشقّة منالبة النفس، وهو في الأصبل من الدخول في جضّن منيع ، للاحتماء به ، يقال لغة : تُحصَّن يَنْحَصُّنُ تَحَصُّنُا ، إذا دخَلَ في جصُّنٍ واختَنَى به .

ويقال: امرأةُ حَصَان، وحاصِن، أي: عفيفة.

[والمحصنات]: العفائف من النساء. والْمُحْصَنةُ: الَّتِي أَخْصَنْها زوجُها.

والمرأة تكونُ مُحْصَنَةُ بالإسّلام، أو بالعفاف، أو بالحرّيّة، أو بالنزويج.

وأصْلُ الإحصان يــدلُّ على المنْع، ويُسَمَّىٰ الْمَكَانُ الْمَنِيعُ حصناً، لاَنَّه يَشَمُّ العَدُّومَن الدخول فيه، والوصول إلى المحتمين به داخله.

﴿ لِلْبَلَغُواْ عَرَضَا لَهُيَوْةِ ٱلدُّنَّيَا ﴾:

أي: لتَطْلُبُوا بِإِكْراه إمالكم على البغاء مالًا، أو غير ذلـك من مناع الحيــاة الدنيــا الذي هو عَرَضُ زائل.

﴿غَفُورٌ ﴾:

 أي: كثير المغفرة، كثير سُتُر المُتُوب على عباده. يقال لغة: غَفَرَ الشية إذا سُتَرَةً، وغَفَرَ العتاع في الوضاء، إذا أَذْخَلُهُ فيه رسَتَرةً، وغَفَرَ الله لَلْتُبِد ذَلْبَه، غَفْراً
 وغُفْراناً وَمُفْرَقً، إذا سَتُرةً له.

﴿ نَحِيدٌ ﴾:

كثيرً الرُّشْمَةِ وَعَظِيْمُهَا. الرَّحْمَةُ: صفةً من أشارها العطائم، والمعونةُ وإذَالَةُ الرَّوْس، والإمدادُ بما يُسُرَّ ويُسَكَّنُ النَّفْسَ، ويُطَنِّنُ القلْبُ، ويُسْتُعُ ذا الحياة بعا يُطيِّبُ لذَيَّه، ويكفُّ عن الشرَّ والشُّرِ والشُّوء، ويَهْدِيهِ إلى ما فه خيرُه وسعادته، في عاجل أموه وآجله، ويَبَيْنَ له ما فيه شرَّ له وشرَّ وأذى، ونحوذلك.

والرَّمْنَةُ صَفَةً من صفات الله الجليلة، وهي صفة نفسيَّةٌ تَشِيَّها لله عزَّ وجلَّ على ما يلين بجلاله، فقد أثبت الله لنفسه الرحمة، فقال تعالى في سورة (الأعراف/ ٧ مصحف/ ٣٩ نزول). ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْكُلَّ ثَنَّيْءٌ . . . ﴿ . . .

(4)

مع النصّ في التحليل والتدبّر

قول الله عزّ وجل:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَنَيْكِكُمْ هَلَ ٱلْمِنْآءِ إِنَّ أَرَهَ نَعْصُمُنَا لِنَبْغُوا عَرَضَ لَفَيْوْدِ ٱلدُّنَّيَّأَ ﴾:

أي: ولا تُحُرهوا إماتكُمْ عَلَى الزّما كَمّا كُشُمْ فَقْمُلُونَ فِي الجماهليّة، لِيَجْلِينَ لَكُمْ مَالاً لوغيره من عرض الحياة الدّنيا، بكلّ فروجهنّ، زاعمين أنَّ لكم الحنّ أن تختبئوا باجساد إمائكُم اللّواتي تملكون رقائهنَّ على ما تشتهون، ولو كان في الرّ حزَّمة الله على الناس جميعاً، احرارهم وعبيدهم.

فحفظُ الفروج من الزنا هو من حقّ الله على عباده جميعاً. والاستمناعُ بالفروج يخضع لشوابطُ حُدْها الله بأوامره ونواهيه، وليس النصرُف بالفروج من توابع المملكيّة.

إِنَّ مالك رقبة الأمة له أن يبيعها، أو يهيها، أو يؤجرها في الخدمة، أو يكلَّفها من الأعصال، أو يشتركن بها، أو يؤرّجها، ولكن ليس من حقّه أن يؤجرها للفيام بعمل حرَّمه الله عليها، أو يكلَّفها إياه كالزَّنا واللوَّاط، والسَّرقة والغيبة والنميمة، والقتل بغير حرَّ، وهكذا إلى سائر المحرَّنات، أو يمنَّفها عن ممارسة حقوقها الشخصيَّة وواجباتها اللينَّة.

بقي أن نفهم ضائدة تعليق النهي عن الإكسراء على الرئب! بشــرط إرادة الإمساء التُحَشَّنَ، أي: التَّمَنُّ من الزَّنَا، والدخول في جشّنِ طاعة الله لاَقاء عذابه، وهــل إنَّ كُنُّ لا يُرِدُنُ التُحَشَّنُ فلاوليائِهِنَ أَنْ يَكُمُّ هُومُنْ على البغاء؟

أشكسل التعلق بهما المسرط على عصوم العفسرين، واعتبرهُ بعضهم من المعضلات، وسلكوا سالك متعلّمة لتأويل النُعَن بما يتفق مع ما يعلمون من حكم الشرع.

أقول:

إنَّ سبب وقوعهم في الإشكال، ولجونهم إلى التأويلات، أنهم لم يجمعوا بيَّنَ ما زل في سورة (السور) ما نزل في سورة (السور) ما نزل في سورة (السور) ولم يُنظُروا إلى النَّصَيِّن على أنهما متكاملان، وأن الموضوع قد يُجزَّى، عليهما، وقق السوب القرآن في تجزئة موضوعاته، وتوزيهها في السّور، وأنَّ على المعتبَر أن يَنْدُيرها متكاملة، يُشاف إلى علما المستقيّ بين المشين، وأنهما يكزّنان معاً فضية شرطية متعملة حقيقة، وهي التي تكون كما يقول علماء المنطق مانة كان شاكرًا أن شاكر وإنّا كفور، فإنْ كان شاكرًا فعصيره أخيرًا إلى الجنة، وإنْ كان كفوراً فليس له مُعيرًا إلاّ النار.

والمعنى: لا يخلو الإنسان المكلف من واحد من الأسرين: (شاكر - كفور) ولا يمكن أن يكنون مماً في وقت واحد (شاكراً - كفوراً) فالشاكر ولو بكلمة ولا إلّه إلاّ الله عنهير إلى الجنّه، ولو عنّب في النار، والكفور المبالغ في كفوه لا دار له ينوم الدين إلاّ النار خالداً مُخلَداً فيها إبداً

هذه قضية شرطية منفصلة حقيقية، مانعةُ جمع ومانعة خلوّ معاً.

فلنجمع النَّصَيَّن: الذي في سورة والنساء والذي في سورة (النسرو، وَأَنتَدَبُّرُهُما على أنهما يشتملان على قضيَّة شرطيَّة متفصلة حقيقيّة، وأنَّ للمقدَّم فيها حكماً، وللتالي فيها حكماً.

حيتما نقول: العدد: إما زوجٌ (هذا مقدّم) وإمّا فَرَّدٌ (هذا تالي):

فإن كان زوجاً فهو ينقسم إلى متساويين دون كسر (هذا حكم المقدم).

وإن كان فرداً فهو لا ينقسم إلى متساويين دون كسر (هذا حكم التالي).

على وفق هذا المقياس نعرض النَّصيْن.

(١) الذي في سورة (النساء) حول الإماء:

﴿ وَإِنْ أَتَيْنَ بِمُنْسِشَةً وَفَلَتِهِ نَافِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُعْصَنَّتُ فِينَ ٱلْمُلَابِّ. . ۞ ﴾.

المحصنات: الحراثر.

وتصف ما عليهن من العذاب: هو خسون جلدة.

(٢) والذي في سورة (النور):

﴿ وَلَا تُكْرِهُ وَاقْتِبَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَلِّهِ إِنَّ أَرَدْنَ تَعَسُّنَا ... ﴿ ﴾.

نضَعُ مضمون لهَـذَيْن النَّصَين بصيغة قضيَّة شـرطيَّة منفصلة حقيقيـة، فنقـول: الإماء:

(١) إمَّا أَن يَزْنين باختيارهن دون إكراه، فيأتين الفاحشة بأنفسهنَّ.

(٢) وإمّا أن يُكْرَهْنَ مِنْ قِبَلِ أُوليائِهِنَّ على الزنا.

أي: لا يخلو أمر زناهُنُّ عن أن يكون بـاختيـارهنَّ، أو بـإكـراه أوليـاتهنَّ لهنَّ، ولا يجتمع الأمران مماً، لأنه إن كان باختيارهنَّ فلا إكراه، وإن كان بالإكراه فــلا اختيار لَّقُنُّ.

الحكم:

ـــــ فإن زنين باختيارهِنُ فعليهنُ نصفُ ما على الحواثر من العذاب، وهو جلدهُنُّ خمسين جلدة. وهذا الحكم هو ما جاه بيانه في سورة (النساء).

_ وإنَّ اردن نحشَّناً بطاعة الله لاتَضاء علمابه، وأُشُّرِهُنَّ على الزنا من قبَّللِ اوليــالهنَّ فلا يُضامُ عليهن الحدّ لائهنَّ معــذورات، والله من بعد إكــراههنَّ غضــور لهنَّ، رحيم بهن. وهذا الحكم هو ما جاء بيانه في سورة (النور).

فتكامل النّصان، واستوقت القضيّة الشرطيّة السنفصلة كلَّ عناصرها، وجاء حكم المقدّم فيها في سورة (النساء) وجاء حكم النّالي فيهـا في سورة (النور) واقتضت الحكمةُ البيائيَّةُ إيراد الشرط في سورة (النور) لتوضع القضيّة بكـاملها ضمن ميزانها ومقياسها، على أنّها قضيّة شرطية منفصلة حقيقية، كما يلي:

_ إنْ لم يردُنَ تحصُّناً فيقامُ عليهنّ الحدّ، ولا يوجد حينك إكراه.

وإن أردن تحصُّناً فلا يقام عليهن الحدّ، إذ لا يزنين حينئذ إلا بالإكراه.

وأُضيفَ إلى هَذا نهى أوليائهنّ عن إكراههنّ على الزنا.

أليس هذا من روائع هذا الكتاب العجيب وإعجازاته.

هذا ما فتح الله به عالميّ هنا، والحمد لله على فتُجه وتوفيقه.

. . .

أول الله عز وجل :

﴿ وَمَن يُكْرِهِ مُّنَّ فَإِنَّ آهَلَهُ مِنْ بَعَلِيا كُرُهِ هِنَّ غَفُرٌ رَّضِيدٌ ۞ ﴾:

اي: ومن يُحْرهمُنْ همليه أثمُّ الحراهِمِيْنَ، وهنَّ لا يُضْمَّ عليهنَ حـذَ زَمَا الإماء، لاَنْهَنْ أَرْدَنْ تَحَشَّنَا بطاعة الله، لاَتقاء عذابه، ولم يَشْقُلُ سافنَلْنَ بلِراداتهِنَ، بـل أَعْلَنْ وفَضَمَّنُ وَعَلَمْ رَغَيْهِنَ كما حصل لإحدى إماء عبد الله بن ابْنَيْ بْـنِسلول.

والجملةُ التي تضمّنت جواب الشرط هذا قد طويت، للعلم بها ممّا نضمُن رفع عقوبة الحدّ عن المكرهاتِ من الإماء، وهو قوله تعالى:

﴿ فَانَ الله مَن بَعْدِ إِحَــراهُ مِنْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أي: فبإنّ الله من بعد إكــراه أوليائهنّ لَهُنّ على الزنا غفورٌ لهنّ رَحيمُ بِهِنّ.

ولم ينات التعبير بعبدارة تقضي رفع المؤاضفة عنهن مطلقاً وأنه لا مسؤولية عليهن، لاحتمال أن يكن في حالة المعاشرة بشمُرُن بالاستمتاع بالزنا وإنْ كُنُ كارهَاتٍ غير راغبات، فهذه تحتاج استغفاراً، والله غفور رحيم.

. .

النص الرابع والعشرون

من سورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) أيضاً المسورة (١٦) مـن التــنزيل المــلني الآيســات مـــن (٧٧ ـــ ٥٤)

> حول كذب المثافقين في ادَّعاثهم الطاعة ورفضهم التحاكم لله ورسوله

> > قول الله عزّ وجل:

(1)

المقراءات المتواترات في هذا النَّصَ (من الفرش ويعض الأداء)

* في الآية (٤٨) والآية (٥١):

(١) قرأ جمهور القراء العشرة: [لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ] بالبناء للفاعل في الآيتين.

وقرأ أبو جعفر المدني: [لِيُحْكُمُ بَيُّنَّهُمْ] بالبناء للمفعول في الآيَنْين.

وفي القرامتين تكامل في الأداء البياني، وتكامل فكري، فقراءة الجمهور تفيد أنَّ الدعوة في حياة البرسُول لِيُحُكِّمُ البرُسولُ بينهم، وهذا المعنى تفيده أيضاً قراءة أبي جُفَّفر، ولكن بصيغة البناء للمجهول، أننا قراءة أبي جعفر فتفيد أيضاً أنَّ هذه الظاهرة قد تحصلُ بعد حياة البرُسُول ليحكُمُ الحياكم العادل من المسلمين بعُكُم، الله ورسول، أي: بحكم الكتاب والسَّة.

في الآية (٥٢):

(١) القرَّاء في أداء [وَيَتْقه] كما بلي:

أُولًا: قرأ حفص عن عاصم [وَيُتُّقُهِ] بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء.

ثانياً: وقرأ قالونُ عن نافع، وقرأ يعشوب [وَيَتُقِيمَ بكســـر القاف واختـــلاس كسرة المهاء.

ثَالِثاً: وقرأ أبو عمرو وشعبة عن عاصم [وَيُتَّبِّهُ] بكسر القاف وإسكان الهاء.

رايماً: وقرأ ورشّ عن نافع، وابنُ كثير، وخلفٌ من حمزة، والكسـائيّ، وخلف العاشر [وَيُتْقِهِي] بكسر الفاف وإنساع كسرة الهاء.

سادساً: وقرأ خلاَدٌ عن حمزة، وابنُ وردان عن أبي جعفر: [وَيَتَقِبُهُ ـــ وَيَتَقِهِي] بكسر القاف ولهما في الهاء الإسكان، والكسر مع الإشباع. صابعاً: وقوأ هشام عن ابن عـامر [وَيُتَقِهُ _ وَيَتَّقِهِ _ وَيَتَّقِهِي] بكـسر القاف، ولـه في الهاء الإسكان، والكسر مع الاختلاس، ومع الإشباع.

وكلُها وجوه من الأداء لا يختلف بها بيان ولا معنى، وهي تخضع للَّهجات العربية.

(٢)

موضوع النصّ وسبب نزوله

موضوع الت

يشتمل هذا النصّ على كشف ثلاث ظواهر من صفات المنافقين:

المظاهرة الأولمي: أنّ العنافقين يقولمون بالستهم: آمنًا بالله ، وآمنًا بالدرسول، وأطَّفتُنا الأوامر والنواهي، ثم لدى التفيدُ لمقتضيات الإيسان وإعلان العظامة يُـدْبُرُون، ويَتَجَعدون ابتعاداً كُلِّمًا عن مواقع الإيسان والطاعة، وجاء التعبير عن هـذا بالنَّهُمْ يَتَمَوَّلُون، لي: يُلبُرُونُ وينَالُونُ.

الظَّهرة الشاتية: أنَّه إذا وقعت خصومة بين أحد المتنافقين وبين شخص أخر، ودُعي المنافق إلى حَكْم الله ورسوله، فإنَّ كان يعلمُ أنَّ الحق لخصمه أغرض متجاهلاً متفافلاً متحايلاً، وإنَّ كان يعلمُ أنَّ الحقَّ له، فإنّه يعلي متظاهراً بالإزعان والاستمار لحكم الله والرسول، ليحكم له الرسول، أو ليحكُم له الحاكم المسلم الصادل من بعده.

الطَّاهرة الشَّالِة: أنَّ بعض المُسَافِين القسموا بناه للرسولِ قَسَماً مُشَدَّداً مُؤَكِّداً بكل وسائل التَّكِيد، قاتلين له: لَيْنَ الرقا بأن نخرج إلى القتال في سبيل الله، أو بأن نخرج من اموالنا والعلينا لنُخْرُجُنُّ طاعةً لك، وإيماناً واحتساباً.

ولدى التطبيق العملي ينكشف أنهم كانوا كاذبين.

واشتمل هذا النصّ ليضاً على تعليقات ربّانيّة على هـذه الظواهـر، وعلى بعض معالجات تربويّة، اقتضاها الموقف عند نزول النصّ.

سيب الشزول

(١) روى عبد بن حميد، وأبن المنذر، وأبن أبي حاتم، عن قتادة، قال في
 الأية (٤٧) من هذا النص:

وأنـاسٌ من المنافقين أظهـروا الإيمـان والـطاعـة، وهم في ذلــك يَصُـدُونَ عن سبيل الله وطاعته وجهادٍ مع رسوله 難.

(٢) ورُوَّوْا أيضاً عن الحسن قال: في الأيات (٤٨ ــ ٤٩ ــ ٥٠):

وإذَّ الرَّجَلَ كان يكون بينه وبين الرجـل خصوصة او مُنازعة على عهـد رسول الله الله ، فإذا دُعي إلى النبي سيقضي له بالحقّ، وإذا أراد أن يُطُلِمَ فَلُعي إلى النبيّ أعرض، وقال: انطلق إلى فلان، فأسرَل الله مسحانة: ﴿وإذا تُعُولُمْ فَلُعي إلى النبيّ أعرض، وقال: وهم القالمدون، فقال الله ورسوله ... ﴾ إلى قوله: ﴿هم القالمدون»، فقال رسول الله ﷺ: •من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه إلى خكم من حُكّم المسلمين فلم يُحِبُّ فهو ظالم لاحقٌ له .

قال ابن كثير: وهذا حديث غريب وهو مُرْسل.

أي: فهر ظالم إذَّ لم يُبحِبُ الدعوة إلى حَكَم يقضي بينهما من حُكَّام المسلمين الذين يحكمون بكتـاب الله وسنَّة رسُـوله، ويـدَّلُ عملُه هذا عَلَى أنَّه يخشَى أن يحكم بينهما بالحقّ وهو لاحقَّ له، بل العقّ لخصمه.

فَرْفَشُ النَّحاكُمِ إلى كتاب الله وسنة رسوله أمارةً ظاهرةً على أنّ الرافض لا حقّ لله ، فهو يُعرِيدُ أن يتحد في لله عن عرضيً أن يجد في الله عن عرضيً أن يجد في أحكام الناس حُكمًا بالطل ينفعه، وهذا ظاهر في معاملات كثير من الناس اليوم، إذا رأى احدهم أنه هو صاحب المحق طلب التحاكم إلى الشرع، الأنّ الشرع يُتَّسِيفُه، وإذا رأى غير ذلك طلب أن يَحْكم القانون بينه وبين محصمه، في المحاكم التي تحكم بمنضى القوانين الوضعية البشرية، وهذه صفة من صفات المنافقين.

(۳) وروی ابن مردویه عن ابن عبّاس قال:

وأَتَىٰ فَوْمٌ النبي ﷺ فقالـوا: يـا رسـول الله، لـو أمـرتنـا أن تـخـرج من أمـوالنـا
 لخرجنا، فأنزل الله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهَدُ أَيمانهم. . . ﴾ الآية . . ».

وأخرج ابن أبسي حاتم عن مقاتل في هذه الآبة قال: وذلك في شأن الجهاده.

. . .

(٣) المفردات اللّغوية في النصّ

﴿وَلَّلْعَنَّا﴾.

أي: خَضَعْنا واتُبعْنَا مُنْقَادِين بحسب ما يُطْلَبُ منا.

يقال لغة: أطاع يُطيع رُبُّهُ إطاعةً وطاعةً إذا خضع له وانقاد، ويقال طاع الولَّدُ آبَاه طاعةً، وطاع له، أي: لاَنَ وانقاد له، ويأتي المصدر أيضاً طُوعاً وطواعية.

﴿ لُعُرِّسُولُك ﴾:

لي: ثُمَّ يُدْبر وينانى مبتمداً، فالتولّي يبدلُ على الإدبار، ويبدلُ على الناي، وقبد يجتمعُ الإدبار والناي، وقد يكون الناي بدون إدبار.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾:

الإعراض منزلة وسطى بين الإقبـال والإدبار، وأصـلُ الإعراض إعـطاء الجانب. فَعُرْضُ الشَّيْء في اللّغة جانب، وعارضا الإنسان صَفْحتا خَدّيه.

﴿ مُذِّعِنِينَ ﴾ :

أي: مُنْفَادِين، يقال لغة: أَذْعَنَ فُلانُ، إذا انفاد وأطاع. ويقال: ذَعِنَ يَذْعَنُ ذَصَنًا، إذا خضع وذَّلَ. وأَدْعَنَ بالْعَقّ، إذا أقرَّ به واعترف.

﴿ أَمِ أَنْكَابُوا ﴾:

أي: بل أَحَدُثَ الارتيابُ _وهو الشُّك _ لدَّيْهِم؟

﴿أَنْضِيفَ ﴾:

أي: أن يَجُور ويَطْلِم، يقـال لغة: حـاف عليه يَجِبُ حَيْفًا، أي: جار وظلم. ويقال: حاف الأبُ، إذا فَشُل بعض أولاده على بعض في العطاء، فهو حالف.

﴿جَهْدَأَيْنَانِهِمْ ﴾:

أي: غايَّةَ ما لديهم من أيمانٍ مؤكّدة مشدَّة، جَهَدُّ الشيء في اللَّفة يأتي بمعنىٰ نهايته وغايته، ويمعنى وُسُمِه وطاقته، ويأتي الْجَهَدُّ بمعنىٰ الْمَشْقَة.

﴿فَإِنْ نَوَلَّوْاً ﴾:

أي: فَإِنَّ تَتَوَلُّوا مُدبرين وناثين.

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا قِلَ وَعَلَيْكُم مَّا هِمَاتُمُ أَنَّهُ ﴾:

أي: فليس على الـرســول إلاّ مــا كُلُفُ حَمْلُهُ من الاقــوال والاُفَمَـــال الــظاهـــرة والباطنة، وليس عليكم إلاّ مَا كُلُفْتُمْ حَمْلَهُ .

﴿ وَمَاعَلَ ٱلرَّهُولِ إِلَّا ٱلْلَكَعُ ٱلْمُدِيثُ ﴾:

الْبَلَاغُ والنَّبِلِينِ والإَبْلاغُ ، بعمني ليصال الشيء إلَّى الموضع الذي هو له، فإبلاغ الاقوال أو المعاني يكون بليصالها إلى من يُطلَبُ إيصالها إلى. والمعنى: وما على الرسول من واجب نجاه أمّته في موضوع رسائه إلاّ أن يُبِلِّقُهُمْ ما كَلَفَهُ أَفْ تَبْلِيغُهُ بَصِورة مُبِيَّةً واضحة.

(1)

مع النصّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجل:

﴿وَيَقُولُونَ مَانَا يَافَةِ وَيَالزَسُولِ وَلَلْمَنَا ثُمَّرَنَوَكَ فَرِيقٌ مِثْهُم مِنْ مَسْدِ ذَلِكُ وَمَا الْوَكَتِكَ بِالْمُفْوِينِينَ۞﴾.

تَكْثِيفُ هذه الآية حالَ فريق من المسلمين الدنين يُقلُنُون قـائلين بالسنتهم: آتَنَا باللَّهِ وبالرَّسُول، وأفَّفَتُ، كما يُقُولُ سائـر المسلمين، لكِنَّ هذا الشول يقتضي تحقيق مُقْتَضَاً، بالعمل، ليكون دالاً بصِدْقِ على ما في القلب من إيمانِ وعزمِ علَى الطاعَة.

ثُمُّ يَمْضِي زمنٌ متـراخ على هذا الفـول، ويُمْتَحَنُّ هذا الفـربقُ بـالتكـاليف التي

تُوجَّهُ عَادَةً لَمَن صَدْقَ فِي إيسانه، وصدق فِي إعلانِه عَرْصَه على الطاعة، كالجهاد بالأمرال والانفس، وكالدُّعوة إلى تطبيق حُكْم كتاب الله وسُنَّةٍ رَسُوله فِي الخُصُّـومات، لإقامة الحقَّ والْمَدْلُ، إذا بهذا الفريق يُكَشِفُ حقيقةً ما في باطنه، وبدلُّ بعمله وسلوكه على أنّه قد كان في إعلانه ما أعلنه بلسانه كذبًا، غَيْرَ صَادَق.

> دلّ على هذا قوله تعالى: * مَرَيِّنَ مَ اللهِ مِنْ

﴿ ثُمَّ يَنُولَىٰ فَرِيقٌ مِنْهُم مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ ﴾.

فدلُت كلمة ﴿قُمُّ﴾ على الـزمن المتراخي الـذي يَفْصِـلُ بين القول. الْمُعَلَن. والفعل المخالف له.

وذَلَت كلمة ﴿يَتُولَٰىٰ﴾ عَلَىٰ أن هـذا الفريق يُدَّبِر عن التـطبيق وَينَّأَىٰ، ولا يكتفي بمجرّد الإعراض، والتحايُل بالمراوغة.

ودَلَت عبدازُهُ ﴿فَوْرِينَ مِنْهُمُۥ﴾ على أنَّ الإعمالان يكون عادةً من قِبَل جمع من المسلمين، فيهم المؤمنون والمنافقون، ومن هم بين الفريقين، لكِنَّ اللّذِين يَتُولُـوْن هم فريقٌ من المشاركين في إعلان القول، لاجميهُم.

ودلّت عبارة ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ على شَنَاعَةِ النَّبَايِن بَيْنَ قولهم السابق، وعَمَلْهِمُّ اللّاحق، فَالْمُشَارُ إله بـ ﴿ذَلِك﴾ هو قولهم صَمْنَ القائلين:

﴿ مَامَنَّا مِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾.

فليست عبارة فومن بعد ذلك؛ إطناباً، بل جيء بهـا لغرض، هــو إيراز شنــاعة التباين بين القول والعمل.

ونلاحظ أنَّ عبارة الإعلان لم يُحْتَفُ فيها بعطف ﴿الرسول﴾ على لفظ الجلالة دون إعادة حرف الجرّ [الباء] بل أعيد حرف الجرّ، وفي هذا إشارة إلى لزوم فصل عناصر الإيمان لدى إعلان الإسلام بما يجمل كلَّ عُنصرٍ مرتبطاً بكلمة الإيمان ارتباطاً مباشراً.

وأبان الله عزَّ رجلُ أنَّ الذين يكشفون بالتـطبيق العملي أنَّ أعمالهم مُبَايِنَةٌ مُبَـايَنَةٌ كُلِّيَّةً لأَقْوَالِهم لَيْسُوا بمؤمنين، فقال تعالى:

﴿ وَمَاۤ أُوۡلَٰئِيكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ :

أي: ومَا أُولِئِكُ اللَّمَنَةِ إِلَى جِهَةِ الشُّمَّلِ بِالمؤمنين، وجاه في هذه العبارة تاكيد نفي إيمانهم بحرف الجرَّ الزائد والباء، سواءُ أَعْمَلُنَا وماه على رأي البصريين إعمال ليس، تبماً للغة الحجازين، أو لم تُعْمِلُها على رأي الكوفيين تبماً لِلْفَةِ النَّمِيشِين.

غروجلً:

﴿ وَلِنَا اَمُعُوَّا لِكَاللَّهُ وَيَشُولِهِ. لِيَحْكُمْ يَنَهُمْ إِنَا فَرِقُ مِسْمُ مُعْرِصُونَ ۞ وَلِن يَكُو أَشْهُ لَفَقُ يَاتُوْ إِلَيْهِ مُذَعِينَ ۞ أَقَ قَلْوِيمَ مَرَضًا إِذَ لَوَالُوا الْمَعَاقُوتَ أَنْفِيمَ الْمَعْمَ وَرَسُولُةً بَلْ وَلَتِلَكُ هُمُ الْظَلِيمُوتَ ۞ ﴾

في هذه الآيات كشفٌ لحـال فريق آخـر من أصحاب الإعــلان العام، هُمْ أَخفُّ سُوهًا من الفريق السّابق.

الغربق السابق يُتَوَلَّونُ مُدْبِرِينَ وَسَابِينَ، أَمَّا أَسُود هذا الفريق فحالهم وَسَعُ بِينَ الحدهم وبين شخص آخر خصومة على حقّ، فإنَّ الإقبال والإدبار، "أَيْمِم إذا كانت بينَ أحدهم وبين شخص آخر خصومة على حقّ، فإنَّ كان الحق للحقيقة ودُعِي إلى الرسول في عَهْدَ الرَّسُول، أَنْ إلى الحاكم العسلم اللّذي يحكم بكتاب الله وسُنَّة رَسُوله في عَهْده أو بينَ بَعْدِه، يكونُ مُعْرَضاً يُقبِلي عارضةً يوعظم والتغافل، ويُتحابل، دون أن يُعْلِنَ صراحةً رَشُوله، والله كان الحقّ له أَنْيُ مُثَاداً مُدْعناً مظهراً استسلامه لحكّم كتاب الله وسنّة رسوله، ومعلناً غَيْرَتُهُ على تطبيق شريعة الله.

ولم يَلْمُنغ الله هذا الفريق بعدَم. الإيمان جُرِّماً، بيل طرح بـالنـبة إليـه ثلاثـة احتمالات أوردها على سبيـل الاستفهام التقـريري الـذي يتضمّن معنى الإنكار عليهم ما هم فيه.

الاحتمـال الأول: أن يكــون في قلوبهم مَـرَضٌ قـريبٌ من مـرض النفــاق، منّــذُ شارَكوا في إعلان الإبمان والطاعة، حتّىٰ بَنَـتُ منهم هذه المظاهرة، دلُ عليه:

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضَّ ﴾.

الاحتمال الثاني: أنَّ يكونوا قد طراً عليهم الشُّكُّ بما كانوا قَمْ انتُوا به سابقاً، وهو شكُّ لم يصل إلى مستوى الكفو، وركوب صركب النفاق، خَتَىٰ بَـنَتْ منهم هله الظاهرة، دَلُّ عليه:

﴿ أَمِرَ آرْنَالُوٓ أَ﴾.

أي: بل أرتابوا؟، بمعنى: أطرأ عليهم السَّريب وهو الشك بعد أن كـانوا مؤمنين حين شاركوا في إعلان الإيمان والطاعة؟.

> الاحتمال الثالث: ﴿ أَمْ يَخَافُوكَ أَن يَجِيفَ أَلَقَهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُمْ ﴾ :

لى: مل ألهُمْ يبخافون أن يَجُورَ اللَّهُ عليهم ورسُولُه في الحكم، بمعنى: أيخافون أن تكون قواعد الحكم الشرعي في كتاب الله وسنة رسُولِة قواعِدُ لا تُضْمَنُ إلَّمَاهُ والمدل بَيْنَ الْخُصُوم، على تَقْدِيرِ أنَّ اللَّينَ يَقْرِضُ طاعَةَ خُكُم اللَّهِ وَرَسُّولِهِ تَجُداً وَلَوْ كانت أحكاماً جائزةً.

لكنَّ هذا التصوُّرُ مُرْقُوضٌ حَمَّا فَسُكُمُ اللَّهِ فِي كتاب، وسُكُمُ الرَّسُـول, في سَبُّهِ قائمان على الحقُ والعدل، والنصوص الإسـلامية تنافُرُ بهمـا دواماً بَـَدُّهاً من الرسـول، فكلَّ حكَّام المسـلدين وقضاتهم، وهذا أثرُ اتفقت عليه الأديان الزَّيَائيَّة كُلُّها، ومما أَنْزِل في هذا قول الله عزَّ وجل لداود كما جاء في سورة (ص/ ٣٨ مصحف/ ٨٣ نزول):

﴿ يَدَاوُهُ إِنَّا جَمَلَنَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْمُ فِيَّالُتُانِ وَالْخَيِّ وَلَانَتَيْعِ الْهُوَى فَيُعِلُكُ عَن سِيبِ الْعَلِيَّ الْإِنْ فِي لُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَدَاثُ شَدِيدُ بِمَانُسُوا وَمُ الْحَسَابِ ۞ ﴾ .

بعد طرح هذه الاحتصالات التي يُنْخصِيرُ إشْرَاضُ هذا القريق عن حُكُم الله ورسوله بأن يكون سبَّةُ واحداً بُنْهَا، وصَفْهُمُ الله عزّ وجلّ بأنّهم هُمُّ السَّمَّالِيُّونَ في هَـذَا الْمُسجالُ، بَلَدُ أَرْلِيَكَ النَّخَرَةِ السَافقين، فقال تعالى:

﴿ بَلَ أُوْلَتِهِكَ مُمُ أَنظَنِلِمُونَ ٢٠٠٠

﴿بل﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ أُولِئُكُ ﴾ . إشارة إلى هذا الغربق باسم الإشارة الموضوع للبعيد، للدلالة على يُعْدِهم عن صراط الله، ويُعْدِهم عن الالتنوام بتنظيق منتضى منا أعلنسوا من إيمان وطاعة.

﴿هم﴾: ضمير فصل لتأكيد الحصر.

﴿الطَّالُمُونَ﴾ : أي: الأخدون من صفات النظلم بمخالفة مقتضيات الإيمان والطَّاعة ما يجعلهم مُتنوَّين، كانهم وحدهم هم النظالمون، والقصَّر مُتنا من قبيل القصر الإضافي، أي: مُمْ وَحَدَمُمْ أَشَدَ الظالمين من جماعة المسلمين، بالإضافة إلى سائر النظالمين في موضوع الحكم بها أنزل الله في قضايا الحقوق بين الناس، إن لم يكونوا قد وصلوا إلى دركة الكفر ورُكُوبٍ مَرَّجُب النَّفاق حَمَّاً، فإن وصلوا إلى هذه الذَّرَكة فهم مع أفراد الفريق الأول، وهذا أمر يُنْهَمُ دَهَاً.

قول الله عزّ وجل:

﴿إِنَّمَاكَانَقُلَ ٱلْمُؤْمِنِنَ إِنَادُمُوْالِلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. لِيَمْكُرْبَيْتُمُ أَنْ يَقُولُوا سَمِمْنَا وَأَطْمَنَا وَأُوْلَتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن بُعِلِعِ المَّدَوَرَسُولُهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَقَدِ فَأُولَتِكَ هُمُ الفَّيْرُونَ۞﴾.

في مقابل صا يفعل الفريق الأول الذين ليسوا بمؤمنين، إذّ يُدْبِدُون وعاَّونَ عن تطبيق مقتضيات إعلان الإيمان والطاعة، وما يُفَعَلُّ الفريق الثاني الظالمون الدين يُزدَّدُ حالهم بين أن بكونوا مرضَى القلوب ابتداءً، أو طراً عليهم الرّيب، أو يخافون أن بجود الله عليهم ورسوله في المحكم، يُبِيَّنَ الله عبرَ وجعلُ في هاتين الآيتين موقف المؤمنين المصادقين في إيمانهم وفي إعلانهم الطاعة فه ورسوله، إذا دُهُوا إلى الله ورسوله ليحكُم بَيْهُمْ، أي: إذا دُهُوا للحكم في خصوماتهم بكتاب الله وسنّة رسوله.

إِنَّ مُوفِفُ المؤمنين الصادفين منحصِرٌ في أَنْ يَقُولُوا: سَمِيتُنَا وَاطْشَا، أَي: سَمِمْنَا القول، فلَمْ تَكُنُّ قُلُوبِنا وَأَفَكَارَنا شارهً عنه غَيْرِ وَاعِيَّة لمضمونه، وَأَطْفَنَا ما تَضَعَّنه من أوامر ونواهي وتكاليف، فنحن نستجيب لتحكيم كتاب الله وسنَّةٍ رسُوله، ونَقْبُلُ بِما يَصْـلُرُ من حُكّم وَلُو كـان علينا، وضـذ هوانــا، لأنّنا نؤمنُ أن الحكم بكتــاب الله وسنّة رسُوله يضمن الحقّ لاهله، ولا يَجُورُ عليهم.

وصارت عبارة: هَسَبِهُمَنا وَأَطَعْنَاهِ فِي الاستعمال المديني دالَّةٌ على الاستجابة التطبيعيَّة الممليَّة للكالف الشرعية، وليست دالَّة على مجرّد القدول، لأنَّ إِنَّبَاع المدعوة إلى معارسة العمل المطلوب بعبارة وسَيهُنا واطَعْنَا، يقتضي في العرف المتَّبع مباشرةً التُنْفِذ، أو البدة باتَّخاذ الأسباب اللَّزْرة أن، دون تسويف ولا مراوغة.

وَوَصَدَ اللَّهُ عَزْ وجـلَ هؤلاء المؤمنين الصــادقين في إعــلانهم الإيمــان والــطاعــة بالفلاح، وهو الظفر بالـــعادة الخالدة في جنات النعيم يوم الدين، فقال تعالى بشأنهم:

﴿ وَأَوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٠٠ ﴿

يقال لغة: فَلَخَ، وَأَقَلَحَ، أي: ظفر بما يريد، وفاز بنعيم الآخرة.

ومعد بيان حال المؤمنين الصّادقين في هذه العجزيّة من جزيّاتِ السُّلوك الديني، أَتَبَعَهُ اللَّهُ عَرْ وجلُّ بيان شامل_ه في قضيّة كُليّةٍ تَشَمُّ كُلُّ جزئيّات السلوك الدّينيّ في كلُّ المجالات فقال تعالى:

﴿ وَسَ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَقْدِ فَأُولَيِّكَ هُمُ ٱلْفَآبِرُونَ ﴿ ﴾.

[مَنْ]: اسم شرط جازم يشمَلُ عموم العقلاء المكلَّفين.

فالآية تشتمل على قضيّة كايّة شرطيّة متصلة موجبـة، وهي تتألّف كمـا هو معلوم من شرطٍ وَجزاء.

أمَّا الشرط فيها فقد جمع ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: طاعةً الله ورسوله، وهو عنصرُ سلوكي في المؤمن، دل عليه قوله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾.

العتصر الثاني: خشية اللهِ عَزَ وجلَ، وهو عنصر قَلْبِيُّ ونفسيَ، يَنَدَفَّقُ دُواماً من منابع الإيمان، وليست الخشيةُ من الله مجرّد خوف ورهبة، بل هي خوف مصحوبٌ بإجلال وتعظيم وحبّ، وقد دلُّ على هذا العنصر قوله تعالى:

﴿ وَيُعْشَ أَلَّهُ ﴾.

العنصر الثالث: تقسوى الله، وهو العنصر الوسيط بين الخشية القلية النفسية، وبين سُلُوك الطاعة، فالتقرى هي التحرُك لاتخاذ الوقاية من العقاب، وقد دلَّ على هذا. العنصر قوله تعالى:

﴿وَيَنَّفُهِ ﴾.

الخشية: انفعالُ داخليُّ يُحْدِيُّهُ صِـنْتُى الإيمـان. وعن الخشيـة تنحرُك الإرادة لاتخاذ الوقاية من عقاب افله، وأثر النقوى في السلوك يكون بطاعة الله ورسوله.

فالنصّ أبّانُ أوَّلًا الاثر الظاهر، ويعده أبــان الباعث من الـــــانـــل، وأخيــراً أبان الواسطة بينهما، وفي هذا إثّنَانُ في النرتيب عجيب، وقد جمعت هذه العناصر الشلاث كلّ ما يلزم للشرط بعد صدق الإيمان الذي جاء بيانه في الآية السابقة.

وأمَّا الجزاء لمَنْ تحقَّق فيهم هذا الشرط فقد جاء في قوله تعالى:

﴿ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْفَآيِرُونَ ۞ ﴾:

أي: فأولئك هم الذين انحصر فيهم كمال الفوز يوم الدين، الفوز: هو النظفر، والنجاة من الشرّ، والرّبخ العظيم.

غول الله عز وجل:

وَأَفْسَمُوا بِالصَّحِهَ الْيَسْنِ لَهِ أَسْرَتُهُمْ إِيَّهُ وَكُفَّ الْالْفَسِمُ وَأَلْمَا عَلَى مَرْوَلُهُ إِنَّ اللهَ عَنْدُولُ فَأَلِينًا اللهُ عَلَيْهُمُ الرَّسُولُ فَإِس مَوْقًا فَإِنْسَاطَلِع مَا ثُولُ اللهُ وَيَعْلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عِلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

في مَاتَيْنِ الآيَنِّينِ كَشْفُ لظَاهِرَوْ ثَالِثَةٍ مِنْ ظواهـر نفاق المنتافقين، مع السوجيه الرَّبائيُ لمعالجتها بما تستدعي من تـرية حكيمـة هنا، إضبافةً إلى مـاجاه من وسائلً تربوية فيما سبق من نصوص مُنزَّلة في نجوم الننزيل. هـله الظاهـرة تبدو من المنافقين (ويكفي أن تظهـر من بعضهم أحيانـأ، هي أن يتظاهـروا بإعلان حمامتهم الشديدة لطاعة الرسول حتّى في مجـال بـذل أمـوالهم وأنفسهم جهاداً في سبيل الله، إنْ رجّه الرسول ﷺ لهم الأمر بذلك.

إذَ من المجرّب في سلوك الناس أنَّ من بالغَيْ في أقواله الحماسيَّة حالة الرخاء، قبل وقت الاستحان الفعلي، كان أكثر الناس تخاذلًا، ومعميةً، وتَوَلِّياً لدى الدَّعوة إلى تطبيق ما كان يبالغ في التُحمُّس له، وكان أكثرهم فراراً عند الشُّدَة، والمطالبة بالتنفيذ العملي لبذل النفس أو الممال.

والسبب في ذلك أنه في حالة الرخاء يربدُ أن يكون ذا مكانة متفوقة بين الجماعة، بما يتظاهر بالحماسة له، انسجاماً مع مقضيات الثماقي، أمّا عند الشطيق العمليّ فإنه لا بذّ أن ينسجم مع ما يؤمن به، وما يؤمن به مخالف لما يشظاهر به، بل هو على التميض منه تماماً.

وقد عرض الله عزَّ وجلَّ هذه الظاهرة على سبيل الحكاية لأسر كان من بعضهم. فقال تعالى خطابًا لرسوله:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَيِنْ أَمْرَتُهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾.

لم يكتفوا بان يُبدُّوا الرسول بالطاعة إنْ أمرهم أن يخرجوا للفتال، أو يخرجوا من أموالهم، بل قدَّموا هذا الوعد موقّةًا بالبَّلْمَ الأيسان وأشدَّها، فأَنْسَسُوا بالله من مستوى غاية ما لديهم من الفافل قُسَيدًا فِقْسَدُون بها، والنَّمُشُمُّ عليه قولُهم للرسول: أيْنُ أمرتنا بأنَّ نخرج للفتال، أو بأن نخرج من أموالنا وأهلينا لنَخْرُجُنُّ.

الفَسَمُ السَّمَدُ، واللَّامِ المؤكّدة، ونونُ التوكيد الثقيلة، كلَّ هذه المؤكّدات وُتُقُوا بهما وُصَدَّهم، لكنَّهم عند السَطيق لا يفعلون شيشاً، وتذهب وعُودُهُمْ مع السَّوالهم الذاهبات لا أثر لها في واقعهم العملي، كرماد اشتدت به الربح في يوم عاصف.

جَهْدَ أيمانهم: صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: وأقسموا بالله قسماً جهْدَ أيمانهم، أي: موصوفاً بأنه فاية أيمانهم.

وعقب بهان هذه المظاهرة من صفات المنافقين، علَّم الله رمسول، فكلُّ قـائـد

للمسلمين من بَعْدِه، أن يقـول لـمَنْ يُقْبِمـون مثـل هـذا القسم أربـع جمـل مُسْكِتُـه، وكاشفة، ومحذّرة، وهادية، فقال تعالى:

﴿ قُلُ لَاَتُقْسِمُولَطَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّالَقَهَ خَبِرُسِمَاتَصْمَلُونَ الْإِنَّ الْمَالِمُوا اللهَ وَأَطِيعُوا ارْسُولْ ﴾.

أَرْبُعُ جُمُل جَمَعَتْ ما يحتاجه الموقف من توجيهِ وتربية:

الجملة الأولى: ﴿ لَّانْقُسِمُواۤ ﴾:

أي: لا تنظاه و ساعة الأمن والرخاه بإغلان حماستكم الشديدة في الالتنزام بطاعتكم للرَّسُول حتى في أشد اوامره على نفوسكم، وهو الأمر بان تخرجوا من أموالكم أو تخرجوا للقتال بالذلين نفوسكم، فهذا النظاهر لا يرفع منزلتكم عند الرسول، وليس له أثر نافع لكم عند الله، لأنّ أمركم سبتكشف قريباً حينما تُذَعَوْنُ فعلاً للخروج عن بعض أموالكم، أو الخروج مقاتلين في سيل الله.

ومعلومٌ في طبائع الناس أن الصادق الذي يُريد أن يفعل حقّاً، يتُدَّجَرُ حَمَاسَتُهُ لساعةِ العمل النَّفِيلِين، ولا يُمُلِلُهُما صوتاً يضرُّح في الفضاء، في ساعـاتِ الأمن والرَّحاء، وتقديم الوعود بالأقوال التي ليس وراءها تنفيذ مباشر.

الجملة الثانية:

هذه الجملة تعطي علَّةَ دلالات صالحة في هذا المقام لأن تُقْصَد:

الأولمَى: المسطلوب منكم طاعة عمليّة فعليّة دواماً عند الأوامر والنواهي، وأن تكون هذه الطاعة معروفة ظاهرة بالتُطيق، لا أنْ تكون مزعومةٌ مُدُعاةُ ادّعاءٌ غير مُشْهُود الأثر، كالذي يغيب عن الأنظار ويقولُ فعلتُ وفَعَلَتُ.

إذا دُعيتُمْ لبذل المال فابذأوا، وعندڻؤ يكون بـذلكم طاعةً معروفةً بأنهـا طاعةً للأمر. وإذا دُعيتُمْ للخروج مجاهدين في سبيل الله فاخرجوا، وقاتلوا في سبيـل الله مع المؤمنين، وعندئذ يكون خروجُكُم طاعةً معروفة بأنّها طاعةً للأمر.

وهكذا إلى سائر الأوامر والنواهي .

الثانية: طاعةً تَعِدُونَ بِها قِسل أوانها معروفةً لنا بأنّهما طاعةً كاذبت، فلا تُشِيرُوا أنفسكم في النظاهر بالدّوق. بها، وفي تقديم الفّسَيرِ المشلّد على حِرْصِكُمْ على الالتزام بها، وانتم كانبون.

إنَّ هذا الكذب لا يجملكم في نظرنا محل ثقة، ولا يُقَرِّكُمُّ من قلوينا ونفـوسنا، حَتَّى تُتَجَدَّ منكم يطانة تُشتشارُ في الأسـود المهمّة من أسـود المسـلمين العـائمـة، إنَّكُمُّ مكتُشِوُن مَعْروفُون بصفائكم.

الثالثة : طاعةً عمليَّةً مُمروفة ظاهـرةً عند التنظيين خيرً لكم وأولى لاتحساب الثَّقةِ بكم، واغتنام مرضاة ربكم رثوابه، من الوعود بالطاعة الموثّقة بالأبعان المعتَّلَفة، وهـذه الوعود إذا لم تفوا بها جُرثُ مليكم وبالأ، وجَلَيْتُ لكم نكالاً .

الجملة الثالثة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ يُرِعَانَعُ مَلُونَ ﴾ :

 أنَّ الله يُتَابِعكم بعلمه، المستند إلى خبرته بأحمالكم التي تشكَّرُ عنكم من أحمال باطنة، وأحمال ظاهرة، إيجابيُّة أو سليَّة، فلا تخفى عليم من أحمالكم التي تعملونها خافة.

ومن أعمالكم الباطنة عزمُكُمْ في قلوبكم على عدم الوفاء بوعودكم، حالة كونكم تقدّمونَها بحماسة ظاهرة، رتُوثَقُونها بالأيمان المغلظة، من مستوى جَهْلِد الأيمان.

ومن أعمالكم ما تكيديةً سرّاً صَدّ الإسلام والمسلمين، وما تتركون من قُمروض وواجبات دينيّة حينما تشعرون بانكُمُّم هَرُّ مرافيينَ من المسلمين، وما ترتكبون من محرَّمات ومحظورات في السّرًا، إلى غير ذلك من كلَّ عَملٍ يُصَدَّر عنكم.

فلا تحسّبُوا أنَّ مخادعتكم بأقوالكم مخادعةٌ غَيْر مُسَابعة بـالـمراقبة والعلم القائم على الخبرُةِ بما جَرَى ويُجري منكم .

وبما أنَّ الله خبيرٌ بما تعملون فإنَّه سيَّحْبطُ أعمالكم التي تعملونها ضدَّ دينه

ورسوله والمؤمنين حقًا، وسُيَجَازيكم على كفركم ونفاقكم بمنا أنتم له أصلُ، من جزاً» بالعدل، عقاباً لكم على كفركم ونفاقكم ومعاصيكم.

الجملة الرابعة:

﴿ أَطِيعُوا آللَهُ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ﴾ .

هذه الجملة تكثف أنهم كاذبون في ادّعاء الطاعة حالًا، والعزم عليها مستقبلًا، بسبب أنّهم منافقون.

فعن النُّصُع لهم أن يُجَلَّدُ لهم توجيهُ التكليف بأن يطيعوا الله ورسوله، ليخرجوا من واقع العصيان الذي هم عليه، إلى مواقع الإيسان الصادق، والتزام صحراط الله المستنبع.

بعد هذا خاطبهم الله بقوله:

﴿ وَاسَ وَلَوْاَفِالنَّاعَةِ مِنْ مِنْ وَعَلِيهُمُ مَا مُعِنْدٌ وَإِن تُطِيعُونُ تَصْنَدُولُ وَمَا عَلَ الْرُحل إِلَّا الْبَلْعُ الْسِيثُ ۞﴾.

﴿نَوَلُواْ ﴾: اصْلُها تتولُّوا.

أي: فإنْ تَتَوَلُّوا مُذْبِرِين نـائين عن طاعة الرسول، غَيْرُ مُنَفَّدِين ما يجب عليكم تُجاهه، فإنكُمْ لا تَضُرُّونه امام ربَّه بشيء، بل تَضُرُّون أَنْفُسكم، لانكم بعدم طاعتكم لـه تَفْسُلُون، خـارجين عن صـراط الله المستقيم، فُنْمُرُّضُسون أنفسكم لعقـوبــة ربكم بضلالكم.

_ ﴿ فَإِنَّمَا عَلَبُهِ مَا حُمِّلَ ﴾ :

اي: فَمَنا على الرَّسُول من مَسُولِيّة تُجاه ربِّه إلَّا ما كُلُقت خَلَّهُ، والْعَمَلُ به، وتَثْغِيلَهُ بنضه من قول أو يَعْل ظناهرٍ أوْ بداطن، وليس هو مُلزمـاً بأن تُنظيعوه، حَمَّى اذَا لم تفعلوا كان مؤاخذاً على ذلك عند ربَّه.

_ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا خِيْنَتُمْ ﴾:

أي: ومَا عليكم من مسؤوليَّةِ تجاه ربكم إلَّا ما كُلْفُتُمْ حَمْلَهُ، والْعمَلَ به، وتنفيلُه

بانفسكم من قول أو فِحْل ظاهر أو باطن، ومن ذلك أن تطبعوا رسُول ربكم فيما يأمركم به وفيما ينهاكم عنه، فيان عصيتم وتولِّيَّتُم فـأنشم الَذين تحملون أوزاركم بـانفسكم، ثم تحاسَّيون وتعاقبون عليها عند ربكم.

واسْتُغِيدُ الحصر في هذه الجملة من كونها معطوفة ونابعةٌ في الحصر للجملة السابقة لها: ﴿فَإِنَّمَا عَلِمَ مَا حُمْلٍ﴾.

_ ﴿ وَإِن تُعَلِيعُوهُ تَهْ نَدُواً ﴾ :

أي: وإنَّ تطيعوا رسول ربكم تُهتَدوا إلى ما فيه سمادتكم وفلاحكم وفموزكم في الدنيا وفي الأخرة.

ودلَّ جـواب الشرط في هـذه الجملة [تَهْتَلُوا] على أن مُقَـابِلَهُ في الجملة الأولى مطريًّ، والتقدير فإن تَتَرَلُّوا عاصين له تَشِيلُوا، وإن تُطِيعوه تهتَدُوا.

ويُقَدِّرُ هُنَا مُقَابِلُ ما صُرَّح به في الجملة الأولى، أي: وإنَّما لَهُ مَا فَعَلَ من خيـر، ولكم ما فملَّتُم من خير.

_ ﴿ وَمَاعَلُ ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْكَنَّعُ ٱلْسِّيثُ ۞ ﴾:

أي: ليس على الرسول من تكاليف يُشأنُ عنها عند ربَّه بالنَّمْبَة إلى قومه في شأن الرُّسالة الَّتِي حُمْلُهَا، إلاَّ أن يُوصِلُ إلى قومه ما أمرَّهُ ربَّه بان يُرحِمَلَة اليهم، وأن يكون ذلك بطريقة واضحة يَنْمَة صريحةٍ لا خُموض فيها، وهذا التوصيل الواضح البيَّن الصريح، هو البلاغ المبين.

ويُفَهِمُ من هذا أنَّ الرّسول ليس مسؤولًا عن تحويل قومه من الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاحة، وليس مطالباً بان يُكُرِه الناس على سلوك الصراط المستقيم إذا أبُّرا ووفضوا سلوكه، ولم يستجيرا لدعوة رسول ربّهم، إذَّ خَطَة الامتحان الرّباني قائمة على اختبار الناس في أن يؤمنوا ويسلكوا صراط الله المستقيم، عن طريق إرادتهم الحرّة، لا بالإلزام والإجبار.

أقول هنا: إنّ على الدعاة إلى الله والأسرين بالمصروف والناهين عن المنكر أن يضعراهذا المعنى نصب أعينهم دوامًا ،حتى لاتضيق صدورهم إذا لم يستجب لهم الناس.

النصّ الخامس والعشرون

من سورة (النور/ ٢٤ مصحف/ ١٠٢ نزول) أيضاً والسورة (١٦) من التنزيل المدني، الإيات مسن (٢٦ – ٦٤) حول تسأل المنافقين من المجامع العامة بدون إذن وسوء أدبهم في خطاب الرسول

قولُ الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّا الْتُفْهُونَ الْآيِنَ مَا مَنُوا بِاللهِ وَيَسُولِهِ وَإِنَّا الْوَاعَمُ عَلَّ أَمْهُ عَلَا أَمْهُ عَلَا الْمَنْهُ عَلَيْ الْمَنْهُ عَلَيْهِ وَيَسُولِهِ عَلَا أَمْهُ عَلَا الْمَنْهُ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ وَالسّتَغَدُّولُكُ اللّهِ عَلَيْهُمْ اللّهِ عَلَيْهُمْ اللّهِ عَلَيْهُمْ اللّهِ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَمُولَا وَعِيدَ اللّهُ عَلَيْهُمُ وَالسّتَغَيْرُكُمُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَالسّتَغَيْرُكُمُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَالسّتَغَيْرُكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّ

(1)

ما في هذا النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش) * في الآية (١٤) بنه: (١) قرأ جمهور القرَّاء [وَيَوْمُ يُرْجَعُونُ إليه] بالبناء للمفعول.

وقرأ يعقوب [وَيُوْمَ يَرْجِعُونَ إلَيْه] بالبـاء للفاعل.

فيين الفراءتين تكامل في الأداء البياني، وذلـك لأنَّ الله يُرجِّعُهم إليـه يوم الـــاين للحــــاب ونصل القضاء والجزاء، فيطَاوعُونَ بالجبر فيرجِّعُون.

**

موضوع التص وسبب نزوله

موضوع النص:

يشتمل هذا النصّ على كشف ظاهرتين من صِفَاتِ المنافقين:

الظاهرة الأولى: أنَّهِم إذا حضروا المجامع العائمة ذَاتُ الأهميّة العظيمة لـ الإسلام والمسلمين، ضافّتُ صُدُورهم، وشقُلُ عَلَيْهِم أَنْ يَتَصَنُّوا الشَّيْرُ على ما يَجْرِي فيها بسًا لا يؤسنون به ولا بجدواه، وصَعَبَ عليهم أن يحبُّرا انفسهم مع المؤمنين طوال سقة الاجتماع، ولاسيما إذا كانت فيه واجبات عَمَلِيته يُضطُون أن يشاركوا فيها، وهم لا يُريدون أن يكْبُف وا أنفسهم عن طريق الاستثمان بالانصراف، لقضاء بعض شؤونهم، لأنَّ مدَّة النياب ستكون محسوبةً عليهم، ولأنَّ كثرةً تهرَّبهم من مشاركة المسلمين في أمرهم قد تكشف نفاقهم.

لذَلِكَ فَهُمْ يَسَلُلُونَ مستخفين خروجًا، وغِيابًا، وعمودةً إِنْ رَجْعُوا، دون استشذان من الرَّسول، أومن قائد المسلمين في الْمَجْمع العامُ.

فأبان انه عَرْ رَجِلُ أن المؤمنين الصادفين إنا كانوا مع الرسول (أو مع قالمية منهم قياساً، على المر جامع لا يذهبون لبعض شأنهم حتى يستاذنوه، ولا يفعلون ذلك إلاً مضطرّين، أوعند الحاجة الشديدة.

المظاهرة الثانية: سوء أدَّب المنافقين لـدى مخاطبتهم للرسول، بسبب أنَّهم

لا يؤدسون به نبيّـاً رسولاً، فهم لا يُكِشُون له الحبّ والاحترام والتوفير والتعظيم، فَهُمْ بِالنَّلِقَائِيَّةُ المعاديّةِ التي لا يَنضَنُّمُونَ فيهـا يُخاطِئُونَه وَيَـدْعُونَه كما يُخاطِبُ بعضُ الناس بعضًا، وكَمَّا يَدُعُو بعضُ النَّاسِ بعضًا.

بخلاف المؤمن الصادق الإيمان الذي يُجِنَّ في صدوه للرَّسُول الحبُّ والاحترامُ وَالإجلال، فإنَّه بِالتَّفْقائِيَّةِ الساديَّة لا يستطيع إلَّا أن يَـدَعُوَ السرسول ويُخاطبُه بـأَسُّلُوبٍ مُثَيِّم بالحبِّ والتعظيم والاحترام والتوقير والإجلال.

فنهى الله عزَّ وجلَّ عن خطاب الرسول بعثل خطاب الناس بعضهم لبعض، وجعل هذا النهى تبدئن الكلام عن الظاهرة الأولى التي تكون في المجامع المامة، للإشعار بأهمية مراعلة الأدب مع الرسول أو مع قائد المسلمين في الدُّعاء والخطاب في المجامع العامة، التي ينبغي أن تُراعى فيها آداب اخترام أفراد الحمهور لقائدهم، محافظة على مقتضيات الطاعة والانفياد والضبط والنظام، بخلاف حالات المباسطات العامة والمقامات العادية، التي لا يكون فيها الأليقاء على أثر جامع في أهمية للإسلام والمسلمين، كاجتماع الامور الدفاع، أو الإعداد لقتال العدو، أو الدعوة لبدل الأموال، أو المشورة في أمر عام، وكالمجامع الدينية العامة لصلاة الجمعة وصلاة العدين،

وتُعْرَف هذه الاجتماعات في لغة عصرنا بأنها اجتماعات رسميَّة.

سيب النزول:

 أورد ابن إسحاق أن الرسول # لمّا بلغه خبر ما أجمعت عليه قريش ومعهم الأحزاب من قبائل العرب من أسر قتال الرسول والمسلمين في المدينة، أسر بحفر الخندق لمنع جيش المشركين من اقتحامها.

وعمل الرسول في حقر الخندق ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فداب فيه ودايوا. وجمعل يتباطأ رجالٌ من المتنافقين في العمل، ويُموُّرُون بالضعيف من الأعمال تظاهراً حتى لا ينكشف نفاقهم، وكانوا يتسلّلون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن.

أَمَّا الرَّجُّلُ مِن المؤمنين الصادقين فكان إذا اتنابته النائبة من الحاجة الَّتي لا بدُ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللُحوق بحاجته، فيأذُنُ له، فإذا فضى حاجت رجع إلى ما كان فيه من علمه، رغبةً في الخير، واحتساباً له.

فأنزل الله تعالى الأيات من سورة (النور):

﴿ إِنَّمَا ٱلمُثْوَمِينُونَ ٱلَّذِينَ وَامَثُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٓ أَمْرِ جَامِع ... ﴾

[الأبات: ٦٢، ٦٣، ١٤].

وأخرج نحو هذا ابن المنذر والبيهقي في دلائل النبوَّة.

 (٢) وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في الأبات قال: هي في الجهاد والجمعة والعبدين.

(٣) وأخرج أبو داود في مراسيله عن مقاتل، قال: كنان لا يخرج أحمد لرعافي او أحداث حتى يستأذن النبي ﷺ يشهر إليه بأصبعه التي تلي الإبهيام، فيأذن له النبيً يشهر إليه يهده، وكان من السنافين من ينقل عليه العظمة والجلوس في المسجد، فكان إذا استأذن رجلٌ من المسلمين قام المنافق إلى جنه يستتر به حتى يخرج، فأنزل الله: ﴿ أَلَّهُ مِن مُتَكَلَّهُ كِمِنكُمْ لِوَاذَاً ﴾.

* * *

(٣)

المفردات اللَّغوية في النصّ

﴿ عَلَىٰٓ أَمْرِجَامِجٍ ﴾: أي: على أمرٍ ما من أمور العلم أو العبادة أو أمــور العسلمين العامة من قضايا السَلْم أو العرب، وهذا الأمر من شأنه أن يكون جامعاً للعسلمين.

﴿ يَسْتَنْذِنُونَكَ ﴾:

حول تسلُّل المتاقفين من المجامع العامة بدون إذن وسوء أدبهم في خطاب الرسول

أي: يطلبون أن تأذن لهم، الإذن: إباحة القيام بما هو ممنوع منه.

﴿يَتَسَلَّلُونَ ﴾:

اي: يَلْخَيْرِن في تُخْلِينة، دون ان يُدوشوا جلية أو صبوتاً يملُّ عليهم، أو حرَّكةً ظاهرة تُلْفِت الانتظار، بقال: تَسَلَّل في النظلام، وتسَلَّل من الزحام، بمعنى انْسَلُّ في تُحَلِّيّة، كما تُسَلُّ الشَّعرةُ من العجين.

﴿ لِوَاذَا ﴾:

مصدّرُ والأوَّذة بعمني استر، وحياد، وواوغ. فاللذين بتُسلُلُونُ إوافًا، هم اللّذين يذهبون في خُفِيَّةِ، مسترين بشيء يستُرهُمْ عن نظر الرّسول، أو رئيس الاجتماع الذي هم فيه، حالمدين، مراوغين، حتى لا يُخابِنهمْ على انصرافهم عن الاجتماع بغير إذنه.

﴿ فَلْيَحْدُرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَّ أَسْرِهِ: ﴾:

اي: فَلْيَحْذَر الَّذِينَ يَعْصُونَ مُعْرِضينَ عن أمر الرسول، أو مُدْبرين أو صادَّين.

يقـال لغة: خـالغَة: إذا عصـاه، فالنعدية بحـرف الجرّ (عن) على تضمين فعـل وخالف، معنى قِعْل: «أعرض، أو أدير، أو صدّه.

﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِشْنَةً أَوْمُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيدً ﴾:

تُطَلِّق الفتنة على التعذيب بالنار، وعلى ذهاب المال والعقل بمصيعة، وعلى إزالة الإنسان عما كان عليه من أمرٍ محمود العاقبة إلى أمر مكروه العاقبة، وعلى بلبلة الأفكار واضطرابها وتعارضها في المجتمع، إضافة إلى أصبل معناها وهو الاختبار بعا هو شاقً على النفس.

ونظراً إلى مقابلة الفننة قنا بالعذاب الأليم، ينيفي أن نستيمد من معاني الفننة هنا معنى التعذيب والاختبار، فتكون بمعنى التحويل إلى ما يكرهون، جزاة مخالفتهم وتحرّلهم عن مقتضيات الطاعة، وبمعنى وقوع الخلاف والبلبلة بين مجتمعهم الخاص الذي يجتمع أفراده على الثفاق، جزاء ما يكون منهم من خلخلة صفوف المسلمين، وإحداث الخلاف داحل مجتمعهم الفاتم على وحدة القيادة والضاية والدين، وبمعنى إصابة أفرادهم المخالتين بمصائب إفرادة نذهب بها أموالهم، أو تطيش بها أحلامهم، وكلَّ هذه العقوبات مطروحة في الاحتمال والله يختار منهما ما ينساء، لمن يشاء، على ما يشاء.

﴿ فَلَدُّ يَعْلُمُ ﴾:

وَقَدُّهِ مِن معانيها التحقيق، وهي يهذا المحنى تدخل على الفعل العاضي والقعل المضارع، فتقول: وَقَدُّ قَلْمُهِ بِمِعْنَى تحقَّى علمه فيما مضى. و وَقَدُّ يُعَدُّمُهِ بِمِعْنَى يُعَدَّقُنُّ عَلَمَهُ فِي الحال والمستقبل.

(1)

مع النصُّ في التدبُّر

قول الله عز وحل.

﴿ إِنَّسَا ٱلْمُنْ مِنْ الَّذِينَ مَا مُؤَا لِلَّهِ وَيَعُولِهِ مِلِلَاكَ اَوْاَمَعُمُ عَلَّىٰ أَمْرِهَا مِلْ حَقَّ بِسَنَادِ وَفُواْ إِنَّا الْقِيْنِ مِنْ تَعْفِقُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيَقَالِهِ وَيَصُولِهِ فَوَالَّاسَتَنَا فُوكَ لِمَعْفِي شَائِعِمْ قَالْ وَلِمَنْ مِثْنَاكَ مِنْهُمْ وَلِنَا فَعْفِرُهُمُ ٱلْفَيْزِكِ اللَّهِ عَقُورٌ مَنْ هِ

تمهيداً لكنف سوك السنطين في المجامع الإسلامية العامة، بقيادة الرُسول، ثُمَّ بقيادة أيِّ قائد من فادة المسلمين من بَصْده، وهي المجامع التي تُعقَد لنتعليم والتوجه، أو لإقامة البدادات الجماعية كسلاة المجمعة، وصلاة العيمدين، وخطيتهمما، أو للمشاورة، أو للعمل في مصالح المسلمين العامة، سواء أكانت للسّلم أو للحرب.

يُبَنَّى الله عزَّ ومزَّ في هـذه الآية المــوذج الكــامـل لـــلوك المؤمنين الصــادقين العــاملين بـمقتضى إيداتهم، الملتزمين بلحكــام الإسلام وآدابـــه، ونــظامـــه، والمهتمين بـمصالح العســلمين الدانة.

فييّن الله عزّ وجلّ على سبيل الحصر بعبارة وإنّما؛ أنَّ المؤمنينَ حقًّا في مثل هذه المجامع الإسلاميّة العان هم: أولاً: الَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ ورسوله، وهذه هي القاعدة الإيمانية الاساسية في الدّين، فلا بدّ من ملاحظتها دوامًا، بوصّفها أوّل الشروط.

شاتياً: وإذا كانوا مع الرسول بوصف قائد المسلمين، أو مع قائد من قادة المسلمين من أولي الأمر منهم، مجتمعين على أثر جامع، أي: له صفة الأمر الذي يجمع المسلمين، لم يأدئوا من الاجتماع بخصم المسلمين، لم يأدئوا من الاجتماع بأنضهم، تُحَكِّن عن سؤولياتهم، ويُجَلِّن في بواجب الحضور والمشاركة، وبواجب الالتزام بالنظام الجماعي، لكن إذا عرضت لاحدهم ضرورة، أو حاجة شديدة، استأذن الرسول في أن يفارق الاجتماع لقضاء شاء، أو يستأذن قائد الاجتماع ورئيسه.

وينظر الرسول أو قائد الاجتماع في طبيعة شأن المستأذن، فيأذن له إن شاء، وذلك إذا رأى الشأن يستدعي انصرافه من الاجتماع، لأجل أو لغير أجل. وقد لا يمأذن له إن شاء، وذلك إذا رأى الشأن لا يستدعي انصرافه من الاجتماع، فالمشيئة ليست تصرفاً بالمُهْوَى، بل هي تصرف رشيد مستندً إلى تقدير المصلحة الخاصة والعامة.

وهذه هي القاعدة النظاميّة التي يجب الترامُها في المجامع العامـة الإسلاميـة، فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم يلتزمون بها، ولا يُجَلُّون بواجباتها.

ولبيان وجوب الالتزام بهذه القاعدة النظاميّة أبان الله عزّ وجل أنَّ الالتزام بهـا من صفات الذين يؤمنون بالله ورسوله مرّنين:

الأولى: بقوله تعالى في صدر الآية بأسلوب الحصر في وصف المؤمنين:

﴿ إِنَّمَا الْمُوْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ مَا مُثُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِمَا كَاثُوا مَعَمُ عَنَّ أَمْرِهَا بِعِ لَمَ يَنْهَ بُوا حَقَّ مَسْتَذِلُونُ ﴾ .

أي: منا العومنون الصنادقون العبامارن بمقتضى إيمنائهم إلاً الذين آمتُنوا بنائه ورسولته وإذا كناننوا معنه مجتمعين على أثمر شُهمٌ من أمنور المسلمين جناصبع لهم، لم يذهبوا حتى يستأذنو، فإن أذن لهم ذهبوا، وإن لم يأذن لهم الطاعوا ولم يذهبوا.

الثانية: بقوله تعالى في وصف المستاذنين الذين لا ينصرفون من المجامع العامة للمسلمين وهي قائمة إلا بإذن من قائدها أو رئيسها، خطاباً لرسوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ رَسَّتَ فِنُولَكَ أَوْلَتِهِ لَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْقَوْوَرَسُولِةِ ﴿ ﴾.

فأبان بهذا قضيتين:

القضية الأولى: أنَّ الاستثنان في مثل هذه المجامع العامة هـو من مقطيات الإيمان، فمن كان صادق الإيمان النترم به، طاعةً لله ورسـوله، ومن أبـدى الترامـه به أشعر بأنَّه صادِقً الإيمان حَسَنُ الطاعة.

القضية الثانية: الإلمائح إلى أنَّ الَّذِينَ لا يستأذنون، بل يُسَلَّفُونَ مُسْتَخْفِق قد يُشْعِرُ عَمَلُهم بانَّهم من أهل النفاق، لا مُجَرَّدُ عصاة لما يجب عليهم في الدين، وذَلِكُ لاهمية المجامع العامّة في المجتمع الإسلامي لعموم المسلمين، والإخلال بها بعد انعقادها أمرُّ يسمح بسوجيه الشكوك حول أصل الولاء لملامة الإسلامية، وهُذا تَبْجه النظون للاتَهام بالنفاق.

ونظراً إلى احْتمال أنْ يكُون بعضُ المستاذنين ليسوا أصحاب عُذْرٍ حقيقيً يتنضي الإذن لهم بمغادرة الاجتماع، قال الله لرسوله:

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِمُهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَنْ فُورٌ زَيْجِهُ ١٠٠٠ ﴿

أي: والحلب من الله انْ يَغْفِسرَ لَهُم، لاحتمال ان يكــون استتـذائهم لا يستحقُّ الإذن، وقد رأيّتَ أن تأذن لهم.

وجاه الإلماح إلى أن الله سيغفر لهم، ببيان صِفَتَيْن عظيمتين من صفات، بجملة خبريّه استثنافية هؤكدة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَجِيمٍ﴾.

﴿فَقُورَ﴾: صيغة مبالغة لغافر، أي: كثير الستر لذنوب عباده، وعظيمهُ.

﴿رحيم﴾: صيغة مبالغة لراحم، أي: واسع الرحمة وجَليلُها وعظيمها.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ لَا تَغْمَلُواْ دُعَكَاةَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ مَكُدُعَآء بَعْضِكُم بَعْضًا

عقب بيان سلوك المؤمنين الصادقين في إيمانهم، الملتـزمين بمقتضـاه في المجالس الإسلامية العامّة.

نهى الله عزّ وجلّ عن مخـاطبة الـرسول ومنـاداته كمـا يخـاطب النـاس بعضُهُمْ بعضاً، بأسـماتهم دون تكريم، أو بصياح يدلُّ على عدم التوقير والاحترام.

وتفهم من جعل الله هذا النهي بين أمرين مترابطين يتعلقان بأداب المحجامح الحامة، ونظام معادرتها بالإذن، ومخالفة هذا النظام بالانصراف عنها تُسَلَّلاً، ضرورة مراعة المجالس العامة، محافظة علَى مراعاة لامراء العامة، محافظة علَى المجالس العامة، محافظة علَى المجالس العامة، محافظة علَى المجلد، التي بها يكون الأفراد المجتمعون مُشَمِّين مُتَّمِيتِن، مشاركين بحواسّهم وقلوبهم، لا يسمحون للفوض أن تسلَّل إلى اجتماعهم.

لَّيْخَاطَبُ الرسولُ بلَقْبِ، يها رَسول الله، يها نبيُّ لله، وبصوتٍ ليس فيه خشونَـَةُ ولا غلظةً ولاَ صِياحٌ، ويكون خطابه عنـد الحاجـةِ الماسّة، للسؤال عن أمر، أو تقـديم مشورة أو رأي أو خبر أو نحو ذلك.

ويفاسُ على الرسول فائِدُ الاجتماع الورئيسة، فيخاطُبُ بلقية، مثل: وبا أمير المؤمنين ــ ياخبلِفَةُ رسول الله _ أيّها الفائد ــ أيّها الزعيم ــ ايهما الرئيس، وتححو ذلك من عبارات تتطلَّبُها أداب المجلس.

دُعَاه: أي نداه، يقال لغة: دعا الرُّجُلُّ يَدْعُوهُ دَعُواً، وَدَعُوقًا، وَدُعَاقًا، وَدَعُوفُ. إذا ناداه وصاح به.

أمًا في غير المجالس العامّة فَيْسَـّمْحَسُنُ النزام هـذا الادب، وإنَّ كان التكليف بــه يخفّ، ولا سيما في مجالس المباسطات والمؤانسات.

.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ فَدَيَهَ لَهُ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ مَنْ لَكُونَ مِنكُمْ إِوانًا فَلْيَحَذُوا لَلَّينَ يَقَالِمُونَ عَنْ أَسُوهِ أَنْ تُعِيبَهُمْ فِنْسَةً أَوْتُعِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيرًا ﴿ ۞ ﴾ .

بشدّ أن وضفُ اللهُ تسالى سُلُوكُ المؤمنين الصنادقين في إيمانهم، الماسترمين بمقتضياته في المجالس الإسلامية العالمَّة، أبان الله سلوك المخالفين لأدب هناء المجالس، بالتَّسَلُّل منها دون استثنان، وقد جاء هذا البيانُ بتأكيد تحقّي علم الله بسا يكون من هؤلاء النشليز، والْهُمْ مَهْمَا تَسلَلُوا مُسْتَخْفِين فإنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ. ثُمَّ يُجازِيهم بحب أعطهم، قتل تعالى:

﴿ فَدَّ يَعْلَمُ أَلَهُ أَلَٰذِكَ بَنَسَلُلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ :

 أي: إِنَّ اللَّهُ يَشَاء طَرْفَوْاء اللَّمِن يُعادرون المجالس الإسلامية العامّة مُسَلَلين يساستخفاء في تنشر ومزومة ون استثنائه من الرسول، أو من قادة هذه المجالس

ويمنا أنَّ الآية الزان من النص دلَّت على أنَّ الله قند أَمَّى الموتين بعدم الانصراف من هد المجنّر. قل انتهائها، إلا بالإذن من قائدها، يمتضى أنَّ من لوازم صدق الإيمان وازم النامة عدم معاذرتها إلاَّ بالإذن، قال الله تعالى:

﴿ فَلْيَحْدُرِ الَّذِينَ كَالْهُونَ مَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْيُصِيبَهُمْ عَذَاجُ أَلِيدُ ﴿).

فحدًّد بن الطونة الدينة المخالفين العصاة الذين يتسلَّلُونَ منها بعير إذَّنِ، ياعتبار أنَّ الأمر الرجوب وروة يستحقّ معها المخالف العقوبة، فترتب العقاب يدُلُّ على أن الأمر التكليمُ للمُراكِمُ مُشَلَّدٌ، وليس من الواجبات المدنيا، أو ما هو قبريبٌ منها.

والعقاب الذي حَمْر لذمه قد جعله الله متردَّداً بين أَمْرَيْنِ:

الأول: أنْ تُعِينُهُ بَنَدُ فِي انفسهم أو أموالهم تضطرب فيها أحوالهم، ويتمكّر فيها نظام حياتهم.

الثاني: أن يُصِينُهُمْ مَلَبُ أَلِيمٌ.

ويظهر لي أن نشار أطوة ونوعها ممّا ينـاببُ أحوال المحـنالفين، إذ قد يكــون منهم مؤمنــون عصان. وند يكون منهم من هم ضعفـــاه الإيصــان، وقـــد يكــون منهم منافقود، وهؤلاء أنشّد، وهم الدين يستحقّون العذاب الأليم، والله أحلم.

♦ قول الله عزُّ وجلُّ:

﴿ آلَالِكُةِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ قَـدْ يَعَلَمُ مَا أَشَّدَ عَلَيْهِ وَقِوْرَ بُرْيَعُونَ إِلَيْهِ فِيَيْمُنْهُ بِمَا فِلْوَالْفَائِكُمْ فَيْ مُؤْمِنِيمٌ ۞ .

هٰفِيهِ أَنْهُ لِنِجَامِ لِمُهَا النَّصَ، وهِي تَشْنِيلُ بَمُنَاسِبَةٍ مَا جَاهِ فِيهِ عَلَى كُلُّيَاتٍ عَامَت مِنْ كُلِّيَاتِ النَّهِ، أَنَّ إِنَّا جَاءَ فِي هَـذَا النَّصَ إِنّا فِي جَزَيْاتُ تَسْطَيْقُ عَلَيْهَا هَـذَه الكليات المَّلِمُ كَاسْطِيْقُ عَلَى غَيْرِهَا.

الكليَّة الأولى:

﴿ أَلَا إِنْكِنُهِ مَا فِي ٱلسَّكَ نَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾:

اي: انْهَوْرا فروْالاً﴾ اداة استفنام للنبيه ـ إنَّ لِلْهُ جَدِيمَ ما في السُّمَاوَاتِ المظهمات الوابقان وجميعَ مَا في الأرض، يكلَّ أَشيائها وأحيائها المكلَّفَةَ وغير المكلَّفة، فهو الأَثِها وَلِلُّهَا، وَلواصي كلَّ شيء فيها بيله يُصرَّفها كيف يشاء بالإيجاد والإعدام وانغير والديل والتحويل وغير ذلك.

والمفهودة بيناسبة ما جاء من تكالف في النصّ وفي سورة (النور) كلّها ،

أنّ ألله ليس بحاجة إلى إيمان من يؤمن ، ولا إلى صلح عَسل من يعمل صالحاً ،

ولا إلى طاقة بن يغيع ، وأنّ الله لا يضُرّه غُثرُ من يُكُّم ، ولا سوء عمل من يعمل سبتاً ،

ولا مصيةً بن يغيع ، وليس بحاجة إلى من ينصرُ له دينه ورسوله ، ولا يضُرقُ منْ
يَضْدُلُها ، تكلُّم افي السماوات وما في الأرض بلكُه ، ينصرُف فيه كيف يشاء ، ولكن
حكمته سبحات أن ينتمن المكلفين في الحياة بالأرام والنواهي ، ليحاسبهم ويجازيهم
على أعمالهم، فتر ما يكشفه الإبتلاء من أحوالهم ، الخاصمة لعلمه الشامل ، اللذي
على أعمالهم ، فتر ما يكشفه الإبتلاء من أحوالهم ، الخاصمة لعلمه الشامل ، الذي
لا يضادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحاط بهما واحصاها، وكتبها في صحائف الأعمال
المخصصة لتنبيراً ولمال المكلفين .

الكلِّة الالية:

﴿ فَذَبَعْلُمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْسِهِ ﴾:

لي: تأكُّدا وكُونوا على يَقِين بانَّ اللَّهَ يَمَلُمُ تَحْظُةَ بَشْدَ لحظة مَا أَنْتُمْ عليه من كلَّ ذَوَاتكم ومِفَائِكُم واخْوَالكم من خير أو شر، من صالح عمل أوسيَّه. هذا بينان عن علمه سيحانه بصا هو كنان في الحنال مع كمل اللمطّاب المتجدّدات، وفي تصوص أخرى جاء بينان أنه يُقلُمُ كلُّ ما سيكون من أحداث مستقبلًا، وأنَّه يعلم كلَّ ما كان في الماضي، فهو سيحانه وتعالى عليم بكلَّ الماضي، وكلَّ الحال، وكلَّ المستقبل.

والعقصود هذا التذكيرُ بأنّه سبحانه عليم بكلّ ما عليه عباده، أي: فلّعِدُوا أنفسهم للجزاء المعجّل، ثم لِلْجسّابِ ولْصُلّ القضاء والْجَزاء المؤجّل إلى يوم الدين.

الكليَّة الثالثة:

﴿وَيُوْمَ يُرْجَعُوكِ إِلَيْهِ فَيُنْبِئُهُمْ بِمَاعِيلُواً ﴾:

أي: ويومندٍ يُخاسِبُهُمْ ويُلجازيهم على أعمالهم، فجُرَّه الجملة المذكور دلَّ على جزّها المحذوف، مع ما سبق العلم به من أحداث يوم الدين.

وفي بيان هذه الكليَّة تذكيرٌ بركن اليوم الأخر من أركان الإبعان، ومــا يتضمن ص وعُدِ ووعيد.

الكليَّة الرابعة:

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّي شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وفي ذكر هذه الكالية تُناءً على الله بصفة علمه المحيط بكلُ شيء، مع النذكير مهده الصفة الجليلة من صفاته تبارك ونعالي، لنرسيخ الإيسان بها، وإعضارها في النفس، لتُكُونُ باعثاً على خشية الله، والعمل بعراضيه، لاتقاء عذابه، والظفر بثوابه مي الذُّيَّا ولاخوة.

النصّ السادس والعشرون

وهو سورة (المنافقون/ ٦٣ مصحف/ ١٠٤ نزول) (السورة (١٨) من التنزيل المدني) حول بيان حقيقة المنافقين وبعض صفاتهم الظاهرة والباطنة وبعض مواقفهم والتحذير مهم

قال الله عزّ وجل:

....م الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَاجَاءَكَ ٱلْمُنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُمُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُوكَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَانُهُمْ جُنَّةُ فَصَدُّوا عَنْسَبِيلَ اللَّهَ إِنَّهُمْ سَآهَ مَاكَافُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ دَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلْرِبِمْ ۚ فَهُرُلَا يَفْقَهُونَ ۞ ۗ وَلِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ أَشَمَ لِلْوَلِمُ كَأَنْهُمْ خُشُبُ مُسَنَّدَةً يُحسُونُ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْمَ أَمُوا لَمَدُوُّ فَاللَّهُ وَأَنَّكُ أَنَّ أَنَّ يُوْفَكُونَ ﴾ وإذا فِيلَ لَمُمْ تَعَالُواْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْوَا وْمُوسَامُ وَرَالْيَتَهُمْ يَصُدُونَ وَهُم مُّسْتَكُمْ وُونَ ۞ سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَ اسْتَغْفَرَتَ لَهُمْ أَمْ لَمُ تَسْتَغْفِرْ لَكُمْ لَنَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمّْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْفَوْمَ الْفَسِقِيبَ ۞ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَانْتِفِقُواعَلَىٰ مَنْ عِندَرَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَشُّوأُ وَاللَّهِ خَزَآنِثُ السَّحَوَتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ يَقُولُونَ لَين زَجَمْنَ ٓ إِلَى ٱلْمَكِينَ فِلَيُخْرِجَكَ ٱلْأَعَرُّ مِنْهَا ٱلأَذَلُّ وَيَقَواْلُمِزَةُ وَلِرَسُولِهِ. وَلِلْمُقْدِينِ وَلَكِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ ٱلْيَعْلَمُونَ ۞ يَأَيُّمَا الَّذِينَ مَا مَنُوا لَائُلْهِكُمْ أَمْوَلُكُمْ وَلَا أَوْلَندُكُمْ عَن ذِكْرِأَلَهُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلخَسِرُونَ ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا زَزَقْتُكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْلِكَ أَحَدُكُمُ ٱلْمُؤتُ فَيَقُولَ

رَبُ لَوْلَا لَمُتَّزِّقَ إِلَىٰ الْجَلِرْمِبِ فَأَصَّدَّتَ كَأَ كُن فِنَ الصَّلْحِينَ ۞ لَلَ يُؤَوِّلُهُ نَفْسًا إِذَا كِمَا أَجَلُهُمُ أَوَالْفَهُ خَبِرِّينًا الْفَصَالُونَ۞ ﴾.

. .

١)

ما في هذه السورة من القراءات المتواترة (من الفرش وشيء من الأداء)

غ ني الآية (٤):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة [خُشُبٌ} بِضَمُّ الشين.

وقىراً أبنو عمرو البصري، والكسنائي الكنوفي وقُنْبُسل عن ابن كثير العكي [خُشْبً] بإسكان الشين.

وهما لغتان عربيتان.

في الآية (٥):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة [لَوُّوا] بِتَشْدِيد الواو الأولى.

وقرأ نافع المدني، وَرَوْح عن يعقوب البصري [لَوْوًا] بتخفيف الواو الأولى.

وفي القراءتين تكامُلُ في أداء المعنى الدراد فقراءة وَلُوَّوْا بِالتشديد تدلُّ على أنُّ قسماً من المنافقين يُنافنون في لَيْ رؤوسهم بإمالتها وإدارتها تعبيراً عن الرفض، وأن قسماً آخَر منهم يأُوُونُ رؤوسهم بصفةٍ عاديَّة لا مبالضة فيها، وذلك بحسب حالتهم النفسية، ومقدار كفوهم ونفاقهم.

في الآية (١٠):

 (١) قرأ جمهور الفرّاء العشرة [وأكُنْ مِن الصّالِحِينَ] بجزم [اكُنْ] على أنّـه جواب الطلب.

وقرأ أبو عمرو البصري [وَأَكُونَ من الصّالحين] بنَصْب [أكُونَ] عطفاً على فعل [فَأَصَّدَق]. والقراءتان وجهان عربيان من وجوه الإعراب.

غی الآیة (۱۱):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة [يُؤخِّرَ] بهمزة مفتوحة بعد الياء.

وأبندل أبو جعفر المدني وورش عن نبافع الممدني الهمنزة واواً في الـوصــل والوقف.

وأبدلها حمزة واوأ في الوقف فقط. ورقَق ورش الراء.

وهذه القراءات وجوه من الأداء تتبع اللَّهجات العربيَّة.

(٢) قرأ جمهور القرَّاء [واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تُعْمَلُونَ] بناء الخطاب.

وقرأ شعبة عن عاصم [بما يُعْمَلُونَ] بياء الغيبة.

وفي الفراءتين تكامل في الأداء البياني.

(Y)

موضوع السورة وسبب نزولها

موضوع السورة:

تتحدث السورة عن كذب المنافقين في انتصائهم للرسول ﷺ بأنهم مؤمنون بـه، وكذبهم إذْ يحلفون الايمان ليستروا بهما نفاقهم، وليستروا بها عــــــم التزامهم بسلوك سبيل الله كلما ابتصدوا عن أعين الرقياء من المؤمنين، إعراضاً أو إدباراً أو ابتصاداً عــــه، وليستروا بها ما هم عليه من عــــم توجيه اهتمامهم لفّهم البيانـــات التي تبصرَّهم بسيل الله، مع بيان سبب ذلك.

وتصف حال فئة من المتنافقين في عصر الرسول ﷺ، فوي الأجسام التي تعجب من رآها، والأقوال المتنمّة، التي تجلب لاستساعها فإذا خَضَرُوا مجالِسَ العلم والذكر مع المؤمنين اختاروا لاتفسهم الأماكن التي يُسْنِدون إليها ظهورهم كمالجُلْر والسَّواري، لأنّها مريحةً لهم، وذات وَجَاهة، لكنّهم لا يَصُونَ مَنَا يُضَال في هذه المجالس من علم وذكر شيئاً، لانصراف أذهانهم وقلوبهم، فهُمْ كالْخُشُبِ المسنَّدةِ قاماتُها على الْجُلُر لئلا تسقط، وهذا دليلٌ على أنّهم كالنَّائمين ظاهراً أو باطناً.

وتَصِفُ حالتُهُمُ النَّسِيَة بالهم خاتفون حذرون دواماً، يخشون أن ينكشف أمرهم فيؤخَذُوا ويعاقبوا على كلنهم ونفاقهم وخياناتهم، ولشدَّة حذرهم وترقيهم افتضاح أمرهم يحبُّونَ كُلُّ صَيْحَةِ تحليرٍ مُريسةِ صِيحَةً عَلَيْهِمْ، وأَنَّهُمْ هُمُّ المقصودون بها، وذلك بسب أنهم في الباطن أعداة حقيقيون، إلاَّ أَنَّهم مُسْتخفون مُتَسَرُّون.

ويحـَّدُّرُ اللَّهُ الرسولَ وكُلُّ مؤمنٍ منهم، وبيَّنِ أَنَّهم هم اشـَّدُ الاعداء والنَّـمُّم عــداءً للإســلام والمسلمين، وأنَّهم جديـرون بأن يقــاتلهم الله، إذَّ لم يأذن للمؤمنين بأن يقاتلوهم ما داموا يسترون كفرهم وعداءهم، ويُظْهِرون إسلامهم وولاءهم.

وأبنانت السورة من مواقفهم التي تبدلُ على كفسرهم في البناطن، أنهم إذا ارتكبُّوا ذنباً من الكبائر التي تمسُّ الرسول أو جماعة المؤمنين، أو الإسلام، ودفاهُمْ بعض المؤمنين إلى الرسول ليمتذروا ويطلُّبُوا منه أن يستغفر لهم الله أعلنوا الرفض بأن يُلُّووا رؤوسهم، وبأن يُحجموا باجسادهم، بسبب أنهم مستكبرون في صدورهم وغير مؤمنين.

وأبانت من مواقفهم دعوتهم المسلمين من قومهم من الأنصار أن لا يُنْفِقُوا على الدفين يجلسون في مجالس الرسول حتى يُغَفَّسوا عنه ويضاوقوا مجلسه، وضرضُهُمْ من ذلك أن لا تكون له بهم قوة، وأن لا تكون له جماهير محيطةً به دواماً،

وأبـانت من مـوانفهم مـا كــان من عبــد الله بن أبــي بـن سلول في غــزوة بني المصطلق إذ قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُشرِّجِنُّ الأعَثْرِ مَنَّ الآذَلُ يعني أنَّه هــو الأعزَّ الأقوى والرسول والمهاجِرُون من مكة إلى المدينة هــم الأذلُون.

واشتملت السورة على توجيه توصيات ونصائح للمؤمنين تتعلّق بما جـا، في السورة عن المنافقين.

حول بيان حقيقة المنافقين وبعض صفاتهم الظاهرة والباطئة وبعض مواففهم والتحذير منهم

ميسب الشزول:

 (١) غزا الرسول ﷺ بني المُصْطلق من خُـزَاعَة في شعبـان من سنة خَمْسر للهجرة، إذْ بَلْقَهُ أَنْهِم يُجْمَعُون جُموعهم ويُعدّون لقتال المسلمين في المدينة.

والتقى الجمعان على ماء لبني الْمُصْطَلِقِ اسْمُهُ والْمُرْيْسِيع، فسمّيت هـلـه الغزوة بهذا الاسم أبضًا، كما سمّيت غزوة بني المصطلِق.

وانتصر المسلمون وهزم الله بني المصطلق، وما غنمه المسلمون فيها وزَّعـه الرسول ﷺ بينهم من أموال ونساء وأبناء.

ومنًا جرى في هذه الغزوة على ما روى ابن إسحاق. أنَّ العسلمين لمَّا كانـوا عنـــل ماه الشُّــرتيــيعه وردت واردة النــاس، ومع عُــَــر بن الخطاب أجـيــر له من بني غفار، يقال له: جَهَهَـُناهُ بن مسعود، يقود فرسّــه.

فــازدحم على العاء جَهَيْمَــاً، أُحِيرُ عُمَــر بن الخطاب، ويبشانُ بن ويَرُ الْجَهْيَى حليفُ بني عوف بن الخزرج، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشـــ الأنصار، وصــرخ جَهْجَاهُ يا معشــ المهاجرين.

قبلَغَ الخبرُ «عبدُ الله بن أُبِيّ بن سُلُول» وعنده رهط من قومه الخزرجيين، وفيهم زيدُ بن أرفع خلامٌ حدَثُ السّنّ، فقال ابن سلول:

وأَوَ فَلَ فَمُلُوها؟ قد نافُرُونا* ، وكاثُرُونا* في بلادنا، والله ما اعدُّنا وجَـلاَيِبَ فَرَيْس ؟ إلاَّ كما قال الأوَّل: سَمَّنُ كَلَّبُكَ بِأَكْلُكَ، أما والله لَيْنُ رَجَّمُنَا إلَى المدينة لِيُخْرِجُنُ الْأَمْزُ مِنْهَا الأَفْلَ.

⁽١) ثافرونا: أي: افتخروا علينا بكثرة نفرهم وغلبونا بها.

⁽۲) وكاثرونا: وغلبونا بكثرة غذيهم.

⁽٣) جلايب قريش: فقب اطلقه المشركون على من كان اسلم من قريش وهاجر، لأنهم كانوا فقراء، ويلسون الجلايب، وهي أثر وأردية قلبلة الثمن، الجلباب: يُطأن على الملاءة السائرة من الرأس إلى القدمين، ويطلق على الإزار والرداء في اللَّمة، والجمع جلايب، واطلاق الجلايب على الناس كتابة.

شمَّ أَقْسَلَ على من حضوه من قبوسه، فقال لهم: وهذا سا نعاشُمُ بِالْقَسِيْحُمُ، المُلْتُسُوهُمْ بالادكم، وقباستموهم أسوالكم، أمّا والله لـو أَنْسَكُتُمْ عنهم ما بـاباديكُمْ لتَحوَّلُوا إلى غير دَاركمه.

فَابِلُغُ الغلام وَزَيْدُ بِن أَرقم، ما سمع إلى رسول الله ﷺ بعد أن انتهت الغزوة، وكان عند، تَحَمَّرُ بِن الخطاب، فقال تُحَمَّر: مَرْ بِهِ عِبَّادَ بَنْ بِشْرٍ فَلْيُقَتُلُهُ.

فقال رسول الله ﷺ: فكيف يا عُمر إذا تحدُّث النَّاسُ أنَّ محمَّــداً يتشُل أَصِحَــداً يتشُل أَصِحابه؟! لاَ ولكِنْ أَذَنْ بالرَّحيل، وذلك في ساعةٍ لم يكن يُزتَحِلُ فيها.

فارتحل الناس.

وعَلِيمَ عبد الله بن أُنِي بن سلول، أن وزيد بن أوقم، أبلغ الرسول 難 بما قال، فجاء إليه فحلف له بالله: ما قُلتُ ما قال زيدُ عنَى، ولا تكلّمت به.

فقىال من كان عنىد رسول الله الله من الأنصار من اصحابه: يا رسول الله، عَـــــى أن يكون الغلام قد آؤمَـــم في حديثه، ولم يحفظ ما قىال الرَّجُــل، حدّبـاً على ابن سلول ودفعاً عنه.

ولفيَ وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِهِ رَسُولَ الله ﷺ في مَسِيرِه، فحيَّاه بتحيَّة النَّبَـرَة، وسلَّمَ عليه، تُمَّ قال:

يا نبيِّ الله، واللَّهِ لَقَدْ رُحْتَ في ساعةٍ مُنْكَرَةٍ، ما كُنْتَ تَرُوحُ في مِثْلِهَا.

فقال له رسول الله ﷺ:

وأَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُم ؟ ٥.

قال أُسَيد: وأيُّ صاحبٍ يَا رسول الله؟.

قال: عبد الله بنُ أَبَيّ.

قال أُسُيد: وَمَا قال؟

قال: وزَعْمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَرُّ مِنْهَا الْأَذَلُهِ.

قال أُسَيِّد: فأنْتَ يا رَسول الله نُخْرِجُهُ مَنْها إِنْ شنت، هـــو واللَّهِ الغليــلُ وأنْتَ العزيز.

ثم قال أسيد: يا رسُولَ الله، ارفُق بـه، فوالله لقـد جاءَتَ الله بِكَ، وَإِنَّ قَـوْمُه لَيْنَظِمُونَ له العَرْزِ لِيُتَرَّجُوه، فإنَّه يَرِى أَنْكَ قَد استَلَيْتَه مُلْكًا.

ثَمُّ مَشَى الرسول بالمسلمين يومَهُمْ ذَلِكُ حَنَى أَشْسَ، وليُلْتُهُم حَنَى أَشْسَ، وصَنَّذَ يومهم ذَلِكُ حَنَى آذَتُهُمُّ النَّمس، ثَمَّ نَوْل بالناس، فلم يَلْيُشُوا أَنَّ وَجَلُوا مَسَّ الأَرْضِ فَوْقُوا يُهانًا.

وإنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبدالة بن أُبِيّ بن سلول.

ثم راخ رسول الله بالناس فهبُّتُ على الناس ربيعُ شديـدةً آؤَنْهِم، وتَنخَوُّفُوها، فقال الرسول:

ولاً تخافُوها، فإنَّما هبُّتْ لمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظماء الكفَّارِي.

فلمًا قدوا المدينة بلغهم أنَّ البهرديُّ ، وغُناعَة بُن رُقِيدِ بن التابوت، أَخَذ بُني قَيِّقُناع، قد مات، وكانَّ صظيماً من عظماء البهبود، وكهفأ للمسافقين قبل أن يُجليَّ الرسول بني فيتُقاع عن المدينة .

ونزلت انسورة التي ذكر الله فيها المسافقين، في عبد الله بن أبسي بـن سلول، وصن كـان على مثل أسـوه، فلمّا نـزلت أخذ رســول الله ﷺ بـأَذُنِ وزّيد بنِ أَرْضَم، ثمّ قال:

وهَذَا الَّذِي أَوْفَىٰ اللَّهُ بِأُذَّنِهِ عِ.

أي: صنَّلَ اللَّهُ مَا سَمِعَتْ أُذُّنَّهُ من عبد الله بن أُبَيِّ بـن سلول.

ويَلْغَ عَنْدَ لللهُ بُنْ عَبْدِ اللَّهِ بِن أَبَـيّ بِـن سلول الَّـذي كان من أمـر أبيه. وكــان رجُلًا مؤمناً صادناً، فاتمى رمـولَ الله ﷺ فقال له :

يا رسول الله، إنَّهُ بلغني أنَّكَ تُريدُ قَتْل عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبْسَى فيما بَلَغَكَ عَنْهُ، فإنْ

كُنْتُ لاَ بَدُ فَاعِلاً، فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا احْمِلُ الْكِلُ وَاسَهُ، فواللَّهِ لقد عَلمتِ الْخَرْزِجُ مَا كان لَها مَن رَجُلِ أَبَرُ بِولِلِهِ مِنَى، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمَرُ بِهِ غَيْرِي فِيضَّلَه، فلا تَدْعَي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَىٰ فَأَيْلِ عِبدِ اللَّهِ بِنِ أَبَـيٍّ يَمْشِي فِي الناس، فَاقْتَلُه، فَأَقُلُ رَجُلاً مُؤْمِناً بِكَالرِ فَلْخُلِ النارِ

نقال رسول الله 鑑:

دَبَلُ نَتَرَفَّقُ بِهِ، ونُحْسِنُ صُحْبَتُهُ مَا بَقِي مَعَناء.

أمًا عبد الله بن أبي بن سلول، فكان بعد ذلك إذا أحدث الحدث الذي يسوء ارسول والمسلمين، كان قومًه هم الذين يُعاتِبُونه ويَأْخُذُونَهُ وَيُعَثِّهُونَهُ.

ففال رسول الله ﷺ لَعُمَر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأته:

وَكُلِفَ فَرَىٰ يَا عُمَرُ؟!. أَمَا وَاللَّهِ لَـرُ قَتَلَتُهُ يَـرُمُ قُلْتَ لِي: اقْتَلُهُ، لأَرْجِنَتْ لَهُ أَنْفُ، لَوْ أَمْرُتُهَا الْيُرَمِّ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتُهُ.

قال عُمْر: قد والله علمتُ لأمُّرُ رسُولِ الله ﷺ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي.

 (۲) وروى البيهقي بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: كُنا مع رصول الله ﷺ في غَران، فَكَنَعْ(١٠ رُجُلُ بِنَ النَّهَاجِرين رجُلاً من الأنصار، فقال الانصاري: با للأنصر، وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين.

فقال الرسول ﷺ:

وَمَا بَالُ دَعُوَى الجاهلية؟!. دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتِنَةً».

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أبي بن سلول: وَقسد فَعَلُوها؟!. واللَّهِ لَئِنُ رَجَعُنُسا إلى المدينَةِ لَيُعْرِجُنُ الْأَعْزُ منها الأَذَلُ.

قال جابر: وكنان الأنصار بالصدينة أكثــر من المهاجــرين حين قَــبم رسول الله ﷺ، تُمَّ كُثُرَ المهاجِّرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ.

فقال عمر: دَعْنِي أَضْرِبٌ عُنْقَ هذا المنافق.

⁽١) تَكُسْعَ: أي: ضَرَبُ تُيُرَهُ بَصْدِرِ قدمِهِ، أوبيده، أو بغير ذلك.

فقال النبيُّ ﷺ: ودَعْهُ، لا يُتَحدثِ الناسِ أنَّ مُحمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُه.

ونظير ما جاء عند البيهقي، روى الإمام أحمد عن سفيان بن عبينـة، وكذلـك عند البخاري ومسلم.

وتوجد روایات آخری مشابهة تدلُّ علی أن سورة (المنافقون) نزلت بمناسبة ما جری من المنافقین من أحداث أشارت إلیها آیات السورة، وما تحدثت عنه هذه الروایات هو من هذه الاحداث، والله أعلم.

(٣) وروى الإمام أحمد بسنده عن دزيد بن أرقم، قال:

خسرجتُ مع عمَى في غيزاة، فسمعتُ عبد الله بن أَبِيّ بن سلول بقسول الأصحابه: لا تنفقوا على مَنْ عَنْد رسول الله، وَلَيْنْ رَجَعْنَا إلى المدينة لَيُشْرِجَنُ الْأَخْرُ مِيْمًا الله الله عَلَى مَنْ عَنْد رسول الله عَلَى لرسول الله عَلَى . فأرسل إلى رسُول الله عَلَى فضائتُه، فأرسل إلى عبد الله بن أبي بن سلول، وأصحابه المحلّقة والله ما قالوا، وتكنّين رسول الله وصدّته، فأصابني همَّ لم يُعِينِي عَنْهُ فَلَمَّا وَحِلْسَاتَ فِي البيت، فقال عَنِي: ما أَرْفَتَ إلاَّ أَنْ كَذْبَكُ رسول الله عَلَى وَاللهِ عَنْهَا فَلَاءًا وَاللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى الهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهِ عَلَى عَلْمَا عَلَى عَلَ

قال: حتَّىٰ أنزل الله:

﴿ إِذَا جَأَةً كَ ٱلْمُنْفِقُونَ ﴾.

فبعث إليُّ رسول الله 議، فقرأهـا رسول الله 議 عليُّ، ثمَّ قـال: وإنَّ الله قَدُ صَـدَّقَك:ه

 (٥) وروی ابن إسحماق تعقیباً علی أحمدات غزوة أُحَمد عن ابن شهاب الزهري، أنَّ عبد الله بن أَبَّدِيَّ سَرفاً الزهماب الزهري، أنَّ عبدالله بن أَبَّدِيَّ سلواً لكن له مقام يقومه كُلَّ جُمعة لا يُنْكُرُ، شرفاً له في نفسه وهي نفسه وهي يضاب الناس، وما وكان فيهم شريفاً، إذا جَلَّسَ رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله واعزَّرُهم، وما راحكُم به ناتُشُرُوهُ وعزَّرُوه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس.

حَنَى إذا صَنْع يومَ أَحْدِ ما صَنْع (وهو انخذاله عن الرسول بثلث العبش) ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدَّوَ الله، لسَّ لذلك أهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ، فخرج يتخفّى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأن قُلتُ بَجْراً (وفي رواية: مُجْراً الي كلاماً قبيحاً، أنْ قُلتُ أشدَد أَمْرةً، ففه رجلُ من الأنصار بباب المسجد، فضال: ما لك؟ ويَلْك! . ثلا: قُلتُ أَشَدَد الْمَرة، فهن على رجالٌ من أصحابه يَجْلِبونني، رسول الله ها، قال: ووالله ما أبنني أن يستغفر لي ه.

(۳) المضر دات اللَّغه يسة

﴿ عَالْوانشَهُدُ ﴾:

أي: قالوا: نعلن شهادة بألسنتنا مطابقةً لما نعتقده ونؤمن به في قلوبنا.

الشهادة: خبر بـاللسان عمـا هو مستقرً في الجنان من علم أو اعتقـاد أو عاطقـة أو نحو ذلك.

﴿ ٱلَّفَذُوۤ الْمُنْتَهُمَّ جُنَّةً ﴾:

أي: جَمَلُوا أَلِمَسَانهم التي يحْلِفُونَها سُمْرةً تستُمُ نَصَاقهم. الْجُنْمَةُ في اللّغة: السُّنَرَة، وكُلُّ ما وَقَيْ من سلاح وغيره.

﴿ فَصَدُّوا عَن سَيِدِ إِللَّهِ ﴾:

أي: أَشْجَمُوا عَرْ سَلُوكُهُ، أو أعرضُوا عنه، أو أدبروا وتُتَوَلُّوا، ويـاتي متعلّـيـاً بمعنى صَرَفُوا غيرهم عن سلوكه.

﴿ فَطَّيعَ عَلَ قُلُومِمْ ﴾ :

الطُّنيُّعُ فِي المالَبَانِ الملموسة، كالختم الـذي يُختم عَلَىٰ المُقْفَـلَاتِ حَنَّىٰ تفتح.

واستعمل فِما يُخلُثُ في القلوب للذّلالة على أنّها صارت محجوبة عن إِذْراكِ أيّ شيء يتلزّ بعاهي محجوبةً عنه.

﴿فَهُمُّ لَا يَفْقُهُونَ ﴾:

أي: فهم لا بفهمون بواطن الامور ودقائقها، وما تؤول إليه في المستقبل، لأنَّ أذهانهم منشبَّةً بالظاهر (السُطوح، والنتائج المستعجلة الفريبة.

﴿ كَأَنَّهُمْ مُنْبُ مُسْلُدُهُ ﴾ :

الْخُشُبُ، والْخُشُبُ: جَمْعُ خَشَيَة واحدة الْخَشَبِ، وهو مــا غَلْظَ من الْعيدان، يُتَّخَذُ منها السواري والاعدة الخشبية، وتُحْمَلُ عَلَيْها السُّقُوف.

﴿ الْمُسْتَقَدَّةُ ﴾:

أي: جُعِلَ لَهَا سِنَةَ أَو عِمَادٌ كجدار تُستَتِدُ إليه وهي قائمة، يقال لغة: سَنَدَ الشَّيْءَ وَسَنَّدُمُ، إذا جَعَلِ لَهُ سِنَاداً أَو عِماداً يستَبِدُ إليه.

﴿ يَحْسَبُونَ ﴾:

اي: يتولمبولًا.

﴿ أَنَّ يُؤْفِّكُونَ ﴾ :

أي: كيف بُفْرَفِن؟! يُقَالُ لُغَةً: أَفَكَ الرَّجُلُ فُلاناً عَنِ الشِّيءِ أَفْكاً إِذَا صَـرَفَهُ عنْهُ. وأَفَكَ الأَمْرَ غَنْ وَجُهِهِ إِذَا قَلَيَهُ وَصَرَفَهُ عَنْهُ.

﴿ لَوَوَأَرُهُ وسَعْمَ ﴾ :

أي: أَسالُوهـا وأدارُوها تعبيراً عن الرفض، بتشديد الـواو الاولى للمبالغـة، أو بدون تشديدها لبيان حالة الإمالة دون مبالغة.

﴿حَقَّ يَنفَشُّواْ ﴾:

لي: حَتَّىٰ يَتَفَرُّقُوا، يقال لغة: انْفَضَ الْجَمْعُ: إذا تفرُقَ. ويقَالُ: فَضَّ الشيءَ وفَضَّ القومَ إذَا فَرَقَهُمْ. وفَضَّ المالَ على القوم إذا فَرَقَهُ وفَسْمَهُ عليهم.

الأعز: أي: الأقوى القادر على أن يُغْلِب.

الأذلُّ: أي: الأضعف الذي لا يقدر على أن يكون هو المنتصر الغالب عنـد المغالبة.

﴿لَاثُلُّهِكُو أَمْوَلُكُمْ ...﴾:

أي: لا تشغلُكُمْ عَمَّا هو خيرٌ لكم في عاجل ِ أمركم وآجله.

﴿ فَأَمَّدُنَّكُ ﴾:

أي: فَاتَصَدُّقَ، سُكِّنتِ التاء وأَدْغِمَتْ بِالصَّاد، فصارت صاداً مشدَّدة.

12

مع النصّ في التحليل والتَّذَبُّر

* قول الله عزَّ وجل خطاباً لرسوله محمّد ﷺ:

﴿ إِذَا عِلَاكُ ٱلنَّنَيْفُونَ قَالُوا أَنَّهُ لَأَيْكَ كَرَسُولُ الْغَوَالُّمَّ يَعْلُمُ إِنَّكَ لَرَسُولُمُوالُمَّ يُشْهَدُ إِذَّا النَّنَوْفِينَ لَكُوْفِكِ ﴾ .

الشهادة: تشتمل على قــول ملفوظ بــه، وعلى ادَّعــاه بــأنَّ معنى هـــذا الفــول الملفوظ أَمْرُ يُوْمِن به ويعتقد مُقدّم الشهادة.

فاقتضى الأمْرُ أن يُعْطَى القولُ الملفوظُ حُكُماً مُنْفَصِلًا عن قائِله، وأنْ يُعْطَى

ادُّعاءُ مطابقةِ الاعتقاد في القلب للمعنى الذي دلُّ عليه القبول الملفوظ في الشهادة حُكّماً آخَرُ مُنْفصلًا عن معنى القول، إذْ هُمَا فضيّان:

- أمّا القول الملفوظ في عبارة المنافقين، فمعناه حقٌّ وصِدَّق.
- وأمّا ادّعاء المنافقين بأنّهُم يُؤيئُونَ بعضْمُون مَا شَهِدوا به فهو ادّعاء كاذب،
 وهم به كاذيمُون.

وبهذا أَخَلُتْ كُلِّ تَشْيِرُ حُكُمُها، وقد جاءت الآيةُ رائصةً حَقَّا في الشّبيه على الفصل بيْنَ القضيّين، وإعطاء القول الملفوظ في الشهادة حُكُماً مُخالفاً للحكم الذي يتعلّق بادّماء المنافقين الكانب.

وعَدَمُ وضوح هذه الرؤية قد أوْفَـعَ بعض البلاغيين في ارتبـاك حين أرادوا أن يعرّفوا الصدق والكذّب، هل الصدق المطابق للواقع أو المطابق للاعتقاد

ومن وضحت له الرؤية، أدرك أنَّ صِلْقُ الكلام يكون بمطابقته للواقع منفصلاً عن قبائله، وأنَّ كَلِنَّ الكلام يكون بعنه مطابقته للواقع منفصلاً عن قبائله. وأنَّ صِلْقُ المتكلم يكونُ بأن يُخْبِرَ بما يعتقد أنّه حقّ، وأنَّ كذب المتكلم يكونُ بأنْ يخبر بما يعتقد أنه باطل، سواءً أكان مضمون كلامه مطابقاً للواقع أو غير مطابق له.

فالقضيتان منفصلتان تماماً، ويُعلّمنَا اللّهُ عزّ وجلّ أن نفصـل بينهما، بـأسلوب بيانه في هذه الآية.

ويهدذا التحليل يتضبح لنا معنى الآية تصاماً، وهو: إذا جاءك يا أمخطُتُ النَّناقِتُونَ الكافيون في اتحاء الإيمان حين أعلنوا إسلامهم. قالوا: تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وهذه النهادة منهم النتمك على قضيتين: ما تلفُظوا به من حقّ، وما أعقو من إيمانهم به أمّا ما تلفظوا به من حقّ قاللُّه يعلمه: ﴿وَالله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولِهِ﴾ وأمَّا ما أدّعَوْه من إيمانهم بمضمونه فهو كذب، واللَّه يخبر بما يعلمُ عن حقيقهم، ويقدّم شهادته بذلك:

﴿ وَاللَّهُ يَنْهُدُ إِنَّالْمُنَافِقِينَ لَكَافِيرُوكَ ﴾.

وقد كُبـرَت همزة هإنَّه لوجود اللام المزحلفة في خبرها ولــولاها لفُبَنَّحَتْ وفق قاعدة فتح وأنّه.

قُولُ اللَّهِ عزَّ وجل:

﴿ الْغَنْدُوٓ الْمِنْهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواعَنسَيِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاةَ مَاكَافُواْ يَعْمَلُونَ ١٠٠

من صفات المنافقين الظَّاهِرَة أَنَّهُمْ يَخْلِقُونَ الآيَمَانِ على صدق ادَّعاتهم أَنَّهم مسلمون مؤمنون، وإذا ارتكبوا كبيرةً من الكبائر، أو أحدثوا حدثناً يكشف بفداقهم، مسلمون مؤمنون، وإذا مرتكبوا كبيرةً من الكبائر، ووبداعة المسلمين، وبلغّ ذِلك الرسول الله أو جماعة المؤمنين بادروا فحلفوا الأيمان على أنَّ ما تُقِلَ عَنْهُمْ لم يفعلوا من شيئًا، وهم بذلك كاذبون.

إنهم ستسروا ويسْتُرون ففسائحهم بايمانهم، فجملُوا ويُجْعلُون ابسانهم جُنَّةً (= سُتُوَةً) يَقُونَ بها انْفُسَهُم من بْقَمَةِ الرسول أوالمؤمنين عليهم، وهذا ديدنهم دواماً في كلّ قرنٍ وفي كلّ عصرٍ وأمَّة، فقال تعالى: ﴿أَنْفُلُوا أَبِمانُهُمْ جُنَّهُمْ.

وإذْ سَشَرُوا نَصَاتِحهم بَأَيْمانهم رَأَوا أَنَّهُمْ فِي مَأْمَنِ مَنْ أَنْ يَكَشُفُ نَصَاقُهُمْ. فَأَحْجَمُوا عَنْ شَلُوكُ سِيلِ اللهُ، أَوْ أَعْرَضُوا عَنْهُ، أَوْ أَدْرُوا أَوْ نَأَوْا عَنْهُ، أَوْ ضَرْفُوا يَتَأَثّرَ بِهِمْ عَنْ سَلُوكَهُ، أَوْ فَمُلُوا كُلْ ذَلْكَ أَوْ بَصْفَهُ، كُلُّ ذَلْكَ يَعْمُلُونَهُ فِي السَّرَ، حين يرونُ أَنْفُسَهم بعلِدِن عَنْ أَعِينَ الرِقِاءَ مِنْ المُؤْمِنِينَ الصَّافَقِينَ، فَقَالَ تَمَالَى:

﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

فما حُكُّمُ عَمْلِهِمٌ في ميزان الله العادل؟ هل هو محمود أو مذموم؟

لقد أبان الله أنَّه مذموم، فقال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ مَاءً مَاكَافُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ﴾.

فعل ﴿ساءَ﴾ المستعمل في الذَّم هنا مع معنى التعجُّب من سوء ما عملوا، فَاعِلُه: ﴿مَا كَانُوا يُعْمَلُونَ﴾. ومن ساه عَمَلُه الذي يعمله بإرادته فقـد ساة هـو، فالمعنى: سا أَشَدُ سـوءَهُمُّ بسبب ما كانوا يعملون من عمل شَديدِ السَّهِ.

والحديث عمًا كانوا يعملون في الماضي من عمل شديد السُّموء، ينسحب على سا يعمَّلُونَ مثلَّة في الحال أو المستقبل، هم وغيرهم من كلَّ مشافق كـلَّـاب، يشرُّ قبالحه وفضائحه بايمانه الكواذِب الغموس، ويُصُدُّ عن سبيل الله.

قول الله عز وجل:

﴿ ذَاكَ بِأَنَّهُمْ مَامُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطْبِعَ عَلَى أَلْوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٢٠٠٠

المشار إليه بـ ﴿ ذَلِكَ ﴾: هو الْحُكُمُ على ما كانوا يعملون بأنه شديـد السوء. الذي يسمح بأن يُذَالَ بَشَأَنه: ما أشدّ سُوءًه.

﴿بَأَنَّهُمْ﴾: أي: بسبب أنَّهم.

﴿آمَنُوا ثُمُّ كَفَرُوا﴾ : المنافقون المعنُّون هنا قسمان :

— قِسْمُ أعلن إيمانه بلسانه كاذباً مُشرَّعاً، على سبيل التَّقَيَّة، ظاناً أنْ قضية الذين كالانتماء لحرَّب من الناس يُواد منه جلب منافع دنيويّة، ودفع مضار دنيويـة، ثُمُّ لمَّا فَكُم في أنَّه ليس مجرَّد انتماء ظاهري، ولكنَّه إيمانُ قلبي يُرجَى منه جَلْبُ منافع ودفعٌ مضارُ اخروية عند الله يوم الدين، كَفَرَ، فلمَّ يُطابِقْ بين إيمانه بقلبه وبين ما أعلنَ بلسانه.

 وقيستم كان صادقاً في إسلابه وإيمانه، إلا أنّ إيمانه كان ضعيفًا, غير واضح الرؤية، ثم لهمّا رأى أن الإيمان يستدعي من تكاليف تخالف هدواه كَفَرَ بـاطناً، واستبثّقن ظاهر الانتماء إلى الإسلام، فكان بذلك منافقاً.

وعبارة ﴿آمَنُوا ثُمُّ كَفَرُوا﴾ تَشْمَلُ القسمين، وكُلُّ قَسْمٍ منهما ينـاسُبُهُ المعنى الذي يُلاتم حاله.

وبعد أن استَمرُّ المنافقون مدَّةً فيما اختباروا لأنفسهم من نفاق، وسرَموا عليه كان من تتبجه ذلك بمقتضى سُنُون الله السبيَّةِ أن يُطْبَعُ على قُلُوبِهمْ، أي: أن يُقْفَلُ عليهما إقفالاً كماملاً، ويُطْبِعُ على همـُه، الانفال بالاختام، إيـذاناً بالنها صسارت غير مستعلَّةٍ لأن تَستَقْبل واردات الصداية العــوجُّهَةِ لهــا، من آيات الله في كتــابه، أو في كونه، ومن بيانات الرسول ﷺ القولية والعملية، فقال تعالى:

﴿ مَطْيِعَ عَلَى تُلُوبِهِمْ ﴾.

وبعد أن وصَلُوا إلى حالة مَرْضِيُّ شَيْعَةً طُيّعَ فِيهَا على قلوبهم، حَى صَدارتُ غِيرَ مستعدّة لاستنبال أيّ وارد من واردات الهداية، فلا بند أن يكون واقِهُم أنَّهُمْ لاَ يَشْهَونَ بواطِنَ الأمور ودَقالقَها وغاياتها، ومَا تؤول إليه في أجل أَمْرِهِمْ، في الدّنيا وفي الآخرة.

ضَافَكَارُهم ومفهوماتهم وكلُّ طاقـاتِ ذَكاتهم مُنْفَنِّنَةً بِطَاهـرِ مِن العجـــاة الـدُّنيــا، ويكلُّ عاجل قريبٍ منها، وانظارُهُمْ لا تُمَنَّدُ إلى ما وراء مـــواطِنِ أقدامهم من شؤون دنياهم.

وإذا كــان أمرهم كــذلك فكيف يُفْقُهُـونَ حقائق الأمــور وبــواطُنهــا وغــايـــاتهــا ومصائرُهـا؟! وكيَّف يندئبُرون أمرهـم؟!

وإشارة إلى كلُّ هذه المعاني قال تعالى:

﴿ نَهُمُّ لَا يَنْفَقُهُونَ ١٠٠٠

أي: فيترتب على مُرضِ الطُّبْعِ على قلوبهم، الـذي هو أثـرٌ لاستقرارهم في مواقع الكفر باطنًا، وتعرَّسِهم الداتم في النفاق أنّهم لا يفقهون.

قول الله عز وجل:

﴿ إِذَا زَانَتُهُمْ تُعْجِكَ أَحْسَامُهُمْ وَإِن يُقُولُوا مَتَنعَ لِتَوَلِّمُ كَأَيْمُ خُمُتُ مُسَنَدَةً يَعْسُونَ كُلُّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ فَمُ المَدُونُ فَاصَدَاحُ فَعَالُهُمْ اللَّهُ الْوَقِيدُ فَي ﴿ .

هـذه أية اشتملت على ثمـاني جمل كلُّ جملةٍ منَّها عنـوانٌ لموضـوع يُتعلَّق بالمنافقين، كُلُهم أريَّشهـهِم.

الجملة الأولى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْنَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾:

هذه الجملة معطوفة على ما سبق من بيان أوصاف المنافقين في السورة ، وهي فيما يظهر تتحدّث عن منافقين معيّنين معروفين باشخاصهم، فري وَجَاهَةٍ وأجسام حسنة مَهِينة ، وهيئات حسنة تعجب من يراها . وقد ذكروا أنَّ عبد الله بن أَبِّي بن سلول رأس المنافقين في المدينة كان رجلاً فصيحاً جَسِيماً وَسِماً ، وكان يحضر مجلس النبي هي فإذا قال سَمِع النبيّ مقالته. وقال الكأبي: المراد: عبد الله بن أبيّ بن سلوله و وجَدُّ بُنُّ قَيْسٍ و ومُعَثِّبُ بُنُ قَيْسٍ و فَعَدَّ بُنُ قَيْسٍ و فقد كانت لهم أجسامً ، ومنظرً ، وقصاحة .

وهذا يَمُدُّلُ على أنَّ العبارات العامّة في القرآن قد يُراد بهَا أفرادُ معيّدون، وذلك لأغراض سياسيَّة أو تربوية، ولتأخذُ مع ذلك صبغة احتمال تكوارها في فشاتٍ من المنافقين في كلَّ جين، فما وُجِدْ في وقتٍ من الاوقات قابل لأن يوجد نظيره في كلّ وقت، فعلى المؤمن ألبصير العاقل أن يكون على بصيرة بواقع حال النّاس.

الجملة الثانية:

﴿ وَإِن يَقُولُواْ نَسْمَعَ لِفُولِيَّمْ ﴾:

أي: وهم يُحْبِنُون الفولَ فَصَاحةً وبياناً وانتقاة للمعاني التي يُعريدون التعبيعر عنها، مخادعةً وتغريراً واستدعاءً لاستماع ما يقولون، والتنبُّج له.

ودلَّ حرف الشرط [إنَّ] على أنَّهم غير شرشارين، فهم لا يُطلقون السنتهم للمشاركة فيما تحسُّن المشاركة فيه وفيمنا لا تُحسُّن، بل يضبطون السنتهم، وربَّما كان هذا حذراً من أن تبلَّه منهم فلتاتُ أقوال تذلُّ على نفاقهم .

حرف الشرط دارن، يُستَعَمَّلُ فيما هو قليلُ الوقوع أو فيما هو مشكوكُ في وقوعه كما يقول علماء البلاغة، فاستعماله هنا دلُ على قلّة مشاركتهم بالكلام في مجالس الرسول، ومجالس المؤمنين الصادقين.

الجملة الثالثة:

﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدُهُ ﴾

أي: كأنَّهِم أعمدة من خَشْبٍ مُسَنَّلَةً على الْجُلُو، فدلَّ هذا التشبيه على عدة أمور:

- أنهم لا يختارون الجلوس في أوساط المجالس مع حلفات المسلمين
 الذين يتقربون من الرسول للاستماع والانتفاع، بـل يَبْتَمِدُون إلى الْجُـدُر لِيُسْنِدُوا
 ظهورهم إليها بحسب الظاهر، وهم في الحقيقة لا يريدون الاستمتاع ولا الانتفاع.
- (٢) أنهم مُسْتَكْبِرون يَتَرَفّعُونَ عن مشاركة عامّة المسلمين في المجالس العامة.
- (٣) أَنْهُمْ إذا كانوا في مجالس المسلمين العائمة، التي يكون فيها علم وموعظة وتبلاوة لآيات كتباب الله، كانوا فيها أمشالُ النُحُثب المسئدة، لا يسمعون ولا يفقهون ما يقال فيها، وذلك لانصراف قلويهم ونفوسهم وأفكارهم عن كل ذلك، إنهم غير مؤمنين بالأصول فكيف يهتمون بمعرفة الفروع وكلَّ ما يتعلَّق بما لا يؤمنون به.

ويُلاحظ هنا أنَّ الْحُشُب عِنْدَ علماء تعبير الأحلام تُعبَّرُ بالمنافقين، وبالنفاق الحملة الرابعة:

﴿ بَعْسَبُونَ كُلُّ صَيْحَةِ عَلَيْهِمْ ﴾.

الخائن الجبان المنتدَّسُ في صُغوف قوم ، وهو ليس منهم، ويعمل لكيدهم وإفساد أوضاعهم، وغليدٌ شَديدٌ الحدد، مشدودُ الجملة المصبيّة دواماً، لانه في نفسه غيرُ آمن، لذلك فهو يحشى كلّ حركة تخالف الحركات المالوفة المعتادة، ويحسب أنه هو المقصود بها، فإذا نظر إليه أحدُّ نظرةً غير عادية حسب أنه اكشف أمره، وإذا أديمٌ نباً صرخائن مُندس حبب أنه هو المقصود، وإذا طرق باب داره طارق حبب أنه مطلوبُ لمحاسبته ومحاكمته، وإذا سيم صبحة تدعو إلى إلقاء القبض على الأعداء الخونة حسب أنه مُو المقصود بها، والرغ تعبير جامع يدُلُ

﴿ يَحْسَبُونَ كُلُّ صَبْحَةِ عَلَيْهِمْ ﴾:

أي: يحسّبون كلّ صيعة يصبعها صائعٌ ما بإلنادار نازلة عليهم بما يكرهون، ويراد من عبارة ذكلٌ صيعة، بهذا التعديم نوع خداص من الصبحات، وهي التي تثير الخوف والحذر، مع ما في الإطلاق من تصوير حالة الذهر التي هم عليها في تفوسهم، حتى لو أن أحداً صاح صيحة لمنفعتهم لهزّ قلوبهم بخوف وحلر، ولو كان قريةً أوحيياً.

والسبب في ذلك أنّهم أعداء يلبسون ثياب أصدقاء وأهل ولاء.

الجملة الخامسة:

﴿مُرَالْمَدُونِ ﴾.

لفظ دعمدوّه معناه ذو العمداوة، وهو يبطلق على الممذكر والمؤنث والمواحمة والمشّى والجمع.

والتعريف في لفط ﴿الغَدَوَ﴾ لتعريف الجنس حتّى كأنّه مُفيّن، فهو ببدلُّ على وجود كامل حقيقة العداوة فيهم، وبهذا نفهم أن الحصر المستفاد من تعريف طُرَفي الإسناد خاصٌ بمن استوفّى كامل عناصر العداوة، وهذا ينطبق نماماً على العنافقين، لأنّهم أعداء للمسلمين من جهتين لا من جهة واحدة فقط:

اللجهة الأولى: جهة كفرهم الّذي يُبطِئُونَه، فهم من هذه العجهة يشاركون سائر الكافرين في عداوتهم للمؤمنين، ولا سيما رسول الله ﷺ.

الجهة الشانية: جهة نشاقهم الذي الجساهم إليه جُبُّهُم وحسرَّصُهُمْ على مصالحهم في المسالحهم في دنياهم، فجملُهم بُكُفُسونُ انفسهم هواماً أن يُستَطاهروا بخلاف ما يُبطون، وأنَّ يُعرَبُوا انفسهم من أمور كثيرة يودون أن يَعلُوها بحرَّية، وأن يقوموا بأعربهن عملها، ويبذلوا أموالاً وهم كارهون، ويشاركوا في معارك قتالية لا مصلحة لهم منها، ولا يؤمنون بجدواها، إلى غير ذلك من أمور تزيد في نسبة عداوتهم، وهذه الأمور لا تُوجَدُ عند الكفار المصارحين بكفرهم وعداوتهم.

فمن الحقّ تماماً أن يُقال على سبيل الحصر همّ الْعَلْسَ، بمعنى: هم وحملهم الجامعون للعدارة الْقُصْوَى، بكلّ عناصرها المتصوّرة في الناس.

الجملة السادسة:

﴿ فَأَمَّدُرُهُمْ ﴾.

خمالً للرسول ﷺ. فأسلاحظ أن الرئسول المؤلمة بالوحي والمسلاكة وحفظ الله له من الناس، مأمورً بأن يُحفَّرُ المنافقين، أي: بأنَّ يتَخدُ كُلُّ الوسائل التي تحميه والمسلمين من مكرهم ومكايدهم، وأن لا يدع لهم متفذاً ينفذون منه للإضرار بالإسلام والمسلمين وإنساد أحوالهم وأوضاعهم وهم داخل المجتمع الإسلامي يتربّصون الدوائر، وبأن يوجّه لهم عيون المراقبة الدائمة، حتى لا يأخذو المسلمين على حين غرة وغفلة عن تحرّكاتهم الخفيّة ودسائسهم المساكرة، وأن لا يتّخذ منهم بطانة تطلّم على الأسرار وخفايا الخطط والتدبيرات!

وإذّ كان الرسول ﷺ مأسوراً بأن يصدوهم كلّ هـفنا الحدر، لأنّهم هم العدق الاكبر، فكيف يكون حال ســائـر المؤمنين، من أوليباء أسورهم في الفمّـة، حَتَى عاشِهمٌ في القاعدة العريضة الطويلة؟!

إنّ جميع المؤمنين من بعد الرسول ﷺ مأمورون بهذا الأمر، باعتبار أنّهم أكثر حاجةً إليه، وأولى بهم أن يلتزموه من الرسول المؤيّد من ربّه.

الجملة السابعة:

﴿ فَتُنَاكُهُمُ اللَّهُ ﴾:

هذه جملة مُتْزِّلَةً منزلة جُمَل التعجُب، لجريانها مجرى الأمثال.

والمعنى: ما أثدة قبائحهم وخبائـاتهم التي بلغت مبلغ أن يَدُّعُـوَ عليهم كلَّ داع مستجابِ الدعوة بعبارة وقاتَلُهُمُ الله».

فالجملة إنشائية تحمل معنى التعجّب من أصرهم والدعاء عليهم، وإيرائهما عقب جُمَل خبريَّة تضمّنت بيان طائفة من صفاتهم، يُشْعر بأنَّ الله عزّ وجبل بين لنا أن لهم مع تلك الصفات التي سبق بيانها صفات أخرى ذات شناعة لم تُدكَرُ في هذا البيان، فهم لا يليق بهم بحسب مجموع قبائحهم وخبائاتهم إلاّ أن يُقابِلُهُمُ الله ربّ العالمين، فأيثُلُ كلّ داع بدعو ربّه: قاتَلْهُمُ الله. أي: اللّهم تابع مقائلتهم الخفية المؤسسلام والمسلمين بعضائلة من لمدنّك تُعْجِط بهما أعمالهم ومكايدهم وما يُشكُرونُ بَيَاعاً، والتوجيه لهمذا الدعاء يحثُ المؤمنين على أن يكونـوا شديـدي الحذر من المنافقين.

الجملة الثامنة:

﴿ أَنَّىٰ يُتُوۡفَكُونَ ؟!﴾:

أي: كَيْفَ يُصْرَفُون؟!

﴿ أَنَّى ﴾: استفهامية وهي هنا بمعنى وكيف، مستفهم بها عن الحال، والاستفهام هنا إنكاري فيه معنى التعجيب من أمرهم.

والمعنى: كيَّفَ يُصْرَفون عن الحقّ وهم في بينة أَسَّةٍ مؤمنة مسلمةٍ تُسْمَعُ الحكمة، وتَتَّلُو آيات الله، وتقوم بأفصال الخير، ويتبادل أفرادُهما فيما بينهم مشاعر الإيمان والرضا عن الله، والخوف من عـذابه، والـطمع في جنّته، ويندفعون لبذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله ؟؟!

إنّه لأمر يستحق العجب.

وإذا قلنا: إنَّ ﴿ أَنَّى ﴾ ظرف مكان، أو ظرف زمان فعبارة ﴿ أَنَّى يُوفَكُونَ ﴾ من توابع جملة ﴿ قاتلهم الله﴾، والمعنى: قاتلهم الله في أيَّ مكنان يُصْرُفُونَ إليه، وفي أي زمان يصرفون فيه، ولا مانع من إرادة كلَّ هذه العماني فيما أرى، والله أعلم.

قول الله عزّ وجل:

﴿وَإِنَّا لِهَا أَمْنَ أَمَا لَوَالْمِسْتَغِيرِ لَكُمْ رَسُولْ الْقِلْوَالْ وُوسَاعُمْ وَلِأَيْهُمْ بِصُدُّدِنَ وَهُم تُسْتَكُبُونَ ۞ سَوَاءً عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرَتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغِيرَ هُمُّ الْرَهْفِرَالَهُمُ الْمَمْ اللَّهُ لاَيْهِي الْفَرْمُ الْفُسِيقِيرِكِ ﴾

انتقلت السُّورة إلى بيان ظاهرة من ظواهر المسافقين في السلوك، وهي أُقَمَّم إذا بدَرَتُ منهم بادرة تَيْمُ عن سُرهِ طَويُتِهم، او تدلُّ على عدم صِلْقِ ولائهم شه ولرسوك وللمؤمنين، ثم دعاهم بعضُ المؤمنين إلى رسول الله ﷺ كي يطلبوا منه أنْ يدعوَ اللَّهُ لهم بأن يُغْفِرَ لَهُمْ، كانَ منهم ما يلي:

أولاً: ففي الحركة النُلقائية الأولى التي يقابلون بها هذه الدعوة، يُديرون ويُعيلون رؤوسهم بطريغة يُلاُلون بهما على رفْضِهم الذهباب إلى الرسول، ورفضهم سؤاله أنْ يستغفر لهم، وعلى أنهم لاّ يُريدون أن يستغفر لهم، نظير الذي كنان من عبد الله بن أبي بن سلول، كما جماء في بعض الروايات التي سبق عرضها في سبب الزول.

والسبب في ذلك أنهم كافرون باطناً. فهم لا يؤمنون بأنهم تُحصَاء . حتى يَشْمُوا بالحاجة إلى أن يستغفر الرسول لهم، وقد دَلُّ على هــــٰــــــ الحركــــــــ التَّلْقَائيـــــــــــــــ قولُ الله تعالَىٰ :

﴿لَوْوَارْهُومَهُمْ ﴾:

أي: أداروا وأمالوا رؤوسهم بسرعة وعُنّف كُمّا جاه في قراءة الجمهور، وهذا يكون من فريق منهم، و ﴿فَارُوا رُؤُوسُهُمْ﴾: أي: بطريقة هادئة كما جـاء في القراءة الاخرى، وهذا يكون من فريق آخر منهم.

ثانياً: وفي السُّلُوك الدائم مع تنابع الأوقات، نكونُ حركاتُهُمْ حركات إحجام أو إصراض أو إدبار أو نناي وابتماد، كُلما دُعُوا لعمَـل إسلاميٌّ فيه مرضاةً نله، أو طاعةً لرسوله، أوخدةً صادقة لجماعة المؤمنين، ويَصْرِفُونَ عن ذلك من يشائرُّ باقوالهم ووساوسهم وتسويلاتهم.

وقد دلُّ على هذا السلوك المتتابع قول الله تعالى :

﴿ وَرَأَيْنَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾.

فعل ويَصُلُّون، كُمَّ هُمْ يَصُلُّونَ عَرفنا لازمٌ ومتعدًّ. ويمكن حمله هنا عليهما معاً. فهم بأنفسهم يَصُلُّون، ثُمُّ هُمْ يَصُلُّونَ غَيْرهم من الذين يتأثّرون بهم.

ثــالثاً: وفي حــالتيم النفسيّـة التي قــد نبدو لهـــا آثــارُ ظــاهــرة في سلوكهم من چُنــهـا، هُــمُ مُسْنَكُرُورُ، يسْتُكِبـُرُونُ من اتّبكع الـرسول وطـاعته ويَـرُونُ الْهـم احقُ بالزعامة والقيادة، وهذا ينظيق على طائفةٍ منهم، كعبد الله بن أبْــيّ بـن سلول، وقــد

دلُّ على هذه الحالة قوله تعالى:

﴿ وَهُم مُّسْتَكَثِّمِ فُكُ ﴾ .

هذه الظاهرات والصفات تتكرَّر في فريقٍ من منافقي كلُّ عصْرٍ، وكلُّ أمَّة.

وفي التعقيب على موضوع استغفار الرسول لهم لوحصل، أبان افه عرَّ وجل أن استغفار الرسول لهم لا يُنْفَقَهُم، بسب أنهم كافرون باطناً، إنَّما قد يُنْفَعُ دعاءً الرَّسُول بالمغفرة إذا دعّا لمؤمن عاص، فاستغفار الرسول وعدم استغفاره لَهُمْ سواءً، فلو دعا الرسول لهم بالمغفرة لما غفر الله لهم، إذَ لو غفر الله لهم لجملهم بالمغفرة من أهل الهدى، واللهُ عزَّ وجلَّ قد قضت حكّته وغذله أن لا يجمل فاسفا من دركة الكفر من أهل الهدى، إنَّما قد يُجْعلُ من أهل الهدى عنده من كان مؤمنًا عاصِياً إذا تاب واستغفر، أو دعا الرسول له بأن يغفر الله له، أو دعا له صالح من المؤمنين، أو نحو ذلك.

والقاعدة الربَانيَّة مبيَّنة في قَـوْل الله عزّ وجـل في سورة (النسـاء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿إِنَّاللَّهَ لَا يَشْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَفْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِسَ يَشَاءُ ... @ ﴾:

ففي بيان أنَّ استغفار الرسول لهم لـودعا لهم بـالمغفرة لا يُنْفَعُهُمْ قـال تعالى خطاباً لرسوله:

﴿سَوَاةً عَلَيْهِ مُ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْلَمُ تَسْتَغْفِرْ لِكُمْ لَى يَغْفِرُ اللَّهُ لُكُمْ ﴾.

هذا البيان دمغ المنافقين بدأتهم كافرون باطناً، وقطع أصل من يرجو منهم أو من أقاربهم أن بعفر الله لهيم، ولو استغفر الرسول لهم، فحالتهم حالة خالب في النار ما لم يتب النائب منهم بنفسه، ويؤمن إيماناً صحيحاً، ويتخلص من النفاق، قبل أن تدركه منيّه.

وبعد بيان هذه الجزئبة الخاصّة بالمسافقين أبان الله عزّ وجلّ الفضيّة الكلّة التي تشْمُلُ الْمُنافقين وسائر الكافرين والمشركين، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَسِقِينَ ۞ ﴾:

أي: لا يَهْدِي القرة الفاسعين فِسْقاً يُخْدِج من الإيمان إلى الكفر، بمعنى:
لا يُشكِّمُ لَهُمْ بالهداية، ولا يُغْفِرُ لهم حَنَّى يكونوا بالمغفرة من المهدئين، الذين
يكونون من أهل الجنّه، ولو بعد أن يأخذوا نصيبَهُمْ من العذاب، فالحكُمُ بالهداية،
والمغفرةُ التي تجمل الماصِيّ من أهل النجاة والهداية، إنّما يكونان لأهل الإيمان فقط، أمّا مَنْ هَبَط عن أدنَى درجات الإيسان، وَدَصَلَ في قركاتِ الكُفْر ولَـو من مستوى أخفها تُحَمِّةً فلاحظً له بشيء منهما.

• • •

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يُقُولُونَ لَاتُبَعُنُوا عَلَى مَنْ عِندَرَسُولِ اللَّهِ حَقَّى يَنفَشُولُ وَلَهُ خَزَايَنُ السَّمَونِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْشَوْفِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۞ ﴾.

تتحدّث هذه الآية عن ظاهرة تخذيل عن الرسول ﷺ كان يمارسها ويكرّرها قادةً المنافقين في المدينة، وعلى راسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، إذّ كانوا يقولون لجماعتهم من الأنصار: لا تُنْقِفُوا مِنْ أموالكم على منْ عند رسول الله من فقراء المسلمين، حتى يتفرّقوا عنه، فإذا انصرفوا عن مجلسه أكرمتم رسول الله بما تريدون إكرامه به، وقد يعلَّلون وصيتهم هذه بأنّ هؤلاء القفراء من المسلمين يعتادون أن يلازموا مجلس الرسول لينالوا منا تقلّمونه أنتم للرسول، وتفطرون أنتم لأن تزيدوا منا تقلّمون للرسول، لأنّه سَيْدَعُوهم لهشاركه، ولا يستأثر به لفسه.

وهذا الكلام يقولونه لجمهور المؤمنين من الأنصار الذين يستمعون لأقوالهم.

وفي التعقيب على هذه الطَّاهرة أبان الله عزّوجلَّ للّذين أمَنُوا أَنَّه قَـد جعل لهم ظرونًا يضمون عن طريقها سعادة دُنياهم وأخراهم في رحلة امتحانهم في الحياة الدنيا، إذْ هيَّا لهم أَن يُنْهِقوا من أموالهم التي وهبهم إياها في سبيله وابتفاء مرضاته، ولو شاه الأغنى ذوي الحاجات عن نفقات ذوي الأموال فكرمُوا من ظروف اغتنام الأجوال مم الفقراء أصحاب الحاجات، الأجوال هم الفقراء أصحاب الحاجات، وجعل الفقراء هُمُّ أصحاب العالى واليسار، وذلك لأنَّ للهُ عزائن السماوات والأرض كلّها، يهنّ منها بحسب حكمته ومشبئته من يشاء من عباده ما يشاء ليَّلُو عباده بالقبض والبسط، والفقر والغنى، ويحاسبهم على أعمالهم فيما ابتلاهم به، وفي الإشارة إلى هذه المعانى قال الله عزَّ وجلًّ :

﴿ وَلِلَّهِ خَزَّ إِنَّ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَكِئَّ ٱلْسُتَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۞ ﴾:

أي: وبما أنَّ خزائن السماوات والأرض له سبحانه فهدو الذي يعطي منها، وهدو الذي يعنع، وهو الذي يبسط وهدو الذي يقبض، وقَضَّ سنته أنَّ من أَسْفَ ابتغاء مرضاة ربّه أخلف الله عليه وضاعف لمه الأجر، وأنَّ من أَسْفُ أَسْسَكُ الله عنه، أو خَرْنَهُ من أن يَسْتَمْتِم أو ينتفع بما وهيه، ولكنَّ هذه المعاني الدقيقة التي تنفجر من منابع الإيمان بالله وبعلمه وحكمته وأنَّ لمه خزائن السماوات والأرض لا يفقهها المنافقون، لأنَّ أذهانهم وأفكارهم لا تتجاوز ظواهدر الحياة الدنيا، ومصالِحَهُمْ القرية العاجلة منها، وهم عن الأخرة معرضون، أو منكرون، وعن العواقب في الحياة الدنيا غافلون،

قول الله عزّ وجل:

﴿يَقُولُونَ لَهِن تَجَمَّنَا إِلَى ٱلْمَدِينَـةِ لِيُخْدِيجَكَ الْأَمَّرُ مِثْهَا ٱلْأَذَلُّ وَلِيَّهِ ٱلْمِـذَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُقْهِينِهِ كَالِكِنَّ ٱلْمُنْفِقِينِ كَايَمْلُمُونَ۞﴾.

وتتحلّتُ هـله الآية عن ظاهرةِ تحلّي رأس المنافقين عبد الله بن أبيً ابن سلول رسولُ الله والمهاجرين، بين جماعته في عزوة بني الُّمُصْطَلِق، بأنّه إذا رجم إلى المدينة ليُخرجُهُمْ منها، زاعماً أنّهُ هُو وانصاره في المدينة هم الأعرّ الأقرى، وأنّ الرُسول والمهاجرين هم الأضعف الأذل، كما سبق بيان هـذا في روايات سبب النزول. وذكر النَّصَ هذه الحادثة بأسلوب الحديث عن عصوم المنافقين، دون ذكر قائلها بالتَّشِين، لأنَّ عُمُرمَ المنافقين موافقون على مقالة رأسهم، ولَّو يُخِدُوا النَّ الفرصة مواتبة لهم لاجتمعوا ولقاتلوا الروسول والمؤمنين معه، ولأخرجوهم من المدينة.

وفي التعقيب على ظاهرة التحدّي هذه أبان الله عَرْ وجلُ أنَّ القوّة الشالة في السدية ، هي لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكنَّ المنافقين لا يعلمون هذه الحقيقة ، ويحمّبُون أنَّ لديهم من القوة ما يستطيعون بهما إخراج الرسول والمهاجرين إلى العدية من المؤمنين خارجها مطرودين بالقوة ، ويسبب ذلك قالوا مقالتهم : ليُحْرِجُنُّ الأخلَ بِنَها الأذلَ

كما أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الصادقين دائماً في كلّ حين.

قول الله عزّ وجل:

﴿ وَعَلَيْهَا الَّذِينَ مَامُوا لَا لَمُعِكُّمُ أَمُونَكُمُّمُ وَلَا أَوْلَنَهُ حَمْ دَحَمِ إِلَّهَ وَمَن يَهْمَلَ ذَلِكَ فَأُولَهِكَ هُمُ الْحَدِيرُونَ ۞ وَالْفِقُ الْمِنْ اَرْوَفَكُمُ مِن قَبْلِ اَن يَأْفِ الْمَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ دَنِهِ لَوَلَا أَمْزَقِهِ إِلْمَا الْمَالِدِينِ فَأَصَدَ قَدَى وَأَكُن مِنَ الصَّلِحِينَ وَيُؤِيِّوْ اللَّهُ فَشَا إِذَا يَهَا أَمْلُكُمُ أَوْلَكُمْ خَيْرُكِمَا لَتَمْلُونَ ۞ ﴾

الحديث في السورة عن المنافقين وطائفة من صفاتهم وظواهر من سلوكهم وبعض مواقفهم من الإسلام والرسول والمؤمنين، استدعى تذكير المذين أمنوا بيعض ما يتطلب الموقف التذكير به، تحذيراً لهم من أن يُشتدوجوا إلى مزالق قد تدفع بهم إلى الفاق، وتَجَمَّهُمْ مُنْجَسُون في أوحاله.

وهذا الاستدراج قد تكون بدايته بانحراف يسير عن صراط الله المستقيم، ثم يميل خط الانحراف بعيداً عن الصراط، فإلى المزالق، فإلى الهاوية، فإلى النهلكة العظم'.

وكـأنَّ بدايـةَ علَّة المنافقين النفسيّـة بوجـه عامّ هي تعلُّقُهُم الكـامـل وانشغـالُ

قلوبهم بالأموال والأولاد من أمور الحياة الدنيا، فحفَّر الله الذين آمنوا من أن تلْهِيَهُمُّ أموالهم وأولادهم عن ذِكْرِ الله.

كما دَعَتْ مُنَاسِبَةً قول. المنافقين لبعض المسلمين من الأنصار: لا تَشْهِقُوا على مَنْ جَنَدَ رَسُولِ, الله حَتَّى يُنْفَضُّوا، توجيهَ هذا التحدير نفسه للذين أمنوا، فقال تعالى:

﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُو أَمْوَلَكُمْ وَلَا أَوْلَنُدُكُمْ عَن ذِكْرٍ الَّهِ ﴾.

إِنَّ مَنْ وَجِمَّه كُلُّ هُمِّه فِي الحياة الدُنْيَا لملاموال وجمعها وعدَها وتتميتها وتثميرها، وللأولاد وحاجاتهم ومشاكلهم الكثيرة التي لا نتهي، اصطرَّ أن يُنفِن في ذلك كُلُّ طاقاب فكره وحركة نفسه، وأنَّ يشغل به كملَّ ساحة تصوّواته المتحركة العاملة، فَنَّلْهِيه الأسوال والأولاد عن ذكر الله، أيّ: عن ذكر كلَّ ما يتّعِيلُ بالله من عقائد إيصابيّة، وواجباتٍ أمّر الله بها، ومُخرَّماتٍ نهى الله عنها، وصراطٍ مستقيم كلّف الله عباده أن يسلكوه، وجزاء بالثواب أو بالعقاب، إلى سائر ما جاء عن الله من أمور الدين.

ومتى ابتمد الإنسان عن ذكر هذه الأمور المتصلة بالله تعالى وطال عليه الأمد نُسِينها، ومتى نُسِيّها أهمل العمل بمتنضاها، وحلَّ محلَّها في ساحة تصوّراته العاملة المتحركة مفهوماتُ أخرى، هي من وادي مفهوماتِ أهل الكفر الذي يجعلها الكافرون قواعد لتحقيق مطالبهم من الحياة الدنيا، وليس في هذه المفهومات شيءً يخدم قضايا الإيمان بالله واليوم الأخر.

ومن سيطرت عليه هذه المفهومات اتأفق في سلوكه في الحياة مع الكفرة الذين لا يؤدنون باقد واليوم الآخر، وقد لا ييقى لديه إلاّ بقايا الانتساب لدين اسمه الإسلام، لكن مفهوماته منسيَّة متروكة غير معمول بهما، والمنسيِّ المتروك همو يحكم المعدوم، فيكون بذلك كالمتنافق مُشلِماً اسماً، غير مُشلِم في مفهوماته وسلوكه وأعماله في الحية.

وكانَتْ بدايَةُ انحراف أنّ الأموال والأولاد أَلْهَتْـهُ عن ذَكْرِ الله، وما يَتَصل بـالله عزّ وجلّ. فنهى الله المذين آمنوا عن أن تأليبهم أمرائهم وأولائهم عن ذكر الله ، حمايةً لهم من الانحراف، فالابتغاد، فالانزلاق، فالسقوط في الهاوية، فالانفساس في أوحال النفاق.

وأبـان الله عزّ وجـل لهم أنَّ من فعلَ ذَلِكَ كانُـوا هم أكبر الخـاسـرين، فقـال تعالى:

﴿ وَمَن يَفْعَمُ لَ ذَالِكَ فَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْخَدِرُونَ ۞ ﴾.

لقد كان لديهم كنز الإيمان العظيم، والعملَ بمتضاء على مقدار اجتهاد كلُّ منهم، ورغبته فيما عند الله من أجر جسيم، وشواب عظيم، فلَّمَّا الْهَنَّهُمُّ أموالُهُمُّ وأَوْلَاكُمُم، وجَرَّهم ذلك إلى ما جَرَّهم إليه من أوحال، خَيسروا ذلك الكسز، فكانسوا أكبر الخاسرين.

﴿ فَأَوْلَتِيكَ ﴾ :

أي: فأولَّبْكَ البعداء عن مراتب المؤمنين العاملين.

﴿ هُمُ ٱلْخَسِرُونَ ﴾:

أي: هُمُّ الدِّنين يختص بهم عنوان والخاسرين، من دركة الُخشران الأقبر، فالتعريف في لفظ [الخاسرين] هر لبيان ان لفظ وخاسره قند حمع كُلُّ عناصر الخسران، والقصرُ هننا إضافيٌّ، أي: بالإضافة إلى سائنر الخاسرين من فئة المؤمنين.

بعد ذلك نهاهم الله عن أن يستجيبوا لـوساوس المنافقين وفسائسهم، في موضوع الإنفاق في سبيل الله، بأسلوب الأمر بأن يُققّوا مشا رزقق من الحياة الذنياء في الحياة الذنياء في الحياة الذنياء في الحياة الذنياء وحيشة لا يستطيعون تذارك الأمر بحال من الاحوال، ويتركون أموالَهم بسلطان الربّ الفاهر في الحياة الدنيا، ليخلفهم عليها الوارشون، ويحاول من نزل الموت بساحت منهم أن يُؤخّرة رُبُّه إلى آلجل قريب، لتصدَّقُ وليكون من الصالحين، لكنّه بسنجا له المحوت عند خلول أجل الموت، وانقطع

كلُّ عمل، ودخل الإنسان عتبة اليوم الآخر. فقال الله تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَازَفَتُكُمُ مِنْ قِبَلِ أَنْ يَأْفِ اَخْدُكُمُ الْمُوْتُ فَيْقُولُ رَبِّ لُولَا أَخْرَفِى إِلَّ الْبَلِ زِيبٍ فَأَصَّدُ قَلَى وَكُلُ مِنَ الصَّلِيعِينَ ۞﴾ :

أي: هلاً أخَّرْتني في الحياة الدنيا إلى أجَل قريب يسمح لي بأن أمَرَ أو أعمل متصدَّقاً في سبلك.

﴿ فَأَصَٰذَٰكَ ﴾:

أصلُهما فأنصَـدُق، سُكَنت الناء وأدغمت بـالصــاد، فصــارتــا صـــاداً مشــدَدة، النَصدَق هو بذل الصَّدَة نقرباً إلى الله، والصَّدَة هي الممال المبذول في ذلك.

﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

أي: فإذا بَلْكُ الصَّدقات كنت من الصالحين، وذلك لأنه حينتهٰ يشُعَرُ بأنَّ إمساكُهُ لَمَا كان يجب عليه أنَّ يبلُلُهُ منْ أموال جعَلَهُ من الشوم غير الصالحين في موازين الرحمن.

لكنَّ طلبه هذا يُرفَضُ كسائـر طلبات تـاخير الاجـل عند نـزول الـموت من أيَّ طالب، مؤمناً كان أو كافراً، وقد دلَّ على أنَّ طلبَّهُ لا يُسْتَجابُ له قول الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاتَهُ أَجَلُهَا ﴾:

أي: ولَنْ يُـوَّخُرَ الله نفساً ما، في الحياة الدنيا مهما عـلا شأن هـذه النفس أو نزل إذا جاه أجل موتها، المعقد لها في علم الله عزّ وجل.

وختم الله السورة بالتذكير بكليّة من الكليّات الاعتقادية، وهذه الكلّية تنـاسب ما جاء فيها من أمر بالعمل الصالح، ونهي عن العمل السيِّسء، فقال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ لِمِاتَعْمَلُونَ ۞ ﴾.

الخِبْرَةُ هِي الْعِلْمُ بِالْعَمَـلِ عِنْدَ ممارسته، على سبيل الشهود والحضور، المصـاحب لكلّ أجزاء العمل ِ ظواهرِه ويـواطنِه، وهي غير العلم بـالعمـل قبـل حصوله، أو العلم بـه بعد حصوله عن طريق الأخبار، أوما يُذَوَن في السَّجلَّات والصُّرر.

إِنَّ الخبير بَعْمُل نفسه، هو الذي يمارسه، فيجمع عليه لدى ممارسته لـه كلُّ فكره ومشاعره النفسية، ويُحثُّ بكلُّ بواطن عمله وظواهرها.

كذلك علم الله بأعمال الناس هو من قبيل عِلْم الخبير جلّ وعلا.

وانتهمت السورة

• • •

النصّ السابع والعشرون

وهو من سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نزول) والسورة (١٩) من التزيل المدني نزلت بعد سورة المنافقون، الآيسات مسن (٥ – ١٠) حول محادة المنافقين لله ورسوله وتناجيهم في السرّ بذلك وتحييتهم الرسول تحيةً منكرة

قال الله عزّ وجل:

(1)

ما في النصّ مِنَ القراءات المتواترة (من الفرش وشيء من الأداء)

في الآية (٧):

 (١) قرأ جمهور القرّاء [ما يكُونُ مِنْ نُجُونَ] بـالياء التحتية من ويكون، وقـرأ أبو جعفر المدنى: [ما تُكُونُ] بالتاء الفوقية.

. الفراءتان وجهــان عربيــان، لأنّ كلمة [نَجُــوني] مجازيّة التأنيث، فيجــوز في فعلها التذكير والتأنيث.

(٢) قرأ جمهور القرَّاء العشرة: [وَلَا أَكْثَرَ] بفتح راءِ وأَكْثَرَ،

وقرأ يعقوب البصري: [وَلَا أَكْثُرُ] بضم الراء.

القراءتان وجهان عربيان، فالنتح على تقدير عطف وأكتره على لفظ وتُجوي، المجرور بحرف الجرّ الزائد وبنّ، والفتحة بدل الكسرة لأن وأكثره ممنوع من المعرف يجرّ بالفتحة، والزّفع على تقدير عطف وأكثره على محل ونجوى، المعرفوع بـ ويكون، محلّ، وإن كان مجروراً لفظاً.

في الآية (٨):

(١) قرأ جمهور القرَّاء العشرة: [وَيَتَنَاجُونَ].

وقرأ حمزة ورُويس عن يعقوب: [وَيَنْتُجُونَ}.

القراءتان بمعنى واحد: ففعل وتناجَىٰ، وفعل وانْتَجَىٰ، يـاتيان بمعنى المــــارّة في الحديث.

(٢) في كلمة [وَمَعْصِيَتِ] في هذه الآية وفي الآية (٩):

وقف جمهور القراء على آخر الكلمة بـالهـاه، ووقف ابن كثيــر المكي، والبصريان أبــو عمـرو ويعقــوب، والكسائي الكــوفي بالتــاه الساكنــة، وهي وجوه من الاداء.

(۲)

موضوع التصّ وما روي من سبب نزوله

موضوع النصر: نزلت سورة (المجادلة) بصد نزول سيورة (المتافقيون) فجاء فيها متابعةً بيانٍ ومعالجةٍ لطائفةٍ من أحوال المنافقين وسلوكهم وموافقهم من الإسلام والرسول والمؤمنين.

وقد جاء في هذا النصُّ من هذه السُّورة بيان ما يلي:

الأول: أن المشافقين يمارسون تباعاً الرقـوف في حدودٍ معارضةٍ ومخالفةٍ لحدود الله ورسوله، بالإثم والعدوان ومعصية الـرســول، كما يفعــلُ الكـافــرون الصرحاء، إلاَّ أن المنافقين يستخفون بأعمالهم ومواقفهم.

الثاني: أنَّ المنافقين يُتَنَاجَونَ بِأحادِيث سرَّيَة تشتمل على ما فيم إثمَّ وعدوان ومعصيةً للرسول، مع أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد نهاهم فيما سبق عن هذا النتاجي، وحـفُـرهم منه في الآية (١٤٤) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) وقد سبق شـرح ذلك.

الشالث: أنَّ المنافقين يُقَلِّدُون اليهبود في تحياتهم للرسول 義، فسن لحن القول الذي يمارسونه، وهو ما جاء بيانه في النص (٢٠) من سورة (محمد) الآية (٣٠) منه، كأن يقولوا: السّام عليك بدل والسّلام عليك،

ما رُوي من سبب النزول:

لم أجدَّد في أسباب الشزول المرويّة ما يُفيد في تدبُّر هذا النُصّ، وقند رأى مجاهد، ومفاتل بن حيان، وغيرهما من أهل الشاويل، أنَّ النصّ نزل بشأن ما كان يفعل البهود من تناج على مرأى المسلمين لإغاظتهم، وإثارة الشكوك في قلوبهم.

لكتي نطرت في جملة النصّ ودلالاته فرايت أنّ العقصود به العنافقون، ويظهر هذا لدى تدبّر فقراته، ولـدُى النظر في النصّ الـذي جاء بعـده في السورة، والله أعلم.

(٣) المفردات اللّغويّة في النّصّ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُعَاَّدُّونَ ﴾:

المحادّة هي ملازمة احد الفريقين حدًا مقابلًا أو مناقضاً أو معارضاً للحدّ الذي عليه الغريق الآخر، على سبيل المهداء والمخالفة والمضادّة. يضال لفة: حـادُ قُلانً فُلاناً إذا عضاهُ وغاضبه.

قال الزجاج: المحادَّةُ أن تكون في حدٍّ يخالف صاحبك، وأصلها الممانعة.

وهي فيما يظهر مشتقة من الحدّ الذي يوضع على الأرض لفصلها عن غيرها، وذلك لأنَّ كلَّ فَرِيقِ من المتعابِيَّين يَتَجذُ لنفسه حدًّا مضاداً لحدً الفريق الأخر.

﴿ كُبِيُّوا كَمْآكِيتَ ٱلَّذِينَ مِن فَبْلِهِمْ ﴾:

لى: أَوْلُوا وَأَخْرُوا وَأَغِيْطُوا، كَمَا فَهِلَ بِاللَّذِينِ مِن قَبْلِهِمْ مِن المُنافقين، أَمَشَالُ عبدالله بن ابني بـن-سلول، إذْ كُبِتَ عقب غزوة وبني الْمُصْطَلِق = الْمُرزَمِينِ فلم يدخل المدينة إلاَّ ذليلاً، وكان قد قال: لَيْنُ رَجَعْنَا إلى المدينةِ لِيَخْرِجْنُ الأَعْرَ مِنْهَا الأَفْلَى

﴿عَذَابٌ مُّهِينً ﴾:

أي: عذابٌ مُذِلُ مُحْزِ.

﴿عَلَىٰكُلِ شَيْءِشَهِيدُ ﴾:

أي: حاضرً مراقب له مراقبة تامَّة، تتناول كلَّ ما هو عليه من صفات وأحوال، وما يجري عليه أو فيه أو منه من أحداث، بالبصر والسميم وكلَّ قبوة مدركة، تدرك كلَّ دقيقةٍ فيه ظاهرة وباطنة، بعلم محيط شامل، لا يغادر صعييرة ولا كبيرة، إذْ كُلُّ دفيقةٍ في الوجود مهما كانت خفيةً، أو أمرأ معنرياً فهي مما يُـطَلِّلُ عليه لفظ وشيءًه والله شهيد عليه، ولفظ وشهيده على وزن وفعيل، من الصَّبغ الدَّالة على غاية المعنى.

﴿ مَا يَكُونُ مِن أَجْوَىٰ ثَلَنْهُ ﴿ ﴾:

يقــالُ لُغَةً: نَجَـا فلانُ فــلاناً الْحَــدِيثَ، يَنْجُوهُ نَجْـواً وَنَجّوىٰ، أي: أَسَرُّ إليه الحديث.

فالنجوى: الإسرار بالحديث، ويُطلَق هذا اللفظ أيضاً على المتناجين وهذا الإطلاق هو من قبيل الوصف بالمصدر، ويستوي فيه الواحد وغيره، بثال: هُو وهما ومُمْ نَجُونى.

﴿ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ ﴾:

ولمولاً؛ هنا يمعنى وهملأه والعراد: لِنمَ لُه يُعَدُّبُنَا الله على أعصالنا التي فيهما محادةً للرسول، لو انَّ محمَّداً رسولُ الله حقّاً؟! أي: إنَّهم يعتبرون عدم تعجيل الله معاقبتهم دليلاً على عدم صدق محمَّد فى ادّعائه أنّه رسول الله.

وافة من سنته أن يُشهلَ وَيؤخّر العذاب، على أن المدنيا هي في الأصل دار ابتلاء، وليست دار جزاء، وإذا نزل بعض العقاب فيها فللتذكير والنّبيه ومُـوّعظة مَنْ لم يزلُ به العذابُ بَشْدُ.

﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾:

أي: تكفيهم جهنَّمُ بما تشتمل عليه من عـذاب يــوم الـدين لَهُمْ ولكُـلُ من يستحقُّ العذاب من أهل الكفر والعصيان، فهل يريدون عذاباً معجَّلاً ايضاً؟!

﴿ بِٱلْإِثْدِ وَٱلْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ :

الإثُّمُّ: الذَّنب، وقد أُطُّلِق في القرآن على الكبائر والصغائر وما بينهما.

والْعُلْوان: الظُّلْمُ وتجاوز الحدّ السأنون به، وهــو مصدر غــذا عليه، بمعنى ظلمه، يَشْدُو عَدْواً، وعُدُّواً، وعُدُواناً، وتَعْداءً.

وخُصَّت معصيةُ الرسول ﷺ بالذكر هنا لأنَّ المعْنِيينَ بالذكر كانوا يتغَصَّدُون

معصية الرسول ﷺ على وجه الخصوص لنفاقهم، وكراهيتهم التي بيطنونها للرسول. ﴿ وَتَنَجُواْ بِالْمِرُوالْتُقُونَ ﴾ :

الْبِرُّ: هو النوسُع في أعمال الخير من نوافل العبادات فَوْقَ حُلُودِ الواجبات. والتقوى: تكون بفعل الواجبات ونزك المحرّمات.

﴿ لِيَحْزُكَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾:

أي: لَيَحُونَ الشيطانُ الَّذِينَ آمنوا. يقال لغة: حزَنَ الأَمْرُ فَلاناً يَحْرُنَهُ حُـرْناً. إذا أنزل به الْفَمُّ أو جَمَلُهُ يتألم على ما فات.

...

(2)

مع النّصَ في التحليل والتدبّر

قول الله عز وجل:

﴿إِنَّالَيْنِيُكَاذُونَ اللهُ وَرَسُولُمُ كُمُواْ كَمَلَكِتَ الَّذِينَ مِن قَلِهِمُّ وَهَدَّ أَرْنَانَا مَانَتِ بِيَنْتُ وَلِلْكَوْمِنَ عَذَابُمُهُمِنَّ ۞ وَمَ بَيْمَنُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنِّتُهُم بِمَا عَمِلُواْ أَخْصَنَهُ الله وَتُسُوهُ وَالتَّهَ عَنْ كُلِي مَنْ وَشَهِدُ ۞ ﴾.

على الرغم من الذي حدث لرأس منافقي المدينة عبد الله بن أبي بن سلول وجماعته من المستافين، حين وصولهم إلى المدينة، بعد الانتهاء من غزوة وبني المُصَّطَلِق = المُرزَّيسِع، من إذلال وإهانة وكبُّ، وكان قد تبجّح بين جماعته من قومه بقوله: ولَيْنُ رَجَمُنا إِلَى المُدينَة لَيُحْرِجُنُ الأَخْرُ بِنُهَا الأَذَلَه فلم يمدخل هـ إلى المدينة إلا ذليلاً، ويؤذن من الرسول على، إذْ حسه أبنة المؤمن الصافى عند مكان المذول إليها حمَّى يأذن له الرسول على.

وعلى الرغم من نزول الأيات البيّنات الواعظات في سمورة (السنافقون) التي نزلت قبل سورة (المجادلة)، والتي فضحتهم، وأبانت أنهم كماذبون، ولا يفقهون، وفاسفون، ولا يعلمون، وجاء فيها التحذير منهم، وإشعارُهُمْ بأنَّ الله يُقاتلهم، أي: يحبط ما يقومون به من حرَّب خفية مُكِّريّة باردة. على الرغم من كلَّ ذلك بَقِيَ فريقُ من السنافقين يُحادُّونُ اللَّهُ ورَسُولُهُ ۚ أي: يقفون في حدَّ مضادً الرَّحُدُودِ مضادًة لِمُدُّدِدِ الله ورسوله، موقف المعادي العتسريص للقتال، منى سنحت له الفرصة أن يقاتل.

لكنَّ الْمُمْنَافِقِينَ أَخِينُ مِنْ أَنْ يُقاتلوا الرَّسُولُ والنَّذِينَ آمَنُوا مَفَه، إنَّ الرُّعْبُ الخالع لفلويهم يجعلهم مكبوتين دواماً، أي: الْإِلَّاءَ مُخْرِيّين، بما قضى اللَّهُ بِشَائِهِمْ مِنْ كَبِّبِ ملازم لَهُمْ لا يُفارِقَهُمْ، مُنَّذَ اصطرتهم خلائهم أن يسلكُوا مَسْلُك النشاق، وهُمْ مُلاحَقُون بَكْبُ اللَّهِ لهم دواماً.

فقال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَاذُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ كُنتُوا كَمَاكُتِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِدُّ ﴾:

أي: إنَّ الذين اسْتَمَرُوا يقفون مواقف العداء ضدَّ دين الله وضدَّ رسوله في السُّرَ من المتافقين، هم قَوْمُ فضى اللَّهُ بِشَائِهِمُ أَيْهِم أَذَلاَءٌ مخزَّيُون مَكْبُرَتُون جِسَاء، لا يستطيعون أن يقفوا مواقف حرِّب علنيَّة ضدَّ الرسول والذين آمنوا معه، شأتهم في هذا كثأن ما حصل للذين من قبلهم في أعقاب غزوة بني المُصْطَلِق، من كَبِّتٍ وإذَلال وجَزِّي، بعد الذي كانوا قد تبجُّحُوا به في السَّرِّ.

﴿ وَقَدْ أَنزَلْنا ٓ مَالِئَتِ إِنَّالَتُ ﴾:

أي: بشأن أولئك الـذين كُبِتُوا من قبلهم، وهي الآيـات التي أنـزلَهَــا الله في سورة (المنافقون).

وفي هـذا إشارة إلى أنّ الـذين استمرّوا يحاقرن الله ورسولـه لم يتعظوا بمـا حصل لإخوانهم في الـواقع الـذي كان قـاسـياً على نفـوسهم وقلوبهم، ولا بالأيــات البينات المنزّلات بشأنهم.

فلا يتصوّروا بعد هذا أنَّ عشابهم سيقتصر على إذلالهم وإخزائهم في الحياة الدنيا، بل لهم إيضاً في الآخرة عذابٌ مُهينٌ، فيه إذلاكُ وإخزاة، إذا استمروا على نفاقهم، وماتوا كافرين، والنُّهُم يَذَّخلون ضمن عصوم الكافرين، ويشْمَلُهم العذابٌ المقرّر للكافرين المستكبرين عن طاعة الله وأتباع رسوله وطاعت، فقال تعالى: ﴿ وَلِلْكَنِينَ عَنَابُ مُهِيدًا ۞ وَمَ يَتَمَثُّهُمُ اللهُ بَعِيمًا فَيُسِّتُهُم بِمَاعَمِلُوٓ أَخْصَنهُ المُورَسُوةُ وَاللهُ عَنْ كُلُ فَيْ وَسُهِيدً ۞ ﴾:

أي: ولجميع الكافرين ومنهم المنافقون الذين يبطنون الكفر عذابٌ مُدِلً مُعْزِلً لَهُمْ، يَـوْم يَبْعَثُهُمُ اللهُ جميعاً للحساب، وفصل القضاء، وتنفيذ الجزاء بالصدل، الذي سبق الوعيد به، منذ يوم الإبلاء، فيَتذأ يومئذٍ حسابُهُمْ لفصل الفضاء بشأنهم بأبائهم بكلّ ما عَبِلُوا في الحياة الذنيا.

﴿ فَيُنْبَتِثُهُ ربِمَا عَمِلُوٓاً ﴾:

 أي: فَيَخْبِوُهُمُ الله عَرْوجَلُ بكلّ مَا كانوا قد عملوا في الحياة الدنيا، وهذا الإنباء يكون عن طريق صُخْفِ أعمالهم، وعن طريق المملائكة المُوكَلِينَ بهِمْ، وربّما بإنباء الله لهم بنشه مباشرةً:

﴿ أَحْصَنْهُ أَلِلَّهُ ﴾:

أي: حفظه بعلمه، وجَمَعَهُ جمعاً تامّاً لم يَدَعْ صغيرةً ولا كبيرةً إلا جمعها.

اَوَنْسُوهُ ﴾:

لي: وَنَسُوا مَا كَانُوا قَـلُ عَبِلُوا فِي الحياة الـدُنيا، لكَنُهُمْ حِينَمَا يُذْكُرُونَ بِهِ يَنْفَكُونُهِ تَذْكُواْ نَائلًا، بدليل قول. الله عزّ وجل في سورة (النازعـات/ ٧٩ مصحف/ ٨١ نزول:

﴿يَوْمَ يَنَذَكُّواْ لَإِنسَانُ مَاسَعَىٰ ۞﴾:

أي: مَا عَمِلَ مِي الحِباة الدُّنيا، وهذا تَذُكُّرُ بَشَدَ نسيان، جمعاً بين النُّصَيْن وإحصاءُ الله عزّ وجلُّ لكلُّ مَا عَبِلُوا هو جزيّة من كُلِّيةٍ عامَّةٍ من كلَيات صفـات الله تبارك وتعالى، هذه الكليَّة دلُّ عليها قولُهُ تعالى:

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّر ثَنَّى وَشَهِيدُ ١٠٠

أي: والله مُهيْبِنُ على كلُّ شيءٍ في الوجود، دقيقاً كــان أو جليلًا، وهــو عليه

شهيد حاضر معه، مراقب له، عليم بدقائقه، مُدَّرِكٌ لكلَّ صفاته وأحوالـه ونغيّراتـه، لا يَبَدُّ عن علمه منه شيءٌ.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ اَنْهَزَانَانَةَ بَسَلَمُمُنَا السَّنُونِ وَمَانِهُ الأَرْضِ مَانِصَكُوثَ مِن يَّتَوَعَنَانَةِ إِلَّاهُو رَابِعُهُمْ وَلَاحَسَةً إِلَّاهُ وَرَسَاءِ مُهُمْ وَلَا أَدْنَ مِن دَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّاهُ وَمَنْهُمْ أَنِّ مَا كُافُواْتُمْ بَشِيْهُمْ بِمَا عَبُولُ الْمِيْمَ الْمَنْفَوْنَ فَيَعْلَمُ فَي عَلَيْمُ فِي الْمَهْرَالُولَ الْذِنَ ثُهُولُونَا اللَّهُ عَنْهُ وَيَنْفَعِنَا فَيْهِمُ وَلَوْلَمُونَ الْمَالُمُونُ وَمُعْمِنَا الرَّسُولُ وَالْبَالِمُوكَ خَوْفَ بِمَالَعُهِمْ وَمُعْمَلِيهِ اللَّهِمُ وَلَا اللَّهِمُ اللَّهِمُ وَلَا مُعَلِّمُ اللَّهِمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهِمُ اللَّهُ وَلَوْلَهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُونُ اللَّهُ وَلَوْلَوْلَ الْمُعْلِمُونُ اللَّهِمُ وَلَوْلُونُ اللَّهِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُثَالِقُولُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُ الْفُولِيمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُونُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُونُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُونُ اللَّهُ الْمُؤْلُ

في هــانين الآيتين بُبَيْنُ الله عـزَ وجــلُ مُنْكَـرَيْنِ من مُنْكَــرات المنــافقين في الـــلوك:

المتكر الأول: تناجيهم في السُّرَ بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وهملة ا التناجي قد يكون في خلواتهم، وقد يكون وَهُمَّ في مجالس المسلمين، إلَّا أَنْهم يتهامسون فيما بينهم بما يريدون التحادُثُ به، وكمان الله عزَّ وجمل قد نهى عن مشل هذا التناجي، وحدَّد منه بقوله تعالى في سووة (النساء/ع مصحف/ ٩٢ نزول):

لاخترق كنيرين نتجونه مرالاً من أمريم كذي آفا مقروب أقاضلنج
 بين النّاس وَمَن يَفَعَل ذَلِكَ أَبَعْفَاء مَرْضَاتِ الْقَوْشُونَ وَقَلْيهِ أَجْراعَظِيما ﴿ وَمَنْ يَعْفَى اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ وَمَنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ مَنْ اللّهِ وَمَنْ اللّهِ وَمَنْ اللّهِ وَمَنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ مُنْ اللّهِ اللّهِ وَمَنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ وَمُنْ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ

وقد سبق شرح هذه النجوى وهذه المشاقة للرسول، في النصّ (١٧) من هذه الدراسة، وتلاحظ أنّ التعبير بعبارة: ﴿وَسَّ يُشَاقِقِ الرسول﴾ في سورة (النساء) نظير التعبير بعبارة: ﴿إِنَّ الذين يُسَاقِرنَ اللّهُ ورَسُولَهُ﴾ في سورة (المجادلة). ونلاحظ أن التناجي في السربعا لا خير فيه هو من مشاقة الرسول التي حلّر الله منها في سورة (النساء) وأنَّ هذا التناجي أمَّر قد نهى الله عنه وحلَّر تحديراً شديداً من ممارسته، قد دلَّ عليهما الإحالة عليه في سورة (المجادلة) يقوله تعالى: يم يرم مردة مردي مرديم المرديم المراجع المردوع المردوع

﴿ الْمُمْزَلِلَ الَّذِينَ تُهُواعَيِ التَّجَوَّئُمُّ يَعُودُونَالِنَا تُهُواعَنَهُ وَيَشْتَجُوكَ بِٱلْإِشْرِ وَالشَّدُونِ وَمُعْمِينَتِ الرَّمُولِ﴾:

وبهذا يتكامل النَّصّان في البيان، ويدلّ الـلّاحق على العراد من السبابق إذا خفي على المتدبر فَهُمُ العراد منه، أو انْصَرَف ذِهْتُه لِأَمْرِ آخر.

وأَنَيَّهُ هُنَا على أنَّ المتدبِّر الَّذِي لاَ يُلاَحظ ترتيب نزول النصوص القرآنية كما جاء في ترتيب النزول (وهو غير ترتيب سور القرآن المشيم في المصحف) لا يستطيع إثراك الإحالات القرآنية على ما سبق في النزول، ولا يستطيع معرفة التدرَّج في الاحكام وأساليب التربية، وعمليات التكامل الفكري في الموضوعات، ولا معرفة الناسخ من المنسوخ إنَّ وُجِد، وقد يعلَّل نَصاً مكيِّ النزول بحادثة مدنيَّة الوقوع على أنها سبب لنزول، إلى غير ذلك من أخطاء (١٠).

المتكر الثاني: تَجِيْـةُ المنافقين للرَّسول إذا قدموا إليه تحبَّـةُ مُنْكَـرَةً، على خلاف التحيَّة التي حيَّاه الله بها، وهي تحيَّة الإسلام، السّلام عليكم.

وإذا كان المنافقون يفعلون هذا مع الرّسول مسع علمهم بفطانته العظيمة. الّمي تكشف مقاصدهم فيما يتلفظون به من لحن القول، فهم بفعلونه مع المؤمنين الذين قد لا يفطنون لما يفعلون ولما يقصدون من باب أولى.

ويغلب على الظنّ أنّ المتنافقين تعلّموا من شياطينهم اليهبود أن يُسْرعـوا في لفظ والسلام عليكم، فيحذفوا اللّام من والسلام، فتكون التحيّ والسّام عليكم، والسّام في اللّغة هو المـوت.

 ⁽¹⁾ انظر والفاعدة التاسعة حول تتبع مراحل التنزيل في كتاب وقواعد الندئر الأمثيل لكتاب الله عزّ وجل المعزلف.

ذكر العوفي عن ابن عباس (كما جاء عند ابن كثير في تفسيره) في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَاجَآءُوكَ حَبُّوكَ بِمَا لَرَيْحَتِكَ بِهِ أَلَقُهُ ﴾.

قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذًا خَيُّوهُ: سَامٌ عليك.

وانصرف ذهن كثير من أهل التأويل إلى أنَّ النصُّ زَوْل بِشَانُ اليهود على خلاف ما يدلُ عليه السُّباق والسُّبُاق، تأثَّراً بما صبحٌ من أنَّ اليهود كانوا إذا جاؤوا إلى الرسول ﷺ قالوا له في التحيَّد: «السَّام عليك يا أَبا الفاسم، يُومِسُون أَنَّهم يريدون السلام في ظاهر أمرهم، وهم يريدون الموت باطناً.

روى مسلم في صحيح عن ابن عمر قـال: قال رسـول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْيَهُودَ إِذًا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ بَقُولُ أَحَدُهُمْ: السُّامُ عليكم، فقل: عَلَيْك،

وروى مسلم أيضاً عن عائشة أم العزمنين فالت: اشتاذن رهطُ من اليهود على رسول اله ﷺ فقالُوا: السُّامُ عليكم، فقالت عائشة: بلَّ عليكم السَّامُ واللَّعنة، فضال رسول اله ﷺ:

وَيَا عَائِشَةً، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلَّهِهِ.

قالت: اللَّمْ تَشْمَعْ مَا قَالُوا.

قال: وقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ.

وفي رواية عند مسلم أيضاً عن مسروق، عن عائشة قالت: أنّى البيني 瓣 أناسً من الهود، فقالوا: السّامُ عليك با أبا القاسم، قال: ووَعَلَيْكُمْ، قالت عائشة: فُلُّتُ: بل عليكم السّام والدَّام، فقال رسول الله 瓣: وبيا عائشة لا تكوني فـاجِدُه، فقالت: مَا سمعتُ ما قالوا؟ قال: وأوَلِّسَ فَلَـ وَدَفْتُ عليهم الّذِي قالُوا، فلتُ: وَمُلِكَمُّهُ.

وفي روايــة أنّ عائشــة فطنت بهم فسبّتُهم فقــال رسول الله ﷺ: ومَــة يَــا عَــاالِثَــةُ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحَشَ وَلاَ التَّعْجُشَ».

وزاد الراوي في هذه الرواية، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَـارُوكُ حَيِّوكُ بِما لَم يُعتِكُ به الله﴾. وهذه الزيادة ليست مما روي عن عائشة فيما يظهر، فـلا يعتمد علمها في أذّ النصّ نزل في الههود، بـل نفول: إنّ العنافقين الذين نزل بثنائهم النصّ تعلّم وا هذه التحيّة من اليهود، الأنّ العنافقين هم العطلوب منهم بحسب ظـاهر انتصافهم أن يُحيّوا الرّسول ﷺ بما حيّاه اللّهُ به، وهو لفظ السّلام.

ونجد تحيّة الله بـالسّلام على رسـوله في قـولـه تعـالى في سـورة (الصـافـات/ ٣٧مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿ سُبِّحَنَ رَبِيَانَ مَنِيَ الْمِنْزَعَ عَلَيْهِمُونَ ۞ وَسَلَّمُ عَلَى الْمُرْسِلِينَ۞ وَلَلْسَلْفَةُ رَبُّ الْعَلَيْهِ عَنْ ۞ ﴾ .

وهـله هي تحبّه الله لعباده الصالحين في الـدنيـا والاَعـرة، وتحبّه المعالكة للمؤمنين، وتحبّه المؤمنين فيما بينهم، وقـد جـاه في القـران: ﴿فَقَـلُ: سـلام عليكم ــ ونادوا أصحاب الجنّة أنَّ سَلامً عليكم ــ دعواهم فيها سبحـانك اللّهم وتحبّهم فيها سلام ــ ولقد جاهت رُسُلنا إيراهيم بالبشري قالـوا: سلاماً. قال: سـلام ــ سلام على نوح ــ سلام على إيراهيم ــ سلام على موسى وقارون﴾ إلى غير ذلك من نصوص.

والسلام دعاء بالأمن، وتحيُّة.

مع فغرات الآيتين: ﴿ أَلْهُرْزَأَنَّالُهُمْ يَشَائُهُمَا إِنَا أَلْشَمَوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ ؟! :

الخطاب في ﴿أَلَمْ ثَرُ﴾ موجَّه لكلَّ مَنْ بصُلُّح للخطاب من الـذين يملكون رؤيـة فكرية علميَّة.

فالمخاطب مفرد شائع، والخطاب على سبيل الإفراد بقصــد منه أن يتحمّـل كلّ فرد مخاطّبٍ مسؤوليَّتُهُ بصورة فردية .

والغرض من الاستفهام عن عدم الرؤية:

- (١) تعليم غير العالم وحثَّهُ وَخَضُّه على التعلُّم.
 - (٢) تنبيه الغافل وتذكيرُ الناسي.
- (٣) توجيه العالم الذاكر لأن يهتم بالأمر المستفهم عنه ويعمل بمقتضى ما يعلم حوله.

ونتسامل: كيف يُعْلَمُ المحاطَبُ الصالِحُ للخطابِ أنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا في السمـــاوات وَمَا فِي الأرض؟

أقسول:

إذا كمان المخاطُّبُ من المؤمنين، فقند سيَّق أنَّ أَعْلَمُ اللَّهُ فِي أيسات مَسَرَلَاتِ كثيرات هذه العقيقة، حتى صارت معلومة لديه، بمثابة الأمر المعلوم بالرُّويَّةِ البصريَّةِ.

وإذا كان من غير المؤمنين، فإنّ باستطاعته أن يصل إلى هذه المعرفة، بالنّ يُخطّر إلى إنقان حركات كلّ ما في السماوات وما في الأرض، التي تجري بغير اختيار المخلوقات المعلوقة، فإنّ تفكّره في ذلك يُهدّبه إلى أنّها معتاجةً حتماً إلى ربّ يُسيّرها ويُمدّير أمرها، ولا يملك ذلك إلاّ منَّ لديه علم خاصل بكلّ ما في السعاوات وافي الأرض، وقدرةً على التصرف فيه، بالإحداث، والنغيير، والتعويل، والإيجاد، والإعدام.

والأثر الموجّ له النظر هنا هو شمول العلم، وقد ذُكِّرتْ هذه العقيقة الكليّة من حقائق صفات الرّبّ جلّ وضالاً، تمهيأ لتذكير الدين يتناجرنُ من المنافقين بالإلام والعدوان ومعصية الرسول، بأنّ الله عليمٌ بما يتناجون فيه، خبير به، لا تخفى عليه من أحوالهم خافية، لذلك جاء التعقيب على التذكير بهذه الكليّة بقوله تعالى:

﴿مَايَكُونُ مِن نَّبَوَىٰ مُلَنَدُوۤ إِلَّا هُوَرَاهِهُمْ وَلَاحَمَىٰ وَإِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدَّنَ مِن ذَاكَ وَلاَ أَكُنَّ لِلْهُ وَمَمْهُمْ أَنِّ مَا كَانُوْٓ ﴿

﴿ نَجْوَيٰ ثَلَثَةٍ ﴾ :

إذا كانت ونجوى، بمعنى حدّثِ التناجي، فالتعبير هو من قبيل إضافة نجوى إلى ثلاثة، بمعنى نجوى ثلاثة متناجين، والإنسانة هـنـه هي على تقدير وبن، أي: نجوى من ثلاثة أشخاص يتحادثون فيما بينهم سراً، أو على تقدير (اللام) أي: نجـوى لثلاثة أشخاص فهي مختصة بهم.

وإذا كانت ونجوى، بمعنى أشخاص ٍ يتناجــون، فلفظ وثلاثــة، بدلُ من ونجــوى. أوعطف بيان.

﴿ إِلَّاهُوَزَائِمُهُمْ وَلَاخَسَنَةٍ إِلَّاهُوَسَادِ مُهُمَّ . . . ﴾ :

أي: إلاّ اللَّهُ مَهُمٌ يعلم ما يكون منهم من نجوى وغيرها، والمعنى: ما يكون من أحوال متناجين إلاّ حالاتٌ يكونُ اللهُ معهم فيها، نفي هذا حَشْـرُ أحوالهم بـأحوال وجود الله معهم.

﴿إِلَّاهُومَعَهُمْ ﴾:

أي: مصاحب لهم بعلمه وكلُّ صفاته المراقبة لهم.

واختير في البيان هنا التفصيل مع إمكان ذكر عبارة عامة مخصرة، مثل: والله مع المتناجين أين ما كانوا، لبيان أنْ مؤامرات المكر تتألف في الغالب من أعداد أحادية: (ثلاثة ــ خصة ــ سبعة ــ تسعة) ليكون بينهم صوت مُرَجِّح عند الاختمالاف في الرأي، وقد يحدث خلاف هذا، وهو يذخل في عموم:

﴿ وَلآ أَدْنَىٰ مِن ذَالِكَ وَلآ أَكْثَرَ ﴾.

ويكون عندئذٍ صوت رأس المتناجين بصوتين.

﴿ أَيِّنَ مَا كَانُوا ۗ ﴾:

أي: في أيّ مكنان كانـوا فيه هأيّنمـا، اسم شرط جـازم، وهــويــدلُ عــلى عـــــوم الأمكنة، وجواب الشرط محذوف دلُ عليه ما قبله، أي: أينما كانوا فالله معهم.

﴿ ثُمَّ يُنَيِّتُهُم بِمَاعِمَلُوا يَوْمَ ٱلْفِينَمَةُ ﴾:

أي: ليحاسبهم عليه، ويجازيهم، وقد دلّ هذا التعبير على أنّ النتاجي الذي هو من قبيل القول _ وقد يفتصر على مجرّد القول دون أن يتبعه أفعال وتطبيقات _ يدخل في عصوم العمل، إذّ القول من عمل اللّسان، كما أنّ النّيات والإرادات من أعمال القلوب.

ولبيان دخول هذه الجزئيّة من علمه سبحانه وتعالى ضمين كليّة عـامّةٍ من كليّـات صفاته، وهي شمول علمه لكلّ شيء، قال عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّالَهُ بِكُلِّ ثَنْ وَعَلِيمٌ ١

وهـذا من أسلوب القرآن، لتـرسيخ الإيـمـان بالكلّيـاب الاعتقاديّـــة، في كثير من خواتيم الايات، أو الموضوعات.

وبعد التمهيد بأن الله عزّ رجلٌ عليم بنجوى المتناجين، والتذكير بأنَّ هـذا العلم جزئيَّةً من جزئيات شمول علمه الدَّقِينَ لكل شيء، ذكر النَّصُّ ما يفعل المنافقون من التناجي بالإثم والصدوان ومعصية الرسول، مُتَخَفِّين النُّهِيِّ الذي سبق أن أننزل الله به قرآناً يُثَلِّي في صورة (النساء)، وبدأ بالتذكير بهذا النهي السبق، فقال تعالى:

﴿ اَلَّهُمَّ إِلَىٰ اَقَٰدِينَ نُهُوا عَنِ الْتَجْوَىٰ ثُمَّ يَسُودُونَ لِلْمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَلَكَبُونَ وَالْمُلَكُونِ وَمَعْصِيدَتِ الرَّسُولِ ؟!﴾ .

﴿ أَلَمْ مَرَّ ﴾:

أي: اعلم، أو تنبُّهُ، أو احــفر، أو تَعَجَّبُ، بحــب حــال كــلَّ فَـرْدِ يصلُّحُ للخطاب.

﴿ أَلَمْ مَّرَ إِلَى ؟ ﴾:

أي: ناظراً إلى، فالتعدية بحرف الجرّ ﴿إلى﴾ لتضمين فعل ﴿تَسُرَى﴾ معنى فعل وتنظره لتحمل العبارة دلالتي الفعلين الرقية العلمية والنظر، وفي هذا إشارة إلى أنّه ينبغي مراقبة العنافقين مراقبة بصريّة، لمعرفة ما يتناجون به معا يضَّرُ الإسلام وجمعاعة العسلمين.

﴿ ٱلَّذِينَ نُهُواْعَنِ ٱلنَّجُوَىٰ ﴾ :

هُمُّ المنافقون المنظاهرون بالإسلام، فقد سَنِقُ أَنَّ نَهَاهُمُّ اللَّهُ عن النجـوى، كما ذكرنا آنفاً.

﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا أَهُوا عَنَّهُ ﴾ :

أي: ثُمُّ يَعُودُون لفعل ما نُهوا عنه، غير متّعظين ولا مُبَالِين، ويخبر الله عنهم فَيَيِّن الكُليات التي يتناجون بها، فيقول تعالى:

﴿ وَيُنْتَخِوْنَ مِا لَا شِيهِ وَالْمُدْوَنِ وَمَعْصِينَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ :

الكليَّة الأولى: الإثْمُ، وهو يـطلق على كـلّ ذنب، من صغـائــر الـذنــوب حتّى كبائرها.

الكائية الثانية: العدوان، وهو بطلق على الـظلم، وتجاوز الحـدّ المـأذون بـه شـرعاً، ويراد منه هنا العدوان على الإسلام والمكرّ بـه، والعـدوان على المسلمين، وظلمهم، وإنساد أوضاع جماعة المؤمنين.

الكليّة الثالثة: معصية الرسول ﷺ، وتنسل هذه المعصية أوامر الرسول ﷺ الذينّة، والإدارية بوصفه قائد الأمة الإسلاميّة، ومن أجل هذا خُصّت معصية الرسول ﷺ بالذّكر.

وذكر النصّ كبيرةً أخرى من كبائر المنافقين، وهي مـا جاء في قــول الله عزّ وجـلّ لرسوله:

﴿ وَإِذَا جَآءُ وَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَرَهُمِّكَ بِهِ أَللَّهُ ﴾:

لفد تعلَّمُوا من اليهود أن يقولوا: سَامَ عَلِك، كمارُري عن ابن عباس، وهذه العبارة تتم عن كراهيتهم الشديدة للرسول، وعن غُلُوهم في الكفر، وتصاديهم في النشاق. وعدم أتعاظهم بـالفُلُّ والخزي الذي أصـاب رأس المنافقين في المدينة بعد غزوة بني المضطّلِّر.

أمًا تحيَّة الله فهي السلام كما سبق البيان آنفاً.

ويتلاعبُ بهم الشيطان بالرساوس، فيستجيبون له، فيفولون في نفوسهم: لو كان ما تحن عليه من نفاق، وكفر بمحمّد، وتناج وشتيمة بعبارة التحيّة، عملاً يسخط الله علينا لعقابنا فقلّبنا، لكتُه لم يعاقبنا ولم يعلّبنا، مستبعدين عن تصرّوهم أنَّ الله من سنّته أن يُشهِل ولا يعجّل لعباده العقاب، وأنَّ الحياة الدنيا كلّها هي في الأصل مرحلةً امتحان، لا مرحلة جزاء، وزادوا تمادياً في هذه الوساوس، حتى قالوا: هلاً يُعَلِّبنا الله، لو كنا مذنسي، حتى، كما يقول محمّد.

هذه مقولة يقولونها سرًّا في أنفسهم، كشفها الله عزَّ وجل، وربَّما كانـوا يقولـونها

أيضاً وهم يتناجون سرّاً، لأنّهم إذا تناجّوًا بها فيما بينهم فقد قالـوها في أنفسهم، فقــال تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِمْ لَوُلَا يُعَذِّبُنَا أَهُّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ :

أي: يقولون: فَالاَ يُعَدِّينا الله بما نقول، ﴿ فَاوَلاَهُم هَمَا تَحْصَيْفَيَّهُ بِمَعْنَى وَمُلاَهُ. ولا تصور النّهم يستخُّون رئيم أن يُشول بهم العلماب، ولكنَّ يَمُدُلُون بهمنا التعبير على أنّهم لا يفعلون شيشاً يستدعي أن يُشول الله بهم العسفاب، والسبُّ في ذلسك أنّهم لم يُوضّوا بالنّ محمَّماً رسولُ الله، وبالنّ القرآن كتابٌ منشولٌ من عند الله، فعمنى كلامهم: هلاً يُمَلِّبنا الله لَمْ كُنَّا كافرين بمرسول الله وكتابه حقّاً، لكن محمَّماً ليس رسولً، وليس ما يتلوه كلاماً منزلًا من عند الله.

وفي التعقيب على مقالتهم هذه التي قالوها في أنفسهم قال الله عزَّ وجل:

﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهُ أَيْلُسَ ٱلْمَعِيدُ ١٠

أي: يكفيهم عذاب جَهِنَّمُ حالَةَ كونهم يَصْلُونَها. جَهَنَّمَ: اسْمُ علم لدار العذاب يوم الدين.

﴿يَصَّلَوْنَهَا ﴾:

أي: يحترقون بلهب النار التي تتوقد فيها، يقـال لغة: صَلِيَ النـازَ، وصَلَّي بِها، يَصْلَىٰ صَلَّى، وصِليًّا، أي: احترق فيها.

والمعنى: إذا كانت جهنم التي يحترقون بلهب النـــاز فيهـــا تكنيهم عــــــاابـــاً عــلى كفرهم ونفاقهم وشرورهم ومنكراتهم، أفيريدون فوقه عــــالباً معجلًا آخر في الدنيا؟!

وهذا يتضمَّن أنَّ خطة الله في الجزاء أن يكون مؤجَّلًا إلى يوم الدين.

﴿ فَيِئْسَ الْمَعِيدُ ﴾:

أي: فيس المصير الذي سيصيرون إليه جهيَّم، ويلزم من نمَّ المحان الذي سيصيرون إليه عقاباً لهم فتُهُمُّ الشديد، لأنهم بدنويهم قند استحقوا هذا المصير الذميم، فالمحان الذميم بعدل الله يلائمُ زُوُلاء. ونلاحظ أنَّ هذا الوعيد يطابق الوعيد الذي سبق أن وجَّ لهم في النص السابق الذي نزل في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) إذ جاء فيه:

﴿ وَنُصِّلِهِ جَهَنَّمُ وَسَآةَتَ مَعِيدًا ۞ ﴾.

والمعنى: لا يستعجلوا عذاباً في الدنيا، حسَّبُهم ما سَبَّق أن أوعدناهم به من حريق في جهنم.

قول الله عز وجل:

* مُون الله عَر ويس. ﴿ يَنَأَيُّهُ الَّذِيكِ مَامُنَّا إِنَا تَسْجَنَّمٌ فَلَانَتَنَجَوًّا بِٱلْإِنْدِ وَٱلْقُدُونِ وَمَعْصِيتِ الرَّسُولِ وَتَنْجَوّا

﴿ يَنْ مِنْ النَّبِينَ النَّالُيْنِ النِّهِ تُعْشَرُونَ ۞ إِشَّا النَّبُونُ مِنْ الشَّيطُنِ لِيَعْرُكَ الَّذِين بِالْهِوَالْفَقُونُّ وَاتَّقُواْ الْقَالَدِينَ إِنَّهِ تُعْشَرُونَ ۞ إِشَّا النَّبُونُ مِنْ الشَّيطُنِ لِيَعْر امَّشُوا وَلَيْسُ رِيضًا يَوْجِمْ شَيْنًا ۚ إِلَّهِ إِذِنِ الْقُوْمَلُ اللَّهِ فَلْمَتَوْمِنُ اللَّهِ الْمُعْ

تــوبيخُ العنــافقين على تناجيهم بــالإثم والعدوان ومعصيـةِ الـرُسُــول، ووعيــدُهُمُّ بالعذاب في جهتم، اسْتَدْعَيا تُوجِية تكليفِ حول الموضوع نفسه للذين آمَنُوا.

فنهاهم الله عزَّ وجلٌ عن أن يفعلوا في النتاجي مثلمـــا يفعل المسافقون، وأمــرهــم إذا تناجوا مُتَســارُين في الحديث أن يتناجُوا ضمن إحدى كليَّين:

الكليَّةُ الأولىٰ: الْبِرَ، وهو كلَّ ما فيه توسَّعُ في فعل_ىالخير، من نوافل العبادات وفعل الصالحات، زيادةً على فعل الواجبات وترك المحرَّمات، ومن ذلك التناجي للإصلاح بين الناس، والجهاد في سبيل الله، ومساعدة ذوي الحاجات.

الكليّة الثانية: التقوى، وهي الالتزام بفعل الـواجبات وتـرك المحرّمـات، ومن ذلك التنـاجي لجمـع الـزكـاة وتــوزيمهــا على مستحقيهـا، والتنــاجي لنُصـع مُسلم. عاصر فه، غير مقيم لحدود.

ولمّا كان تَرَكُ التناجي بالإنم والعدوان ومعصية الوّسبول الروّ من متنضيات كُلّكٍ غامّة من كليّات منهج السّلوك الإسلامي للنّاجين، وجزئيّة من جزئيّاتها، كان مِنّ العناسب النذكرُ بهذه الكاليّ، لتأصيلها وتعميقها في تُشُوسِ المؤمنين، وهي تقوى الله في كلُّ حَركة وسكَنَةٍ، خاطب الله الذين أمنوا بقوله:

﴿ وَٱنَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ غُنْشُرُونَ ۞ ﴾.

﴿ تَعْشَرُونَ ﴾:

أيْ: تجمعون مُسُوقين، الحشر: السُّوقُ والجمْمُ.

أي: واجدلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وهي فعل ما أوجب عليكم على قدر استطاعتكم، وترك ما حرَّم عليكم، فمن صفاته عـرّ وجلَّ أنّه الذي إليه تُحشُرُونُ بَـرُمَ تبحثون إلى الحياة بعد العوت، لتحليوا على ما قلمُتم في رحلة امتحانكم في الحياة الدنيا، وما أخُرِّتُم فلم تعملو، من خير أوشرٌ، ثم لُجازُوًا عليه بالفضل، أو بالعدل.

ولمّا كان تنساجي السنافقين فيما بينهم منّا يُحدِيثُ قلقًا وضيقاً وغمّاً في صدور المؤمّنين، وهُمَّ ماأمورونُ ان بكفّروا أيديَهُمَّ عن معاقبتهم والنّزال نفتيتهمْ بهِمْ، حَمَّى ينكشف من أمرهم ما يُدائون به، الأمر اللذي يَمُويثُ حُمْزًا في صدور المؤمنين، كان من الحكمة التربوية والعلاجيَّة، أن ييَّنَ الله للذين آموا ثلاث قضايا:

القضية الأولى: أنَّ هذه النجري التي يُشايِسُها المنافقون هي من وساوس الشيطان لهم، ليَحْرُنُ بها الَّذِينَ آمَنُوا، أي: لِلقي الشيطان في قلوب الذين آمَنُوا، أي: لِلقي الشيطان في قلوب الذين آمَنُوا الحزن بسبب ما يفعل المنافقون من تناج فيما ينهم بحضور المؤمنين، إذَّ أنَّ يُسَالَ المنافقون منها فالدَّة ولا مضماً، لأنَّ الله مُحْبِطً كَيْمُمُّمْ وَمُنِّعِلِلٌ اعمالهم، ما دام المؤمنون على منهاج الله مستقيمين يَقِطِن خَذِرِين، نقال تمالي:

﴿ إِنَّمَا النَّبْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُكَ ٱلَّذِينَ مَا مَنُوا ﴾.

القضيّة الشانية: أنّ الشيطان ليس بفسارَهم شيئاً إلاّ بياؤن الله، لا من طبريق النجوى التي يُشتدرج السائفين إليها، ولا عن طبريق غيرها، وإذّنُ الله بشيء من ذلك لا يكون إلاّ لحكمةٍ، لملابتلاء، أو الشّبِيه، أو التربية، أو المفوية المعجّلة وتكفير السّيّات، أو الثواب ورفع الدرجات، وكلِّ ذلك غيرٌ لا شرّ فيه، فقال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ بِضَآرَهِمْ شَيْئًا إِلَّامِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

النص (٢٧) من سورة (المجادلة) الآيات من (٥ ــ ١٠)

الفضية الثالثة: أنّ المؤمنين مطالبود بأن يتوكّلُوا على الله بعد أن يتَحدُوا كاسل الإسباب التي أمرهم الله بها، ليدفع عمهم الوساوس، ويشدّ فيهم العزائم، ويسُور بصيرتهم، ويكثف لهم أعداءهم، ويُحبط لهم مكايدهم، فتال تعالى:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْمَتُوكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ﴾.

•••

النص الثامن والعشرون

وهو من سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نزول) أيضاً والسورة (١٩) من التنزيل المدني، الأيات من (١٤ ـ ٧٣) حول اتخاذ المناقفين اليهود أولياء لهم وتسترهم بالأيمان الكاذبة واستحواذ الشيطان عليهم

قال الله عز وجل:

﴿ اَلْوَمَ اللَّهُ اللَّهِ مَعْلَاقِهُ عَنِهِ اللهُ عَلَيْهِ عَلَمْهُ مِنكُمْ وَكَلِيمُ وَعَلِيْوَ وَعَلَا الكَذِبِ وَهُمْ يَسَلَمُ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَمْمُ مِنكُمْ وَيَعْلَمُ وَعَلَا اللّهِ وَهُمْ يَسَلَمُ وَكُوا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ ا

(1)

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

في الآية (٢١):

(١) قرأ جمهور الفرَّاء العشرة [وَرُسُلِي] بإسكان ياء المتكلم.

وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر، وابن عامر الشامي بفتح ياء المتكلم. .

والقراءتان وجهان في اللُّغة لنطق ياءِ المتكلُّم.

موضوع النصّ وما روي حوله من أسباب النزول

موضوع النص:

(١) تناول هذا النصّ بيان كبيرتين منكرتين من كبائر المنافقين الشنيعة:

الكبيسرة الأولى: أنخاذهم اليهسود الذين غضب الله عليهم أوليها. لهم من دون المؤمنين، ينصرونهم ويستنصرون بهم، ويوادونهم، ويحادون الله.

الكبيرة الثانية: خَلِفُهُم الأيمان على صِنْق ما يقولونه أمام الرسول أو المؤمنين إثباتاً أو نفياً، كتقديم عـلمر كاذب على تخلّف عن واجب، أو ادّصاء القيام بعــل لم يعملوه، أو إنكار عمل عملوه أو قول، قالوه، أو ادّعاه إيمانٍ أو حبُّ في قلوبهم، وقلوبُهُمْ كافرة كارهة، إلى غير ذلك.

فهم يجعلون حُلِف الأيمان ستراً يُقُون به أنفسهم أمام الرسول والمؤمنين، من انكشاف نفاقهم وخياتاتهم، وظهور قبائحهم، وكباشرهم التي يرتكبونها ستراً، ومكايدهم التي يكيدونها ضدَّ الإسلام والمسلمين، وموالاتهم أعداء الله ورمسوله الصرحاء من اليهود والمشركين.

وليأمنوا بالأيمَّان الكاذبة من العقاب، فيستمرّوا بـالنفاق صـادَّين مُحْجمين عن اتَبـاع سبيل الله، وعـاملين سرَّا في صـرف غيرهم عن سلوكـه، من ضعفاء الإيمـان اللذين يستجيبون لهم، أو الكافرين اللذين يجدون لديهم ميلاً إلى الدخول في ا الإسلام.

- (٢) وتناول النص أيضاً وعيد المنافقين بعذاب شديد مُهين.
- (٣) وجاء في التص بيان أنَّ المسافقين لن تغنيهم أموالهم ولا أولادهم، فلن تكون دافعةً عنهم من عذاب اله شيئاً، إذا اراد الله أن يُشْرِل بهم عقابه في الدنياء بحبائحة كونيَّة من أمره، أو بمصيبة تنزل بهم على يَبْ رَسُوله وأَلِدي المؤمنين إذْ يكشف من خياناتهم ما يستحقون عليه العقاب في الدنيا.
- (٤) وجاء في التص بيان أن صفة الكذب، وخلف الايمان على ما يقولون من كذب إثباتاً أو نفياً، ستلازمهم، حتّى مُوقف حسابهم بين يُذي رئهم يوم الدين، فيحلفون لله الايمان الكاذبة على ما ينكرون أو ما يدّعون، رجاء أن تُنجيهم أيصائهم من صذاب الله، ظائن أن أكاذبيهم وأيمانهم تنفعهم عند الله، كما استطاعوا أن ينشروا بها أنفسهم في الدنيا.

لفد أمر الله المؤمنين في الدنيا بأن يقبلوا من المنافقين ظاهرهم، إذا لم تثبت إدانتهم بيئرة شرعية، فلا يُعدَّلوهم، ولكن ليس معنى هذا أن لا يحذروهم، أو أن يتُخفُوا منهم بطانة، أو أن يُقوا بهم في أمور السَّلْم أو الحرب، فهذه أمور لم يأذن بها الله، بل هي من الغفلات، أو التقصيرات، أو الخيسانات، التي يؤاخد الله المؤمنين عليها، ويتزل بهم البلايا والنكبات بسبها، لأنها من التمريط بالحقوق والواجبات العامة، التي تضر بالإسلام وجماعة العسلمين.

أمَّا إنزال العقاب على الرَّمَّة أو الخيانة بالنهمة دون بيَّنة شرعية فهذا هــو الذي كفّ الله يد المؤمنين عنه في التعامل مع المنافقين.

- (٥) وجساء في النص بيان أن المنسافةين استحوذ عليهم الشيسطان، أي:
 استولى عليهم استيلاء كاملاً، وساقهم في الشُّبل الضالة على ما يريد، فهم حزب الشيطان ضمن صفوف المؤمنين.
- (٦) وجماء في النصّ بيان أن الله سيجعلهم في الأذلين، جزاء أنّهم يحادّون الله ورسوله.

(٧) وجاء في النص بيان إحدى سُنن الله التي قضاها قضاء مبرماً، وهي:

﴿ كَنَّهَ ٱللَّهُ لَأَغَلِبَكَ أَنَا وَرُّسُلَّ ﴾.

وما قضاه الله نافذ حتماً:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَوِيٌّ عَزِينٌ ﴾.

(٨) وجماء في النص بيان السوصف المذي يتحلى بــه المؤمنون، من ألهم لا يُبوادّون من حاد الله ورسوله في آية حال من الأحوال، وبيان ما لهم عنده من تثبيت وتنابيد وَأَجْرٍ عظيم ورضا عنهم وإرضاء لهم، على النقيض تماماً ممّـا عليه المنافقون.

ما روي من سبب النزول:

(١) جاء عند ابن أبسي حاتم والإمام أحمد وابن جرير والحاكم وصحّح،
 وغيرهم عن ابن عباس: أنَّ النبسي ﷺ كان في ظلَّ حُجْرَةٍ من حُجْرِه، وعنده نَفْرَ من
 المسلمين، قد كاد يُفلِصُ عنهم الظلَّ رأي: ينكمش وينضم) قال:

وإنَّهُ مَيْأَتِيكُمْ إِنْسَانٌ يُنْظُرُ بِعَيْنَيْ شَيْعًانٍ، فإذَا أَتَاكُمْ فَلا نُكَلَمُـوهُ، فجاء رجلُ
 أَزْرَقُ، فدعاء رسول الله ﷺ فكلمه فقال:

وعَلاَمَ تَشْتُمْنِي أَنْتَ وفُلانٌ وفُلانٌ، نَفَرُ دَعَاهُمُ (أي الرسول) بأسمائهم.

قال: فانطلق الرجل، فدعاهم، فحلفوا له واعتذروا إليه، فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَمَنْ يَعَثُهُمُ الصَّحِيمًا فَيَخَلِفُونَ لَهُكَا يَمِلِنُونَ لَكُمٌّ وَمُصَـّبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى فَقُوا لَآ إِنَّهُمْ مُمُ الكَذِيْوَنَ ۞﴾.

(٢) وذكر السُّدَي ومقاتل أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ, وعبد الله بن نَبْل.
 كان أحدُهما وهو عبد الله بن نَبْل يجالس النبيُ 歌، ويرفع أخباره إلى اليهبود،
 ويسُبُّ النبيّ 敏، فإذا بلغ النبيّ خَبْرُه، أو أطلعه الله عليه، جاء فاعتـذر، وأقْتَمَ
 أنَّه ما فعل.

(T)

المفردات اللّغوية في النصّ

﴿ ثَوَلَّوْا فَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾:

أي: أتُخَلُوهم أولياء لهم من دون المؤمنين، يتصرونهم، ويستنصرون بهم،
 ويوادّونهم، ويتقلون لهم أخبار المسلمين، ويستشيرونهم، ويتأمّرون معهم للإضرار
 بالإسلام والعسلمين.

﴿جُنَّةُ ﴾:

أي: سُتَرَة واقية، وكلُّ ما وقَى من سلاح وغيره يُسمَّى جُنَّة.

﴿ فَصَدُّ وَأَعَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾:

أي: فَأَخْجُمُوا عَن سلوك، وانصرفوا عنه سـرًاً، وصَرَفوا غيرهم من الـذين يَتَأَثُّرون بهم عن سلوك.

فعـل هَصَدُّه يُستعصل في اللَّغة لازماً بمعنى أحجم وأعرض وتـوَلَّىٰ صـدبـراً، ويُستعمَل متعدَّياً بمعنى صـرف غيره وحوّله، او منعه وأغْراه بأن يعرض أو يدبر.

﴿ عَلَابٌ مُّهِينٌ ﴾ :

أي: عذابٌ فيه إهانةٌ لهم وتحقير.

﴿ أُولَتِكَ أَصْعَبُ النَّادِّ ﴾ :

أي: أولئك ملازموها ملازمة الصاحب لصاحبه، الصاحبُ السُّوقِيّ الملازم. ويأتي بمعنى مالك الشيء، أو مستحقه، أو القائم على أمره، والأصل في المعنى: المرافقة والملازمة.

﴿خَنلِدُونَ ﴾:

باقون دواماً.

﴿ أَسْتَحُوذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطُانُ ﴾ :

أي: استولَىٰ عليهم الشيطان، وغلَبَهُمْ على أمرهم، وساقهم كما يريد.

ويقال: اشْتَحُودُ على الشيء، إذا استولى عليه، واستحودُ فَلانُ على فُـلانٍ. إذا غلبه. وقد ياتي هذا الفعل بمعنى: أحاط به وحفظه، ومنه: ﴿ اللّٰمُ نُسْتَحْدِذُ عليكم﴾، كما سبق بيانه، في النص (١٨) من سورة (النساء).

﴿حِرِّبُ ٱلشَّيْطَانِّ ﴾:

أي: الجماعة المتفقة فيما بينها على ما يريد منهم الشيطان، ويسوقهم إليه. ويأتي في مقابلهم حزبُ الله.

الحزبُ: الجماعة المتفقة المتناصرة على أسر، أو الجماعة الذين تشــاكلت مبادئهم وأهواؤهم واتفقت أعمالهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُعَاَّدُونَ ٱللَّهَ ﴾:

سبق بيانه في النص (٢٧) من سورة (المجادلة).

﴿ فِي ٱلْأَذَ لِينَ ﴾ :

أي: في الاضعفين المهينين، جمع وأذَلُه أفعل تفضيل من وذَلُه إذا ضعف وهان، يقال لغة: ذَلُ يَذِلُّذُ ذَلَا وَلَمَلُهُ , وَمَلَلُهُ .

﴿ وَأَيْدَهُم بِرُوجٍ مِّنَّهُ ﴾:

أي: وقواهم بقوة خفيةٍ منه، يُطْلَق لفظ والروح؛ على القرّة غير العرثية، كما يطلق على ما تكون به الحياة، وعلى القرآن، والوحي، وغير ذلك.

(\$)

مع النصّ في التحليل والتدبُّر

* قَوْلُ الله عزّ وجل:

﴿الْوَزَالِيَّا الَّذِينَ قَلُّواْقُوا خَسِهَاهُ عَلَيْمِ مَاهُمْ مِنكُمْ وَلَوَيْمُمْ وَقِيلُونَ عَلَ الْكَذِب وَهُمْ يَسْلَمُنْ ۞َلَمَا اللَّهُ فَاتِمَ عَالَمُا شَدِيدًا إِنْهُمْ مَا تَمَاثُواْ فِيسُلُونَ ۞﴾.

استفهام موجّه لكل من يصلُح للخطاب من الذين يملكون رؤية فكريّة علميّة شبهة بالمشاهدة البصريّة، فعبارة: ﴿ أَلْمُ تَرْ إلى ﴾ هي على تقدير: ألم تمر ناظراً إلى، وفق أسلوب التضمين الكثير في القرآن.

والغرض من الاستفهام عن عدم الرؤية هنا:

- (١) الإعلام بما يفعل المنافقون والحث على التعلّم، بالنسبة إلى غير العالم.
 - (٢) التعجيب من أمرهم الشنيع، بالنسبة إلى كلُّ فرد يصلح للخطاب.
 - (٣) التنبيه أو التذكير بالنسبة إلى الغافل أو الناسي.
 - (٤) توجيه العالم الذاكر أن يهتم بأمر المنافقين ويحذرهم.
- (٥) إشعار المنافقين بأنّ كلّ اعمالهم معلومة فله عزّ وجل، مع الإلماح إلى
 إمكان فضحهم بأشخاصهم وأعيانهم.

والنص يتحدّث عن فريق من المنافقين اتّنفُلوا من اليهود الدّين فضب الله عليهم أوليهاء لهم من دون المؤمنين، يواذرنهم وينـاصـرونهم ويستصـرون بهم، ويتأمرون معهم ضدّ الإسلام والمسلمين الصادقين، ويتقلون لهم الأخبار، ويعملون بآراتهم، إلى غير ذلك منا يُذَلُّ عليه فعل التولِّي.

وحظ اليهود من غضب الله هدو الحظ الأوفى من كل مَنْ غضب الله عليهم، حتى إذا ذُكر الذين غضب الله عليهم بالوصف غير مقيد بقدم مذكورين، كان المتبادر من إطلاق الوصف أن المراد منهم اليهود، فمعظم النصوص القرآنية التي جاء فيها ذكر من غضب الله عليهم، يبدل السياق أو السّباق على أنّ اليهود هم المقصودون.

يضاف إلى هذا أنَّ المنافقين في المدينة كانوا يُوالُّونَ اليهود سرًّا، وقد

يصرَّحون بموالاتهم لَهُمْ جهراً، كما فعل ابن سلول إيّان إجلاء يهود بني قينقاع، ثم إبّان إجلاء يهود بني النضير.

> وبلَّ على أنَّ النص نزل في المنافقين قول الله فيه خطاباً للمؤمنين: ﴿ مَا لَهُمُ مِنْكُمُ وَكُومُهُمْ ﴾ .

فهذا التعبير إنّما ينطبق على المنافقين، لأنّ اليهود ليسوا هلئةً لأن يكونـوا من المؤمنين، حتى يقول الله لهم: ﴿مَا هُمْ بِنكُمْ ﴾ بخبلاف المنافقين، فـظاهر حـالهم أنهم من المؤمنين، فجاء البيان كاشغاً لحجيقتهم.

ودلً أيضاً على أنّهم ليسنوا من منسافقي اليهبود، بسل من منافقي العسرب المشركين، لأنّهم لوكانوا من منافقي اليهود لما قال الله: ﴿وَلَا مِنْهُمْهُ، فالسنافقـون من اليهبود هم من اليهود باطنًا، فكمان هذا البيانُ وصفاً محدَّداً دالاً على أنهم من مشركي العرب المنافقين المتظاهرين بالإسلام، والمبطنين للشرك.

ولا يقتصر أمر هؤلاء على أنهم يتخذون البهود الـذين غضب الله على أنهم يتخذون البهود الـذين غضب الله على أنهم يتخذون الأشوال سرّاً، بل يُضِيفون إلى هذه الخيبانة اللَّمُظُمَى أنهم يحلِقُون الأيسان لتوثيق الأشوال الكافئة التي يقولونها اغتراءً، إذَّ هم يَعْلُمُونَ أنّها أقوال كاذبة يقولونها في إثبات قضايا أوْ نفي قضايا، فقال تعالى عطفاً على وصفهم السابق:

﴿ وَيُمْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

أي: يَصنَّعُون الكذب، ويحلفونَ الايمان عليه، للإغراء بتصديقه، فكأتّهم يغطّونَ رجَّسَ الكلب بما للأيمان من قدسيّة في قلوب المؤمنين، فيجعلون الايمان أغطيةً على الكذب لِنشّرٍ كُونه كذباً، وخداع المؤمنين بأنَّه صدق.

ولا بدّ أن يُلاحظ الأديب ما في هذا التعبير القرآني من إبداع في الفكرة، مع إيجازٍ في التعبير.

هاتان الخصلتان الذميمتان من خصال المنافقين تستحقّان توجيه وعيــد خاصً لهم بسببهما، فقال تعالى:

﴿ أَعَدَّاللَّهُ أَنَّهُ عَذَا إِللَّهُ لِيدًا ﴾.

حول اتخاذ المنافقين اليهود أولياء لهم وتسترهم بالأيمان الكاذبة واستحواذ الشيطان عليهم

وهذا العذاب الشديد يدوقونه يوم الدين في جهنم دار عدّاب الكافرين.

وإذا قيل يومثله: لِنَمْ يُعَلِّبُونَ هذا العذاب الشديد؟ كان الجنواب ما جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ سَلَّهُ مَا كَانُواْ يَسْتُلُوذَ ۞ ﴾.

أي: ومن ساء عمله في حياة الابتلاء، اشتذَّ عـذابُه السَّيْسيء في حيـاة الجزاء يوم الدين.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ آَشَٰذُوۤ الْيَنَهُمُ جُنَّةُ ضَدُّوا عَن سِيا الْعَقَلَهُمْ عَلَاصُّهُمِينٌ ۞ أَنْفَىٰ عَهُمُ أَمُوْكُمُ وَلاَ أَوْلَهُمْ مِنَ اللَّهِ سَيْتًا أُولَتِيكَ أَصَّتُ النَّارِيَّمْ إِنهَا خَلِدُونَ۞ وَمَ يَعْهُمُ اللَّهُ جَيعًا يَتِيظِينَ الْإِنْكَالِيَلِمُونَ الْمُرْزِعَتُسَبُّونَ أَنْهُمْ مَلِ عَنْهُمُ الْاَرْتُهُمُ الْمَكْفِيوَ ۞ .

في هـذه الآيات الشلاث من هذا النصّ يُبيّن الله عزّ وجلّ سَبْت قضايـا تتعلُّقُ بالمنافقين:

القضيّة الأولى: تتملّق ببيان غرضهم من خَلِفهم الأيمانَ على الكـذب، فقال تعالى:

﴿ الشَّدُوا أَيْنَتُهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴾:

لي: جعلوا أيسانَهُمْ سُتُرَةً يَشُرونَ بها يَضَافَهُمْ، ومتكراتهم، وخياساتهم، وموالايهمْ للذين غضب الله عليهم، وسائر أحمالهم التي تُميّر عن هُريتهم الحقيقيّة، وهــو الكفر بـالرســول، وبما جـاء به عن ربّه، ولزومهم مــواقع شــركهم القديم في السّرَ.

الْجُنَّةُ: السُّنَّرَةُ، وكُلُّ ما وقَىٰ مِنْ سلاحٍ وغيرِه، وسُمِّيَ النُّرْسُ مِجَنَّا لذلك.

إنَّهُم في موقع المحارب الجبان، الذي يُريد أن يقاتل، ولا يستطيع

المواجهة، فيستُر نفسه بما يُخْفِي تحركاته العدائيّة الكيديّة، وسِتَارَتُهُم هي الكلب، والْحَافِ على الكلب.

القصية الناتية: تتعلّن بيان صَدَّهِمْ عن سيل الله، إذْ حَبِيْوا أَيُّهُمْ أَيِّوا بِسَشْرِ انْشُهِهُمْ وَنَحَرَّكَاتِهُمُ الْمُرْبِيَةِ بَابِعاتِهِم التي يحلفونها على الكذب، فأسْطَلَقُوا من وراء السّتر يَصْدُونَ عن سيل الله.

وصدُّهم عن سبيل الله له وجهان: لازمٌ، ومُتعدٍّ.

فالوجه اللّازم: يكـون بإحجـامهم وانصرافهم عن سلوك سبيـل الله ما وجـدوا إلى ذلك سبيلًا غبر فاضِح لهم.

والموجه المتصدّي: يكون بصرفِ ومَنْع من يشائر بهم من ضعفـا، الإيمان، أو الكافرين الذين لديهم ميّل لان يُسْلِمُوا، عن سلوك مبيل الله.

فقال تعالى :

﴿ فَصَدُّواْ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

القصيّة الثالثة: تتملّق بيبان أنّ الله عـزّ وجلَّ قـد قصىٰ بأنّ للمستافقين عذابـاً مُهيناً، مُرَثِّباً على خَلِفهم على الكذب، وصَـدَّجمٌ عن سيل الله، وأنّ هـذا العذاب النّهين مُمَدُّ لَهُمْ ومُهَيَّاً، فهم ينالونه بعد مفارقتهم عتبةً حياة الابتلاء، ودخـولهم عتبة يوم الجزاء، فقال تعالى:

﴿ فَلَهُمْ عَلَابٌ مُّهِينٌ ۞ ﴾.

وقمد يكون همذا العذاب العهين عنمد موتهم، وفي مدَّة البمرزخ بين العموت والبعث، وفي يوم الحشر.

القضية الرابعة: تتمكّن بأثر اعتمادهم في الدنيا على أموالهم واولادهم، لدفع نقمة الرسول أو المؤمنين عنهم، إذا انكشف لهم أثرَّمَّمَ، وظهرَتُ لهم خياستهم، والْبَيْنَالُ القرآني يُنْبِتُ أَنَّ الله قضى بالله أن تغنيهم أشوالهم ولا أؤلائهم، فلا تـدفــع عنهم من عذاب الله شيئًا، إذا أراد الله أن يُنْزل بهم عقابه في الدنيا. قان أواد الله تعذيبهم بجوائح كمونية من أمره فَلَنُ تُغْنَيْهُم أموالهم ولا أولادهم شيئًا، ولَنْ تدفع عنهم عذابه.

وإنْ سَلَطَ الله رسولَه أو المؤمنين عليهم، وأغراهم بقتالهم فَلَنَّ تُغَنَيْهم أموالهم ولا أولادهم شيئاً، وسِنْتُصُرُ رُسُولَة والذين أمنوا عليهم. وقدَّ حذَّرهم الله عزَّ وجلَّ من هذا التسليط بقوله في سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول):

﴿ لَهِ اللَّهِ عَنَهُ مَا النَّهُ عُمْ وَاللَّهِ فِي فَقُوبِهِم مَرَضُّ وَالْمُرْحِفُوتَ فِي الْمَدِينَاكُ بِهِم ثُمَّلًا بُصُاوِدُونَكَ فِهَمَّا إِلَّا فِلِلَّا ۞ مَنْمُونِكَ أَيْنَمَا ثَقِيقُواْ أَعِدُوا وَفَيْتُواْ فَفْيِدُكُ۞ شُنَةً القَوْفِ اللَّهِ يَكَ خَوْلُونِ فَلْأُونَ فِيكَدِيْشَتَةُ الْفَوْتِدِيلًا ۞﴾

وقد سبق شرح هذه الآيات في أواخر النص (١٣) من هذه الدراسة.

وفي بيان أنّ أموالهم وأولادهم لن تُغْبِيهم شيئاً. ولَنْ تُذَفَعَ عنهم عذاب اللَّهِ، قال تعالى :

﴿ لَّنَ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمُواهُمْ وَلَا أَوْلَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيَّا ﴾ :

أي: لَنْ تَكْفِيَهُمْ فَنَصْرِفَ عَنْهُم أموالُهُم ولاَ أولاَدُهُمْ من عَذَابِ اللَّهِ شيئاً.

أَضْلُ معنى وَأَغَنَاهُ كَفَاهُ، والكفاية عند الحاجة إلى ما يدفع المكروه تنضمُن معنى الكف والصَّرْف، أي: كفاه فضَرَف عنه ما يكره، فَسُدَي فعل وأضى، عند إرادة هذا المعنى تعدية فعل وكفُّ أو صَرَف، وفق أسلوب التضمين، وقد استعمل العرب هذا التضمين في فعل وأغنى، فقالوا: أَغْنِ عَنَّا شُرِكَ، أي: اشْرِقُهُ وكُفُّهُ.

ورُوي أنَّ عليَّـاً بعث إلى عثمـان رضي الله عنهمـا بصحيفـة، فقــال عثمــان للرسول: وأُغْيِهَا عَنَّاه أي: اصْرِفْهَا عَنَّا.

وجاء تكرير النني في: ﴿ وَلاَ أَوْلاَهُم ﴾ للذّلالة على أن من المنافقين من لديه أموال فهو يستغني بـأموالـ ويرى أنّها تدفيع عنه، ومنهم من لديه أولاد فهـو يستغني بأولاده ويرى أنهم يدفعون عنه، ومنهم من لديه أموال وأولاد، فياخُدُ كُلُّ فريق حظُّه الخاصّ من النفي، وأمّا من لديه أموال وأولادُ معاً فيؤكَّدُ له النفيُ مرّتين، أحدهما مع الأموال، والأخر مع الأولاد. وقبوله تصالى: ﴿ وَمِنَ اللَّهِ شَيئاً﴾ هـوعلى تقدير مضاف محدوف يُغْهَمُ من الشرينة، والكلام على تقدير: لن تغني عنهم أسوالهم ولا أولادهم من عـذاب الله شيئاً.

الفضيّة الخامسة: تتملّق ببيان مصيرهم الأخير يوم الدين، فقال تعالى: ﴿ أُوْلَتِهِكَ أَصَّنْبُ النَّالِيُّهُمْ إِضَّالِكُ فِيَهُ ﴿

أي: أولَننك البعداء عن رحمة الله، والبعداء في جهـة الـدوك الأسـفـل، هـم مستحقو النار وملازموها، وهم فيها خالِلُون.

القضية السادسة: أنّهم يوم يُبَشُّون ويُرقَقُون للحساب، يُخلِفون على الكذب بين يدي الله، كما كانوا يخلِفُونَ للرُسول وللمؤمنين على الكذب في الحياة المدنيا، متوهمين أنّ هذا الخداع يَفَعُهم فِيدفع عنهم عذاب الله، كما تفعهم في الدنيا، إذْ دفع عنهم انتقام الرسول والمؤمنين.

لكنّهم يجدون صحائفهم لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ، ويجدون شريط أعمالهم معروضاً بالصورة والصوت والنيات والخواظر وأحاديث النفس والقلب ، ويجدون جوارحهم تشّهناً عليهم بما قندّمُوا ، ويجدون أنّهم مفضوحون بالكذب ، وأنّ العذاب تازل بهم لا محالة .

دلُّ على هذه القضية قول الله نعالى:

﴿ يَوْمَ بَبْعَثُهُمُ اللَّهُ حِيمًا فَيَحْلِفُونَ لَمُ كَالِحْلُونَ لَكُو وَمُسَهُونَ أَنَّهُمْ عَلَ مُونِهِ ﴾

أي: يَدَقَ يَتَغَفُّمُ اللَّهُ جميعاً لِيشْوِ القياصة، فَيَحْشُرُون، فَيَسْاقـون لمحكمة الصدل الربّانية، فَيَسْأَلُون ليُحَاسَبُوا عَلَى أعمالهم فَيْخَلِشُونَ عَلَى الكَيْبِ، كَمَا يَخْلُونَ لَكُمْ الوم أيها المؤمنون في الحياة الدنيا، ويُحْسَرُون أَيْهم بقـدوتهم على الكذب بالسنتهم، وسُنْرِ اكاذيهم بما يحلفون من أيمان قابضُون أو مسيطرون على شيء يتفقهم، فيدفعُ عنهم عذاب الله.

هذا الكلام هو جزء جملة يشطلُبُ جزأهـا الآخر، وهـو بمثابـة المـبتدأ الـذي لم يأت بُعَدُ خبره، فاين جزُّءُ الجملة الآخر؟.

نول:

هو مطوئي يمكن إدراكه بأدنى تأمّل، ومعناه، لكنّهم يفتضحون، وتُقام عليهم البينات التي لا يستطيمون جُحوذها، وتشهد عليهم جواوحهم، ويُدانون بكفرهم ويُقاقهم، وبما ارتكبوا من جوائم، ويُحكَمُ عليهم بالعذاب في النار خالدين فيها، ويظهر لهم أنهم ليسوا على شيء يدفع عنهم أو يصرف عنهم عذاب الله.

لقـد ماتــوا وهـم كذَّابُــون، حلَّافُــون على الكذب، ويَيْعَشُـونَ يوم القيـامة على ما ماتوا عليه كذّابين حلّافين على الكذب.

روى الإمام مسلم وابن ماجه عن جابر، أنَّ النبيِّ ﷺ قال:

وَيُّهَدُّ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ. الفضية السابعة: بيان أنّهم أكناب الكذّابين، حتّى كانّ الكذب منحصر

القضية السابعة: بيان انهم الحلب المُخَلَّابِينَ، حتى كنان الحَلَّبِ، فيهم، على معني تفرّدهم باحتلال المرَكة السُّفُلَىٰ من دركاتِ الكذِب، فقال تعالى مستفتحاً بأداة التنبيه:

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مُمُ ٱلْكَوْبُونَ ۞ ﴾.

استُفيد الحصر من تمريف طرفي الإسناد، مع التناكيد بضمير الفصل. أداة التمريف هي هنا للكمال، أي: للدلالة على أنهم جمعوا كلّ أنواع الكذب، واستكملوا كلّ عناصره، وهذا الجمع لا يوجد عند غيرهم، فهم أخسّ الكذّابين، لا يشاركهم في دركة هذه الخشة أحد.

هذا الحصر لم يرد في الفرآن إلَّا ثلاث مرات:

والثانية: في صورة (النور) بشأن الذين جاءوا بالإفك، والذين جـاءوا بالإفـك ابتداءً هم المنافقون، ورأسهم أبنُ سلول.

والثالثة: هذا الذي في سورة (المجادلة) وهو بشأن المنافقين.

فلا اختلاف في دلالات النصوص القرآنية حول حصر كمال الكذب في المنافقين.

قول الله عز وجل:

﴿اسْتَحْوَدُ عَلَيْهِمُ الشَيْطُنَ قَأَسُهُمْ ذِكْرُ الدَّهِ أُولَتِهِكَ بِحَرْبُ الشَّيْطُنِ أَلَا إِنَّ حِرْبَ الشَّيْطُنِ مُمُ النِّيرُونُ ۞﴾ .

في هذه الآية بيان أربع قضايا بشأن المنافقين:

الفضية الأولى: بيان أنّ الشيطان استحود عليهم، أي: استسولَى عليهم، وغلب على أسرهم، وجمسل إراداتهم طسوع أواسره ونسواهيه، وجمسل أفكارهم ومفهوماتهم وتصرّراتهم في الحياة انعكاساً لوساوسه وتسويلاته، وساقهُم كما يسوق الحُوذِي الدوابُ سوقاً سريعاً عنيفاً، وكانوا منّن صدَّق عليهم إبليس ظنّه، إذ قال لربّه حين لعنه وطرده، وأهبطه وأخرجه من مواطن القرب مع المسلائكة، مذهوماً مدحوراً، كما جاء في سورة (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْسَلَةِكِ مَنْ مَنْ مُنْ مُنْ مُنْ أَلْإِلْبِسَ قَالَ مَا شَجُدُ لِينَ خَلَقْتُ طِيبَ ﴾ قَالَ أَرْءَ يُنْكُ هَذَا الَّذِى كَرِّمْتَ عَقَّ لَمِنْ أَخَرُنْدِ إِلَى يَوْرِ الْفِينَمَةِ لَأَخَرَيكُنَ دُرْيَتُهُ إِلَّا فِلِيلًا ﴿ ﴾ ﴿

أي: لأَسْتَميلَتُهُمْ ولأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم ولأَسوقَنَّهُمْ كالدُّوابِّ منْ أَحْناكهم.

﴿ احْتَنَكُ الدَائِنَهُ : أي : وضع في حنكها الاسفل حبلًا يقودُها به . فالكفرة والمنافقون من يُنبي آدم جعَلَهُمُ إيليس كالبهائم من الدواب والانعام، ومساقَهُمْ كما يُسُوقُ الحوذي دوابًه.

أمّا الذين استمصّـوًا على إبليس فهم الذين حافظوا على تكريم الله لهم إذً جعلهم في أخّن تُقويم، ولم يستجيبوا لشيـطان كما استجـك الـذين ردّهم الله ياستجانهم لـه إلى أشقل سافلين، الذين هم كـالانعام بـل هم أضلّ سبيـلاً، وقد دلّ على هذه الفضية قول الله تعالى:

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشِّيطُانُ ﴾.

القضية التانية: وهي تأتي أثراً من آثار القضية الأولى، وهي ما حصل لديهم من نسيان ذكر الله تماماً، فمن استحوذ عليه الشيطان، وملا ساحة فكره بما نتر فيها وزرع من وساوسه وتسويلاته وشبهاته وضلالات، وسفّى وتَمْهَلُهُ بالنّماء، أنساهُ الشيطان ذكر الله، فَهُو لا يذكر الله حين الشيطان ذكر الله، فَهُو لا يذكر الله حينا يتقلّب في بنبه، ولا يذكر الله حين يتمرّض لبلائه ومصائبه، بل يَرَى كلَّ ذلك مصادفات من ظواهر الحركات الطبيبية، أو آشاراً لاعمال يقوم بها الناس لا سلطان لقضاء الله وقدره عليها، وإذا كانت له عظالب سمّى يتخذ الأسباب المائية للوغها دون أن يتحرّك فله بالتُوكل على الله عند أنذها، وسينا الله المشركون، وهنا عند المناطن، وإذا كان لا يذكر الله عند هذه الأمور فهو لا يَذْكُرُ اللهُ عَنْساً ليحمَدة ويشكّره ويغنهما ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، وقد دل على هذه المنطقة قول الله تعالى، وقد دل على هذه المنطقة قول الله تعالى، وقد دل على هذه

﴿ فَأَنسَنُهُمْ إِنَّاكُمُ ٱللَّهِ ﴾.

دلت والفناء العاطفة ، على الترتيب مع التعقيب ، وذَلَت على السبيّة ، ودلّ حدوث النسيان على أنّه أمر طارىء عليهم بسبب استحواذ الشيطان عليهم ، ولم يكن من فطرتهم ، ولا من أوائل رحلة امتحانهم قبل أن يستحوذ عليهم الشيطان عن طريق الأهواء والشهرات والشُّبيّات والضلالات.

القضية الثالثة: وَهِي تأتي أثراً من آثار اجتماع الفضيين الأولى والثانية، وهي أن السنافقين حينما يتلاقؤن على مبادئ، ومفهومات ومقائلة واندواع سلوك في الحياة جرّم الشيطان إلى سلوكها، فلا بدّ أنْ يتألفن منهم جرّبٌ تشاكلت مبادئ، أفراده، وأهواؤهم، وتشابهت أعمالهم، ولما كان الشيطان هو الذي يوسوس بها وسوك، ويستدرج إلى سلوك سُبُلها، فلا بُدُ أن يكون الشيطان هو رئيسها وقائدها، فجرَّبُهُمْ هو حرّبُ الشيطان، لأنّه هو قائده، ورئيسه، وواضع برامجه، وموجَّمة أفراده، وساقتهم سوق البهائم،

القضية الرابعة: تتضَمَّنُ بيان عـاقبة هـذا الحزب الشيـطاني، وهي أنّـه هـو الحزبُ الوحيد الخابرُ لكلّ شيء، فكمالُ الخُسران مُنْحَصِرُ به، فقال تعالى:

﴿ أَلاّ إِنَّ حِرْبُ الشَّيْطَانِ مُ الْمُسْرَعَةَ ﴾.

[ألاً]: أداة استفتاح للتنبيه والتحذير.

[إنَّ]: لتأكيد الخبر.

[هم]: ضمير فصل لتأكيد التأكيد، ولإفادة الحصر الـذي يحصل بتعريف طرفَي الإسناد.

[الْحَناسِرُون]: اي: المستجمعون لخسارة كلِّ شيءٍ إذْ خَسِرُوا انفسهم، ودفعوا بها إلى العذاب الأليم الخالد في دار العذاب. فهَلْ يوجد خُسْران أَسْـدَ من هذا الخسران؟1.

أداة التعريف هنا لاستغراق أفراد جنس الخسران، فتحقَّق بذلك القصر.

ولم يات هذا القصر في القرآن إلاً وصفاً للكافـرين، والكافـرون جميعاً على اختلاف مذاهبهم وأهوائهم وبرامجهم هم حزب الشيطان.

أمّا غير الكافرين فقد يخسَرُون خسارات مختلفات الدرجات لكنُّهُمْ لا يكونون هم الخاسرين لكلّ شيء.

وهكذا يظهر لنا الانسجام والاتفاق في دلالات العبارات الغرآنية، ولو كمان هذا الكتاب من عند غير الله لوجد الباحثون المنقّبون فيه اختلافاً كثيراً.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا الكتاب، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والحمد لله على توفيقه وفتحه في تدبُّر أيات كتابه.

* قول الله عزَّ وجل:

﴿إِنَّالَّذِينَ عُاتَّدُنَ اللهُ وَرَسُولُهُۥ أُوْلَئِكَ فِي ٱلْأَذَلِينَ ۞ كَنَبُ اللَّهُ لأَغْلِبَ أَنَّا وَرُسُولِكَ اللَّهِ فَيُغْرَبُرُ ۞ ﴾.

مبق في صدر النصّ السابق (٣٧) من سورة (المجادلة) بيان أنَّ المنافقين بحادّون الله ورسوله، أي: يقفون في حدُّ معارض ومضادٌ لحدّ الله ورسوله سراً، ويتربَّصُونَ انْ تُسْنَح لهم الفرصة ليكونـوا مقاتلين للتخلّص من الإســلام والمسلمين قتالًا علنيًا، فهم أعداء حقيقيون مرّاً، إلاّ انهم جبناء.

فاقتضت الحكمة البيانيّة تُطبين الرُّسبول والذين أمنوا، وَوَعِيدُ المنافقين، بأنّهم سيكونبون بسلطان القهر الرّبّاني في الضعضاء المخلولين الأذلين، فقـال الله تعالى:

﴿ أُوْلَتِكَ فِ ٱلْأَذَلِينَ ۞ ﴾.

هذه الجملة خبرً ﴿إِنَّهُ واسم المدوصول وصِلتُمه اسْمُهَا، ومعنى: ﴿فِي الْاَذْلُونَ﴾ أَبْلاً؛ ضعفاء مخلولون في مُجْمَع الاَّذَلُون من الإنس والجنَّ، فهم رُكَمَةً مِنْ رُكَامٍ الْأَنْلُون الْمُغْلُوبِين، ليسوا مؤهلين لأن يُشْهِروا، مهما اتُخذوا من وسائل وأسباب

وليس هذا الخبر عنهم أمراً معتمداً على ظنـون وأمارات، بــل هو قضــاءً بقَدَرً رَبَّانِي، دَلَّ عليه قول اللَّهِ تعالى:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَ أَنَا وَرُسُلِ ﴾.

قانون من قوانين الكون الربّانيـة، أو سُنَّة من سُنِّنِ الله، قضــاها وألـزُم الله بها نفـــه، في ظروف الحياة الدنيا، حياة الابتلاء، قبّل حياة الحبراء، هذه السنَّة هي:

﴿ لَأَغْلِبَكَ أَنَّا وَرُسُولُ ﴾.

وَيُلْحَقُ المؤمنون الصادقون بالرُّسل إذا النزموا منهج الله، ولم ينحرفوا عنه، أو يقصُروا بواجباتهم تجاهه.

﴿كَتَبَاللَّهُ ﴾:

أي: سجَّل الله كتابةً في اللوح المحفوظ، ثُمٌّ في الصُّحُفِ الَّتِي قـد يُكَّنِّبُ فيها بعض ما فيه، كصَّحُف العلاكة.

الكتابةُ تدوين لكلام يشتمل على علم ما، وقد نَحْمِلُ الكتابة دلاللَّهُ الأمْرِ المكتوب، فإذا كان المكتوبُ يُشِرُ عن قضاً، اللَّهِ وقَدْدٍ، حَمَلَ فعلْ ﴿كَتَبَ﴾ معنى: وقضى وَفَكُره. وإذا كنان المكتسوب يُنبِّر عن السرِ أو نَهْي ، حَمَلَ فعـل ﴿كَتُبُ ﴾ معنى: وأَمَرُ أو نَهْي و وإذا كان المكتسوب يُنبِّر عَنْ شَيء فرضه الله على عباده، حمل فعل ﴿كَتَب ﴾ معنى وفرض أو أوجبه . وإذا كنان المكتوب يُنبِّر عن حقيقة أزلية، كنان معنى ﴿كَتَب ﴾ دَوْنَ معلومة من الععلومات الأزلية. وإذا كنان المكتوبُ يُنبِّر عن أشرِ سيفعله العباد باختيارهم الحرَّ، كنان معنى ﴿كَتَب ﴾ دَوْن معلومة من المعلومات التي يحيط بها عِلْمُ الله عزّ وجلّ ، ولَوْ كنات ممّا سيفعله العباد باختيارهم الحرَّ، وهذه من خصائهم شمول العلم الرَّباني لكلَّ شيء ، ولا يُقالُ في هذه : قضى وقدَّر، فمن فهم في هذه معنى وقضى وقدَّره قفد أساه،

ولمّا كانتُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي: ﴿لَأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِيهِ﴾ سُنَّةُ نَافِلَةً، وكان نَفَادُها مظهراً من مظاهر قُوَّةِ اللَّهِ وَعَزِّتِهِ الْغَالِيّة، وجزئيّةً من جُزِئيات صِفْقٍ كلِيَّةٍ من صِفَاتٍ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ وهي انَّ اللَّهَ فيويًّ عَزِينَ، أي: غلابٌ لكلَّ الْقُرى مَنَى شاء، كان من الحكمة في البيان التذكير بهذه الكليّة الاعتقاديّة، لربط الفروع بالأصول، ولتعميق الإيمان وتثبيته في قلوب المؤمنين، ولإقامة الحجّة على الكافرين المعاندين، فقال الله تعالى:

﴿ إِنَ ٱللَّهَ فَوِيُّ عَزِيزٌ ۞ ﴾.

عزيز: أي: ذو عزّة كاملة. العنزّة: هي القدرة على التغلّب، تقـول العرب، عزّ إذا غلب، وفي العثل: (مَنْ عَزْ بَزَ) أي: من غلبَ سَلَبَ.

قول الله عز وجل :

﴿لَا عَبِدُ فَوَا اَيْفِ مُونِ إِلَّهُ وَالْوَدِ الْآَجِدِ وُالَّادِ مِنْ كَآذَاتُهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانْوَا مَانِاً مَهُمْ أَوَا أَبْنَامُهُمْ أَوْلِ خُرْنَهُمْ اَوْعَشِيرَ نَهُمُّ أُولَتِكَ كَتَبَى فَلُوجِهُ الْإِيمَانَ وَأَيْدَهُمْ مِرْدِح فِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ حَنَّىنَ مَيْنِ مِنْ فَيْهَا الْأَنْهَ رُحْدِينِ فِيهَا رَعَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَتِكَ مِرْبُ اللَّهُ أَلْا لِلَّالِينِ فِيهَا في مقابل ما عليه المتنافقون من اتتخاذهم أعداء الله اليهبوذ الذين غضب الله عليهم أولياء من دون المؤمنين، كان من الحكمة البيانية توضيعُ الموقف المتجدّد باستمرار للذين يؤمنون بالله واليوم الاخر، خُولُ موضوع موالاة من حباد الله ورسُولُـهُ من أهل الكفر الصُرحاء والمنافقين.

إنّها آية خطيرة جدّاً، تَذْمَعُ اللّبين كبرادُونَ مَنْ حادّ الله، موادّة مُوالاًةٍ بُضَّمرةٍ وَمَعُونَةٍ وَتَالِيدِ ضَدُّ الإسلام والمسلمين، بأنّهم لَوْ كانوا يُؤينُون باللّهِ والنّوْم الآخر لما فعلوا ذلك، إذً:

﴿ لَا يَهِمُ لُوْمَا كَيْوَمِنُوكَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِيُوَآ ذُوكَ مَنْ حَآذًا لَلَّهَ وَرَسُولَةٌ ﴾:

آي: لَا تَجِدُ أَيِّها الباحثُ الْمُنَقَّبُ الصَّالِحُ للخطابِ قَوْماً لهم كُتْلَةً أو جماعةً ما يُواذُونَ مَنْ حَادَ الله ورسوله، وهم مع ذلك يؤمنُون بالله واليوم الاخو.

أَنْهِم لَو كَانُوا يُؤْمَنُونَ بَاللهُ واليوم الأخر لخافسوا من عَلَمُكِ اللهُ الشَّـدَيدُ النَّذِي يجعلهم مع أوليائهم الكنافرين في النار، إنَّ هذه المحوالاة للكافرين ضدَّ المؤمنين خياتُهُ عُشِّسُى تَقْلِفُ بالموالين إلى صفوف الكافرين الذين يحادَّون اللهُ ورسوله.

إنَّ إنساناً لديه فرَّة من إيسانٍ وعقل لا يبرتكُ هذه الكبيرة العظمى، فالأية لا تجعل هذه السوافة إحدى المكفّرات، لكنّها تكشف أنّها قدُلُّ على عدم وجود الإيمان بالله واليوم الآخر في القلّب بصورة صحيحة سليمة مقبولة عند الله، فغملها بين المسلمين من خصائص المنافقين في الجملة.

أشا ما فعل حاطب ابن أبس بلنعة فلم يكن مُواقةً من هذا القبيل، مع أنَّ ما فعله قد كان مقيميةً كبيرة، إلاَّ أنَّه لم يكن عن نضاق، وكان مع ذلك بعسورةٍ فرديَّ، لحماية أقلِه، لا موادَّةً لمن حادُ الله ورسوله.

ويــدخُلُ في عمــوم هذا الكــلام الذين يُــوادُون المنافقين، وهم يعلمــون أنّهم منافقون، أو ظهرت في أقوالهم وتصرّفاتهم علامات النفاق. ويتساءل المتذبر لهذا البيان الخطير: ماذا يفعل المؤمنون بنالله واليوم الآخر، مع آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم الاقربين من أهل الكفر، ألاّ يُوادّونَهُمْ؟

ويأتيه الجواب في هذه الآية، مع تتابُع فقراتها:

﴿ وَلَوْكَ انْوَاءَ ابْمَاءَهُمْ أَوْ أَبْكَ مَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْعِيْدِمُهُمْ ﴾.

إنّ سواقة الاقربين التي تستسدوج إلى سوالاتهم من دون الموضين، هي من مناصرة الكفر ضدّ الإيمان، والكافرين ضدّ المؤمنين، وهذه كبيرة لا يُعملها إلاّ كافـر صريحُ أو منافق.

حسناً: فما هو حال المؤمنين الذين لا يواذون من حادَّ الله ورسوله، ولو كـانُوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم؟.

لقد اشتملت الآية على بيان ستّ قضايا عظيمة كريمة تتعلَّق بهم:

القضيَّة الأُولِي: أنَّ اللَّهَ تُعَالَىٰ كتب في قُلوبهم الإيمان، فقال عزَّ وجل:

﴿ أُوْلَتِيكَ كَتَبَفِ قُلُورِهِمُ ٱلْإِيكَنَ ﴾:

أي: أولئك رفيعو الممنزلة عند الله وسلائكتمه كتب الله في قلوبهم كُلِمَاتٍ الإيصان، لتكون هـ لم الكلمات المكتوبات في قلوبهم شهادةً من اللهِ لَهُمْ بـاأَيُّهُمْ مُؤْمِّرُنَ، ولهًا كان الإيمان محلَّة الفلب، كانت هذه الكلمات الشاهدات لهم بـاأنهم مؤمنون، مكتوبة بأمر الله أو بفعله ضمن قلوبهم، وهذه الشهادة الرّبانية في قلوبهم جـواز دخولهم الجنة، وقد اعتـادت الشعوب القديمة أن تكنب شعار قبيلتها على أجساد افراد القبيلة، ويسمونه: «التوتم» وهو بعنابة الهوية.

وفي المقابل نجد في النصوص النبويّة أنّ الدّجَال مكتوب على جبيته وكـــانو، شهادةً عليه بأنّه من أهــل النار، ولا تبــرز على جبينه ليقــراها المؤمنــون، إلاّ بعد أن تُمِيّتُ في فَلَهِ.

فالمؤمنون يحملون هُـويتهم الربّانية في قلوبهم، وقـد يحمل الكـافرون في المقابل هوية كفرهم. ولا أرى مقتضياً لتأويل هذه الكتابة، وحَمْلِهما على معانِ أخسري، كالْجَمْل ِ، أو الشبيت، أو غير ذلك، فالأصل حمل اللَّفظ على ظاهر، إلَّا عند التعلَّد.

أقبول:

وما يُكْتَبُ في الغلوب يُقْرا يوم القيامة كالـذي يُقْرا في الصحف، وقـد يكون باستطاعة الملائكة الموكّلين باعمال العباد أن يقرؤوهُ في الدنيا أيضاً. والله أعلم.

القضية الثانية: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُؤيَّدهم بروح منه، أي: بقوةٍ معنوية، مقابل تخلِّيهم عن الأقسربين من أرحسامهم وعشيسرتهم الكسافسرين، والاستنصسار بهم ومناصرتهم، فقال تعالى:

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوجٍ مِنْدُ ۗ ﴾:

أي: وقوّاهم على الثبات في مواقف الإيمان وفي المعارك ضدّ الذين يحادّون الله ورسوله، بروح منه، أي: بقوّة خفيةٍ غير منظورة.

وجاء التعبير بصيغة الفعل الماضي ﴿وَالْدَهُمْ لِمِيانَ نَسَعُنِي وَوَعِ هذَا النَّابِيد، في مجرى حياتهم، ومن جعله الله مؤيّداً منهُ فتابيده لـه مستمرَّ صدى حياته، ما دام على وصفه الذي آيده من أجمله.

الفضيَّة الثالثة: أنَّ اللَّهُ يُدْجِلُهُمْ يَـوْمَ الذَين جَنَّـاتٍ تَجْرِي من تحتهـا الأنهار خالدين فيها، فقال تعالى:

﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِى مِن عَيْنِهَا ٱلأَنْهَارُ خَسْلِينَ فِيهَا أَهِ.

إنّها جَنَّكَ مُفصَّلَات، ضمن جنَّةٍ عُظْمَىٰ جَامِمَةٍ لَهَا، وكلُّ جنَّةٍ مِنْها تَجْرِي مِنْ تحتِ قُصورِ أصحابها فيها الأنهار التي جاء وصُفُها في القرآن.

فالله عزّ وجل بُلُـخلُ هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الإيمــان جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار حالة كونهم خالدين فيها .

﴿خُلِلِينَ فِيهَا ﴾:

حال من ضمير النصب في ﴿وَيُلْجَلُهم﴾ وهذه الحال يسمونها حالاً مُفَلَّرَة، لأنّ الخلود ليس مقارناً لدخولهم الجنّات. القضية الرابعة: أنَّ اللَّه رَضِيَ عَنْهُمْ إِذْ قَلَمُوا بِإيسانهم وعملهم ما يُسرَضيه، وَأَنَّهُمْ رَضُوا عن الله، إذَّ اصابوا من عطاءاته العظيمة، في جنّات النعيم ما لم يكن يخطر على بالهم، فوق ما نالوا من تاييد ومجد وسعادة قبل ذلك، فقال تعالى:

﴿ رَضِ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنَدٌّ ﴾.

الرضا: هو الشعور بالارتياح والاكتفاء والقبول، وتحقيق المسطلوب، أو إذَّراكُ ذلك في النفس.

القضيّة الخامسة: وهي تأتي أثراً من آثار اجتماع المؤمنين على عقائد ومبادى، ومفهومات وصراط ريّانيّ واحد، فلا بدّ أن يتألف منهم حزبٌ واحد، متّحد الوحدات الفكرية والنفسيّة والقلبية والسلوكية.

ولمًا كان الله هو الهادي إلى الإيمان، والمصطفي لعباده دين الإسلام، وكـان هذا الحزب هو الحزب المؤمن بما هدى الله له، والعامل بما شـرع لعباده والسـالك صراطه الذي وضعه لهم، كان هو الجدير بأن يكون عنوانه وحزب الله، فقال تعالى :

﴿ أُوْلَئَيْكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾:

أي: أولئك ذُوُو المنزلة العليّة والمضام الرفيع عند الله هم جنزُبُ الله، ومن كان من حزب الله جعله الله في كنفه، وأمَلُه بمُدَدٍ من لدنه.

القضية السادسة: تتضمُّن بيان عاقبة جزْبِ اللَّهِ، في مقابـل ما سبق من بيـان عاقبة حزب الشيطان، فقال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ ٱلْفَلِحُونَ ۞ ﴾.

أي: هم الفائزون الظافرون بكلُّ ما يتمنُّونَ، وفَقُ ما يَتَمنُّونَ.

ويقال في هذه الجملة ما سبق شرحه لدى تحليل الجملة المقابلة:

﴿ أَلَّا إِنَّ حِرْبَ النَّيْطَانِ ثُمُّ الْمُؤْمِدُ فَا كُلَّ مُ الْمُؤْمِدُ فَا كُلُ

فَلْيُرْجَعُ إليه، أو فَلْيُلاحظُ هنا.

وانتهى النص

...

النص التاسع والعشرون

وهو من سورة (التحريم/ ٦٦ مصحف/ ١٠٧ نزول) «السورة (٢١) من التنزيل المدني» الأسة ١٩١ حول مجاهدة الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم

قال الله عز وجل:

﴿ يَنَا أَيُّهِا ٱلنَّيُّ جَنِهِ لِٱلْكُنَّا وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱفْلُظْ عَلَيْهُمْ وَمَأْوَنَهُمْ جَهَنَّدُ وَبِلْسَ ٱلْمَعِيدُ ۞).

مع الآية في التحليل والندبُّر

تحلسلات لفظئة:

صُدِّرَتْ الآية بخطاب النبيّ بوصْفِهِ قائد الأمَّة الإسلاميَّة في حياته، لانُّمه هو المسؤول عن إصدار القرار بمجاهدة الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم، ضمن المستوى الجهادي الذي يراه.

ويُلْحَقُّ بالنبيِّ كلِّ قائد للأمَّةِ الإسلامية من المؤمنين المسلمين، لأنَّ شرائع الله لعباده شرائع مستمرّة ولا تقتصر على عصر النبيّ، فخلفاء النبيّ من بعده وأصراء المؤمنين مسؤولون عن تنفيـذ الأوامر الصوجّعة للنبـى من كـلّ صـا يُمُّمُ أصور المسلمين، أو يتعلق بحقوق الإدارة وواجباتها.

وقد علَّمنا الله عزَّ وجلَّ في صدر سورة (الـطلاق/ ٦٥ مصحف/ ٩٩ نزول)

أنَّ خطابه للنبيّ هو خطاب في الحقيقة لكلّ المؤمنين، لأن موضوع المطلاق الذي جاء فيه موضوع عام وليس من خصوصيات الرسول.

وكذلك في صدر سورة (التحويم) مع أنه نزل بمناسبة حـادثةِ جــرت للنبــيّ، إلّا أنّ المضّمُون عامّ يشْمَلُ كلّ من يجري له مثل ما جرى للنبـي ﷺ.

﴿جَنِهِ دِٱلۡحَكُفَّارَ وَٱلۡمُنَافِقِينَ﴾.

بقال لُغةً: جاهَدَ يُجَاهد مُجَاهَدة وجهاداً، أي: بذل جَهْداً فيه معنى المضالبة أو المنافسة لمعارض يشارك ببذل الْجَهْدِ، مغالباً، أو منافساً، أو مقاوماً صاداً.

هـذا ما تـدلُّ عليه الصيخة، وفي الجهاد على هـذا المعنى يُبذُلُ عـادةَ جَهَّـدُّ رَائِد، وقد يُطَلَّقُ الجهاد ويُراد منَّهُ مُجَرَّدٌ بذَل، الْجَهْدِ الزَّائـد، ولو لم يكن في مُصَابِله مُشارِكُ مُذَالِبُ او منافسٌ أو مقامٍ .

والجهادُ المستعمل في القرآن تعبيرُ يدخُلُ في عُمُسُوم الْمُخَنَّى اللَّفُوي بشكل عـامٌ، إلَّا الذّ له قيداً عاشاً، وهو الذّ يكون في سبيل الله وابتغاء موضاته، وقيموداً تفصيليَّة لكلَّ نـوع من أنـواع الجهـاد، وهـذه القيـود مبينة في كتسـاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفيما استنبطه علماء المسلمين وفقهاؤهم.

ومن استمراض النصوص القرآنية في الجهاد ينيين لنا أنّ الصراد من الجهاد في سبيل الله أن يبذل المؤمن المسلم في سبيل الله مما يَشْلك مِنْ جَهْدٍ، أو طاقة، أو مال، أو فكر، أو علم، أو دعوة إلى الله، أو جدال بالتي هي أحسن، أو أيّ شيء ذي نفع، أو ذي تأثيرٍ صا، من أيّ شيء يخصُّه، أو من أيّ شيءٍ له عليه سُلُّطةً ما، أَوْ قدرةً على التصرّفِ فيه إذا كان مأذوناً بذلك شرعاً، لنصرة الإسلام والمسلمين بالحقّ.

ومجالات الجهاد كثيرة، منها:

- بذل طاقة الفكر، لنصرة دين الله بالحق.
 - بذل المال لنصرة الإسلام والمسلمين.
- ـ بذل قُدرات اللَّسان في البيان النافع المؤثر للهدف نفسه.

- بذل قدرات الكتابة والتأليف، والنشر والتوزيع.
- ــ بذل حركة الجسد، في المشي، والسعى، والسفر، والتنقل في الأرض.
 - التضحية بمطالب النفس من شهوات ولذات وأهواء ونحو ذلك.
- إعداد المستطاع من القوة للإرهاب، وكف العدوان القائم أو المحذور
- الفتال، والتضحية بالحياة حين تدعو الضرورة أو الحاجة الملحة لـ ذلك،
 دفعاً لخطر قـــائم أو خطر مُـــرقـــم، أو لتأمين وصـــول دعــوة الإســـلام إلى
 الناس، وحماية الشعوب من الظلم، والعدوان، والفتنة في الدين.
- قول الحق مع الخوف من التنكيل عقاباً على قوله، من أدنى درجات التعذيب حتى القتل.
- القيام بأعمال لخدمة الإسلام والمسلمين يتعرّض القائم بها لمصائب في
 ماله أو نفسه حتى بذل حياته، كالتجسّس ضمن صفوف الكافرين.

إلى غير ذلك من أمور، بشرط أن تكون مأذوناً بها شرعاً.

﴿وَأَغْلُظُ عَلَيْهِمْ ﴾:

أي: كُنْ شديداً عليهم، فعاملهم بقُسُوةٍ وتعنيف، فقد تعادوا فيما هم فيه منذ أوائل المهد المدني ولم يرتدعوا بمختلف الأساليب الرفيقة، وقد مضى من المهد المدني قُرابة ثلثيه، ولم تجد معهم سياسة التناضي، والتخويف بعذاب الأخرة، ثم التهديد بالإذن بمحاربتهم.

﴿ وَمَأْوَنِهُ رَّجَهَنَّدُ ﴾:

أي: منزلهم الذي سيصيرون إليه، ويقيمون فيه دواماً جهنم دار العذاب يموم المدين.

تدرج البيان الربّاني حول معاملة المنافقين مع تدبر النصوص

نــلاحظ أنّ التوجيه الـرَيّــاني في نجــوم التنـزيــل القــرآني المــوجّــه للرســول والــمزمنين حول معالجة المنافنين داخل المجتمع الإســـلاميّ الأوّل، قد تــدرّج على الوجُّه التالي :

(١) فغي المرحلة الأولى وجمه الله عزّ وجلّ رسوله لعسدم مقابلة أذاهم بالعقاب، ولأنّ يتوكّل على الله في كفّ أذاهم عنه، ويُلْحَقُ العؤمنون بالرّسُول في هذا الترجيه، فقال الله عزّ وجلّ لـه في سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) وهي رابع سور مدنية:

﴿ وَلَا نُطِعِ ٱلْكُنْدِينَ وَٱلْمُنْدَفِقِينَ وَدَعَ أَدْنَهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ، بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

ويـظهر أنَّ المـراد من الكافـرين في هذه الآيـة قـــمُّ منهم لـم يكن قد أذن الله بعُدُ بقتالهم، ولعلّهم من كفار اليهود في المدينة.

(٢) وَعَقِب ذلك وَجَه الله عزّ وجلّ التحذير للمنافقين في سورة (الأحزاب)
 نفسها بقوله تعالى متحدّناً عنهم بأسلوب الحديث عن الغائب:

﴿ لَمِن أَرْبَنَهُ النَّنَهِ فَانَ وَالَّذِينَ فِ فَلُمِهِم مَرَضٌ وَالْمُرْحِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُمْ يَنَكَ بِهِمْ ثُمَّا لَا يُحَارِمُونَكَ فِيمَا الْأَوْلِيلَا ۞ مَنْمُوبِينَ أَنِيمَا تُهِفُواْ أَخِدُوا وَقُرِّتُواْ فَلْنِيلًا ۞ شَنَهُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلُواْ مِن قَبْلُ وَلَن تَهِدَ لِشَنَةِ اللَّهِ تَدِيلًا ۞ ﴾.

﴿لَنُعْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾:

أي: لنُخَرِّضَنَّك علَى مُلاحقتهم وتقتيلهم.

فالله عزَّ وجـلَّ يُنذِر المنـافقين في هذا النصُّ بـأنَّهم إذا لم يُنتُهُوا ويكُفُّـوا عن

أعمالهم، وحركناتهم العدائية الكيديّة السّرية للرسول والإسلام والعسلمين، فَـنَيُـنَالُط الله رسبول، والمؤمنين عليهم، ويُنْهِي أسلوب النضاضي عنهم، والهُّشِر عليهم، والنسامح معهم، كمّا سلَّط على أمثالهم من أهل الأمم السالفة فيما شرع لرُسُلِه العاضين، من مُلاحَفَة بالأشْفِ والتقتيل الشّديد أيَّنما وُجِدُوا.

فإذا تعادى المنافقون في الرسالة الرّبانيّة الخماتمة. معتبـرين إمهالهُمْ فـرصةً صانحةً يكيدون خلالها كيدهم، ويتابعون فيها شرورهم وخبائتهم، فسينزل الله الإذن لرسوله بالبحث عنهم، وملاحقتهم، وتشيلهم، أو يأمره بذلك.

وهـذا الإشمار، مـع بيان أنّ أخـذهم وتقتيلَهُمْ قد كنان من سُنّة الله في الأمم السابقة بـذُلُنَ على أنْهُمْ إذا تفاقم أشرهم، وصاروا خـطراً حقيقيًا ضمن المجتمع الإسلاميّ، فإنّ القيادة المؤمنة المسلمة مأذونة بتطبيق سُنّةِ اللّهِ فيهم، بدليل قولـه تعالى :

﴿ وَلَن يَجِدَ لِلسُّنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ١٠٠٠

وقد قسّم الله المنافقين في هذا النصّ إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: المنافقون الذين ينطبق عليهم كلُّ صفات المنافقين.

القسم الثنائي: وهم الـذين في قلوبهم مـرض لـم يبلغ مبلغ النفـاق الأقصى، لكنهم يسيرون مع المنافقين، ويتحرّكون مثل تحرّكهم.

القسم الثالث: المرجفون، وهم الذين تظهر على ألسنتهم عبارات التخذيل، والإرجاف بأن المسلمين مهزومون.

الإرجاف: الْإخبار بالأكاذيب، لإثارة الفتن والاضطرابات.

(٣) وبعد ذلك أمر الله رسوله بان يحدّرهم، ويُلحق بالوسول جميع المؤمنين
 ولا سيما الخلفاء والأمراء، فغال عزّ وجل بشأن المنافقين في مسورة (المنافقون/
 ٦٣ مصحف/ ١٠٤٤ نزول) السورة (١٨) من التنزيل المدني:

﴿ وَإِذَا رَأَتِنَهُمْ ثُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمَّ وَإِن يَقُولُواْ تَسَمَعُ لِغَرْفِيمُ كَأَيُّمُ خُشُبُ مُسْتَدَةً

عَسَبُونَ كُلُّ مَنْ عَفِي عَلَيْهِمْ هُوا لَعَدُوْ فَأَحَدُوْمُ فَتَنَاهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفَكُون ۞ .

فاشتملت هذه الآية على قضيَّتُين مهمتين:

القضيّة الأولى: التحذيرُ منهم، والحذر منهم يقتضي مراقبتهم الشديدة، ومحاصرتهم بعن يُرصُد حركاتهم، لاخذ من ينكشف منهم بالجرم المشهود.

القضية الثانية: التدخُّل الربّاني لمقاتلتهم لإحباط أعمالهم الكيديّة.

(1) وبعد ذلك السح الله عزّ وجلّ إلى أنّ المنافقين يتبوهُمُون أنّ أموالهم وأولادهم ستحميهم من نقمة الرسول واللّذين آمنوا إذا انكشف حالُهم وظهرت خياتاتهم، ومع هذا الإلّماح إبان الله عزّ وجلّ أنّ أموالهم وأولادهم لن تُصْرِف عنهم شيئاً من عذاب الله بنايدي أوليائه المؤمنين، فقال تُصالى في سورة (المجادلة/ ٨٥ مصحف/ ١٠٥ نزول) السورة (١٩) من التنزيل المدني :

﴿ لَرَنْتُونَى عَنْهُمْ أَمَوْكُمُمْ وَلَا أَوَلَدُهُمْ مِنَالَهُو شَيَئًا أَوْلَتِكَ أَصَمُكُ التَارِّهُمْ فِيك خَالِهُ وَدُهُ﴾

وقد سبق شرح هذا النص.

 (٥) وَلَمَّا لَمْ يُكُفُّ المنافقون عن التمادي في خياشاتهم، وأعمال الكيمة السَّرية التي لا يُذَّ أنْ يظهر شيء منها بين حين وآخر، أنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله في سورة (التحريم/ ٦٦ مصحف/ ١٠٧ ننزول) السورة (٢١) من التنزيل الممدني ولم ينزل بعدها من القرآن إلاَّ سبع سور.

﴿ يَتَأَيُّهُا النَّيِّيُ حَهِدِ ٱلْكُفَّارُ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَأَغَلُّا عَلَيْهِمٌ وَمَأُونَهُمْ مَهَنَدُّ وَبِثْسَ الْمَسِيرُ ۞ .

فجـاء في هـذا البيسان الأمرٌ بمجـاهـدة المنــافقين والإغــلاظ عليهم، والأمــر بمجـاهـدة الكضّار الــذين سبق أن أمـر الله رسـولـه بـالصبــر على أذاهم في ســورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) ولعلّهم فريق من كفار اليهود في المدينة.

وجاء اللَّفظُ عامًا شاملًا لأنواع الجهـاد، لإلقاء الرُّعْب في قلوب المنافقين،

بأنَّ باستطاعة الرسول والذين آسَوا أنْ يُلْخَلُوا في هذا العمــوم أعمال الفتــال. ألَّـي هى من مجالات الجهاد الكثيرة.

ولم يَأْتِ نَمَّا صَرِيحاً بِالقِتال لئنلاً يُضْطَرُ الرسول والمؤمنون إلَى مباشــة البحث عن المنافقين وتقتيلهم، لكنَّ النصُّ صالح لان يفهمــوا منه الإذن يقتالهم ضمن القيام بصور الجهاد الاخرى.

ومع الأمر بمجاهدتهم أبـان الله عاقبتهم يـوم القيامـة فعـأواهم جهنـم وبئس المصير.



النص الثلاثون

وهو من سورة (الفتح / ٤٨ مصحف/ ١١١ نزول) والسورة (٢٥) من التنزيل المدني، الأيسات مسن (١ – ١٧) حول أثر الفتح المبين المذي حصل في صلح الحديبية على نفوس المنافقين المخلفين وموقفهم

قول الله عزّ وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا تَتَمَّنَا الْفَقَنَمُا لَيُهَا ۞ اِلْمَقَرُ النَّالَةُ مَا تَقَدَّمُ مِن دُلُوك وَ مَا تَأَخَرُ وُلِيَّرَ مِسْتَمُ
عَلِمُكُ وَجَدِينَكَ مِنْ مَا لَهُ عَنْمُ اللَّهِ عَلَيْهُ مَا تَقْفَلُمُ مِن دُلُوك وَ مَا لَأَوْنُ وَقَالُ السَّكُونِ وَالْأَوْنُ وَقَالُ الشَّكِيمُ اللَّهُ عَلِيمًا الْفُولِيمَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُونِيمُ اللَّهُ عَلَيْهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا وَيُصْحَفِرُ مَنْهُمُ مَنْ اللَّهُ عَلِيمًا الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا وَيُصْحَفِّمَ مَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا وَيُصْحَفِرُ مَنْهُمُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَهُ عَلَيْهُ وَلَمُ وَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُ وَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُ وَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونِيمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلِمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلِمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلِيمُ وَلَمُ وَلَمُونُ السَّعُونُ وَاللَّهُ وَمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلِيمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلِيمًا لَهُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلِيمًا وَلَمُؤْمُ وَلِمُ وَلَمُ اللَّهُ وَمُونُ اللَّهُ عَلِيمًا وَلَمُونُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَمُ وَاللَّهُ وَلَالِمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَمُ وَلَا لِمُعْمِلُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَوْمُ وَلَمُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَالْمُ وَلَا لَمُعْمُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَالِمُ وَلَالَعُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَالَعُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَالًا عَلَيْمُ وَلَالِمُونُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَالِمُونُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَالِمُونُ اللْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلِمُ اللْعُلِمُ اللْعُلِمُ اللْعُلَمِلُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ وَلَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِمُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللْعُلِمُ اللْعُلَمِ اللْعُلَمِلُولُ اللْعُلِمُ اللْعُلَمُ اللْعُلَمُ اللْعُلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللْعُلِمُ اللْعُلِمُ اللْعُلْمُ اللْعُلْمُ اللْعُلْمُ اللْعُلُمُ اللْعُلْمُ اللْعُلُولُ اللْعُلْمُ اللْعُلُولُ اللْعُلُمُ ا

يُعُولُونَ بِالْسِيَنِهِدَ مَالِسَ فَ فَاوِهِمَ أَلْ فَعَن سِيكُ لَكُمْ وَسَالُهُ لَاوَدُوكُمْ مَثَالُوا لَلْ وَلَمُ الْفَرَيْ الْلَهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمُؤْلِكُمُ وَاللّهُ وَاللّ

(1)

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

- في الآية (٦):
- (١) قرأ جُمْهُور الْقُرَّاء العشرة [السُّوَّء] بفتح السين.
 - وقرأ ابن كثير وأبو عمرو [السُّوءِ] بضمَّ السّين.
- القراءتان بمعنى سينزل بهم مَا يكرهون ممَّا يكون مؤلماً لهم مادِّيّاً أو معنويّاً.
 - ♦ في الآية (٩):
- (١) قـرأ جمهور القـراه العشرة: [لتُومِنُـوا بِاللّهِ ورَسُـولِـهِ وتُمَـزُرُوهُ وتُـوَقُـرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بِناء الخطاب في الأفقال, الأربعة.

وقرأ ابن كثير وأبو عَمْروٍ: بياء الغائب في الأفعال الأرْبعة.

وفي القدراءتين تكامَّلُ في الأداء البياني، أمّا شراءة الجمهور فَهِي تُخَاطِبُ الناس بعد خطاب الرسول وفق الأسلوب الذي يُسَمَّى عند البلاغيين والالتفات، وأمّا القراءة الأخرى فهي تتابع خطاب الرسول.

في الآية (١٠):

(١) قرأ جمهور القراء العشرة: [بِمَا عَاهَدُ عَلَيْهِ] بكسر هاء الضمير وصلًا.

وقرأ حفْصُ عن عاصم بضَمَّ هاء الضمير من [عَلَيْهُ] وصلًا.

أما في الوقف فتسكُّنُ عند الجميع وفق قاعدة الوقف.

والقراءتان لغتان عند العرب في نُطُق هاء الضمير.

(٢) قرأ نصف القراء العشرة: [فَسَيُوْتِيه] بياء الغائب.

وقرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عــامر وروح عن يعقــوب [فَــَــَـُوّتِه] بـنــون المتكلم العظيم .

وفي القراءتين تكامل في الأداء البياني.

♦ في الآية (١١):

(١) قَرأَ جُمُهور الفرَّاء [ضُرًّا] بفتح الضاد.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر [ضُرَاً] بضم الضاد.

والقراءتان وجهان في نطق هذه الكلمة عند العرب، ضُرّ وضُرّ.

في الآية (١٥):

(١) قدراً جمهور القراء: [كَالَامُ اللهَ] وكالام، اسم جنس يقمع علىٰ القليـل والكثير.

وقرأ حمزة والكسافي وتحلف العاشر (كُلِيمُ اللهَ} وتُكِلِمهِ جمع كُلِمهَ، مثل: نَيْفَة ونَيق، ويعرف مثل هذا الجمع باسم الجنس الجمعي الذي يضرق بينه وبين واحمله بالناه.

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبة على نفوس المنافقين المخلِّفين وموقفهم

والقراءتان وجهان عربيان بمعنى واحد.

في الآية (١٧):

(١) قرأ جمهور القرَّاء (يُدُخِلُه ــ يُعَذِّبُهُ] بياء الغائب في الفعلين.

وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر: [نُلْخِلَةُ _ نُصَلَّبُهُ] بنــون المتكلّم العظيم في الفعلين.

وفي القراءتين تكامل في الأداء البياني ِ

...

(۲)

موضوع النص وما ورد من أسباب النزول حوله

(١) تدور سورة (الفتح) حول أحداث ونتائج صلح الحديبية، الذي كان في شهر ذي القعدة من سنة ست للهجرة، ونترلت السورة في طريق عودة الرسول والمسلمين إلى العدينة عقب صلح الحديبية، وقد مُنع المسلمون من أداء عمرتهم في ذلك العام، فـأحصروا فـذبحوا هـديهم، وتحلّلوا من إحرامهم محلّمين ومقصّرين، بعد أن أبرم الرسول ﷺ صلح الهدنة مع قريش، في قصة تُستوفى إن شاء الله مع بيان سبب النزول.

(٢) وحظ المنافقين من هذا النّص بيان ثلاث قضايا:

القضية الأولى: بيان أنَّ صَلَّع الحديبية وَعُوْدًة الرسول والمسلمين ممكنين من نشر الإسلام بين أكبر خصومهم وهم مشركو مكة، قد طَمَن آسال المسافقين في العمق، أو ذبحها ذبحاً، فكان ذلك مؤلماً لْقُلْرِيهِمْ ونفوسهم، ومعلَّباً لهم تُعْلِيبًا أشدً عليهم من كُلِّ ما أصابهم سابقاً من خيبة آمال.

القضية الثانية: بيان أنّ المنافقين من الأعراب وهم من قبائل بـدويّة حول المدينة، قد دُعُوا إلى الخروج مع الرسول لأداء العمـرة، فلم يخرجـوا، ظائّين أنَّ الرسول والمسلمين لن يَحُودوا سالمين من سفـرهم ذلك، لأنّ أهـل مكة سُبيـدونهم إسادة تامة، فالمسلممون قلّة، وقد خرجوا بسلاح خفيف معتمرين، والمشـركـون سبتهزونها فُرصةً لاستثصال خضرائهم.

وقد أخير الله بأنَّ هؤلاء المتنافقين المحقّلين من الأعراب سيعتذرون عند عودة الرسول والمسلمين إلى المدينة قاتلين للوسول وهم يكذبون: شغلتنا أموانسا وأهلونا فاستغفر لنا.

وكشف الله عــزّ وجــلّ سبب تخلّفهم الحقيقي، وهـــو نفـــاقهم، وظُنُّهم أنّ العسلمين سيُقْضَىٰ عليهم، وسُتُسْنَأْصَلُ شَافَتُهُمْ.

القشية الثالثة: بياناً أن المخلفين عن الخروج مع الرسول ﷺ لاداء المصرة عام الحديبة، سيقولون حين يعلمون أن العؤمنين خارجون لفزو قوم ليسوا فوي بأس شديد ومن السهل الظفر بمغانم كثيرة لديهم: ذُرُونًا نتيهكم، يتغون المشاركة في الفتائم المطموع بتواردها وتكاثرها في الانتصارات والفتوحات، دون أن يكونوا قد شاركوا في أيام الشدائد، حين كانوا ينظيون أنَّ المسلمين قلَّة، غير مؤهلين للانتصار على أعدائهم، أهل القرة والباس يُؤمثذ، فإذا منعوهم من الخروج معهم، من أجل نفاقهم وسابق تخلفهم أيام الشدائد وترفعهم هزائم المسلمين المنكرة قالوا لهم: إنكم تمنعوننا من مشارككم لأنكم تُحسُدوننا حين ناخذ معكم من الغنائم، إذ تُريدون أن تكون لكم وحُذكم لا نُشارككم فيها.

وجاء في التعقيب على هذا توجيه الرسول أن يقول لهم ما مصاه: هذه الأماكن القرية في الحجاز قد أصبحت سهلة المنال ويكفي مسلمو المدينة للسيطرة عليها، والتخلص من سلطان أعداء الإسلام والمسلمين فيها، ولكن ستأتي بعدها خطوة أعظم، تمتذ حركة الجهاد والفتح فيها إلى دوائر أخرى وراء دائرة الحجاز، دوائر في جزيرة العرب، وفي بعض هذه الدوائر قوم أهل بأس شديد، وعندئذ سيحتاج إلى خروجكم مقاتلين فاتحين، مع جيوش المؤمنين المسلمين، وصَندَعُون إلى مواجهة هؤلاء القوم، فإن اطعتم يومئذ وخرجتم الموقين معدّين أنفسكم لنيل الشهادة في سبسل الله، لا لمجرد المظفر بالفنائم التي ترون الحصول عليها أمراً سهلاً، يُوتكم ألاه أجراً حسناً عنده، مع ما قد تنالونه من ترون الحصول عليها أمراً سهلاً، يُوتكم ألاه الجراً حسناً عنده، مع ما قد تنالونه من

غنائه. وإنْ توليتم مدبرين مبتعدين، كما تولَيْتُم من قَبلُ حين كنتم نظّنون أنَّ مواجهة المؤمنين لأعدائهم مواجهة خاسرة حتماً، فأنتم منافقون، طالبو مغانم، ولستم طالبين رضوان الله ونشر وينه، والمعافِقُ لمه عدابٌ عند الله اليم يستحقه وينائه، وكذلك الصاصي أمر الرسول، أو أمر أمير المؤمنين المداعي إلى القتال في سبيل الله بالزام لا بناب.

- (٣) وجماء في النص بيان مِنْة الله على المؤمنين، وإشارات إلى بدّه انتهاء دور رسول الله ﷺ في الحياة الدنيا، بتحقيق الفتح المبين، وإلى قُرْب إكسال إنّزال مالم ينزل بَعْدُ من يَعْمةِ الله في هذا الدين.
- (٤) وجاء في النص الثناء على المؤمنين السفين بايعدوا رسدول الله في الحديبة، وأنَّ الله بارك بيعتهم، فجعل يَدَهُ فوق أيديهم، فهم مطالبون بالموضاء بمهدهم وعدم الإخلال به ونكه.

ما ورد من أسباب التزول

(١) أتُفق الرّواة على أنّ سورة (الفتح) نزلت في طريق رجوع الرسول ﷺ من المحديبة ، في شهر ذي القعدة ، من سنة سنّ من الهجرة ، حين صدّه مشركو مكة عن الوصول إلى المسجد الحرام ومعه المسلمون المعتمرون ، ليقضوا عمرتهم فيه ، وحالوا بينهم وبين ذلك ، ثمّ بعد مفاوضات قبلوا المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع الرسول والمسلمون معه عامهُم هذا ، ثم يأتي ومعه المسلمون في السنة القادمة إن شاه ، وتمّ الصلح على هذا ، وبنود أخرى ، وتحلل الرسول والمسلمون من عمرتهم تحلل المحصورين ، بعد أن ذبحوا هذيهم ، وكان هذا التحلل أمراً صعباً على كثير من أصحاب الرسول ، إلا أن إرادة الله المحكيمة شامت ذلك ، وبينما هم فاقلون متجهين للمدينة ، أنزل الله على رسوله سورة (الفتح) بمدوضه يقال له (كُرْاعُ

 ⁽١) كُراعُ الْقَبِيم: موضع بين مكة والمدينة، وهو وادٍ أمام عُسْفَان بثمانية أميال أثرب إلى مكة،
 أي: بينه وبين عُسِقان نحو (١٣)ك م.

وقد نزلت بمنامبة الأحداث التي رافقت أو سبقت أو جاءت بعد صُلح الحديبية.

(۲) رأى رصول الله ﷺ رؤيا تأويلها أنّ الرُسُولُ ومعه أصحابه سيدخلون المسجد الحرام زائرين معظمين البيت الحرام، ودعا الرسول المسلمين أن يخرجوا معه لأداء العمرة، ودعا من حول المدينة من الاعراب ليخرجوا معه معتصرين، لكي تطمئن قريش أنّ الرسول جاء معتمراً ولا يُريد حرباً، فاستجاب له بعضهم، وتخلّف الكثيرون.

وخرج مع الرسول ﷺ قُرابة ألف وخمسماشة، معتسرين من المهاجرين والأنصار ومن لَجِنْ بهم من الأعراب، وساق الرسول معه الهدي سبعين بعيراً إيـذاناً بأنّه لم يُرِدُ خَرِياً، وإنما خرج معتمراً زائراً للبيت ومعظماً له.

وسار الرسولَ بالركب المعتمرين في أتُجاه مكة، ولمّا بلغ ومُشَفَّان (١٧) لِقِيَّهُ بِشُرُ بن سفيان الكعبي، فاخبره أنّ قريشاً سمعت بمسيره، فخرجوا ومعهم النساء والأولاد، قد لبسوا جلود النصور، ونزلوا بذي طُوى (مكان هو الآن داخل مكة) يصاهدون الله لا تدخّلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خَيِّلهِمْ قَدِمُوا إِلَىٰ كُراعِ الْغَيْمِ.

فقال رسول الله ﷺ:

ديًا وَيَحَ قَرَيْسَ قَدْ أَكَلْتُهُمُ الْحَرْبُ، مَنْذَا عَلَيْهِمْ لَوْخَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَاجِر الْعَرْبِ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي الاورا، وَإِنْ أَظْهَرْنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَطُوا فِي الْإَسْلَامِ وَالْجِينَ، وإِنْ يُفْعَلُوا فَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوْمَ، فَمَا تَظُنُّ شُرَيْسُ؟! فَوَاللَّهِ لا أَوْلُ أَخَاهِدُ خَلَىٰ خَذَا الَّذِي يَعْنَي اللَّهُ بِهِ حَتَّى يَظْهُرُهُ اللَّهُ أَوْ تَشْهَرُهُ اللَّهِ أَوْ تَشْ

وتفادى الرسول الاصطدام بخيل المشركين، فقال:

⁽١) خَسْفَان: قرية بينها وبين مكة مرحلتان، أي: مسير يومين.

⁽٢) السَّالِقَة: جانب العنق، وانقراد السالعة يعني انفصالها عن الجسم، أي: حتى أقتل.

امَنْ رَجُلُ يَخْرُجُ بِنَمَا عَلَىٰ طَرِيقٍ غَيْـرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَـا؟، فَقَالَ رَجُـلُ مِنْ وأَشْلَمَهِ(١): أنا يا رسول الله.

وتُولُوا: نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ونَتُوبُ إِلَيْهِ،

فقالوا ذلك، فقال:

وَاللَّهِ إِنَّهَا لَلْجِمَّلُهُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوها، .

ولمًا رأت خيل قريش أنّ المسلمين سلكوا طريقاً آخـو، رجعوا مسرعين إلى يش.

وسلك المسلمون في اتَجاه الحديبية من أسفل مكة، فلمًا وَصَلُوا فُرُبُ المُدّيبية، بركتْ ناقة رسول الله ﷺ.

فقــال الناس: خَــلاَّتِ الناقــة (أي: عَــرَضَ لهــا مثــلُ مــا يعــرض للدواب من حِرَان).

قال رسول الله: «مَا خَلَاتُ، ومَا هُوْ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ جَنِهَا حَاسُِ الْفِيلِ عَنْ مَكُهُ، لاَ تَدْعُونِي فَرَيْشُ الَّيُومَ إِلَىٰ خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلَّا أَصُطَيْتُهُمْ إِيَّامًا هَ

ثمَّ قال للنَّاس: وانْزِلُواه.

قبل: يا وسول الله، ما بالوادي مَـاءُ ننزل عليه، فأَخْرَجَ سَهُماً من كنائته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل مه في قليب، من تلك الْقُلُب، ففرزه في جوفه، فندقّن بالماء العذب الكثير، فشرب المسلمون وسَقْرًا وَوَالِهُمُّ وارْتَوْوًا جميماً.

 ⁽١) أُسَلَمَ: بطن من خُزَاعة، من قراهم ورُيْرَة، قرية ذات نخيل من أعـراض المدينة، أي: من القرى التابعة للمدينة.

ورُوي عن جابر رضي الله عنـه أنه قــال: ولَوْ كُنّـا مَثَة أَلْفٍ لَكَفْـانَاء وهــذا من معجزات الرسول ﷺ الّتي أكرمه الله بها.

فلمًا اطمأنَّ المسلمون في المنزل الذي نزلوا فيه عند الحديبيّة ، أقبلت إليه الوفود:

_ أَنَاهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرُقَاءَ الْخُزَاعِي فِي رِجَالٍ مِنْ خُزَاعَة، فَكَلُّمُوهُ، وسَأَلُوهُ: مَا الَّذِي جَاءَ به؟

فاخبرَهم أنَّه لم يأتِ يُريدُ حربًا، وإنَّما جاءَ زَائرًا للبيت، وَمُعَظَّماً لحرمته.

فرجعوا إلى قريش، فقالوا: يا معشــر قريش إنّكُمْ تَعْجَلُونَ على محمّـد، إنّ محمّداً لم يأتِ لفتال، وإنّما جاء زَائراً هذا البيت.

فاتُهُمُوهُمْ وَخَاطَبُوهُمْ بِما يكوهـون، وقالـوا: وإنْ كانَ جـاء ولا يريـد قتالًا، فوافه لا يَنْخُلُهَا علينا عُنُوةً أبدأ، وَلا يَتَحدُّثُ بذلك عُنَا العرب.

وكانت خزاعة ذاتَ ولاءٍ لرسول الله ﷺ مُسلمها ومُشركها، لا يُحْفُونَ عَنَّهُ شيئًا كان بمكة.

ثم بعثت قريش إلى الرسول ومِكْرَزَ بْن خَفْصِ بن الأغيف، فَلَمَّا رآه
 رسول الله ن مقبل ، قال: وهذا رُجُل غَادِرُه.

فلمًا انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلَّمه، قبال لنه الـرســول مثـل الــذي قبالــه يُبدُيلِ بن ورقاء وأصحابه.

فرجع إلى قريش، فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

﴿ إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْم بِتَالُّهُونَ (أي: يَتَعَبَّدون ويُعَظِّمُون أمر الإلَّـه) فابْعَشُوا الْهَدْيَ

أحليش قريش: جماعة من قريش، وكنانة وخزاعة، اجتمعوا عند خُبِيْدي، وهو جبل بأسقل مكة، وتحالفوا.

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبة على نفوس المنافقين المخلَّفين وموقفهم

فِي وَجْهِهِ حَتَّىٰ يَرَاهُهِ.

فلما والى والْخُلِيْسُ الهلّتِي يُسِيلُ عليه من جانب الوادي في قلائده٬٬٬ وقـد أَكُـلُ أَوْبَـازُهُ مِنْ طُسـول. الْخَبِّسِ مَنْ مَجِلَه٬٬٬ رَجْعَ إلى قسـريش، ولم يصــل إلى الرسول إعظاماً لما رانى، فاتباهم عمّا رانى.

فقالت قريشُ له: اجلس، فإنّما أنت أعرابيُّ لا عِلْمَ لك. فغضب الْحَلَيْس، وقال: يا مُعْشر قريش، والله ما على هذا حالفتاكم، ولا على هذا عاقدناكم، ألْضَدُّ عن بيّتِ الله من جاء معظّماً له؟! والـذي نَقْسُ الْحَلَيْسِ بيد، لَتُحَلُّنُ بين محمّد. وبين ماجاء له، أو لاَنْجَزَنُ بالأَخْبَائِسِ نَقْرَةً وجُلِّ واحد.

فقالت قريش له: مَهْ، كُفُ عنّا يا خُلِس، حتَّىٰ نَأْخُذَ لَأَنفُسِنَا مَا نَرْضَىٰ به.

— ثم بعثت قسريش إلى رسول الله الله وعُسرُوة بْنَ مَسْمُودِ النَّفْقِيهِ فقسال: يا معشر قريش، إنِّي قَدْ رائِتُ ما يَلْفَى مَنْكُمْ مْنَ يَعْشُمُوهُ إلى محمّد إذَّ جاءكم، مِنْ التعنيف وسُوء اللَّفظ، وقد عرفتم أنَّكُمْ والله (أي: بعثابة الوالد لي) وإنِّي ولمد، وقد سَبِّمَةً باللَّهِي نابكُمْ، فجمعت من اطاعني من قومي، ثم جئتكم حَمَّى آمنيَّكُمْ، يَبْعُلْسَ والدَّي : لاَمِّنَ مَنْ أَمنيَّكُمْ في الأَمن.

قالوا: صَدَقْتَ، مَا أَنْتُ عَنْدُنَا بِمُتَّهَمٍ.

فخرج ومُحَرُوةُ بن مَسْمُودٍ الثقفيء حَنَى أَنَى رسول الله ﷺ، فجلَسَ بين يديه، ثُمُّ قال: يا محمَّد، اَجَمَعَتْ أَوْشَابُ الناس (أي: أخلاط الناس) ثُمُّ جَنَّتُ بهم إلى يَهْضَيَاكِ⁽⁷⁾ لِتَفَضَّهَا بهم. إِنَّها قُرْيَشٌ قد خَرَجَتْ مُمَهَا الْعُودُ المطافيل⁽⁹⁾. قَـدُ لَيُسُوا جُلُودُ النُّمورَ، يُعاهدون الله لاَ تَلْخُلُها عليهم عَنُوةً أبدأً، وليمُ الله، لكانِّي بهـوُلاءِ فدِ أَتَكَشَفُوا عَنْكَ عَداً.

⁽١) القلائد: ما يعلَّق في أعناق الهدي، إشعاراً بأنه هدي.

 ⁽٢) مُحِلُه: أي: الموضع الذي يُنْخُر فيه هدياً بالغ الكعبة.
 (٣) بيضة الشيء أصله، وبيضة القوم: حوزتهم وحماهم.

 ⁽٤) عبارة يستعملها العرب كناية عن إحراج النساء والأولاد معهم، العوذ من الإبل ما كان حديث النتاج، والمطافيل التي معها أولادها جمع مُطْفِل.

وكان أبو بكـر الصدّيق جـالساً خلف رسـول الله ﷺ، فقال لــه: امْصُصْ بظر اللاّت، أنْحُرُ، ننكشفُ عنه؟!

قال: مَنْ هذا يا محمّد.

قال: هذا ابن أبي تُحَافة.

قال: أما والله، لُولاً يَدُّ كانت لَكَ عِنْدِي، لكافأتُكَ بها، ولكن هذه بها.

وجعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهمو يكلمه، والمغيرة بن شعبة يُقْرَعُ يَدَهُ كلَّما تناول لحية الرسول يقول له: اكفف يلك عن وجُدِه رسول الله قبل أن لا تصلَّ إليك، وكان المغيرة واقفاً في الحديد (أي: بلبـاس الحرب) فلم يصرفه عُـروةُ لأن وجهه مستور بالزرد.

وكان عروة يقول له: ويْحَكَ، ما أَفظُكَ وأَغْلَظُكَ!

فتبشم رسول الله ﷺ، فقال له عروة: من هذا يا محمّد؟ قال: هذا إنَّنُ اختِم رسول الله قال: هذا ابْنُ اختِها أَنْ المغيرة من ثقيف من أقرباء عروة). قال عروة للمغيرة: إي: غُلْر، وهل غَسَلْتُ سُومتك إلاّ بالاس. (وكان المغيرة بن شعبة التغفي قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فرُدَىٰ عروةً المعقولين ثلاث عشرة دية، وأصلح بين الحيّنِ من ثقيف).

فكلُّمه رسول الله ﷺ بنحو ما كلُّم به من سبقه من الوفود، وأخبره أنَّه لم يـات يريد حرُّباً.

ورجع عروة إلى قويش، فقال: ينا معشر قويش، إنّي قد جئت كشرى في مُلّك، وقيضَرَ في مُلْكِ، والنجاشيُّ في مُلّك، وَإِنّي والله ما رأيْكَ مَلِكاً في قَوْمٍ قَطْ مُلّل محمّد في اصحابه، ولقد رايت قومًا لا يُسْلِمُونَه لنْنيَّة إبداً، فَرَوَّا رَايْكُمْ.

ويعث الرسول إلى قريش وخِراشَ بن أُمِّبَةُ الْمُخْرَاعِي، على بعيبر له يقال له: الثعلب، ليبلَغ أشرافهم عنه ماجاه له، فعقروا به جمل المرسول، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلُوا سبيله، ورجمع إلى رسول الله ﷺ وأنبأه بما حدث.

ورُوي عن ابن عبّاس: أنّ قريشاً بعثوا أربعين رجلًا منهم، أو خمسين رجلًا،

وأمروهم أن يُطيقوا بعسكر المسلمين ليُصِيبوا لهم منهم أحداً.

قادركهم المسلمون واتَحـذُوهُمُ اخذاً، ولمّا جيء بهم إلى رسول الله 雅 عَمّا عنهم، وخلّى سبيلهم، وكانوا قد ومُوا في عسكر المسلمين بالحجارة والنّبل.

ثم دعما الرسول ﷺ تُحفر بن الخطّاب، ليمثه إلى مكة، فيبلّغ عه أشراف قريش ماجاء له، فقال عمر: يا رسول الله، إنّي اخساف قُريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أخمدٌ بمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها، وغُلطني عليها، ولكِنِّي الثَّلُكُ على رَجُلِ أَعْرُ بِها مَني: عُثمان بن عقّان.

فدعا الرسول عثمان بن عقّان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قـريش. يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وأنّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت. ومعظّماً لِحُرْمته.

فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبـان بن سعيد بن العــاص، فحمله بين يديــه، ثم أجاره، حتَّى بلغ رسالة رسول اللہ ﷺ.

فغالوا لعثمان حين فرغ من رسالة الـرسول إليهم: إنْ شئت أن تَـطُوفَ بالبيت فطُفُ.

فقال عثمان: ما كنتُ لأفعل حتّى يطوف به رســول الله ﷺ، واحْتَبَسْتُهُ قــريْشُ عندها، فبلغ الرُسولَ والمسلمين أنَّ عثمان بن عفَّان قد قُتِلَ.

فقال الرسول حين بلغه أنَّ عثمان قد قُتِلَ:

وْلَا نَبْرَحُ حَتَّىٰ نُنَاجِزَ الْقَوْمَ (١٠).

فدعا الرسول ﷺ إلى البيعة على مقاتلة القوم حتّى الموت، وبيايعه من كمان معه من المسلمين، لم يتخلّف إلاّ الجدّ بن قيس، أخو بني سُلّمة، (وهو من منافقة بني سلمة من الخزرج، لم يثل رضوان البيعة لأنه كان منافقاً.

يقول جابر بن عبد الله: والله لكائمي انظر إليه لاصقاً بإبط نافته، قد ضَبَـاً إليها (أي: لَصِنَ بها مُتَسَتَراً) يستتر بها من الناس.

⁽١) أي: حتى نقاتلهم، يقال: ناجَزُهُ إذا نازله وقاتله، وتناجز الفوم: تقاتلوا.

وسميت هذه البيعة بيعة الرضوان، لأنّ الله رضي عن المبايعين، وكمانت عند شجرة من أشجار السُّمر، وكان أوَّلَ العبايعين أأبو سِنسان الأسْدي، وورد الخبر عن عثمان بن عفان بأنّه لم يُقتَّل، ولكن احبسته قريش عندها نبايع رسول الله عنه وهو غائب، فضرب بإحدى يديه على الأخرى.

ثم بعثت قريش وسُمِيَّلُ بْنُ عَمْرِي إلى رسول الله ﷺ، وفالوا له: اثَّتِ محمَّداً لَصَالِحُهُ، ولاَ يَكُنْ في صَلْجِهِ إِلاَّ ان يَرْجع عنّا عامّهُ هـذا، فواقه لا تَتَحَدَّتُ العربُ عنا أنه دخَلها علَيْنَا عَنْوَةً ابداً.

فاتى وسُهيْلُ بن عصروه رسول الله ﷺ، فلمُسا رآه مُقبلًا قسال: قد أواد القـوم الصُّلْع حين بعَثُوا هذا الرُّجل.

ولمّا وصل إلى الرسول تكلُّم فأطال الكلام، وتراجَعا، ثم حصل الاتفــاق على المصالحة .

ولمَّسا التسام الأمسر، ولم يُنقَ إلاّ أن يُكْتَب كتسابُ الصُّلُح، وثُبَّ عُـمُسر بن الخطاب، فاتِّن أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟

قال أبو بكر: بلي

قال عُمَر: أولسنا بالمسلمين؟

قال أبو بكر: بلي.

قال عُمَر: أولَيْسُوا بالمشركين؟

قال أبو بكر: بلي.

قال عُمَر: فَعَلاَمَ نُعَطَىٰ الدَّنيَّةَ في ديننا (الذَّنيّة كالدنيثة أي: الخسيسة الحقيرة الذليلة).

قال أبو بكر: يَا عُمُرً، الْزَمْ غَرْزُهُ (أي: الزم أمر الرسول، الغَرْزُ للرحْل بمنزلة الركاب للسّرج، والتعبير على سبيل الكناية، فإنّي اشْهَدُ أَنّهُ رَسُولُ الله.

قال عمر: وأنا أشهدُ أنَّه رسول الله.

وأتى عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ فقال له مثلما قال لابسي بكر.

فقال رسول الله ﷺ: أنبا عبَّدُ الله ورسبولُه، لنَّ أَخَـالِفَ ٱلرَّهُ، وَلَنْ يَضَيِّعَني، وسأل مُحَر الرّسول عن الرّويا وعدم تحققها، فقال له:

وَافَاحُبُرْتُكَ أَنْكَ تَأْتِيهِ هَذَا العام؟!، قال: لا. قال: وفإنَّكَ آتيه ومطوَّفٌ بهء.

فكان عمر بعد ذلكَ يقول: ما زلتُ أتصدَق وأصومُ وأصلَي وأعْتِقُ. مِنَ الَـذِي صنعتُ يوملُه، مخافة كلامي الذي تكلَّمتُ به، حتَّى رَجُوتُ أن يَكُونَ خَبْراً.

ثم دعــا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبــي طــالب، ليَّكُنُبُ كتاب الصُّلْح، فقــال له بحضور سُهَيِّل بْنِ عَمْـرو، ومن معه من وقد قريش:

واكتب، بسم الله الرحمن الرحيم.

قال سُهَيل: لا أَعْرِفُ هذا، ولكن اكْتُبُ باسْمِكَ اللَّهم.

فقال الرسول: واكْتُبْ: باسْمِكَ اللُّهُمَّ، فكتبها.

ثم قال: واكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بِن عَمْروه.

قال سهيل: لو شَهِلْتُ أَنْكُ رَسُولُ الله لم التابَلُكَ، ولكِن اكتب اسمك واسم أيسك، فاسر علباً بمحمو ما كتب، فتعوقف عليَّ تأدُّباً، فاخد الرسول الصحيفة فحماها. وقال لعلي: اكتب: هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سَهَيْلُ بن عمرو، اضْطَلَحَا على وَضُعِ الْحَرْبِ عن الناس عشْرَ مبنين، يَأْمَنُ فِيهِنُ النَّاسُ، ويَكُثُ بعضُهُمْ عَنْ بعض، على أنّه من أنّى محمّداً من قُريش بغَيْرِ أَذْنِ وَلِيّهِ، وَنَهُ عليهم، ومن جاء قريشاً مَثْنُ عَمْ مُحَمّد لم يَرْدُوهُ عليه، وإنَّ يَنْنَا عَبْتُ مَكُوفَكِا؟، وأنَّهُ يَنْ عَبْدَهُ رَبْشٍ وَعَلَيْهِمْ وَمَلْ فِي عَقْدِ محمّد وعَلَيْهِ وخل فِيه، ومن احبُّ أنْ يَدْخُل فِي عَقْدِ محمّد وعَلَيْه وخل فِيه، ومن احبُّ أنْ يَدْخُل فِي عَقْدِ محمّد وعَلَيْه وخل

 ⁽١) العيية: حافظة من خوص أو جلد أو غير ذلك تبوضع فيهما الامتعة، وكفُّهما إغلاقهما، وهي
 عبارة تستعمل للكناية عمَّا في الغوس، وطبَّه إلى غاية الأجل.

 ⁽٢) الإصلال: السّرقة الخفية، التي تُسَلُّ بها المسروقات سلًّا.

⁽٣) الإغلال: الخيانة.

وحصل الاتفاق على أن يرجع الرسول بالمسلمين دون أن يعتمروا عــامُهم ذاك، وعلى أنَّ يــأتوا معتمــرين في العام القــادم، وكتب كتــاب الصـلح من نسختين توزعان على الفريقين.

وشهد على كتاب الصُّلح رجالٌ من المسلمين، ورجالٌ من المشركين، وكانت مضارب خيام المسلمين في الحلّ، فإذا أراد الرسول الصلاة دخيل حدود الحرم فصلّن في أرضر الحرم.

وحين فرغ الرسول من الصُّلُّح قال لأصحابه:

دقوموا فـانحروا ثُمَّ الحُولِقُـواه ثلاث منرَات. فما قـام منهم أخَدُ، فـدخل على زوجه أم سلمة التي كانت معه في سفره هذا، فذكر لها ما وجَدْ من الناس، فقالت: يا نبسيَ الله، اخرج، ثُمُّ لا تُكلَّمُ أحداً منهم كلمةً حَّى تَشْخَرَ بَدُنْكُ، وتَدْعُمُو خَالِقُـكُ فيحلق لك.

فأخذ الرسول بـرأيها، فلمّـا رأى المسلمون مـا فعل الـوسول قـاموا فنحــروا، فحلق بعضهم وقصّر آخرون.

فقال الرسول: «يرحم الله المحلَّقين».

قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟.

قال: 1يرحم الله المحلَّقين.٩.

قالوا: والمقصّرين؟

قال: ويرحم الله المحلَّقين،

قالوا: والمقصرين؟

قال: ووالمقصّرين،

قالوا: لِمَ ظَاهَرُتُ⁽⁾ النَّرْجِيمَ للمحلَّقين دون المقصَّرين؟ قال: ولَّانَّهُمْ لَمْ يُشُكُّواهِ.

⁽١) ظاهرت، اي: قُوْيتُ وأكَّدُتُ بالتكرير.

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبية على نفوس المنافقين المخلَّفين وموقفهم

وقضل رسول اله 議 والمسلمون راجعين إلى المدينة، ونزلت في الـطريق سورة (الفتح) كما سرّ يان ذلك.

(٣) روى ابن أبي حاتم بسنده عن إياس بن سَلَمة عن أيسه بَيْمَما نَحْنُ
 عَائِلُونَ (أي: ناقمون رقت الفيلولة في الحديبية) إذْ نادى منادي رسول الله ﷺ:
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ، النَّيْمَة أَيْنَهُ، نزل روح القدس.

قُثْرُنَا لِمُنْ رَسُول لله 囊، وهو تَنْحُتَ شَنجَرَةِ سَمُرَة، فبـاَيْمُنَاهُ، فــذَلك قــول الله تعالى :

﴿ لَقَدَّرَضِ اللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾:

فبايع رسولُ اله ﷺ لعثمان رضي الله عنه بإحدى يَدَيْه على الأُخْرَىٰ.

فقسال النماس: هنيشاً لابن عفّىان، يَسطُوفُ بسالبيت وَنُحُنُ هَنهَسَا، فقسال رسول الله 徽:

وَلَوْ مَكَثَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّىٰ أَطُوفَ.

واللَّهُمُ إِنَّ عُنْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَاجَةِ رَسُولُه، فَضَرَبَ بِإَصْدَى يَدَيْهِ على الْأَخْرَىٰ، فكان يَدُ رسول الله ﷺ لعثمان خَيْراً من أبديهم لانفسهم.

* *

(٣

المفردات اللَّغوية في النصّ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَنَكَّامُهِينًا ﴾ :

يأتي الفتح بمعنى القضاء بين الخصمين، يقالُ لغة: فَتَحَ بين الخصْمَيْنِ يَفْتَحُ فَتَحَاً، أي: فضى بنهما وأمضى قضاءه. ويأتي الفتح بمعنى إزالة العائق، يقال لفة: فتح الله له، إذا أزال ما كان عائظًا في طريقه من أشر ماذيًّ أو معنويّ، فهيّا له أن ينطلق إلى ما يريد، ويُنخُلُ في عموم هذا الفتح إزالةً العوائق الصادة في سبيل الدعوة إلى الله، وإزالةً العوائق المانعة من هداية الشعوب، وحكميها بالعدل، وإقامة حكم الله فيها.

وأصل معنى الفتح ماخوذً من فتح الأبواب المذي هو ضدّ إغلاقها، ثُمَّ عُمُّم بالاستعمال فشمل كلّ ما يتضمَّن إزالة العوائق العاديّة والمعنوية، كالعوائق الفكريـة والنفسيّة والقلبية وغير ذلك.

ولمًا كان النّصر في محاربة جيوش العمالك يـاتي غالبـاً قَبَلَ الفتـح، قال الله عزّ وجل في سورة (النصر/ ١١٠ مصحف/ ١١٤ نزول):

﴿إِذَاجَاءَ نَصْمُرُاللَّهِ وَٱلْفَسَتُحُ ۞﴾.

﴿ لِيَغَفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا نَقَدَّمُ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ :

يفهم الناس أنّ الذنب المتقدّم هو مـا فُعل في الـزّمانِ المــاضي، وأنّ الدُّنْبُ المتأخّرَ هُو الذّنْبُ الذي سيُفعَلُ في الرّمانِ المستقبل، هذا هو الفهم الشائع.

لكنّي رأيت أنّ القرآن جاءت فيـه ثلاثـة نصوص حــول التقديم والتــانخير معــاً بالنسبة إلى أعمال العبلـد:

النص الأول: قسولُ الله عــزُ وجــلَ في ســورة (القيـــامــة/ ٧٥ مصحـف/ ٣١ نزول):

﴿ يُنَبُّوا الْإِمَانُ يَوْمُهِ إِيمَا فَدَّمَ وَأَخْرَانَ ﴾.

أي: يُنَبُّأُ الإنسانُ يَوْمُ الفيامة بأعْمَالِه الْحَسَنَةِ والسينة التي عَبِلَهَا فَقلَمُهَا إلى الآخرة، أو إلى سجلَّ أعماله.

ويُبَنَّا بِاعدالِهِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلُهَا، فَاشْرِها بَسْرِكه لها، من الأعمال الواجبة التي كنان عليه أن يعملها فَعَضَى الله يتركها، ومن الأعمال السيشة المحرمة فأطباع الله بتركها، فاستحقَّ على تأخيره لها ثوابًا. النصّ النساني: قـول الله عــزّ وجــلْ في ســورة (الأنفــطار/ ٨٢ مصحف/ ٨٢ نزول):

﴿ وَلِذَا ٱلْفَبُورُونُونُونَ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا فَدَّمَتْ وَأَخَرَتْ ۞ ﴾.

أي: علمت يوم القيامة كلّ نفس كاسبة حينما تُمْرَضُ عليها صحف اعمالها، ما عَمِلَتُ من عمل طاعة أو معصية، فقدّت إلى الآخرة، أوإلى التسجيل في صحف الاعمال، وما لم تُشكّل من عَمَل بطاعة الله أو معصيته، فأخرَّتُه عن العمل ولَمْ تُقَلّم، فهي تستحقُّ الثواب على ما أُخَرِثُ فلمْ تَشَعَلُ من عَمَلٍ فيه معصيةً لله، وتستحقُّ العقاب على ما أخَرَثُ فلمُّ تعملُ من عَمَلٍ كان يجبُ عليها أن تعمله طاعةً لله.

فالتَقديم في النَّصين بدلُّ على القيام بالعمل خيراً كان أو شرًّا.

والتأخير في النّصين يدلُّ على نرك العمل الذي ينبغي فعله أو ينبغي نركه. ويقال لغة: قَدْمُنه فتقَدُّم، ويقال: أخُرَّته فتأخَّر.

ويمكن أن نفهم من قوله تعالى لرسوله:

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرَ ﴾:

بمقتضى هذا المعنى القرآني: ليغفر لك الله ما عَبِلْتَ من عَمَلِ كنانُ الأُولَىٰ بكُ أن لا تعمله، فَقِبلُهُ من إمام المرسلين يعتبر ذنبًا، وإن كان من غيره قد يعتبر برًأ أو إحسانًا، فهر عمل قدّمته فتقلَّم، وليغفر لك الله ما تركت من عمل كان الأولى بك أن تعمله، فترُكُّ من إمام المرسلين يُعتَبَرُ فنياً، وإن كان من غيره قد لا يُجِلُّ بصوتِهَ البَّرَ عنده، ولا بعرتِه الإحسان فهو عَمَلُ الشُّرِيَّةُ فَلَمَّ تُشْمَلُهُ فَتَأْخُر.

ويهـذا الفهم تنحلَ كلّ الإشكالات المطروحة على أسـاس الفهم الشـائـع لمعنى: ما تقلّم من ذُبِكُ وَمَا تَـاَحُر، ولا يبنى لهـا وجود أصـلاً، ولا يحتاج النصّ بهذا إلى تأويلات، واللّه أهُلَم.

﴿ وَيُتِمْ نِنْمَتُمُ عَلَيْكَ ﴾ :

 (١) في سورة (الضحى/ ٩٣ مصحف/ ١١ نزول) قال الله عزّ وجلّ خطاباً لرسوله:

﴿ وَأَمَّا إِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١٠٠

أي: فحدَّثِ النَّاسَ بما أنزل عليك من نعمة القرآن وعقائد الإيمان ومبادى. الإسلام وشرائعه وأحكامه، ويما أنعم عليك من نعمة السان، وقوّة الحجَّة والبرهان، والقدرة على الإقناع، والتأثير في الأفكار والقلوب والاسماع.

(٢) وفي سورة (الغلم/ ٦٨ مصحف/ ٢ نزول) قال الله عزّ وجل لرسوله:
 ﴿مَاأَنْتَهِمْهُورَيُكُهِمْجُرُونِ۞﴾:

اي: ما أنت يا مُحمَّد ينعمة رَبِّك التي أنعم بها عليك إذْ جعلك بنيًا رمسولاً، تبلِّغ عن ربِّك ما أنزل عليك من الدين الذي اصطفاه الله لعباده بمجنون، كما يزعم الكفرة المشركون، حين أتَهَمُّوك بالجنون بسبب ما أنعم الله به عليك من بيانات دينه وأمرَّك بتبليغه لذناس.

(٣) وفي سورة (الطور/ ٥٣ مصحف/ ٧٦ نزول) قال الله عز وجل لرسوله:
 ﴿ فَذَكَيْرٌ فَمَا آلَتَ بِينِهَـتِ رَبِّكِ بِكَاهِنِ وَلاَجَنُّونِ ۞ ﴾:

أي: فذكر الناس بما كنت بلفتهم إيماه، ونابح تذكير من ترجد أن تنفعه الذكرى، فما أنت يا محمّد بنعمة ربّك التي أنمم بها عليك إذّ جعلك نبيًا رسولاً، تبلّغ عن ربك ما أنعم به عليك من نعمة تعاليم دين الإسلام وبياناته، بكماهن ولا مجنون، كما يزعم الكفرة المشركون، إذ أتهموك مرّة بالجنون، وأخرى بالكهانة، فالمجنون لا يمكن أن يأتي النّاس بالحقّ والهدى، وأنت سبب نعمة الله عليك قد جئت الناس بالحقّ والهدى، والكاهن الذي يتلقّى عن الجنّ والشياطين إنما يأتي النّاس بالحقّ والهدى.

(٤) وفي سورة (المائــدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول) خـاطب الله اللَّـين آمنــوا

حول أثر الفتح العبين الذي حصل في صلح الحديبية على نفوس المنافقين المخلَّفين وموقفهم

بغوله: ﴿الْيُوْمُ اكْمُلُمُكُ لَكُمْ وِينَكُمْ وَأَثْمَنْتُ عَلَيْكُمْ يَفْسَنِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْوِسْلَمَر يبتأ ... ۞﴾:

اي: أيوم أكمنكُ لَكُم بيان شرائع دينكم واحكامه، وأتممتُ عليكم بهيذا البيان نعمتي التي أنعمتُ بها عليكم إذ اصطفيت لكم الدين الذي يُحقَّق لكم أتباعثُ معادة الدارين، ورضيتُ لكم أن تستسلموا منقادين لما أنزلت عليكم ديناً تدينون به لمي.

وبعد النظر في هذه النصوص أرى أن قوله تعالى لرسوله في سورة (الفتح): ﴿ وَبُيَّةً نِصْمَتُهُ عَلَيْكَ ﴾.

يواد منه إنمام شرائع الدين وأحكامه، وهو ما أبـانه نصالى في الأية من ســورة (الممالنة) الأنفة الذكر.

﴿ صَرّاعَ بِرَا ﴾ :

أي: نصراً غالباً لأعدائك، فالنصر قد يكون بنجاة المنصور من عدوًه، كما حصل للرسول إذّ كان ثاني اثنين في الغار. فقال تعالى:

﴿ إِلَّا تَصْدُوهُ فَقَدْ نَصَدُهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَتُهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوانًا فِي ٱلْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ ﴾.

وقَدْ يكون نصراً بالْغَلَبْة، فالعزيز هو القويُّ الغالب، والنُّصُرُ العزيز الغالب هو الّذي تكون به النجاة للفتة المنصورة، والهزيمة أو الهلاك لفدّوها.

﴿ٱلتَّكِينَةَ ﴾:

الطمأنينة والاستقرار، وتُطْلَقُ على الرُّزانة والوقار، وضدَّهما الخفَّةُ.

﴿ وَتُعَـزِرُوهُ ﴾ :

أي: ولِتُعِينُومُ، وتَقَوُّوه، وتَصَرُّوهُ، فمن معاني: وغَرُّرهُ يُعَرُّرُهُ تَمَرَّيراً الْحَانَّةُ وقَوْلُهُ وَنَصَرَّهُ، وهذا المعنى هو العراد هنا، وتحقيق هذا المعنى يكون بـالدفـاع عن دين الله وعن رسوله، وبالجهاد معه، وبنشر دينه، وتبليغ ما يلقه رسوله، وتعلييمه للشاس، والإقناع به، والجهاد في سبيل الله بكل ومسائـل الجهـاد، من مجـاهـدة النفس، إلى جهاد الدّعوة، حتى الجهاد بالفتال.

﴿ وَنُوكِّ رُوهُ ﴾ :

أي: ولِتُعَظَّمُوا الله وتبجَلُوه بقلوبكم ونصوسكم، وتَنْتُوا عليه بتمجيد صفعات المعظمة والمجلال التي هي له بالسنتكم في ذكْركم وعباداتكم.

﴿وَتُسَيِّحُوهُ﴾:

أي: ولتُنتَرَعوا الله وتفندُسُوه عن كلّ ما لا يليق به من صفات النقص التي تتنافى مع أزليته، ووحدانيته، وكمال علمه وحكمته وقدرته وأنّه يفعل ما يشاء ويختار، إلى سائر صفات الكمال التي هي له سبحانه.

﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾:

أصل المبايعة عقد بيع بين طرفين، يبذل أحدهما فيه من جهته شيئاً للطوف الأخبر، مقابل أن يبذل لـه الطرف الأخر شيئاً آخر من جهته على سبيل النبادل والمعاوضة .

والمبايعة مع الله بذلَّ من النفس أو المال مقابل ثواب الله ورضوانه وجنته .

واعتاد المتبايعون أن ينجزوا عقد مبايعاتهم بكلام مصحوب بوضع كُفّ يمين كلُّ منهم بكفّ يمين من يبايعه.

ثم صارت العبايعة تعني المعاهدة على أمر ما. ودلّ على أنها معاهدة مع الله قول الله تعالى في الآية:

﴿ وَمَنْ أُوْفَى بِمَاعَنْهَ دَعَلَيْهُ أَلَّمَهُ ﴾.

﴿ فَمَن نَّكُثُ فَإِنَّمَا يَنكُنُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ ﴾:

النُّكُتُ نَقْضُ النِّيْعَةِ، أو العهـد، أو اليمين، وعـدَمُ تَنْفِيدِ مَـا تُمُّ عليـه العقـد أو العهد، وأصُلُ النَّكَت ماخُودُ من نَقْض الحبْلِ بِعَدَ إبرامه.

﴿ وَكُنتُ مَّ فَوْمَا اللَّهِ إِلَّهِ } :

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبية على نفوس المنافقين المخلَّفين وموقفهم

أي: قوماً فاسدين لا خَيْر فيكُم، وفسادكم يؤدّي بكم إلى أن تُكُونوا هلكَيْ.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلِّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾:

المُرَادُ من المحلَّفِينَ هُنَا الَّذِينَ دُعُوا للُخُروجِ مع الـرسول لأداء العمـرة، فتخلَّقوا ولم يستجيبوا لدعوة الرسول.

﴿إِذَا أَنطَلَقْتُمْ ﴾:

إن إذا دُهتُمْ مُسْرِعين، وذلك الأن المقيل إذا أطَّلِق من قيده النَّطَاق مُسْرِعاً
 شُطِّر الجهة التي يُريد الذهاب إليها، ومه انظلاق الخيل في حلَّة السَّباق، وأصل الإطلاق التحرير من القيد.

﴿ لَٰهِ عَلَىٰ ٱلْأَعْمَىٰ حَرَّجٌ ﴾ :

الحرجُ: الإثم، والضيق، وأصل الحرج، الموضع الذي تكثر فيه الأشجار متشابكة فلا تصلُّ إليه البهائم التي ترعى الكلاً، قال ابن عباس:

الْحَرُجُ: الموضع الكنير الشجر الذي لا يصل إليه الراعية.

﴿ وَمَن يَتُولُّ ﴾:

أي: وَمَنْ يُدْبِرْ، ويَبْتَعِدْ عن طاعة اللَّهِ ورسوله.

﴿ يُعَذِّبُهُ عَنَابًا أَلِيمًا ﴾ :

أي: يُعَاقِبُهُ مِفَاباً مُـوْلِماً، العـذابُ: والعقاب، والنَّكـال بمعنى الجزاء على العمل السّيسيء، وعقابُ الله وعذابُهُ يكون بالعدل.

ويأتي العذاب بمعنى ما يُنْزِلُ بالإنسان من مشقَّات مُتْعِبَات ومؤلمات.

(\$

مع النصّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجل:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا الْكَنْتُمَاتُهِينَا ۞ لِيَغْفِرَاكَ اللَّهُ مَا تُفَدِّمُ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ وُيُذَنِيْمَتُهُ

عَلِيَّكَ وَيَهْدِيكَ صِرَهُا مُسْتَقِيمًا ۞ وَيَصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَيْرًا ۞ ﴾.

لقد وصف الله عزّ وجلّ صُلْخ الحديبية الذي جرى بين الرسول ومشركي مكة بأنه فتحُ مبينُ، أي: جَليُّ واضحُ، إذْ كان من ثمراته أمران عظيمان:

الأمر الأول: أنَّ الدعوة إلى الله قد انطلقت بسببه دون أنَّ تقف في وجههها عوائق من الدَّ أعدائها، وهم مشركو فريش، سواءٌ في مكة، أو فيما حولها، أو في قبائل العرب، فقد أخذ بعدها الإسلام يتنشر بحرَّية، وأخد الدعاة المسلمون من أصحاب رسول الله يدعون إلى الإسلام أمنين مطمئتين في أهـل مكة وفي مختلف قبائل العرب، ودخل في الإسلام بعدد خلقٌ كثير.

قال الزهري: فعا فُتِحَ في الإسلام فَتُحَ قَبْلُهَ كَانَ أَعْظَمَ بَنَهُ، إنَّهَا كَانَ القَسَالُ حُبُّ الْتَقَى النَّسَاسِ، فلمَّا كانت الْهَلَدْنَةُ، وَرُضِعَتِ الْحَرْبُ، ولَمِن السَاسُ بعضهُم بعضاً، والْتَقَوْا فَتَفَارَضُوا في الحديثِ والمنازعة، فلمَّ يُكُلُمُ أَخَذُ بالإسلام يَعْقَلُ شِيئًا إلاَّ دَخَلَ فِيه، ولقد دَخلَ في نَتِيْكَ السَّتَيْنِ (لي: منذ صُلْح الحديبَةِ حَنَى فَتْح مَكَةً عَنْكَرِيّاً، مِثْلُ مَنْ كَانْ في الإسلام قَبْلُ ذَلِكَ أو أكثراً").

قىال ابن هشام: والىدلىل على قول النزهىري أنَّ رسول الله ﷺ خرج إلى المُعذبية في ألف واربع منه، في قول جابر بن عبد الله، ثُمُّ خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

أقبول:

إنَّ الوضع الَّذِي يَهَيَّأُ بِهِ انتشار الإسلام عن طريق الدَّعوة إلى الله هـو الفتح الحقيقي الأعظم عندالله ، أمَّا نصر المسلمين على أعدائهم وسقوطُ بلدانِ الكفر في أيدي المسلمين بالقرق المسلَحة، فهـو قتع من الـدُّرجة الشانية، إلَّا أن يكـون سبباً لانتشار الإسلام ودخول النُّس فيه أفواجاً.

فعلَىٰ المسلمين ولا سيما الدعماة إلى الله أن يَضَعُوا هـذه الحقيقة مـاثلة نُصْبَ اعينهم دواماً.

⁽١) انظر سيرة ابن هشام (في أخبار صلح الحديبية).

الأمر الثاني: أنْ صُلَّع الحديبية قد نجع عنه نَقْضُ المشركين لبعض بنوده، وسقُوطُهُم في الغَدَّر، الأسر الدي مكُن السرسول ﷺ من التسويَّت لهم بجيش المسلمين الذي بلغ قوام، عشرة آلاف مضائل بعد أقل من سنتين، ودخولهم مكّة فاتحين لها فتحاً عسكرياً مُظْفَراً، مؤيداً بنصر الله وفتحه المبين.

فقال الله تعالىٰ لرسوله:

﴿ إِنَّا فَتَحَنَّا لَكَ فَتَحَاشِّبِينَا ۞ ﴾ .

وذكر الله عزّ وجل من حكم هذا الفتح العبين الذي منحه الله لرسوله ﷺ في التاريخ الذي حصل فيه عِلدٌ جكم:

الْجِكْمَةُ الأولى: أنَّ أَجُلُ الرَّسول محمد ﷺ في الحياة الدنيا قند اقترب، فمن الحكمة إكرامُه بالفتح المبين، الذي هنو بداية نصر الله وفتجه العظيم لملاَّمة الإسلامية، ودخول الناس في دين الله أشواجاً، وأن يستخلف الله المذين آمنوا في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، ويُبكِّنَ لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

فكان الفتح المبين إشعاراً بانتهاء مُهمَّة الىرسول في الحيماة الدنبا، إذ اقترب أجله، وجاء النعبير الإيمائيُّ عن ذلك بقوله تعالى:

﴿ لِيَغَفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

أي: ليغضر لك الله ما غيلت من عَمَل كان الاولى بك أن لا تعمله، أو أن تعمل أفضل منه، بحسب مقامك العظيم عند ربك وإن كان ما عملته لوعمله غيرك لكان من درجة من درجات الإحسان أو البرّ أو التقوى، لكنّ من يُحَسِّلُ أَسْمَىٰ ذَرَجاتِ المحسنين يُطْلَبُ منه أَسْمَىٰ ذَرَجات الإحسان، فعقوق هذه الدرجة تختلف عن حقوق ما دونها من الدرجات.

ولينفر لك الله ما أخْرِثَ مِنْ عَمَلٍ ظمّ تُمْمَلُهُ، وقَدْ كنان الأولى بك أن تُمْمَلُهُ، فتأخير العمل كما وضح لنا في شرح العفردات يكون يتركه وعدم عمله، وهذا الفهم هو الذي لا ترد عليه الإشكالات التي ترد على الفهم الشائح، وهو الفهم الذي يتلام مع إيماء النصّ إلى اقتراب أجل وفاة الرسول ؟ . أي: منحك الله هذا الفتح المبين، ليُنهِيَ وظهَنَك في الحيلة الدنيا، وليَتَوفَّكَ، وليُغْفِرُ لَكَ عنـد الْوَفَة دَنوَيُكَ كُلُها، مَا كان منها بسبب فعل قَلْمُتَكَّ، إذْ فعلته، وصا كان منها بسبب مطلوب مِنْكَ أَخْرُتُه، إذْ لم تفعله.

الحكمة الثانية: اللَّ اقتراب اتّنهاء مُهِمَّة الرسولﷺ في الحياة الدنيا يستَذْعِي إِكْمَالُ إِنْزَالُ شَرَائِمِ الإسلام وإحكامه عليه من ربَّه، وهذه الشُّرائِم والأحكام هي السِيَّنَةُ لدين الله الذي هو تعممة الله العظمى على رسوله وعلى الناس أجمعين، إذْ يُحَقِّلُ الله به لمن أتّبه السعادة العظمى في الدارين.

فمن جكم الفتح المبين الإشعارُ بأنّ ما تبكّى من أحكام الإسلام ووصاياه وشرائعه سيّنيَّهُ الله ويكمّله عمّا قريب، وهذا هو الذي حصل في الواقع، وأنَّمُ الله الدين في حجّة الوداع بقوله:

﴿ ٱلْيُوْمَ ٱتَّكُمْ لَكُمْ وِيتَكُمُ وَأَنْمَتُ عَلَيْكُمْ مِعْمَتِي وَوَضِيتُ لَكُمُ ٱلْوِصْلَهُ وِينَا ﴿ ﴾ [المائدة / ٥ مصحف ١١٢ نرول].

دل على هذه الحكمة الثانية قول الله عزَّ وجل في النصُّ لرسوله:

﴿ وَيُتِمُّ فِعْمَتُمُ عَلَيْكَ ﴾ .

ونفهم من إتصام نعمة الله على رسوله بـإنـزال سا بفي من شــرائــع الإمسلام وأحكامه ووصاياه، إتَّمَامُ نَعْمَةِ اللهِ على الناس جميعاً بذلك، لكن الــذين يستفيدون من هذه النعمة العامّة الشاملة هم الذين يؤمنون بها، ويعملون بمقتضاها.

الحكمة الثالثة: أنَّ ما يَقِي للرسول في الحياة الدنيا من سنوات قليلات، يُسْتَذْهِي أَنْ يَهْدِينُهُ اللَّهُ فِيها صِرَاطاً مستقيماً، يحقَّقُ اللَّهُ لَهُ اوْفَرَ تَعِيبِ مِنَ النَّصْر والشونِيقِ والنجاح العظيم، الذي يُشْيَرُ بِهِ الْفَتْحُ وَيُلْخُلُ بِه الناس في دين اللَّه اقْوَاجاً، وهذا ما تعقَّقُ فِللاً، إذْ توالْب الانصارات، فقتح اللَّه لرسوله حصون خير وسائر أرضها في سنة سبع للهجرة، وبعث الرسول بعثاً إلى جهة الشام في غزوة مؤتة، في جمادي الأولى من سنة ثمانٍ للهجرة، ودخل مُكةً فاتحاً في شهر رمضان من سنة ثمانٍ للهجرة، وبعث البعوث لهدم الأصنام في أنحاء الحجاز، ونصرةً اله على هوازن وثقيف في غزوة حنين، عقب قتح مكّة، وغزا أطراف الشام في شهر رجب من سنة تسع للهجرة، فيما يُشرَفُ بنزوة وتبوك لدعوة الرّوم إلى الإسلام، أو فتع بلادهم لدعوة الإسلام، أو مناجزتهم القتال، وبعث الرسول البعوث، وجاءته الوفود، وكتب الكتب إلى الملوك، وجاء نصر الله والفتح من كلّ الجهات، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

دلُّ على هذه الحكمة الثالثة قول الله عزَّ وجل في النص لرسوله:

﴿ وَيَهْدِيَكَ مِرَهُا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَنَصْرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۞ ﴾.

الصراطُ المستقيمُ يُفَسُر في كلُّ موضع من مواضع استعماله بما يلاتم الفرائن من سِبَاقِ النَّصُّ وسِباقِه، فمنه ما يكون في العبادات، ومنه ما يكون في المعاملات، ومنه ما يكون في الإدارة والسياسة، ومنه ما يكون في الـدعوة، ومنه ما يكون في القتال، إلى غير ذلك.

ولمَّـــا تُمَ كَـلُ ذلــك أنــزل الله عــزّ وجــل على رســـولـه ســـورة (النصــــر/ ١١٠ مصحف/ ١١٤ نزول) وهي آخر سور الفرآن نزولًا:

بسم اثله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا كِنَا مَنْسُرُ اللَّهِ وَالْفَسَنَعُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ ٱلْوَابَا ۞ مَسَيْحِ بِمَدْدِ رَيِّكَ وَاسْتَمْفِرَةً إِنَّهُ كَانَ وَآبًا ۞﴾.

فأشارت هذه السورة، إلى انتهاء مهمّة الرسول، واقتراب أجل وفاته ﷺ.

وقد أدرك هذه الإشارة بعض الصحابة منهم عُمَرٌ بْنُ الْخَطَّاب، وعبد الله بن عباس، كما صحَّ عند البخاري.

وهو فَهُمْ فهمه الرسول ﷺ، فقد روى الإمام أحمــد، عن محمَّد بن قُضَيْل، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

رلمًا نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفَنِّحُ﴾ قال رسول الله 瓣:

ونُعِيَتُ إلَيُّ نَفْسيه.

فَإِنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تُلُّكُ السُّنَّة).

ومن هذا نفهم تدرُّج النصوص من التلميحات البيدة التي لا يُدْركها إلاَّ أهل الفطانة العالية، إلى الإشارات التي قد يَسْهَل إدراكُها لـدى بعض الأذكياء، في أمر هو من الزّموز القرآنية بين الله ورسوله.

وقد نصر الله رسوله نصراً عزيزاً في حيات، ونصره بعد أن انتقل إلى جوار ربّه، فكلّ الفتوحات التي كانت للمسلمين بعد الرسول هي نصر عزيز للرسول هي، ولذلك قال: أوتيت الكنزين، وفتحت لي فارس والروم، وأتماني الله ما زُزَىٰ لي من الأرض، وكملّ ذلك كمان بعد وفياته صلوات الله عليه، خطيت به أمّته في الحياة الدنيا.

* قول الله عزّ وجل:

﴿ هُوَا أَلَيْنَا أَوْلَ السَّكِينَةُ فِي أَقُدِي الْفُوْمِينِنَ لِبَرْدَادُوْا إِيمَنَا مِّمْ إِيمَنِيمَ ، رَقَبِ هُمُوُدُ السَّمَانِ وَالْأَرْضِ أَقَانَا أَلَمْنَ عَيِمًا عَكِما ۞ إِلَّهُ خِلَالْمُوْمِينَ وَالْمُؤْمِينَ جَنْدِي مِن عَبِهِ الْأَجْتُرُكُولِينَ فِهَا وَيُصَكِّفِرَ عَنْهُمْ سَبِّنَائِيمَ ۚ وَكَانَ وَلِكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَدِّبُ اللّهَ يَعْفِينَ وَالشَّوْقِينِ وَالشَّهِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ الظَّمَ إِلَيْنَ اللّهِ فَوَرًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ ذَابِرَةُ السَّنَوْقِينَ وَالْشَّوْقِينَ وَالشَّيْمِونَ وَالْمُشْرِكِينَ الظَّمَ اللّهِ عَلَيْهِمُ اللّهِ فَلَيْعِلَمُ اللّهِ عَلَيْهِمْ وَلَمُنْ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْنَا اللّهُ مُؤْمِنَةً وَاللّهُ وَهُو اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ فَوَالْ عَلَيْمُ وَاللّهُ وَلِينَا اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللللللللللّهُ الللللللللّهُ اللللللللللللللل

يصفُ الله عزّ وجلَ حال المؤمنين الدّنين كانُّوا صبح السرسول معتمرين مُختَّمَة عن الحديثة ، وإداء مناسبك مُختَمَرين في الحديبية ، قد منعهم مشركو قدريش من دخول مكّمة ، وإداء مناسبك عُمْرَتِهم فيها ، فإبان الله أنهم على الرغم من قلّتهم ، إذْ لم يكونوا يزيدون على الله وخمسمائة ، فقد كأنوا مطمئنين ، ثابتين ، وقُريين لم يستخَهَّم حوثُ ولا حذر ، وكانوا على استعداد لمناجَزة جيش قريش من المشركين القتال، ولو بالمذخول عليهم عُمُنوً وهم كامل أسلحتهم وعنادهم وتُمَّوينهم .

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبة على تفوس المنافئين المخلَّفين وموقفهم

فَقَدُّ انزل الله عزَّ وجلَّ السُّكِينَـة في قُلُوبِهم، وهي الطُّسَأَنِينَة والاستضرار، ثقةً بتأييد الله لهم ونصره، وتَحقيق وَعُدِه.

وهذه السُّكِينَةُ ناتي معونـةُ من اللّهِ للشَّبِيت، وشدَّ العنزائم، فعن أنزل الله في فلبه السكينة كان هادناً رازناً رقُهراً، لا يعتربـه طيشُ ولاخفّة، ولا يُقُلفُه خوفٌ، ولا تستخفُّه أراجيفُ ولا تهديدات تاتي من قِبل_{ِم} الأعداء، فقال تعالى :

﴿ هُوَالَّذِيَّ أَنَّ لَا أَسْكِينَةَ فِي قُلُوبِ السُّوِّينِينَ لِيزَدَادُوۤ إِلِيمَنْ اَعَمَ إِيمَنِهِمُّ ﴾.

وهذه السُّكِينةُ هي من جُنْدِ الله كما أنَّ مِنْ جُنْدِ اللهِ الرَّعَبُ يُلَقِبه هي قُلُوبٍ الْمَدَاء المؤمنين، ومن جنده السريعُ، والصواعقُ وحجارةً من سجيل، والملائكة، وغيرُ ذَلِكَ.

وإنْزال السُّكُونِ والطُّمَانِيَةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ يزيَّهُمْ إِيساناً مع إيمانِهم السَّابِق قبل إنْزالها، لاَنَهم بها يواجهون أعداءَهُمْ ثابتين مطمئين أقوياء، غير هايين ولا وَجِلين، وهذا يجعلهم واثفين مؤمنين إيماناً كاسلاً عن وعي ويصيرة وكسال. إثراك بأنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ سَيْمَنَّحُهُمْ حتماً إحدى الحسنين: إمَّا الشهادة وجنات النعيم، وإمَّا النَّصر والفتح المبين، وهذا نَنُو في الإيمان عند أشدَّ الأزمات.

بخلاف الْقَلْقِ والْخَوْفِ والاضطراب فإنْها عُوّارضُ تـأتي بالشُّكُوكِ، فَنَتْقُصُ من مشاعر الإيمان، ومن مشاعر الثقة النامَة باللَّهِ التي هي من أثار كمال. الإيمان.

إنَّ درجة حرارة الإيمان الفاعلة في السُّلوك ترداد بالسكينة النِّي تُشَيِّتُ الفَّلَبِ وتسدفع عنه الخوف والفَّلَقُ والاضطراب، وتنقُصُ بعوارض الشُّكُوكِ التي تسلاعب بالافكار، وتجلُّب الأوهام، وتثير الخوف والفلق والاضطراب.

ولا تقتصر المعونة الريَّائيَّ للمؤمنين على الإمداد بالسكينة التي هي من جُدُود الله، بل قد يُعِينُ المؤمنين بجنود غيرها من جنوده الكثيرة في السَّمَاواتِ والأَرْض، فهو يعين بما يشاء منها بمفتضى علمه بعباده، وحكمته في قضائه وقدره، وإشارةً إلى ذلك قال الله تعالى في النصُّ:

﴿ رَاِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَا ٱللَّهُ عَلِيمًا عَكِيمًا ۞ ﴾.

أي: فهدو يُعينُ المؤمنين من عبلده بمنا يشاء من جنوده، معونةً منا على وفق علمه وحكمته، فكلُّ جنور السماوات والأرض بلكُه، يصرّفها كيف يشاء، ويسمّرها فيما يربد، وهو العليم الحكيم دواماً.

ويتساءًلُ المتلكِر: لِمَ يُوضَعُ المؤمنون في ظُروف يُصطُّرُون معها أن يُعاتِلُوا في سيل الله عدوُ الله وعدُوهم؟! أليس الله بغادر على إحمالاك الكافرين والمنافقين دون أن يكلّف المؤمنين قتالهم، ودون أن يكونُوا بحاجة إلى معونةٍ من الله بجنودٍ منه؟!.

ويجيب العُصّ على هذا السؤال المطوي غير المذكور في اللَفظ، بما يدلُّ على أن حكمة الامتحان في الحياة الدنيا تستدعي ذلك، فلو شاء الله لانتصر لدينه من الكافرين، ولكن ليبلُو النباس بعضهم يعض، ونتيجة لوضع النباس موضع الامتحان تأتي التنافع يوم الدين بمنح المؤمنين ثوابهم في جنّات النعيم، وتعذيب الكافرين بالمعدل في دار العذاب المعدّة لهم، وتأتي التنافع في الحياة المدنيا بنصر المونين الصادقين على علوهم، وتُعدِّيب المنافقين والمتنافقات الذين أنتُخذُلُوا المونين المسادقين على علوهم، وتُعدِّيب النافظ والكمّ، وتُعدِّيب ما كانوا يظلُّون، فخابت آمالهم، وتحكمت أوهامُهم، وتُعدِّيب المشركين والمشركات كذلك، إذْ خابَّت آمالهم، بشلَّح الحديية، فقد صار وتُعدُّون من دين الله أنواجاً، وكانوا يظلُّون أنهُم متصورا على محمّد والدين الناس يتخلون في دين الله أنواجاً، وكانوا يظلُّون أنهُم متصورا على محمّد والدين عدوا معتمرين معه، فصدُّوهم عن مكة، واحتفظوا الأنفسهم بالسلطان عليها تُجله جمع قبائل العرب.

دلُّ على هذه المفهومات عن طريق صريح اللفظ وعن طريق لوازمه والمطويـات فيه، قول الله عزَّ وجل في النصّ:

﴿لِيُرْخِوْلُلْمُوْمِيْنَ وَالْمُؤْمِنْتِ جَنَّتِ تَقْرِي مِن غَلِهَا ٱلْأَتَّبُونُ عَلِيقَ فِهَا وَيُكَفِّمُ م سَيِّتَامِمْ وَكَانَ ذَكِكَ عِلْدَاللَّهِ فَوْلَاعَظِيمًا ۞ وَيُمُدِّلَكِ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَالْمُنْمِرِكِينَ وَالْشُمْرِكِتِ الظَّلِيْنِ فِي الْمُقَافِقِينَ السَّوَةُ عَلَيْمِهُ وَالْمُنْفِرِدُ السَّوَّةُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَنْسُهُمْ وَأَعْذَلُهُمْ جَمَّانُكُمْ وَمَا أَنْ مَصِيرًا ۞ .

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبة على نفوس المنافقين المخلَّفين وموقفهم

فعدلُ التعليـل: ﴿لِيُدْجَـل المؤمنين...﴾ والعطفُ عليه بعبـارة ﴿وَيُعَـذُّبُ المنافقين...﴾ على السؤال العطوي، الذي صبق بيانه.

ودلُّ قوله تعالى:

﴿ وَأَعَدَّ لَهُ مُرجَهَنَّهُ وَسَآهَتُ مَصِيدًا ﴾.

عطفاً على جملة:

﴿ وَيُعَاذِبُ ٱلْمُتَافِقِينَ وَٱلْمُتَافِقَاتِ ﴾.

على أنَّ هذا التعذيب تعذيب معجَّل في الدنيا، لأنَّ العطف يقتضي التغايير، كما أنَّ الأصل فيه تأسيس فكرة جديدة.

ودلُّ التعذيب المعجَّل للمتنافقين والمنافقات والمشركين والعشركات، مصا يقتضيه التناظر على مقابله المذي هو إكبرام الله المؤمنين بما يحبَّون من نصر وفتح ومفاتم، وقد جاء مطويًا في الفظ اكتفاءً بما دلُّ عليه، فتأييدُهم بالنصر، وتسليطُهم على أموال أعدائهم يأخذونها مفانم، هو الذي كان به تعذيب المتافقين والمشركين المعجَل مع دلالات تُصوص لاحقة في السورة.

إنَّ امتحــان المؤمنين بتكليفهم قتالَ عـلُـوُهـم، قد جعله الله ليُبييهم فضـلًا منه إذا أطاعوا ثواباً مؤجَّلًا وثواباً معجَّلًا.

ـــ فــالثــوابُ المؤجّـلُ إلى يــوم الــدّين قــد دلّت عليــه الآيــة (٥) من النصّ. ويكون:

- (١) بأن يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.
 - (٢) وبأن يكَفّر عنهم سيئاتهم، فلا يحاسبهم عليها.
- وهذا عند الله فوز عظيم، الفوز: النجاة من الشر، والظفر، والربح.
 - ــ والثواب المعجّل الذي يحبّونه يكون:
 - (١) بأن ينصرهم الله على عدوّهم.
 - (٢) وبأن يفتح لهم بلاد أعدائهم ويستخلفهم في الأرض.

(۳) وبأن يستولوا على مغانم كثيرة.

وهذا الثواب المعجّل يُقْهم منا يقتضيه التناظر في مقابـل التعذيب المعجّـل. للمنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات مع ما جـاء تفصيله في سورة (الفتـح) نفسها، في قوله تعالى لرسوله بعد (١٣) آية :

﴿لَمَدَدَيْنِ اللّٰهُ عَنِ النَّوْيِينِ إِنْ يَايِعُولَكَ عَنَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ الْمِنْلُومِ مِ فَازَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَلَنَبَهُمْ فَنَحَاقِبِ اللّٰ وَمَعَانِمَ كَيْرَةً بِلَّافُدُومَا فَمَوْرًا حَكِمًا ۞ وَعَدَّكُمْ إِلَّهُ مَنَانِهِ كَنَامُ مِنْ مَنْ أَنْفُومَا فَعَجَلَ لَكُمْ مُنْوِهِ وَكُفَّ أَلِينَ النَّاسِ عَنَكُمْ وَلِنَكُونَ مَا يُشَاقِلُهُ وْمِينَ وَيَعْدِينَكُمْ مِرْطَا أَسْتَقِمًا ۞ .

والعقاب المعجّلُ للمُشَافقين والمُنافقاتِ والمشركين والمشركات الله فين
 تتحدّث السورة عنهم بمناسبة صُلْح الحديبية، دل عليه قول الله تعالى:

﴿وَيَعَدُنِكِ ٱلشَّنُومِينَ وَالْمُنْوَعَنِ وَالْمُنْرِكِينَ وَٱلْمُنْرِكِينِ ٱلظَّ آذِيكِ بِأَفَّهِ ظَكَ التَّمَوُّ عَلَيْمِ أَنْهِرَةُ التَمَوَّ . . . ۞ ﴾.

إِنَّ المسافقين الذين وُعُوا للخروج مع الرَّسُول في عُمْرَتِه، لِيُكَثِّرُوا أَعْدَادَ المسلمين، فَيرَهُمُ الله المسلمين المسلمين، فَيرُهُمُ المسلمين المسلمين عرفه مشرقهم أمنين، لم يُشتجيبوا لهاذه الدُّعَوَة، وظُنُّوا أَنَّ عَلَدَ المؤمنين لا يُحْتِي لمسوَّاجَهَةٍ قُواتِ المسركين في مكّة، وأنَّ المشركين سيقضُونَ فضاة تمامًا على السرسول والدين خسرجهوا معه من السؤسنين، وأنهم لن يسرجهوا إلى مساكنهم والهليم أبداً، وزعَمُوا أنَّ الله لن ينصَرُهُمْ بَجُودٍ من عنده.

وكمذلك ظنَّ المشـركـون حين رأوا أنَّ الــُوسُـولَ ومَنَّ معــه من المعتمـرين لا يزيدون على ألف وخمسمائة، وأنَّ الفرصة سانحة للفضاء عليهم.

لكنّ تدبير الله بما أجّرى من أمور انتهت بصلح الحديبيّة، قد كان من نتائجه تُعذيبُ السّافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، بما منح الرسول والذين آمنوا من فتح إسلاميّ مبين، أنزل بالطرف المقابل خبية الأمل، والحسرة والكمد، والغمّ

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبية على نفوس المنافقين المخلَّفين وموقفهم

والهمّ، لَفَـدٌ ظُنُوا بـاللَّهِ ظنَّ السُّوَّء، وهـو أنّه لن يتـدخل بتـدبيراتــه الحكيمة لنصـرة رسوله والذين آمنوا معه.

فخيَّب اللّهُ طَلْهُمْ، وكانُوا يَحْسَبُون أَنْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ، وهو الشَّرَ والصُّرُ والْمُسَافِق سَنَدُور على محمّد ومن معه من المؤمنين، فدارت دائرة السَّوْءِ على المستافقين والمنافقات، والمشركين والعشركات.

ومع هذا العقاب المعجّل عاقبهم الله بعقاب دائم دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَغَضِهَا لِللَّهُ عَلَيْهِمٌ وَلَعَنْهُمْ ﴿ .

ومن غضب الله عليه نكّد عليه أمور حياته في نفسه، وأمواله، وأولاده وأهله، وكلّ ما يتعلّق به، وهذا من التعذيب المستمرّ.

ومن لعنه الله أبصده عن مواطن تشرّل رحماته، ووكلّه لنفسسه، وهـذا من التعذيب المستمرّ.

﴿ وَأَعَدُّ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآةَتْ مَصِيرًا ﴾.

أي: وهيًا لَهُمْ داراً هي لعذاب المعذَّبين يُومُ الدِّين، ومن أسمائهـا جهنَّم فإذا ماتُوا وهم منافقون أو مشركون كانوا من المعذَّبين فيها.

ودل العطف بجملة الله: ﴿ وَأَسَاءَتُ مُصِيراً ﴾ على معطوف عليه محذوف يتمثّق بوصف جَهَنَّم، ويمكن فَهَمَّهُ من القرائن واللوازم الفكريَّة، أي: وأعدّ لهم جهنَّم يُعنَّبُونَ فيها، وتكونُ هي مصيرهم الذي سيصيرون إليه، وساءتُ مصيراً. ولُسُّ أرى أنَّ العطف على محذوف مقدّر ذهناً يقتصر على الفاء التي تسمَّى الفاء الفصيحة، بل قد تكون الواو فصيحة أيضاً، وكذلك غيرهما من حروف المعلف، وفي القرآن من ذلك الشيء الكثير.

وكما طمأن الله المؤمنين في الآية (٤) من السّورة بـانّ له جنـود السمـاوات والأرض، فهو يؤيدهم بجنـوده بحسب علمه وحكمته، لوّح للمـنافقين والمنافقـات والمشركين والمشركات في الآية (٧) من السورة بأنّ له جنوة السماوات والارض. أي: فهو يُسَلِّطُ من جنوده عليهم فينكلون بهم ويتقمون منهم إذا شاء، بمقتضى عِزِّته الغالبة، وصفة حكمته التي يُدَيَّر على وفقها مقاديره، فيقضي بالنصر للمؤمنين الصالحين، ويقضي بالهزيمة والخسلان والتُعليب والتنكيس على الكافسرين والمنافقين، فقال تمالي:

﴿ وَيَقْوِجُنُودُ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ ﴾

قول الله عز وجل :

﴿ إِنَّا أَوْمَسَلَنَكَ شَنِهِ مَا وَمُشَوِّرًا وَشَدِيرًا ۞ لِنَّوْمَـ وَا بِأَقْ وَوَسُولِهِ. وَتُصَرِّعُهُ وَتُوفَرُهُ وَمُشَرِّمُوهُ بُحَسِّرَةً وَآمِسِلاً ۞ إِنَّا أَفِيتَ يُمَا يِهُوَكَ إِنَّمَا يَمَا يُهِوَتَ اللّهَ يُدُ الْهَ فَوْفَا أَلِمْ عِنْمُ فَمَنْ لَكَ مَا إِنَّمَا إِنْكُنْ مَلَى تَفْسِدٌ وَمَنْ أَوْقَى بِمَا عَهَدَعُ اللّهُ تَشَمِّقً إِنِهِ الْمَوْفَ اللّهِ عِنْمُ فَمِنْ لَكُنَّ مَا إِنَّمَا إِنْكُنْ مَلَى تَفْسِدٌ وَمَنْ أَوْقَى بِمَا عَهُمَ عَلَيْهُ اللّهُ تَشْرِقً إِنِهِ الْمُؤْمَظِيمًا ۞﴾.

خاطب الله رسُولة بيبان بهميَّة وسَالَيه، نوطنةً لخطاب الناس ببعض ما يجب عليهم تُجاة رَبِّهم، وليكون هذا الخطابُ تمهيداً للحديث عن المبايعة التي حصلت بين الرسول والمؤمنين عند الشجرة في الحديية، وهذه المبايعة حدَّثُ مَن أحداث رحلة المُمْزة التي أُشهرَ بها الرُّسُول والمؤمنون معهُ، وكان فيها صُلُحُ الحديية، وكان فيها تحلُّل المسلمين دون أداء مناسكهم باعتبارهم مُحَصَرين، وعودتُهم إلى المدينة بنتح للإسلام مين، كما سبق بيان ذلك.

وقد جاء في الآية (٨) بيان أنَّ مُهِمَّة الرسول في رسالته تشتمل على شلالة عناصر:

العنصر الأول: أنَّهُ شَاهِدُ، أي: هو مُلِثَّمُ رِسالَةَ زُبَّه التِي أَسَرَهُ الله بَتِلِينَها للناس، ويأتي يوم الفيامة فَيَسْتَدَعَىْ للنهادة بأنَّه قَدْ بَلَّع جسيع ما أَسَرَهُ الله بَتِلِينَةٍ، لم يتقَصَّى مُنْهُ شِيئًا، ويشهادتِه هذه المعوِّقَة بالأفَّة تَتَقَلُّ السيوْلِيَة فَتَكُونُ عَلَى الَّذِينَ بَلْقُوا عَنْه، لأَنْهُم مَكْلُشُونَ بدورهم أن يُبْلُغُوا الرسالة إلى خبرهم كما تَلْقُدُوهَا، وهكذا نباهاً في الأجيال وفي الشعوب، وهم مدعُوُّون لتقديم شهدانهم، ومسؤولية التبليخ هذه مسؤولية مُلقاةً على الأسّمة الإسلامية التي أجبابت فـآمنت وأسلمت، وبحملُ منها كلُّ منهم على فَذَو، ويؤاخذ على مقدار تقصيره.

وتلاحظ بهذا التحليل أنَّ بن الإيجاز في النَّبير ذِكْنَ كَـوْدِ الرَّسُولِ شاهِداً، لِيُمُلُّ بِالنَّرِيمِ الذَّهْنِي على ما يكـونُ قَبَلَ الشهادة من أمور، واؤَّلُ هـذه الأمور تَبليخُ ما أمو الله بتبليغه للناس.

الْعُنْصُر الثاني: أنَّهُ تَبَشُر، أي: هـ ومُبشَرٌ من استجباب وآمَنَ واطاع، بـأنَّ له رضوانَ الله والجنّة يوم الدين، وبمـا جاء في النصـوص من بشريـات معجَّلَةٍ ومؤجَّلَة دون ذلك.

العنصر الثالث: أنّه نَذِير، أي: هو مُنْـذَرُ مَنْ لَمْ يَسْتَجِبٌ، ولم يُؤْمِنُ، وشُنْـذُرُ مَنْ عَصَىٰ، بعذاب الله وسخطه وغضبه، والـطّرَدِ من رحَمَتِــه، في الصاجلة وفي الأجلة، ويكون لكلّ من كفر وعصى من ذلك على مندار جرمه وإنهه.

فقال تُعَالَى لرسُولِهِ:

﴿إِنَّا أَرْسَلْتَكَ شَنِهِ دَّاوَمُبَشِّرًا وَنَهْ بِيرًا ۞ .

والتفت رئبًا تعالى بمد هذا الخطاب الموجّه للرسول فخاطب الناس مبيناً أولَى واجباتهم نحو ربهم، بعد إرساله رسوله إليهم، وهي تشتمل على أربع واجبات عظميٰ:

الواجب الأوَّل: أنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِه، فقال تَعَالَى:

﴿ لِتُزُّمِ مُواْمِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾.

ويدخل في هذا الإيمان كلّ ما يتعلق بذات الله وصفاته وأفصاله، وكلّ ما يتعلّق بالرسول وصفاته وبلاغاته، وفق ما أنزل الله على رسولـه وأمره بتبليغـه للناس.

الواجب الثاني: أن ينصروا الله بنُصْرة دينه ونُصْرَة رسُولُه، ويبلَّغُوا آيات كتابه ويُعلَّموها الناس، ويلَّغوا سنة رسُول، وبياناته ويجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بمختلف أنواع الجهاد، على قـدر الاستطاعـة، وهذه الأصور تدخــل في معنى والتعزير، فقال تعالى :

﴿ وَتُعَسَزِّرُوهُ ﴾ :

أي: وتنصروا الله.

الواجب الثالث: أن يعطّموا الله ويجَلُوهُ بقلوبهم ونفوسهم، وأنَّ يُتُنُوا عليه بتمجيد صفات العظمة والجلال التي هي له بالسنتهم، في ذكرهم وعباداتهم، وهذه الأمور تدخل في معنى دالتوقيره فقال تعالى:

﴿ وَتُوفِيرُوهُ ﴾:

أي: وتوقّروا الله.

المواجب الرابع: أن يُنزَهُموا اللهُ وَيُقَدَّسُوهُ عَنْ كُلُّ مَا لا يليق به من صفات النقص، التي تتنافى مع أزليته، ووحدانيته، وكمال علمه وحكمته وقـدرته، وأنّه يفعل ما يشاء ويمخار، إلى سائر صفات الكمال التي هي له سبحانه.

وتنزيه الله عن كلّ ما لا يليق بكمال صفائـه يدخـل في معنى وتَسْبِيحه، فقـال تعالى :

﴿ وَتُسَيِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ ﴾

التسبيح: التنزيه.

الْبُكُرَة: أَوَّلُ النهارِ إلى طُلُوعِ الشمس، وهو وقت صلاة الصّبح.

الأصيل: هو الوقت الذي يكون من حين اصفرار الشمس إلى غروبها.

فمن واجبات الدين الأولى تسبيح الله في هذين الـوقنين، ومن صلَّى الفجر والعصر يوميّاً فقد أدّى هذا الواجب.

وعوداً إلى بيان أسور تتعلّق باحداث موضوع السورة الأصلي، بعد التمهيد بكلّيات دينيّة عامّة للربط بها، والتغريع عليها، ذكر الله حادثة مبابعة من كان مع السرسول من العؤمنين في رحلة العمرة التي كان فيها صُلّع الحديبية، فأبـان الله

عزُّ وجلُّ ثلاث قضايا حول هذه البيعة :

الفضية الأولى: أنّ الذين يبايعون الرسول السائون من اللّه عَرْ رجل بإجراء هذه البيعة إنّما يُبايئونَ الله، فيمتُهُمْ هي مع الله، لأنّه تعالى هو الذي يحاسبُ بعد ذلك عليها، فيُشيبُ من أونى بعهده بأخر عظيم، ويُجازي من يَنكُثُ بالعدل، فتفض المهد مع الله من المعاصي الكبرى، والقَضَرُ ملاحظٌ فيه الغرض الأساسيُّ من البيعة وهو يُصرة دين الله، فالمبايعة في الحقيقة هي مع الله.

وابان نعالى انّ يندُمُ غَرْ وجلّ فَوْنُ ايبدي الفين يُسليمون رسُـوله، مشمادِكَةُ في توثيق البيمة، ومبادِكَةُ لها، مع الإشعار بالسزام كلّ مـا يترتب عليهـا عنده من معونة وأجر عظيم، فقال نعالى لرسوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِيكَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُاللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾.

وجاء استعمال الفعل المضارع ويُبايِعُونَكَ، لتصويـر حركة المبايعـةِ المتتابعـةِ التي أجراها المؤمنون يومثـلِـ.

القضيّة الثانية: تحذير من ينفض ببعته وهـو قادر على الـوفاء بهـا حتى آخر نفس من حياته، فـإنّه يَضُسرُ بذلـك نفسـه، ولا يَضُسرُ اللّهَ ورسُولَـهُ وجماعـةَ المؤمنين شيئًا. فقال تعالى:

﴿ فَمَن نَّكُثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ * ﴾.

أي: فهو الخاسر بنُكُّيُّه .

القضيّة الثلثة: ترغيب مَنْ يغي بعَهْدِو في بَيْعته بأنَّ الله سَيُوْتِيه أجراً عـظيماً. وهو يشمل الأجر المعرّجُل إلى يوم الدين، والأجر المعجّل قبل ذلك، فقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَاعَنَهُ دَعَلَيْهُ أَلَّهَ مَسَيَّوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١٠٠

لى: ومَنْ أَتُمَ الْمَصَلُ بِكُلِّ ما عاهد عليه الله في سايعته التي بايع عليها، فَسُهُوتِهِ في المستقبل غير البدد أجراً عظيماً، أمّا في المستقبل البعد يموم الدّين فقد أباته الله في الآية الاخيرة من آيات سورة (الفتح) فقال تعالى: ﴿ وَعَدَالَتُهَالَّذِينَ هَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الصَّلِحَاتِ مِنْهُم مَّغَفِرةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۞ ﴾. الوقاه بالعهد: إنمام العمل بكل ما جاء في عناصره.

. . .

قول الله عزّ وجل:

يخبر الله رَسُوله وهو في طريق عودته إلى المدينة من صُلّح الحديبية، الَّهُ الله يستجيبوا لمدعوب المدينة، الَّهُ اللّـذين لم يستجيبوا لمدعوة الخروج مع الرسول لاداء العمرة، من الاعراب المـذين حـول المدينة، وكانُّوا من العنىافقين، سيعتذون بالسنتهم عن تخلُّفهم قاتلين: شغلتنا الموالَّك واهلونا فاستَقَفِّر لَكا، اي: لم يكن تخلُّفنا جِدْلاناً لك وتباطؤاً عن مناصرتك وعن تكثير سواد المسلمين.

قيل: وكانُوا من أعراب غِفَار، ومُزْيَّنة، وَجُهَيِّنَة، وَأَسْلَم، وأَشْجَع، والدُّثِل (أو الذيل)، وكانتُ مَنازلهُمُ حَوْل المدينة.

وهذا خَبْرُ عَمَّا سيكون، لأنَّ الله عالم بنفوسهم، وعالم بما يَشُوا أن يقولوه للرَّسول، حين بلغهم نبأ الصُّلُّة، وخاب المُلَّه، بأنَّ يُنخارِيَّةً وَمَنْ معه من المؤمنين مشركو مَكَّة، ويَقَضُّوا عليهم، ويتخلَّشُوا من الرسول ودعوته.

وسمًّاهُمُ الله مخلَّفين (اسم مفعول) ولم يسمُّهم متخلفين، إشــارة إلى عـكمة عوامل جملتهم يتخلّفون، ومنها حكمة الله بان يتخلفـوا لانهُم منافقــون، حتّى ينصُرُ رسوله بدونهم، وليكشفهم للرسول والمؤمنين، وليغيظهم ويعدَّبهم بمسا يقضي لرسوله من فتح مبين.

وأبان الله لرسوله أنَّ ما مُنيقراونه من الاعتبارا وطلب الاستنفار إنَّسا هو قبول بالسنتهم على خلاف ما يُضيرُونه في قلوبهم، إذَّ هم مُنافضون، لم يكنَّ لهم عَفْرَ، ولا يؤسنون بأنَّهم قبد ارتكبُوا ما يحتاجون أن يستفضروا الله منه، ولا يؤسنون بأنَّ محصّداً رسسول الله حتى ينفعهم استفضارُه لهم، ولكنَّهم يجارون المسلمين في مفهرةتهم، التي من ضمنها أنَّ التخلُّفاالذي كان منهم خطاعة تحتاج استغفاراً.

فما سيفولونه لا يُعْدُو أنَّ يكون وسيلةً من وسائلهم التي يسترون بهما كفرهم. ضمَّن خطة النفاق التي اختاروها لأنفسهم. فقال تعالمي:

﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِ مِمَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمَّ ﴾.

وعلم الله رسوله ما يقوله لهم، وهو في الحقيقة خطابٌ من الله لهم بأسلوب تكليف رسوله أن يقول لهم ما جاء في التعليم، ومع ما في هذا الأسلوب من إشعارٍ بالإعراض عنهم، فهو يتضمن توجيه الرسول أن يبيّن لهم ويشرح ويُفصّل ما جاء في التعليم، وأن يَسرِز ما فيه من مطويات لم تذكر بصريح اللفظ، لكتّبا تُفهّم باللّوازم اللهنيّة، وبالجمع بين مفهومات الجمعل والربط بينها، وبدلالات بعض الألفائر الله المنتهاء وعلم الإلفائر الله المنتهاء والموجلة بعض المنتفاء والموجلة المنتهاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء المنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء والمنتفاء المنتفاء والمنتفاء والمنت

وبالندبّر نُلاحظ أنّ هذا التعليم قد اشتمل على ببان القضايا التـالية للمخلّفين من الأعراب، وهي قضايا موجّهة لكلّ ذي استعداد لان بُدْرِكُ حتَّى آخرِ الدّهر:

القضية الأولى: أنّ التعامل في أمور الدّين تعامَّلُ مع الله الرّبُ الخالق، ولـو كان من خلال التعامل مع الناس والأحياء والأشياء، فالله هو الـذي يراقب أعصال العباد، ويحاسبهم عليهـا، ويعلم ما في صـدورهم من أغـراض ونيـات وعقـائـذ، ويعلَّمُ عطابقة الظاهر للباطن ومخالفته له، ثم هـو الذي يجازيُ على الأعمال، إن خيراً فخير، وإنّ شراً فشرً، فهو الربّ الخالق مالك الوجود كلّه لا شريك له.

وهذه الفضية هي من أصول الدين.

القضية الثنانيمة: أنّ الذي يُشلِكُ الفسرُ والنفع في الموجود همو الله وحده لا شريك له، فإنْ أراد الله نُفَمَّ عَلِدٍ من عباده لهم يُشلِكُ أَخَذُ في الرجود مثّمَ هذا النفع عنه، وإنْ أراد الله ضرّ عَبّدٍ من عباده لم يَشلِكُ أَخَذُ في الوجود دفْعَ هذا الضّسرُّ عنه.

أي: فإذا كان غرض المحتلفين من الأعراب عن الخروج مع الرسول ﷺ لأداء العمرة خَذْلُهُ وتمكينَ مشركي قريش من القضاء عليه وعلمي المؤمنين معه، وكان الله قد أراد حفظهم، ومنحهم الفتح السبن، وتهيئة الوسائل ليُضَرَّهُمُ بها نَصْرًا عزيزاً، فإنَّه لا يُوجَدُّ فَوَةً قادرة علم منع هذا الخير الذي أراده الله لهم.

دلُّ على هذه القضية من النصَّ قول الله عزَّ وجلُّ:

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ لَقُوشَيْنًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْلَوَادَ بِكُمْ نَفَعًا . . ؟ ﴿ ﴾ .

لَمْ يَاكِ التعبير باسلوب: إنَّكُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ بوسائلكم حَجْبَ تَقْعِ آزادَهُ اللَّهُ لِرَسُّولِ لهو، وذلك لانَّ الله آواد خلاف ذلكُ ، بل جاه التعبير بقلّب الأمر عليهم أنفسهم، فهم لا يملكُونُ دقّعَ ضَرَّ عن أَنْفُهُمْ إِنَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ دقّعَ ضَرَّ عن أَنْفُهُمْ إِنَّهُ اللَّهُ إِنْ أَرَادُ اللَّهُ أَنْ يُغَمِّهُمْ إِنَّهُ اللَّهُ أَنْ أَنْفُهُمْ إِنَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُومًا عَلَى الرَّسُولِ والمؤمنين إنْ كانوا أهل فكر وَلَدُنْرُ.

وهذا من روائع أساليب الإقناع، ومن الحجج المسكنة المدامغة، لأتّهم متى قالوا: إنَّ اللهُ إذا أراد بنا نقماً أرضراً فلا أحد يدفع ذلك عنّا، لزمهم أن يطبقوا هذه القاعدة على جميع الناس، إذ ليست لهم خصوصية تحصُّر القاعدة فيهم.

وهذه العبارة دَلَت اليضاً على الفضية الأولى عن طريق اللَّزوم الذَهني، باعتبار اذَّ الفضية الأولى هي الاساس الذي تتفرّع عنه الفضيّة الثانية، وتُقُهمُ أيضاً من دلالة النّني المذي دلَّ عليه الاستفهام، إذَّ معنى الكلام: لا أحدُّ بملك شيئاً من ذلك غير الله، لأنَّ الله هو الرّب الخالق المالك للوجود كُلُه وحده لا تسريك له، ولا أحد يستطيع أن ينازعه في أمر، وهو الذي خلّق الناس ليبلوهم ويحاسبهم ويجازيهم. ودل حرف العطف (الفداء) في صدر جملة ﴿ فَمَنْ بَلْمَاكُ ... ﴾ . وهمو كملائم تعليميًّ مستمانف، دل على أنه يوجّدُ كملائم مطويًّ ملاحظً ذهناً غير مذكرو في اللَفظ، وقمد عطفت الجملة المدذكررة عليه ، وأفضحت الفاء العاطفة عنه ، وهذا المكلم المطويً لا بدَّ أن يكون حول إثبات توحيد السربوبية والإثمية فه وحده ، وأنّ التعامل الديني هو تعامل معه وحده لا شريك له ، وأنّه هو الذي يحاسب ويجازي، وهذا المطويً فَدْ تُوكِّ للرَّسُول، ولاهل التنبر العبيق بياتُه.

القضية الثالثة: إشمارُ المخلّفين من الإعراب بالنّهم على ضلال، إذْ يتصرّرون انّ ما يقومون به من أعمال، وما يُخفونه من كُثّر يسترونيهُ بأعمال ينافشون الرسول والمؤمنين بها، وما يدبّرون ويُيَتِنون من مكر وكُيْدٍ، أهُورٌ مستورةٌ غير مكشوفة، بل كلُّ أمرهم معلومٌ مشهودٌ فق عزّ وجلَّ شُهُوذَ حَضُورٍ مِمَهُمٌ في ظواهرهم وبواطنهم حتى أعماقهم، في جُرزةِ نامَةً.

> دلَّ على هذه الفضيَّة من النصَّ قول الله تعالى : ﴿ لِمُلْكَانَاللَهُ بِمَاتَهَمَانُونَ خَبِيرًا ﴾ :

أي: هو خبير دواماً بما تعملون، ودلَّ حوف العطف وبُلَّ، على إيطال قضيّة ماثلةٍ في أذهان المنافقين، وهذه الفضية غير مذكورة في اللَّفظ، للملم بها الزوماً من إيطالها بحرف العطف دبل، وهي تصوُّرُهم الَّ تُفرهم ومكرهم وكيدهم أمورٌ مستورةً لا يشَلُمُ بها غيرهم، فأبَانَ اللَّه عَزَّ رجلُ أنَّ عليم بما هم عليه من مستوى الخبرة، وعِلَّمُ الخبرة هو الذي يكون مع الممارسة والمشاهدة للدقائق والخفايا.

القضيّة الرابعة: تنضئُنُ تُكَذِيبُ المخلَّفِين المنافقين من الأعراب في ادّعائهم أنهم شخلَّقهم المُوالَّهُمُ والْمُلُوهم عن مصاحبَة الرَّسُول وضَدًّ ازَه في خــروجه إلى المُمْـرة، وَتُكَذِينِهُمْ في طَلِّهِمْ أَنْ يُسَخِّفِرْ لَهُمْ، وتتضَمَّن بيان حقيقة مَــا كــان في أذهانهم ومَا كان في قُلُوبهم، وبيان حقيقهم الكليّة.

فالذي كان مائلاً في أذهاتهم هو أن عذذ المسلمين الخارجين لأداء العمرة
 مع الرسول عدّة قليل بالنسبة إلى الفرة الحربيّة الّتي يملكُها مشركـو قريش، وعُلِمَ المنافقون أنّ قريشًا لا يُمكّنون الرسول والمؤمنين معه من أداء عمرتهم، وغلّب على

ظُهُم أَنَّ القتـال سينشب بين الفريفين، وأنَّ الـدائــرة ستَــــقُور على المسلمين، وسيتهي أمرهم وأشَّر الإسلام كلّه، وأنَّ الرُســول والمؤمنين معه لن بنقلبــوا من هذه الرَّســول المؤمنين معه لن بنقلبــوا من هذه الرَّســول المؤمنين معهد المنظن حتى صار أمــراً مُرزَّيناً في قُلُوبهم، أي: صار عقيدةً ثابتةً معترجةً بعاطفة رغية وطَمْــم وتلَّهُهم، لانَهم يعريدون التخلص من هــذا الدين، ومن خــكة النفاق التي يمــارسونها دواساً، في ازدواجيّـة متافقة بين السلوك الظاهر، وما يضمرونه في الباطن.

وهذا الظنّ متهم قد كان مُستَنتُه الظواهر السبية التي بدَنتُ لهم، في موازين الغوى المنظورة، ولذلك جاء التعبير بصادة وظنَّ، التي تستمثلُ في النظنَ الضعيف المردود، وفي الظنّ المتوسط، وفي الظنّ الراجع، بخلاف مادّة وخيبّ، فهي لم تستعمل في القرآن إلاّ في الظنّ الضعيف المردود، وفي التوهّم الذي لا تقترن به أمارات ولا أدلّة.

وكان لهم ظنَّ آخر نابع من منابع كفرهم، وهو يتعلَّق بالقوي غيبر المنظورة التي قد يُبدأ الله بها، فظنُوا بالله ظنَّ السُّرَةِ، وهو أنَّ الله لن ينصُر محمَّداً والمؤمنين مع، لانهم على غير الحقّ في محاربة شركائهم من الاوثان وغيرهما، أو أنَّ الله استخرجهم من المدينة ووجَههم لمكَّة ليقضيَ عليهم بالدي مشركي قريش.

دلّ على هذه القضيّةِ بكُلّ فُروعها قول الله تعالى:

﴿ مَلْ طَنَتَمُّمَ أَن لَنَ يَعَلِبُ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِثُونَ إِلَىٰ الْعِلِهِمَ أَبَدًا وَزُبِّ ذَلِكَ فِي فَلُوبِكُمُّ وَطَنَنَكُمْ ظَنِّ النَّمَوْ ﴾ .

الظَنُّ الأول هو الظنُّ المستند إلى الظواهر السببيَّة التي بدت لهم في مـوازين القوى المنظورة.

والظُّنُّ الآخر هو الظنُّ المستند إلى عقائدهم الشركيَّة الَّتي يُبْطُّنُونها.

وتزيين الظُنّ الأول في قُلوبهم قد اشتركت في توليده عملة عواصل: وصاوسُ الشياطين، وأهمواؤهم، ورغبتُهم في أن يتخلّصوا من الازدواجية المتنساقضة بين ظـاهرهم ويباطنهم، وكراهيتُهم لملرسول والمؤمنين، وحَسَـدُهُمْ مَن القرّة والسلطان

حول أثر الفتح المبين الذي حصل في صلح الحديبية على نفوس المتافقين المخلَّفين وموقفهم

الذي وصَلُوا إليه في المدينة وفيما حولها، ولذلك جاء التعبير بصيغة الفصل الذي لم يُسَمُّ فاعِله، ليشَّمَلَ كُلُّ هده العوامل والله أعلم.

ويُلاحظُ أنْ ظَنُهم قد كان ظنّا قويّا في نفوسهم، بدليـل وُصُوكِ إلَى أن يَكُونَ مُزْيَناً فِي قَلوبِهِم، فمن المعلوم أن ما يصل إلى القلب لا بُدُ أن يكون قوياً.

وجاء عطف جملة: ﴿ وَلِمَ ظَلَنَتُمْ أَنْ تَنْ ... ﴾ بحوف وبــل، الذي يـــلأ على الإضــراب الإبطالي للذلالة على كَـلب ادَصائهم أنهم شغلتهم أســوالهم وأهــلوهم، وكذِب اعترافهم بالخطيئة وبرغيتهم في أن يستغفر الرّسول لهم.

القضية الخامسة: بيان أنّهم قومٌ فاسدون، مصيرهم إلى أن يكونوا هالكين. دلّ على هذه القضيّة قوله تعالى:

﴿ وَكُنتُ رُفِّومًا بُورًا ١

أي: وكنتم قوماً فـاسدين لا خيـر فيكم، وفسادكم يُغْضي بكُمُّ إلى أن نكـونوا هالكين، إنهم فاسـدون وهالكون حتماً لأنّهم منافقون.

وبُوره بقال للواحد وغيره، وقد يكون جمم وباثر، يقال لغة: بَارَ يَبُورُ بَوْراً فَهِــو باثر، أي: هلك. ويقال: أباره الله إذا أهلكه.

و الْبُواره في اللغة الهلاك، و الْبُورُه الهلكيٰ. قال الجوهري: الرجُلُ البور، الفاسِدُ الهالك الذي لا خير فيه.

قول:

ويمكن أن نفهم أنّ كـلّ ذي فســادٍ يؤدّي بــه فســادُه إلى الهــلاك فهــو «بُـــور» واللفظ يطلق على الواحد وغيره.

القضية السادسة: بيان أنهم مشمولون بعُكُم قرارٍ جزاتي ربّاتي عام بدخل فيه الكافرون جميعاً سواءً اكانوا مجاهرين بكفوهم أو منافقين، وهذا القرار ينصّ على أنَّ الكافرين جميعاً نَيُعذَّبون بعذاب السَّيس، أي: بعذاب النار، إذا ماتوا على كفوهم ولم يتوبوا. السّميرُ في اللّمَة: يأتي بمعنى النار، وقبل: السّمير، لهبُّ النار. ويُقالُ: نـازُّ سَيِسِرٌ، أي: نازُ مُسْشُورةُ، بمعنى مُوقَدة. ويقالُ: سَمَرَ النازَ يَسْعَرُها، والسُّمْرَهَا وسَمَّزِها، إذا أوقدها وهيَّجَها.

دلُّ على هذه القضيَّة قول الله تعالى:

﴿ وَمَن لَمْ يُؤْمِنُ إِلَّهِ وَرَسُولِهِ عَإِنَّا آعَتَ دْنَالِلْكَتْفِرِينَ سَعِيرًا ١٠٠٠

أي: ومنْ لمْ يؤومْنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مستقبلًا، أو مَرْ عليه عَمْـرُهُ في الحياة الـدَنيا ولم ينشىء هذا الإيمان، أو لم يستبُقه حتى يلقى ربَّهُ وهــو عليه، فسيَّسَـلُّبٍ بعذابٍ ناوٍ محرقةٍ، وهذا السّبير مهيَّأً قَدْ أَعَنَدُهُ اللَّهُ بعناية، لبجازي الكافرين به.

أَفَتَذَ الشيءَ: أي: أعَدُهُ وهيَّاهُ بعناية، ويقالُ: شيءٌ عَنِيدُ، أي: مُعَدُّ خَاضِرٌ. و والْعَنَادُّ الشيءُ يُعَدُّ لاَشرِما وَيُهَيَّأُ له.

وقد جاء الاستخناء بجملة: ﴿ وَلَمُّنَا أَعَلَدُنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ جواياً للشرط: ﴿ وَمَنْ نَمْ يُبِرِّينُ بِاللَّهِ وَرَسُولُهُ عَن ذَكر جملة الجواب الأصليّة وهي: نُعَلِّينُهُ يُوْمَ القيامة بعذاب الشعير، للعلم بها لزوماً، وهو من الكتابات.

والتنكير في لفظ ﴿سَعِيراً﴾ لتعظيم أمْرِ نار جهنم، أي: سعيراً عـظيماً شـديداً على المعذّبين به، أعاذنا الله منه وحمانا بالإيمان والإسلام والاستقامة على الطاعة.

القضية السابعة: تتضمّن الإغراء بالتوبة والحثّ عليها، والإشعارَ بأن من تاب قبل فوات الاوان تباب اللهُ الرّبُّ الخالق عليه، فهيو الذي لـه مُلكُ السماوات والارض، ومن صفاته أنّه غفور رحيم، يغفر لمن يشاء، ومشيشه لا تفارق حكمته، ويُعذَبُ من يشاءً، ومشيشٌ لا تفارق حكمته.

فالمخلَّقُون المنافقون من الاعراب كغيرهم، ما ذاهُوا في الحياة، ؤما دام بابُ التوبة مفتـوحاً للعبـــاد، فإنّهم يملكــون أن يتوبــوا ويستغفروا ربّهم، فــاِذا فعلوا ذلك وجَدُّوا الله تُواباً غفوراً رحيماً.

وفتح باب التوبة والغفران والتذكيرُ به حند كلُّ مناسبة داعيــة، هو من أســاليب

الإصلاح النربوي للنَاس، في خطَّة الرَّبِّ الخالق وحكمته، وهـو من كمال حِلْمِـهِ ورحمته.

دلُّ على هذه الفضيَّة في النَّص قوله تعالى:

﴿رَيَّةِمُلُكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ يَعْفِ رُلِسَ بَشَاءٌ وَهُذِبُ مَنْ يَشَاءٌ وَصَاكَ اللهُ عَفُولَ رَّحِيمًا هِ﴾.

لمًا كان النص موجّهاً بالـدّرجة الأولى لمنافقين من المشركين، كان من الحكمة لذي إغرائهم بالسُّرية وإطماعهم بأن يغفر الله لهم، أن يُشِيَّ ذَلِكَ على تصحيح الاعتقاد حول توحيد الربوية وتوحيد الإلهيَّة لله الربِّ الخالق وحُدَّة لا شريك له، فجاء النمهيد بقوله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَ وَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾:

أي: هو الرّبّ الحبالق وحدّهُ للسّماوات الأرْض، فهو الممالك لهمـا وحُدّهُ. ومن كان هو المالك لهما وحده فهو المستحقّ وحده للعبادة، فلا إلّه إلاّ هو.

فالتَّوجيُّه للتوبة اقتضى تصحيح الاعتفاد أوَّلاً حُوْلَ توحيد السربوبية وتوحيد الإِلْهِيَّة لله وحده، لأنَّ الكلام موجَّه بالدرجة الأولى لمنافقين من المشركين.

وبشاءً على هذا الأساس تأتي الدهوة إلى التوبة التي يستحقّ بهما التنائب المعفوة، وقدُّ جاءت هذه الدَّعوة باسلوب التذكير بقضيَّةٍ كلِيَّة من قضايـا صفات الله عزُّ وجلّ، وهِيَّ أَنَّهُ يَغِيْرُ لِمِنْ يَشَاءُ ويُعنِّبُ مَنْ يشاء، فقال تعالى:

﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآةً ﴾:

أي: فلا سلّطان لأحد عليه في قضايا المغفرة والتعذيب، لا من شريـك، ولا من شفيع، وفي هذا تأكيد لتوحيد الربوبية والإلهّية فه عزّ وجلّ.

وليس في هذا دلالة على أنَّ مشيئة ألله مشيئةً مزاجيَّة، غيَّر موجَّهةِ بحكمة الله وعَلَّلهِ ورحمت، فقد دلَّت النصوص على أن مشيئته تعالى لا تُخارق حكمت، ومن حكمته تبارك وتعالى رحُمَّتُه بعباد، وفضَّلهُ وعَذْلُه، فهُوْ يضْحُ الأشياء في صواضعها بحكمة ثامّة، ومن حكمته أن يشوب على التائبين إذا تـأبوا وهم في رحلة الابتـلاء، وأن يغفر للمستغفرين إذا استغفروا رئهم ضمن الضوابط التي وضعها للمستغفرين.

إِنَّ صِفَاتِ الله عَزَّ وَجِلَّ صِفَاتٌ متكاملاتٌ فيما بينها، لا يَنْقُضُ بعضها بعضاً، ولا يُطْغَى بعُضُها على بعض، فلا تطُغَى طلالة المشيئة على صفة الحكمة، ولا تطُغَى الْقُدَّرَة الكاملة على صفات العدل والرحمة والعفو والغفران، ولا تعمل القدوة والإرادة بدون أن تكونا محاطنين بشمول العلم وقيود الحكمة، وهذا من مقتضيات كمال صفات الله عزَّ وجل.

فلا بُدّ أن يُفْهَم هذا النّصّ ضمن إطار الفهم المتكامل لصفات الله عزّ وجلّ. وإطماعًا يغفران الله ورحمته قال تعالى:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُولًا رَّحِيمًا ۞﴾:

أي: والله غفــور رَحيمُ دواماً، لأنَّ مــا كان فه من صفــات فلَهُ صفةُ الكينــونــة الدائمة المستمرّة.

وفي غَرْضِ ِ أَنَّ الله غفور رحيم دواماً دعوةً ضمنيَّة للاستفادة من هذه الصفة العظيمة من صفات الله عزَّ وجلّ, وذلك بالنوبة والاستغفار.

أمّــا التوسة من النفاق وآشاره في السلوك فتكون بـإعلان التــوبــة، وبــالإيــــان الصحيح الصادق، وبالعمل الصالح بمقتضى الإيمان الصحيح.

وأمًـا الاستغفار فيكــون بـــؤال الله أن يغفر مـا سلف من نفاق وعـمــل سيِّــى.، مع اجتنابٍ ممارسته عند الاستغفار.

قول الله عز وجل:

﴿سَيَمُولُ ٱلشَّخَلَقُوبُ إِنَّالَطَلَقَتْمُ إِلَى مَعَلِيْمَ لِتَأْشُدُوهَا ذَرُونَا نَيِّعَكُمُّ يُرِيدُوبُ أَنْ يُسَرِّدُوا كُلَّمَ القَوْقُ لِنَ تَجْمُونا كَنَاكُمْ قَاكَ لَقَدُون قَبْلُ أَسَيَّةُ لُونَ بُلِحَسُدُونَنَا لِمَنْ كَافُوا لَا يَقْتَمُهُ وَمَا لَا قَلِيلًا ۞ قُولِلْمُمْلَئِينَ مِنَ ٱلْخَرَابِ سَتُنْعَوْنَ إِلَى قَرْمٍ أُولِهَ بَالِمِسْتِيدِ لَقَنِكُونَهُمَ أَوْلِسُلِيمُونَّ فَإِن تُطِيعُوا يُؤنِكُمُ اللَّهَ أَخْرَا حَسَنَاً فَإِن تَفَوَلُوا كَمَا وَلَيْتُمُ مِن هَلُ يَعْذِيكُمْ عَذَاكُ الْسَاسُ لَنِّسَ مَلَ الْأَعْمَىٰ حَرَّةٌ وَلَاعَلَ ٱلْأَعْبَ حَرَّجٌ وَلَاعَلَ أَلْسَيض حَرَّةٌ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولُولِنَا خِلْهُ جَنَّتِ جَمْرِي مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْبَرُ ۗ وَمَن يَتَوَلُ شَذِبْهُ عَلَااً آلِيمًا ۞﴾.

أُعِمَّدُ التَّذَكِيرُ بَانَّ سووة (الفتح) نـزلت في أواخر السنة السادسة من الهجرة عقب صُلِّح الحديبية في طويق عودة الرسول والمؤمنين معه إلى المدينة، وهـذا التصّ منها.

. وقد اشتمل هذا النصَ على أخبار بـأحداثِ قبـل وقوعهـا، وهي من معجزات القرآن، واشتمل على تعليماتٍ وأوامر ونواهي ربّانينة نتعلّق بهذه الأحـداث، أو كان ذكرها مناسبة لبيانها.

الخير الأول: أنَّ الرسول والذين كانوا معه من المؤمنين، وبايموه عند الشجرة في الحديبية سينطلقون بنوجيه الله لهم إلى قوم ينصرهم الله عليهم، دون عنام تبيره ويهيهم من الأرض والقرى والأموال والأوزاق معانم كثيرة، وأنَّ هذه المنحة الرَّبَانية ستكون إكراماً من الله لمرسوله ولأهل بيعة الرضسوان، والإعلام بهمذا الخبر المستقبلي فيه الماح إلى الخطة الربانية المدئرة في حركة الفتوح الإسلامية.

وتحقّق هذا الخبر الذي تضمَّن وعداً من الله بالنصر، ووعداً بحيازة مضاتم كثيرة، فلم يُقِم الرسولُ في المدينة بعد عودته من الحديبية الأ شهر في الحجّة من سنة مت من الهجرة، وإيّاماً من شهر محرّم لسنة سع من الهجرة، ودعا من كان معه في الحديبية إلى الخروج لفرّو خير بتوجه من الله عزّ وجل، وكانت خير مساكن وفرارع لنزلاء الحجاز من اليهود، الذين سيق أن نزحوا إليها من بلاد الشام.

والأمر الرَّبَانيُ المتعلَّق بهذا الخبر هو منْح الذين تعلَّموا عن الخروج مع الرسول في عمرته، من الخروج معه في غزوته هذه، لأنَّ شرف الانتصار فيها والمغانم التي نؤخذ بها هبة من الله لأهل بيعة الرضوان إكراماً لهم.

وقد أشار النصّ إلى هذا الخبر بقول الله تعالى فيه:

﴿ إِذَا ٱنطَلَقَتُمْ إِنَّكَ مَعَ انِعَرِلْتَأْخُذُوهَا ﴾.

ودلّت سوابق هذا القـول على أن الخطاب فيـه مـوجّـه للرَّسـول وأهـل بيعـة الرضوان، ودلّت العبارة على أنّ الانطلاق السّـريع سيكـون لأخذ المضانم مباشـرة، دون حاجة إلى قتال يذكر ويسجّل بعبارة تنلى.

وأشار النص إلى التكليف الرّبّاني المتضمّن منع المخلّفين عن اتباع المؤمنين ومشاركتهم في غزوة خيبر، بقوله تعالى:

﴿ قُل لَن نَنْفِعُونَا حَكَذَالِكُمْ قَالَكَ ٱللَّهُ مِن فَسْلُ ﴾.

فهذا تكليف من الله لرسوله نزل مقارناً للخبر عَمَّا سَيَقَعُ قبل وقوع الحدث.

الخير الثاني: أنَّ الْمُحَلِّفِين عن الخروج مع الرسول في عُشرَتِه، سيُطائِلُونَ بانَّ يخرجوا مع الرسول والمؤمنين إلى غزو عبير، حين يعلمون بانَّ الرسول خبارج لغزوها، لِيلْمِهم بانَّ سفوطها في ايدي المسلمين أشرَّ سهل، ولِيلْمِهم بأنَّ فيها مغانم كثيرة.

لكنّ الأمر الرّباني قد نزل بمنّبهم من الخروج مع المؤمنين، ولو على سبيل اتّباعهم في آخر صفوفهم، قبل الإعلان عن التوجّه لغزو خبير.

إنهم مع علمهم بما جاء في القول التكليفيّ الريانيّ المنزّل من قبل أن يقح الحدث ــ فقد تلبت عليهم سورة (الفتح) ــ يُريدون أن يبدَلوا كلام الله التكليفي، محرّضين المؤمنين على معصيته، طمعاً في المشاركة بالمغانم، فيقولون للمؤمنين: ﴿وَرُونَا نَبْعِكُمُ ﴾ ويظهر أنهم لا يجرؤون أن يقولوا هذا الكلام للرسول بعد أن تُخلَفُوا عن الخورج معه إلى المعرق، واعتذروا بانهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم كاذبين، وخذلوه، وأعلن القرآن أنهم ظنّوا أن مشركي قريش سيقضون عليه وعلى المؤمنين معه، وأنهم ظنّوا بالله ظنَّ الشَّوه.

فيجيبهم المؤمنون بأنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر رسوله بأن يقول لهم:

﴿ لِّن تَنَّبِعُونَا ﴾:

أي: في هذه الغزوة. وأن يقول لهم:

﴿ كَذَا لِكُمْ فَالْكَ ٱللَّهُ مِن فَسُلُّ ﴾ :

أي : مُنْذ أنْزَلَ سُورة (الفتح) وقَبْل أَنْ يتوجّعه الأمر بـالخروج إلى غـزو خيبر. وقَبْلَ أَنْ تَطالِبُوا بالمشاركة في هذا الخروج.

فيدرّ عليهم المحلّلُون وقد طمس اللَّمَتُعُ بصائرهم عن إقرائِ دلالة التعليم الرَّبَانِي المنزّل في القرآن قبل الامر بالخروج إلى غزو خيير، فيقولون للمؤمنين: ليس الامر كما تزعمون من التزام التعليم الريّاني، ولكنّ الامر مديّر، لانكم تكرهون أن نشارككم في غنائم خيير حسداً، فانتُمَّ لا تُحيّون لَنَا أن تُصيّ من الخير المذي متُحصّلُونَ عليه في غزوتكم هذه، وتريدون أنَّ تُسْتَأَثِرًا بِهِ لأَنْفَيكُمْ.

الحسَّة: كراهية الحاسِدِ أن ينال المحسُّوة الخير الذي حسَّدة فيه، وتمنّي زواله عنه إذا ناله، وإصناكه عنه قبل أن يناله، وقد يصاحِبُه إرادةُ الحاسد ذلك الخير النّسه.

هذه طبيعة المنافقين دواماً، يتخلَفُون عند المخارم، ويتهافتون عند المخانم، ويفجرون عند المخاصمة، فيتهمُونَ أهل الفضـل والبرَّ والتقـوى بما يعلَّمُـونَ بنُ أتفسهم من سيَّات.

إِنْهِم حُسُودون، ويتَهمون بالحسد الفضلاء الشرفاء الذين لا يحسُسُونُ النَّاسَ على ما آناهُمُ اللَّهُ مِنْ فضله. وهم جبناء ويتَهمون الشجسان بالجبن. وهم بُخلاء ويتَهمون الكرماء بالبخل، وهكذا.

وقد أخبرنا الرسول أن من خصال المشافق أنّه إذا خــاصم فَجَر، أي: تجــاوز في الحنصومة حدّه، فاستخدم فيها الاتهام بالباطل، والسّباب والشائم بغير الحقّ.

ويشوجه هنا سؤال: قُل كان هؤلاه المخلّفون من الاعراب يُدْرِكون حقيقة مفهومات الذين، وحقيقة كون معشد رسُول ربُّ العالمين، يَبُلُغُ عه وسالان، وَسَقيقة كون معشد رسُول الله، يَبُلُغُ عه وسالان، وَسَقيقة كون معشد من القرار الله، أو أنهم لا يفهمون من الإسلام إلا أنه دعيرةً قام بها رجلٌ عربيٌ من قُرَيش يَطْلَبُ مُلكاً، ويجمع من استطاع لمناصرته من العرب، قَهُمْ إنْ وَجَدُوهُ انتصر تَبُوه ليشاركوه في الغنائم، وإنْ لم ينتصر انقلُوه عليه وانحازوا منصّمين إلى أعدلك؟

القرآن يجيب على هذا السؤال السطوي، فَيُسْظِلُ بحرف وَيَلْ، الاحتصال الأول، ويثبت الاحتمال الثاني، فيقول تعالى:

﴿ بَلَّ كَانُواْ لَا يَمْفَعُهُونَ إِلَّا فَلِيلًا ﴿ ﴾:

أي: لا يَفْقُهُونَ من قضايا الدّين إلاّ شيشاً قَلِيلًا، لا يَكُونُ لـديهم عقيدةً صالحة، ولا إيماناً صحيحاً مقبولًا، بسبب أنهم مشركون باطناً.

أقسول:

وقد خفي في هذه الآية (١٥) على بعض أهل التأويل أنَّ النَّصُ استخدم الكلام عمّا سيقول المخلفون، وعمّا ينبغي أن يجابوا به، للدّلالة على النوجيه الزّباني لغزو جهة ما، ولمنع المخلفين عن مشاركة أهل يبعة الرضوان فيه، وللدَّلالة على أنَّ الغنائم فيه همية من الله لهم ولرسوله، وليس للمخلفين نصيب منها، وأنَّ على أنَّ الغنائم فيه همية من الله لهم ولرسوله، وليس للمخلفين نصيب منها، وأنَّ هما الكلام نفسه قد تضمّن كلام الله الذي يُحريدُ المخلفون أنَّ يُدَلُوه، فبحثوا عن نصَّ غيره، فلم يجدوا فأحالوا الأمر على وحي غير مُثْلُو، وبعضهم أحال الأمر على نص في سورة (النومة) وهو متأخر النزول عن كلَّ أحداث صلح المحديبية وغزو خير،

فالنصّ القرآني هُمَنا قد دَمْجَ عدّة بلاغات في بلاع واحد، نـَظير أن تقـول لمـن تُرِيدُ أن تُكّرِم: إذا جنت غداً لأطعمك طعاماً فاخراً فقل لفلان الطفيلي لا تُتَّهِشي.

فقد دلَّ هذا الكلام على وعد المدعوَّ، ونهي الطفيليَّ عن الحضور، مع دلالته على أنَّ الأمر قد أعدَّت المدَّة له، وأنَّ الحدث سبقع غداً حسب الوعد، ما لم يأت مائمٌ قاهر، ولا شيء في الوجود يمنع تحقيق وعد الله وخبره عمَّا سيحدث.

الخير الثالث: أنَّ حركة الفتح الإسلامي المتطلّعة شطر ممالك الأرض ودُولها العظمَى يومثل، ستتوجّه إلى قوم أولي بأس شديد بجيرشهم النظامية، وأسلحتهم وعادهم، وتدريباتهم، وأنَّ المخلّين من الأعراب عن مشاركة الرسول في عُمْرَتِه، والمُمنُّوعينَ عن مشاركة في الغزوة الفرية التي يُصيب المؤمنون فيها مضائم كثيرة، مُمنَّة عن مشاركة في الغزوة الفرية التي يُصيب المؤمنون فيها مضائم كثيرة، مُمنَّة عن مشاركة في الغزوة إلى بأس شديد، في حركة فتح داخل الجزيرة

العربية وخارجها، وأنّ هؤلاء القوم سيّتتبئون عن دفيع الجزية، وعن تأمين حركة انتشاد الدّعوة الإسلامية، وإعطاء الحريّة لشمويهم تخار من السين ما تشاء، فلا يبقى أسام الجيش الإسلامي إلاَّ أن يتاتبُلوا جُنُوش هذه الممالك وقياداتها، حُنَى يُشْلِمُوا أو تَسْتَظَيْمُوا، وسكت النّص عن ذكر احتمال هزيمة النُسْلِمِوا، وسكت النّص عن ذكر احتمال هزيمة النُسْليمِوا، وسكت النّص عن ذكر احتمال هزيمة النُسْليمِوا، وسكت النّص عن ذكر احتمال هزيمة المُسْليمِين، لأنّهم إذا الله اللهُ يُعْلَقُ الميماد. الله ي جهادهم فهم منصورون حتماً بمقتضى وغّبه الله اللهُ يُعْلَقُ الميماد.

وقىد دلّت الآية (١٦) من النصُّ على هـذ. الخبر ضِمْدناً وعن طبريق اللوازم الذهنية، لكنَّ صريح اللَّفظ فيها بشنمل على تكليف الرسول أن يقول للمخلّفين من الأعراب:

﴿ سَتُدْعَوْدَ إِنَّ فَوْمِ أُولِي بَأْسِ شَدِيدٍ نُفَيْلُونَهُمْ أَوْيُسْلِمُونَّ ﴾:

أي: ستُدعَونَ إلى بَشَال قَوْم أُولِي بِأَسِ شديد، وَسَيَرُفُضُونَ مَا يُعْرَضُ عليهم، وستُقاتلونهم إنَّ حرجتم لقنالهم مع المؤمنين، أويُشلِلمُونَ بالدخول في الإسلام، أوبالاستسلام للمؤمنين، والتخلية بينهم وبين بلادهم وشعوبهم ينشرون الإسلام، ويقيمون فيها حُكُم الله.

ويشتمل أيضاً على تكليف الرسول ﷺ أن يقول للمخلّفين من الأعراب، وهو خطاب يصلّح ترجيهه للجميع :

﴿ فَإِن تُطِيعُوا بُوْتِكُمُ أَفَدُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾:

أي: فإنْ تُبطِيعوا أَسْرَ الدَّصْوَةِ إلى قتالُ القَوْمِ المشار إليهم أُولِي الباس الشديد، فتخرجوا للفتال مع المؤمنين الصادقين، يؤتكم الله اجراً حساً مجدلًا، وأجراً حسناً مؤجّلاً إلى يوم الدين مشروطاً بصحّة إيسانكم وابتغاثكم رضوان الله والجنة، وهذا الشرط يُقلَمُ من نصوص أُنَّسَرَى كثيرة، فينبني ملاحظت هنا، وفي كُلُ نَصِّ لم يَصَرِّحُ بِه فِه.

﴿ وَإِن نَتُوَلُّواْ ﴾:

أي: وإنَّ تُدْبِرُوا وتَبَتَعِدوا ولم تستجيبوا لأمر الدعوة إلى قتالهم:

﴿ كُمَانُولَيْتُمُ مِن فَبْلُ ﴾ .

حينَ دُعِيتُمْ للخروج مع الرَّسُول. في عُمْرَته، لشدَّ أَزْره، وتقوية جيشه: ﴿ يَمُذَيْكُرُ مُذَابًا إِلَيمًا ۞ ﴾.

لأنَّ أَمْرَ الرَّسُولِ بِالخروج إلى القتال يجعل الخروج واجباً، وكذلك أَمْرُ قبائد المؤمنين وإمامهم من بعده، وإنَّ كنان هو من درن أمر القائد عَمَلاً من أعمال البرَّ التي لا تجب إلاَّ في أحوال النغير العامّ، فأمَّرُ قائد المؤمنين به يجعله فرضاً، ويشاء على ذلك يستحقُّ مخالِّفُهُ العذابُ الأليم.

واستثنى الله عزّ وجل ذوي العـاهات، فهم لا يكلّفون الخروج للقتـال، فقال تعالى :

واقتضت الحكمة البيانيّة ذكر الفاعدة الكليّة التي تندرج فيها الحالة الخاصّة التي وردت في النصّ، وفن أسلوب القرآن الذي يختم غـالبًا ببيـان الكليّات العسامة بعـد ذكر الجزئيّات التي تنـدرج فيها، لتثبيت الفواعـد الـدَّينيّـة الكليّـة في أذهـان المؤمنير، فقال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولُمُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَضْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُّ وَمَن يَسَوَلَ يُعذِيْهُ عَذَابًا آلِيمًا ۞﴾.

وانتهى النص

...

النص الحادى والثلاثون

وهو من سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١٩٢٧ نزول) والسورة (٢٦) من التنزيل المدني، مسن الآيسة (٤١) حول تكليف الرسول أن لا يحزن من أجل المنافقين الذين يسارعون في الكفر

قال الله عز وجل خطاباً لرسوله محمد ﷺ:

﴿ يَتَأَيَّكُ الرَّسُولُ لَا يَمْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَكِيعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ ۖ قَالُوا مَامَنَا بِالْوَهِمِهِ وَلَمْ تُقْدِينَ قُلُومُهُمْ . . . ۞ •

...

(1)

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش)

قرا جمهور القراء العشرة: [لاَ يُحَرُّنُكَ] من خَوْنَهُ يَخْرُنُهُ حُوْنًا. وقرأ نافع [لاَ يُعْرَنُك] من أَخَرَنَهُ يُخْرِنُهُ إِخْرَانُهُ (الرباعي).

والشراءتان بمعنى واحد، وهما لُغنان عربيتان، قـال الجوهـري: حَـزَنَـهُ: لُفَــُة قريش، وأخرَنَهُ لغةُ نميم.

الْحُمْرُنُ والْعَرَٰنُ: ضـذَ الفرح والسُّرُور، وهو غمَّ وَكُمْرُبُ يُصِيبُ النَّفس، بسبب أمْرِ مكروه.

(۲) موضوع النصّ وسبب نزوله

أخذ بعض الحزن يدبُّ إلى نفس الرسول ﷺ بسبب بعض المسلمين، وهم في الحقيقة منافقـون، إذ اكتشف من تصَرَّفَاتِهِمُّ ما يَـدُّلُّ عَلَى أَنْهُم يُسَادِعُـون مُتَوَقَّلِين في طريق الكُثُر.

فنها، الله عن أن يُشرِّئُنَهُ أَشرَّهُمْ، وإبيان لَهُ أَنَهِم ليسوا بمؤمنين حَقَّا، بـل هم منافقون، قالُوا: آمَنَا فَوَلاً بـالْوَامِهِمْ، ولِكِنْ قُلُويَهُمْ لَمْ تُـلُونِنَ، فهم لا يستحشُّرنُ أَنْ يُشرِّنُ مِنْ أَجْلِهِمْ، على تَصَوُّر أَنَهم كانوا مؤمنين وأخَـلُوا يتحوّلون إلى طريقِ الكفر، ويُسارعون فيه.

وينظهر ممّا جاء في توابع هذا النصّ من الآية وممّا بعدها أخداً من دليل الاقتران، أنَّ المشار إليهم هم من منافقي اليهود، وأنَّ الرسول اكتشف بفطته أنَّ هؤلاء المسلمين بحسب الظاهر يتصرّفون تصرفات تشافى مع صدق الإيمان بمناسبة مَشْفَم وفيه من اليهود ليحكم في المر زازيقن منهم، رجعل واصراة مُحْصَنْن، رجماه أن يحكم بخلّدهما وَفَضْجهما والشهير بهما فقط دون رجمهما، على ما اصطلحوا عليه مخالفين حكم التوراق، وقد جاء خبر هذه القصة عند المخاري وسلم وغيرهما.

روى البخاري عن عبد الله بن عمر: (أنَّ البهود جاؤوا إلى رسول الله 織 فذكُّرُوا لَهُ أنَّ رجلًا منهم والمرأة زَنيًا، فقال لَهُمْ رسول الله 線:

ومًا تَجِدُونَ في النُّورَاةِ فِي شَأْنِ الرُّجْم؟..

فقالوا: نَفْضَحُهِم ويُحْلَدُونَ.

قال عبد الله بن سلام : كذَّبْتُم، إنَّ فيها الرَّجْم .

فَأَنُوا بِالنَّوْرَاة فَنَشَرُوها، فوضعُ احدُهُم يَنهُ عَلَىٰ آيَة الرجم، فقرأ مَا قَبْلُها. وَمَا بَعْدُها.

ققال له عبد الله بن سلام: ارفَعُ يذكَ، فوفع يَذْهُ، فإذا آية الرَّجم، فقالوا: صَدْقَ يا مُحمَّدُ، فيها آيَةُ الرَّجْم، فأمَر بهما رسول الله ﷺ، فَرَّجماً. قال عبد الله بن عمر راوي الحديث: فرأيت الرجل بدني على المرأة يقيها الحجارة).

فما جاء بعد هذا النصّ في السورة يعالجُ موضوع هذه القصة كما ذكر المفسّرون.

(٣)

المفردات اللُّغوية في النصّ

﴿ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفِّرِ ﴾:

سُارِعَ بِمعنى وأَسْرَعُ مع زيادة في المعنى انتذأ من صيغة وفاعل، التي تمدّل في الأصل على المشاركة والمنافسة ، والمنافسة تكون عادة مصحوبة بمضاعفة الجهد، فإن لم تكن مشاركة ومنافسة بقيت دلالة الصيغة على زيادة بذل الجهد في السُّرعة .

والسُّرْعَةُ: ضدَّ البُّطَّءِ والسُّيْرِ الْهُوَيْنِي .

يقـال: أَشْرَعُ السَّيْسَ، وأَشْرَعُ في الشَّيْس، ويفال: سَـارَعُ إِلَى كـذَا، وسَــارَعُ في لطويق.

> فعمنى: ﴿ يُسَارِعُونَ في الكَفْرَ ﴾ يُسارعونَ السُّيْرَ في سَبُلِ الكُفْرِ. ﴿ قَالُوْآُءَ امَنَا إِنَّ فَوَهِمِيرٌ ﴾ :

أَقُواه: جَمْعٌ مَفَردُه: وقُوهُ، وهو الفم. ويقال لواسعة الفم فوهاء.

أي: قالوا: أمنا بسَمَة أقواهِمْ، ولم يقولوا ذلك بالسنتهم فقط، وفي هذا إنسارة إلى تَسَطَّيهم وَتَشَلِّقهم بادُّعاء أنهم أمنوا، وهذا من سِمَــات أصحاب الــدعاوى الكواذب، فاختيار لفظ والأفواه بــدل والألسنة، قــد دلَّ على أنهم يملؤون أفواههم يقولهم: أشًا.

(£)

مع النّص في التحليل والتدبُّر ﴿يَـٰتَأَيُّهَـَا الرَّسُولُ لَا يَحَرُّنُكَ الَّذِيرِے يُسَكرِعُونَ فِي اَلْكُفْرِ ﴾. نادى الله عزّ وجلّ النبيّ محمّداً ﷺ يوصف كونه رسولًا، إشارة إلى أنّ الرّسول مُبَلِّغٌ رسالةً ربّه، فليس من مُهمّاته في رسالته تحويلُ الناس من الكفر إلى الإيمان، أو إساكهُمْ في الإيمان ونشّهم عن أن يخرجرا منه، وعن أن يسارعوا السُّيْر في سُبُّل الكفر، حتى إذا اختار بعض قومه لنفسه أن يكفر حَـرِّن من أجله، بدافع شعورٍ خفيّ لذيّه أنّه لم يُؤدِّ واجبُهُ الكامل تحوه.

إِنَّ الرسول مِلِّمَّ فَاصِحُ أَمِينَ، وليس مُكُوماً ولا مُجْسِراً ولاَ محوَّلاً عن غير طريق إِرادة المِلِنَّعِ, المحرَّة، فالمِلِلُونَ همُّ المسؤولُونَ عن أغسهم، وقد وهيهم الله الإرادات الحرَّة ليختاروا بها في حياة الامتحان ما يشاءون لاغسهم، وطيهم بعد ذلك أن يتحمَّلوا نتائج ما اختاروا لانفسهم، ولا يتَحمُّلُ غَيْرُهُمَّ عَنْهُمْ شيئاً من المسؤولية.

وهذا أَحَدُ نداءَيْنِ نادى الله بهما النبـيّ محمّداً بقـوله لـه: ﴿يَا أَيُهَـا الرُّسُـول﴾، والنداء الاخر قول الله له في سورة (المائدة) أيضاً:

فالتداءان اللّذان نباداء الله فيهما بــوصف كون وسولاً يتعلّقان متحديد مهمّهب رسالته، وإيقافه عند حدودها، ومِنْ تَجازَز حُــدُودِ الرّسالة أن يُحْرَن من أجل الــفين يُسَارعون في الكُفر، وهُمْ في باطن الأمر منافقون:

﴿ قَالُوٓا مَامَنَّا بِأَفْرَهِهِ *):

أي: مَلُوُّوا أَفُواهُهُم بِكُلِّمَة وَأَمَنَّاء تَنَظُّعاً وَتَشَدُّقاً.

﴿ وَلَدْ ثُوَّمِن فَلُوبُهُمْ ﴾.

مع أنَّ المطلوبُ الأوَّلُ فِي الدُّينِ أَنَّ يُؤْمِنَ أَلقلُبُ، فَمَنَّ لَم يؤمِنُ قَلْبُهُ لَم يَصِحُّ من إسلامه ولا من غَلِه شيءً، وهمو من الكافرين، واللَّهُ لاَ يَهِدَي بـالجَّرِ القَّدَةُ الكافرين، لأنَّ المطلوب أن يؤمنوا باعتيارهم، ولا يُحُكُمُ بالهدابة للقُوم الكافرين، لأنَّه لا يحكُمُ ولا يقضي إلاَّ بالحقُّ والعلن

النص الثاني والثلاثون

وهو من سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٣ نزول) أيضاً «السورة (٢٦) مـن الشنزيل المدني؛ الإيسات مــن (٥١ – ٥٣)

> حول اتخاذ الذين في قلوبهم مرض من النفاق اليهود والنصارى أولياء

> > قال الله عزّ وجلّ:

﴿ يَتَابُّ الْذِينَ اسْمُوا التَّغِيدُ الْهُودَ وَالشَّدَى الْوَلَا اَسْمُومُ الْوَلِدَ بِعَنِينَ وَمَ يَعَكُم يَتَكُمْ وَإِنَّهُ يِنْهُمُ إِنَّ اللّهَ لاَيْهَ فِي الْقَوْمَ الطَّلِينِ فِي قَرْى الَّذِينِ فَلُويهِم مُرَّفَّ يَسْمُونَ فِيهَ يُولُونَ تَغَنِينَ انْ ثَهِيبَ الرَّهُ قَمْسَى القَهْ الرَّيْنَ الْفَتْحِ اللَّهِ فِي مَنْفِيكُونَ الْفَتِي الْمُوالِقِينَ فَلِينَا اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

(1)

ما في النص من القراءات المتواترة (من الفرش)

في الآية (٢٥):

(١) قرأ جمهور القراء العشرة: [پُسَارعُونَ فِيهمْ] بكسر هاء الضمير.

وقرأ يعقُوب: [يُسَارِعُونَ فِيهُمْ] بضمَّ هاء الضمير.

والقراءتان لغتان عربيتان في هاء الضمير.

في الأية (٩٥):

(١) قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف): [وَيَشُولُ اللَّذِينَ آمنوا]
 بإثبات حرف العظف (الواق ورفع لام ويقُولُه.

وقرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب): [وَيَقُولُ] بِالنّبات حرف العطف، ونَصْبِ لام ويَقُولُه.

وقرأ نافع وأبو جعفر (المدنيان) وابن كثير (المكي) وأبن عامر (الشــامي) [يَقُولُ] بدون حرف العطف الواو، وبرفع لام ويُقُولُه.

فَالرَّفَعِ عَنْدُ مِنْ قَرَا [وَيَقُولُ لَي يُقُولُ] وجُهُهُ الاستثناف في الجملة، فَالفَعَلُ المضارع في الاستثناف يُرْفَعُ، أو الجملة معطوفة على جملة: [فَعَسَى الله أَنْ].

والنصُّبُ عند مَنْ قرا [وَيَقُولَ] مع البات حرف العطف، وجُهُهُ أنَّ الفعل معطوف على الفعل المنصوب في الآية السابقة وهو [فَيْصَبِحُوا].

وبين الغراءتين نكامل في الأداء البياني، فالاستثناف لا يقتضي ترتيب هذا القول على مجيء الفتح أو أمر من عند الله، وهذا يكون لدى المؤمنين الذين لهم معرفة بالمنافقين، والنصُّ يقتضي هذا الترتيب، وهو يكون لدى المؤمنين الذين لا يكشفون نفاق هؤلاء المنافقين إلاّ بعد مجيء الفتح أو الرّ من عند الله.

واثبيات واو العطف وحمدُ فَهَا وجهيان أيضاً من الأداء البياني في حالة الرفيع، فإثبات الواو وجُهُهُ أنَّ جملة [وَيُقُولُ] سيائفة، أو معطوفة على جملة وَنَعَسَى اللَّهُ أَنَّ] في الآيية السابقة، وحذف الـواو وجهه أن الجملة مشتائفة وهي واقعة جوابُ سؤالر مُقْلُو ذِهُنَا، وهو: ومَلَّدًا يقول الذِينَ آمَنُوا حِينَادِ؟ الجواب: [يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهُولُا؟ الذِّينَ أَفْسَنُوا بِاللَّهِ جَهُلَة أَيْمَانِهِمْ إَنَّهُم لَمَكَمَّ؟!!] على وجه الاستفهام التحجُّبي من النَّيْنَ بين قولهمُ وحقيقة أمرهم. **(**Y)

موضوع النصّ وسبب تزوله

يحدِّر الله الذين آمنوا بالنَّهي المشـَدُد عن أن يَتَخذوا الهجرة والتصارى أوليـاه، يُحالِّفُونهم، ويتاصرونهم، ويَسَطِّلِمُونهم على أصرار المسلمين، ويستَّتَجرون بهم ضـدَّ إخوانهم المؤمنين، ويُداخلونهم ويخالفُونهم، إلى غير ذلك ممّا يـدخـل في معنى الموالات.

وقد جاء هذا التحذير بمناسبة وجود فريق ضمن صفوف المؤمنين هم منافقون يوالون الكافرين سِراً بكل جراة وتصميم، وفريق آخر في قلويهم مرضٌ من الشُك والريب وضعف الإيمان يُسترعون مشياً في طريق موالاة الكافرين، وباعث ذلك في نقوسهم تحوُّقُهُمُّ مِن أَنَّ تدور الدائرة ضدّ السلمين، فيُصيهم بذلك ما يُحرِّمُون من أصداء الإسلام والمسلمين، فيُسترعون إلى عقد صفقاتٍ ولاءٍ في السَّرَّ مع الهود والتصاري، لعما الهام.

يقولون هذا الكلام في أنفسهم سِرًاً، ولا يُصَرِّحـون به أسام المؤمنين الصادقين، ولم يبلُفُوا أن يكونوا منافقين كاملي النقاق.

وقد جاء في هذا النص كشفُ لحال هذا الفريق المستخفي بما يُحدَّث به نفسه، وبما يحاول أن يُعقِده من صفقات ولاءٍ مع النصارى أو اليهود.

والعدّة الزمنية التي نزلت فيها سورة (العائدة) تقع في اواخر العهد العدني، بعد الانتصارات التي تحققت للرسول والمؤمنين في جزيرة العرب، وبداية التوجُّمه لفتح المبلدان خارجها، بدءاً بتصارى العرب جهة تبوك.

وتوجّس الذين في فلوبهم مرض من تعرّض المسلمين لحرّب جيوش لا قِبَلَ لَهُمْ بها تأتي من جهة البلاد الواقعة تحت حكم القياصرة الرّوم.

فترول سورة (المائدة) قمد كان في الضالب بعد السنة الثامنة من الهجرة، وقمد اختلفت السروابات في الممدّة الني نـزلت فيهـا، ولكنّ معـظمهـا بـدور حــول الستين الأخيرتين من حياة الرسول ﷺ.

﴿ فَيُصِّيحُوا عَلَىٰ مَاۤ أَسَرُّوا فِيٓ أَنفُسِهِمَّ نَدِمِينَ ۞﴾.

لأنَّ ما كان من عبد الله بن أُبَيَّ بن سلول قد كـان أمـراْ قـد صـرَّح بـه علمنـاً، ولَمْ يَكُنْ أَمْراً مُكتوماً في سِرَّة، وهو معروف النفاق، ومعلومٌ ولاؤه لليهود.

وكذلك ما ذُكِرْ من أنها نَزْلَتْ في أبي لَبَابَة وساكان منهُ في حصار بني قريظة عقب غَزْوةِ الخندق، وذلك لأن الذي حصل منه لم يكن نضاقاً، ولا قريباً من النضاق، ولكن أخذته الرقة على النساء والأطفال من بني قريظة، فلمنا استشاره فيما سيقعل الرسول بهم إذا نَزْلُوا على حُكْمِه أشارْ بيده إلى حُلْه، وأدرك عيانته فوراً، ورجع نادماً تائباً وربط نفسه إلى سارية في المسجد، حَثَّى تاب اللهُ عليه.

ولكن قد كان ضمن صفوف المسلمين منافقون، وكان فيهم الذين في قلوبهم مرضً دون النفاق من الشك وضعف الإيمان، وقد ظهر الفريقان في غزوة بيوك، التي خرج إليها الرسول بالمسلمين في شهر رجب من سنة تسع للهجرة، وعقب غزوة تبوك، وما كان من أمر مسجد الفرار الذي اعده المنافقون بالاتفاق مع النصرائي المخزوجي أبي عامر الذي كان يقال له أبو عامر الراهب، وأطلق عليه المسلمون اسم أبي عامر الفاسق في غزوة أحد، وانتهى به الأمر إلى قيصر الروم، واستنصره على النبي على فوغة وشأه، وأقام عندة، وكتب إلى جماعته من قومه من أهل الريب والنفاق يعدُهم ويُمنيهم أنّه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله الله ويغلبه ويرقد عمنا هو فه، وأمرهم أنَّ يتخذُوا له مُقبلاً يقدم عليهم فيه من يأتي من تبله، فأقاموا مسجد الضرًار مجاوراً لمسجد تُباء، حتى أمر الرسول بهدمه عقب خروجه إلى غزوة تبوك، ونزول الرحى عليه بغرض المنافقين من بنائه.

وليس من الضروري فيما أرى ذكُّـرُ أسماءٍ بـأعيانهم، أوحــادثةٍ معيَّنـة، في بيان

حول انخاذ الذين في قلوبهم مرض من النفاق اليهود والنصاري أولياء

سبب نُزول النَّصَ، ولا سيما قند جاء فينه بيان أنَّ النذين في قلويهم مرضَّ لَمُّ يُصَرَّحُوا بما أسرُّوا في انفسهم.

وائلة أعلم.

(٣)
 المفردات اللَّغوية في النَّص

﴿ لَا نَشَّخِذُواْ ﴾ :

أي: لاَ تُجْعَلُوا، وهذا من النوسع في استعمال فعل واتَخذه بمعنى فعـل وجعل. لذلك فهو ينصبُ مفعولين، فقـال تعالى: ﴿لاَ تُتَجَدُوا اليهودُ والنَّصارَىُ أُولياتُهِ.

﴿ أَوْلِيَّاةً ﴾ :

أي: قموماً تتبـادلون معهم النـوادّ، والنماونُ، والنـواعد على التنـاصـر والتـأبيــد والإمداد بالأخبار وبالقوى، أو ببعض ذلك.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّمُ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ ﴾:

لي: ومن يجَعَلُ لنفسه منهم أولياء فإنه يكون منهم في أَسْطِياق الأحكام الإداريّة عليه، كما تنطيق عليهم، فيُعاقبُ من قبل الجهات الإداريّة للأمّة الإسلاميّة كما يُساقبُ الواجدُ منهم، فيؤخذ بخيانة التجسُس، ويعامل معاملة العددُ المحارب إذا كأنوا أعمداء محاربين، وتُحجَبُ عنه امتيازات المسلم الأمين داخل المجتمع الإسلامي، إلى غير ذلك من أمور تراما الجهات الإدارية للأمّة الإسلامية.

﴿ فَتَرَّى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضَّ ﴾ :

هو مَرْضُ دون النفاق، كالشكّ والشبُهات القريّة وضعف الإيمان، وغلّبَة الأهــواء والشهوات.

﴿ يُسَرِّعُونَ فِيهُمْ ﴾:

سبق شرح هذا الاستعمال في النص السابق (٣١).

﴿ يَقُولُونَ نَغُشَىٰ أَن تُعِيبَا دَآيِرَةً ﴾:

الدائرة في الأمسل ما أحناط بالشيء مستديراً حوله. واستعمل العرب الدائرة بمعنى الداهية التي تناتي بالتسرّ والسّوء، لأنّها تحيط بعن نزلت به، وتناتي بمعنى الهنزيمة، يقولون: دارت على القوم الدائرة في الحرب، أي: غُلِبُوا وانتصر عليهم عـلُدّهم، ويقولون: دارت عليهم الـدواتـر، أي: نزلت بهم الــدواهي والمصائب والنكبات.

﴿ أَفْسَمُوا بِأَقَّهِ جَهْدَ أَيْمَنْ بِمِّ ﴾:

أي: أقسموا بالله قَسَماً موصوفاً بكونه غاية ما لديهم من أيسان مؤكّدة مشــُدة. جُهِّدُ الشيء في اللّغة يأتي بمعنى نهايت وغايت، وبمعنى وُسُّبه وطالت، ويأتي الْجَهُلُّ بمعنى المشقة.

﴿ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ ﴾:

أي: بَطَلَتُ أَصالُهم، وكلَّ عملِ لا يُحقَّق الشاية منه فقد خَبِطً، أي: بطل. ويقالُ: اخْبِط الله اصالهم، أي: البَّطْلها. ويُقال: خَبِفُ مَاءُ البِّنْبِ، إذَا ذَمَبَ دَمَاباً كَلِيًّا لا يُرجَىٰ ممه أن يعود.

. .

مع النصّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عز وجل:

﴿ يَا يُبَا الَّذِنَ مَمَنُوا لَا نَتَخِذُوا النَّهُودَ وَالفَصَرَى الزِلَّةَ يَسْفُهُمُ أَوْلِنَا، بَعَضُ وَمَن يَتَوَلَّمُ يَسَكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّالُهُ لَا يُعْرِى الغَوْمَ الطّلِينِ ﴿ إِنَّهُ مِنْ الْرَافَةُ بِعَلْمُ الْمُ

لمَّا ضَمَّف مشركو العرب وتعطّمت مراكز قواهم وأخلت القبائل العربية تدخل في دين الله أقواجاً، بدأت نفوس الذين في قلويهم مرضًّ من الشبكُ وضعف الإيمان. تشريَّحهُ شُمُطَرِّ موالاًة بعض اليهود الدين لهم صلات خارج حدود مواطن السلطة الإمسلامية، وشــطر موالاة النصــارى الذين لهم ملك عــربـيُّ عند الغسّــانيّين، مــدعــوم بأمبراطورية عظيمة هي دولة الروم، إضافة إلى المنافقين الضلبعين في الكفر والنفاق.

وتمهيداً ليبان حال الموالين للكافرين من الفريقين، حقّرا لله الدنين آمتُوا مِنْ أَنْ يَتَخذُوا الْيَهُودُ والنصارى أولياء، يُوادُونَهم، ويتماونون معهم، وينصرونهم ويستنصرون يهم، ويُعَلِّفُونَهُمْ عَلَى أسرارهم، لأن ذلك يُهِيرٌ بمصلَّحة الأمّة الإسلامية، فناداهم الله بأداة نداء البعيد، ويوصف كونهم مؤمنين ليبان الاهتمام، وللإشعار بأنَّ اتّخذهم اليهود والنصارى أولياء، يخالف مقتضى الإيمان، الذي يوجب طاعة الله في أوامره ونواهيه.

والتكليفُ بالأمر أو النهي حين يُوجُهُ لجماعة ذاتِ وصفِ خاصَ باعتبـار اتصافهـا بذلك الوصف، فإنه يشملُ كل فردٍ مُنتّم لهذه الجماعة، ولو كان انتماؤه لها كلذباً.

فالنداء بقوله تعالى :

﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ مَا مَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيُهُودَ وَالنَّصَدَرَىَّ أَوْلِيَّاةً ﴾ .

يتصَمَّن تكليفاً لجميع الذين يُدُعُونَ أَيُهم مؤمنون، فمن خالف منهم ولو كان في الحقيقة منافضاً غُيِّرٌ مُؤمن أُجْرِيَت عليه في الـدنيا أحكام الْمُصَاةِ المخالفين، أمّا في الأخرة فهو فيها يعانبُ على نفاقه وكفره.

ومُّه خطابُ الله الملائكة بالسُّجود لأم فقد شمَل مَنْ كَانَ ضِمَّنَهُمْ مُُّتَحياً الِيهم نضافًا، ولـذَٰلِكُ حَكَمَ اللَّهُ على إيليس بالمعصية والسَّلَّرَه، والخلود في العذاب بسبب عناده وكُفُّره، ولو لم نُفَدَّرُ أنَّ الخطاب قد كان في الأصل للملائكة ولِمَنْ كان معهم من المِحَّرَ، فقد كان في صفوف الملائكة مُنْافقاً مُنْدَثًا، وكان من الكافرين.

بعد هذا التكليف الرَّيَّاتِي لَلَّذِين آمنوا أبان الله تصافَى أنَّ الهود والنصارى من صفاتهم أن يتوفِّى بعضُّهُمْ بِغُضاً، لأنهم حرَّفُوا دِينَ الله، وأنْحَرَفُوا مِن صراطـه المستقيم، فقد يتوفّى الهوديّ التصارى ضدّ اليهود، وقد يتوفّى النصراني اليهودُ ضدَّ التصارى، لأنّهم لادين لهم، لا هؤلاء ولا هؤلاء، فقال تمالى:

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَّاهُ بَعْضِيٌّ ﴾ .

هذه العبارة تنطبق على موالاة النصاري للنصاري، وموالاة اليهود لليهود، وتنطبق

أيضاً على موالاة اليهود للنصارى وموالاة النّصارى لليهـود، لأنّها لا تبيّن حكماً دينيًّا، إنّما تصف واقعاً.

ولست أرى أن نستخرج منها أحكاماً شرعيّة تتعلّق بالبهرد والنصارى فيما ينهم، إنّ أحكام الشريعة الإسلامية هي لمن آمن بها، لا لمن كفر بها، وغير المسلمين يتحاكمون فيها ينّهُمْ بأحكامهم الطافوتية.

فالحكم بالتوارث فيما بينهم أوعدم التوارث لا عــلاقة لشــريعة الإســـلام به فيمــا ظهر لي، واللهُ أعلم.

أمّا موالاة اليهود للتصارى وموالاة التصارى لليهود ضدّ الأمّة الإسلامية، وضدّ كثير من شعوب الأرض، فقد برزّت في عصرنا الحاضر بشكّل قوي جددًا، والأمّة الإسلامية تُعاني منه عناءً مُزاً، ويشتركُ الفريقان في خطط المكر والكيد ضدّ شعوب الأمّة الإسلامية، وفي الأعمال التنفيذية ليضاً، على الرغم من العداء الشديد الذي يحمله كُلُّ فريق منهما للآخر، ولا سبما عداءً اليهود للنصارى، مع أنّهم يسخرونهم في كلَّ الأرض لتحقيق مخطّطاتهم اليهودية الرامية للسيطرة التأمّ على الشعوب النصرائية ودُولها، قبل السيطرة على الشعوب الأخرى.

وبعد هذا البيان للواقع وجُّه الله التحذير الشديد للمؤمنين، فقال تعالى لهم:

﴿ وَمَن يَتُولُكُمْ قِنكُمْ فَإِنَّهُمِ مُهُ *

أي: ومن يتول اليهود والنصارى كُلهم أو بعضهم مجتمعين أو مفترقين موالاة تعاون وتناصر ضدّ شيء من مصالح المسلمين الدينية أو الدنيوية مئن هو منكم ولو بالانتماء الظاهر إليكم و فإنَّه في خُكم الله مِنْهم، تُجْرَىٰ عليه الأحكام الإدارية التي تُجْرَىٰ عليهم حَنى أقضى العقوبات، ومنها اجتماع المسلمين لقتال المسوالين، ولو لم يكفرُوا بالإسلام، وكانت موالاتُهم للكافرين من قبيل سقوط السامي في المعصية اتباعاً لأهواله ومصالحه من دنياه، ورخبة في السلطان والعلَّو في الأرض، الآن المعصبة في هذه الموالاة معصيةً من درجة الخيانة العظمى لللائمة الإسلاميّة، فيمائل الموالون لليهود والتصارى معاملةً أوليائهم في القضايا الإداريّة، ولا تكونُ غالباً هذه الموالون لليهود والتصارى معاملةً أوليائهم في القضايا الإداريّة، ولا تكونُ غالباً هذه المعوالاة موالاةً كـاملةً إلاّ ممَّنْ هُمْ كـافـرون حقيقـةً فهم منهم كفـراً وخـروجـاً عن ملّة الإسلام.

أنما موالاة غير اليهود والنصارى من الكافرين فهي أنشأ جُرمًا، وأعظم أنمًا، ويُطَلِّقُ هذا الحكم عَلَىٰ من يـواليهم من بـاب أولى، لأنَّ النصارى واليهــود هم أمَّــلُ كتاب ريَّانيَّ بوجه عامً، وإنَّ كانوا قد حرُفُوا ويَذَلُوا وغَيْروا ما أُنْــزِلُ إليهم، ففِكُرُ اليهود والنصارى يُثْنِي عن ذكر سائر الكافرين.

بعد هذا البيان وصف الله الذين يُوالُون الكافرين بأنهم ظالمون، ولكنُ جاه هـذا الـوصف من خلال دلالةٍ بأسلوبِ الكنماية، دلَّتْ عليها جملة مستأنفة، واقعةً سوقـم التعليل للحكم السابق، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ آلَفَهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّوْلِدِينَ ۞ ﴾:

أي: حَكَمَ الله على الذين بُوالدن الْكَافرين بَان يُساملوا إدارياً مِنْ قبل الدُوْلَة الإسلامية الرئيدة مُعَامَلة الكافرين، لائهم ارتكبُوا ظُلُماً هو من أَقْبح دوكات الطُّلُم وأَخْتُها، فاستحقُّوا أنْ يُبْرُؤا ويُسْرُؤا دون سائر من يظلم نفسه من المسلمين بائهم الْقَوْم الظالمين، بأن يتجاوز عن القَوْم الظالمين، بأن يتجاوز عن فُلُمهم الشنيع، ولا يُسْبِل فيهم المحكمة الذي يستحشُّريه، والذي يحمي به الأسّة الإسلامية من أمدائها، ولولا هذه الإحكام المشدُّدة لإنقطع نظام الأمّة الإسلامية، وأتشَّر عِقْدُها، فأشرُ موالاة أعداء الأمة الإسلامية من الامور الخطيرة جداً، التي إنْ لم تكن دالله على الكفر الحقيقي، فهي ذاتُ عَشُوية في الدنيا تُشْبِه حَقُونة الرُفّة عن الإسلام.

وهكذا أبانت هذه الآية من النصّ فريقَ المؤمنين الصادقين، وفريق الذين يوالون الكافرين حتّى أحطّ دركات الموالاة، ويقي الذين هم بين الفريقين.

غول الله عزّ وجل:

﴿ فَفَى الَّذِينَ فِي قَالُومِهِم مَّرَضٌ يُسُوعُونَ فِيهُ يَقُولُونَ فَخَمَّى اَنْ شُعِيبَنَا دَايَرَةٌ فَسَى اللهُ اَن يَأِي الْفَتِحَ النَّامِ وَمُعِدِدِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا السَّرُوا فِي الشَّبِهِمْ تَلويونَ ﴿ وَيُعُولُ الْذِينَ ، مَسْتُوا اَهُوْلَاهِ اللَّذِينَ أَنْسُمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ لَيَسْنِهِمْ إِنَّهُمْ تَسْتَكُمْ حَيطَتْ أَصْنَاهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ۞ .

يوجد فريق ثالث وهم الذين في قلوبهم مرضّ لم يبلغ مبلغ النصاق المميت لها، لأنّ المتافق كافرٌ في الباطن فهو لا حياة لقلبه، بمفتضى المفهومات الفرآنية، فالذين في قلوبهم مرّضٌ هُمُّ أهمل الشّـكُ والرّيب، وضعفساءُ الإيسان، وشُـوزُلَّهُمْ في مراتب المسلمين بين المؤمنين الصادقين، وبين المنافقين الذين استقرّوا في النصاق، وهم في الكفر المكتوم مُقهمون.

قولَهُ تعالى :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَدِعُوكَ فِيهِم ﴾.

أي: فَيَعْدَ النَّهِي المَشْدُهِ عَن اتَنخاذ الْمَهُرِدِ والنصارى الرَّايَّاء ، تَرَى أَيُّهَا الباجثُ المتفَّكُرُ فريقُ الذينَ في قلويهم مُوضُ الشَّكَ والرَّيْب وضَعْفِ الإيمان يُسْتَذَيُّونَ إلى مُوالاً اليهود والنصارى، فَيُسَارِعُونَ المشيّ في مُصَافَقَهم، وإحداث العلاقات معهم، وتعافّر، الزيازاتِ واللّقاءات والمعاملات، حتى دركةٍ عَشْدِ صفقات تَبَاذُلِر تناصُّرٍ وتعاون، قد تفضي في نهاية المسيرة المتسارعة إلى اتخاذهم أولياء.

فإذا نُشَمَرُوا بوخز الضمير ممّا يفعلون، طَرَخُوا على أنفسهم السؤال التالي: اليس سا نفعَلُهُ من الكيائسر ونَحْنُ مُسْلِيمُون، وقعد نهى اللّهُ نَهَياً مُسْدَداً عن اتّحاذ الكياضرين إولياء؟

ويجد الشيطانُ سبيلاً إلى نفوسهم، تُبَسُولُ لَهُمُ أَنُّ المسلمين لا يَفُوزُن على مُواجَهة جُوش النصارى ومكّر اليهود في الأرض، والنُسلمُون مترجَهونُ لحرب الرّوم وفتح فارس، فإذًا لم تُصانِع اليهود والنصارى دارت الدائرة المهلكة عليَّنا، فَكِيَّنَا في انفسنا وَأَملينا وأموالنا، مع سائر المسلمين، فيقولون في أنفسهم قولاً يجمل لهم عُذراً فيما يَعْطون، عَبْرَ عنه الله عزّ وجلّ يقوله:

﴿ يَقُولُونَ غَخَّشَيَّ أَن تُصِيبَنَا دَآبِرَةً ﴾:

أي: نخشى أن تُعِيبِنَا دَاهِيةٌ بِشَرٌّ وَسُوءٍ تُعيطُ بِنا من كلُّ جانب، فلا نَجِدُ

لأَنفُسنا نجاةً مِنْها، فإذا كانت لنا يَدُ مصانَعَةٍ مع اليهود والنصاري النَّكَنَ أنْ نجدُ لأنفَسنا وأهلينا وأموالنا مخارج سلامة.

وقد أجابَهُمُ اللَّهُ عَزُّ وجَلُّ عمًّا يَقُولُونَ في أنفسهم.

﴿ يَقُولُونَ نَغَثَمَ إِنْ تُصِيبَنَا دَايَرِةً فَمَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيهُ الْفَتْحِ ٱوَٱلْمِ يَنْ عِندِو. فَيُصْبِحُوا عَلَ مَا آسَرُوا فِي الْفُصِيمَ تَادِيرِي ﴾ ﴿ :

لى: فَهِنَ السَرِجُولَ أَنْ يَاتِيَ اللَّهُ بِالْفَضِّحِ لِللَّاصَةِ الإسلامِيَّة في انتصارات متلاحقات، أو أَنْ يَاتِي باسر آخر من صنعه يُحقَقُ به وضَّفَهُ لرسولهِ والسؤومين، كالآثر الذي حصل للتنار إذْ فنجوا بـلاد المسلمين بالقوّة المسكويَّة الغالبة، فَـذَخُلُوا في الإسلام إعجاباً به.

فــإذا وهـب الله المــــلمين الفتح العبين، أصبح الذين في قلوبهم مـرض نـــاهمين على ماكانوا قد أسُرُوا في نفوسهم، إذْ فَالُوا: نخشَى أنْ تُصِيبنا دائرة.

﴿نَدِمِينَ ﴾:

أي: كارهين ما كان منهم فيما سبق، مُتَمَنَّين لو لم يكن قد حصـل، وهذا دليـل على أن موض قلوبهم لم يكن من دركة النفاق.

وحين يكتشف الـذين آمنــوا حــال هؤلاء الـذين في قلوبهم مُـرَضُ. وكَــانُــوا قــدُّ أَقْسُمُوا من قبل بأيمان هي غاية ما لديهم من أيمان يحلِقُونها، مؤكّدِينَ بِها أنّهم مؤمنون مع المؤمنين الصادقين فإنّهم يقولون متعجّبين:

يا عَجِياً أَمْؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا جَهُلَة الْيَعَانِهِمْ: أَنَّهُمْ لَمَنكُمْ، وفي بيان هذه المقولة التعجيئة التي يقولها الذينَ انشُوا حين اكتشافهم حال الذين في قلوبهم صرض وكاسوا يظُنُّرُنهم صادقين في إيمانهم حقًا، قال الله عزّ وجل:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ مَامَنُوا أَهُولاتُم الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِيمٌ إِنَّهُمْ تَعَكُّمُ ﴾.

بعد هذا أبان الله عزّ رجَل أنّ هؤلاء الّذِين في قلوبهم صَرضٌ من الرّيب والشّلك وضغف الإيمان، الذّين لم يُصِلُوا إلى دوكة العاظفين، يمناقيرن على مُسارَعَتِهم في طُرِّق مُضانعة الكافرين بإيطال أعمالهم التي عبلُوهما من الاعمال الإسلاميّة الّتي لم يَشْمُلُوهَا نفاتَهُا، وإنَّمَا عَبِلُوهَا مع الشَّكُ والرَّيبِ وضَعْفِ الإيسان، ضمن احتمال كون الإسلام حقًا وصدفًا، وضمن احتمال صدْقي الوعمود التي جاءت في الضرآن وفي أقوال الرسول ﷺ، فقال الله عزّ وجزً :

﴿ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿ ﴾:

أي: بطلت صالحات أعمالهم الإسلامية بسبب شُكهم ومصانعتهم الكافرين، وعلم قبانهم في موقف الإيمان الصحيح، ويقد اللّبل الذي كانوا فيه من ظُلماتِ الشُكُوك والشُّهاب وصفف الإيمان يَجدُونَ الْفُسَهُمْ في صَبَاح الحقيق الّتي يكتَشِفونها خَليوينَ أعمالهُمْ، وأزمانهم الّتي أشْضَوْها في الباطل، وأعمارهم وطاقاتهم التي ضيَّوها فيما لا خير فيه.

النص الثالث والثلاثون

وهو من سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٣ نزول) أيضاً «السورة (٢٦) من التنزيل المدني: الآيــات مــن (٥٧ ــ ٦٣) بشأن المنافقين من اليهود الذين دخلوا في الإسلام منافقين مكراً وكيداً

قال الله عز وجل:

﴿ يَكُمُّ اللَّهُ مَا سَمُوالاَ تَشَيْدُوا الْيَمَا لَمُنْوَا مِنكُومُ وَاوَلِهَا مَنَ الْوَبِ أَوْمُوا الْكِسَب مِن مَلِكُمُّ وَالمَعْلَمُ وَالْمَعْلَمُ وَالْمَوْلِهِ مَنْ الْوَبِ أَنْهُمُ وَالمَعْلَمُ وَالْمَوْلِهِ مِنْ الْوَبِ الْمَائِلُونِ مِنْ الْمَوْلِهِ الْمَائِونَ الْمُنْوَا الْمَلْكِمُ وَمَنْ مَنْ الْمَائِلُونَ الْمَائِلُونِ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ اللَّهِ مَنْ الْمَلْكُونِ اللَّهُ مِنْ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللْمُنْ اللَّهُ مِنْ الْمُولِيِنِي الْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْم

(1)

ما في النصّ من القراءات المتواترة (من الفرش وبعض الأداء)

في الآية (٥٧):

 (١) قَرأ حفص عن عاصم: [هُزُوأً] بإبـدال همزة (هُزُواً، واواً مع ضم الـزاي وصالاً ووقفاً.

وقرأ حمزة: [هُـزْمُ] بالهمىزة مع إسكـان الزاي وصلًا فقط، ويقف عليها بنقـل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وبإبدال الهمزة واواً على الرسم.

وقرأ خلف العاشر: [مُمَّزُّءًا] بالهمزة مع إسكان الزاي وصلًا ووقفاً.

وقرأ باقي الغراء العشرة: [هَزُءاً] بالهمزة مع ضمّ الزاي وصلًا ووقفاً.

وهذه وجوه من الأداء في نُطْق الكلمة ضمن اللَّهجات العربية.

 (٢) قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: [والكَمَّار] بالجرّ عطفاً على الموصول في قوله تمالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابُ مَن تَبْلِكُمْ].

وقرأ باقي القرّاء العشرة: [وَالكُفَّارَ] بالنصب، عطفاً على المموصول في قموله تعالى : [لاَ تُتَخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا وَينَكُمْ هُزُواْ وَلِيبًا].

وفي الفراءتين تكاسل فكري، وذلك لأنّ من الكفار من غير أهمل الكتباب من أتخذوا دين الإسلام لقواً ولبجاً، ومنهم من لم يفعل ذلك، وكملٌ من الفريقين لا يجوز للمؤمنين أن يتَخِذُوا مُنهم أولياه.

في الآية (٨٥):

توجد في كلمة [هُزُواً] القراءات التي سبق بيانها في نظيرتها من الآية (٥٧).

ه في الأية (١٠٠):

(١) قرأ جمهور الفرّاء العشرة: [وَعَبْدُ الطَّاضِونَ] بفتح الباء والدال من [غبـدُ]
 ونصب [الطاغوت] على أنْ وغبْدُه فعل ماض.

وقراً حمزة فقط [وَعُبُدُ الطَّاغُوتِ] بضَمَّ البناء وفتح الـدال من [عُبُدً] وجَرُ [الطاغوتِ]. قال الأوهري: والمعنى فيما يقال: وخادِم الطَّاغوتِ.

أقبول:

واسَّمُ الجنس إذا أضيف يعَمُّ، فالمعنَىٰ: وعُبَّادَ الطاغوت.

وبين الفراءتين تكـامـلُ في الأداء البيـاني، فـالـذين عَبـدُوا الـطاغــوت، أي: الطواغيت، يكونُون عُبُّاداً وُخُدُّاماً للطُواغيت.

* في الآية (٦٢) والآية (٦٣):

(١) قرأ نافع، وابنُ عاصر، وعاصم، وحمزة، وخلف: [السُّحَتْ] ببإسكمانِ
 الحاء.

وقـرأ ابن كثير، وأبـو عمـرو، والكسـائي، وأبو جعفـر، ويعفوب [السُّحُتَ] بضمْ الحاء. والقراءان وجهان عربيان لنطق الكلمة.

(٢) للقرَّاء في: [قُولِهم] وفي [أكْلِهمْ] وجوء من الأداء:

نقرأ أبو عمرو ويعقوب بكسر الهاء والسيم وصلاً. وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بفسم الهاء والعيم وصلاً، وقرأ باني القراء العشرة، بكسر الهاء وضمّ العيم وضلاً، أما في الوقف فكلهم يكسرون الهاء ويسكنون العيم.

...

موضوع النص وسبب نزوله

يشنط هذا النص على نهي الله عزّ وجلّ الدين آمُوا عن اتخاذ أولياء من أهل الكتاب، الكتاب (والسياق بتحدّث عن اليهود) أو من الكفّار الأخرين من غير أهل الكتاب، كانها من صفاتهم أنهم اتخذوا دين الإسلام شيئاً يستهذأ به، ولُعبَة بُلُعبُ بها، كانه خرافة من الخرافات، وأمَرُ لا يشتمل على حقالتي، حتى يتعاملوا معه بطريقة جادة، مع أنّه دين الله المؤلد بالمعجزات الباهرات، والمشتملُ على الحقائق الجليّات، واليوامين الدامفة.

ولمّا كان الدخول في الإسلام نفاقاً هو من الاستهزاء واللّعب بدين الله ، وكان من اليهدود من دخلوا في الإسلام نفاقاً، وما زالرا يكيدون الإسلام وهم بين صفوف المسلمين، وقلويهم قلوبٌ يهودية، وجدنا هذا النصّ يكشف هذه الخيانة من خياناتهم باعتبارهم من أهل الكتاب المعتين في النصّ، ويحدَّز المؤمنين من أن يتخذوا منهم أولياء، باعتبارهم من اليهود باطناً وإن كانوا مسلمين في الظاهر، فأمارات نضاقهم تدلُّ على حقيقتهم.

أما سبب الزول فلم أُجِدُ في العرويات الّتي لم تَبْلُغُ مِلْغ الصحيح ما يصلُح أن يكون سبأ ظاهراً هباشراً لنزول هذا النص أو شيء صنه ، وذلك لأن اليهود الظاهرين لم يبق لهم وجودُ يكون مشكلة واضحة من بعد إجلاء اليهود عن المدينة والتخلص من بني قريظة ، وسقوط خبير في أوائل سنة سبع للهجرة ، وسورة (المائدة) قد نزلت بعد السنة الثامنة للهجرة خالباً، لكنّ القرآن استمرُّ يحدَّر المؤمنين من مكايد اليهود وسائر أهل الكتاب ، نظراً إلى أنهم ستكون لهم معهم مستغبلاً علاقات كثيرة حربية وسلمية ، فيجب عليهم أن يلتزموا تعاليم الله في التعامل معهم ، ويتبعوها ، حتى لا يظنّوا أن متاعبهم مع اليهود قد انتهت بالتخلص منهم في المدينة ، أو تنتهي بإجلائهم من جزيرة العرب ، فشكلة المسلمين مع اليهود وسائر أهل الكتاب شكلة مستمرة .

. . .

ر) المفردات اللغوية في النَّص

﴿ أَغَنَذُوا دِينَكُرُ هُزُوا وَلِعِبًا ﴾ :

أيُّ: جعلوا دينكم شيئاً بُهْزَأُ به ريُسْخَرُ مِنْهُ ، وَلُعْبَةً يَلْعَبُونَ بِهَا.

الْهُوَّةُ۔ والْهُزُّوُّ: السُّحْرِية. يُقالُ: هُزِىء به وهُزِىء منه. ويُقالُ: هَزَأَ بِه وهَزَأَ منه، ويقال: هَزى: بِه وهَزى: منْه، أي: سَخِرْ مِنْهُ.

اللَّجِبُ: ضِدُّ الجدّ، يقالُ لُغَةً: لَجِبَ يُلْمُبُ لَجِباً وَلَغَياً. ويقال لكلّ من يعمل عملًا لا يُجْدِي عليه نفعاً إنّما أنت لاعب.

والمعنى جعلوا دينكم شيئاً مهْزُوءاً به، ومُلْعُوباً به، فهو من إطلاق المصدر على

اسم المفعول، أوجعلوا أصل ويتكم صورة من صور الهزء واللُّفِ، فاعتبروا الصلاة مثلًا ويعضى أعمال العبادات شكلًا من أشكال اللَّهب، ورْغَمُوا أنَّ الغرض من اللَّين السُّخْرية من النّاس.

ومن اتّخذ الدّين هُرُوا ولمباً الدّخولُ فيه نفاقاً، كانّمه شيء صالحُ لأنْ يُلْعَبُ به. ويُسخّز منه، مع أنَّ الدّين كَلَّه جِدَّلًا لا هُزِّل فيه، إذْ يُرْتِط به مَصِيرُ الإنسان، إمّا إلى الجَّةِ وإمَّا إلى النار، وقفِيهُ الدّين قضية الرّبّ الخالق، وهل هذا شيء يصحُّ أنْ يُلْفَبُ به؟ هل يدخل الإنسان في النار لهواً ولمباً.

﴿ ذَالِكَ إِلَّهُ مُ قَوْمٌ لَّا يَسْقِلُونَ ﴾:

 لا يعقلون أهمواءهم وشهواتهم ببارادة حازمة عن التَعْرُض لعـذاب الله بارتكاب معصيت. ولا يعقلون في مراكز المعرفة لديهم المحقائق الخطيرة التي يرتبط بها مصيرهم من قضايا الدين.

﴿ هَلَّ تَنقِمُونَ مِنَّا ٓ إِلَّا آنَّ مَامَنَّا بِاللَّهِ . . . ﴾:

أي: هل تكرهون منا إلَّا إيماننا، وهل تُنْكِرُونَ علينا شيئاً آخر غَيْرُه.

يُقالُ لغة: نَقِمَ الشُّيَّءَ وَنَقَمَهُ إِذَا ٱنَّكَرَهُ وَكُرِهَهُ.

﴿ مَثُوبَةً عِندَاللَّهِ ﴾ :

الْمَثُويَةُ جَزَاءُ الْعَملِ إِنْ خيراً فخير، أو شرّاً فشرّ.

﴿ ٱلطَّاعْلُوتَ ﴾:

كثير الطغيان، وكلَّ رأس في الضلال، ويطلق على الشيطان، وكلَّ ما عُبِدْ من دون الله (يستوي فيه الواحد وغيره). وقد يجمع على طواغيت.

﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾:

السُّحْتُ والسُّمِّتِ: كُلُّ مَكْبِ حَرَام كالرَّسُوهِ، والرَّبِ والسَّرقة، وأكل أسوال الناس بالبناطل، وسُمَّي سُحْتًا لأنَّه يُشْخَتُ البركة أي: يُذْهِبُها. وأصلُ السُّمْتِ قَشْرُ الشيء قليلاً قليلاً ويُطلقُ السُّحْتُ على العذاب. (1)

مع النصّ في التحليل والتدبُّر

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَقَايَّا الَّذِينَ مَنْ مُنْ الْاَنْ الْمُنْمَا الْذِينَا غَنْدُوا مِنْكُوهُ وَالْوَلِيَا مُنَا الَّذِينَ كَ وَالْكُفَّادُ أَوْلِيَا مُنَافُوا النَّهِ إِنَّكُمُ مُّوْمِينَ ۞ وَإِنَّا مَنْ مُنْهَالُ السَّنَوَ الْغَنْدُما وَالْكُفَّادُ أُولِيَا مُنَافُوا النَّهِ إِنَّهُمْ مُنْفِينَ ۞ وَإِنَّا مَا يَشْهَالُ السَّنَوَ الْغَنْدُما هُزُولُ وَلِمِنَّا وَالْعَالِمَ الْعَالِمَ الْمُنْفِقِ الْمُنْفِق وَمَرَّالِهِ لِلْمُنْفِلِينَا فِي الْمُنْفِقِ الْمُنْفِقِ وَلِمُنْفِقِ اللَّهِ اللَّهِ الْمُنْفِقِ الْمُنْفِق

ينظهر في من السّياق انّ الله عزّ وجلّ يحدّر بأسلوب عنام من اتّخاذ اليهود والنصارى، واتّخاذ الكفّار الأخرين من غير أهل الكتاب أولياء، لأنّهم أعداء، ويُحْصُّ بالذّكر المنافقين منهم، ولا سيما اليهود، وأحدافهم من منافقي المشركين، فالمسدّة المزمنية التي نزلت فيها سووة (المائدة) قد يقيت فيها مشكلة المنافقين من اليهود والمشركين هي المشكلة البارزة، بعد أن اضمحلت شكلات عداء القبائل اليهوديّة المجاهرة بعدائها، وشكلات مشركي الحجاز المجاهرين بكفرهم وعدائهم.

فمن خلال العبارة العامّة يُنهَى الله الدنين أمنوا عن سوالاة أهل الكتاب، لأتهم لم ينظروا إلى الإسلام على أنه دين ريّاني، فأتخذوه هزّراً ولُبياً، متهمين الرسول بـأنه يهزأ بعقول النـاس، ويلعب بهم، وينهاهم أيضاً عن موالاة الكُفّـار بوجه عام أيضاً، لأنهم يعادون هذا الدنين، ويعادون الرّسول والمؤمنين، فجاءت قـراءة نصّب كلمـة [والكُفُّارًا وَاللَّهُ على هذا العموم.

ومن خلال دلالة السّباق ينهي الله الذين آمنوا عن موالاة خُصوص السنافقين من أهل الكتاب ولا سيما اليهود، لائهم دخلوا في الإسلام مستهزئين لاعبين، متُجذين دين الله شيئاً يُسْتَهَزَأً به ويُلُفب. وينهاهم آيضاً عن موالاه المنافقين من سائر الكافرين، ولا سيّما المشركون، لاَنَهم في ذلك الـوقت كانـوا النسبة الأكثر من المنافقين، مع أصلافهم من منافقي اليهود، فجاءت قـراءة جرّ كلمـة [وَالكُفُلر] دائمةً على هـذا المُخصوص، لأَنْهم بنضافهم قـد اتّخذوا دين الله شيئاً يُسْتَهْزَأ بِه ويُلْفب، كما فعـل المنافقون من اليهود. وربَّما يتساءل بعض الناس: كيف نعرف المنافقين حتَّى لا نتخذهم أولياء؟

ونجيب بـأنَّ الأمارات والصفـات التي يتصفـرن بهـا، وقـد أعلمنـا الله بهـا، في مختلف التصـوص، كـافيـة لأن تـدلَّ عليهم، فيحـذرهم المؤمنـون، ولا يتخـذوا منهم أولياء.

ولمّا كانت مخالفةُ هذا النهي معصيةُ لأنه نَهْيُ تحريم، وليس مجرّد نهي إرشاد قال الله عزّ وجلّ بعده:

﴿ وَالْتَقُوا اللَّهَ إِن كُنُّمُ مُّؤْمِنِينَ ۞ ﴾:

أي: فيإذا انْخَلْتُمْ منهم أوليها، عُرْضُتُم أنفسكم لعقباب الله، ولم تُتَجِدُوا وقياية منه بالطاعة.

وَنَيْدُ: ﴿إِنْ كَتُمْ مُؤْمِينِ﴾ فيه استنارة إيمانهم لالتزام طاعة الله، والمعنى: إنْ كتم مؤمنين حقاً صادقين في إيمانكم كان إيمانكم باعثاً على تقوى الله بطاعته، فأنتم حيثائي تقون الله ولا تتخفون منهم أولياء.

وقد تكرر هـذا الأسلوب في القرآن، وهــر على معنى: واتْقُوا الله وأنتم ستتَّقــونه ما استطعتم إن كُنْتُم مُوْمِنين حقًّا وصدقاً ملتزمين بمفتضاه.

وجاه استعمال حرف الشرط وإنّ التي تُستعمل عادة في المشكوك فيه، إنسارةً إلى أن جمهور المؤمنين يغفلون عن الالتزام بهذا التعليم الرّباني، والعمل بمطاعة الله في عدم اتتخاذهم المسافقين أولياء، لأنهم مخالطون مداخلون، ولهم ضمن المؤمنين علاقات قربعي، ومصاهرة، وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية.

وَآبَانَ الله عَزَّ وَمِلَ مَن مظاهر اتَخاذهم دين الإسلام هزواً ولعباً، أنَّهم إذا سمعوا النداء إلى الصلاة اتَخَذُوا الصَّلاة هُـرَواً ولَبِياً، لي: قـاموا إلى الصلاة نفاقاً مستهزئين بعن يؤدِّيها بصدقٍ من المؤمنين، ومشاركين في أدائها مشاركة اللاُّعب بالحـركات، لا مشاركة المؤمن بطاعة الله والصلة به في أدائها، فقال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا نَادَيَتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ ٱلثَّفَذُوهَا هُزُواً وَلَهِما ۗ ﴾.

وأشارت عبارة ﴿وإذا نـاديتم﴾ إلى أنّهم لا يصلّون إذا لم يكونـوا معكم ويسمعوا نداءكم للصلاة.

> وأبان الله عزَّ وجلَّ سبب انخاذهم دين الله هزواً وَلَعِباً، فقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ إِنَّهُ مُرَّفِّرٌ الرِّيمَقِلُونَ۞﴾.

> > المشار إليه بـ ﴿ وَلِكَ ﴾ اتَّخاذُهُمُ الدين هزُواً ولَعِباً.

﴿ إِلَّهُمْ أَنْ يَعْلَمُونَ مَنْ مَصِيرَ عَنْدَ رَبِّهِمْ لَأَيْهُمْ لِلَهُمْ لِلَهُمْ لِلَهُمْ لِلَهُمُ لِلَهُ يَعْلَمُونَ مَنْ مَصِيرَ عَنْد رَبِهِم، لأَنْهِمْ لِمَ يُرِيدُوا أَنْ يَقْوَلُوا اللّهُ الذيبَّةُ وحججها ويراهنها، صع أنَّ الرسول والدُّعاة إلى الله بَلْشُرِهم إيَاها، ومع وجردها في كتاب الله الذي عليهم أن يقرؤه ويتنبُروه، وهؤلاء هم المنافقون من المسركين. وقِسْمُ منهم لا يعقلون بإرادات حازماتٍ أهواهم الأنانية المقيشة، وهم المنافقون من اليهود، فمتهم من يعلم قِمة الدين، ولكن كرهوا أن يتبعوا رسولاً من غير يني إسرائيل، وينهاهم عن أبّياع أهوائهم وشهواتهم، ويصحَم ما حرّفوا من ديا الله .

قول الله عز وجل :

﴿ قُرْيَكُهُ فَالْمَكِتِ هَلْ تَعَمَّدُن مَنَا لَا أَنْ مَاتَنا هِا قَوْمَا أَنِّ لِإِنْنَا وَمَا أَيْلَ مِنْ نَصِعُونَ الْكِافُلُ هَلْ أَنْبَكُمْ مِثْرَقِن ذَكِ مُنُّونًا نَصِعُونَا لِكَافُونَا هُونَا مُنْ اللّهُ مِنْ ذَكِكَ مُنُّونًا الْهِذَهُ وَلَلْنَازِرُ وَعَبَدُ الْطَلَعُونَ أَنْفِلِكُ مَنْ اللّهُ عَلَى اللّهِ مُنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ عِنْ

في الآية (۵۷) نهى الله الذين آمنوا نهى تحريم عن أنَّ يَجْدَدُوا أولياة من الدَّين اتَحَدُّوا دَين الإسلام لهـواً ولعباً من أهـل الكتاب، سـواة أكانـوا مجاهـرين بكفـرهم، أو منافقين مخالطين يكيدون وهم ضمن صفوف الدؤمنين، فدلَّ هـفا علمي أنَّهم أعداء، يكرهون إيمان المؤمنين بالإسلام، ويُنكرونه عليهم، فهم يُخْمِّرُن بنَّهم ذلك، فاقتضىً حالَّهم أن يُوضَهُوا موضع المناظرة والمجادلة بألَّي هي أحسن، فعلَم الله رسوله وكلَّ مؤمن قـادر على مجادلتهم لـبلإقناع او لـلإفحـام والإلـزام، أن يـطرح عليهم سؤالًا عن سبب نقمتهم من المؤمنين، وكراهيتهم لطريقتهم، وما يُنكرونه عليهم.

والسؤال هو: يا أهل الكتاب (أي: يا من تذعون أنكم تؤمنون بكتاب من عند الله مترّل على رسول من رسله موسى أو عبسى عليهما السلام) أي شيء تنهَّمون مَنا، كارهيئة مِنّا، أو منكريته علينا، فنحن لا نُجِدُ شيئاً يُمْبَكُنُ أَن تُنْكُرُهُ إِنَّ كُتُتُمُ أَهلَ كتاب ربّاني حقيقة، وذلك الأنّا أمنًا بالله، وأنّم تُرْعمون أنكُم أشتَم بالله، ونحن آمنًا بصا أُنْجِلُ إلىنا من لَمُنَّ ربّنا على رسول، من رسله مؤيد من قبله بالمعجزات والأياب البيئات، كما أنّكم آمنتُم بما أوّلُ إليكم من ربكم على رسول, من رسُله، ونحنُ أمنًا بما يُخْلُ عن أيّ رسول, من رسُل الله، ظم نَخْمُو بعا أَنْول إليكم على رسول, من رسُل الله، ظم نَخْمُو بعا أَنْول الله، عمر وبكم على رسول, من رسُل الله، ظم نَخْمُو بعا أَنْول إليكم، حتى يكون كُفُوءً بعا التحكم؟!

فهلُ في كلِّ هذا داع ٍ لأنَّ تَنْقِمُوا مِنَّا؟!

بغي شيء أجيرً يمكن أن يكون سبب نقمتكم هو أنّ رسول هذا الدين الذي آمنا
به ليس من بني إسرائيل، وهذا شيء قد أغضبكم من ربكم لأنكم فاسقون، فتقمتم منا
أشباضة، وأنّ مذا الدّين قد كشف تحريفانكم في دين الله، وجماه بالحق، وهذه
التحريفات قد أدخلتموها في دينكم اتماعاً للأهراء والشهرات، وطماعة لكبرائكم،
بسبب أنكم فاسقون، فنقمتم منا أن نستيم على دين الله الحقّ مخالفين طريقتكم التي
بسبب أنكم فاسقون، فنقمتم منا أن نستيم على دين الله الحقّ مسلمة مو الذي تتقيمونة منا
فيس سبّبه أنّا مخطئون أو مخالفون منهج الحقّ والسُّواب، ولكنّ سببه أنْ أكثرَكم
فلس سبّبه أنّا مخطئون أو مخالفون منهج الحقّ والسُّواب، ولكنّ سببه أنْ أكثرَكم
ضادقاً، وأمن بما آمنًا به، فهو منا، وإنْ كان هو أيضاً من أهل الكتاب باعتبار ما كان
عليه، قبل أن يدخل في الإشلام.

هذه المناظرة الجدلية قد جاء التعليم القرآيُّ لهما على طريقة تسليم مفاتيح أبوابها، وتبرك تفصيلات عناصرها للرسول، وللمؤمن العالم الحصيف الكُفُّ؛ من يُعْدِه. فمفتاح الياب الأول: هل تنقمون منّا أنَّ آمَنًا بالله؟ فإنَّ قالُوا: لا، جاء دور الباب الثاني.

ومقتاح الباب الثنائي: هل تنصون بنًّا أن آمَنًا بما أَثْرِلَ إلينا من زَبَّنا، وكلَّ ما أَثْرِلَ من قَبّلُ من لَذُمه؟ فإن وصل المناظر معهم إلى أنَّ هذا لا يستـدعي نقمتهم، واعترضوا بذلك، جاه دور الباب الثالث.

ومفتاح الياب المثالث: هل تنفسون منا أنَّ أمَّنا بالسرول محمَّد النبي العربي. المتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم. وخالفناكم في تحريفاتكم في دين الله؟

وهنسا تحتدم المنساظرة، والمنساظر الكثّمة قسادرً على أنَّ يُقْتمهم أو يُزْومهم أو يُؤْومهم أو يُؤُومهم أو يُؤُومهم أو يُؤُومهم أخرية ولكن يراحل الله ولكن يرجع إلى أنَّ المؤمنين بالإسلام من أهل الكتاب هم المبطلون، بسبب أنَّهم فاسقون، ودفعهم فسقهم إلى إنكار الحقّ وجحوده، والإصرار بعناد على التمسّك بتحريضاتهم التي يُرْضُونْ بها أهواءهم وشهواتهم وكبراءهم.

وهذا الباب الثالث لم يُقط النَّصُّ الفرآنيُّ منتاحه صراحةً، بل أشار إليه بالنتيبه على إقفاله بعد جولات المناظرة، التي تنتهي بإقناعهم أوالزامهم أو إفحامهم، ويتمُّ إقفال المناظرة بدمفهم بأنُّ أكثرهم فـاسقون، وأكثـرهم هم الذين لم يُسْلِبُوا أصلاً، أو كانوا في إسلامهم منافقين.

فجاء التعليم حاصراً المناظرة بثلاث جولات كبرى:

المجولة الأولى: عنوانها: هل تنقمون منَّا أن آمنًا بالله؟!

الجولة الثانية: عنوانها: هل تنقمون منا أنْ أمَّنًا بما أنَّزِل إلينا وما أنَّزِل بنَّ قبل؟!

الجولة الثالثة: قُفْلُها عند الانتهاء منها: علَّتكُمْ أنَّ أكثركم فاسقون.

وقد أشكل على المفسّرين قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ أَكْثَرُكُمْ فَنَسِعُونَ ۗ ﴾.

لدى حصر أسباب نقمة كَفَرَةِ أهل الكتباب من المؤمنين، إذْ فِشُقُ أهل الكِتباب ليس من كُسْبِ المؤمنين حُمَّى يُنْقِمُوا مِنْهُمْ بسبيه، وقَدْ نَدُّ عُنْهُمْ أَنْ يُسَدِّرُكُوا أَنَّ الله عزّوجلّ يُعْطِي المناظر المجادل من المؤمنين إنسارات لجولات المناظرة، فـالجولتـان الأولى والثانية أعطاء الله مفتاحيّهما، والاخيرة أعطاء الله قُفْلها.

فالتعليم الذي بدأه الله بقوله:

﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ ٱلْكِتَنبِ ﴾ .

قد جاء حَصْرُ مناظرة المناظر لهم فيه بقوله:

﴿ هَلْ تَنقِمُونَ ﴾:

أي : هل تُكْرَهُونَ وتُنْكِرُون منا ﴿إلاَّ﴾ واحداً من أمور ثلاثة:

- (١) ﴿ أَنْ هَا مَنَّا بِأَلَّهِ ﴾.
- (٢) ﴿ وَمَا آأْنِزِلَ إِلَيْنَا وَمَا آأْنِزِلَ مِن قَبْلُ ﴾.

(٣) وايساناً بمحمد النبئ الرسول العربي الذي ليس من بني إسوائيل،
 وما جاه به من كشف لتحريف اتكم في دين الله، وهذا أشراً لا تُضابُ عليه تُحَنَّ، بل
 مُعَالِرَدُ انتِم عليه، إذَّ لم تُؤْمِنُوا به ولم تُشعوه ﴿وَهُ عَلَيْكُم ﴿إِنَّ أَثَنْزُكُمْ فَاسِقُونَ﴾.

ولا شُـكُ أنَّ هذا أسلوبَ من الإيجـاز عجيب، وهو فنَّ من قُنُـونِ البيان، ويُعيِّـرُ بعْضُ كبار المريّين بنظيره.

ومن الامثلة أن يُشْتَكِي طــلابٌ من مـانة مقــرّرة عليهم، فيــأتي المــديــر أو عميــد الكليّة فيقول لهم، مـمّاذا تشتكون؟ إنّكُمُ لاَ تَشْتُكُونَ إِلاّ:

- (١) من أستاذها الذي هو أفضل الأساتذة في نظر الجميع.
- (٢) أو من الكتاب الذي هو أفضل كتب المواد الدراسية.
- (٣) أو من المادّة نفسها التي يجب أن يتعلّمها الطلبة في نظر جميع المربين.
- (3) أو من بناء المدرسة وحجرة الفصل الدراسي التي تـدرسـون فيهـا، وهي أفضل حجر المدرسة على الإطلاق.
- (٥) او من أنَّكُمْ كُسَالَى لاَتُعِجُّون أَنْ تَبْذُلُوا جَهْداً لتعلُّم ما ينفعكم وينفع امَّتكم.

وهذا أسلوب من الإلجاء لردّ شكواهم على أنفسهم، فقد كان الحق أن يشتكوا من أنفسهم، لا من غيرهم.

وعلى هـذا الأساس مفهم أنـه كـان من الحقّ أن ينقم أهـل الكتـاب من أنفسهم بسبب أنَّ أكثرهم فاسقـون، لا أن ينقموا من المؤمنين الـذين أمنوا بـالوسـول الخاتم، وباللين الذي لم يدخل فه تحريف ولا تبديل.

وبعد إقفال باب المناظرة بإدانتهم بنانَ أكثرهم فنابِشُونَ، ينائي دور إنْـذاوهم بعداب الله على فِسْتِهِمْ، على سبيل سوعظتهم بالترهيب، وأنَّ مَكَانَّهُم عند الله يـوم الدُّين سِكون مكان شُرُّ وضُرَّ وعفاب أليم.

وقد فَوْنَى النَّصَ توجه الداعي المؤمن لهذا، اكتفاءً بتوجهه لأنَّ يُبَيِّن لهم طَوْفًا من حال بعض أسلافهم الذين كانـوا شرًا منهم مكاناً، وأضلَ عن سواء السبيل، مَنْ عَبْدَ منهم الطاغوت، ولَمْنَةُ الله وغضب عليه وجَمَلَ منهم القردة والخنازير، على سبيل العقوبة المعجّلة من جملة عقوباتهم.

والتربيةُ هنا تربيةُ بالتوجيه للاعتبار بما جرى للكفّـار مِنْ أسلافهم، الـذين تماذوا في الإثم والفسق ومعاندة الحقّ والمكابرة بالباطل.

فقال تعالى للمناظر الداعي:

﴿ قُلْ هَلْ أَنْيَتُكُم ﴾:

آي: يــا أهل الكتماب، والخطابُ مــع واحدٍ منهم هــو مَنْ جَرَثُ معــه المشاظرة السابقة:

﴿ بِشَرِهِن ذَالِكَ مَثُونَةً عِندَاُقُو ﴾ :

أي: بما هو أشدُّ عقُوبَةُ عند اللَّهِ من ذَلِكَ الْفِسْقِ الَّذِي أَنْتُمُ الآن عليـه، والذي جعلكم تفعون منًا؟

هذا السؤال يتطلُّبُ جراباً، ولو لم يَقُلِ المناظر منْهُمْ أَنْبِئْنَا.

والبجواب:

﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وُغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ :

أي: من أسلافكم من اليهود المذكورين في تواريخكم.

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُم ﴾ :

أي: من حملة الملعونين المغضوب عليهم:

﴿ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾.

وكان قد مسخ الله فريشاً من كفرة البهود قردة وُخَشَادِيرَ، وهلكوا دون أن يكون لهم ذُرَيَّةً بعد مسخهم ﴿وَهُ مَنْ ﴿عَبْدَ الطَّاقُونَ﴾ من أسلافكم تاركاً عبادة الله، فهؤلاء أشدُ عقوبة عند الله أيضاً من فُسُلقكم.

وجمع الله هؤلاء المشار إليهم من أسلاف اليهود المخاطبين بقوله:

﴿ أُوْلَٰتِكَ شُرٌّ مَّكَانَاوَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۞ ﴾.

أي: أوَلَئِكَ البعداءُ عن رحمة الله من أسلافكم شـرًّ مكانـاً منحطًا سَـافِلًا منكم، وأكثر ضَلاًلاً ويُعْداً عن سَواءِ السَّبِيل.

مسواء السبيل: همو وسط سبيل الله المستقيم، إنّ السبيل المستقيم يُحْسَبُ من وسطه فهر أعدله وأعلاه، والبعدُ عنه يُقاس بالبُّقدِ عن وسلطه من ذات اليمين، أو ذاتٍ الشمال.

وفي بينان هذا عن أمسلافهم تحذيرُ لهم من أتباع طريقتهم لشلا ينزل بهم من عشاب الله ما ننزل وسينزلُ يموم المدين بأولِّبكُ البعداء عن رحمة الله من الأمسلاف الاخباث.

وقــد صحّ عن النبـي ﷺ قـوله: «إنّ الله لم يُقلكُ قــوماً أو قــال لم يُمُسَـخُ قــوماً فيجعل لهم نسّلاً ولا تحقِباً، وإنّ الفردة والخنازير كانت قبل ذلك.

قول الله عزّ وجلٌ:

﴿ رَإِنَاجَنَا وَكُمُ قَالُوا مَنْنَا وَقَدَةَ خَلُوا إِلَّكُمْ رَوْمُهُ قَدْمَجُوا إِمِدُوا لَقَاعَهُ مِنا كَا تُوا يَكُنُونَ ﴿ وَزَوَى كَبِيرَا بِنَهُمْ ثِنْ يُونِ فَي الْإِنْدِ وَالْفُدُونِ وَأَصْدِيهِمُ النَّحْدَةُ لِلْمُ المَاكُولُ م لَوَلَا يَهَمُنُهُمُ ٱلۡتَبَيَّوۡتُ وَٱلۡأَهَارُ عَن قَرِّلِهُ ٱلْإِفْدَ وَٱتِّكِهِمُ ٱلشَّفْتُ لِيُقَلَى مَاكَاوُا يَسْتَفُونَ۞﴾.

أخذ البيان بهذا بكشف مُؤيَّة المقصودين الأولين بعصومات النَّص سابقًا، فهم منافقون من اليهود، وهم الذين يشير إليهم النصّ بالدّرخة الأولى، مع من يشاركهم في صفاتهم من سائر أهل الكتاب، والمشركين من المجاهرين بكفرهم ومن المنافقين .

فالله يخاطب الذين أمنوا فيُبَيِّن لهم أنَّ المقصودين الأولين بالنَّهي عن اتَّخادُهم أولياء من أهل الكتاب، من صفاتهم أنَّهم إذا جائوكم قَالُموا: آمَنَّا، وقَمَّدُ دَخَلُوا بالكُفُسِ وهُمُّ فَذَخَرُجُوا به، والله أغَلُمُ بِمَا يَكْتَشُونَ.

وهذه صفة المنافقين، فهم الذين يدخلون في الإسلام ظاهراً، ويدُّعُونَ كافِيين أَمُّيُّمُ اتَشُوا، مع أَنَهِم حين دخلوا في الإسلام كانُوا مُصاحبين للكفر به في باطنهم وسرَّهم، ومنذ دخلوا في الإسلام مصاحبين للكفر فقد خرجوا منه فوراً مصاحبين للكفر أيضاً، لأنَّ الله عَزْ وجلَّ لا يُقِبَلُ إسلاماً في الظاهر مصاحباً لكَفُورٍ في الباطن، إنَّ طبيعة الإسلام الحقِّ لا تقبل تلقائباً مُسْلِماً مزيفاً كاذباً، قمن دخل كذلك نفته فوراً واخرجته، من دخل وفي باطنه الكفر، أخرجته مطروداً وفي باطنه الكفر، لأن الإسلام هو دين الله، والله أعلم من كمل عليم حتى من أنفسهم بعما يكتمسون من كفر، كيف يقبلهم الله صلعين، وقد أسلموا بالسنتهم كاذبين مخادعين؟

إذا استطاعوا أن يَخْدَعُوا عـوامٌ المسلمين فهل يستـطيعون أن يخـدعوا الله العليم بما في صدورهم وسرائرهم.

وكشف الله من الظواهر الدالة على نفاقهم أنهم يندفسون بسرعـة سيراً في سُبـُـل الإثم والعدوان وأكل المال الحرام، فقال الله عزّ وجل:

﴿ وَرَّىٰ كِيْدِا مَنْهُم يُسَرِعُونَ فِي ٱلْإِنْدِ وَٱلْمُدُونِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾:

أي: وَتَرَى أَيُّهَا الرَّاشِ المُعتبِّع لاَشُوالهِم المُمراقبُ لسلوكهم، أنَّ كثيراً مِّتُهُمُّ لا يملكون أنفسهم في الممافظة على السلوك الذي يفرضه عليهم تظافَرُهُم بالإسلام، مخالفين متنضيات كفرهم في قلوبهم، الذي يدفعهم بقوة إلى ممارسات الأعمال التي تدخل تحت عنوان الإثم، والأعمال التي تدخل تحت عنوان العدوان، والأعمـال التي تدخل تحت عنوان أكُل السُّحت.

الإثم: هو في اللَّفة الـذنب، وهو في الاستعمال القرآني يشمل كلُّ المعاصي. التي نهى الله عنها، بدءاً من صغائرها حتى أكبر كبائرها.

العدوان: الظلم، وتجاوز الحدّ المأذون به، وهو مصدر عدا عليه بمعنى ظَلَمَهُ، تقول: عدا عليه يعدر عَدُواً، وعُدُواً، وعُدُواً، وعُدُواً، وعُدُاءً،

والجمع بين الإنم والعدوان يُثبيـر إلى أن الصراد من العـدوان مـا يكـون ظلّمــًا واعتداءُ على حقوق الآخرين من خلق الله.

أكُلُّ السُّحْت: هو تَملُكُ العال الحرام، وسُمِّي تَملُكُ العال الذي يَضرُم تَملُكُ ولو كان برضي باذله أكَلاً، لأن الأكُلُّ اعظم ما تُسْتَهْلُكُ به الاموال، وآخذ العال الحرام يُشرُّرُ على أَنْ يَاكُلُهُ وبيني به جسمه، مع أنّه قد يتعرُض باكله له لعذاب السُّحْت، وهو الاستصال، أو الْقَفْر شِينًا فنينًا.

وينُ تَمَلُكِ العال الحرام بإذن باذله الرُشوة والرِّبا، وَأَجْرَأُ الناس على اخذ الرشوة وأكل الربا اليهود، والعنافقون في العسلمين من اليهود هم في الباطن يهود.

وقد ذُمُّ اللُّهُ عزِّ وجلَّ كلَّ عملهم السابق فقال تعالى:

﴿ لَبِثْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾:

أي: لقد كانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام منافقين أصحابُ أعمال سيَّلة في اليهوديّة، عنَّوانُها: ولَبِشَنَ مَا كَانُوا يَهْمَلُون.

وابان تعالى أنهم حين كانوا بهبوداً ظاهِـراً وَيُطنـاً، لم يكن الذين يزعمون أقهم ريّـانيون من اليهـود، والذين يُقـال لهم أحبار منهم ينهـونهم عن قـولهم الإثم، ولا عَنْ أُتّمَاهِمُ السُّـدَتَ.

الرَّبَّانيون: همُّ العبَّاد عن علم.

الأحيار: هم العلماء بالدّين اليهودي، المفرد وحَبْره بفتح الحاء وكشرها، والفتح أغلب وأشهر.

فقال تعالى:

﴿ لَوَلَا يَنْهَا لُهُمُ الرَّيْنِينُونَ وَالْأَحْبَارُ عَن فَوْلِمُ ٱلْإِثْمَدَ وَأَكْلِمُ ٱلسُّحْتُ ﴾ :

أي: هالاً يَنْهَاهُمُ الرَّقَانِيونَ والأُحْبِارِ النَّذِينَ هم منهم في الباطن عن فيحتين ظاهرتين من قبالتحهم هما قبيحة قولهم الإثم، وقبيحة أكلهم السُّحت، ومن قولهم الإثم إعلائهُم الإسلام وإبطائهم الكفر.

> واخيراً ذَمُ الله عزّ وجل ما يضنَعُ هؤلاء وهؤلاء، فقال تعالى: ﴿ لَيِلْسَرِ مَا كَانُواْ أَيْصَدَّعُونَ۞﴾ .

> > وانتهى النص

...

النص الرابع والثلاثون

من سورة (التوية/ 9 مصحف/ ۱۱۳ نزول)
«السورة (۲۷) من الننزيل المدني»
ولم ينزل يعدها من السّور إلَّا سورة «النصر»
الآيات من (27 ـ ۱۲۹ آخر السورة)
حول عدّة ظواهر سلوكية للمنافقين
بمناسبة أحداث غزوة تبوك وأخرى إيّانها

وتشتمل دراسة هذا النص على قسمين: القسم الأول: مقدمات حول أحداث غزوة تبوك وما رافقها. القسم الشاني: دراسة النص دراسة تذبّرية. وهم مفضًا علم سمة عقده.

القسم الأول مقدمات حول أحداث غزوة تبوك وما رافقها

قبل دراسة هـذا النص الرابع والثلاثين وهـو من ســورة (التــويـة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول). الآيات من (٤١ ـــ ١٣٩ آخر الســورة) أقدَّم مقدمات يستدعي نديّر النصّ تقديمها.

إنَّ هذا النصَّ العوضوع للدواسة التغيريَّة يشتمل على بيانات متعدَّدات ففسحت العنافقين، يمناسبة الاحداث التي اشتملت عليها غزوة تبوك، التي كان خورج الرسول والمؤمنين إليها في شهر رجب من سنة تسع للهجرة، ويعناسبة الاحداث التي كمانت تُبِتِّها ويُفَدِّها حتَّى نزول سروة (التوية).

ومع أنَّ بعض هذه الأيات يشتمل على بيانات لا تتدلّق بالسافقين، فقد آثرت وضع النص كلّه للدراسة، لأنَّ الحديث عن المنافقين وظواهرهم السلوكية وجزائهم، يستدعي الحديث عن المؤمنين وثوابهم عند ربّهم، وهو مااشتملت عليه الآيات التي لا تتعلّق بالمتافقين من هذا النص الذي يُعادلُ نُلْنِي السُّورة تقريباً، أمَّا تُلُّها الأول فهو يتعلّق بالمشركين، والبراءة منهم ومن عهدهم، وأحكام تأمينهم وقتالهم، ومنعهم من أن يقربوا المسجد الحرام، وقتال الكافرين من أهل الكتاب، وعرض بعض تحريفات ومكابدهم ضد الإسلام، وصور من سلوك أحيارهم ورهبانهم، وعرض بعض تحريفات المشركين، وحتَّ المؤمنين على القتال، وتلويمهم على التشاقل والنباطؤ، تمهيداً، المشركين، وحتَّ المؤمنين على القتال، وتلويمهم على التشاقل والنباطؤ، تمهيداً للدخول في التوجيهات والتعليفات النافعات بمناسبة أحداث غَرِّوة تبوك، وما رافقها، لوحدث إنانها، أو تَبْلها، أو تَبْلها، أو بَنْهُدها.

موجز غزوة تبوك

(1)

تاريخ هذه الغزوة

وقعت هـذه الغزوة في شهـر رجب من السنة التـاسعة للهجـرة، وهي أخر غـزوة غزاها الرسول ﷺ.

وفي هذه السنة حجّ أبو بكر رضي الله عنه بالمسلمين، فقد أثّرهُ رسول اللَّهِ علىٰ الحجيج عادثةِ.

وفي السنة العاشرة حجَّ الرسول بالنَّاس حجَّة الوداع. وفي يــوم الاثنين من أواثل شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة توفي رسول الله ﷺ.

(Y)

السيب النداعى

.

(T)

الأمر بالتهيؤ للخروج

وجُّه الرسول ﷺ امره للمسلمين بـانَّ يتهيُّزُوا لفترو الروم الـفين يُعدُّون مـا يلزم لغزو المسلمين، حتَّى لا بجمـل للرّوم مـطمعاً في ان يَلجُّـوا بجيـوشهم في جـزيـرة العرب، التي بدأت تجتمع قواها تحت راية الإسلام.

وكمان الوقت المذي وجَّه المرسول فيه أَمْرَ، وقُتَ عُسْرَةٍ، وحرُّ شديمه، وارض مُجْدِبة لا خضرة فيها إذا خرجوا إلى البوادي، بينما طابت الثمار في البساتين والاشجبار، والنَّاسُ بُحبُّون العقام في ثمارِهم وظلالهم، ويكرهون الأسفـــار، فكيف يكون الحال إذا كانت الدعوة إلى غزوٍ وقتال، وهم في هذه الحال.

وكان من سياسة الرسول الحكيمة أنه قلما يخرج في غَرَوةٍ إلاَّ كَثَى عنها ولم يُعَرَّع بوجهت، وربَما أشْعرَ بالترجه لجهة ما دون تصريح ولا نكون هي بيشهته، تعبيَّةً على اللذين يتوجّه لغزوهم، وهمذا من قواعد الحكمة في أصول السياسة الحربية، باستثاء غزوة تبوك، فإنّ الرسول بين يونئذ للمسلمين وجهت، وذلك لبعد المسافة بين المدينة وأطراف البلاد التي يحكمها الروم عند تبوك، ولشدة الزمان، ولكثرة العدو وقوة جيشه.

لذلك أمر الرسول المستطيعين بأنَّ يتجهَّزُوا لحرب الرَّوم، ويُعِدُّوا ما يستىطيعون من عُمَّةٍ وعتادٍ.

وحتَّ صلوات الله عليه أهل الغنى واليسار على البذل والإنفاق في سبيل الله، لتجهيز هذا الجيش، المذي عُرِف بجيش المُسْسرة، وقال: ومن جَهُّزَ جَيْشَ الْمُسْرَةِ فله الجنّه.

وأقبل المؤمنون الصادقون يتبرعون:

ـ نقلةم عثمان بن عضان رضي الله عنه (٣٠٠) بعيد عليها أحلاسها (الجلم): الكساء الذي يوضع على ظهر البعير تحت الرحل) وعليها أقتابها (اللقب: هو ما يوضع على ظهر البعير للركوب). وقلم أيضاً ألف دينار، جاء بها فصيّها في جمّر النبيّ هيء فجمل الرسول بقلّها ويقول: واللَّهُمُ الرَّضَ عَنْ عُشَّمَانَ فَإِلَي عَنْهُ رَاضٍ و ويُشُول: ومَا عَلَى عُشَّمَانَ فَالِي عَنْهُ رَاضٍ و ويُشُول: ومَا عَلَى عُشَّمَانَ مَا فِيلَ بَعْدَ الرَّمْ و.

ــــ وقدّم أبو بكر الصديق رضي الله عنه كلّ ماله، وكان أربعة آلاف درهم، فقال له الرسول:

وهَلُ أَبْقَيْتُ لأَمْلِكُ شيئاً؟؟.

فقال: آبْقَيْتُ لَهُم الله ورسوله.

ــ وقدّم عُمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله.

ــــ وقدّم عبد المرحمن بن عوف رضي الله عنـه مانـــة أوقيّةٍ من ذهب، أي: نحــو (٣ كيلوغوام من ذهب) تقريباً. فالأوقية من الرطل البغدادي تعادل ٣٤٥ع غراماً.

... وقدّم عاصم بن عديٌ رضي الله عنه مالة وَسْقِ من تمر (الْوَسْقُ: مِكيـالُ سعته ستون صاعاً} أي: قلّم نحو (١٣٠) طنّا من التمر، أو تزيد.

_ وقدّم أحد الأنصار صاعاً من تمر هو قَدْرُ استطاعته.

وأرسلت النساء المسلمات ما جُدْنَ به من حليهنَ.

وكانت دعوة القادرين على الخروج دعوة عزيمة، لا دعوة نَدَّبٍ على الاختيار.

فكان المسلمون يومثذٍ على أربعة أقسام:

القسم الأول: الذين تجهُّزُوا وخرجوا مع الرسول.

القسم الشاتي: الذين تشرقوا للخُروج، لكنّهم لم يجدوا ما يحملهم في هذا السفر البعيد الشاق، فسألوا رسول الله أن يحملهم فلم يجد فيما تجمّع لديمه ما يحمِلُهم عليه، فتولُّوا وأعينهم تفيض من النّمم حزنًا لأنّهم لم يجدوا ما يتفقونه، للتزوّد لهذه الرحلة، وعرفوا بالبُّكَائين، وكانوا سبمة رجال.

القسم الثالث: الذين تخلُّفوا تباطؤاً وتكاسُلًا، وإيشاراً للراحة والاستمتـاع بأهـل. وظلُّ وثُمَر.

القسم الرابع: الذين تخلفوا نفاقاً، فينهم المنبطون، وهم نفر من المنافقين كانوا يقولون للناس لا تفووا في الحرّ، وكان من المنبطين نفر يجتمعون في بيت سُويلم اليهودي، يتبطون الناس عن رسول الله فل في غزوة تبوك، فبحث إليهم النبيّ طلحة بن عيد الله في نفر من اصحاب، وأمره أن يُحرّق عليهم بيت سُويلم، فعمل طلحة، فاقتحم المسحاف بن خليفة وهو واحد منهم من ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فافلتوا. ونهم من جاء يستاذن الرسول فلا بعمل الخروج قبل مسير جيش المسلمين إلى تبوك ويتنحلون المسانيس فيالن لهم. ومنهم من تخلف دون استثمار، فلما عاد الرسول فلا إلى المدينة أقبلوا يعتلرون عن تخلفهم، ويحافمون الأيمـان الكاذبـة، ويُلْفَقُون المعـاذيـر، فيُعْـرض الـرسـول عنهم، ويتـرك حـسـابهم لله عزّ وجل.

ومن هؤلاء عبسد الله بن أبني بن سلول فقند تخلّف وتخلّف معنه كثيسر من المشافقين، وقال بمضهم لبعض: يغنزو محمد بني الأصفر (أي: السروم) والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرّبين في الحبال.

وكان قد خرج عبد الله بن أبي ابن سلول وغَسْكَرَ مع الدّين معه دون معسكر الرسول، عَنْدَ جَبْلِ ذُبَابِ، أمّا معسكر الرسول نقد كان عند ثبّة الرداع، خارج بيوت المدينة، فلما سار رسول الله تخلّف بن سلول ومعه جمع من المنافقين وأهـل الرّيب، وهلك ابن سلول بعـد رجوع الـرسول من غزوة تبوك، في ذي القعـدة من سنة تسع للهجرة(١).

وقد تعرّضت سدورة (التوبة) لبيانات تتعلق بهؤلاء الأقسام الأربعة، ونحاول اكتشاف ذلك لدى تدبّر النصوص إن شاء الله.

• • •

(\$)

خروج الجيش بقيادة الرسول وذكر بعض ما حصل في الطريق

ولمّا رأى الرسول ﷺ أن المسلمين تجهّزوا للخروج معه ابتضاء غزو السوم من أطراف مواقع سلطانهم في تبوك، خرج بالمسلمين يوم الخميس²⁷، وقد لِلْمُوا ئلائين أَلْفاً ويزيلون، يتفلّمهم قُرابة عشرة آلاف فارس، وعسكر بالجيش عُسْد ثُنّة الموداع، واستخلف على المدينة محمّد بن مسلمة الانصداري²⁷، واستخلف على أهله عليّ بن

 ⁽¹⁾ قال بن حجر في شرح الحديث ((۱۹۷) من الفتح: ذكر الواقدي ثم الحاكم في «الإكليل» أنّ
 عبد الله بن لبي بن سلول مات بعد مصرف المسلمين من تبوك، وذلك في ذي القعدة تَّ
تسع، وكانت ملّة مرضه عشرين يوماً إبتدات من لبال, بقيت من شوال.

⁽٢) وكان الرسول 🗯 يحبُّ أنْ يخرج يوم الخميس.

⁽٣) وقبل: استخلف سباع بن عرفطة الغفاري.

أبي طالب، فقال المنافقون: ما خلّفه في أهله إلاّ استقالاً له وتنفَقَعاً مِنه، فيلغ ذلك عليهاً رضي الله عنه فاخذ مسلاحه وخرج حتى أنّى رسول الله كيلا وهو نَاوَلُ بِالْجَرْفِ (صوضح على شلاعة أميال من المدينية لـ نحو ٥٥٥٠م) فقال: يها نبعيّ الله، زعم العنافقون آنك إذما خَلْفَتْنِي أَنْكُ استَغَلَّتْنِي وَنَحْفُقْتُ مَنِي

فقال رسول الله ﷺ: وكذَّبُوا، ولكِنِّي خَلَفَكُ لما ترَكُّتُ ورائي، فارْجع فاخلُتْني في أهلي وأهلك، أفلا ترضَىٰ يا عليُّ أن تكون مَني بسترلة هـارون من موسى، إلاّ أنّـه لا نبيعٌ بَذْبِي؟٩.

فرجع عليَّ رضي الله عنه إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ إلى وجهته، وأعطى اللواء الاعظم الصدِّين أبا بكر رضي الله عنه، وأعطى الزُّيْشِرَ بن العوامَّ رابة المهاجرين، وأعطىٰ أَسَيَّدَ بن خُضَيْر رابة الأوس، وأعطىٰ الْخَيابَ بن المسَدْر رابة الخزرج.

وسار الجيش في جَمْلِد شديد، فكان الرجلان والثلاثة يعتبرون على بعيـر واحد، وتعرَّضت أحمالهم من المعرَّن والأزواد إلى افتراب النفاد، فجمع الرسـول ما فضـل من الأزواد فدعا بالبركة، ثم قال: وخلوا في اوعيتكم، فأخذوا حتى ما تـركوا في العسكـر وعاءً إلاَّ ملؤوها، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ:

واشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله ، لا يلفى اللّه بها عبّدٌ غير شاكّ فيُحْجَبُ عن الجّنّه.

وتعرضُوا لنقاد ما معهم من الماء، حتى عطشوا عطشاً شديداً، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنَّ الله قد عُودك في الدعاء خيراً، فادَّعُ الله لنا، فرفع بديه نحو السماء، فلم يُنزلهما حتى أغالهم الله، فأسطرت السماء، فشريوا ومُلوَّوا أوعِنه الساء التي لديهم، وكان هذا حين مرّ الرسول ومعه الجيش بالحجر، مساكن ثمود، فوم النبيّ صالح عليه السلام، فزلها، وأخذ الناس يستقون من بثرها، فقال لهم الرسول لا تشريوا من مائها شيئاً، ولا تترضّروا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، وأصبح الناس ولا ماه معهم.

قال محمود بن لبيد من بني عبد الأشهل: أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من

المنافقين معروف بالتفاق، كنان يسير مع رسول الله ﷺ حيث مسار، فلمًا كنان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا وسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويتّخك، همل بعد هذا شيء؟! قال: سحابةً مارة، ثم ارتعل الرسول بالناس حتى نول عند البتر التي كانت تشرب منها الناقة.

وسار الرسول ومن معه، حتّى إذا كان بيعض الطريق ضَلَت ناقته، فخرج بعض أصحابه في طلبها، وكنان عند رسول الله تُحْسَارةً بن حرّم (غَقِيقٌ بَلْري) فسمع رسول الله ﷺ يقول: إذْ رَجَّلاً قال: هذا محمَّدٌ يُخْرِكُمْ أَنَّهُ نِسِيٍّ، ويَرْعُمُ أَنَّهُ يَخْرِكُمْ باثر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي واللّهِ ما أعلم إلاَّ سا عَلَمَتِي الله، وقد دلّي الله عليها، وهي في هذا الوادي، في ثِمْب كذا وكذا، قد خَبِسْتُهَا شَجْرَةً برامامها، فانظلِقُواحَّى تأتُوني بها، فذهبوا، فجائوا بها.

فسرجع عُمــازُهُ بن حـــزم إلى رحله، فقـــال: والله لعجَبُ من شيءِ حـــدَّننـــاه رسول الله ﷺ أنفأ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، كما سمع من الرسول.

قَصَالَ رَجُلُ مَمَّن كَـانَ فِي رَحْلِ عُمَـارة، ولم يكن عند رسول الله : زَيْدُ بُنُ اللَّصَيِّت (وَيُقَالُ: ابْنُ لُصَيْبِ) واللَّهِ قال هذه المقالة قبل أن ثأني .

فَاقْبُل عُمَازَةً على زَيْدٍ يَجَأْ فِي عُنَهُ (اي: يَدْفَعُه بَجُمْعِ كُفُّه) ويقـول: إليُّ عبادَ الله، إنَّ في رحملي لداهيَّةً وَما أشعر، أخْرُج أيُّ عَدُو اللَّهِ من رحملي فلا تَصْحَبْني.

زيدُ بن اللَّصَيْت: كان من منافقي يهود بني قينقاع.

وكان رهط من المنافقين منهم دوديمة بن ثابت، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهـو منطلق إلى تبوك، فضال بعضهم لبعض: اتخسيُّرونَ جِـلاَدَ بني الأصفـر (أي: الـروم) كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكانًا بكُم غذاً مُقَرِّنين في الحبال.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لعمَّار بن ياسر:

وَأَدْرِكِ الْقَوْمَ فَانْهُمْ قَدِ اخْتَرَقُوا، فَسَلَهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَهِانْ أَنْكُرُوا فَقُلْ: بلى، قُلْتُمْ كَذَا وَكِذَاهِ. قد احترقوا: أي: عرّضوا أنفسهم للهلاك بسبب ما كانوا يخوضون فيه من إرجاف.

فانطلق إليهم عمّار بن ياسر، فقال لهم ذلك، فأثرًا رسول اله ﷺ يعتلرون إليه، وقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله، إنّما كُمَّا نخوضٌ ونَلْفَبُ، أي: نقـول على سبيل الْمُرَاحِ لا الجدّ.

(0)

وصول الرسول بجيشه إلى تبوك

بلغ الرُّومَ مَسِرٌ جُيْش محمَّد إليهم، فرأت قيادتُهم الانسحاب بجموعهم من جهة تبوك إلى بلاد الشام ليتحشُّنوا بدُّصُونها، وحقق الله لرسوله بذلك الشمكين والرَّهبة داخل جزيرة العرب، وأقام الرسول بالجيش عند تبوك مُشَّبراً أمراء المعواقع الحدودية بأنَّه تُنعَيِّىءً لقائل من شاء القال منهم، فرهبوه، وتوافَّدُوا إليه طالبين تأمينُهم وتأمين حدودهم، مقابل جزية يدفعونها، فكتب لهم الرسول كتباً بذلك، وكانت إقامته بنبوك بضعة عشر يوماً.

> (٦) كُتُثُ الصُّلْح

> > أمير أيلة (بلَّذَةُ على خليج العقبة):

أَتَّى صَاحِبُ اللَّهُ وَيُحَنَّهُ بِّنُ رَزِيَهُ فَسَالَ رَسُولَ الله الصُّلْح، مقابل جزيـة يدفعهـا إلى المسلمين، فقبل الرسول ذلك منه، وكتب له كتاب الصُّلْح التالي:

وبسم الله الرحمن الرحيم: خليه أننة من الله ومُحَمَّد النَّبِيّ رسول الله، لِيُحَمَّدُ وَلَيْهِ رؤية، وألهُ لِل اللهُ سُفُنِهِمْ وسَيَازَتِهم في السِرَّ والبَّحْرِ، لَهُمْ فِتَمَّةُ الله، وفِئَةً مُحَمَّدٍ النَّبِيّ، ومَنْ كانَ معهم من أهل الشَّام، وأهل النَّبَن، وأهل البَّخْر، فَنَنْ أَتَحَدَّ بِثَهُمْ خَدَنَا، فإنَّه لا يُتُحولُ مألَّهُ وَلِنَ نَفْسِه، وأَمَّ طَبِّبُ لِمَنْ انْخَذْ مِنَ النَّاسِ، وإنَّه لا يَجلُ أَنْ يُمتَّمُوا مَا يَرْوَفَهُ، ولا طَرِيقاً يُرِيلُونَهُ، مِنْ بَرُّ أَلْرَبَحْرٍه. وأهدى صاحبُ أيلة النبيّ ﷺ بغلةً بيضاء، وكَسَاه بُرْداً، وأعطاه النبيّ ﷺ بُـرْدَهُ مع كتاب الصُّلْع .

أهل جَرْبَاءَ وَانْدُرُح:

وأتى الْهَـلُ جُرْبـاة وأَقُرُح' الى النبـي ﷺ، وطلبوا منـه أنْ يصـالحهم، مقــابــل جزية يدفعونها، فقبل الرسول ذلك منهم، وكتب لهم الكتاب التالى:

وبسم الله الرحمن الرحيم: بن مُعَمَّدِ النِّبِيّ رسُولِ اللَّهِ لأَهْلِ جَرْبَاءَ وأَفَرَى، إِفَّامُ امَنُونَ بأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُعَمَّدٍ، وإِنْ عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ بِيَادٍ فِي كُلُّ رَجِبٍ، وباللَّهُ أُوقِيَّةٍ فَيْسَةٍ، وَإِنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ تَخِيلُ بِالنَّصْحِ والإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَجَا إِلَيْهِمْ مِنْ المُسْلِمِينَ،

أهلُ دُومَةَ الجندل، وملكها وأُكَيْدِرُ بْنُ عبد الْمَلِك، من كِنْدَه، وكان نصرانياً:

بقي على الحدود إلى جهة الشام، أهلُ دُومَة الجندل، لم يفدوا إلى الرسول 難 طالبين الأمان والصلح.

فيعث السوسول خـالـد بن الـوليـد إلى مُلِكهم وأُكَيْـدِر بْن عبـد الملك، وقـال كــه الرسول ﷺ: إِنَّكَ مُشَجِدُهُ يُصِيدُ الْيَفرِ.

فخرج خالدً أميراً على سريّة من خمسمائة فمارس، حتّى إذّا كمان من جضّتِه بنسُّظِرِ الْغَيْنِ، وفي لِلّذِ مُشْهِرَةِ صَائِفَةٍ، وشُو على صَطْح له ومعه امرائه، فباتت يَقَرُّ الوحش تَحَكُّ بقُرونها بابَ القصر، فقالت له امرائه: هَلَّ زَلِّتَ بِثَلُ هَذَا قَطَّ؟!

قال: لا والله. قالتُ: فَمَنْ يَتُرَكُ هَذِه؟ قال: لا أحد، هنزل فامر بفرسه، فأُسْريجَ له، وركِبَ معه نفرٌ من أهمل بيته فيهم اخّ له يُصالُ له حَسُّان، فركب، ومحرجوا معه لمطاردة البقر، فلمَّا خرجوا تَلْتُنْهُمْ حَيْلُ رسول اللهُ ﷺ.

فَنَضَ الْفَرْسَانَ عَلَىٰ أَكَيْـبـر، مَلِك دُومَة الجندل، وقاتــل أخوه حسّــان، فقتلوه، وكـان على أكَيْبِر قَبَـاةً من بيباج مُـزَيِّنُ بالـذهب، فاسْتَلْبَهُ خالـدٌ مُــهُ، وبعث بــ إلى

 ⁽١) جَرْباة وأَفْرُح: قريتان متقاربتان.

رسول الله ﷺ قبل أنَّ يقَـنَمَ بِأُكِّـلِهِ عليه، فلمَّا وُضِعَ القباءُ بين بَدي الرسول جعـل الصحابة يلمَسُونه بأيديهم ويتعجّبون منه، فقال الرسول لهم:

وَالْمُخِبُونَ مِنْ هَذَا؟ فَوَالَذِي نَفْسِي بِسَدِهِ لَمَنادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُصَادِ في الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَاهِ .

وَقَدِمْ خَالِدٌ بُنُ الوليد بِأُكَذِيرِ على رسول الله 囊، فَحَقَنَ الرُسُول نَمَه، وصالَحَـهُ على الجزية، ثمّ خلّى سبيله، فرجم إلى بلمه وفومه.

وحقّن الله لرسوله النصر، وأحسَّت قبائلٌ العرب أنّ الرسول مُلكَ أَمُّو الجزيرة العربية، وأنّ الإسلام صار قرّة مرهوبة الجانب، من قبل دولة الرّوم، واستشار الرسول أصحابه في ملاحقة جموع الرّوم وراء تبوك، فأشار عليه عصر بالاكتضاء في هذه السنة بما حصل، فاستحسن رأيه وعمل به.

(V)

رحلة العودة إلى المدينة

بعد أن أقام الرسول 織 ومعه الجيش بتبوك بضع عشرة ليلة، آذَن بالرحيل عائداً إلى المدينة.

حادثة الوشل:

يوخِدُ في طريق العودة وادٍ يقال له: وادِي الْمُشْقَّق، فيه وشَلَّ {أي: نَبع ماء قليل يتحلّب متفاطراً ويتجمّع ما تُرْوي الراكب أو الراكبين أو الثلاثة .

فقال الرسول 癱: ومن سبقنا إلى ذلك الوادي، أو إلى ذلك الماء فـلا يستقيّنُ منّهُ حُتَّىٰ تَأْتِيه،

فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين، فـاشْتَقْرًا مـا فيه، فلمُــا أناه وقف عنــده فلم يَر فيــه شيئًا. فقال مستنكراً:

ومَنْ سُبَقَنَا إِلَىٰ هَذَا الْمَاء؟؟هِ

فقيل له: يا رسولَ افله، فُلانٌ وفُلانٌ، فقال: «أَوَلُمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يُشْتَقُوا مِنْهُ شيئاً حَتَى آتِيَهُ؟!»

وغضب من معصيتهم ودعا عليهم، ثمّ نزل عن واحلت، فوضع يكّه تحت الوشّل حيث يتفاطر منه الماه، حتى إذا تجمّع فيها مقدارٌ ما منه نُضَحَ مَكان تقاطر الماه يسا تجمّع في بله منه، ومَسَنحُهُ بيده، ودعا بما شاه الله أن يدعر بده، فتفجّر منه الماه تفجّرًا، وقال من سمعه: إنّ لَهُ جسًا تُحِسُّ الصّراعِيّ، فشرب الناس، واسْتَقُوا بنُه حاجتهم.

> حادثة تآمر بعض المنافقين لمزاحمة الرسول في الطريق ابنغاء إلقائه عن راحلته في مُنْحدر:

روى البيهقي عن حديقة بن اليسان قال: كُنُّ آخداً يخطام ناقة رسول الله، وعمّار يُسوقُ الناقة، حتى إذا كُنّا بِالْمَقْبَة (العقبة: مرقَّى صغبٌ من الجبال) إذا بأنَّيْ عَشَرْ رَجُلاً قد اعترضوه فيها، قال: فالنَّهَ ثَن رسُول الله يلاء فصرخ فيهم، فولُواً مُلْيرِينَ، فقال رسولُ الله: وهل عَرْقَمُ الْفَوْعَ؟، قلنا: لا يا رسول الله، قد كانوا مُثَلَّتِينَ قال: وهُولاء النَّمْنَافِقُونَ يَرْمُ الْقِيَافَة، وهل تَذْرُونَ مَا أَزَدُرا؟، فُلْنا: لا، قال: وأَرَادُوا أَنْ يَرْحُمُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْمَقْبَةِ قِلْقُدُوهُ منها، قُلْنَا: أو لا تبعث إلى عشائرهم حتى يَتْفَتُ إِنِّكَ كُلُّ فَوْمٍ بِرأَس صاحبهم؟ قال: ولا ، أكْرَهُ أَنْ يَعْمَلُونَ الْمُرْبُ أَنْ مُحَمَّداً فَاتِلَ يَقْوَهِ، حَنْى إِذَا أَظْهَرَهُ الله بِهم أَقْلَلْ عَلَيْهمْ يَقْتُلْهُمْ، ودعا عليهم.

وروى الإمام أحمد في مسنده نحو هذا الذي رواه البيهقي، وزادَ أنَّ عمَــاراً صار يضــرب وُجُوه رواجِلهِمْ يُنتَحَيها عن رسول الله، حتَّى قال: وقَدْ. قَدْ، قَدْ، اي: كفي كفي.

وهم الذين عناهم الله بقوله في سورة (التوبة):

﴿ وَهَمُّوابِمَا لَرَّيْنَا لُواْ . . . 🕲 ﴾ .

كماسيأتي إن شاء الله لدى تَدَبُّر النَّصِّ.

قصّة مُسْجِدِ الضّرار :

كان في المدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجُلُ من الحزرج يقال له أبو عامر

الراهب، واسمه دعيد عمرو بن صيغي بن مالك بن النمدان، أحدٌ بني ضبيعة، وكان قد تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكانت له عبادةً في الجاهلية، وله شسوف في الخزرج كبير، فلما قدم الرسول مهاجراً إلى السدية، واجتمع المسلمون عليه، وصارت الإسلام كلمةً عالية، وأظهرهم الله يوم بدر على مشركي مكّة، بارز أبر عاصر الراهب بالمدارة، وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كُفار مكة من مشركي قريش، يصالئهم على حرب وسول الله ملى والمؤمنين به، وخرج معه خمسون غلاماً أو دون ذلك، وكان الرسول قد دعاء إلى الله وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يُسلم وتسرّد، فدعا الرسول عليه أن يموت يعبداً طريداً، فائته دعوة الرسول فلا.

كان يُطلقُ عليه في الجاهلية لقب «الراهب» لعبادته على دين النصرائية، فلمًا كان منه ما كان من عداء للإسلام والرسول والسؤمنين أطلق الرسول عليه لقب «الفاسق» فكان المسلمون يلقّبوه بالفاسق.

وحين ألَقَى المسلمون بالكافرين للتنال كان اوّل من لقي المسلمين أبو عاسر الفاسق في الأحايش وتُمِيدًان أهل مكّة، فنادى قومه من الأنصار يستميلهم إلى تُشَرِّته وقرافقته، وقال لهم: أنا أبو عامر، فلمّا عرفوه قالوا له: لا أثْنَمَ اللَّه بِكُ عَيْناً يَا ضَابِق، يا حَكُو الله، ونالوا بِنَّهُ وسَبُّوه، فرَخِع وهُو يَقولُ: والله لقدَّ اصابَ قومي بعدي شرَّ.

وحاد إلى مكة بعد أحد، وراى أنّ أمر الرسول آخذ في الارتفاع والظهور، فرأى أن يذهب إلى هوقل مُلِك الرّوم، يستصره على محمّد وصحب، فرعَــــــــُهُ وَشَاهُ، وأقدام عنّده، وكتب إلى جماعة من قومه من الانصار، من ألمل النفاق والرّبب يَعِدُهم ويستَيهم أنه سَيْقَدُمُ بَحِيش يقاتِلُ به الرّسول، ويَقْلَبُ ويرَدُّه عمّا هـو فيه، واسَرَهُم أَنْ يَتَخفُوا له مَفْهِـكُ يَقْدَمُ عَلِيهم فيه من يقدَّمُ من عِنْدِه لإيصال, كتب، ويكون مَرْصَداً لُهُ إِذَا قَامِمَ عَلَيْهِمْ بِعَدْ ذَلِكَ. فَشَرَع المتاكِرُونَ مَنَّ فِي بناء مسجد مجادرٍ لِنسْجِدِ قَبَاه، فَيَنَوَّ وَأَصَّكُسُوهُ فَلَلَّ خُرُرج الرسول إلَى تَبَّوك، وجاءوا إلى الرسول فسألوه أن بياتي إليهم فيُضَلَّى في مُسْجِدِهم، لتكون صلاة الرسول فيه حجَّةً لهم على أنه فَذَ ثَبِي بِالنَّبِه وَلَهُوتَه، وذكروا أنَّهم إِنَّمَا بَنَوْهُ للضمفاء منهم وأقل العلَّةِ والحاجَةِ فِي اللَّيَة النَّبَطِيرة، معضَمَّه الله من الصلاة فيه، وقال لهم: إنَّى على جَنَاج سَفَّي، ولرَّقَدَّ قَيْمَنَا إنَّ شاء الله الانتناكم، فضلًانا لَكُمْ فِيه.

ولمَّا تَقَلَ الرسول 養 راجعاً إلى المدينة من تبوك، ولم يَثَّى بينه وبين المدينة إلاّ يومُّ أو بعض يوم، نزل عليه جريلُ عليه السلام بخير مُسْجِدِ الضُّرار، وما أُمِثُّ له هذا المسجد، قدما ﷺ قالِكُ بِنُ اللَّحُشُم، أَحَا بني سالم بن عنوف، ومُعَنَّ بَنُ عَدِي، أَوْ أَعَاد عاصم بِنْ عديًّ، أَحَا بني المجلان، فقال لهما:

وانْطَلِقَا إِلَىٰ هٰذَا الْمُسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمَاهُ وَحُرَّقَاهُ.

فخرَجا سَرِيغَيْنَ، حَنَّى أَتَا بني سالم بن عوف، وهم وهُطُ صَالِكِ بِّنِ المُخْشَمُ، فقال مالكُّ لفَعْنِ: أَلْقِطْرْفِي حَنَّى أَخْرُجَ إِلَّكَ بنارٍ بن أهلي، فنحل إلى أهله، فاحمَدُ صَمَّفاً من النَّخْلِ، فالشَّمَلُ فِيه ناراً، وَخَرَجا يَشْتَدُان، حَنَّى ذَخَلًا الْمَسْجِدَ، وفِيه أهلُهُ فحرَّالهُ وَفَدْمَاه، وتَعْرَق يُبَانُهُ عَنَّهُ.

وذكر ابن إسحاق كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام أسماء المنافقين الـذين بنوا مسجد الضرار، وأنهم اثنا عشر رجُلاً، وهم:

- (١) خِلَامُ بن خالـد، من بني عُبَيْدِ بْنِ زَيْـد، اخدِ بني عَصْرِو بْنِ صَوْفِ.، ومِنْ دارِه أُخْرِجَ مسْجِدُ الشَّقاق.
- (٢) تَفَلَيَّهُ بِنُ حَاطِبَ أَو تَفَلَيَة بَنُ أَبِي حاطب، وهو الذي رُوي أنّه منع الزكة لمّا أَفْتَنَى، وتبركُ الجُمْعةُ والجماعة، وهو غير ثَفَلَيةً بن حساطب الأنصاري من بني أنبَّة بن زيّد، فهذا من أهل بندر، وقد ذكر إنَّ الكلبي أنه مات بأَحْدٍ، وبَنَّهُ على الفرق بين الشَّخْصين الحافظ ابن حجر في الإصابة (ج ١ ص ١٩٨).
 - (٣) مُعَتُّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، من بني ضبيعة بن زيد.

- (٤) أبو حبيبة بن الأزّعر، من بني ضبيعة بن زيد أيضاً.
- (٥) عَبَّادُ بْنُ خُنَف، اخوسَهَل بْنِ خُنْف، من بني عَمْرُو بْن غَوْف.
 - (٦) خَارِيَةُ بْنُ غَامَرٍ.
 - (٧) مُجَمَّعُ بَنْ جارية بْن عَامر.
 - (A) زَيْدُ بِنْ جارية بْنِ عامر.
 - (٩) نَبْتَلُ بْنُ الحارث، من بني ضُبيْعة.
 - (١٠) بَخْزُجُ، من بني فُسَيْعة.
 - (١١) بِجَادُ بْنُ عثمان، من بني صُبَيْعَة.
- (١٢) وديعةً بنُ ثابت، من بني أميَّة بْنِ زَيْدٍ، رهط أبـي لُبايَة بن غَيْدِ المنذر.

وقــد نزل بشــأن مـــجـد الفــــرار الايتان (١٠٧ ـــ ١٠٨) من ســـورة (التوبــة) كمــا سيأتي بيان ذلك لدى تدئير النص إن شــاء الله.

.

(٨)

الوصول إلى المدينة

وصل الرسول والمسلمون معه مظفّرين منصورين، وتلفّاهم النساء والصبيان والولائد عند ثيّة الوداع مبتهجين فرحين بنصر الله، ودخل السدينة، وبدأ بالمسجد، فصلّى ركعتين، كعادته إذا فميم من سفر، ثم جَلَّسُ للنَّـاس، وكانُ لا يُقْدَمُ من سَفْمٍ إلاَّ نهاراً في الضحى.

••

المخلَّفون من المنافقين:

فجناءه المنتخلفون عنه في هذه الغزوة، وانحذوا يعتذرون إليه، ويحلنُمونُ لُهُ، وكانُوا بضّمةً وَشَمَانِين رَجُنَّكُ، فَيُمَّبُلُ مَنْهُمُ رَسُولُ اللَّهِ عَلاَنِيَّهُم. ويُشْتَغْفِرُ لَهُمُ، ويَكِلُ سَرَائِزُهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ تعالى . الْمُخَلِّقُونَ الصادنونَ المؤمِنون الثلاثة الذين جاءُوا

إلى الرسول وأعْلَنُوا أنهم لم يكن لهم صدر:

وكَانَ قد تخلّف عن الرسول في هـله الغزرة ثـلالة مؤمنون صادقون، قـدمـوا للسلام على الرسول ﷺ، فسألهم عن سبب تخلّفهم، فاعترفوا بأنهم لم يكن لهم عُلْرُ يجيز لهم أن يتخلّفوا بسببه، إلاّ أنهم تباطُـؤوا وأثرُّوا الرّاحَة، والبقاء في أهل وظلً وشعرٍ وماء، وقال الرسول بشأن كُلُّ واحدٍ منهم: وأمَّا هذا فقـد صدْق، فَقَمْ حُنَّي يُقْفِعي اللّهُ ليك، وهم:

- (١) كُعْبُ بْنُ مَالِك، لم يتخلّف عن غزاة غزّاها الرسول قط إلّا في غَزاة ثبوك.
 - (٢) مُرَازَةُ بن الربيع العامري، ممّن شهد بدراً.
 - (٣) هِلَالُ بْنُ أُمَّةِ الواقفي، ممّن شهد بدراً أيضاً.

وأمر الرسول بمقاطعة هؤلاء الثلاثة، ونهى المسلمين عن مكالمتهم، من دون سائر الذين تخلّفوا، ولو كانوا كاذبين في معاذيرهم.

واشتــدُّ عليهم الأمر، حتى فساقت عليهم الأرض بمما رَخَبُتْ، ووصــل خبــر مقاطعتهم إلى مَلِكِ غسّان، فكتب كتاباً لكَشُبِ بْن مَالِكِ، وبعثه إليه مع تاجــر نَبطِيُّ من أتباط الشّام (٤٠)، من الذين قدموا بطعمام بيبعونه في العدينة، وجعل يقـول في سوق المدينة: مَنْ يُدُلُّ على كُفُّ بْنِ مالِك؟ قال كبُّ بن مالك: فطفق الناس يشيــرون لُهُ إليّ، حتى جاء فدفع إليٌّ كتاباً من ملك غَشّان، وكنتُ كاتباً، فإذا فيه:

وَلَمَا بِعَدُ: فَقَدَ بِلَغَنَا أَنَّ صَاحَبُكَ قَدَ جَفَاكَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلُكَ فِي دَارِ هَـوَانٍ وَلَا مَضْيَمَة، فَالْحَقْ بِنَا تُوامِكَ».

قال مالك: فقلَّتُ حينَ قرأتُه، وهذا أيضاً من البلاء، فتيمَّمْتُ بِهِ النُّثُور، فَسَجَّرْتُهُ .

ومضت أربعون ليلة، فوجّه الرسول لهم أمراً بأن يعتزلوا نساءهم ولا يُقْرَبُوهُنُّ.

(١) الألياط: شعب سلمي كانت لهم دولة في شمالي شبه الحزيرة العربية، وحاصمتهم وسُلْع، وعُلْمَة وسُلْع، وشُلْع،
 وتُعْرَفُ الآن بـ والْبُيْزاء،

ومرّت عشر ليالر أخرى على هذه المقاطعة الناديبيّة المجزائية، فأنزل الله عزّ وجلّ قرآناً بتوته عليهم، فأرسل الرسول إليهم من بيشّرهم بذلك، ففرحوا بتوية الله عليهم فرحاً لم يفرحوا مثله في حياتهم قطّ، وقال الرسول كلة لكعب بن مالك:

وأَبْشِرْ بِخَيْرِ يوم مَرْ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَلْتُكَ أُمُّكَ.

قال كعب: أُمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهَ أُمُّ مِنْ عِنْدِ الله؟.

قال: ولاً، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله.

نزلت بتوبة الله عليهم الأيتان (١١٨ ــ ١١٩) من سورة (التوبة)كما سيأتي بيان ذلك لدى تدبُّر النصّ إن شاء الله .

...

المخلِّفون من المؤمنين الذين أوثَقُوا أنفسهم

في سواري المسجد دون أن يأتوا إلى الرسول:

. قال ابن عباس وآخرون في قول الله عزّ وجل في سورة (التوبة):

﴿وَوَاخَرُونَا عَثَرُولَ إِلَّهُ لُوْجِمْ خَلَطُولُ عَمَلُاصَلِكًا وَءَاخَرَ سَيِّقًا عَنَى اللهُ أَن يَنُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّا لَمَنْفُولِ تَرْجِمُ ۞ :

نــزَلُ في أبــي لَّبُابــة وَجِماعــة من أصحابِــه (قبل: هم معـه سنة، وقبــل: ثـــانبــة وقبل: عشرة) تــخَلُفوا عن رسول الله في غُرُوة بــوك. فلمّا رجع رسول الله ﷺ من غُرُوته رَبِّــطُوا أنفسهم بسَــوَّارِي السجــد، وحَلَفُــوا لا يُحَلُّهُمْ من ربـاطهم إلاّ رســول الله ﷺ؛ فلمّا نزلت الآية أطلقهم الرسول وعفا عنهم.

ورُوِي أَفِهم جناءوا بأموالهم إلى رسول الله وقنالوا: يها رسول الله هـنــه أموالنــاه فتصدّق بها عنّا، واستنفر لنا، فقال: ومَــا أَمِرْتُ أَنْ الْحَــذُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْسًا، فالنــزل الله عزّ وجلّ قوله:

﴿خُذُونِ أَنْوَلِهُ مَسَدَقَةُ طُلَهُرُهُمْ وَثَرْيَهِم بِهَا وَصَلِيعَتِهِمْ إِنْصَلَوْتَكَ سَكَنَّ لُمُمُّ وَأَفَّهُ سَمِيعُ عَلِيهُ وَهِي ٱلْمَرْضَلُ مُوا أَنَّ اللّهُ هُويَقَبْلُ التَّرَبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. وَيُأْخُذُ الصَّدَقَتِ وَأَتَّ اللهُ هُوَالتَّوَّابُ الزَّحِيهُ ﴿﴾. فأخذ رسول الله ﷺ تُلُثُ أموالهم وترك لهم الباقي.

قال ابن عباس ومجاهد ومكرمة والفسّخاك وآخرون، نزلت توبة الذين ربطوا انفسهم بسواري المسجد (ابي لّبابة وأصحابه) قبل أن تنزل توبة الله على الثلاثة الذين خُلُقرا (كمّب بن مالك، ومُرارة بن الربيم، وهلال بن أميّة).

. . .

(4)

خاتمة

هذه خلاصة أحداث غزوة نبوك، وسيأتي تفصيلاتُ وشروحُ وبياضات أخرى إنْ شاء الله لدى تــدَبُّر النصَّ من ســـورة (التوبــة) والله هو المستحــان، ومنه التـــوفيق واللفّــُحُ والتسديد.

. . .

القسم الثاني دراسة النصّ دراسة تدبّرية وفيه سبعة عقود

يلاحظ في آبات هذا النص أنها سارت وفق أسلوب ازدواجية البيان نشراً وطبًا بين المنافض على اختلاف صفاتهم وظواهرهم السلوكية، ودركاتهم في الفناق، وبين المؤمنين على اختسلاف صفساتهم ودرجاتهم في الإبسان، كحبلين محتلفين أيض مختلف الصفات ومتدرج الألوان، وأسود مختلف الصفات ومتدرج الألوان، وقد فتل كل منهما على الأخر، فظهر في السطح المنظور مقطع من الحيل الابيض، وبعده مقطع من الحيل الأسود، وهذا إلى النهاية.

البِقَدُّ الثاني: بيان أقسام مجتمع المسلمين يوشـذِ بعد استعـراض أهم الوقـائع. مع التعقيبات والتوجيهات الربانية.

العقد الثالث: قصَّة مسجد الضرار مع التعقيبات والنوجيهات الرَّبانية.

العِقْدُ الرابع: بيانات وتوجيهات تنعلَّق بقضايا وردت في العقود السابقة.

العِقْدُ الخامِسُ: تعليمات وتوجيهات حول الخروج للقتال في سبيل الله.

العقمة السائص: بينان موقف المنافقين تنجاه مناكان يننزل من القرآن تبناعاً في مقابل موقف المؤمنين.

البقدُ السَّابِع: آخر توجيه من الله للناس بالنسبة إلى الـرسول محمَّد 識، ومعه وصية من الله للرسول.

الْعِقدُ الْأُوُّلُ

هذا استعراض أكبر وقائـع المنافقين وغيـرهم من العسلمين إيّان أحـداث غزوة تبوك مع التعقيبات والتوجيهات الرّيّانية وبعض المقدمات.

قول الله عزّ وجل خطاباً للذين آمنُوا:

﴿ اَنفِرُوا خِفَافَا وَيْتَ الاَوْجَهِ ثُوا بِأَنْوَالِكُمْ وَأَنفُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهُ ذَٰلِكُمْ خَيّرٌ اَكُمْ إِن كُنْدُونَكُ هِ ﴾ .

سبق همذه الآية تَوْجِيهُ اللَّمِهِ لَلْذِينَ أَمْسُوا بِسببِ تشاقلهم إلى الأرض وعَسَدُم نهوضهم بهمّة ونشاط، إذا أُمِرُوا أن ينفروا في سبيل الله، وتُبِع هذا اللَّوم تهديدُهم يعذاب اليم إنَّ لم يُثَرُوا استجابة لأمر الرسول لهم بأنَّ يُشِرُوا مقاتلين في سبيل الله، وتهديدُهم باستدال قوم غيرهم لنصرة رسوله ولنصرة دينه، يقاتلون في سبيله غير متاقلين ولا متباطئين ولا تُشكابيلين.

وجماءت هذه الآيةُ تَتَضَمَّنُ أَمْراً مُباشراً من الله لهم بـان بَغْرُوا على آيَّةِ حـالَــةِ صالِحَةِ لقتال, العدرُ جَفَافاً وثِقالاً .

والخطاب موجّه لغير ذوي الأعذار التي تعفي أصحابها من الفتال في سبيل الله. بمقتضى بيانات أخرى، جاءت في القرآن، كالعريض والاعمى والاعرج وأشباههم.

وتتضَّنُ أيضاً أمراً مباشراً من الله عزّ وجل لهم بـأن يجاهـدوا بأسوالهم وأنفسهم في سبيل الله، بمختلف أنواع الجهاد.

الأثرُّ بِالنَّمْرُ المَّرِ بالخروج من مكان الإقامـٰه، والضرب في الأرض بِسُرَّعَةِ تَسَادَيَةٍ عَمَـٰل بُبَيِّئَهِ الأَمِرُ بِالنَّفْر، وهو في الدين الجهادُ في سبيل الله على اختلاف أنواعــه وأشكاله وصوره، ومنه جهاد الدعوة إلى دين الله، وجهادُ القائل في سبيل الله. يقال لغة: نَفَرَ يَنْفِرُ نَفْراً وَنَفُوراً إذا أَسْرَعَ مُغارقاً مكان إقــامَتِه، ضــارباً في الأرض مُرْتحلًا مسافراً.

ومنه يُقال: نَفَرَ الْحُجَّاج من منى، إذا دَقَعُوا مُنوَجَهين لمكَّة، والنَّفُرُ تُصاحبه عادَةُ الهيئة وسُرعةُ الحركة والنشاط.

والنَّمْوُ لتاريخ وظيفة وبيئة يكونُ بخسب همله الوظيفة، فإنَّ كانت هذه الوظيفة لا تحتاج أن يكونَ النافر ثقبلًا بعتاد واسلحة ومؤونة، نَفَرَ خَفِيفًا، كان تكون وظيفتُه المأمورُ بان يقوم بها، دعوة إلى دين الله، أو استعلاحاً لاخبار العدو، أو مناوشة خفيفةً تعتمد على الكرّ والفرّ. وإنْ كانت همله الوظيفة تحتاج أن يكون النافر ثقيلًا بعتاد وأسلحة ومؤونة ونحو ذلك، نَفَرَ ثَفِلًا، أي: مستصحبًا هذه الأثقال.

لذلك جاء النص يخاطب اللَّهُ فيه الذين آمنوا بقوله:

﴿ أَنفِرُواْ خِفَافًا وَيْقَالًا ﴾ :

اي: إذا أُمِرْتُمْ بَأَنْ تَنْفِرُوا جِفَافاً فانفِرُوا خِفافاً، وإذا أُمِرِثُمْ بَأَنْ تَنْفِرُوا فِنالاً فانفِروا يُقالاً، فالتكليفُ يُشْبُعُ طبيعةَ العمل المطلوب في النَّفر، ويكونُ على الشوزيع بحسب القدرات والاختصاصات، ويشمُ ذلك من قِبَلُ القبادة الامرة بالنَّفر.

ولمُمّا قَانَ النَّقَرُ الَّذِي بِالنَّرُ بِهِ الرسولُ او أميرُ المؤمنين من بعده وسيلةً للقيام بَعْمَل جهاديًّ لنُصْرَةِ الإسلام أوجماعةِ العسلمين، سواة أكان جهاداً يقتال أو بنيسره، أتُنَعَ أَنْهُ عَزْ وجلَّ الأَثْرُ بِالنَّمْرِ بقولهِ خطاباً لَلَذِينَ آشُوا:

﴿ وَجَنِهِ دُواْ بِأَمْوَ لِكُمْ وَأَنْفُوكُمْ فِ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

الْمُجَاهَدَة؛ هِيَ بِلْلُ جَهْدِ زائدِ لتحقيق الغاية من العمل السطلوب، وهي تكون بالبِذَّلِ من الأسوال، وبـالبـذَل من الأنفس، أي: من طاقةِ الجسمِ وقُـدَّراتـه، حَمَّى تعريض الحياة للقتل، وهو غاية البذّل المستطاع لذي الحياة.

وجاء في النصّ تقديمٌ المجاهدة بالأموال على المجاهدة بـالأثَّش، لأنَّ المجاهدة بالأموال هي الوظيفة الأولى الَّتي يتحقَّى بها الإعداد بالأسلحة والعتاد والمؤن والخفط والتدبيرات المُدَّرَمة للنُّتُّلُّ والارتحال والشُّغر قبل المجاهدة بالأنفس. وجناء تَقْبِيدُ الجهند بأذْ يَحُون في سبيل الله، لأنَّ بَدَل الْجَهدِ إِذْ لَم يكن في سبيل الله، فهو إمَّا عملُ غير مأجور عند الله، أو عملُ يَنْحَمُّلُ به بالذِّلَّه وزراً، والعمل غير المأجور هو ما كان للحصول على شهوةٍ مباحة دون اقترائه بنِيَّة تجعله بحكم الشرع طاعةً لله، والعملُ الذي يتحمّل به باذلُه وزراً هو ما كان في معصية الله.

وسيل الله هو دينه، وصراطه المستقيم الذي رسمه لعباد، حتى يسيروا فيه. وهمو أيضاً ابتغاه مرضاته في اتباع أوامره واجتناب نواهب، والثقيد بأحكام شريعت، والوقـوف عند حدود، والمراد من الجهاد في سبيل الله هنا ما يكون به نشر دين الله، والـدعوة إليه، ونصرةُ المسلمين والدفاع عنهم، وإقامة الحقّ والمدل في الأرض.

وبعد الامر بـالنفر وبـالجهاد بـالاموال والانفس طباعة لأمر الرسـول أو أقر أمير المـؤمنين من بعده، استحث الله عزّ وجلً عواطف الذين آمنوا لتنفيذ ما أُمِـرُوا به، بـاللهُ خَيْرُ لُهُمْ مَمّا يتصوُّرُونَ المحافظة عليه من أموال أو أنفس، فيما لـو اثّاقلُوا إلى الارض وتباطُؤُوا وتَكاسَلُوا، ولم يَنْفِرُوا مجاهدِين في سبيل الله، فقال تعالى لهم.

﴿ وَالِكُمْ مُنْ اللَّهُمْ إِن كُنتُ مُ تَعَلَّمُوكَ ١٠٠

المشار إليه بــ ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ هو النُّفْرُ والجهاد بالأمُّوال ِ والأنفس.

﴿خَيْرٌلَكُمْ ﴾:

أي: أَكْثُرُ نَفَعاً وَفَائِدةً لكم عاجلةً وآجلةً من إيثار الإنساكِ والسَّلامة.

﴿إِن كُنتُ مِّ تَعْلَمُونَ ﴾:

لى: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما يُعطيكُمُ الله من خبر عاجل وآجل جَلَمَ يقين، عَلِمَتُمُّ النَّ النُّقُرُ والجهاد طُماعَةً لمرسول أو لاميركم من بعمده أكثرُ نفصاً وفائسة لكم، فلَمُ تُفصُّرُوا بالقبل بهذا الواجب الجهاديّ.

...

﴿ لَوْكَانَ عَرَضًا فَرِيبًا وَسَفَرًا فَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ۚ وَلَنَكِنَ بَعْدَتُ عَلَيْهِمُ الشُّقَةُ

وَسَيَحْلِنُوكَ بِاللَّهِ لَوِ السَّمَالُمُنَا لَمُرْجَنَا مَمَكُمْ يُتُولِكُونَ أَفْسَهُمْ وَاللَّهُ يُمَلُّمُ إِنَّهُمْ لَكُذِينُونَ ۞﴾

في هـــله الآيا، يتحـــلت الله عزّ وجــل عن عصــوم المنافقين المتخلّفين عن الرك ﷺ في غروة تبوك، سبواة من استأذن منهم ومن لم يستأذن، ولكنّ جاء بعــل الغزوة معتنزاً، مع أن الرّسول قد أمر المسلمين بأنْ يُغفّروا أمر إلزام، ولم يقتصر على النترب، باستناه ذوي الأعذار الشرعة، فعموم المنافقين سيحلفون للرسول وللمؤمنين مقسمين بالله على أثّهم لو استطاعوا الخروج مع المؤمنين لخرجرا، وهم كاذبون، فقــل كانوا يستطيعون الخررج، ولكن وجدوا أنّ الخروج إلى هذه الغزة محفوف بالمتاعب الشديدة، والمخاطر الكبرة، فالمواجهة ستكون مع جبش دولة عظيمة ذاب إمبراطورية كبرى، لا مع جموع قبائل عربية، وهم إنّما يخرجون للمشاركة في تحقيق مفانم، أو في غنوات قريبة يسترون بالخروج مع المسلمين فيها نفاقهم، ويقـدّرون أنّهم بملكون فيها سلامتهم.

جاء في سيرة ابن هشام: أنّ ناساً من المنافقين كانُوا يجتمعون في بيت وسُويَلُم،
الهمودي، يُشِطُون الناسُ عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فَيَتَ إليهم النبيُ ﷺ
طُلْحَة بُنَّ مُنِيَّد الله في نَفْرِ مِنَّ أصحاب، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْرَق عليهم بِلْتَ وسُويَلُم، فقَمَلُ طُلْحَةً، فاقْحَمُ والصَّحَاتُ مُن عَظِمِ البيتِ فالكُمَرَتُ رَبِّلُه، واقْتَحَمُ أصحابُهُ فَلَ بَشْعٍ له.

فيقولُ الله عزَّ وجلَّ بشأن المتخلفين من المنافقين:

﴿لَوْكَانَ﴾:

أي: المأمور بالخروج إليه.

﴿عَرَضَافَرِيبًا ﴾:

أي: شيئاً من متاع المدنيا فمريباً يُمْكنُ الحصول عليه وتساولُهُ من فُمرْبٍ، كَشَأَلِنِ غَنَائِهم خَيْثِير. الْمَعْرَض: كلَّ ما كان من متاع الحياة الدنيا قلَّ أُوكَثُرُ، سُمَّيَ غَـرَضاً لاَنَـهُ يَعْرِضُ وَيَزُول.

﴿ وَسَغَرًا قَاصِدًا ﴾ :

أي: ولو كان الدامور بالخروج إليه مَغراً سَهْلًا، فالقاصد من الأسفار الشهل الذي الأسفار الشهل الذي الأعشر فيه ولا شقة، يقال لفة: بيّننا وبين العام ليلة قاصدة، أي: هيّنة السّير لا عَشر فيها ولا مشقة.

﴿ لَاَنَّبَعُوكَ ﴾:

أي: الاتُّبَعك يَا مُحَمَّدُ هؤلاء المتخلَّفون من المنافقين.

﴿ وَلَنَكِنَ بَعُدَتَ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾:

أي: ولكن يُمُدَثُ عليهم المسافة التي يُشُقُّ اجتيازها. تُطَلَقُ الشُقَّةُ في اللّغة ويُرادُّ مِنْها الشُفْرُ الجيدُ، والمسافةُ التي يُشُقُّ اجتيازُها، والمعنى: ولكنْ يمُدَثُ عليهم الشُّقَةُ فلم يُنْهُمُوكُ ﴿فِيهُ النِّهُ لَكُمْ الوَّاسِينَ عنهم قائلًا لهم: إنَّهم بَقَدَ صَرُّوَيْكُمْ من غزوة تبوك سيحلفون بالله لكم لو استَطَفًا لخرجنا معكم، دل عله:

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ إِلَّهِ ﴾:

أي: لَكُمْ هِلْوَلِسَتَقَلَعْتَالْمُزَجَّنَا مَصَكُمُّ هِوابان الله عنز وجلُ أنَّهُم بهنده الايسان الكاذية هُوَيُهُلِكُونَا لَفُصُهُمْ هِامِي: لأَنْهِم يُعْرَضُونِها لعقاب الله المعجّل والموجّل، وفي العقاب المعجّل هلاك لهم، الهلاك: الموت، والتناقشُ المتدرَّج حُثِّن الفناء، وذلك لأنَّ الله الذي يحلفون باسمه كاذبين يُقلُمُ أنْهم كاذبون، فَيَعَاقيهم عقاباً مهلكاً لهم في الحياة العاجلة على كذبهم المُعوَّقِ عِنْدُ النَّاسِ بِالْقَسْمِ، باسمه، فقال تعالى:

﴿ وَأَلَّهُ يُعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكُلِيدُونَ ١

فَاكُدْ مُبْحَانَةُ أَنْهُمْ كَاذِيونَ بِعَدَّةً مؤكّدات، هي: إنَّ _ والجملة الاسمية _ واللّام المزحلقة، وكُتِرَتْ همزَّةً وإنَّه بعد فعل ويُقلّم، لوجود اللّام المزحلقة في خَرِها.

قول الله عزّ وجل:

﴿ عَمَا اللهُ عَنكَ لِمُ أَوْتَ لَهُمْ عَنَّى يَنْبَنَّىٰ لَكَ الْفِيتَ صَدَفُوا وَتَمَلَّمَ الكَذِيبِتَ ۞ لايَسْتَغَذِنكَ الَّذِينُ يَمِينُونَ بِالْفَوْالْيَوْرِ الْآخِدِ الْنَجْمِهُ وَا يأْمَوْلِهِمْ وَالْفُسِيمُ وَاللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمَنْقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسْتَغَذِنكَ الْفِينَ لاَيْفِينُونَ إِلَّهِ وَالْيُوْمِ الْآخِرِ وَازْنَاتُ مُنُّومُهُمْ فَهُمْ فِيرَيْمِهِمْ زَمَّذَوْنَ فِي ﴾ .

جماء فريق من المتنافقين قبل خروج الرسول إلى غزوة تبوك يستأذنونه في أن لا يخرجوا معه، مُتَمَلِّين باعدار لتُقُوها، فقبل الرسُولُ منهم اعدازتُهمُّ بِحَسَب ما أظهروا من أحوالهم، وأذِنْ لهم بعدم الخروج، فعاتبه الله عزّ وجل وتُلطّف معه بالعتاب، إذْ قُلُمَّ عبارةً الْمُقْوِعت، قَبْلَ سُوَّالِهِ سؤالُ عِتابٍ عن سبب تعجّله في الإذن لهم، دون أن يَتِيَّن أحوالهم، ويَعْلَم الصَّادِقين منهم في أعدارهم ويقلمَ الكاذبين، فقال له:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ؟ ﴿.

الْمَقُوُ الْبَلَغُ مِن الْمُقْرِان، لأنَّ العفو مَحُّو للأثر، أمَّا الغفران فهو سترَّ له.

وعبارة ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ؟﴾ استفهامُ فيه معنى العتاب.

وعبارة ﴿ مَثَنَّى نَبَيْنَ لَكَ اللَّهِينَ صَنفُوا وَتَقَلَمُ الْكَافِينَ ﴾ سِينَةً على جُمَاةٍ محفوقة تقديرُها: كان ينبغي انْ تتربَّتُ في الإند لهم، أو أنَّ لا تأذن لهم حتَّى يَبَيَّنُ لـك الذين صدقوا وتَعَلَمَ الكافيين، وهذه الجملة المحدوقة يمكن إفراتُها من توجيه السؤال المتابى.

ولم يكن إذن الرسول لهم ذنباً أصلاً، لأنه لم يخالف فيه تكلياً ولا توجيهاً سابقاً، وإنّما أرشده الله بهذا الأسلوب التمييري إلى ما هو الأكسل والأحسن من تصرّب إداري في هذا الموضوع، فلقد كنان من الأحكم والأحزم أن يتبيّن أحوالهم قبل أن يأذن له منهم، ليكتف حقيقة مُونياتهم صلقاً وكذباً، وبذلك يكشف نفاق المنافقين من المستأذنين، وهذا الإرشاد له يتضمّن أيضاً إرشاداً لقادة المسلمين وأمرائهم من بعده، إنّ المغروض فيمن يُولَى الإمارة أن يكون ماذوناً له بأن بتصرّف بما

يراه الأصلح ولو أخطأ في اجتهاده ولم يموافق ما همو الأصلح والأحكم، والتعقيب عليه يكون بلفت نظره إلى ما هو الأحكم والأحسن والأصلح.

ويعد هذا أيان الله عرّ وجل أن من صفات الذين يؤمنون بالله واليوم الأخر إيماناً صادقاً متجدداً حياً في قُلوبهم وتصوراتهم، إذا أمرهم بللك أشر إلزام، بل تدفعهم يأموالهم وأنفسهم على قدر استطاعاتهم، إذا أمرهم بللك أشر إلزام، بل تدفعهم بواعث تقوى الله إلى طاعة المرسول، فمن استطاع أن يبذل من ماله بلل مه، ومن استطاع أن يبذل من نفسه على قدره بلل، ومن استطاع أن يبذل من ماله ونفسه فسل، وفو المُلْدٍ يعرض حاله على الرّسول عرضاً مستظراً ما يامره به، إن لم يكن من أهل الأعدار الظاهرة الذين جمل الله لهم استناء، كما فعل الكافون حين جاموا إليه عارضين عليه أقهم لا يملكون ما يحتاجون إليه في هذه الغزرة، وطالبين أن يعطيهم ما يحملهم فيها، فقال لهم الرسول: لا أجدً ما أحملكُم عليه، وأذن لهم بالتخلف، فانصرفوا وهم يبكون حزَناً لأنهم لا يجدون ما يُغفون.

إنَّ عرض الحال مع بيان الاستعداد للقيام بالعمل المستبطاع يُمَكَّن الرسول من توجيه كلَّ فردِ للعمل الذي يستطيعه مقيماً أو مسافراً، ضمن الخطَّة العامَّة.

وفي بيـان هذا الـوصف من صفات الـذين يؤمنـون بـاللَّهِ واليـوم الآخـر قـالُ الله عزّ وجلّ لرسوله:

﴿لَابَسَتَنْفِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِلَّهَ وَالْيَوْرِ الْآخِـرِ أَنْ يُجَمِّهِ دُواْ إِنْوَاهِمْ وَأَنْفُسِهُمُّ وَالْمُعَامِدُ وَإِلْمُنَقِينَ ۞﴾.

استُعْمِلُ الفعلُ المضارع ﴿يُولِينُون﴾ للذّلالة على أنّ إيمانهم متجدّد متحرك حاضرُ في التصور، غير ساكن ولا غافل ولا غائب.

وذُكِرُ من أرْكان الإيمانِ الإيمانِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الأحر لأنَهما الـركتبان الرئيسان الباعثان على التقوى، بالطاعة في فعل ما أمر الله به وترك ما نهنى عنه، وطاعةِ من أمر الله بطاعته.

وجاء المطلوبُ الإذن به بصيغة ﴿أَنَّ يُجَاهِدُوا﴾ وهذه الصيغة على تأويل مصدر

ولمَّا كان من الَّذِين يخرجـون ولا يستأذنـون بالتخلُّف مؤمنـون متقون ومنـافقون، قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَأَقَدُ عَلِيهِ مُرَّا الْمُنَّفِينَ ١

أي: من اللذين خَرَجُوا ولمْ يستاذنوك، فالمضون هم اللذين يثبهم الله على خووجهم مجاهدين بالموالهم وانفسهم، وهو عليم أيضاً بكلّ المتقين سواه اللذين جاهدوا والذين لم يجاهدوا لسقوط الجهاد عنهم بسبب أعذارهم الحقيقيّة.

وأكد الله خصر طلب الاستدان بالقسام من المنتمين إلى المسلمين أخفّهم الذين لا يكون إيمائهم بالله واليوم الاخر إيماناً متجدداً حيَّا عاملًا حاضراً في تصورهم المثير لإراداتهم، لذلك فهم يتعرضون لواردات الشكوك التي ترتاب بها قلويهم حول قضايا الإيمان، فإذا ارتابت صادراً في ربهم يترددون، لا يبت فيهم إيمانً مستقرً يدفعهم بلا تردد إلى الجهاد بأموالهم وأنفسهم، وهؤلاء هم قسم ضعضاء الإيمان، وأشدً منهم المنافقون المذبذيون بين الإيمان والكفر، وهم إلى الكفر أقرب، وأشدً لاقسام المنافقون المستقرون في الكفر الذين مردوا على النفاق.

واستغنى النصّ بـذكر أخفُ الأقسـام لأنَّ ذكْرُهم يـدلُّ من باب أولى على الـذين هم أشدّ منهم، فقال الله عزّ وجل:

﴿ إِنَّنَا لِسَنَقَيْنَاكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْقُورُ الْآنِدِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَسِيهِ مُرَّمَّدُونَ ۞﴾.

﴿إِنَّمَا﴾:

أداة حمد .

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:

أي: الذين لا يجدون إيمانهم حتى يكون حيًّا فاعلاً ماثلاً في تصورهم: وأخذاً
 من صيفة الفعل المضارع، ولم يقلّ: الذين لم يؤمنوا، أو الذين ما آمنوا.

﴿ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾:

أي: وسبب عـدم تجديـد إيمانهم، تعرّضـوا للشكـوك، فـاثّـر تـوارّدُهـا على تصرّرانهم حنّى ارْتابتْ قلوبهم.

﴿ فَهُمْ فِي رَبْيِهِمُ أَمَّرُدُّدُونَ ﴾:

لي: فهم في الشُّكُوك التي انتقلت من تصدوراتهم إلى فلوبهم، فسزاحمتُ إيمانهم، فصاروا في قلوبهم وإراداتهم يترتذون بين دواعي الإيمان، ونـوازغ الشُّكُوك، وهذا من أمراض الفلوب التي قد يتعرّض لها أهل الإيمان.

التردّد: هو التنقل بين طرفين ذهاباً ورجوعاً.

إنّ فهم الآية وفق هذا التحليل بكشف مدى العمق القرآني المعبّر عن حركات النفوس البشريّة فيما تتعرّض إليه، ويكشف مدى دقته في الأداء.

ومن أسالب القرآن ذكر الأخف تنبيهاً على ما هو أشد منه، وذكر أعلى المراتب وأدناها تنبيهاً على ما بينهما، وكذلك ذكر أعلى الـدرجات وادنــاها، وذكر أوّل الأقـــام وأخِرها.

* قول الله عزّ وجلّ:

 يتابع الله بهذا بيان حقيقة المستأذين عن الخروج مع المرسول إلى ضروة تبوك، فيكشف أنّهم منذ وبّه الرسول الأمر بإعداد العدّة والتجهُّر لغزو المروم في جهة تبوك لم تتربّه إراداتهم لطاعة الأمر، ومشاركة الرسول والمؤمنين معه في هذه الغزوة، بـل كانوا عازمين على علم الخروج، وكارهين له.

والدّليل على ذلك أنهم لم يُعاوِلُوا إعداد صُدُّةٍ ما، مننذ بلّـذِ توجيع الأصر، فأعذارُهم الطارثة التي ذكروها أعذارُ مخترعة كافية، إنّهم لو أرادوا الخروج مُثَّلُّ توجيه الأمر بالاستعداد له، لاخذوا في محاولة إعداد عُدُّةٍ ما، ولو كانت دُون السطلوب لهذه الغزوة، لكنَّ شيئاً من ذلك لم يحصل فهم إنذ ما أرادوا الخروج منذ بداية الأمر.

إِنَّ اللهُ عَرَّ وَجِلَّ يُمَلِّمُنا بَهِذَا أَن نَنظر إِلَى الأمارات الطَّاهرات وأن نبحث عنها ، لنستغيد منها في معرفة ما تُخفي النفوسُ من إراداتٍ ونيَّـاتٍ وَمُعْتقدات وضواطفٍ حبُّ وكراهية ، فقال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُـرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً ﴾:

أي: عُدَّةً ما، ولو كانت عُدَّةً قَلِيلةً لا نفي بالمطلوب لهذه الغزوة.

لقد علم الله أحوال قلويهم على اختلاف درجاتهم، من ضعفًا، الإيمان الـذين ارتابت قلويهم، حتى المنافقين المذيديين بين الإيمان والكفر وهم إلى الكفر أقرب، فأخش المنافقين وهم الذين مردًوا على النفاق مستقرين في الكفر.

وعلم سبحاته وتعالى كُراهِيتُهُمُّ الخروخِ مع الرسول ﷺ لغزو الروم، الأمر الذي كان قد ألمح الله إليه في الايــة (١٦) من سورة (الفقـح) كما جــاه في النص (٣٠) من هـلمه الدراسة، وهو قوله تعالى فيهـا:

﴿ قُلِيلَمُ خَلَفِينَ مِنَ ٱلْأَغَرَابِ سَنُدَعَونَ إِلَىٰ فَرِمُ أُولِيا بأسِ شَيِيدٍ لَفَنِيلُونَهُمْ أَرْيُسُومُونَّ فَإِن شَلِيعُوا يُؤْوِنُكُمُ أَلِمُنَا أَجْرًا حَسَناً وَإِن تَعَوَّلَوا كَمَا فَرَلِّيمُ مِن قَبْلُ يُعَذِّب

وإذْ قد علم الله منهم كراهيتهم طاعة رَسُولِه والبجهادُ في سَبِيله قابلُهُمْ مِشْلُر مَا في قُلُوبِهم، فَكُرهُ البِّمَائُهُمْ مِنْ مَقَاعِدهم، فَبُلُهُمْ عن النّهوض للخروج مع الرسول في غورة بوك، فقعدوا مم القاجدينَ من أهل الأعذار الفجزة. التَّشْبِيطُ: إقَامَةُ العوائق المادّية أو النفسيّة عن القيام بالْعَمَل.

وكراهيّةُ اللّهِ انْبِعاتُهُمْ وَتَثْبِيقُهُ إِيّالُهُمْ مِن مظاهر سُنّةِ اللّهِ في عبداد، في الإقبال والإدبار، في الحبّ والكراهيّة، في إرادة الخبر وإرادة النّسَرَ، ونحو هذه الأضداد المنظلة

فمن أحبُّ لقاء الله أحبُّ الله لقاءه، ومن كُرِهُ لقَاءَ الله كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَه.

ومَنْ أقبل نحو ربَّه أقبل الله إليه، ومن أعرض عن ربَّه أعرض الله عنه.

ومن أَوَادُ طَاعَةَ اللَّهِ وَقُمُلُ الخيرِ أعانه الله وأمدَه بالقوَّة والنشاط، ومن لم يُرِدُّ فعل الخير ولم يُردُّ طاعَةَ الله تُبْطُهُ الله وأقْعَلَه عن فعل الخير، ولم يُعِبَّه على فعله.

ومن أراد معصيةً من المعاصي سخّر الله له الأسباب ومكَّنه من تعاطيها.

وهكذا إلى سائر أعمال العباد ضمن دائرة قفساء الله وقدره وخلَّف، وحكمته في امتحان عباده.

فالمعنى: ﴿وَلَكِنْ ﴾ ما أرادوا الخروج، بل كرهُ وا الانبصاف من مقاعدهم ومشاركة المؤدنين الجهاذ بأموالهم وأنشيهم في سبيل الله ف ﴿كُونَه اللهُ الْهِمَاهُمْ ﴾ فَيَشَرُ اللّهُ قَهُمُ الاسْبَابَ التي تُحقَّقُ لَهُم مَا يُرِيدُونَ ﴿فَيَشَطُهُمْ ﴾ بها، فَقَصَدُوا عَنِ الْخُرُوجِ، وتَخَفَّوُوا ﴿وَقِيلُ ﴾ لهم على سبيل التحقير والإهانة والازدواء: ﴿أَفْدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ من أولي الضَّرر كالمُنتَيانِ والْمُرْج والمعرضي والْعَجْزة، وسع القاعدين من الصبيان والنساء.

ولمَّا كان هذا القول يُصْلُح أن يقوله لهم كلُّ ذي بصيرة، كانَّ المناسب أن يـأتي بصيغة المبنيّ لما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ.

فىالله والرسول والملائكة والمؤمنون يرندرونَهُمَّ على تخافُلهم وبَحَبُيْهم وخَبُلُهم للرسول والمؤمنين، فيقولمون لهم: اقْمَدُوا سع الفاصدين من الضَّعفاء والْعَجَرَةِ وأُولي الصُّرَر.

بعد هذا الكشف لهوّيّة المستأذنين عن الخروج مع الرسول إلى غزوة تبوك، أبان الله عزّ وجلّ للرسول والمؤمنين أنّه قد كان بن الخير لهم أن لا يخرجوا معهم في هذه الغزوة ولا في غيرها، وذَلِكَ لئلاثة أسباب:

السبب الأول: دلُّ عليه قول الله تعالى:

﴿ لَوْحَسَرَجُواٰفِيكُمْ مَّازَادُوكُمُمْ إِلَّاحَبَ الَّا ﴾:

أي: لـــو خـرجــوا معكم مختلِطِينَ فِيكُمْ مَــا زَادُوكُمْ قُـــَوَةً وَمَنعَةً وَمَكَيــــأَ، وإنَّ يَزِيدُوكُمْ شَيئًا فَالْهُمْ يَزِيدُونَكُمْ خبالاً .

الخيالاً: الفسادُ في الفِكْر، أو في عُضُو من الأعضاء بسبب داو فيه كالشّلل، أوبسب قُطُعه، ويسأتي الخيالُ بمعنى النقصان، ويمعنى الهلاك، ويمعنى السُمّ القاتل، وأعمالهم التي تزيد في الخيال هي الكذب والنميمة، وإشارة الشكوك والشيهات، وتثبيط العزائم بالأراجيف، والانخذالُ عند الشدائد وغير ذلك.

ولمَّا كان بوجد ضمَّن الذين خرجوا مع الرسول منافقون قد خرجوا لا ليجاهـدوا ولكن لِغُسِـدُوا، وليكونـوا كدهُو أَسْلُ. ولينَّمُسُوا المُّسـائس، وليُسْرِعُوا في الفَتنةِ ما وجدوا لها سبيلاً، كان الذين استاذَنُوا في التخلّد لو خرجـوا مع الخارجين ما زادوا المؤمنين إلاّ جانب الخبال الذي يصنعه المنافقون الخارجون معهم مختلطين فيهم، وقد ظهر بعض هذا الخبال من المنافقين المشاركين في الغزوة.

فالاستنشاء على هذا استثناء مُتَصل، ولا داعي لتصوّر كونه استثناءُ منقطعاً، ولا للبحث عن تخريجات متكلّفة.

السبب الثاني: دلُّ عليه قول الله تعالى:

﴿ وَلَا وَضَعُوا خِلَالُكُمْ بَبِعُونَكُمُ ٱلْفِئْنَةَ ﴾.

﴿ وُلَّا وَضَعُوا ﴾:

أي: وَلَاقْسَدُوا، وفي الشرّ والضُّرّ أسرعوا.

يقال لُغةً: أوْضَعَ الرُّجُلُ بين القوم إذا أسرع في الإنساد بينهم، ويضال: أوْضَعَ في الشَّرَ إذا أَسْرَع في، ويُقال من الثلائي: وضَعَ الرُّجُلُ إذا أسرع في سُبْهِ.

﴿خِلَنَكُمْ ﴾:

أي: في أماكنِ الْقُرَجِ بين جُمْعِكُمْ أَيُّهَا المؤمنون.

الْحِلَالُ: جَمَّعُ والْخَلَّةِ، وهي الْفُرْجَةُ بين شيئين.

﴿ بَبْغُونَكُمُ ٱلْفِئْنَةَ ﴾:

أي: يَطْلُبُون لكم الفتنة، سَاعِينَ في نِتْنَكِم عن دينكم، واجتماع كلمتكم، وترابط قُواكُمْ.

يقال لُّغَةُ: بَغَيْتُ لَكَ الأَمْرَ، وَبَغَيْتُكَ الأَمْرَ، أي: طلبتُه لَكَ.

الفتخ: تُطْلَقُ للدَّلالة على معاني متصدَّدة، منها: الفسلال وارتكاب الإثم، ومنها الاضطراب ويلبلة الافكار وتعارضها في المجتمع، ومنها إزالة الإنسان عماً هر عليه من أمر محمود العاقبة إلى أمر ذي عاقبة سيئة ذميمة. وهذه المعاني مجتمعةً تصلُّحُ لأن ترادهنا.

فالمعنى: ولو حرجوا معكم مختلطين في جماعاتكم الأسترقموا ذاجل القُمْزِع التي يجدونها بين صفوفكم وتجمُّماتِكُمُّ مُفَسدين، فاذنين شرارات الشرَّ والضَّر، طالبين مح سمي خبيثِ فِشْنَكم عن دينكم، وتشكيكُكُم بسوصد الله لكم، وتصريق وحسدتكم، وإضماف قوتكم، وإثارة الاضطراب والبلبلة بين افرادكم وأُسْرِكُم وجَمَاعاتكم.

فمن الخير لكم أن لا يخرجوا معكم ولا يختلطوا فيكم.

السبب الثالث: دلُّ عليه قول الله تعالى:

﴿ وَفِيكُرُ سَتَنعُونَ لَكُمُّ ﴾:

أي: وفيكم من أهل الإيمان والصُّلاح مَنْ لِيست لديهم حصانةٌ فكريةٌ ونفسيّة ضِدُّ وساوسهم ودسائسهم وتسويلاتهم، فهم يُحسَّون الطَّن بهم، ويتأثرون باقتوالهم وأرافهم، وقد يندفسون معهم بحُسِّن ظنّ، وهم يحسَبُون أنهم يُحسِّدن صُنماً، ففي هؤلاء المعتذرين أفرادُ هُمْ وُجُرهُ قوههم قبل الإسلام، وهم أهلُ رأي وحُسَّن بسان، و ولهم صفاتٌ قياديّةٌ مؤثّرة، فمن الخير أن لا يخرجوا معكم ويختلطوا فيكم حُمَّى لا يؤثّروا على فريق من أهل الإيمان والصلاح منكم بوساوسهم وتسويلاتهم وما يقذفون به من وسائس وشَهاب وشكوكٍ وارجافاتٍ معَلَّةٍ يمكّر شديد. وعلى المسلمين أن يعملوا بهناه النصيحة حتى أخسر المدهس، فيستبعدوا في المواقف المحاسمة الرهينة المتافقين والمسرحفين والمتخافلين وضعفاء الإيمان، الأن ووجودهم سيكون له تأثير عكسيّ عليهم، فلا يزيدٌ وجودهم عدداً ولا مدداً، ولكن يزيد ضعفاً ووهناً وتخافلاً وتفرّقاً.

ووصف الله هؤلاء المعتـذرين بأنَّهم ظـالِمُونَ. لانَهم إمّـا مرتـابون أو متـافقون. وأبان تعالى أنه عليم بهم، ظاهراً، وباطناً، فقال تعالى:

﴿ وَأَلَّهُ عَلِيمٌ إِلَّالْظَالِينَ ١

أي: والله عليم بكلُّ الظَّالِمين، ومنهم المتحدّث عنهم في النصُّ.

وبعد بيان الأسباب الداعية إلى اعتبار عدم خروج المعتبذين مع المؤمنين خيراً للمؤمنين، واكشر أمناً وسلامة لهم، لفت الله عزّ وجبل أشغار المؤمنين إلى الشبواهمد التجربيّة السابقة مع المنافقين وأهل الرّب، فهذه الشواهد كافية للإفتاع بأنَّ من الخير أن لا يخرجوا معهم إلى قتال، وأن لا يكونوا معهم في المواقف الرهبية الحاسمة، وأذَّ من الخير لهم أن يعزلوهم عنهم، فقال الله عزّ وجلّ لرسوله:

﴿ لَقَدِ إِنْسَعُوا الْفِسْنَةَ مِن فَسَلُ وَقَسُلُوا الْكَ الْأَمُورَحَقَّ جَمَّة الْحَقُّ رَطَّهِمُرُ أَمِّرًا لِفَوَرَهُمْ كَرِهُونَ ﴿ ﴾ .

﴿ لَقَدِ ٱلشَّعُوا ٱلْفِتْ نَهَ مِن قَسْلُ ﴾ :

أي: فيما كانَّ مِنْهُم من أحداثٍ وتصُرُّفاتٍ بِنَذُ بِدَاية ظُهُمُورِ النقاقِ في هـذه الأمَّة الإسلاميَّة، فسُوابِقُ النصوص القرآنية كافية شافية لمن أواد أنْ يطلّغ عَلَى تصرَّقاتهم في ابتغاء الفتنة، وهراجعة نصوص هذه الدراسة تكفي الباحث المعتذيّر.

﴿ وَقَسَلْمُوا لَكَ الْأُمُورَ ﴾ :

يقال لغةُ: قُلَبَ الشيءَ يُقَلِبُهُ قُلْبًا، إذا جعل أعلاه أسفله، ويمينَهُ شِمالُهُ، وَيَاطِنَـهُ ظاهره، بحثاً عن كلّ دخالله وخفاياه.

وفعل وقَلُّبَ، مُضَمُّفَ اللَّام ففيه زيادةً في اللفظ تدلُّ على زيادة في حركة القلُّب بحثاً

وتنقياً. والتاجرُ حين يُقلُبُ السلمة يضعُهُمها، ليعرف مواضع العيوب والجودة فيها، والباحثُ حين يقلُبُ عناصر بحثه يُخابِلُ اكتشاف جُلُسر هذه العناصر وفروعها وعلاقات بعضها بيمض، والماكر المحتال بجمع أكوام جَلِه ويُقلُّبُ بها ويتنفي منها واحدة فواحدة ويُصَرِّفُ أمره بها، فإنَّ حَقَفْ له مُراده فذاك ما ينمَّنَى، وإلاَّ عالد يُقلِّب في أكوام حيله ليتنفي منها ما يمكرُ به، وهكذا، حتى يستنفد اشتيار كُلُ ما يستَطع من حيلة، كذلك فعل المنافقون ضدَّ الرسول محمد الله ودعوة الإسلام التي جاء بها، منذ مقدمه مهاجراً إلى المدينة، وكانت بوء مكايدُهم، وأنواع مكرهم بالفشل والخبية.

والأمرو التي قُلُوها هي ما كنان لمديهم من أمرو المكر والكيد والحيلة مثــا يستــظيعون اختياره أو ابتكاره، وتُقْلِيبُهـا بكون بـالبحث فيها، والانتقـاء منها، وتــطيـق المستفى منْها بالعمل.

﴿ حَتَّىٰ جَاآَةَ الْمَقُّ وَظَهَرَ أَمُّرُ اللَّهِ وَهُمْ كَنْ مِعُونَ ١٠٠

أي: وظُلُوا كذلك يبتغون الفتة، ويجرُبون أسواع مكوهم وكيدهم وحياتهم ضدّ الرسول والإسلام والسسلين، حتى أدركوا أنهم منهزمون خائبون في كل تصرفاتهم، وذلك حين جاء الحقّ بفتح مكّة، وزهق الباطل، وظهر أثرً الله وهمو الإسلام على الشوك والمشركين، وسائر الكافرين في الحجاز، وهُم كارهون، لأنهم كانوا يتربُصون بالرسول والمؤمنين اللوائر، ويترقيون أن ينتصر العرب المشركون في آخر الأمر، فلمًا صارت مكّة دار إسلام، وانتهت زعامة مشركيها، وقامت فيها دولة الإسلام شُقِطْ في الميهم، ولم يقل لديهم إلا محاولات ضعيفة يخشون عواقبها، وأن يتهربُوا من مشاركة المسلمين في المواقف الصعبة والرهية، والتي تكلّفهم جهاداً بأموالهم وانفسهم.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمِنْهُم مَّنَ كُولُ اَسْنَدَ لِهُ وَلَا فَنِيغَ الْإِنْ الْفِسْنَةِ سَتَعَلَّواً وَإِنْ جَهَنَّهُ لَمُحِيطَةً قِالْكَنْفِينَ۞﴾.

روي أنَّ هذه الآية نـزلت بشأن رأس من رؤوس النفـاق وواحد من أعيـانهم هو والْجَدُّ بُرُّهُ فَيْس، أحدُّ بني سَـلِمَة، وكان من أشرافهم. وذلك أنَّ الرسول ﷺ بعد أن أمر بالنَّجَهُز لقنال بني الأصفر (= الروم) في غزوة تبوك، لَفِيَّ الحِدُّ بن فَيْس والمسلمون يتجهُزُون ويُهَيِّدُون ما يلزم لهمله الغزوة، فشال الرسول له: وهَلْ لَكَ الْعَامُ فِي جِلادٍ بنِي الأصفوع،

فضال الَجَمَّةُ بُنُّ فَيْسِ: يــا رسولَ اللّهِ، أَلْرَشَائُنَّ فِي، وَلاَ فَقَيْسِي، فواللّهِ لقد عرف قومي أنّه ما من رجُّلر بالشَّذُ عُجَّباً بالنّساء بنّي، وإنّي الْحَشْنِ إِنْ رَأَيْكَ بَسَاءَ بَنِي الأَسْشَرِ انْ لا أَشْهِر.

فَأَعْرَضَ عَنه رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وقال له: ﴿قَدْ أَذِنْتُ لَكَ،

ففيه نزلت هذه الأية.

﴿وَمَتُهُمْ ﴾ : أي : ومن المنافقين الذين استأذنُوا بال لا يخرجوا مع الرسول في غزوة توك ﴿مَنْ يَقُدِلُ الذَّنْ فِي﴾ : أي : دائيه أن ينخذل عن الرسول في المواقف الصعبة ، فني حادثة بيعة الرضوان عند الحديبية ، بابع جميع المذين كانوا مع الرسول يومثةٍ على أن يُقاتلوا ولا يقروا إذا لزم الامر، إلا الحَبدُ بْن قبس هذا، فقد توارى عن المناس مُسْتَيْراً لَاصِعاً بإيط ناقت، حتى لايرو فيدعوه إلى المبايعة ، وكان جامرُ بُنْ عبد الله يقول: والله لَكَانِي الْظُرُ إله لاصناً بإيط ناقتٍه، قَدْ ضَبَا إليها (أي : لَجاً إلَيها) يُسْتِيرُ بِهَا من الناس.

﴿وَلاَ تُغْتِنَى﴾ ولا تُلْوِشَى بالخروج، فبأَنِي إذا خرجت ورايت نساء بني الاصغر اقتَتَتُ بهنَّ، فتكون بالزامك لي أن أخرج قد فتنتي، أي: تسبَّبُت بفتني، والمواد من الفتنة هنا العيل إلى النساء والشفف بهنَّ المؤتّي إلى الخروج عن المطلوب الجهادي الذي يخرج من أجله، أو الوقوع في كبيرة الزنا.

وجماء في الصحيح على مـا ذكر ابن كثير، أنَّ رسول الله ﷺ سَأَل بنبي سَلِمَـة: وَمَنْ سَيُدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَة؟.

قالوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَىٰ أَنَا نُبُخْلُهُ.

فضال رسول الله ﷺ: وَوَأَيُّ ذَاهِ أَدْوَأُ مِن الْبُخْـلِ؟! وَلَكِنَّ سَيَّـذَكُمُ الْفَتَى الْجَعْـدُ الْأَيْنِهُمْ بِشُرُ بُنِّ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورِهِ. وفي النعليق على المعتذرين بأعذار مختلفة كاذبة كاعتذار الجدُّ بن قيس قال الله نعالى :

﴿ أَلَا فِي الْفِتْ نَهِ سَكُمُلُوا ﴾

الاً: حرث يستفتح به الكلام لغرض التنبيه، والإشعار بأهمية مضمون الكلام
 الذي يأتي بعده، وهو يدخل على الجملتين الاسمية والفعلية.

في الفتنة مَشَكُوا: تُمُطَلَقُ الْبَشْةِ على الصَّلال وارتكباب الإثم، وتُسطَلقُ على المَسلال وارتكباب الإثم، وتُسطَلقُ على الإحراق والتعذيب بنالتار، وهُـذان المعنيان من مصاني الفتنة همنا المسلالتان الموافقة الكفرة بنائر به الرسول الزاماً، هو من المعاصي الكبيرة التي سقطوا بها في أوحال الإثم العظيم، وفي استحقاق التعذيب بالإحراق في نارجهنمً.

وجماء التعبير بـالسقوط مـلاثماً لكـلُّ منْ مُفْنَيي الوقـوع في حفرة الإثم الكبيـر، والوقوع في خُفرة عذاب السعير، الذي يستحقونه بنفائهم.

وجاه تقديم المعمول وهو وفي الفتنة، على عامله وهو فعل ومُقطّوا، للذلالة على أنَّ اعتذاوهم الذي أوهموا أنهم قد خَمُوا به أنفسهم مِنَ السقوط في الفتنة، لم يكن من نتائجه إلاَّ أنهم سقطُوا في الفتنة الأشدّ، وبهذا نفهم منى الفصر الذي دلَّ عليه تقديم المعمول على عامله، أي: ما اكسبوا إلاَّ السقوط في الفتة الأشد.

وإذْ سقطوا في الفئتة التي يتعرّضون بسيها لعذاب جهتَم، فأبعلُسُوا الَّ جهتُم محيطةً بالكافرين جميعاً، سواة اكتانوا معلنين كُفرهم، أو كانوا مخفين له مخادعةً ونضاقاً، فلُيُعدَوا أنفسهم لعذابها إِنْ كانـوا منافقين، فهم يكـونـون داخلين في عُمُـوم الكافرين، فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ جَهَنَّهُ لَنُحِيظَةٌ إِلَّاكَنْدِينَ ﴿ وَإِنْ جَهَنَّهُ لَنُحِيظَةٌ إِلَّاكَنْدِينَ ﴾.

واستعملت الإحاطة للدلالة على انَّ من تحيط به النـار لا يجد لنفسـه مخـرجـاً ينجيه من عذاب الحريق فيها، متى جاء زمن تعذيه فيها بالمدل عقاباً على ماكان منــه من تُعُر وظلم وإثم.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِن شُعِبَكَ حَسَنَةٌ نَسُوْهُمٌّ وَإِن نُصِبَكَ مُعِيبَةٌ يَعُولُوا فَدَا خَذَنَا أَسْرَاوِن فَسُلُ وَكِحَوَلُوا وَهُمْ مَرْحُون ۞ قُل لَن يُعِيبَنَا إِلَامَا كَسَبَاهَهُ لَنَا هُوَمُولَنناً وَعَلَى اللَّهِ فَلْمَنَوَ كَلْ اللَّوْمِينُون ۞ قُلْ مَلْ وَمَصُّوبَ بِنَا إِلَّا إِسْدَى الْمُسْتِئَنِوْنَكُنُّ نَذَبَعُنُ مِكُمُ إِنْ يُعِيبَكُواللَّهُ بِمِذَابٍ مِنْ عِندِهِ. الْوَإِلَينِنَا فَتَرَعِّدُوا إِنَّا مَنْ عَمْ مُثَمِّنِهُ وَنَ ۞ ﴾

في هذه الفغرة بيمانً لحالة المنافقين النّعشيّة بالتسبة إلى النَّمم والمصائب التي تنزل بالرسول أو بـالمؤمنين، ولا سيماني السواجهات الحربيّة التي تكونُ بينهم وبين أعدائهم من المشركين، أو من الكافرين الآخرين، فسوابق هذه الفقرة قـد تحدثت عن غزو الرَّوم في غزوة تبوك، وهم فصارى أهل كتاب.

إنَّ حالة المنافقين النفسية التي يكتمونها وقد تنظهر أماراتها أمام الرسول والمؤمنين الصادقين، أنَّهم إذا نزل بالمسلمين ما يسُّرهم ويُفْرِحُهُم، ساءهم ذلك، وإذا نزل بالمسلمين ما يسروهم ويُخزِّهُم، سرَّهم ذلك وَافرحهم.

والسبب في هذه الحدالة الفسئية التي يَغَفَّدون فيها أنَّهم في حقيقة أمرهم كافرون، وأنهم أعداة للرسول وللمؤمنن الصادقين، وأنَّهم يتربُّشُون بهم الدوائر، وأنَّ قُلريَّهُم ونفوسهم وعواطفهم مع إخوانهم الدين هم مثّلُهُم في الكفر، فالمنافقون من المشركين هم مع المشركين، والمنافقون من اليهود هم مع اليهود، والمنافقون من التصارى هم مع التصارى، وجميعهم على وجه العموم يتمون الشرَّ والفرَّ والهزائم للرسول وللمؤمنين معه، فيفرحون إذا نزل بهم شيءٌ من ذلك، ويستناؤون إذا نزل بهم خيرً، أوحقق الله لهم التَّصر والطفر بالنائم.

وإذَّ جاء هذا البيان في معرض الاحداث التي تكون بسبب المواجهات الحربية بين المسلمين وأعداتهم، فإنَّ أوّل ما يدخل فيما يَسُّوهُ ويَسُّرُ، نَصْرُ المسلمين وظفرهم بالغنائم، وهزيمتهم ويَبَلَّ عَدُوهم بِنُهُم، فما يسُّرُ المسلمين منها يسُسوءُ المنافقين، وسا يَسُّوهُ المسلمين منها يَسُرُّ المنافقين. ولمَّا كان الرسولُ صلوات الله عليه هو فائد الأمَّا الإسلامية فإنَّ أَلِّيَّة حسنة تُصيبُ أُمَّتُهُ فهي حسنة تُصيبُه، وإنَّ آيَّة سَيِّنَة تُصيبُ المَّنَّة فهي سَبِّنَة نُصِيبُ، فقال الله تعالَىٰ له: ﴿إِن نُصِيبُكَ حَسَمَتُهُ تُسَوِّقُهُمُ وَإِن نُصِيبُكُ مُصِيبَةٍ يُحَيِّقُولُوا فَكَدْ أَخَذَكَا

﴿ إِن تَصِبُكَ حَسَنَهُ نَسْؤُهُمُ وَإِن نَصِبُكَ مُصِيبَةً بِـعُولُوا قَـدُاخَذُنَا أَمْرَا يِن قِسُلُ وَيَكَوَّلُواْ وَهُمُ مَن مِحُركُ۞﴾.

وقد سبق أن أنزل الله عـزّ وجل في سـورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نـزول) في النصّ الثامن من هذه الدراسة قوله بشأن المنافقين خطابًا للذين آمنوا:

﴿ إِن غَسَسَكُمْ حَسَنَةً تَسُوُّهُمْ وَإِن تُصِبَكُمُ سَيِنَةً يُفْرَحُوا بِهَا ... ﴿ ﴾.

وكان إنزال هذه الآية في أوائل العهد الممدني، ثم أنزل الله عزّ وجل في أواخر العهد المدني في سورة (التوبة) الآية المسوقة للتدبّر.

ونلاحظ في هذين النَّصَيْن الْ الحالة النفسية للمنافقين أُمَّدُ بقيت على ما كانت عليه لم تتغير، مع مرور السنين المتعدّدة على مخالطتهم للمؤمنين، ومشاركتهم لهم في كثير من ظواهر السلوك، وهذا بدلُ على أنَّ المدُّو المنافق الكافر بما يؤمن به المؤمنون لا تتغير حالةً قلبه ونفسه بطول المعاشرة والمخالطة، ما لم يتحلّص من كفره بالإبعان الصحيح الصادق.

وإضافةً إلى هذه الدّلالة ذات الفائدة العظيمة للمؤمنين فقد جاء في النصّ الذي نزل متاخّراً في أواخر العهد المدني دلالات لم يَدُلُ عليها النصّ السابق.

المثلالة الأولى: أنّ ما ينزل بالمسلمين من حسنات ومصالب فهي تُصيب الرّسول ﷺ، وهو يشعرُ باعظم المشاعر التي يُشَعرُ بها المؤسون، إذَّ هو قائدهم، وإمائهم، وهمهُ من أجلهم على مقدار همومهم مجتمعة، فقضيتُهُمْ جميعاً هي قضيتُه، فهذه الدلالة قد دلَّ عليها النصّ اللاّحق.

الدلالة الثانية: أنّ المنافقين يُخاوِلُون دواماً التهرّب من المواقف التي يتوفَّمُونَ أنّ تنزل فيها بالرُّسُول والمؤمنين مه مصيبة ما كَهْزِيمة وانكسار في معركة قالية مع عدُّوهم، فإذا حصل شيءٌ من ذلك، وقد كانوا مين تحلُف أو انخذل قالوا: قد اختَطْفا لأنفَّسنا، فلم تشوَرُط مع الملين تورَطُوا من الذين غرَّمُمْ إيصائهم وهذه الدلالة قد دلً عليها النصُّ اللَّاحَقُ أيضاً، وربَّما أعلنوا أنهم كانوا أهل عقل ورويَّة وحكمة من قبل.

المذلالة الشالشة: أنَّ المتنافقين إذا كانوا في بعض مجالس المؤمنين، وبأغَهُمْ مَا تِزْلُ بالرسول والمؤمنين من مصيبة في غزوة من الغزوات، قاموا وأقبروا وابتعَدُوا إلى يرتهم أو مجامعهم الخاصة فرحين بالمصيبة التي نزلت، وهنّه الدلالة قد ذَلَّ عليها النصّ اللاحق آيضاً.

الدلالة الرابعة: أنّ المتنافض إذا مست المؤمنين حسنةً ما مسّاً مسطعيًا خفيضًا ساءهم ذلك، لأنهم لا يريدون أيّ خيرٍ منهما كمان قليلاً أنْ يُسْرً به المؤمنـون، إذّ هم أعداة حقيقيُون، وهذه الدلالة قد دلّ عليها النصّ السابق فقط.

فتكاملت دلالات النصّين بصورة بديعة:

﴿إِن تُصِبِّكَ ﴾:

أي: إنَّ تنزل بكَ يا مُحَمَّد، وما نزل بالمؤمنين فقد نزل بك.

﴿حَسَنَةً ﴾:

أي: نِعْمَةُ سارَّةً لَكَ.

﴿نَسُوُّهُمْ ﴾:

أي: تَجْعَلُهم يشْعُرُونَ بالألم أو النفور والكراهية .

﴿ وَإِن نُصِبْكَ مُصِيبَةً ﴾:

أي: وإنَّ تَنْزِلُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ مُصِيبَةً مَا، وما نزل بالمؤمنين فقد نزل بـك. المصيبة: كُلُّ مُكْرُو، ينزل بالإنسان، وتجمع على مصالب.

﴿ يَنْ تُولُواْ فَذَاْ نَذَا نَا آَشُرَاَ مِن فَبْسُلُ ﴾:

لي: يُعُولُوا: قد اتّخَذُنا الأَفْسِنَا بالرَّالِي السَّديد الغَمَلُ والتَّصُوُّت الَّذِي يَخَفَظُ به أَمْرَ سَلامتنا من التعرُّض للمصيبة، من قبل أن تقم المصيبة، إذْ لم نُعرُض انفسنا لاسباب حدوثها، بالمقل والرويَّة والحكمة.

﴿ وَيَكُنُولُواْ وَهُمْ فَدِحُونَ ﴾:

التولّي: الإدبار والابتعاد والانصراف من المجلس. والمعنى أنهم يبتعدون من مجالس المؤمنين وهم فرحون. إذّ لم تنزلٌ بهم المصيبة التي نزلت بالمؤمنين، بسبب أتّهم لم يُشاركوهم فيما اتّجهوا له.

وبعد بيان هذه الحالة النفسيّة للمتنافقين، التي قد تنظهر أمباراتها أمنام الرسنول والمؤمنين المسادقين من أهل الفيطة والبُخِيْرةِ بالنياس، علَّمُ الله رسوله وكلَّ مؤمنٍ أن يُبَيِّنَ لهم بأمُملوب الخيطاب أو بـأسلوب التعريض، بحسب مقتضيات الأحوال ستَّ مُقُولاتٍ تعالج موقفهم هذا:

> المقولةُ الأولى: دلْ عليها قول الله في التعليم: ﴿ قُلُ لَنْ يُصِيبَ نَآلٍ لاّ مَاكَنَّبُ ٱللَّهُ لُنَّا ﴾:

اي: لَنْ يُصِينًا من حَسَةِ نَسُرًا او مُصِينةٍ نَسُوقِنا إلاَّ فَيْثاً قد سَنِيْ أَنْ قضاه اللَّهُ وقدَّره وكنَّهُ لَنَا فَيْلُ أَنْ يَحْمُنُ، وكلُّ ما قضاه الله مَمَا يَشُونُا أَنْ يَشَوَّنا فهو لخيرتا ومصلحتنا، فما كتبه الله من ذلك _ ونحنَّ مؤمنون به، لم تُنْجَدُّ وَلِيَّا غيره _ فهو لَنَا، أي: لخيرنا ومصلحتنا، وليس علَيًا، وإن كان بحسب الظاهر مصيبة تسوؤنا، ونُحنُّ نكرها لأنَّها تُخالِفُ ما نحبُّ ونهوى من أمور دُنْيَانا، فكم يكُونُ الإنسان بنظره القاصر وحُبَّة النَّامُ أَنْخَالِفُ ما نحبُّ ونهوى أنه فيه خيراً كبيراً.

المقولة الثانية: دلُّ عليها قول الله تعالىٰ في التعليم:

﴿ هُوَمُولَلْنَأَ ﴾ :

أي: الله مولانا، لا مولى لنا غيره، فهو رئينا، وسيّدنا والمتولّي جميع أمورنا، ونحن عبيده المعترفون له بالعبوديّة التائمة، المسلمون له كلّ أسورنا، المنتمون له، والمستنصرون به، والمفرّضون ك، ومن أتُخذ الله وليّاً تولّد الله، فلم يُقْض له إلّا ما هو خير لَه في عاجل أمره وأجله، وإنّ كان بحسب الظاهر مصيبةً تَسُوهُ قاصري النظر، الذين لا يُعجِعلون علماً بالعواقب.

> المقولة الثالثة: دلَ عليها قولُ اللَّهِ في التعليم: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَسَنُوكَ لِي النَّهِ مِنْ اللَّهِ فَي التعليم:

لى: وَنَحُنُ فَدْ تَرَكُلُنَا على الله، لانْنَا مُؤْمِنون به، مع اتّخاذنا الاسباب الّتي امرتنا يها، وأوصانا باتتخاذها، وعدم التغريط بشيء منها، طاعمةً له، فالمؤمنون بناهم الرّبّ الخالق الذي هو مولاهم في جميع أمورهم، يجب عليهم مع قيامهم بما يأمرهم به من أسباب أنَّ يتوكّفرا عليه وخَمْدُ لا شريك ل، ليحقّن لهم أفضل ما يرجون من خَيْري الدنيا والأخرة، ويُعدَّهم بعونه وتأييده ونصره، ويَصْرِف عنهم في سُبل حياتهم السوانعَ والعقبات، ويُستر لهم الأسباب.

المقولة الرابعة: دلُّ عليها قول الله في التعليم:

﴿ قُلْ هَلْ تَرْبَصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَ يُنِّ؟ ﴾.

التُرَبُّصُ: الاَنْتِظَارُ، يقال لغة: تُرَبِّصَ فلاذَ بفلان، أي: انتظر خيراً أوشراً يُحُلُّ

نُرَبِّهُونَ: تَتَرَبُّهُونَ حَذَفَتَ إحدَى التَّاءِينَ تَخْفِيفًا.

الْحَسْنَى الأولى: هي أن يُنصِّرُنا الله، ويُحقّق لنا النمكين في الارض، والمجدّد، وما يُنشُرُ فَلِكُ مَن تأليد الذّين، وانتشاره، والفتح العبين، مع ما نـظفر بـه من غنائم ومنافع دنيرية، وأجر عظيم أخروي عند.

الْحُسْنَى الشانية: هي أن يقضي الله بالشهادة لمن انتهى أجَلُهُ في الحياة الدنيـا منّا، فيال عند الله من الأجر والكرامة ما هو خيرً له من مُلْكِ الدُّنِيا كُلُها.

الْحُسْفَى: "مُؤَلِّتُ وَأَحْسَنِ، اللهٰي هــو على رؤن وأَفَسَلِ، للتفهيــل، والْحُسْفى وصَفَّ لموصوفِ مؤنث محذوف تقديره: النَّمْنَةُ، أو العطلِّة الرَيَائِيَّ، أو المقضيَّةُ بقضاء اللَّهِ المُسْشَىٰ، أو نحو ذلك.

وهل تُوجَدُ بِنَحُ هي أفضل وأخْسَنُ من النَّصْرِ أو الشَّهادة.

والتُّرديدُ بين هَاتَيْنِ الْحُسْنَيْنِ لا يَمْنَعُ منْ تحقُّقهما معاً، فَبَعْضُ المؤمنين يَسالون

الشهادة والباقون ينالون النَّصْرَ والتمكين، فهما بالنَّسْبَة إلَى مُجْمُوع ِ المؤمنين لا يَمْتَنِكُ اجتماعُهما(۱).

المقولة الخامسة: دلُّ عليها قول الله في التعليم:

﴿ وَتَمْ نُنَا رَبُّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَ كُواللَّهُ يُعَذَا مِيْتِ عِسْدِهِ أَوْيَأْتِدِينَا ۗ ﴾

أي: وَنَحْنُ أَيضاً نَنظر أَنْ تَجلُّ عليكم إحدى نَفَمَتَيْنَ مُعَجَّلتين في الحياة الدنيــا من ربَكُمْ، ولا مانع من اجتماعهما:

النقمة الأولى: أنْ يُعِينِيكُمُ اللَّهُ بعدابٍ من عَنْدِه، كما أنزل بالَّذين كفُرُوا وَنَافَوا من قَبْلِكُمْ، إنَّ العقوبات الَّتِي تَأْتِي بالكوارة والمصالب مختلفة الأشكال والأنواع، منها الزلازل، والفيضانات، والصواعق، والأمراض الوبائية، والوياح والصُّيِّخات المهلكة، وتقاتل الناس بعضهم مع بعض، في فِنْنِ قوبيّة أو إقليمة، أوغير ذلك.

النقصة الشانية: أنَّ يُسلَطَنَا اللَّهُ عليكم، فيناذنَ لَنَّا بقسالكم، وأخدُكم حيث وجدناكم، واستئصالكُمْ، حتَّى لا يكون بين صفوننا ومجتمعنا الإسلاميّ منافقون.

المقولة السادسة: دلُّ عليها قول الله في التعليم:

﴿ فَأَرْبَصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّثَّرَ يَضُونَ ١٠٠٠

أي: فتربُّصُوا بنا كما يُحْلُو لكُمْ، فَنَصْن والِقُون من رَبَّنا الذي هو مولانا ولا مولىٰ لنا غَيْرُه، وعليه توكُلُنا.

وإنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ مَا يُحَقِّفُهُ الله لنا من خير، وما يحقَّفُهُ لكمَّ من عـذابِ ويَقْمَةٍ، ضمن مجاري حكمته في قضائه وقَدَره، ونُصْرَتِه لأوليائه، وخِذَلانه لاعدائه.

قول الله عزّ وجل:

 ⁽١) هذه الفضية (هل تَرْبَشُون بنا إلا إحدى الحسنين؟) تصلُّحُ طالاً لما يُستَّى في المنطق بسانمةِ
 الخلو قطع أي: لا يخلو الأمُرُ من إحداهما، مع إمكان اجتماعهما.

﴿ فَلَ الْفِقُوا طَرَعًا أَوْكُرُهَا لَنْ يُفَقِّلُ عِكُمْ إِلَّكُمْ كَنْتُمْ قَرْمًا فَسِقِينَ ﴿ وَمَا مَنْهُمُ أَنْ نَفْلَ عِبْمُ مِنْفَتَنَفُمْ لِلَّا أَنْهُمْ كَفُرُوا إِلَّهُ وَرِمْ عُلِمِو لَا بِأَنْوَ الصَّلَةَ ا إِلَّا رَهُمْ كُسَالُ وَلَا يُنْفِعُونَا إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿ ﴾ .

في هذه الفقرة يُعلَم الله رسوله وكلَّ مؤمن كِف يَضِطُون المنافقين في شَاكَ التفقات الإسلامة التي ينفقونها مضطرين كارهين، لستر نفاقهم ببذلها كما يَبْذُلها أهلُّ الإيمان، وهي قسمان من التفقات:

القسم الأول: النفقات الواجبة الني تؤخذ منهم بسلطان الدولة الإسسلامية كالزكاة، وهذه يبذلونها أو تؤخذ منهم على سيل الإكراه.

القسم الثاني: النقات غير الراجية التي يبذلونها طائعين كما يبذل المؤمنون الصادقون، ولكنهم لا يبذلونها إيماناً مُخبيين عند الله أجرهم عليها، بل يبذلونها تقيَّةً، وليحققوا ببذلها مصالح لهم عند الرسول أو جماعة المؤمنين، كالمعونات التي يقدّمونها للجهاد في سبيل الله، وكالصدقات التي يُسْذَبُ المسلمون لبذلها، من أجل الفقراء والمساكين، أو المصالح العامة.

وإغاظة المنافقين بشأن ما يُتَهِقُون من أموال طائعين أو مُكُرهين، تكون بإعلامهم أنها الذي المتحدد أنها الذن الله الذن الله الذن الله الذن الله الذن الله المنهم بحديا المسالحة التي لا يَشْهُهُم، ولا يُتيهُم عليها، أي: لا يُدَوِّنها لهم ضمن الأعمال المسالحة التي يشب عليها، فشرط قبول العمل الصالح عند الله، أن يكون مبنيًا على القاعدة الإيمانية الصحيحة بالله عز رجلً ويكلً ما أمر بالإيمان به، وأن يُتَنفَى به وجه الله، وأن يكون عامر عالله أو أذن به .

والمنافقون كافرون باطناً، ولا يعملون الصالحات ابتغاء مرضاة الله، فالله لا يقبل منهم الأعمال التي يرى الناس أنّها تَذُخُلُ في جداول الأعمال الصالحة.

ولذلك جاء في التعليم:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَرْكَرُهَا لَن يُنقَبَلُ مِنكُمُّ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَسِفِينَ ۞ ٠٠

طَوْعاً أو كُرْهاً: اي: مختارين أو مجبورين.

الطُّوعُ: هو الانقباد للفعل بالاختيار.

والكَرَّهُ: هو أداءُ الفعل بالجبر دون اختيار.

قــرأ جمهور القـراء العشرة إكـرُهماً بفتح الكاف، وقــراً حمزة والكِــَــائي وخَلَف وُكُرهاً؛ بضَمَّ الكاف. وهما مصــدران بمعنى الإكراه، فـالقراءتان اشتملتا على وجهين لتُطُقُ الكلمة فى العربيّة.

وانتصب (طُوعاً او كُرهاً) على الحالبة بتأويلهما بمشتق، أي: طائعين أو مُكْرَمين. ﴿ لَرَيْنَقَبَلُ مِنكُمْ ۗ ﴾ :

آي: عند الله يوم الدّين ضمن قبول لصالحات أعمال العباد، أمّا في الإجراء البشري فتؤخذ مُنْهُمُ النققات الواجة إذا تعتّقوا من أدائها، وهُمْ شَكْرَهُونَ، وتُؤخذ منهم النققات التي يذلونها طائمين في أبواب الرّ، مع أنّهم غير متفعين بها عند الله.

ويقال لكم يوم الدين:

﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ فَوْمَا فَاسِقِينَ ۞ ﴿

أي: إنَّكُم كُنْتُمْ خارجين عن دائرة الإيسان بما كـان يجب عليكم أن تؤمنوا بـه. وعن دائرة الطاعة لربكم التي كان يجب عليكم أن ترغوها.

بعد هذا أبان الله عزّ وجلّ السبب في عدم تقبُّل الله نفقاتهم التي يَبَـذُلونهـا في وجُوه الخبر بحسب الظاهر، فقال تعالى :

﴿ وَمَا مَنَهُمُ أَن مُثَمِّنَا مِنْهُمُ مَنَقَتَّلُهُمْ إِلَّا أَنَهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرِسُولِهِ وَلا يَأْوُنَ الفَسَانَةَ إِلَا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْهِفُونَ إِلَّا رَهُمُ كَدُووُنَ ۞ .

كنان المتبانو بحسب مفهومنات النباس أنْ يُقَـالَى: وَمَنا مُنْمُ اللَّهُ أَنْ يَقَبُــلَ مَنْهُمُ نفقاتهم إلاّ انهم . . . إلى آخر ما جاء في الآية .

لكِنُّ اللَّهَ لاَ يَمنَعُ شيءً لُو شاء أن يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ بِقِي أَلَهُمْ هُمُّ الممنوعـون من أن تُقْبَل مَنْهُمْ نَفْقَاتُهِم، فجاء التعبيرُ القرآنِيُّ مِنِينًا أنْ تُضْرَهم في الباطن الـذي تدلُّ عليه أماراتُه في الظاهر، هو الذي كان مانماً لهم من أنْ تَكُونَ نفتاتُهُمْ واصلةً إِلَى اللّهِ ومقبولةً عنده، إنّ ما كان لغير الله فهو لا يُعِيلُ إلى الله، فالمانع له من الوصول إلى اللّهِ هو كونه لغير الله بسبب أنهم كَشَرُوا باللّهِ وبِمَرْسُوله، والفاعل الحقيقيُّ في هذا المنتج هو اللّه عزّ وجلّ.

قرأ جمهور القرَّاء العشرة [أنَّ نُقبَل] بالتَّانيث لأنَّ نائب الفاعل مؤنث.

وقراً حمزةً والكسائي وخلف [أنْ يُقبل] بالتذكير لأن نائب الفاعل مجازي التأنيث فيجوز فيه التذكير.

فالقراءتان وجهان عربيان جائزان.

قد يقال: إِنَّ كُفُرُهُمْ هو الصانع من وصول نفقاتهم إلى الله ومن قبولها عنده، فَلِمَ حُـهِلفَ عليه كوثُهُمُ لا يالتـون الصَّلاة إلاّ كُسُـالَى، ولاَ يُنْفِقُونَ إلاَّ وهُم كَـارِهُون؟ فهــل المـانع مركُبُ من هَذهِ الثلاثة؟

ويُمُكنُ أَنْ نَجيبَ بِأَنَ حرف المعطف الذي هــو دالواوه في قسوله تعسالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ . . ﴾ هو بمعنى دالفاء فقد ذكر علماء اللّفة المربية أنَّ دالواوه تأتي احياناً بمعنى دالفاءه فالمعنى على هـذا أنَّ المانـم هو تُضَرَّم الذي تسرّب عليه في سلوكهم أَقُهُم لا يَأْتُون المسلاة إلاّ في حال أنَّهم تُسائى، ولا يُتَهْمُن طوعاً أو كُرهاً إلاّ في حال تُقهم كارهُرنَ أن يُتُهقراء غَيْرُ راغيين في البـدَّل، وقد جاء هذا البيان لإعلام المؤمنين بأنْ يَسْتَقِلُوا يظواهر السُّلوكِ وأمارات هذه الظواهر على ما في الضمائر.

سبق أن كثيف الله من صفات المنافقين أثّهُمْ إذا قائمًا إلى الصداة قاموا كُسَالَى يُراً وأدن الناس، وذلك في الآية (١٤٣) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول) وسبق شرح هذه الآية في النص (١٤) من صفه السدراسة. والسبب في تكلسلهم وكراميتهم أنهم غير مؤمنين بجذوى ما يُؤدّون، ومن المعلوم في طبائع الناس أن من يعمل عملاً ما وهو غير مؤمن بجدواه لفسه، فإنّه لا يؤنّه إلاّ كارهاً، وإذا كان يحتاج إلى يقل طاقةً جسّديّة فإنّه لا يبذلُ هذه الطاقة إلاّ بتناقل وكُسَل، وتُتُور، لا ينشاطٍ وهشة ورضية. وفائدة إعادة ظاهرة تكاسلهم في أداء الصّلاة ما في النصين من تكامل، مع لفت أنظار المؤمنين هنا إلى أنّ هذه الظاهرة هي إحدى الأسارات المهمّة الـدالّة على نضاق المنافقين.

فالآية التي في سورة (النساء) توجّه لملاحظة تكاسلهم حين القيام إلى الصلاة ضمن جماعة المصلين من المؤمنين.

والآية التي في سورة (النوبة) توجّه لمسلاحظة نكاسلهم حين إتيانهم من بيـوتهم أو مواقع وجودهم إلى أداء الصلاة مع المصلّين، وأنهم لا يانونها إلا تُسالى.

فالربط بين الملاحظتين يقرّي دلالة الأمارة على نفاقهم مع دلالة الحصــر في آية (التوبة).

والآية التي في سورة (النساء) تكشف أنهم يراءون الناس بصلاتهم، ولا يؤدّونهـا إيماناً بجداواها وابتغاء موضاة الله منها.

والآية التي في سورة (النوية) تكشف أتّهم يؤثرن الاعمسال الإمسلامية وهُمُّ كارهرن لادائها، وذلك عن طريق دلالة قباس أدائهم للصلاة التي لا يأتنونها إلاَّ كُسَالُن على الإنفاق الذي لا يفعلونه إلَّا وهم كارهون فعله.

فتكاملت الدلالات في النَّصْين.

. . .

قول الله عز وجل خطاباً لرسوله نكل مؤمن باسلوب الخطاب الإفرادي:
 ﴿ فَلَا تُشْعِبُكَ أَمُولُكُمْ وَلِكَا أَوْلَكُمُ مُ إِنَّمَا يُرْمِيدُ اللهَ يُعْذِبُهُم يَهَا فِي الْحَكِينَ وَ الدُّنْيَا
 ﴿ فَلَا تُشْمَعُ مَرْهُمُ كُفِرُونَ ﴿ إِنَّهِ ﴾ .

﴿ فَلَا تُمَّجِبُكَ ﴾ :

الإحجاب بالشيء استحسانه، وقـد يصاحب هـذا الاستحسانَ الشُعـورُ بأنّـه أمّرُ مفاجىءُ جاء على خلاف التوتُّع بالنسبةِ إلى سابق التصوّر.

لذلك فقد يولَّد عند الجاحد إنكاراً، وقد يولُّد شكـوكاً حـول حقيقته، وقـد يولُّـد

تساؤلات حول سبب وجوده، وقد يولد إعظاماً وإكباراً عند المندهش به، وقمد يقتصر الإعجاب على الاستغراب دون الاستحسان.

يقــال لغة: عجبُ من الشيء بعجُبُ عَجْبًا، وغُجْبًا، وعُجْبًا، وعُجْبًا، وعُجْبًا، الأمَّر، إذا حَمَلًا على الْفَجَبِ منه، وكذا إذا عَجِب منه وسُرٌ به، وأَعْجِبُ بـالأَشْرِ، أي: عَجِب منهُ واستحــنه.

﴿ وَتَرْهَقَ أَنفُكُمُ مُ ﴾:

أي: وتزول أنفسهم وتضمحلُ بخروج أرواحهم وانفصالها عنهم بشدَّة وصُعُوبة.

أصل الزهوق السبق والتقدم، وزهوق الباطل يكون بسرعة زوالــه واضمحلالــه، وزهوق النّفس يكون بأن تسبق إلى أن تذوق الموت وغصّته قبل أن تحقّق مراداتهــا من دُنياهـا.

والخطائب في الآية موجّه بأسلوب الخطاب الإفرادي للرّسول فلكـلَّ مؤمِّنٍ قد يتمرّض للإعجاب بـأسوال وأولاد المنافقين، والمقصودُ إقناع المؤمنين، وخُوطِّب الرسولُ باعتباره أولَهُمْ وقائدهم، مع أنه صلوات الله عليه وسلاماته لا يتعرّض لمثل هذا الإعجاب، فهر عالم بحكمة الله في تصاريفه في كونه، وعطائه ومنعه لعباده.

لكن المؤمن الذي لم يُدَرَّكُ بَشُدُ حكمة الله في مقاديره، قد يتعجّبُ إذا رأى المنافقين قد وسُع الله عليهم في الرزق، فكثّرَ أسوالهم، ومَنْتَعَهُمُ أولاداً يحصونهم ويشتّون أزرهم في الحياة الدنيا .

وإجبابةً على التساؤلات التي قد يـطرحهـا المؤمن في نفسـه عن الحكمـة من إمداد الله بعض المنافقين بالأموال الكثيرة وبالأولاد المذين يكونـون لهم قوّةً في الحيـاة الدنيا، ولئلاً يتحبّب تُعجُبُ المعترض على حكمة الله، قال الله له:

﴿ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَنْدُهُمْ ﴾:

أي: إذا نـــظرت إلى بعض المنــافقين فـــوجــدتهم يتقلّبُـــون في أمــوال كثيـــرة، ومَحُوطين باولادٍ متعدّدين، فَلا تُعْجِبُك أَمُوالَهم ولا أَوْلاَدُهم. وهنا يتساءل هذا المؤمن: ألبسَ إمدادهم بالأموال والأولاد إكراماً لهم في الحياة الدّنيا، وتقوية لهم ضدّ المؤمنين؟!

وأجاب الله عزَّ وجلَّ على هذا التساؤل بقوله:

﴿إِنَّا ارْبِيدُ أَنَّهُ لِيُعَدِّ بَهُم بِهَافِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنَّا وَزَّهَنَّ أَنْفُهُمْ وَهُمْ كَفِرُونَ ،

أي: مَا يُرِيدُ الله إكرامُهُمْ وَلاَ تَقْرِيقُهُم بِهَا في الحياة الدنيا، إنَّما يُرِيدُ مُرَافَاتٍ أَخْرَى، منها اجْلاَرُهم وابتلاءُ المؤدنين بهم، وبنها استداجُهُمْ وتَعرِيشُهم بسبب أسوالهم وأولادهم لُشُكِلاتٍ ومصاعِبُ ومتاعِبُ ومُصَرِم وهُمُوم وصَوَاوضُ وكُواوِث، وكُدُّ في الجمع والحفظ والعراقية، دون أن يستمتعوا بما يجمعون وما يملكون، ودون أن يُشعَدوا بأولادهم، إذْ يجمل الله أولادهم أعداة لهم، يَسْتُونَ موتهم لِيرُوا أموالهم.

فمنا يتريّنُدُ الله من إمدادهم بالأصوال والأولاد إلاّ أنْ يجعلهم في محيط من المشكلات التي تُسبِّها ليُعذّبُهُم بها.

ولا يدُلُنُ هذا على أنْ كُلُ من يُعِدِّمُمُ اللهُ بالأصوال والأولاد إنسا يُعِدِّمُمُ بها ليَ الحياة الدنيا، ولكن هذا النحصر خاصَّ بذوي الأموال الكثيرة والأولاد المتعدّدين من السنافين، إذ يجعل اله أموالهم واولادهم من أسباب شقائهم وآلامهم ومتاجهم في الحياة الدنيا، وهذا مُشاهد لدى بعض أصحاب الأموال الكثيرة والأولاد المتحدّدين، فما ظاهره في أعين الناس نعمة، قد يكونُ في الواقع بتصاريف الهو تدايره نقمة، وقد يُعذّب الله غير المتنافقين بعشل هذا العذاب من أهمل الكفر والمعاصي.

ولمَّنا اقتضت حكمةُ امتحابِهم إمدادَهُمْ بِالأموال والأولاد، بباعبيار أنَّ نفوسهم شديدةُ الحبِّ لهما والتعلَّق بها، فيامتحانَهُمْ بهما هو الملذي يكشف حقيقتهم، كان من مقتضى هذه العكمة ايضاً إيقاء هذا الإمدادِ لهم بالأموال والأولاد حَى مُرَّتهم، وبما أنَّ امتحانهم على الوجه الأمثل لا بدّ أن يكشف كُفرهم فيأنَّهُمْ سيظلُّونَ على كفرهم حَى نزهن أنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافرون.

هذا ما نفهمه من عموم الآية، فكيف تستخرجه من ألفاظها؟

البجواب:

إذا تنظرت أيها المؤمن إلى بعض المتنافقين فوجدتهم محظوظين بكشرة من الاصوال والأولاد ﴿فَلَا تُعْجِبُكُ أَمُوالُهُمُ وَلَا أَوْلَادُهُمِ ﴾ إعجابُ مستغرب من إصداد الله لهم يذلك وهم كفرة منافقون، فإنَّ الله لا يسريد إكرامهم وإسعادهم يها. إنَّما يُمِيدُ مرادَاتٍ أَحْسَى: ﴿إِيْمَانُهُمْ إِنَّا إِلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَالِهُمْ وَاللهُوهُمُ وَاللهُوهُمُ وَاللهُوهُمُ وَاللهُمُ مِنْ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَيْهُمْ كَافُرُونُ مِنْ أَسُوال وَاوَلادٍ ﴿وَهُمْ كَافُرُونُ مِنْ أَسُوال وَاوَلادٍ ﴿وَهُمْ كَافُرُونُ وَيَعْوَنُ مِنْ أَسُوال وَأُولادٍ ﴿وَهُمْ كَافُرُونُ مِن أَسُوال وَأُولادٍ ﴿وَهُمْ كَافُرُونُ وَاللهُمْ اللهُمُ اللهُ اللهُمُ الأكبر على كفرهم وتفاقهم.

* * *

قول الله عزّ وجلّ :

﴿وَعَلِقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَكُمْ وَلَكِنَهُمْ قِمْ يَفَرُونَ ۞ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَنَّا أُومَقَارُتِ أَوْمَدُ عَلَا لَوْلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَصَمَّتُونَ ۞ ﴾:

قرأ جمهور القرَّاء العشرة: [مُذَّخَلًا] بضمَّ الميم وتشديد الدال المفتوحة.

وقرأ يعقوب [مُذْخَلًا] بفتح الميم وسُكُون الدال.

الْمُلُخَلُ: مكنانُ يُلخَلُ فِيه لـلاختباء، دُون المغارة ذات الجوف الـذي يختفي الداخل فيه اختفاة كاملًا.

الْمَلْحَلُ: مكانَّ ما يُذَخُلُ الساخل فيه للاختياء، ولو لم يتُلُغ أَنْ يكونَ مُلْخَلُّة شبيها بالمغارة، كتُفُوزُوْ في الأرض، أو فراغ بين صخرتين، أوجمدارين، أو اتي جوفٍ ساتر.

فبين القراءتين تكامُلٌ فكري.

﴿مَغَنَرَاتٍ ﴾:

جمع وَمَغَارَة، وهي الْغَارُ في الْجَبَل، جَوْفٌ فارغ داخـل جبل ما، كَبَيتٍ يحتمي فيه إنسان أوحيواذُ من الوحش، كالضّبُع.

وْمَلْجَنَّا ﴾:

الْمُلْجَأَ المكان المحصَّنُ الَّذِي يَلْتَجِيءُ إليه الْخَالفُ ليحتميَّ ويتَحصَّنَ به، وهــو في العادة أَحْصَنُ من المعارة، كقلعة أوجصُّنِ.

فشملت الآية الاحتمالاتِ الاربع ذات المستويات المختلفات، في نسبة حمايتهما وإخفائها مَنْ يختبـيءُ بها خائفاً.

فَاحْصَنُهَا النَّلْجَا، ثَمَّ الْمُنْفَارَاتُ العظمى والصُّمْرَى الَّتِي تَكُونَ فِي الجِيالِ عادة، ثم يأتي دُونَ العداراتِ الْمُدَّخَلُ الذي يُشْبِه العدارة لكنَّه دُوفِها إخفاءُ وحمايَّةً، ثم يـاثي دُونَه مَذْخَلُ مَا يختبىء به من لا يجدُ ما هو اشْتَرُ بِئُهُ واخْصَن

﴿يَفْرَقُونَ ﴾:

لي: يَجْزَعُون ويخافون خوقًا شديدًا. يَقَال لغة: فَرِقَ مِنْهُ يَفْـرَقُ فَرَقــاً، إذا اشتَدّ خَوْفُه منْه وجَزع.

﴿ لُوَلُوْا إِلَيْهِ ﴾:

أيُّ: لأَذْبَرُوا وابْنُعَدُوا مُلْتَجِثِينَ إليه ومختبئين فيه.

﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾:

أيُّ: حالة كَرُّنهِمْ يَجْمَحُونَ حين تَوَلِّيهم إلى المكان الذي يجدونه للاختباء به.

يُقَالُ لَفَةَ: جَمَعَ الفَرْسُ يَجْمَعُ جَمْعاً وَجُمُوجاً، إذا خرج عن طاحة صاحِبه يُعْتُم وانطَّلَق في غير ما يريد منه. ويقالُ: جَمَعَ الرَّجُلُ إذا ركب هواه، وانطلق على غير هدنى، واستعضى على من يُريدُ ردِّه، ويقال: جَمَعتِ السفينة إذا خرجت عن طريقها الصالح فلم يُضْبِطُها السلاحُون، فالْجُمُوحُ هو الانطلاق بعنف ومعاندة مع ركوب الهوى.

كشفت هاتان الأيتان ثلاث صفاتٍ من صفات المنافقين:

الصفة الأولى: أنّهم لا يكتفون بادّعاء أنّهم مؤمنون مسلمون، وهم في الحقيقة كافبون، بل هم يحلفون الأيمان بالله قائلين للمؤمنين وهم يكذّبُون: واللّه إِنّا لمِنكُمّ، وما هم في الحقيقة بنُهُمْ، بل هم كافرون. قُلوبُهُمْ مع إخوانهم في الكُفر لا مـع الذين آمنوا.

دُلُّ عَلَىٰ هَذَهِ الصَّفَةِ قُولَ الله تعالى:

﴿ وَيَعْلِغُونَ إِلَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَاهُمْ مِنكُورٌ ﴾.

واو العطف في هوريُخلِفُرنَّه يحتمل أن تكون عناطفةً على ما جاه في سوابق هـذه الجملة من صفات المنافقين، ويحتمل أن تكون استثنافية، وفائدة الاستثناف النتيةً على أنَّ ما بعده غير متجل_{ل ب}ما قبله أتصالاً مباشراً ضمن عناصر موضوعه.

فهم إذا كانوا بين المؤمنين وخافوا افتضاح حقيقتهم، وأن يُكتَبِقَ المؤمنون ألَّهم مُنافقون، فَيَّتَوِلُوا بِهِمْ عُقُونَة الرَّقَةِ عن الإسلام، سارعوا إلى سَتْرِ الْقَسِهم بان يُحْلَقُوا باللَّهِ كاذبين، وذلك كلما ظهر من بعض المؤمنين عباراتُ أو إشارات استفسار عن حقيقة صِدْق إيمانهم، وهلَّ هم من أهل الإيمان أم من أهل الكُفر، ويكون هذا عادة حينما يتصرّف المتنافقون تصرّفاتٍ مُثيرةً للشّكُ في أسرهم، فيقول المتنافقون حيثيةً للمؤمنين: تَحْلِفُ باللهُ إِنَّنَا لَمِنْكُمْ وَلَسَنًا مع السّدين تضووا من المشسركين أو أهْمل. الكتاب، أو غيرهم.

رُيْتِينَ الله كَذِبُهُمْ بِقُولُه:

﴿وَمَاهُم مِّنكُونُ﴾.

الصفة الثانية: أنّهم يُتَمَدُّدُ خُرِقُهُمُ الشَّدِيدِ إلى حدُّ الجَرَّعِ من أن يُتِّزِل المؤسّون يهم عفويةً الرَّقة، كلَّما اكتشف المؤسّون بعض أمارات نفاقهم، وارتابوا، ووجُهوا لهم عباراتِ الاستفسار عن هريتهم الحقيقية، أو نظراتِ الارتياب، وهو الأمر الذي يجعلهم يبادون بِحَلقِب الأيمان الكافة، لَيْذُرُوا عن أقسهم العقوبة.

دلُّ على هذه الصفة قول الله تعالى:

﴿ وَلَلْكِنَّهُمْ قُومٌ يُفْرَقُونَ ۞ ﴾.

عبارة ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ مساويةٌ لعبارة: وَمَا هُمْ صادقون فيما يحلفون بـالله عليه، فيأتي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَهُمْ فَـوُمْ يُقْرِفُونَ﴾ لبيان السبب الــذي يجعلهم يحلفون بـاللّهِ كافيين، أي: لَيْس غَرْضُهُم إِنَّبَاتَ أَنْهِم مع المؤمنين حقّاً، ولكِنْ غَرْضَهُمْ سَتَّرُ كُفُوهم ويَغْافِهم، يسبب أَنْهم يَتَغَافُونَ حَوفاً شديداً مُجْزِعاً من معاقبة المؤمنين لهم، إذا تأكّد لهم كُفُرهم وتفاقَهُمْ.

الصفة الثالثة: أنهم لو يُجدُونَ حَجنَ يكتشف المؤمنون أمَـاراتِ كُفُـوهم في البائن الكاذبة، لاداروا ظُهـرَوُهُم الباطِن حاتي مُخَبَّزا يَشْتَبُونَ به، فوق سُرُّ النَّهِيهمُ بالاَيمان الكاذبة، لاداروا ظُهـرَوُهُمْ وأَسْرَعُوا للاعتباء به من شنة تحوفهم وجَزْعهم، فُعـوراً بِنَهُمْ في داخل نفوسهم بالنّهم يُستَحَفُّونَ أَنْ يُتِّزِل المؤمنون بهم أشدَ العقاب، فهم أعداء مخادعون، وهم مخالطون مداخلون.

وقد عبّر الله عزّ وجل عن حالة نفوسهم هذه بقوله:

﴿ لَرَّ يَجِدُونَ مَلْجَنَّا أَوْمَ فَنَرَاتٍ أَوْمُذَخَلًا لَوَلُواْ الِنَهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ۞ ﴾.

إنَّهم يفكّرون أوَلاً بأن يجدوا ملجاً يلجؤون إليه ويتحصّنُونَ فيه، وهذا في حركة نفوسهم السريعة.

فإن لم يَبْدُ لهم مَلْجاً فكُرُوا بأن بجدوا مغارات في الجبال يَخْتَبِتُونَ بها.

فإن لم تكن المغارات قريبة مِنْهُم فَكُرُوا بَأَنْ يَجِدُوا مُذَّخَلًا يستترون به، كما جاء في قراءة جمهور القرّاء العشرة.

فإن لم يَجِدوا مُلُخلًا قَريباً مِنْهُمْ اكتَشَوًا بَأَنْ يَجِدُوا مُذَخَلًا ما يَسْتَرُونَ أَنْفُسَهُم فيه، كما جاء في قراءة يعقوبُ.

كلُّ ذلك في حركة فكريَّة نفسيَّة تمرَّ داخلهم، صوّرها القرآن أبدع تصوير، فـدلَّ على الحركة النفسيَّة السّريمة التي تعتريهم عند شلّة خوفهم من عقاب المؤمنين لهم. وعلى تهالكهم النفسيّ على أن يجدوا مخبأً، يدماً من احصن المخابىء، حتّى أهونها واضفها.

ولـو الْهُم يُجِـدُون على تـوالي أزسانهم شيئاً من ذلك لأدْبُسـروا عن المؤمنين، وأَسْرَعُـوا إليه بمُنهُم إسـراغ الْجَمُـوحِ الـذي يعانـد الحقّ وسُبيـل الهـدى، ولأفـرُّوا المخابىء على الإيمان بـالحق، واتبّاع سبيـل الهدى بصـدق، مع أنّ هـذا منيسّرٌ لهم بالتوبة وصدق الإيمان، وبالتخلّص من مَضلًاتِ النّفاق بالإرادة الصادقة الحازمة.

وهمذه الصفات من صفات المنافقين يصُلُح تعميمها على مختلف الأحوال. والفياس عليها.

قول الله عز وجل:

﴿ وَمِنْهُمْ مِنَ يَلْمِذُكَ فِي الصَّدَقَتِ فَإِنْ أَعْظُوا مِنْهَا رَصُوا وَ إِن لَهُمْ عَلَوَا مِنْهَا وَا بَسْخُلُورَ ۞ وَلَوْ أَنْهُمْ رَضُولُهِ مَا مَا تَسْهُمُ اللهُ وَمَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْمُتُ اللهُ مَسْتُونِيتَ اللهُ مِن وَفَسْلِهِ، وَرَسُّهِ الْعَالِقَ الْهَا وَهَا إِنَّهِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ اللهِ عَلَيْ

قرأ جمهور القرَّاء العشرة: [يَلْمِزُكَ] بكسر الميم.

وقرأ يعقوب فقط: [يُلْمُزُكَ] بضمَّ الميم.

والقراءتان وجهان عربيان لنطق فعل ويلمزو يقال لفة: لْمَزَّوْ بْلْمَرُو وَيْلُمُزُّوْ لَمُؤَاّ لِذَوْ إِذَا عابهُ، او أشار إليه إشارةً تدلُّ على أنه يُجِيبُّه بشيء ما، والإشارة تكون بحركمات العين أو الشفة أو نحوهما مع كلام خفيّ. ورجلٌ لمُئازٌ وُلْمَزَةً، إذا كان دابُّهُ أن يفعل ذلك.

﴿ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾:

أي: في توزيع الصَدقات على مستحقيها، والمراد من الصدقات هنا ما يُجَمَّع من الزكاة، بدليل الآية التي جامت بعد هذا النص التي تحصر مصارف الصدقات في الأصاف الثمانية، وهي مصارف الزكاة.

لكنَّ «الصُّدَقَات، قد تُطْلَقُ على مـا يُبذُلُ تَـطُرُعاً فــوق الزكـاة، ويُستَـدُلُّ عليهـا بالقرائن، كما سيأتي في الأية (٧٩) من سورة (التوبة): ففيها قوله تعالى:

﴿ الْذِيكِ بَلْمِزُوكَ ٱلْمُطَّوِّعِيكِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَفَنتِ . . . ﴾ . معا دوي في سب النزول:

(١) قال ابن جربع، أخبرني داود بن أبي عاصم قال: أُبِّي النبيُّ ﷺ بصدقة،

فَقَسْمِها هَهُنا وَهُهَنا حَتَى دَهبت، قال وورامه رجلٌ من الأنصار، فقال: ما هذا بالعدل، فنزلت هذه الآية، لي:

﴿وَمِنْهُمْ مَنَ لِلْمِرُكَ فِي الصَّدَقَتِ فَإِنْ أَعْظُوا مِنْهَا رَشُوا وَإِنْ لَمَهِمُطُوَا مِنْهَا إِذَا هُمُ يَتَخَطُّورَكَ ۞﴾.

(٢) روى البخاري بسنده عن أبسي سعيمد الخدري قبال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ
 وفي رواية وقسمًا، جاء عبدُ الله بنُ فِي النَّحْويْسِرة النَّهِيْسِي فقال: الهدل يا رسولُ الله.

فقال: وَوَيْلُكَ وَمَنْ بَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلُ؟!.

قال عُمَرُ بن الخطاب: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنْقَهُ.

قال ﷺ: وَمَقَدُ ، فَإِنْ لَهُ أَصَحَابًا يَجَوْرُ أَحَدُكُم صَلاَتُهُ مَعَ صَلاِتِه ، وَصِيَامَهُ مَعَ صيابه، يَشْرُقُونَ مِن الدِّينَ ثَمَا يَشْرُقُ السَّهُمُ مِن الرَّبِيَّةِ، يَشْفُرُ فِي قَدْفِهِ فَلا يُوجَهُ فِيه ضَيَّه، كُمْ يَشْفُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلا يُرجَهُ فِيه شَيْء، ثَمْ يُشْفُرُ إِلَى رَصَابِهِ فَلا يُرجَهُ فِيه ثُمُّ يُشْفُرُ إِلَى فَهِيَ فَلا يُرجَهُ فِيهِ شَيْء، قَدْ سَنَقَ الفرْتُ وَاللَّهِ، أَنَّهُمْ رَجُلُ إِحَدَى يَذْكِ _اوقال قَدْتِهِ. مِثْلُ تَدْيَ الْمَرْآءِ، أَوْقَالَ: مِثْلُ الْبَشْمَةِ تَدْرُدُرُ، يَخْرَجُونَ عَلَىٰ جِينِ مُوْلَةٍ مِنَ النَّسِ. مِنْ

قىال أبو سعيد: أَشْهَدُ سَبِعْتُ بِنَ النبِيّ ﷺ، وأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيمًا قَتَلَهُمْ وَأَنَا مَعْهُ. جِيءَ بالرَّجُلِ عَلَى النَّمْتِ الَّذِي نَعَةَ النبيّ ﷺ، قال: فَتَوْلُتُ فِيهِمْ:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يُلْمِزُكُ فِي ٱلصَّدَقَنتِ . . . ﴾.

وانظر فتح الباري ج (١٢) الحديث (٦٩٣٣) وأخرجه غير البخاري،

يَشَرُقُونَ مِنَ الشَّيْنِ: لِي: يَخْرُجُونَ بِنَّه، يُقَالُ لَفَةً: مَرَقَ السَّهُمُ مِنَ الرَّبِيَّةِ يَشُرُق مُرُوقًا، إذا اخْتَرَفِها وَخَرَجَ مِنَ الجانب الاخرِ فِي شُرْعَة .

الرَّمَيَّة: الْهَدَفُ والغَرْضُ الَّذِي يُرْمَىٰ إليه السَّهُمُ الإصابِه، صيداً كان أو غيره. يُنْظُرُ فِي قَلْفِه: قَلْدَة: جمع وقَلْمَه وهي ريشة الطائر بعد تسويتها وإغدَادها لتُركَبُ في السَّهْم من جهة نبله مع أشياهها، لحفظ توازن السهم عند انطلاق. ثم يُتَظَرُ إِلَىٰ نَصْلِهِ: نَصْلُ السُّهم الحديدة الحادّة التي توضّعُ في رأس عُودِه.

لَّهُ يُنْظَرُ إِنِّى رَصَالِهِ: ورصائك، جَمْعُ ورَصَفَه، وهي عَصَبَهُ مِن الأوتار، ويشال لها وعَفَيْهَ قُلُونَى فَوْقَ مَذَّحَل السَّفَلِ نَصْل السهم في صُودِه، وتُشَدُّ لِتَنْبِ النَّصْل، وهذا القِسَّمُ الاسفل من النَّصَلَ يُسَمَّى ويسَّمَّةً.

نُّمُّ يُنْظُرُ إِلَىٰ نَضِيُّهِ: نَضِيُّ السُّهُم هو ما بين رِيشِهِ وَنَصْلِه.

والمبرادُ من هـذا البيان التفصيلي أنَّه لم يَعْلَق في السُّهُم من الرَّمِيَّة التي هي الصُّيَّدُ شَيَّءً، لأَنَّهُ مَزَقَ منها بُسُرَعَةِ فائقة، أي: لم بين فيهم من الإسلام شَيَّءً.

سَيْقَ الْفَرْثُ والدَّمْ: اي: سَيْقَ السَّهُمُ بِسُرْعَتِهِ أَنْ يَعْلَقَ بِهِ شيءٌ من الحيوان الذي هو هدف الرَّامِي، لا شيءٌ من فَرْتِهِ، ولا شيءٌ من دَبه.

مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ: الْبَضْعَةُ: أي: قِطْعَةٌ من اللَّحم.

تَذَرْفَرُ: أَي تُتَرَجَّزَج وَتَضْطرب كما يَتَرَجَّزجُ ثُلْيُ المرأة.

وقد ظهو هؤلاء القوم في خلافة علي بن أبيي طالب رضي الله عنه، وهُمُّ الْقُوَّمُّ الذين خرجوا عليه وقاتلهم، واستأصل مُفظمهم وقتل آيَتُهم، أي: العلامة التي تدلّ عليهم، وهو رجل منهم، ولمَّا بحثوا عنه في الفتلي وجدوا أنَّه على الوصف الذي جاه في كلام الرسول ﷺ، ولمَّا رأه على بن أبي طالب كبَّر شُكُّراً لِلَّه، وسُروراً بالنَّهُم هم الذين عناهم الرسول ﷺ في حديث عنهم.

التدئر

في هاتين الآيتَيْن بيّن الله عزّ وجلّ ظاهرةً من ظواهـر الشاق، تـوجد لـدى بعض المنافقين، وهي لُمُرُّ الرّسول ﷺ والطمن فيه بالقول أو بغيره، في تصرّف لدى تـوزيعه الصدفات على المستحقّين، وأنّهابه بمجانبة العدل إذا لم يُعطهم منها، فإنْ أعطاهم من الصدفات ولو لم يكونوا من المستحقّين رضوا، وإنّ لم يُعطهم وهم غير مستحقين فاجؤوا عدل الرسول، وحكمته بإعلان سخطهم، كانهم كانوا يترقيون أن يُعطِيَّهُمْ منها مُنْحلِّةُ أَشْدَاقُهُمْ للاحد من السُدفات دون استحقاق، وحين يرى الرسول بحكمته أنهم

أغنياء ليس لهم حنَّ في الصدقات، إذْ هي تصرف في مصارف الزكاة، تَنْظَلِقُ منهم عباراتُ أو إشارات السُخط واللَّمْز طفناً في الرسول بصورة مُفاجئةٍ غَيْرِ مُزْتَقَبَّهِ.

إِنَّ تَسَخَّطُهُم يَاتِي مُفَاجِعًا للرسول ولحاضري مجلس توزيمه الصَّدقات، لأنه لا داهي له مطلقاً، فهو أثرَّ مستغرب جداً، باعتبار أنهم غَيَّرُ مستحقين، أمّا من جهَيْهم فإنهم لا يملكون إلا أنَّ تنفجر فيهم قَنْلَةُ الشَّخَط، لأنهم كافرون باطناً، ومشحونون بالطّمع، ومُتَوَقِّرِن أنَّ يكون لهم من الصدقات نصيب، ويُضَاجُوُون بخيَّة الأصل حين لا يعطيهم الرسول، فينفجر فيهم السخط مما تجتّم بدائحلهم من غضب.

فقال الله تعالى خطابًا لرسوله محمد ﷺ:

﴿ وَمِنْهُمُ مَن يَلُوزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْظُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَمْ يُسْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمُّ مَنْخَطُهُ رَبِي اللَّهِ عِنْهِ إِنْ الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْظُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُسْطُوا مِنْهَا

أي: ومن المنافقين من يُلْمِزُك يا مُحمَّدُ في تـوزيع الصَّـدقابَ على مستحقيها، طـاعناً لـك بأنَّكَ لاَ تَقْسِمُ بالعـدل، وحالَّ هـذا الصَّنْفِ من الناس أَنْهم إن أَهَـطُوا مِنْ الصَّدَقاتِ ولو لم يكونوا من أهل الاستحقاق رَضُّرا فلم يلمنزوا، وإنَّ لـم يُشْطُوا مُنْها وهم غير مستحفِّين فاجَوُّوا بالتسخُط والتلقر، واللَّمْزِ طَعْناً وَعِيْدًا.

وارْشَنْهُمُّ اللَّهُ إلى ما هو خيرٌ لَهُمُّ، دون أن يُواجههم بالخطاب، إهراضاً غَهُمُّ، وإشعاراً لهم بسوء أدبهم مع الرسول، وأنْ لَمُنْرَهُمُّ له كبيزةً من الكبائر، وهي تـدلُّ على تفاقهم وعدم صحة إيمانهم بالرسول فقال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنْهُمُ وَصُوا مَا آاتَنَهُ مُاللَّهُ وَرَسُولُمْ وَقَالُواْ حَسَبُنَا اللَّهُ سَبُوَّتِيسَا اللّهُ ين فَضْلِهِ. وَرَسُولُمُ إِنَّا إِلَى اللَّهُ وَعَبُّوكَ ۞﴾.

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ زَغِبُونَ ﴾:

أي: إنّا إلى الله مُثِّبَهِلُون متضرّعون سائلون، يُقالُ لغة: رَغِبُ إليه في كذا، إذا سأله إيّاه، ورَغِبَ إلَيْه، إذا أَيْتَهَل وتضرّع وَطَلَبَ.

وقد جاء في الإرشاد بيان أربع وصَايا لُو اتُّبعُوها لنالوا خيراً عظيماً، وهذه الوصايا

جاءت بصيغة جُمَلِ شرطيَّةٍ مُصدَّرة بحرف الشرط ولموء والجواب محــَـلـوف لأنَّ الذَهن يستطيع إدراكه بيُسر، فالتنفست بلاغة الإيجاز حـَـلـفه.

> الوصية الأولى: دَلَّ عليها قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنْهُ مُرَرُّضُواُ مَا أَعَالَىٰ هُدُاللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿ ٤:

أي: ولو ألهم رضُوا ما آتاهُم اللهُ باغيَنَاوِ أنَّد هو المعطي الثُنَفَطُل، وما آتاهم الرسول باعتبار أنّه القاسم المنتفذ لعطاء الله، ورضُـوا ايضاً ما أَمْ يُؤتِهم الله ورسوك، وأتَى غيرهم ما لم يؤنهم منه لمنا له في تدبيره من حكّمة.

وأغنى ذكر إيتائهم عن ذكر عدم إيسائهم، لإشعارهم بان بُنم الله عليهم عظيمة جدًاً، فعليهم أن يُرْضَوًا بها ويشكُرُوا الله عليها، لا أن يُلوسوا على ما لم يُصطهم وان يتسخّطوا، وأنَّ بلعزوا الرسول.

الوصيَّة الثانية: دلُّ عليها قول الله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ :

أي: قالوا: يَكْفِينَا اللَّهُ بعطاءاته، فهو المعطي، وهو الـذي بيـده الأصر كُلُّه، يجري مقاديره بمقتضى مشيئته الحكيمة.

الوصيَّة الثالثة: دلُّ عليها قول الله تعالى:

﴿ سَنَبُوْتِينَا أَلَهُ مِن فَضَّلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾:

أي: وقالوا: إذا سألنّا اللهُ وتوكلنا عليه فَسَيَّوْتِينا اللهُ مِن فضلِهِ مستجيباً دُعاننا، ففضله عظيم، وخيرُه كثير، وإذا كان عَطاءُ الله عن طريق توزيم رسُولِه فَسَيُّؤْتِينا رسولُـهُ من فضل الله، وسيُلهمه الله أن يُؤْتِينا.

الوصية الرابعة: دلُّ عليها قول الله تعالى:

﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ زَغِبُونَ ۞ ﴾:

أي: وقىالىوا داعِين رَبِّهُمْ مِبْتهلين مُتفَسِرٌعِين، رَبِّنَا آتِنَا مِن فَضْلِكَ، إِنَّا إِلَيْكَ رَاهِبُون، نسألك ونِبَهُلُ إليك ونتضرّع.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّا الصَّدَقَتُ لِلْمُتَرَاَّهِ وَالْسَسَكِينِ وَالْسَعِيلِ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّقَةِ فُلُوجُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَسَرِمِينَ وَفِ سَبِيلِ اللّهِ وَأَيْنِ السَّبِيلِّ فَرِيضَتَةٌ مِن الْفُووَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞﴾.

قرأ جمهور القراء العشرة [والمُولُّقة] بتحقيق الهمزة.

وقرأ ورش وأبو جعفر [والمُولَقَةِ] بإبدال الهمزة واواً في الوصل والـوقف، وحمزة كذلك في الوقف فقط.

بمناسبة الحديث عن المنافقين الذين كانوا يُلهزون الرسول ﷺ لذَى توزيعه الصَّذَقات، إن لم يعطهم منها، لأنهم ليسوا من الاصناف الذين تُبْذُلُ لهم، أبان الله عزَّ وبلَّ بِنُصَّ صريح مفصل الاصناف الذين تُدُفَّع إلَيْهِمُ الصَّدَقات، وابان أن توزيعها يجب أن يكون محصوراً بهم، بدلالة أداة الحصر وإثماء التي بدأ الله بها الآية، فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ ﴾:

أي: لاَ تُبْذَلُ الصَّدَقات إلَّا للأصناف المذكورين في الآية.

الصنف الأول: الفقراء، جمع الفقيره وهو من كنان ذا حاجة حقيقيًا لفقاته ونفقات من يعولهم، سواة أكان مُعقبهاً أو دون ذلك إلى ما دُون الكفاية، ولكنَّ قَـدً لا تكونُه هذه الحاجة ظاهرة عليه، فيحسبه الجاهل بعداله غَيْبًا، من تعقّفه، أو من نشاطه وجلادته في العمل، فيظنَّ أنَّه يُحْسِبُ ما يكفه.

وأصل الافتقار إلى الشيء الحاجةُ إليه.

الصنف الثاني: المساكين، جمع «المسكين» وهو من كان ظاهره يدلُ على أنّه ذو حابة، بسبب تعرُّضه لصدقات الناس، بعا يدي من حال تُشعر بأنّه فقير محتاج، أو بتصريحه بأنّه ذو حابة، وبسؤاله صدقات الناس وزكوات أموالهم، وريّما يكون في واقع حاله على خلاف ما يظهر بأقواله وأعماله. فالمسكنة صفةً تظهر على الإنسان، تُشْيَرُ بأنَّه فقير ذو حاجة، سواءً أكان صادقاً بمسكنته أو كاذباً فيها.

قالبذلُ لكلُّ من الفقير والمسكين سببه الحاجة لنفقات، وأنه لا يملك كفايته، والفرق بينهما أنَّ الففير هو من كمان ففيراً في حقيقته، ولو كمان ظاهره قد يشعر بأنَّه غنيَّ، فيحسبه الجاهل بحاله عَنَّاً. أمَّا المسكين فهو من يتظاهر بطافقر ويتعرَّض لأخد صدقات الناس، أو يسألهم صواحة، وقد يكون في حقيقة أمره فقيراً، وقد يكون غير ذي حاجة.

هـذا مـا ظهـر لي من الفـرق بين الفقيـر والمسكين، من خـلال سُبْرِ النصـوص واستقرائها، ومن خلال النظر في جذور كلمتي الفقر والمسكنة لغة(١).

واختلف فقهاء المداهب في الفسرق بين الفقير والعسكين إلى حـــــ اختــــلاف التضاد، لكن سُيرُ النصوص أكد لي صحة ما انتهيت إليه وافقه أعلم، وهو مــا يُفهمُ ممّا روي عن ابن عيّــاس، فقد أخرج ابن المنذر والنحــاس عنــه أنّــه قــال: الفقــراء فقــراءُ المسلمين، والمساكين الطُرافون.

الصنف الشالث: العاملون عليها، وهُمْ بَنِاةُ الزكاة، الشُعداةُ المكلّمونُ أنْ يجمعوها من ولهُ الله التي يجمعوها من ولهُ الله التي يجمعوها من ولهُ الله الله التي يجمعونها. ويُطْلَقُ على العامل الذي يُجْبِي السرّكوات مثن تجب عليهم اسم ومُصْدُق،

وكذلك كلَّ من يعمل في دائرة جمع الزكرات ونقلها وحفظها وتسجيلها وتوزيعها على فوي الاستحقاق.

الصنف المرابع: العراقمة فُلُويُهم، وهم الدين يرى إسام المسلمين، أنَّسه إذا أعطاهُم استعالهم لُنُصْرَة الإسلام ونَشْرِه وتنبيته ونُصْرَة المسلمين، فلهُ أَنْ يُعْطِيهُمُ من الأموال العامة التي أعطاه الله حقّ التصرف فيها، ولهُ أن يُعطيهُمْ إيضاً من الزكاة التي

 ⁽¹⁾ انظر الفاعدة السادسة عشرة من كتاب وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل، للمؤلف (المثال الرابع).

يجمعها من المسلمين إذا اقتضى الأمر ذلك، فأمر إعطائهم ببرجع إلى تقدير أمير المؤمنين، بعد استشارة أهل المشورة في هذا الأمر.

واختلف الفقهاد: هل يُقطى من الزكاة مَنْ يُستَمال للإسلام أو لخدمة المسلمين من أهل الكُفر، فيَّأَلْفُ يذلك فَلَه، أمْ يُشطَى فقط من الأموال العامّة كاموال الفيء، فعنهم من يزى أنَّ للإصام أن يتألف بأموال الزكاة غَيْر المُسلِمين، ومنهم من يَرى أنَّ ذلك لا يكون من أموال الزكاة، بل بكون من الأموال العامّة أو من الأموال الخاصة التي يترع بها المتبرَّعون.

ولكـلُ من الفريقين حُجَنُّـه، والأمُرُ في ذلـك يَسِير، وهـو يرجـع إلى تقديـر إمام الـمسلمين وأهل مُشورته.

ومصرف المؤلفة تلويهم مصرتُ يُرْجَعُ الْبُذَلُ فيه لتغدير إمام المسلمين، ومراعاته المصلحة العامة للإسسلام والمسلمين، فإن رأى أن يبدل فيه من التركاة أو من الأسوال الصامة بدلل، وإن رأى أن المصلحة لا تستدعي ذلك في عهد من المهود لم يبدلك، فالمؤلفة قلويُهُمُ ليس لهم حتَّ في الزكاة أر في الأمرال العامة، حتى يُطالبوا به، حُحَقُ الفقراء والمسلكين في الزكاة، ولكن من حق إمام المسلمين أن يبذل من الزكاة للمؤلفة تلويُهم إذا رأى في ذلك مصلحة للإسلام والمسلمين، وهذا الفهم هو الذي فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين توقف عن إعطاء المؤلفة قلوبُهم، يوم أن وجد الإسلام عزيزاً منصوراً.

وَفَهِمَ بِنِشُ النّاسِ فَمَلَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى غَيْرُ وَجِهِهُ ، فَاتَّخَذُوا فَعَلَهُ هَـذَا فَرَيعَةً لِإِياحَةً إِيقَافَ بِنِهِضَ شَرَاتُمُ الإسلامِ، بِنَعْرِى أَنَّ الأَحْكَامُ تَسِدُّلُ بِتَبْلُلُ، الأَرْصَانُ، مِعَ أَنْ تُحَمِّرُ قَدْ فِهِمُ النّصِّ وَطَيْقَهُ عَلَى مَا فَهِمَهُ، وَلَمْ يُوقِفُ الْعَمْلُ بِالنّصِّ القرآني.

الصنف الخناص: الأرقاء أي: لإمام المسلمين، وناثبه في تنوجيه الزكاة لمصارفها، أن يَبْذُل من الزكاة لبثن الأرقاء، عبداً أو إماءً، ويكون ذلك بتسديد أقساط النُكانب، وبشراء العبيد والإماء وإعناقهم، وبمساعدة من يشتري الأرقباء ويعظهم، أو يريد أن يعتقهم وهم في ملكه، وبأن يُعتق مالِكُ النرقيق ويحتسب قيمة مَنْ أغَنَق من زكاة ماله. الصنف السافس: العارمون، أي: المدينون، تسديداً لديونهم، والذين أصابتهم جوالتح تعويضاً لهم عشا نزل بهم، والـذين يغرصون من أموالهم لإصلاح ذات البين، فيتمُهمون أن بينذوا قدراً من المال للإصلاح، ويلتزمون ذلك في ذمتهم، فيُسَـدُ عنهم من الزكاة، أوْيُسَاعَلُونَ في ذلك.

العسنف السابع: سبيل الله، فما المراد من إنفاق السهم السابع من أسهم الـزكاة في سبيل الله؟

- (١) رأى معظم فقهاء المذاهب أنَّ المراد بذلَّه في المقاتلين لإعلاء كلمة الله.
- (٢) ورأى آخرون جواز صرفه في كل مصالح الإسلام والمسلمين الصامة، فهي
 تدخل في عموم عنوان وفي سبيل الله، لأنّ سبيل الله هو دينه، وكلّ الاحكام والـوصايــا
 التى أبانها فيه لعباده.
- (٣) والرأي الثالث المعاصر المتوسط بين الرأيين السابقين، وهو ما تعلى عليه عبارة والجهاد في سبيل الشه بعماها الواسع الذي دلت عليه نصوص الجهاد في سبيل الشه في القرآن، وقد مُبَرَّقُها في كتاب وبصائر للمسلم المعاصره في الباب الرابح منه، قوجدت أن هذا الجهاد يشمل تعليم الإسلام وتربية المدعاة إلى دين الله، رصاعاتهم وتوظيفهم للقبام بواجب الدعوة إليه بالحكمة، وللقيام بالأمر بالمحروف دين الشابي عن المنكر بالفكر والقلم واللسان، وغير ذلك من وسائل مؤثرة تُكَشَفُ تتوصيل الفؤة لإرهاب أعداء الله، في مختلف بقاع الارض كالإذاعة، ويشَمَلُ إعداد المستطاع من الفؤة لإرهاب أعداء الله، ويشمل إمداد المقاتلين في سبيل الله لإعلام دينه والدفاع عن المسلمين وطائلهم ودولته بما يحتاجون إليه من أسلحة ومُرف، ويشملُ كفالة أشرهم ورعاية هذه الأشر ما داموا غزاة في سبيل الله، فعن جَهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومكذا إلى أشباه هذه المجالات.

أمّا إطلاق عبارة وفي سبيل الله لتشمل كلّ إنشاقي فيما يُرضي الله من مصالح المسلمين العامّة والخاصة، دون تقييدها بعضهوم كلمة الجهاد الشاملة لما سلف بيانه، والتي لا تقصر على الفتال في سبيل الله، فهر أمّرٌ مستبّمَدُ، لأنّ البدّل في سالر الأصناف الثمانية ينطبق عليه أنّه بذلً في سبيل الله، فلا يكون لتحديد الأصناف الثمانية في الآية كبير فلندة. ويلاغة البيان الفرآني يُستَبُعدُ مُعْها مثل هذا الإجراء.

وأنّـا تقييد عبارة وفي سبيل الله؛ بالمقاتلين في سبيـل الله، فلا دليـل عليـه من القرآن، ولا دليل عليه من السُنة.

بقي أن نفهم أنَّ المراد هو الجهاد في سبيل الله بمعناه الواسع الذي دلَّت عليه يُصُوص القرآن المجيد، فهو الذي أراه الأرجع والأقرب إلى التدبَّر الصحيح في هـذا الموضوع، والله أعلم.

وأنبه هنا على أنّ العالم الداعية الدكتور الشيخ ديوسف الفرضاوي، قد ذهب إلى هذا الرأي فيما انتهى إليه بكتابه وفقه الزكاف بعد أنّ عرض آواء الفقهاء والباحثين المتقدّمين والمحدّثين، وأنّهم بما ذهب إليه.

الصَّنفُ الثامن: ابَّنُ السبيل، فما العراد من إنفاق السَّهم الثامن من أسهم الزكاة في ابن السبيل.

السبيل: هو الطريق، والمسافر الذي انقطع في الطريق فعجز عن أن يعود إلى بلده، لأنَّ ما يحتاج إليه في سفره من زادٍ أو كساءٍ أو مركبٍ أو مـارَى قد نفسد يقال لـه: وابُنَّ السبيل، وهو على سبيل المحاز، أي: كأنّه لا أبّ له بُؤويـه أو يُحْميه أو يُعُمَّيه إلاً الطريق، والطريق العامّ لا يفعلُ شيئًا من ذلك، فهو منقطع.

فهذا الصنف يُصْرف له من الوكاة ما يحتىاجه حتَّى يَعُودَ إلى بلده، ولو كـان في بلده غنيًا، ولا يُستَرَّدُ منه ما تَذِلُ له إذا وصل إلى بلده وهاله.

وقد ذكر الفقهاء الشَّروط التي يجب تـوافرهـا في ابن السبيـل حتَّى يكـون ممَّن يستَحِقُّ ان يَّبُلُ له من هذا السهم الثامز من أسهم الزكاة الثمانية.

وهمل يدخل في هذا الصنف من يبريمد إنشاء سفر في طاعة، وهـو لا يملك ما يحتاج إليه في هذا السفر، فيُعطَّى من الزكاة ليسافر؟

جمهـور الفقهاء على أنَّ المـراد من «ابن السبيـل؛ المسلم المنقـطع في سفـره، يُعْطَىٰ اويصرف من أجله ما يحتاج إليه حتى يصل إلى بلد، أو مابه، وأمّـا من يريـد أن ينشىء سفراً فلا يُعطى إلاّ أنْ يدخل في صنف آخر من الأصناف الثمانية، كأن يكون داعياً إلى دين الله فيدخل في صنف وفي سبيل اللهء.

ورأى بعض الفقهاء جواز إعطاء من بريد أن ينشىء سفراً في طاعة ولو لم ينقطع يُعَدُّ في سفره، ويَتُمُّد هذا السرأي. لأنَّ من يسريند إنشاء سفر لا ينطبق عليه اسم وابن السبيل، بل هو ابن بلده وافه أعلم.

ملاحظة حول: ﴿للفقراء. . ﴾ و ﴿وقي الرقاب. . ﴾ :

جاء التعبير الحاصر في الأصناف الثمانية بجانب الأربعة الأولى بعبارة:

﴿ لِلْفُ قَرَآءِ وَالْمَسَنِكِينِ وَالْمَنْمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُوَلِّفَةِ فُلُوبُهُمْ ﴾.

فاستخدم حرف الجر واللام،.

أما بجانب الأصناف الأربعة الأخيرة فقد جاء التعبير بعبارة:

﴿ وَفِي الرِّفَابِ وَٱلْفَسْرِمِينَ وَفِ سَبِيلِ اللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِّ ﴾

فاستخدم حرف الجر ، في . .

قما السَّرُّ في هذا؟

رأى الزمخشري أنَّ استعمال دفي، بجانب الأربعة الأخيرة، قد كان لأنَّ هؤلاء الأصناف الأربعة الأخيرة، قد كان لأنَّ هؤلاء الأصناف الأربعة الأولى، أخذاً من دلالة لفظ الأربعة الأولى، أخذاً من دلالة لفظ افي على الظرفية، فالزكاة تُصنبُ فيهم، وقد خدالف في هذا من اهتم بهم القرآن في الترتب فذكرهم أوَّلاً، وهُمُ الفقراء والمساكين، وما جاء في نصوص أخرى من بيان أتهم المستحقون الأولون للزكاة، كقول تعالى في صدوة (المصارج/ ٧٠ مصحف/

﴿ وَالَّذِيكَ فِي أَمْوَ لِمِ مَنَّ مَعْلُومٌ ۞ لِسَالِ وَالْمَعْرُومِ ۞ ﴾.

ورأى ابن المنتير في تعليقه على الزمخشري، أنَّ الأربعة الأولين بملكون مَا يُلْفَعَ إليهم، فيأخذونه ملكاً، فكمان استعمال الملام هو الملائق بهم، وأما الأربعة الأخرون فالأصل أن تُصْرَف السُّهُهُمُّ من الزكاة في المصالح التي تتعلّق بهم، لا أنَّ تُدفع إليهم تعليكاً، فالأرقاء تُشْنَى رفابهم بالبذل لمالكيهم، والفارمون تُذفع ديُونُهم للدَّالثين.

أقول:

هذا فهم سليم، وعليه يكون سهم وفي سبيل الله، وسهم وابن السبيل، يمكن أن يوضعا في مؤسسات لتحقيق الأهداف منهما، وهو الأصل الذي جماعت الإشارة إليه يحرف الجزّ وفي، ولا يُشتّع من بذلهما مباشرة للأفراد المجاهدين، ولأبناء السبيل المتقطمين.

وجماء تكرير حرف الجر دفي، بجانب الصنفين الاخيرين، للإنسارة إلى أنهما صنفان متشابهان، كما أنّ الخامس والسادس صنفان متشابهمان ذُكِرا مبدوأين بحرف الجر دفي ه.

أمًا الأصناف الاربعة الأولى فيـُدكُونُ استحقاقاتهم. فَبُلِثُتُ بحوف الجر واللاّمه داخلًا على الصنف الاول منها رغطفت الأصناف الثلاثة عليد دون إعادة حرف الجرّ. لتشابه الأصناف في التعليك، والله أعلم.

قولىه تعالى:

﴿ نَرِيضَكُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ :

أي: قِسْمةً محدَّدَةً من الله أوجبُ اللهُ اتَبَاعَها، يقال لغة: فَرَضَ الشيءَ إذا أَوْجَبَهُ وَالْزَمُ بِه، وحدَّد له حُدُودًاً.

وأشل الفرّض في اللَّفَةِ: الْقَطْمُ، والحرُّ في الشّيء لبيان الحدّ الذي ينتهي عنه مقدار ما، وبيداً عنه مقدار اخر، كخشية ارحديدة يُقاسُ بهما الذّراع شلاً، يُحرُّ فيها عند نهاية الفراع وعند بدايته حزّان، هذا الحرُّ يشألُ له في اللَّفة فرْض، وضه الحزوز التي تُحمَّلُ على حَجْزَةِ السَّاعة الشمسية، أو في المخاييل، أو في غيرها، فهي تُسشَى فُرُوضًا، فكلَّ تَعدِيد بجب اتباعَة شرعاً فهو فرْض.

وعلى هذا فالقسمة المحددة، والنفة التي يجب بذلها، بأشر من الله عزّ وجل، هي فعريضة من الله، أي: قسمة ذات خدود يجب انبياعها. ومنه سُمّيت القبرائض، أي: القسمة التي حدّدها الله في المواويث، وعلم الفرائض هو العلم الذي يبحث في قسمة المواويث.

وختم الله عزَّ وجلَّ الأية بقوله:

﴿ وَأَلَّهُ عَلِيدٌ حَكِيدٌ ﴾:

أي: وبما أنه سبحانه عليم بكل شيء، وحكيم فيما يمدير من أمر، وفيما يُسْرَل لعباده من شرائع وأحكام وفرائض، فإن خَصْرَهُ للصَّدقات التي هي زكاة الأموال، في الأصناف الثمانية هو الأمر الذي تقتضيمه الحكمة المستندة إلى العلم الشامل المحيط بكلِّ شيء.

قول الله عزّ وجل:

﴿ وَمَنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤَدُّونَ ٱلنِّيِّ رَعَقُولُونَ هُوَأَنَّا فَأَنْ أَذُنْ كَذَيْرٍ لِّكُمْ مُؤِينُ بِاللَّهِ وَيُؤِينُ لِلْمُقُومِينِ وَرَحَمَّ لِلَّلِينَ «اَمَنُواْ مِنكُوْ ٱلَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ الْمَوَكَمْ عَلَاكُ لِكِمْ ۞ •

_ قرأ جمهور القرّاء العشرة [أُذُنَّ _ أُذُنَّ] في الموضعين بضم الذال.

وقرأ نافع [أَذْنُ ــ أُذْنُ] في الموضعين بإسكان الذال.

والقراءتان وجهان عربيّان لنُطُق الكلمة.

وقوا حمزة فقط [وَرَحْمَةِ] بالنجرُ عطفاً على [خبرٍ] أي: هـــــ أَذُنُ خَبرِ لكم، وأُذُنُّ رَحْمَةِ للَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم.

وفي القراءتين تكاسل فكري، فقراءة الجمهور تـدلّ على الْ النّبِيّ كُلُّهُ رَحْمَةً لَلْذِينَ آمَنُوا، فيما يسمع بأذَّبه وفيما يتلَقَّىٰ بسائر جوارت، وفي قلبه ونفسه وفكره وكلّ مشاهره.

وقراءة حمزة، تدلُّ على أنَّه ﷺ أُذُنُّ رَحْمَة للَّذين آمَنُوا، وهــذه جاءت للرَّدُّ على

اتَهَام السنافقين لَهُ بأنَّهُ أذَّنَّ. لي: يتأثَّرُ بما يُنسَمَّعُ وَيُقُلُّ النَّاقِلونَ إليه من أخبـار، دون بُحْثِ وتنفيبٍ عن العقيقة وتَبَّنُ لها.

وقد تضمَّن هذا الرَّدُّ انَّ ما يَسْمَعُهُ بَاذَنه من أخمارٍ لا يُسْتح عنه إلاَّ رحمةً للذين امَنُوا، أمَّا غير المؤمنين وهم أهل النفاق الذين يتهمونه بأنَّه أَذَنُ، وَيُؤْدُونَهُ مَعَ أَنَّهُ رَسُولُ الله، فَلَهُمْ عند رَبِّهُمْ عذابُ اليم.

قولُهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤَذُّونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾

يُّنامُ اللَّهُ عَرُّ وجلَ الحديث عن المناففين فَيْيَنِ أَنْ فَريقاً سَهِم يَتَطَاوُلُونَ عَلَى مقام النُّرُّونَ، فَيُؤْفُونَ النِّبِيُّ فِي صَفَّةٍ نُبُرِّتِهِ النِّي اصطفاه الله بها، وهي أَنْهُ يُبُنُّ عن طُويقِ الْمُرْشِيءَ، فَيَنْلُمُى مَا يُبُولُ عَلِيهِ، ويُبَلِّفُهُ كَنَا لَلْقَالُهُ لا يزيد فيه ولا ينقص منه شيئاً.

﴿ يُؤْذُونَ ﴾ :

الأننى هو ما يُزْجِعُ ويؤلم الماً ليس بالشديد، كالكلام بشأنه في غيبته بما يُنْتَقِصُ من كمالاته صلوات الله عليه.

وأشارت عبارةً ﴿وَالنّبِينَ﴾ الدالة على وصّفِه بالنبوّة، إلى أنّ إيذانهُمْ له يُعلَّى بما هو من خصائصه التي رضَّحَتُهُ عِنْدُ ربَّه لأن يصطَّفِينُهُ بالنَّبُوّة، وسِناءَ نبَانُ ايمـذانهم له عامًاً لِيُشَمِّلُ صُوراً كثيرة من الأدّى بمارسُها العنافقـون بشأنه في غيبته، وقد يُلِّقُه بعضُ منها، وعلَّفَ الله عزَّ وجلَّ على هـذه الأذبات التي لم يأتِ في النَّصَ تفصيلها صـورةً تُذَكِّلُ في عمومها، من قبيلٍ عطف الخاص على العام: فقال تمالى:

﴿وَيَقُولُونَ هُوَأَذُنَّ ﴾:

اي: يؤنون النبي اذياب تَمسُّ خصائص نُبُونه، ومم هذه الأفيات، أو من هذه الأفيات، أو من هذه الأفيات أثمسُّ خصائص نُبُونه، ومم هذه الأفياه بكلام ما في الأفيات أقمم يُقولون: هُم أَقُلُ، أي: هو يسمع ما يقال له ويُصدَّفه، فإذا أنياه بكلام بقبله منا، لأنَّ من طبعه أنه يُضمَّم ما يُقالُ له فَيُصَدِّقه، إذْ هو أُفَّنَ، فلا تحوف من أن نبسط فيه الستنا فيما يبتنا، أو أمام يعض المؤمنين به، لإضعاف إيمانهم به، وقد ورد في سبب النزول ما يلي:

(١) أخرج ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن عبُاس قال:

كان نَبَلُ بِرُ الحارث (وهو من بني تُؤذَان بن عمرو بن عوف يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيستمع منه، ثم ينقل حديث إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنّما محمّد أُذَنُّهُ من حدَّثه بشي؛ صدَّقه فأنزل الله فيه هذا النص.

وقــال ابن إسحاق: وهــو الذي قــال له رســول الله 織 فيمــا بلغني: من أحبّ أن ينظر إلى شبطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن السَّدِي قال: اجتمع ناسَ من المستففين، مِثْهُمْ جُلَاسُ بُنُّ سُرِيد بن الصاحت، ومُخَشِّنُ بن خَيْس، ووديمة بَنْ ثـانت، فاولدوا أن يقعـوا في النبيي ﷺ، فنهى بعضهم بعضاً، وقالوا: إنّا نخـاف أن يبلغ مُحمَـداً فيقـع بكم، فقال بعضهم: إنّما محمَّد أذن، نُشْرِلْكُ له فيصدَقنا.

هُو أَذَٰنَ: أي: هو كالأذن التي تنقل ما تسمع، دون تمحيص ولا محاكمةٍ عقلية.

قىال أهل اللّغة: تقول العرب لمن يسمع ما يقالُ له فيُصدّفه: أَذُنَّ، ويطلق بالإفواد هكذا على المذكر والمؤنث والمثنى والجمع، فيقال: وجل أذن، واسرأة أذن، وهما وهم وهُنُّ أذن.

ولا يخفى ما في قول المنافقين هذا من طعنِ في النبعيُّ وإيذاءٍ له.

وقمد علّم الله كلّ مؤمن بـأسـلوب التعليم الإفراديّ كيف يُـرِدُّ مقالـة المنافقين في الرسول إنَّه أُذُن، فقال تعالى:

﴿ ثُلُّ أَذُنُ خَتْمِ لَكُمْ مُؤْمِنُ إِلَّهِ وَقُومُ لِلْمُنْفِينِ كَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ مَامَثُواْ يَنْكُنَّ ...﴾.

وتُذَوْك من هذا التعليم أنَّ الله عزّ وجلَّ يُعَلَّم كُلُّ مؤمنٍ أن يُعُلَن عند مقتضيات الأحوال أمام من يواجه من جماعة المسلمين بصفة عَاشَةٍ، مُلاحظاً مَنَّ في صفوفهم من المتنافقين، مضمون القضايا الَّتِي اشتمال عليها التعليم، لإيجاد رأي عامّ بها، وهي الفضايا الأربع التالية: القضية الأولى: ما تضمُّنهُ قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿أُذُنُّ خَنْدٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾:

اي: هو بحُسن نَلَقَيهِ بِاذَنِهِ مَا يُتَلَىٰ عليه من الدَّرْسِي المعصوم من الخطأ، أَذُنُ خَسِّرٍ، فهو بضبط نَلْقَيهِ عن ربَّه، وضَيَّظ نَلِيفه لِمَنا لَلْقُناهُ عَنْهُ، قد جَلَبَ لكُمْ خيسراً عظيمًا، يضْمَنُ لَكُمْ خَيْرِ النَّاجِلةِ وَخَيْرُ الاجلة.

فَإِذَا كُنْتُمْ تَرَوُنَهُ صَابِطاً لِمَا يُسْمَعُ، وأميناً فِيما يُبِلُّقُه، فهـذا من كمالاتـه التي اصطفاه الله بها للنَّبُوّ، فجعله نَبِئًا، يُنِبًّا باخبار السماء ويُنْبَىءُ عُنْهَا كما تَبْلُقُها.

هـذه الإجابـة تنضَمُن تُبُول مـا أطْلَقُوا من وصف، مــع تحويله من صفّـةٍ دُمُّ إلى صفةٍ مدح عظيم، ولكن في موضوع ما يتلقّى من الوحي عن ربّه، لا ما بتلقّاه من أمور أخرى، ومعلومُ أنّ ما ينزل به الوحي معصوم عن الخطأ والشّر والفساد، فهو خير كُلّه.

والسُّبُ في أنه لا يُفكُّر بطرح اي شكُّ حول ما ياتي به الوشي عَنِ اللَّهُ أَنَّهُ يُومُنُ باللَّهِ إيماناً كاملاً، لا يُخالطُهُ شَكُّ ولا ترقد، فمن آمَن باللَّهِ الرُّبُ الخال العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيءٌ في السماوات والأرض، المتصف بكل صفات الكمال، والمنزّه عَنْ كلَّ صفاتِ النَّعَمَان، لا يُشكِنُ إلاَّ أن يُسَلِّم تسليماً تامَّا بكلِّ ما يُوجِيه الله إليه، وكلَّ عمله تُجَاهُهُ أن يتَلَقَاهُ ويَشْهَنَهُ، لاَنَّه يؤمن بأنَّه لا يمكن إلاَّ أن يكون حشًا لرخيزاً ورُشْداً وسَبَبَ سعادةٍ ونجاحٍ وفلاحٍ.

القضيَّة الثانية: دلُ عليها قول الله عزَّ وجل:

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أي: وهو يصدّق المؤمنين في أخبارهم لأنهم مؤمنون بـالله، ويسبب إيمانهم بـه وخوفهم من عذابه لا يكذبون مفترين على أحد، إنّما يفتري الكذب الـذين لا يؤمنون، فعمنى ﴿يُؤْوِنُ للمؤمنين﴾ يطمئن لإيمانهم فيصدّقهم.

وبيان أنّه يصدّق المؤمنين في أخيارهم يشير الساحاً إلَىٰ أنّه لا يُصَدِّق أخيار العامضين، حتَّى يَبَيْنُهَا ويَنْتَبَ مِنْها، ولا يُصَدَّق أخيار المنافضين، عمدلاً بما أمر الله به في الآية (1) من سورة (الحجرات/ 24 مصحف/ ١٠٦ نزول) ففيها قوله تعالى:

﴿ يَكَأَيُّهُ الَّذِينَ مَا سُوَّا إِن جَاءَ كُرُ فَا سِنَّ إِنْدَ إِنْكَ إِنَّ لَكُواْ لَنْسُيدُواْ فَوْمَا إِجَهَ لَوْ تُصْبِيحُواْ عَلَى مَا فَمُلْتُرَكُونِينَ ۞ ﴾ .

ففي بيان أنّ النبيّ يُؤمِن للمؤمنين إشعارٌ للمنافقين بانٌ ما تُصَوِّرُوه من أقهم يستطيعون أن يُرضوه بـالكذب عليه في اعتدارهم له عمّا يَأْلُفه عنهم، أثرٌ لا ينطلي على الرسول، ولو تفاضى عنهم في الظاهر، فإذا لم يكتشف بفراسته أحوالهم، نـزل عليه بشأتهم خبر الوحي، فجلمًا وصَدِّرُهُ عليهم وتغاضيه عنهم غرَّهم، فـظنوا أنّ ما يقولونه في معاذيرهم الكاذبة له يصدّقه.

الغضية الثالثة: دلُّ عليها قول الله عزَّ وجل:

﴿ وَرَدْهَمَّةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُوْ ﴾:

أي: والرسول هو رحمةً لَلَّذِينَ آمنوا بِنُكُم أَيُّهَا المعاشون إسلامهم، او هـو أَذُنُّ رحمةٍ لهم، وتظهر رحمت لهم في مجـال ما يسمع باذنه منهم في أمور كثيرة، منها ما يلي:

 إذا جاده مؤمن يسأله عن شيء من أمور دينه يجهله. سمع سؤاله وعلمه،
 فكان بللك رحمةً له، أي: سبأ في استفادته علماً ديناً هو خيرٌ عظيم له، وهو من آثار الرحمة.

إلى غير ذلك من أمور.

القضية الرابعة: دلُّ عليها قول الله عزُّ وجلُّ:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَمْمْ عَنَاكُ اللَّمِ ١٠

حذه القضيّة تتضمّن تدرجية تُحدِيدٍ للمسافقين من العذاب الأليم الـذي أعده الله عزّ وجلّ للذين يؤذون رسُوله.

واخير هنا من صفات النبئي ﷺ كونه رُسُول الله ، لـالإشارة إلى أنّ الله عـزّ وجلً لا بَدّ أن يُشَّصِرُ لَرَسُولَه اللّذي اصطفاء لتبليغ رسالاته للناس ، وللإشعار بأنّ إيذاء الرسول إيـذاء لله ، لأنّه معموت من تبلّه ، ويُشْعِلُ لَهُمْ ما اوحى الله بـه إليـه ، وكـان عليهم أن يُشْتَجِيوا له ويُعَزِّروه يؤفِّروه ويُشْعُروه ، لا أنْ يكفروا به ويُؤْذُوه.

فالمؤمن مُطالب في الـردّ على العنافقين الـذين يؤذون النبيّ بان ينـذوهم أخيراً بعذاب الله الأليم، مُشَلَّة بأنّ النبيّ هــو رسول الله، والله لا يشرُكُ رسولُـهُ يُؤذّى دون ان يُعاقب الذين يؤذونه بعذاب اليم.

قول الله عز وجلً:

﴿ يَعْفِنُونَ إِنَّهُ لَكُمْ إِيْرُشُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ الْحُقُّ الْمَيْرَشُوهُ إِن كَافُوا مُؤْمِنِينِ ۞ أَلَمْ بِشَا لَمُوَاأَلَّمُ مِن يُحَادِدِ اللَّهُ وَرَسُّولُهُ فَأَلَّ كُمُّ فَارَجَهَنَّ مُخْلِكَ إِنْهَا ذَلِكَ الْخِذْقُ الْمَطْلِمُهُ ۞ .

سبق في عدّة نصوص بيان أنّ المنافقين يلجؤون إلى ستر قبالحهم، وأنواع سلوكهم المدّالة على يضافهم، بان يحاضوا بالله أيساناً كناذية، ليصدّقهم الرسول وليصدّقهم المؤمنون، على اعتبار أنّ الأصل في المسلم أن لا يُحْلِفُ بالله كناذياً، وما دامت البيّة التي تُنِّت جريمتهم لم نُصل إلى مستوى إدانتهم إدانةً شرعية، فإرَّهم يجدون أنّ أيسانهم الكافية تَندُراً عَنَّهُمُ العضوية على يد الرسول، أو على أيدي المؤمنين.

ولمّا كان المناففون يُتخذون وسيلة حلف الأيمان الكاذبة مع كلّ نـوع من أنواع سلوكهم الـدال على نفاقهم، اقتضى فضح حالهم تكـرير بيـان أنهم يحلفون الأيمـان الكافية لسُوْر نفاقهم، عند المناسبات الداعيات لذلك، مع إضافات تعليليّة أو توجيهيّـة أو تحذيرية، ليُعطي التكرير فائدة التأكيد مع التمهيد لإضافة البيان الجديد.

وفي مناسبة بينان إيداله بعضهم للنبئ ﷺ اذيّات ترّعج الرسسول وتفضب المؤمنين، الأمر الذي قد يدفع بعض المؤمنين للانتظام منهم، أبان الله عزّ وجلّ أنَّ الله يمن تأكير وعداء، الله يمن تأكير وعداء، الله يتخدّلوا ما يُقيل عنهم، ويُنكروه إنكباراً يسارعون للتخلص من يُحدّ ما يُدر بنُهُمُ بأنْ يَجْحَدُوا ما يُقيل عنهم، ويُنكروه إنكباراً كلّ وبان ويكلراً ويتكاراً عنهم، ويُنكروه إنكباراً كلّ وبان يؤكّدوا إنكلرهم لله على الهم يُرتاكاً منا أن وبان الكاذبة، فيخلفون بالله على الهم يُرتاكاً مما تُبِب إليهم، من أقوال أو لقدال أذّوا بها رسول الله، فخاطب الله المؤمنين بقوله:

﴿ يَعْلِغُونَ إِلَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ :

أي: يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ لِيُطْفِئُوا حرارة الغضب الذي تـوهَـج في قلوبكم ضـدَّهم. فَيُرْضُوكم بالأيمان الكافبة، نسكُن ثائرتكُمْ، فلانتقموا منهم.

وقمد جاء في كثير من الاخبار أنّ الرّسول كمان إذا تعرّض لأدّئي من أُحَدِ من الناس، ثار بعض أصحابه كعمر بن الخطاب غاضباً، وقال: دعني يا وسول الله أُضرِبٌ عنقه، فيأبى رسول الله ﷺ، ويأخذ الرجىل بالحلم والصفح، وبـالإكرام والعطاء أحيانًا، وربّما صلح حال الرجل، وصار بعد ذلك من فُضلاء المسلمين.

بعد بيان هذا من سلوك المنافقين وجُه الله عزّ وجل موعظة عامّـة، يستفيد منهــا من كان مؤمنًا بالله واليوم الاخر، فقال تعالمي :

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُمُ أَحَقُ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ١٠٠٠

أي: وإن كانوا مؤمنين حقاً غلِمُوا بأنَّ الله أحقُّ بأن يُرضُوه من محاولتهم إرضاء العؤمنين بالأيمان الكافئة ليدفعوا عن أنفسهم النقمة، وفيلُمُوا بنانَّ الرسول أحق بأن يُرضُوه كذلك، وارضاء الله ورسوك يكون بالحذر الشديد من أذى الرسول المذي يعرّضون أنفسهم بسببه فعذاب اليم، من قبَلِ الرّبُّ العزيز العليم.

وإذا أدركوا هذه الحقيقة وآمَنُوا بها أرْضُوا الله ورسوله، باجتناب ما يسخطهما من أذى وغيره. فمعنى العبارة باختصار: وإنْ كانوا مؤمنين وجَّهُوا هِمُهُمَّ الأكبر لإرضاء الله ورسوله، فالله أخقُ بان يُرضوه، ورسوله أحقَّ بأن يرضوه، لَيَلْزَوْوا عن أنفسهم العشاب الشديد، فهو عقابٌ لا تحمي منه الأيمان الكانبة، بل تزيد منه لأنّها هي أيضاً تستوجب عقامًا،

وإذا تركنا الصناعة النحوية، ونظرنا إلى معنى الجملة، وجدنا أنَّ جـواب الشرط الذي في: ﴿إِنَّ كُتُوا مُوْمِينِنَ ﴾ قـد جاء سابقاً لـه، وقد دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ورَسُولُهُ أَخَقُ أَنْ يُرْضُوهِ هَاي: إن كانوا مؤمنين أرضوا الله روسوله، فالله ورسوله أحق أن يُرضوهما، من إرضاء العؤمنين بالأيمان الكمافية. ويقول النحاة البصوريون: إنَّ جواب الشرط في مثل هذا محذوف دلُّ عله ما قبله.

أمّا إفراد الضمير في ﴿يُرْضُوهُ مع أنّ العراد يُرضوهما، فهو على تقدير: واللهُ أخقُ أن يُرضوه، ورسولُهُ احقُ أنْ يرضوه، والغرض الدلالة على أنْ كَاثَرَ منهما آخقَ بان يرضوه من محاولتهم إرضاء المؤمنين بالمحلف الكاذب، وعليه يكون الكــلام من قبيل عطف الجمل، فتأخذ كلّ جملة حفها من الدلالة المستفلة.

ولبيان كون الله ورسوله أحقَ بـالإرضاء من محـاولة إرضـاء الناس قــالُ الله تعالى بشأن المنافقين:

﴿ ٱلْمُرْمِنِدُ لَمُوَّالُتُهُ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَأَثَ لَهُ فَارَجُهُ لَمُ خَلِدًا فِيهَا أَذَاكَ الْخِدْرَى الْعَظِيدُ ۞﴾:

﴿ مَن يُحَسَادِدِ ٱللَّهُ ﴾:

المُدخَلَةُ هِيَ الصَّدَي للمقاومة والمحاربة، وذلك بملازمة أحد الفريفين حداً مصابلة أو معارضاً للحد الغريفين حداً مصابلة أو معارضاً للحد الذي عليه الفريق الأخر، على سبيل الصداء والمخالفة والمضادّة، وهي مشتقةً من الحدّ الذي ينوضع على طرف الأرض لفصلها عن غيرها، ولمّ كان كلُّ فريق من المتمانيين يتخذ لنفسه حداً مضاداً لحدًّ الفريق الأحد الفريق الأحد الفريق الأحداث وتنظهر المحادّة بممارسة بعض الأعدال الكيدية .

والمحادّة كالمشاقّة، إذْ كلُّ فريقٍ من المتعاديْيْنِ بنّخذ لنفسه شِقّاً من الأرض مضادًا لشقّ عدوّه.

في هذه الأية يخاطب الله عزّ وجلّ المؤمنين متحدثاً عن المنافقين بما سبق أن أعلمهم به بشأن المذين يحاقون الله ورسوله، وذلك فيما أنزله سابقاً في سورة (المجادلة/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نزول) فقد جاه فيها قوله تعالى:

﴿إِنَّالَٰذِينَجُّاتُونَاتُقَاوَنَاقَةُونُولُوكُمُؤُلُوا كَتَاكِّبَ الَٰذِينَ مِنقَبِهِمُ وَقَدَّازَلُنَّا ءَايَت_{َهِبَ}يَّنتِ وَلِلْكَفِرِينَ مَنَابُّنُهِمِنَّ ۞﴾.

وجاء فيها فوله تعالى:

﴿إِنَّا الَّذِينُ كَاذُونَا لَقَهُ وَرُسُولُهُ ۚ الْأَلْبِكَ فِي ٱلْأَذَٰلِينَ۞َكَنَبَ اللَّهُ لَأَظَيْتَ ٱلْأَوْسُلُّ إِنَّ الْشَغَيِّ مُعَبِّدٌ ۞﴾.

وجاء فيها قوله تعالى بشأن المنافقين الذين يحادّون الله ورسوله:

﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَ أَفِيلُوا لَسَعِيدُ ۞ ﴿

وقوله تعالى فيها:

﴿ أُوْلَيْهِكَ أَصَابُ النَّارِّهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ ﴾.

وقــد سبق تدبُّــر هذه النصــوص في النَّصين (٢٧) و (٢٨) من هذه الـــدراسة عن المنافقين.

ولمّما كان إنزالُ هذه النصوص فيما سبق إعلاماً تعليميّاً، وكمان المشافقون متظاهرين بألُهُمُ مسلمون مؤمنون، كان من المفروض أنّهم قد علموا مضمونها، فكان من المناسبّ أن يُقالُ بشانهم:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَتَ لَهُ فَارْجَهَنَّمَ خَلِدًا فِيها أ . . .

أي: فجزاو أنَّ له نار جهنم حالة كونه خالداً فيها. والضميـر في ﴿أَنَّهُ صَميـر الشأن الخطير العظيم، والاستفهام هذا استفهـام تقريـر وتقريح وادانة، أي: قـد علموا ذلك لْلَكِيدُوا انفسهم لتحمُّل العذاب في نار جهنَّم خالدين فيها، ما لم يُتُومُوا إلى الله، ويُؤمِّنُوا، ويُقْلِنُموا عن محادَّة اللَّهِ ورسوله، ويتخلَّصُوا من خسَّة النّفاق، وقرَّكِ اللَّمِم في العاقبة الوخيمة.

ويمد تذكيرهم بما سبق أن قيلُموهُ من عذاب في ناوجهتم مَعَ الخلود فيها، لمن يحادِثُ الله ورسوله، أبان الله تعالى أنَّ من يصير أمره يوم القيامة إلى هذا المذاب يكون يومثرُ في خزى عظيم، فقال تعالى مشيراً إلى العذاب المذكور ياسم الإشارة الموضوع للمشار إليه البيد:

﴿ ذَالِكَ ٱلَّهِٰ زَى ٱلْعَطِيمُ ۞ ﴾:

أي: ذلك العذاب في قُمَّرِ جهنَّم البعيدِ مع الخلود فيها هــو الْبغزُيُّ العظيم. أو ذلك الحكَّم عليهم يوم الدين باستحقاق العذاب المذكور هو الْبغزُيُّ العظيم.

الخِيرُقي: الوقدعُ في الشرّ والعذاب، والدُّلُّ والْهَبوان، والأَقْضَاحُ بـالقبـالــع والسيئات والآثام المكتومة المورثة للخجل الشديــد منها، والاستحيــاء ممّا نــزل من ذُلُّ وَهـوانِ وعذابِ بحقّ.

قول الله عزّ وجل:

﴿ يَمَدُوُ الْمُنْتَوْقُوكَ أَنْ ثَنَّانًا عَلَيْهِمْ صُورَةً نَنْيَاتُهُمْ بِعَافِي قَلْوَجِهُ أَوْ اسْتَهْوِوُّ إِنَّ اللَّهِ تَعْدِيمٌ ثَاعَمَدُوْوَنَ ۞ وَلَهِنَ سَأَلَتُهُمْ لَيَّوُوُكَ إِنَّمَا سَخَنَاعُوْشُ وَظَمَنْ قُلُ الْمِالْقِوَوَائِيْهِ، وَرَسُولِهِ كُمُنْدُ تَسْتَهْرِعُوكَ ۞ لاَمَنْلُولُواْ فَلَكُوْتُمْ بِمَدّ إِيسَنِكُوْ إِن فَقَفَ مَنْ لَمَا لَهَا قِيْمَكُمْ مُكْذِبَ فَلَاهِمٌ أَيْتُمْ كَانُوا مُعْرِيدِكِ ۞ ﴾.

فسراءات:

قرأ جمهورُ القراء العشرة: [أنَّ تُنزُل] بالبناء للمجهول مع تشديد الزاي.
 وقرأ ائن كثير وأبو غمرو ويعقوب: [أنَّ تُنزل] بالبناء للمعلوم مع تخفيف الزاي.

وفي الفراءتين تكامل في الاداء البيباني، فبإذا نُـزُلُ اللّهُ السُــورة الّتي يحُــلُـرُ المنافقون من تَنْزِيلها، نتَجَ عَنْهُ نُرُولُها الذي هو أثر الننزيل.

قرأ جمهور القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بكسر هاء الضمير.

وقرأ حمزة ويعقوب: [عَلَيْهُمْ] بضمّ هاء الضمير.

والقراءتان وجهان عربيان لنُطْقِ الكلمة.

 ♦ قراجمهور القراء العشرة [استُهْزِءُوا - تَستَهْزِءُونَ] بكسر الزاي فيهما وإلبات الهمزة المضمومة.

وقرا أبو جعفر [اسُتُهُرُوا ــ تُسَنَّهُرُونَ] بضمّ الزاي فيهما وحذَّف الهمزة في الوصل والوقف. وهو وجه لحمزة عند الوقف فقط.

والقراءتان وجهان عربيان لنطق هذا الفعل.

قرأ عاصم فقط [إِنْ نَقَفْ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذَّبْ طَائِفَةً] بنون المتكلم العظيم
 في: [نَفْتُ] ورْتُعَذَّبْ] مع البناء للفاعل ونصب [طائفةً].

وقرأ جمهورُ القمراء العشرة [إنْ يُلفَ عَنْ طَائِقَةٍ بِنُكُمْ تُمَنَّبُ طَائِقَةً بِاللِيهُ مع البناء للمجهول في [يُلفَن] وبالتاء مع البناء للمجهول في [تُعَذَّبُ] ورفع [طائفةً] على أنَّ اللفظ نائب فاعل.

وفي الفراءتين تكامل في الأداء البياني وتكامَّلُ فكريٌّ، فقراء عاصم يتحدّث الله فيها عن نفسه بنون العظمة، وقراءة جمهور القرّاء يتحدّث الله فيها ببناء الفعلين لما لم يُسَمُّ ضاعله، لتشمل القراءة في دلالتها ما يحتمـل أن يُصَّدُّرُ من الـوسـول أو من المؤمنين من عفو وتعذيب للمنافقين.

. . .

التدبئر

جاء في النصّ الثاني من هذه الدراسة عن المنافقين، وهو ما جاء في الأيات من (A ــ ۲۰) من مسورة (البقرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ منزول) بيان أنهم إذا لشّوا الذين أمنوا قالوا: آمنًا، وإذا خَلْوًا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون. وكنان هذا في أواشل الممرحلة الصدنية، وأواشل ظهور النفـاق في العسـلمين، واستمرّ المنافقون الذين لم يهلكوا ولم يتوبـوا من نفاقهم بـليماني صحيح صادق، علمى حالهم إيطانًا للكفّر، وتظاهرًا بالإسلام على سبيل الاستهزاء بالمؤمنين.

ولمّا صارت الآيات القرآنية تنزل مع مراحل التنزيل فاضحة صفاتهم، ومتحدّثة عن تصرّفاتهم الدّالَّة على نضاتهم، ومحدِّرة لهم، ومُشْيَرة بإنزال النقمة بهم، صساروا يحذورن أن تنزل على رؤوسهم مصيبة سُورة كناشقة الشخاصّة، بالأوصاف المعينة، أشدَّ من سورة (المنافقون) وأن تخاطيهم هذه السورة بصورة مباشرة، فتنبّهم بكلّ ما في قلويهم من كُثر وكيد ومكر وعداوة للرسول والمؤمنين، وأنَّ تُحاصرهم بالأوصاف التُعينية التي تُوضِّع الشخاصهم، وعندائذ يقعون تحت طائلة المساءلة والمحاسبة والانتقام، من قِبل الرسول والمؤمنين.

﴿ يَمْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِ مُسُورًا مُنْيَقُهُم بِمَا فِي قُلُوبِيمٌ ﴾:

أي: تواجههُمْ بالخطاب، وتُنتَهُم بما في قاوبهم من كُمْرِ وكَلْدِ وَكُدِ وَمَكْرِ وهاداوة للرسول والمؤمنين، وتكشف أتهم في استمرار تظاهرهم بالإسلام ما زالوا يستهرزون، فهم على حالهم منذ يندؤوا رحانهم مع النفاق، كافرون باطناً ويعلنون إسلامهم استهرزان، ويصاملون الرسول والمؤمنين مصاملة المستهرزين باللهين، والمستهرزين بأشخاص الذين يتعاملون معهم من أهل الإيمان، على اعتبار أن حيَّلَهُمُ الخذاعية منطنةً عليهم، إذْ هُمْ سُفهاءُ ناقصو الذّكاء، لا يستطيمون كشف أعدائهم المخالطين لهم، والمنظاهرين لهم بالولاه.

وحين تنزل مثل هذه السورة التي يتخوّف المنافقون من نزولهما إلى الرسول ﷺ وفيها مواجهة للمنافقين بإنبائهم بما في قلوبهم من كفر وكيد ومكّرٍ وعدارة، فإنّها نُتُولً يَقْمةُ عليهم، بوساطة تبليغ الرسول ﷺ.

وقد جاء في الفرآن التعبير بإنزال الكتب الرَّانيَّة إلى الناس، وإنزالها على الناس في عدّة نصوص، مُلاَحظاً في هذا الإنزال تبليغُ الرسول لهم، مثل: (١) قول الله تعالى بشان اليهود في سررة (البغرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):
 ﴿ وَإِذَا فِيلَ لَهُمْ مَا مِنُوا بِمِمَّا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أَنزِلَ عَلَيْمَا وَيَكَمُّمُونَ
 بِمَا وَزَاءٌ مُوهُوَا لَحَقَّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمُ مُنَّ ... ﴿ ﴾.

(٢) وقول الله عزَّ وجل في سورة (البقرة) أيضاً خطاباً للمسلمين:

﴿وَاذَكُوْلَيْمَسَنَا اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِنْبِ وَالْحِكْمَةِ يَبِظُكُمُ مِبُوانَّقُوا اللَّهُ وَاغْلُوا أَنْ اللَّهِ بِكُلِ فَي عَلِيمٌ ۞﴾.

 (۳) وقول الله عزّ وجلّ بشأن اليهود والنصارى في سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ۱۱۲ نزول):

﴿ وَلَوْاَتُهُمْ آفَاهُما التَّوْرَةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أَنْوِلَ إِنْجِمِ مِن دَيْهِمْ لأَكْلُوانِ فَوْقِهَد وَمِن غَينَ أَرْجُولِهِمْ وَنَهُمْ أَمَّةٌ مُفْقَعِيدَةً وَكَبِيرَوْمَهُمْ سَاةً مَايِّمَـلُونَ ﴿ ﴾

> وَنُلاحظُ أَنَّهُ عُدِّي فعل الإنزال بحرف الجرِّ وعلى: في قوله تعالى: ﴿ يَمَّـدُرُ ٱلْمُنْفِقُونَ ۖ أَنْ تُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ لَنُهِنَّهُمْ بِعَالِيْ أَقُلُوبِهُمْ ﴾ .

لما في إنزال مثل هذه السورة التي يحذرونها من نقمة نازَّلَةٍ عليهم بسببها.

وقــد يلاحظ في النصــوص التي عُـدّي فيهــا الإنزال بحــرف الجـرّ وعلى. مــا في النصوص المنزّلة من تكاليف ألزّم بها الرّبُّ العليّ الأعلى.

وأكثر النصوص فند مُذّيَ فيهما الإنتزال بحرف الجنّر وإلى، إشمارةُ إلى ما في المنزّل من خير عظيم يهديه اللّهُ لعباده.

وبعد كشف هذا الحذر الذي يتجدّد في نفوس المنافقين حُمَّىٰ عُمَّقِ قلوبهم كلّما نزلت آياتُ تكشف بعض صفاتهم دون تعيين أشخـاصهم لعـامّـة المؤمنين، علّم الله عزّ وجلّ رسوله وكلّ مؤمّنٍ معنان يقول لهم مضـمون ما جاء في قوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِهُ وَأَ إِنَّ اللَّهَ تُغْدِيحٌ مَّا تَعْدَدُونَ ﴿ ﴾:

أي: قل لهم بأسلوب التوجيه العام لا بأسلوب الخطاب الإفرادي: استهوتوا بالفه والرسول والمؤمنين بتظاهركم ببالإسلام مخادعة وكدنهاً كمما يُخلُّو لكم، فإنَّ الأُمْرَ ان يطول بكم كثيراً، فقد آخبرنا ربًّنا بأنّه مُشْرِعُ من بواطنكم إلى ظواهركم ما تَخذُرُونَ أن يظهر ويتكشف للرسول وللمؤمنين.

وجاه التعبير باسم الفاصل ومخرعه الذي يُستَعْمَل في الحال بحسب الأصل، للدلالة على أنَّ عمليات إخراج ما في صدورهم بالبيان القرآني، أو بـالامتحـانـات الفاسية، كالامتحان في غزوة تيرك، عمليَّاتُ قد بدأت فِعلًا.

وما يحذرونه هو كَشّْفُ هُوِّيَّاتهم المشيرةِ بالتعيين إلى أشخاصهم.

وقد كشفت أحداث غزوة تيوك عدداً من أفرادهم بـالتعيين، فمنهم من كشفهم الرسول ﷺ بما نزل عليه من وشي بشأنهم، ووضعهم موضع المساءلة للإدانة، ومنهم من كشفهم بعض المسلمين وأخير الرسول بمقالاتهم.

وخاطب الله رسوله بقوله:

﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُمْ لِكُولُ ﴾ إِنَّمَا كُنَّا غَضْ وَلَلْمَ ۖ قُلُ أَلِمَا لَهُوَا النَّذِهِ وَرَسُولِهِ . كُنتُهُ تَسْتَهِنَ وُوت ۞ لاَضَّنَةِ وَأَلْمَا كَانَتُمْ سَمَا إِسَانِكُمْ ﴾ :

أي: وأيش وَضعتهم موضع المساءلة في مجلس محاكمة عن أقدوالهم التي يقولونها فيما بينهم من أقوال تدلُّ على كفرهم واستهزائهم، وأنَّبُّ عليهم أنَّهم قدالوها باعترافهم أو بالبيَّة، لَيُقُولُنُ: إنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَلَلْفَبُ، أي: لم نكن جادَين فيما قُلْفا، وإنَّما كان ذلك منَّا على سيل الشُرْاح والمداعة واللّعب بالأقوال والخوض فيما لا يُرادُ منه مناه، بقصد الترويح عن النفس، وعبارتهم فيها قصر،

وهـذا دفائح اعتـذاريٌّ منهم، بأنّهم لم يقصـدوا مضـمون مـا قالـوا، وإنما كـانـوا يخوضون ويلعبون في الأقوال على سبيل الْمُزاح.

ومن وقائع هذه الظاهرة من ظواهر المنافقين السلوكية ما يلي:

جاء في السيرة عند ابن إسحاق قوله:

وقد كان رهطُ من المنافقين، منهم وديعة بْنُ ثـابت، أخو بني غَشْرُوبْن غَوْفٍ،

ومنهم رجلٌ من أشجع، حليفُ لبني سَلمة، يُقالُ لَهُ مُخَدُّنُ بُنُ حُمُوْلًا، يُقِيدُونَ إلى رسول الله ﷺ وهو مُنْطَلِقُ إِلَى تبوك، فقال بعضُهُمْ لبلض : أَتَحْسُبُونَ جِــلَادَ بَنِي الأَصْفَرُ (اي: الروم) كقتال العرب بعضهم بعضاً، واللهِ لَكَأْنًا بِكُمْ غَداً مُقَرِّينَ فِي الْجَالُ، إِرْجَانًا وَزَهِياً للمؤمِّنِينَ.

فقال مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيْرٍ، واللَّهِ لَوَيدُتُ أَنِّي أَقَاضَىٰ عَلَىٰ أَنْ يُضْـرَبُ كُلُّ رَجُـل_{مٍ} مِنَّا مِثَةَ جَلَّذَةِ، وَإِنَّا نَفْلِكُ أَنْ يُتْوِلُ فِينا قُرَانُ لِمَقَالِئِكُمْ هَذه.

وقال رسول الله ﷺ لعمّـار بْنِ ياسِـرِ: أَدْرِكِ القومَ فــإِنَّهُمْ قَدِ اخْتَـرَقُوا ٢٠)، فَسَلَّهُمْ عمّا قالُوا، فإنْ أَنْكُرُوا فقلُ: بلني، قَلْتُمْ كذا وكذا.

فانطلق إليهمْ عشَار، فقال لهم، فاتُوّا رشولِ اللّهِ يَغْتَبُرُونَ إليه، فقال وديمةً بُنَّ ثابت، ورسول الله واقف على ناقيه، فَجَشَلْ بَقُولُ وهو آجَدُ بِنَعْقِهَا (وهو خَزَّلُ يُشَدُّ على بَشَلِ البحير غير الحزام الذي يُشَدُّ به الرَّشُولُ با رُسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا مَخُوضَ وَللمِهِ.

♦ وروي عن عبد الله بن عمر قبال: قبال رُجُلُ في غزوة تبوك في مجلس:
 ما رأيتُ مثل قرائنا مؤلاء ، أرْغَب بُطوناً، ولا أكْذَب النَّمَاء ، ولا أَجْرَن عِنْد النَّفاء ، فضال رجسل في المجلس: كذبت، ولكنَّك منسافق، لأُخْسِرَنَّ رُسُولَ الله، فيلغ ذلسك رسول لله ﷺ.

وقد علَم الله رسوله كيف يستكمل محاكمة السنافقين على مقالاتهم واعتــفارهـم بأنهم إنّما كانوا يخوضون ويلعبون، أي: يخوضون في الكلام ويلعبـون، كما يخــوض اللاّحبون في نهر أو بركة من الماء بقصد الترويع عن النفس، فقال تعالى:

﴿ قُلْ الْمِلْقُورَةُ الْمُنْفِودَ وَرَسُولِهِ كُمُنَّدُ مَنْسَمِّنِهُ وَتِ ۞ لَا تَعْسَنُونُواْ أَمَّكُنْتُمُ يَسَنِكُمْ ... ﴾.

⁽١) قال ابن هشام ويُقال: مُخْشِيُ.

⁽٢) احترقوا: أي: هلكوا بسبب المقالة التي قالوها فيما بينهم.

اشتمل هذا التعليم على بقية عناصر مجلس محاكمتهم بعد إثبات ما قالنوا باعترافهم أو بالبيّنة، وبعد اعتذارهم بأنهم كانوا يخوضون ويلعبون.

أُولاً : رفض الاعتذار وإثبات أنَّ ما كان منهم هــو من قبيل الاستهــزاء بالله وآيــاته ورسوله.

ثانياً: توبيخُهم وتقريعُهم على استهزائهم بالله وآيانه ورسوله وهم يـدَّعون أنهم مسلمون.

دلٌ عليهما قول الله في التعليم.

﴿ أَبِاللَّهِ وَوَالِيَوْهِ وَرَسُولِهِ . كُنْتُدُّ ذَسَّتُهُ زِنُّوكَ ؟ [﴾ :

أي: إنَّ الخوضَ واللَّمِبَ في القضايا الجادّة التي تتملّق بأسور الدين، مسواة أكانت من العقائد، أو العبادات، أو الإخلاق، أو الجهاد في سبيل الله، أو سياسة الدولة الإسلاميّة، أو غير ذلك، من الاستهانة والاستهزاء باللهِ وآياته المنزّلات بالوصايا والاحكام، ويرَّسُوله المبعوثِ لتبليغ دينه، ودعوة الناس إلى سبيله، وقيادة من أمن به، وتوجههم لمجاهدة من أبّى وكفر حتى تكون كلمة الله هي العليا.

فمن سخر بعَمَل ما يُقْصَدُ منه تحقيقُ طلوبٍ منا من مطالب الـدَين في أيّ أمرٍ من أموره فهو في الحقيقة يسخّرُ ويستهزى، بالله وآياته ورسوله .

لىذلك فهـر يُقاضى على عمله البذي ينتافى مـع مقتضى ولانه لـالإمـــلام الــذي أعلنه، ولجماعة المسلمين الذين انسمى إليهم، ويُوبئعُ ويُقرَّعُ ويُدَانُ بجريمته.

وعبارة:

﴿ أَبِاللَّهِ وَمَا يَنْفِهِ وَرُسُولِهِ عَكُنْتُهُ مَّسَّتَهِ إِنَّهُ وَكَ ؟ إ ﴿ :

فيها تقديم المعمول على عامله للإشعار بشناعة الاستهنزاء بالله وآياته ورسىوله، أو للدلالة على القصر، أي: ما حلا لكم أن تستهزئوا إلّا بالله وآياته ورسوله.

ثالثاً: إيقاف محاولتهم الـدفاع عن أنفسهم بتلفيق المعـاذير، دلَ على هـذا قول الله تعالى في التعليم:

﴿لَاتَمْ لَذِنْواً ﴾:

اي: قــد انكشف أمركم، وظهــر جُـرِّمُكم، فسلا تُبيِّــوا انفـــكم وتَتبيــوا من يحاكمكم بأن تتحلوا الاعــدار الكاذبة، لتخلَّصوا أنفسُكُمْ من جريمة المقالات التي تدينكم بالكُفّــر، بعد أن كنتم أعلنتم مقالات إسلاميــة جعلتكم بحـــب الظاهــر فــمن أهل الإسلام والإيمان.

رابعاً: إصدار الحكم عليهم بالرِّدّة، أي: بالكفر بعد الإيمان.

دلُّ على هذا قول الله تعالى في التعليم:

وْقَدَّكُفْرَتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُونَ ﴾.

وقـد دلّ هذا على أن الاستهـزاء بالله وآيــاته ورسـوله من التصــرَفات التي تــديـن .

وبعد الحكم عليهم بالكفر يكونون بين حالتين:

إمّا أن يتوبُّوا، ويتخلَّصوا من النفاق، ويصلُّخ حالُهم ظاهراً وباطناً.

• وإمّا أن يُصِرُّوا على كفرهم رنفاقهم.

وقد أبان الله عزّ وجلّ أنّ المنافلين بعد أن تتوانر عليهم أدلة صدق الرسول، وأنّ الإسلام حقّ، ولا سيما حينما يُخْدِفُ الرسول من أمرهم بما ينزل عليه من الوحي، ما لم يَطلِمُ عليه أحدٌ من الناس غَيْرُهُمْ، يكونُون طائفين:

طائفة تنوب إلى الله، وتؤمن إيماناً صادقاً، فيعفو الله عنها، ما دامت على قيد
 الحياة ولم ينزل بها عقاب الله.

وتَصْدُق الطائفة بواحدٍ فأكثر.

وطائفة يُصِرُون على كفرهم ونضاقهم، فيعذَّبهم الله يموم الدين، بسبب أنهم
 كانوا في الدنيا مجرمين.

فقال الله عزَّ وجلَّ :

﴿إِن نُّمُّ مَن طَآبِهُ وَمِن كُمْ مُكَذِّبٌ طَآبِهَةً إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِيدِ كَ ﴾:

أي: إنَّ نَقَفُ عن طائفة سنكم تُرْجَىٰ نريتُهُمْ تُنفُّبُ طائفَةَ أَنفَرَى لا ترجىٰ توبيهم لانهم مَرَّدُوا على الكفر والثفاف، وتعذيبهم يكون بسبب أنهم كانوا في الدنيا مجرمين، أي: كافرين منافقين.

وفي هذا البيان إلماح إلى أنّ المنافقين يُسْتَنَا بون بعد إدانتهم بما يُنْبِتُ رَدُهم، فمن تاب مُفِيَ عنه، وَوُضِعَ مَوْضِعَ المراقبة، ومن لم يُعلِّنُ توبِه أُفِينَ بالرَّدَة، وعُوقِبَ عقاب المرتدين.

وقد روي أنَّ أحد الدفين قالروا: إنَّما كنما نخوض ونلعبُّ قد ناف وتخلص من النفاق، وهو ومُخَشَّرُ بُنُّ حُمِيُّرٍ ــ أو الشَّمَّةُ مُخَشِيَّ، وقد غَير الشَّمَةُ وجعل السَّمَةُ عبد الرحمن، وسال الله أن يُقَتَّل شهيداً لاَ يُقَلِّمُ بمنكانه، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر.

قال عكرمة في تفسير هـله الابة، كـان رجُلُ مِثْنُ إِنْ شـاه اللَّهُ عَمَا منه يقول: اللَّهُمُّ إِنِّي السمع آيةُ أَلَىٰ أَلَحَنَى بها، تقشـرُ بِنَها الْجَلُودُ، وَتَجِلُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهِمُ فاجعل وفاتي تَقَلَّا في سيبلك، لا يقول احدّ أنا غَشْلُتُ، انا كَفْتُتُ، أنا وَقْتُتُ.

قال: فأصيب يوم اليمامة فما من أحد من المسلمين إلا وَقَدْ وُجِدْ غَيْرُهُ.

قال ابن إسحاق: وكأنّ الذي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَلَهُ الآية مُخَفَّرُ بُنِ خُمِيّر، فتسمَّى عبد الرحض، وسأل الله تعالى أن يقتُلُهُ شهيداً لاّ يُشْلَمُ بمكانه، فقُتلَ يومَ اليمامة، فلم يُوجِدُ له أثر.

السَجِّرُم والعجريمة: التعدِّي، والـذنب الكبير. وقـد أُطلق لفظ والمجرمين، في القرآن مقابلًا للمسلمين، ووصفاً للمعذِّبين في النار.

فيظهر أنَّ المسراد منهم في الاصطلاح القسرآني مرتكبو الآثام من مستنوى دوكة الكفر، لذلك فهم من أهل النار.

قول الله عزّ وجلّ :

﴿ ٱلْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْشَهُ مِيْنَا بَعْضِ مَّامُ رُوكِ إِلْمُنْصَدِ وَيَهْوَى عَى الْمُعْرُوفِ وَنَقْبِهُون لَيْزِيَّهُمْ نَسُوا اللّهَ فَنَسِيْهُمْ إِلَى ٱلْمُنْفِقِينِ هُمُ المُنْسِفُونِ ۞ وَعَدَاللهُ الْشَنَفِينِ وَالْشَنَفِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْكُفَازَ فَارَجَهَمُّ مُنْفِينَ فِيَهاْ فِي مَسْبُهُمُ وَلَمَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَنَابُّمُومٍ ۞ كَالَّذِينِ بِن فِيكُمْ كَانَّا اَسْتَمْتُمُ الْفِينَ مِن قَلِكُمْ عِلَاقِهِمْ وَخُشْمٌ كَالَّذِي حَاصَّواْ أَوْلَتِهِكَ مَهِلَتَ اسْتَمْتَمَالَقِمْ فِي الْفِيا كُمْ عِلَاقِهِمْ وَخُشْمٌ كَالَّذِي حَاصَواْ أَوْلَتِهِكَ مَهِلَتَ اَعْمَلُهُمْ فِي الْفَيْا وَالْآفِحِدَوْ وَأَوْلَتِهِكَ مُمْالِّكُومِونَ ۞ .

إِنَّ تَشَابُهُ الطَّرَاهِرِ السَّلُوكِيَّةِ يُفَلُّ على نشائِهِ الصفات النُمسيَّة، وهـــــو الأمر الــذي يجعل المتشابهين جنساً واحداً، أو نوعاً واحداً أو صنفاً واحداً متميزاً من سائر أصناف النَّاس، فبعضهم من جنس بعضهم الآخر، أو من نوعه أو من صنفه.

هذا ما دلُ عليه قول الله تعالى يُمَيَّز صف المنافقين من سائر أصناف الناس: ﴿ ٱلْمُتَنَوْقُونَ وَالْمُنْتَفِقَاتُ بَعْضُهُ مِرَّيْنَ بَعْضِ ﴾:

أي: هم ذكورُهم وإنائهم صنف متميز من سائر أصناف الناس، وإذا تركنا مصطلح علماء المنطق فأنا: بَشْهُمْ مِن جُسْس بَعْفِيهم الأخر، إذَّ هم متشابهون في ظراهرهم السلوكية، وفي صفاتهم النسية، فإذا نظرت إلى بعض متهم فرداً اوجساعة وجَدْتُهُ من جُسْر بعض أخر متهم، للتشابه الشديد بين أفراد المنافقين والمنافقات، والفسير في إبعضهم] يعود على المنافقين والمنافقات جيماً، واستُخبَم ضهيرُ الذكور من باب التغليب.

والمدليل على أنهم جنَّسٌ مُتميَّزُ تَشَابُهُ أنوادِهم في ظواهرهم السلوكية، وفي صفاتهم النفسيُّ.

فمن ظواهرهم السلوكية ظاهرتان:

الظاهرة الأولى: أنّهم يأمُرونَ بالمنكر وينهــون عن المعروف، وقــد دلّ على هذه الظاهرة قوله تعالى:

﴿ يَأْمُرُونَ إِلَّهُ كَرِوَيَهُ وَنَ الْمَعْرُونِ } :

أي: يأمرون بما نهي الدِّينُ عنه، وينْهَوَّنُ عمَّا أَمْرَ الـدِّين به، على نقيض مـا هو

مطلوبٌ منهم، بمقتضى انتمائهم إلى الإسلام وجماعة المسلمين، فالمؤمنون يأمُرونَ بالمعروف وينهَوْنُ عن المنكر، أمَّا المنافقون فعلى النقيض من ذلك.

الْمُمَرُّولُمُن: بعد نزول الوصايا الرّبَانية والشرائع والأحكام الدينية، هو ما جاء في الدين الامْرُ به إلزاماً أو ترغياً، وكلّ ما أمر به الدّين هـو خيرٌ، وكـلُّ ما هـو خيرٌ للنـاس نقد أمر به الدين إلزاماً أو ترغياً.

والمنكر: بعد نزول الوصايا الريانية والشرائع والأحكام الـدينية، هـو ما جـا، في الدين النهي عنه ، إلزاماً أوترغياً، وكلّ ما نهى الدين عنه فهو لا خير فيه ، أو ما فيه من شرٌّ وضَّرٌ أكثر منّا فيه من خير ونفع، وكلّ ما شرُّةُ أو ضُرَّةُ أكثر من نفعه فقد نهى عنه الدين إلزاماً أو ترغياً.

الظاهرة الثانية: أَنَّهُمْ بُخَنَّهُ شعيحون، وقد دلَّ على هذا الخَلُق من أخملاقهم أُنهم يقبضُونَ أَيْدِيَهُمْ عن الإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخبر بـوجه عـام، كما قـال تعالى:

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهُمْ ﴾.

أصل قبض اليد يدلُ على ضمَّ أصابعها على بطن الكف، واستعمل قبض اليد كناية عن البخل والشح، لأنَّ البخيل بـالعطاء يقبض أصبابعـه على بـطن كفَّــه، ولا يبسُطها.

ومن صفاتهم النفسية أنهُمْ نَسُوا الله، أي: تركوا العمل بكـل ما جـاء عن الله
 في كتابه، وعلى لسان رسوله.

دلُّ على هذه الصفة فول الله تعالَى:

﴿ نَسُوا ٱللَّهُ فَنَسِيَهُمْ ﴾:

أي: تركوا العمل بما أمر الله بالعمـل به وأهملوه، حتى لم يَيْق لـه في ذاكرتهم وجود، فتركهم الله لأنفسهم ولم يُعْتَن بهم، ولم يمدّهم بالتوفيق والمعونة.

أصل النسيان في اللَّمة: هو التُركُ، والتركُ ينشأ عن الاستهانة بالشيء والإهمال له، والإنسان متى ترك شيئاً زمناً طويلاً ذهب من ذاكرته، فلم يبق له فيها وجُود، وهـذا هو النسيان المشهـور. لكنّ الله عزّ وجـلّ لا بضلّ ولا ينْسَىٰ وفق هـذا المعنى للنسيان. فبقي أنّ المراد التّركُ، وفق أصل المعنى اللّغوي للنسيان.

ولا ذاعي لفهم النسيان بـالنسبة إلى الله على معنى الغياب عن دائرة التذكّر الحاضر، وحمل الاستعمال على المشاكلة التي يذكرها علماء البلاضة، ما دام أصل المعنى اللّغوي صحيحاً ولا يحتاج إلى تاويل.

 ولهم صفات أخرى كثيرة في ظواهرهم السلوكية، وفي صفاتهم النفسيّة، يجمعها عنوان عامٌ هو أنهم فاسقون.

دلَّ على هذه الكللة الجامعةِ لكلَّ صفاتهم السلوكيـة الظاهـرة والباطنـة، قولُ الله نعائى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِفُونَ ۞﴾:

الفسق: هو العصيان، والخروج عن طريق الهدى والدين القويم، والخروج عن طاعة الله، وهو استعمال إسلامي، وأصل الفسق في اللّمة خروج المرطبة من قشسرتها، فالعرب تقول: إذا خرجت الرَّطَنَةُ مِنْ يُشَرِّتُها: فَنَصَّتُ الرَّطَنَةُ، ومعلومُ أنَّه متى خرجت الرُّطَةُ من قشرتها تعرَّضت للفساد بسرعة، وكذلك الفاسق من الناس.

وجاء تعريف طرفي الإسناد في [عُمُ الفاسِقُونَ] للذّلالة على أنّ العنافقين هم المستوفون في أنواع سلوكهم كلّ عناصر الفسق، حتى كأنّهم هم المنفودون بـاستيعاب كمال حقيقة الفسق.

ويعمد أن ميّز الله عمّز وجملٌ صنف المنافقين من ســاثـر أصنــاف النــاس، أبــان عقوبتهم التي وعدهم بها هم وســاثر الكفار، فقال تعالى:

﴿ وَعَمَالُهُ ۚ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَجَهُمْ خَلِينِنَ فِيهَاۚ فِى حَسْمُهُمُ وَلَمَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمَ عَنَاتُهُمُومٌ ۞ ﴾.

يُستعمل فعل وتَصَلَّى في الخير والشر، وكذلك فعل والوحد، يقال وصَنْهُ وأوحمه خيراً أو شرًا. فيإذا لم يُذكّر الْمُؤصَّدِةُ كانَّ فصل وزَعَنَه في الخير، وفعل واوحمه في الشرَّ، على رأي الأزهري. ويُصَلِّيان إلى المفعول به الشاني دون حرف فيقبال: وَصَدَّهُ كَمَا وَاوعَمَاهُ كَمَا وَاوعَمَاهُ كَمَاءُ، ويُعَلِّيان إلى المفعول به الثاني بالباء، فيقال: وعنه وأوعده بكذا.

دلَّت هـذه الآية على أن العقـوبـة المقـرّرة للمنـافقين والمنـافقـات والكـافـرين والكافرات تشمل على ثلاثة أشياه:

الأول: أن يدخلوا نار جهنَّم خالدين فيها يوم الدين، لا يخرجون منها.

الثاني: طردُهم من رحمة الله، وإبعادهم عن مجالات ننزّلاتها.

الثالث: أن عذابهم في نار جهنم عذابٌ مقيمٌ لا يَتحوُّلُ ولا يُقَتَّر ولا يَسْكُنُ. كما قال تعالى في سورة (الزخوف/ ٤٣ مصحف/ ٦٣ نزول):

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَلَى إِسَهَمَ مَنْ لِلُّونَ ﴿ لَا يُعَمِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ }

﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ :

أي: ساكتون، يائسون، نادمون.

﴿جَهُمَّ﴾:

اسم علم من أسماء دار العذاب التي أعدّها الله ليعـذّب فيها الكـافرين والعصــاة يوم الدين، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

ويقال للقعر البعيد في اللُّغة: جهنَّم، وبثرٌ جهنَّم، أي: بعيدة القعر.

واستُعْمِل هنا لفظ جهنم اسماً للمكان، لـذلك أضيف إليـه لفظ [نَار] على معنى ما في المكان من أجرام مشتعلة ولهّب.

ومعنى وعَلَمُمْ نَازَ جَهَنَّمَ: وعَلَمُمْ دُخُولَ نَارٍ جَهَنَّمَ.

﴿ هِيُ حَسَبُهُمْ ﴾:

أي: هي تكفيهم بما فيها من عذابٍ لا يحتاج مزيداً.

﴿ وَلَعَنَهُ مُ اللَّهُ ﴾:

أي: وطردهم من مواطن تنزّلات رحمانه، وأبعدهم عنه.

﴿ وَلَهُمْ عَذَاتُ مُنْفِيمٌ ۞ ﴾:

أي: لا ينتصر علمايهم في جهنم على عذاب يأتيهم فيها حيناً بعد حين، تنخلُلُه فتراتُ راحة وسكون، بـل لهم فيهـا عـذاب مثيم دائم، لا يتحـرُل عنهم، ولا يفتـرُ ولا يـكن.

بعد هذا أبان الله عزّ وجلَ أنَّ المنافقين والكفّار بعد بعثة محمّد 秦 حالُهم كحال الكافرين والمنافقين الذين كانوا من قبلهم من أهل القرون الأولى، فقال تعالى :

﴿ كَالَيْرِكَ مِن قَبِلِكُمْ كَافْوَالْمَدَّدِينَكُمْ فُؤَدُّواْ كُفُرُ أَمُولُا وَأَوْلَدُا فَاسْتَنْتُمُواْ عِلَيْفِهِدْ فَاسْتَنْتُهُمْ مِعْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الْذِيكِ مِن قَلِكُمْ عِلَافِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي كَنَاصُواْ أَوْلَتِهِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِالدُّنِّ وَالْآفِيدِرَةِ وَأُولَتِهِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ ﴾.

﴿ بِمُلَقِيدٍ ﴾ :

الْخَلَاقُ الحظُّ والنُّصيبُ من الأمور المحبوبة المرغوبة للنفوس.

﴿فَأَسْتَمْتَعُوا ﴾:

الاستمتاع هو الانتضاع بالشيء مـدّة طويلة من المنومن ولكن لا بُدّ أن يـأي على المستشّع به الفناء والزوال.

﴿ وَيَخْضُنُّمْ كَأَلَّذِى خَسَاصُوٓاْ ﴾:

أَصْلُ الخَوْضِ العَمْيُ في العناء وتحريكُهُ، وإثَارَةُ مَا في أَرْضَ النهر من طين يُمَكُّرُ صَفَاءَ الماء، ثمَّ اسْتُمْعِل في النَّائِسِ بالأَمْرِ والتَّصَرُّفِ فيه.

ومن التوسُّع استعمالُ الْخَوْض بمعنى اللَّسرِ في الأمر للتضليل، والخدوض في الكلام اللَّسُ فيه، بإدخال الباطل والكذب فيه ضمن الحق.

وأُطْلِقَ الْخَوْضُ في مال الله بمعنى التصرّف فيه بمـــا لا يــرضــــاه الله، وأُطْلِقَ الخوضُ بمعنى الطفن والكُفُر والاستهزاء بآيات الله . والمبراد اللعب واللَّهو في دين الله للنـاس، وعدم أخـذه بجدَّ، رغم أنَّ عـواقب المخالفة وخيــة.

الَّذي: موصول حرفي يؤوّل هو وما بعده بمصدر، والتقدير: وخضتم كخوضهم، هذا على مذهب الفرّاء ويونس، وهو واضح وله شواهد عربية.

وموصول اسميّ على رأي الأخرين، والتقدير: وخضتم خوضاً كالخوض الذي خاضوه.

التدبئر

كما أبان الله عزّ وجلّ التشابه بين أفراد المنافقين الأمر الذي يجعلهم صنفاً معيّزاً من سائر أصناف الناس، أبان أيضاً أنّ الكافرين والمنافقين بعد بعثة محمد ه يشبهون الكافرين والمنافقين السابقين من أهل القرون الأولى، في ظواهرهم السلوكية وفي أحوالهم النفسيّة، فالإنسان هو الإنسان، متى أتُخذ لنفسه مبدأً في الحياة، تشابهت تصرّفاته مع الذين أتُخذُوا مثل مبدئيه، في باطنه، وفي ظاهره، فخاطب الله المنافقين والكافرين الذين جاء تكرهم في الأية السابقة بأسلوب الحديث عن الغائب، وهذا من الالتفات في أساليب الكلام، وهو هنا من الغيشة إلى الخطاب، فقال تعالىً لهم:

﴿ كَأَلَّذِينَ مِن فَبْلِكُمْ ﴾.

أي: أنتم أيها المنافقون والكافرون المخاطبون كالكنافرين والممنافقين الذين من قبلكم من ألهل القرون الأولى .

فالذين كانوا من قبلكم:

﴿كَانُوٓالْشَدِّمِنكُمْ قُوَّةُ وَأَكْثَمَرَ أَمْوَلًا وَأَوْلَـٰكُـَّا﴾:

أي: فأنتم أشباههم في هذا مع نقص في قرّتكم عنهم وفي أموالكم وأولادكم. ولم تُحم السابقين قوتُهمْ وكثّرةُ أموالهم وأولادهم، من نفسة الله، فأهلَكُهُمُ اللّهُ بسبب كمرهم وضفهم وفجورهم وعدوانهم على رسُل ويهم. ووجد الذين من قبلكم ما لديهم من قُوَّةٍ وأموال ٍ وأولادٍ فاغْتَرُوا.

﴿ فَأَسْتَمْتَعُواْ يَخَلَيْنِهِمْ ﴾:

أي: فاستمتُّوا مُدُّةً من الزُّمْنِ بَصِيبهم المقدُّر لهم من متاع الحياة الدنيا في رحلة امتحانهم فيها.

ووجدتم أنتم ما لديكم من قوَّةٍ وأموال ٍ وأولادٍ فاغْتَرَرَّتُمْ.

﴿ فَأَسْتَمْتُمُ عَلَاهِكُو كَمَا أَسْتَمْتُمَا أَلْدِي مِن قَبْلِكُمْ عِلَاهِمْ ﴾:

أي: فالسُّنْتَغَنَّمُ مُدَّةً مِنْ الرَّمْنِ ينصيكم المقدَّر لَكُمْ من صَباع الحياة الـدنيا في رحلة امتحابُكُمْ فيها، كما السُّنْمَعَ الـلين من قبلكُمْ، فانتم خُرْصَةً لأن يسوّل بكُمْ مثلُ ما نول بهم من عذاب الله.

واستَهَنَّتُم بأَنُورِ الدِّين كما استهان الذين من قبلكُمْ، وأتُخذنُتُمْ دينَ الله لكم لَهُواً وَلَهِبًا.

﴿وَخُصَّتُمْ كَالَّذِي خَسَاصُوۤاً ﴾:

أي: وسلكتُمْ مُسْلَكَ الطَّهْنِ والكُفْرِ والاستهزاء بـايـات الله، وبـدينـه لعبـاده، وبـرسولـه المبعوث إليكم، كسا فعل الـذين كفروا ونـافقوا من قبلكم من أهــل الفرون الأولى بآيات الله وبديته لعباده وبرُسُلِه الذين أرسلهم إليهم.

أفتريدون أن تصرفوا كيف كـانت عاقبـة الذين كَفَــُرُوا ونافقـوا من قبلكم من أهل الغرون الأولى، ليكون ما جرى لهم موعظة لكُمْ؟

﴿ أُوْلَتُمِكَ خَمِلَتَ أَعْمَلُهُمْ فِي الذُّنَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَتِمِكَ هُمُّهُ الخَسِرُونَ ۞﴾.

خِيطَتْ: اي: بَطَلَتْ وذهبتْ دون أن تحقَّق لَهُمْ ما يَرْجُونَ، وكلَّ عَمَل ٍ لا يُحَقَّقُ الغاية المرجوّة منه فقد خبط، أي: بظل، فلا يُرجّى منه نفع.

إنَّ أعمال الكافرين والمنافقين التي عملوها لتحقيق غاياتٍ غير الاستمتاع

بحظوظهم المفدّرة لهم في الحياة الدنيا، ذاتُ غايتين:

الغابة الثانية: تحقيق فوائد ومنافع أخروية لهم على أعمال صالحة يعملونها، على تقدير صحّة أنباه يدو القياسة وما فيه من دينونة، أو منافع وفوائد اخروية على أعمال بتقرّبُ بها المشركون إلى شركائهم، لتَقْرُبهم إلى الله زَلْفَى، فيثييَهُم عليها يوم الذّين.

وهذه الاعمال كُلُّها أعمال باطلة لا يقبلها الله عزّ وبيلّ، فعلا يكون لهم منها نقع عند الله في الأخرة، لأنّ شرط قبول الاعمال عند الله، أن تكون في طاعته، وابتغاه مرضاته، وأن لا يُشْرِكُ فيها العامل مع الله أحداً، وأنْ تكونُ أشراً من أشار الإيمان الصحيح الصادق، بكل عناصر القاعدة الإيمانية.

وهذا من إحباط أعمالهم في الآخرة.

ويهذا التحليل نُفْهَمُ معنى قوله تعالى:

﴿ أُولَتِهِكَ حَبِطَتَ أَعْدَلُهُمْ فِ ٱلدُّنَّا وَٱلْآخِرَةُ ﴾.

وإذ قَدَّ حَبطَتُ كُلُّ أعمالهم في الدنها والأخرة، فقد استحقوا بعدل الله الخلود في عمذاب جَهَنُّم، فكانوا بذلك أشدَّ الخاسرين، لأنهم خَسِروا أنفسهم، وخَسِرُوا نجاتهم، وخَسِرُوا سعادتهم، وأدخلوا أنفسهم بكسيهم في العذاب الأليم الخالد، فمن الراضح ألَيْنَ أن يكونُوا هُمُّ الخاسِرينَ المستجمعين لكلَّ عناصبِ الْخُسْران، فقال الله تعالى:

﴿ وَأَوْلَئِهَا كَ هُمُ ٱلْخَدِيرُونَ ۞ ﴾:

أي: أولَئِكَ البعداء عن رحمة الله، والبعداء في عُدَق جهتُم دار العدّاب هُمُ الخاسرون من أهل القرون الاولى، ويُلْحقُ بهم أمثـالهم من الكافـرين والمنافقين بعـد بعثة محمّد ﷺ، في إحباط الأعمال، وأنطِباقِ وصف الخسران الأكبر، لأنْ سنّة الله في عناده واحدة.

قول الله عزّ وجلٌ:

﴿ اَلْمَا أَيْمِ مَنَا الَّذِيكِ مِن فَبْلِهِمْ قَوْرٍ فُحْجِ وَعَاوِ وَتَمُودُوقُورٍ لِيَرْهِمَ وَأَضَحَبُ مَدْيَكِ وَالْمُؤْمِّكِ النَّامُ رُسُلُهُم بِالْبَيْنَةِ فَمَاكَاللَهُ لِطَلْمَهُمْ وَلَذِينَ كَالْوَالْشَهْمْ يَطْلُمُونَ ۞ ﴾:

. قرأ جمهور القرّاء العشرة [رُسُلُهُمْ] بضم السين.

وقرأ أبو عمرو نقط [رُسْلُهُمْ] بإسكان السيس.

والقراءتـان وجهـان عـربيــان لنـطق الكلمـة، فـالتسكين تخفيف يُستَمْبِلُه بعض العرب.

بعد أن واجه الله عز وجل المنافض والمناففات وسائر الكفار بالخطاب في الآية السابقة بقوله: ﴿كَالْلِينَ مِنْ فَيْلِكُمْ ... ﴾ عاد إلى الكلام عنهم يناسلوب الحديث عن الغنائب، وفق الاسلوب المذي سميه المسلاغيون الالتفات، والشرض إشارة الأفكار والتفوس لتكون في حالة انتباء، مع إشعار سائر زُفر الناس بأنهم معنيون بالخطاب، ولو لم يكونوا من الزمرة المتحدّث عنها، ففهم مختلف البيانات الدينية أمرً مطلوبٌ من الجميم، يضاف إلى ذلك أغراض أخرى تستفاد من الالتفات، كالإعراض عن المعرضين، أو المديرين، واستخدام الاسلوب غير المباشر.

فقال الله تعالى:

وْأَلْمُواْتِهِمْ نَسَأَالَّذِينَ مِن فَبْلِهِدْ ﴾:

أي: ألم يَصِلُ إلى العنافقين والعنافقات وساثِرِ الكَفَّارِ خَبْرٌ بُــارَزٌ مُثيرِ مخيف عن إهلاك الكفَّار الذين كانوا من فَبُلَهِم من أهل القرونِ الأولى .

جُمِلَ وُصُول الخبر بوساطة تبليغ المخبرين بمشابة إتبان المخبر بنفسه، فَعُبّر عن

وصوله بالإتبان، ولمّا كان خبر إهلاكهم أمراً عظيماً بارزاً شيراً سمّاهُ الله نَبــاً، فالنبـا من الأخبار ماله بروز وظهور ويهتم به الناس عادةً .

ونياً إهلاك تُخَارَ أهل الفرون الأولى قد كان متداولاً سنتفيضاً عند أهل الأخبار ورُّواتها، باعتبار أنَّ آثار إهلاكهم في بلدانهم ما زالت بالغة، وجماء أيضاً التمذكير به، وتفصيل ما تستدعي الحكمة تفصيلةً من أحموالهم التي كانوا عليها، والتي أدّت إلى إهلاك الله لهم، فيما نزل قبل سورة (التوبة) من قرآن.

واستدعت الحكمة البيانية ذكر أسماه بعض الدين الملكهم الله من كنار أصل الفرق الله من كنار أصل الفرق الاولى، فذكر الله سنة أقوام منهم كأنوا يعيشون في الأرض التي تتحرّل ضمتها قبائل الموب من عَدَن إلى الشام وإلى المواق، وقد جاه ذكرهم في الآية على طريقة بذكر بعض من كلَّ، اكتفاء بذكر معظمهم الدّالُ على المفصود من لفت الأنظار إلى مواطن المظة.

فقال الله تعالى:

- ﴿ فَوْرِثُوجٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقُورٍ إِبْرُهِمَ وَأَصْحَبِ مَنْدَتَ وَالْمُؤْفَو كَتْبُ
- (١) أمّا قوم نُوح فقد أهلكهم الله بالطوفان، كما هو مبين في القرآن وعند أهل
 الأخبار.
 - (٢) وأما عادُ قومٌ هود عليه السلام فقد أهلكوا بربح صَرْصَرِ عاتية.
 - (٣) وأما ثمود قوم صالح عليه السلام فقد أهلكوا بالصيحة.
- (٤) وآماً قومُ إسراهيم عليه السلام فقد كانوا في العراق، وقد كان ملكهم النمرود، كان ملكاً جبّاراً ذا سلطاني عظيم، وقد أراد إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار، فجعلها الله على إبراهيم برداً وسلاماً، ورُوي أنّ الله أهلك جيش النمرود بالبموض، وآنه عذب النمرود ببعوضة دخلت أنف، وأنها سببت له أوجاعاً شديدة مستديمة في رأسه، والله أعلم كيف تمّ إهلاك كفار قوم إبراهيم عليه السلام.
 - (٥) وأمّا أصحاب مدين قوم شعيب عليه السلام فقد أهلكوا بـالرجفـة، أي:
 بزلزالر دَمْر ديارهم وكان سبب إهلاكهم.

(٦) وإنما العزقفكات فهي قرئ قوم لوط عليه السلام، وقد اهلكيم الله برفع أرضهم
 وكفتها، أي بقلبها، وجعل أعاليها أسافلها، وبقذفها بحجارة من سجيل مسوّمة، ولأنها
 التَّفَقَتُ أي أَنْقَلْبَ، سمّاها الله مُوْقِعُكَاتٍ، يعمني متقلبات.

واكتفى القرآن بالإشارة الضمنيّة إلى إهلاك هؤلاء الاقوام، وبعد ذلك أرجز الله سبب إهلاكهم فقال تعالى:

﴿ أَلَنَهُمْ رُسُلُهُم إِلْبَيِنَتِ ﴾:

أي: أتَشَهُمْ مِسُلُهُمْ بِالمعجزات البينات، والأيات المنزّلات البينات، والحجج والبراهين البينات، فلم يستجيبوا وأصروا على عنادهم وكفرهم ومقاومة رسُــل ربّهم، فأنذرهم رُسُلُهم بعذاب الله، فلم يرتدعوا، فأهلكهم الله.

فهل كان إهلاك الله لهم ظُلْماً؟!

الجواب: هذا لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال، فقال الله تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظُلِمَهُمْ وَلَنكِن كَانُوا أَنفُسَمْم يَظلِمُونَ ۞ ﴾.

اللَّام في: ﴿لِيَظْلِمُهُمْ جَاءَت بعد كونِ منفي، فهي على ما يقول علماء العربيَّة لاَمُ الْجُحُود، ويؤتى بهذه اللَّام بعد كونِ منفي لتأكيد النفي بالملغ تعبير.

ولكن فه في كونه قوانين وشناً أماينة لا تبديل لها ولا تحويل فيها، ومن هـذه السنة ما يظهر في الأشياء الماقدة، فمن ادخل بَدَهُ في النار أحرق الله بالنار يبده، ومَنْ نفسه من شاهي على صخرة، حطّمه الله وأهلكه بالصخرة التي رغى نفسه عليها، ومن هذه السنز ما يظهر في غير الأشياء السائية، فمن أسـرف في الفواحش من الأمم سلّط الله عليهم، ومن كفر وفسق وفجر من الأمم سلّط الله عليهم المهلكات.

إذن، فسالمذين ييساشسرون الأسبساب المهلكة بمقتضى سنن الله في الأسبساب والمسببات هم الذين يظلمون أنفسهم، فقال الله تعالى :

﴿ وَلَنكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٠٠٠

أَنْفَسَهُمْ: نَفْعُسُول بِه لـ ﴿ يَسْظُلِمُونَ ﴾ قُسَلَمَ على فعله لإفادة الحصور، أي: لم يظلمهم أحدُّ ولكن ظَلَمُوا أنفسهم بانفسهم.

وجاء التعبير بـ ﴿ قَائُمُوا﴾ لأنَّهم ساعة إهلاكِهمُ ثَمْ يكونوا مباشرين لظلم أنفسهم، ولكتّهم كا نوا قبل ذلك مباشرين الاسباب التي ظلموا بهما أنفسهم، باعتبار أنَّها تؤدّي بمقتضى سنن الله لإملاكهم.

. . .

قول الله عزّ وجل:

﴿وَالْمُتَّافِئُونُ وَالْمُؤْمِنَّتُ بِسَمْمُ أَوْلِيَاهُ بَصْرَغَامُونِ وَالْمَعْرُونِ وَيَغَوَّونَ مَن الشَّكْرِ وَقِيمُونِ الصَّلَوْمَوْقُونُ الزَّكُونَ وَقِلِيمُونَ اللَّهُ وَرَسُولَةُ أَوْلَيَكُ سَيِّرَمُهُمُ التَّاإِنَّ اللَّهُ عَزِيدُ حَكِيدَةً ۞ وَعَدَاتُهُ النَّوْمِينَ وَالْمُؤْمِنَةِ جَنَّدِيمَةٍ عَنِينَ عَنِهَا الأَنْهُ رَحْنَافِينَ فِهَا وَمَسَكِنَ مَلِيّبَةً فِي جَنَّتِ عَنْذُ وَرِضُونٌ يُرَى الْوَاسِكَمُ وَالْ

قرأ جمهور القراء العشرة: [وَرِضُوانً] بكسر الراء.

وقرأ شعبة عن عاصم: [وْرُضُوانًا] بضم الراء.

والقراءتان وجهان عربيان لنطق الكلمة.

* *

التبديس

في مضابل بيدان الذّ المنافقين والعنافقات يكونُون في المجتمع البشري صنفاً متميزاً في صفاته النفسيّة، وظواهره السلوكية، وبيان ما وعد الله هذا الصنف من الناس مع سائر الكفّار من جزاء يوم اللمين، وذلك في الأيات من (١٧ _ ٦٩).

أبسان الله عسرٌ وجسلٌ في هساتين الأيتين من السسورة (٢١ سـ ٧٧) أنَّ المؤمنين والمؤمنات يكوّنون في المجتمع البشري صنفاً متميّزاً أيضاً، في صفاته النفسية وظواهره المسلوكية، وأبان أيضاً ما وعد الله هذا الصنف المغابل من الناس من جزاءٍ يوم الدين. فالمؤمنون والمؤمنات لا يقصرون على اتّهم صف متيّز في صفات أفراده النفسية ، وطواهرهم السلوكية فيصفهم من بعض، وبعضهم ايقسناً اولياه بعض، واقتصر النص على ذكر أنّ بعضهم اولياه بعض، لأنّه بلزمٌ من كون بعضهم اولياه بعض، أن يكون بعضهم من بعض، أن يكون بعضهم من بعض، أن ذاتم منت منتقر من بين سائر أصناف النام، في الصفات النفسية والسلوكية، فقال الله عزّ وجل:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعَمُهُمْ أَوْلِيآ أَمُ بَعْضٍ ﴾ :

أي: المؤمنون والمؤمنات بنيادلون فيما بينهم الحبّ والودّ والتناصر والتآخي والتعاون والتكافل، وكلّ ما يدخل تحت مفهوم الموالاة.

وجماء في غير هـذا النص بيان أنّ البهـرد والنصــارى بعضهم أوليــاء بعض، وأنّ الظالمين بعضهم أولياء بعض، وأن الكافرين أولياء الشيطان.

وفي مقابل كون المنافقين والمنافقات بالمُرُون بالمنكر ويُنهُون عن المعروف، لأنَّ حالة نفوسهم منكوسة، فالمؤمنون والمؤمنات بـالمرون بالمعروف وينهُون عن المنكر، لأنَّ حالة نفوسهم سويّة، متلائمة مع الفطرة التي فطر الله الأشياء عليها، لم تفسد. ولم تتنكس، فقال الله تعالى في وصفهم:

﴿ يَأْمُ اللَّهُ مَا لَكُمْ مُوفِ وَيَنْهُونَ عَنِ ٱلْمُنكُرِ ﴾.

وقيامهم بهذه الـوظيفة يحمي المجتمع الإسلاميّ من الانحـراف والفساد، ومن تُقلّب عوامل الشرّ فيه على عوامل الخير.

وفي مقابل كون المنافقين والمنافقات فَلَمُوا صلتهم بالله حتى نسوا الله، وقيضوا أيديهم شُخَا فَلا يؤدُّونُ زكوابَ أسوالهم، فالمؤصنون والمؤمنات يجدُّدون صلتهم بالله دواماً؛ فيقيمون الصلاة وييفلون ما يجب عليهم أن ييفلوه من أسوالهم فيؤكُّون الزكاة، فقال الله تعالى في وصفهم:

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكُوٰةَ ﴾.

وفي مقابل كون المنافقين والمنافقات فاسقين عصاةً لله ورسوله، فالمؤمنون والمؤمنات يُطيعُون الله ورسولـه ويبذلمون جهدهم حتى يكونوا عاملين بمنا أسر الله ورسوله، ومجتنبين ما نهى الله عنه ورسوله، فقال الله تعالى في وصفهم:

﴿وَيُطِيعُونَ أَلَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾:

أي: ويجدَّدُون طَاعتهم فه ورسوله، مع كلُّ عمل فه فيه أو لرسوله أمُّرُ أو نهيي.

وإذا غلبتهم أهواؤهم وشهواتهم فوقعوا في المعاصي فسيرحمهم الله وينفر لهم. إذا استغفروا وأنبعُوا السيئات الحسنات، وإشارة إلى هذا قال الله عزّ رجل:

﴿ أُوْلَتِيكَ سَيْرَهُمُهُمُ اللَّهُ ﴾.

وهـذا للمؤمنين والدؤمنات مقابل معـاملة المنافقين والمتنافقات بالنسيان أي: بالترك والإهمال ﴿فَلَسِيَهُمْ ﴾. إن سقوط المؤمنين والمؤمنات في المعاصي يستـدعي أن يُعَالِمُهُمُ الله بعزّةٍ وقُرِّتِه الغالبة، تطبيقاً لمقتضى العدل، لكنّ رحمة الله سبقت غضبه، فهو يُعاملهم برحمته فيغفرُ لهم ويعفُو عنهم، وقد بيّدُل الله سيئاتهم حسنات، فقال الله تعالى:

﴿ إِنَّاللَّهُ عَزِيدٌ حَكِيدٌ ۞ ﴾:

أي: فمن حكمته تعالى أن يعامل المؤمنين والعؤمنات التائين العستغفرين بالرُّحْمَةِ، فيعفُّر عنهم، أو يغفرُ لهم، ولا يعاملهم بالعزّة الّتي من مقتضاها أن يُجازيَهُمْ بالعدل.

وفي مقابل وَعُدِ اللهِ المنافقين والمسافقات والكُفّاز نارَ جَهِئُمُ حسالدين فيها هي حسبُهم ولمُنَقِّمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذْلَبُ مُقِيمٍ. أبان الله عزَّ وجلَّ أنَّه وعَدْ المؤمنين والمؤمنـات وعداً يشتمل على ثواب عظيم جاء تفصيله في قوله تعالى:

﴿وَعَدَاللّهُ المُوْمِينِ وَالمُوْمِنَاتِ حَنَّتِ تَجْرِي مِن غَنِهَا الأَنْهَ رُخلِينَ فِيهَا وَمَسَدَكِنَ مَلْيِهُ فِي جَنَّتِ عَنْوُ وَيضُونٌ مِنَ اللّهِ أَشَافِهُ هُوَ الْفَوْالْفَوْلِينَ فِيهَا

الجنة: اسم لما يحتوي على أشجار وثمار وزروع وأنهار وقصور، وكلَّ ما يُشتِع النَّفْسُ والحواسُ، وأُطْلقت اسماً لـدار النميم التي أعـدُما الله لسكنى المؤمنين يـوم الدين، وهي تشتمل على جناتٍ باعتبار أقسامها، ووصفت الجنات في القرآن فالباً بأنّها تجري من تحتها الأنهار، لأنّ الجنات لا تستوفي عناصر كمالهـا إلّا بالأنهـار التي تجري من تحتها.

وأضيفت جناتُ يوم الدين إلى كلمة وغَلْمُيه إحدى عشرة مَرَة في الفرآن، ومعنى وجَنَات عَدَّنَ وجَنَّات ثبات واستقرار دائم، وجنات عَدَّنِ هي ما يكون منها وسط الجنَّات أيضاً.

يقالُ لغة : عَدَنَ بالمكانِ يَعْدِنُ وَيَعْدُنُ عَدْنَا وَعُدُونَا إِذَااسَتَقُرُ فِيهِ وَبَبَتْ. ومُرْكَثُرُ كُلُّ شيءٍ مَعْدِنَه. وتَقُول لغةً: عَدَنْتُ الْبَلَدْ إِذَا نَوْطَتُهُ.

وقد آيانت هذه الآية أنَّ الله عَزُّ رجلٌ قد وغَدُ المؤمنين والمؤمنات أنَّ يُلْخَلَهُمْ يوم الشَّيْن جَنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، أي: أنساساً مُفَضَّلَةً، كُلُّ فِسُم بِنَهما يُسَمَّى جُنَّةً، ضِمْنَ الجَنَّةُ المنظمى الجامعة لهذه الجَنَّات، وتَجَرِي تَخْتَها جَبِيماً الْأَنهَارُ المختلفة الأصناف والأرصاف.

ورَعَدُهُمْ آيَضاً أَنْ يُسْجَعُهُمْ مَسَائِنَ طُلِيَّةً هِى قُصُورُ عظيمة، فيها كلُّ ما يشتهي ساكنوها، وفوق ما يختطر على بالهمُ حنى يرفضوا، وحنى لا يجدوا في تُعسَرُوهم ما يُطْلُبُون، وهذه المساكن الطينة قد جعلها الله عزّ وجالَ لهم في جنات عَـدُن، اي: في جناتِ ثبات واستقرار دائم، ولعلّها تكون في وسط جنّاتٍ من حولها كثيرة واسعة ومعتدة قوق ما يطمع الطامعون.

ورضُولاً من اللهِ أكَبُرُ مِنْ كلَ مَا في الجنّابِ من نعيم يُفْرِغه الله عَزْ وجل عليهم بعد أن يجدوا أنهم قد نالوا ما لا يتصرّوون مزيـداً عليه، فـإذا أفوغ الله عليهم وضـوانه وجدوا هذا الرّضوان أعظم من كلّ ما نالوا من نعيم الجنات.

روى البخاريِّ ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

وإنَّ اللهُ تَعَالَىٰ بَقُـرِلَ الإضارِ النَّجَنَّة: يَا أَهَـلِ النَّبَتُه، فَقُولُونَ: لَيُّلِكَ رَبِّنَا وَمَعْتَلِكَ، وَلَخْشُرُ فِي يَقِبْكَ. فِقُول: هَلَ رَضِيتُم * فَقُولُون: وَمَالَنَا لا نَرْضَل وَقَدْ المُطْلِقَة مَا لَمْ تُشْهِ أَخْدًا مِنْ خَلْقِك، فَقُولُ: أَلا أَطْلِيكُمْ أَفْضَل مِنْ فَلِكَ؟. فَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ فَلِكَ؟. فِقُولُ: أَجِلُ عَلَيْكُمْ مِضْوَانِي، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْنَهُ أَيْدَاه. فهـذا الرَّضـوان الذي يُبحِلُهُ اللَّهُ عَزْ وجلَ على المؤمنين والمؤمنـات في جنــاتِ النعيم يوم الدّين، هو أكْبُرُ وأعْظُمُ مِنْ كلِّ ما فيها من نعيم.

وبعد بيان هذا الجزاء العظيم الذي أصَدُّه الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين والمؤمنات بـوم الدين قال تعالى :

﴿ ذَاكِ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمَطِيمُ ۞ ﴾:

أي: ذَلِكَ الجزاءُ الرَّقِيمُ النَّفِيسُ الذي ينالُهُ المؤمنون والمؤمنات يوم المدين، هُو
 الفوز العظيم.

الفوز: يأتي بمعنى النجاة من الشر، وبمعنى الظفر، وبمعنى الرَّج، وكـلُّ هـَـٰـه المعـاني تتحقّق للمؤمنين والمؤمنات في الجنـات، إذ قــد خلصـوا من عــذاب النــار، وظفروا بالجنة، ونالوا ربحاً عظيـماً جليلاً.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ يَكَأَيُّهُ النِّي جَهِدِ الْحَفَّادُ وَالْمُنْوَفِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمَّ وَمَأْوَنَهُمْ جَهَنَّدُّوَّ بِلَّسَ الْمَسِيرُ ۞ ﴾.

سبق في مسورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) في أواسط العهد المدني ان أنه الله عزّ وجل المنافين والذين في قلويهم مَرْضَ والعرجفين في المدينة، بأقهم إن ثمانه الكيدية ضدة الرسول والإسلام وجماعة المسلمين، فإنّه سيسلط رسوله عليهم، فيُشرِيه بالانتقام منهم، وعدم الإغضاء عن أعمالهم، حتَّى يُلْجِتهم ذَلِكَ إلى الخروج من العديث، وعدم مجاورة الرسول فيها، أو يُشرِجوا طرداً، وعندلا يتكثف ما في قلويهم من كفر، وما في نقوسهم من شرَّ، ويَشْقُط قَنَاعُ الفَسَاق، فيُلْحَمُونَ باللهُمْ مُرْشَدُون كافرون، فيُؤخدون بالبيا المؤمنين ويُقْلُون تَثْبِيلاً النِّنَاء وجداً، ام من سورة (الأحزاب).

وقد سبق تدبُّر هذه الآيات غي رقم (٣) من توابع النصَّ (١٣) من هذه الدراسة، وهو الآيات من (٩ ـــ ٧٧). وفي الثلث الأخير من المرحلة المدنية اقتضت المحكمة البُّدّة بالمواحل الأولى من تسليط النبيّ ﷺ على السنافين، إذّ ما زالت طوائف منهم نمارس الأعمال الكيدية ضدّ الرسول والإسلام وجماعة المسلمين، فأنزل الله عزّ وجل على رسوله في سعوة (التحريم/ ٢٦ مصحف ١٧٧ نزول):

﴿يَتَأَثِّهُا لَنَّيِّ جَنِهِ لِ الْكُفَّارَ وَالْمُنْنَوَقِينَ وَافْلُفُ عَلَيْهِمْ وَمَاْوَنَهُمْ جَهَنَدُّ وَبِشَ الْمَصِدُ ۞﴾.

وقـد سبق تدبُّر هـذه الآيـة في النص (٢٩) من هـذه الـدراسـة عن المتنافقين، فَلَيْرَجُعُ إليه.

وهذه الآية نُفَسُها قد أحاد الله إنزالها في سورة (التربة/ ٩ مصحف/ ١٦٣ نزول) مع التراب انتهاء مُهِمَّة الرسول ﷺ في الحياة الذُنياء واستمرار بعض أهـل النفاق في ممارسة أعمالهم الكَذِيةُ ضَدَّ الرَّسول والإسلام وجماعة العسلمين.

ونتساءل عن الحكمة من إعادة تُنْزِيلها دون تغيير في أيَّ لفظ من ألفاظها؟ الذي يظهر لى ــ والله أعلم ــ ما يلى:

إنَّ الجهاد المأمور به في القرآن ذو مستويات بعضها أشدَّ من بعض، وهو بالنسبة إلى جهاد الكفّار الصرحاء يداً بجهاد الدعوة، فجهاد الجدال بالتي هي أحسن، فجهاد الصَّبر على أذاهم، فجهاد مضايفتهم بما يكرهون، فجهاد عدم التضاضي عن سيئاتهم بالمقاب عند القدرة على ذلك، وهكذا حتى جهاد قتالهم قتالاً عامًا، مع جهاد تأليف قلوبهم بالمال.

أمّا المنافقون فإنَّ جهادهم يتَخذ في مراحله الأولى اسلوباً غير أسلوب الكافرين الصرحاء، وهو الأسلوب الذي اتبعه الله معهم، والذي تعلن عليه نجوم التنزيل التي عالجت أمروهم ومشكلاتهم ومكايدهم ونفوسهم وأفكارهم منذ بنده المرحلة المدنيَّة، ويظهر في هذا الأسلوب كشف صفاتهم دون تحديد أشخاصهم، ومعالجهم بالبيان والإنتاع والإنذار مع الإغضاء، وعدم تنفيذ المقويات التي تقتضيها يعض أعمالهم، ما داموا يسترون، ويتذرَّعون بالمعاذير، والأكاني،، ويشاركون في ظواهر الأعمال

الإسلامة الجماعيّة، ويحلفون الأيمان بـافله على الكذب لستـر مكايـدهم، وتغطيـة نفاقهم المحشوّ بالكفر.

نمّ أيّانُ تُرولُ سورة (التحريم) في أوائل الثلث الأخير من العهد المدني، اتفضت الحكمة الرّبائية التوجيه لمجاهدتهم مثل مجاهدة الكفّار المجاهرين بكفرهم، فأشركهم الله مع الكفّار في توجيه النبيّ لمجاهدتهم.

ويفهم من هذا التوجيه أتباع أسلوب التدرج في مجاهدتهم، وهو الأسلوب الذي أبانه الله عزّ وجل في كتابه حول جهاد الكافرين الصرحاء، منذ بداييات العهد المكيّ،، حتى مرحلة التوجيه لمقاتلتهم فبالأمر به، والذي كانت الدعوة المحكيمة أوّله، وكان الفتال بُشّةً وزِرْوة سنامه().

ولمّا استَمْرُ بعضُ أهل النفاق يمارسون أعمالهم الكيديّة، واقدريت مهمة الرسول ﷺ تنهي في الحياة الدنيا، وكان هذا إنّان نزول سورة (التوبة) اقتضت الحكمة تكرير إنزال هذه الآية بنصّها دون تغيير في أيّ لفظ من الفاظها.

وفي تكرير هذا الإنزال إشارة إلى الَّن الوقت قد حان لاتخاذ بعض أساليب القرّة والعف ضدّ المنافقين، تحت عنوان الجهاد المسأمور به بشكل عــام، لأنّه يشمــل كلَّ مستوياته.

وهذا يؤذن بأنه إذا انتضت الحكمة معاقبتهم ولو بالقنل فيأتهم يعاقبون بذلك، ويمقى اختيار معاملتهم بما تقضيه أحوالهم متروكاً للرسول ﴿ فلخلفاله من بعده، ولامراء المؤمنين ما دام للمسلمين دولة قائمة، تعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﴿

. . .

قول الله عزّ وجل:

﴿يَمْلِغُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْقَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَغَرُوا بَسْدَاسْلَدِهِ وَمَمُّوا بِمَا لَوَيْنَالُواْ وَمَا نَصَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْسَهُمُ أَلَقُونُولُهُ مِن فَصْلِحَ فَإِن يُتُويُوا لِكُ غَرَا لَكُمْ ۖ وَإِن

⁽١) انظر وباب الجهاده في كتاب وبصائر للمسلم المعاصرة للمؤلف.

بَــَوَّلُوَا بِمُدَّتِهُمُ الشَّمَلَابَا الِيسَانِي الدُّنْيَا وَالْاَحِرَةُ وَمَا لِمُنْزِقِ الْأَرْضِ بِن وَلِمَ وَلَا صَحِيرٍ ۞﴾.

في هذه الآية بيان خمس ظواهر سلوكية لبعض المنــافقين هي من آياتِ كُفّــرِهِمُّ باطناً، وسترهم لهذا الكفر بقناع النفاق:

الظاهرة الأولى: أنَّهم يَخْلِفُون بالله كاذبين على أنهم لم يقولوا ما نُقِلَ عُنْهُمْ من كلام يَدِينُهُمْ بالكُفر.

الظاهرة الثانية: أنّهم قالوا كلاماً يبدلُ على أنّهم كافـرون باطنـاً، فما نُقِـلَ عَنْهُم حَقّ، وهذه شهادة من الله يُصدُّق بها مَنْ اخبر الرسول عنهم بما قالوا من المؤمنين.

دلُّ على هاتين الظاهرتين قول الله تعالى في الآية :

﴿ يَعْلِفُونَ إِلَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾.

عبارة ﴿ كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ تنازع عليها عاملان هما الفصلان في : ﴿ مَا قَـالُوا ﴾ وفي ﴿ وَلَقَدْ قَلُوا ﴾ .

أثنا على رأي البصريين من النحاة فـ ﴿ كُلِمَةً ﴾ مفصول به لـ ﴿ وَلَقَدُ قَالُوا ﴾ ، وممبول: ﴿ مَا تَالُوا ﴾ ضميرٌ محلوف يعود على ﴿ كلمة ﴾ وجاز حلفه لاته فضلة ، وليس عُمُدَةً ﴿ إِيّ: لَبِسَ أَحَدُ رُكِّنِي الإستادي ، وأما على رأي الكوفيين فيجعلون المتنازعُ عليه معمولًا للفعل الأول على عكس رأي البصريين .

﴿ كُلِمَةُ ٱلْكُفْرِ ﴾:

أي: كلاماً مُكَفِّراً يَدُلُّ علَىٰ أنَّهم كَافِرون.

وقد ورد في سبب نزول هائين الظاهرتين أنَّه لَمَّ كُثُرَ نُـزُولُ القرآنِ في أحداث غزوة تبوك بشأن المنافقين ودقهم، قال الْجُلاسُ بْنُ سُويْدِ بْنِ الصاحت، ورديعةُ بْنُ شابت: لَيْنَ كان محمَّد صادقاً على إخواننا الذين هُمُّ سادتُنَّا وخيارُنا لَنَحْنُ شَمَّ مِن الحمير، فقال عابرُ بُنُّ فِيْسِ للْجُلاسِ: اجَلْ، والله إِنْ مجمَّداً لَصَابِقُ مُصَمَّقُ، ولِلْكُ لَشَرُّ مِنْ الْجَعَارِ، واخير عامرُ بن قِيْسِ النِّبُلُ ﷺ بذلك، وجاء الْجُلاصُ فَحَلَقَ باللهِ إِنْ عَامراً لكاذب، وحلف عامِرُ: لَقَدْ قال، وقال: اللَّهُمُّ أَنْزِلْ على نبيَك شيشاً، فنزل قمول الله تعالى:

﴿ يَمْلِنُونَ ﴾ إِللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْقَا لُوا كَلِمَةَ ٱلكُّفْرِ وَكَفَرُواْبِعَدَ إِسْلَمِهِمْ ﴾ .

واخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك قال: لما نزل القرآن فيه ذكر السناف الله القرآن فيه ذكر السنافين، قال ألجُلائس: واللهِ لَيْنُ كانَ هذا الرُجُلُ صَابِقاً لَنَحْنُ شَرَّ مِن الحمير، فَسَمِّهَا عُنَيْرٌ بِنُّ سُرِّمَ اللهِ وَاللهِ لَيْنَ جَلَائِسُ إِنْكُ لاَخْبُ النَّاسِ إِلَيْ، والحَسْتُهُمْ عِنْدِ، وَاللهِ لَيْنَ دَكَرُتُها عَلَيْهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَيْ مَن الأَحْرِي، فَمَشَى اللهِ مَن اللهِ مَن الأَحْرِي، فَمَشَى إِلَى مَن الأَحْرِي، فَمَشَى إِلَى مول اللهُ عَلَيْ مَن الأَحْرِي، فَمَشَى عَلَيْهِ اللهِ مَا قال، ولَكِنْ كَذَبَ عَلَيْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ مَا قال الجَلاَشُ. فَخَلَفَ بِاللّهِ مَا قال، ولَكِنْ كَذَبَ عَلَيْ عَنْهِ عَلَيْ عَنْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مَا قال، ولَكِنْ كَذْبَ عَلَيْ

﴿ يَعْلِغُونَ إِلَّهَ مَا مَا لُوا وَلَقَدْ قَا لُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَيْهِمْ ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك قال: سَمِعَ زَيْدُ بُنُ أَزْفَ رَجُلاً من الشَّافِيْنُ يقول والنِيني ﷺ يخطب: إنْ كان هذا صادقاً لَنَحْنُ شَرَّ من الْحَجِير، قال زيد: هُو والله صادقُ وانت شرَّ من الحصار، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحد الفاشل، فأنزل الله تصالى: ﴿يَشْوَلُمُونُ بِاللَّهِ مَا قالوا...﴾ الأية.

وأخرج ابنُ جرير، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مودويـه عن أبُنِ عَبَاسٍ قَــال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظِلَّ شَجَرَةٍ فقال:

وإنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلْكُمْ بِغَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فإذا جَاءَكُمْ فَلاَ تُكَلَّمُوهُ.

فلم يلبُّوا أنَّ طَلَعَ رجلُ أَزْرَق، فذعاهُ رسُولُ الله ﷺ فقال:

وَعَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟!.

فَانْطَلَقَ الرَجُلُ فَجَاء بِاصحابه فَحَلَّفُوا بِاللَّهِ مَا قالـوا، حَتَّى تَجَاوَزَ عَنْهُم، وأنــَزل الله:

﴿ يَعْلِفُونَ إِلَّهِ مَاقَالُواْ . . ﴾ الآية .

أقول:

هذه الروايات تدلُّ على أنَّ الآية تتحدَّت عن ظاهرة للمنافقين تكرُّر حدوثُها من علّـة أنراد أوجماعات منهم، وأنَّ الآقوال التي قالوها تعبَّرُّ عن كُفْرِهم بـرسول الله ﷺ، وبما جاد به عن ربّه.

الظاهرة الثالثة: وصُرِلُ بعضِهم بقدٌ الصبر الطويل على كتم ما في قاديهم، إلى أن يَضْجُر ما في باطنهم، يُعْلِنُوا في بعض مجالسهم الخاصنة أمّام بعض المسلمين الصادقين تُقَرِّمُمْ، بعد أن كانوا قد أَعْلَنُوا إِسْلَائَهُمْ واستسلامهم.

دلُ على هذه الظاهرة قول الله تعالى في الآية:

﴿ وَكَ غَرُواْ بَعْدَ إِسْالَيْهِمْ ﴾.

إنَّ عطف هذه الجملة بحرف العطف والواق يدنُّ على أنها تتحدَّث عن ظاهرة غيرِ ما يُدَنَّر من بعضِهم إذَّ قالوا تُخَلِمة الْكُفْر، لانَّها لَوْ كانت هي سَبَبُ الحكم عليهم بالكُفر لكان الظاهر أن يكون العطف بالفاه، فيُقال: ولقد قالوا كليفة الكُفرُ فَكَفُروا بعد إسلامهم، لكِنْ لما جاء العطف بالواو كان علينا أن نفهم أنَّ ما بعدها يُؤسِّسُ قضيَّة جديدة، يضاف إلى هذا أنَّ النطق بكلمة الكفر قد لا يدنُّ على الكفر لاحتمال أن يكون نطقها عن إكراه، أو عن غلط، أو عن تأويل لمعنى غير مكفّر.

الظَّاهرة المرابعة: أنَّهُمْ هَمُّوا بإِحْدَاثِ حَلَثِ خَطِيرٍ بَيْنَ المسلمين، لكِنْ الله عزَّ وَمِلَّ خُيِّيّهُمْ، وَأَفْسَدُ خَطَطُهم، وقد ذَلَّ على هذه الظّاهرة قول الله تعالى في الآية:

﴿وَهَمُّوابِمَا لَزَّيْنَالُواْ ﴾.

الْهَمُّ نَوَجُهُ النَّفُسِ للقيام بفعل_ٍ مَا، دون أن يَصِل إلى مستوى الإرادة الفويَّةِ الجازمة، التي من أثرها التنفيذ بحزم.

ونوال الشيء هو الحصول عليه.

ورد في حادثة هـذا الهمّ أنّ اثني عشر رجلاً من المنافقين اتفقـوا فيصا بينهم، حينما كان الرّسول راجعاً إلى المدينة من غزوة تبوك مع جيش العسلمين، أن يترصُّلُوه عند عَقَبَةِ بالطريق مشرفة على وادٍ، فإذا اعتلاها ليلاً زحموا راحلته بــرواحلهم، ودفعوه عن راحلته إلى الوادي.

ويينما كان رسول الله ﷺ سائراً، وقد الحذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقدرُها، وكمان حذيفة بُنَّ البمان يسوقها، إذّ أحسَّ حليفة بن البمان بأنهم مقبلون نحو ركب رسول الله ﷺ، فصاح بهم حذيفة فضرًوا وتفرّقوا، وقد سبق في الففرة (٧) من موجز غزوة تبوك عرض قصّة هؤلاء كما جاءت في رواية البيهقي عن حذيفة، وما جاء عند الإمام أحمد من زيادة.

الظاهرة الخاسة: أنهم ناقمون من الإسلام والرسول والمسلمين على الرغم من كلُّ الخيرات التي استَفَقُوا بها بسبب الإسلام، والفوائد التي حصلوا عليها من غنــاثـم وغيرها، وقد دلُّ على هذه الظاهرة قول الله تعالى في الآية:

﴿ وَمَا نَقَدُمُوۤ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ أَلَّهُ وَرَسُولُمُ مِن فَضَلِهِ ... ١

يقــال لغة: نَقُم الشَّيْءُ ونَقِمَتُ يُنْقِمُهُ، إذَا أَنْكُرَةُ وَكَرِهَهُ، فَمَعَنَى ﴿وَمَا نَقَمُـوا﴾: وما أَنكرُوا ومَا كَرِهوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾.

لى: لا يُرجد في الواقع أمَّر يقتضي يَفْمَنَهُمْ من الله ورسوله بسبب الإسلام الذي أمْشُروا أن يُتَسَمُوا إلله نعاقاً، إنَهم لم يشعمُل لهم بسبب إسلامهم إلاّ غِنَّى بَعْدَ فقر، أصَّلُوا أن يُتَسَمُوا إلله عَنْفَ بَعْدَ فقر، وهذه أمور لا تُنير بقَمْنَة إنْسَانِ عاقبل سبويّ، إنَّ ما أظهروه من إسلام ومَعْنَابِهَ للرُسُول، على سبيل المخادعة والتفاق لم يجلب لهم إلاّ خيراً فريويًا، فما باللهم يكونون ويقمنُونَ أصمالًا يَفْصِدون بها التخلص من الإسلام، ومن الرُسُول، ومن جماعة المسلمين، أيريدون أنْ يَقْلِسُوا الأوضاع ليُحْرَمُوا مِنْ هذا الخير الذي أصابوه؟!

ففي حصـر دواعي نقَمْتِهِمْ بإغنـاه اللّهِ لهم من فضله تأكيـدٌ لنفي وجود أيّ شيءٍ يقتضي نقمَتَهُمْ بالبّلغ تعبير.

وهـذا من تأكيد مضمون الخبر بما يشبه ضدّه، ويُشرف عن البلاغيين بتأكيمه المدح بما يشبه الذمّ، إلاّ أنّ عبارة البلاغيين فاصرة على موضوع المدح، مع أنّ الأسر يشمل كل خبر في المدح وغيره. والضمير في ﴿من قَضْلِهِ﴾ يعود على الله عزّ وجل، وعطاء الرسول الذي كـان سبب إغنائهم إنّما هو عطاء من فضل الله.

الفَصْلُ: هو في الأصل الزيادة، والبقية من الشيء، واستعمل الْفَضُلُ بمعنى الابتداء بالإحسان والْعَظَاء من الخير ماقيًا كان أو معنويًا، واشتهر بهذا المعنى.

بعد بيان هذه الظواهر الخمس من ظواهر العنافقين السلوكية فتح الله لهم بعاب التنوية وأغراهم بها، وأتبعه بالتحذير والإنذار بالصذاب الأليم إذّ توكّنوا ولم يتربّعوا، ولم يكترثوا للإغراء ولا للتحذير، فقال الله تعالى:

﴿ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَمُنَدٍّ ﴾:

أي: فإنْ يرجعوا إلى الإيمان الصادق الصحيح الذي قُطِرُوا عليه، وإلى الطاعـة والاستقامة عمالًا بدواعي فطرتهم الأولى يَكُنْ رُجُوعهم ذلك خيراً لهم.

﴿ وَلَكُ ﴾ اشْلُهَا ﴿ لِكُنْ ﴾ خُذِف النولُ تخفيفًا، وهذا الحدِّلُثُ عند العرب جالنز في فعل ﴿ يُكُونُ ﴾ يشرط كونه مجزوماً بالشكون، غيز مُقسل بضمير نُفسِ، وَلاَ بسابِي، كما في التص هنا.

والخير الذي يفريهم الله به يكـون بتوبـة الله عليهم، ويالنظفر بـالجنَّة مـع أهل الإيمان، ورُوي أنَّ الجلاس بن سويد تاب وحُسُن إسلامه.

وفي التحذير قال الله تعالى:

﴿وَإِدِينَـتُولُوَالِمُؤَبُّمُمُ اللَّهُ مَذَابًا أَلِيسًا فِ الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ وَمَالِمُتُرْفِياً لَأَرْضِ بِنَ وَلِي وَلَانَصِيرِ ۞﴾:

أي: وإن يُدْبُرُوا ويَشْجَدُوا مِن الإيمان والـطاعـة مصـرين على الكفـر والنفـاق يُمَذِّيُهُمُ الله عذابين: عذاباً اليمـاً مُمَجِّلًا في الـذَنيا، وعـذاباً اليمـاً مؤجلًا يـذوقونـه في الآخرة بوم الدين.

وحين ينزل بهم العذاب المعجل في الدنيا، لا يكون لهم في الأرض أدنَىٰ وليًّ يتونَّىٰ أمرهم لدفع عذاب الله عنهم، أو التخفيف منه، أو الشفاعة لهم فيه، ولا يكون لهم في الأرض أدنَّىٰ نصير يُنصُّوهُمْ ضدَّ جُنَّدِ الله الذين يُسَلِّطون عليهم.

أت في الاخرة فالأمر كلّه يومشةٍ فه وحمده، ويومشةٍ لا يدع الله لـذي سلطان سلطانًا، ولا لذي سبب سبباً، لقد انتهى يوم الابتلاء والنسخير، وحلّ يومُ الجزاء الذي لا يكون فيه سلطان إلا فه، ولا يشفّعُ فيه أحدًّ لاحد إلاّ بإذنه.

...

ټول الله عز وجل:

﴿ وُرِنْهُمْ مَنْ عَنْهَدَ الْقَالَمِينَ مَاتَنَنَا مِن نَصْلِهِمْ تَصَمَّقَقُ وَلَنَكُونَ وَنَ الْمَنْلِمِينَ ﴿ قَلْمَنَا مَاتَنَهُ مِينَ فَضَاهِهِ . يَجْلُولِهِ وَنَوْلُوا وَهُمْ تَشْرِضُونَ۞ لَا تَقَيَّمُ فِي قُدُينِهِمْ إِلَىٰ يَقِيرُ لِلْقَوْنَهُ بِمِمَا أَخْلُفُوا اللّهَ مَا وَعَنْهُ وُرِيمًا صَافَالُوهُ مِنْ يَمْنُوا أَنْكِ الْقَدَيْمُ لَمِينَ وَصْدُونَهُ مَوْلَكَ اللّهَ مَلْكُمُ الْشُيُوبِ ۞﴾.

♦ قرأ جمهور القراء العشرة: ﴿الْفُيُوبِ﴾ بضم الغين.

وقرأ حمزة وشعبة عن عاصم: ﴿الَّذِيُوبِ﴾ بكسر الْغَيْن .

والقراءتان وجهان عربيان لنطق الكلمة.

تتحدّث هذه الآيات عن بعض المنافقين، وقد كان من شانهم أنهم اللها: لكن آتانا الله من فضله مالاً كثيراً لنصّدُقُنُ ولَنَكُونُنُ من الصالحين، فلما أشاهم الله من فضله مالاً كثيراً نفضوا عهدهم، ويَجلُوا به، فلم يؤثُوا ما فرض اللهُ في أموالهم، فكان تفَضُهُم لِفَهْدِهِمْ ويُحْلُهُم بما أوجب الله عليهم سبباً في استقرار النفساق في قلويهم بمقتضى سنة الله في القلوب والنفوس، حتى يَهاية أجالهم في الحياة المدنيا، ولقسائهم رئهم للحساب والحزاء.

وفي قِصْص من نزلت هذه الآيات بسبب ما كسان منهم، ذكر السرواة عدَّة روايات:

(١) أخرج أبر الشيخ عن الحسن، أنّ رجلًا من الانصار عاهد الله هذا العهد،
 فمات ابن عمَّ له فورث منه مالًا، فبخل به، ولم يَف بما عاهد الله عليه، فأَعْفَتُه بذلك نفاقاً في قلّيه إلى أن يُلْقَدُ.

(٢) وأخرج ابن جريم. وابنَّ أبي حاتم، وابن مَرْفَوْيه، والبيهني في دلائل النبوة: من ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَرَبُقُمْ مَنْ عَاهَدُ اللَّهِ...﴾ الآية: أنَّ رِجُلاً من الانصار يُقالُ له تَشَلِّقُ أَنَى مَجْلِساً فَأَشْهَدَهم فضال: لَيْنُ آتاني اللَّهُ مِنْ فضله آتَيْتُ كُلْ نِنِي حَنِّ حَقَّهُ، وَصَدَقت منه، وجعلتُ منه للقرابة، فاتِبْلاً الله، فاتَّفَق الله، قائله اللَّه من فضله، فاتَّفَق ما وعَدَهُ، فأَغْفَب اللَّه بما أخلفه ما وعده، فقص الله شألة في القرآن.

(٣) قصة تَعْلَبة بن حاطب، أو ابن أبي حاطب، المتنافق، أحد بناة مسجد الفسرار كما ذكر ابن هشام، وهو غير ثعلبة بن حاطب الأنصاري الذي هر من يني أَيُّة بن زيد، فهذا صحابي مؤمن، وهو من أهل بدر، وذكر ابن الكلبي ألمّه مات بأحد(١).

وقصة ثمانية بن حناطب أو ابن أبي حناطب أخسرجها أبن المنتذه، وابن أبي حاتم، وأبعر الشيخ، والعسكري في الأمثال، والطبيراني، وابن منده، والباروي، وأبو نعيم، وابنُ مُزَّدُوه، والبيهةي، وابنُ عساكر (بأسابيد لا يصح الاعتماد عليها لضعفها)".

⁽١) أنشأ من محمد بن محمد أبو شهية في كتاب (السيرة النبوية) في بحث (هذم مسجد الفسراو وتحريف) عن (٢٠٥) من الجزء الثاني، قال: رقد ثب على ذلك الحداظة ابن حجر في الإصابة (ج ١ ص ١٩١٨)، وصاق أدلة على ذلك، وقد وهم ابن إسحاق حيث عد الثاني مثن بني مسجد الفسراء، ووهم ابن عبد البتر في الاستعاب حيث نسب إليه الفصة في شان من عاهدا الله تم نقد عمد.

⁽٢) كتب الأخ القاضل الشيخ وعداب الحمش، رسالة بعنوان ونعلية بن حاطب المفترى عليه، نقل فيها عن طائفة من العلماء بالأسائيد. أنَّ هذه الفصة التي نقلها المفتسرون ضعيفة، لا يصحّ الاعتماد عليها، واستتج من كون أصحاب رسول الله عدولاً بطلائها، ووجوب رشّما وعدم الاستشهاد بها، ولا بعثلها.

اقول: أمّا نسبتها إلى صحابيّ من أهل يدر، فهي نسبة بناطلة حتداً، وآما نسبتها إلى سلم عاصر الرسول ﷺ فلنست باطلة، لأنّ المنافقين اللين تعدّت القرآن عنهم باستفاضة مع سلمون في الظاهر، وقد عاصروا الرسول وكنان أنهم معه لشاءات، ولا بدّ أن يتعقق قول الله بير من طرح بعضهم، ولكن ينبني عند تعين الاسم النوقين من أنّد ليس من المشهود أنهم بإثر يرسل من المشهود أنهم الإيمان، أومن أهل الجنة، أو من فضلاه الصحابة، كما ينبي التمرّي عن صحة أرواية.

عن أبي أمامة الباهلي، قال:

جـاء ثعلبة بُنُ حـاطب (هو غيـر ثعلبـة بن حـاطب البــدري) إلى رســول الله 機 فقال: يا رسول الله، ادَّمُ اللَّهُ أن يرزنني مالاً، قال:

ورَيْلَكَ يَا ثَثْلَبُهُ، قَلِيلٌ تُؤْدِّي شُكْرَهُ خَيْرُ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُهُ قال: يــارسول الله ادْعُ اللّهُ لَنْ يَرْوَقِنِي مالاً، قال:

وزَيْحَكَ يَا تُشَلِّمُ، أَمَا تُجَبُّ أَنْ تَكُونَ بِثْلِي، فَلَوْ شِئْتُ أَنْ يُسَرَّرَ رَبِّي فَلِيهِ الْجِبَالَ صَي فَعَبِّ لَسَارَتْهِ.

فَقَال: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يُرزُقَني مالاً، فَوَالَّـذِي بَعَثَكَ بِـالْحَقُّ إِنْ آتاني مالاً لأعْطِيقُ كُلُّ ذِي حَقِّ حَقِّهُ، قال:

وَقِيْحَكَ يَا ثَمُلَبَةً، قَلِيلٌ تُعِلِيقُ شُكْرَهُ خَيْرٌ مِن كَثِيرٍ لاَ تُعِلِيقُهُ.

قال: يا رسول الله أدُّعُ اللَّهُ تعالَىٰ، فقال رسول الله ﷺ: واللَّهُمُّ ارْزُقُّهُ مالًا».

قال الراوي: فــانخذ فَنَمـاً، فَنَمَتُ كَما تُنْمُـو الدّود، حتّى ضاقت بها المــديـة، فتنَحَىٰ بها، فكان بُشْهَدُ الصَّلاء بالنهار مع رسول الله ﷺ، ولا يشهدها باللّيل.

ثُمُ نَمَتْ كَمَا تَنُمُو الدّود، فتنكّى بها، فكان لا يَشْهَدُ الصلاة باللَّيلِ ولا بالنَّهـار، إلاّ من جُمّعة إلى جُمّعة مع رسول الله ﷺ.

ثُمْ نَمَتْ كما تُنَمُو الـدود، فضاف بهـا مكانَّهُ فَتَنَحَىٰ بها، فكـان لا يَشْهَدُ جُمُمةً ولاجنازةً مع رسول الله ﷺ.

فجعلَ يتلَقَّىٰ الرُّكْبَانَ ويَسْأَلُهُمْ عن الْأُخْبَارِ.

وفَقَدُهُ رسول الله 義 فسأل عنه، فاخبروه أنّه اشترى غنماً، وأنّ المدينـة ضاقت به، وأخبروه خبره، فقال رسول الله 識:

وهذه القصة يمكن الاستثناس يها لمعرفة صفحات فريق من المنافقين، عاصروا الرصول وكانتوا بين المسلمين حتماً، وكان يعص المؤمنين يجهلون حقيقهم، وهذا لا يحطمن سرواة الحديث من أصحاب رسول الله العدول، لأنّ رواة الخديث منهم عدول عند جمهور الصحابة.

«وَيْخَ ثُعْلَبَةً بِّنَ حَاطَب، وَيْخَ ثُمْلَبَةً بْنَ خَاطِبٍ».

ثُمُّ إنَّ للله أمر رسوله أن ياخذ الصَّدْقات (أي: الزكاة) وأَنْزَلَ: ﴿خُدُدُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدْقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّهِمْ بِهَا...﴾ الاية (١٠٣) من سورة النوية.

فلمَّا فَرَغَا مرًّا بِنُعَلَبُهَ، فقال: اربَاني كِتَابَكُمَا، فنظَرَ فِه، فقال: ما هذه إلَّا جزية، انْطَلِهَا حَنْمُ ارْنَ رأْيسي.

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ قَدِمَا المدينة، فلمَّا رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يُكلِّمهما:

وَيُتَعَ ثَمُلَيَّةً بِنَّ خَاطِبٍ، ودعا للسَّلْمِيِّ بالبركة، وأنول الله: ﴿وَيَشْهُمُ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ: لَئِنْ أَنْـانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصْدُقَنِّ . . . ﴾ الآيات الشلاث من

. ٧٧ ــ ٧٨). قال الراوي: فسمع بعضُ أقارب تعليّة، فأتَىٰ ثمليّةَ فقال: ريْحَكَ يا تُثَلَّيّةُ، أَنْزِلَ فك كذًا ، كذا.

قال: فقدم ثعلَبَةً على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه صدقة مالمي، فقال رسول الله ﷺ:

وإِنَّ الله قَد مَنَعْنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ،

فجعل تُعلَبُهُ يبكي ويَحْنِي الترابُ على رأسه، فقال رسول الله ﷺ:

وهَذَا عَمَلُكَ بِنَفْسِكَ، أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي ،

فلم يقُبل مِنْهُ رَسُول الله ﷺ حَنَى مضى، ثُمُّ أَنَى أَبَا بَكْرٍ، فغال: يا أَبا بَكْرٍ، أَفَبَلُ بنّي صَدَقَى، فقَدْ عَرْفُتُ مَنْزِلتي من الانصار. فقال أبو بكر: لم يُقْبَلُهَا رُسُول الله ﷺ، وأَقْبَلُهَا؟! فلم يُقْبَلُهَا أبو بكر.

ثَمَّ وَلَٰيَ عَمُرُ بِنِ الخَطَابِ، فاناه فقال: يا أبا خَفْص ، يا أُمِيرَ الْمُوْمِنِينَ، اقْبَلْ بِنِّي صَدَقَتِي، وَجَعَلَ يُقَلَّ عَلَيْهِ بِالْمُهَاجِرِينَ والأنصَارِ وازواج النِّبيُّ ﷺ.

فقال عُمْر: لم يَقْبَلُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ولا أبو بَكر، أَقْبَلُهَا أَنَا؟! فَاتِيْ أَنْ يَقْبَلُها.

ثُمُّ وَلَٰيَ عُنْمَانُ، فسأله أن يَفْهَلُ صَدَقَتُهُ، فقال: لم يَفْلُهَمَا رَسُولُ الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عُمْرُ، وأنا أَقْبُلُهَا مِنْكَ؟! فَلْمُ يَقْبُلُهَا مِنْهُ.

فَهَلُكَ فِي خِلاَفَةٍ عُثْمَانَ.

أقىول:

إذا كان لهذه القصة أصلً، فالمانع من تجول زكاة مال هذا المنافق بعد أن امتع عن بذلها أزّل مرّق، هو معاقبتُه بعوله عن جمساعة المسلمين عزَّلاً جزئياً، بسبب نَقْضه ما عاهد الله عليه، وكان قد سأل الرسول أن يدعُو إلله بأن يؤتِه مالاً، فمن سنة الله أذً من طَلَبَ آيَّةً على صِنْقِ الرَّسُول، فدعا الرَّسُولُ ربّه، ناعطاه ما طلب، فتَقَصَّل عَهْلَة، أنول الله به المقوية لا محالة.

لمًا طلبَتْ ثمرد آيــة الناقــة، فاتــاهم الله ما طلبــوا، أهلكهم الله عفويــة لهم على عقرهم لها، ونقض عهدهم بشأنها.

ولمّا طلب هذا المعتافق كثرة العال، وعاهد الله على أن يتصدّق ولا يبخل، فلَمّا انتُجنُ وَنَفْضَ عَقْلَهُ، السَّمَعُقُ العقوبة بعزله جزئياً عن المجتمع الإسلاميّ، لانكشاف حاله في موضوع بغذل الصَّدَقات، ولَمْ يُعاصَلُ حول موضوع الصَّدَقاتِ معاملة سائم العنافقين، الذين أعلم الله رسولَـهُ بحقيقة نشاقهِمُ، لأنّه كشْفُ أشرَ نفسه في هذا العوضوع الخاصّ الذي عاهد الله عليه.

وهـذا من الأسلوب الحكيم في معاملة المنــافقين، وتربيــة الذين لم يُنقضُــوا بَعْدُ عُهُودُهُمْ مِنْهُمْ، بالذين نَقضُـوا عُهُردُهُمْ، والتربيةُ تُكْفِى فيها الحادثةُ الواحدة.

التدبير

﴿ وَمَنْهُم ﴾:

أي: ومن المنافقين، لأنَّ الآيات السابقات تتحدَّثُ عَنْهُم.

﴿ مَّنَّ عَلَهُ دَاللَّهُ ﴾:

أي: فرينٌ عَاهد اللَّهَ، ويكُفِي أن ينطبق هذا على أقلَّ الجمع فأكثر، لأنَّ التعبير جاء بصيغة جماعةِ عَاهُدُوا اللَّهُ.

﴿ لَهِ مُ التَّمُنَامِن فَضَّلِهِ ، ﴿ :

أي: قـال في معاهــنـــنه اللَّه: واللَّهِ أو نُقْسِمُ لَبَيْنُ آتــانا الله مــالاً وفيراً من زيــادات إحسانه.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّنلِحِينَ ١٠٠

هـذا جواب القسم، وقد أغنى ذكره عن ذكر جواب الشرط لاتحادهما في المعنى، والمعنى: لنبذَكُنُّ زكرات اموالنا، وقد يدلُّ اللَّفظ على صدقاتٍ فرق الواجب أيضاً، ولَنْكُونُنُّ مِنْ الصَّالِحِينَ، بِعِبْدَقِ الإيمان وحُسْنِ المعل الذي هو أثر الإيمان الصحيح الصادق.

﴿ فَلَمَّا ءَاتَنْهُ مِينَ فَضَّلِهِ ، ﴾ :

أي: فاستجاب الله لهم دون إبطاء، وحين آناهُمْ ما طلبوا من أموال، من زيادات إحسانه على غير سبيل العوض أو الجزاء.

﴿ بَخِلُوا بِدِ ﴾:

أي: لم يَبْلُلُوا الـواجِبُ الذي فَـرَضَهُ الله فيمـا يُؤْتِهِم من أسوال، فَشْلًا عن أن يَبْذُلُوا مَمَا آناهم اللّهُ من فضله تَطَوَّعاً.

﴿وَتُولُّوا ﴾:

أى: ابتُعدُوا واجْتَنبُوا طاعَةُ الله.

﴿ وَهُمُ مُعْرِضُونَ ﴾:

أي: والحال أنَهِم يُعْطُونُ للتكاليف الرِّمَانَيَّةِ عـارضهم، أي: جانبهم، لأنَهم في ظاهر أمرهم مسلمون لا يستطيعون أن يُديروا، ويُظْهِرُوا بإذبارهمْ تُشْرِهُمْ الذِي يُبْطِئُونه.

فالإعراض حالةً وُسَطَى بَيْنَ الإذبار والإقبال، والتولّي قد يكون إذباراً وابتعاداً، وقد يكون ابتعاداً واجتناباً في حالة إعراض دون إدبار ظاهر، لكن التولّي بمعنى الابتعاد مع حالة الإغراض يُساوي في الحقيقة المستورة الإثبارَ، أي: الكُمْرُ في الباطن، فجاء التعير: ﴿وَتَوَلّوْا وَهُمْ مُعْرَضُونَ﴾ بالمِعَ الدَّقَةِ في الدَّلاَةِ عَلَى سلوكهم الذي هو أثرَّ من آثار نفاتهم الذي هو تُقُرُّ في الباطن، وإسلامٌ في الظاهر، مصحوبٌ بمعصيةٍ لا تَقَفَّسُ الإسلام بحسب الظاهر.

﴿ فَأَعْفَبُهُمْ ﴾ :

أي: فجازاهُمُ اللَّهُ عَقِبَ نَفْضِهِمْ مَا عـاهَدُوا اللَّهَ عليـه، ضمن مجاري سُنَيه في قُلوب عباده ونَفُوسِهِمْ.

﴿ نِفَاقًا فِ قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ بِلْقَوْنَهُ ﴾ :

اي: بَفَاقاً مُتَمَكَّناً رَاسِخاً مُنَفَلِهِلاً فِي قُلْرِبِهِمْ، لا يُشْفَوْنَ منه، حتى نهاية آجالهم في الحياة الدُّنيا، ولقائهِمْ رَبُّهُمْ مُنَّذَ دُخولِهِمْ عَنْبَةَ الاخرة بالموت.

وذلك لأنَّ من كان منافقاً من دركة تابلةِ للشفاء، إذا عاهَدَ اللهُ عَلَمْهَا مشروطاً بشرط على ربَّهِ، فحقَّق اللهُ لَهُ مَا شَرَط، فقضَى مَا عَاهد عليه ربَّه، كان من نتائج عمله هذا في سُنِ اللهِ السببيَّة، أن يَنْزِلُ فيه النفاق إلى أخسَ الشُّركات، ويَوْسَخَ في غَلِّه، كمن يضَعُ جَسْمَهُ في النار فإنَّ الله يُشْرِقُه بالنار التي وضع جَسْمَهُ فيها ضمن مجاري سنته العامة.

﴿ بِمَآ أَخَلَفُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَيِمَا كَانُواْ يَكُذِبُونَ ﴿ ﴾:

أي: جازاهم الله ضمن مجاري سننه العائمة برسُسوخ النماق في قاريهم، واستقراره فيها حتى ملاقاتهم له بعد انتهاء رحلة امتحافهم في الحياة الدنياء بسبب أَمْرِينَ: الأمر الأول: إِخْلاَقُهُمْ في النطبيق العمليّ ما كانوا عـاهَدُوا اللَّهَ عليه بٱلسنتهم، فقوله تعالى:

﴿ بِمَا أَغُلَقُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ ﴾:

أي: بسبب إشْـلَافهم منا عناهدوا اللهُ عليه، وهو أن يتصدُّقُوا ويكونوا من الصالحين. ﴿مَا﴾ في ﴿بِمَا أَخَلُقُوا﴾ مصدوية تُؤوُلُ مع ما بعدهما بمصدر، والمهد قد تضمَّن رعداً.

الأمر الثاني: أنهم كانُوا يُكذِبُون حينما وعَلَوا الله، يفولون بالسنتهم ما ليّسَ في قُلُوبِهمَّ، فَهُمْ مُنَذُ الدِانِة قد أعَطُوا بالسنتهم المهد والوعَـدْ وهم لا يُريـدون الوفاه به، لانهم منافقون غير مؤمنين، يعطون العهود بالسنتهم فقط، فإذا حقَّقُ الله لهم ما شرَّطُوا أحالوا ما تحقّق لهم على الأسباب، وهم لا يؤمنون بأنَّ الله هـو الذي أجراها ليمتحن إيماتهم وطاعتهم ووفاهم بوعودهم، فقوله تعالى:

﴿وَيِمَاكَانُواْيَكُذِبُونَ﴾:

أي: وسبب كذبهم الذي كنارا يكذئرنَه في إعطائهم وتُموذهُم، وفي أصل اتُعاقهم أنهم مؤمنونَ وسلمون صادقون، وسفة الكذب هذه صفة متكرّرة متجدّدة فيهم، وكذلك كلّ المنافقين.

﴿ أَلْرُيْمُا كُوَّا أَكَ اللَّهَ يَصْلَمُ سِرَهُمْ وَوَنَجُونِهُمْ ﴾:

أي: الم يعلموا مما سَيَقَ لهم في تجاريهم الكثيرة التي كفف اللهُ لهم بها فيما أنزل من بيانات فرآنيّة مَا كانوا يُسِرُّون في قُلُوبهم، ومَا كانُوا يُسَارُون به إخوانَهُمْ في نجواهم (النجوى: الإسرار بالحديث) أنَّ الله يَعْلَمُ سِرُّهم ونجواهُمْ؟!

﴿ وَأَنَ اللَّهُ عَلَّنهُ ٱلْغُيُوبِ ﴿ ﴾:

أي: وَالْمَ يَعْلَمُوا مِنْ هَلِهِ التجارِب وغيرها مما يُشاهدُون في النظاهرات الكونية التي تجري بمنادير الله المحكمة، والّني لا يتم إتقانها وإحكامُها إلاَّ بعلْم محيط بكلّ شيء مشهود وغائب في السماوات والأرض، أنّ الله الرّبّ المخالق الباري، المعسوّر الذي يُصرِّف الأمور بحكمت عَلَّمُ النَّيُوب كُلُهَا، لاَ يخفى عليه شيءٌ منها؟! عَلَّام: صيغةُ مبالغةٍ وتكثيرِ لِعَالِم، على وزن وَفَعَّال. .

الغيوب: جَمَعُ النيب، وهو ما غاب عن حواس وإدراكمات المخلوقات، ووالَّه، في الغيوب الاستغراق الجنس، أي: عَـلامُ كُلُّ أنـواع الغيوب وأفـرادها في السمـاوات والأرض.

...

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِنُونَ ٱلْمُعَلَّزِ عِن مِن ٱلمُؤْمِنِينَ فِ الصَّدَقَتِ وَالَّذِينَ لَا عِبْدُونَ إِلَّا جُهْمَدُ فَيْسَخُورُونَهُمْ مِنْ المُثَوْمُهُمْ وَلَامُ عِنْكُ أَلِيمُ ۞ .

قرأ جمهور الْقُراء الْعَشْرَةِ: [يَلْمِزُونَ] بكسر الميم.

وقرأ يعقوب فقط: [يَلْمُزُونَ] بضَمُّ الميم.

والفراءتان وجهان عربيّان لنُطْقِ الكلمة.

اللَّمْزُ: يُشِبُّ النَّبِ إلى العلموز، يُقالُ لفة: لَفَزَةٌ يَلْبَوُهُ وَلِمُثَوَّهُ وَاهَامُهُ، أو أشار إليه إشارةً تعدُّ على أنَّه يعيِّه بشيءٍ ما، والإنسارةُ تكودُّ بحركات العين أو الشفة أو نحوهما مع كلام خفيّ.

﴿ٱلْمُطَوِّعِينَ﴾:

أي: المتطوّعين، المتطوّع هــو المتنفّل الـذي يتقرّب إلى الله بعمــل صالــع غير واجب عليه.

﴿ فِي ٱلصَّدَقَاتِ ﴾:

المبرأدُ من الصَّدَقَاتِ هنا صَـَدَقاتُ النُّـطُّوعِ لا الزّكاة الواجبة، بدليـل قــريـنـة والمطُّوّعينِه أو هي أعمَّ فتشملِ الزّكاة وغيرها.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾:

أي: لَا يُجِدُونَ إِلَّا الشَّيْءَ الْقَلِيلَ، وهو ما في وُسْجِهِمْ أَنْ يَبْذُلُوهُ.

الجُمَهُذ: بضمّ الجبيم الرَّمْعُ والطَّافَةُ والذيءُ الْقَلِيلُ الَّذِي يَمِينُ بِه الْمُقِلُ، النّا الْجَهَّةُ يَفْحَ الَّجِيمِ فَهِو مَصْدَرُ جَهَدَ يَنْجَهَا بِمعنى «جَدَّه وبِمعنى بذل طَافته وقُـلْزَنَهُ حتى بلغ الغاية وحَلَّثُ بِه المِشْقَة.

هـذه الآية تتحـلُت عن ظاهـرة من ظواهـر سلوك المنافقين، وهي ظـاهـرة لُـــزِ المتطوّعين بـذُل صدقاتهم عموماً، مع السخرية من الأشياء القليلة التي يـذُلُها المؤمنون الصادقون الفقراء، الذين لا يجدُّونُ فيما يملكون أشياء ذات قيمة كبيرة يذلونها.

أَمَّا مِن يِئُلُ الكثير فيلمزونه بالرياء، وأمَّا مِن يبُلُل الشَّيُّ القَلِيل الذي هو جُهُدُّهُ، فِلْقَبُرُونه بأنَّه يُذْكُرُ بَغَيْبهِ وحاجَةِ حَتَّىٰ يُمْطَىٰ مِن الصَّدَقَـات، ويَسْخَرُونَ مَشا قَدَّم تَفْتُو.

وورد في قصّة هذا اللّمز ما يلي:

(١) روى البخاري بسنده عن أبى مسعود قال:

لمُّنا أَمُونَنا بِالصَّدَقَةِ ثَنَّا تَتَخَاسُلُ (اي: نَعْمَلُ حَصَّالِينَ بِالاَّجِرَةِ، فَجَاء أَبُو عَقِيل بِيصْفِ صَاحِ ، وَجَاء إِنْسَانُ بِالْتَرْ مِنْهُ، فقال المنافقون: إنَّ اللَّهُ لَفَنِيُّ عَنْ صَدْقَةِ هَذَا، وما فعلَ هذا الآخرُ إلاَّ رياء، فنزلت:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِرُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَجِهُدُونَإِلَّا جُهْدُهُ ...﴾ الأهِ.

وعند مسلم نظيره، واسم أبي عقيل هذا والْحَبْحَابُ.

(٢) وذكر عبد بن حميد بسنده عن قتادة ومُرْسَلاً في تفسير الآية ، قال:

جاء رجلٌ من الانصار يُقالُ له: والْحَبِّحَابُ ابر عقبل؛ فقال: يا نبيّ الله بِتُ اجُمرٌ الْجَرِيرَ عَلَىٰ صَاغَيْن من نسر، فأمّا صاغ فاستحه لاملي، وأمّا صَاغَ فها هوذا.

فقال المنافقون: إنَّ كَانَ اللَّهُ ورُسُولُه لغنيَّيْنِ عن صَاعِ أبسي عقيل، فنزلت.

ووصل المطبراني والبارودي والسطبري همذا الحديث من طمريق آخر إلى ابي عقيل. وسمَّى الواقديُّ من المنافقين اللَّامزين: ومُعَتَّبُ بْنَ قُشَيْرِهِ و وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَبْتَلٍ.

(٣) وجاه عند الطبري عن قتادة، وكذلك عند ابن أبي حاتم عن عكومة، قال: حث رسول الله ه على الشدّقة _ يعني في غزوة تُبوك _ فجاء عبد الرحمن بن عموف بأربعة آلاف، فقال: يا رسول الله، صالمي ثمانية آلاف، جثنك بنصفها والمُسَكَّتُ يُشْفَها، فقال:

وَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا امْسَكُتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ».

وتصَدُّقَ يومَثلِ عاصِم بنُ عديّ بِعِنَةِ وَسُوِّ^(١) من تَمْرٍ، وجاء أبو عقيل بصباع من رِ.

فقال المنافقون: ما أخرج هؤلاء صدقـاتهم إلاّ رياة، وأمّا أبوعقيـل فإنّمـا جاء بصاعه ليذكرُ بنفسه، فنزلت الآية.

التدبير

﴿ ٱلَّذِينَ بَلِّمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِ ٱلصَّدَفَنَتِ ﴾:

اي: الذين يُعِيُّون المتطوّعين من المؤمنين ذوي اليسار في بذلهم الصُّدَقاتِ بأنهم مراءون، إذا كنائبوا من المكثرين من صدقـاتهم، كعبـد الـرحمن بن عـوف، وعثـان بن عِفان، وعاصم بن عَدِي، وإمثالهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾:

أي: ويَلْمِزُون المتطرّعين من المؤمنين الفقراء الذين لا يجدون إلا الشّيء القليل
 المذي يستطيحون بذله، فَهُو جُههُمُهم، يلمزونوم بـأنهم يريـدون التذكير بـأنفسهم،
 والإشعار بأنهم فقراء، لتَبْذَلْ لَهُمُ الصَّدَقات.

حول استعراض أكبر وقائم المنافقين وغيرهم إبّان أحداث غزوة تبوك

 أي: فَيُقَابِلُونَ صِدَقاتِ العَقْلِقِ الْفَقْراءُ عَقِب إحضارهم لها بالسُّخْرية، كَأَن يضحكوا ساخرين منهم ومن الشيء القليل الذي تقدَّمُوا به.

وسَخِرَأَلَهُ مِنْهُمْ ﴾:

اي: جازاهم على عملهم بمثل؛ فأغَلَّن لمدائكةِ وأنــَوْل في كتابه أنه سَخِرَ ينْهم، لأنَّهُمْ بسفاهتهم التي جعلتهم يسخــرون من أعمــال المؤمنين عـرَضُــوا أنفســهم لعذاب الله، فهم الاحرى بأن يكونوا مسخوراً منهم.

﴿ وَلَمُهُمَّ عَلَاكُ أَلِيمٌ ﴾:

أي: وأُعِدُّ لُهُمَّ أَنْ يَدْوَنُوا عَلَمااً اللِماً، فهو لهم سيْدُونُونَه لا محالة، ما لم يتوسوا من كفرهم ونفاقهم، وهذا الفيد مفهوم من مختلف النصوص القرآنية، فـلا حاجـة إلى إعادته مع كلّ بيان يقتضيه.

قول الله عزّ وجل:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَكُمْ أَوْلَاتَسْتَغْفِرْ لَكُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَمُمْ سَبِينَ مَرَّةٌ ظَن يَفْفِرُ اللَّهُ لُكُمُّ وَلِكَ إِنَّهُمْ كَفُرُوا لِهِ اللَّهِ وَرَسُولِهُ. وَاللَّهُ لاَ يَهِى القَوْمُ الْفَسِيقِينَ ۞ ﴾ .

خاطب الله عزّ وجلّ بهذه الآية الرسول ﷺ ويُلْخَنُ بهِ جميع العؤمنين، فقال لـه بشأن المنافقين:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَكُمُّ أَوْلَاتَسْتَغْفِرْ لَكُمُّ إِن تَسْتَغْفِرْ لَكُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمّْ .. ﴾.

قَهِمُ الرُسُولُ من هذه الآية أنَّ الله هزَّ وجلَّ خَيْرَهُ بين أن يستغفر اللمنافقين أولا يُستَغْفِر لهم، وأنَّهُ إنْ يستغفِر لهم سبين مرة فلنَّ ينفَسر اللهُ لهم، ولم يفهم الرسول من هذه الآية أن الله حرَّم عليه أن يستغفِر للمنافقين، وفهمَ أنّه مأذون له بأنَّ يُعلمل المنافقين في موضوع الاستغفار والصلاة على موتاهم بحسب ظاهر إسلامهم، كمائر الإجراءات في السجلة الدّنيا، ولمو كان يُعَلَّمُ أنّهم منافقون، ولا سيّما إذا كان في الامر مصلحة سياسية أو إدارية. وفهم صلوات الله عليه من حصر العدد الأعلى بالسبعين احْيَمَالُ أنَّ الزيـادة على السبعين قد تُفِيد مَنْ يستَفْيرُ لهم، ولو يتخفيف العذاب عنهم.

وقىد سبق أن أنزل الله في سبورة (المنافقيون/ ٦٣ مصحف/ ١٠٤ نزول) قبولَــهُ لرسوله بشأن المنافقين:

﴿ سَوَاةً عَلَيْهِ ﴿ السَّمْفَارَتَ لَهُمْ أَمْ لَمُ تَسْتَغَفِرْ لِمُمَّ لَنَهْفِرَاللَّهُ لِمُمَّ إِنَّ اللّ لَاتَهِدِى الْفَرَمُ الفَسِيغِيرِ ﴾ ۞﴾.

وسبق أن أنْـزُلَ قبل هـذه الآية في سورة (الممتحنة/ ٦٠ مصحف/ ٩٦ نـزول) قوله خطاباً للرسول والمؤمنين :

﴿ فَنَدُ كَانَتُ لَكُمُّ أَمْنَةً مِنْ أَمْسَنَةً فِي إِزْهِيهِ وَالَّذِينَ مَعَتُمْ إِذَا الْوَالِمَنِيمَ إِنَّا الْإِيَّ وَالَّهِ مِنْ وَمَنَا تَعْبُدُونَ مِن دُورا اللّهِ كَذُوا بِكُرْوَلَا إِنِيَّانَا وَيَنَاكُمُ الْمَدُودُةُ وَالْبَعْسَانَا فَي وَمَدَتُهُ إِلاَّ قَوْلَ إِنْزِهِمِ لِأِيهِ لاَسْتَمْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْنِكُ الْكَ مِنَا لَقَهِ مِنْ فَيَوْ وَيَاكُ أَيْنَا وَإِلْهِ اللّهِ مِنْ فِي اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ مَنْ اللّهِ وَمَا أَمْنِكُ اللّهَ مِنَا لَقَهُ مِنْ ا

فوجههم لاتَخاذ إبراهيم والذين معه أسوة حسنة لهم باستثناء وعُد إبراهيم أباه أنْ يستغفر له، فذلً هذا على أنّ المؤمن لا يسأل الله أن يغفر لكافر.

لكنَّ مُرْضُوعَ المنافقين يختلف عن الكافرين الصُّرحاء، باعتبار أنَّ الله جعل معاملتهم في الإجراءات الدُنسويَّة كمعاملة المسلمين يحسب ظاهر انتصافهم إلى الإسلام، ما لم يُنزِل نصُّ صريعٌ بخلاف ذلك.

والدليل على هذه العفهومـات التـي فهـمهـا الرّسـول ﷺ، ما رواه البخــاري عن عبد الله بن عمو، قال:

لسَّا تُوَفِّى عَبْدُ اللَّهِ بَنُ أَنِيَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بَنُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَالُهُ أَنْ يُعْطِيُهُ فَمِيضَهُ يُحَفِّنُ بِدِهِ أَنِهُ، فَأَعْطَاهُ، ثَمْ سَالُهُ أَنْ يُصْلَيُ عَلَيْهِ، رَسُولُ الله ﷺ لِيُصْلَيْ عَلَيْهِ فَقَامَ عُمْرَ وَأَخَذَ بِشُولٍ رَسُولُ الله فَقَالَ: يَا رَسُولُ الله، أَضَّلَى عَلَيْهِ وَقَدْ نَهِالُّ رَبُّكَ أَنْ تُصَلَّى عليه؟! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَإِنْمَا خَيْرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغَفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَشْغُفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغَفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةُ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ وَسَأَزِيدُهُ عَلَىٰ السَّبْعِينَ ».

قال: إنَّهُ منافق!!

قال: فصلِّي عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿ وَلَاتُصَلِّ عَلَىٓ أَحَدِ مِّنْهُمَ قَاتَ أَهَا وَلَا تَقَمَّ عَلَىٰ ثَبَرِهِ عَلَيْهُمْ كَفَرُواْ فِالْفَوَرَسُولِيدِوَمَاتُواْ وَهُمُّ فَنصِفُونَ ۞﴾ [النوبة].

فتح الباري رقم الحدبث (٤٦٧٠)

وما رواه البخاريّ عن عمر بن الخطّاب، أنَّه قال:

لمَّا مَاتَ عِبدُ اللهَ بِنُ أَبِّي بُنُ سَلُول، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّي عَلَيْهِ طلمًا قام رسول الله ﷺ وَيَّتُ إِلَيْهِ فَلَكُ: بَا رَسُولُ اللهِ، أَنْصَلَى عَلَى إِنْ أَبِي وَقِد قال يوم كذا: كنا وكذا؟! أَعَدُّدُ عَلَيْهِ فَوْلَهُ". فَيَيِّسُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ:

وَأَخَّرُ عَنِّي بَا عُمَرُه.

فلمًا أَكْثَرْتُ عليه قال:

﴿إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لو أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَاء.

قال: فَصَلَىٰ عَلَيْهِ رَمُولَ اللهِ ﷺ ثُمُّ الْصَرَف، فَلَمْ يَفَكُتْ إِلَّا يَسِيراً خَلَىٰ نَزَلَبِ الآيــةُ مِنْ يَسْرَانَة: ﴿وَلَا تَصَسَلُ طَلَى أَحْدِ مِنْهُمْ صَافَ أَبِداً . . . إلى قسوله: وهُمْ فاستُونَهُ.

قال عُمَر: وَفَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، واللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُه.

وروى الطبريّ عن الشعبي أنّ النبسي ﷺ قال: وفأنّا أسْتَغْيَرُ لَهُمْ سُبْعِينَ وسُبْعِينَ سَبْعِينَ».

رُوي عن قتادة، ومجاهد، وعن هشام بن عُروة عن أبيه، أنَّ النَّبيُّ ﷺ قال:

⁽١) يشير إلى مثل قوله: ﴿لاَ تَتَقَوَا عَلَى مَن عَنْدُ رَسُولَ اللَّهُ وَقُولُهُ: ﴿لَيْخُرِجُنَّ الأعزَّ مَنْهَا الأَذَلُهُ.

وَقَدْ خُيْرَنِي رَبِّي فَوَاللَّهِ لأَزِيدَنُّ عَلَىٰ السُّبْعِينَ».

قـال ابن حجر في الفتح: وهذه طـرق وإنْ كانت مـراسيل فـإنْ بمُـضَـها يَشْصُـدُ بعضةُ(١). وذكر عن الواقدي، أن مجمع بن جارية قال: ما وأيت رسول الله ﷺ أطـال على جنازة قطُ ما أطال على جنازة عبد الله بن أبُـنَّ من الوقوف.

ونقل ابن خَجْر عن الخطابي أنه قال: إنّما فعل النبئي ﷺ مع عبد الله بن ابنيً سا فعل لكمال شفقت على من تعلّق بطوفٍ من الدّين، ولتنظيب قلب ولَهو عبد الله الرجَّل الصالح، ولتألَّف قومه من الخزرج لرياسته فيهم، فلو لم يُجِبُّ سؤال ابته، وتركُّ الصلاء عليه قَبَل رُرُود النَّهِي الصريح لكَانَ سُهُمَّ على البَيْهِ وَعَازاً عَلَىٰ قومه، فاستعمل أَحْمَنُ الأَمْرِيْن في السياسة، إلَى انْ نُهِي فَاتْنَهَىٰ.

أقسول:

هذا الذي ذكره الخطابي فهم سديد، وأَسَا قول تُمَدِّر رضي الله عنه للرُّسول:
وأتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهْكُ زَنُّ أَنْ تُصَلِّي عَلَيْهِ اللهِ . فند بناه على ما فهمه هو من قوله
تصالى: ﴿ وَفَلْ نَهْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ أي: فلا تستغفر لهم، والنهي عن الاستغفار يلزم منه
النهي عن الصلاة عليهم، وقد أبان الرسول ﷺ لِمُمْر أَنْ الآبة تُقِيدُ التخيير بين
الاستغفار وعدمه بالنسبة إلى المنافقين، ولا تُقِيدُ النهي عن الاستغفار، ولو كان الهلا يغفر لهم، فالعمل بظاهر أحوالهم قد تكون له مصلحة غير تحقيق المغفرة لهم.

ودأت الرّوابات الأخرى على أنّ الرسول ﷺ فهم من تحديد وسبعين مرّة، احتمال أنّه لو زاد على السبعين لتفعهم ذلك ولو بتعفيف العذاب عنهم، وهذا يدلّ على أنّ الأصل في العدد إرادة معناه، فييغي المفهوم المخالف أمراً مسكوناً عنه، وأمّسكوتُ عنه محتمل أمْرَيْن: أن يوافق حكم العدد المذكور، وأن يخالفه.

وبعد أن أبان الله عزَّ وجلَّ أنَّه لا يغفر للمنافقين ولو استغفر لهم الرسول سبعين

⁽١) فتح الباري ص ٣٣٥ من الجزء الثامن.

مرَّة، أَبَانُ سَبِّبُ ذلك، فقال تعالى:

﴿ ذَاِكَ بِأَنَّهُمْ كَ فَرُواْ بِ اللَّهِ وَرَسُولِهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْفَوْمَ ٱلْفَسِقِينَ ۞﴾.

﴿ ذَالِكَ ﴾:

المشارُ إليه ما تضمَّنه قول الله تعالى: ﴿ فَلَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ ﴾.

﴿ بِأَنَّهُمْ كَ غَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ. ﴾:

اي: بسبب أنَّهم كَفَرُوا بالله ورسوله. مُعَمَّدُ مُعَمَّدُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَسِقِينَ ١٠٠

اي: لـ وغفر الله لهم وهُمْ نحابُرُونَ فعلسقُونَ لَكَانُ ذَلِكُ مُسازِاةً لَهُمْ بِالْمُسْرِئِينَ الْمُهْدِيين، ولكان ذلك هدايةً من الله لهم، اي: حكماً منه بالنهم قندُ سَلَكُوا مَسْلُكُ الهداية، على خلاف واقع حالهم، ولو كنانُ ذَلِكَ عن طريق المنظرة، والله لا يحكم للمجرم بأنّه مسلم، ولا يحكُمُ للكَافِر الفاسق بأنّه ذو هداية، فهذا الحكم مناقضٌ لواقع حالهم.

الفاسق: هو الخارج عن طاعة الله خروجاً كلُّها إيماناً وعملًا، فـ (أل) للكمال.

وهمذه الجملة هي من متمّمات بيسان سبب عمدم مغفسرة الله للمشافقين، أي: فالسبب يرجع إلى أمرين:

الأول: أنُّهُمْ كافرون بالله ورسوله.

الثاني: أنَّ الله لا يجعل الكافر الفاسق ذا هداية فهو لا يحكُمُ إلَّا بالحقّ.

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمَرِعَ الْمُخَلَّقُونَ بِمَغَدِهِمْ خِلْكَ رَسُولِ الدِّوَكُوفِرَالَ يُجَهِدُوالْمَوَالِدُ وَالْمُعَالِمُ وَالْمُولِدُونَ وَمَنْفَعُونَ فَاللَّهِ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَثَا أَوْكُواْ يَغْفَهُونَ فَي وَاللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَثَا أَلَاكُ وَلَيْكُونَ فَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِيهُ وَاللَّهُ وَلِيهُ وَاللَّهُ وَلْمُ وَاللَّهُ وَاللْمُولُولُواللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِمُولُولُوالْمُولِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنُواللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنُوالِمُوالِمُوالِمُوالِمُولِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللْمُوالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِلُولُوالْمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُمُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُولُمُ وَاللَّالِمُ وَ

مِنْهُمْ فَاسْتَنْدُوْكُ لِلْحُمُرِيعِ فَقُلْ لَنْ تَقْرَجُوا مَعِ أَبْدَاوَلَن فَيْنِوْا مِنْ مَدُوَّا إِلْكُرْرَضِيشْد بِالْقُمُودُ لِلْأَمْرُةُ وَفَاقْمُدُوا مِنْهَ لَلْنَالِينَ ۞ وَلَاشَتَلِ مَلَّ أَسْدِ مِنْهُمْ مَانَ أَبْدًا فَهُوا أَنْهُمْ كَشُرُوا بِالْقُورَسُولِهِ وَمَا أَوْلَهُمْ مَنْسِفُونَ ۞ وَلَا تَشْرَبُهُمْ وَلَوْلَنَدُهُمْ إِنْدَائِرِيدُ الْفَالْمُ مِنْكِرَجُمْ يَافِي الْلَّنِيَا وَتَرْفَقَ أَنْسُهُمْ وَقُمْ حَسَيْرُونَ ۞ .

القير أءات

قرأ جُمْهور القراء العشرة: [مَعِي أَبْداً] بِفَتْع باءِ المتكلّم.

وقرأ شعبة عن عاصم، وحمزةً والكسائي وخلف: [مَعِي أَبْدَأً] بإسكان الياء. والغراءتان وجهان لنطق ياء المتكلم عند العرس.

وقرأ جمهور القراء العشرة: [مَعِي عَدُوًّا] بإسْكَانِ ياء المتكلّم.

وقرأ حفصٌ فقط: (مَعِيَ عَلُوًّا] بفتح ياء المتكلُّم.

اشتملت هذه الآيات على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: تضمّن ببان ثـلاث ظـاهـرات من ظـواهـر المـــافقين النفسيــة، والسلوكية مع أحداث غزوة تبوك، وهي ظاهرات لم يُشبق الحديث عنها في السورة:

المظاهرة الأولى: أنّ المدين تُعدّوا عن الخروج إلى غزوة تبوك، يُمَدّ أن خرج الرسول والمؤمنون معه إليها، فرحوا بقعودهم، وفرحوا بمكان تمودهم الذي وجدوا في الظلّ والانسَ والامَّنَ والعيش الذي لا مشقة فيه، وفرحوا بزمان قصودهم إذّ كان الـزمان زمان حرَّ شديد، والمعريخ فيه أن يسكن الإنسان في مكانه المظليل، لا أن يخرج مجاهداً، ويعرَض نفسه لتحمُّل المشقّات.

الظاهرة الثانية: أنهم كرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

المظاهرة الشائشة: أنَّهم كمانـوا يُشِطُون من يـطمعـون في أن يستَجِب لهم من العسلمين أومن إخوانهم المنافقين، بقولهم لهم: لا تَشْجُرُوا في العرّ. وقد جاء بيان هذه الظواهر الثلاث في الأية (٨١).

الفصل الثاني: تُضَنَّ إتَّـدَار السَافقين بعداب مؤيَّل إلى بعوم الدين، وعداب معجل، جزاء تعلَّقهم عن واجب الجهاد الذي أُمِرُوا به في غزوة تبوك أَمْرُ إلزام لا أسر ندب، وجَزَّلة تشيطهم المسلمين عن الخروج.

فالجزاء المؤجَّل جاء بيانه في الأيتين: (٨١ _ ٨٣) والجزاء المعجَّل جماء بيانـه في الآية (٨٥).

القصل الثالث: تضمَّن توجِه تعليمات من الله لرسوله حوَّل ما يَبغي أن يقوله لهؤلاء المنافقين المتخلفين المشطين، وما يَبغي أن يعاملهم بـه، وما يَبغي أن تكون عليه مشاعره نحوهم.

والتعليمات الموجّهة للرّسول تعليمات موجّهةً لسائر المؤمنين. ولا سيما وُلاة أمورهم.

وقد جاء بيان هذه التعليمات في الأيات (٨٣ ــ ٨٤ ــ ٨٥).

التدبير

قول الله تعالى:

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلِّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾.

﴿فَيحَ﴾:

الفرحُ السُّرُور والابتهاج، وهو حالة نفسية من مشاعر السعادة، يُجِسُّ بها الإنسان في داخله، إذا حظي بما هو مجبوب لديه.

﴿ ٱلْمُخَلِّقُونَ ﴾:

أي: الْمُؤَخُّرُونَ في منازلهم وراء الخارجين إلى الجهاد في غزوة تُبُوك.

تقول: خلُّف فُلاَنُ خادِمَهُ في الدار وسافر، إذا أخَّرَهُ، أو جَعَلَهُ خُلُّفَهُ.

وسمَّاهُمُّ اللَّهُ ومُخَلَّفِينِ، باسم المفعول للذَّلالة على أن من تخلُّف عن خير عظيم

بإرادته فهــو في الحقيقة الْمُتَّـروك لا التَّادِك، والْمَهْجُـورُ لا الهَاجـر، وقد أدرك المنتبـي هذا المعنى بابداعاته الفكريَّة الأدبية فقال لممدوحه سيف الدولة:

إِذَا تَسَرُحُلُّتَ مَنْ قَسَوْمٍ وَقَسَدُ قَسَدُرُوا أَنَّ لَا تُفَسَارِقَهُمْ فَسَالسَرَاحِلُونَ مُسمُ

﴿يِمَقْعَدِهِمْ﴾:

الْمَقْمَدُ يُصْلُحُ أَن يكون مصدراً ميميّاً بمعنى الفعود، ويَصْلُحُ أَن يكون اسم مكانِ القمود، ويصلُح أن يكون اسم زمانِ القمود.

ويمكن حملةً هنا على هذه المعاني الثلاثة، إذ المنافقون قد فرحوا بقعودهم وعدم خروجهم إلى الغزرة، وفرحوا بمكان قعودهم الأبن الرُّحي الطالما، وفعرحوا بزمان قعودهم لأنّ الوقت قد كان شديد الحرّ، والخروج فيه للجهاد في سبيل الله عمل شاقً، فتخصيص زمن الحرّ بجمله زمن قعود المَّرْ يُغْرُحُ به المنافقون.

﴿خِلَكَ كَشُولِ ٱللَّهِ ﴾:

جَلَاف: يأتي بمعنى بَلْد، يقالُ: جاه جَلَاثُهُ، او تَفَدَ بَخِلاثُهُ، اي: بَلْمُه. ويأتي بمعنى المخالفة أي: المضادة يقال لغة: خالفَهُ مخالفَهُ وجِلاَفُلُ، إذا عمل عملاً صَدَّ عَمَله أو آمره، وهذان المعنيان يصلحان هنا، فالمنافقرن تَعَمَّدُوا بعد انصراف الرسول إلى غزوة تبوك فلم يلحقوا به، وعلى هذا تكون كلعة [جِلاَف] مَنْصُوبَةُ على الظرفية.

وهم أيضاً خالفوا الرسول في قوله وعمله، وعلى هذا تكون كلمة [خالاف] منصوبة على أنها حال، أي: فرح المخلّفون بمقعدهم مخالفين ومسول الله ، أو صقة لمفعول مطلق محدّف، أي: فرحوا بمقعدهم قصوداً خِلاَف رَسُول الله، وهما على تأويل المصدر بمشتق، أي: على تأويله باسم الفاعل.

هذه الظاهرة الاولى من ظواهـر المنافقين في بيانات هـذا النصّ، وهي فرحهم بالقمود وعدم الخروج مع الرسول إلى غزوة تبوك، وفرحهم بـأنهم تبكُّوا من مخالفة الرسول باصطناع المعاذير الكواذب.

قول الله تعالى:

﴿ وَكَرِيهُوٓ الَّانِ يُجَاهِدُ وَا بِأَمْوَ لِلِدِّ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

وهـذه هي الظاهرة التاتية من ظواهر المتافقين في بيـانـات هـذا التصّ، وهي كراهيتهم في نفوسهم أن يُحـاهدُوا في سبيل الله، سواء بـأسرالهم في إمـداد من يريـد الجهاد بنفسه، لكنّه لا يملك ما يُحبلُه، أو بـانفسهم بـالخـروج على نفقـة غيـرهم، أو بهما معاً.

كُوُّهُ الشيء: حالةً نفسيَّة من آثارها النُّفورُ منه والابتعادُ عنه.

فهؤلاء المخلِّفون المنافقون اجتمعت في نفوسهم وقلوبهم رذيلتان:

الأولى: قَرَحُهُمْ بأن يقعدوا في مكان طريِّ آمِنِ وزمانِ يَشَقُ فيه السفر، يَعَد خروج الرسول للجهاد في سبيل الله، وفرَّحُهم بأنَّهم آمِنُون من معاقبة الرسول لهم على مخالفتهم له، بتلفيق المعافير الكواذب، وقبول الرسول لهما معاملةً لهم بحسب ظاهر أحوالهم.

الثانية: كـراهيَّهُمْ أن يحاهـدوا في سبيل الله بـأموالهم وأنفـمهم معـاً، أو بواحـدٍ منهما لأنهم لا يؤمنون بجَدُوَى هذا الجهاد لكفرهم بالرسول ويوم الدين.

وهاتان الرذيلتان لا تجتمعان في قلب مؤمن صادق الإيمان.

قول الله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَا تُنفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ ﴾:

هذه مقالة نفر من المنافقين كانوا يثبطون الناس بها عن الخروج مع الـرسول 攤 في غزوة تبوك، كما سبق لدى استعراض ملخَص الغزوة.

وقد سبق شرح النفر لدى تدبّر الآية (٤١) من هذا النص من سورة (التوبة).

وسبق لدى استعراض ملخّص غزوة نبوك أنهـا قد كـانت في وقت شديـد الحرّ. وفي ظروف عسيرة صُعْبة .

قول الله تعالى:

﴿ قُلْنَارُجَهَنَّدَ أَشَدُّحَرًّا ﴾.

يُعلّم الله بهذا البيان الرَّسول وكُلُّ مؤمنٍ يَجِدُ مُنَاسبةً مُواتِيةً لِنَصْحِ الْمُعَلَّفِينَ عَن السَّعَلُ السَّعَلَيْ اللمَورَ مِه قد كان عزيمةً وامراً واجباً، باستتاء السَّال الأعذار المحقيقيّة، والإنْذار المحقيقيّة، والإنْذار المحقيقيّة، والنَّذار المحقيقيّة، والنَّذار المحقيقيّة، والنَّذار المحقيقيّة التي يستَجَقُ التصليب بها عصداة الله ورَسُولِه، يَعْولُ لهم مُلْكُراً وصُغُوفًا: فَارْجَهِتُم النّي يستَجِقُ التصليب بها عصداة الله ورَسُولِه، ويَسْتَجِقُ التعليميّة المُعلق اللهي أمروا أن يخراء معاهدين فيه، فلم يُقْعلُوا.

بعد هذا التعليم قال الله تعالى: ﴿ لَوَّ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۞﴾.

وَلَوْهَ هَنَا يُشَكِّنُ أَن يكونَ لِيهَانَ أَنَّ مَا جَاء بَعَدَهَا أَشَرُ مَحْيُوبٌ لِصَاحِبِ القَسَولِ مرغوبٌ فِيه والعرغوبُ فِيه إذا كنان بعيد العنسال كانت الرُّغبةُ فِيه تعنيًّا، قبال علماه العربية: تأتي ولوه للتعنيّ .

وعلى هذا فالله عزّ وجلّ يبيّن أنّه يحبُّ لهم في رحلة امتحانهم أن يفقهوا حقائق ما هم فيه، حتَّى يكون فِقْهُهُم دافعاً لهم لمطاعة الله ورسولـه، والتخلُص من الكفـر والنضاق، والقبام بـواجب الجهاد في سبيـل الله لإعلاء كلمـة الله، وتُشُرَة دينـه ونشـره وتبليغه للعالمين .

الفقه: الفَهُمُّ والغِطْنَة، ويُستَعمل للدلالة على العلم بيواطن الأسور وخفايناها، والبحثِ عنها للتوصّل إلى معرفتها، فهو أخصّ من مطلق العلم.

ويمكن أن تُكُون وَلَـوُّه هـَنا شـرطية، وعلى هـذا فجملة الشـرط هي: [كَـاتـوا يُفَقَهُون] أما جواب الشرط فَمَخَلُوف يُذَرُك بالدَّنِ تأثُّل في الكلام السـابق، والتقديـرُ: لَمَا كفروا وَلَمَا نافقوا، ولَمَا غَضَرًا.

قول الله تعالى:

﴿ فَلْبَضْ عَكُواْ فَلِيلًا وَلَيْبَكُوا كَثِيرًا جَزَآةً بِمَا كَانُواْبَكُسِبُونَ ۞ ﴾.

اللَّام في ﴿فَلْفُحْكُوا﴾ وفي ﴿وَلَنْبَكُوا﴾ هي لامُ الامر، ولكن لا يُروادُ من الأمْرِ التكليف هنا، فصيفة الامر هنا مستعملة في معنىُ غير طلب القيام بالضّحك والبكاء.

وبالتأثّل تُشرِكُ أنَّ الاَثْرَ فِي هِوَلْلَيْصَحُكُوا فِلْلِكُمْ لِلتَهْلِيدِ بِالسَدْابِ الذِي سينزل بهم فيجعَلُهُمْ يَتَكُونَ كثيراً، وفي هذه الجملة محذوف تقديره: فليضَحَكُوا النّوْمُ ضَجكاً فإيلاً اعتراراً بما هم فيه .

وندوك آيضاً أنَّ الأمرَّ في وَوَلَيْتُكُوا كَتِيراً هِي للَّهُمِيدِ أَيضاً بالعذاب الشديد الذي سينزل بهم فيجعلُهُمْ مضطرين إلى أن يَتُخوا كثيراً يسوم الدين، وفي هسفه الجملة محذوف تفديرُه: وَلَيْتُكُوا يُرْمُ الدين بكاءً كثيراً مَا يُنزل فيهم من عذاب جزاءُ بما كانوا في الحياة الذَيا يكسبون من شرَّ والم وتُخْرِ ونفاق.

ويُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هذه الجملة الناتية تَقْبِيراً عَمَا سَيْقَال بِشَانِهم يومُ الدُّين حينما يَتُكُونَ فِعلاً، وهُمْ فِي جَهِمْ يَمُذَّيُون جزاءٌ بما كانوا يُعْمَلُون في الحياة الدنيا، وصيغة الأمر على هذا تكون للتيثين من الخلاص، أي: مهما تابعوا بكامهم فلا خلاص لهم مما هو مقررُ لهم من عذاب على نقاقهم وتثبيطهم للمؤمنين عن الجهاد في سبيل الله.

قول الله تعالى لرسوله:

﴿ فَإِن زَجَعَكَ النَّهُ إِنَّ هَا آيَهُ فَو يَنهُمُ فَاسْتَغَدُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلُ لَنْ تَخْرِمُوا مِعِي أَبْدًا وَلَنْ تَقْتِلُوا مِعِي مَدَّقًا إِنْكُرُ رَمِيشَدِ إِلْقُمُودِ أَوْلَ مَرُوفًا فَشَدُوا مَعَ لَظَيْلِينَ ﴿ ۞

يقال لغةُ: رَجَعَ إلى بَلْبِهِ أَوْ قومه، إذا عَانَ، ويُقالُ: رَجَعُهُ اللَّهُ إِلَىٰ بَلْبِهِ أَوْ قَوْمِه، إذا أعاده، فالفعل يُستعمل لازماً ومُتعادياً.

﴿ إِلَّاطَأَ لِهَ فِي مِّنْهُمْ ﴾:

أي: إلى طائفةٍ من المنافقين، الطائفة: الجماعةُ والفِرْقَة، ويُطْلَقُ لفظ الـطائفة على الواحد فاكتر. وفي قوله تصالى: ﴿إِلَىٰ طَائِفَةِ مِنْهُمْ﴾ [شارةً إلى أنَّ بعض المنافقين المخلَّفِين عن غزوة تبوك سُتُدْرِكُه مُنِيَّتُه قبل أن يرجع الوسولﷺ من غزوة تبوك إلى المدينة.

وظاهر أنَّ هذه الآية نزلت على الرسول ﷺ أثناء صفره وقبل عودته من الغزوة.

في هذه الآية يُبيّن الله عزّ وجلّ لرسوله العمل الإداريّ والسياسيّ، الذي بينغي أن يعامل به المنافقين المخلّفين بأهذار كاذبات عن الخروج معه في غزوة تبوك، إذ أعاده الله إلى المدينة، وبقي في المدينة طائعة منهم، أي: ودعا المسلمين إلى الخروج لغزوة أخرى مجاهدين باموالهم وانفسهم.

ولمَّذَا كان أَجَلُّ الرَّسُول ﷺ قد اقترب، وقد علم الله أنَّ غزوة نبوك هي آخِرُ الغزوات التي يخرج فيها الرسول قائداً لهما بنفسه، جاء في الآية استعمال حرف الشموط وإنَّ، الذي يدخُلُ على الامر المستَبِّعَد وقوعُهُ، أو الذي لا يُرْجَىٰ رَقوعُهُ، فجملة الشرط هي كُلُّ الكلام المتقمدين رجوعه إلى طافقُ منهم ودعوتُه إلى خروج آخَرُ يكُونُ هو قبائده واستثنائهم أن يخرُجُوا معه، وهذا لم يحدُّثُ في الواقع.

أَسَا التَّصَرُف الإداري والسَّياسيُّ الذي أمر الله رسوله أنَّ يعاملهم بـه، وهو في الحقيقة أمرُّ أيضاً لخلفاء الرسول واثمة المسلمين من بمده، فيتلخَصُّ بعزلهم عزلُّ تامًاً عن جَيْشِ المُسْلمين، فلا يُلْدَعُرُنَ إلى الجهاد، ولا يُؤذَنُ لهم بنان يخرجوا مع جيشٍ مجاهدٍ في سبيل الله.

وهذا العزل شبية بعزل اللين عاصدوا الله بنُهُمْ قاتلين: لَيْن آتانا الله مِنْ فَشَلِهِ لَنَصَدُّهُمْ وَلَنَكُونَ مِنَ الصَّالحين، فلَمَّا آتاهُمَ الله من فَشَلِهِ وَاَغْنَاهُمْ بِخَلُوا، فَلَمْ يَشَذَلُوا مَا فرضَ اللَّهُ عليهم في أموالهم من زكات، فعزَلهم الرَّسُولُ عزلاً تلمَّ عَنْ مُشَارِكة جماعة المسلمين في صندوق الصدقات العامة، كما سبق بيانه لدى تدبُّر الآيات من العسلمين في صندوق الصدقات العامة، كما سبق بيانه لدى تدبُّر الآيات من

وكلُّ من الْمَنزُلِينَ هُـوَمَنْ قَبِيلِ الْمَنزُلِدِ الجزئِيِّ عن جمساعة المسلمين، في مجالات محدَّدة، توطعُّ لطردهم طرداً تأمَّا من جماعة المسلمين، إذا أضافوا إلى هـذه الكبائر أموراً أخرى أشباهها، ليُسَ لها في الأحكام حدودٌ شرعةٌ يُعاقبون بها. وفي توجيه قىرار عزلهم عن جيش المسلمين علّم الله رسىوله أن يقبول لهم أربع مقالات:

> المقالة الأولى: . \$ عبود اسر يرس

﴿ لَنَ تَغَرُّجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾:

أي: لَنْ تخرجوا مَعِي محاهدين مقاتلين في سبيل الله أبدأ.

المقالة الثانية:

﴿ وَلَن نُقَنظِلُوا مَعِي عَدُوًّا ﴾:

أي: ولَنْ أَسْمَحْ لَكُمْ بَأَنْ تُقَاتِلُوا معي عَدْوًا ابدأ ايضاً، ولَـوْ خوجتم بغير إذني،
 أو دَاهَمَ العُدُو مواقِعَنا دُونَ أن نخرج إليه غُزاةً.

وهذه هي المائة الثانية من مواذ قرار العزل، وهي ندلٌ على منعهم من العشاركة في القتال، على أيّة حال، ولو دون خروجهم مع جيش العبهاد المقاتل.

المقالة الثالثة -

﴿إِنَّكُوْرَضِيتُ مِ إِلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾:

في هذا القول بيان السبب الداعي إلى توجيه ماذّي العزل الأولى والثانية، وجاء التعبير هنا بأنهم وضُوا بالقعود عن الخروج للفتال مع الرسول في أوّل مرّة وجّه الرسول فيها أمراً إلزامياً بالخروج معه، بَعْدُ أن كانت الدعوات السابقات للخروج معه على سيل النُّلَب والتحريض، لا على سيل التكليف الإلزاميّ، وقد سيق أنَّ أبان الله أَنْهُمْ فَرِحُوا بِمقعدهم خِلاف رسول الله، وكُومُوا أنَّ يجاهدوا بأموالهم وأنضهم في سيل الله، فذلَّ على أنّ المراد من رضاهم بالقعود أوَّل مرَّة، هو ما يشمل فرحهم ، بمعدهم، وكراهيتهم أن يجاهدوا بأموالهم وأنضهم.

ولا شكَّ أنَّ هذه الحالة النفسِّة لهم تتنافي مع الإيمان، فهم بسبب ذلك

يستَجقُون العزل عن الجيش، والعوَّلُ عن مقاتلة أعداء الإسلام والمسلمين، لأنَّهم لا يَزِيدون المسلمين إلاَّ خَبالاً .

> المقالة الرابعة : . عود أ مروع . . .

﴿ فَأَقَمُدُوا مَعَ الْمَدَافِينَ ﴾ :

الخالفُ: يُطْلُقُ على العـاصي الكثير الخـلاف، ويطلق على الفـاسد من النـاس الذي لا خير فيه.

أي: وبما أنكم رضيتم بالقعود خلاف رسول الله، عند أوّل إلزام لكم بالخروج معه مجاهدين، ففرحتم بمفعدكم، وكرهتم أن تجاهدوا بالموالكم وأنفسكم، فالمُقدُوا مع العصاة الكثيري الخلاف، ومع الفاسدين من الناس المذين لا خير فيهم، وفي هلما إشعار لهم بأنهم قد شُفّ سُلوكُهُمْ عَنْ كُفْرِهم، فالفاسد الذي لا خير فيه يشرِجّح كنونه كافراً، بل هو كافر باطناً، ولو لم تعبلُ تصدُّواتُه إلى إدانته بالكفو ظاهراً وإقامة حدَّ الموتَّد عليه.

وهـــلـــه المقالــة من قرار المحرّل مادّة تـــوبيخ وتشــريع وتشهيــر بمـــا يُشــــرُ بمــرُلهـم وفضّلهم عن جماعة المسلمين في مجال الجهاد، الــذي هو مشــدٌمة لفصلهم وعــرُلهـم كلّياً عن جماعة المسلمين في كلّ المجالات.

. . .

قول الله تعالى لرسوله:

﴿ وَلَا تُصَارِعَكَ أَحَدِيثَهُم مَاتَ أَبَارُلَائَتُمْ عَلَ غَيْرِةً إِنَّهُمْ كَثَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَنَسِقُونَ ﴿ ﴾ .

هذا خطابُ للرّسُول إذْ قدْ أعلمه الله بالشخاص المنافقين يبومنيٍّا، ويُلْمَحُنُ بـه كلُّ من عرفَهُمْ أو عرف بعضاً منهم بإخبار الرسول، أو بدلائل الأمارات والعسلامات القـولية والفعليّة .

واشتمل هذا الخطاب على الإلزام بمعاملتهم بعد موتهم معاملة الكافرين الصُّرحاء، من قَبَلِ من عَلِمَ حالهم ولو بالدلائل التي تُقِيد عَلَيْة الظَّنَ، فكيْفَ بِمنْ عَلِمَ حَالُهُمْ يِقِيناً عن طريق الرحي، كالرُسُول ﷺ، وكحذيفة بن اليمان الـذي كان صـاحب سرٌ رسول اله ﷺ في المنافقين.

وقد سبق لدى تدبر الآية (٨٠) بيان سبب نزول هذه الآية (٨٤).

والبيان في هذه الآية اشتمل على تكليفين وعلى بيان السّبب لما جاء فيهما:

التكليف الأول: النُهيُّ عن الصلاة على أحد صات من المنافقين، فهياً أبديًا، والصلاة تُشَمَّل الصلاة ذات التكبيرات الأربح، التي يتخلُّها المدعاء للعيّت، ونشمل الدعاء له بالمنفرة والرحمة ولو في غير هذه الصلاة الخاصة، لأنَّ الدعماء يدخمل في عموم الصلاة لذة، فقال تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدِيِّنْهُم مَّاتَ أَبْدًا ﴾.

(لتكليف الشاني: النَّقِيُّ عن القيام على قبر أحدٍ من المستافقين، وهذا النهي يشمل الوقوف على قبره للدعاء له، والقيام بمهمّات دفته وإصلاح قبره، وهذان هما الاحتمالان اللّذان أوردهما المفسّرون، ورجّع بعضهم الأوّل، لأنَّ الرسول كان يقف على قبور المسلمين ويدعو لهم.

أقول أمّا الاحتمال الأوّل فيدخل في عموم التكليف الأول وهو النهي عن الصلاة عليه . إلاّ إذا حملنا الصلاة على الصلاة ذات التكبيرات المصروفة بالصلاة على الميت. وأمّا الاحتمال الثاني فيتنفي تخصيص النّفي بالرسول ﷺ، لأنّ الميت لا بدّ من دفته ، ولو كان كافراً صريح الكفر، فمن مات بين المسلمين ممّن ظاهره الإسلام، فالمسلمون مُفالَّرون بدئه مهما كان شأنه ، ولو كان منافقاً معلوم النفاق .

ولكن يوجد احتمال ثالث وهو القيام على قبر العنافق، بعضى العك صناه طويلاً، إذ المطلوبُ من المؤمن إذا مرّ على مقابر الكافرين أو زارها، أن لا يمكث عندها طويلاً، بل ينبقي أن يُشرِغ الخطو ويتجاوزها، لأنها مواطن موسوة بالنُّموس المعذّبة التي تنززًل عليها اللَّمنة من الله وملائكته، باستثناء أحوال خاصة كزيارة الرسول ﷺ لقبر آنه.

ولذلك لمَّا مرَّ الرسول ﷺ بالحجر (وهي مساكن ثمود) ومعه المسلمون في غزوة

تبوك، غَلَمَى وَجَهَةُ بثويه، واستحثّ راحلته لتُشرعَ، ثمّ قال: لا تـدخلوا بُيُوت الّـــــين ظلموا إلاّ وأنتم باكون، خُوفًا أنْ يُصِيبكُم مِثْلُ مَا أصابهم.

وقد جاء في اللغة استعمال وقامَ، بمعنى وَقَفَ وثَبَتَ فلم يَتقدَّمُ ولم يَتَأخُو، وهـذا المعنى هو أحد معانى هذا الفعل، فنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَطْلُمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾.

قال أهل اللُّغةِ والتفسير: قامُوا مُنسًا بِمعنَىٰ وَقَفُوا وَبُشُوا فِي مَكَانِهِمْ غَيْـرَ مُتَقَلَّعينَ وَلا مَتَاخَرِينَ.

وبعد بيان التكليفين أبان الله السبب لما جاء فيهما فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كُذُرُواْ مِا لِلْمُ وَرَسُولُونَ كُلَّ ﴾ .

كلامُ مستأنف في أسلوب اللفظي، ولكنّ إيراده عقب التكليفين السابقين، مع ملاحظة الروابط الفكريّة، وسوابقِ المفهـومات الشرآنية، يجملُة بقـوّة الكلام المقتـرن بأداة من أدوات التعليل.

فالسبب في توجيه الامر بعدم الصلاة على من سات منافقاً، وعدم القيام على قبره، كونُه كَفَر بالله ورسوله، واستمَرُ كَذَٰلِكَ طُوالَ حياته حَنَّى مات وهو فاستَى فسقاً من دركة الكفر، وقَمْدُ قضمَى الله بحكمته أن لا يَغْفِيرَ لمِنْ مات كنافراً، ولمو كان كُفُرُهُ مَنْ أخضًا دركات الكُفر، وهو الشرك.

الفسق: هــــــ العصيان والخروج عن الحقّ والواجب ولوامــــ الوقوهيه، وهــــ مصــطلح إسلامي، مـــاعوذ من قــــل العرب: فَـنـــقت السُّرطية إذا خــــرجت من قِـشـرتهــا، ومعلوم أنَّ الرطية متى خرجت من قشرتها تعرّضت للفساد الشريع .

وللفسق دركات، أخفهًا يكون بارتكاب السحومات، أو توك الواجبات مع سلامة الإيمان والإسلام، وأشدَّها وأخسُها يكون بالكُفْرِ بـالله ويما جـاء عن الله جحوداً وعنـاداً وإصراراً على الباطل وأثبًاع الهوى.

ويُحْمَلُ لفظ الفسق ومشتقات في النصوص على الـدُّركة الَّتي تقتضيهـا القرائن، من سوابق الكلام ولواحقه .

فقـــد تقتضي القــرائن أن يكــون المــراد من الفسق في النصّ المعــاصي التي

لا تنقُض الإيمان والإسلام، نيُحْمَلُ عليها.

وقمد تقتضي القرائن أن يكون العراد من الفحق في النصّ المعاصي من دركة الكثر، فيكون مساويًا للكتر عندثذ، وأكثر ما استعملت هذه الصادة في القرآن للذّلالة على الفسق منَّ ذَرَكة الكفر.

قول الله لرسوله ويُلْخن به المؤمنون:

﴿وَلَا تَشْجِنَكَ أَمُولَكُمْ وَأَوْلَدُهُمْ إِلَكَا كُوبِذُالْقُالَ يُفَوْمَهُم بِهَا فِي الدُّنِكَ وَتَرْهَقَ أَنْسُهُمْ وَهُمْ كَيْرُونَ ۞﴾.

سبق ثمبيه همذه الآية منع اختلاف في بعض ألفاظها، وهي الآية (٥٥) من السُّورة، وهي قوله تعالى فيها:

﴿ فَلَا تُعْجِنَكَ أَمُونُكُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ إِنْسَارُوِيدُ الصَّلِيَةِ بَهُم بِهَا فِي الْحَيَوْوَ الدُّنِيَا وَزَّمْوَ أَشْهُمْ مُوهُمَّ كَغِرُونَ ﴿ ﴾ .

وقد سبق أن تدبّرنا هذه الآية على قَدْرِنا، ويَحْسُنُ بِنَا هنا أن نبحث عن الغـرض من إعادة الفكرة التي اشتملت عليها الآيتان، وأن نندبّر دلالات الفروق اللفظيّة بينهما.

لا يُحْسِنُ أن أعيد هنا ما سبق شرحه وبيانـه وتفصيلُه هَنَك، بــل ينبغي أن اقتصر هنا على ما يمكن إضافته إلى ما سبق.

يبدو للمتديّر أنَّ الآيات لمَّا بدأت تنزل في سورة (النوية) تباعاً بشان العنافقين، الأمر الذي يُشعر بأنَّ الشوجُّه الرَّيَّامِي قد أَغَذْ في سياسة كشفهم وفضَّحهم، تمهيداً لعزلهم عن المجتمع الإسلامي، تحرّكت نفوس المؤمنين ضاظرةً نظرات إعجابٍ بأمرالهم وأولادهم، أي: إذا كان أمرهم كذلك، فَلِمْ يُسْلِّمُمُ اللَّهُ بالأموال والأولاد؟

فَانزل الله عزَّ وجلَّ عقب تحرُّك النفوس بهذه المشاعر قوله خطاباً لرسوله:

﴿ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَلُهُمْ وَلَا أَوْلَندُهُمْ ﴾.

فجعل الخطاب مبدوءاً بحرف العطف (الضاء) الَّتِي تدلُّ على الترتيب مع

التعقيب، ووجَّه الخطاب للرسول، وهو خطابٌ لكلَّ مؤمن حصل لديه هذا الشعور، وجاه الخطاب على طريقة الخطاب الإفراديّ ليكون أوقع في نفس من تحرّك لديمه هذا الشعور المصحوب بالتساؤل.

ولمّا كانت نظرات المعجبين تتّجه مرّة لأموال المنافقين، ومرّةٌ أخــرى لأولادهم، جاء فيها إعادة حرف النفي (لا) فقال تعالى:

﴿ فَلا تُعْجِبُكَ أَمْوَلُهُم وَلا آولندُهُمْ ﴾.

وجاء في هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَلِيَنْدَيْهُمْ بِهِائِهِ بِرْضَافَة اللَّامِ الجبارَة، للدلالة على أنَّ مفعول إِيُّرِيكُمْ محذوف، والحذف يقتضي إرادة أشياء كثيرة مختلفة برينُحا الله عزَّ وجلُّ، كمتاعب جمع الأموال، ومناعب حمايتها وحفظها، ومناعب الخوف عليها، وآلام تعرُّضها للمثالف والخسارات، وتسلَّله أصحاب المطلمع عليها، إلى غير ذلك، وكمناعب عقوق الأولاد، وأمراضهم، ومشاكلهم الكثيرة، وموت من يموت منهم.

وجاه في هذه الآية قولُه نمالى: ﴿ فِي الْحَيَاةِ اللَّمَايَا﴾ مُصَرِّحاً فيها بلفظ الحياة، للنصّ على أنَّ تعذيبهم يكون وهم أحياه في هذه الدنيا قبل الرحيل عنها بـالموت، والدخول في أول منازل الأخرة.

وتتابعت بعد هذه الآية الأبياتُ تتنزّل بشيان المنافقين، فضيحةً وإنذاراً وتهديداً وتوبيخاً [في سورة (التوبة)] وظلت بعض نفوس المؤمنين تتحرك ناظرةً إلى المنافقين نظرات إعجاب بأموالهم وأولادهم، فدعا هذا إلى إنزال الآية (٨٥)، وقال الله تصالى فيها:

﴿ وَلَا تُعْجِبُكَ أَمُوا أَكُمْ وَأَوْلَنَدُهُمْ ﴾

فلم يجعلها مبدوةة بالفاء، بل بحرف العطف (الوائ لأنَّ النهي هنا قد جاء تأكيداً للنهي الأول، ما دام بعض المؤمنين لم يصرفوا عن أنفسهم هـذا الإعجاب، اقتناعاً بما دلّت عليه الآية السابقة.

ولم يئت في هذه الأية الثانية إعادة حرف العطف (لا) بجانب الأولاد، لأنّ حال المخاطبين قد وصل نظرهم إلى الإعجاب بأموال بعض المنافين وأولادهم مماً في وقت واحد، فاستدع هذا الحال أنّ يكون الأداء البيانيُّ مطابقاً له. ولمًا أصَرِّ المعنِّدونِ من المنافقين على موافقهم المنادية، ويقي في الظنورُ أنَّ التعذيب بالمرادات المختلفات التي ترافق جمع الأموال وحفظها، وترافق تعرية الأولاد وتتشتهم، قد لا يُستَّبِّعُ التعذيب إعمان الأموال واشخاص الأولاد التي يُبدُّ اللَّهُ المنافقين بها، قال الله تعالى في الآية اللاحقة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبُهُم بِهَا فِي الدُّنْيَ ا ﴾:

أي: يُرِيدُ تَعَدِينِهُمْ بها، فتكامل النَّصَان، إذْ ذَلَ السابق على تعذيهم باشياء كثيرة مرافقة لجمع الأموال وحفظها، وتربية الأولاد وتنشئتهم، وذَلَ النصَّ اللاحق على تعذيهم بأعيان الأموال وأشخاص الأولاد.

وحُذِف من النصّ اللاحق لفظ (الحياة) استغناءٌ بما جاء في النصّ السابق.

وهكذا تكشّفت لنا فروق الدّلالات، وظهر لنا الغرض من إعادة فكرة النصّ، مع ما اشتمل عليه النصّ اللّاحقُ من إضافات، والحمد لله على فنحه وتوفيقه.

لَمَا تَدَبُّرُ بِقِيَةَ مَا جَاءَ في الآبَةِ اللَّاحِقَةَ فهو مطابقُ لما جَاءَ في الآبةِ السابقة، فَلْرَّجُعُ إِلَيْهِ.

قولُ الله عزّ وجلّ:

﴿ وَإِنَّا أَنْزِكَ سُورَةً أَنَّ مَا شَوَا مِاللَّهِ وَجَهْ لُمُواعَ رَسُولُهِ اسْتَقَدُفُكُ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَكَالُوا ذَنَا مَكُنُ ثَمَّ الْقَدُونِينَ ۞ مَشُوا مِنْ يَكُونُوا مَا الْحَوَالِفِ وَعُلِيعَ عَلَى الْمُوجِمَ وَهُوْ لَا يَقْمَعُونَ صَهَا لَكِيَّ الْمُرْفُلُ وَالَّذِينَ عَمْنُ الْمُفْلِمُنَ ۞ أَمَنُ اللَّهُ لُمُمْ جَنَّدَتِ جَنِّى مِن عَنِّى الْأَنْفَرُ خَدَلِينَ فِيهَا ۚ وَلَوْتَكِلَهُمُ الْمُفْلِمُنَ ۞ أَمَنُ اللَّهُ مُنْمَ جَنَّدَتِ جَنِّى عَنْهَا الْأَنْفَرُ خَدَلِينَ فِيهَا ۚ وَلَوْتَكِلَهُمُ النَّمْ لِلْمُؤْتَلِقِيمُ اللَّهِ الْمُقَالِمُ مَنَ الأَعْرَابِ لِيُوْدَعَ مُنْهَمُ وَمَنْدَا الْيَوْكُونُهُمْ اللَّهِ وَلَمُولِمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

قرأ جمهور الفراه العشرة: [المُمْ لُرُونَ) بفتح العين وتشديد المذال
 المكسورة.

وقرأ يعقوب ففط: [الْمُمَّذِرُونَ] بإسكان العين وكسر الذال من غير تشديد.

الْمُمْفِرُون: بإسكان العين وتخفيف الذال، هم الـذين يُعْتَذِرون وهم صــادقون، فالْمُمْفِرُ هو الذي له عذر في الحقيقة وواقع الأمر.

فبين القرامتين تكامل فكري، لأنَّ الـذين اعتذروا من الأعـراب عن الخروج مـع الرَّسول ﷺ في غزوة تبوك كانوا فريقين:

المفريق الأوّل: الذين اعتذروا عن الخروج كساذيين، فيل: ومنهم نفسر من بني عامر، قوم عامر بن الطّنيل، وينطبق عليهم عنوانُّ والْمَعَلَّدِين، يتشديد الـذال وفتح العين.

القمريق الشاني: الدُنين اعتـذـووا عن الخـروج صـادقين، قيـل: ومنهم نضر من بني غفار، وينطبق عليهم عنوان والمُمَّذِرين؛ بتخفيف الذال وإسكان العين.

- - -

موضوع هذه الأيات

يُعلَم الله عمرُ وجلَّ رسوله وسائر العؤمنين في هـذه الايات مع لـواحق لها في السورة طريقة الحكم على أحوال الناس المستقبليَّة، بالاستناد إلى تجربهم في العاضي، وأخَّةِ ذلك بالملاحظة والاعتبار لذى إعداد عطط الأعمال الْمُؤْمَمِ اللهَامُ بها في المستقبل.

فالمنافقون من شأنهم إذا أنزلت سورةً تدعو إلى صدق الإيمان بالله والجهلا مع رسوله بالأموال والانفس، استأذن الشادرون على الجهلا، وتعالوا لمرسول أزلوليًّ الأمر من بعده: دَرِّنَا نَكُنَّ مع الشاعدين، هـذا في أحسن أحوالهم، أو تخلّفوا دون استئذان، أو كانوا مثبطين داعين إلى التخلّف، كالذين سيقُ أن قبالوا: لا تنضروا في الحرِّ، وتجاربُ العاضي التي حدثت بعد الأمر بالخروج إلى غزوة تبوك تدلُّ على ألهم سيكونون كذلك في المستقبل، فعَلَى الرسول وكذا على إسام المسلمين من بَعْدِه أنْ يضَعَ هذه التجربة في اعتباره لدى إعداد خطط المستقبل، فلا يُسْتَجل فيسَّن قويّه التي يضَمُّها في حسابه أشخاص المستافقين ولا قُواهم المسائية وغَيْرُها، لأنَّ المستافقين إنَّ لم يكونوا قُومٌ سائيةً تُعْدَلُ لحسابِ الأعداءِ فَهُمَّ قُومٌ مُعْمَلَةً سَاتَةً لا تَعْدَلُ.

أمّا الرُسُول والمؤمنون الصادقون فقد أثبتت التجربة أنهم جاهدوا فعلاً بأموالهم وأنفسهم، ولم يتخلّف منهم إلاّ ذوو الاعدار الحقيقية، كالصاجزين في أجسامهم، وكالذين لم يجدوا ما يُخبِلُهم في رحلتهم الجهاديّة، ولم يوجد فيهم إلاّ فَقَة قليلة تخلّفوا تكاسلاً وتسويفاً، ولمّا نساتهم شَرْفُ المشاوكة كُبِرَ عليهم الأمرُ وَنَسِهموا، وحين سئلوا عن سبب تخلّفهم اعترفوا بذنبوهم، واستَغْفَروا رئهم، وتَأتِوا، فَعَاب الله عليهم، فهؤلاء هم الذين يوضعون في الحساب، لدى إعداد الخطط المستقبلية الجهاديّة.

هذا الدرس التُمليمي من هذه السورة دُرَّسُ يضَمَّبُ اكتشافٌ موضوعه، لكن مَنْ تديَّرُهُ منذ بدايت تذيَّراً دقيقاً، ولاخظَ حَرَّف الشرط (إذا) الذي في آوله الصوضوع لعما يُسْتَقَبِّلُ من الزمن، واكتشف المعلويات خلاله، وأَسْفَفْتُهُ معونة الله وتوفيقه استطاع ان يُمْوِلُه موضوعه على ما سبق بيانه.

التديير

﴿ وَإِنَّا أَذِلْتَ سُرَدُاً أَنَّ مَا يَنُواْ بِاللَّهِ وَجَنِهِ لُواحَ رَسُولِهِ اَسْتَقَدُكَ أَوْلُوا الطّولِيدَ لُهُمْ وَكَالُوا ذَرُنَا شَكُنُ تَعَالَمَتُوبِينَ ۞ ﴾:

> الطُّولُ في اللُّفَةِ: الْفِئَىٰ والْيَسَارُ والسُّمَّةُ والْقُدْرَةُ والفَضْلُ والمُمُلُّرَ. ﴿ ذَرُنَا﴾:

لى: أتَرُكَأً، مُضَارِعُهُ وَيَقُرُهِ، أمَّا ماضي هذا الفعل ومصدوَّ، فقد أمانهما العرب، وهمه: وَوَقَرْ رَدُّراً وَرَدُلُك لا يُسْتَعَمَّلُ منه أسمُّ الفاصل، فعلا يُقَال: وواذره يمعنى: تارك، واستغزا بفعل نَزْكَ تَرَكُ فَهو تارك.

﴿ مَّعَ ٱلْقَدْعِدِينَ ﴾:

أي: مع الَّذِينَ يُؤَدِّدُ لِهم بِان يُقْصَدُوا في بِلَدِهم، أو مَنازِلِهمْ ولا يَحْرُجُوا لِقَسَال. المدُّو، لِمُجْرِهمٌ عن القيام بمهمّات النسال، كَـذَوي العـاهَـاتِ والعـرضَى والمُجَرة والصّغار.

والمعنى: سَنِقُ الْ عَرْضَنَا الظواهر السلوكية للمنافقين لمدى أقرف بما مُحَمَّدُ لهم إِنْ إِلَيْهِ بِالْخُرْدِجِ إِلَى خَرْوَة بَوْك، فكانَ منهم من اعتقر كافياً، وكان منهم من تخلُف قُونُ أَن يَشْفَيْر، وهو في الحقيقة قايرٌ لا عُفْرَ له، وكنان منهم مُبِّعُونُ عن الخروج مَعْفَ، فَخُدُ عِبْرَةً من تَجْرِيقِكَ لَهُمْ فيما مضى، وقِسْ عليه مُستَجِعاً مَا سَيُكُونُ مِنْهُمْ في المستقبل، فإذًا أَنْزِلَتُ سُورَةً من رَبِّكَ تَاسُرُهُمْ الراَ مِباشراً صَرِيحاً، أَنْ ابشوا الله، إيماناً صدادةًا، ويخلُفوه ما لذيكُمْ من قَدْرَةً على الجهاد بانفسكم، ويتسار في أموالكم، والْقَبِكُمْ في حُدُود ما لَمَنِكُمْ من قَدْرَةً على الجهاد، وانهم ذُور المكانة العالية فهم، فاستَّاذُنُوك، أي: طلبوا أن تأذن لهم في أن لا يخرجوا مع المقاتلين، مع صريح ولما كُنْتُ لا تأذُنُ لهم بمخالفة أشر الله الموجّع القاورين، فإنَّك مَنْقَلَمُ عِنْدُومُون بقرائع باطلة، ويعتفرون بأعذار كاذبة، التأذن لهم بمختمى هذه الأعذار كاذبة، التأذن لهم بمنتضى هذه الأعذار كاذبة، التأذن لهم بمنتضى هذه الأعذار كاذبة، التأذن لهم بمنافقهم الله أن بغرائع معتضى هذه الأعذار كادل، الفاعلين أولي الضرر الدين لم يكلفهم الله أن بخرجوا مقاتلين، دل على هذا قوله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَدَعِدِينَ ﴾:

هكذا يُصَوِّرون قضيَّتُهُمْ فيما يُلَفِّقُونَ منْ أَعْذَار.

قول الله تعالى:

﴿رَشُوا بِأَنْ بَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُلِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُدَ لَا يَفْقَهُونَ ۞﴾.

الْحَوْالِفُ: جَمْعُ خالِفَة، وهي العرأة التي تَخُلُفُ الرَّجَلَ في القعود، في البيت، ولا تخرج للفتال.

أي: إنّهم يطلبون بمقتضى ما يَلْفُقُون من أعدادٍ كاذبة أن يكونوا مع القاطدين من الرجال أهل الأعدار، لكنّهم في الحقيقة يُرْضُون بأن يكونوا مع النّساء الخوالفِ للرّجال في البيوت.

وفي هذا التعبير ترجيه إهمانة لهم بأنهم رجالٌ في الصورة، لكنّهُمْ في الدقيقة يحكم النساء جُنْناً، وتهرّباً بن الواجبات التي يتحمّل أمياءها الرّجال، والنّم يَرْضُونَ بأن تُلْصَقَ بهم هذه الصّفة التي تنافي كونهم ذوي رفعةٍ في قومهم، ولاّ يُعَرِّضُوا أنفسهم لما يكرهون من جهادٍ بأموالهم وأنفسهم

ومعلوم أنّ أهْلَ الجاهلية كانوا برون من العهانة أن يُوضف الرُجُــل منهم بأنّـه في الحرب مع الخوالف من النّساء.

ومع هذه المهانة في طبيعة نفوسهم يتوجّدُ في قلوبهم داءٌ آخَـرُ، دلُ عليه قبولُه الّيٰ:

﴿ وَتُطْمِعَ عَلَىٰ قُلُونِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْغَهُوكَ ﴾.

الطبئع في الماذيات الملموسة كالختم، وكان من عادة المملوك وغيرهم إذا أوسلوا رسائل، وأوادوا المحنافظة على سرّيّة ما فيها أنفلوهما بإحكام، ووضعوا عند مكان إفغالها طبئاً خاصاً يطلعون عليه خاتمهم الخاصّ بهم، فيجفُ الطبن ومثال الخاتم عليه مطبوع، فلا يمكن معرفة ما في داخل الرسالة إلا بكسر خاتم الطين.

وعلى سبيل التوسع في التعبير بنقل ما هو للمادَّيَّات للمعنوبات جاء في القرآن

المجيـد التعبير بـالطُبُـع وبالختم على القلوب، للذّلالة على أنّها مقفلة محجـوبـة عن إدراك أيّ شيء يتعلّق بما هي محجوبة عنه .

وطُنِّمُ الله على القلوب لا يكون بصورة ابتدائية جُبرِيَّة، ولكن يكون نتيجة ما يكسبه العبد بإرادته من أعمال ظاهرة وباطنة يتولَّد عنها بمقتضى سُنَّة اللَّهِ في قوانين الأسباب والمسبَّبات الشابّة السُّلِّمُ، وقوانين الأسباب والمسبَّبات إنما تتحقّق نتىالجها بخلُّق الله، فهى من أفعاله سبحانه.

فَمَشَى ﴿وَمُلِمَ عَلَىٰ فَلُوبِهِمْ﴾: وكانَ من نتيجة كفرهم وتولَيهم عن ايــات الله البيّنــات، وعن الاستجابة الصادفة لدعوة الحقّ، أن جرنَّ سُنَّةُ اللّهِ فيهم، فَـأَلْفِلُتُ فَلُوبُهُمْ إِنْفَالاً كَامَلاً، وطُمِعَ على مذه الافغال إيذاناً بأنَّها غيَّرُ مُسْتِمَثُو لأَنْ تُقْتَع.

وبِما أَنَّ قُلُوبَهُم أُقْفَلَتُ هذا الإقفالَ وطُبِغَ عليها:

﴿فَهُدُ لَابَقَتْهُونَ﴾:

أي: لا يفهمون فهماً دقيقاً حقائق الأمور، ويُشَرُّون الأمور تفسيرات سطحيًّة بعيمةً عن حقائقها الدفخية عليهم، التي تقمع دلائلها وأماراتها من وراء السُّطوع، والسّب في ذلك أنهم لم يؤمنوا باله ورسوله وآباته إيماناً صحيحاً، فتتوقفت أفهامهم عند الظراهر السبيّة، فلا يعلمون إلاّ ظاهراً من الحياة الدّنيا.

قول الله تعالى:

ولتكيالرَّمُولُ وَالَّذِيكَ مَامُواْمَعُهُ جَعَهُدُوا إِثَّنَولِيةٍ وَاَنْفُسِهِمْ وَاَلْتِهِكَ المُهُالمُنَذِّرَثِّ وَالْوَلِيكَ هُمُ المُعْلِمُونَ ۞ اَعَذَاللَّهُ لَمُهَ جَنَّتَ بِجَنِّى، مِن تَغَيَّمَ الأَنْهَرُ خَلِيرِينَفِهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَلِيمُ۞.

أي: لَكِنْ دَلْتُ التَجارِبُ السَّابقة على أنَّ الرُّسول والَّذِينَ آمُنُوا مِمه جَاهدوا فعللُّ بأموالهم وأنفسهم، وهذه التَجارِبُ السَابقة تدلُّ على أنهم إذا أنزلَّتْ سـورة من عند الله تأمُّرُ بالجهاد لم يَتُوَانُوا وَلَمْ يَتَحَلَّمُوا، بل يُسَارعون إلى مـوضاة الله وطاعته بـالجهاد في سبيله. فالمعنى: لَكِنَ الرَّسُولُ والذين اشَّوا معه إيماناً صادقاً جاهدا فيما سبق بأموالهم وأنفسهم، وسيجـاهـدون فيمـا يـاتي طـاعـةُ ش، وأولئـك لهم الخيـرات، وأولئـكُ هُمُّ المُشْلحون.

الْغَيْرَاتُ: جمع وخُيْرَة، وهي الفاضلة من كلّ شيء، ويقال لغة: الرّزَأَةُ خَيْرَةً، أي: جميلة حسنة، كريمة النسب، شريقة الحسب، كثيرة العال، إذا ولَذتُ أنجبت.

الْمُفْلِحُون: أي الظافرون بما يُجبُّون وبما يريدون وبما يشتهون.

إنّ الله عزّ وجلّ يُخبّرُ خَبْراً عَمَّا سِكُون للمؤمنين الصادقين المجاهدين بأسوالهم وانفسهم، من أنّ الْخَبْرَاتِ سَتَكُونُ متحقّفةً لهم، وأنّهم سيكونـون هم الْمَخْصُــوصين بالفلاح الأنجرِ.

وهـذا الخبـر من الله عمّـا سبكـون لهم يُـدُلُّ بـاللَّزوم المعلميُّ على وحـد الله لهم بذلك، لأنَّ احداً غَيْرَ الله عزَّ وجل لا يُشلِكُ أن يُسحَقِّن لهم الخبرات في الدنبا والآخرة، والشَّفَر الأَثْمِر بما يُحبُّرن ويريدون ويَشْتَهُون في جنّابِ النجم يوم الدّين.

وذكر اللَّهُ عَزْ وجـلَ المكان الـذي يُعَقَّقُ لهم فيه العظَ الأكْبـر من هـذا الـوعـد الكريم بالخيرات والفلاح الأعظم الذي يخصُمُهم به، فقال تعالى:

﴿ أَعَدَّالُمَّهُ لَمُنْمَ جَنَّتِ بَعُرِى مِن غَنِهَا الْأَنْهَ كُرُحَنِا بِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمَظِيمُ ﴿ ﴾ . أُفذ: يعال لَفَةً: اعْدُ الشيءَ إِذَا مِيَّاهُ رَجْهُزهُ .

الْفَوْدُ: الظَّفَرُ ــ النجاةُ من الشَّرَ ــ الرَّبُعُ . وكُلُّ هذه المعاني صــالحة هـنـا. وقد صبق تدبُّر مثل هذه الآية عدّة مرَات .

قول الله تعالى:

وَهَا ٱلْمُدَوْدُونَ مِنَ الْأَمْرَابِ لِيُؤَدِّنَ لَكُمْ وَمَدَالَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولُهُ سَيْصِيتُ الَّذِينَ كَمُواْمِنْهُمْ مَذَاتُ الِيهُ ﴿ ﴾. سبق أنَّ عرفنا انَّ الْمُعَلَّدِينَ هم الذين يُخْلِقُـون الأعذار كـاذبين، وأنَّ الْمُعَلِّدِين هم الذين يُعَلِّرُونَ صَاوِتِين.

وقد كان في الذين قَلَّمُوا اعْبَدَارُهُمْ عن الخروج مع الرسول في غزوة تبوك مُعَدُّرُون كاذبون، وكان هؤلاء من المنافقين وكان فيهم مُفْلِرُونَ صادقون في أعذارهم، وكنان هؤلاء من المؤمنين الصنادقين، فجنامت القراءتنان للدلالة على وجنود هذين الفريقين من الأهراب.

أصراب: اسم جنس جمعي، من الذي يفـرق بينه وبين واحـده باليــاء فيقال في مفرده أعرابـي، والأعراب سكان البادية.

الْقِسْمُ الْأَوْلُ: مُعَلِّدُون، أَيُّ: مُعْتَلِدُون كاذبون، وفق قراءة التشديد.

المِقِسْمُ الثاني: مُعْذِرُون، أي: مُعْتَذِرُونَ صَادِقون، وفق قراءة التخفيف.

الغِسْمُ الشالث: قاعِدُونَ مُتَخَلَّفُونَ دُونَ أَنْ يُعَشَّذِروا، وهم منافقون كَـلَبُـوا الله ورسُوله، في ادّعاه أنَّهُمْ مؤمنون مسلمون.

وسكت النصل عن قسم رابع محتمل الرجيود، وهم قساعدون متخلّفون من الاعراب تهاونًا ركسلاً مع أنهم مؤمنون صادقون غير منافقين، ولرى أنَّ سكوت النصّ عن هذا القسم قد كان لإمكان استخراجه بالتأمل، وبالقياس على الثلاثـة الذين خُلَّفُـوا من أهلِ المدينة.

هذه التجربة السابقة للأعراب من أهل البادية يُستَفاد منها لذَى التخطيط مستقبـلًا للقيام بغزوات.

وأخبر الله عزّ وجلً أنّ المنافقين الكافرين باطناً من الْمُعَلَّدِينَ والقاعدين سيُجسيُهم عذابُ ألِيم، وهذا الخبر من الله يَعلُنُ بِاللّزُومِ العقلي على وَجِبدِ اللّهِ لَهُمْ بذلك، وهذا العذاب الآلِيم يُعَدِّبُونَ بِه في دار العذاب يوم الدّين، وريّمنا قبل ذلك أيضاً، كأنواع عذابٍ في الموقف، وفي البرزخ، وفي الدنيا، فقال تعالى:

﴿ سَبُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ ۞ ﴾.

قول الله عزّ وجلً:

﴿ لِنُسَ عَلَى الشَّمَعَ الْمَ الْمَ الْمَرْضَ وَلاَ عَلَى الَّذِيبَ لَا يَصِدُونَ عَايَنْوَفُونَ حَجُّ إِذَا نَصَحُوالِهُ وَرَسُولِهُ مَا عَلَى الشَّمْدِينِ مِن سَيْدِيلُ وَاللَّهُ عَنْوُرْتَحِيدٌ ﴿ ۞ وَلاَ عَلَى الْفِيسِ إِذَا مَا الْوَقَدِ السَّمِيلُمُ مُنْ أَلْكَ كَالْمِيدُ مَا الْحَيْلُ كُمْ عَلَيْهِ وَلَوْ أَعْبُمُهُمُ تَفِيمِنُ مِنَ الذَّعْ كَنْهُ أَخْدِيلُهُ مَنْ وَاللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُؤْلِقُ عَلَى اللَّهُ عَمَا اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُولِ عَلَى الْعَلِي عَلَى الْمُعَلِي عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى الْعَلَى ا

موضوع هذه الأيات

يُبيّن الله عزّ وجلّ في هـ لمه الايات بـالوصف العـامُ أمل الاعــفار الّدِينَ لاَ حَــزَج عليهم في ترك الخروج إلى القتــال في سبيل الله، ويُبيّن أيضاً الذين لا عُــذَرَ لهم فهم عصـــةُ في تخلّفهم عن الخروج إذا أُبــرُوا به أشرَ إلزام وإيجــاب، لا مُنجَرَدَ أشر ترغيبٍ وندب.

إنّ الحديث عن المنافقين الدنين يعتذرون كدنيين عن الخروج إلى القتال قبل انطلاق الجيش، أو يُتَخلُفُون دون اعتدائي، ثمّ يعتذرون بعد عودة الجيش، والحديث أيضاً عن المؤمنين الدين يتخلُفون بأعذار حقيقية، استَدْعَى الإنباغ بأياتٍ يَصِفُ الله فيها أهل الأعذار المحليقية، ويُشير فيها إلى صفات الذين ليس لهم أعذار حقيقية.

التنبئر

قول الله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّمَعَكَ آءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِيبَ لَا يَعِيدُونِ مَا يُنِغُونِ حَجَّ إِذَا نَصْحُوا لِقَوَ وَرَسُولِلِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِيدِينِ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَنْفُوْزَ رَحِيدٌ ۞﴾.

﴿ ٱلضُّعَفَىٰٓ اَهِ ﴾:

هم الذين لا قدرة لهم على الفتال، ومعانة الإسفار والأعسال الشاقحة، ومفاوّمة الاحداث الجسّام التي يُقاومُها الرجال الاصحّاء عادةً. مشل: النساء، والولدان، والمعزة من الرجال كالمُمْمي والمُمْرج وأصحاب العاهات الـدائمة، والأمراض المقعدة العزمة.

﴿ ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ :

هم أصحاب الأمراض العارضة الطارثة.

﴿حَرَجُ ﴾:

الْحَرَّجُ في اللَّغة: الإِنْمُ والضَّينُ، وقال الرَّجَاج: هـو أَضْيَقُ الضَّيق، وأصل الحرج في اللَّغة الموضع الكثير الشجر الذي لا نُصِلُ إليه الراعية لضيق مداخله.

﴿ إِذَا نَصَحُواْ إِلَّهِ وَرَسُولِهِ . ﴾:

لي: خلصَتْ فَلُويُهُمْ مِن النَّمَاق، وعوارض أمراض المعصية باعتماد أَصْدَادٍ لا تكفي للتخلّف عن واجب الجهاد في سبيل الله، وخلصَتْ فَلويْهُم للَّهِ ورَسُولِيهِ مِن شوائب الهوى والشكّ والارتياب.

يقال لغة: نَصْخَ الرجلُ، أو نَصَحَ قلُهِ إذا خَلَصَ عَلَمُهُ مِن الْبَشَ، ويقال: نَصْحَ فلانٌ فُلانًا، ونصَحَ له، إذا وجَّه لَهُ مشورة أو رأياً، أو قلّمَ له شيئاً ما أو عملًا ما خالصاً من الفشّ.

فالنَّصح في الإيمان خلوصُه من الشرك، والنُّصْح في العمل الديني خلوصُـه من

الشرق والرياه، والتُصْغُ لله وَرَسُولِهِ خلوصُ الإيمنان والنَّهُ والعمل من الشوائب التي تُتافي مرضاة الله تعالى، وطاعةً الله ورسوله في أوامرهما وتواهيهما، وإحلاصُ الولاء للرسول، وموالاتُه من والاه ومعاداة من عاداه، واجتنابُ كلّ السرِّ فيه معاونة أو مناصرة لأهل الكفر والشرك والنفاق.

فالمعنى: لا إِثْمَ ولاَ تَشْبِيقَ على الَّذِينَ يَتَحَلَّفُونَ عَن القتال في سبيل الله العامور به أَمْرَ الزام، إذا كانوا من الهل الاعذار الحقيقيّة، وهم:

- (١) الضعف أصحابُ الفَجْزِ عن القتال عجزأ مستديماً، كالنساء والولمدان والعُمْي والعُرْج وذوي العاهات والامراض المزمنة.
- (٢) أصحابُ الأعراض الطارئة المانعة من الخروج للفتال، كالذين يُعْرِضُ لهم مرضٌ طارىء غَيْر مزمن.
- (٣) الدّنين ليّست لهم أموال يُتْهِفُونها فيما يُخَاجُون إليه من التجهُزِ للحروج للفتال في سبيل الله، ولا يُجدُّون من يَبُذُل لهم ذلك، من الأفراد، أومن بيت مال المسلمين.

وقد سبق في مناسبة الحديث عن المخلفين عن الخروج مع الرسول إلى العمرة، حين صلّه المشركون، وتُم يُنّت وبينهم الشُلُخُ المعروف بصُلْع الحديبة أن أنزل الله قوله في سورة (الفتح/ 84 مصحف/ ١١١ نزول):

﴿ لَهُ عَلَ ٱلْخَمَىٰ حَرِجٌ وَلَاعَلَ ٱلْأَغَيْجِ حَرَجٌ وَلَاعَلَ ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ . . ١٠٠٠

ففي هذه الآية ضرب الله مثلاً للفسفاء بالأغنى والأعرج، وفي آية (التربة) ذكر الله لفظ الطُمعاء العام لَيْيَن لنا أنّه ذكر في آية سورة (الفتح) الأشمَّى والأعرج لنقيس عليهما من كان مثلهما من أصحاب المجز المستندم، ولنفهم أسلوب الشرآن في البيان الذي يعتمد على قاعدة قياس الأشباء والنظائر بُقضِها على بعض.

ويُشْترط لرفع الحرج عن أهـل الأعـذار أن يُنْصُحُوا فه ورسوله في إيسانهم وإسلامهم ويُناتهم وأعمالهم.

هذه هي حدود مرتبة التقوى، أمَّا مَنْ أرادَ مِنْ هؤلاء أصحابِ الأعذار أنْ بتحمُّل

المشائى. ويُخْرُخ مجاهداً في سبيل الله، مع أنّ الله قد عَذُو فَرَفِع حِنه العرج، فيأتُه يُحُونُ حيثتم من المحسنين، الذين يُريدون أن يقومـوا بأعمـال تُقرِّبُهُمْ إلى اللّهِ هي من مرتبة الإحسان، أعلى مراتب المؤمنين.

لكنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُحَلِّفُ عباده المؤدنين العالمَيْن تكليفاً إلزامياً أن يقوموا بالحمال هي من مرتبة الإحسان، غير أنهم إذا قاموا بها أتابهم عليها ثواب المحسنين، وإذا لم يقوموا بِهَا لم يؤاخذهم على تركها، لأنَّ فِعَلَها هو من مرتبة الإحسان، والمحسنون لَيْسَ عَلَيْهِمْ مبيلَ يقتضي مؤاخذتهم إذا تركوا العمل الذي هو من مرتبة الإحسان، وإشارةً إلى هذه القضية قال الله تعالى:

﴿ مَاعَلَ ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِسِلٍّ ﴾:

أيّ: لا يُوجِئُد عَلَى الَّذِينِ بمكن أَنْ يَقُونُوا بالعمالِ هي من مرتبة الإُحْسَان سبيلٌ ما يُسَلُّكُ للوصول إلى مؤاخلتهم، إذا لم يقوموا بهذه الاعمال، لانهم غير مأمورين بهما أَمْرُ إِلْزَامِ ولِيجاب، بل قد يُدْعَوْن للقيام بها على سبيل الندب والترغيب، فبإذا فعَلُوها كاموا مُحْسَنِين بها، لانّها أعمال هي من مُرتبة الإحسان.

وقد تكرُّر في القرآن بثُّلُ هذا الاستعمال وفق هذا المعنى:

(١) فقال الله عزَّ وجلَّ في سورة (الشورى/ ٤٢ مصحف/ ١٢ نزول):

﴿ وَلَنَوْانَصَرَ بَعْدُ ظُلْمِهِ. فَأَوْلَتِكَ مَاطَئِهِم يَن كَبِيلِ۞ إِنَّنَا النَّبِيلُ ظَالَمُنَ النَّاسَ وَيَجْوُدُونَ الْأَرْضِ بِقَيْرِ الْحَوْلُ الْوَلِيمَكَ لَهُمْ عَلْكُ إِلِيرٌ ۞ ﴾:

اي: لا يُوجِدُ سَيلُ يُشْتَفِي على من انْتَصَرْ لفضه من يَقَدِ ظُلهِهِ، وهذا السبيلُ يُوصلُ إلى مواخفته، إنّما السبيل الذي يستعلي للوصول إلى المؤاخفة، إنّما يكون في هذا الموضوع على الذين يظلمون الناس ويغون في الأرض بغير الحقّ.

 (۲) وقال اتله عزّ وجلٌ في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) بشان قوامة الرّجال على النساء خِفَاياً للرّجال:

﴿ فَإِنْ أَطْفَنَكُمْ فَلَا نَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ كَلِيدًا إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۞ ﴾:

اي: فَمَلاَ تَطْلَبُوا بَعْدَ طَاعَتِهِنَّ لكم سبيلاً صتعلياً عَلَيْهِنَّ يكون لكم به غَلَيْهِنَّ تسلَّقُ بغير حقَّ، لأنَّ هذا ظلَّم، واستعمالُ لسُلِّقلةِ الفوامـة في غير صا أذن الله به، فـلا يَجُوزُ هجرهنَّ عندئةِ ولا ضريُهُنَّ.

 (٣) وقال الله تعالى في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) أيضاً بشأن فريق من المستافقين، كرهموا أن يقاتلوا المؤمنين، وكمرهوا أن يضاتلوا قمومهم مع المؤمنين، وأرادوا اعتزال الفريفين:

﴿ فَإِن اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْ إِلَيْكُمُ السَّلَمُ فَاجْمَلُ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَيِيلاك :

أي: قمـا جعل الله لكم سبيـالاً مستعلياً عليهم يجـوز لكم أن تسلكـوه لأخـذهـم وقتلهم، وقد سبق تدبّر هذه الأية في النّصَ (١٦) من هذه الدراسة عن المناففين.

استُشعِل «السُبيل» في هذه النصوص بمعنى ما يوصل إلى المؤاخلة، أو التسلَّط، أو العقوبة والانتقام، واستعمل حرف وعلى، للدلالة على معنى الاستعلاء الذي يتصف به عادة العؤاجد أو المتسلَّطُ أو المعاقب المنتقم، إذ يَشَدُّ ما يقضي بـه وهو عـال, على من يَشَلُه فيه.

وهذا من الترسع في استعمال لفظ والسبيل؛ بنقله من المادّيّات إلى المعنويات. وبعد أن أبان الله أنه ما على المحسنين من سبيل قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ عَنْ فُورٌ زَحِيدٌ ١٠٠

في هذا إشارة إلى أنَّ أصحاب الأعذار من الضعفاء والعرضى والـفين لا يجدون ما يُتِفَقُونَ، قد لا تبلغُ أعذارُهم في حقيقة الأمر قَدْراً يكني لإعفائهم من التكليف ورفع الحرج عنهم، وهو أشَّرُ يَرْجع إلى تقدير حالتهم بأنفسهم، إنَّهم بحسب الظاهر لديهم أعذارُ ترفع عنهم الحرج، لكنّهم لو تحمّلوا بعض المشقة لكانوا مثل أهل الاستطاعة، وهؤلاء يحتاجون ديانةً للاستغفار وطلب الرحمة من الله، والله غفور رحيم لهم ولغيرهم من أهل الإساءة.

قول الله تعالى:

﴿ وَلَاصَلَ الَّذِينَ إِذَامًا أَفَوْكَ لِتَحْمِلُهُمْ أَلْتُلَاّلُمِثُ مَا أَمِلُكُمُ مَلَيْهِ وَلَوْ اَنَّا لَيْنَهُمُ وَقَدِيشُ مِنَ الدِّمِعِ كَوْنَا أَلْبَعِيدُوا مَانِيْفِقُونَ ﴿ ﴾:

أي: وليس على هؤلاء واشالهم حرج إذا تخلّفوا عن الخروج، لأتهم حريصون علبه، طالبون له، يسألون تزويدهم بما يحتاج إليه المسافر الخارج للفتال في سبيل الله

وقد نزلت هذه الآية بمناسبة الففراء الذين لم يجدوا ما يحتاجون إليه ليخرجوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك، فجاءوا إلى الرسول وعرضوا عليه حاجتهم، وطلبوا منه أن يزودهم بما يُحمِلُهم في هذه الغزوة، وكان ما عند الرسول قد تمّ توزيعُه على ذوي الحاجات الخارجين معه، فلم يجد الرسول ما يحملهم عليه، فقال لهم: لا أَجِدُ ما أَخْبِكُمْ عليه، فرجعوا وهمْ يُنكُونَ خَزْناً لاَنَهم لم يجدوا عندهم، ولم يجدوا عند الرسول ما يُعْفِقُونه لشراء ما يُحْبِلُهم، وعُرِف هؤلاء عند مُدَّرِي أحداث غزوة تبوك بالْبُكَائِن.

وقد وردت في قصة هؤلاء عدّة روايات جاء في بعضها ذكر أسماڻهم.

أخرج ابن إسحاق، وابن العنذر، وأبو الشيخ عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبسي يكر. وعاصم بن عمر بن قتاة وغيرهم، أنَّ رجيالاً من المسلمين، أتـوا رسول الله ﷺ وهم ألبُّكاؤون، وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم، وكانـوا أهل حاجة، فاشتَّحَمُلُوا رسول الله 藏، فلم يجد عنده ما يحملهم عليه، فانصرفـوا من عنده يكون. وهم:

- (١) سَالَمُ بْنُ غُمْير (من بني عُمر بن عوف).
 - (٣) جِرْميُ بن غُمُّرو (من بني واقف).
- (٣) أبو ليلي عبد الرحمن بن كعب إمن بني ماؤن بن النجار).
 - (٤) سلمان بنُ صخر (من بني المعلَّىٰ).
 - (٥) أبو عبلة عبد الرحمن بن زيد (من بني حارثة).
 - (٦) عمُّرو بن غنمة (من بني سَلِمة).
 - (٧) عبد الله بن عمرو المزني.

وأخرج ابن جرير عن محمّد بن كعب نحو ذلك.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن الحسن قـال: كـان ومُعَقِّسل بُنُ يُسَارِه من البكائين.

﴿إِذَامَا ﴾:

حرف دماه زائد للتأكيد.

﴿ أَتُوْكَ ﴾:

أي: يا مُحمُّد، ويُقَاس عليه خلفاؤه من بعده.

﴿مَاۤأَخِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾:

أي: ما تحتاجون إليه تُنخَرُجُوا مع المقاتلين، فالزاد والعام والعركب والسلاح والمال الذي يُشترى به ذلك هي الوسائل التي تُشهِلُ الخارج للقامل خَمُلاً ظاهراً كخَمُّل الدائمة لراتبها، أوحملاً معنوياً لانها هي التي تنهض بجسم، وتُمدَّ تُوته، فترقم عن الإخلاد إلى الأرض.

﴿ نُوَلُّوا ﴾:

أي: أدبروا وانْصَرفوا.

﴿ وَآَعْيُنُهُمْ نَفِيضٌ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ :

أي: والحال أنهم باكون، يقال لفة: فاض الماء، أي: كثر في مكان وجوده حتى سال وخرج عنه إلى غيره، فالمعنى: أنَّصْرُفوا حالة كون أُعينهم قد امتلأت دهماً فجعلت تفيض من الدمع الذي فيها، ويسيل اللَّمُّعُ من أعينهم عمل وُجومهم.

﴿حَزَاً﴾:

أي: لأجل الْحَزْن الذي في قُلُوبهم ونفوسهم، الْحَزْنُ والْحُزْنُ ما يُصِيبُ النَّفْسَ من مشاعرِ اللم على ما فات، وألم من مُصِيبةِ نازلة.

﴿ أَلَّا يَعِيدُواْ مَا إِنَّهِ قُولَ ﴾:

أي: وكَانَ حزَّنُهُمْ بسبب أن لا يجدوا ما ينفقون. وأنَّ ناصبة مصدريَّة،

والتقدير: بسبب أو لأجل عدم وجدانهم لما يُنفِقُون.

وقد صحّ عن النبـيّ ﷺ أنَّ أصحاب الأعذار الحقيقية لهم مثل أجر المخارجين.

روى أبير داود والإمام أحمسد عن أنّس قبال: قسال رسبول الله ﷺ لأصحبابه المخارجة معه:

ولقد تَرَكَتُمْ بَعْدَكُمْ قَوْماً ما سِرْتُمْ بِنْ مَسِيرٍ، ولا أَنفقتم من نفقة، ولا قطعتم وادياً إلاّ وهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ.

قالوا: يا رسول الله: وكيف يكونون معنا وهُمْ بالمدينة؟!.

قال: وحبسهم الْعُلْرُي.

وعند البخاري ومسلم نحو هذا الحديث، وكذلك عند أحمـد ومسلم من حديث جابر.

قول الله تعالى ;

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَنَذِهُوَلَكَ وَهُمْ أَغَنِـ بَيَآةُ وَهُوا إِنَّ يَكُونُوا مَعَ الْخَوْلِفِ وَطَبْعَ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهِ مِهْ مُهُمُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ ﴾.

بعد أنْ أَبَانُ الله عزَّ وجلَّ أَنَّه لا حرح على الضعضاء والعرضى والـفين لا يجدون ما يُشْقُون، وأنَّه ما على المحسنين من سبيل، أبانُ بالتعبير الحاصر أنَّ سبيل المواخذة الشرعة يُشْتُغْنِي على الَّذِينَ يُسْتَأْفِؤُونُ وَهُمَّ أَغْنِيلُهُ قَادِرُونَ على أنْ يخرجـوا للجهاد في سبيل الله مقاتلين، حينما يُؤمُّرُونُ بالخروج أمَّز إلزام وليجاب.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَنْذِنُّونَكَ وَهُمْ أَغْيَسَيَاةً ﴾:

أي: ما السيلُ الذي سَبَقَ ذكره وهو سيل العزاخلة على المخالفة ومعصية الأمر الإلزامي، إلاَّ على الذين يستانِنرنَكَ يا مُخمَّدُ وهُمْ اغنياء، غيــر ذوي حاجــة أو ضرورة يُعذّرون بسبيها عن الخروج.

ويُفاسُ على الرسُولِ خُلْفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

﴿ وَهُمْ أَغْنِهَ كَأَةً ﴾ :

أي: والحال هم أُصْحَابُ كفاية تكفيهم للخروج مقاتلين، باجسادهم وتُصُوبيهمْ وأسوالهم. الْغَنِيُّ: هُو الدَّنِي يَسْتَغْيِي بِعا يَبْلِكُ لِقَصَاءِ فَطُلُوبِه أَو المطلوب منه عَمَّا لا يُشْلِك، فِيشَمْلُ الاستغناء بالشَّوْقِ الجسسديّة والنَّفييُّة، والنَّغلوصَ من الاَعْمَارِهِ النَّمُولِة، ويشَمَّلُ الاستغناء بما لَـذَيِّه من مال، وسائوٍ ما يُشْعِبُكُ للخروج مقاتلًا في سيل الله.

﴿ رَصُّوا بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَا لِفِ ﴾:

هذه الجملة قَيْدُ آخر للجملة الحالبة:﴿ وَهُمَّ أَغْيِنَــيَأَهُ﴾:

أي: اجتمع فيهم وصفان:

الأول: الغِنْيُ كما سبَقَ بيانه.

الشاتي: رِضَاهُمْ بـالَّ يكونـوا مع الخـوالف، أي: مـع القـواعـد من النسـاء في المنازل بعد خروج الرجال للقتال.

فَجُمُلَةُ: ﴿وَرَضُوا. . . ﴾ على هـذا خَبَـرُ بعـد خبــر، أوحـال من الضميـــر في ﴿أغنياء﴾ العائد على ﴿مُمُهُ صَدّر الجملة الحالية الأولى.

وفائدةً هذا الغيد استثناء من كان غنيًا لكنّه أبرَ بالتخلّف من قبَلِ الرسول، أو من قِبَلِ خَلَفَائِهِ من بَعْدِه، كحال عليّ بن إسي طالب إذْ أنرَّهُ الرُّسولﷺ أن يتخلّف، وقال لـه: الحُلِّفِي فِي أَلْمُلِي وأَلَمْلِكُ، أَفَلاَ تَرْضَىٰ يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنْيٍ بِمَنْزِكَةٍ صَارُونَ من مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لاَ نَبِيٍّ بِقَدِي؟!.

﴿ وَطَلَّبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمَّ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٥٠

في هذه الجملة بيان للمُؤصّف الذي تُصف به قُلُوبٌ وعَمُولُ الَّذِين يِسْدَاذُون في أن لا يخرجوا إلى الفتال، مع أنّهم مأمورون به أشر إيجابُ والزّام، حالة كنونهم أغنيا: رَاضِينَ بأنْ يكُونُوا مع الفواجد من النساء الخواقف للرجال في المنازل. هـذا الوصف هـر أتُمهُمْ طَيْعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فهم بسبب إقضال قلوبِهِمْ والطّبيع. عليها لا يُقتُدُونُ مَا هُو الخير لَهُمْ فِي دُنياهم واخراهم، لأنهم لا يَفَخَّرُون فِي حضائق الأُمُور، بَلُ يُنظُرُونَ إِلَىٰ سطوحها الظاهِرَةِ القريبة منهم، وهي الأمور الفريبة جـذاً من أمور الدنيا.

وقد سبق قريباً تُحلِيل تعبير الطُّنِع على القلوب، لدى تَدنَّر الآية (۸۷) من هذا النصَّ، وهذا الوصف ينطق على المنافقين، ولعصاة المؤمنين منه نصيب على مضاهير معاصيهم وإعراضهم عن تنبَّر آيات الف.

قول الله عَزُّ وجلُّ:

وَمَنْ تَدِرُوتَ إِلَيْكُمْ إِنَ رَجَعَتْم إِلَيْهُ مَلُلا مَتَدُولُ الْ ثُوْمِن لَكُمْ مَّقَة نِتَافَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَا حِثْمُ وَمَنِيَّ الْمَعْمَلَكُمْ وَرَمُولُهُ مُّ تُرُورُونِ إِلَّهُ عَدْ إِلَّانَيْسِ وَاللَّهُ مَدُو فَيُتِهِ ثُمُ مِنَا كُمُتُمْ مَعْمَلُونَ فِي سَيَعْلُونَ إِلَّهِ لَكُمْ إِلَيْهِ وَاللَّهُ مَنْ الْوَقِيلَ الْفَلْمِثُونَا مَعْمَم إِنَّمَ مِنِعْشُ وَمُلُونِهُمْ جَهَنْمُ جَنَتْمُ جَنَاتُهُ المُعْمِدُونَ فَي تَعِلُونَ لَكُمْ مُنْفَا الْمُعْمَلُونَ مَنْ وَمَنْ اعْتَمْمُ وَإِلَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ عَنَا لَعْرِيرَ الْفَسِقِينَ فَي الْمُعْرَا الْمُنْ الْمُعْمَلُونَ مَنْ الْمُعْمَلُونَ مُنْفِيقًا مَلُونَ مَن وَالْوَاللَّهُ مِنْ الْمُعْرِقُ اللَّهُ عَلَيْمُ فَي الْمُعْمِلُ اللَّهُ مَنْ الْمُعْمَلِيمُ مَنْ مَا يُعْفِى مَعْمَلُونَ مُنْفَودَهُ مَا الْمُعْمَلِيمُ مَنْ مَا يُعْفِى مَعْمَلُونَ مِنْفَعِيدًا مَا يُعْفِى مَعْمَلُونَ مِنْ الْمُعْمَلِيمُ مَنِيمُ مَنِيمُ وَمِنْ الْمُعْمَلِيمُ اللَّمِيمُ اللَّهِ مِنْ الْمُعْمَلُونَ مُنْفَالِمُ اللَّمْ الْمَالِمُ الْمُنْفِيقُ مَعْمَلُونَ مَنْ الْمُعْمَلُونَ اللَّمْ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ مُنْفَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِقُ مَعْمَلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِقِ مَنْ الْمُعْمَلُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِقُ مَنْ الْمُعْمَلُونُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِلُونُ الْمُنْفِيقُ مُعْمَلُونُ مَنْ الْمُؤْمِقُونَ الْمُعْمَالِمُ اللَّمُ الْمُؤْمِنَ الْمُعْمَلِيمُ الْمُنْفِيقُ مُعْمَلِكُمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلُونُ اللَّهُ الْمُنْفِقُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلُونُ اللْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنَا الْمُعْمِلِيمُ الْمُؤْمِلُونُ الْمُؤْمِنَ الْمُعْمِلِيمُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلُونُ الْمُؤْمِنِيمُ الْمُؤْمِلُونُ الْمُؤْمِلُونُ الْمُعْمِلِيمُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِيمُ الْمُؤْمِنِيمُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلِيمُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلِيمُ الْمُؤْمِنَا الْمُعْمِلِيمُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا ال

قرأ جمهور القراء العشرة: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بفتح السّبين.

وقرأ ابْنُ كثير المكي وأبو عُمْرو الْبَصْري: [غَلَّبَهِمْ دَابْرَةُ السُّوء] بضمَّ السّين.

والقراءتان وجهان لتطل الكلمة في العربية، يقال لغة: ساء فُللانُ فَلاناً يَسُووُهُ سُرهاً وسَنْرَاً وَمُسَاءَةً، إذا فعل به ما يُكُّرَهُ من ضُسرٌّ اوافئ، أو السُّوةُ بِفتح السَّين المصدر، ويضَمَّها اشْمُ لما هو مكروه.

فالمعنى: أنَّ الدائرة التي تدور فتصيب بما هو مُكِّرُوهُ ستدور عليهم، إنَّهم

يترَيُّمُونَ أَن تَكُورَ دوائرَ تَقَلِبُوا الْإِما وأحداث الدهر بما يكره الدؤمنون. لكنَّ الله عزّ وجـلُّ سَيْجُعَلُ دائِرةَ ما يُكُرِنُهُونَ من سُـرو تَـلُّـورُ عليهم هم، فَشُول عليهم من فـرقهم ما يُسُروُهم من مكروه، على خلاف الأمر الذي كانوا يتريَّصونه بالدؤمنين.

موضوع هذه الآيات

يتــابع الله عــرَّ وجلَّ في هــذه الآيات بيــان أحوال المنــافقين من الأعراب سُكَــان البادية، الذين جاه في الآية (٩٠) السابقة بيان قسمين منهم:

القسم الأول: هُمُّ المُُحَـذُّرون الذين جاءوا الرسول قبل الخروج لغزوة تبـوك يُلفُقون أعذاراً كافية لياذن لهم بعدم الخروج معه.

القسم الثاني: هُمُ الذين قَعَـدوا مُتَخَلَّفين دون أن يعتذروا، وهم منـافقون كَـذَيُّوا الله ورسولُه في ادّعائهم أنهم مؤمنون مسلمون.

- وفي ستابعة الحديث عن الأعراب أبانت هذه الأيبات من (٩٤ هـ ٩٨) أنَّ الأعراب المنافقين الذين قعدوا متخلفين دون أن يعتفروا قبل خروج الرسول في غزوة تبوك سياتون معتقرين بأعذار كافبات إذا رجع الرسول والمؤمنون معه إليهم، واقترن هذا البيان بتعليم الله لرسوله فكلَّ مؤمن ما يقوله لهم تعقيباً على اعتدارهم، ويفسئن هذا التعليم وفض قبول اعتدارهم، لأنَّ لله أنساهم بحقيقة أمرهم فيما أنزل على رسوله، ويتضمّن أيضاً توجه النَّصع لهم بإصلاح حالهم مستقبلاً، وموعظتهم بأنَّ الله سَيْرَى ما يكون منهم، وسيحاسبهم يوم الدين على أعمالهم.
- وأبانت أيضاً للمؤمنين أنهم سيحلفون بالله لهم إذا انقلبُـرا راجعين من الغزوة

إليهم، ليُصدّقوهم فيما يُقلّمونه من أعذار كاذبات، تَيْعرضوا عن مؤاخلتهم وتلويمهم وتعنيفهم على تخلّفهم، واقترن هذا البيان بتعليم الرسول والمؤمنين أهرين:

الأمر الأول: أن يُقرضوا عنهم إعراض الساخطين عليهم، لا إعراض الراضين عنهم، لأنهم بسبب كفسرهم ونفاقهم رجسٌ، ولأنّ سأواهم إذا ماتنوا على مُنا هم عليه جهنم جزّاة بسبب ماكانوا يكسبون.

الأمر الشاني: أنَّ لا يـرضَوُا بقلوبهم عنهم، لأنَّ الله غيـر راض عنهم، إذَّ هم فاسقون من مستوى فسق الكفر، والله لا يرضى عن القوم الفاسقين.

وأيانت أيضاً أن الأعراب المنافئين أشدّ كُفراً ونفاقاً من منافقي أهل الحضر،
 بسبب ظروف عيشهم في البادية، ويُقدهم عن أماكن بَث العِلْم اللَّذِينَى، والتعريفِ
 بحُدُود ما أنزل الله على رسوله من آيات وبيانات وأحكام.

وفي مذا توجية ضمنً تتحضير أهل البادية، لينالوا من العلم الذي يُبَّثُ عادةً في مساجد المدَّن والقُرَى من طريق شبكة مساجد المدَّن والقُرَى، وليكتسبوا الفضائل الحضارية التي تُكتَّسبُ عن طريق شبكة المعلاقات الاجتماعية، التي تُراعى فيها الحقوق والواجبات، وتتمو فيها بالتوجيه الديني فضائل الآداب والاخلاق الاجتماعية الواقية، وتُتفَّدُ فيها أشواكُ من الاناتيات الفردية، وتُتَفَّدُ فيها أظافر الوحشة والجفاء، والحذير من كلّ وافد وطارىء.

وأبانت أيضاً صفات أخرى لهؤلاء الأعراب المنافقين، غير تخلفهم عن
 مشاركة المؤمنين في الغزوات، وغير تعللهم بالأعذار الكاذبة، وحلف الايمان الكاذبة:

- (١) فعنهم من يمرى أنَّ ما يُحلَّفُ دُفْعَهُ زَكَاةً مالِه، أو غير ذلك من الراجبات العالية، هو مُقَرَّمٌ يُقْرَفه بغير حتَّى، فلو كانت له قوَّة تحميه لامتنع عن بـفـلر، ما يُضـطر لبفـله، وهـلا من أثر كفره باطناً، وعدم إيمانه بهـلا الدّين الذي أعلن انتماه إليه نقاقاً، مع شعور الأعرابي باستقلاله في باديته، وعـدم إدراكه لمفهـوم الواجبات الاجتماعيـة التي يدركها أهل الحضر، ولو لم يكونوا يشعرون بواجبات دينية.
- (٣) ومنهم من يتربّصُ بالرّسُول والمؤمنين أن تدور عليهم دواثر الدهر، قُنشْزِل بهم ما يكرهون من موتِ أو هزيمة أو غير ذلك من مصائب، فيتقلبوا عليهم، ويتخلّصوا ممّا هم فيه من وفاقي الجاهم إليه التفاق.

واقتـرن هذا البيان بيان ما ديّر الله لهم بقضائه وقـدره، فقـد قضى أن تـدرر عليهم دائرةً السُّرَه، فما يتربَّصُـونه بـالرُّسُـول والمؤمنين سيُّترِلُ بهم، والله عالبٌ على أمره، وهو سميم لما يقولون في خلواتهم، عليمٌ بما يضمرونه في قلويهم.

* * *

الشدبسر

قول الله تعالى:

فىالضَميرُ في فِوَيَقْدَنُورُونَ يُشُوهُ على الفاعل في فِوْنَفَندَ الَّذِينَ كَانْبُوا اللَّهَ وَرَسُولُهُ فِي الاِيةَ (٩٠) آمَا الآيات من (٩١ ـ ٩٣) فاستطرادُ لبيبان من يُصْدُرُ ومَنْ لا يُقدُرُ، وحَسُّه غرض تتميم الفائدة، وهويشبه الاعتراض.

لي: إنّ الذين فَعَدُوا متخلِّفين عن غزوة تبوك دون ان يَعْتَلِرُوا قَبْلُهَا وهُمْ لا عُـذُرَ لهم سيأتون متتابعين ويَعْتَلِرون إليكُم، إذَا رَجْعُتُمْ اليهم من الغزوة.

الخطاب للرسول وللمؤمنين البذين خرجوا معه في هذه الغنزوة، ووقّت كالمةً ﴿إِذَا﴾ التي هي ظرف لما يستقبل من الزمن، على أنَّ هذه الآية قد نزلت قبل الرَّجُوع من الغزوة، ويظهر أنها نزلت على الرسول وهو قافلٌ بالمؤمنين منها.

وأمر الله الرَّسول وكلِّ مؤمن يستقبـل منهم اعتذارهـم أمـراً إفرادِيـاً بلفظ ﴿قُلْ:﴾ وجاء في التعليم بعده خمْسُ مقولات:

المقولة الأولى:

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾.

والغرض من النّهي عن الاعتدار إسكائهُمْ منذ بُدَة محاولة المعتدر منهم تُلْفيقُ الاعدار الكاذبة، وعَدْمُ تمكيهم من تزوير الكلام وتزويته وزخوته، لنّلاً شُوَّرُ الدوالُهُمْ على بعض المؤمنين إذا أصْفَوا إليهم، واستمدوا لهم حتى آخــر كـلامهم، فمن الحــل النقاق من يُعجب قوله في الحياة الذّنيا، ويُشْهِدُ اللهُ على ما يزعمُ أنّه بضمرُهُ في قلبه، وه الذّا الدُخصاة.

المقولة الشاتية:

﴿لَن نُّوْمِنَ لَكُمُّ ﴾:

أي: أَنَّ تُصَمَّدُ اقوالكم في تقديم أعذاركم، ولنَّ سَطَمَيْنُ لكم، ولنَّ يَحصُّلُ لدينا أَمْنُ نَامَنُ به كَذَبكم.

بقال لغة: آمَنَ بالشَّيْءِ، إذا صدّقه واطعانُ قلبه له، ويقـال: آمَنَ لَهُ، إذا صدّق قوله، واطعانُ له واستُسْلَم لُه، آيناً كذِبَهُ وغَلْرَهُ وخيانته.

واستعمال حرف النفي ﴿لَنَّ ﴾ يَدُلُ على تأكيد عدم تصديقهم وعدم الاطمئسَانِ لهم، فحرف ولن، في النفي أكد من وماه و ولاه.

المفولة الثالثة:

﴿ فَذَنَتَأَنَّا ٱللَّهُ مِنْ ٱخْبَارِكُمْ ﴾.

والممتى: قد أعلمنا الله من أخباركم أنكم كافبون لا عُذْرٍ لكم، كفيتم اللهُ ورسولُ، فكف نصدُقكم بعد أن أنزل الله بشأنكم ما انزل?! وكف نطعينُ لكم بعد أن أعلمنا الله من أخباركم أنكم كافبون لا عذر لكم في التخلف عن الخروج سع رسول الله في غزوة تبك، وكافبون في أصل أدعائكم أنكم مسلمون مؤمنون حقّاً.

المقولة الرابعة:

﴿ وَمَنْ يَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمُّ وَرَسُولُمُ ﴾:

أي: وأمامكم فرصةً للنوية في المستقبل، وللاستقامة والعمل الفسالح، وصلة في الجارب الإسلام، وسبلة في تجارب الإسلام، وسيرى الله عَمَلُكُمْ مَا ظَهْمَ بِنُهُ وَمَا يَظْنَ، وسيْزَى رَسُولُمَ في تجارب المستقبل عَمَلُكُمْ إِنْ أَطْعَتُمْ وَإِنْ عَصِيتِم، فإن تُنْجُم واستَقَمْتُمْ قَبِلَ اللَّهُ قَوِيتُكم، وصفّحَ رَسُولُهُ عَكم، وانْ أَسُرَرْتُمْ عَلَىٰ ما أَنْمَ عليه عَرْضُتُمْ أَنْشُلَكُمْ اللَّهُ وَيتُكم، والمفاتِ.

هـذه المعاني تُقَهِمُ بـدلالــة اللوازم الـذهنية من عبـارة: ﴿وَمَنْيَرَىٰ اللّٰهُ عَمْلَكُمْ وَرَسُـولَهُ﴾ لأنّها تتحدُّث عن عملهم في المستقبل، وسا دام المستقبل داخلاً صمن مرحلة ابتلائهم فاستطاعتهم تداركُ أمرهم بالاستففار والنوية وإصـلاح المعل، ومعلومٌ من قواعد الإسلام الكبرى أنَّ الله يقبل قوية التائين ما داموا ضمن مُـدَّة ابتلائهم في الحياة الدِّنيا، فكانت هذه العبارة مشيرةً باللُوازم الذهنية إلى هذه العقهومات.

المقولة الخامسة:

﴿ ثُمَّ ثُرُةُ وَكِ إِلَىٰ عَسِلِي ٱلفَسْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُنِّيَّ ثَكُم بِمَا كُثُنَّهُ فَعَسَلُونَ ﴾. ﴿ ثُمَّ ﴾:

أي: بعد الموت، وملَّةِ البرزخ، والبعثِ إلى الحياة الأخرى.

﴿ثُرُدُّونَ ﴾:

أي: تُرْجَمُونَ، الرَّدُ الإرْجاع. ولما كان البحث إلى الحياة بعد السوت إعادة إلى الحياة بعد السوت إعادة إلى الحياة بعد السوت إعادة إلى الحياة بعد مسلّها بالموت، جاء النمبير عنه في الفرآن بالرَّدَ وبالإرجاع ورالإعادة، ولمَّا كان مدا الإرْبَاع هو لملاقاة اللهِ في موقف الحسب وقصل القضي به الله من جزاء، دون أن يكون لأحد غير الله يوميل تصرُّف بفيرٍ أثمر اللهِ أو إنَّنه، كان من الدَّقة في الأداء في التعبير أن يقال: ﴿ وَمُمْ إلى زَبِّكُمْ تُرْجَمُونَ لَـ مُنْ اللهِ المَّيْتِ والشَّهَادَةِ وَنحو هذه العبارات.

﴿ إِلَىٰ عَسُامِ ٱلْغَسَيْبِ وَٱلشَّهَسَدَةِ ﴾ :

أي: إلى الله الذي هو عالم الغيب والشهادة.

الغيب: ما غاب عن إدراك ذي إدراك مًا، فهو بالنسبة إليه غيب، وقد يكون بالنسبة إلى غيره أمرأ مشهوداً. الشهادة: يُطلَقُ هذا اللفظ على ما يُدَّرَكُ بالحسّ.

فعـالَمُ الشهادة هــو عالم الاكـوان الظاهـرة التي تُدركُ بـالحواس، ويقــابله عــالَمُ الغيب، وهو ما لا يُذرَكُ بالحواسَ.

وكلَّ شيء بالنسبة إلى الله عزّ وجلَّ شيءٌ مشهود، لقول الله عزّ وجلَّ : ﴿إِنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شيءِ شَهِيدٌ ـــ واللَّهُ عَلَىٰ كــلَّ شيءِ ضَهِيدٌ ـــ إِنَّ اللَّهُ كَـــانَ عَلَىٰ كُلُّ شيء شَهِيداَهِ.

فليس شيءً بالنسبة إلى الله همو من الغيب، والتعبير بأنّه تبـارك عالم الغيب والشهادة، هر على معنى: غالمُ كلّ ما هو غيبٌ عن ذوي الإدراك من خلقه، لاّ ما هـو غيب بالنسبة إليه، إذّ لا شيّء هو غيب بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ.

﴿ فَيُنْبَتِ ثُكُمُ بِمَا كُنْتُدُ فَعُمَلُونَ ﴾ :

أي: فَيُخْبِرُكم في موقف الحساب وفَصْل القضاء بكلّ ما كثّم تَعَمَّلُوا مِنْ أعمال ظاهرة وأعمال باطِلَة، ليحاسبكم عليها، ولِيُقْفِي بينكم في محكمة العملل عنده وليجازيكم بما تستعقّون من جزاء.

وفي إعلان هذه المقولة ترهيب وترغيب، لأنّ الجزاء إمّا أن يكون بالقضل في جنات النعيم، وإمّا أن يكون بالعدل في دركات الجحيم.

* * *

قول الله تعالى:

﴿سَبَعَلِثُونَ بِالْقَدِ لَكُمْ إِنَّا اَنَفَلَنَدُ إِلَيْهِ إِنْعُوضُوا عَنْهُمْ فَأَعُوضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُم رِجْنٌ وَمَأُوضُهُ مَجَفَدُهُ جَزَاتُهُ مِنَا صَافَا يَكْسِبُون ﴿ يَعْلِفُونَ لَكُمْ إِلَاضَوَا عَتْهُمَّ فَإِنْ تَرْضَوَا عَنْهُمْ وَإِنَّ الْعَالِينَ وَعَنْ عَنْ الْقَوْرِ الْفَنْسِينِينَ ﴿ ﴾ .

ما زال الكلام متعلقاً بشأن المنافقين من الأعراب الَـذين تحدّثت الأيـة السابقـة (٩٤) عنهم.

والخطاب مُوجِّه للرسول وللمؤمنين، وفي هـاتين الأبنين إخبارٌ عمًّا سيكون من

هؤلاء المتنافقين إذا انفلُبُ المسلمون الغزاة من غزوة تبوك راجعين إلى مواطنهم، حيث يجدون فيها المنافقين المتخلفين بغير استذان سابق.

﴿إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ ﴾:

أي: إذا رجعتم، وعُدِل عن ﴿إذَا رجعتم﴾ إلى ﴿إذَا انقلبتم﴾ لئلا يتكرر التعبير نفسه في الأيتين.

إنهم يحاولون تلفيق الاعذار اولاً، فإذا تُمويلُوا برفض أعدارهم الكاذبة التي تعلَّلُوا بها، فإنهم يلجَوُون إلى توثيق ما يقولون بأن يحلفوا باهد أيساناً كاذبة، ليُشْرُووا بها عن أنفسهم المؤاخلة التي يستحقونها، اعتماداً منهم بأنَّ هذه الإيسان ستجعل الرسول والمؤمنين يُعرضون عن متابعة محاسبتهم ومقاضاتهم على منْهيئهم.

وفي بيان هذا الأمر الذي سَيْحُدُثُ مِنْهُمْ مستقبلًا قبال الله تعالى خـطاباً للرســول والمؤمنين معه:

﴿ سَيَعْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا لَنَقَلَتَ تُمْ إِلَيْهِمْ لِتُصْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾.

وأتبع الله هذا البيان بتعليم الرســول والمؤمنين ما يُنْبِغي أنْ يقــابلوهم به. فقــال في:

﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾:

الإعراضُ: هو إعطاء عارض الوجه، وهو وسطُّ بين الإقبال والإدبار.

أي: فأعرضوا عن مؤاخذتهم ومعاقبتهم عقاباً مائيّاً، ولكن لِيكُنْ إعراضُكُمْ عَنْهُمْ إعراضَ ساخطٍ عليهم، قالر ومجافِ لهم، كارو لاكاذيهم وألاعيبهم.

بدليل قول الله تعالى بعد ذلك:

﴿إِنَّهُمْ رِجْشٌ وَمَأُونَهُمْ جَهَنَّمُ جَـزَآءً بِمَاكَافُواْ يَكْسِبُونَ ﴾:

أي: إنهم ذوو رئيس بسبب كفرهم ونفاقهم، ولنّما كان رجْسُ الكفرو والنّماق مالىء تلويهم ونفوسهم وكثير من ظواهر سلوكهم، كانوا جديرين بأن يُطْلَق عليهم أتّهم رئيسٌ، وأصل الرّبُّيس في اللّغة الفَلْمُ والنَّبْسُ، ثمَّ حصل ترسُّمٌ في إطلاق اللّفظ، فصَارَ يُطْلَق على الرذائل والقبائح المعنوية من الأفكار والعقائد والنيَّاتِ والأعمال.

فالكفر رجس، والنفاق رجسٌ، والميسر رجسٌ، وكذلك الأنصاب والأزلام والخمر، وكلُّ خَلِّق وسلُوكُ قبيح ذميم، وكلَّ فكرةٍ ضارَّة، وكلُّ مادَّة وأداة مخصَّصة للاستعمال في الشرَّ.

فبسبب أنَّهم رجسٌ يستحقَّون أن تعرضوا عنهم إعراض الساخط القالي المجافي الكاره.

ولمًا وصلت ذواتُهم إلى حالةٍ من الخسّة يستحضون عليها أنْ يُخَبِّرُ عنهم بَاتُهُمْ رجسٌ، فمن العمل ضمن قواعد ابتلاء اقد للناس في هذه الحياة الدّنيا، أن يكون مأواهم في الأخرة، بعد الحساب وفصل الفضاء جهنَّم دار عذاب الكافرين.

المأوى: المكان والمنزل الذي يُنْزَلُ فيه.

﴿جَزَآءُ بِمَاكَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾:

أي: يصيرون إلى جهتُم التي تكون في الأخيرة ماواهُمْ بعد الحساب وفصل الفضاء، حالة كون ذَلِكَ جزاءً لهم بسبب ما كانوا يكسبون من عمـل في الحياة الـدنيا، وهو الكفر النقاق والإثم والفسوق والعصيان.

وبدليل قوله تعالى:

﴿ يَمْلِكُونَ لَكُّمْ لِرُضُوا عَنْهُمٌّ فَإِن تَرْضَوَا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ ٱلقَوْرِ ٱلمُنسِفِينِ ﴾:

اي: إنهم سيحلفون بالله لكُم لِنَشرِضوا عن مؤاخــلتهم، ولتَرْضَـوا عَنْهِم، وأَعِيدُ في هذه الآية فعل ﴿فَيْمَلَقُونَ لَكُم﴾ لِنَقْدِ الفاصل بين ﴿لِنَشْرَضُوا عنهم﴾ وبين ﴿لِنَرْضُوا عَنْهُمُ﴾ فَصَلِفُهم باللّهِ لَهُ عَايتان.

الأولى: الإعراضُ عن مؤاخذتهم وعن البحث عن صدقهم أو كذبهم في تعلُّلهم بأعذارهم.

الثانية: الرضا عنهم باعتقاد أنهم صادقون فيما ذكروه من أعـذار في تـخَلْفهم عن غزوة تبوك. وجماء التوجيمه الرّباني للمؤمنين حول هـذه الغايـة الثانيـة للمنافقين متضمّناً أنْ لا يُرْضُوا عنهم، لأنّهُم فاسقون فِسْق كفر ونفاق.

وقد دلٌ على هذا التوجيه الضمنيّ عبارة:

﴿ فَهَإِن تَرْضَوْا عَنَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا بَرْضَىٰ عَنِ ٱلْفَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ .

إنَّ استعمال حرف الشَّرط ﴿إِنَّ فِنْلُ عَلَى استبعاد أن يرضى المؤمنون عنهم، لاَنَهم لا يَفْتَلُونَ شِيئًا على خلاف ما يُرضي الله، وعلى أنَّه يُنْذُرُ فِي المؤمنين من يرضى عنهم، فهذا العرف يستعمل غالباً في الأمر المستبعد حصوله، أو يندر حصوله.

وعبارةً ﴿ وَالَّذِ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ۞ تدل على أَنْـهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِهِ لاَنْهُمْ فَاسْفُونَ، فَأَفْغَىٰ بِيانُ الفَضِيَّةِ الكَالَةِ الشَّامَلَةُ لَفَضِيتِهِمِ ولاشِياهِهَا عَن ذكر قضيتهم الخاصّة، وهذا من الإبداع في الإيجاز.

وبيان أنَّ الله لا يرضى عنهم فيه إلماح للمؤمنين بأن لا يرضوا عن قوم ٍ لا يرضى الله عنهم.

قول الله تعالى:

﴿الأَثْرَابُ أَشَدُّ كُفُرُا وَفِكَ أَنَا وَأَجْدَرُ أَلَّابِسَلُوا خُدُودَ مَا أَزَلَ اللَّهُ عَلَارَسُولِيدُ وَاقَدُ عَلِيدٌ حَكِيمٌ ۞﴾.

بعد الحديث عن المنافقين من الأعراب الذين تخلّفوا عن الخروج مع الرسول والمسلمين في غزوة تبوك في الآيات (٩٠ ــ و ٩٤ و ٩٥ و ٩١) جماعت هسذه الآية لتكشف طبيعة صنف الأعراب وتأثير بيئة البادية عليهم، بالنسبة إلى طبيعة صنف اهمل الحضر، وتأثير بيئة القرى والمدن عليهم.

وقد أبانت هذه الآية أنّ صنف الأعراب إذا كان أحدهم كافراً أو منافقـاً كان أشــدّ كُفْراً ونفاقاً من كافرٍ أو منافقٍ من أهل الحضر.

ونفهم من الملاحظة ومن التجربة أنَّ سبب ذلك هو العيشُ المستمرَّ في الباديـة

مع الأنعام، وطبيعةً الترحّل والنتقل وعدم الاستقرار، ومؤثّراتُ الإقامة في الأرضى الخاء، التي يتعدم فيها الأمن النفسي الذي تُحدِثُه البيوت المحميّة في المُمدُنِ والذي.

فالأعرابُ إذا تَقَوُّوا كَانُوا أَنشُدُ في الكفر من غيرهم، لمعا في طبائعهم المكتسبة من ألبيتة من نفور، وعدم استسلام، واعتيادٍ على عدم المطاعة والانقياد والانصياع للنظام.

وهم إذا نافقوا كانوا أشد في النفاق من غيرهم، لما في طبائمهم المكتسبة من البيئة، ولما المهم المكتسبة من البيئة، ولما في أخلاقهم وعاداتهم من دُرية على العصائمة والمدادعة، التي ولدها فيهم الحدار الدائم من كلّ ما حولهم، ولا سيما الدين يخشون غزوهم لهم، فامتادوا بذلك الكذب والتظاهر بخلاف ما يبطنون، فهم إذا نافقوا في الدين كانوا أشدً نفاقاً من أهل الحضر.

ف داله في ﴿الأعراب﴾ هي داله الجنسية كما يقول النحاة، وهي تمثل على جنس ما دخلت عليه، ولا تمدل على استغراق الأفراد، والمحكم على الجنس لا يفيد الحكم على كلّ فرد من أفراد الجنس، وعلامة وأله الجنسية أنّ كلمة وكلّ لا يصحّ أن تكون بدلاً عنها.

وقىد دلّنا على أن وألى هنما جنسيّة أنّ من هؤلاء الأعراب المتحدّث عنهم منْ يؤمن بنالله واليوم الأخر، وهؤلاء ليسوا كنافرين ولا منافلين أصلًا كمما جاء في قبراءة ﴿الْمُعْذِينِ﴾ وكما جاء مي الآية (٩٩) الآتية .

فالمعنى فيما يظهر أنّ البداوة تتجعل كفّار البادية أشدّ كفراً، ومنافقي البادية أشدّ نفاقاً، بسبب مؤثرات البيئة التي يعيشون فيها، وينتج عن هذا أن يكون كفّار الأعراب أشدّ تُعْراً من غيرهم، وأن يكون منافقو الأعراب أشدّ نفاقاً من غيرهم.

ولمًا كان أهل الحراضر والمدن هم القسم المقابل لـلاعراب أهـل البادية حَسَّنَ الاستغناء في النص عن ذكرهم في اللّفظ، فلم يات فيه: الاعراب أشدٌ كفراً ونفاقاً من أهل المدن والقرى، وهذا من الإيجاز البديع. ونلمح من هذا البيان القرآني الحدّ الضمني على جمل الأعراب أهل مدنٍ وقبرى وحواضر، في مشاريح دولة المسلمين للمستقبل، لتخليص الأعراب من بيشة البادية البجانية، التي تكسيهم الطبائح والأخلاق والعادات غير المستحبَّات التي سبق ذكر شيءٍ منها.

قولُـهُ تَعَالَـى:

﴿ وَأَجْدَدُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ. ﴾ :

أي: وأكثر قابليَّة للجَهَلِ بأمور الدين، ليُفيدهم عن مراكز التنوجيه والتعليم، ومواطنٍ بثُ أنوار المعرفة الربّانية، فطبيعةً ترخلهم وتتثُّيهم تتبُّعاً لمواطن الماء والكلا، تجعلُهم بعيدين عن مجامع العلم والعلماء، وعن مساجد السُمدنِ والقرى التي يتخذها العلماء والقفهاء والوغاظ والدَّعاة مراكز للتعليم والتوجيه وبيان حدود الله للناس.

وَيَجِدُ الأعرابُ لانفسهم العذرَ في عدم ارتيادها لإنَّ طبيعة حياتهم في البـادية، لا تُسّاعدهم على ذلك إلاّ قليلاً.

والجهل بحدود الله في شوائعه وأحكامه بيشةً تَنْبُثُ فيها وتَسَرَعْرَعُ الانحرافاتُ والفسلالاتُ والحرافاتُ، والطباع السّبة، والاخلاق الانائيّة الْمَرْدُولَـة، وأنواعُ السلوك الفاسد الفسارُ.

فلو أنَّ بيتتهم مؤهَّلةً لمتنابعتهم بالتعليم والنوجيه والنُّصْح والإرشاد والتعريف بحدود الله، لاختلف حالُهم، ولَضاروا قابلين للتهذيب والتشفيب والتتفيف الديني .

إنَّ هذا البيان عن صفات الأعراب ليس ذَمَّ الدوانهم في المُخاصهم باعتبارهم صغماً من بني آدم، إثما هدو ذمَّ للبيئة التي يؤثر في الناشين بها هذه الآشار الفسارة، وتوجية إسلاميًّ لاستيدال بيتيّ خير منها بها، للمساعدة على إنشاء أجيال منهم تتهيًا لهم بيشات أفضل تساعدهم على اكتساب العلم النافع، وفضائل الطباع والأخلاق والعادات، وأنواع السلوك الحضاري الراقي.

ألا يدُلُّ هذا على أن الإسلام دينٌ حضاريٌ مدنيُّ راقِ؟! .

وجاء قول الله عزَّ وجلَّ في آخر الآية :

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيهُ مُحَكِيمٌ ﴾.

بإثبات صفتي العلم والحكمة قد عزّ رجلّ بعثابة الدليل على الفهم الذي فتح الله
به . فعلّم ألله بتأثير البيئة البدوية على الأعراب، وحكّمتُهُ في اختيار الأنفل لحباده،
يقتصيان توجيه المسلمين والدولة الإسلامية إلى جعل الأعراب أهل مُدُّنِ وقُرى مؤسسة
تأسيساً إسلامياً، بمساجدها، ومدارسها ومنشأتها الحضارية المختلفة النظيفة من
الفسق والفجور والعصيان.

ولذلك نبعد في ترجيهات الرصول الترغيب بعدم سكنى البادية، أخرج الإمام أحمد وأبو داود والشرمذي والنسائي والبهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال:

هَمَنَّ سَكُنَ البادية جِغا، وَمَنِ اتَّبَغِ الصَّيْدَ غَفَلَ، ومَنَّ أَتَىٰ السُّلْطَانَ اقْتَبَنَء.

قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَنْعِذُ مَا يُغِقُ مَغْرَمًا وَيَثَرَعُمُ بِكُوا الدَّالِ رُعَلِتِهِ دَايِّرَةُ السَّرَةُ وَالْفَسَعِيعُ عَلِيدً ﴿ ﴾ .

أي: ومن ظواهر نفاق الأعراب المنافقين ظاهرتان ناتجتان عن كفرهم بالله واليوم الآخر باطناً.

الظاهرة الأولى: اعتبارهم الذي هو نتيجة كنرهم أنّ ما ينفقونه من نفقات واجبة يكلّفون ــ بمفتضى أحكام الإسلام ــ إنفاقها كالرّكاة، مُفَرَمُ يُغْرَمُونَهُ دون وجه حقَّ، وأنّه يُؤخَذُ منهم إكراهماً بقرّة السلطة، فلو كانت لهم جَيْرَةً من أسرهم لما أنفقوا هذه النققات، إذ هم لا يرجون بيذلها ثوابًا عند الله ولا جزاة حسناً، بل يدفعونها كرهاً.

الْمَشْرَمُ: هو ما يُذْفعُ مِنْ المال ِ فَهْراً وظُلْماً، كالإتاوة والجزية وكلَّ ما يُدْفع تقيَّـةً وخوفاً من ذي قَهْر بقوّته.

الظاهرة الثانية: تَرَبُّصُهُمْ بالرُّسول وبالمؤمنين الدوائر، للتخلُّص منهم، والتحرُّر

ممًا يُضْطَرون أن يصانعوا العؤمنين ويُـذاهِنُوهم بـه، تقيَّةُ ونفـاقـاً، ممَّا يُكلُّفُهم بـذلاً يكرهونه، أو أعمالًا لا يُحبُّون أن يعملُوها.

التُرَبُّصُ: الانتظار، يقال لغة: تــربُصُ فُلانٌ بفــلانٍ خيراً اوشــرًا يُجُلُّ بــه، اي: انتظر أن ينزل به أو يُحُلُّ به ذلك.

الدوائر: الدوامي والمصائب، جمع ددائرة، وهي في الأصل ما أحاط بالشيء مستديراً حوله، واستعمل العرب الدائرة بمعنى الداهية التي تأتي بالشرّ والسوء، لأنّها تحيط بعن نزلت به، ويقنولون: دارت على القنوم الدوائس، أي: نزلت بهم الـدواهي والمصائب والتكبات.

وتعقيباً على تَربُعهم بالمؤمنين دَوَاتر السُّوءِ أعلن الله قضاءه الذي سيكون نــافذاً لا محالة، وقد كان بعد ذلك، فقال تعالى:

﴿عَلَيْهِ مِنَابِرَةُ ٱلسَّوِّهِ ﴾.

أي: كاثنةً عليهم وحدهم دائرةً السُّوء، في مقاديـر المستقبل، التي هي حــاصلة لا محالة.

اسْتَفيد التخصيص من تقديم الخبر وهـو ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المبتدأ وهـو ﴿وَالِّرَةُ سُوَّهِ﴾.

ولمًا كانت دوائر أحداث القضاء والقدر تدور بما يسبو، وبما يسُّرَ، على خلاف مفهوم العرب لدوائر الدهر، إذ يخصّصونها ببالدواهي والمصائب، خصَّص الله لفظ الدائرة التي تدور عليهم بإضافتها إلى السُّو،

وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي تصحيح مفهوم العرب لدوائر الـدهر، وأنهـا ليست كلّهـا مصائب ودواهي، فهي أولًا دوائـر قضاء الله وقــدره، وهي ثانيـاً تدور أحـيـاناً بصـا يسُرَّ، وتدور أحياناً بعا يَسُوهُ، ضمن حكمة الله في امتحان عباده وتربيتهم ومُجازاتهم.

وإذْ خصّص الله المنافقين بأنّهم هم الذين تنزل بهم دائرة السوء، فقد قضى بأن تكون دوائر المخير السّارة ستدور لصالح المؤمنين، أخذاً من مفهوم التخصيص.

وختم الله عزَّ وجل الآية بفوله:

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيدٌ ١

أي: والله سميع لاقوال المؤمنين والمنافقين، عليم بأعمالهم وأوصافهم ويَتَاقهم، وأحموال قلوبهم ونضوسهم، فهمر يعامل كملٍ فريق منهم بعدل أو بفضله على وفق حكمته.



المِقْدُ الثَّاني

بيان أقسام مجتمع المسلمين إبّان أحداث غزوة تبوك وتجربتها مع التعقيبات والتوجيهات الرّبّانيّة

مقدمة:

من الملاحظ في الأسلوب الفرآني أنّه كلّما طـال الحديث في هـذه السورة عن المنافقين كان من الحكمة الرّبّانيّة إعطاءً المؤمين حظّاً من البيان يتّصل بهم.

وفي هذا الأسلوب شدًّ لانتباه المتلفين، بسرض المتقابلات (المتناقضات والمتضادّات والمتخالفات) وذلك لأن سُوّدُ الكلام حول نموذج واحدٍ يُبِقُ، ويـورث المفلة أو الفتور.

ومعلوم أنَّ من عناصر الجمال العراوحة بين النقائض والأضداد والمتخالفات، مع ما في هذا الاسلوب من شعدٍ لهم العزمين، ليزدادوا إيماناً وعملاً صالحاً، واستنارة لدوانع الغيرة لذى الكافرين والمنافقين، عسَى أن يُصِّحُو منهم من في تلويهم بزور خير، أوجلور فضيلة.

وإذَّ جاء فيما سبق بيان عقاب المنافقين بأنَّ مأواهم جهتُم جزاءً بما كانوا يكسون (الآية ٩٥) فلا بدّ أن يتسامل بعض المتلقين للنصّ في نفسه عن أحرال المؤمنين، فجاء عَقَدُ من الآيات ليجيب على هذا النساؤل، واقتضت فئيُّ المتنابعة في الآيات عطف هذا الْعِقْد من الآيات على ماجاء قبله في السورة.

وتلاحظ في هذا العِقْد أنَّ الله عزَّ وجل قسَّم المؤمنين خمسة أقسام رئيسية:

الفسم الأول: المؤمنون الصادقون المستوفون لحدود سرتبة التقوى بعناسبة الغزوة، ويُلْخَق بهم أمثالهم.

القسم الشاتي: المؤمنون الصادقون السابقون في فعل الخيرات وأعمـال البـرّ والإحسان، زيادة على واجبات مرتبة التقوى، ويلحقُ بهم أمثالهم من بعدهم.

القسم الثالث: المنافقون إيّان التنزيل بمنــاسبة الغـــزوة، ويُلحق بهم أمثالهم من بعدهم.

القسم العرابع: العصاة التالبون الىستغفرون يـومنـذٍ، ويُلْحقُ بهم أمثـالهم من بعدهم.

القسم الخيامس: العصاة المسرفون على أنفسهم المستفرقون في معاصيهم يومتذ، ويلحق يهم أمثالهم من بعدهم.

. . .

قالقسم الأول: وهم المؤمنون الصادقون المستوفون لحدود مرتبة التقوى بمناسبة الغزوة ويُلُحَقُ بهم أمثالهم فقد دلُّ عليهم:

قول الله عزّ وجلً:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَصْرَابِ مَن بُؤْمِنَ بِاللّهِ وَالْمَثِورِ الْآخِدِ وَمَنَتَخِذُ مَائِنفِقُ مُرْكَتِ عِندَائَةِ وَصَلَوْتِ ٱلرَّسُولُ الْآبَائِةُنَّةٌ لَهُذَّ سُهُدَ بِلَهُمُ اللّهَ فِرَحَمَ يَعْبِأَلْك عَمُورَدَّجِمُ ۞﴾ .

﴿قُرُبُنتِ﴾:

جمع وقُرِبَة، وهي ما يُنقرُبُ به العبد لربّه من أعمال ظاهرة وباطنة تُرضيه وتُقرّبة إليه، وهذه قواءة جمهور القراء العشرة.

وقرأ ورش: {قُرُبَة] بالإقرادِ مع ضمّ الراء، وبين القراءتين تكـامل فكـري، نظراً إلى تعدد الإنفاق أو عدمه بحسب اختلاف أحوال المنفقين.

﴿ وَصَلَوْتِ أَلرَّسُولِ ﴾:

وهي دعواته لهم بالرحمة الشاملة للمنفرة والعفو وجزيل العطاء. في هذه الأية استدراكُ لدفع توهم أنّ كلّ الأعراب كفرةً منافقون لا دين لهم، ولبيان أنّ ما سبق من الحديث عنهم إنّما هو حديثٌ عن قسم منهم ولو كان هو القسم الاكثر عـدداً، وحديثٌ عن مؤثرات بينة البيادية على مُنكّانها المشرحاين المنتقّلين طلباً لعنابتِ الكلاً وسواقع الماء.

قابان الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية أنه يوجد من الأعراب سُكَان الباديّة إليَّان تشرَيل
سورة (التوية) تسم يؤمنون بنالله واليوم الأخر إيماناً صحيحاً صدادناً، ويؤمون ضرائف
الإسلام، ويجعلون ما يُقفون للجهاد في سبيل الله وغيره من الواجبات والشطوعات
الإسلامية قُرياتٍ من الطاعات والعبادات وصالح الأعمال يتقربُون بها إلى الله لينالوا
وليَّأَخذوا بسبها مرضاة الله وليظفروا برحمته وجته، ويتقربُون بها إلى الرسول الله
ليُصلِّي عليهم، أي: ليدعو لهم بالرحمة، وساتي في الأية (١٠٣) من سورة (الشوية)
بيان أمر الله لرسوله بأنْ يُصلِّي على المتصدّقين الذين يأخذ منهم صدقات أموالهم طبيّة
بها نفوسهم، وهي قوله عزّ وجل خطاباً لرسوله؛

﴿ خُذِينَ أَمْوَلِهِمْ صَدَقَةَ تُعُلِهِ رَهُمْ وَثَرْكَهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمٌ إِنَّ صَلَوْتَكَ سَكَنَّ لَمُنمُّ وَالْهُ سَحِيمُ عَلِيدُ ﴿ فِي ﴾ .

ومن تطبيقات هذا الأمر الرّبّاني للرسول 繼 ما رواه الإمام مسلم في صحيحه. عن عبد الله بن أبسي أوْفَيْ، قال:

كانَ النِّسُ ﷺ إِذَا أَنِي بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّىٰ عليهم، فَأَنَّهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فقال: «اللَّهُمْ صَلَّ عَلَىٰ آل أَبِي أَوْنَىٰ».

وروي أنَّ اوراة قالت: يا رسولُ الله صَـلُ عَلَيُّ رَعَلَىٰ زُوْجِي، فقال: وصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْكِ وَعَلَىٰ زُوْجِكِ»

> وتعقيباً على سلوك هذا الغريق المؤمن من الأعراب، قال الله تعالى: ﴿ آلَا إِنَّهَا أَوْيَةً لَهُمْ مُسَيِّدٌ غِنْهُمُ اللَّهِ فِي رَحْمَتِيمُ عِلَيْ اللَّهَ عَفُورٌ رُجَعِيمٌ ۖ ﴿

(Î¥)÷:

أداة تنبيه، والغرض من استفتاح الكلام بهـا نوجيـه الاهتمام لتفهُّم الكـلام الذي يأتي بعدها.

﴿إِنَّهَا قُرْبَةٌ ﴾:

أي: إنَّ النَّفَقات التي يُنْفقونها طاعة لله وتقرباً إليه، واستدعاءً لدعاء الرسول لهم بالرحمة، هي لهم قُرْنَةً مقبولةً عند الله، سيثيبهم الله عليها ثواباً جزيلاً، وسيُلْجَلُهم في رحمته الواسعة الشاملة لففرانه وعفوه وجنّد، فجنتُهُ يحوم الدين هي من رحمته عزَّ وبلً، كما ثبت في الصحيح.

وختم الله الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

لتعميق الإيسان بصفاته وأسسائه الحسنى، واستدعت المناسبة ذكر هدنين الاسمين من أسماء الله الحسنى، لأنّ هذا الفريق من الأعراب المؤمنين الصادقين في إيمانهم يعتاجون أن يتالوا حظّاً وافراً من غفران الله ورحمته الواسعة، كسائر المؤمنين.

قد يقال: لِمَ ذُكِرُ هذا القسم الـذي يوجد في الأعراب وغيرهم تحت عنوان: ﴿ وَمِنْ الأعراب﴾؟

أقول: قد يُفْهَم من هذا التعبير أنَّ أكثر المؤمنين الصادقين من الأعراب هم من هذا التسم.

أمّا أكثر المؤمنين الصادقين في المدينة من المهاجرين والأنصار فهم من قسم السابقين الآئي بيانهم في الأية (١٠٠) وبسبب ذلك كنان من المحكمة طيُّ ذكر وجود هذا القسم في المدينة ، اكتابًا بأنّا إذا وُجدَّ بعضُ أفرادٍ منه في المدينة فهم معتبرون من هذا القسم بمقتضى الاتحاد في الوصف، وذلك بناعتبار أنَّ الأقل لا يُتَحدُّثُ عنه في البنانات الكليّة، ورُيِّما كان هذا الفيِّ بسبب أنَّ الله عزّ وجلَّ عَلم المومنين السابقين لحقوق مرتبة التقوى من أهل المدينة قد ارتقرًا ببعض ما تذكروا من نوافل العامال حتى كانوا ملحقين بالسابقين، فهم من السابقين.

القسم الثاني: وهم المؤمنون الصادقون السابقون في فعل الخيرات وأعمـال البرّ والإحسان، زيادةً على واجبات مرتبة التقوى، ويُلْخَقّ بهم أمثالهم من بعدهم، فقد دلّ عليهم:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَالسَّنِهُونَ الأَوَّوُنَ مِنَ الْمُهْجِينَ وَالْأَصَارِ وَالَّذِينَ اَتَّبَعُوهُم إِلْمَسْنِ وَضِ القَاعَتُهُمْ وَرَضُواعَنَهُ وَلَكَ لَكُمْ جَنَّتِ تَجَدِي غَنَهَا ٱلأَنْهُ رُحَتَلِينَ فِيهَا ٱبْكَأْ وَالِنَّ الْفَوْالْلَقِلِمُ ۞﴾.

ولاً :

١ ــ قرأ جمهور الفراء العشرة: [والأنصار] بالُجّر.

٢ ــ وقرأ يقعوب فقط: [والأنْصَارُ] بالرَّفع.

ئانياً:

١ ــ قرأ جمهور القرَّاء العشرة: [تُجْرِي تَحْتُهَا الْأَنْهَارُ].

٢ ــ وقرأ ابن كثير المكيّ : [تُجْرِي مِنْ تُحْتِهَا الْأَنْهَارُ] بزيادة حرف الجرّ ومن الكار ومن الجار ومن الحاد من الشال من المبارة.

وسيأتي في التنبّر توجيه القراءات إن شاء الله .

. .

التدبسر

﴿وَالسَّنبِقُونَ ﴾:

أي: والسابقون في فعل الخيراتِ وأعمال البرّ والإحسان، زيادةً على واجبات مرتبة التقوى، وقد جمع الله في السابقين هنا الأبرار والمحسنين من أهل الإبعان.

دلَ على هـذا المعنى ثلاثة نصوص قرآنية، وهي على حسب ترتيب نـزولهـا ما يلي : النَّص الأول: قول الله عزّ وجلّ في سورة (فاطر/ ٣٥ مصحف/ ٤٣ نزول) بشأن هذه الأمّة المحمّديّة.

﴿ ثُمَّ أَنْ ثِنَا ٱلْكِنْبَ الَّذِينَ اصْلَفَيْنَا مِنْ عِلَانَ فَيْنَهُمْ طَالِرٌ لَفَسِيهِ. وَمِنْهُم مُقْتَعِيدٌ وَمِنْهُمُ سَائِنَّ إِلْفَنْمُوجِهِ إِذْوَالْقَوْنَاكِ هُوَ ٱلْفَصْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿ ۞ .

فَأَبِالنَّهُ هَـذَه الآية أَنَّ أَلَمَهُ مَحمَّد ﷺ هُمُ السَّذِينَ جعلهم الله وارثي كتابسه، والسماعاهم من عباده لهذا الإرث العظيم، وسنّه الله إزّنًا لأنَّ القرآن قـد جمع كلّ ما في زُيرُ الأولين من أصول الدين وشواتعه وأحكامه ذات الثيات والنّوام، وهـو دين الإسلام الذي اصطفاه الله للتأس، وتابع إزالُه على رُسُله، بحسب مقضيات الشطرّر البشري، وحاجات الناس، حتى ختمه برسالة محمّد ﷺ مستوفي العناصر كاملًا، غير غُرْضةٍ بعد إكماله لأيّ تغيير أو تسخ.

وأبانت أن هذه الأمة المحمَّدية المصطفاة من عباد الله تنقسم إلى ثلاث فئات:

الفئة الدنيا: الطّالمـون لأنسبهم، وهم العصاة من المؤمنين، اللذين لا يُرقُون حقـوق مرتبة التقوى بفعـل الواجبـات، ونرك المحـرّمات، وهـذا القسم على درجات يحسب كثرة المعاصى وقُلتها.

الفئة الوسطى: المقتصدون، وهم المذين يُؤدُّون حقوق مرتبة التقرى، يفعل المواجبات وترك المحرَّمات، ولا يحرصون على أن يزدادوا من نوافسل المطاعات والمبادات وفعل الخيرات، ممّا يرفع المتقي إلى درجات مرتبة الأبرار، أو درجات مرتبة المحسنين.

الفشة العلميا: السّابفتون بالخيرات بإذن الله، وهم الـذين زادوا في عباداتهم وطاعاتهم وأفعال الخير مما يرضي الله عزّ وجل، حتّى ارتقزًا إلى مرتبة الأبرار أو مرتبة المحسنين.

ومىرتيـة الأميرار ذات درجـات متفـاضـلات. ومــرتيـة المحسنين ذاتُ درجــاتٍ متفاضـلات، وقد جمع اتله في هذه الآية الأبرار والمحـــنين في عنوان والسّابقين، لأنهم قد سبقوا بالاعــال الصالحة القسـمين الأدنى، والأوسط. النص الثاني: قول الله عزّ وجلّ في سورة (الواقعة/ ٥٦ مصحف/ ٤٦ نزول) في بيان تصنيف الناس يوم الدين إلى أصناف وتبسيّة ثلاثة، أصحاب اليعين، وأصحاب الشمال، والسابقين:

﴿ وَكُمْ ۚ أَوْكِ اللَّهُ ۚ كَا أَمْسَتُ النِّينَةِ مَا أَصَدُ النِّينَةِ ۞ وَأَصَدُ النَّفَةَ عَا مَاضَتُ النَّقَةِ ۞ وَالنَّهِ فَوَالنَّهِ فَى النَّهِ لَنَّ اللَّهِ فَيْنَ ۞ ﴾ .

﴿ أَزُونَهَا ثَلَنتُهُ ﴾:

أي: أصنافاً ثلاثة.

﴿ أَصْعَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ :

هم المؤمنون على درجاتهم من ظالمي أنْفُسِهم ومُقْتصدين.

وَوَأَصْفَاللَّالْمُثَمَّةِ ﴾:

هم الكافرون المجرمون، على دركاتهم، من أخف دركات الكفسر، حتى أخسُها وأسفلها.

﴿ وَالسَّنبِقُونَ السَّنبِقُونَ ﴾ :

هم أهل مرتبتي البرّ والإحسان، فمنهم أبسرار، ومنهم محسنسون، وهم على درجات مفاضلات، وقد أدخلهم الله تحت عنوان «المفرّبين».

فالسابقون، هم المقرّبون، منهم أبرار، ومنهم محسنون، ومرتبة الإحسان أعلى مراتب المؤمنين، كما دلّت النصوص القرآنية ٢٠٠٠.

المنصّ الثالث: قول الله عزّ وجلّ في سورة (المؤمنون/ ٣٣ مصحف/ ٧٤ نزول) في بيان صفات فريق من المؤمنين:

﴿ أُوْلَتِكَ يُسْنَرِعُونَ فِي ٱلْمُنَيِّزَتِ وَهُمْ لَمَاسَنِيقُونَ ﴿ ﴾.

 ⁽١) أنظر المثال الخامس حول (التقوى ــ والبرّ ـ والإحسان) من الفاعدة (١٨) من كتاب وقواعد الثدير الأمثل لكتاب الله عز وجل) للمؤلف.

أي: وهم لفعل الخيرات سَابقون، وعنوان الخيرات يشمل صالحات الأعمال الزائدة على فعل الواجبات وتوك المحرّمات، وهذه الزائدة ترفع إلى مرتبة الأبرار، ثم إلى مرتبة المحسنين.

بعد هذا البيان التفصيلي عن المراد من السابقين تلاحظ أنَّ الله عـزَّ وجلَّ أدخـل في فئة السابقين أربع زمر:

الزموة الأولى: الأولون من المهاجرين، ولهم الدرجة الأولى من السابقين.

المزمرة الثانية: الأولون من الانصار، أخذاً من قراءة: [والأَنْصَارِ] بالجرّ التي هي قراءة جمهور الغرّاء العشرة، ولهم الدرجة الثانية في السابقين.

الزمرة الثالثة: المؤمنون الصادقون من الانصار، ولمو لم يكونوا من الأولين أهل بيمة العقبة، أخذاً من قراءة: [والأنصار] بالرفع التي هي قراءة يعقوب البصري، ولهم الدرجة الثالثة في السابقين، وقد يشارك بعضهم أهل الدرجة الثانية من السابقين.

الزمرة الرابعة: المؤمنون الصادقون الذين اتبعرا الرّمر الثلاث السبابقة بهاحُسَانِ من أهل القرن الأول والقرون اللاّحقة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والشرط في هؤلاء حتى يكونوا مع السابقين، أنْ برنقُوا إلى مرتبة الإحسان في أتباعهم، ولا يكفي لواحدهم أن يكون من المتقين فقط، أو من الإبرار فقط، بدليل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم إِلْمُسَنِّنِ ﴾.

إذْ جَعَلَ الاَتْبَاغَ مَفَيَدًا بَكُونَهُ مُلْتَبَساً ومَقترناً بإحسان، والإحسانُ كما جـاء في بيان الرسول ﷺ هو أن تَعُبُّد الله كَانْكَ تراه، وهو فوق مرتبة البرّ.

وقد منح الله السابقين جميعاً من التكريم والأجر العظيم أمرين:

الأمر الأول: دلُّ عليه قوله تعالى:

﴿ زُضِو ﴾ ألَّهُ عَنَّهُمْ وَرَضُّواعَنَّهُ ﴾:

أي: رضي عنهم بسبب ما قلَّموا من أعمال صالحة ابتفاء مرضاته، وما يقلمون مواماً من أعمال صالحة، وبلغت بهم السعادة بما هم فيه من إيمانٍ وأنشراح صدرٍ مع أنهم ما زالوا في رحلة امتحانهم يتقلّبون في مختلف أنواع الامتحان، أن كانوا في رضاً دائم عن الله فيما تجري به مفاديره، وهذا الرضا هـو أحد عنــاصر سمادتهم في الحجلة الذنا.

الأمر الثاني: دلُّ عليه قوله تعالى:

﴿وَأَعَدُ لَكُمْ جَنَّتِ تَجَدِي تَعْمَدُكَ ٱلْأَنْهَ زُخَلِينَ فِيهَٱلْمِدَا ﴾.

وكما في قراءة ابن كثير: [تُجْرِي مِنْ تُحْنِها].

﴿وَأَعَدُ لَكُمْ جَنَّنْتِ ﴾:

وقد جاءت جنة الخلد في القرآن مفردة 179 مرة وجمات مجموعة باعتبار اقسامها 1919 مرّة، وجاءت نُشأة في بيان ثواب بعض مستحقيها من المؤمنين، باعتبار الْ حَظْ كُلُّ منهم جنتان من أقسامها 19ء مرات.

[تُجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ] أو: [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] كما في قراءة ابن كثير.

قد يسأل مسائل مـا الحكمة من هـذا التعبير؟ ولَمُ لَمْ يـأتِ بعبـارة تجـري فيهـا الأنهار؟

أقول

إذّ الجنّة لا تُسمَّى جنّة إلاّ باشجارها ويناتانها، فالأرض الخالية الجرداء لا تُسمَّى جنّة، والأنْهَارُ التي تجري في أرضها إنّسا تُجْري تحت أشجارها، وتحتُ شُكَّانٍ قُصُّورها ومساكنها الطيّة العالية العشرةة، فالذَّفَّة في التعبير تستدعي أن يقال تجري من تحتها أو تُخْتَها الأنْهار.

و دمن، في [مِن تَحْتِها] لابتداء الغاية، ووجروُها في كـلّ الاستعمالات القرآنية باستثناء هذه الآية في قراءة جمهور الفرّاء، مع إلباتها في قراءة ابن كثير، يشهر إلى أن منابع همله الأنهار تفخير من الأرض التي هي تحت الجنات، فجبري تُعُنّها، فعلَّت الفرامتان على المعنيين، فهي تُنْبُع جاريةً من تحتها، وتجري بعد ذلك في المسالك المنتزعة تحتها.

وكلمة النُّهر تُطلُقُ في اللَّمَة على مجرى الماء ، ثم حصل توسَّع في إطلاقها ، فصارت تُطلَقُ على الماء الجاري في النهر، ويسمّى مثل هذا الإطلاق عند علماء البلاغة مجازاً مُرْسَلاً، من إطلاق المحلّ وإرادة الحالّ فيه .

افول:

وجريان هذا الاستعمال على الالسنة جعل إطلاق النهر على العاء الجاري نفسه في النهر حقيقةً مؤقيًّة، وتُبيئي فيها المعنى المجازي السابق. ويقال لفة: نُهِرَ الساء إذا جرى في الارض رشقً لنفسه نَهَراً، ويجمع النهر على وأنهار، ونُهُور، ونُهُورو.

﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبُدُا ﴾:

أي: خالدين في هذه الجنات المعلّة لهم سابقاً قبل وضعهم مـوضع الامتحـان في الحياة الدنيا خلوداً لبديّاً لا نهاية له، وذلك بإمداد الله لها ولهم بالبقاء الدائم.

﴿ ذَالِكَ ٱلْفَوْرُ ٱلْعَظِيمُ ﴾:

الفوز: النجاة والربح والمنفر، والمحنى: ذلك الخاردُ في الجنّاتِ المعدّةِ لهم هـ و الفوز العظيم، وقد أشير إليه بالإشارة المحرضوعة للمشار إليه المعدد، لـ الإشعار بارتفاع منزلته ارتفاعاً عظيماً، الأسر الذي جعله بالنسبة إلى من أُجدً لهم امراً بعيداً جدّاً، لكنّه بفضل الله وفيض عطاك سيحصل لهم، وسيتالونه لا محالة، فقد وعدهم الله به، والله لا يخلف الميعاد.

. . .

الأقسام الثلاثة الأخيرة: المنافقون_ والعصاة التائبون_ والعصاة المسرفون على أنقسهم، وقد دلَّ عليهم:

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَمِعَنَّ مُوْلَكُمْ مِنَ الْمُعْرَكِ مُنْ مَنْهُمُ وَرُدُونَ إِلَّهُ الْمَدِينَةُ مَرُوا طَلَ الْفَانِ الْمَدِينَةُ مَرُوا طَلَ الْفَانِ الْمَدِينَةُ مَرُوا طَلَ الْفَانِ الْمَدِينَةُ مَرُوا طَلَ الْفَانِ الْمَدَائِعُ مَّ مَنْ فَيَعَمُ مَرَدُونِ الْمَعَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

المقراءات

- [سُيِّئاً]: وقف عليها حمزة فقط بإبدال الهمزة ياءٌ خالصة.
- [وَقُرْزُكُيهِمْ]: ضمُّ يعقُربُ هاء الضمير، وقراءة ساثر القرّاء بكسرها، والقراءتان وجهان عربيان لنطق هاء الضمير:
 - (١) قرأ خَمْزَةُ والكسائي وخلف وحفَّصٌ عن عاصم: [إنَّ صَلاَتَكَ] بالإفواد.
 - (٢) وقرأ باقي القرّاء العشرة: [إنَّ صَلَوَاتِكَ] بالجمع.

ودلّت القراءتان على أنّ دعاء الرسول لهم بالرحمة يستـوي إفراده وتكـريره، لأنّ دعاءه مستجاب .

- (١) قرأ ابن كثير وأبو غَمْرو ويعقوب وابن عامر وشعبة عن عــاصم: [مُرْجُـوُونَ]
 بهمزة مضمومة بعدها واو.
- (٢) قرأ باقي القراء: [مُرْجُونُ] بواو ساكنة بدل الهمزة، وليس بعدها واو أخرى.

والقراءنان لغتان لمادة الكلمة، يقال في الفعال: [أَرْجَأَتُـهُ وَيُقَالُ: [أَرْجَبُهُم. والمعنى: مؤخرون ليحكم الله فيهم يوم الدين، مع الأسل بأن يسوب الله عليهم، لأنّ في الرجاء والإرجاء معنى التوقع والانتظار لأمر مطموع فيه.

موضوع هذه الآيات

في هذه الأيات متابعة لبيان أقسام مجتمع المسلمين إبّان التنزيل بعـد بيان قسم السابقين وفئاتهم، مع التعقيبات والتوجيهات الرّبّانية .

- وقد أبانت قسم المنافقين من الأعراب، والمنافقين من أهل المدينة، وما لهم
 عند الله من عذاب مرتين، وعذاب آخر عظيم يوم الدين في جهنم.
- وأبانت قسم العصاة من المؤمنين الذين يُتبِعُون معاصيهم بالاستغفار والتوبة،
 وأعطتهم الرجاء بأن يتوب الله عليهم، مع توجيههم للتكثير عن خطاياهم بالصدقات.
- وأبانت قسم العصمة من المؤمنين المذين لا يُبْعُرون معاصيهم بالاستفضار والنوبة، وذكرت أنهم مؤخرون لامرائق، فإنما أن يعذبهم، وإمّا أن يتوب عليهم، وهمو سبحانه سيعامل كل واحد منهم بحسب حاله في نفسه وقلبه وظروفه التي كمان فيها في رحلة امتحانه، وذلك بمفتضى علمه بهم، وحكمته في عدله وفضله تبارك وتعالى.

التدبسر

القسم الشالث: وهم المنافقون من الأعبراب والمنافقون من أهـل المـدينـة، بمناسبة أحداث غزوة تبوك وتجربتها، ويُلحق بهم أمثائهم من بعدهم.

قول الله تعالى:

﴿ رَمَنَا حَوْلَكُمْ مِنَ الأَمْرَابِ مُنفِقُرَنَّ وِمِنَا هَلِ النَّذِينَةُ مَرُوا عَلَ النِّفَاقِ لاَتَقَلَمُهُ ۚ تُحَنِّقَلَمُهُمْ مُسْتَقَلِبُهُمْ مَّرَكَيْنِ ثُمُّ يُرِدُّونَ إِلْاَ عَلَامٍ عَظِيمٍ ۞ •

﴿ وَمِنْ مُولِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾:

الْجِفَالُبُ للرُّسُول وللمؤمنين الصادقين في المدينة، يقول الله قيد لهم: ويَعْمُسُ مَنْ خُولكم من الأعراب، وهم سُكَان البادية حول المدينة، هم مُسَاقفون، قالُوا وكان يسكن بادية المدينة من الأعراب قبائل: وجهينة، ومُسْرِيتة، وأَشْجِع، وفِفَار، وأُسْلُم، ولخيان، وقَصْيَة،

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةُ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾:

مَرَدُوا على التغاق: أي: مَرْنُوا عليه، وصارت لهم به ممارسة مستديسة، وشِيْرَةُ طويلة، فهُمْ به وبغنونه وإنقان اصطناع الظوامر الّتي تعظيه مَاجِرُون. يقبال لغة: مَرَدُ يُعْرُدُ مُرُوداً وَمَرَافَةُ فهِنِ مَارِدُ وَمَرِيد. أي: بَلغَ الغانة التي تَقُولُ فِي العثو ما عليه أحوال أهل الوصف الذي مَرَدُ فيه، نفاقاً، او مكراً، أو لُصُوصِيَّة، أو فِسُقاً، أو سَفَّكاً للنساء، أو غير ذلك.

والْمَسرِيدُ الخبيثُ الشَّـرَيُّرِ الْمُتَمَـرِّدُ، ومنه أطلق على الشيطان العاتي مِنَ الْإِنْسِ والجنّ ماردُ وفريد.

والمعنى: ويُعضُّر أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق إضافةً إلى من تُعلَّمُ من المنافقين الذين كشف سلوكهم نفاقهم.

﴿ لَاتَعْلَمُ أَنَّ غَنَّ نَعْلَمُهُمْ ﴾:

الخطاب للرسول، ويصلح أنَّ يكون خطاباً له ولكلَّ مؤمن على سبيل الخطاب الإفرادي، ولمّا كان الرسول على سبيل الخطاب الإفرادي، ولمّا كان الرسول على يغلَمُ يعضى مؤلاء المنافقين، وكنان من المؤمنين أفرادً يعلمون أفرادً المنافقين، وكان من حُسْن التنبّر أن نفهم أنَّ قول الله تصالى: ﴿لاَ تَمْلُنُهُمْ ﴾ ينبغي أن يُحفّل على تَفي العلم المستفرق لكلَّ أفرادهم، فنقي علم الجميع لا يُعدُ نفي علم أفراد المنافقين، وين ما ثبت من واقع حال الرسول ويعض المؤمنين من علمهم يبعض أفراد المنافقين، والضمير في القعلين يعود فيما أرى على منافقي الموالمبدية مماً.

وقرامه تعالى: ﴿وَنَحُنُ نَشَلَهُمْ ﴾ جاء التعبير فيه بضعيبر العتكام العظيم، العناسب لشمول علم الله بواطن الأمور وأسرار قُلُوب العباد، وربَّما يكونُ العرادُ التعبيرُ عن علم الله وملائكته الموكّلين بعراقية العبادة وكتابة أعمالهم الظاهرة والباطنة، فناسب ذلك أن يأتي بضمير المتكلم ومعه غيره.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّوَّنَّيْنِهُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰعَذَابٍ عَظِيمٍ):

أمَّا الرَّدُ إلى عَذَابِ عظيم فهو إعادتهم إلى الحياة بعد الموت، ليمذَّبُوا في جهـُّـم بعد جـَــَابِهم وفصلِ القضّاء بشائهم.

وأمّا تَعَذِيبُهِم مُرتَين فأرَى أن الدرّة الأولى ما يُلاتونه من عذابٍ في الحياة الدنيا. وأنّ المرّة النانية ما يُلاقونه من عذاب في مُلّة البرزخ بين الموت والحياة، وهو ما يُشرّفُ بعذاب القبر.

والنون في: ﴿سُنُمُنَّهُمْ﴾ هي نـون المتكلّم العظيم، وهي تناسبُ مقـام عـرّة المنتقم الجبّار.

القسم الرابع: العصاة التاثبون المستغفرون إبّان النتريـل، بمناسبـة التخلف عن غزوة تبوك، ويُلْحَقُ بهم أمثالهم من بعدهم.

قول الله تعالى:

﴿ وَمَا حَرُونَ اَعَمُوا لِللَّهِ مِعَ خَلَلُوا عَمَلُا صَلِعا وَمَا عَرَسَيِّنَا عَسَى الْعَالَدَ مَنْ وَمَ عَلَيْمَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْ عِلِيهِ وَالْحَمُّ السَّمَةُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمَعْلِيهُ وَمَعْلِيهُ وَالْمُعْلَقُ وَمَعْلِيهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّالِي اللْمُوالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ :

شروع في بيان الفسم الرّابع، والعطف هو من قبيل عطف الأقسام بعضها على بعض.

> أي: وفبكم قسمُ آخرون ممّن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة: ﴿ أَعَرِّهُواْ يَلِنُوْهِهِمْ ﴾.

أي: أفنيوا واغْتَرَقُوا بَلْنُوبِهم وتأبُوا واستغفروا، فمن لوازم الاعتراف بالذُّنْب، أن يكونَ مسبوقاً بفعل الـذنب، ومن خلائق المعتـوفين بذنـوبهم أن يُنوبـوا ويستغفـروا، فيكتى بالاعتراف عن التوبة والاستغفار.

الاعتراف بالذنب: هو إقرار الدننب بأنّه يُفرف أنّه قد أذنب، اعترف على صيغة والتّعمل؛ من فِقَل وعُرفَه. ومن معاني هذه الصيفة الإظهارُ والمسطاوعة، وخذان المعتبان يُصَلّحان هنا، فالمعترف بذنبه يُطْهِرُ أنّه مذنب، وإذا طُلِب منه أن يُهُورُ بذنبه أقرّ به على نفسه.

﴿ خَلَطُواْ عَمَالُاصَالِمًا وَمَاخَرَ سَيِّعًا ﴿ :

لي: هذا القسم من المؤمنين فنسم تعادلت حساتهم وسيثاتهم، إذ كنان سلوكهم ينحلُ إلى عمل صالح وعمل آخر مَيْسِ، إنهم إذا تحركت عاطفتهم المدينيةُ عملوا عملاً صالحاً، فإذا تحركتُ بهم أهواؤهم وشهراتُهم ورزغاتُ نفوسهم عَملُوا عملاً سيّنًا، وهكذا عواليك، تَشُورُ حركة أعمالهم في حياتهم فتأخذ أيماتهم فيضة من الأعمال الصالحة، وتأخذ شمائلهم فيضة من الأعمال السيّة، ويختلط حالهم بالنسبة إلى الناظر إليهم، هلْ هم يعملون الصالحات أم هم يعملون السيئات؟

لكنّهم مع ذلك يُغَرّفون بدُنوبهم، ويتوبون، ويستغفرون. ومعنى الجملة: خلطوا أعمالهم بعضها ببعض، عمالًا صالحاً وآغر مَيّتاً، يقال لغة: خلط الشيء بالشيء.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾:

في هـذه الفقرة يفتح الله لهم بابَ رَجـاء أن يتوبّ عليهم، فَيُعْفِيهُمْ من العقـاب على سيئاتهم، إذا كانوا صادقين في توبتهم، مخلصين في استغفارهم. فعـل وغَــَى؛ من الأفعال التي تــدلُ على النَّربَعِي، أي: إنَّ تــويَّة الله عليهم أشرَّ مرجَّوْ غير مَنْكُوس ت، وهـلما التعبير هـو إلى الإطماع والوعد بالتــوية أقـــرب، حَمَّى كَالُّــ وعَلَّـ سَيِّنَجْز، لانَّ الْمُرَجِّينَ به ربِّ عَقْمُ فَقُورٌ كريم واسع الرحمة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

هذه الجملة بمثابة التعليل لما فُهِمَ ضمناً من الجملة السابقة، أي: سيتفضّل الله عليهم بالتوبة لأنّ الله غفورٌ رحيم .

غَفُور: أي: كثير المغفرة.

رَجِيم: أي: كثير الرحمة.

وفي شأن عموم اللين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سبّاً، لا في شأن خصوص اللذين نزل القرآن بتنوية اللهِ عليهم من أصحاب الرسول ﷺ، ووى البخاري في صحيحه عن سُمُوّةً بْنِ جُنْلُبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا:

وَأَنَانِي اللَّبُلَةُ آتِيَانِ فَالْبَعَثَانِي، فَالنَّهَٰيَنَا إِلَىٰ مَدِينَةٍ مِنْيَّةٍ بِلَمِنِ ذَهَبٍ وَلَمِنِ فِضُهُ. فَتَلَقَّانَا رِجَالُ شَطْرَ مِنْ خَلْقِهِمْ كَاخْسَنَ مَا أَنْتَ رَاهِ. وشَطْرَ كَافَتِحِ مَا أَنْتَ رَاهٍ.

قَالاَ لَهُمْ: انْعَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النُّهُـرِ، فَوَقَعُوا فِيه، ثُمُّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَـدٌ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّرةُ عَنْهُمْ، فصاروا فِي أَحْسَن صُورَةٍ.

قَالَا لِي: هَٰذِهِ جُنَّةُ عَدَّن، وهذَاكَ مُنْزِلُكَ.

قالاً: أمَّا الْقَرْمُ الَّذِينَ كَانَ شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيْئاً، تَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُمْ، (١٠).

هذا الحديث قصّ الرسول فيه رؤيا رآها في منامه، ورؤيا الأنبياء حتّى. وجاء في بعض روايات الحديث أن الأتيان اللّذان أتباء في المنسام هما وجسريل وميكـائيل، فقـد جاء فيها بعد تفسير المشاهد: ورأنا جبريل وهذا ميكاثيل،

 ⁽١) البخاري وكتاب تفسير القرآن، الحديث (٤٦٧٤) من الفتح، وأورده في التعبير عن سمرة أبضاً بأطول وأكثر أحداثاً والحديث ٤٠٠٤) من الفتح.

وأمر اله عزّ وجلّ رسُولَة بأن يقبل من الملنيين التاليين ما بيذلون من أموالهم من صدقة، لتكون هذه الصدقة مُطَهِّرةً لهم من فنّـويهم، ومُعَوِّضَةً الخسران الـذي خسروه بسبيها، فتَنَّمُوْ بها صالحاتُ أعمالهم.

وَأَمَرَةُ أَيْضاً أَن يُصَلِّي عليهم، أي: ان يدعُو لهم بـالرّحمة، فإدا ذعا لهم بها، سكنت تلويُهم، واطمأنَّت، وتخلَّفتُ من القلق والانسطراب الباني نـزل بهـا بسبب ما أصابوه من الفتـوب، لإيمانهم بـأنَّ صلاة الـرّسول عليهم صـلاةً مقبولـة حماً عنـد بارئهم، فاقد لا يردُّ دعاء رسوله فيـما هو مأذون بأن يذَّعُوْ به،

* فقال تعالى له:

﴿خُذِينَ أَمْوَلُهُمْ صَدَفَةُ تُعْلَقِدُهُمْ وَثَرْتَكِيم بِهَا وَسَلِ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَوْنَكَ سَكُنْ لَمُش وَاقَةُ سَسِيحٌ عَلِيدٌ ۞﴾.

﴿ خُذْمِنَ أَمْوَلِيمٌ صَدَقَةً ﴾:

إِذَنُ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِه بِأَنْ بِأَخَذَ مِن المُمْنِينِ اللَّبَنِ خَلَطُوا عَمَلًا صَالَحًا وآخر سيئًا ما يبذُلُون من أَفُوالِهِمْ صَدَقَة لَلْهِ تعالى ابتغاء تطهيرهم وتركيتهم بها.

الصَّدَقة: ما يُبدُّل لذري الحاجات من الفقراء والمساكين ابتغاء مرضاة الله.

وأخُذُ الرسول الصَّدَقة منهم هو أخذُ لا ليتملَّكها، ولكن ليضعهـا فيمن يستحقها من الفقراء والمساكين.

﴿تُطَهِرُهُمْ ﴾:

أي: تُنزِيل عنهم أدران مـــا ارتكبُـوا منْ ذَنبٍ، وذلــك لأنَّ الحسنـات يـــنْـهْبْنَ السَّيْئات.

﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾:

النزكية تأتي في اللُّغة بمعتبين، الأول: التطهير. والثاني: الزيادة والنماء. وبعما إذّ التطهير قدجاء مدلولاً عليه بقوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهم﴾ لـزم أن نفهم أنّ ﴿وَتُوْكَيهمُ﴾ بمعنى وتنمّيهم وتـزينُهُمّ، والسراد نماء وزيادة أعمالهم الصالحة، التي تعوّضهم ماخسروه بسبب الذنوب.

والمعنى أنَّ الرَّسول إذا قبل منهم ما يُقَدَّمون من أموالهم صَدَّقَةً للتطهير والتزكية، فإنَّه يُطَهِّرُهم ويُزَكِّيهمْ بقولها منهم، أي: إنَّه يكون سبباً في ذلك.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾:

أي: وادع لهم بأن يغفر الله لهم ويرحمهم فَيُطَهِّرهم ويُزِكِّيهم.

﴿إِذَّ صَلَوْتُكَ سَكُنَّ أَنَّمُ

السُّكَنُ يُطْلَقُ على الشيء الذي تَسْكُنُ إليه النَّفْسُ، وتَـطْمَيْنُ، وتَسْتَانِسُ به، ويُطْلَقُ على الرُّحْمة، وعلَى البّركة.

والمعنى: إنَّ صَلاتَكَ عليهم تمنح قلوبهم ونفوسهم السُّكون والطَّمانيّة، وهي أيضاً رحمةً لَهُمْ وَيَرْكَةً، لأنَّ اللهُ يَزِيلُهُمْ بِها رحمةً وعطائه.

وختم الله الآية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ سَجِيعٌ عليمٍ ﴾ لربط عملهم في بـذل الصدقة، وصلاةِ الرسول عليهم، بما يلائمهما من القاعدة الإيمائيّ، فدعاء الرسول لهم يـالائمه اسم الله السميع، وعملهم ابتفاء مرضاة الله يلائمه اسم الله العليم.

وجاء في سبب نزول هذا النصّ ما يلي :

أخرج ابن جريس، وابن المنذر، وأبنُ أبني حـاتم، وأبنُ مرَّفويـه، والبيهقيّ في دلائل النبَّوّ، عن أبْن عبّاس في قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَرُونَ أَعْمَرُ قُواْ بِذُنَّو بِهِمْ خَلَقُواْ عَمَلَاصَالِحًا وَمَاخَرَ سَيِّقًا . . . ﴾ .

قىال: كانوا عشرة رجعاً تخلَّقُوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فلمَّنا حضر رجوع رسول الله ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان مَمَرُّ النبيّ ﷺ إذا رجع عليهم، فلمَّا رآهم قال:

ومَنْ هَنَوُلاءِ الْمُوثِقُونَ أَنْفُسَهُمْ؟؛

قَـالُوا: هـذَا أَبُو لُبَـابَة وَأَصْحَـابٌ لَهُ تَخَلَفُـوا عَنك بِـا رَسـول الله، حتى تُـطُّلِقَهُمْ

وتعذرهم. قال:

وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللَّهِ لاَ أَطَلِقُهُمْ ولا أعلوهم حتى يكون الله هو الذي يُـطَلِقُهم، رَغبوا عنّي، وتخلُّفوا عن الغزو مع المسلمين.

فلمًا بلغهم ذلك قالوا: ونحزُ لا نُطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الـذي يُطلقنـا، فنزلت:

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾.

وعسَىٰ من اللَّهِ واجب، فلمَّا نزلت أرسل إليهم النبيّ ﷺ، فأطلقهم وعَـَـلُوهم، فجاهوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنّا واستغفر لنا، قال:

وَمَا أُمِوْتُ أَنْ آخُذَ أَمُوَالَكُمْ،

فأنزل الله عزُّ وجلُّ:

﴿ خُذِينْ أَمْوَ إِلَيْمُ صَلَقَةً تُعلَقِ رُهُمْ وَتُرْكِيهم بِهَا وَصَلِ عَلَيْهِمْ ﴾.

يقول: استغفر لهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنُّ لُهُمْ﴾، يقـول: رحمةً لهم. فـأخذ منهم الصَّدَةة واستغفر لهم.

وكان ثلاثة نفر لم يُوثقوا أنفسهم بالسواري، فـأَرْجِئوا سنـة، لا يَلْـرُونَ، أَيْعـلُـبُونَ أَوْ يَتَابُ عليهم؟ فانزل الله :

﴿ لَمَدَنَّا كَ اَتَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَىجِينَ وَالْأَسَادِ الَّذِينَ اَتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَسْدِمَاكَ اَدَيْزِيغُ قُلُوبُ فَي فِي مِنْهُمُ ثُمُّمَّاكِ عَلَيْهِمُ لِلْتَّهُومِ رَدُوكَ تَصِدُ ﴿ ﴾ :

وفي دعماء الرسول 撤 للمتصدّقين تـطبيقاً لقـول الله لـه: ﴿وَصَـلَّ عَلَهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنْ لهم﴾:

روى البخــاري ومسلم وغيــرهمــا عن عبــد الله بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ، قــال: كــان رسول الله ﷺ إذا أَتِي بصَدَقَةٍ قال:

واللُّهُمُّ صَلُّ عَلَىٰ آلَهِ فُلَانَ ي

فأتاه أبي بصَدْقَتِهِ، فقال: واللُّهُمُّ صَلُّ عَلَىٰ أَل أبي أَوْفَىٰه.

ولمّا كانت العبرة في التصوص القرآنية بعموم اللّفظ لا يخصوص السبب كمان علينا أن نفهم أنّه يَحْسُنُ بكلّ عاص تائب أن يتصدّق صدنةً رجاء أن نُفَهَرَهُ وَتُزْكَيْهُ، ولا بأس أن يلتمس مع ذلك دُعَاة وارثي الرسول ﷺ، أن يغفر الله له ويُرْحَمُه، من الذين يرى فيهم الصلاح والاستفامة وأنهم من ألمة المتقين.

وإذْ كان العصاةُ التاثبون المستغفرون وَجِلين قلقين خالفين أن يعاقبهم الله بسبب ذُنُويهم، كان من الحكمة الرَّيَانيَّة التخفيف عنهم، يِتَرْجِيَتِهم وطَمَّانَـةَ قُلُويهم، فقال الله تعالى :

﴿ ٱلْرَبْطَلُولَ ٱنَّالَهُ هُوَيَقْبَلُ النَّوَيَّةُ عَنْ عِبَادِهِ وَكِأَخُذُ ٱلْشَدَفَنَتِ وَأَتَّ الْهُ هُوَ ٱلنَّوَابُ الرَّحِيثُ ۞ ﴾.

الاستفهامُ في: ﴿ وَأَلْمَ يُعْلَمُوا﴾ استفهام تقريري، اي: قد سبق أن علمموا أنَّ الله يقبل تُوبَّهُ عباده، فلاداعي لقلفهم واضطرابهم، وخُـوفِهم الشديد مما فعلوا من ذُنْبٍ، بعد أن تابوا واستفقروا.

وقبول توبتهم يلزم منه تجاوز الله عن سيّشاتهم، وللدّلالة على هـذا المعنى قال تَعالَى: ﴿يَقْبُلُ النُّوبَةَ عَنْ عِبَادهِ﴾ أي: يقبل النوبة متجاوزاً عن سيئات عباده.

﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدْقَاتِ ﴾ معطوف على: ﴿ يَقْبُلُ ﴾ فـالجملة ينسحب عليها مؤكَّـداتُ الجملة الأولى .

والتعبير بأنّه سبحانه يأخذ الصَّدَقات التي يبذلـونها للفقـراء، يدلُّ على أنـه يقبلها منهم، ويكافئهم عليها، فيتوب عليهم ويكفّر عنهم سيئاتهم ويرحمهم.

وذَكْرهم الله بما يلائم قبول توبتهم وصدقماتهم من صفائه وأسمائه الحسنى في آخر الآية بقوله :

﴿ وَأَنَّ آلَةَ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾.

التُواب: أي: الذي يتوبُّ على عاده كثيراً، فالصيغة من صيغ المبدالغة. يقال. لغة: تَابَ يُتُوبُ تُوَيَّا وَفَرَاتُهُ وَمَنَاباً إذا رجع، وفَرَايَّةُ الْمَنْدِ رُجُوعُه إلى طاعة رَبه، وتوبةُ الله على عَلَيْدِ رُجُوعُهُ إليه بالإنجال والغفران والعفو والرضا.

الرحيم: أي: الذي يرحم عباده كثيراً، فصيغة «الرحيم» من صيغ المبالغة.

وإذَّ طُويتُ صفحة الماضي بالنربة والففران، كان من الحكمة التوجيهيّة التربويّة استخشات همم أفراد هذا القسم العصاة التاليس المستغفرين الباذلين من أسوالهم صدقات ابتضاء مرضاة الله للتطهير والتزكية، وذلك بأمرهم بفعل العسالحات في المستقبل، وبالاستفامة على الطاعة والبعد عن اقتراف الدنوب، فقال الله لرسوله:

﴿ وَلِّيَا عَمَلُوا فَسَرَى اللَّهُ عَمَلُكُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِثُونَّ وَسَكُرْتُوكَ إِلَى عَلِيا لَفَتِب وَالْشَيْدَةِ فَيُشِيِّعُكُمُ مِنْ مَمْلُونَ ۞﴾.

والمعنى: وقبل يا محمّد لهم: قد تداركتم منا وقعتم فيه من ذنب فيمنا مضى بالتوبة والاستغفار، وبدل الصّدقات، فتاب الله عليكم وغفر لكم، فأروا الله ورسولهٔ والمؤمنين في المستغبل أعمالاً صالحات، واستغامةً على الطاعات، ويُقداً عن ارتكاب السيّئات، نسيرى الله عملكم (أي: أعمالكم فالمفرد المضاف إلى معرفة يعمّ) وسيرى رسوله والمؤمنون كذلك عملكم، فَيَشْهَدُون لكم بعنا يَرُون منكم، ويغضون النظر عن ماضيكم، ويعاملونكم بعقضى ما تحوَّلتُمْ إليه من خير وصلاح واستغامة.

وإلاّ تُصْلِحوا وتستقيموا فإمّا أن تُكَرِّروا ما كنتم عليه من الْخَلط، وإمّا أن تُشْرِلُوا إلى مَركةِ المسرفين على أنفسهم.

وفي كملّ الأحوال: فسيرى الله عَمَلُكُمْ ورسولُـهُ والمؤمنون، ما دمتم في الحياة الدنيا، ويعد ذلك ستموتون.

﴿ وَمَنْ أُدُّونَ إِلَّ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَاوَ ﴾:

اللَّهِ رَبُّكُم: أي: وسُتُرَدُّونَ إلى الحياة يـوم البعث لتلافـوا ربُّكم الذي يَعْلُمُ كـلُّ

ما هو غيب عن عباده، وكلّ ما هو شهادة، أمّا هو فلا غيب بالنسبة إليـه، بل كـلّ شيءٍ بالنسبة إليه شهادة، وستقفون بين يديه في موقف الحساب وَفَصْلِ القضاء.

﴿ فَيَنْ يَتَكُونُهُ مِاكُنُتُمْ تَفْ مَلُونَ ﴾ :

أي: من أعمالكم الظاهرة، وأعمالكم الباطنة، ويُحاسِبُكُم عليها، ويكون قضاؤه الفصلُ بوم الدين بينكم بحكمته وفن مقتضى عَدْله أو فضله.

ويقاس على الْمَمْنِيِّسُنَ بِـالخطابِ في هـذا التعنى غَيْرُكُمْ مَمَّنُ بِياتِي بِعــدهم، ويَتَعَلِقُ عليهم ما الْطَيْنَ على هؤلاء، ويُطَالُبُ حملةً بِسِرات رسولِ الله ﷺ بـأنْ يقولـوا لهم إذا تابوا واستغفروا ويذلوا من أموالهم صدقات ابتفاء مرضاة الله:

﴿ اَمْسَلُوا اَسْبَرُى اَلَهُ مُسَلَّحُ وَوَسُولُمُّ وَالْمُؤْسُونَّ وَسَثَّرَدُوْكَ إِلَى عَلِمِ الْغَبِ وَالشَّهَةَ فِيَنْ يَكُو بِمَا كُمُّ مُصَّلُونَ ﴾.

. . .

القسم المخامس: العصاة المسرفون على أنفسهم المستغرقون في معاصبهم إيّان التنزيل ويُلْخَقُ بهم أمثالُهُمْ من بعدهم.

- قول الله عزّ وجلّ:
- ﴿ وَءَاخُرُونَ مُرْجَوْذَالِأُمْمِ اللَّهِ إِمَّا يُعَدِّمُهُم وَإِمَّا يَوْبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ مَكِيمٌ ١
- قرأ ابن كثير وأبـو عمرو ويعقـوب وأبن عامر وشعبة عن عـاصم: [مُرْجُؤُون]
 بالهمزة وواو بعدها.
 - وقرأ ساثر القرَّاء العشرة [مُرْجُوْنَ] بحدف الهمزة وواو ساكنة.

قال أهل اللُّمَة: أَرْجًا الأَمْرُ، أَيْ: أَخُرُه، وتركُ الهمزُ لُفَخَّ، قال أَبُنُّ الشَّكِيت: ارْجُأْتُ الْأَمْر، وَلَرْجَيْتُه إِذَا أَخُرَتُه، فيقال في هـذا الفعل إِذَاً: أَرْجَأً، وَأَرْجَى، والمعنى واحد.

والمعنى: وآخـرون من العصاة لم يُتُـوبوا ولم يستغفـروا كمـا فعـل أهــل القسم

حول بيان أقسام مجتمع المسلمين إبّان غزوة نبوك

الرابع، وهؤلاء مؤخّرون لم يقض الله بتوبته عليهم، وتأنبيسُرهم إنّما هــو لأمر الله ونُسَأَلِنه فيهم، يومَ الحساب وَفَصَّل القضاء.

ويومئذ إمّا أن يقضي الله بعذاب من تقتضي حكمته تعذيبه، وإمّا أن يُتُـوبُ على من تقتضي حكمته أن يتوب عليه.

وحتم الله الآية بقول: ﴿ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الدارة إلى أنَّه سبحانه يُعالِمُ كُلُّ واحدٍ منهم بحسب مفتضى حكمت، المستدة إلى علمه الشامل به، وبكل ظروفه، ودواقعه الفسيّة، ويشه، وماوهبه من قدرات، ومقدار رغبته في المعصية، وجملة المؤثرات على إرادت.

. . .

الْمِقْدُ الثَّالِثُ

قصة مسجد الضرار مع التعقيبات والتوجيهات الربّائية

قول الله عزّ وجلّ:

وَوَالَيْبِ اَفْتَتَدُواسَمِهُ اَضِهُ اَوَاكَ مَا اَلَّهُ الْفَوْيِدِي وَالْمَسْكَاةُ وَلَوْلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ الللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللِهُ اللِهُ الللِيلِمُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللِلْمُلِلْمُ اللْمُلْمُ الللِهُ الللِيلِمُ الللْمُلْمُ اللَّهُ ا

القبر اءات

قوأ المدنيان: نافع وأبو جعفر، والشامي ابن عامر: [الله ين اتُخذُوا مُسْجِداً]
 بحدف حرف العطف قبل والذينَ».

وقرأ باقي القرَّاء العشرة: [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً] بِإثبات حرف العطف.

وفي الفراءتين مُرَاعَاةُ لاقتضاءَيْن، فَتَسَلَّسُلُ الاَحْدَاث السابقة في السورة يقتضي الـوصل، إذ الحـديث فيها عن ظواهر سلوكية للمنافقين، يقتضي عـطُف ظاهـرة بنـاء مُشَجِد الضرار عليها، فجامت قراءة أكثر القرآء بالعظف. ووجودُ الفاصل الطويل من الآية (٩٩) إلى الآية (٢٠١) التي تضمّنت الحديث عن أقسام مجتمع المسلمين يوششة ينتضي الفصل، ويقاً الكملام بأسلوب الاستثناف لا العطف، فجاءت مُراضلةً هملاً المقتضى في قراءة حذف حوف العطف، وبالقراءتين تُمُثُ مُراضَلةً الانتضاءين، وهذا من بدائع التنزيل الحكيم.

 قرآ نافیع واین عاصر: [أَفَمَنَ أَنسَن بُنْیَاتُهُ] و[أَمْ مَنْ أَنسَن بُنْیَاتُهُ] ببناء فعمل وأُنسَن، للمجهول، ورفع وبُنْیَاتُه علی آنه نائب فاعل، فی الموضعین.

وقرأ باقي القراء العشرة بالبناء للمعلوم ونصب دبنيانَه، في الموضِعَيْن أيضاً.

وفي هاتين الفراءتين تكامَّلُ في الأداء البياني. ففي قراءة البناء للمعلوم يتحدّث التُّصُّ عن الذي شارك في تأسيس مسجد الفسرار بالعسل أو بالرأي أو نحو ذلك من المنافقين، وفي قراءة البناء للمجهول يتحدّث النَّصُّ عن سائـر المنافقين الدُّين أُسَّسَ لُهُمُّ هذا البنان، وَلَوْ لَم يكونوا من المشاركين فعلاً في مؤامرة بناء مسجد الفُسرار.

قرأ شُعّبة عن عاصم: [وَرُضُوانٍ] بضمّ الراء.

وقرأ باقي القرَّاء: [وَرِضْوَانِ] بكسر الراء.

والقراءتان وجهان عربيان لنطق هذه الكلمة.

قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وشعبة عن عاصم: [جُرْفٍ] بإسكان الراء.

وقرأ باقي الفرَّاء العشرة: [جُرُفٍ] بضمُّ الرَّاء.

قرأ يعقوب البصري: [إِلَىٰ أَنْ تَنْظُمَ قُلُوبُهم] أي: إلى أن تنقطع قُلُوبُهُم.

وقرا ابن عامر وحمزة وابو جعفر وحفص عن عاصم: [إلَّا أَنْ تَقَطُعَ قُلْرِيُهُمْ] أي: إلَّا ان تَتَقَطُعَ قلوبهم.

وقرأ باقي القراء العشرة: [إلَّا أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهم] بالبناء للمجهول.

وفي هذه القراءات تكاملُ فكريٌّ وتكامل في الأداء البياني.

أَمَّا قراءة يعقرب فتلدُّ على أنَّ الرَّبِية في قلويهم ستستمرُّ حُنَّى تَقَطُّع قلويهم، وأمَّا قراءة ابن عامر بعن معه فهي تذُّل على أن هذا الاستمرار يُسْتَثَنَى منه رَمَّن تَقَطُّع قُلويهم، فهي تشير إلى احتمال مفاجاتهم بالعقاب قبل حلول آجالهم المقرّرة.

وأمَّا قراءة بانمي الفرَّاء فهي تذُلُّ على احتمال أنْ تُقطَّمَ قُلُوبُهُمْ بِفعل_{ِ ف}اعل، فهي يَتَغَطُّمُ بِذَلِك مجبورةً غَيْرَ مُخْتَارة.

سبب تزول هذه الآيات

سبق في استعراض أحداث غزوة تبوك وما رافقها بيان سبب نزول هــذه الأمات، فأكبرُجع إليـ٬۷۰ ومنه مـُـلاحظ أنّ الله مزّ وجلّ يبينُ فيها ظــاهرة من الــظواهــر الـــلوكيــة للمنافقين، وقد كانت إبّان أحداث غزوة تبرك، إنّها ظاهرة بناء مسجد الفــــوار، ليكون قاعدة مكّرٍ وكفرٍ وإضرار بالإسلام والمسلمين.

التسديسر

قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ الْفَوْمِينِ وَإِنْ مَسْمِلًا ضِرَارًا وَكَذَارُانَةً بِهَا أَيْنَ الْفُوْمِينِ وَإِرْمَانًا لِمَنْ عَارَبُ اللَّهُ وَوَسُولُمُونِ فَسَلَّ وَلِيَحْلِفُونَ إِنَّ أَرْنَا الْأَلْحُسِّنَّةً وَاللَّهُ يَنْمُهُ أَيْمُمُ لَكُذِيثُونَ ﴿ لَا لَكُشَرِهُ فِيهِ الْمِنَا ﴾ .

تحدَّث الله عزَّ وجلَّ في هذه السورة عن المنافقين بعدَّة أساليب:

أولاً :

في بده الحديث عنهم قد كان العرض بأسلوب تمهيدي غير صريح في أوّلـه بأنهم منافقون، وانتهى في وسطه وآخره بما يدمغهم بالنفاق، وكان هذا في الآيات من (۲۶ ـــ إلى ۲۷).

⁽١) انظر الفقرة (٧). ورحلة العودة إلى المدينة.

فقد بدأت هذه الآيات بقول الله تعالى بشأن الذين استأذنوا في أن لا يخرجوا مع الرسول إلى غزوة تبوك:

﴿ لَوْكَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرَاقًا صِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِينَ بِشَدَتَ عَلَيْهِمُ الشَّقَةُ . . ۞ ﴾ . وجاء في اثناتها:

﴿إِنْمَابِسَتَنَذِنَكَ ٱلَٰذِينَ لَائِتُوْمُونَ إِلَّهُ وَٱلْيَّوْرِ ٱلْآمِرِ وَارْتَابَ قُلُوبُهُمْ مَهُمُّر فِيرَنِيهِمْ مِّزَدَّدُونَ ۞﴾.

وجاء في آخرها:

﴿ لَوْخَ رَجُواْفِيكُمْ مَّازَادُوكُمْ إِلَّاخَبَ الَّا . . . ١٠

بانساً:

ثُمَّ تتابعت الآياتُ تَكْثِيفُ ظواهر نفاقهم بصراحة، مثل:

_ ﴿ إِن تُصِبُكَ حَسَنَةٌ نَسُوْهُمْ .. ٢٠

_ ﴿ رَمْنُهُمْ مَن بَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ... ١٠

_ ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُ لَهُ مِينَا بَعْضٍ . ١٠٠٠

_ ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُظَّوِعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِ الصَّدَقَتِ

- ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلأَغْرَابِ مُنَفِقُونٌ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةُ مَرَدُواعَلَ

ٱلتِغَاقِ...۞﴾.

ثالثاً:

ثم جاء دور الحديث عن بُناءً مُسْجِد الفَسرار من المنافقين، الَّذِين بَدُؤُوا بِتَنْجِيدُ مؤاسرةً كِيدِيّة كُبْرَى ضِيدٌ الإسلام والمسلمين، مع أبي عامر الراهب الذي حاربُ الرسول والمسلمين في أخدٍ مع مشركي قويش، وهو من أهل الصدينة من بني غُنْم بن عرف، وكان قد تنصر في الجاهلية، وأقام بمكة قبل فنجها، ولَمَّا فَيَحْتُ للرسول ﷺ فَرَبِ
إلى الطائف، ولمَّما فَيَحِبُ الطائفُ خرج إلى الشام، واستصر بقيصر، وكتب إلى
المنافين من قومه يأمرهم بأن يبنوا مسجداً خاصاً بهم، ليكون قاصدة انطلاق لحرب
المسلمين في المدينة، ووَصَدْمُمْ بأنَّه سيأتي بجيش من السروم، لقتال المسلمين
وإخراجهم من المدينة،

فلمًا جاء دُورُ الحديث عن بُناةٍ مُسْجِد الضرار هؤلاء، كنان من الحكمة البينائية الشّبية على تخصيصهم بالذكر، لتوجه الاهتمام بالمُرهِمُ الخطير، فقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّفَىٰذُواْ مَسْجِنَا ضِرَادًا . . . ﴾ .

على أنَّ ﴿الَّـلِينَ﴾ مَقْمُولُ به لِفِعْل محدُّوفِ تقديرةُ: ﴿أَخُصُّ ﴾ أي: وأخَصُّ بالذكر من المنافقين الذينَّ أتُخذُّوا مُسْجِداً ضراراً، والممنىُ: أنَّ مؤلاء أشدَّهم عداءً، واعظمهم خطراً، لتَحُولُر جدائِهم الكمين إلى أهمال كيديَّةٍ تُبدُّ لحرْبٍ تُشَارِكُ فيها وانظمهم جعرش تبحث به من الشام إلى المدينة.

وقد ذكر الله عزّ وجلّ عناصر الكيد التي اشتمل عليها بناء مسجند الضَّرار بجوار مسجد قُباء، وهي أربعة عناصر:

العنصر الأول: كونه ضِرَاراً، أي: قصد المنافقون من إنشائه مضارّة المسلمين العؤسين.

والضُّرَارُ في اللُّغة يأتي بمعنيين:

الأول: المخالفة، نضول لُغَةً: ضارَرْتُ الرُّجُـلُ مُصَارَّةً وَضِراراً، إِذَا خَالَفَتَـه، واخَلْتُ اتَّجَاماً غَيْرُ اتّجامه، وطريقاً غَيْر طريق.

الشاني: إنْوَالُ الفُسْرَر، تقول لغة: ضارًه مُفَسارًة وضِسْرَاراً، إذا أتَخَذَ الأَسْبَابِ لإنْزَالِ الفُسْرِ به، وأصل صيغة دفاعل، تدلُّ على المشاركة، ولكن حين لا يكون من يُرادُ إنزالُ الفسرر به مشاركاً فعلًا، فإنَّ الصيغة ندلُّ على مضاعفة الجهد لإنزال الفسرر وهـذان المعنيان ينطبقان على حـالة بِنَـاءِ هؤلاء المنافقين لمسجـدهم إلى جوار مسجد قباء.

العنصر الثاني: كونُه تُحْراً، أي: أنشأه السنافيون بياعث الكفر الذي يُكونُونه في صُدورهم، وليكون قـاعدة نشـر الكفر، وإنـطلاق الإعمال الكـافرة المحـاربة لـالإيمان والمؤسنين.

العنصر الثالث: كونُه تَفْرِيقاً بين المؤمنين، أي: أنشأه المنافقون لاستدراج بعض المؤمنين إليه، بغية ضمهم مستقبلاً إلى صفوفهم.

العنصر الرابع: كونه إرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبَّلُ.

الإرْضَادُ: الإعدادُ والنهيشة، يتال لغة: ارْضَدُ الجِيْشُ للفتسال، إذا أَصَدُّهُ لَـُهُ. وأرضَدُ الفلمة للحرَّاس، أي: أعدُّها لهم، ويلزم من الإعداد والتهيئة الانتظار والنوقب لما أعِدُّ له.

والمعنى: أنَّ هؤلاء المنافقين قد أعلُّوا مسجدهم الذي ينوه لابني عامر الراهب الذي كان من قُلِّلُ قد خَارَبُ الله ورَسُولُهُ، ونامر مع قيصر الرَّوم أن ينصره بعيش يُقاتل به الرَّسول والمؤمنين في المدينة.

والإعراب المملائم للمعنى النتيادر من أتّخاذهم مسجدهم: وضراراً وتُضَّراً وَتَقْرِيقاً بِينَ الْمُوْمِئِنَ وَإِرْصَاداً لِمِنْ خَارَبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ان تكون هذه المصادر منصوبةً على أنّ كلّ واحمد منهما مفعولٌ لاجله، فـ وضِراراً في مفعول لاجله، في: لاجل الضرار، واليقة معطوفة عليه، فلها مثل حكمه، وتُسرَجَدُ وجوهُ أخرى لإصرابها، ولكن هذا أظهرها، وهو الملائم لما يتبادر من النّصَ من دون تكلّف.

وحين أنزل الله على رسوله خبر متّخذي مسجد الفسرار، وهو في طبريق عودتــه من غزوة تبوك قافلاً إلى السدية، أبيان أله أنهم سيحاولون التنصّل من ابتغاء السّآم الكيدي ضدّ الإسلام والمؤمنين بيناء مسّجدِهم، بأنّ يُخلِفُوا بالله على أنّهم ما أرادوا بيناته إلاّ الفاية الْمُحَشِّشُ الّتي لا يُكامون عليها، لكنّ الله يَشْهَدُ إِنّهم لَكَافِيْون، فضال تعالى:

﴿ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَةَ ﴾:

أي: وسَيْحَلِفُونَ حَيْنَ كَشْفِ أَنْهِم مِنافقُونَ يَمْكُورُونَ ويكيدُونَ، وحَيْنَ يَلْفَبُ مُبْعُونُو الرسولِ لهذم مسجدهم وتحريق، قائلين: ما أرَدَّنا بِبنالهِ إلاَّ الغاية الْحُسَنَىٰ.

﴿إِنَّهُ: حرف نفي بمعنى وماء ولا يُشْتَرط أن تأتي وإلاَّه أو ولمَّاء بعدها. فقد جاءت في الفرآذ نافية دون هذا الشرط. مثل قوله تمالى:

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي آفَرِيبٌ مَّا قُوعَدُونَ أَمْرِجَهَ لُلُمُ رَبِّ أَمَدًا ۞ ﴾.

من سورة (الجنّ / ٧٧ مصحف/ ٤٠ نزول).

﴿ إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾: أي: إلَّا الناية الحسنى، وهي أن يكون للضعفاء منهم وأهــل العلَّة واللَّيلة العطيرة. الْحُسْنَى: مؤنث الأحُسَن، نهر أفعل تفضيل.

ولمّنا كانت مكيدتهم أمراً سِراً لا يُرجَدُ عليه شهيرة من العرضين، ولا دلائل مكشوفة تدينهم بتأمرهم، فدّم الله عزّ رجلَ شهادته باأنهم لَكَائِسُونَ في أيمانهم التي سيحلفونها، فقال تعالى:

﴿ وَأَلَقُهُ كِنْهُمُدُ إِنَّهُمْ لَكُلِيغُونَ ﴿ ﴾.

ونـلاحظ أنَّ الله قدَّمَ شهـادته مُركَّدَةً، بعدَّة مؤكّدات، هي: وإنَّ ــ والجملة الاسمية ــ واللَّم المدرَحلقة، مع أنَّ خيره للرسول وللمؤنين لا يحتلج مؤكّدات، ولا سَبّما قد نَزْلُ به قرآن يُثْلِنَ، والغرض من ذلك أنَّ يُشَّننا قواعد أداء الشهـادات، فينفي أن تكون شهادة الشـاهد بصيغة الشُّهَـاء وأن يقترن الخبر الذي يُضْهَـدُ به بالمؤكدات التي ترفع احتمال الإخبار ون تَوْتَيْ.

وإذْ كان مسجد المنافقين هذا مؤسَّمة ضرارٍ وكُمْرٍ وقفريق بين المؤمنين وإرصادٍ لمَنَّ حاربُ الله ورسوله، كانت الحكسةُ الإداريَّة تقضي بَهنَدُيو وإزالـةِ أَثْرِه، والشهيرِ بئناته، تحذيراً منهم، وقطعاً لداير الفتنة، ودفنها في المكنان الذي أُجِدَّ لها فقال الله لرسوله:

﴿ لَالْقُدُفِيهِ أَبَدُا ﴾:

وأشعرت كلمة: ﴿ إَبِدَاكُهِ الدَّالَةُ عَلَى عَمُومُ ارْمَنَةِ المُستَقَبَلِ بَانَّهُ يَبْغِي مُحَوُّ كُلُّ أَثَرِ لَهَذَا النِّبَا الذِّنِ يُنِي لَلشَّرُ والفَرِّ، ولذَلكُ أمر الرسول بهذمه.

ونهيُّ اللَّهِ رسولَهُ عن أن يقدم فيه يُعُمُّ جميع المؤنين، فمؤسسات العنافقين لا يَجُورُ أن يُشَارِكُ فيها المؤمنون، لثلا تُتُخذ مُشارَكُتُهُمْ ذريعةً وجُسُوراً نعيَّرُ عليها مَكَايِدُ الكفر والنفاق، ضدَّ الإسلام وجماعة المسلمين المؤمنين الصادقين.

واقتضت حكمة ذكر الإضداد عند ذكر أضدادها أن يُزُوِّ اللّه بشسان كُلُّ مسجد آخَرَ أَسَّسَ على التقوى من أوّل يوم، في مقابـل الحديث عن مسجـد الفسـوار الـذي أَسّس على الكُفّر، فقال الله عزّ وجل:

﴿ لَتَسْمِدُ أَنِيسَ مَلَ التَغَوْنِ إِلَّا يَوْمِ أَحَقَّ أَنَ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ مِمَالَّ يُحِبُّون أَن يَطَفَّرُواْ وَلَهُ يُحِبُّ الْمُطَلِّحِينَ ۞ ﴾

اللام في ﴿ لَمُسْجِدُ ﴾ هي لام الابتداء، ويؤتى بها لتوكيد الجملة بعدها.

أي: أمنسبد أخر عبر مسجد الضرار الذي نهينا عن القبام فيه مس وصوف بأنه أسّس على التقوى من أوّل. يُوم جَرى التفكير في تأسيسه، أو الإعداد لبنائسه، أَسَّسَ على التقوى من أوّل. يُوم جَرى التفكير في تأسيسه، أو الأووا من تأسيسه أن تأسيعه أن تأسيعه أن تأسيعه أن يكون لعبادة لله وحده، وأن يقوم مؤسّس وغيرهم فيه بما يجب عليهم من مسلاة ووَكَر وأش بالمعروف ونهي عن المنكر، ومن أسارات كوّيه أسس على التقوى وصفتُ حال ألمله القائمين فيه، الذين يُجبُون أن يتغلَّهُوا حسيًا ومعنويًا ليظفروا بحب الله لهم، فالله يحبُّ المظفرين.

نُـزَّلُتُ تَقْرَى المؤسِّسِينَ التي تكون في قلويهم مُتَزِلَةَ الأوض الصالحة السُّلَبة الثابتة التي تقوم عليها الممياني الممنهودة بالحسّ، لأنَّ النِباء الحسِّي يُـلاحظُ فيه الغايةً بِنَّهُ، والغايةُ منه قضية معزيَّةً إرادية، وهذه الفاية المعنويةُ إمَّا أن يكون أمَّسُها خيراً كالتقوى والبرّ (الإحسان، وإنسا أن يكون أساسها مصلحةً تُنْوِيْق كالنظاهر والتّماخر وابتغاء عرض من أعراض العجلة الدنيا، وإمّا أنّ يكُونَ أساسُها شرّاً، كمسجد الصُّمارار الذي يناه المنافقون.

- أمّا المسجد الذي كان أسامُه شرّاً فحكّمه حُكّم مُسْجِد الضوار، وقد نهى الله عن القيام فيه، فلا يُشارِكُ في استحقاق القيام فيه أصلًا.
- وأما المسجد الذي كان أساسه مصلحة دُنيوية، ولا يشتمل على شرَّ وضُرُّ
 للإسلام والمسلمين، فلا مانع من القيام فيه.
- وأمّا المسجد الذي كان أساسه خيراً، وأدنى عناصر الخير أن يكون قد أُمسَّن على التقوى، فهو أحقُّ أنْ تقوم فيه من الذي دخل في أساسه مصلحةً دنيوية.

ويُغْهَمْ من باب أولى أنَّ ما أَلَّسَ عَلَى البَّرِّ الذِي هو فوق مرتبة التقوى، أوعلى الإحسانِ أعلَى مُراتب الإيسان، أكثر درجة في أخَفِيَّة القيام فيه، واقتصىر النصّ على ذِكْر التقوى لانها أدنى المراتب، يُغْهَمُ ما فوقها من باب أولى.

﴿ أَحَقُّ ﴾:

أي: أكثرُ استِحقاهاً لأنْ يُقْمَر عِمارةُ معنوية بالقيام فيه باعمال العباداتِ المختلفات الخالصات فه عزّ وجلّ.

ولهذا كان الحرمُ المكّي أحقَّ المساجد بأن يُعَمَّر بالعبادة فق الأنه أُسُّل على أعلى مراتب الإيمان، فهو أول بيت عبادة وضع للناس، والصلاة فيه بعتمة ألف صلاة، وكان مسجد الرسول ﷺ في المعدنة بعده في الاحقيّة، وكان المسجد الأقضى بعد مسجد الرسول، ثمّ تأتي المساجد التي أُسَّمَّتُ على الإحسان أو البرّ أو التقوى من أوَّل

﴿ أَن تَعُومَ فِيدِ ﴾:

أي: أنْ تسكُفُ فِيه زَمَناً ما للعبادة بـالصلاة أو غيرها، وخُصُّ القيمامُ بالمذكرِ لأنُّ مُكُفُ الصائم أقَلُ فَرَجَباتِ السُّكَ، فَيُلْخَقُ فيه من بناب أولى الجلُوسُ لتلاوة القرآن، والصلاةُ التي فيها قيامُ وركومَ وسُجُود.

﴿ فِيهِ بِهَالُّهُ يُحِبُّونَ أَن يَنظَهُ رُواْ ﴾:

هذه إحدى علامات الصحيد الذي أَلَّسَنَ على التقوى، فَمُوتَدَادُوه مِن العسلمين رجالُ يُعبُّدُنُ أَنْ يَطَهُرُوا طَهَارَهُ مَانَيَّهُ مَن النجاسات والقذارات، وطهارةً معنويَّةً مَن اللَّمُوب والآثام بالصَّلُوات والآذارِ والأَدْعِيَّ ويَلازةِ القرآن.

وإذْ يُحِبُون أن يَتَظَهْـروا فإنَّهم يؤدّون من الأعمــال ما يَجْعَلُهم طــاهـرين نـظيفين حِــَنَـاً وَمَعْنُوبًا.

وهنا سؤال هو: لمَاذَا يُجِبُّونَ أَنْ يَنْطَهُرُوا؟

والجواب الذي يكشفه التأمُّل: لأنَّهم مؤمنون صادتو الإيسان، وحريصون على أن يُظْفَرُوا بمحبَّةِ الله لهم، لينالُوا منه فيوض إحسانه.

وهل يُجبُّ اللَّهُ المتطهّرين، فيغُمُّرُهم بفيوض إحسانه.

الجواب:

أمَّا حَبُّ الله لهم فقد ذلَّ عليه في النصَّ قوله تعالى: ﴿ يَرَعُومُ إِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ الل

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَلِّهِ رِينَ ۞﴾:

أي: الْمُتَطَهِّرِينَ. ادْغمت الناء بالطاء فصارنا طاءً مُشَدَّدَة.

وأمّا أنّه يُشْمُرُهم بفيوض إحسانه، فِنْهُهُمْ ذَهَا َ بدلالة اللّذِومِ العقلي، ودلالات نصوص قرآنيّة كثيرة، فمن أخَيَّة الله ضاعف له الثوابَ على أعساله، وزادَّهُ صنه فُرباً، وكُوةٍ مُساتَةً، وأخَبُّ مشرَّة، فأَطْفَاه حَنِّى يُرْضِيةً، وكلّ ذَلِكَ من فيوض إحسانه.

وأولى المساجد بأن ينطبق عليه ــ إيّانَ التنزيل في العديمة بالمعقارضة مع مسجد المضرار ــ أنَّهُ تَمَسُّجِدُ أَسَّسَ على التَّقَوَى من أوّل يوم وفيه رجالٌ يُهدُّونَ أَنَّ يَسَطُّهُرُّوا مُسْجِدان: ارفَقُهُما مُسْجِدُ الرُّسُول، ويَقَدَّهُ مُسْجِدُ قَيَاء

أمَّا مسجد الرسول، فقد ورد بشأنه ما يلي:

روى مسلم والإمام أحمد والنرمذي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال:

اختلف رجُـلانِ: رجُـلُ مِنْ بني خُـلْرَة، ورجُـلُ مَنْ بني عَمْـــرو بْنِ عَـوْفٍ، في الْمَسْجِد الذي أَمْسُ عَلَى التقوى.

فقال الْخُدْرِيُّ: هو مسجد رسول الله ﷺ.

وقال الْعَمْرِيُّ: هو مسجد قُباه.

فَأَتَيَا رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ ذَٰلِكَ فَقَالَ:

وَهُـوَ هُنَذًا الْمُسْجِدِهِ لمسجد رسول الله ﷺ وقال: ووفي ذَٰلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌه يَعْنِي مُسْجِدُ قُيَاء.

ورُوي عن سَهَلِ بِّنِ سَهْدِ الساعدي، ومن أُنِيُ بُنِ كَعَب، وعن زيـد بن ثابتٍ، عن النبـنيَ ﷺ نحو ما جاء في حديث أبسي سعيد الخدري، وبه قال أبنُ تُحسر وجماعـةً غير رواة هذه الأحاديث.

وأما مُسْجِدُ قَبَاء فقد رُوي عن غُرُوَةً بن الزبير، وعن ابْنِ عبّاسِ أنَّهُ هو المقصسود بقوله تعالى :

﴿ لَمُسْجِدُ أُسِسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِهِ يَوْمِ ﴾.

وجاءت عدّة روايات في المراد من قوله تعالى:

﴿ فِيهِ بِمَا لَّهُ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْطَهُ رُواً ﴾.

تَـدُلُوا عَلَىٰ الْهُمْمُ أَهُلُوا مُشْجِدِهِ فَيَاه، الأَنْهِم كانوا إذا اسْتَنْجُوا يَشْجُلُون الْبِارُهُمْ بالعاء، ولا يقتصرون على الاستجمار بالحجارة، وبعض همله الروايات ذات أسانيمد صحيحة.

وجاءت بعض روايات أخرى تدلُّ على أنَّهم أهل مسجد الرسول.

بعد هذا أقول:

إِنَّ النَّصُّ القرآني عالمُ يَنْطَيْقُ بِمِنْتَضَىٰ عِمُومِهِ عَلَى كُلِّ مُسْجِدٍ أَسُسَ عَلَى الثَّقَرَىٰ من اترَّل يوم ، وفيه رجال يُجِبُّون ان يَنظَهُرُوا طهارة حَسُيُّةٌ وَظَهَارَةً مُغَنْرِيَّةً، باعتبار أنهم مؤمنون صادَّر الإيمان. وفي مُفَلَدَةِ المساجد التي ينطق عليها هذا الوصف في المدينة يـومثغ مُسجدُ الرصف في المدينة يـومثغ مُسجدُ الرسول، ثم مُسجدُ قُباه، وقد يفهم هذا من بيان الرسول على ما روى ابـوسعيـد المخدري في الحديث الصحيح، إذ ذكر مُسجدُه أولاً، على اعتبار أنَّه هو الأخرَّ، ويعد ذلك قال بشأن مسجد قُباه: وفي ذلك خَبِّر كَبْري فجعله مشاركاً في استحقاق القيام فيه بإليات أنَّ فيه خيراً كثيراً، فالبيان هو من باب تخصيص المرجحات الأولى في مساجد المعدية وما حولها يومثهُ، ولا يقتضي هذا نُفِّي مُشاركة كُلُ مُسْجِد آخر يتحقُقُ فيه الوصف الوارد في النَّصَ، كما لا يقتضي نفي ما هُو خيرٌ مِنْهَمًا وهُو المسجد الحرام في مكّد.

ومن حسن التدبّر أن نفهم أنّ النصُّ باقي على عمومه، وليس من قبيل العام الذي أُرِيدَ بِه الْخُصُّوص.

وفي فضل مسجد الرِّسُول وردت أحاديث متعدَّدة، منها:

(١) روى مسلم والنُّسَائِيُّ عن أبـي هريرة أنَّ الرسول ﷺ قال:

وصَلاَةُ فِي مُسْجِدِي هـذا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمُسَاجِدِ إِلَّا الْمُسْجِدَ الْحَرَامُ، فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وإِنْ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِهِ.

أي: آخِرُ مَسَاجِد الأنبياء والمرسلين، لا آخر المساجد على الإطلاق، فقد بُنِيْتُ مَسَاجِدُ أَخرى في عَهْدِهِ ﷺ.

(٢) وروى الإمام أحمد والبيهني بإسناد صحيح عن جابر، أنَّ الرسول ﷺ قال:
 وصَلاَةُ في مَسْجِدِي أَنْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فيما سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وصَلاَةً في الْمَسْجِدِ الْحَرَامُ أَفْضَلُ مِن مَبَّةِ أَلْب صَلاَةٍ فِيمًا سِوَاهُ إ.

وفي فضل مسجد قباء وردت أحاديث أخرى أيضاً منها:

(١) روى البخاري ومُسلم عن ابن عمر قال:

كَانَ النبيُّ ﷺ يَاتِي مُسْجِدُ قُبَاءَ كُلُّ سُبْتٍ مَاشِياً وَرَاكِباً فَيُصَلِّي فِيهِ رَكُعَتَينِ.

 (٢) وروى ابن صاجه عن وأُسَيْد بْنِ ظُهْيْرٍ الأنْصَــاري، وكنان من أصحــاب النبي ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال:

وصَلَاةً فِي مُسْجِدِ قُبَاءٍ كُعُمْرَةً).

ذكر ابن كثير في تفسيره، أنّه حديث صحيح، وقـال في جمع الفـوائد هــو للستة إلاّ الترمذي.

- (٣) وروى ابن ماجه أيضاً عن دسَّهُلِ بُنِحُنِّيْفٍ، قال: قال رسول الله 審:
- وْمَنْ نَطَهُرَ فِي بَيْهِ، ثُمَّ أَتَىٰ مُسْجِدَ قُبَاء فَصَلَّى فِيهِ صَلاةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ».
- (٤) قال ابن كثير في تفسيسر الاية التي نحن بهمسندهما: وفي الحسديث أنّ رسول الله ﷺ لمّا بنى مسجد قباد وأسسه أوّل قندوسه، ومنزول على بني عصرو بنّ عَرْف، كان جريل هو الذي عَيْن له جهة القبلة.

...

قول الله تعالى:

﴿ الْدَمَنُ السَّسَى الْبَسَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرَضَوْنِ عَيْرًا مِّمَنَ السَّسَ الْبَسَنَمُ عَلَ مَشْفَا جُرِي مَا الْفَرْمِ اللَّهِ مَا الْفَرْمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مِنْ الْفَرْمُ الظَّيْدِينِ ﴾ • عَلَى شَفَاجُرُي مَا الْفَرْمُ الظَّيْدِينِ ﴾ • عَلَى شَفَاجُرُي مِنْ القَرْمُ الظَّيْدِينِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال

البنيان: مصدر بنى يَبْنِي بَنَباً وبِناءً رَبْنِيانًا، ويُطْلَقُ البَّنْيَانُ على الشيء الذي بَغيَ . يُعْقِدُ اللَّهُ عَزُ وجَلَ في هذه الآية مفارنة بين فريفين:

الفريق الأول: فريق مؤمِّرَ مُشَيَّامُ صَافِقُ الإيمان خَسَنُ الإسلام، أَتَّجَهَ قُلْهُ بِأَلِيرِ بواعث إيمانِهِ الصافق وإسَّلاَمِهِ الحَسَنِ، القائم على تَقْوَىٰ مِنَ اللهِ وانْبِقَـاهِ وضوات، لتأسيس بُنْيَانِ من الابنَيْة الحَسِّيَّة تَحْسُجِدٍ لِلْمَبَافَةِ والدُّكْرِ وَبَلاَوَةِ الفرآن والاسر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغليم العلوم النافعة التي يُرْضي الله عزَّ وجلَّ تَعْلَيْمُهَا ومُدَارَسُهَا وَشَرُها.

وهـذا الفريق قد اقام بعمله بُنِّهَ اناً مُشَويًا من خـلال البيان الحسِّي فـاتسـاً على قاعدتين عظيمتين: قاعِدَة: وتَقَوَى مِنَ الله الي: قاعدة انْقَاءِ عَذَابِ اللهِ بـادّاهِ ما فَرضَ واجتناب ما حَرَّم. وقاعدة ورضُوانِه من اللهِ ايضاً، بالنوشع في أعمال البرّ والإحسَّان، أي: قـاعدة ابتضاء رضوانٍ يفُسَرُهُم من الله، تأتيهم بسبيه فَيُوضُ إحسانيه، وحاسّان الفاعدتان تشبهان آرْضاً صُلْبةً واسخة ثابتة ذات منابغ ثرةٍ تضجّر بالعطاء السخيّ. الرَّضُوانُ: كالرِّضا مَصْدَرُ فعالِ رضِيّ، تقول: رَضِيّ بـه وعنه وعليـه رضاً، ورضاء ، ورُضُوانًا، وترْضَاةً.

وفي التعبير بقوله تعالى:

﴿ أَفَ مَنَّ أَسَّسَ بُنْكُنَّهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِكِ اللَّهِ وَرِضُونَ ؟ ﴿ :

إِلَيْدَاتُحُ قَائِمُ عَلَى نَشْجِ صُورَتِينَ: جَنَّيْتُ وَمَغْنَيْتُمْ فِي صورة واجدَةِهِ أَجدُ من الصورة الجنبَّيُّةِ عِبارةً: ﴿السَّنْ يُنْيَاتُهُ عَلَىٰ﴾ وَأَجدُ من الصورة المعنوية عبارة: ﴿فَقَوْنَى مِنَ اللَّهِ وَيُشَوَانِهِ﴾.

قفام هذا التعبير مُفَامُ كَلام طويل يمكن أنْ تُوجِزَهُ بَان نقول: أفَمَنُ عَبلَ اعسالاً صالحة في مظهرها وحَقِيفَتها، وتُنْلُها كِنائِه حسَّى من الابنية الماذية، وهذه الأعسال ترتكز على قاعدتين إيمائيَّين مؤثرتين، هما تقوى من الله ورضوان، وهاتان المقاعدتان المعنوبتان تشبهان أرضاً صُلِّةً راسخةً ثابِئةً ذَاتَ عَالِم تُرَّةٍ تَفْخُ بالعطاء السَّجِيُّ؟

أفصاحبُ هذا البناء خيرٌ أم صاحب البناء الآخر الذي أسَّسه الفريق الثاني؟!

الفريق الثاني: فريق كافيرً باطناً مُنافقُ سلوكاً، يتنظاهم بالإسلام والأعمال الصالحة في ظاهرها، وقد اتُنجِفَّ بواعث كفره ومكره وكيده لتأسيس بنانٍ من الابنية الحسَّية، كمسجد ضرارٍ، وكفر، وتفريق بين المؤمنين، وإرصادٍ لمَنَّ حسارتِ الله ورسوله.

وهذا الفريق قد أقام بعمله بنياناً معنوياً من خلال البنيان الجبائي فائماً على مظهر إسلام تحته كُفُرُّ ومكر وكيد ضدَّ الإسلام والمسلمين، وهذا المظهر الإسلامي الكافبٌ يُشهِّ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ.

الشُّفا: حُرُّفُ الشيء وطَرَفه، وبعده تكون الهاوية.

والْجُرُف: ثِنْقُ الوادي إذَا خَفَرَ الوادي من أسفله، فهو عُرْضَةً للانهيار السّريع. هَار: أي: متساقط، أو هو قريب من السّقوط والانهيار إلى أسفل الوادي.

ويلاحظ أنَّ التعبير بقوله تعالى:

﴿ أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْكِنَاءُ عَلَى شَفَاجُرُفٍ هَادٍ فَأَنَّهَا رَهِ فِي أَارِجَهَنَّمُ ﴾:

إبـداعُ أيضاً قـائم على دَمْج صـورتَيْن جـُسَيُّهِ وَمَعَنَـوِيَّةٍ فِي صـورة واجِدَة، نـظير التعبير السابق الوارد بشأن الفريق الأوّل.

وهُمَّا أُخِذَ مِنَ الصورة الحسيَّة عبارة:

﴿ أَسَّكَ ثُلْبُكُنَّهُ عَلَىٰ شَفَاجُرُفٍ هَمَارٍ فَٱنْهَارَ ﴾.

وأخِذَ من الصورة المعنويَّة عبارة:

﴿ بِهِمِنِي نَارِجَهَنَّمُ ﴾ :

أي: فَأَنْهَارَ بِسَاؤُهُ المعنوي في جُرَّم عِقَائِهُ عند الله العـذَابُ في نار جهنَّمَ يـوم ز.

وقام التعبير منا ايضاً مقام كلام طويل يمكن أن تُمرجزه بان نقول: ألمْ مَنْ عَمِلَ أَمَّ مُعِلَاً مَائِعَةً مَعَ عَمِلَ أَعَالِكُ صَالَحَةً فِي مظهرها إجراميَّةً في حقيقتها، وتقلّها كبناء جئيَّ من الابنية المعاديّة، وهذه الأعمال ترتَكِرُ على النفاق الذي ليس من تحته إلاّ الكفر، وهذا النفاق يشبه شفا جُسُونِ متداع إلى الانهيار، فلا يُلَبِّكُ البناء أن يرتفع قليلاً حتَّى يتهار في الوادي، وكذلك ينهار البناء المعنوي الذي يؤسسه المنافق هو وبانيه في نار جهنَّم، أو ينهار بانيه بسبه في نار جهنَّم، أو ينهار بانيه بسبه في نار جهنم؟!

والاستفهام الوارد في الآية يُراد منَّ انتزاع الاعتراف بغني التساوي بين الفريقين. من خلال تقديم البيان التصويري الكاشف للفرق الشاسع بين الرضوان من الله للمنتقين الذي يقترن بالثواب العظيم في جنّات النعيم، وبين الانهيار في نار جهتَم الّـذي يجلبه سخط الله وغضتُه على المجرمين.

وختم الله عزَّ وجلُّ الآبة بقوله:

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِيدِي ﴾ .

أي: ومن حكمة الله عزَّ وجلُّ أنَّه لا يَحْكُمُ بالهداية للْقَوْمِ الـظالمين من مستوى

الظلم الذي يكون به صـاحبُهُ كـافراً، و وألَّ، في كلمـة: «الظالِمين، هي للدَّلاك على استجماع أنْقل عناصر الظلم التي يكفُر بها مرتكبُها.

وبما أنَّ مؤسَّسِي مسْجِد الضرار منافضون مجرمون مرتكبُّونَ أقبح أنواع الظلم الذي هو من مستوى الكفر، فبإنَّ الله لا يُتحكِّمُ لهم بالهداية، لـذلك فهم يستحقّون العذاب في نار جهتّم.

قول الله تعالى:

﴿لَايَزَالُ بُلِيَنَهُ مُالَّذِى بَوَارِيمٌ فِي قُلُوبِهِ لِلَّا أَن تَعَطَّعَ شُلُوبُهُمُ وَالْهُ عَلِيمُ حَكِمُ ۞﴾.

و[إلَىٰ أَنْ نَفَطُّعَ قُلُوبُهُمْ] في قراءة أخرى.

و [إلَّا أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ] في قراءة ثالثة .

الرَّبِية: تأتي بمعنى الشُّكَ، والظُّنَّةِ، والنَّهمَّة، وتأتي بمعنى الْمُسَاءَةِ والانزعـاجِ. والخوف، لأن الشُّكَ في سوء العاقبةِ يولَد الخوف المستمرَّ في القلوب والانزعاخِ.

تقول لغة: رابَّه الأمرُ يَرِيبُهُ زَيْباً وَرِيبَةً، أي أدخل عليه شرًّا وخوفًا. وزَابَهُ إذا سَاءَهُ وَازْعَجُهُ.

المقد الثالث من النص (٣٤) من صورة (التوبة) الأيات من (١٠٧ ــ ١١٠)

وختم الله الأية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ عَلِيدُ مَكِيدُ ١

إشارةً إلى أنّه سبحانه عَلِيمٌ بما في قلوبهم من كُثْرٍ ونفاق وكيد ومكر، حكيمٌ فيما يديّر من أمر بشأنهم في عاجل أمرهم وآجله.

. . .

الْعِقْدُ الرَّابِعُ

بَيَانَات وتوجيهات تتعلَق بقضايا وردت في العقود السابقة

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِذَا لَهُ أَشْتَرَىٰ مِنَ الْمُقْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَكُمْ بِأَنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُعْمَنِيْلُوكَ فِي مَهِيلِ اللَّهِ فَيَقَلُلُونَ وَمُقَمِّلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حِفًّا فِ التَّوْرَ مَن وَ وَالْإنجيل وَٱلْقُدْرَانَا ۚ وَمَنْ أَوْفَ بِمَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهُ فَأَسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِدِّ وَذَلِكَ هُوَ الْغَوْدُ ٱلْمَطِيدُ ۞ التَّنَهِبُوكِ الْمَكِدُوكِ لَلْمُتَعِدُوكِ السَّنَيْحُوكِ الزَّكِعُوبَ النَّنجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَيْ الْمُنكَوِ وَٱلْحَيْفِطُونَ لِحُدُّودِ ٱللَّهِ وَيَشْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَاكَاتَ لِلنَّى وَالَّذِينَ مَامَوُالَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْكَاثُواْ أُوْلِ قُرْكَ مِنْبَعْدِ مَانِيَقِّى لَمُمْ أَنَهُمْ أَضَحَبُ لَهْ يَعِيدِ ١ وَمَا كَاكَ ٱسْتِغْفَا رُائِزُهِ مِلاَّ إِسِهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدُ وَوَعَدُهَ آلِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَ لَهُ أَكْهُ مِنْدُ اللَّهِ مَثَرَأَ مِنْ أَيْنَ إِزَهِ عَلَا أَنْ مُسَلِّمٌ ﴿ وَمَا كَا حَا اللَّهُ لِيُضِلَّ فَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنْهُمْ حَتَّى يُبَرِي لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّاللَّهُ بِكُلِّ مَنْ وَعَلِيدُ ﴿ إِنَّاللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلشَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ يُخِيءَ وَيُبِيتُ وَمَالَكُم فِن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيَ وَلاَنْهِ عِيرٍ ۞ لَقَد تَّابَاقَةُعَلَ النَّبِي وَالْمُهُكِجِرِينَ وَالْأَنْصَادِ الَّذِينَ اَتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْفُسْرَةِ مِنْ بَصْدِمَاكَادَ يَنِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّزَنَابَ عَلَيْهِمَّ إِنَّهُ بِهِمْ رَهُ وَفُ رَّحِيمٌ ١ وَعَلَ ٱلثَّلَنَةَةِ الَّذِيرَ ﴾ خَلِقُواْ حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ ٱلْفُسُهُمْ وَعَنْوَّا أَنْ لَامْلَكَ أَ مِنَالَقُولَا إِلَيْهِ ثُمَّةً فَاتَ عَلَيْهِ لِيتُوفَّا إِنَّالَقَ هُوَالْوَّابُ الرِّحِيدُ ﴿ كَاتُهَا الَّذِينَ مَا مُوَالَّقُولَا لَهُ وَكُونُوا مَمَ السَّندِينِينَ ﴿ ﴾ .

القبر أءأت

قرأ جُنْهُورُ الْقُراءِ العشرة: [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] بالفعل المبني للمعلوم [ولاً]
 قالفعل المبنى للمجهول.

وقراً حَمْزَةُ والكِسَائِيّ وَخَلْفُ: {وَيُقْتَلُونَ وَيُقَتَلُونَ} بالفصل المبنيّ للمجهول أوّلًا، فالفعل المبني للمعلوم.

وقد دلّت الشراءة الاولى على سُبِّقِ تسليط الله المؤمنين على عدّوهم، إذّ يكونسون هم الفاتلين من الكافرين أوّلًا، ودلّت الفراءة الأخرى على سبّق تسليط الله الكافسرين على المؤمنين، إذْ يكون المؤمنون هم المقتولُ منهم أوّلًا.

والحالتان كلتاهما تحدثان، فجاءت القراءتان دالُّتيِّن عليهما.

قرأ جمهور الفرّاء العشرة: [إبْراهِيم] في الموضعين من الآبة (١١٤).

وقرأ هشام عن ابن عامر الشامي [إبْرَاهَامَ] في الموضعين أيضاً.

والقراءتان لغتان في نطق لفظ اسم الرسول إبراهيم عليه السلام عند العرب.

قرأ جمهور القراء العشرة: [الْعُسْرة] بإسْكانِ السّين.

وقرأ أبو جعفر المدني: [الْمُسُرَةِ] بضُمُّ السَّين.

والقراءتان لغتان في نطق الكلمة عند العرب.

قرأ جمهور القرآء العشرة: [تَـزِينُم] بالتاء مراعاة لتـأنيث جمع قلوب، فكـل
 جمع مؤنث في لسان العرب.

وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: [يَزِيغ] بالياء نظراً إلى أنَّ لفظ [قلوب] مجازيًّ التأنيث. والقراءتان وجهان عربيان في كلُّ ما هو مجازيُ التأنيث.

التدبير

في الآية (٣٨) من هذه السورة نادى الله الذين أمنوا بقوله:

﴿ يَمَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَا مَنُواْ مَا لَكُوْإِدَا فِيلَ لَكُوْاَ نِهِ رُواْ فِي سَبِيلِ الْفَوَاقَاتُكُمُ إِلَّ الْأَرْضُ أَرْضِيدُ مُو الْمُحَيَّوُوْ الدُّنْبَ عِنَى الْآخِدَوُ ۚ فَمَا مَنْتُمُ الْحَكِيْوَةُ الدُّنْبَ الِ الْآخِدَ وَإِلَّا فَلِيدِ لَهُ ۞ .

وفي الآية (٤١) قال الله لهم:

﴿ اَضِرُواخِفَافَارَيْقَا لَا رَجْنِهِ دُوا بِأَمْوَلِكُمْ وَأَنْشِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْمُونَعَلَمُونَ ﴿ إِنَّهِ ﴾.

هَذَا الخطاب للمؤمنين في أثناء السروة، الذي تبعه بيانٌ ظراهر المنافقين السلوكيّة في أيات كثيرات، وثناءً على الرّسُول والمؤمنين معه، بأنهم جاهدوا فصلاً بأموالهم وأنفسهم في الآية (٨٨) استدعى حثَّ جميع المؤمنين على القتال في سبيل الله، حينما تقتضي المصلحة الإسلاميّة ذلك، وترغيهُمْ فيه، بأنّه مبايحة مع الله فيها معاوضة، هم يبدلون أنفسهم وأموالهم في سبيله، والله يُقدَّم لهم مقابل ذلك الجدَّة يوم الدين، فمن عقل استيشر بهذه الصفقة الرابحة ربحاً عظيماً، فأنجز المبايعة مع الله، فتال المبتر بهذه الصفقة الرابحة ربحاً عظيماً، فأنجز المبايعة مع الله،

وإذْ نِتُ اللَّهُ عَزْ وجلَّ مِنْ جَهِيمِ عَقْدَ المبايعة لمين شاء أن يُبايع من المؤمنين حتى آخر مؤمن في الحياة الدنيا، وجعله مفتوحاً، فما على من يريد هذه المبايعة إلاَّ أن يَّبُتُ من طرفه العقد بالإرادة والتنفيذ لتكون له المجنة عرضاً، قال عزّ وجلَّ :

﴿ إِنَّالْقَدَاشَةُ وَمُنامِ ٱلْمُؤْمِنِينِ أَنفُسَهُمْ وَأَمُولَكُمْ بِإِنَّكَ لَهُمُ ٱلْجَنَّةُ . ۞. فابانُ تبارك وتعالى مؤكداً أنه قد انحز من جهنه عقد هذه العبايعة، بصيغة ﴿الشَّمْرَىٰ﴾ أي: أنَّمُ الشَّراة وَيَشَّهُ، ولكنَّ استكمال عقد السيايعة إنَّما يتم حينما يُشُّ العؤمن في أي وقت تمادم من قبليه هذا العقد مع ربّه بالإرادة الصدادقة، الَّتي تُسْشَيعُ التنفيد كلّما اقتضى الأمر ذلك.

والمظهر التنفيذيُّ لهذا العقد مع الله من جِهَةِ المؤمنين ذَلَ عليه قوله تعالى: ﴿ يُقَانِيلُونَ فِي سَكِيدِلِ اللَّهِ فَيَشَمُّ لَلْوَنَ وَلِهُمْ فَلُونَكِّ . . ﴿ فَيَهِ :

أي: إنهُم يسدخارن في حرب مسع الكافسرين إذا اقتضت مصلحة الإمسلام والمسلمين قيام حرب معهم، فيُعاتَلُونَهم في سبيل الله وابتضاء مرضاته، لا في سبيل آخر غير سبيل الله، فقد يُقتُلُونَ من عَدُوهم، وقدْ يُقتَلُونَ بايدي أعدائهم، والمعارك سبجال، فمرةُ تكون فواتخ النصر للمؤمنين، ومرة تكون هذه الفواتح للكالهرين، لكن خاتمة النصر المبين تكون للمؤمنين الصادقين الملترمين منهج الله وتعاليصه في السَلَم والحرب، وهذا ما دلت عليه القراءتان في إفضائون ويقتأون] ودلت على النصر المبين للمؤمنين الصادقين نصوص قرآنية أخرى

ولمّا كان العوض الذي يظفر المؤمنون به من رَبّهم عوضاً مؤجّدًا إلى يوم الدين كبيع السّلّم، كان في الحياة الدنيا وُعَداً من الله، أمّا وفاة هذا الوعد فيكون بعد البعث إلى الحياة الأخرى، ولبيان هذا قال تعالى:

﴿ وَعَدًا عَلَيْهِ وَخَفًّا . . . ۞ :

أي: وعداً حقاً عليه سبحانه وتعالى، النرم نفسه بـادائه فمن حقّ المؤمن أنّ يطالبُ ربّه به يوم الدين.

﴿عليه﴾ متملق بـ ﴿حقّاً﴾ قُلّم على عامله للتّنبيه على أنّ الله يلتزم لعباده بوضاه حقوق جعلها لهم بالوعد الصادق، الذي هو ثمرة عَقْد مبايعة بين الله وعباده المؤمنين.

وقد شُبُهِتُ عمليَّ الاتفاق القائمةُ على بذل المؤمن نَشْمَهُ وماله مقابِل مجازاة الله له بالجنَّة بِرُمَّ الدين، بصفقة شراء وبيع، والنّمن الموعود به هو استحقاق امتلاك الإقامة الأمدّة بالجنّة والتنتُم الابدئ بنعيمها العظيم.

ولمًّا كان عقدُ الشراء والبيع هذا عقداً ثابتاً في الشرائع الربَّانية منذ رسالة موسى

عليه السلام، حتى يعتةٍ محمد ﷺ، وكان مُبيًّا في النوراة، ومُبيَّناً في الإنجيل، وبيَنَاً في القرآن، وكان الجهاد في سبيل الله باللتال شريعةً مُنزُلَّةً على بني إسرائيل وكلَّ أنبياء ورُسُل بني إسرائيل مُنذُ عَهْدٍ مُوسَىٰ، أبان الله تمالى أنَّ هذا العقد مَثْرُلُ في التوراة والإنجيل والقرآن، فقال تعالى:

﴿ وَعَدًا عَلَيْهِ وَحَقًّا فِ النَّوْدَ سَوْوَا لَا نِحِيلِ وَٱلْمُسْرَءَانَّ ... ١

ولـذلك دعــا مــومــى عليــه الســلام بني إســوائيــل أن يــدخلوا الارض المقــُلــــة مقاتلين، فجيَّرًا، وطبق بنو إسـرائيل بعد مــوســى شريعــة القتال في سبيــل الله في عهود متعدّدة من عهود أنبيائهم ورُسلهم.

أشًا أنباع عيسى عليه السلام في عهده وفي نحو ثبلات قدون نَلَثُ، فلم تكن لمديهم قوّة يستطيعون بهما مقاتلة المدولة المرومانية الوثنيّة، وكمان جهمادهم في همذه الأحقاب مفتصراً على جهاد الدعوة إلى دين الله.

وبعد هذا البينان استثار الله عزّ وجلٌ في المؤمنين عنصراً من عناصر إيصافهم بصفاته، وهو أنّه لا أوفى من الله وعداً، وقدّم هذه الاستثنارة بصيفة الاستفهام التقريري، قفال تعالى:

﴿وَمَنْ أَوْفَ بِمَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهُ ؟ ١٠. ۞ ﴿.

العهد: الوعد المؤكِّد، والثعاقد الموثِّق على أمرٍ ما، ومنه المبايعة.

وجواب هذا الاستفهام يأتي من قبـل المؤمنين: لا أحَـدُ أُوفَى بعهـده من الله. وأُوفَىٰه أفعل تفضيل من قولهم: أوفى بوعده أو عهده إذا أذاه وافياً غير منقوص.

إِذَنَّ فَالْجَنَّةُ وَرَحُولُهَا وَالتَّخُمُ بَعِيمُهَا بِلاَ نَهِلَيَّةً أَشَرُّ مُخَقَّقٌ لا رَبِّبَ فِه، لعن باع نفسه ومالةً لربَّه مقاتلاً في سبيله، لا يَشَكُ بَهنذه العقيقة مؤمن يسربّه، ويعما أنزل على رسوله.

وتنوجّه الله عنوَّ وجلَّ للمؤمنين الـذين عقدُوا منع ربَّهم هذه المبنايعة الرَّابحـة. ووضعوها بأعمالهم موضع التنفيذ، فقال لهم:

﴿ فَأَسْتَنْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُمْ بِدِّءِ . . . ۞ ﴾ :

أي: فمافرحوا واستمتعوا بالسُرور بسبب بيعكم الذي بايعتم عليه ربكم، فقد ربحتم به ربحاً عظيماً.

يقال لغة: بابع فلانُّ فلاناً على كذا، أي: عاهده وعاقده عليه. فموقع: وبعه بعد: وبانتَّمَّم بَذَكَ: وعليه، يدلُّ على أنَّ فِصْلُ: وَبَايَتُمَّم، قند ضُمَّر معنى فعل: ورَبِحُمَّم فَعَلَيْ تعديم، والتقدير: فاستبشروا بيبحكُم الذي بايْثُمَّم عليه وابحن به.

ولمًا كان هذا البيع الرابع ربحاً عظيماً يُخفِّق لمن يابع ونفَذ فـوزاً عظيماً، قال الله تعالى في آخر الآية:

﴿وَذَالِكَ هُوَالْفَوْزُ ٱلْمَظِيدُ ١

الضوز في اللَّمَة بيأتي بمعنى: الظفر، والنجاة من السُرِّ، والرَّبِح، وهذه كَلُهما ستَتَحقُّقُ لأصحاب هذا البيع يوم الدين، وللدلالة على ارتفاع ستزلته أشار الله إليه باسم الإشارة الخاص بالمشار إليه البعيد.

بعد هذا أبان الله تعالى الصفات المعتادة لأصحاب هذا البيع من المؤمنين، الذي يبايعون عليه عند مقتضيات الفتال في سبيل الله، فقال تعالى:

﴿النَّبَيْوَى اَلْمَدُونَ الْمُتَادِقُونَ الْنَهَوِّوَ اَلْتَنْهِوْنَ الْوَصِيُّونَ التَّكِيدُونَ الْأَمْرُونَ إِلْمَمْرُونِ وَالنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكِرِ وَٱلْمَنْفِظُونَ لِمُدُّودِ التَّوِّ وَمُوْلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾:

أي: هم المستجمعون لهذه الصفات، الممارسون لها فيمنا هو من عاداتهم، ولمذلك يهمون عليهم أن يبيموا رئهم أنفسهم وأموالهم، ويبلدلوهما راضين فسرحين مستشرين.

وجاءت الصفات مرفوعة مع أنّ الموصوف وهم لفظ: ﴿ وَالمؤمنينَ ﴾ في الآية السابقة مجرور، على طريقة قطع الصفة عن السابقة مجرور، على طريقة قطع الصفة عن المصوسوف المتميّن بدونها بجوز الرفع بتقدير مبنداً محدوف، ويكون من الضمائر، ويجوز النصب بتقدير فعل مناسبٍ محدوف، مثل وأمَدْحُ _ أخَصُّ _ أَفَّمُ _ أَفَّرُهُ ونحو ذلك، كما يقرر علماء العربيّة.

وصفات المؤمنين الذين يهون عليهم بذلُ أنفسهم وأموالهم ابتغاء مـرضاة ربّهم، فرحين راضين مستبشرين بما أعدّ الله لهم من أجر عظيم، هي صفات ثمان:

الصفة الأولى: ﴿ أَلَّتُهِبُونَ ﴾:

أي: الذين تابوا إلى بارثهم من ذنويهم، راجعين إلى طاعته، والعمل بمراضيه، والمحافظون على توبتهم.

تَالَبَ: هي في اللَّمَة بمعنى: رَجْعَ، وخُصُت في الاستعمال بمعنى رجوع العبد إلى طاعة ربّه، معترفاً بسابق ذنب، ورجوع الله إلى عبده بالنوضا والتنوفيق وعطاءات العفو والففران، وفيوض الإحسان.

وجــاه ذكر وصف التــوبة في أول الأوصــاف لأنّه الشــرط الأوّل لبدء الارتشاء في درجات الكمــال، وللإشــار بأنّه لا يخلو حال الـــوثن مهــا بلغت استفانته من أن يكــون قد تعرّض إلى سوابق ذنوب تستدعي منه أن يتوب إلى ربّه منها.

الصفة الثانية: ﴿ ٱلْعَكِيدُونَ ﴾:

أي: العابدون ربُّهم بمختِّلفِ أنواع العبادة المشــروعة الَّتي أَمْـزلها على رســوله، والمحافظون على عباداتهم له طاعةً وبرّاً.

العبـادة فه: هي الانقياد والخفسوع والتفلُّل له، والقيـام بما يُسرُضِبه من قـول. أو عمل ظاهرٍ أو باطنٍ، في السرُ أو في الْعَلْن .

والعبادةُ التي تَبِّداً بالطاعة لاوامر الله ونواهيه، هي الْمُتَطَّرَةُ التالية للتوبية، كما أنَّ التوبة هي البخطوة الأولى بعد الوقوع في المعاصي التي يرتكبها المؤمن، أمَّا تـوبة غيـر المؤمن فتكون بالإيمان بعد الكفر، وبالطاعة بعد المعاصي المرافقة له والتاتجة عنه.

الصفة الثالثة: ﴿ ٱلْحَدَيدُ وَنَ ﴾:

أي: المحافظون على الثناء على الله بما هـو أهله من صفات كمـال، وبما هـو منزّه عنه من صفات نقص.

ويجمع كلُّ ذلك عبارة: والحمدُ لله، أي: كلُّ الثنياء الذي يشمله العلم الـرَّبَاني هو لله دون استثناء.

وتفصيل هذا الثنماء يأني من خـلال تدبُّر أسماء الله الحسنى، والتفكُّر في آثار صفاته في الوجود.

الْحَمَّدُ في اللَّغة: هو الثناء بذكر الجميل من الصفات الموهوبة والمكتسبة، وهو يرادف المدح.

الصّفة الرابعة: ﴿ ٱلسَّنَّيْحُونَ ﴾:

أصل السياحة في اللّغة الـذهـابُ في الأَرْص للعبـادة والتبرهُب، مـأخـونة من سيحان المها إذا جرى على وجه الأرض.

وقد ذكر أكثر أهل التغسير أنَّ السائحين والسائحات هم الصائمون والصائحات، رُوِيَ عن ابن عباس وعبد الله بن مسعود أنَّ المراد بالسائحين الصائمون، وروي في هذا حديث عن النبي ﷺ لم يبلغ مبلغ الصحّة، وروي عن عائشة قالت: سياحة هذه الأمة الصيام.

وإلى هـذا التُصير ذهب مجاهـد، وسعيد بن جيبر، وعطاء، وعبد الرحمن السلمي، والصّحّاك بن مزاحم، وسفيان بن عينة، وقال الحسن البصري: والسالحون، الصالمون شهر رمضان، وقبل الذين يديمون الصيام.

قيل: وسُمِّي الصائم سائحاً، لأنَّه يترك اللَّذات كما يتركها السائح في الأرض.

وقسال بعض أهمل التفسيسر السنائحسون هم المهاجسرون، وقبال بعضهم هم المجاهدون، وقيل غير ذلك. وروى أبو داود عن القاسم أبهي عبد الرحمن(١٠) عن أبهي أماه، أنّ رجلًا قال: يا رسول الله اثلث لي بالسياحة، قبال النبي ﷺ: وإنّ سِيَاحَة أَشْي الْجَهَادُ فِي سَبِيل. اللّهِ عَرْ رَجِّلَ، وسَحَّحه عبد الحقّ.

وروى ابن العبارك عن ابن لهيعة، قـال: أخبرني عـمـارة بن غزيّـة أنَّ السيـاحـة ذكرت عند رسـول الله ﷺ فقال:

وَالْبَدْلُنَا اللَّهُ بِدَلِكَ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شُرْفٍ.

ړل:

وهذا المعنى الوارد في هذين الحديين يترجّمع على غيره، ويُحمَّلُ جهاد السياحة على جهاد الدَّعوة إلى الله، ونشر الإسلام في الأرض، مقابل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المجتمع الإسلامي، وهذه السياحة بهذا المعنى هي التي تليق بالذين يُبّايِمُون الله بأنَّ لهم الجنّة، باذلين أنفسهم وأموالهم في سبيله، ومن لم يجاهد فالحج إلى بيت الله سياحت، وفي الحج يكبّر الله على كل شَرف، أي: كلّ مرتف من الأرض، والحج بالنسة إلى النساء بطابة الجهاد كما صح عن النبي ﷺ:

أثما الصّبام وكذلك الحج وسائر شرائح الإسلام فيمكن إدخالها في صفة الحافظين لحدود الله الآتية، ويمكن أنْ يشال: من لم يكن في جهاد أو حجّ أو عمرة فالصيام سياحته، وبهذا نجمع بين أوَجّه الأقوال.

الصفة الخامسة: ﴿ أَلزَّكِ عُونَ ٱلتَنجِدُونَ ﴾:

أي: الَّذِين يُقيمون الصلاة ويُخافظون عليها، وجاء في النصّ الاستغناء عن ذكر لفظ الصلاة بذكّر الركوع والسُّجُود، لأنّهما أَخِلُّ اركـانها، بـاعتبارهـما الـمجَّريْنِ عن الخضوع هـ، والتذلّر لِرَّجُهِ الكريم، أمّا القيام فيها فهو إقبالُ إلى الله وترجُّهُ لوجِّهِه،

⁽١) قال المنظري في مختصره إلي داود: والقاسم، تكلّم فيه أكثر من واحد. قال أحمد محمد شاكر في تعليقه: والقاسم هو ابن عبد الرحمن الشامي، وكنيت أبو عبد الرحمن، وهو ثقة، وثقة ابن معين وغيره، وترجمه البخاري في الكبير، ولم يذكر فيه جرحاً».

وهر أوّل العراحـل، ثمّ يأتي الـركوع تعبيـراً عن الخضوع والـطّاعة، ثمّ يـأتي السُّجُودِ تعبيراً عن غاية النذلل وأقصى الخضوع، وبه يكون العبدُ أقربُ ما يكون إلى ربّه.

الصفة السادسة: ﴿ ٱلْآمِسُ وَنَ بِٱلْمَصْرُونِ ﴾:

أي: المواظبون على القيام بوظيفة الأمر بالمعروف داخل المجتمع الإسلامي.

والمعروف داخل المجتمع الإسلامي هو ما جاه تحسيت والأسر به في الإسلام، حُنى صار معروفاً أنّه حسنٌ، وأنّه من الفضائل ومن الخير عند المسلمين، معواء أكمان الأمر به على سبيل الإيجاب أو على سبيل الندب، وكلّ ما هو حسن في العقول السويّة هو حسن في الإسلام، ومن الأحكام الإسلامية أمور تعبديّة لا حكم للعقل فيها.

الصفة السابعة: ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَدِ ﴾:

أي: والمسواظبون على القيسام بوظيفة النهي عن المنكر داخسل المجتمع الإسلامي.

والمنكر داخل المجتمع الإسلامي هو ما جاء تقييحه والنهي عنه في الإسلام، حتى صار عند المسلمين أمراً مستقبحاً يستنكرونه ويعيبون من يفعله، وكل ما هو قبيح في العقول السّرية هو قبيح في الإسلام، وجاء في الإسلام تحريم أمور تعبّدنا الله بتحريمها لا حكم للعلل فيها، وعلى المؤمن اجتنابها طاعةً لله.

وينبغي أن نعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المجتمع الإسلامي غير المسلمين يُدَّعُونَ إلى الحقّ، وإلى فعل الفضائل التي تدرك عقدولهم أنها فضائل، ممّــا أمر به الإسلام، وإلى ترك الرفائل التي تدرك عقولهم أنها رفائل ممّا نهى عنه الإسلام، فليس كلَّ ما هو معروف أو منكر عند المسلمين هو معروف أو منكر عند غيرهم، حتى إذا دخل داخلون منهم في الإسلام شرعنا في تعليمهم مفردات المعروف، ومفردات المنكر، في المفهوسات والتعليمات الإسلامية، وذلك ليعرفوا المعروف منها، ويُستَنكروا المنكر، منها. وجاه فصل صفة النهي عن المنكر عن صفة الأمر بالمعروف بحرف العطف، للذّلالة على أنّهما صفتان تُستَيَزُنَان قد تشكّان عن بعضهما، وذَلِكُ لأن كثيراً من مؤثي وظيفة الأمر بالمعروف قد يصحُبُ عليهم النهي عن المنكر، خشية غضب مرتكبي المنكر من ذوي الجاه والسلطان، أو الاقريين والأصحاب وذري الولاء، فيأسرون بالمعروف ويُنْضون النظر عن القيام بوظيفة النهي عن المنكر.

الصفة الثامنة : ﴿ وَٱلْمُعَذِيْظُونَ لِحُدُودِٱللَّهِ ﴾ :

جَفَظُ الشيء يكون بحرات وصيانت، وأداء حقوقه بأسانة، وعـلم الخيانـة في.، وبالمواظبة على القيام برعايته ويفعل مـا يجب نحوه، واجتنـاب ما يجب تـركه بـاانـــبـة إله.

حُـلُوهُ الله: هي أحكام شريعته لعباده ذات المقادير المحدَّدة المفدّرة، وفيها أحكام تحريم، وأحكام إيجاب، وأحكام إباحة ورخصة، وأحكام ترغيب في الفعل أو ترغيب في التوك.

وأصل الحدّ ما يُقام عند الجمَّىٰ لمنع الـذين هم خارج الحمَّىٰ من الـذُخول إلى باطن الحمَّى، أو لمنع الذين هم داخله من الخروج إلى ظاهره.

وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن اقتراب حدوده في بعض النصوص، ونهى عن تعديها في بعض النصوص، وتوعد من يعصي الله ويتعداها بالنار وعذاب مهين، ووصف من يتعدَّى حدوده تعدياً سرواً بانهم هم الظالسون، ووصف من يتعدَّى حدوده بأنه ظلم نضه، ووصف النخبة الممتازة من المؤمنين بأنهم حافظون لحدود الله، وهو ما جاه في التصّ الذي تعديره.

وهذه النصوص متكاملة فيما بينها، فبعض تَمَدُّي حدودِ الله يخرج من الإسلام إلى الكفر، وبعضُه بـوقع في الكبائر، وبعضه يوقح في الصغائر، والمحافيظة على حدود الله يرفع إلى مرتبة غلِيَّة من مراتب المؤمنين، كمرتبة الأبرار أو مرتبة المحسنين.

فالحافظون لحدود الله: هم القائمون بما أوجب الله فيها، والمجتنون

ما حرَّم الله فيها، والمؤدّون حقوقَها بأمانة، والمواظبون على القيام برعايتها، ولا يخونون فيما استأمنهم الله عليه منها.

> وختم الآية التي عدَّد فيها صفاتهم بفوله: ﴿وَنَشَمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞﴾:

أي: وبشر جميع المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالعاقبة الحسنة ولمو لم يكونوا من هؤلاء المبايعين، ولكنّ درجة من دونهم نكون أقلّ من درجتهم.

. . .

وجاء في الآية (٨٠) من السورة بالنسبة إلى المنافقين قول الله تعالى لرسوله:

﴿ اَسْتَغْفِرْ لَكُمْ أَوْلَاتَسْتَغْفِرْ لَكُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَكُمْ سَبْيِينَ ثُرَّةً فَأَن يَقْفِرَ اللهُ لَكُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفُرُ الدِالْفُورَسُولِيْ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْفَوْمُ الْفَضِيقِينَ ﴿ ﴾.

وجاء في الآية (٨٤) بالنسبة إلى المنافقين أيضاً قول الله تعالى لرسوله:

﴿ وَلَا تُسَلِّ عَلَىٰ لَحَدِيمَنَهُم مَاتَ أَبَدًا وَلَا لَتُمْ عَلَى غَيْرِيَّ إِنَّهُمْ كَفُرُواْ عِالْقَووَرَسُولِهِ، وَمَالُواْ وَهُمْ فَنَحِيدُونَ ۞ ﴾.

﴿مَا كَاكِ لِلنَّهِي وَالَّذِينَ مَا مُوَّالَّانِ مُسْغَفِّرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَقَوْكَ اثْوَالُّولِ قُوْكَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيْزَكَ لُمُمَّا أَنْهُمَ أَصْحَبُ الْجَمِيدِ ۞﴾

وهـا يُرِدُ سؤال، وهو: كيف أَذِنَ الله لإثبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلام أن يستغفر لابيه مع أنَّ أباه كان كافراً؟

فأجاب الله عزَّ وجلَّ على هذا السؤال بقوله تعالى:

﴿ وَمَاكَاتَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَهِبِمُ لِأَبِيهِ إِلَّاعَن مَّوْعِـ دَوْوَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا لِنَيَّنَ

لَهُ وَأَنْهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ مَنْ زَأَمِنْهُ إِنَّ إِنْ إِنْ فِيهَ لَأَوَّ وُكُلِيرٌ ١٠٠

جاه في سبب نزول هاتين الأبين عكة روايات ضعيفة يىدور أكثرها حول رغبة الرَّسُول في الَّ يستغفر لاَّمَّه، أو لعمَّه أبي طالب، فلم ياذن الله له بـذلك، وجماء في بعض هـذه الـروايات أنَّ بعص المؤمنين كـانـوا يستغفـرون لأبسائهم من العشـركين، فنهاهم الله عن ذلك، والحديث الوارد في هذا قال النرمذي بشأنه: حديث حسن.

. . .

قول الله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِي وَٱلَّذِينَ مَا مَنُوالَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ . . . ١٠

اللَّام في ﴿للَّبَسِيُّ﴾ جاءت بعد كُونٍ مُنْفِيٍّ، فهي على ما يقول علماء العربية لام الجحود، ويؤتي بهـذه الـلّام بعد كون منفي لتأكيد النفي باللَّمْ تعبير.

والتنبي في مثل هذا العقام يرادُ منه النهيُّ المشئد المؤكّد، لأنَّ تاكيد عدم وجُــود المعنفيِّ من يَبْــل المحكّفين ذوي الإرادات الحرَّة بدُلُّ عَلَىٰ أَنَّه منهيُّ عنه نَهْيـاً مُشــدَّداً حَمَّى صار من المستبقد جدًا وَقُوع المؤمنين به .

قال أهل التفسير: إنّ مثل هذا النهبير: ونمّا كانّ الله ليظلمهم ـــ ومَا كَمَانُ للفّس. أنّ تموت إلّا بإذن الله ـــ مَا كانَ للنّبيّ والذين آمنوا ـــ ومَا كَانَ الْمُؤْمِّدُونَ لِيُنْهُرُوا تُحَافَّ وَمَا كَانَ بْرُسُولِ أَن بَأْتِي بِآلَةٍ إِلّا بإذن اللهم ونحو ذلك، يأتي على وجهين لِينْهُرُوا تُحَافِّدُ ـــ

الوجه الأول: النَّفيُّ الْمُؤَكَّد، مثل:

﴿ فَمَاكَانَا لَنَّهُ لِيَظَّلِمَهُمْ ﴾.

الوجه الثاني: النَّهْيُ المشدُّد، مثل:

﴿ مَا كَاكَ لِلنَّيْ وَالَّذِينَ مَا مَنَّوْ اللَّهِ يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾.

فالمعنى: لا يُبَاحُ للنُّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ يَسْتَغْفَرُوا للمشركين، واقتصر النَّصَّ

على المشركين، لأِنَّ الشَّرِكُ اخفُ سنارل الكفر، والرَّلُ مَزَكَةٍ من دركاته، فما هـو أشدُّ من الشرك من دركات الكفر، كالكفر برجود الله أضلاً، وكالنفاق الذي يجمع بين الكفر والنفاق، يُفْهَمُ من باب أوْلَى، فلا يجوز للمؤمن أن يستغفر لايٌ كافـر من أخف دركات الكفر حتى أشدَها وأخيثها.

ولمُّما كان من ضمن الكافرين مَنْ هُمْ أُولو قربى، وكمانت عواطف المؤمنين تتحرُّك بقوة راغبةً بنجاة الأقربين من الخلود في العذاب، فتندفعهم إلى سؤال الله أن يغفر لهم، قال تعالى عقب النهي السابق:

﴿ وَلَوْحَالُواْ أُوْلِي قُرْكَ . . . ١٠٠٠ أَ

﴿ وَلِيهِ }: بِمِعَى أَصِحَابِ، وهو جَنْتُمُ لا واجدُ له من لفظه، أو اسَمُ جَمْعٍ لنُو، ويُعْرَبُ مثل إعراب جمع المذكر السّالم إلحاقاً به، فَيُرْفَعُ بالواو، ويتصبُ ويُجُرُّ بالياء،

﴿أُولِي قريسي﴾ : أي: أصحاب قرابة كاب وأمّ راخ واخت وابّن وابنة ونحوهم. والمعنى: ولو كان المشركون أولي قدرمى فلا يجوز للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا لهم.

وجعل الله عزّ وجُدلٌ هذا النهي عن الاستغفار للكافدين مقيّداً بحالة معرفة المؤمنين تُفَكِّرَ مَنْ يريدون أن يُسألوا الله أن ينصر لهم، وعلّمهمُ بـأنّهمُ من أصحاب الجعيم، فقال تعالى:

﴿ مِنْ ابْعَدِ مَا تَبَيِّ لَكُمْ أَنْهُمْ أَصْحَبُ الْجَدِيدِ ١٠٠

أي: من بعد ما ظهر لهم إصرارُهُمْ على الكفر، أو مؤُهُمْ وهُمْ كافرُونْ، فَمَنْ
 ماتُ كافراً فقد تبين أنه من أصحاب الجحيم، ومن أظهر عناده وإصراره على الكفر
 بعد كل وسائل الإفتاع والترغب والترهب القرآنية، فقد تبين أنه كافيرٌ من أصحاب
 الجحيم، كالذين قال الله بشأنهم في أوائل سورة (الفرة/ ۲ مصحف/ ۸۷ نزول):

﴿ إِنَّ الَّذِيرَ ۖ كَفَرُوا سَوَاةً عَلَيْهِمْ ءَأَمَذُرْتَهُمْ أَمْلُمُ لُنَذِرُهُمْ لَايُؤْمِنُونَ ۞ ﴾.

بعد هذا البيان أجاب الله عـزّ وجلُّ على السؤال الـذي يُرِدُ عَقِب تـوجيه النهي عن

الاستغفار للكافرين حتى أخفِّهم كُفْراً، وهـو: كيف أذن الله لإبراهيم عليـه السلام بـأن يستغفر لأبيه الكافر، فقال تعالى:

﴿ وَمَاكَاكَ ٱسْنِفْفَالُ إِبْرَهِهِ مَلاَّيْدِهِ إِلَّا عَن مَّوْجِ مَوْوَعَدُهَا إِنَّنَاهُ فَلَمَّا لَبَيْن لَهُ الْنَمُوعُدُوًّ يَقِوَنَهُ أَنِيارُهُ إِلَيْهِ مِينَالًا أَنْهُمُ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَي

﴿وَمُوْجِدَة﴾: مصدر لفعل ووَعَلَى كالوعد، بشال لغة: وعَلَمْ يبِعُمْ وَعُمَا وَمُوْجِلَة وَعِلَةً وَمُوْجِداً.

قابان الله تعالى في هذه الاية عُشْر إبراهيم في استغفاره لايب، وهو أنّه أراد أنْ يَرَّ بوقد رَعَنَهُ إلياه، إذْ كان قبال له: لأستَفْيَرَنُّ لَكُ رَبِّي، أي: وموسم فيه أن يُؤْوَنَ مستقبالاً بعد أنْ فازق بلدة وقومه، وذلك أنْ أباه خرج معه حين هاجر من العراق هو وزوجته سارة وابنُ أخيه لوط، فنزلوا أولاً في حران، وهنالك مات أبوه، ثم ارتحلوا إلى أرض الكنمائين، وهي بلاد بيت المقدس، وكان ذلك بعد أحداث تعرض إبراهيم للتحريق بالنار على يد نمروه، لكنّ الله خَيِّب نمروه وقومه المشركين إذ أمر الناز بان تكون برداً وسلاماً على إبراهيم، فكانت كذلك فلم تسته بأنى، فلمنا رأى أبوه ذلك، قال فنم الرّبٌ ربّك يا إبراهيم كما روي عن أبي هريرة.

وقسد سبق أن أنزل الله حسرٌ وجُلُ لبسل هذه الأبية في مسورة (الممتحشة/ ٢٠ مصحف/ ٩١ بزول، أي: قبل الشوبة بالثنين وعشرين سيورة، قوله تعالى خطاباً للُّذِينَ أمنوا بعد تحذيرهم من أتّحذا الكافرين أولياه، والتعريض بتلويم حاطب بن أبي بلتعة فيما كان منه من محاولة انخاذ يُد عند مشركي قريش إِنَّانَ أحداث فتح مكة:

﴿ هَـَدُ كَانَتُ لَكُمْ أَسُوةً حَسَنَةً فِي إِرْهِدَ وَالْفِينَ مَعَهُ إِذَا لَا لِعَرِهِ إِنَّابُرَ وَالْمِن مَسْئُرُونَ مِن وُونِا لَقَوَكُنُونَا يَكُرُونَا لِيَنَنَا مَنِينَكُمُ الْمُنَدُّوهُ وَالْبَعْسَةُ أَبْدًا حَقَّ ثَوْشُوا لِلقَوْمِ مَدُهُ إِلَّا فَوَلَا يَرْهِمُ لِلْهِيهِ لِأَسْتَغَوْرَنَا لَكَ وَمَا أَمَالِى لَكَ مِنَا لَقَوْمِن مَنْ وَقَ وَيَا عَلِيكَ أَنْهَا وَلِيَكُ الْمَصِيرُ فِي الْمُنْتَقِيرَةً لِكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَا لَقَوْمِن مَنْ وَقَ وَيَا عَلِيكَ الْمَالِكُ الْمَالِكُ الْمَالِمُ اللّهِ مِن اللّهِ مِن اللّهِ مِن اللّهِ مِن اللّهُ عَلَيْكُ الْمَالِكُ اللّهُ مِن اللّهِ مِن اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّ

﴿ أَسُوةً حَسَنَةً ﴾:

أي: تُلْوَة حَسَّةً.

الأسْوَةُ: المفتدى به في قول أو غَسَل، وإنَّما يُقْتَسَدى عادةً بَمَنَّ يكون له ظهــورُ محترمٌ بين الناس ليير الإعجاب والتقدير، لكنّه قد يكون أسْوةً حسنة، وقد يكــون أسْـوة سَيْتُه، كائمة الفسلال والإضلال في الناس.

فعلَّم الله عزّ وجلَّ العؤمنين من أتباع محمّد ﷺ أن يقتدوا بإسراهيم عليه السلام والذين كانوا معه مؤمنين في تربُّهم من قومهم الكافرين بالفول. والعمل، والذين كــانوا معه مؤمنين هم زوجّه سارة، وابُنُّ أخيه لوط عليه السلام.

فنبرُّ وُهُمْ منهم بالقول دلُّ عليه قوله تعالى :

﴿إِذْ قَالُواْ لِغَرْمِهِمْ إِنَّا بُرْءَ وَأَلِمِنكُمْ وَمِشَّاتَهُ بُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

وتَبْرُؤُهم مِنْهم بالعمل دلُّ عليه قوله تعالى:

﴿ كَفَرْنَا بِكُرْوَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلْعَدَ وَةُ وَٱلْخَصْكَاةُ أَبَدًا حَتَّى تُتَّوْمُواْ إِلَّهُ وَحَدَّهُ ﴿ ﴾.

فأتباع محمد ﷺ مطالبون بأن يقتدوا بإبراهيم والذين كانوا معه مؤمنين في هذين الأمرين القول والعمل.

واستشى الله من عموم هذا القول والعمل ما كان من إبراهيم تجاه أبيه، وهو أشرً لم يُصَرِّحُ به في اللفظ، وذلك أنَّه وضَدَهُ بان يستغفر له، فاشتمل هذا على قول، باللَّسان، ووَقْدِ أنجزَهُ بالعمل، فقدَّ جَعَل إبراهيمُ يستغفرُ لابيه تتغيذاً لوعده له، متوسَّماً منه أنّه سيتغفر بما كمان عليه، ويؤمن بنائه وحده، ويتَّبع أبنّه فيما دعماه إليه، فقد هاجر معه مع من آمن به واتّبعه، وابتعد عن مشركي قومه عُبَّداد النجوم، وقلُ الاستثناء على أنّه مقدّر ذهناً.

لي: لا يخسُن أن تقتدوا بليراهيم عليه السلام في هذا الذي كان منه لاييه ، لأنّ أباء كان كافرأ . والكافر لا يجوز الدّعاء له بالمغفرة ، لأنّ الله لا يُنْفِر الكُفْرَ بـه ولو كـان من أخف دركات الكُفر . وهو الشرك به .

وأبان الله عزَّ وجل هي سورة (التوبة) أنَّ عُـنْرَ إبراهيم في استغفاره لأبيه حـرْصُهُ

على ان يغيى بوعده له، وأنّه لم يَشِيَّن يَصْد أَنْ هَاجِر مِمه، أَنْهُ ما زَالْ مصبرًا على الكَشْر. مُنْمَسُكًا بِما يُؤمن به قومُه، فلمَّا تَبَيِّنْ لَهُ ذَلِكَ وربّها كان هذا حين افتربت مَنْهُه، وأَبَىنَ ان يُمُّلن إيمانَهُ بالله وحده لا شريك له، ونِيْن له بذلك أنّه علوَّ لله تِرَاً مِنَّه.

ومع وجود هذا العذر لإبراهيم عليه السلام فإنَّ الله تعمالي لم يأذن بالاقتداء بــه فيه، فقال تعالى في الاستثناء في سورة (الممتحنة/ ٦٠ مصحف/ ٩١ نزول):

﴿ إِلَّا قُولَ إِبْرُهِمَ لِأَبِيولَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ … ۞ ﴾:

أي: وما تبعه من تنفيذ هذا الوعد.

ولا يدخل في الاستثناء قوله:

﴿ وَمَا أَمْلِكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٌ زَّيَّنَا عَلَيْكَ نَوَّكُنَا وَإِلَيْكَ أَنْمُنَا وَ إِلَيْكَ ٱلْمَعِيدُ ۞ ﴾.

للعلم بعدم دخوله بداهة، بل هو ممَّا يُقْتَذَى بإبراهيم فيه.

وأثنى الله عزَّ وجل على إبراهيم في أخر آية (النوبة) فقال تعالى:

﴿ إِنَّ إِنْرَهِي مَ لَأَوَّهُ مَلِيدٌ ١

هــذه الجملة مؤكَّـذة بشــلائـة مؤكــدات: وإنَّ ــ والجملة الاسميــة ـــ والـــلام المزحلقة.

أَوَّاهُ: الآوَّاهُ عند أهل اللَّغَةُ هُو الَّذِي يُكُثرُ مِن قُـولُ وَأَوَّهُ تَعْبِيراً عَن تَـوجَعه وَشُرْبُهُ، فَالأَوَاهُ فِي المعنى هُو كثير التَّرَجُع الذِي يُعِبَرُ عَنْهُ بِقُولُ: وَأَوَّهُ.

يقالُ لغة : أَوْهُ الرَّجُلُ تَأْوِيهاً، إذَا قالَ: وأَوْهُ، وهذا اللفظ هبو اسم فعل مضارع، بمعنى: وأتوجّع، وفي نطقه لغات تزيد على العشر.

وكترة التأوّ تدلُّ باللّزوم الذهنيّ على النّ صاحبه كثير الحرَّن كثير الترقيع، ومشل إيراهيم عليه السلام، لا يُمَوَّنُ ولا يتوجّع من أجل أمور الدنيا، بل هو يتوجّع ويحـرَّن من أجل أمورٍ يراها على غير ما يرضي الله عزّ وجلّ، لكنّه في ذات، حريصٌ جـدًاً على القيام بعراضي الله عزّ وجلّ، فهو إفَّنْ لا يُمَوَّجُ من أجل نفسه، ولا يُمُؤنُّ بسبب فنوبٍ ارتكها، فلم يين إلا أن يتوجّع ويحرّن من أجُل أبيه وقومه الكافرين، إذَّ كان حريصاً على نجاتهم بالإيمان من الخلود في عذاب البحميم، وهم لا يستجيبون له، وهذا ينبع من منابع رحمته العظيمة بقومه وبالناس أجمعين.

وكثرةُ تَأْوِهِهِ الدالَّةَ عَلَىٰ كَثْرَةِ نَوْجُعِهِ وحُرْنِهِ تدفعه إلى أن يدعُو الله مُتَضَرَّعاً لمَنْ هُو حَرِيصُ على نجاتهم من عذاب الله، ومم تضرَّعِهِ يكثر ذكر الله ويُسَبَّع بِحَدْيِهِ.

فرحْنتُهُ، وكنوَّ شفقته، ودعاؤه وتَسْبِيحُه، تَفَهُمُ لِزوماً من كونه كثير النَاوَه، فملا تصارض بين المعنى اللَّمْوي وما ورد من تفسير مسأشور للمسراد من وارَّاه، لأنَّ هـلـه التفسيرات الماشروة تعبَّر عن اللَّوازم التي تقضيها كثرة تـأوه إيدراهيم، فقـلـ جـاء في الماشور من التفسير لكلمة وآواهه أنَّ اللَّمَّاء، أي: كثير الدُّعاء لمربَّه، وأنَّه المتضرّع، وأنَّه المتضرّع كثير الدُّعاء، وأنَّه الرحيم، وأنَّه المسبّح.

> وقد وصف الله إبراهيم بأنَّه وأوَّاه؛ في موضعين من القرآن الكريم: الأول: قول الله تعالى في سورة (هود/ ١٩ مصحف/ ٥٢ نزول):

﴿ فَنَمَا ذَهَبَ عَرْ إِزْهِمَ الزَوْعُ وَعَاءَتُهُ ٱلْشَرَىٰ يُجْدِيدُانِ فَوْرِلُوطٍ ۞ إِنَّ إِيْرَهِمَ لَمَائِمُ أَوْدَّتُبِيثُ ۞﴾.

الثاني: ما جاء في النص الذي نتدبّره في سورة (التوبـة) وقد وصفـه الله فيه بـأنّه أوّاه في معرض ماكان منه من استغفار لأبيه، رحمةً به وشفقة عليه.

خَلِيمٌ: أي: كثير الحَلْمِ، لا تُثيره المغفيسات التي تستثير بــالغضب معـظم لناس.

وبعد أن أبان الله عزّ وجلّ بهاساً جُلبًا أَسُه لا يجوز للنبيّ ولا للذين آمنوا أن يستغفروا للكافرين من بعد ما نبس لهم أنهم كافرون من أصحاب الجحيم، لا بُدُّ أنّه قد تخوّف من كنان من المؤمنين بستففر لأولي فُرياه أو غيرهم من المشركين من أن يكون قد وقع في الإثم ومخالفة حكم الله، وعرض نفسه للمغورة، ولو لم يكن لـديه بيان جليَّ بالتحريم، إذَّ كان البيان السابق الموارد في سورة (الممتحنة / ٦٠ مصحف/ ٩١ نزول) يُنكنُ أن يُعملُ على الترغيب في عدم الاقتداء بإسراهيم عليه السلام في استغفاره لابيه الكافر، لا على التحريم.

فاقتضى هذا التحرّف الذي قـد يجعل المؤمنين في حرج من أمرهم إتبـاغ بيان التحريم بيان رفع الحرج عن الـذين كانبوا يستغفرون للمشـركين وهم لا يعلمون أن استغفارهم لهم حرامٌ في دين الله.

وثلاحظ أنه جاه بيان رفع الحرج في صيغة قاعدة كلبة عـامّة ننطبق على هذه الجزئية، وعلى كل أشباهها وامثالها، وهده الفاعدة الكلبّة تتبت أن مسؤوليّة العباد تجاه رئيهم، في فضايا أحكام الدين الواجبة أو المحـرّمة لا تكـون إلاّ بعد أن يُبيّن لهم فيصا يُمرِّل من أحكام ما يجب عليهم فعله، وما يجب عليهم تركه، ليتضوا الوقـوع في الإثم وترتّب العقاب، يفعل الواجبات وترك المحرّمات، فقال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَا اللَّهُ لِيُصِّلُ قَوْمًا بَصَّدَ إِذْ هَدَ الْهُمْ خَنَّ بَنْبِى لَهُمْ مَّا يَتَقُوكُ إِنَّا لَهُ بِكُلِ فَيْ وَعِيدُ كُلِهِ مُ

المعنى: ولا تكونوا في حرّج بالنسبة إلى ما كنتم تفعلون قبل أن بُيّين الله لكم مَا يجب عليكم أن تفعلوه، وما يحرَّم عليكم أن تفعلوه، فليس من سنة الله في محاسبة أيَّ فوم في كلّ رسالاته المنزلة على عباده أنَّ يؤاخذ على فعل شيَّء أو ترك شيءٍ حثَّىٰ يُبِيَّن لُهُمَّ ما يتُقُونَ عَلَىهِ المخالفة فيه فعلاً أو تركاً.

وهذه القاعدة هي إحدى مظاهر صفات العلم والحكمة والعمدل من صفات الله عزّ وجلّ، فمن مسائل علم الله الشامل أنّه ليس من الحكمة ولا من العمدل أنّ يُؤاخذ قبل بياذ الحكم الدينيّ في المسائل التي لا يُذركُ العبادُ وجُورَها أو تُعريمها إلاّ ببيان الشارع لذلك.

إنَّ العواضفة شرطُها العلْم بالتكليف، والعلم بالتكليف الديني المذي لا يُلْتَرُكُ بالفطرة أو ببداهة العقول، لا بدَّ أن يكون مسبوقاً بالبيان الثابت عن الله بنصَّ مسَوَّل، أو ببيان الرسول في سنَّة ثابتة، وبيان الرسول فرع من فروع بيان الله عزَّ وجلَّ .

﴿وَمَاكَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلُّ قَوْمُمَّا ﴾:

نفي بأيلغ أساليب النفي، فاللام في: ﴿لِلْشِلُ﴾ هي لام الجحود، لورودها بعـد كونٍ منفي، وقد سبق شـرح هذه الصيغة عند تدبّر قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنِسَىُ﴾.

ومعتى ﴿لَيْضِلُ» هنا: لَيُضِيِّ ولَيْحُكُمْ بِضَلاَلِ قَـُومٍ مَا مِن آلِيَّةٍ أَسَّةٍ سَابِقَةٍ وَحَاضرة ولاحقة، وذلك بأن يُمُكُمُ عليهم بأنَّهُم عُضاةً مَنْسِون مخالفون لاحكام التكاليف الدينية في قضايا الواجيات والمحرّمات.

﴿ بَعْدُ إِذْ هَدَنَّهُمْ ﴾:

أي: بعد إذْ دَعاهُمْ إلى الإيسان، فاستجابوا، وآمَنُوا، فحكَمَ لهم بالْهُـذَىٰ في موضوع الإيمان، وإعلان الإسلام.

﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّايَنَّقُونَ ﴾:

أي: حَمَّىٰ يَشِنَّ لهم فيما يُسْرَلُ من كتساب، او على لسان ومسول، من رُسُله، ما يجب عليهم أن يُغْمَلُوهُ، او يُنركُوه، فيتَقُوا بفعل ما أمِسُرُوا بفعله، وتَرْكِ مـا نُهُوا عن فعله، ما يُنزَّبُ على المخالفة من استحقاق المؤاخلة والعقاب.

ولمّـا كان من مسائل علم الله المحيط بكـلّ شيء أنّه ليس من الحكمة ولا من العدل مؤاخفة المجاد في افعال أو تروال هي من أحكام الـدين، التي لا تُذَرُّكُ إلاّ ببيـانٍ في كتاب الله أو سنة رسوله، ختم الله الأية بقوله:

﴿ إِنَّاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيدً ﴾:

أي: ومن جَلْمِهِ الشَّامل لكلَّ شيءِ أنَّـه ليْس من الحكمة ولا من العـدل أن يُضلُّ قوماً بعد إذْ هداهـم حَنَّى بَيْيَن لهم ما يتقون.

وبعد بيان رفع المؤاخلة عن الدين يقعون في مخالفة أحكام الله الديئية وُهم يُجْهَلُونَها دون تقصير منهم، لُرِّحَ الله عزَّ وجلَّ بتهديد العصاة وهم في سوقع المؤاخلة على المعصية، فقال تعالى:

﴿ إِنَّالَلَهُ لَهُ مُلَكُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَيْجِي وَيُمِيتُ وَمَالَكُم مِن دُوبِ ٱللَّهِ مِن

وَلِوْوَلَانَصِيرِ ۞﴾.

في هذه الآية تذكير بثلاث قضايا من قضايا القاعدة الإبعائية ، تستثير بـواعث الطاعة في قلب المؤمن، حتّى لا يقع فيما يعلَمُ أنَّهُ مخالف لاحكام الله في الدِّين فصلاً اوتركاً.

القضية الأولى: أنَّ اللَّهُ لَهُ لَلْكُ السَّمَاوات والأَرْض، أي: فلا شريبك له في الملك، ويازم عن هذا أنَّ بلك النشارية والملك وقد فهو وشقة الملك، ويازم عن هذا النَّ جميع المغلق عاده، معلوكون له، ومن له المُلك وقد وشقة المستحقَّ للطاعة والعبادة فإذا أمَّز بشي؛ أو نهى عن شيَّء لم يكن لعباده جَيَزةً في أن يَخْبَ المُمْنِ ويقضوا، ويقضوا، فإذا تفسلوا كنانُ من متضى مُلك سبحانه أن يسالغهم، ويقضي فيهم بالعدل، ويضعهم موضع المواحدة، وكان له أن يعاقبهم بالمدل.

دلُّ على هذه القضية قول الله تعالى في الآية:

﴿إِنَّالَلَهُ لَهُمُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَأَلْأَرْضِ ﴾.

القضية الثانية: أنَّ الله هُو الذِي أَخْيَا الأخْيَاء كُلُها، وهو الذي يُعيت، وهو الذي إذا شاء أعاد الحياة للمونى، ولاسيما الذين وضعهم في الحياة الأولى موضع الابتلاء، ولم يُجرِّهم في الحياة الأولى على أعصالهم الاختياريّة، وكنان من الحكمة والمعدل إعادتهم إلى الحياة للحساب وفصل القضاء وتنفيذ الجزاء، وفي هذا إشارةً ضحئيّةً إلى يوم الذين، ومعلوم أنّ المؤمنين لا يحتاجون في التذكير بيوم الدين لأكثر من أن يأتي في البيان مثل قوله تعالى:

﴿يُمِي وَيُعِيثُ ﴾.

كما جاء في الأية.

الفضية الطالح: أنَّ الَّذِينِ يقفون يوم الدين للحساب ونصل الفضاء وتنفيذ الجزاء على ما كنان منهم في الحياة الدنيا بين يدي الله الخيالق الباريء السذي تـــــــ ملك السماوات والأرض، لا يجدون يومترُ من دون الله وليَّا يُترلُّهم، بجلب نفـــــــــ أو ثواب، أو دفع ضرَ أو عقاب، ولا يجدون نصيــراً ينصُرُهُمْ فيغلبُ جنْـدُ الله إذا أراد الله تعذيبهم على ما سلف من ذنوبهم.

. . .

وتعقيباً على ماسبق من بيبان في الأبة (٨٨) من أنَّ الرسول والـذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله، وقد دلَّ السَّباق والسَّباق على أنَّ خروجهم إلى غزوة تبوك، وجهادهم فيها من الجهاد المداخل في المراد دخولاً أوَّليًا، أبان الله عزَّ وجلَّ في الأية (١١٧) أنه قد تاب على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوه في ساعة الْمُسْرَة، أي: في المغروج إلى غزوة تبوك، وسمَّى الله زمنها ساعة الْمُسْرة، لأنها كانت في زمن شديد الحرَّ، مع قلة المؤونة، وقلة العناد، وهذا فوق ما ذكر في الأبة (٨٩) من أنَّه عزَّ وجلَّ أعدَّ لهم جَنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، فقال تعالى:

﴿لَقَدَتَابَ اللَّهُ عَلَى اللَّهِي وَالْمُهَجِرِينَ وَالْأَنْصَادِ الَّذِينَ الْمُعَوُّفِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ مِنْسَدِمَاكَ ادْيَدِيغُ قُلُوبُ فَدِيقٍ مِنْهُمْ تُدَوَّنَابَ عَلَيْهِ فُرِلَامُ بِهِمْ رَمُوكُ دَّمِيمُ ﴿ ﴾ .

قاب: هي في اللَّغة بمعنى: رَجَمَعُ، وخُصَّت في الاستعمال بمعنى رجوع العبد إلى طاعة ربَّه، معتوناً بسابق ذنب، ورجوع الله إلى عبده بالسرضا والشوفيق وعطاءات العفو والففران، وفيوض الإحسان.

في ساعة العُسْرَة: الْمُسْرَة: الصَّيقُ والشَّلَة، وقِلَّةُ ذَاتِ اليد، والأَسُور الَّتِي تَعْسُر ولا تَنْبَسَر.

وساعة الشَّمْرَة برادَ منها الزَّمَرُ الذي خرج فيه الرسول والمسلمون معه إلى غزوة تبوك، إذْ كان زَمَنَ شَدَّةٍ وحرَّ، وكان المسلمون في حالة عُسْرٍ من أمرهم، في الرَّواد، والمماء، والسَّلاح، والعتاد، والمراكب، وتعرضوا في سفوهم لظماً شديد، وجوع معض، بسبب قلّة الماء والزاد وشدّة الحرِّ.

﴿كَادَ﴾:

يقال لغة: كاد الرَّجل يفعل كذا، أي: قارب أن يفعله ولم يفعله.

﴿يُزِيغُ﴾

يميلُ عن الغصد، وعن السطريق، يقال لغة: زاغ عن الشيء يَزِيمُ زَيْغاً وزَيُوعًا وَزَيْضَانًا، وزاغَ يَدُّونُ زَوْعًا زَوْعَاناً، إذا مـال عن الْقَصْـب، وانْحَـرفَ عن الصـراط السويّ، وجارَ في منطقه، وكلَّ ميل عن الحقّ والخير والهدى والطاعة الواجة زُوعَان.

وزَّمْغُ القلب وزُوْغُهُ: ميلُهُ عن إرادة الاستقامة والـطاعة وفصل الخيـر وميلُه عن المحقّ والخير والهدى.

فقوله تعالى :

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَيْنِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُدَ ﴾

آي: من يعد ما قارب حال فريق من الذين أتبغوا النبيّ في غزوة تبوك أن تعيل قلويُهُمْ عن أتباعِه، ويكونُوا مع المخلّفين، لكنّهم تداركـوا المُؤهَّمُ فلَجقُّـوا بالنُّحَرَّاة، فالْحَقَهُمْ الله بَعَنْ تاب عليهم اوَّلاً منذُّ تابُ على رسوله.

وكمان ممّن تباطأ أوَلاً لمْ لَجنَ بالـرسول حتى أدركه حين نزل نبـوك أبُوخيشَــةَ رضي الله عنه، كما ذكر ابن إسحاق.

وكان يتخلّف عن ركب المسلمين في الطريق بعض الخارجين مع الرسول ﷺ. فيقولُ بعضُ المسلمين له: يا رسول الله، تخلّف فلان، فيقول: ذَعُـوهُ، فإنَّ يَلكُ فِه خُيِّرُ فَسَيِّلْجِهُمُّ الله بِكُمْ، وَإِنْ بِكُ غَيِّرُ فلك فقد أَرْاخَكُمُ الله منه.

ولدى تدبير هذه الآية نلاحظ أنّ الله عزّ وجلّ قدد أبانُ أنّه قد أنجز توبته على النبئ والمهاجرين والأنصار الذين أتّبعوه خارجين معه إلى غزوة تبوك في ساعة العسرة، ودلّت القرائن على أنّ هذه النوية من الله عليهم قد كمانت ثنواباً لهم على خروجهم مجاهدين في ذلك الزمن الشّعب الشديد.

وبدأ الله بالنبسيّ لارتفاع منزلته وعلوّ مقامه عنده، وتوبُّتُه عليــه إمما هي من بعض

تفصيراته بالنسبة إلى حقوق الدرجات العليا من مرتبة المحسين، لا من تفصيراته بالنسبة إلى حقوق درجات مرتبة المتأتين، فهمله معصومً عنها، لأنَّ الله جعلَّة أسوة حسنة للمتفين في كلَّ ما يصدر عنه، أمَّا حقوق مرتبة الأبرار، أو مرتبة المحسين فهي بالنسبة إلى أهل مرتبة المتثبن من نوافل الطاعات، التي لا يفعلها إلَّا قلبلَّ منهم، وإذا فعلوها ارتقوا بها إلى مرتبة الأبرار، أو إلى مرتبة المحسنين.

وذكر الله المهاجرين قبل الأنصار للإشعار بتقلّم منزلة خيار المهاجرين على خيار الأنصار، لانهم آمنوا وتركرا مساكنهم وأموالهم في سبيل الله مهاجرين، وجاهدوا بعد ذلك بأموالهم وأنفسهم، ومنزلة المهاجر المجاهد أعلى من منزلة من آوى ونصر.

فقال تعالى في هذا البيان مؤكّداً بلام الابتداء وحرف التحقيق:

﴿ لَمَدَتَابَ اَتَّهَ عَلَى اَنَّتِي وَالْمُهَدِجِينَ وَالْأَصَادِ الَّذِينَ اَتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ ... ﴿ ﴾ .

وكمان من المذين أتُبَكَّره فريقُ اشتهٔ عليهم الخوريَّ في ذلك الرَّمْنِ الْمُعيسِرِ الصُّمْبِ، فدبُّ بعض الـوهنِ والتخالل إلى قلوبهم، حَمَّى كـادت قلوبهم تميلُ إلى التخلّفِ عن الخروج، أو التخاذل في بعض الطريق، وإلى معصبة الرسول في تكليفه الإلزاميّ بالخروج والمتابعة.

ودلُّ على هذا الفريق قول الله تعالى في الآية:

﴿ مِنْ بَقَدِ مَا كَا دَيَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ . . . ﴿ ﴾ .

لكنَّهم تـداركوا أسرهم، فاعتصموا بحبل الـطاعة، وأنبُّعوا الرسول إلى تبوك. ويحتمل أن يكون صمير فرمتهم، عائداً على مجموع المهاجرين والأنصار، وأن يكون المبراد من هذا القبريق أبا لبناية ومن تخلّف معنه من أصحبابه النّذين ربطوا أنفسهم يسواري المسجد.

وهنا يُرد سؤال منطويٌ وهو: فكيف عنامل الله هؤلاء الفنريق الذين كنادت تزينغ قلوبُهُمْ؟

فأجاب الله عزَّ وجلِّ على هذا السؤال المطويِّ بفوله:

وثُنَوَتَابَعَلَيْهِدُ ... ١٠٥٥

فدلٌ حرف وتُمُّهُ على تأخير النوبة عليهم عن توبة الله على المهاجرين والأنصار الذين أتَبُعُوا النبيّ دون أن تتعرّض قلوبهم لمفارية الزيغ .

وختم الله الآية بما يناسب توبته من صفاته الحسني، فقال تعالى:

﴿إِنَّهُ بِهِ مُرَدُوثٌ رَّجِيعٌ ١٠٠٠)

وهذا من أساليب القرآن المجيد، إذّ يربط سبحانه وتعالى تصاريفه بما يلائمها من عناصر الفاعدة الإيمانية، ترسيخاً للفاعدة الإيمانية، في صورتها الكلية وفي عناصرها التفعيليّة.

وهنا يرد أيضاً سؤال آخر بشأن الَّذين أمر الرسول بمقاطعتهم، وهم:

(١) كعبُ بن مالك من بني سلِمة.

(٢) وَمُوَازَةُ بْنُ الربيع الْعَمْرِي، من بني عَمْروبْنِ عَوْف.

(٣) وهِلَالُ بْنُ أُمِّيَّةَ الواقِفِي، من بني واقف.

وهم الثلاثة الذين صدّقوا رسول الله ﷺ بأنَهم تخلّفوا عن غزوة تبوك بغيـر علـر، فخلّفُهُمُّ الرَّسُولُ وارْجـاً أمرهم، حتَّىٰ يفضي الله بشـانهم، وأمّز بمقـاطعتهم تاديـاً لهم ولغيرهم من المؤمنين الذين قد تحدّثهم نفوسهم بمعصية أمر الرسول، في مثل موضوع التكليف الإلزاميّ بالخروج للقتال.

والسؤال الذي يَرِد بالنسبة إلى هؤلاء الشلائة هـو: فعاذا فصل الله بهؤلاء الثلاثـة الذين أرجأ الرسول أمرهم، وأمر بمقاطعتهم، حتى يقضي الله بأمرهم؟ وقد أجاب الله على هذا السؤال بقوله تعالى:

﴿ وَمُوا النَّانِدَةِ الَّذِيكِ خُلِفُواْ حَتَىٰ إِنَّا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبُتُ وَصَاقَتَ عَلِيهِمُ الْمُشْهُمُ وَطَلُواْ أَنَّ لَامْلَجِكَا مِنَ اللّهِ إِلَّا إِلَيْهِ فُمُوَّابَ عَلَيْهِمْ لِيسُونُواْ إِنَّالْقَهُ هُو النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ ﴾ :

أي: وتاب أيضاً على الشُّلاَقِ الدين خُلَقُوا فلم يقض الرسول بـامرهم، وأرجياً أمرهم حتى يقضي الله بشأنهم، واستمرُ ارجاؤهم مُخَلِّين عن إخوانهم اللذين تباب الله عليهم، ومُفاطَيينَ من الرَسولِ ومن المؤمنين، حتى ضَاقتُ عليهم الأرْضُ بِمَا رَحُبْتُ، وضَاقتُ عَلَيْهِمْ الْمُشْهُم، وظُلُوا أَنْ اللهُ مُعَائِيْهُمْ، وهذا مثهم ظنُّ لاحتمال أن يتبوب عليهم ويغضر لهم، فإذا تحقّن ظلُّهُمْ فسلا مُلْجَنَّا من اللهِ إلاّ إليه، وهذا من اليقين الإيماني، وقد استدعاء خوفهم من الله ومن أن يُتزل بهم العقاب.

وظلّرا في هذه الحالة خمسين ليلة هي من أشدّ ما يكون على قلب مؤمن صادق الإيمان، وكانت مدّة طويلة بـالنــبة إليهم، لـذلك قـال تعالى حين أنــزل البيان بنــوته عليهم:

﴿ ثُمَّ نَابَ عَلَيْهِ مْ لِيَتُوبُونُ إِنَّاللَّهَ هُوَ النَّوَابُ ٱلرَّحِيدُ ١٠٠٠

فذكر أنَّ توبته عليهم جماءت متأخرةً بدليـل العطف بحـرف العطف وتُمَّج الـذي يدلُّ على الترتيب مع التراخي .

قد يقال: أمَّا كان يكفي هذا البيان عن ذكر توبة الله عليهم في صدر الآية؟ وأقدل:

نـلاحظ بالنـدئير المتأتي أنّ الله تصالى أراد أن يُبَيّن أنّهم صداروا مشاركين في الدرجة لـمن ذكر الله في الأية السابقة أنّه تابُ عليهم، وإنَّ أرجا الله تويته عليهم حتى ضـاقت عليهم الأرض بما رخّتُ رضـاقتُ عليهم أنفسهم، فالخرضُ من هذا الإرجـاه التربية والتأديب، لا يبأنُ نزول درجتهم عن الذين نَلقُوا قَبْلُهُمْ نَهْ تُربة الله عليهم.

وقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِ مِ لِيَتُوبُواْ ﴾.

يدلُّ على غرض التربية والتأديب، حتَّى لا يَعْصُوا مستقبلًا.

أَمْهِم بالنسبة إلى ما سبق منهم من ذنّبٍ قد تبابوا إلى الله بالاعتراف بالدّنب والاستغفار والندم، وبقي أنْ يتربوا إلى الله في المستقبل بالتنزام الطاعة وعدم تكرير المعصية، فناخير تورية الله عليهم بالنسبة إلى مامضى يُقصدُ منه أن يحافظوا على الرجوع إلى الله دواماً بالنزام الطاعة في المستقبل، وأن لا يكرروا المعصية، لشلا يتعرَّضُوا لما تعرُّضُوا له من هُمَّ وغمَّ في الأولى، فهم من السابقين الذين لا بَلينُ بهم ارتكاب مثل هذه المعصية التي تعكن بقضايا الإسلام والمسلمين الكبرى.

﴿ صَافَتَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِسَارَحُبَتَ ﴾:

يقـــال لغة: رَحُبُ الْمَكــانُ يَرْحُبُ رَحْبـاً وَرَحَابَـةً، ورَجِبَ المكانُ يَـرُحبُ رَحَباً، أي: أنسَم، فهو مكانُ رَحْبُ، ورَجِبُ، ورُحابُ.

هذا التعبير يَدُلُ عَلَى ان حالة الشَّيقِ في النفس تُشْيرُ صاحبُها بـأنَّ الأرض ضيّقة عليه، مهما اتسمَّتُ حَوْلَة الرَّجَاؤُها، ومهمها امتذ حوَّله فضـاؤها، فحـواسُهُمُّ الظاهـرة تَجِشُ بِأنُها سجينة حبيسَةَ ضِمَّنَ جَدُرٍ ضاغطة، وهذا من شدَّة الهمُ والخمُّ والكرب.

﴿ وَضَافَتَ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾:

أي: ويَشْمُرُونَ في داجلِهِمْ بأنَّ أَنْفَسَهُمْ مَسافطةً بالهمَّ والغَمْ والكَرْبِ عليهم،
 فهم في حيالة ألم داخلِيَّ مصَّدَوًا أَنْفُسُهم التي زُيْتُ لهم ارتكاب المعصية أولاً، ثم
 أدركوا ما جزا فخافوا، فضافت عليهم انفسهم من شدة الخوف من نقمة الله عليهم.

ومن خلال التعبيرين تُـلُّرِك مُلِلَمُ الثناء عليهم بشـلَة إيمانهم، وقدَّيَه وَعُمَّقِه في قلوبهم، فلو لم يكونوا من أهل الإيمان العظيم القوي العميق ما شعروا بعشاعر الضيق الشديد، والكرب العظيم، بسبب تخلَّفهم عن الخروج مع الرسول والعؤمنين في غزوة تبوك، ولاستطاعوا أن بلفقوا الأصدار، ويتخلصوا من نتاشج الاعتراف باللذنب للرسول ﷺ كما اعتدر الأخرون وكانوا بضَّماً وثمانين رجلاً.

تفصيل قصة الثلاثة كما قصها كُمُّبُ بِّنُ مَالِك أحدهم:

روى البخاري ومسلم والإمام أحمد بألفاظ متماثلة أو متقاربة:

قال كمب بن مالك: لم إنخلف عن رسول الله ﷺ في غَرَاهِ غَرَاهَا فَطْ، إلَّا في غَرَاةِ تَبُوك ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ نَخَلَفُ في غَرَاةٍ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتِبُ أَخَذَ تَخَلَف عَنْهِا (١) وإنّنا خَرِجَ رسولُ الله ﷺ يريد عِيرَ قُرَيْش، خُنَى جَمْمَ اللّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلُوهِمْ عَلَى غَيْرٍ بِيعَادِ

وَلَقَدْ شَهِلْتُ مَعْ رَسُولِ الله ﷺ ليلة الْعَقَيْةِ حِينَ تَوَاتَقَنَا عَلَىٰ الإِسْلامِ ، وَمَا أُجِبُّ انَّ لِي بِهَا مَشْهَذَ بِلْدٍ، وَإِنْ كَانَتْ بِنْدُرُ أَذَكَرْ فِي النَّاسِ مِنْهَا وَاشْهَرَ.

وكانَّ مِنْ خَبِرِي جِينَ تحلَّقُتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في هَزِوة بَوكَ، أَنِّي لم أَكُنْ قَطَّ النُّـويُّ ولاَّ أَيْسَرْ بِنِّي جِينَ تحلَّقُتُ عَنَّهُ في تلكَ الْغَزَاقِ، واللهِ ما جَمَعْتُ قَبِّلُها رَاجِلَتِينَ قطُّ، حَتَّىٰ جَمَعْتُهُمَا فِي بِلُكَ الْغَزَاةِ.

وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَلْمُنا يُرِيدُ غَزُوةً يَشُوّرُهَا إِلَّا وَزُى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ بَلْكُ الْفَوْرَةُ، فَخَلِفا رَسُولُ الله ﷺ في حرِّ شَدِيدٍ، واسْتَقْلَ سَفْراً بَيِيداً ومَفَاوِلْ، وَعَلَّواً خَيْراً، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِنَ أَشْرَهُم، لِيَأْلَمُوا أَلْبَةَ عَلَّوْهِمْ، فَأَخْرَوْهُمْ بِوَجْهِمِمُ أَلْفِي يُويد، والمُسْلِمُونُ مَعْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ كير، ولا يَجْمَعُهُمْ يَعَابُ خَافِظٌ (يُرِيد بذلك الليوان).

قال كَعْبُ: فَقَلَّ رُجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيْبَ إِلَّا ظَنَّ أَن ذَلِكَ سَيَخْفَىٰ، صَا لَمْ يُنْزِلُ فِيهِ وَحَيِّ مِنَ اللّهِ تعالى.

وَهَزَا رَسُولُ الله ﷺ تَلَكُ النَزَاة حِن طَائِبِ النَّمَارُ والظَّلَالُ، وَأَنَّا إِلَيْهَا اصْحَدُّ(٢). فَتَجَدُّرَ إِلَيْهَا رَسُول الله ﷺ والموبِنُونَ مَمَهُ، وطَيَقَتُ أَغَلُو لِكُيُّ ٱنْجَهُرَّ مَمَهُم، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْصَ مِن جَهارِي شِيئًا، فأقولُ فِي نَفْسِي: أَنَّا فَادِرُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِذَا ازْرَتُّ.

 ⁽¹⁾ لأنّ الدعوة إلى غروة بدر قد كانت نُدْبًا، لا تكليفاً إلزاميّاً، لذلك لم يعانب الرسول أحداً تخلّف عنها.

⁽٢) أَصْغَر: أي: أميل، يقال لغة: صبر يضعرُ ضعراً، أي: مال عُنْتُهُ أووجُّهُهُ إلى أحد الجانبين.

فَلَمْ يَزَلُ ذَلِكَ يَتَمَادَىٰ بِي، حَنَى اسْتَمَرُّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبِحَ رَسُولُ اللہ ﷺ غادِياً، والمسلمون معه، ولم أَلْفس مِنْ جِهَازِي شَيْئاً.

وقُلُتُ: آتَجَهُزُ بَقَدَ يَرُمُ أَنْ يُوْمِنُ ثُمُّ آلِنَعُتُّ ، فَدَدُونُ يَشَدَعُنَ صَلَّوا لأَنْجَهُوْ، فَرَجَعْتُ وَلَمُ النَّصِ مِنْ جِهَادِي شِينًا، ثَمَّ غَدُونُ فَرَجِعْتُ وَلَمُ النَّسِ شِيئًا، فَلَمْ يَوْلُ فَلِكَ يَتَعَافَىٰ بِي حَنَّى السَّرِعُوا، وَتَفَارَطُ الغزرِ<؟، فَهَنَسُتُ أَنَّ ارْتَجِلُ فَالْحَقَهُمْ فَنَا لَيْشِي قَمْلُتُ، ثُمُّ أَمْدُورُ وَلِكَ فِي.

فَلَقِفُتُ إِذَا خَرَجُتُ فِي النَّمرِ, بَلَدُ خُرُوجٍ رَسُول الله ﷺ يَخْرُنُنِي أَنِّي لاَ أَرَى لي أُسُوةً إلاَّ رَبِّلاً مَشْرُصاً عليه فِي النَّفاق (لي: يُلْكر بأنّه سَنافز) الوَرَجُلاً مِشْنُ عَـفَرَهُ الله تعالىٰ مِنَ الشَّمْفَاء.

وَلَمْ يَذْكُرُنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فقال وهو جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: وَمَا فَعَلَ كَمْتُ ثُرُ مَالك؟و.

فقال رجُلُ مِنْ بَنِي سَلِمَة: خَيْسَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بُرْدُهُ، والنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ.

فقال مُعَادُّ بْنُ جَبَلِ : بِنْسَمَا قُلْتُ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خيراً. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَيَتَشَا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ رَأَىٰ رَجُلُا مُيْصِلُا، يَسَوُولُ بِسِهِ السُّسَرَابُ⁰⁰، فَسَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

وكُنْ أَبَا خَيْثُمَةً }.

فإذًا هُـوَ أَبُو خَيْثُمَـةَ الْأَنصَـادِيُّ، وَهُـوَ الَّـذِي تُصَـدُقَ بِصَـاعِ النَّـمْرِ حِينَ لَمَـزَّهُ الْمُنَافِقُونَ.

 ⁽١) تَفَارَطُ الغزو: أي فات وقته. يقال: تفارَط الشيء إذا فات وَقَنهُ.

⁽٢) مُبْيِضًا : أي: يظهر لشخصه بياضَ من بعيد، وربما كان يلبس ثياباً بيضاء..

⁽٣) غَزُولُ بِهِ السَّرَابِ: أي: يرفعه السّرابُ ويُظْهَرُه.

قال كَمُّ بُنُ مَالِكِ: قَلْمًا بُلَنِي أَنْ رَسُولُ اللَّهِ قِلْ تَرَجُّهُ فَالِمِلُّ مِنْ تَبُوكُ خَصْرَتِي بَنِّي (٢) فَطَيْقَتُ ٱلنَّذِيَّةِ (الْكَذِيْتِ، والنُّولُ: بِمُسَاذًا اخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً؟ واسْتَمِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ هِي رَأْيِ مِنْ أَهْلِي.

فَلَمَّا فِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَ اظُلُّ قَادِماً، زَاحَ غَنِّي الْبَاطِـلُ، وَغَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنَّجُ بِنَهُ بِشَيْءٍ أَبِداً، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَأَصْبَعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَابِعاً، وَكَانَ إِذَا فَيهَ مِنْ سَفَرٍ بِنَا بِالنَّمْسَجِدِ، فَرَتُحَ فِيهِ رُخْمَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَى لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلْ ذَلِكَ جَياءُ النَّمَلُقُونَ يُشْتِدُورَنَ إِلَيْهِ، وَيَخْلُمُونَ لَهُ، وَكُانُوا بِشِّمَا وَتَعَالِينَ رُجُلًا، فَقَيلَ مِنْهُمُ عَلاَييتُهُمْ، وَيَايِثُهُمْ، وَاسْتَغْفَرْ لَهُمْ، وَوَخُلَ سَرَائِرُهُمْ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَىٰ.

خَتَىٰ جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمَتُ نَبِسُمَ تَبِسُمَ الْمُفْضَبِ، ثُمُّ قَالَ: وَتَعَالَ، فَجِئْتُ أَشْبِي، حَتَّىٰ جَلَسُتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي:

وَمَا خَلُّفَكَ؟! أَلَمْ تَكُنُّ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْراً؟!».

قال كب: فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ اللّهِ، إِنِّي وَاللّهِ لَوْجَنْلَتُ عِنْدُ فَيْرِكُ مِنْ أَهَلَىٰ الدُّنَا، لَـرَائِتُ أَنِّي سَأَخَرَجُ مِنْ سَخَهِهِ بِمُدَّى، لَقَدْ أَعْطِتُ جَذَلًا، وَلَكِنَى وَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لِنَّرْ خَذْتُكُ النَّهُمْ خَدِيثَ كَدِب رَضَىٰ بِهِ عَنَى، لَوْبِدَئُنَّ اللَّهُ يُسْجَعُكُ عَنَيْ، وَإِنْ حَدْثَنُكَ حَدِيثَ صِدْقِ نَجِدُ عَلَى ثِيهِ إِنِّي لِأَرْجُر فِيهِ عَنْنَى اللَّهِ عَزْ وَجَلُ، واللّهِ مَا كُنْ لِي مِنْ عَذْهِ، وَاللّهِ مَا كُنْتُ فَقَدْ أَفْرَى وَلا أَيْسَرْ مِنِي جَيْنَ مَنْقَلْفٌ عَنْكَ.

قال كعب: فقال رسول الله 鑑:

وَأَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدْقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ،

⁽١) خَصْرَتِي بِشِي: أي: حَصْرَتِي خُزَّنِي الشَّدَيَّا.

قال: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُمُونَّكُونَنِي خَنَّى أَرْنُتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ رَسُولَ, اللَّهِ ﷺ فَأَكُلِبَ خَفْسِي. ثُمُّ قُلْتُ لَهُمْ: مَلْ لَهِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَخْدٍ؟.

قالوا: نعم، لَقِيَّةُ مَعَكُ رَجُّلَانِ قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتُ، وفِيلَ لَهُمَا مِثْلَ ما قبلَ لك.

قَالَ كعب: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟

قَالُوا: مُرَارَةُ بُنُ الرِّبِيعِ الْمَاسِرِيِّ، وَهِلاَلُ بُنُ أُنَيَّةَ الْمَوْاقِفِي، فَمَذَكُووا رَجُلَين صَالِحَيْنَ قَدَّ شَهَدًا بَدْرًا. لِي فِيهِمَا أُسْرَةً.

قال: فَمُضَيْتُ حِينَ ذُكرُوهُمَا لِي.

وَنَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ نَخَلُّفَ عَنَّهُ .

قال: فَاجْتَنَبُنَا النَّاسُ، وَنَفَيُّرُوا لَنَا، حُنَىٰ تَنَكُّرَتْ لِي فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِي بالأَرْضِ النِي كُنْتُ أَمْرِف، فَلَهِنَّا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لِلْذَّةِ.

فَأَشَّا صَاجِبَانِي فَاسْتَكَافَ وَقَعْدا فِي بِتُمِروهِمَا يَبَكِبَانِ، وأَمَّا أَفَا فَكُنْتُ أَشَبُ الفَرْم وَأَجَلَدُهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهُمْ الصَّلَاهُ، وأَطُوتُ فِي الأَسْرَاقِ، وَلا يُكَلَّنِي أَخَدُ، وَإِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلُمْ عَلَيْهِ وَهُوْ فِي مَجْلِبِ بَقَدُ الصَّلَاقِ، فَأَوْلُ فِي فَقْبِي: هَلْ حَرْك فَظَيِّهِ بِرَّهُ السَّلَامِ أَمُّ لاَه، ثُمُّ أَصْلُى فَرِيباً بِشَّهُ، وأَسْاوِقُهُ النَّظْرُ، فَإِذَا أَقْبَلُتُ عَلَىٰ صَلَّاتِي فَقَوْ إِلَيْ ، وَإِنَّا أَلْفَتْ نَحْوَةً أَمْرَضَ عَنِي .

خَنِّى إِذَا قَالَ ذَلِكَ عَلَيْ مِنْ جَفَّرَةِ النَّسْلِيمِينَ، مَفَيْتُ خَنِّى نَسَوْرُتُ جِدَارَ خَافِطُ أَنِي فَضَافَةً، وَهُو ابْنُ عَلَيْ، وَأَحَبُ النَّاسِ إِلَيّْ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَوَاللَّهِ مَا رَهُ عَلَيْ السَّدَخَ، فَلَكُ لَهُ: يَمَا أَنِهِ قَتَافَةً، أَنْشُلُكُ اللَّهَ، هَلْ تَعَلَّمُ أَنِي أَجِبُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَسَكَتَ، فَلَمْتُ قَاضَدُهُ فَسَكَتَ، فَلَمْت قَاشَدَتُهُ فَعَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاصَتُ عَيْنَايَ، وَنَوْلِتُكَ حَنِّى نَسَوْرُتُ الْجِدَارَ.

فَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا أَنَا بِنَبِطِيٌّ مِنْ ٱلْبَاطِ⁽¹⁾ أَهْـل الشَّام، مِعَّنْ

 ⁽١) الأنباط شعبٌ ساميّ، كانت لهم دولة في شمالي شبه الجزيرة المريبة، وعاصمتهم سلّة،
 وتُقرّفُ اليوم باليزاء.

قَهُمْ بِطَعْامْ بَيْمِيُهُ بِالْمُدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ بِمُلَّا عَلَىٰ كَتْبِ بْنِ مَلِكِ، قَالَ فَطَهْقُ النَّاسُ يُشِيُّونَ لَهُ إِنِّيْ، حَمَّىٰ جَاءَنِي فَلَفُتَمْ إِلَيْ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ عُسَّانَ، وكُنْتُ تُحاتِياً، فَشَراتُهُ، فإذا فِهِ:

فَقُلْتُ حِينَ قَرَأَتُه: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاء، فَتَيَمَّمْتُ بِهِ النُّتُورَ فَسَجَّرْتُهُ بِهِ.

حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبُصُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَسْسِينَ، إِذَا برَسُولِ، رَسُولِ اللَّهِ 數 يـالَتيني فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ 瓣 يَلَمُرُكُ أَنْ تَعْتَوْلَ الرَّائِكَ.

فَقُلْتُ: أَطَلَقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْمَلُ؟

فقال: لا، بَل اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنُّهَا.

وارْتَسَلَ إِلَىٰ صَاجِبَىُ بِيضُلِ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لاَسْرَاتِي: اِلْنَحْقِ بِالْفَلِكِ فَكُ وَتِي عِنْدَهُمْ، خَنَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَسْرِ. فَجَانتِ اسْرَأَةُ هَلَال بِنْ أَشْبُة رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتُ لَكَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ جِلال بِنَ أَشَيَّةً شَيْحٌ صَابِحٌ، لِبَسَ لَهُ خَاجِمٌ، فَهَلَ تَكُرَةُ أَنَّ أَصْلَمُهُ؟ قال: ولا، ولَكِنَّ لا يُقْرَبُنُكِ، فَقالت: إِنَّهُ واللَّهِ مَا بِهِ خَرَكَةً إِلَىٰ ضَيْءٍ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إلى يومِه هَذَا.

فقَالَ لِي بَقْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأَذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في اسْرَأَتِكَ، فَقَـدُ أَقِنَ لامْرَأَةِ هِلال بْنِ أُمَيَّةُ أَنْ تَخْدُمُهُ؟

نَفُلْتُ: لاَ اسْتَأْذِنُ بَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُلْدِينِي مَاذَا يَصْوِلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأذَتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلُ شَابٌ؟.

فَلَبِنَّتُ بِذَلِكَ عَشَرٌ لِبَالِهِ، فَكُمُلُ لَنَا خَشُونَ لِبَلَةً، بنُّ جِينٍ نُهِي عَنْ كَلَابِسَا، كُمُ صَلَيْتُ صَلاَةً الْفَجْرِ صَبَاحَ خَشْبِينَ لِللَّهُ، عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْبٍ بنُ يُتُونِنَا، فَيْنَا أَنَا جَالِسُ عَلَىٰ الْحَالِ الَّهِي ذَكُورُ اللَّهُ تَصَافَى جَنَّا فَقَدْ صَافَتَ عَلَى نَفْسِي، وَضَافَتُ عَلَىْ الْأَرْضُ بِسَا رُحُبَتْ، سَبِعَتْ صَوْتَ صَارِحَ أَوْنَى عَلَى سَلَمِ ''، يَفُولُ بِالْحَلَى صَوْبَه : يَا كَعْبُ بُنَ مَالِكِ أَلْبَيْرُ، فَخَرَرْتُ لَلَّهِ سَاجِنًا، وَعَرْفَ أَنَّ فَلَهُ جَهِ الْفَرْخِ مِن اللّهِ عَزْ وَجَلَّ عَلَيْنَا ، فَانَدُنْ '' رَسُولُ اللّهِ ﷺ النَّسَ بِنُونَةِ اللّهِ عَزْ وَجَلُّ عَلِيْنَا جِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَنَهْبِ النَّاسُ يُشِكُّرُونَا، وَفَهْبَ قِبَلَ صَاجِعِي الشُّرُونَ، وَرَكْضَ اللَّهِ رَجُلُو فَرَسَا، وَسَعَى سَاعِ مِنْ أَسْلَمَ قِبْلِي، وَالْوَلَى عَلَى الْجَبْلِ، فَكَانُ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرْسِ.

فلَمُنا جَاءَنِي الَّذِي مَمِعْتُ صَرَقَهُ يُنشُرِينِ نَرَعْتُ لَهُ فَوْمِيَّ، فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِشَارَتِهِ، واللَّهِ مَا أَمْلِكُ يَوْمَلِوْ غَرَهُمَا، واسْتَعَرْتُ قَرْبِينِ فَلْبِسَتُهُمَا.

والطَّلْقُتُ أَنَّمُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَتَلَقَانِي النَّاسُ فَرْجَا فَوْجًا يُهَنَّدُونِي بِنُوْمَةِ اللَّهِ يُقُولُونَ? لِيَقْبِكَ ثَوْيَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَمَّىٰ دَخَلَتُ النَّسَجِد، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسُ عِي النَّسْجِد، والنَّاسُ حَوْلُهُ، فَقَامَ إِنِّي طَلَّحَةً بُنَّ عَلَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ، حَمَّىٰ صَافَحَني وَهَمَّأَنِي، واللَّهِ مَا قَامَ إِلَيْ رَجُلُ مِن النَّهَاجِرِينَ عَرِه، فَكَانَ كُمْبُ لاَ يُشَاهَا لِطَلَّمَةً.

قال كعبُ بْنُ مالك: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجُهَّهُ مِنَ السُّرُورِ:

وَأَبْشِرُ بِخَيْرٍ يَوْمٍ مَرُّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أَمُّكَ.

فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟

قال: ولاً، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلُّهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرُّ اسْتَنَازَ وَجُهُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّ وَجُهَهُ قِطْمَةُ قَمَرٍ. وَكُمُنا نَفْرِفُ فَلِكَ مِنْهُ.

فَلَمُّا جَلَسْتُ بَيْنَ بَنْيُهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَـوْبَنِي أَنْ ٱلْخَلِعَ مِنْ مَـالِي صَدَقَةً إِنْ اللّهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ.

⁽١) أَوْفَىٰ عَلَىٰ سَلْمِجِ: أي: وقف مُشْرِفاً على جَبَل سَلْمٍ، وهو جبلٌ في المدينة معروف.

⁽٢) فآذن: أي: فَأَعْلَمَ.

فقال رُسُولُ اللَّهِ ﷺ:

وَأَمْسِكُ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.

فَقَلَتُ: إِنِّي أَسُلكُ سَهِمِي الَّذِي بِخَيْرَ، وقَلَتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا تَجَلَعَي اللَّهُ بالصَّفْق، وَإِنَّ مِنْ تَوْتِنِي أَنَّ لاَ أَسَدُّتُ إِلَّا صِدْقاً صَا بَقِيتُ، وَوَاللَّهِ مَا خَلِشَتُ أَخَداً مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاً اللَّهُ تَمَالَى مِنَ الصَّدِقِ فِي الْحَدِيثِ، مُشَدُّ ذَكْرُتُ فَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْمَنُ مِنْا أَبْلاَي اللَّهُ تَمَالَى واللَّهِ مَا تَمَمَّدُتُ كَلْبَهُ مَثْلًا قَلْتُ فَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي مَنَا، وَإِنِّي لاَرْجُو أَنْ يَشْفَظِي اللَّهِ تَمَالَى فِيمَا بَهِيَ .

قال: وأنزل الله تعالى:

﴿ لَمُتَدَعَّابَ الْذِينَ النَّبِينَ وَالْمُهَمِيرِينَ وَالْأَصَّابِ الَّذِينَ الْمُعَوَّفِي فِي الْمُعَلَّمِي سَاعَةَ الْمُشَرَّةِ مِنْ بَسَدِمَاكَ ادْتِرِيغُ قُلُوبُ فَي فِي قَنْهُمْ ثُدُّمَاكَ تَلْهِمْ وَلَهُمْ بِهِمْ رَمُوكَ تَجِيمُ هُو مَنْ الْفَلَتَمْ الْفَرِينَ فَلْفُوا مَنْ إِذَا صَافَتَ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَت وَسَافَتَ عَلَيْهِمْ أَلْشُلُمُهُمْ وَظَنْرًا انْ لَاسْلَهَا مِنْ اللّهِ إِلَّا إِلَيْهِمُ ثَنَاكُ عَلَيْهِمْ لِينَّ وَقُولًا إِنْ المَنْ هُوَالْوَالْوَالْوَالِمُ الْمُرْتِيمُ فِي اللّهِ اللّهِ مِنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ

قال تَعْتُ بْنُ مَالِكِ: قَوَاللَّهِ مَا أَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْ مِنْ يَشْغَةٍ فَطَّ بَعْدَ إِذَّ صَدَاتِي الله يعِلَّمُ الْعَظَمْ مِي نَشْبِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبُّهُ، فَأَمْلِكَ تَمَا هَلك الذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ لِللَّذِينَ كَذَبُوا جِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحْدِ، فعالَ تَعَالَىٰ:

﴿ سَيَعْلِغُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِنَاللَّهُ اللَّهِ النَّهِ إِنَّهُ مِنْ عَنْهُمْ فَأَمْوهُا عَنْهُمْ إِنَّهُم رِجْنُ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّهُ وَكَنْ لَيَاكَ الْوَاللَّهِ الْمُسِبُّونَ ۞ بَحْلِفُونَ لَكُمْ لِوَمَنَوَا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْمَنُوا عَنْهُمْ فِإِكَ اللَّهَ لَا يَرْمَىٰ عَنْ الْفَرِيلَ لَفَنْسِفِينَ۞﴾.

قال كمبُ بْنُ مَالك: وَكُنّا أَيُّهَا النَّلاَثَةُ الَّذِينَ خُلَقْنَا عَنْ أَشْرِ أُولَيْكَ الَّذِينَ قَبِلَ بَنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ جينَ خُلَقُوا. فَبَايَمَهُمْ، واسْتَغَفَّرَ لَهُمْ، وَلَرْجَا رَسُولُ اللَّهِ أَصْرَفَا، خَشْي فَهَىٰ اللَّهُ فِيهِ، فَلِذَلِكَ فَـالَ اللَّهُ عُزْوَجَلُ: ﴿وَعَلَىٰ الْكُلَّافَةِ الَّذِينَ خُلُفُوا...﴾ ولِسَ الذِي ذَكَرَ مِنَا خُلُفُنَا تَخَلَّفُنا عَنِ النَوْقِ، وَإِنْمَا لَمُو تَخْلِفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمُنْ حَلَفَ أَنَّهُ، والْخُذُورَ إِلَيْهِ فَقِيلَ مِنْهُ.

وختم الله عزّ وجلّ هذا العِلْمَذ بنَ السُّورَةِ بِقُوْلِهِ نَعَالَى خطاباً للّذين آمنوا: ﴿يَتَأَيَّهُ الْمُذِينِّ مَامَوُالنَّقُواالنَّهُ وَكُونُوا مَعَ الصَّدِيقِينِ ۖ ∰﴾:

أي: الْتَزْمُوا طَاعَة الله ورُسُوله، ولا تُعْصُوا بنَرُك الـواجبات وفصل المحرَّصات، لِتَتُمُّوا عِقَابَ الله العاجلَ والأجلَ.

وتُحوَّوُونُوا مَعَ المؤمنين الصادقين المملزمين بفعل الـواجبات وتعركِ المحرَّمات، ولا تكونوا في سُلوكِكُمْ معَ غَيْر الصدادقين من المشافقين، والَـذين في قلويهم مـرض، وضعفاء الإيمان.

ويظهرُ أنَّ هذا الخطاب يُقصد منه بالشرنجة الأولى الذِين تَخَلُقُـوا عن غزوة تبـوك من أهل الإيمان، ثمُّ يدخُلُ في عمومه جميع الذين أمنوا، تحذيـراً لهم من معصية الله ورسوله، ومن مفيّة ذلِك.

وقىد دها إلى هـذا الختام الترجيهي ما جـاه في سـوايق هـذه الأيـة من شـانٍ المخلّفين الثلاثة ، وما تعرّضوا له من مُعاتبة بالقطيمة والهجرٍ من الـرسول وجميح المسلمين، وكان ما جرى لهم تربية بالعزلر المؤقت.

الْعِقْدُ الْخَامِسُ

تعليهات وتوجيهات حول الخروج للقتال في سبيل الله

قال الله عزّ وجلّ:

﴿مَاكَانُولْمُهِالْمُنِيَّةُ مِنْ فَشَهِدُ وَمَنْ مَوْلُمْ مِنْ الْأَمْرَابِ أَنْ مَنْفُولَا الْوَرَابِ أَنْ مُعْلَمُ مَنْ مُسُولِ الْوَرَابِ أَنْ مَنْفُولَا الْوَرَابِ أَنْ مُعْلَمِكُمُ وَلَا عَلَيْهِ الْمَالُّولَا مَسْبُ وَلا عَمْمَكُمُ فَي سَمِيلِ الْقَوْلَا لَمَنْ مَنْ عَلَوْلِيَالَا إِلَّا الْمَنْفِيلِ الْقَوْلَا لَمَنْ مَنْ عَلَيْكُمْ الْمَنْفُونِ مَنْ عَلَيْ فَيْكُمْ مَنِيرَةً لَمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ الْمَنْفُونِ مَنْفُولِكُمْ اللّهُ الْمَنْفُونِ مَنْفُولِكُمْ اللّهُ الْمَنْفُونِ مَنْفُولِكُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ الْمَنْفُونِ مَنْفُولِكُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ مَنْفُولِكُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ مَنْفُولِكُمْ اللّهُ الللّهُ ال

قرأ جمهور القراء العشرة: [ولا يَظُونُ مُؤطِئاً] بإثبات الهمزة في الكلمتين.
 وقرأ أبو جعفر: [ولا يُطُونُ] بحدف الهمزة، ولحمزة في الوقف وجهان:

الحلف، والتسهيل بين بين. وقد أن حدة : 3مرَّها أن لدوال الدونة ، لذخا

وقرأ أبو جعفر: [مُوْطِيَّا بإبدال الهمزة بـاة خالصـةً وصلاً ووقفاً، وله وجـه اخر كالجمهور، وقرأ حمزة في الوقف [مُؤْطِيًا كابـي جعفر.

وهي وجوه من الأداء في النطق.

نظرة إجمالية حول قضايا هذا المؤد

اشتمل هذا العِقْدُ من سورة (التوبة) على بيان ثلاث قضمايا تتملَق بـالخروج إلى التتال في سبيل انه .

القضية الأولى: إلزام سكان عاصمة الإسلام والمسلمين، والمفيمين حولها، بأن يتحسّل كل قادر منهم على الفتال مسؤولية المشاركة بحسب أوامر القيادة، في بناء المدَّرع الاول الذي يحمي كبان الدولة الإسلامية، وفي مقدَّمة هذا الكبان دولُتُها، وفيادتُها، وعامِمتُها.

القضية الثانية: تُحذيبُرُ المؤمنين من أن يُنفِروا للشال جميعاً. خَشُّن لا يتعرّضوا لاحتصال الاستثصال إذا تُحرّصوا بـل عليهم أن يُقَسَّمُوا أنضيهم إلى نـافـرين خــارجين للقتال، ومقيمين مرابطين في ديارهم، وهذا يكون ضمن تخطيط القيادة.

فإذا تعرّض النافرون الخبارجون إلى القتسال لمصيبة كيسرة في أنضهم، أو عنادهم، كان العقيمون المرابطون بعنابة مخازن الفرة، التي تُبِدُّ بِمَالَّمُونَى بَبَاعاً، جيشاً بعد جيش.

وحين يبرجع السافرون منصورين أو غير منصورين، فرأتهم يقدّمون للعقبين العرابطين ما استفاده من فقه النتال جهاداً في سبيل الله الدلي هو من الدّين، حول قوى أهدائهم، وطرائفهم وأساليهم في النتال، وليُشتَّرائهم ما يجب عليهم أنْ يَحَذَّرُوه، منا شهده في خروجهم، واكتسوه من خبرات، وليُنذُورهم بأنْ يُبتَشُّوا لهم مواطن المخطر التي تعرَّضوا لها، أو اكتشفوها، ومراكز قوى الأعداء، ومدى ما تحتاج إليه من قُوىً مضادة.

الفعنية الثالثة: وصبّة الله للمؤمنين بأن لا يُنْتَقِلُوا إلى قتال أعداء بعيدين عن ديبار الإسلام حتى ينتهوا من قتال الذين يلونهم في ديارهم اوّلاً بالرّل، فكلّما انْتَهَوَّا منْ يَخَال. قوم وصارت أرضهم ضمّن رقعة ديار الإسلام، خَسُنَ في تدابيس الخطط الحربيّة أن ينتقلُوا إلى قتال الذين يلونهم من الأعداء، وهكذا. فإذا لم يُتْبعوا هذه الوصيّة تعرّضوا لِوُجود ثفرات عدَّوَّةٍ كافِرَةٍ ضَمَّن رقعة الدولة الإسلامية، التي تتوسّع دائرتها شيئاً فشيئاً، وجَرَّتْ لهم هذه الثخرات متاحب كثيرة، ومشكلات خطيرة، تُشْبيد عليهم في المداخل، وتُشْبيدً عليهم خطط تـوسيع دائرة ديار الإسلام، وربّما جاءتُهُم النكبات من وراه ظهورهم، ومن خلال دائرة ديار الإسلام.

التبدئي

تدبُّر ما جاء في هذا الجنَّد حول القضية الأولى:

قول الله تعالى:

﴿مَاكَانَالِهُ مَلِ المَدِينَةِ وَمُنْحَوِّفُهُ مِنَ الْأَمْرَابِ أَن يَتَخَلَّقُواْ عَن رَسُولِ اللّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِالشّهِمْ عَن نَفْسِوْ... ﴿۞﴾.

كانت المدنية في عصر الرسول تلئة هي عاصمة الإسلام والمسلمين، فُسُكَّاتُها هم المَدْرَّع اللَّمِيقُ للإمسلام وللدولة الإسلامية وقيادتها، وكانت القبائل العمريية المستوطنة أو الممنتقلة حول العدية ظهارة النَّرْعِ اللَّمِيقِ لهذه العاصمة.

لذلك كنانت مسؤولية هؤلاء وهؤلاء فُجَاهَ جَمَاية الإسلام ودولته مسؤوليةً مُضَاعَةً، فلا يُتَمَوَّرُ منهم أن يتخلُوا عن هذه المسؤوليّ أن يُقصَّرُوا فهها، ما داموا هم بطانة درع حماية الإسلام ودُولِّتَه وظِهَارَتِها، إذا كانوا طومنن مسلمين حقّاً، والمفروض فيهم أن يكونوا صفوة المؤمنين المسلمين، وأنْ يكونوا تجاه مسؤولية حماية عاصمة الإسلام ودولته من أهل مرتبة الإحسان جهاداً وتضحيةً وفدائ، لا أنْ يكفوا بأنْ يكونوا من أهل مرتبة المتقين فقط.

إِنَّ شَرَفَ الإقامة في عاصمة الإسلام والمسلمين، وشرف الإقامة في الأسورة المحيطة بها، يُخطَلُّبُ مُثْهِمُ أن يتحمُّلُوا أعباءٌ إضافيَّة هي فَرَقَ أعباء مرتبة المتثمين الماديين من أهل الإيمان، فتُقصيرُهُمُّ في واجب الإحاطة بالرسول إذا خرج مضابَلاً في سبيل الله، أو في واجب الإحاطة بامير المؤمنين من بعده إذا خرج مقابَلاً في سبيل الله، ليس كتقصير المؤمنين الأخرين، من سُكان الاماكن البعيمدة عن العاصمة الإسلامية وما حولَها من نُزلاهِ الأسْورَةِ المحيطة بها.

فمن لم يستَبدُ أن يكون في هذا المجال من المحسنين، فعليه أن يُتَخذ إفّامَةُ أخرى بعيداً عن عاصمة الإمسلام ودولت، وبعيداً عن المنازل المحيطة بها، التي هي أسُورَةُ حمايتها.

ولكنَّ هذه العسؤوليَّة الإضافيَّة لها عند الله عزَّ وجلُّ شوابٌ مضاعَفٌ يتنساسُبُ مع أُجْرِ المحسنين، واللَّهُ لاَ يضيع أجر المحسنين.

فالذي نفهمه من عبارة:

﴿ مَاكَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَتُهُ بَنَ ٱلْأَخْرَابِ أَن يَتَخَلَّقُواْ عَن رَّسُولِ اللَّهِ ... ﴾.

هـو: مَا كمان مُسْتَخَفَّا لأَهـلِ الْمُدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِن الْأَصْرِابِ نَخَلُّمُهُمْ عِن رسول الله إذا دعاهم إلى الخروج معه مقاتلين في سبيل الله، على مشل دعوتـه إيّاهم إلى الخروج لغزوة تبوك، وهذه القيود تُفْهَمُ مِن القرائن التي جاءت في سوابق النصّ.

اسم وكنانه هــو المصدرُ المنووَّل من عبدارة: ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُ وَالِهِ صَغَيْرُهَا مُتَمَلَّقُ ﴿لاَ قُلْ الْمُدِينَةِ وَمَنْ خَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾ وهذا المتملَّقُ المحدُّوفُ يُقْهَمُ من معنى حرف الجزّ ﴿لاَ قُلْ ﴾ وهو الاستحقاق، وقَدَّمْ خَبُرُ وَكَانَّه على اسْبِها للإشعار بالاهتمام بيبان عدم الاستحقاق هذا.

إنَّ لكلَّ دولةٍ درعاً بشَرِياً يتحمُّل أعظم العب، ويضطلع بناكبر مسؤوليات الحماة والدفاع والحراسة. وعاصمةُ دولة الإسلام والمسلمين لا بدُ أن يكون جميعً سُكَانها وكذلك نُرُلاءً ما خرقُها هم المدرع القويّ البشريّ الداتم لهما، ومنى وَهَنَ هذا المَدْرُعُ تعرضت دولـة الإسلام والمسلمين لملانهيار، وطمع بهما أعداؤهما الكثيــرون، واسقطوها.

وقوله نعالى:

﴿ وَلَا يَرْغَبُوا إِلَّانْشِيمِ مَ عَن نَّفْسِيدٍ . ﴾:

معطوف على جملة:

﴿ أَن يَتَخَلَّفُواْعَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾ :

أي: ومَا كَانَ لهم أَنْ يَرْغَبُوا بِالْقُسِهِمْ عَنْ نَفْسِه، وما كان لَهُمْ أَنْ يُفَضَّلُوا الْقُسَهُمْ بالسلامة والأمن والراحة على نَفْسِه.

يقال لغة: رَغِبَ فُلاَنُ بِنَفْسِهِ عَنْ فُلانٍ. إذا رأى لنفسه فضلًا عليه في الأمر الذي رَغِبَ بنفسه عنه، فلم يُردُه لنفسه، وترك غيره يحمل المسؤولية وحده.

قعل: ﴿وَغِبُ، يستعمل بوجهين: فيقال: رُغِبُ فِي الشّيء، إذا أرادهُ أطمع قيه ومال إليه. ويقال: رُغِبُ عَن الشّيء، إذا لم يُردُه، أوْ رُعِدُ فِيه، أوْ تَرَكُهُ مُتَعَمَّداً.

وأبان الله عزّ وجلّ السبب الداعي إلى أن يحرص أهل درع عاصمة الإسلام والمسلمين على أن لا يتخلفوا عن رسول الله إذا خرج مقاتـالاً في سبيله، ودعاهم إلى الخروج معه، وأن لا يتخلفوا عن أمير المؤمنين من يعده إذا دعاهم إلى ذلك، قياساً على حالة عصر الرسول، أنّ أجرهم عظيم جدّاً، فهم يشابون على كلَّ ما يُصيبهم من ظما ونصب ومُحدَّمة في سبيل الله، وكلَّ ما يَكُون من سوطى، يغيظ الكفار، وكُلُّ مَا يَنْالُونَ من عددٌ من نيل، إذْ يكتب لهم بكلَّ صغير من ذلك وكبير عَمَلُّ صالحٌ، ويُثالِّونَ عله ثواب المحسنين، فقال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لِالْهِيمُهُمْ ظَنَاۚ وَلَانَصَبُّ وَلَاخْصَدَةً فِي كِيدٍ اللَّهُ وَلَا يَطَلُونِ مَوْلِنَا يَفِيكُ الصُّفَادَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ مَنْدٍ تَنْتَلَا إِلَّا كُنِبَ لَهُم يِسْمَدُلُّ مَنْلِخُ إِنَّ اللَّهِ عِلَّا الْمُغْسِينَ فَي وَلَا يُنِفُّونَ لَنَقَاتُ صَغِيرًا وَلاكَيْبِرَا وَلَا يَقَطَعُونَ وَإِدِيًّا إِلَّاكْتِبَ لَمُتَم لِيَجْزِيهُ وُاللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ مِتَمَلُونَ ١٠٠

﴿ ذَالِكَ إِلَّهُ مُهُ اللَّهُ مُ

المشارُ إليه عدم تخلُّفهم عن رسول الله وعدم رغبتهم بأنفسهم عن نفسه.

﴿يِأْنَّهُمْ ﴾ :

أي: بسبب أنهم على يقين بأنهم مجزئون جزاة عظيماً، همو من نموع جزاء المحسنين، وهو ما جامت الإشارة إليه بتفصيل ما يُصيهم في خروجهم، أو يكون منهم من عمل.

﴿لَا يُصِيبُهُ مُ ظَمّاً ﴾:

أي: مهما كان ظمأ قليلاً.

﴿وَلَانْصَبُ ﴾:

أي: ولا إعياءُ أو تعبُّ مهما كان قليلًا.

النُّصُبُّ في اللَّغة: الإعباءُ والنُّعُبُّ، يقالُ لغة: نَصِبْ يَنْصُبُّ نَصْباً، إِذَا نَعِبْ

اعيا. ﴿وَلَاعَغْمَصَدَةٌ ﴾ :

أي: ولا جوع ناشىء عن خلو البطن من الغذاء، يُقال لغة: نَحْمَصُ الْبَطْنُ يَخْمَصُ خُمُصاً وَخُمُوصاً وَمُخْمَصَةً إِذا خَلَا وضَمَرُ، ومـو من العلامـات الظاهـرة الدالة على الجـوع.

﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾:

﴿وَلَا يَطَعُونَ مَوْطِئًا يَفِيكًا ٱلْكُفَّارُ ﴾:

وَطَّهُ الشُّورَءِ: دَوْسُهُ بالقدم، أي: ولا يضعون أقدامهم على موضع ِ يغيظُ الكفار

اَنْ يضع المؤمنون اقدامهم عليه، أو تضع دوابهم أو مراكبهم ما هو منها بمنزلة الأقدام. ﴿ وَلَا يَكَالُونَكِ مِنْ عُدُوِّ لَيْنَالًا ﴾ :

أي: ولا يحصلون من عدوًّ على غنيمة أو يُتْزِلُونَ به مكروهاً.

يقال: نَالَ مِنْ عَدُوًا يَنَالُ نَيْلًا إِذَا اصابَ منه شيئاً فَهُوَ ناشلٌ. وَنَالَ يَنَـالُ مِنْ عَدُوه إذا وَنَرُهُ فِي مالهِ الْوَسْيَءِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ لِبْلُتُ أَنَالُ، اي: أَصَبْت، والْمَرْكَت.

﴿ إِلَّا كُنِبَ لَهُ م بِهِ عَمَلُ صَنَاحٌ ﴾:

أي: لا يكون منهم شيءٌ منّا سَبَق مهما صغّر إلاّ كُتِبَ لَهُمْ به عنـد الله عَمـلٌ صالح، والمراد كتابة ذلِكَ لِمَن تَصّف به من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله.

﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَخِرًا لَمُحْسِنِينَ ﴾:

في هذه الجملة دلالة على أنَّ الخروج إلى القتال على ما جاء بيمانه سبابقاً، هـو من أعمــال مرتبـة الإحسان، وهي أعلى مـواتب المؤمنين، ومع أنّهـا من أعمال مرتبـة الإحسان التي لا تجب على عموم المؤمنين فهي من واجبــات المختارين لأن يكــونــوا درع عاصمة دولة الإسلام والمسلمين.

أشا عموم العزومين البذين ليس لهم امتياز خياص بالمنخاصهم، أو مُهمُّساتهم، أو بيئاتهم فإنهم لا يطالبون إلزاماً إلا يفعل الواجبات وترك المحرّمات، التي نقع في حدود مرتبة التقوى، فيأذا زادوا عليها من نواقل الأعمال الصالحة كانموا من الأيرار، وربّما ارتَقُوا إلى مُرتبة المحسنين، إذا وصلوا إلى حالة: أنَّ يُعَبِّدُوا الله كأنهم يرونه.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَفِيرَةً وَلَاكَبِيرَةً ﴾

أي: في خروجهم مجاهدين في سبيل الله .

يسلاحظ في أسلوب القرآن أنَّ عبدارة التمديم الَّي يؤثّن بهما للدلالـة على أنَّ الإخْصَاءَ يَشْمُلُ الْأَشْيَاءَ صِفَارَهَا وَكِيْارَهَا، يأتي فيهما البدء بالصغير، وبعمه يأتي ذكر الكبير، وهذا من الأساليب المعتادة الدارجة على السنة فصحاء العرب، والحكمة في ذلك توجيه الاهتمام إلى ذكر ما قد يُتوهُمُ أنَّه لاَ يَشْمُلُه الإحصاء، قبل ذكر غيره، يُلاً يسبق إلى ذهن المخاطب احتمال التفاضي عن الأشياء الصغيرة وإهمالها لمدى الإحصاء، فإذا سبق مثل هذا إلى الوهم كان البيان اللّاحق يعتاج ناكيداً لإزالة ما سبق إليه التوهم، بخلاف ما لمو ذُكر آؤلًا، فإنّد يحصل به العلّم على صفحة ببضاء لم تتعرّض لغيش توهم مخالف، أمّا بد، الإعلام ببإحصاء الصغير، فإنّد يعطي دلالة لزومية عقلية على أنّ الكبير داخل في الإحصاء حتماً، ويأتي البيان ناصاً بالعبارة على ما قُهِمَ ذِهْناً، وهكذا يكون الأسلوب البياني ملائماً لمفتضيات الحكمة في مُراعاة حالة النّص الإنسانية.

﴿وَلَا يَقَطَعُونَ وَادِيًّا ﴾:

أي: في رحلتهم الجهادية.

المواهي: كلُّ ما انفرج بين الجبال، أو التَّلال.

﴿ إِلَّاكُتِبَ لَمُنَّمٌ ﴾:

أي: لا يكون منهم عملُ حمهما قلّ حمّا سبق إلاّ تُجِبُ لَهُمْ عَمَلًا صالحاً. وفإلكُ لاَنَّه لا يُكتبُ لمن هو في الامتحان إلاّ العملُ الصالح، أمّا العمل السّبَيءُ فإنَّمُ يُكْتَبُ عَلَيْهِ لاَ يُكَبُّ لَهُ وإنّا العملُ الذي لا يدخيل في الأعمال الصالحة ولا في الأعمال السيقة فإنّه لا يُكتُبُ لَهُ وَلاَ عليه.

ويتساءل المتدبّر: لماذا يكتبُ لهم ذلك؟

وَيَأْتِي الجواب القرآني بقوله تعالى:

﴿لِيَجْزِيَهُمُ أَلَّهُ أَحْسَنَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿لِنَجْنِيَهُمُ ﴾:

أي: ليِكَافِئَهُمْ وَيُثيبَهُم.

والمعنى: لَيْجَزِيْهُمُ اللهُ نَيْعَطَيْهُم الْجَــرُ أَحَـَنِ مَـا كــانـوا يعملون من أَغَمــالـم صالحة، لأنها هي التي تبقى في صحاف أعمالهم التي يُجْزُونَ عليها.

ودلَّت هذه الجملة بلوازمها الفكرية على أن الفرض من جعل كـلَّ حركة من حركـاتهم ضمن أعمالهم الصالحة، منذ خروجهم مجاهدين في سبيل الله حتى عودتهم، أو استشهادهم، تَكْثِيرُ ما هُوَ ذُخْرُ لهم من الأعمال الصالحة، وعند الحساب تمحو الحسنات العادية سيشاتهم، فتكون هذه بهله، فلا يُنْفَى في اللّـخيرة إلّا أَحْسَنُ ما كانوا يعملون، فيجزيهم اللّهُ فيعظهم أجر أَحَسَن ما كانوا يعملون.

تدبُّر ما جاء في هذا العقد حول القضيَّة الثانية :

قول الله تعالى:

﴿وَمَاكَاتِ الْمُؤْمِثُونَ لِيَسْفِرُوا كَافَةٌ فَقَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِي فِرْقَوْمِيْتُهُمْ طَالِمَةٌ لِيَسْفَقُهُوا فِي الدِينِ وَلِيسْذِرُوا قَرَمُهُمْ إِنَا رَجُمُوا إِلَيْتِمْ لَعَلَمْهُ يَخَذُرُونَ ۖ ﴾.

التُّشُرُ: مفارقة مكنان الإقامة بسرعة ضرياً في الأرض على سبيــل السّفر والارتحال، ويُستَمَّنَل كثيراً بمفَّنَى الخروج للجهاد والفتال في سبيـل الله، وهو المسواد هنا في هذه الابة.

والقضية التي دلّت عليها هذه الآية، تفسّرت تعليماً لقنادة المؤمنين، السذين يملكسون إصدار قسرارات القتال في سبيسل اللّه، حينما تقضي مصلحت الإسلام والمسلمين بذلك، فُتَبِّنُ لهم منهج الحكمة الّذي عليهم أنّ يَتَّبِعُوه لدى توجيه أوامرهم بالخروج إلى القتال.

ومنهج العكمة الذي يوصيهم الله به، أن لا يُوتِّهوا الأمر بأن يُنْفِزُ كَافَةُ المؤمنين للفتال في سيل الله، لَيْلاً يُتَعَرَّضوا لاحتمال الاستئصال إذا مُؤسُّوا، وأن يقصر الأسر على تكليفِ أونَـدُّبِ طائفةٍ منهم تفضي المصلحة العالمة بتكليفها إلَّوْاساً، أونَـلْهِهَا تَعَلَّمُواً.

ويوصيهم الله بأن يُخصَّمسوا للخروج عــلـداً او مقداراً مــا من كلَّ فــرقةٍ من فِــرَقِي المسلمين الطبيعيَّة، يكون هذا المقدار هو الطائفة المحدَّدة من الفرقة.

- _ فمن فرقة العمال الصناعيين طائفة.
 - ــ ومن فرقة الزرّاع طائفة.
 - ومن فرقة التجار طائفة.

- ومن فرقة المهندسين طائفة.
 - ومن فرقة الأطباء طائفة.
- ومن فرقة الفقهاء في الدين والدعاة إلى سيل ربهم طائفة.

وهكذا إلى سائر الفرق في الأمَّة بحسب مهنها واختصاصاتها العلميَّة والعملية.

وهذه الطائفة تُنتَخار بالنسبة المتريّة من فبرقتها، أو نَبَشُ بِضدو مُنخَذِهِ من فبرقتها، وَفَقَ مقتضيات مصلحة الأمة، النافرين وغير النافرين، ويُعيّنُ ذلك من يُمْلِكُ صُشّم القرار وإصدار الأوامر الحربيّة والسياسية والإداريّة في الأنّة.

وفي تخصيص طائفةٍ من كلُّ فرقةٍ مصلحتان كبريَّان:

العصلحة الأولى: المحافظة على بقاء قاعِدْةٍ من كلُّ فرقـةٍ في الأمَّة، لا تتعـرُض لاحتمال الاستئصال.

المصلحة الثانية: الاستفادة من تحصص الطائفة النافرة في أهمال الجهاد المختلفة، وفي اكتساب المعلومات الجديدة التي يكتسب بالمصارسة العلمية التي يعارسها الخارجون، قما يُدُرِكُه أهل الاختصاص لا يدركه غيرهم من أصور ومعارف في التجارب والملاحظات، ولو عن طريق الاستفادة ممّا توصّل إليه الاعداء من أسلحة، ومعارف، وأساليب حربية يمكن الاستفادة منها شرعاً.

﴿وَمَاكًاكَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواكَ أَفَّهُ ﴾:

لي: ليس من شأن المؤمنين العاملين بوصايا الله أن ينفروا للقتمال في سبيل اللّهِ جميعاً نَفْرةً واجِدَةً. اللام في ﴿لِيَنْهُورَا﴾ هي لام الجحود، لوقوعها بعُد كُوْنِ منفي.

﴿كَاثُّهُ: أي: جميعاً.

﴿فَلَوْلَانَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَنْوَ مِنْهُمْ طَآيِفَةً ﴾:

أي: فهلاً خرج للقتال إذا دعا داعي الفتال من كلّ فدوّة من فـرقهم الاجتماعية بحسب مهنها وتدخّفُ مساتها طائفةً محدَّدة بعَدْدِها، أو بالنسبة المعتوية من فـرقتها، لـولاً: هنا حرف تحضيض بمعنى وهلاًه. وظاهر أنَّ مثل هذا إنّما يكون بتدبير أولي الأمر الذين يملكون صُنَّم القرارات وإصدار الأوامر، وهم مكافّمون أن يراءع امصالح الإسلام والمسلمين بشكل عامً، وليس الأمر متروكاً لاختيار الأفراد بصورة فوضوية.

﴿ لِيَـنَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ ﴾ :

أي: لَيُفَقِّهُوا عن طريق التجارب والممارسات العملية، والملاحظات، في أمور التحال وطرائق الأعداء فيها، التحال والحرب من مختلف الجوانب، كالأسلحة، وفنون القتال، وطرائق الأعداء فيها، وجغرافية الأرض، والمناخ الذي تجري فيه الممارك، وكلَّ ما يمكن أن يُفِيد الأمّة الإسلامية من قديم أو جديد، فهذا من التفقه في الدين، وفلك لأن القتال في سبيل الله هو من الذين، فكل معرفة تكتسب عن طريق الخيرة والتجربة والملاحظة ولو عن طريق الخيرة والتجربة والملاحظة ولو عن طريق الاعتماء، هو المهم الدقيق العميق.

﴿ وَلِينُ ذِرُوا فَوْمَهُمْ إِذَا رَجُمُوا إِلَّتِيمَ لَعَلَّهُمْ يَعْدُرُونَ ١٠٠٠

لى: وَبَعْدَ أَن يَنْفُقُهُوا فِي الأمور التي سبق بيانها ــ وألتي هي من الذين، لتملقها بالجهاد في سبيل الله الذي همو من الذين، وظاهر أنّ استضافتُهَا إنّما تكونُ بالجِئْرَةِ والْمُمَازَسَةِ والملاحظةِ الدُّقِيقة، ومعلومُ أنّ معارف من هذا القبيل تتجدُّد وتطوَّر دواماً ــ بعد أن يتفقهوا في ذلك يقوسون بوظيفة إضلام قدومهم بعا تموصُّلُوا إليه من معلومات يُشتِّر الجهل بها تُمُزَّة خَـطر عَلَى الإسلام والأمّة الإسلامية، فإضلامُهمُ بها همو بعثامية الإنفار لهم بمواطن الخطر، ويكون ذلك بعد رُجوعهم من رحلة التُّفر إلى قومهم.

وحين يعلم قَوْمُهُمْ يوجه عامٌ ما توصل إليه كلُّ ذوي اختصاص في اختصاصهم، يُرجى من جميع القوم أن يحذروا مواطن الخطر، فيتخذوا الوسائل والأسباب المضادة الواقية من جهة، والكفيلة من جهة أخرى بإحياط وسائل الأعداء، ويتخذوا الوسائل والأسباب التي يُرجَى منها تحقيق النُصر مما يباغتون الأعداء به. ويضطلع بمُهمات اقتراح الوسائل والأسباب الواقية والتي يُرجى منها تحقيق النصر أولو الأمر المختصون، بحسب اختصاصاتهم المختلفات.

هُولِه تَعَالَى: ﴿لَعَلُّهُمْ يَتَخَذَّرُونَ﴾: أي: رجاء أن يتُخذوا وسائل الحماية التي

يدعو إليها الحذر، والمعنى: لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم رجاء حذرهم، فإذا حذروا اتخذوا وسائل الحماية.

وجاه في الآية استعمال حرف الشرط فإذًا في للإشعار بالَّ رجوع معظم النــافرين سالمين، متفقهين في شؤون الحرب المختلفة التي هي من الدين، هــو الأمر المحقَّقُ بمعونة الله وتسديده وتوفيقه إذا كانوا مؤمنين حقاً.

...

تدبُّر ما جاء في هذا الْعِقْدِ حول القضيَّة الثالثة:

\$\pi_0\$ أول الله تعالى:

﴿ يَا يُهَا الَّذِينَ ، اَسُؤَا نَذِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ فِينَ الْكُفَّادِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ عِلْظَةً وَلَمْ لَوَّا أَنْهُ مَا النَّقِينَ ۞ ﴾ .

في هذه الأيات ثلاث وصايا ربّانيَّة للذين أمنوا:

السوصية الأولى: أن يقساتلوا الذين يلونهم من الكفسار، وهم الأقربـون إلى حدود بلادهم.

الموصية الثانية: أن يكونوا أشداء في قتال الكفار شدَّةً يُبِعدُ فيها الكفارُ أنَّ المؤمنين غِلَاظُ في تتالِهم، أي: قُسنةً غِيبُورُد لَيس فيهم وقَّةً ولا إِينَّ، لذلك فلا يُشْهُل الانتصار عليهم، والناطة مذمومة في المعاملات والمعاشرات، لكنّها في الفتال معمودة جدًا، لإنها إحدى وسائل تحقيق النصر، وبها ترتفع معنويات المقاتل، وتتخذل وتضعف معنويات غَدُّة.

الوصية الثالثة: الالتزام بتقوى الله في السّلم والحرب، فإذا أتَّفَـوهُ كان الله معهم معينًا ونصيرًا.

> تدبُّر ما جاء في هذه الآية حول الوصية الأولى: ﴿ يَنَائُهَا ٱلْذِنَ َ اسْتُواقَنِيلُوا ٱلَّذِينَ كِنُونَكُمْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾.

في همذه الحجملة لفرّ من الله للّذين أمنوا بأنّ يبدّذوا حين بقاتلون الكفّار بفتــال. الأقرب فالأقرب إليهم منهم.

يقال لغة: وَلَاهُ يَلِيهِ وَلِياً، وَوَلِيَّهُ يَلِيهِ وَلَيْأً، إذا دنا منه وقُربُ.

هـذه الوصيّـة الرّبّانيّة من اللهِ للمؤمنين تلزمهم بـأن لا ينتظوا في عمليّات قتـال الأصداء من الكفاد إلى قتـال الكفّار البعـداء، حتى ينتهـوا من تصفية مشكـلاتهم مــع الأعـداء الاقرين إليهم المجاورين لمحدود أرضهم وبـلادهم، حتى تصيـر أرض هؤلاء الفريين وبلائهم ضمن دائرة دار الإسلام.

هـذه الوصيّـة تتضمّن قاعـدة عظمىٰ من قـواعد السياسة العكيمـة، في إعـداد الخطط الحربيّة المستقبليّة، ضدّ أعداء الإسلام المنتشرين في طول الأرض وعرضها.

فالواجب أوَّلاً تحديد خريطة الارض التي تقع تحت سلطان الدولة الإسلامية تحديداً دفيقاً، وتحفيق الامن الداخليّ ضمن حدود هذه الخريطة، ثمّ تجميع القوّة تحت رابةٍ إداريّة قياديّة واحدة، ثمّ النظر إلى خطط مدّ حدود عريطة أوض الدولـة الإسلامية داخل بلاد الكفار وأرضهم شيئاً فشيئاً، بالبدّء بالاقرب من الكفار المذين تلاصق حدودً أرضهم حدودً أرض الإسلام والمسلمين.

وتقفيى الحكمة بالبدء بالذين هم أقربُ مَنَالاً من الذين لهم مع أوض المسلمين حلوةً مُلَلاصِفَة، لسهولــــة التفلّب عليهم، والتخلّص من مشكلتهم، ولإلقاء الرّعب في قلوب الاخرين، ذوي الحدود الملاصفة، ممّن هم اشدٌ قوةً، وأعظم بأساً، وأكثر عَدَداً وشدةً.

وقد طبّق الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من ىعده هذه السياسة الحكيمـة، التي أوصى الله بها، قمنحهم باتباعها فتحاً عالميًا عظيماً.

لقد بدأ الرسول ﷺ بعد أن استقرّت له العاصمة الإسلامية في المدينة وما حولها، بثنال الذين أخرجوه من بلده أولاً، وهم مشركو مكة، ثمّ انتقل شيئاً فشيئاً إلى سائر المشركين في جزيرة العرب، على طريقة الدوائر التي تنداح بأتساع في بعيرة الماء إذا رميّت في الماء حجراً، حتى إذا فتح الله عليه مكة والمطاقف والممامة وسائر نجد وحضرموت والمين وهجر وخير ومعظم الاقباليم الواقعة تحت سيطرة العرب من شبه الجزيرة العربية، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً، شرع الرسول ﷺ في قتال أهل الكتاب، فتجهّز لفزو الروم، الذين هم أقرب الكفار إلى دار الإسلام، يومشـٰذٍ، وهم محتاون أقاليم من أقاليم شبه جزيرة العرب يـومشـٰذٍ، وانـطلق بـالمسلمين في غزوة تبـوك، لقتال الـروم عند أقرب حدود لهم مـع أرض العرب التي أصبحت ضمن دائرة دار الإسلام والمسلمين يومئذٍ.

وقام أبو بكر رضي الله عنه في خلافته بتوطيد دعائم الدولة الإسلامية داخل دار الإسلام، إذ بدأت تختل بالمسرندين وسانعي الزكاة بعد السرسول ∰، ولمّا توطُّه له الأمر، شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية لغزو الروم عَبَّدَةِ الصُّلَّبان، ثمّ إلى غزو الفرس عَبَّذَةِ النيران، وفتح الله عليه البلدان فتحاً مبيناً.

وقام بعده عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فأطلق جيوش الفتح الإسلامي ملتزمًا هذه السياسة الرّيّانية، ومكّنه الله من الاستيلاء على معالك كثيرة شرفًا وغربًا وشمالًا.

وقــام بعده عثمــان بن عفان رضي الله عنــه . فأظهــر الله به الإســلام في مشــارق الأرض ومضاربها، وكــان المســلمـون كلّمــا علّوًا أمّـة انتقلوا إلى مــا بعــدهـم، ثمّ الــلــين يلونهم من الكفار، تطبيقاً لفاعدة:

﴿ تَسْئِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ ٱلْكُفَّادِ ﴾ .

وقام بعده الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسار على سياسة توطيد دعائم الدولة في الداخل، والأخذ بسياسة البدء بالاقرب فالأقرب.

. .

تدبُّر ما جاء في هذه الآية حول الموصية الثانية:

﴿ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظُةً ﴾.

أي: ولَيْجِدِ الكُفَار في قتالكم لهم غِلْظَةً.

الْفِلْظَةُ: الشَّدَّة، والعنف، وقوة البأس، ومجافاةُ كلُّ رقَّةٍ ولين.

هذه الغلظة صفة محمودة في حالة القتال فقط، وهي مذمومة في غيرهما، لذلك كان من صفات المؤمنين مَا يلي:

- (١) أَنْهُم أَشْدَاء على الكفار رُحماءُ بينهم.
- (٢) أنّهم أهل حكمة ورقّة في الدّعوة إلى الله.
- (٣) أنهم في الجدال يجادلون بالتي هي أحسن.
- (٤) أنّهم يتألفون قلوب الناس بالتودّد والعطاء ولو من زكوات أموالهم.
- أنهم لا تحملهم عداوتهم المكافرين على ترك معاملتهم بالحق والعدل.

إلى غير ذلك من فضائل الأخلاق، ومكارم الشيم.

...

تدبُّر ما جاء في هذه الآية حول الوصية الثالثة:

﴿ وَأَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهُ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ ۞﴾.

أي: واتّحدوا الله دواماً في السّلم والحرب، حتى يكون الله معكم معيناً وشهداً وناصراً، لأنّ الله مع المنتقين، ومن كان الله معه فإنه يجد من معية الله له تــأليداً ونصــراً وتسديداً وتوفيقاً.

وإذا كان الله مع المنتفين، فإنّه مع الأبرار من باب أولى، وإنّه مـع الـمحــنين من باب أولى فوق ذلك، لأذّ مرتبة المحــنين هي أعلى مراتب المؤمنين.

وقىد جاء في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ مُمَّ مُصْبُونَ ۖ إِنَّ اللَّهُ لَمَنعَ النَّسُسِنينَ _ إِذَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ _ واللَّهُ صع الصَّابِرِينَ _ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهُ مَعْ المعتمنَ﴾.

ونلاحظ أنَّ قول الله تعالى في الآية:

﴿وَآعْلَنُوٓا أَنَّ اللَّهُ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ ۞﴾.

قد أغنى عن التصريح بقوله: وواتّقوا الله، فهذا القول مطويٌ في اللّفظ دلّ عليه الجملة الْمُصَرِّحُ بها في الآية .

ونظير هـذا الطي كثيـر في الفرآن المجيـد، وهو من الإيجـاز، الذي يـدخل في عناصر الإعجاز.

العفد السادس

بيان موقف المتافقين تجاه مـا كان يشزل مـن القـرآن تباعاً في مقـابل مـوقف المؤمنين

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلِهَا مَا أُولَتَ سُورَةً فَهَ بَعْدُ مَن يَعْوَلُ أَيْتُكُمْ وَافَقَهُ عَلَيْهِ اِيسَنَا مَّانَا الَّذِين مَا مُؤُلِّ وَالْمَهُمْ اِيسَانَا وَهُ وَيَسْتَبَرُونَ ﴿ وَالْمَا الَّذِينَ فِي قُلُومِهِ مَرَضٌ فَوَادَ مُهُم وجُسًا إلى وجُمِيهِ وَمَا الْوَاوَمُ مَكِيْرُون ﴿ وَالْمِيرَانَ الْفَهْمُ فِلْسَنَوْنَ فَي وَالْمَا الْوَلِقَ عَامِ مَنَّ الْوَصَانِ مَعْنِي هَلَى يَرْمُنُمُ مِن وَلَامُمْ يَنْكُونِ فَي وَالْمَالُونَ مَوْدًا فَلَمْ يَعْمُونُ لَهُ مِنْ هِلَى يَرْمُنُمُ مِن الْمَعْ فَمَ الصَدَوْلُ مَرْفَ اللَّهُ فَلَوْمَهُمْ وَالْمَعْمِدَ اللَّهِ فَمَ الصَدَوْلُ مَنْ مِنْ هَلَى وَمُعْمَودًا فَهُونَهُمْ وَالْمُونِ اللَّهِ فَي اللَّهِ فَي اللَّهِ فَي اللَّهُ اللَّةُ اللَّهُ اللَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

* * *

قرأ جمهور القرّاء العشرة: [أُولاً يَروْنَ] بياء الغائب.

وقرأ يعقوب البصري وحمزة الكوفي: [أُوَلَا تُرَوُّنَ] بتاء الخطاب.

وفي هاتين الفراءتين تكامل بهائي، فقراءة الجمهور تتحدّث عن المسافقين يأسلوب الحديث عن الغائب، وقراءة يعقوب وحمزة فيها توجيه الخطاب للمؤمنين مبيّةً لهم حال المنافقين، وفي كلا القراءتين إعراضٌ عن مواجهة المنافقين بالخطاب، إهانةً لهم في آخر بيان قرآنيٌ يُتَمَلِقٌ بهم.

مقدمة عامـة قبل تَدَبُّر فقرات هذا النص

منـذ بدايـة العهد الصدنيّ من حياة الـرسـول ﷺ، أو تُمِيّلُة بقلبل، والصنافقـون يتحرّضون الامتحـانات متنابعات، كمانت لهم فيها مـواقف باطنة وظاهـرة من مـلوكهم النفسيّ والـظاهر، هي من آشار كفرهـم الـذي يكتمونـه، ونفاقهم الـذي يخادعـون به، وكانت البيانات القرآنية تُتابع مواقفهم هذه، فاضحـة لما يكتمـون، وواعظة، ومحـلّوة ومنذرة.

ودلّتنا الدراسة القرآنية للنصوص التي نزلت لنا بشأن المنافقين، على أنها بلغت أربعة وثلاثين نصّاً، منها الموجز، ومنها المطؤل والمفصل كالمذي في صورة (التوية) والمذي في سورة (المنافقون)، وجاءت هذه النصوص في ست عشرة سورة وهي ما يلي:

- (١) العنكبوت: وهي من أواخر التنزيل المكي.
 - (٣) البقرة: الأولى من التنزيل المدني.
 - (٣) الأنفال: الثانية من التنزيل المدني.
 - (٤) آل عمران: الثالثة من التنزيل المدني.
 - (٥) الأحزاب: الرابعة من التنزيل المدني.
 - (٦) النساء: الخامسة من التنزيل المدني.(٧) الحديد: الثامنة من التنزيل المدني.
 - (A) محمد: التاسعة من التنزيل المدني.
- (٩) الحشر: الخامسة عشرة من التزيل المدني.
- (١٠) النور: السادسة عشرة من التنزيل المدني.
- (١١) المنافقون: الثامنة عشرة من التنزيل المدني.
 - (١٢) المجادلة: العشرون من التنزيل المدني.
- (١٣) التحريم: الحادية والعشرون من التنزيل المدني.
 - (١٤) الفتح: الخامسة والعشرون من التنزيل المدني.

(١٥) المائدة: السادسة والعشرون من التنزيل العدني.

(١٦) التوبة: السابعة والعشرون من التنزيل المدسي.

واقتضت الحكمة في آخر بيان قرآني بتمانى بهم، أن يكشف الله مواقفهم تجاه هذه الامتحانات، التي تعرّضوا لها طوال المهد المدني، حتّى نزول سورة (التوبة) آخر سورة قرآنية نزلت قبل سورة (النصر ــ ذات الآيات الثلاث) وتجاه البيانات الفاضحات والبيانات الواعظات والمحذّرات المنذرات.

إنّ هذا الصبر الطويل عليهم مع المتابعات الدالات على صدق الرسول وصدق القرآن في كشف خيايا نفوسهم، وما كانبوا يعملون من أهمال سرّية ضدّ الإسلام والرسول والمؤمنين الصادقين، قد كان كافياً لأن يكون دافعاً لهم في اتّجاه الإيمان، حتى يتخلّصوا من مرض النفاق الذي ملا جوانب قلوبهم حتى أفسدها، وأن يساحدهم على أن يتحولوا شياً فشياً إلى الإيمان، وأن يتوبوا مما هم فيه من كفر ونفاق ولوازمهما وظواهرهما في السلوك، بل كان زائداً عن حاجة العملاج الدوائي الذي من شأنه أن يُصلح أشدً مرضى القلوب، لو كان لديهم استعداد إرادي لاستيصار المحق بيراهينه وأولوبهما أو وولواهيها.

لكنّهم بسبب نظرهم إلى ظاهرٍ من الحياة الدنيا في سطوحها الخادعة، وبسبب تشبّهم بزيتها، وسيطرة أهوائهم وشهواتهم على إرادانهم، قد كنانت أذكارهم منطقة لا تفقه حقائق الامور، ولا تدرك شيئاً من الامتحانات التي توالت عليهم، وما استبعت من بيانات، ولا سيما كبريات هذه الامتحانات التي كنانت تأتيهم في كلِّ عنامٍ مروًّا أو مُرَين.

إِنَّ كُلِّ اللينانات الفاضحات والمبواعظ والتحذيرات والإنذارات لم تكن لتَشَلِّهم على انَّ القرآن حَنَّ من عند الله، وإنَّ المرسول همو رسول الله حقًا وصدقـًا، بل كمانت تزيدهم فيما هم فيه من رجس الكفر وقبائح السلوك ورفائل النفاق.

إنَّ من اتَّخذ باختياره الحرّ الوسائل المؤديّة إلى طمس بصيرته، لا يكـون مستعدًّا لاستقبال البيانــات والمواعظ التي تنصحــه بأن يشرك الطريق الــذي سلكه، ووجـد فيه هوى نفسه، ويعض لذَّاتها، مهما اقترنت هذه البيانات والمواعظ بـالبراهين الفـاطعة. والحجج الدامغة المقنعة.

هذه هي سنة الله التي فـطر النقوس عليهـا، وهكذا كـان حال هؤلاء المنـافقين، وهو على الضدّ من حال المؤمنين الصادقين.

> * * * التدبير

> > قول الله تعالى:

﴿ وَلِهَا مَا أَنِكَ سُورَةً فَيَنْهُم نَن بَـقُولُ أَيْكُمْ وَادَتُهُ هَلِيهِ إِيمَناً قَامًا الَّذِيرِ هَامَـنُوا اَوْدَتُهُمْ إِيمَا لِمُرْسَنَتِيْسُرُونَ ﴿ وَإِنَّا الَّذِيرِ فِي قُلُوبِهِم شَرَعُ فَوَادَتُهُمْ رِجِسًا إِلَى دِجْسِهِمْ وَمَا أَوْا وَهُمْ كَنْرُورَكِ ۞ ﴾.

في هـذا النصَّ عُوَّدُ للحـديث عن المنافقين، وهــو آخــر حـديث عنهم نـــزل في القرآن، وهو يُبَيِّن قصة موقفهم الّـذي تكرَّر تجاه المتكرَّر من نزول سُــور القرآن.

لقد كَانَ مُوفَهُمُ آنُهُمُ إِذَا مَا أَشْرَلُتُ سُـورَةً جديدة من سُـوَر القرآن، تحدّث بعضهم قائلًا على سبيل الاستهزاء أو الاستخفاف بها: أيّكُمْ زَانتُهُ هذه السورة الجديدة إيماناً؟

أي : ايَكُمْ زادته إيمانًا بانَّ محمداً رسولُ الله حقاً وصِدْقاً. وأنَّ هذا الكـلام مُثَرِّلُ منْ عند الله حفًا وصِدْقاً؟

والمعروف من أسلوب السافقين المعتاد، أنَّهُمْ يُوجِّهِونَ مثل هذا القول في المجالس العامَّة، أنَّي يكونَ فيها مؤمنونَ ومنافقونَ، عند حدوث أشياء جديدة لا يؤمنونَ هم بها.

والذي يدعوهم إلى مثل هذا الفول النفورُ الْمُنذِر، إنَّهُمُّ بِموامل الكفر يشمئزُون، ويُريدون أن يُعبَّرُوا عن اشمئزازهم بأنَّ هذه السُّورة الجديمة لم تورقهم إيماناً، ولم تُمَثِّرُ من تُقْرِهمْ شيئاً، وهم بعوامل الحذر من انكشاف نفاقهم يحاولون أن يُلْجِمُوا الستتهم عن مقالات تكشف كفرهم ونفاقهم، وتضغط في نفوسهم ضواغط الرغبة في التعبير عن مشاعرهم، فيخاطبون الحاضرين في المجلس بقولهم: أَيْكُمْ زَادَتُهُ هَـلَبُهِ السُّورَةُ إيمانًا؟ وقد يقصدون التأثير بها على ضعفاء الإيمان.

أمَّا عَامَـة المؤمنين فلا يتفكرون في تحليل نفوس أصحاب هذه المقالة ، وقد يُحَسَّسُونَ النَّفْلُ بِهِمْ ، وقد يتحدَّث بعضهم عن بعض جوانب من السورة الجديدة ازدادوا بها إيمانًا .

وأَشَّا فَطَنَدُا المؤمنين فِيْدَرِكُمونَ ما وراه إطلاق هذا التساؤل من عواسل نفسيّة، مُنْكِرُةُو لكلَّ ما نِل من القرآن، أو شائحةً فيه، ولكنّهم لا يُجدون في العبارة مستمسكاً صريحاً للإدانة، لأنَّ صاحبها يستطيع أن يتملّص بخفّة، ويُبَيِّن أنْ غَرْضَهُ حتُّ الأنكار على حُسْنِ الشَّذَيِّر، لاستباط المعالي التي تزيد الإيصان، ممّا تشتمل عليه دلالات الآيات في السورة.

وأمّا المنافقون العشاركون في المجلس دون أن يطرحوا مثل هذا التساؤل، فإنهم يعرفون شياطينهم، ويدركون الغرض من سؤالهم.

[إذا] ظرف لما يُستقبل من الزمن، ولكن النص لمّا كان يقُصُّ نفسَة ما كان منهم خلال مراحل التنزيل المدني للقرآن، وهذا النص جاء في ختام هذه المراحل، كانت [إذا] هُنا بعثابة قول القائل: كُنتُ في حياتي الماضية إذا جاء أوّل الشهر الجديد وقيضت راتب الشهر العاضي دفعت ربع راتبي للفقراء والمساكين ووجوه الخير ابتفاء مرضة الله، وهذا على سيل حكاية أحداث الماضي وفق ترتيب إنمانها.

ولفظ [مـا] بعد [إذا] لفظ مضياف للتأكيد، واصطلح النحنة أن يُستُموهـا والنـة لغرض التأكيد ، وليس موادهم أنها والندة في اللفظ دون غرض، وقد جاءت في القرآن وماه بعد وإذاه والله إحدى عشرة مرّة فقط من مجموع ما يزيد على (٤٠٠) مرّة.

واكتفى النص بيبان ما يـطرح فريق من المنافقين من تساؤل إذا أنـزلت مُسورةً جديدة، ليدلُ على ما في تفوسهم من عوامل، وترك بيان مايحَدُّتُ في المجالس نتيجة طرحهم هذا السؤال، إذ لبس في مثل هذا اليان غرض توجيهي، على أنَّ ذهن المتدبر الحصيف بستطيع تصوّر ما يحدث بالقياس على الأشياء والتظائر في مجالس الناس. لكنّ الله عز وجلّ نولَى بياناً آخر كشف فيه ما يحدث في قلوب المؤمنين، وما يحدث لدى الأخرين الذين في قلويهم مرض بدءاً من الشك، حتى أخسّ دركـات الكفر، فقال تعالى بشأن الذين آمنوا:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ، امَنُوا فَزَادَتُهُمْ إِيمَنَا وَقُرْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ ﴾:

أي: كان الذين آمزا إذا أنزلت سورة من سور القرآن، زادتهم هذه السورة بما فيها من أدبي المساقية إلى المناقبة إلى المناقبة الإسانية ويقلم ومعاني جليلة، إيمانياً يضاف إلى مقدل إلى المناقبة الإسانية ويقلم أو يقلم عُمني عُمني وجدائه، ويمكن قياسه من ظواهر السلوك، لأن الإيمان ليس مجرد فكرة فهنية أو تُصديق إرادي قلبي، بل الإيمان بالله وكتابه ورسوله واليوم الأخر وسائر أركان الإيمان وتضيلاتها مركب من يقين علمي، وتصديق إرادي، وعواطف وجدائية متنوعة فيها الحبّ والكوم والكوم المطالب السامية من محادثي الذي والأخرة، وهذا المركب يزداد بلا حدود تقاس، ويتناقص إلى أدنى الحدود، فإذا نزل عنها بدأ الشرك فما هر أشدً من الكفر.

إِنَّ عنصـراً واحداً من عنــاصر عــواطف الإيمان وهــو الحبِّ، يزداد حَنَّى يُضَمِّيَ العاشق بنفسه من أجل مجــوبــه، فكيف إذا اجتمع مــركّب من جملة عواطف قــاعدتهــا في القلب يقين عـلميّ.

ولمّا خفي على بعض أهل العلم هذا التحليل لعناصر الإيسان، زهموا أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأخذوا يزوّلون النصوص الدينيّة الصريحة في دلالتها على زيادة الإيمان ونقصه.

﴿ وَهُرِّ يَسْتَبَشِرُونَ ۞ ﴾:

أي: زادتهم إيماناً والحال أنّهم فرحون مسرورون بنــزول سورةٍ جــديدة من عنــد ربّهم، تزيدهم في الدين علماً وهداية وبشرياتٍ بمستقبل سعيد، في جنات النعيم.

وقال تعالى بشأن الذين في قلوبهم مـرضٌ بدءً بـمـرض الشك والحيـرة والتردّد، حتى أخس دركات الكفر والجحود المستور بالنفاق: ﴿وَأَمَا الَّذِينَ فِي تُلُوبِهِ مَرَحَى فَوَادَتُهُمْ رِجْسًا إِلَادِغِيهِ وَ مَا تُوَاوَفُهُمْ ڪَيْرُونَ ۞﴾.

سعى الله عزّ وجلً في هذه الأية الكفر أو الرب الذي يُنْتَابُ قلوب المسافقين، والدوافق التي تدفعهم إلى الكفر أو الرب والتفاق من انحرافات خلفية، ورغبات في اتباع الأهواء والشهوات، وشِماً، باعتبار أنّ الرفائل الفسيّة هي أرجاس وأقدار، على مثل الأرجاس والأفذار الحسيّة في الأبدان والثباب ونحوها.

وبما أنَّ ما يتزل من قرآن لا يقيدهم تبيت إيمان أو زيداةً فيه، فإن إنكارهم وجحودهم لما ينزل، من شأنه أن يزيدهم عناداً وإصراراً على ما هم فيه من ويب أو كفر وتفاق، وهذا رجَّسُ يضاف إلى رجبهم السّابق، ولكلَّ فرو منهم نصيبُ من هذا الرجس بحسب، هذا إذا لم يجعلهم يضاعفُون مكايدهم ضد الإسلام والرسول والمؤمنين، فإن فعلوا شيئاً من ذلك تزايدت أرجاسُهم السُّلوكية، مع أرجاسهم النفسيَّة.

ولمُّا كان بعضُ هؤلاء المنافقين قد ماتوا قبـل نزول هـذا النصّ، قال الله تعـالى شأن هؤلاء:

﴿وَمَاثُواْوَهُمْ كَنْفِرُونَ ۗ ۞﴾.

وقد وصفهم الله عزَّ وجلَّ بأنهم كـافرون، لأنَّ قنـاع النفاق يسقط عنـد العوت، ولا يبقىٰ للمنافق ساعة الموت إلاّ الكفر.

وتعقيباً على موقف المنـافقين تجاه مـا ينزل تبـاعاً من ســور القرآن، قـال الله عزُّ بلُّ.

﴿ لَلَاَبْرَقَادُ النَّهُمُ وُلِمُتَنُوكَ فِيكُلِ عَامِثَةً ۚ أَوْمَدُنَّيْنِ ثُمُّ لَايَتُولُاكَ وَلَاهُمْ يِنَّكُونِكَ ۞﴾

واو العلف في ﴿أَوْلاَ يَرَوْنَ﴾ تعطف على محلوف مُقَـدّر، تقديره ألا يُفكّرون من خلال الاحداث التي تَمُرُّ عليهم ويَرُونُ أنّهم يفتنون في كلّ عام مرَّة أومرَّين. الاستفهام موجَّـه للدلالة على تُلْوِيمهم وتـوبيخهم لأنّهم لا يتفكّـرون ولا يَـرُوْن ولا يتعظون.

ومُطَائِعُ هذه الدراسة القرآنية عن المنافقين يستطيع التقاط الاحداث الكبرى التي امتحنوا بها، ويَخْتُها البيانات القرآنية الواعظة والفاضحة والمحفّرة والمسفرة والمعلممة بالتوية، وهذه الاحداث وما تبمها تكفي وحدها الإنتاعهم بأنَّ القرآن تسزيل من لدن عليم حكيم خبير، وأنَّ محمّداً رسول الله حفّاً وصِلْقاً، لأنّها تجاريهم الشخصية، وهم أعرف الناس بها، ويما كانوا يكتمون ويُسرُّون، ويما جاء في القرآن من كشف ذلك، فالتجارب الشخصية فوات أدلّة مباشرة تشبه الإدواك الحسَّي، وهي من الأوليات التي تُمامُ الأدلّة بها، ولا تُقَامُ الأدلّة عليها.

وإذا ورُعسا هــذه الأحــداث الكبــرى التي اشتملت على فتتــهم، أي: على المحافهم مع سقوطهم في المحافة المحرحلة المحافة المحلة المحلة المحلة المحلة المحلة المحلة المحلة المحلة المحلة المحلوبية المحلقية عن حياة الرسول ﷺ، وجدناها في كـلً عام سرّةً أو مرّتين، كما ذكر الله عرّوجلً.

إِنَّ هذه التجارب في وسائل اكتساب المعرفة التي تمحو الشكوك مهما كنانت، كافيةً لإقتاع اشدّ المتشككين، وأشدّ الناس استعصاء على أدلة الحقّ، إلاّ المكابرين بالباطل والمعاندين الذين يسرون الشمس في كبد السَّماء ويجحدون وجمود النهار في الموقع الذي هم فيه.

ومن عجيب أسرهم وشدّة تشبثهم بالباطل البذي هم فيه، أنَّهم يمرُّون بهدْه التجارب، نُمَّ لاَ يُتَويُونَ من تفرهم ونفاقهمْ، ولا هم يتذكّرُون، أي: ولا هم يُتَبُّرُن في ذاكرتهم المعاني التي دلّت عليها هذه النجارب، حتّى يُكُونُ تراتُمُها ذا قرّة فاعلة في القناعهم، وسعادة انفسهم — إقتناعهم، وتحديلهم — عن طريق إداداتهم وحرصهم على نجاتهم وسعادة انفسهم — من التكفر إلى الإيمان، ولو على سبيل التنديج شيئًا فشيئًا، لكنّهم لا يُوتِهمون أفكارهم وأذهاتهم لدلالات هذه النجارب حتّى يحفظوها في ذاكرتهم، ويُتَذْكَروهما من حين لاخور.

هذا البيان عن التذكّر يدلُّ على أنَّ الذاكرة في الإنسان ذاتُ نائير كبير في كيانه، فعن لم تكن لديه ذاكرة تستميد المصارف والتجارب السابقة دواساً، كانت تصرّفات استجابة لغرائزه وأهوائه وشهواته، ورُدُّودُ أنعال تلقائية للعوارض الطارئة، فهو كالأنصام بل هو أصَّلُ منها سبيلاً.

وأبان هذا الْعِشْد من السورة انّ للمشافقين تُجاه مـا ينزل من سُـور القرآن سلوكــاً آخر غير قول بعضهم: أيّكُم زادته هذه إيماناً؟

إنه الانسلال من المجلس الذي تُخلَّى فيه السيورة الجديدة، بعمد أن تتحادث عيونهم بعضها مع بعض، فهم يتخاطبون عن طريق عيونهم لا عن طريق السنتهم، ومضمون هذا الحديث عن طريق حركات العيون: هل يراكم من أحدٍ من المؤمنين إذا انصرفتم من المجلس؟ حتَّى إذا شعروا بأنهم قادرون على أن ينسلوا واحداً بعدواحد انصرفوا حتى لا يسمعوا تلاوة السيورة المنزّلة، ويبدو أنهم متفقون فيما ينهم على أن يتصرفوا من مجلس الرسول، كلما نزلت عليه سورة جديدة وتلاها على أصحابه.

فقال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَا آَلَٰزِكَ سُورًا تَظَرَبَهُمُ إِلَى بَعْضِ هَلَ بَرَنِكُم مِّنَ أَحَوِ ثُمَّ ٱنصَدَوُّواً صَرَفَ اللَّهُ قُلْدَبُهُم إِنَّهُمْ هُمَّ الْفَقْمُهُ وَنَ ۞ ﴾.

 وبما أنّهم يعرف بعضهم بعضاً، إذّ لهم مجالس خناصة يتكاشفون فيها عن هوَيّاتهم، فمن العالب أنّهم كانوا يتواصون فيما بينهم أنّه إذا أنزلت على الرسول ﷺ سورة جديدة فإنّ عليهم أن ينسلوا من مجلسه منصرفين، دون أن يشمر بهم أحد، ولكن عليهم أن يستوثفوا من أنه لا يراهم الرسول أو أحد من المؤمنين إذا انسلوا.

فإذا كانوا في مجلس الرسول وبدأ الرسول ﷺ يتلو على المسلمين ما نزل عليه من قرآن في سورة جديدة تحادثوا عن طريق حديث العيسون بإنسارات بتساءلـون فيها: ها براكم من أحد؟

﴿ثُمَّ أَنصَ رَفُواً ﴾

أي: وبعد المحادثة بيما بينهم عن طريق حركت العيون التي ينظر بها بعضهم إلى بعض، لا ينصرفون بسرعة، بل يتريثون، لئلا يكتشف الفطناء أمرهم، فإذا اطمأنوا وشعروا بأن أحداً لم يفطن إليهم الصرفوا، كراهية أن يسمعوا السورة المسترلة، ولعمل هـذا بسبب خوفهم من أن تكون فيها أيات تتحدّث عن المنافقين، فيضطوبوا عند سماعها، فيترفوا.

وحاء التعقيب القرأنيُّ على هذه الظاهرة من سلوك المنافقين، بقوله تعالى:

وْصَرَفَ اللَّهُ قُلُو يَهُم بِأَنَّهُمْ قُومٌ لَا يَفْقَهُونَ ١٠٠٠

تحري السلسلة السببية في هذا الموضوع لدى المنافقين كما يلي:

- (١) تبدأ بانحراف خلقي نفسي تسيطر عليهم فيه أهواؤهم وشهراتهم ومطالبهم من زينة الحياة الدنيا، مع التقاليد العمياء التي اتبسرا فيها أبناءهم وقومهم السنايفين، وهذا من آثار استخدامهم لإراداتهم الحرة غير المجبررة.
- (٢) تنشغل ضمن سنز الله السبية ساحة تصوّرهم وتذكّرهم دواماً، بما هو مسيطر عليهم في داخلهم.
- (٣) تتحرَّك غرائزهم وعواطفهم بالعنصر الذي شغل أكبر مساحة من نصوراتهم
 وتذكّراتهم الحاضرة المتحركة الفاعلة.

- (٤) تتوجه إراداتهم الحرة في داخلهم متأثرة بما تحرّك من غرائزهم وعواطفهم
 ومطالبهم من الدنيا، ومصدّرة أوامرها بالتنفيذ.
 - (٥) عندثلً تكون قواهم العملية مسخّرة لما أرادوا تنفيذه.
- (١) فإذا جاء عارض من العوارض الفكرية يقتضي منهم أن يعتبروا مسيرة سلوكهم الضمي ويحرلوا أتجاهم إلى مطالب أخروية ، لم يلتفتوا إليهما ولم يفقهوا بياتاتها ، لأنهم متشبئون بالظراهر لا يدركون بواطن الامور ولا يفقهونها .
- (٧) وإذا اضطرُّوا أن يجاروا ظَاهراً بمشاركة جسديّة فإنّ قلوبهم تكون منصرفة بسبب انشغالها بما هو مسيطر عليهم في داخل نفوسهم.

ولمّا كان هذا الانصراف خاصماً لسنن الله السبيّة في كونه، وتسخيراته للأسباب التي تكون بخلفه سبحانه، كان هو الذي صرف قلوبهم خُلقًا، لكنّهم كانوا هم السبب في ذلك باستخدام إراداتهم الحرّة فيما سخّر الله لهم.

وقد جاه البيان القرآني بادئاً بهذه التيجة، ومقروناً بيبان سبب حصولهما الكائن منهم، ومن اخيارهم الحرّ، فقال تعالى: ﴿ صَرْفَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ بِالنَّهُمْ قَـرُمُ لاَ يَفْقُهُونَ﴾ أي: بسبب أنهم فومٌ لا يفغهون.

الْعِفْدُ السَّابِعُ

آخر توجيه من الله للناس بالنسبة إلى الرسول محمد ﷺ ومعه وصيّة من الله للرسول

قول الله عزّ وجلّ:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوكُ فِنَ الْشَيْكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَيْتُ مَرِيعُ عَنَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَمُوكُ رَجِيدٌ ۞ فَإِن وَلَوَا فَقُلُ مَسْجِى الْفَلَا إِلَّهَ إِلَّا هُوْتَعَلِيْهِ فَوَكُنَّةً وَهُوَرُبُ الْمَعْرِقِ الْمَطِيدِ۞ ﴾.

﴿عَنِيرٌ عَلَيْهِ ﴾:

أي: شديد علم، وشاقً عليه، يقال لغة: عزّ الأمُّر عليه إذا اشتدّ وشقّ. ويقال: عزّ علميّ أن نفحل كذا، أي: اشتدّ عليّ ذلك وشقّ.

﴿مَاعَنِتُمْ ﴾:

أي: غَنْتُكُم وماء مصدرية فهي تؤول مع الفعل الذي بعدها بمصدر.

الْمَنْتُ: الشَّلَّةُ والمشَقَّة، يقال لغة: غَنِتَ فلانٌ إذا وقع في مَشَقَّةٍ وشلَّة.

فالمعنى: شاقً عليه ما يَشْقُ عليكم، وشديدٌ عليه ما هـو شديـدٌ عليكم، لأنّه من انفسكم. يشارككم مشاعركم وأحاسيسكم.

﴿ حَرِيفُ عَلَيْكُم ﴾:

الحرص على الشيء شدَّة الرَّغبة فيه. والحرصُ على الأهل أو العشيرة أو القنوم

أو الأمة الإشفاقُ عليهم، والاجتهاد في نصحهم وتحقيق ما ينفعهم ويدفع الضـرّ والأذى عنهم.

أي: فهو يشفق عليكم ويبلُّذُل غاية جَهْدِه في نصحكم وتحقيق ما يفعكم ويـدفع
 الفرّ والأذى عنكم.

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَبُّوتُ ﴾ :

قرأ أبو عمرو، ويعفوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وتُمثّبَةً عن عاصم [رُولُتُ] بقصــر الهمزة. وقرأ باقي الفراء العشرة [رُؤوف] بمــدُّ الهمزة، والمــدُّ والقصر لغنــان عربيتان متكافئتان، فرؤوف على وزن قُعُول، ورُؤُف على وزن فُعُل.

قال أهل اللّغة: الرافة أخصَّ من عموم الرحمة وأوثَّ. وقال صاحب الصحاح الجوهري: الرافة أثند الرحمة. يقال لغة: رَافَ بِه يَبرُّأَفُ رَأَفَةً، وَرَيْفَ بِه يَرْأُفُ رَأَفَاً، ورَوْف بِه يَرْوُفْ رَأَلَةً

وصيغة درؤوف، من صيغ المبالغة، أي: هو ذو رأفة عظيمة.

﴿تَحِيدٌ﴾:

 أي: وهـو بـالمؤمنين رَجِيم، وصيفة ورحيمه من صيخ المبــالغة، أي: وهــو ذو رحمة عظيمة.

وقد وصف الله رسوله محمّداً بصفتي الرأقة والرحمة كما وصف بهما نفسه، وجمع بين الوصفين الاخصّ والأعم للدلالة على أنَّ من تتطلب الحكمة الرأفـة به رأف به، ومن تتطلب الحكمة أن يشمله بعموم رحمته رُجِمَه.

الرحمة: هي في المخلوقات عاطقةً تستازم المشاركة فيما يُسرُّ المرحومُ وفيما يؤلمه، ومُسْاغَنَة بما يحتاج إليه لمسرَّت، ولدفع السوء والفسرَّ عنه، وفي الخالق صفة تليق بمبلاله مبحانه، من آشارها المعونة والمساعدة، ووفع الفسرَّ والأفى، والإنعام والإكرام، وكذلك الرأفة.

﴿ بِأَلْمُوْمِنِينَ ﴾:

مممول لـ ﴿رؤوف رحيم﴾ مقدّم عليهما لإفائة تخصيص رأفته ورحمته بهم.

﴿ فَإِن تَوَ لَّوْا ﴾ :

أي: فَإِنَّ أَدْبَرُوا عن الاستجابة لنـداء رسالتـك التي أرسلك الله بها، وابتـدعوا منصرفين متبعين غير سبيلك.

﴿ فَقُلُ حَسُوسِ اللَّهُ ﴾:

أي: فقـل: يكفيني رضـا الله عني، على مـا قمت بـه من واجبٍ كَلْفني إيَّـــاه، ويكفيني الله بمعونته وتأبيده ونصره في أمري كلَّه.

لفظ وحُسِّه اسم بمعنى وكناف، ويأتى واسم فعلل مضارع، بمعنى ويكفى، فيقال: حَسَّبُكَ من شرٌّ سماعُه، أي: يكفيك أن تسمعه لتشمئزٌ منه، ويأتي واسْمَ فصل أمره بمعنى واكتف، فيقال: حُسُبُكُ هذا، أي: اكتف به.

المتدئر

 في الآيسة الأولى من هذا النص يصف الله محمداً للنباس أجمعين بسبسم. صفات، وهي آخر ما نزل من قرآن بشأنه.

إِنَّ الله بِينِ للناس مؤكداً بعبارة ﴿لَقَدْ﴾ اللام ابتدائية للتأكيد، أو هي لام القسم وهي تفيد تأكيد الجملة بعدها، و وقَذْ عوف تحقيق لتأكيد مضمون الجملة بعده.

والمؤكَّدُ مضمون كلِّ الجملة التي اشتملت على كل صفـات محمَّد ﷺ الــواردة في الأبة:

الصفة الأولس:

﴿ لَقَدْ خَآءَ كُمْ ﴾ :

أى: ليس محمَّد مجرَّد إنسان بشر ظهر بينكم كسائر الناس، بل هو مـوجَّه لكم، وقد جاءكم بما هو موجَّهُ لكم به، فَهُو ذو صفة ثانية:

الصفة الثانية: أنَّه:

﴿رُسُوكِ ﴿):

اي: هـ وحـامل رسالة من ربكم إليكم، ولا يكـون الـرسـول رسـولاً من ربّ العالمين، حتى يكون نَبِئاً، من الذين اصــطفاهم الله بـالنبوّة، فـأوحى إليهم، فهو نبـيًّ رسـولُ.

وكلمة ورسُول، تغني عن كلمة ونبيّ، لأنّ الرسول في دين الله للناس هـو نبيًّ كُلّف أن يحمل رسالةً يبلغها لأمّه.

وهذا الرسول هو كسائر الرسل، ليس ذا طبيعة مخالفة لطبيعتكم البشرية، بل هو ذو صفة ثالثة:

الصفة الثالثة: من أنه:

﴿ مِنْ أَنفُسِكُمْ ﴾:

أي: من نوع أنفسكم المشتقة من نفس واحدة.

إنكم جميعاً مخلوفون من نفس واحدة، هي نفس آدم، وسؤاء زوجته هي إيضاً من نفسه، لأنَّ الله خلقها منه، وخلل من نفسيهما جميع أنفسكم، ومحمَّد هـــو واحد من هذه الأنفس.

إِنَّ طبيعة نفس محمد لبست من طبيعة أنفس المملائكة، ولا من طبيعة أنفس الجنَّ، بـل من انفسكم أنتم، فكـلَّ خمسائص البشسر فيـه، عـواطـفـه من عواطفكم، ومشاعره من مشاعركم، فلا تحجُّبُ نفسَه عنكم جفوة اختلاف الطبيعة، واختلاف خصائص النفس.

وبِما أنَّه يشعر بالعنت إذا مسَّنَّه مشقة، أو نزل به مكروه، فإنَّه ذو صفة رابعة:

الصفة الرابعة: هي أنه:

﴿عَنِيزُ عَلَيْهِ مَاعَنِسَتُمْ ﴾:

أي: شديدٌ عليه وشاقً على نفسه كُلُّ ما هو شديدٌ عليكم وشاقً على نفوسكم، إذْ هـو من وحدة أنفسكم يؤلم ما يؤلمكم، ويُشُقُّ عليه ما يُشُقُّ عليكم، فكيف تكون حالة نفسه بالنسبة إلى ما يُشَلُمُ أَنَّه يُنْزِل بكم الاماً وعذاباً، لذلك فإنّه يؤلمه أن تكفروا، وأن تعرّضوا أنفسكم للمخلود في عذاب النار، ويؤلمه أن تُفصُّوا ربُكُمْ فيمسُّكُمْ بـذلك عنت العقاب من بارتكم.

وهو يشعر أيضاً أنكم بمثابة أهله وأبنائه وأسرته المخاصة، لذلمك فإنَّـه فو صفة خامسة.

> الصفة الخاسة: هي أنه: ﴿حَرِيضٌ عَلَيْكُمُ ﴾:

أي: مستمسك بكم، يُشْفِق عليكم كما يشفق أحددكم على أهله وقرابت، ويجتهد في نصحكم وتحقيق ما يفعكم ويدفع الفسر والأذى عنكم غاية الاجتهاد، ويخشى عليكم أن تبخالكم الشياطين، وتسوقكم أو تقودكم إلى شقائكم ببإغرائكم وإغوائكم حتى تسقطوا في مساخط ربكم.

هذا حاله بالنسبة إلى عموم شركائه في وحدة الأنفس البشرية، المخلوقة من نفس واحدة.

أمّا حاله بالنسبة إلى الذين استجابوا لدعوته فآمنوا، فإنَّـه فوصفتين زائدتين على ما سبق، صفة سادسة، وصفة سابعة:

> الصفتان السادسة والسابعة: هما أنه: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينِ كَ وَفُكَ زَحِيثٌ ﴾:

أي: هو شديد الرأفة بالمؤمنين، عظيم الرحمة بهم.

ولمَّكَ كانت البرافة اختصَّ وارقَّ من عصوم الرحمة، فإنَّه 魏 كان إذا رأى حال بعض المؤمنين تشطلُب منه خصـوص الرافة كان به رؤوفاً، وكنان إذا رأى حال بعض المؤمنين يكفيه منه عموم الرحمة كان به رحيماً.

ومن أثار ذلك في سنّته أنّه كمان لا يُحبُّ أن يَشُقُ على أَثْبِهِ في التَكافِف، حتى لا يكون في ذلك إحراجٌ لهم يدفعهم إلى الـوقوع في المنخالفة، والتَصرَّصُ للعقوبة، فعن أقواله ﷺ: ددُّقُونِي ما تركتكم. روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

وَنَصُونِي مَا تَرَكُنُكُمْ، اَوَلِنَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ تَبْلُكُمْ سُـوَّالُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى الْبِيالِهِمْ، فَإِذَا نَهَنِئُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتِنْبُوهُ، وإِذَا أَمْرَنُكُمْ بِشِيءٍ فَأَنُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

وفي رواية عند مسلم عن أبسي هريرة قال: خَطَبنا رسول الله ﷺ فقال:

هِيَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّواهِ.

فقال رَجلُ: أَكُسلُ حَامٌ بِسَا رَسُولَ الله؟ فَسَكَتَ حَثَىٰ قَسَالُهَا سُلاثناً، فقسال رَسُول الله ﷺ:

وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْنُمُ.

ئُمْ قال:

وَذَرُونِي مَا تَرَكُّنُّكُمْ . . . ٥ إِلَى آخر الحديث السابق.

وفي الآية الثانية من هذا النص توجه وصيةٍ من الله لرسوله بشمان الذين أبـوا
 أن يستجيبوا لدعوته, ويؤمنوا به وبما جاءهم به عن ربّه, بـل نَوْلُـوًا مدــرين مبتعدين،
 سالكن مسالك مباية لصراطه المستقيم.

وهذه الوصية تشتمل على تكليفه أن يُردِّد ذكراً مؤلَّفاً من أربع جُمل :

الجملة الأولى:

﴿حَسِينَ ٱللَّهُ ﴾:

أي: أتنفي بـرضا الله ومعـونته، لأن كافٍ من اكْتَفَى بـه، فأنـا أدعوه أن يكـون خَــُبــي.

الجملة الثانية

﴿ لَا إِنَّ إِلَّا إِلَّهُ إِنَّهُ ﴾:

أي: لا معبود بحقّ في الوجود كلّه إلاّ مو، فأنا لاَ اغَبُدُ غَيْرَه، لذلك فـأنا أدعُـوهُ مسائلًا متضرّعاً، ولا أدعو معه أحداً.

الجملة الثالثة:

﴿عَلَيْهِ فَوَكَلَتُّ﴾:

أي: عليه وحده توكُّلتُ في أمري كلّه، حفظًا ومعونة وتوفيقاً للخيرات، إلى غيـر ذلك من شؤوني العاجلة والأجلة.

الجملة الرابعة:

﴿ وَهُورَبُ ٱلْمُكْرِشِ ٱلْمَظِيمِ ﴾:

أي: وهــو وَخَدَهُ رَبُّ العـرش العظيم، المحيط بالسماوات والأرض ومــا فيهنّ. فهو ربّـي وربُّ كُلُّ شيء، أي: هر الموجد لكل شيء، والممدّ له بالبقاء، والمتصرف يكلُّ ما يجرى فيه من حركة وسكنة ونقيرًات.

هذه الجمل الأربع هي ذكر ودعاء منبئان من جوهر القاعدة الإيسانية، بالله وصفاته العظمى، ويمنع الله بها الذاكر خيراً عظيماً، ويفيض في قلبه الراحة والطّمانية، ويفحه بها بنسمات السعادة، مع ما يقضي له من أمور في الحياة ترضيه، ويدخّر له للآخرة من الخيرات الحسان، ما لا عين رأت، ولا أَذُن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وانتهى تدبر النص بعون الله وتوفيقه

. . .



القِسَارُاتُالِث

المنافِقُونَ وَصُورُمِنْ حَبَّا نِيْهِمْ فِي ٱلتَّارِيخ

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوَّل : مُنافقون قبل بعثة محمد ﷺ .

الفصل الثاني : المنافقون في عصر الرسول ﷺ وخبائثهم.

الفصل الثالث : منافقون عبر تاريخ المسلمين بعد عصر الرسول ﷺ.

الفَصْ لالأولِ

مُنَافِقُونَ قَبُلَ بِعْثَة مُحَلِي اللهُ

وفيه مغولتان:

المقولة الأولى : إبليس أوَّل المنافقين.

المقولة الثانية : المنافق اليهودي بولس و= شاول قبل أن يتنصره

وتحريفه الديانة النصرانيَّة.

المقولة الأولى

إبليس أول المنافقين

دلَّت النصوص القرآنيَّة على أنَّ إبليس عليه لعنة اللَّهِ عزَّ وجلُّ قد كـان أوَّل مُنافقٍ فيما كُشِف لنَا منْ تاريخ الخليقة.

لقد كان إبليس من الجن المخلوقين من صارح من نار، بطيعة ذات إرادة حرّة قابلة للطاعة والمعصية، وذات أهوا، وشهوات ونفس نُزاعةٍ لفعل الخير ولفعل الشرّه ولم يكن من المملاكة المخلوقين من نور بطبيعة مطيعة للباري عزّ وجلّ بالفطرة التي فطرهم الله عليها، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

دلَّ على هـذه الحقيقة قـول الله عزَّ وجـلٌ في سـورة (الكهف/١٨ مصحف/٦٩ نزول):

﴿ وَلِذَقُنَا لِلْمَلَتِهِكَةِ لَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِلِيسَكَانَ مِنَ ٱلْجِينَفَسَفَعَنَ آترِرَهِهُ . . . ۞ .

وآبان الله لنا أنّ الجنّ مخلوقون من مارج من نار، أي: من أخلاطٍ ناريّة، وهذه الأخلاط الناريّة ترجع إلى أصل العناصر التي توقّدتُ منّها النّارُ، كالحديد والنحاس والحجر والعناصر النبائيّة، وغير دلـك، فقال تصافى في سـورة (الـــوحـمن/٥٠ مصحف/٧٩ نزول):

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْمَن لِكَالْفَضَّادِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْحِكَانَّ مِن مَادِج فِن خَارِ ۞ ﴾.

﴿ الَّجَانَ ﴾ : هُو أَبُو الَّجِنُّ كَمَا قَالَ الْمَفْسُرُونَ . -

وحين احتجُ إبليسٌ لرَفضه السجود لأذَمَ احْتجُ بأنه مُخْلُوقٌ مِن نَـارٍ، الَّتي هي

بحسب زعمه أشرف عنصراً من الطين الذي خلَقَ الله منه أدم، فقال لربه كما جـاء في سورة (ص/٣٨ مصحف/٣٨ نزول):

﴿ قَالَ كَإِلِيشُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدُ لِمَا خَلَقْتُ بِيدَةً أَلْتَكَكَّرَتَ أَمَّكُتُ مِنَ الْعَالِينَ ﴿ قَالَ أَنَّا خَيْرِينَةٌ خَلَقَتَوْ بِنَا الْوِرَخَلَقَةُ مِن طِينِ ﴿ ﴾ .

أمَّا الْمَلائكةُ فهم مخلوقون من نور، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسُولَ الله :審 قال:

اخُلِفَتِ الْسَلَائِكَةُ مِنْ نُمورٍ، وَخُلِقَ الْجَمَانُ مِنْ صَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ ادْمُ مِشًا وُصِفَ لَكُمْءٍ.

فالجنّ نوع من العالمين، سُمُّوا جنّاً لاستتَارِهم عن أبصار الناس.

ويلتقي الجنّ مع نوع المـــلائكة الــــذين هـم نوعُ آخــرُ من العـــالـــين، غيــر نـــوع الـجن، وغير نوع الإنس، بعدّة صفات، منها ما يلي :

- (١) أنَّ أجسامهم غير ذات كتافة أرضية، فليسوا كـأجسام الأحياء المخلوقات من تراب وماء، والتي تنجلب بسببها إلى كتلة الارض.
 - (٢) أنّ أجسامَهم قادرة على التشكّل بأشكال الأحياء المخلوقة من الطين.
- (٣) أنّه قد كان باستطاعة الجنّي أن يُسْدَسُ بمتضى طبيعته مي نسوع من الملائكة، ويضّمَد السّماء مثل صعودهم، ويُعْمَل مثل أعمالهم، مع الاختلاف في أصل تكويت، وفي صفاته النفسيّة، بدليل وجود إبليس ضمن الملائكة الذين أمروا بالسجود لأم وهو من الجن.

وسبب عناصر التشابه هذه استطاع المبسى أن يندس في صفوف الملائك، ويشاركهم في عباداتهم، ويتحلّى بصفات أهل السلا الأعلى منهم، اعتقاداً منه أنّه سيستقلي بذلك إلّى نوع الملائكة المخلوقين من عنصر النور، الذي هو في تقديره أشرف من عنصر النار، وكان بمقتضى طبيعت طامعاً في أن ينال بين المملائكة المقام الأسمى، وهو يقلم أنَّ طبيعتُه مختلفة عَنْ طبيعة الملائكة السفين لا يعصون الله ما أمرهم ويقعلون ما يؤمرون. وكان إبليس يؤمن بالله زَباً خالفاً مُبدًا بكلَ عطاءات السربوبيّة، لكنّه كان كافسراً غير مؤمنٍ بتوحيد الإليها، للله عزّ وجل، وكفّرةً هو من قبيل كُفّهِ الشَّسراكِ، إذْ كان يعتقِـد بتأثير العناصر التي يتكون منها المعظوق، ويعتقد بتفاضل العناصر تفاضّلاً ذَاتياً، وقد جرَّه هذا الاعتقد إلى الكُفْر بعضَ اللهِ عزّ وجلً في ان يُكلّف مَنْ خَلَق تكليفاً مُنافِياً لِمُنا يقتضيه التفاضُل العنصري.

وبما أنه كان منذكاً في صفوف الملائكة المكرّمين، ونزَّاعاً بعوامل كِبْرِ في نفسه إلى مراتب المقرّبين من أهمل المهلا الأفكّل من المملائكة، فقـد شاء الله عزّ وجلّ أن يكشف ما في نفسه بالابتلاء، فيضعه موضع الامتحان، من خملال عقدة الكِبْرِ والكُفْرِ التي في نفسه.

فَلْمَّا تُوجَّه الأمر للملائكة بالسجود لأمم اللذي خلقه اللَّهُ من طين، وكان إيليس مندسًا فيهم، ومعتبراً نفسه واحداً منهم، وقد شعله التكليف بمقتضى الحاقه نفسه بالملائكة، واتصائه إليهم، نزعتُ نفسه بدافع الكَّبِر والكُّفْرِ بحلَّ الله عزَّ وجلَّ في إلْهَيَّه، الَّي منها طاعته في أوامره ونواهيه، فأنى أن يطبع أشرَّ ربَّه واستكبر عن أن يسجد لأدم سجود احترام له وطاعة قه عزَّ وجلَّ.

وعشد الله له عدة جلسات لمحاكمته، عنسى أن يتداجع عن كبره وكفره بحقّ الرّب الخالق في أن يكون هو الإلّـه المعبود وحده، بعلا شرك ولا شنكٌ في حكمته، ولا اعتراض على تكليف ما من تكليفاته بأوامره ونواهي.

وفي كلّ مَرْةٍ كان يُهِرُّ عَلَىٰ أَنَّ عنصره الناريُّ خير من عُنْصُرِ آدم الطَّيني، وفي هذا الإصرار تَشَيُّتُ بادَعاء افضايَّة عُنْصُر النار على عنصر الطَّين، مع أنَّ العناصر كلَّها من خلق الله، وادَّصاء إيليس مبنيُّ على وهم باطلل، جزَّة إليه الاَنْحَراد بالنظّواهــر، والإَشْرَاضُ عن حقّ الرّبَّ في وجوب طاحةِ آثرو ولو أَسْرَةُ بِالْن يَسْجُدَدُ لجسادٍ، لأنَّ السُّجُودُ لأَثْرِ الله، لا لعبادة المسجودِ له من دون الله.

فالامتحان الرّباني كشف أنّ إبليس كان من الكافرين بتوحيد الإّلَـهيّـة لله عزّ وجلّ، وبحقّ الله الربّ الخالق في الـطاعة، وكـان من المشـركين الـذين يجعلون العناصر الكونيّة ذات خصائص ذاتيّة تستدعي حقوقاً مقدَّمة على حنّ الله عزّ وجـلُ في طاعته.

وقد أبان الله عزّ وجلُ أنّ إبليس كنان من الكافىرين، أي: من تَفَرّق الجنّ، قبــل أن يَأْمُرُهُ الله بالسجود لأم، فقال تعالى في سورة (ص/٣٨ مصحف/٣٨ نزول):

﴿ مَسَمَدَ السَّلَةِ كُمُ كُلُمُم لَمَصُونَ ﴿ إِلَّا بِلِيسَ اسْتَكْبَرُ وَالْوَافِينَ الْكَنْفِينَ ۞ فَانَ يَعْلِيشُ مَاسَتَمَالُ وَسُجَدَ لِمَا خَلَقْ لِيمَا أَسْتَكَبَرَ مَا أَكُنَ مِنْ الْعَالِينَ ﴿ فَالْمَالُونَ مُ مِنْظُرٍ وَخَلَقَتُمُ مِن طِينِ ۞ فَالَ ظَلْمَ عِنْهِ فَإِنَّكَ مَرِيمٌ ۞ وَإِنَّ مَلِكُ لَعَنْقِ إِلَى تَوْمِ النَّذِي ۞ ﴾.

وَقَالُ تَعَالَى في سورة (البقرة/٢ مصحف/٨٧ نزول):

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَائِكُمْوِ الْسَجُمُدُوا ۚ لِآدَمَ مُسَجَدُوا إِلَّا إِلْلِيسَ أَنْ وَاسْتَكْثَرَوْقَانَ مِنَ ٱلكَنْفِيمِينَ ۞﴾.

ظُرَد الله إليبس من منازل أهل العالم الأعلى من الصلائكة، ولغنة لعنا إلى يوم المدين، وأدخل آدم المدين، عدومة ألم يوم المدين، وقد ألم ألم وروم المدين، وأدخل آدم وزوجه الجنة إذخال امتحان وابتلاء، لا إذخال جزاء وبقاء، وفي ابتلائهما نهاهما الله عن الأخلا من شجَرة عليها، هما وذرّياتهما، الإخراج من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض، ليقامها رحلة الابتلاء عليها، هما وذرّياتهما، فمن آمن وصلح كوفيء بالمدخول إلى دار النميم الجنة دخول جزاء وخلود، ومن كفر وأتى أن يستجب لأوامر الله ونواهيه، وجعد حق الله عليه كان من أصحاب العذاب الخالد في دار العذاب، المقابلة لمدار النميم، دخول جزاء وخلود، ومن أمن وعصى استحق من العذاب بالعذاب المتحق من العذاب بالعذاب المداب.

وحذَّر الله آدم وزوجه من إيلس ووساوسه ودسائسه، وأبيان لهما أنَّه لهما عكُّوً مين، وأبان لهما أنّه سيسعى لإغوائهما وإغرائهما بمعصية الله، بغية إخراجهما من الجنة. وحمل إبليس في نفسه العدارة الشديدة لأمم وزوجه وقُرْيَاتهما، واتسَلَّاتُ نفسه حقداً عليهما، وقرار أن يُسْفَى جَهْدَه لإغراقهما، حتى بعصيا رَيْهما، فيخرجهما الله من الجَدِّ، وأنَّ يسْفَىٰ بعد ذَلِكَ هُو وجُنُونُه لإغراء فَرْيَاتِهِ حَثَىٰ بكونوا من أهل الناو.

ومكّنهُ الله من الوسيوسة والتسمويل، ولم يُجْمَلُ له سلطاناً على إرادات الناس، ولا قدراتِ جبريّة، وكان التمكين من الـوسوسة لإيجاد السّوازن في ابتـلاء الإرادات الحرّة.

وسَبْر إيليسُ ما يمكنه من جيّل يتخـذها لـلإغراء والإغـواء، فوجـد وسيلة النفاق هي السّلاح الأقوى، فقرُّر أن يركب مركب النفاق.

فلبس قناع الناصع الامين، واخذ يغري أدم وزوجه بأنَّ يَأْكُلا مِنَ الشجوة التي نهاهما الله عن أن يأكلا منها في الجنّه واستشار فيهما البرغية في أن يكونا ملكنّين نبورائيّين، أو يكونا في الجنّه من الخالدين، وقال لهما: ما نهاكما رُبُّكُما عَنْ هافِه الشُّمَرَة، إلاَّ أَنْ تَكُونًا مُلْكُينَ أَوْ تكوناً مِن الْخَالِدين، وأقَسَمُ لَهُمَا بِالاَيمان المعلَّقَة أَنْهُ لَهُمَّا لمن الناصحين، وما زال يُدْلِّها إلى بئر المعصبة بتغرير قدراً فقدواً، حَمَّى جعلهما يأكلان من الشجرة المحرّمة، فكان السبب في إخراجهما من الجنّة.

ولمًا حاكمهما الله على معصيتهما اعترفا بالذنب، وسألاه المغفرة والرَّحمة. قال الله عزّ وجلٌ في سورة (الأعراف/٧ مصحف/٣٩ نزول):

منافقون قبل بعثة محمد ﷺ

ومُهَرَ إِبْلِيسٌ اسْلُوبُ النّفاق، فسمَىٰ هُوَ رَجُنُودُهُ لاِبِسِينَ اقْنَمَة النّفاق لإغْرَاء وإغْواء بَنِي آدم، بُغَيّة صَدَّهم وإِنْعَابِهم عن صِرَاط الله المستقيم، عمداوةً وكيداً، حُتَّى يكونوا منْ الحل النار.

وجنود إيليس هم شباطين الجنّ والإنس. وكان الفاق أخمطر الطرق التي عمرفها الخلق في عالم الأحياء ذوي الإرادات الحرّة، وهو أسلوب الشياطين الأعظم لـلإفساد والتضليل والإغواء.

...

المقولة الثانية

المنافق اليهودي بولس «شاول ــ قبل أن يتنصر» وتحريفه الديانة النصرانية

من الذين احتُلوا مركزاً فياديًا خطيراً في الديانة النصرانية رجل اسمه دبولس. وكان اسمه قبل أن ينتصر دشاول.

إِنَّ فَصَته في النصرائية قصَّةً عجيبة غريبة، فهر صاحب الشأن الخطير في تحريف الديانة النصرائية عن أصولها الربَّائيّة الصحيحة التي أنزلها الله على عيسى عليه السلام.

كان في أوّل عهده من كبار أعداء النصارى الذين أمنوا بعيسى وصدّقـــوه وأتبعوه. حُمّى كان من أشدّ من أنزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب. بسلطان الدولة الرومانية التي كان يعمل فيها، وسلطان كبار الكهنة من اليهود في أورُشليم.

فقد جاء في رسالته إلى أهل غلاطِيُّة (الإصحاح الأول) ما يلي:

(٣) فَأَنْكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَى قِبلاً فِي الدّيانة اليهودية أَنِي كُنْتُ اضْطَهِدُ كَنِيسَةَ الله بافراط وأَنْلِفُهُ (١٤) وكُنْتُ أَنْقَدُمْ فِي الدّيانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنبي إذْ كُنتُ أَوْفَ ظَيْرَةً فِي تَقْلِدَاتِ آبائي).

وجاء في الإصحاح الثامن من أعمال الرسل ما يلي:

[١/) وحَدَثَ في قَلِكَ النَّوْمِ اصْعِلْهَادَ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي في اوْرُشَلِيمَ فَتَشَشَّتُ الْجَدِيمُ في كُورِ النَّهُوويَّةِ والسَّعْبِرَةِ مَا عَدَا الرَّشُلُ (٢) وحَمَلُ رِجَالً الْقَيْمَا إِسْتِقَانُونَ وَعَبِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمةً (٣) وَأَمَّا شَاولُ فَكَانَ يَسْطُوعَلَى الكَنِيسَةِ وهُو يَنْخُلُ النَّيْرَتَ وَنَجُرُ رِجَالًا وَيَسَاهُ وَيُسْلَعُهُمْ إلَى السَّجْنِ). وجاء في الإصحاح السادس والعشرين منه ما يلي حكايةً عنه:

(٩) قَانَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْيِي آنَهُ بَيْنِي انْ أَسْنَعُ أَمُوراً كِيْرَةً مُضَافَةً لاسم يُسُوعُ السَّاعِ أَمُوراً كِيْرَةً مُضَافَةً لاسم يُسُوعُ السَّاعِيرِيِّ (١٠) وفعلتُ ذلك إيضاً في الورْشَلِيم فَنْبَيْتُ فِي سُجُسُونِ كَيْسِونِ مِنْ الْفَجْنِينِينَ آخذاً السَّلْطَانُ مِنْ قِبَل رُوسًا، الْكَفْنَةِ. ولما كاثُوا يُقْتَلُونَ الْقَتْبُ قُرْمَةً بِلَذٰكِ (١٠) وفي كُل المجلوع كَنْ أَعَائِيمُمْ مِرَاداً كَيْرةً واصطرهم إلى التجديف. وإذْ الْفَرطَ خَتِينَ طَلِهِمْ كُنْ الْمُرْهُم إلى العدنِ التي في الخارج].

وكمان وبولس = شـــاول. يهوديًــاً طرطــوسـيًّا من الفـرّيــــيّــن وهو لـم يَـرَ عيسى علــه السّــلام، ولا سمعه يدعو الناسُ ويُشِرُ بدين الله، مع أنّه قد أدرك زمانه.

وكان بحمل الرعوية (= البنسية) الرومانية، إذّ كان مولوداً فيها، في حمن أنّ اكتسابها كان صَمَّاً، وكان يَنْذُلُ طالبو اكتسابها أموالاً كثيرة للحصول عليها، واستضاد من هذه الرّعويّة واستَغَلَّها في التُسلَط وفي حماية نفسه، من خصومه في اليهوديّة طائفةٍ والصَّدُوقِيْنِ\! الممارضة لطائفة والفرّيسيّنِين؟!.

جله في الإصحاح الثاني والعشرين من أعممال الرسل في معرض الحديث عن بولس ما يلي:

⁽١) الشَّمْوَقِون: طاقة يهودية متلائية الآن. كانت لا تؤمن يقامة الاموات من القبور. ولا تؤمن بالحباة الأبدية للبشر بالقراهم والمتخاصهم كما كانتوا في الدنيا. وتوفض النواب والعقاب في الأخرة، وتذكر وسود المعلاكة والشياطين. وتتكر النضاء والقدر وكتابة أعمال الناس في اللّوح العضوط قبل وقوعها. ويعتقد أنّ الإنسان خيال أفعال نفسه. وتؤمن بقدسية العهد القديم ولا تؤمن بالطعود. وكانوا يقولون: إنّ عزيراً ابن الله، وكان الصدّوقيون موجودين في اليس قبل الإسلام.

⁽٣) القُريسيون: هم إحدى طائفين ديئين كبيرتين للهود، كانتا ذواتي نساني في العهد العسيحي الأول، وقد ظهر الفريسيات المجلس الشعب الهمودي من الأول، وقد ظهر الشعب الهمودي من طبقات السلوفين. وامتاز الفريسيون بحرصهم الشديد على التعليم الهمودية شفرية كانت أو مكوية، وبحرصهم على تخليص علمه التعاليم من الشوئب والمدع الدخيلة، فأحدشوا حركة فكرية كان لها أثرها في حياة الشعب الهمودي عامة، وفي نزعته الدينية برجه خاص.

(٢٥٦) فَلَمُسَا مَدُّمُو لَلْسُبَاطِ فَانَ بِمُولِّسُ لِقَائِدِ الْمِنْةِ الْمُواقِيْقِ اَلْجَسُورُ لَكُمُ أَنْ تَخْطِلُو إِنْسَانَا رُومَانِيَّا غَيْرَ مَفْصِيَّ عَلَيْهِ (٢٧) فَإِذْ سَنِعَ فَابِلاً: الْمُشَارِّ مَاذَا أَنْفَ مُرْمِعَ أَنْ فَمَنَى الأَنْ هَذَا الرَّجْلِ رُومِانِي (٧٧) فَيَجَدُ الأَجِيْرُ وَقَال لَهُ: قُلْ لِي أَنْفَ رُومَانِيَّ. فَقَالَ نَمَم (٨٧) فَأَجَابُ الأَجِيرُ آمَا النَّ فَيَمْلُخِ جَهِيرٍ اقْتَنَبُّ مَلِهِ الرَّحُولِيَّةً. فَقَالْ بُمُولُسُ آمَا النَّ فَقَدْ وَلِمُلْتُ فِيها (٢٧) وَللْوَقِبِ تَنْجَى عَنْمُ اللَّينَ كَالُتُوا مُرْجِمِن أَنْ يَفْحَصُوهُ وَاخْتَفَى الْجَبِرُ لَمَا عَلِمَ أَنْهُ وَوَائِي وَلِأَنَّهِ قَدْ قَلْمُدُ

(٣٠) وفي الْغَدِ إِذْ كَانَ يُربِدُ أَنْ يُعْلَمُ الْيَقِينَ لِمُساذَا يَشْتَكِي الْيَهُودُ غَلَيْهِ خَلَّهُ مِنَ الرَّبَاطِ وَأَمْرِ أَنْ يَحْضُرُ رُوْسَاءُ النَّهَنَةِ وَكُلُّ مُجْمَعِهِمْ فَأَخَذَ يُولُسُ وَأَقَامُهُ لَدَيْهِمْ].

الإصحاح الثالث والعشرون

(١) فَعَرْسُ بُولُسُ فِي الْمُجْمَعِ رقال أَلَها الرجال الإَخْرَة إِنَّى بَكُلُ ضَمِيرِ صَالِحِ فَقَدَ مِنْ مَنْهُ أَنْ يَضْرَبُوهُ فَقَدَ جَسْتُ لِلَّهِ إِلَى هَذَا السِمِ (٢) فَالْمَرْ حَالَيْهَا رَفِيلُ الْحَمَايَةِ الْمُرْافِينَ عَنْهُ أَنْ يَضْرَبُونَ اللَّهُ أَيْهَا الْسَائِقُونَ . أَفَأَتْ جَالِسُ تَعْجُمُ عَلَى خَسَبُ النَّمُوسِ والنَّتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخْلِفًا للنَّمُوسِ (٤) فَقَالَ النَّوالْقُونَ تَعْجُمُ عَلَى خَسْبُ النَّمُوسِ والنَّه لَوْلُمُ لَمْ أَكُنْ أَهْرِفُ أَيْهَا الإَخْرَةُ أَلْهُ رَيْسُ كَهَٰتَةٍ لِأَنْهُ مَكُونَ وَيُسْ مُخْلِفً لِلْهُ وَيَسْلُ مَعْجُولُونَ أَمْرِفُ أَيْهَا الإَخْرَةُ أَلْهُ رَيْسُ كَهَٰتَةٍ لِأَنْهُ مَعْجُولُ رَئِيسٌ مُخْلِقًا لِلْمُولِقُ إِلَيْسُ مَعْلِكُ لِلللّٰ فَي اللّٰمُ اللّٰ اللّٰهُ اللّٰمِنْ اللّٰهُ وَيَسْلُ مَعْلَمٌ لِلللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰهُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ الللّٰمُ اللّٰمُ الللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمُ ال

(٦) ولشا علم بركس أن بشما بئهم صدّويدن والخفر فترسيدن صرحَ في المنجرة الرئيسة ون صرحَ في المنجمع أليه الرئيسة الإخوة أنا فريسي إلى فريسي. على زجاء بجامنه الاثواب أنا أخام (٧) ولشا فال مدفا حذف مازعة بين الفريسين والمشدويين والشفه المجمداعة (٨) لأن المشدويين يقولون إنه ليس قيامة ولا مدلال ولا روح. وأنم الفريسين في تجرف يكسل ذلك (٩) فحدث صياح عظيم ونهض كتنة فيسم الفريسين وعليفوا يحاصمون غيليم المنا الإنسان. وإن كنان روح أن مذلك فحد كلمته فلا تخارين الله على المذلك فحد كلمته فلا تخارين الله].

قِصَّةُ دُخولِهِ في النصرانيَة

(١) قال ابن حزم في كتابه (الْفِصَل) في مَعْرِض الحديث عن أحبار اليهود:

وويسا مُسِمَّنا عَلَمَاءُهُمْ يَلْكُرُونَهُ وَلاَ يَتَنَاكُونَهُ مَنْسُ, أَنَّ احْبَارَهُمُ النَّذِينَ أَخَلُوا عَنْهُم بِيَهُمْ والتوراةَ وَتُسَبِّ الانبياء عَلَيْهِمُ السلام اتَّقَفُوا على أَنَّ رَضُواً بُولَسَ النَّبِاسيف لـ لعنه الله _ واترُّوهُ بِالظهار وين عيسَىٰ عليه السلام، وأنَّ يَفِيسُ أَتَبَاعُهُ، ويُلْجَلُهُمْ إلَى الْفَوْلِ بِاللّهِيْسِةِ، وقالوا له: نَحْنُ نعحمُسُلُ إِنْسَكَ فِي صَلّه، والْغَ مِن ذَلِكَ حَيْثُ قَلْ غَلَمُونَا؟

(۲) من الشابت لدى النصارى وكل الباحثين أنه بعد أنْ رفع الله عيسى عليه السّلامُ إليه بمدّة من النومن أغلن وبولس = شماؤله وخولَـهُ في النصرائية بشكل مُفاجىء، واحاط وخولةُ فيها باذعاءات غربية جَزْتُ له، ومُضاهداتٍ رُوحةِ خاصَّةٍ، ادْعَىٰ فيها أنْ يَشُوعُ هَبَطُ عَلَمْ بنُورِهِ النّاهِر، عِنْدَمَا كَانْ قَادِماً إلى وَمَشْقَ وَفْرِيماً بنّهًا، وقَالَ له: إِمَادَا تَصْطَهَدُسُعُ؟.

فقال له وبُولُس = شاول، وهُوْ مُرْتَعِدُ ومُتَحَيِّرُ: يَا رَبُّ مَاذَا نُرِيدُ أَنْ أَفْعَلُ؟ فقال له: وتُمْمَ، والدُّحُل الْمَدِينَةَ فَيْقَالُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُ.

ويَعْدَ أَنْ قَامَهُ رِفَاقَهُ إِنَى دِمَشْقَ وَاسْتَقَرُ فِيهَا، أَنَاهُ خَنَائِنَا، وَكَانَ هَمَذَا رَجُمَلًا مَشْهُودًا لَهُ بِالنَّقُوٰىَ مِنْ جَمِيعِ النَّهُودِ السُّكُانِ نَصَا يَذْكُو المُولِّسُ، فَأَنْجَرَهُ بِأَنَّ اللَّهُ قَدِ اخْنَارُهُ لِيُمُلِّمُ اللّذِينَ ويُكَزِّزُ بالنَّمْسِيحَيَّة، أي: يَعِظَ بِها، ويَذْعُو النَّاسُ إليها.

ويُلاخِطُ أَنَّ خَنَائِيمًا هَنَدَا رَجُلُ يُهُمُورِيمَّ، فَرَائِطُ مَا زَعْمَهُ وبولس، منْ مشاهداتٍ رُوحِيَّةٍ بَتَطْهِمَاتٍ يُوجِهُهَا لَهُ خَنَائِنا الْحَيْزِ اليهودي يُشْعِرُ بَانَ فَضَتَهُ مُؤَامَرَةً يَهُورِيَّةً مَشْبُرَةً، كما ذكر ابن حزم، فَقُلماتُ يُهُورِ الأَنْذَلَسِ يَشْرُفونِها وَيَشَاوَلُونَها فِيما بَيْنَهِم، ويَذْكُرُونَ أَنُّ فَقَنَة الْخَبَارِهِمْ هُمَّ الَّذِينَ رَضْوًا وَبُولس = شاوًانه لَكُنِّ بِدَصْلَ فِي التصوافِيّة، ويُفْسِدُ

 ⁽١) انظر كتاب دالفيصل في المبلل والأهواء والنحل، لابن حوم الانتدلسي الجزء الأول ص (٣٣١)
 نشر مكتبة الخانجي بمصر.

عقائِدُ أَتبَاعِ عِينَىٰ عليه السلام، بفكْرَةِ تَأْلِيهِهِ، وجعله ابْنَأُ لَلَّهِ، ويُخَرَّبُ الدَّيانـة التي أنزلها الله على عيس.

(٣) وقد أقى دولّر، الخطر دَوْر نفاق صنّعه منافق في تاريخ الناس، إذ استطاع بادّحاداته مع أنصاره اليهود المنافقين في النصرائية أنْ يجْعَلُوا مَا وضعه دولوس، هو دين النصرائية أنْ يجْعَلُوا مَا وضعه دولوس، هو دين النصرائية ألّذي أفرّته الدولة الروسائية فيما بعد، لا منا أنزل الله على عيسى عليه السلام.

(٤) جاء في الإصحاح التاسع من أعمال الرسل ما يلي:

[(١) أَمَّا شَاوُل فَكَمَانَ لَمْ يَزَلُ يُنْفُتُ تَهَـنُّداً وَقَتْلًا عَلَىٰ نَـلَامِيذِ السَّرْبُ. فتقدُّمْ إلَىٰ رَثِيسِ الكُهَانِةِ (٢) وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَىٰ دِمَشَقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ حَتَّىٰ إِذَا وَجُدَ أَنَاساً في الطُّريُّنَ رِجَالًا أَوْبَسَاءً يَسُوقُهُمْ مُـوثَقِينَ إِلَىٰ أُورُشَلِيمَ (٣) وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ انُّـهُ أَقْتَرَبَ إِلَىٰ دِمَشَّقَ فَبَغْنَةٌ أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّماءِ (٤) فَسَقَطَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْنَأَ قَائِلًا لَّهُ شَاوُلُ شَاوُلُ لِنَاذَا تَصْطَهَدُني (٥) فَقَالَ مَنْ أَنْتَ بِا مَنِّيدُ. . فَقَالَ الرَّبُّ أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاجِس (١) فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيَّرُ يَا رَبُّ مَاذَا تُريدُ أَنْ أَفْعَلَ. فقالَ لَهُ الـرُّبُّ قُمْ وادْخلِ الْمَـدِينَة فَقِصَالُ لَكَ مَـاذَا يُنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ (٧) وأَمَا الرَّجالُ الْمُسَافِـرُونَ مَعْهُ فَـوْفَقُوا صَـامِتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّـوْتِ وَلاَ يُنْظُرُونَ احـداً (٨) فَنَهَض شَـاوُلُ عَن الْأَرْض وَكَانَ وهُـوَ مَفْتُوحُ العينَيْنَ لَا يُبْصِـرُ أَحَداً فَـاقْتَادُوهُ بيلبو وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ (٩) وَكَانَ ثَلَاتُهُ أَيَّامٍ لاَ يُبْصِرُ فَلَمْ يَأْكُلُ وَلَمْ يَشْرَبْ. (١٠) وَكَـانَ فِي مِمَشْقَ تَلْمِيلَدُ اسْمُهُ حَسَائِيا فَقَالَ لَهُ الرُّبُّ فِي رُؤْنِنَا يَا خَنَائِينًا. فَقَالَ هَنَأَنَذَا يَا رَبُّ (١١) فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ قُمَّ وادُّهُمْ إِلَى الزُّقَاقِ الَّذِي يقال له المُسْتَقِيمُ واطُّلُبْ فِي بَيْتِ يْهُ وَدَا رَجُلًا طَرْسُوسِيّاً السَّمَّةُ شَاوُل. لَأَنَّهُ هُـوَذَا يُصَلِّى (١٢) وَقَدْ رَاىٰ فِي رُوْيَا رَجُلًا السُّمُّهُ خَالِيًّا دَاخِلًا وَوَاضِعاً يَدَهُ عَلَيْهِ لِكَى يُبْصِرْ (١٣) فَأَجَابَ حَنَانِيًّا يُـا رَبُّ فَلْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هَنَذَا الرُّجُلِ كُمُّ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي ٱورُشْلِيمُ (١٤) وَهَـهُمَا لَهُ سُلْطَانُ مِنْ قِبِلِ رُوْسًاءِ الكَهَنَةِ أَنْ بُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ باسْمِكَ (١٥) فقالَ لَهُ الرُّبُّ اذْهَبُ لِأَنَّ هَنَذَا لِي إِنَّاءُ مُخْتَارُ لِيُحْمِلَ السَّمِي أَمَامُ أَمَّم وَمُلُوكٍ وَيَنِي إِسْرَائِسل (١٦) لَأَنَّى سَأْرِيهِ كُمُّ يَنْبَغِي انْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ السَّمِي (١٧) فَمَضَى حَنَاتِيًّا وَفَخَلَ الْبَيْتَ

أقسول:

يلاحظ في هذا النص بيان أنَّ الرجال المسافرين مع بولس وقفوا صامتين يَسْمُونَ الصُّوْتِ ولا يَنظُرونَ أحداً.

بينما جاء في الإصحاح السادس والعشرين ما ينصُّ على أنهم سقطوا جميعاً على الأرض ففيه:

(١٣) وَلَمُّ كُنْتُ وَامِياً فِي ذَلِكَ إِلَى مِنْتَقَ بِسْلَقْنَاهِ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُوِّسَاءِ الْتَحْفَة (١٣) وَأَلِّتُ فِي يَصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ إَلَيْنا النَمِلُكُ تُوراً مِنْ السَّمَاءِ أَفْضَلُ مِنْ لَمَنَاهِ الشَّمْسِ قَدْ أَيْرَفَ حَوْلِي وَحَوْلَ الدَّامِينِ مَنِي (١٤) فَلَّسَا شَفَطَنا جَمِيتَنَا عَلَى الأَرْضِ. سَمِتُ صَرْوًا يُحَلِّقُونَ وَيَقُولُ بِاللَّفَةِ الْمِيزَائِينَةُ شَاوُلُ ضَاوُل لِمَاذًا تَضْفَهُمْنَى. صَعْبَ عَلَيْفَةً أَنْ مَنْ أَلْتَ يَا سَيَد فَقَالَ أَنَا مَنْ أَلْتُ يَا سَيَد فَقَالَ أَنَا مَنْ أَلْتُ يَا سَيَد فَقَالَ أَنَا مَنْ أَلْتُ يَا سَيَد فَقَالَ أَنَا مِنْ أَلْتُ يَا سَيْد فَقَالِيهُمْ.

فَالَّذِينَ كَانُوا مُفَهُ سَقَطُوا جَمِيعاً عَلَىٰ الأرض على خلاف ما جناء في النصّ السابق من أنَّهُمْ وَقَفُوا صَامِتِين يُسْمَعُونَ الصُّوْتُ وَلاَ يُنْظُرُونَ.

ويُلاحظ أيضاً أنْ مَا جاءَ في الإصحاح التاسع ينصُّ على أن الذين كانوا معه قد سمعوا الصوت ولا ينظرون أحداً، بينما جاء في النص الذي في الإصحاح الثاني والعشرين الآي أنَّ الذينَّ كانوا معه نظرُوا النور وارتموا ولكنَّهم لم يُسمَّمُوا صوت الذي كلَّمَّ (نظر رقم (4) منه).

فما هذه المتناقضات.

 (٥) ما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من أعمال الرسل في مَعْرِض الكلام عن دبولس = شاول، فَهُو يُحدَث عن نفسه فيقول:

(٣) أَنَا رَجُلُ بَهُودِيَ وُلِنَتُ فِي طَرْسُوسَ كِلِيكِمُّ، ولَكِنْ ربيتُ في هذه الْمَدِينَة مُودِياً فِيدَة فَرَداً لِلْهِ تَعَا أَنَّمُ مَرِيعًا فِيدًا فَيَدَ فَجَدُواً لِلْهِ تَعَا أَنَّمُ مَجْدُهُ اللَّهِ فِي مَا لَكُمْ وَسِ الْأَبِيقِ، وكُنْتُ غَيْرُواً لِلْهِ تَعَا أَنَّمُ جَيِيمُكُمُ الْيَوْمَ مَقْدِا اللَّونِيقَ حَمَّ الْمُنْوِنَ مَقِيدًا وَمُسلَّماً إِلَى السَّجُونِ يَجْدُهُ وَنِجْمِيعُ المَسْيَحَةِ الْبَينَ إِلَّا أَمَا اللَّهِ وَمَا أَنْهُ وَنَجْمِيعُ المَسْيحَةِ الْبَينَ إِلَّا أَصَلَّمُ المُعْمِدِينَ الْمُعْدِقِ إِلَى بَعْشَوْ وَمَلْكُ عَلَى اللَّهُونِ يَعْدَلُوا اللَّهِ فَيَا اللَّهِ فَيَا اللَّهِ فَيْ اللَّهِ فَيْ اللَّهِ فَيَا اللَّهِ فَيَا اللَّهِ فَيْ اللَّهِ فَيْ اللَّهُ وَنَجْمِعُ اللَّهُ وَيَعْمَلُوا اللَّهِ فَيْ اللَّهُ وَيَعْمِ اللَّهُ وَيَعْمَعُ لِللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَ

أقسول:

يُلاحظُ في هذه الحادِثَةِ المصطنعة ثُغَرَتَانِ:

الأولى: أنَّ النبور الذي ظَهَرَ رُبُّهَا كَمَانَ خَائِثَةً بَرْقِ اسْتَغَلَّهَا وبولس = شــاول.» إذْ كان يترشُدُ أنَّ يظهر لَمُمَّ بَرْقِ حَنَّى يستَغِلُهُ، بدليل مَا جاء في روايته أنَّ الــذين كانــوا معه قد رأوا النــور، لكنَّهُمْ لم يَسْمَعُوا صَوْتَ مِنْ كَلَفَهُ.

الثانية: أنَّ النوز الذي بَهَرَ عَنِيَّهُ قَدْ غَلَمَى عَلَى بَصْرِهِ وَحَدَّهُ دُونَ أَنْ يُؤَلِّرُ عَلَى الذين كانُوا معه، ومن المعلوم أنَّ الـذين يَتَلَقُّونَ وَحَيا أَوْ الْهَامَـاتِ غَيينُهُ يَكُونُونَ صَادَةً اقدوى من غيرهم علَى تَحَمُّلُ وارداتِ الانواو والقوى الـروحية الغبيبَة من غيرهم، لا أضعف من غيرهم.

ويتابع وبولس = شاول، كما جاء في هذا الإصحاح فيقول:

[(١٢) ثُمَّ إِنَّ خَنَائِيًّا رَجُلًا تَفِيًّا خَسَبَ النَّامُوسِ وَمَشْهُوذًا لَهُ مِنْ جَبِيعِ الْيَهُودِ

الشُكَّانِ (١٣) أَنَى إلَيْ وَوَقَفَ وَقَالَ لِي أَلِيهَا الأَخُ شَاوُلُ أَلِهِمْرُ. فَهِي بِلَكَ السَّاعَةِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ (٤) فَقَالَ إِلَّهُ آلِبَاتِنا الشَّخَيَكَ لِتَعْلَمُ مَنْسِتَةً وَتُنْصِيرَ أَلِبَالُ وَنَسْمَعَ صَوْقاً مِنْ فَجِهِ (١٥) الأَشْكَ مَنْكُونُ لَمُ شَاهِدَةً لِخَمِيعِ النَّاسِ بِمَنا زَلِّتَ وَسَمِقَتْ (١٦) والأنْ لِمَنافًا تَوَافَى مُنْ مَاعْمَيْدً وَاقْبِلُ خَطَائِكُ فَاحِياً بِالْمِ الزُّبِّ.

أقسول:

اليس عجياً أذ مخالياه الرجل البهوي الغني حسب الناموس، والمشهود له من جميع البهود الشكان، هو الذي يأتي إليزيل الفشارة غل بقير ومولى، وهو الدي يقول إنه آبائنا انتخبال إنقام غييته، ويُنهم البائر، وتُشنع صُروًا بل فيه، وهُو الدي يائرة بال يُفهض بشرعة وَلدَّهو بالمم الرب النبيع عيس، إنّ كون وخاليا، تقباً حسب الناموس ومشهوداً له بالتقوى من جميع البهود يدلُّ على أنه يهودي، وليس من تلاميذ عيسى كما جاه في الإصحاح الناسع.

اليس هذا دليلاً واضحاً على أنّ مولس = شباول، مُكَلَّفُ من قبل أحبار اليهود أن يدخل النصوانيّة مُنافقاً، ويكون داعياً لربوبيّة عبسى ضمن صفوف النصارى؛ بشية إنساد هذا الدين، إرضاء لعنصريه وتعصّباً ليهوديه.

ويُتابع «بولس = شاول، كما جاء في هذا الإصحاح فيقول:

(١٧) وَحَدَثُ فِي بَشَنْفَ رَجَعُتُ إِلَىٰ أُورُفَلِيهِ وَكُتْتُ أَصَلِي فِي الْهَبْكُلِ أَلَي خَصَلُتُ فِي الْهَبْكُلِ اللّهِ خَصَلْتُ فِي فَالِلَّا فِي الْهَبْكُلِ اللّهِ خَصَلْتُ فِي عَلَيْهِ (١٨) فَالِكُ فِي الْهَبْكُونُ وَاخْرَجُ عَاجِلًا مِنْ أُولَئِيلَةً لِأَيْنُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَى (١٩) فَقُلْتُ يَا رَبُّ مُمْ يَقْلُمُونُ أَلَي كُتُ أَنْهِلَ وَاللّهُ عَلَى اللّهِ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَمَا فَقُلْتُ يَا رَبُّ مُلْ مَجْدَعِ اللّهِ وَمُولُونُ إِللّهُ إِللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَمَا فَقُلْ لِي الْمُعَلِّقُونُ اللّهِ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّمُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّه

اقسول:

لَقَدْ أَفْرَكَ وبولس = شاول، أنَّ الصَّدُولَيْن في أُورَشَلِيمَ سَوف يفضحونـه باعتبـاره فَرْيسَاً ولا يتركونه يعمَلُ بين النصارى على ما يشتهي، وهو مُوجَّه وَمَدْفُوعُ من الأحبار الفرّسيّين، فاخترعَ هنذِهِ الحادثة، ليبتعد كلّياً عن أورُشَليم التي يُوجَدُ فيها صَـدَوقيَون منافسون للفرّيسيّين.

(١) وألاحظ أنه منذ دخول وبولس = شاول و في النصرانية بدأت أفكار ربوية عيس وألوهية وأنه ابن الله تدخل في التعاليم النصرانية ، ولم يكن لهذه الأقوال وجود في الإنجيل، ولا في أقوال عيسه ووارئيه وتلامينيه الذين كانوا قد تُلقُوا عينه ، وأنّ رسال بولس وتعاليمة هي التي صارت بعد فرون مرجع الديانة النصرانية الرسمية، وهذا يدلُّ على أنْ عَذَداً من المنافقين اليهود في النصرانية قد تشابُعوا واحتُلوا مواكن قيادة دينة وسياسية لترسيخ أفكار بولس التي دفعه أحيار اليهود الفريسين ليتمها في النصرانية بغية إفساد اللهن الذي جاء به رسول الله عيسى عليه السلام.

(٧) أمّا دشَّ فكرة كدين عيسَىٰ عليه السَّلامُ ابناً هَه فنجـنُـها في مُقـنَمة رسالة «بولس = شاول» إلى أهل رومية (١)، وكذلك إذّخالُ فكرة كدن بولس هو الرسول الذي سبق أن جاء الوعد به في الكتب المقدسة، فقد جاء في الإصحاح الأول منها ما يلي:

 (٨) ومُثَلَّدُ ذلك الحين نشط وبولس = شاول، بالدَّصْرَةِ إلى المسيحيّة، معلمناً أنَّ عيسَى هُو الرَّبّ، وهو الإلّه، وهو أبنَّ اهم، واستمرَ بنفاقه يُرسَخ أقدامه بيَّن النصاري، ويستضلُّ براءتهم، وصفاء قلوبهم، حَنى ضارَ النَّمَلَمُ الأوَّلَ فِي المسيحيّة، ودَاعِينُهما

 ⁽١) وسالة بولس إلى أهل رومة من الرسائل الموثرة بصحة نسبتها إلى بولس لدى المُحدّثين من طماء المسيحين المشتغلين في الوقت الحاضر بشؤون ديانتهم وأمغارهم، كمنا ذكر د: علي عبد الواحد وافي هي كتابه والأمغاز المقدّمة في الأديان السابقة الإسلام، صن (١١٧).

الشَّيطِ، واخط يَشْطُر ألَّهُ يَتَلَقَى الشَّعَالِيمُ الْمَسِيحِيَّةُ الْهَامَا، ويسْتُرُ بَصِّهِ اللَّعْوَىُ مَا يَطْلَمُهُ النَّاسُ عَنَّهُ مَن أَنَّهُ لَم يَكُنُ مِن تلاميلِهِ السبيح ، ولم يجتمع به، ولم يَسْمَنُعُ منه، بـل كان يضطهد تلاميذه وأتباعه.

وفتح لنفسه بأتَّذُونِهِ تُحزِّيه يتلقَّى تعاليم الدين إلهاماً مجال النلائب بالدين، والتُحرِيفِ فيه وفق مخطَط بَهُروي مُعادِ لكلَّ ما ليس بيهودي، ولمو كان مُنتَرَّلاً من عند الله عزَّروجل، ويؤمنون بأنَّه حقَّ من عندالله.

ومع فرح اتباع عيسى وتلاميذه بنتصر بولس إلاً أنَّ بعضهم شكَّ في أمــره لولا أنّ دافع عنه برنابا، ثم تنكروا له ولم يبق معه إلاّ تلميذه لوقا وتلميذه مرقس.

(٩) وصار هذا الرجل اليهودي في تاريخ المسيحية أحد الرُسُل السبعين الذين ترل عليهم روح الفدس في اعتصاد النصارى بشذ رضع المسيحية ، وأَلَهمُسوا بالتبشير بالمسيحية ، كما أَلَهمُوا مبادئها ، ويُسمَّي النصارى هؤلاء السبعين رُسُلاً ، أي : رُسُلاً للبشير بالمسيحية في الأقطار.

وتفاقم تأثير وبولس ≈ شاول، حتى صار معلّماً لـ ومرقص، أحمد كتاب الانساجيل الأربعة، إذّ لازمه ملازمة التلميذ لاستانه، وصبار معلّماً لـ ولموقا، أحمد كتاب الانساجيل الأربعة أيضاً.

قالوا: وكان دلوقياء التلميذ الحبيب، والبرفيق الملازم لـ دبيولس = شاول، وليس هو من أصل يهودي.

والأفكار التي أدخلها وبولس، في المسيحيّة، حمول كنون عيسى ربّماً أو إلّههاً أو ابن الله لم تكن قند عرفت في النصرائيّة قبل بنولس، ولم تكن متتشرة لمدى كلّ النصاري بعد أن أدخلها وبولس، ودعا إليها.

(١٠) وحين دخـل وبولس = شاول، في الديانة التَصوانَة مُنافقاً عاملًا على إفسادها وتحريفها من الداخل، وأحل نفسه منها بادعاءاته الكافبات محل المعلّم الأول الذي يتلقّن التعاليم مباشرةً من الرّبّ المسيح لا بن فم إنسان، أخـذ يطوف في الأقاليم يُبشّر بالمسيحيَّة التي صنعها هو افتراءً على الله، ضمن حطّة فيها دها، كبير.

قصار يُلْقى الخطب، ويُنشىء الرسائل، حتى كانت رسائله والرسائل الموضوعة

باسمه هي الرسائل التعليمية في النصرانية، بصا حوت من مبادى، اعتقادية، وشرائع عملية، يوم اعتنق وقنسطنطين، الأكبر النصرانية.

جاء في رسالة بولس الرّسول إلى أهل غلاطيّة ما يلي :

[(١) بولُسُ رَسُولُ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلا بِإِنْسَانِ بَلْ بِيسُوعَ الْمَسِيعِ وَاللَّهِ الآبِ الَّـذِي أَقَامَهُ مِنَ الأموات. . .].

وجاء فيها أيضاً:

[(١١) وأَصْرُقُكُمْ أَيُّهَا الإَخْرَةُ الإنجلِ الَّذِي بِشُرَتُ بِهِ أَنْهُ لِيَسَ بِحَسُبٍ إِنْسَانٍ (١٢) لأَنِي لَمُ الْقَلَهُ مِنْ عِنْدَ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلْمَتُهُ. بَلَ بِإعْلانِ يَشُوعَ الْمَنْبِعِ. (١٦) فَالْتُكُمُ سَبِحَتُمْ بِسِيرْيِ فَيْلاَ فِي الدِّيَانَةِ النَّهُورِيَّةِ عَلَى كَنْتُ اصْطَهِدُ كَنِيسَةُ اللَّهِ وَأَنْفُهَا (١٤) وَكُنْتُ الْفَكْرُ فِي الدَّيَانَةِ النَّهُورِيَّةِ عَلَى كِيْرِينَ مِنْ الزَّابِي فِي جِنْسِي إِذْ كُنْتُ الْوَهْرَ غُيَّةً فِي تَقْلِداتِ آبَالِي . . .].

(١١) واستمر المنافقون من اليهود في النصرائية يُشِتُونَ أفكار وبولس، فيها، حَى صارت هي الدين الرسميُّ العامَّ الذي تبناه الإمبراطور وقُنسطنطين الأول الأكبره حين اعتنق المسيحية في سنة (٣١٣م).

أشا النسبة العنظمي من المسيحيين فقد كنانوا على خمالاف العقائد التي دشهما وبولس = شاوله في النصرانية، وبتُنالهم كانوا يؤمنون بأنَّ عيسى عبد الله ورسول، لكنَّ سلطان الدولة الرومانية فرض الكاثوليكيّة التي تبتُّث ما دَشْه وبولس، من أفكار وعقائد.

وكان دور المنافقين في ذلك أخطر دور إفسادٍ صنعه النفاق في التاريخ البشريّ.

(۱۳) ويمالاحظ في تاريخ النصرائية أنه قيام صراع حماة وطويل بين دبمولس، وأنصاره من جهة، وأنباع عيسى عليه السملام الحقيقيين من جهة أخرى، وامتد قمروناً بعد وفاة بولس.

ففي أنصار بولس كان يُوجِدُ القليل من المتعلمين، والكثير من الجماهير الجاهلة الأميّة، لأنّ بولس وأتباعه انقنوا سياسة تجميع الجماهير بالأساليب الإغرائية.

أمّا المسيحيّون الحقيقيّـون فكان يـوجد فيهم الكثير من المتعلمين، والقليل من الجماهير الجاهلة الأميّة.

الفصل الثايت

مُنَافِقُونَ فِي عَصْرَالْرَسُولِ ﷺ وَخَبَاثِهِ فِي

وفيه:

مقدمة، ومقولتان:

المقولة الأولى: حـول طائفة من أسماء المنافقين وأحداثهم في عصــر

الرسول 璐 .

المقولة الثانية : حول طائفة من أحداث المنافقين في عصر الرسول ﷺ.

مقدّمة

قَدِمُ وسول اللہ ﷺ المدینة مهاجراً من مکة، بعد أن بنايعه سنادة المدينة الذين آمنوا وأسلموا على أن يحمنوه مما يحمنون منه نسناههم وابناههم، وذلك فيما يُشرَفُ بيعة العقبة الثانية.

وكان فدومه إلى المدينة غُصَّةً في نفوس بعض أصحاب المكانة فيها إذْ لم يؤمنوا به ولا بما جاء به عن ربّه، وغُصَّةً في نفوس أتباعهم وأنصارهم.

واضطر بعض هؤلاء أن يشافق الرسول والمسلمين المؤمنين، ويُعلن إسسلامه تظاهراً ونفاقاً، حينما وجد أن الأمر قد أفلت من يمده، وهو لا يملك مشاومة الرسول والمذين أمنوا به وأتبعوه، ولا مضاحتهم والاعتزال عنهم، لكنّه كنان يضمر الكفر والحقد، ويتنفي في سرّه المكر والكيد ضد الإسلام والرسول والمهاجرين مهه.

إنَّ شأن كلِّ دعوة كاسحة تؤمن بها الجماهير المنصفة وتندفع في سيلها، أن يدخل بين صفوفها منافقون كاذبون، استولى على قلوبهم الخوف والجبن، فلم يُطِنوا العداوة، وبدا لهم أن يتعاملوا مع الحدث الجديد بالرّويّة، وانتظار الفرص المواتيّة، حتى يُقلِبوا الأوضاع لصالحهم، مع ما يُصِيئونه من أتي ومشاركة للمؤمنين الصادقين من منافع، إذا تحقّقت منافع.

لكنهم إذا حزب الأمر والشدت الازمات تخاذلوا، وأطلقوا السنتهم بالأراجيف والمثبّطات، وإشاعة الاكاذيب والمفتريات، وأخذوا يُقبّلُون مختلف الصّـلاتِ العربيـة مع العدو السافر، ويجتمعون في خلوات خبيثات بيتون فيها أنواع الخيانات.

المقولة الأولى

حول طائفة من أسهاء المنافقين وأحداثهم في عصر الرسول ﷺ

(1)

رأس المنافقين في المدينة عبد الله بن أبسي بنْ سلول

* تعریف ہے:

عبد الله بن أبُسيَ بن سَلُول، رجلُ كان ذا مكانة وشرف في قـومه قبل الإسلام. وهـو من أهل يشرب (المهنينة بعد الإمسلام) ومن الخزرجيين المنسوبين إلى عوف بن الخزرج، إحدى قبيلتين عربيَّش في يشرب، هما: الاوس، والخزرج.

و وَسَلُولُهِ حِدَّةُ عبد الله، اثُّ ابيه وأُبَىِّ.

قال ابن هشام: مُلُول اسرأة من خزاصة، وهي أمَّ أَبِيَّ بن مالك بن الحارث بن عُبَّد بن مالك بن سالم بُن غُنْم بُن عَوْف بن الخزرج.

روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قعادة: أنّ رسول الله الله فيه فلم المدينة، إذْ كان عبد الله بن أبي بن سلول الدّوْقي سيّد أهلها، لا يختلف عليه في شرفه من قومه النّسان، ولم تبجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجيل غيّره من أحد الفريفين حتى جاء الإسلام، وكان قومه قد نظموا له الخرز ليترجوه، ثم يُملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسول الله في وهم على ذلك، فلمًا أنْ رأى قومَه قد أبى الإسلام ضَجَنَ، ورأى أن رسول الله في قد استليه مُلكاً، فلمًا أنْ رأى قومَه قد أبوا إلاً الإسلام ضَجَنَ، عراى أن رمول الله في فقل وصِفْن. المعوقف الأول: روى ابن إسحاق بسنـله، عن أسامـة بن زيد بن حـارثة، جِبُّ رسول الله 滋 قال:

ركب رسول الله ﴿ ، إلى سَفْد بن عَبَادَة يُعرِدُ من شَكُو (أي: مرض) أصابه، على حماد عليه إكاف ()، فوقه فليفة () فَذَكِنَّه ()، وأردنني رسول الله ﷺ خلفه، فمرً يعدُّدُ الله أنهِ أَبني، وهو في ظلَ مزاحم أُطبه ()، وحول ابن أَبني رجالً من قومه، فلما رأه رسول الله ﷺ تَنْفُمْ () من أن يجاوزه حتى ينزل. فنزل فسلم، ثم جلس قليلًا، فتلا الفرآن، ودعا إلى الله عزّ وجلّ، وذكر بالله، وخلَّر ويشر وأنفر، وهو (أي: عبد الله بن أَبني زُمُّ () لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته، قال (أي: عبد الله بن أبني): يا هَذَا، إنَّه لا أَخْسَنُ من حديثك هذا، إنْ كان حمَّا فالجلس في بيتك، فمن جادكَ لَهُ فحدَّلُهُ إيّاه، ومَنْ لَمْ يَأْبَكَ فَلاَ تَفْتُه () به، ولا تَأْتِه في مَجْلِسه بما يكوه منه .

فقال عبد الله بن رواحَةً في رجال كانوا عنـده من المسلمين: بلَىٰ، فاغْشُنَـا بِه، واثْنِنَا به في مَجَالِسِنا ودورنا وييوننا، فهو والله مما نُجبٌ، ومُمّا أكرمنا الله به وهدانا له.

فقال عبد الله بن أُبِيُّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

وقيام رسول الله ﷺ فبدخلَ علَىٰ سُعْبَدِ بن عبادة، وفي وجُهِهِ مَا قبال عبدوَ الله ابنُ أُبِيّ بِن سلول.

⁽١) الإكاف: البرذعة.

⁽٢) القطيقة: دثار له خملة.

 ⁽٣) فَذَكِية نسبة إلى افدك، بلد كانت تُصنع فيه هذه الْقُطُف.

 ⁽٤) الأطم: الحصن، وأطم عبد الله بن أبني بن سلول اسمه مزاحم.

 ⁽٥) تلقم: أي: استحيا وكره.
 (٦) زامً: أي: مستكبر رافع أنفه

 ⁽١) زام: اي: مستخبر رافع انعه
 (٧) فلا تغته په: أي: فلا تتميه ولا تؤده به.

⁹¹⁷

فقال: (أي: سعد): والله يـا رسول الله إنّي لأرى في وُجُهِكَ شيئًا، لَكَأَنَّكَ سَمِعتَ شيئًا تَكرهه.

فقال: أجل، ثمَّ أخبره بما قال أبَّنُ أَبَيٍّ.

فقال سَعْدُ بن عُبادة: يا رسول الله ارثُقَّ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنَّا لنَنْظُمُ له الْخَرَزُ لِتُنَوِّجه، وإنَّه ليمرَى أن قد سلبته مُلكاً.

. . .

الموقف الثاني: في أواخر الشهر السابع من السنة الثانية من هجوة السرسول ﷺ إلى العدينة، أي: بعد غزوة بدر الكبرى بشهر، نقض يهود بني قبنشاع⁽¹⁾ غيلاهم مح رسول الله ﷺ، وكانوا أول اليهود الذين نقضوا ما بينهم وبين الرسول من عهد.

أخذ يهود بني فينقاع يشتطون في إعلانهم المداوة للرسول معمّد ﷺ وللمؤمين المسلمين، وفي وقوفهم موافق التحدّي والتعمدي لرسالة الإسلام، وتبيت المكايد للمسلمين، وأشَى الرسول منهم على حذر شديد، وبنات يتخسوّف من خيناتهم ونقضهم المهد.

ورُوي أنَّ الرسولﷺ قال: وإنِّي أَخَافُ خيـانة بني قينقــاع، وذلك حيـنمــا أنزل الله عليه قوله في سورة (الأنفال/٨ مصحف/٨٨ نزول؛ ثاني سورة مدنية:

﴿ وَإِمَّا تَغَافَكَ مِن قَوْمٍ خِيَانَةُ فَالْبِذَ إِلَيْهِ مْ عَلَى سَوَلَهِ إِنَّ اللَّهُ لِأَيُبِ لَقَايَدِينَ ٢٠٠٠

أي: انْبَذْ إليهم عهدهم ولا تَقْـلُرْ بهم، وأشعرهم بـانّهم قد أصبحوا محاربين، حتّىٰ يكون أمرهم وأمركم على سواء لا غرر فيه ولا خيانة.

وفـد حافظ الـرسـول 黨 على عهـده معهم لم ينكث بـه، وظـلَ حـريصـاً على دعوتهم إلى الإسلام وترغيبهم فيه، حتّى كانوا هم البادئين بالشرّ ونقف العهد.

فجاء الرسول ﷺ إلى سوقهم بعد غزوة بدر، فجمعهم، ثم قال لهم:

⁽١) بنو قينقاع: بطن من النازحين إلى المدينة من اليهود.

ويا معشرَ يهودَ اخْذَرُوا من الله مثلَ ما نزل بقريش من النَّقمة، وأسْلِمُوا، فــَإِنَّكُمُّ قَدْ عَرْفَتُمْ أَنِّي نِسِيَّ مُرسُلُ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كتابكم وعَهْدِ اللّهِ إِلَيْكُمْ.

قالوا: يا مُحَمّد، إنَّكَ تَزى أنَّنا قَرْمُكَ، لا يَقُرْنُكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَرْماً لا عِلْمَ لهم بالحرب، فاصَيْتَ مَنْهُمْ فَرْصَةً، إنَّا واللّهِ لَيْنَ حارِيْنَاكَ لَتَفْلَمَنُ أَنَّا نَحْنُ النَّاسِ.

فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم قوله في سورة (آل عمران/٣ مصحف/٨٩ نزول) ثالث سورة مدنية:

﴿ وَاللَّهِ حَكُمُ السَّفَظَنُونَ وَتُعْمَرُونَ إِنَّ مَهَنَدُ وَمِنْمَ الْمِهَا فَهُ قَدَ قَدُ وَمِنْمَ الْمِها فَقَ قَدَ كَذَا وَاللَّهِ مَا اللَّهِ مَا أَوْمِ فَا مَنْ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللّالِمُواللَّالِمُواللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ واللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ولَا لَمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

وكان ما جرى من يهود بني قينقاع بدئابة الإنذار العلني، المتضمن استعمدادهم لحرب الرسول والذين آمنوا معه، والمشعر بأنهم مزمعون على نقض العهد الذي بينهم وبينه.

ثم كان من مظاهر استعدادهم لمبحاربة الرسول والذين آمنوا به، وتوقيهم الفرصة العلائمة المواتية، أنَّ امرأة من مسلمات العرب فبدَّتُ بِجَلُّكٍ لَهَا، فباعثُهُ بسوق يني فيضاع، ثم جلَّسُتُ إلى صائح يهموديٌّ في السوق، لعلَّها تربيد أن تشتري بعض المُخلِيُّ، وكانت هذه المرأة العربيَّة محجَّبةً وجُهها.

فحعل نقرٌ من يهود بني قينقاع يستهزئون بها، ويطلبون منها أن تكشف وجُّهُهـا، والمرأة تأبـي ذلك.

فَعَمْد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوبها من خلف وعقده إلى ظهرها وهي جالسة. دون أن تشعر المرأة بما فعل، فلمًا قامت انكشفت سوأتُها، فانطَلْقَتْ من اليهمود ضبّجة ضُجِكِ وسُخُرية بهذه المرأة المسلمة.

فلمًا أحسُّتِ المرأة بما فعل الصائغ بها من مكر خبيثٍ صاحت واستفاثت

بالمسلمين لشرفها المهان في سعوف الهود، فوتب رجلٌ من المسلمين على المساتغ فقتله، فشدُّتِ الههود على العسلم فقتلوه، فاستصرخ اهسل المسلم المسلمين على الههود، فغضب المسلمون، ووقع الشرَّ ينهم وبين هذا الحيَّ من الههود النازحين إلى المدينة

وكانت قبيلة بني قينقاع أول من قابلَ المسلمين بالخيانة والغدر من اليهود.

قبذ رسول الله 鐵 إليهم عهدهم، وكان ذلك على سواء بينهم وبين المسلمين، كما أمر الله .

ودعا الرسول المسلمين إلى قتالهم، فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة، وألقى الله في قلوبهم الرُّغْب، ولم يستطيعوا أن يظهروا لقتال المسلمين.

ولمّا طال عليهم الحصار نزلوا على حكم الرسـول صلوات الله عليه، وأَمْكُنَ الله نَبِيَّه منهم.

وهنا تقدّم رأس المنافقين في المدينة وعبد الله بن أُبيّ بس سلول، وكان حليفاً ليهود بني فينقاع قبل الإسلام. فقال:

هِيا مُحمَّد، أَحْسِنْ في مَوَاليُّ، إنِّي واللَّهِ الْمُرُوُّ أَخْشَىٰ الدوائرة.

أي: أحسن في حلفائي ونصرائي.

فأبطأ عليه الرسول ﷺ ولم يُجِبُّه.

فقال ابن أُنِيَّ: يَا مُحَمِّدُ أُحْسِنَّ فِي مَوَالِيُّ.

فأعرض الرسول ﷺ عنه.

فَادخل ابن أَبَيُ بَدَه في جَيْبٍ دِرْعٍ ِ رسول الله ﷺ.

نقال له الرسول: ارْسِلْنِي، وغفيبُ ﷺ حَنَّىٰ رَأَوْا لِـوَجْهِهِ ظُلْلًا (اي: سحابات من غضب).

ثم قال لابُن أُبَىِّ: ويُخَكُّ، ارْسِلْني!!

قىال أَبْنُ أَبِيَّ: لا واللَّهِ لاَ أُرْسِلُكَ حَتَّىٰ تُحْسِنَ فِي مَوَاليَّ، اربعمائة حَاسِر،

وثلاثمالة دارع، قد منصوني من الأحمر والأسـود، تُحْصِدُهم في غـداةٍ واحدة؟!. إنّي والله امرُةُ أخْشَىٰ الدوائر.

فقال له رسول الله ﷺ: هُمُّ لَكَ.

ثم اكتفى الرسول بإجلائهم عن المدينة، وكمان معظمهم يشتطون بالصياغة والتجارة، فاذن لهم بأخذ أموالهم واثقالهم وخفيف سلاحهم، فخرجوا منها إلى الشام، حتى نزلوا بالمؤرعات وأقداوا فيهما، لكنهم لم يليئوا حتى هلك أكشرهم، ونالوا جزاء خيانهم وغدرهم ومكرهم ومحاربتهم الله ورسوله، ولَفَذَاب الأخرة أشدُّ وأكبر.

* * *

الموقف الثالث: في السنة الثالثة من الهجرة، قديمت قُريشٌ مع مَنَّ جمعت من الاحبابش وقبائل الله المرسول الله الأحايش وقبائل الله المرسول الله والمسلمين معه في المدينة، ثاراً لما أصابهم في غزوة بدر الكبرى، وكان قوام جيشهم قرابة ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم شلائة آلاف بعير، ومئتا فرس، وفيهم ستمائة دارع، ولماً وصلوا نزلوا مقابل المدينة.

واستشار الرسول ﷺ المسلمين فيما دهمهم من مقدم أهل مكة لقتالهم، همل يخرجون إليهم لقتالهم، أويتقُون مُحصَّين في المدينة؟

وكان رأي الرسول وشيوخ المهاجرين والأنصار أن يقيموا في المدينة ويتحشنوا بها، فإن دخـل عليهم فيها القادمون لحربهم فاتلوهم في طـرق المـدينـــة ومن فــوق رؤوسهم، وكان الرسول يكره الخروج من المدينة لقتالهم.

وكذلك كان رأي رأس المنافض وعبد الله بن أبني بن سلوله ومعه البساعه، وقال: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا إلى عبدوً قطّ إلاً أصابُ منّا، ولا دخل علينا إلاّ أصبنا منه، فكلّف وأنّت فينا؟! فإن أقداموا أقداموا بشرّ مقام، وإنّ دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإنّ رجّعُوا رجعوا خالين.

لكنَّ رجالاً من المسلمين من الذين فاتهم شرف المشاركة في غزوة بدر قالوا: يـا رسول الله اخرج بنا إلى أعـدائنا، لا يَرُون أَنا جَبُّنًا عُهُمْ وضَعُفنا، ومــا زال هؤلاء يستحثُّون الرسول للخروج حتَّى دخيل بيته بعد صلاة الجمعة، وَلَبِسُ لأَمَنَّهُ^^، ثم خرج عليهم.

وندم الذين استحقوا الرسول على الخروج، وقالوا: اسْتَكُرَهُنا رسول الله ﷺ. ولم يكن لنا ذلك، وقالوا له حين حرج لابساً ليلس الحرب: يا رسول الله، اسْتُكَرَهُنَـاكُ ولم يكنُّ ذلكَ لنا، فإنْ شَتْتَ فاقْمَدُ صلى الله عليك.

فقال النبي ﷺ: مَا يُنْبَغِي لنبيٍّ إذا لَبِسَ لأَمَةُ أَنْ يَضَعَها حتَّى يُقَاتِلَ.

فلمًا وصَلُوا إلى مكان بين المدينة وجَيْلِ أَخْدِ السُمُّهُ والشَّوْطَ، انخفل عبدالله بن أَبِّي بن سلول وانخذل معه اصحابه، وكانوا قرابة لملامالتة وجبل، فسرجمعوا إلى العدينة، وقال عبدالله: عَلامَ نَقْلُ أَنْفُسُنَا هَهُمَّا أَيُّها الناسُ؟!

ولمَّنا رَاهُم عبد الله بن غَشَرو بن حرام يبرجعون منخَـذَلين، تبعهم وقـال لهم: با قوم، أَذَكَّرُكُمُ اللَّهُ، ألاّ تخذلوا قومكم ونبيُّكُم، عندما حضر من عُلُوكم.

فقالوا له: لو نَعْلَمُ انْكُمْ تُقاتِلُونَ لَمَا السَّلْمُناكُمْ، ولكِنَّا لا نَرى أنَّه يكونُ فتال.

فلمَّا اسْتَعْصَوْا عليه قال: أَبْعَدَكُمُ اللَّهُ أَعْدَاءَ الله، فَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيه.

وكسان عبد الله بْنُ أَبِيَ بِمِن سلول، لسه مقام يقسوسه قبسلُ أحمدٍ إذا جلسَ رسول الله ﷺ يوم الجُمْمة، وهو يخطب الناس، فيقبول: أيّها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزَكُمْ به، فانْصُروهُ وَعَزُرُوه؟؟ واسمعوا لـه وأطيعوا، ثم يجلس.

فلمًا كان منه ما كـان يوم أُحـُد، إذِ انْخَلْلُ عن الرسول 秦 بنحـو ثلث الجبش، قام يوم الجمعة ليقول كلامه الـذي كان يقـولُه قبـل أُحدٍ، فـأخذ المسلمـون بثبابـه مِن

 ⁽١) اللَّامة: لباس الحرب.

⁽٢) عزّدوه: أي : أعينوه وقوّوه وعظموه ووقّروه.

نواحيه، وقالوا له: الجلس أيْ عُدُوً الله، لسْتَ لذلك بأَهْل، وقد صَنَعْتُ ما صَنَعْتُ.

فخرج يتخطَّىٰ رقابُ الـلس وهو يقول: واللَّهِ لكانُّما قُلْتُ مُجْوِاً⁽¹⁾ أَنْ قُلْتُ أَشْدَهُ لَتْرَهِ؟

فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد، فقال: مَالَكُ؟ ويَّلُك!.

قال: قُمْتُ أَشَدُّدُ أَمْرُهُ، فوثْبَ عليَّ رجالً من أصحابه يجذبونني ويُعَنَفونني، لكانما قُلْتُ هُجْراً() أنْ قُمْتُ أَشَدُهُ أَنْرُهُ؟

قال: وَيُلْكَ، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ.

قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

**

الصوقف الرابع: لما حاصر وسول الله ﷺ يهود بني النفسير عقباباً لهم على محاولتهم اغتياله وهو مي حقيهم، جمّل وهلًا من بني عَوْفِ بن المغزرج، منهم عدو الله وصداً الله بنن المغزرج، منهم عدو الله وصداً الله بنن المؤرج، منهم عدو الله بن أثبتًا بن المبلك، ومنذ الله أن أبي قوقاء و ملسوفة، و دواجرًا، يبحثون إلى بني النفسر سراً: أن البُّنُوا، ومنظوا، عن الله عَرْجًا معكم.

فتسرَبْقُسُوا ذلك من نَصْرِهِم، فلم يَفْعَلُوا، فقسَدُف الله في قلوب بني النضير الرعب، وسالوا رسول الله أن يُجَلِيْهم ويُكُفُ عن دماتهم، على أنَّ لهم ما حملت الإيل من الأسوال، إلاَّ الحلقة (أي: السـلاح) فقبل الـرسول ﷺ ذلك منهم، وتمَّ إجلاؤهم عن العدينة.

* * *

الموقف الخامس: في سنة خمس للهجرة بلغ النبي ﷺ أنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يجمعون الجموع لحربه، فخرج إليهم في سبعمالة من أصحابه.

وسار جيش المسلمين حتَّى ذَهَمُوا بني المصطلقِ وهم غاظون عند ماءٍ لهم يُصَالُ له: «النَّرْيِسِيم».

⁽١) هُجِّراً. أي: كلاماً فبيحاً.

وأمَرُ الرسول ﷺ عُمر بن الخطاب فنادى فيهم: أنَّ قولوا: لا إلَّه إلاّ الله، تُمَنَّنُوا بها انفسكم وأموالكم، فأنواً.

فترانى الفريقان بالنبال. ثم أمر الرسول المسلمين أن يحملوا عليهم. فحملوا عليهم مقاتلين خُمَلَةً رجُّل واحد، فقتلوا منهم عشرةً وأسروا سائرهم، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة.

وبينما كان المسلمـون على العاء يستقـون، تـزاحم على العــاه أجيرً لعمر بن الخطّاب من بني غِفَار بِقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، وسِنَانُ بُرُّ وَبُرْ الْجُهْنِي، حليفٌ بني عــوفِ بن الخزرج، فـاقتلا، فصــرخ الْجُههني: يا معشــر الأنصار، وضــرُخ جَهْجَاه: يا معشر المهاجرين، واجتمع الفريقان، وكادوا يقتلون.

فبلغ الرُّسولُ ما جرى، فذهب إليهم وقال:

وأَبِدْعُونَ الجاهليَّة وأَنَا بيْنَ أَظْهِرِكُم؟ دْعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٍ.

وأوَقَدُ فَعَلُوها؟ قَدَ نافرونا (٢٠ وكناتُرون في بلادن)، والله صا اتُحدُّن وجلابيبَ قريش (٢٠ إلاّ كما قبال الأول: سمِّنْ كَلَّبِكْ بِالْكُلُك، أمّا واللهِ لَيْنَ رُجِعَتْ إلَىٰ المدينة لِيُغْرِجِنُّ الأمرُّ منها الأذَّلُ».

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم:

هذا ما فعلَّتم بالفسكم، الحُلْلُتُموهم بـالادكم، وقاسمتـمـوهم أموالكم، أمّـا والله لو أمسكتم عنهم ما بأبديكم لتحوّلوا إلى غير داركم».

 ⁽١) تَافَرُونَا: أي: فاخرونا وذادرا علينا في كثرة تفرهم.

 ⁽٣) جلابيب قريش: لقب أطلق على المهاجرين من مكة، وهو من إطلاق اللّـاس على البسيه، فالجلابيب نوع خشن من الثباب.

ونقل دزيد بن أرقم، ما ضمع إلى الموسول 繼 بعد أن انتهى من أمره مع بني الْمُهُسَكِّلِيّ، وكان عمد الرسول عُمَر بن الخطاب، فقال عمر: يا رسول الله، مُرَّ بـه عبّد بَنْ بِشُو فَلَيْقَتُكُ.

فقال الرسول: فكيف يا عُمَر إذا تبعدُث الناس أنَّ محمَّداً يُقَتَّلُ أصحاب؟!، ولكِنْ أَذَّذُ بالرَّحِيل، وذلك في ساعة لم يكن الرسول برنَجلُ فيها، فارتحلُ الناس.

وبلغ دعبد الله بن أبي بن سلول، أنّ دزيد بن ارقم، أخبر الرسولُ بما مسمع منه، فجاه إلى الرسول فحلف ل. أنّه لم يقبل الكلام الـذي نقله إليه زيـد بن أرقم، ولا تكلّم به، وقال من كان عند الرسول من الانصار من أصحابه: يا رسول الله، عسَى أن يكون النَّلاُمُ قدْ أَرْهِم في حديث، ولم يحفظ ما قال الرجل، حدّباً على عبد الله بن أُبيِّ بن سلول، ودفعاً عنه.

ثم أقبل إلى الرسول ﷺ وأُسَيَّدُ بِنُ حُضَيْرً، فحيَّاه بتحيَّة النبَوَّة، وسلَّم عليه، ثمَّ قال: يا نبيِّ الله، والله لقد رُحْتَ في ساعةٍ مُنْكَرَةٍ، مَا كُنْتَ تُرُوحٍ في مِثْلِها.

فقال له رسول الله ﷺ: وأَوْمَا بِلَغْكُ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ٥٠

قال: وأيُّ صاحب يا رسول الله؟.

قال: ٤عبدُ الله بن أبيَّ.

قال: وما قال؟

قال: ورْعَمَ أَنَّه إِنْ رَجَعَ إِلَى المدينةِ لَيُخْرِجُنُّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأذل.

فــال أسيد: فَــَاتُتَ يَا رُسُـولَ اللَّهِ، والله تُخْرِجُـهُ مِنْها إِنْ شِيْتَ، هــو والله الذليــل وأنت العزيز.

ثُمْ قال: يا رسول الله، ارْفَقْ بِه، فوالله لفذ جاء اللَّهُ بك، وإنَّ قومه لَيْسْظِمُونَ لَـهُ الخرز لِيُتَوَجوه، فإنّه لَمِرى أنْك فد استلبته ملكاً.

وجساه عبسد الله بن عبسد الله بن أبسي بين سلول إلى وسسول الله ، فقه، فقسال: يا وسول الله، إنَّه بلَغني أمَّك تُوبِدُ قَتَلَ عَبِّد الله بن أَبَسَي فيما بلغنك عنه، فإنَّ كنت لا يُكَّ فاعلاً فَشَرِّي به، فانا أحصل إليك وأسه، فواهد لفد علمت الخزوجُ ما كان لها من رجُلِ أبرُ بوالمد منّي، وإنّي أخشى أنّ تامر به غيري فيقتُله، فلا ندّعَني نفسي أنظرُ إلَى قائل عبد الله بن أبّني يمشي في النامر، فأقتُل، فأقَثل رجلًا فؤمناً بكافر، فأدخل النار.

فغال رسول الله ﷺ: «بل نترقُقُ به، ونُحْسِنُ صحبته ما بقي معناء.

فكان من أمر عبد الله بن أبـي بـن سلول بعد ذلك أنّه إذا أحدث الحدث تصدّى له قومه، فكانوا هم الذين يعانبونه، ويأخُذُونَهُ ويُضفُونَهُ.

فقــال رسول الله ﷺ للمُستر بن الخطّاب حين بلغـه ذلك من شــانهم: «كيف ترى بــا تحمّر، أمّـا والله لو تثلّتُه يوم فَلْتَ في افتله، لأَرْعِــفَتُ أَنْفُ، لو أَمَـرُتُهــا الـــوم بنتله لفتلةًم.

قال عمر: قد والله عَلِمْتُ لأَمْرُ رَسُولِ الله ﷺ أعظَمْ بركةً من أمري.

. . .

العموقف السادس: وفي غزرة بني النُّمشطان أيضاً كنانت أم المؤمنين عنائشة رضي الله عنها هي التي خرج سهمها في الفرعة أن تكون مع الرسول، حين أقوع ﷺ بين نسائه، فخرجت معه.

وكان من شأنها حين عودة الجيش إلى المدينة وكمان قريباً منها أنَّ رأى السرسول أنَّ القومَ مُجْهَدُون، قترل بهم منزلًا ليصيبوا نصيباً من الراحة، فبات بهذا المنزل بعض اللَّيل، ثمَّ أمر الرسول فنادى مناديه بالرَّحيل، فأخذ القرم يستعدون له.

قالت عائشة رضي الله عنها: وخرجت لبعض حاجتي، وفي مُحتَّقي عِقْمَدُ لمي، فيه جَزُّعُ طَفَارُ^)، فلمَّا فرغتُ انْسَلَ من عنفي ولا أدري، فلمَّا رجعت إلى السرحل ذهبت أَلْتَسَمُّهُ فِي عنفي فلم أَجِلَّهُ، وأخذ الناس في الرحيل، فرجَعْتُ إلى مكاني الذي ذهبُّ إليه، فالتمستُه حَتَّى وبعدته.

وجـاء القوم خـلافي، الذين كـانوا يُـرَحَّلُونَ لي البعير، وقـد فرغـوا من رِحُلْبُه،

 ⁽١) النَّجَرُّعُ: نوع من العقيق يعرف يخطوط متوازية مستديرة منظمة الالوان، وظَلمار على مثل وقطام مدينة ليجير بالهين.

فاخذوا الْهَوْرِج، وهم يظنّون الّتي فيه، كما كنتُ أصْنَع، فاخْتَمْلُوهُ، فشَدُّوهُ على البعير، ولَمْ مُشكّوا الّتي فيه، ثم اعداوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعْتُ إلى العسكر، وما فيه من راع ولا مجيب، قد انطلق النشر.

قالت عائشة رضي الله عنها: فتلفَفْتُ بجلبابي، ثم اضطجعتُ في مكاني. وعَرَفْتُ أن لو افْتَقِلْتُ لَرُجِعَ إليّ.

قالت: فوالله إلتي لمضطجعة إذ مَرَّ بي وصَفَرانُ بَنُ الْمُمْطُلِ السُّلْدِي، فراى سُواذ إنسان نائم، فاتاني فعرفني حين رآني، وكان قد رآني قبُل الحجاب، فاستيفظتُ باسترجاعه حين عرفني، ففتُرَّتُ وَجُهِي بجلبابي، ولله ما كَلَمْنِي كَلِنهُ، ولا سَهِمْتُ منه كلمةً غير اسْبَرُجاعه حين أناخ راحلت، فَوَجِلْي، عَلَى يَدِها، فركِبُها، فأشكَانَى يُقُودُ بي الراحلة، حَمَّى أَتِنا الجيشِ بعدما نزلوا في نَحْرِ الطهيرة، فَهَالَكَ مَنْ هَلْكَ فِي شائى.

وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كُبْرَهُ عبد الله بِّنُ أَبِيِّ بـن سلول.

قال علماء السيرة: كان صَفُوانُ بن الْمُعَطَّل على سـاقة العسكـر يلتقط في مؤخّرة الجيش ما يسقُط من متاع المسلمين، حتى يأتيهم به، ولذلك تخلّف عن الجيش.

وكسان في الجيش دعبسد الله بن أُبَسيَ بن سلوله وأس المنسافقين، فقسال بين خاصّة: والله منا نَجِّتُ منَّهُ ولاَ نَجِما بِنَها، والسلقت كلمته تُسَرِّدُه، والنخذَعُ بهما بعض العسلمين من أهل الإيمان فشاعت بينهم وذاعت.

وعُـرفَتْ مذه الشائصة بحـديث الإنك، ونـزل بسببهـا على الـرسـول وزوجته وأل أبـي بكر من البلاء والكرب شيءً عظيم، حتى نزل القرآن ببـراءتها والتشنيح على أصحاب الإنك ما نزل في سورة (النور).

...

الموقف السابع: موقف دعبد الله من أُبُيِّ بـن سلول، في غزوة تبوك.

رُوي أنَّه حرج في بدُّهِ التحرُّك هـو وجماعته وأنصارُه، وعسْكَرُوا دون معسكر الرسول عند جبل ذُباب في المدينة، أما مُعشِّكُرُ الرسول فقد كان عند ثنية الوداع. فلمًا سار الرسول 宏 ومعه جيش المسلمين، تخلُّفَ عبد الله بن أَبَيّ بـن سلول ومعه جمع من المعافقين وأهل الريب.

* *

موته:

قالوا: وهلك دابن سلول، بعند رجوع النرسول من غيزوة تبوك، وكمان موتَّنه في شهر ذي القعدة من سنة بَشْع للهجرة.

(1)

الَّجَدُّ بْنُ قيس

سيَّد بني سَلِمة من الخزرج وكان من أشرافهم

ەتغرىقايە:

جاه في السيرة النبويَّة لابن هشام أنَّ الرسول ﷺ سَال بَنِي سَلِمَّة: مَنَّ سَيُّدُكُم بَـا بَنِي سَلِمَة؟

قالوا: الْجَدُّ بُنُ قَيْسٍ ، على بُخُلِه.

نغال ﷺ: وَأَيُّ دَاءِ أَكبَرَ مِنَ الْيُخْلِءُ!، سَيَدُ بني سَلِمةَ الابيضُ الْجَمَّدُ، بِشُـرُ بن الْبَراء بن معرور.

ما کان مته من مواقف:

الصوقف الأول: كان مع الذين خرجوا مع الرسول ﷺ لاداء العمرة التي لم يؤدّها الرسول والذين كانبوا معه من العسلمين، لأنّ قريشاً منعتهم من أدائها، فقدوا وتحلّلوا من عمرتهم باعتبارهم مُحضرين.

فحين بَلَغَ الرسولﷺ أنَّ رَسُّولُهُ إلى قريش في مكة عثمـانَ بن عفَّان قد قتل، ولم يكن قد قتل فعلًا، قال:

ولا نَبْرحُ حنَّى نُنَاجِزَ القوم ۽ .

ودعا الناسَ إلى البيعة، فكانت بيعةُ الرَّصُوان، وبايـع الوسـول العسلمين فيها على أن لا يُفرُّوا.

ولم يتخلّف عن البيعة أحدٌ من المسلمين الـذين كانــوا معه إلاّ الجــدُ بن قيس، فإنّه الوحيد الذي لم يبايع.

قال جابـر بن عبد الله: والله لكـأنّي أنظر إليـه لاصفاً بـابط ناقنـه، قد ضَبّأ إليها (أي: لَصِق بها) يَشْتَرُ بها من الناس.

. . .

العوقف الثاني: بعد أنَّ أمر الرسول ﷺ المسلمين أمراً الزامناً بأن يتجهَزُوا لفتال بني الأصفر (= الروم) في غزوة تسوك، لَفي الجندُ بُنَ قِسْ، والمسلمون يتجهّـزون ويُهِيُّرِنَ مَا يلزم لهله الغزوة.

فقال الرسول ﷺ للَّجَدُّ بْنِ قَيْس: وَهَلَّ لَكَ الْفَامَ فِي جِلَادِ بنِي الْأَصْفَر؟٥.

فقال الجدّ بن قيس: يا رسول اللهِ اونَأَذَنُ لي وَلاَ تَفَنَى، فواللهِ لقد عَرْفَ قدمي أنّه ما من رجُحل بائسة عُجْباً بـالنساء مني، وإنّي أخْشَىٰ إنْ رأيْتُ نِنساء بني الأَضْفَرِ أنّ لا أَصْدَ.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وقال له: قد أَذِنْتُ لَكَ.

فأنزل الله بشأنه قوله في سورة (التوبة/٩ مصحف/١١٣ نزول):

﴿ وَمِنْهُم مَن بَكُولُ أَنْذُن لِهَ وَلاَنْفَتِينَ ۚ الآفِ الْفِشْنَفِسَتَعَلَّواً وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمُحِمِظَةً إِلَّاكِمُ فِينَ ۞ ﴾.

(4

حاطِبٌ بن أميّة بن رافع من بني ظَفَر

كان شيخاً جسيماً قد اسَنَ في جــاهايته، وكــان له أبنُ من خيــار العسلمين اسمه ويزيد بن حاطب. وقد خرج هدا الابن مع السلمين في غرزوة أحد، فأصيب حرَّى البَشَّه الجراحات، فُحيل إلى دار أهله، واجتمع إليه طائفة من رجال السلمين ونسائهم، وهو يعاني سكرات العوت.

فيجملوا يقولون له: أبْشِرُ بِهَا أَبْنَ خَاطِبِ بِاللَّجِنَّهُ ، فَانَّكَشْفُ نَفَاقَ أَبِيهِ وَحَاطَبِهِ حَيْنَةٍ، وَجَعَلَ يَشُول: أَخِلُ، جَنَّةُ وَاللّهِ مَنْ خَرْصُل، غَرَرْتُمْ وَاللّهُ هَذَا المسكينَ مَن نفسه.

وكانت الأرض التي يُرتقب أن يُدفن فيها نتبتُ نبات الْحَرْسل، ومراد حاطب أن يقول: ليس له جنّةً إلاّ هفه الأرض التي يُندفُنُ فيها، فعالَ بقولـه على أنه ينكر البعث ويوم القيامة.

(3)

الحارث بن شُوَيد بن صَامت (من الأوس) من بني حُبَيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس

جاء من اخباره أنّ الاوس والخزرج اقتتاوا في الجاهلية قتالاً شديداً، كان الظفر فيه للخزرج على الاوس، وقبل في هذه الموقعة سُونيد بن صمامت، والله الحمارث بن سُريد، وكان الذي قتله في هذه الموقعة أَشْجَلُّر بن فِيْاد البلوي واسَّمْه عبد الله.

ثم لمّا جاء الإسلام دخل الحارث بن سويد فيه سافقاً، وفي غزوة أُخدِ خرج مع المسلمين، وحين النّفتي الناس في القتال وتجدّ الحارث بن سويد غزةً من المعجلّر قاتلٍ أبيه في الجاهلية، وهو من المسلمين، فقتله بأبيه، ثم لَجق بقريش.

والمر رسول الله 壽 عُمْر بن الخطّاب بقتله إنْ هو ظفر به، إلاّ أنّه قاته، لكن جاء في سير ابن هشام أنّه قُتِل بَعْد ذلك لامر رسول الله 壽.

(0)

نُبْتَل ِ بن الحارث (من الأوس) من بَنى لَوْذان بن عَمْرو بن عَوْف

أخرج ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس قال: كان نَبّل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيستمع منه، ثمّ ينْقُلُ حديثه إلى المنافقين.

رُويَ أَنَّ السرسول ﷺ قال بشأنه: منْ أحبُّ أَنْ يَسْظُرُ إِلَى الشبطان فلينظُر إلى نُبَّلَ بُن الحارث.

كان نبتل هذا رجُلًا جسيماً أسود طويلًا مسترخي الشفتين، ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسَفَع الخدَّيْنِ (أي: فيهما حُمْرةً تضربُ إلى السَّواد).

ورُوي أنَّ جبريل قال للرسول بشأنه بعـد أن ذكر أوصـافه: «كَبـدُهُ أَغَلَظُ من كَبِدِ الحمد، ينقُل حديثك إلى المنافقين».

وهو الذي قال: إنّما محمّدُ أذُنّ، من حدَّثه شيئاً صدّق، فانزل الله فيـه قولـه في سورة (التوبة/٩ مصحف/١١٣ نزول):

﴿ وَمَنْهُمُ ٱلَذِيرِ ﴾ يُؤَدُّرُنَا لَتَنِيَ وَمَقُولُونِ هُوَادُنَّ أَنْ أَذُنُّ كَذِرٍ لِّكُمْ مُؤْمِنُ وَاقْوَرَوُونُونُ لِلْمُؤْمِنِينِ ﴾ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ مَا سُوَّا مِنكُونَا لَذِينَ بُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ مُثَمَّ عَلَاكُ لِلَّهِ ۞ ﴾

(1

مِرْبَعُ بْنُ قيظي (من الأوس) وكان رجلاً أحمى من بني النّبيت: عَمْرو بن مالك بن الأوس

لمَا خرج وسـول الله ﷺ في غـزوة أحـد شـطر جبـل أُحـد، رأى من الحكمـة العسكريّة أن يمرّ بالجيش مجتازاً في حائط مِرْبَع بن قيظي.

فقال مربع للرسول ﷺ: لا أُجِلُّ لَكَ يا مُحمَّد إِنْ كُنْتَ نبيًّا أَنْ نَمُّر في حمائطي.

وأخذ في يده حفنةً من تراب، ثمّ قال: والله لوأعَلْمُ أنِّي لاَ أُصِيبُ بهـذا النراب غَيْـركُ لرَمْيُكُ به.

فَالْبَنْذُوهُ القَومُ لِيُقَنَّلُوهُ، فقال رسول الله ﷺ: دُعُوه، فهـذا الاَعْمَىٰ أَعْمَىٰ الْقَلْبِ أَعْمَى البصيرة.

فضربَهُ سَعْدُ بن زيد _ أخو بني عبد الأشهل _ بالقوس فشجّه.

(٧) أَوْسُ بن قيظي (أخو مربع بن قيظي)

من ظواهر نضاقه أنه جاء إلى الرسول ﷺ في غزرة الخندق فسائذن الرسول النف ولمملاً من رجال قومه بأن يعرجموا إلى يعرفهم، قائلًا: يا رسول الله، إِنَّ بيُونتا غُوْرَةً من العدق، فأذَنْ لنا أن تخرج من دارنا فإنها نقع خارج المعدينة، مع أنَّ بيوتهم ليست بعورة كما زعم.

(4)

جُلاسٌ بن سُوَيْد بن صامت (من الأوس) من بني حُبَيب بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس

كان ممن اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار.

• وكان جُلاسٌ ممّن تخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

وقال فيما قال: لن كان هذا الرجل ريدي الرسول ﷺ صادقاً لَنْحَنَّ شُرَّ من الحُشر، وكان في حجره وتمنيَّز بَنَّ سعده إذْ كان زوج آمّه بعد أبيه سعد، فقال لـه عمير: واللهِ يا لجلاس، إنَّك لاحبُّ الناس إليّ، وأحسنهم عندي يداً، وأعرَّهم عليّ أن يصيه شيءٌ يكرهه، ولقد فُلتَ مقالةً لنن وفشها عليك لافضحتك، ولينُّ صَمَّتُ عليها لَيُهْلِكُنْ ديني، وَلإَخدامُما لِيَسَرُ عليّ من الاخرى.

ثم مشى وعُمير بنُ سعد، إلى رسول الله ﷺ، فذكر له ما قال وجُلاسٌ بن أويد،

فحلف جُلاس بالله لـرسول الله 瓣: لقد كذب عليّ عُمَير، وما قُلْتُ ما قال عُمَيْر، وما قُلْتُ ما قال عُمَيْر، بن سعد.

ورُوي أنَّ الذي سمعه ونقل كلامه إلى الرسول عامِرُ بنِ فيس، وأنَّ الآية (٧٤) من سورة (النوبة/٩ مصحف/١١٣ نزول) نزلت بشأنه.

قىال ابن إسحاق: فزعموا أنَّه تباب، فَخَسَنَتْ تنويته، حَنَىٰ عُرِفَ منه الحيرُ والإسلام.

قالوا: وكان معه في هذه الحادثة من المنافقين، رافِعُ بْنُ زَيد، وبشر.

* * *

(1)

قُزْمان حليف بني ظَفَر

قىال ابن إسحاق: حـدَثني عاصم بن عـمـر بن قتادة، قىال: كان فينــا رجــلُ أَيْيُ رأي: غريب) لا يُشرَى ممَّنْ هــو، يُقالُ له: وقُرْمان، وكان رســول الله ﷺ يقول إذا ذُكِـرَ له: إنّه لـمن أهل النار. فلمًا كان يَوْمُ أُحُد قاتل قتالًا شديدًا، فَقَتَلَ وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فاثبتَّه الجراحة، فاحَّبُل إلى دار بني ظَفَر.

فجعل رجالُ من المسلمين يقولون له: واللهِ لقد اللَّذِيَّ الْيُومَ يا قُرْمان، فالبَّبْر، وقد اصابك ما ترى في الله.

قال: بماذا أَبَشُّرُ؟ فوالله ما قاتلتُ إلَّا حميَّة عن قومي ولولا ذلك ما قاتلُتُ.

فلمًا اشندت عليه آلامُ جراحيه أخَذَ سهْماً من كتأنيه، فقطع بـه رواهِشْ يَلِيه (أي: عروق ذراعه ليَنبيل دمه) فقتل نفسه.

(1.)

الضُّحَّاكُ بْنُ ثابت أحدُ بني كعب

ذُكِرَ أَنَّه كـان يُتُهُمُ بالنفـاق وحُبُ يهود الحجـاز، وقال فيـه حسّان بن ثـابت شعراً اتهمه فيه بحبّهم، وذكر فيه أنّ عروقه أعَيْتُ أنْ تتجمّد على الإسلام.

(11)

أبو طعمة بشيرُ بْنُ أُبَيْرِق

من أحداثه أنَّه سرق من بيت رِفياعة بن زيند حملًا من الندقيق الأبيض ودرعــاً وسيفاً وغيرهما من سلاح الحرب، وكان متهماً بالنفاق.

ولمَّنَا تُوجِّهِتِ النَّهِمَةِ إلى بيت بني أَثِيرَق، قنالوا: منا نرى السارق إلاَّ لَبِيدَ بْن شَهَّل، وكان هذا معروفاً بصدق إسلامه وصبلاح حاله. فلمَّا بَلَغَهُ انَّ بني أَثَيْرِقَ الْفَتُوا النَّهَمَةُ عليه سَلَّ سيفَه وأقبل إليهم وقال لهم: أنّا أَسْرِقَ؟! والله لَيْخَالِطُنَكُمُّ هذا السيف أولتينزُ هذه السرقة.

فقالوا له: إليك عنًا آيها الرجل، فما أنت بصاحبها.

ثمَّ نــزل القرآن مشيــراً إلى الحالنين من بني أَيْسِـرق، في قصة سبق ذكــرها لــدى دراسة النص (۱۷) من ســـورة (النساء).

وخاف بشير بن أيترق أن يُذان بجريمته بعد نزول الفرآن ففرً من المدينة، ولحق بالمشركين بمكة، فنزلَ على سُلافة بُنِّب سَفيه بن سُمْيَّة، فرماها حَسَانُ بن ثابتٍ بأبياتٍ من شِعْرِه، فاخذتْ رحَّلَهُ فوضعتْ على راسها، ثُمّ خرجتْ به فرفتُ به في الأبطح، ثم قالت له: أهْدَيْتُ لي شعو حسّان، ما كُنْتُ تاتيني بخير.

. .

وديعة بن ثابت من بني أمية بن زيد بن مالك

جاء في ميرة ابن هشام أنه متن بنى مسجد الضرار، وأنه كان من السرهط الذين جعلوا يشيرون إلى الرسول الله وهو منطلق بجيش المسلمين إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر (أي: الروم) كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكانا بكم غذا مُغَرِّين في الحبال.

يقولون هذا إرجافاً وترهيباً للمؤمنين.

وقال رسول الله 震 لممار بن ياسر: أدرك القوم فإنّهم قد اخْتُرقوا (أي: هلكوا) فَــَلْهُمْ عَمَا قالوا، فإن انكروا فقُل: بلّن، فُلّتُمْ كذا وكذا.

فانطلق إليهم عمّار بن ياسر، فقال لهم كما أمره الـرسول 義، فـأثّرا رسـول الله يعتذرون إليه.

وقال وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقه: يا رسول الله، إنّما كُنّا نخوض ونلعب، فانزل الله قوله في سورة (التوبة/٩ مصحف/١١٣ نزول) خطاباً لرسوله:

﴿ وَلَـ بِهِ سَكَالَتَهُمُ لَيَقُولُ إِنَّمَا كُنَا غَنُوشُ وَقَلَتُ قُلْ إِلَاقَوِمَائِنِهِ. وَرَسُولِهِ كُشُمُ شَنَهْ وَ وَ < ۞ لاَ لَشَنَذِهُ وَأَلْفَاكُنْتُمْ بِسَدَالِينَنِكُو ۚ إِن فَلْفَ عَنَ طَلَهَا يَنَكُمْ شَكَـنَا لَهَا فَهُمْ أَلَيْهُمْ كَالْوَالْجُرِينِ ۞ ﴾ .

(14)

عدة رجال ذكرت أساؤهم ضمن المنافقين

- (١) أبو حبيبة الأزعر: كان من الذين بنُوًّا مسجد الضرار.
- (٢) جارية بن عامر بن العطاف وابنه زيد: كانا من اللين بنوا مسجد الضرار.
- (٣) خِذَام بن خالد من بني عبيد بن زييد بن مالك: هو الـذي أخرج مسجد الضرار من داره.
- (٤) الأخوان بشر بن زيد، ورافع بن زيد: كاننا من الذين دهاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله هي، فذعُوهم إلى الكهّان حُكّام أهل
 الجاهلية.
- (٥) وَسَالِكُ بِن قَـوْطاء و وسُـويد، و وداعس، كانوا من الدين خانـوا الرسـول
 والمؤمنين إيان حصارهم ليهـرد بني النضير، فكـانوا يحــاولون الانصــال بهم، ونصرهم
 والدفاع عنهم، على ما جاه في أحداث غزة بني النضير.

. . .

(١٤) عُن ذُكِر من المنافقين من أحبار اليهود

- (١) سَعْد بْنُ حُنَيْف، من يهود بني قينقاع.
- (٢) نُعْمَانُ بْنُ أَبِي أُوفَىٰ، من يهود بني قينقاع.
 - (٣) عثمانٌ بن أوفى، من يهود بني قينقاع.
- (٤) رافع بن حريملة، من يهود بني قينقاع، وهو الذي يـوم مات قـال بشأنـه
 الرسول ﷺ: قد مات اليـوم عظيم من عظماء المنافقين.
- (٥) رفاعة بن زيد بن التابوت، من يهود بني قيضاع، وهو المذي قال الرسول يشأنه حين هبّت على المسلمين ربيح وهم قافلون من غزوة بني المُصْطَلِق، فاشتلات عليهم حتى الشفقوا منها: ﴿لا تخافوا، فإنّما هَبْتُ لِمُوّبِ عظهم من عظماء الكفاره.

فلما فلموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابـوت، قد مـات ذلك البـوم الذي هبت فيه الربح، فقد كان من عظماء الكافرين، وكهفاً للمنافقين.

- (٦) سِلْسِلةُ بن برهام، من يهود بني قينقاع.
- (٧) كِنانَةُ بن صوريا، من يهود بني قينقاع.
- (٨) زيد بن اللَّمَنيَّت، من يهود بني قينقاع، وهو اللذي قال حين ضلّت ناقة الرسول ﷺ وهو اللذي قال حين ضلّت ناقة الرسول ﷺ وهو للذي ويقتر إلى غزو تبوك: اليس محمّد يزهم أنّه نبيّ، ويُخبرُكم عن خَبِر السّماء، وهو لا يدري أين ناقته؟، وكان في رَخْل عسارة بن حزم، ينما كان عُمارة عند وسول الله ﷺ، وفي ذلك الوقت قال الرسول ﷺ، وغنسازةً عند، إنَّ رجُلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنّه نبيّ، ويَزْمُمُ أنْه يُخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله لا أغلمُ إلا ساعلني الله، وقد دلّي الله عليها، وهي في هذا الوادي، في ثِمْب كذا وكذا، قد حَبَسْتُها شَجْرَةً بزمانها، فأنْمُؤلِّوا حتَّى تأثوني بها، فذهبوا فيها، فأنْمُؤلِّوا حتَّى تأثوني بها، فذهبوا فيها،

فسرجع تحسارة بن حسزم إلى رحله، فقسال: والله لُمَجِبُ مِنْ شَيْءٍ حسَّلُتُسَاهُ رمسولُ الله ﷺ أنفأ، عن مقالة قبائل النجسره الله عنه بكنذا وكذا، للكمالام الذي قبالم زيَّةُ مِن اللَّصَيْتِ.

فقال رجلٌ ممن كان في رحل عمارة بن حزم، ولم يكن عند رسول الله ﷺ: زَيَّدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي.

المقولة الثانية

حول طائفة من أحداث المنافقين في عـصـر الـرسـول ﷺ قد سبق شرح معظمها وتفصيله لدى تدبُّر النصوص

(١)

من أحداث العنافقين الكبرى انخذالهم عن الـرسول والمسلمين ينحو ثلث الجيش، بعد مشاركتهم في الخروج إلى غزوة أحد، إذْ نكصوا وعادوا إلى بيونهم في الممدينة بعد أن مُشُوّا بعض الـطريق إلى أحد، متعلّلين يُتِملُاتٍ بـاطـلات تنمّ عن نفاقهم، وأنّهم كاذبون في ادّعاء أنّهم مسلمون.

(Y)

ومن أحداثهم تخلّفهم عن الرسول والمسلمين في الخروج إلى العمرة التي دعا إليها الرسول ﷺ بإلزام، وهي العمرة التي ضدّ مشركو مكة الرسول والمسلمين معه عن أداء عمرتهم، وكان غرض الرسول من إلزام المسلمين بالخروج تكثير أعداد المسلمين المعتمرين، حتى يخشى المشركون صدّهم عن المسجد الحرام، وأداء مناسكهم فيه.

(4)

ومن أحداثهم تخلّفهم عن الخروج إلى غـزوة تبـوك مع التكليف الإلــزاميّ بـالخروج، فمنهم من قـدّم المعاذبـر الكاذبـات قبل انـطلاق الرسـول ﷺ إلى الغزوة، ومنهم من تخلّف ثم جاه بعد عودة الرسول منها فجعل يقدّم المعاذير الكاذبات. (£)

مشاركتهم في إثارة الشبهات حول تحويل القبلة من التموجّه لبيت المقـدس إلى التوجّه للكعبة المشرفة.

روى ابن جسرير بسنسه عن السُّدّي قسال: كان النبي ﷺ يُصَلِّي يَسَل بِيت المقدس، فسنختها الكعبة، فلمَّا توجَّه الناس قِبَل المسجد المحرام اختلف الناس فيها فكانوا أصنافاً.

- فقال المنافقون ما بالهم كانُوا على قِبْلة زمانًا، ثمّ تركوها وتوجّهوا لغيرها.
- وقال المسلمون: ليت شِعْرنا عن إخواننا اللذين ماتُـوا وهم يصلُون قِبَل بَيْتِ
 المقدس، هل تقبَل الله منا ومنهم أو لا؟
- وقالت البهود: إنّ محمّـداً اشتاق إلى بلد أبيه ومواـده، ولو ثبت على قبلتنا
 لكُنّا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي ننتظر.
- وقال المشركون من أهل مكة: تحيّر على محمّد دينه، فتوجّه بقبلته إليكم،
 وعلم أنّكُم كنتم أهدى منه، ويوشك أن يدخل في دينكم.

فأنزل الله جلَّ ثناؤه في المنافقين:

﴿ مَنعُولُ الشَّفَهُ الشَّفَهُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَهُمْ عَرَفِيْتَهِمُ الْقِكُولُوا عَلَيْهَا فَلَ يَقُو السَّشْرِيُّ وَالْمَنْوِبُّ بَهْدِى مَن يَنَاهُ إِلَى مِنْ لِمُ شَسْتَقِيمِ ﴿ وَلَكَذَاكِ جَمَلُنَا الْفِئلَةَ الْقَلِ كُسْتَ عَلَيْهَا إِلَّا شُهُذَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْتُكُمْ شَهِيدًا وَيَا جَمَلُنَا الْفِئلَةَ الْقِيكُمُ اللَّ لِيَعْلَمُ مَن يَشْهُمُ الرَّسُولُ مِنْ يَنقِلِبُ عَلَى عَقِيدًا وَلِن كَانتُ لَكِيمَةً إِلَا عَلَى اللَّذِينَ وَمَاكُنَ اللَّهِ لِيُضِيعًا إِسَنْتُكُمُ إِلَى النَّمَ النَّكِيلُ اللَّهِ فِي اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُنْالِينَ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللْمُؤْلِقُ اللْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ

(البقرة/٢ مصحف/٨٧ نزول).

(0)

كان من شأن المنافقين أنهم يحضرون المسجد فيستمعون أحماديث المسلمين. فيسخرون ويستهزئون بدينهم.

فاجتمع نساس منهم في المسجد في أحد الآيام، فسرأهم الرسنول 義 يتحدّشون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم بيعض.

فأمر الرسول أن يُخْرَجوا من المسجد، فاخرجهم المؤمنون إخراجاً عنيفاً منه.

نام وخالد بن زيد بن كُلّب، إلى وعسرو بن نيس، وقد كمان صاحب آلهتهم في الجاهلية، فأخذ برجله فسُخَب، حتّى أخرجه من العسجد وهو يقول:

أتُخْرِجني يا أبا آيوب من مِرْبد⁽⁾ بني ثعلبـة، إذْ كان قبـل تأسيسـه مربـداً لبني. بة.

ثم أقبل أبو أتوب إلى دوافع بن وديمة، فليّنَه بردانه، ثمّ تَزْه نَزْهُ شديداً، ولطم وشِّهُ»، ثم أخرجه من المسجد، وهو يقول له: أنَّكُ لُكُ مُشَافقاً خيشاً، الدراجُـكُ⁴⁷ يا منافقُ من مسجد رسول الله ﷺ.

وقام وتحمّارة بن خَرَّم إلى وزيد بن تُحْسِرو، وكان رجلاً طويل اللَّمةِ، فاتحدُ بالحِتِه، فقاده بها فُرَّدًا عَيْمًا حَى الحرجه من المسجد، ثم جَمَع تُعَارةً يُدَنُّه فَلَدَسُهُ^{٣٣}. بهما في صدر، لَذَنَةً خُرِّمتها.

فقال المنافق وزيد بن عَمْرو»: خَلشْتني يا عُمارة.

قال عمارة: أبعدك الله يا مشافق، فما أعـدٌ الله لك من العـدُاب أشد من ذلك، فلا تقرّبنُ مسجد رسول الله 震.

وقام وأبو محمد مسعود بن أوس من بني النجّار، إلى وقيس بن عَمُّرو بن سَهْـل،

⁽١) المريد: موقف الإبل ومحبسها.

⁽١) أدراجك: أي: ارجع من الطرق التي جنت منها.

⁽٣) اللُّذُم: الضرب بيطن الكفُّ.

فجعل يدفع في قفاه، حتَّى أخرجه من المسجـد، وكان قيسٌ هـذا شابَـاً، ولا يُعْلَم في المنافقين شابٌ غيره.

وقام وعبد الله بن الحارث، من رهط أبي سعيد الخدري، إلى رجُل مسافق يقال له والحارث بن عَمْرو، وكان ذَاجُمَّة(١٠ فأخذ بُجَمَّته، فَسَخَبُهُ بها سُحْباً عَنِهَاً، على ما مَرْ به من الارض، حَمَّى أخرجه من المسجد.

وكان المنافق يقول: لقد أغْلَظْت يا ابْنَ الحارث.

فعال له: إنَّكَ أَهْلُ لِذَلِكَ أَيْ صَدَّوُ الله، لِمَا أَسْوَل الله فيك، فبلا تَقْرَبَنُّ مسجد رسول الله ﷺ, فإنَّكَ نَجَس.

وقــام رجُـلُ من بني عــوف. إلى أخيـه وَزُرِيَ بن الحــارث، وكــانَ متـــاقشاً صــع العنافقين، فأخــرجه من المسجــد إخراجاً عنِفاً، وقــال لــه: أنَّى لَــكَ، غَلَبَ عليَّــكَ الشيطانُ وأَمُرُه.

(7)

قال زيد: هـــو والله صادق، وأنت شــرٌ من الحمار، فــرقَع ذلــك إلى النبــي ﷺ، فجحد القائل، فأنزل الله عزّ وجل قوله:

﴿ يَمْلِقُونَ إِنَّهَ مَاقَالُوا وَلَقَدْقَالُوا كُلِمَةَ ٱلكُفْرِ وَكَفَرُوا لِمِنْهَا الْمُؤْمِدُ . ﴿ وَالْم (التربة/ ٩ مصف/١١٢ نول).

⁽١) اللجمَّة: مجتمع شعر الناصية، وما نرامَىٰ من شعر الرأس على المنكبِّين.

(V)

وأخرج ابن جوير، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عبَّاس فـال: كان رسول الله ﷺ جالساً ني ظِلَّ شجرة فقال:

ه إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَادُ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنِي شَيْطَانِ، فَإِذَا جَاءكم فَلَا تُكَلَّمُوهُ .

فَلَمْ بِلَبُوا أَنْ طَلِع رَجَلُ أَزْرَق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال:

وعَلَامٌ تَشْتُمُنِي أَنْت وأصحابُكَ؟!٥.

فانطلق الرجل، فجه بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتَّى تجاوز عنهم، وأنــزك الله توله:

﴿ يَمْلِغُونَ إِلَّهُ مَا تَالُواْ وَلَقَدُهَا لُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِلَّمْ الْمُؤْمِدَ (التوية / ٨ مصحف/١١٣ نول)

أقسول:

اختلفت الرواية السابقة عن هذه الرواية في بيان سبب نزول هذا النص، ولكن لا مانع من تعدّد أسباب النزول لنص واحد، ومدار قبول السبب الممردي برجع ألى كون الرواية مقبولة من جهة السند، وتعدّد الروايات المختلفة يدلُ على تكرر حدوث هذه الظاهرة من المنافقين، أفراداً وجماعات، وأن الاقوال التي قبالوحا تُعبَّر عن إدائمةً لهم بالكفر، يعدُّ إعلانهم الإسبلام الذي قُبِل منهم ظاهراً في الحياة المدنيا، إلا أنهم لا يقبل منهم يوم الدين، لأن الحساب يؤمثة إنما هو على ما كانوا يُسرّون ويبطنون.

* * *

(^)

وروى البخاريّ بسنده عن أبي صمعود قال: لمّا أُمِرْنا بالصَّدْقَةِ كُسًا تَتَخَاصُلُ^١٠. فجاه أبوعقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثرَ بنّه.

⁽١) نتحامل: أي: نعملُ حمّالين بالأجرة.

فقال المناففـون: إنَّ الله لغنيُّ عن صدقـة هذا، وما فَغَلَ هـذا الآخَرُ إِلَّا رِيـاءً، فنزلت:

﴿ الَّذِيكَ يَلُورُونَ ٱلْمُظَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِ الصَّدَفَعِ وَٱلَّذِيكَ لاَيْحِدُونَ إِلَّا جُهَدَةُ يَسْمُونُ وَمُهُمَّ مِوْاللَّهُ مِنْهُ وَكُمْ مُعَالِّمُ ﴿ ﴾

(التوبة /٩ مصحف/١١٣ نزول).

وعند مُسْلم نظيره، واسْمُ أبي عقيل هذا والْحُبَابُه.

وجاء عند الطبريّ عن قتادة: أنَّ هذه الحادثة جرت حينَ حثّ الرسـول ﷺ على الصَّدَةة استعداداً لغزوة تبوك.

(4)

روى الطيري بسنده، عن سعيد بن جُبير قال:

كان النبيّ ﷺ يُصَلِّي، فمرّ رجلٌ من المسلمين على رجُّل مِنَ المشافقين فقال له: النبيُّ ﷺ يُصَلِّي وانت جالس؟!

قال المنافق: امنض إلى عَمْلِك إنَّ كان لك عمل.

فقال له: ما أظُنُّ إلاُّ سيمُّرُ عليكَ من ينكرُ عليك.

فمرَ عليه عمو بن الخطاب، فقال له: يما فلان، النبي ﷺ يصلي وأنت جالس؟!.

فقال له: إمض إلى عملِك إن كان لك عمل.

قال عمر: هذا من عملي، فوثب عليه فضربه ضربات بشلة.

ثمّ دخل عمر العسجد، فصلًى مع النبـي 繼، فلمًّا انقتل النبئي 纜 من صلاته قام إليه عمر، فقال له:

يـا نبيّ الله مررتُ أنفأ على فـلانٍ وأنت تُصلّي، فقلت لـه: النبي ﷺ يُصَلّي

وأنت جالس؟!، فقال: امض ِ إلى عملك إنَّ كان لك عمل.

فقال النبي ﷺ: وَفَهَالًا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ.

فقام عُمْرُ مُسْرِعاً، فقال النبي 審:

(يا عُمْرَ ارجِعْ، فإنَّ غَضَبَك عِزَّ، ورِضَاكَ حُكُم، ١٠٠.

* * *

(1.)

موجز أحداث المنافقين إبّان غزوة نبوك

الحدث الأول:

انخذال دهيد الله بن أيني بن سلوله مع جماعة من المنافقين، بعد أن خرجوا وعشكُروا دون معسكو الرسول، مع أنّ الرسول قد أمر بالخبروج أثّر إلـزام، لا أمر ندب.

الحدث الثاني:

كان من المتنافقين المُثَبِطُون، وهم نفر كـانـوا يجتمعــون في بيت مُسْرَيْلُم، اليهودي، يُبْطُون الناس عن رسول الله ﷺ قائلين لهم: لا تنفروا في الحرّ.

فيعت إليهم النبي ﷺ طلحةً بن عُبيّد الله في نَفَر من أصحاب، وأمَرَهُ أنْ يُحرَق عليهم ببت يسويلم، ففعل طلحة ما أمره به الرسول، فاقتحم من المنافقين الضُحَّاكُ بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فـالْفلتوا، وكمان منهم وأبنُ تُبْرِق، كما ذكر الضَحَّاكُ في شِمْرٍ له.

الحدث الثالث:

كمان من المنافقين من استأذن الرسول بعدم الخروج إلى غزوة تبوك، متحلًا المعافير الكاذبات، نافذ الرسول ﷺ لهم.

⁽١) انظر تفسير الطبري، الجزء الأول الصفحة ٢١٠.

الحدث الرابع:

كان منهم من تتخلّف عن الغزوة دون استئذان، فلسًا عاد الرسول منها إلى المسدينة أقبلوا يعتذرون عن تتخلّفهم، ويحلفون الأيسان الكافئية ويلفّقون المصافير، فيتُعرِّض الرسول عنهم، ويترك حسابهم فه عزّ رجلً.

الحدث الخامس:

كان رهط من المنافقين منهم ووديعة بن ثابت، يشهرون إلى رسول الله ﷺ ومعه المسلمون، وهم منطلقون إلى تهوك، فقال بعضهم لبعض: أتُعَسَّبُونَ جـــلاد بني الأصفر (أي: الروم) كفتــال العرب بعضهم بعضــاً، والله الكاتّـا بكم غــداً مقرّنين في الحبال، إرجافاً وتوميناً للمؤمنين.

فقال وُمُخَشَّنُ بِن حُمَيْرِه والله لموددتُ أنّي أقاضَى على أن يُضَرَب كلَّ رجل مَنّا مئة جلدة، وإنّا نفلتُ أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم، وروي أن هذا الرجل قد تـاب من نفاقه وحسَّن إسلامه، وسمّى نفسه وعبد الرحمن».

ودوي أنّ الرسول ﷺ أُعلِم عن طريق الوحي بما قالوا، فقال لعمّار بن ياسر: الدّوك المقوم فإنّهم قد احترقُوا، فسَلَهُمْ عمّا قالوا، فإنّ أنْكَرُوا فقل: بلى، قُلْتُمْ كذا وكذا.

فانطلق إليهم عمّار بن ياسر، فقال لهم كما أمره الـرسول ﷺ، فأتوا وسـولُ الله يعتذون إليه، وقال وديمة بن ثابت، ورسول الله واقف علمي ناقته: يــا رسول الله، إنّمــا كنا نخوض ونلعب.

أقسول:

لعلَّ هؤلاء المنافقين كانوا يُرتَدون ما قاله قبلهم رأس المنافقين وعبد الله بن أُتِيَّ ابن سلوله إذَّ قال: يغزو محمَّدُ بني الاصفر! والله لكاني انظر إلى أصحابه مقرَّنين في الحيال.

الحدث الساصي:

استخلف السرسسول ﷺ علياً رضي الله عنه على أهله في العسدينة، فقال المنافقون:

ما خَلُّفَهُ في أهله إلاّ استثقالاً له، وتخفَّفاً منه.

فيلغ ذلك عليًّا رضي الله عنه، فأخمذ سلاحه وخرج، حتَّم أنّى رسول الله ﷺ وهـو نازلُ بِالْجُرُفِدِ("، فقـال: يا نِـبيَّ الله، زعم العشافشون أنْنُكُ إِنَّمـا خلفتني أنَّـكُ استثقلتني، وتخفّفَتُ مَنَّى.

فقال رسول الله ﷺ:

وكذبوا، ولكِنِّي خَلَفَتُكَ لما تـركُتُ وراثي، فارْجِعٌ فالخَلْفَي في اهملي واهلك، الْمَلاَ تَرْضَىٰ يا عليُّ ان تكون منّي بمنزلة هارون من موسّى، إلاَّ أنْ لا نبسٍ يُعلمي،

فرجع عليٌّ رضي الله عنه إلى المداينة، ومضى رسول الله ﷺ إلى وجهته، وأعطَىٰ اللّواة الأعظَمُ أبا بكر رضي الله عنه.

الحدث السايع:

تعرّض المسلمون لنضاد ما معهم من الساء، حتى عطشوا عطشاً شديداً، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنّ الله قد عَودك في الدُّعاء خيراً، فادّعُ الله لنا.

فرفع الرسول يذبّه نحو السماء، فلم يُتْزلهما حَنَى أغاثهم الله، فأمطرت السماء، قشريوا ومَلْزُوا أوعية العاء التي لديهم.

وكان رجل من المتنافقين معروف بالمنحاق، يسير مع رصول الله ﷺ حيث سار، فلمًا كان من أمر الناس ما كان، ودعما الرسول، وأرسل الله السحبابة في أمطرت حمى ارتوى الجيش، فاقبل عليه رفاقه من بني عبد الأشهل، فقالوا له: ويُمحكَ، هـلُ بعّدَ هذا في.؟!

قال: سحابةً مارّة.

الحدث الثامن:

يُرجد في طريق العودة من غزوة نبوك حسب الطريق الذي سلك، المسلمون والإ يُصال له : وادي المشقّق، وكنان يُرجَدُ فيه وَشُسلٌ ٢٠ منا يُدُّرُوي السراكب، أو السراكبين، أو الثلاثة.

 ⁽١) المُجْرُف: اسم مكان على ثلاثة أميال من المدينة.

⁽٢) الْوَشَلُ: نبع ماءِ قليل، فيتحلُّب متقاطراً ويتجمّع.

فقال رسول الله 繼: ﴿مَنْ سَبَقَنَا إِلَىٰ ذَلِكَ الوادي، أَو إِلَى ذَلِكَ المَاه، فَلا يُسْتَقِينَنْ منه حتّى ناتيه،

فسبقه إليه نضرٌ من المنافقين. فـاسُّنَقُوا مـا فيه، فلمّـا أناه السرسول وقف عنـده، فلم يز فيه شيئًا، فقال مستنكراً:

ومَنْ سَبِقَنَا إِلَىٰ هَنذَا الماء؟؟٥.

فقيل له: يا رسول الله، قُلَانُ وفلان، فقال:

وَأَوْلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يُسْتَقُوا مِنَّهُ شَيْئًا حَتَّىٰ آتِيه؟!٥.

وغضب ﷺ من معصيتهم، ودعا عليهم، ثمّ نزل عن راحلته، فوضَـــَ يَنَهُ تَحْتُ الْوَشْل حَيْثُ يتفاطر الماء، حَيْ إِذَا تجَيَّعُ فيها مقدارٌ ما منه، نَضَحَ مكان تقاطر العماء بعا تجمَّع في يده منه، وصنحة بيده، ودعا بما شاء الله أن يدعو به، قَضَجَّرَ مُه العماءُ تعَجِّراً، وقال من سعمه: إِنَّ لَهُ حَسَـاً كجِسٌ الصواعق، فشرب الناس، واسْتَقَـوًا منّه حاجتهم.

الحدث التاسع :

روى البيهفي عن حذيفة بن اليمان قال (متحدثاً عن حـادثة جـرت للرسول وهـم عائدون من غزوة تبوك):

كُنْتُ آجِدُاً بِخطام؟! تنافة رسيول الله، وعمَّار يسبوقُ الننافـــة، حُنى إذا كُنّـا بِالْمُقَدِّة؟)، إذَا بالنَّنيُ عَشَرَ رُجُلاً قد اغْتَرْضُوهُ فيها، وصار عمّـارٌ يُصْبِفُ وُجُــره رواحلهم يُعَجِّها عن رسول الله ﷺ.

قال حذيفة: فَانْبَهْتُ رسول الله ﷺ، قصرخ فيهم، فولُّوا مُدّْبِرين.

فقال رسول الله ﷺ: وَهُلُّ عَرَفْتُمُ القوم؟..

قُلْنَا: لا يا رسول الله، قد كأنُّوا متلثمين.

⁽١) الخطامُ: ما يوضع على خطّم الجمل أو الناقة من حبّل ليّقاد به، وخطّم الجمل أهه.

قال: وهؤلاء المنافقون يوم القيامة، وهُلُّ تُذُّرُونَ مَا أَرَادُوا؟،.

قلنا: لا.

قال: وَأَرَادُوا أَنْ يَزْحَمُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْعَقَيْةِ، فَيْلَقُوهُ مِنْهاهِ.

قُلْنَا: أَوْلَا تَبَعْثُ إِلَى عشائرهم، حتى يبعث إليك كلُّ قَوْمٍ براس صاحبهم.

قال: ولا، الْخُرُهُ انْ يتحدّث العربُ انْ محمّداً قاتل بقومه حَنَّىٰ إِذَا أَظْهَرُهُ اللَّهُ بِهِمُّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَقَتْلُهُمْ.

ودعا ﷺ عليهم، وأنزل الله قولُه:

﴿وَهَمُّواْمِهَالُزِّينَالُواْ . . . ﴿ (التوبة/٩ مصحف/١١٣ نزول).

الحدث العاشر:

رُوي عن عبد الله بن مُحمر قسال: قال رجسلٌ في غزوة تبدوك في مجلس من المجالس: ما رأيتُ مُثَلِ فُرَاتِهَا هؤلاء، ارغَبَ بُطُونَا، ولاَ أَكْذَبَ ٱلنَّشَا، ولا اجْبَنَ عَنْد اللّغاء.

فقال له رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنُّكَ منافِقٌ، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ.

فبلغ ذلك الرسول.

الحدث الحادي عشر :

قصة بناء مسجد الضرار، وخلاصتها: أنَّ أبا عامر الراهب الذي سمَّاه الرسول والفاسق، والذي كان قد تنصَر في الجاهلية، وترك المدينة بعد هجرة الرسول إليها، وتدبيره المحكايد ضدة وضد الإسلام، ثم انحاز إلى المشركين في مكة، وقُديمَ مَعْهُمْ، إلى حرب المسلمين في غزوة أحد.

ثم ذهب إلى هرقل مَلِكَ الروم، يستنصره على محمّد وصحيه، فوَعَنَهُ وسَله، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قبومه من الأنصار من أهل النضاق والرّبب بَسُدُهم ويُعتَنِهم آنَّه سَيْقَلَمُ بحيش يُقاتِلُ به الرّسول، ويغليُه ويَسرُقُهُ عمَّا هـو فيه، وأَسرَهُم أَنْ يَتَخِذُوا له مُعْقِلًا يُقْلَمُ عليهُم فيه مَنْ يُقْلَمُ من عَنْدهٍ لإيصال كُتُيه، ويكُونُ مُرْصداً له إذا قَدِمَ عَلَيْهِم بَعْد ذلك. فيني المتآمرون مسجداً مجاوراً لمسجد قباه قبل خروج السول ﷺ إلى تبوك، وجاءوا إلى الرسول فسالره أن يأتي إليهم فيُصَلِّي في مسجدهم، وذكروا أنهم بَنَوْه للضعفاء منهم، وأهل العلّة والحابة في اللّيلة المطيرة، فعصمه الله من العسلاة فيه، وقال لهم: إنِّي على جناح سفر، ولو قَدْ فيدًا إِنَّ شاء الله الإنباكم، فعلينا لكم فيه.

ولمًا قفل الرسول راجعاً من تبوك إلى العدينة، ولم يبق بينه وبين العدينة إلاّ يومً أو بعض اليوم، نزل عليه جبريــل عليه الســـلام بخبر مسجــد الضّـرار، وما أُجدّ لـــ هـذا الـــــجد.

> فدعا الرسول ﷺ صحابيِّن من أصحابه وقال لهما: وانطلِقا إلى هذا الْمُسْجِدِ الطَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمَاهُ وَحُرُّقَاهِ.

فقعلا ما أمرهما به الرسول، وماتت المكيدة في مُهدها.



القصرالتالث

مُنَافِقُونَ عَبُرَيَّا فِي إِلْمُسْلِمِينَ بِعَنْ دَعَصْ إِلْرَسُولِ ﷺ

وفيه سبع مقولات:

المقولة الأولى : مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عته.

المغولة الثانية : العنافق البهودي: عبدالله بن سبأ، ويُقبال له: ابن السوداء، وخيائته الخطيرة في تاريخ المسلمين.

المقولة الثالثة : المنافق اليهودي (أو المجوسي) ميمون بن ديصان القدّاح، وخبائله الخطيرة في تاريخ المسلمين.

المقولة الرابعة : المنافق أينُ العلقمي وغيائته للدولة الإسلامية وخليفتهما العبّاسي المستعصم بأنه محمد بن الظاهر.

المقولة الخامسة: يهبود السدونمة المتنافقسون، ودورهم في سفوط الخسلافية العثمانية، وإقامة العلمانية.

المقولة السادسة: منظمة البابيَّة فالبهائية إحدى المنظمات المنافقة.

المقولة السابعة: منظمة القاديانيَّة إحدى المنظمات المنافقة.

. . .

المقولة الأولى

مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

تشير الدّلائل الغويّة إلى أنّ اغتيال عمر بن الخطاب قد كان بتدبير من قبل بعض المنافقين في المدينة.

كنان عمر في محلاقه _رضي الله عنه _ لا يأذن لنشيي قد اختَكَم في دخول العدية، حرصاً على عاصمة الدولة الإسلامية بيومثة من أن يكون فيها أحَدُ من غير المسلمين، ولوكان عبداً رقيقاً.

حتّى كتب إليه والبه على الكوفة والمغيرة بن شعبة، يذكّر له غلاساً عنده صنعة. ويستأذنه أن يدخل العدية، وقـــال له: إنّ عنـــده أعمالًا كثيــرة فيها منــافع للنـــاس، فَهُو حدّاد ـــ نقاش ـــ نجار.

فأذن مُّمر رضي الله عنه للمغيرة بن شعبة، في أن يُرسِلُ غلامه إلى المدينة.

هذا الغلام هو دابو لؤلؤة فيروزه من سبَّني نَهَاوند، مجوسيّ الأصل روميّ الدار، لذلك جاء في وصفه أنّه مجوسي، وأنّه نصراني، والأظهر أنّه مجوسي.

وجاء في الروايات التاريخيّ أنّ ابا لؤلؤة هذا جاء إلى عمر فاشتكى إليه من كثرة الخراج الذي فرضه عليه سيّده والمضيرة بن شعبة، وكنان نحو دوهمين في كـلّ يوم،، أو أكثر قليلًا، على اختلاف في الروايات.

فسأله الخليفة عمَّا يملك من صناعة، فلجابه بأنَّه ونقَّاش _ نجَّار _ حدَّاده.

فقال له عمر: وفما أرى خراجك بكثير على ما تصنع.

فغضب العبد، وقال: ﴿ وَسِعَ النَّاسَ كُلُّهُمْ عَدُّلُهُ غَيْرِي؛ .

فـاعدُ هـذا العبد خنجـراً ذا طرفين، قبضتُه من أوسـعه، ودخـل المسجـد مـع المصلّين وقت صلاة الفجر، واغتال خليفة المسلمين وهُو يُصلّي إماماً بالناس، واندفـع لا يمرّ على أخدٍ من المسلمين يميناً أو شمالاً إلاّ طَعْتُ، حَيَّى طَفَنَ ثلاثة عشر رجلًا، صات منهم تسعة رجبال، وطرخ عليه أحد المسلمين برنُساً، فلسًّا وأي أنّه مقبوضً لا محالة انتحر بخنجره.

روى البخاري بسند، عن وعمرو بن ميمون؛ أحد شهود الحادثة، قال:

وائي لقائم ما يتنبي ويش عصر إلا عبد الله بن عبّاس، غداة أصيب المي: اسبر المؤمنين عمره وكان إذا مزيش الله يتن الدائمين قال: الشتووا، حَنْ إذا لَمْ يز فيهم خَلَلًا تشامً فَكُبُّرُ، وربّما قرا شُورَةً يُوسُفُ أو النّحل، او نحو ذلك في المركمة الأولى حَنْ يُجْتِمَ النّاس.

فَمَنا هُوَ اللَّهُ أَنْ كُبُرَ، فَسَهِعُمُمُ يُشُولُ: قَلَنِي الْوَلَقِي الْكَلِّبُ جِينَ طَعَنْمُ، فَطَلَرُ الْعِلَمُونُ (*) بِسِكُنِ ذَابِ طُولِيْنَ. لا يعترُ على احدٍ بعينًا ولا شمالًا إلاّ طعنه، حَمَّى طعن ثلاثة عشر رَجُلًا على منهم تسعة.

فلمّا رأى ذلك رجلُ من المسلمين طرح عليه بُرُنُساً^Ω، فلمّا رأى أنّه مَأْخُوذُ نَحَرَ فسه.

وتناول (أي: عمر) بَذَ عبد الرحمن بن عوف فقدُّمُهُ.

فَسَنْ بَلِي عُمر فقد رأى الَّذِي رأيتُ، وأمّا نواحي المسجد فإنَّهُمْ لَا يَلَرُونَ، غير أُمَّم فَقَدُوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله! سبحان الله.

فصلًى بهِمْ عبد الرحمن صلاةً خفيفة، فلمّا انصرفوا قال (أي: أميـر المؤمنين عمر): يا أبّن عبّاس، انظر من تتلني، فجال ساعةً ثُمّ جاء فقال: تُحلامُ المغيرة.

قال: الصَّنَّمُ؟ (أي: الصَّانع الحاذق في صناعته).

قال: نعم.

 ⁽١) الْمِلْجُ: يُطلَقَ على الرجل من كفار العجم، ويُطلق على كلُّ جاف غليظٍ شديدٍ من الرجال.

 ⁽٢) أَأْرَفُس: ثوبٌ له رأسُ مُوصول به يُعفظ به الواسى عند الحاجة، وهو من الثياب التقليديّة عند أهل العفرب، وهو معا يُلبُسُ فوق الثياب.

قــال: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَـدُ أَمَرْتُ بِـهِ مَعْرُوفًا ، الحمد للَّهِ الَّـذِي لـم يجعل منيتي بِسَدِ رَجُول_، يدّعي الإسلام.

وكان هذا الأمر في ثلاث بقين من ذي الحجَّة، من سنة (٢٣) للهجرة النبوية.

وحزن المسلمون حزناً شديداً، حتَّى كـانَّ الناس لـم تُعِبِّهُمْ مصيبةٌ قَبَلَ يَـوْمِيْك، فما رُؤي مَلًا من النَّاسِ إلاّ وهُمْ يَتِكُون.

وروى الطبراتي عن سعيد بن المستب: انّ عبد السرحين بن أبـي بكر قـال غداة طُعِن عُـمر: مَرْكُ على أبـي أَوْلَؤُوْ عَنِيُّ أنس، ومَمَّهُ يُخَيِّنُهُ والْهُـرُوَّزَان، وَهُمْ يَحِيُّ (اي: يتحادثون سرًا) فلُمَّا رَهَتُشَكِمْ (اي: غَبِيتُهُمْ وبالحُثُّهُمْ باطلاعي عليهم يتناجـون) فَارُوا وسقط مُنْهُمْ حَنْبَرُ لَهُ راسًان، نصابُه في وسطه، فانْظُرُوا بِكِيْ شيءٍ قُتِل؟

وحين أُحْضِر أبو لُوْلُوهُ قتيلًا وجدوا الخنجر الذي وصفه عبد الرحمن بن أبـي بكر هو الذي قتل أبو لؤلؤة به عُمـر رضي الله عنه.

وسمع عُبِيَّةُ الله بن عُسَر بما تحدَث به عبد الرحمن بن أبعي بكر، فالدَّرْكُ أَنَّ جُفَيَّةُ وَالْهُرُمُّرُانَ مُشْتَرِكُانِ فِي تدبير اغتيال أبيه، وأنَّهما كانًا متظاهرين بِالإسلام نضافًا، فأمسك عن الانتقام منهما حتى مات عمر.

وبعد أن فضي الأمر، وثبتت في نظره إدائشهما بـالاشتراك في الجريمة، اشتحـل على سيفه، فاتن الْهُهُرَمْزَانَ فنتله، ثم مَضَىٰ حَتَى النَّى جَفَيْنَةً، فلمَّا عـلاه بالسيف صَلَّبَ جُفَيْنَةً بْيْنَ عَلِيْهِ (أي: وسم علامة الصليب النصرانية بين عينيه).

فدَلَت الحادثة على أنّ المنافقين من المجوس والنصاري كانوا وراء تدبير جريمة اغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خليفة المسلمين، وقد كان المسلمون في أوج مجدهم عدلاً وإرهاباً.

وتشير بعض الروايات إلى أنَّ لكمب الأحبار مشاركة مَا فِي هذه الجريمة، وهو تماميُّ كان في الجاهلية من كبار علماء المهبود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في عهد خلافة عمر، والله أعلم بالحقيقة، ومن المعلوم أنَّ مكر المهبود عمر التاريخ أشدُ من مكر المجوس والنصاري، وأنَّهم يستطيمون أن يخفوا أنضهم، وأنَّهم يعملون ما يريدون بأيدي غيرهم، دون أن يتركوا أدلَّة إذاتةٍ ضَدَّهم.

المقولة الثانية

المنافق اليهودي عبد الله بن سبأ ، ويقال له ابن السوداء وخبائته الخطيرة في تاريخ المسلمين

(1)

شخصيته وثبوتها في التاريخ

هو عبد الله بن سباً، ويقال له: ابْنُ السوداء، لأنَّ أَنَّهُ كانت امسرأة سوداء اللَّونَ، وكان هو أبضاً السود اللَّون.

كان يهوديًّا، ودخل الإسلام منافقاً ني خلافة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه.

ومعظم الأخبار تؤكّد أنّه من يهود اليمن، وقيل: هو من يهود المحبرة، وقيل: هــو روميّ كان يعمل لتقويض الدّولة الإسلاميّة بتوجيه من الدولة الروميّة والبيزنطيّة،

. . .

أقوال المؤرخين وأصحاب المقالات بشأنه(١)

اتفقت المصادر التي تحدّثت عن تداريخ المسلمين والحسوكات والمسفاهب السياسية والاعتقادية الدينيّة التي نشاتٌ في عَهْد عنسان رضي الله عنه، من كتب أهل السّنة، وكتب الشيعة، على أنَّ هذا المنافق الطّسالُّ المضلُّ قد كان شخصيةً حَقيقًا، بخلاف ما أمَّعَ، بعض المماصرين من الشيعة والمستشرقين، من أنَّه شخصيةً وهبّة،

⁽١) باستطاعة الباحث أن يهرجع إلى تفصيل ما قباله بنسانه علماء الشة وعلماء الشجعة، والبنات شخصيته منافقاً يهرونهاً إلى ما كتب وإحسان (آسهي ظهيره في كتابه والشيعة والشيع - أمرق وتاريخ عدداً من صفحة (٨١) وإلى كتباب وعبد الله بن سباء ناليف والشبخ سليمان بن حمد المحودة.

ليستُروا بهذا الأدعاء الأصل الذي نشأت بدسانسه ومكابئه الفرق التي شقت عصا الوحدة الإسلامية، تحت ستار مناصرة حقّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخلافة، وحقّ آل بيت الرسول محمد ﷺ بها من بعده، وما نجم عن ذلك من انحرافات اعتفادية خطيرة، سلخت فرقاً عديدة من الإسلام سلّخاً كليّاً، وكان بعضهم زنادةً ملاحدة يؤلّهون البشر، وأنّفز من اليهود والنصارى.

. . .

بعْضُ من أثبت حقيقته ومقالاته وخبائثه من علياء أهل السنّة

فمن أهل السنة الذين تحدَّدوا عن وجوده وتحرّكاته في إثارة الفتنة على عثمان حتى انتَهَتُ بمقتله، وتحدّثُوا عن مقالاته الكافرة وأكاذيبه التي دسُّها بين المسلمين.

- (١) الطبري في تناويخ، معتمداً في الغالب على روايات وسيف بن عصر التميميء.
 - (۲) ابن الأثير في تاريخه متابعاً الطبرى.
 - (٣) ابن خلدون في تاريخه.
- (٤) ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، مستندأ إلى روايات الطبري، وروايات أخرى لا ينتهي سندها إلى وسيف بن عمر التميمي، وهمذه الروايـات يصل بعضهما إلى درجة الصحيح، ويصل بعضها إلى درجة الحسن، كما نقل والمودة، عن والألباني...
 - (٥) الجاحظ في كتابه والبيان والتبيين..
- (٦) وذكر أبن سعد السبئية في الطبقات الكبرى، دون أن يصدرًح بـاسم
 عبد الله بن سبأ على وجه الخصوص.
 - (٧) البلاذري في وأنساب الأشراف.
 - (٨) ابن كثير في والبداية والنهاية.
 - (٩) المقريزي في وخططه.

- (۱۰) وذكره أيضاً المذين كتبوا في الرجال، ومنهم: دابن حُبانَه و دالذمبي، و دابن حجزه و دالمقدسي، و دالمائقي، و دالصفدي، و دالجرجاني، وغيرهم.
- (١١) وذكره أيضاً الكتّبابُ في القبرق، وأصحباب العقبالات، ومنهم: وأبير الحسن الأشعبري، و والبغيداني، و وابن حيزم الأنبدلبي، و والإمغيراييني، و والشهرستاني، و وفخر الذين الرازي، و والكرماني، وغيرهم.

بعض من أثبت حقيقته ومقالاته وخبائثه من علماء الشيعة

ومن علماء الشيعة الذين تحدّثوا عن هذا المنافق اليهودي الخبيث، وتعتبر كنيهم من المصادر الموثقة والمعتمدة عند الشيعة:

- (١) أوّل المصادر المهمة النادرة، التي ذكرت عبد الله بن سباً درسالة الإرجاء، للحسن بن محمد بن الحنفيّة، المتوفّى سنة خمس وتسعين للهجيرة، والتي رواها عنه الثقاف من الرجال عند الشيعة.
- (٢) سعد بن عبد الله الأشعري الفُمِّي، المتوفى سنة (٩٣٠١هـ) في كتابـــه والمقالات والفرق، وهذا الكتاب مطبوع في طهران سنة (١٩٦٣م).
- (٣) أبو محمد الحسن بن موسى النويختي، وهو من أعلام القرن الشاك
 الهجري، في كتابه وفرق الشيعة، وقد طبع هذا الكتباب وكاظم الكتبي، في النجف
 عدة طبعات، وطبعه المستشرق وريتره في إستانبول سنة (١٩٣١م).
- (٤) أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكثي، في كتاب المعروف بناسم
 ورجال الكِشّيء وقد طبعته مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بكربلاء.
- (٥) شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، العتوفي سنة (٤٦٠هـ)
 في كتبايه المعروف باسم ورجال الطوسي، وقمد طبع في النجف سنة (١٣٨١هـ ـــ (١٩٦١م) من قبل ومحمد كاظم الكبيم،

- (٦) ابن أبي الحديد في شرحه لكتاب ونهج البلاغة، وهو شيعي.
- (٧) الحسن بن يوسف الحلّي، في كتابه والرجال، وقد طبع في طهران سنة
 ١٩٦١هـ) ثم في النجف سنة (١٩٦١م).
- (A) محمد باقر الخوانساري، في كتابه بروضات الجنان، وقد طبع في إيران سنة (١٣٠٧هـ).
- (٩) الشيخ عبد الله المامقاني، في كتابه وتنفيح المقال في أحوال الرجال، وقد طبع في النجف سنة (١٣٥٠هـ).
- (١٠) ابن المسرتضى أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ) وهسو من أثمة الشيعة الزيديّة.
 - (١١) الأردنبيلي (١١٠١هـ).
 - (١٢) الصدُّوق (٣٨١هـ) في كتابه ومن لا يحضره الفنيه،

وغيرهم كما ثبت لدى المتبّعين لأعلامهم وكتبهم.

قــال الدكتــور وسعدي الهــاشــمي، في بحث له عن وعبــد الله بن سبــاً، نشــره في مجلّة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، بالعدد (٤٦) سنة (٤٠٠ هــ) ما يلي :

دانفق المحتذون، وأهل الجرح والتعديل، والمؤرّخون، وأصحاب كتب الفرق، والملل والنّخل، والطبقات، والأدب، وأنّهات كتب الشبعة، على وجود شخصيّة تاريخيّة اسمها دعيد الله بن سبأه الملقب وبابن السّوداء، وأنّه يهودي جاء من اليمن، وأظهر الإسلام تفاقأ في عهد عثمان رضي الله عنه، وأظهر الصلاح، وجعل يتقرّب من عليّ رضي الله عنه، ويظهر معيّده.

فلا شبهة بعد هذا في أنَّ المشافق اليهوديُّ وعبـد الله بن سبأه هـو شيطان الفتشة الكبرى في عهد عثمان، وما جرّت بعد ذلك من ويلاتٍ ونكبّاتٍ في تاويخ المسلمين. **(Y)**

مقالاته التي نشرها بالتدريج وضلل بها من تأثّر به كُلِّياً أو جزئيّاً

- (١) عبد الله بن سبأ هو أوّل من قال بوصيّة رسول الله 義 أَلِهُ إِلَمْلِيّ أَنْ يكون خليفته من بعده، وأنّه هو خليفته على أمّته بالنصّ، فهو الذي أحدث القول بالوصية لعليّ.
 - (٢) وهو أوّل من أظهر البراءة من أعداء عليّ رضي الله عنه، وحكم عليهم بالكفر.

وقد أثبت هذا من أقواله من علماء الشيعة : النـويختي، والكشيّ، والعامقـاني، والتـــتري، وغيرهم.

- - وقد أظهر هذه المقالة في مصر، وكان يقول لمن يعرض عليه أقواله:
 - أليس قد ثبت أن عيسى عليه السلام سيعود إلى هذه الدنيا؟

فيقول له الرجل: بلي.

فيقول له: فرسول الله أفضل منه، وهو آحق بالرجوع من عيسى، فسا تنكر أن يعبود إلى هذه المدنيا، وهبو أشرف من عيسى. ويقبول: العجبُّ مَمَّنْ يزعم أن عيسى يرجع ويكفب برجوع محمد، وقد قال الله عزَّ وجل له: ﴿إِنَّ الذِي فَرضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرائك إلى معادًه.

ثم يفول له: وكمان قد أوضَىٰ إلى عليٌّ مُحمَّــدٌ خاتم الانبِيَــاء، فَعليُّ خاتُمُ الأوصِياء.

ثم يفـول له: فعليَّ احتَّى بـالأثرِ من عثمــان، فعثمان مُعْتَـد إذَّ تولَّىٰ مــا ليس له، فأنْجَرُوا عليه، وأظَّهُرُوا الأمر بالممروف والنهى عن المنكر.

ومن أقواله: إنَّه كان ألف نبي، ولكـل نبيّ وصيّ، وكان عليٌّ وصيّ محمـد، ومن أظلم ممّن لم يُجرُّ وصيّة رسول الله ووثّب على وَصِيّ رسول الله وتناول أمر الأمة.

بغير حتّى، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، ابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادّعُوهم إلى هذا الأمر، فبثّ الدّعاة.

 (٤) وهو أول من أحدث بين المسلمين القول بالتناسخ، كما ذكر المقريزي، فقال فريق من أتباعه بذلك.

(٥) وهو أوّل من ادّعَىٰ النّبوّة بعد الرسول ﷺ، وأوّل من قال بألوهية عليّ رضي
 افله عنه وربوبيّته.

روى الكثَّى والشيمي، بسنـد، عن أبـي جعفر، أنَّ عبـد الله بن سبأ كـان يـدّعي النبّوّة، وزعم أنَّ أمير المؤمنين (يعني عليًا) هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين، فدعاه وسألةً فأقرُّ بـذلك، وقـال: نعم، أنت هو، وقـد كان قد أَلْقِي في رُوعي أَنْكَ أَنْتَ اللّهُ وَأَنْي نِبيُّ.

فقال له أمير المؤمنين: ويُلَك قد صَخِر مَنْكَ الشيطان، فلرجِعُ عن هذا ثكِلْتُـكُ أَمُّكَ، وتُبُ، فَاتِمى.

تضول الرّواية: فحبسه أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ثـلاثـة آيـّـام فلم يُتبُّ. فأحرقه بالنار، لكنّ الروايات الاخرى الاكثر والأصح تذكر أنه نقاه إلى ساباط المدالن.

وذكر الجوجزاني: أنَّ عليًّا نفاه بعدما كان همَّ به (أي: هم بقتله).

ويظهر أن ابن سبأ راوغ، ولم يُصِرُّ على أفـواله في الــوهـية عليِّ فــاكتفى سيدنــا علىَّ بنفيه.

لكنّ مقالته في الوهية عليّ بين أصحابه السبئيين مقالة ثابتة، ولها وجودٌ بين فرق بعض غلاة الشيعة من الملاحدة حتى الآن.

وبلغ سيدنا علياً أنّ بعض مشايع يؤلهونه ، أو يرون أنّ فيه جزءاً إلّهياً، فجمع من ملغه عنهم ذلك، واستجربهم، فأقروا، فاستنابهم، فأصرُوا، فأسر بنارٍ فأجَجت، وجعل جُنْلهُ يقذفونهم فيها، فلما راوا ذلك منه جعلوا يقولون: الآن صحّ عندنا أنه الله.

وروي عنه أنه قال:

المسَّا وأيسَّت الأمار أماراً مستكراً الجنجاتُ تَبَاراً وفَعَنوْتُ فُسُمِّا

(٦) وكانت لعبد الله بن سبأ اقوال شنيعة بعد اغتيال سيدنا على رضي الله عنه.
 فقال: إنّ عليّاً لم يَمْتُ، وإنّهُ راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، فيتْللُوها عَذَلاً، كَمَا مُلِكَتْ جوراً.

وقال للّذي جاءه ينمى إليه موت عليّ بن أبي طالب: ولوجتنا بدماغه في صُـرَّةِ لعلمنا أنّه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه».

وزعم أنَّ المقتول لم يكن عليّ بن أبسي طالب، وإنّما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورته. وقال: لو أقام أحد على قنله سبعين شاهداً صدلاً ما صدّقناه، ولعلمنا أنه لم يعت ولم يقتل، وإنما صعد إلى السماء، والذين رأوه قنيلاً قلد شُبّه لهم، كما شُبّه للذين زأوا عِبسَى مصلوباً.

(٧) ذكر الصفدي في ترجمته لعبد الله بن سبا، أنه قال لعلي رضي الله عنه: أنت الإلّم، فقاه إلى المدائن، فلمنا قبل عليُّ زعم ابن سبا أنه لم يَمْتُ، لأن فيه جزءاً إلْسَهِنَا، وأنَّ ابن مُلجم إنّما قبل شيطاناً تصور بصورة علي، وأنَّ عليًا في السحاب، وأنَّ الرعد صوته، والبرق سرطه، وأنه سينزل إلى الارض فيمنؤها عدلًا.

هذه المقالة موجودة حتى الآن لدى بعض الطوائف الكفرة من مشايعي علميّ. فعبد الله بن سبأ علم أتباعه أن يقولوا إذا رأزًا سحابة: أسيّر المؤمنين فيها.

وذكر الجرجاني أنّ اصحاب عبد الله بن سبأ يقولون حين يسمعون الرعد: عليك السلام يا أمير المؤمنين .

ونقل النويختي من علماء الشيعة: أنَّ الشيعـة الغلاة يقـولـون مقـالة ابن سبـاً في عليٌّ بعد اغتياله:

إِنَّ عَلِيَّا لَمْ يَقْتَلْ، ولمْ يَمُتْ، ولاَ يُقْتَلُ ولاَ يَمُوتُ، حتى يسوق العرب بعصاه، ويمالأ الأوض عدلًا وقسطاً، كما مُلِئَتُ ظلَّمَا وَجُوراً. (A) وروى الجوجزاني، أذّ من مزاعم عبد الله بن سبأ ادّعاؤه أنّ القرآن جزءً
 من تسعة أجزاء، وعلمه عند على .

فقـال السبئية تبعـاً له: إنّ محمّـداً كتم تسعة أعشـار الوحي، وقــال فريق منهم: هدينا لوحى ضلّ عنه الناس، ولعلم خفى عنهم.

وقد ردّ عليهم الحسن بن محمد بن الحنفيّة، أحد أنسة أهل البيت، في رسالته «الإرجاء» التي رواها عنه الثقات عند الشيعة قائلًا:

ومن قبول هذه السبئية: وهمدينا لموحي فسلّ عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وزعموا أنّ رسول الله ﷺ كتم تسعة أعشار الوحي، ولو كتم ﷺ شيئاً مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد، وقوله: وتبخى مرضاة أزواجك،(١).

 (٩) وادَّغَى وعبد الله بن سبأه أنّ عليّاً هو دابّـة الأرض، وأنّـهُ هــو الـذي خلق الخلّق وبسط الرزق.

(١٠) وظهرت بين أتباعه الغلاة مقالات، منها: انتقال روح القدس في الأئصة،
 ومنها أنهم لا يعونون، وإنّما يطيرون بعد موتهم، ولذلك بقال لهم: الطيّارة.

(١١) وكان ابن سبأ يكمذب الأكاذيب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،
 فسمًا كان يقول الأصحابه:

إنّ أمير المؤمنين قال لي: إنّه يدخـل دمشق، ويهدم مسجـدهـم حجراً حجـراً. ويظهر على أهل الارض، ويكشفُ أسراراً، ويعرّفُهم أنّه رئهم.

وعن ابن سبأ أخذ غـالاة الشيعة أفكـاره هذه مــوزّعـةُ في فــرقهم، وزادوا عليهــا ضلالات وكفريات وإباحيّات وإلحاداً.

قمنهم من يؤلّهون علياً والائمة من بعده، ويقـولون: إنّ الجـزء العلويُّ الإلّـهيُّ يحُلُّ في الائمة، وإنّهم بذلك استحقوا الإمامة بطريق الـوجوب، كمـا استحقّ أدم عليه

 ⁽١) انظر د. سعدي الهاشسي، في بحثه المنشور في همجلة الجامعة الإسلامية، بالعمدينة العمدد
 (٢٦) سنة ١٤٠٠هـ.

السلام سجُودَ الملائكة له، فالإمامةُ عندهم موقىونةُ على نــاس معيّنين، لا تتعدّاهم، ومن أخذها منهم فهو ظالم.

والمكيمة الهودية من وراء هذه الأكافيب التي افتروها ورؤجوها أنَّ يكون المنافقون منهم بين صفوف المسلمين، هم الأثمة واصحاب السلطان، إذا استطاعوا أن يسرقوا أنساباً من أنساب أهل البيت، ويجعلوا أُسراً منهم ضمن أُمز أهل البيت النبوي، ويدُّعوا لأَبناء هذه الأسر أنَّهم هم الأئمة، وهو ما ظهر بعد ذلك في الدولة الفاطمية.

فالمكيدة ليست مكيدة شخص واحد فيما أرى، بل هي مكيدة بهدوية ذات أطراف متشعبة بسرز منها بعض الأطراف، وتختفي أطراف أخسرى كثيرة، على طريقة المنظمات السَّرية.

(۳)

موجز تحركاته الشيطانية الأولى

- (١) تـظاهر اليهـوديّ دهبد الله بن سبأة الملقّب بابن السوداء، بـالإســـلام في
 خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وأنقن دوره في النفاق.
- (٢) واحمد ينتقل في بلدان العسلمين من قُـطُو إلى آخر، محماولًا إضلالهم عن
 دينهم، وإثارة الفتن بين صفوفهم.

فابتدأ بالحجاز، ثم انتقل إلى البصرة، ثم عرّج على الكوفة، وأسّس في البصرة والكوفة خلايا له من الأشرار المنافقين ذوي المطامع.

ثم انتقىل إلى بلاد الشـام، فلم يجد فيهـا ما يـرجــو، لأنَّ هــوى الشــاميين كــان مجتمعاً فيها على معاوية بن أبـي سفيان.

فأتى مصر واستقر فيها. وطاب له فيها العمل، وعقد حبائل الفتنة.

 (٣) استطاع أن يؤلب الاحزاب ضد الخليفة الثنالث عثمان بن عضان رضي الله عنه، وكانت فتنته قد بدأت بالتشنيع عليه وعلى الولاة من قبله في الامصار.

(3) نــزل في البصرة حين انتقــل إليها بعــد الحجاز على شخص اسحه: وحكيم بن جَلَة المُنْدِيء من بني عبد القيس، وكان هذا رجــلاً لشأ شريراً، إذا قفلت جوش المسلمين خنس عنهم اللصوصية والسلب والنهب، وكان يعثو في أرض فارس، يَنْيُرُ مع عصبته على أهل الذَّمَة، ويُقْبِد في الأرض، ويُعيبِبُ ما يشاء.

فشكاه أهل اللمّة والمسلمون إلى الخليفة عنسان رضي الله عنه، فكتب إلى عامله وعبد الله بن عامره: أن الحبسّة ومنّ كنان مثلّة، فللا يدُخرُجَنُّ من البصرة حتّى تأسوا منه رُشداً، وقُرِضَتْ عليه الإنسامة الجبرية في البصرة، لاتقاء شرّه وإفساده في الارض.

ولمَّا قدم «عبد الله بن سبأه البصرة ونزل على هذا الرجُلِ اللصُّ المفسد، وعلم والي البصرة بقدومه، ولعلَّه أحسّ ببعض تحرّكاته، دعَاهُ وقال له: ما أنت؟

قال: رجلٌ من أهل الكتاب، رغب في الإسلام والجوار.

فتوجّس منه والي البصرة خيفة أن يُثير فتنة ويعمل شرًّا، وقال له: اخرج عنّي.

(٥) فخرج من البصرة، ودخل الكوفة، واتصل ببعض أشرارها، وتـــأمرُوا علَى
 إثارة الغنن، واحسّ بهم أهل الكوفة، فتوجّسُوا من وعبد الله بن سبأه خيفة، فاخرجوه.

(٦) وارتحل إلى الشام، وتُببِ إليه أنه لتي فيها أبا ذَرُ الغفاريُ رضي الله عنداً، مستضلاً ما لمدى أبي ذرُ مِنْ رأي عندان، مستضلاً ما لمدى أبي ذرُ مِنْ رأي في المال، وقال له: [الا تعجب إلى معاوية، يقول: والمالُ مال الله؟! كأنه يدريد أن يعتجزوُ لقسه دون المسلمين.

فـذهب أبو ذرّ إلى معـاوية، وأنكـر عليه ذلـك قائـلًا: ما يَـدُعُوكُ أن تُسَمّي صـال المسلمين مالَ الله؟

 ⁽١) لقاء ابن سبأ لأجي نؤ مشكوك فيه لدى حسّات التواويخ ، ولا يلزم من هذا أن أبا ذرّ لم يختلف مع معاوية ، فخلافه مع معاوية ومع عثمان في قضايا الأموال أمرّ مشهور.

فغال له معاوية: يُرْحَمُكَ اللَّهُ بِنا أَبَا ذَرٌ، ٱلسَّنَنَا عباد الله، والممالُ مألُه، والْخَلْقُ خَلَقُه، والأمرُ أَمُرُه؟!

لكنّ ابن سبأ لم يجد بغيته عند أهـل الشام ضدّ معارية، أو عثمان، ورأى الشامُون فيه مثير فتنة ضدٌ معاوية الأثير لديهم، وضدّ خليفة المسلمين، ورأوا أنّ هـذا الرجل صاحب كيد يعمل لتألب الفقراء ضدّ الأغنياء، فأخرجوه.

(٧) فرحل إلى مصر وكان ذلك حوالي سنة (٣) هجرية) ونزل في مصر على بعض القبائل اليمنية، مثل: والضافقي بن حرب المكّيء و وسيودان بن حمران السكونيء واختبر استارتهم ضد اللّين كله فلم يبعد لديهم الاستعداد لـذلك، فعرض لهم بالشقاق على الولاة فأطّنتُون إذ رجد لديهم هرى في ذلك.

وأدرك الخبيث وعبد الله بن سباء أنّ والي مصر وداهية العرب وعَمْرو بن العاص، هو العقبة الكبسرى في مصر ضدّ مكابده، فبدأ ببائارة الناس عليه، ولَبِس قناع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليلوغ أهداف، وقال للذين استجبابوا لمكيدته وإشارة التعق

وأَظْهِرُوا الأمرُ بالمعروف والنهيّ عن المنكر تستميلوا الناس.

ويداً دعبد الله بن سباء فطمن في دعمروبن العاص، قائلًا: دما باله أكثركُمْ عطاة ورزْنَا؟! أَلاَ نُنصُّبُ رجلًا من قريش يُسنَّي بيننا؟!.

فَسَرُّهم ذلك منه، لأنَّه وافق هواهم.

خاتسة:

ذكر وإحسان إلَيهي ظهيره في كتابه والشيمة والتشبّع، إلجماع مؤرخي السنة والشيمة على أنَّ وعبد الله بن سبأ، هو الذي أضرم نار الفنتة، وسعى بالفساد في أرض الخلاقة، وأغرى الناس ضدَّ عثمان، حتَّى انتهت الفنتة بمقتله رضي الله عنه.

وبذلك تُلِمَتْ ثلمة عظمي في تاريخ المسلمين.

(\$)

قصة إشعاله الفتنة وتحريكه الثورة التي انتهت بمقتل الحليفة عثمان

استقر دعيد الله بن سبأه في مصر، وجُمَع حول. فريقاً من المنافقين، واستمال بعض المسلمين وهم غافلون عن مكيدته، فجعلهم يقبلون اقراله في المعلمن على الخليقة عثمان بن عنّان رضى الله عن، وعلى ولاته في الاقاليم والأمصار.

وأعلن أن عليّاً هو وصيّ رسول الله، وأنّ هذا الحق قد انتزعه منه أبـــو بكـر وعُمَــر وعثمان، وأنّه يجب التخلّص من عثمان وردّ الحقّ لصاجبه.

ووجد الخيث ابن سباً عوامل ساعدته على إحكام خطته، من لين الخليفة وعثمانه ولين واليه في مصر وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، بعد عزل وعُشرو بُن العاص، وتوليته الأفريين من بني أبية، ووجود بعض الناقمين عليه من أولاد كبار الصحابة، وتفرّق أصحاب رسول الله في الأمصار، ووجود الأخلاط وأصحاب المصالح الخاصة الطامعين بين بعض القبائل التي لم يتمكن الإسلام من قلوبهم، ومنهم من كانوا من قبائل المرتدّين في عهد أبي يكر وضي الله عنه.

واتخذ أولياء له أغراهم بمالمنافع والسلب والنهب، من عناصر الفساد والإفساد والطامعين وقطاع الطرق في البصرة والكوفة، منّة إقامته فيهما قبل أن يرحل إلى الشام فعصر.

انْهَشُوا في هذا الأسر فحركوه، ايدؤوا بـالعلمْن على أسرائكم، وأظهروا الأسر بـالمعروف والنهي عن المنكـر تشّييلُوا الناس، وادعـوهم إلى إعادة الحقّ إلى نصبابه علىّ بن أبـي طالب. ويث دعاته في الأمصار، وجمل يكاتب من كان قد أفسدهم ويكاتبونه، واخذ دُعاتُه يدعون إلى تغيير الخليقة سراً، ويختلفون الاكاذب عليه وعلى ولاته، إعداداً للقيام بالشورة على عنسان في المدينة، وجعلوا يكتبون الكتب ويرسلونها إلى كبراء الأمصار، فيُرسلُ كلُّ متامري أهل عصر من أتباع بن سا إلى كبراء الأمصار الاخرى، شاكن سوء حال الولاة عليهم من قبل عشدان الخليفة، وقرأً أتباعه هذه الكُتبُ في أمصارهم، حتَّى تتاولوا بذلك المدينة عاصمة الخلائة، وأرسعوا الأرض إذاعة عن سوء حال أهلها من ظلم الخليفة.

وحين يُسْمَعُ أهل كلّ بلّدٍ ما حاءهم من أخبار البلدان الأخسرى يقولمون: إنَّا لَتِي عافيةٍ ممّا ابتّليّ به غيرنا من أهل الأمصار.

أمّا أهل المدينة فقد وردت إلبهم الكتب المصنوعة من جميع الامصار، فقالـوا: إنّا لفي عافية ممّا عليه جميع المسلمين في أمصارهم.

ووصلت إلى الخليفة عنصان رضي الله عنيه الأنبياء التي تُؤنَّت في الكتب المصنوعة العزورة، فقال الذين نقلوا إليه أخبار هذه الكتب من أهمل المدينة: أبأنيك عن الناس الذي يأتينا؟

قال: لا والله، ما جاءني إلَّا السلامة.

قالوا: فإنَّا قد أتانا، وأخبروه بما جاء في الكتب.

قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ.

قالوا: نشير عليك أن تبعث رجـالاً ممّن تيق بهم إلى الامصـار، حتى يـرجعـوا إليك بأخبار أهلها.

فقبل مشورتهم، ونقُذُها كما يلي:

- أرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة.

ــ وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة.

۔ وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر.

ـ وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام.

ــ وأرسل رجالًا سواهم إلى سائر الأمصار.

فرجعوا جميعاً قبل عمّار بن ياسر، فقالوا: أيُّها الناس، ما أنكرنا شيشاً، ولا أنكر أحلام المسلمين ومَوامَّهُمْ شيئاً.

وقــالوا جميعــاً: الأمر أمــر المسلمين، وإنّ أَمْرَاءَكُمْ يُقْـيــطُونَ بينهم، ويَقُــومُــونَ عليهم.

واستبطأً النَّاسُ عمَّار بْنَ ياسر، حتَّىٰ ظُنُوا أنَّه قد اغْتِيل.

ثم فاجأهم كتاب من والي مصر وعبد الله بن سعد بن أيمي مسرح يحُبرُ فيه أنَّ عمّاراً قد استماله قومٌ بمصر، وقد انقطموا إليه، وفيهم وعبد الله بن سبأه و دخالد بن ملجم» و ومسودان بن حمران» و وكنانة بن بشمره يربدونه على أن يقبول بقولهم، وهم يزعمون أنَّ محمّداً راجع، ويدعونه إلى خلّم. عثمان، ويخبرونه أنَّ رأي أهمل العدينة على مثل رأيهم، فإنَّ رأى أمير المؤمنين أنَّ يأذُنَّ في في قتله وقتلهمٌ قبل أنْ يُنابعهم؟

فكتب إليه عثمان رضي الله عنه:

وَلَعَشْرِي إِنَّكَ لَجَرِيءٌ يا ابْنَ أَمْ عَلِيهِ، لا والله لا أقتله، ولا أنْكَؤُهُ ولا أيساهم، حتى يكنون الله عزّ وجنل بتقم منهم ومنه بعن أحيّ، فـلـْمُهُمْ منا لم يَخْلَصُوا بـلـاً من طاعة، ويخوضوا ويلعبواه.

بلوغ المؤامرة السبئية ذروتها:

وبلغت المؤامرة الكيديّة السبنيّة ذروتها، ونُشط أبائسة الشرّ والفتنة في إشعال نار الثورة.

(١) فخرج في الكوفة ويزيد بن قيس، ودخل المسجد منادياً بخُلُع عشان،
 واجتمع إليه أصحابه، ممن كمان عبد الله بن سبأ يكاتبهم، ينادون بخلع الخليفة
 عثمان.

وأنكر عليهم ذلك أهل العلم والرشد من أهل الكوفة، وقـال قائـل أهل الـرشـد: هيهات، لا والذ، لا تُشكِرُ الْغَوْغَاء إلاّ المشرفيّة (أي: السيوف).

- (٢) وفي مصر أخذت تبرد الكتب المزورة على السنة الصحابة تطالبُ بقشل.
 عثمان.
- (٣) وأشعل أصحاب وعبد الله بن سبأه المنافق اليهودي نبار الثورة على عثمان
 في عدّة أمصار.
- (٤) ولِنْغَ عشمانَ رضي الله عنه السُرُ هذِه الفتنةِ ذاتِ الكيد البهودي المعدبّر، فأوسَلَ إلى عُمَّلِهِ أنْ يوافوه في موسم الحجّ، ودعا معهم بعض من يثن برايه ومشورته.
- (٥) فحضر إليه معاوية بن أبي سفيان، واليه في الشام، وعبد الله بن عامر،
 واليه في البصرة، وعبد الله بن سمد بن أبي سرح، واليه في مصر.
 - وحضر أيضاً عمرو بن العاص، وسعيد بن العاص، وكانا معزولين.
- وأخبرهم عثمان بما صنع الشاس، وما شكُوًا به إليه، وطلبَ منهم أن يجتهدوا في آوائِهم ويشيروا عليه.
- فأشار عليه وعبد الله بن عامره بنان يأسر الناس بالجهاد، ويُجَمُّهِ رَهم في المعاذي، ليشفَلَهُم بذلك عن إثارة الفنن الداخلية.
- وأشار عليه ومعاوية بن ابني سفيان، بأن يبرد عَمَالُم إلى أمصارهم، على أن يَكُفُوه ما يأتي من قبلهم (اي: أن يُطلِق أيديهم لقنّم الفنتة).
- وأشار عليه وسعيد بن العاص، بأن يقتُل قادة هؤلاء الفرق، فيتفرّق أذنابُهم،
 إذْ إنَّ الأمر يُصْنَع في السَرَ، ولا ذَنْبَ للمائة الذين يتحدَّثُون بما يُسَرَّ به إليهم.
- وأشار عليه وعبد الله بن سعد بن أبي مَسْرَح، واليه على مصر، بأن يُشْدِق عليهم الأموال، فيُلْجِمْهُم بها، لأنهم أهل طمع.
- وقال له وعَمْرو بْنُ العاصه: إنَّكَ رَكِبَ النَّاسَ بِمَا يَكُوهُونَ، فَأَعْتَزِمُ أَنَّ تعتَيلَ، وإلاّ فَاعْتَزِلُ.

وظنٌ عثمان أنَّ هذا القول من وعمروبن العاص، هو الجندُ منه. حتَّى إذا تشرّق الفوم عنه أشار عليه عشرو بانَّ هذا ليس هو رايه، وإنّما اراد أن بيلغُ القومُ قولُ، فيثقوا بيه، فيقودُ إليه خبراً، او يصرف عنه شراً، وذلك لظنَّه أنَّ الْخَيْرَ سببلُّهُمْ.

ورُوي أنه نصحه بقوله:

وَارِى أَنْـكَ قَد لِنْتَ لَهُمْ، وتسراخَيْتَ عُنْهُم، وزَدْتَهُمْ على ما كانَ يَصْنَـمُ عُمَـر، فأرى أن تلزم طريقة صاحِبَيْك، فتشْنَدُ في موضع الشَّمَة، وَتِلِينَ في مَوْضِعِ اللَّينِ،

مقدم الثائرين إلى المدينة من مصر والكوفة والبصرة:

بعد أن تمّ نشجٌ خيوط المؤامرة التي دُبّرت في مصر والكنوفة والبصرة، بمكر شيطانها وعبد الله بن سباء.

وفي سنة (٣٥ للهجرة) انطلق الثائرون من هذه الأمصار الثلاثة، متظاهرين بأنهم خرجوا للحدج، وهم إنّما خرجوا للشورة والحرب، وخلع خليفة المسلمين، بأهواء ثلاثة، لأنّ مدبّري الفنتة يريدون إحداث الشقاق والتقاتل بين المسلمين بذرائع شمّى، وكان من ضمن الثائرين من سبق أن اوتدّ في عهد أبي بكر.

فالتاثرون من مصر هواهم أن يستخلفوا الزبير بن العوّام، أحد العشـرة العبشرين بالجنة.

والشائرون من البصرة هواهم أن يستخلفوا طلحة بن عبيـد الله، أحـد العشـرة العبشرين بالجنة، ولقبه الرسول وطلحة الخيره وهو من دهاة قريش وعلمائهم.

فجاء الشاشرون من مصر في أربع فوق، وكان عددهم ما بين (٦٠٠)
 و (١٠٠٠) على اختلاف في الروايات.

قائدهم العالم بحسب الظاهر والفافقيّ بن حرب العكي، وكانوا مقسَمين إلى أربع فـرق، على كلّ فـرقة أسـر، وهـم: وعبد الـرحمن بن عديس البلوي ــ كنــانـة بن بشــر التجيمي ـــ سودان بن حمران السكوني ـــ قتيرة بن فلان السكوني،.

وذُكر من أسماء القادمين: وعروة بن شيم اللَّيثي ــ أبـو عمـرو بن يـديل بن ورقــاء الخزاعي ــ سودان بن رومان الأصبحيه.

وقدم معهم شيطان المؤامرة الخبيثة اليهودي المنافق وعبد الله بن سبأه.

 وجاه الثاثرون من أهل الكوفة في أربع فرق أيضاً، وكان صددهم كعدد الغادمين من مصر، بإمارة وعصرو بن الأصم، أنّا أسراء الفرق فهم: «زيد بن صوحان العبدي ــ الأشتر النغمي ــ زيده بن النضر الحارثي ــ عبد الله بن الأصم أحد بني عامر بن صمصمة.

 وجاء الثائرون من أهل البصرة في أربع فرق أيضاً، وكمان عددهم كعدد القادين من مصر، بلمارة وحرقوص بن زهير السمدي، أمّا أمراء الفرق فهم:
 وحكيم بن جبلة البياي _ زريع بن عبّاد العدي _ بشر بن شريع الحطم بن ضبيعة القبي _ ابن المحرش بن عبد عُمّرو الحقيء.

وسار القانصون من الأمصار الشلاق، حتى إذا كمانـوا من المــدينـة على ثـلاث مراحل، توقفوا يستطلمون أحوال أهل المدينة، هل هم سيخرَّجون لقتالهم، أو أن أهل المدينة لا علم لهم بمقدمهم ولا يفايتهم.

وتقدّم من الثائرين طلائع، فنزل العصريون في وذي المعروة، ونزل الكنوفيون في والأعوص، ونزل البصريون في وذي خشب [أسما، أمكنة] حول العدينة.

ومشى بين الثنائرين من الجهنات من نظّم عمليّـة الدخــول إلى العــدينــة، حتى لا يُفَخِوْوا بِما يُحْبِط أَعْمَالهم الكيديّة.

ودخل رجلان من الثائرين العدينة يتحسّسان الاخبار، ويستطلعان ما لدى كبار الصحابة من رأي، هما وزياد بن النضره و وعبد الله بن الاسم» فقيا أزواج النبي لله وعليًا وطلق وعليًا وطلق عثمان عثمان، وتلطّقُوا وعليًا وطلق عثمان عثمان، وتلطّقُوا بالحديث، وطلّبُوا الإذن للوفود بـدخول المدينة، فكلّهم آبرًا، ونَهْوَهُمْ عن متابعة ما جادوا من أجله، فرجعا وألّفنا الوفود بما لقوا من الذين واجهوهم.

واستنفر أهل المدينة لحمايتها من الشائرين، وأقاموا مواقع تربّص معسكرين مسلّحين.

فاجتمع من الفادمين من مصر نفر فأثنوا دعليًا، رضي الله عنه، فسُلُموا عليه، وعَرْضُوا له، فصاح بهم وطردهم، وقال لهم:

ولقد علم الصالحون أنَّ جيش ذي المروة وذي خُشب، ملمونون على لسان محمّد، فارجعوا لا صَحِيكُمُ الله. قالوا: نعم، فانصرنوا من عنده على ذلك.

وأتى نقر من البصريين وطلحة، رضي الله عنه، فسلَّموا عليه وعرَّضوا لـه، قصاح بهم وطودهم، وقال لهم:

ولقد علم المؤمنون، أنَّ جيش ذي الممروة، وذي خشب، والأعوص، ملعونون على لسان محمد ﷺ.

وأتى نفر من الكوفيين دالزبيره رضي الله عنه، فسلَّموا عليه وعرَّضوا له، فصاح بهم وطردهم، وقال لهم:

ولقد علم المسلمون أن جيش ذي المروة، وذي خشب، والأعوص، ملعونون على لسان محمّد ﷺ،

وكان علي وطلحة والزبير قد بعثوا بعض أولادهم لحماية عثمان في داره.

ونوجه قادة الثائرين لعثمان رضي الله عنه، متذرّعين بأنّهم بريدون أنّ يذكّروا له أموراً، ويعرضوا عليه مسائل.

فاستقبلهم الخليفة، وأجابهم على أسئلتهم.

قالوا له: ادع بالمصحف. فدعا به.

قالوا: اقرأ سورة يونس.

فقرأ، فلما وصل إلى قوله تعالى:

﴿ مُّلَ لَكَ يُشُدُّ مَّا الْسُرَٰلَ اللهُ لَكُمُّ مِن زِذْتِ فَجَمَلَتُد فِنَهُ مَرَامًا وَمَلَكُ ثُلْ مَالَهُ أَذِكَ لَكُمِّ أَمْثَا لَا فِي مَنْدُوكِ ﴾ •

أوقيفه

وقالوا: أرأيتَ ما حُبِي من الْجمَىٰ؟ آللُهُ أَذَنَ لَكَ أَمَّ عَلَى اللهَ تَفْتَرِي؟ وذكروا لـه أشياء أخرى.

وكمان يجيبهم بمما يعلم من كتماب الله، ويبين لهم وجمه الحقّ، وخمطُهم في التأويل، ويقيم عليهم الحجّة رضي الله عنه. ثم إنّهم خرجوا متظاهرين بـالرضـا، وكتبوا علي شرطـاً، وأخذ عليهم ميشاقًا ألّا يشقُّوا العصاء لا يفارقوا الجماعة، ما أنام لهم شرطهم.

وأدوك عفلاء الصحاب، وكبار المسلمين من أهـل المدينة، أنَّهُمُ أصحاب شر، فأشاروا على الخليفة بقتلهم، ولكن عثمان رضى الله عنه أبس.

وتفرّقت الطلائع عن في المروة، وذي نخسب، وذي الأصوص، حتّى انتهوّا إلى عساكرهم الرابضة على ثلاث مراحل، لإيهام أهل المدينة أنَّ الثائرين قد رجموا إلى بلدانهم.

ودبّر أصحاب المكيدة عملة للعودة إلى المدينة مباغتين، بعد أن يكون تُحمَّلُها قد عادوا إلى بيونهم، وعاد حرّاس بيت المخليفة إلى بيونهم وأهليهم، ظائين أنَّ جيوش الثانرين قد عادوا إلى بلدانهم.

واتفق صانعو المكيلة مع بعض المنافقين في المدينة، على أن يحمّلوه رسالـة مزوّرة كتبوها، ممهورة بختم الخليفة عثمان، ويحملها معه متظاهراً بأنّه سائر بأنّجاه مصر، وأنْ يتعرّض من حين لاخر للقامين من مصر وهم قنافلون، حتى لا يُشْجِرُوا جمهور الثائرين بأنَّ العودة إلى المدينة خطّة مدبّرة في المدينة.

وانفقوا مع القادمين من الكوفة والبصرة على أن يأتوا المسدينة مباغتين في وقت قدّرو، كافياً لدخولها مجتمعين، بعد أن يكون حماتُها وحماةُ الخليفة قد رجموا إلى مساكنهم.

وبينما رُكْبُ المصرِيْس عائدون وفْقَ ما حصل عليه الاتفاق مع الخليفة، إذا براكب يعترض لهم ويفارقهم، ثم يرجع لاعتراضهم، ثمّ يفارقهم.

عندثلٍ استوقفه قادة الركب ليبدو أنَّه أمر طبيعي غير مدبَّر، وقالوا له: مَا لَكَ؟

قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر.

فقَنْشُوه، فعثروا معه على كتاب من عثمـان وعليه خـاتمه، وفيـه الأمر بصلبهم، أو تتلهم، أو قطع أيديهم وأرجلهم.

فأعلنوه على الركب، واستثاروا به غضبهم، فارتُدُّوا راجعين شطر المدينة.

وكرٌ أيضاً القــادمون من البصــرة والكُوفـة دون اتّخــاذ عُـــلْـرٍ مشــابــــه، لأنّ جميـــع أفرادهم ضالعون في الخيانة، بخلاف القادمين من مصـر، فإنّ فيهم من هو مغرّر به.

ودخلوا المدينة مباغين يكبّرون، وعسكروا فيها، وصلّى عثمان بالنسل آياساً، ولمزم الناس بيوتهم، ثم أخاط جمع من الثائرين بدار عثمان محاصرين، ونادوا في المدينة: منْ كفّ يده فهو أمن.

فأتاهم النـاس فكلّموهم وفيهم عليٌّ وطلحة والزبير رضمي الله عنهم، وقال لهم علي: ما ودّكم بعد أن رجعتم عن رابكُمْ وانصوفتم.

قال المصريون: وجدنا مع رجل البريد كتاباً بقتلنا.

وسأل طلحة البصسريين، والزبير الكوفيين، فقىالوا: نحن ننصر إخواننيا، وقال المصريون لعليُّ: الم تر إلى عدوً الله كتب فينا بكذا وكذا؟ وإنَّ الله قد أحلَّ دمُهُ، فقُمْ معنا إليه.

قال علي: والله لا أقوم معكم.

قالوا له: فُلِمَ كتبتَ إلينا؟

قال على: واللَّهِ ما كتبتُ إليكم كتاباً.

فنظر بعضهم إلى بعض قائلين: ألهذا تقاتلون؟ أو لهذا تغضبون؟

وقال عليٌّ رضي الله عنه: يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة، كيف علمتم بما لقي أهل مصر، وقد سوّتم مراحل، ثم طويتم نحونا، هذا وله أثمرٌ أبْرِمَ في المدينة.

قالوا: فضعوها على ما شتتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، فليعتزلنا.

وانطلقوا إلى عثمان، فقالوا:كَتْبُتُ فينا بكذا وكذا.

فقال رضي الله عنه: إنَّهما اثنتان:

 أن تُقيموا رجلين من المسلمين (أي: شاهـدين على أنه كـاتب هذا الكتـاب الذي يدّعون).

* أو يميني بـالله الذي لا إلَّه إلاَّ هـو، مـا كتبتُ، ولا أَمُلَيْتُ ولاَ علمتُ، وقـد

يُكتَبُ الكتاب على لسان الرجل، ويُنقشُ الخاتم على الخاتم.

قالوا: قد أحلَ الله دَمَكَ، ونقضَّتُ العهذ والميشاق، وحصروه في داره رضي الله عنه محاصرةً شديدة لبعتزل ويحلع نفسه.

وجله عليُّ وأهل بيته، وطلحة، والـزبير مـع أبنائهم، للدفـاع عنه، فقـال عثمان مخاطباً لهم:

يـا أهـل المـدينة، إنّي أستـودعكُمُ الله، وأسَـالُـهُ أن يُحْسِن عليكم الخـلافـة من بعدي، إنّي واللّه لا أَدْعَلُ عَلَيْ أحـداً بعد يومي هدا حتى يقضي الله في قضاء.

ولاَدَعَنَّ هؤلاء وراء بابـي غير معطيهم شيئًا يتُخـذونه عليكُمْ ذَخَـلًا في دين الله، حتَى بكون اللَّه عزَ وجلَ الصانعَ في ذلك ما أحبَ.

وأمر عثمانُ أهل المدينة بالرُّجوع، وأقسم عليهم، فرجعوا إلاَّ الحَسَنَ بن علي، وصحمد بن طلحة، وعبد الله بَنُّ المرْبيس، وأشال هؤلاء، فكمان هؤلاء عند بـاب دار عثمان، عن أمر أبائهم، وثاب إليهم ناسٌ كثير

ولزم الخليفةُ عثمانُ داره.

واستمىر الحصار النين وعشىرين يوماً، ثمَّ أَشَّرَقَ المحساصرون بـابـداره، وفي الدار عدَّدُ غير قليل من حرَّاس عثمان، فيهم عبــد الله بن الزيبر، ومروان بن الحكم، فغالوا لعثمان: الذنَّ لنا بتثالهم.

فضال عثمان: إنَّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إلى عهداً، فأننا صابِرٌ عليه، وإنَّ القوم لم يحرقوا يناب الدار إلاَّ وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأحرَّجُ على رجُل يستقتل ويفاتل.

فلم يأذن لهم بأن يقاتلوا دفاعاً عنه، وخرج الناس كلُّهُم.

ودَّعا بالمصحف يقرأ فيه، والحسَنُ بْنُ عليٌّ عنـده، فقال لـه: إنَّ أباك الآن لفي انْرِ عظيم، فانْشَمْتُ عليكُ لَمَا خَرْجِتَ.

وأمر عثمان أبا كوب ــ رجلًا من همذان ــ وآخر من الأنصار أن يقوما على بــاب بيت المال، وليس فيه إلاّ غرارتان من وَرِق. وأطفئت النمار، ونـــاوش ابنُ الــزيـــر ومــروانُ بعضَ الـمحــاصــرين، وتـــوّعــــدهـــا محمّدُ بن أبــي بكر، وكان من ضــم الثائرين المحاصرين المغرّر بهم.

واقتحم بعض المحاصرين المدار، ودخلوا على عثمان رضي الله عنه، فوجدوه بغراً في المصحف، وإنهالوا عليه يضربونه، وهو صابر محتسب، ووجاً، بعشُمهُم في ترقوت فسال دمُهُ على المصحف، وهم يهابون أن يقتلوه، وكان شيخاً مُسِنَّا، وشُجِّي عليه، ودخل آخرون، فلما وأوه مغشيًا عليه، جرُوا برجله، فصباحت زوجته نبائلة، وصاحت بتأته، وجاء كنانة بن بضر النجيسي، قالمد أحمد الفرق القادمة من مصوره مخرطاً سيَّقَه، يُريد أن يجهز على الخليفة، فحاولت زوجة والخليفة وناتلة، أن تَقِيَّه، فقطع النجيسيُّ يَذها، ووضع سيفه في صدر عثمان وأتكاً عليه، فقتله قبل غروب الشعر.

وقد اشترك قادة الفرق المصرية في ضربه وجبرحه قبـل قتله.

وتمت المؤامرة الخبية، متابعاً نسج خيوطها المنافق اليهودي وعبد الله بن سبأ، وحقّق أهدافَهُ الرامية إلى شمًّ عصا وحدة الآمة الإسلاميّة، وتقاتلهم، وتمنزين صفوفهم.

ونشأت فرق الشيعة أصَّخابُ صَلَّاهبُ دينيَّة، يعـد أن كانت اتجاهاتهم سَزعات سياسية، ودخلت مدَاهبهم هذه في صلب العقائد الدينيَّة تحريقاً لا أصل له.

وظهرت بعد ذلك فرق الشيعة بالوانها الأبيض الصافي، والرّسادي، والَّذِيُّ، والاسود، واستحكم النقاق في الغلاة، وأصاب منه من دُونَهُمُ على مقادير ألوانهم.

(0

موقف على رضي الله عنه وأهل البيت النبويّ من عبد الله بن سبأ والسبئيّة وغلاة الشيمة

(١) لقد كان موقف سيدنا علي رضي الله عنه من السبئيين موقفاً شديداً حازماً.
 إنّه لمّا استجوبهم عن عقيدتهم نيه، وعلم أنهم يؤلهونه، استنابهم، فلمّا لم يتُوبُوا أمر

بقتلهم تحريقاً بالنار. وتم تنفيذ هذا القتل في الذين أدنيزا بهذه المثالة. ويقي آخرون منهم متسترين، واحكم إمامُهُمُّم المكيدة، إذَّ أوهمهم النَّ عَلِيَّا أَسْرَقَ من النَّشَى واعَمَلَنَ الْوهِجُه، وكان عليهم أن يُبقوا الاصر سواً، وأنَّ يَلْجَؤُوا إلى النقيَّة، وأن يتظاهـروا بغير ما يعتقدون فيه.

أمّا إدائهُمْ الهودي المنافق وعبد الله بن أسبًا، فالصحيح من الدوايات أن علياً رضى الله عنه لم يقتله ، بل نفاه إلى ساباط المدائن، والذي يظهير أن ابن سبا بعد أنْ أظهر مقالته لسيدنا على بغية استدراجه الإفساد الدين، ورأى أنّ علياً لا يمكن استدراجه، وأنه إذا أصرَّ على مقالته الحقه بمن قتله تحريقاً، ويذلك يتم وأدُّ المكيدة التي ديرها ضد الإسلام والمسلمين، فراوغ وتراجع عن مقالاته التي تُموجبُ قتله، فاكتفى سيدنا على بغيه ولم يقتله، كما سبق بيان هذا.

(٢) وكان لسيّنا عليّ رضي الله عنه موقفٌ جليَّ واضحٌ بالنسبة إلى الشيخين
 أبي يكر وعمر رضي الله عنهما، تكشفه خطبةٌ خطبها في الناس، أعلن فيها وأبه في
 الصاحبين الجليلين.

ووى زيد بن وهب أنَّ سُوَيد بن غفلة، دخل على عليّ وضي الله عنه في إمارته (وكان من خاصته وكبار أصحابه) فقال له: يا أمير المؤمنين صررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذي هما من الأمّة له أهل، ويرون أنّك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا، وذكر له أن من هؤلاء النفر وعبد الله بن سياه.

فقال سيدنا على رضي الله عنه: ومَما لِي وَلِهَذَا الخبيثِ الْأَسُودِ، ثُمَّ قال: ومَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَشْمِرَ لَهُمَا إِلاَّ الْمُحَمَّنُ الْجِمِيلِ،

ثم أرسل عليُّ رضي الله عنه إلى عبد الله بن سبأ فسيُّره إلى المدائن، وقـال: لا يساكنني في بُلْدَةِ ابداً.

وجاء في رواية الهمـذاني في كتاب وتثبيت دلائل النبـوَة، أنّ عليّاً رضي الله عنه قال: أعودُ بالله، أعودُ بالله، أنْ أَشْـمرَ لَهُما إِلّا الذي اتمنّى الْمُغيّى عليه، لَغنَ اللّهُ مَنْ أَضْمَر لَهُما إِلَّا الْحَسْنَ الجميل، أَخَوَا رَسُولِ اللَّهِ ، وصاحباه ووزيراه، رحمةُ الله عليهما.

ثم نهض دامع العينين يبكي، فابضاً على يُبدِ سُوييدٍ، حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، فجلس عليه متمكّناً، قابضاً على لحيثه وهي بيضاء، حتى اجتمع النفى.

ثُمَّ قام فنشهَّد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال:

دما بالُ أقوام يذكُرونَ سَيُدَيْ قريشٍ، وأَبَوَي المسلمين، بما أنا عنه مُنتَزَّه، ومُمّا قالُوا بريء، وعلى ما قالوا معاقبً.

أَمَّا واللَّذِي فَلَقُ الحِبُّةَ وَمِواَ السَّمَةَ لا يُعِيُّهُمَا إِلَّا مُؤْمِرٌ تَفِيُّ، ولا يُتِيقَهُمَا إِلاَّ فَاجَرُ رَدِيءَ، صَجِّنا رَسُولَ اللَّهِ على الصَّلْقِ والوفاء، بالسُّران ويَثْفِيان، ويَقْضِيانِ ويُعاقِبُان، فَمَا يُجَاوِزُانِ فِيما يضْنَفان رأي رسول الله ﷺ وكَانَّ لا يُرِى مثل رأيهما رأياً، ولا يُحِبُّ كَخَيْهَمَا أصَداً، مضى رسول الله ﷺ وهـو عنهما راض، ومَضَيَا والمُمُونِّون عُنْهما راضونَ.

أشر رسُول الله ﷺ إنا بكر على صلاة المؤمنين، فصَلَّىٰ بهم تلكُ الآيام في حياة رسول الله ﷺ، فلمَّا قِضَ اللَّهُ نَبِئُّ عليه السلام، واختار له ما عنده، ومضى مففوداً، ولاه المؤمنون ذلك، وفؤضوا إليه الزكاة لأنهما مفرونتان، ثُمُّ أصطَّرُه البيعةُ طائِمينَ غَيْرُ مُكْرِهين.

أنا أوّل من سنّ له ذلك من بني عبد العطّلب وهو لذلك كناو، يَوْقُ لـــوالَّهُ بعضنا كضاء، فكان وافه خبر من بقي رافةً، وارْخَمَـــه رحْمةً، وَأَلَيْسَــُهُ وَرَعــاً، وأقــدَمَــهُ سِلْمــاً وإسلاماً.

شَبِّهُ وسول الله ﷺ بميكائيل رأفـةً ورحمةً، وبـايراهيمَ عَفْراً ووقاراً، فســاز فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى قبضه الله على ذلك.

ثم وَلَى الأَمْرِ يَعْدَه عُسَرً، واسْتَأْمَر في ذلك العسلين، فعنهم مَنْ رَضِيَ ومثهم من نحره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كمان كرهه، والنام الأمر على منهاج النبي ﷺ، يُبْرَعُ أَنْزُهُما كاتُبُراعِ الْفُصِيلِ الْتُرَأَمُه، وكنان واللهِ وفِهاً وحيماً لضعفاء المسلمين، وبالمؤمنين عوناً وناصراً على الظالمين، لا تأخذاً في الله لومةً لائمً، ضربً اللهُ بالحقّ على لمسايه، وجَعَلَ الصّدَق من شانه، حتّى إنْ كُنا لَنَظَنُ أَنْ مَلَكاً يُطِينَ على لِمَانه، اعزَ اللهُ بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدّين غواماً، الغنّ الله لَهُ في قلوب المؤمنين المحبَّة، وفي قُلوب المشركين المنافقين الرّهية.

شُبِّهُ رَسُولُ الله ﷺ بجبريل، فبطِناً غلينظاً على الاعداء، ويِنُسوح خبقاً ومفساظاً على الكفّار، والضَرَّاءُ على طاعةِ اللهِ اتْرُ عنْدَه من السَّرَاءِ علَى معصية اللهِ.

فَمَنْ لَكُمْ بِمِثْلِهِمَا رَخُمَةُ اللَّهِ عليهما، ورزقنا المضيُّ على سيلهما، فإنَّه لا يُبْلُغُ مُتَلِّقُهُما إلاَّ بالحبُّ لهما، واتَباع النارهما، فمن اخَيْنِي فَلْبَحِيُّهما، ومَنْ لَمْ يُحبُّهما فقد ابغضي، وإنا منه بري».

وَلَوْ كُنْتُ نَقَلُتُكُ الِكُمُّ فِي أَمْرِهِمَالاً›، لَمَاقِبُ على هذا النَّـدُ العقوبة، فعن أُونِيَّ به بَعُدُ هذا اليوم فَإِنَّه عَلَيْهِ مَا عَلَى المفتري، الآوخيرُ هنذِ؛ الأَمْدَ بِعَدْ نَبِيَّها. أبو بكر وعدر، ثمَّ الله أعلَمُ بالخَبْرِ إِنَّنَ هُو؟

أقول قولي هذا وأستغفر اللَّهُ لي ولكمه٣٠.

وذكر والنوبختي، الشيمي أنَّ عليًا عليه السلام قد همَّ أن يبطش بمن يتكلم في ابــى بكر وعمر.

وقبال عليَّ رضي الله عنه في عثممان: «آيها الناس، إيّماكم والْفَلُوْ في عثمان، تقولون حرّق المصاحف، واللهِ ما حرّقها إلاّ عن ملاً من أصحاب محمد ﷺ، ولو وُلِيت مثل ما وُلّى لفمكُ مثل الذي فعلي؟؟.

 (٣) نقلتُ كُتُب الشيعة عن أهل بيت سيدنا علي رضي الله عنه أنهم اشتكرا من الكذابين الذين يكذبون عليهم من مُشايعيهم، وهذا يدلُ على أنَّ هؤلاء المشايعين

اي: لو سبق لي أن حلَّرْتكم من التكلم فيهما بسوء لعاقبت على ما بلغني أشد العقوبة.

 ⁽٢) تثبيت دلائل النبوة للهمناذي ٥٤٦/٢ مـ ٥٤٨ ط بيروت عن إحسان إلى ظهير في كتابه
 «الشيعة والنشيع، وقال: وأورد هذه الحطبة كثيرون من الشيعة والسنة.

 ⁽٣) عن ابن كثير في (البداية والنهاية) ١٣٦/٧ أخذاً من كتاب دعبد الله بن سبأ، للشيخ العودة.

الكذَّابين مُنافقون نظاهروا بمشايعة عليَّ وأَلهل بيتِه لهدم الإسلام وتمزيق المسلمين، وكان إمامُهُمْ في ذلك وشيطانُهم الأكبر عبد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء.

روى الكِشّي في كتابه المعروف وبرجال الكِشّيه(١٠) وهو من علمـــاء الشيعة، عن ابن سنان، قال أبو عبد الله (ع):

وإنَّا أَهْلَ بِيتِ صَادِقُونَ، لا نَخْلُو من كَذَّابٍ يَكُذِبُ عليناً، فَيَسْقَطُ صِدْقُنَا بِكَذِب عَلَيْنَا عند الناس.

كانَ رسول الله ﷺ أَصْدَقَى البريّة لهجةً، وكان مُسَيلِمَةُ يَكْذِبُ عليه.

وكمان أمير المؤمنين (ع) أصدق من بـرأ اللَّهُ من بصد رسـول الله، وكـان الـذي يكذب عليه عبد الله بن سبأ لعنه الله.

وكان أبو عبد الله الحسين بن عليّ (ع) قد ابتُليّ بـالمختار. ثمّ ذكـر أبو عبـد الله المحارثُ الشّاميُّ وبَنَانَ، فقال: كانا يكذبان على عليّ بن الـحسين (ع).

ثُمَّ ذكر المغيرةَ بنَ سَعِيدٍ، وبريغاً، والسَّريِّ، وأبنا الخطاب، ومعمراً، ويشَّاراً الاشعري، وحمزة اليزيدي، وصائداً النهدي، فقال: لعنهم الله.

إِنَّا لا نَخْلُو مَنْ كَثَّابٍ يكذب علينا، كَفَانَا الله مُؤْنَة كُلُّ كَـذَاب، وأَذَاقَهُمُ اللَّهُ حَرُّ الحديد،

أقـول: ومماً يؤسف لـه أن معـظم شيعةِ عليّ رضي الله عنه وآل, بيته أتّحـفـوا الكذب ديناً لهم، باسم والتَّيِّةُ، واتَّيَعُ برواؤهُمْ في هـذا ــرَهُمُّ لا يَشْمُرون ــ دَسَائسُ العنـافق اليهودي وعبـد الله بن سبأه مـع أنّهم بَنِـرُوون منه، بـاستثناء الغـلاة الكفرة العنافين.

ومدًا يؤسف له أن كثيراً من عقائد الشيمة مأخوذة من المقالات التي دسّها عبد الله بن سبأ بين أتباعه، فهو الذي جاء بأفكار الوصية والرجعة، والولاية، والإمامة، والتناسخ، والبداء، وغيرها.

^{...}

انظر ص (۲۵۷ ــ ۲۵۸).

المقولة الثالثة

المنافق اليهودي «أو المجوسي» ميمون بن ديصان القداح وخبائثه الحطيرة في تاريخ المسلمين

كانت الفرقة الدخلاية المنافقة والمتظاهرة بمشابعة على بن أبي طالب رضي الله عنه، ومشابعة آل بيت، وإلتي أسس أفكارها وأبو الخطاب الأجدع، قائمة على الإباحية المطلقة، وأنَّ الله تعالى يَشُلُّ في أبدان الرسُّل والأثمة، وأخيراً حلَّ فيه، وزعم أنَّ كلُّ شيء فرضه الله في الفرآن أو حرَّمه أو أحلَّه فإنسا هو رمزٌ عن أسماه رجال، فما حرَّم من أنصاب وأزلام وخمر وميسر هي رموز عن أشخاص كابي بكر وعمر وعثمان ونحو هؤلاء.

وكان هذا اللَّمين أبو الغطاب من أصحاب جعفر الصادق، والرَّوات عنه، وادَّعَىٰ أنّه جعله نتيمه ووصيُّه من بعده، ونسبّ أقواله التي روّجها بين أهل النفاق الذين تـالثروا به إلى جعفر الصادق.

ولمّا علم جمفر بأمره اعلن تبرّؤةً منه ومن أقواله، ولغّنه على رؤوس الأشهاد، وقال بشأنه ويشأن الذين قالوا بمقالت: هم شرَّ من اليهبود والنصارى والمجـوس والذين أشركوا (كما ذكرت كتب الشيعة).

وعلى أسس أفكار وأبي الخطاب؛ بنى اللَّمين الأخر ومبسون الفلَّاح؛ أفكاره التي أشاعها وأذاعها بين أشياعه.

ومن ثمّ ظهرت الإسماعيلية والحركة القرمطية بأفكارها الّتي هي امنداد للخطّانيّة على ما ترجّح لدى كثير من الباحثين.

وبقي وميسنون القدّاح، في حناشية وجعفسر الصنادق بن محمند البناقسر، تلميـذاً

مجتهداً وخادماً مطيعاً، ولم يجاهر بمكيدته إلاّ بعد حين، واستطاع بإتقانه صناعة النقاق. أن يكون هو وابنه عبد الله كليلين لـ وإسماعيل بن جعفره ثم لـولـــده ومحمــد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

واستولى «ميمون القذاح» على الدّعوة الإسماعيليـة المنسوبـة إلى وإسماعيـل بن جعفر الصادق، بعد آيام إسماعيل .

ومن خلال الروايات التعدّدة التي رواها مؤرخو الشيعة ومؤرخو أهمل السنّة ومدوّن مذاهب الفرق، غير المتطابقة في عدّة عناصر منها، يستطيع الباحث أن يستخلص الاتفاق على أن ومعيداً و أحد أحفاد وميمون القدّاح، هو الذي أدّغي أنّه ابن الأئمة المستورين من فُرّية وإسماعيل بن جعفر المسادق، وهو الذي خرج إلى مصر، فادّعي أنّه علويًّ فاطميًّ، وسمّى نفسه ومُبِّذ الله ويلغ خبرُ والمعتضاء فأمر بالقيض عليه. فهرب إلى المغرب، وكان له دعاة فيها يدعون إليه على أنه المهدي، وشاط بين الناس في المغرب أنه علويًّ فاطميًّ من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، واستطاع بهذه الغرية أن يكون له سلطان في المغرب على الناس، لما في قلوبهم من عطف وتمجيد لهذه الأسرة.

وخفي أمَّرُ مذهبه الفاسد على الناس. إلاّ من كَشْفَ له حقيقة آراله من خاصّت. كالإلحاد في الله. والطمن على جميع الانبياء، وإباحة أنْفُس أممهم وأموالهم ونسائهم. إلى آخر المقالات الكافرة الفاجرة الباطئية.

وادَّعَىٰ في المغرب أنَّه من نواحي الأهواز، ومن يُناتِها، ورؤسائها، وأنَّ ضياعهم بِكُورِ الأهواز كثيرة، وأنَّه هرب هو وأبَّوه بنُ جَوْرٍ غَمْرِو بن اللَّيث.

وائس في المغرب دولةً عرفت بالمدولة الفاطعية سنة (١٩٦٧ﻫ) واستمرّ حكم عبيد الله هذا في المغرب إلى سنة (١٣٢٣هـ) وسيأتي إنَّ شاء الله بعض تفصيل للدولة الفاطميَّة وخبائثها.

بهلم المقدمة ظهر اننا أنّ الحركة الباطنية الفرسطية هي امتداد لسلسلة المكر اليهودي المقرون بالحقد المجوسيّ، ضدّ الإسلام والمسلمين، إذّ لم تكد تخبو قليلاً جلمة الفتة السبنيّة، التي تولّى تسليسها، وزرع بنزورها، وتنابع حركتها، المنافق الهموديّ وعبد الله بن سبأه الملقب بابن السوداء، ونشط في نشرها المنافقون من الأشرار، وفعلت الأفاعيل الشنعاء في جسم الآنة الإسلاميّة، كما سبق بيانُه، حتى أغَذً الهمود والمجوسُ مكراً جديداً منياً على قواعد المكر السابق وبقايا أبنيته.

هذا المكر الجديد قاده وتوثّى تأسيسه وزَرْع بدُرُوره الشوكيّة الشيطائيّة الخبية يهوديِّ آخر على الأرجع، نظاهر بالإسلام منافشاً، أو مجوسيٌ، يشال له: وميسون بن ديسان القدّاح، كان يُبرُّ اليهوديّة فيما ترجع لديّ، أو يُبرُّ المجوسيّة، ويظهر الإسلام نفاقاً، فنصبّ هذا الخبيث للمسلمين الحيائل، ويَغَنْ بهم الغوائل.

كان وميدون بن ديصاح القدّاره على ما يذكر بعض المحقّين يهودباً متعصّباً للههودية، قيل وهو من ولمد الشلعلع من يهود، وكنان حبّراً من أحبارهم، وعالساً بالفلسفة والتنجيم، ومطّلعاً على أصول المدّاهب والأديبان، وكنان صسائعاً في السُّلمية (١)، على ما ذكره العالم الفقيه محمد بن مالك اليماني من فقهاه اليمن، في أواسط المئة الخامسة للهجرة، وذلك في كتابه: وكشف أسرار الباطنية،

ويظهر أن قيادات يهودية دفعت هذا الرجل إلى تدبير مكيدته لهدم الإسلام، وتعزيق المسلمين، إذ توسّمت فيه الكفاية للنيام بهذا الشرّ المستطير، والمكر الخطير، وذلك لما يتمتّم به من قدرات مكر وخيّث وحيلة، ومعرفة بـأصول المسذاهب والأديان، وتعاون مع مجوس حافدين من فارس، وقطاع طرق من الأشرار.

فحمل هذا الرجل مهمّـة الخبث الّتي وُكِلَتْ إليه، فتظاهر بـالإسـلام، وسلك السُّبُل التي سلكها من قبلُ سلَّفه ابنُ سباً.

واندس «ميمون» في شيعة «إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبسي طالب رضي الله عنه، وأخذ يتظاهر بخدمتهم وتأييدهم ومحبّهم، وقلبه يغلي بالحقد والعداوة والبغضاء الإسلام، ولرسول الله على ولال بيته الطاهرين، ولسائر العسلمين، ولكة لم يجد سبيلاً بدخل به على المسلمين

⁽١) السلمية: بللة من بلاد الشام.

حتى يُرَدُّهم عن دينهم، ويُخْرجهم منه إلَى الإلحاد والإباحيَّة العامَّة في ذلـك الزمـان، المُكَرِّ من تَبَيْه الدَّعوة إلى أهل بيب الرسول ﷺ.

وانطلق في دعوته هذه، وانخدع به فريقٌ من الناس، نظراً إلى عاطفة المسلمين نحو آل البيت، الّتي شحتهم بها الأوضاع السياسيّة المختلفة، وهي الأوضاع الّتي لم تسفحٌ لّهم بان يُصِلُوا إلَىٰ الحكم.

لكنّه مع نبيّه الدعوة إلى أهل بيت الرسول من أولاد عليّ كنان يخشّى أن يَعبلُوا فقلًا إلى الحكم، فيفعلوا به ويمكيدت فهذّ الإسلام والمسلمين، ما كان قد فعله عليًّ رضي الله عنه من قَبْلُ في سلفه وعبد الله بن سباه وفي السبئة، فذيّر مكيدة إخضاه حقيقة غايت، وأوصى فَرْيّه بأن يلتحن بعض أحفاده من يَقْدِه بنسب إسماعيل بن جعفر الصادق، ويدّعي أنه من أحفاده، متى سنحت له الفرصة لقلك، ليضمن اليهود بهذا متابعة مكيدتهم ضدّ الإسلام والمسلمين، مستخدمين اللّذرّية الههودية الخبيشة، في سوقة النّسب، وادّعاء حقهم في الإمامة.

وظهر لهذا اليهودي المنافق حفيد خبيثُ شيطان اسمه وسعيده وكمان بعيداً عن أنظارالمرافيين المتبعين للانساب.

كان لإسماعيل بن جعفر الصادق ولد اسمه ومحمده فيت وميمون بن ويصان الشداح، سِراً أنّ ومحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، خلف أولاداً سترهم عن خصوم آل البيت، فهم الأئمة المستورون، ورؤج المنافضون سراً هذه الفرية، وقبلها الذين لا يعلمون وكتفوها.

وتــذكر الـروايات أنَّ ومحمــد بن إسماعيـل بن جعفر الصــادق، مات بحيــاة أبيــه إسماعيل دون أن يكون له عقب من ذُريّة، وأنَّ إسماعيل مات بحياة أبيــ جعفر.

وظهــر وسعيد، حفيـد وميمون القـداح، مُدّعيناً أنّه أبنّ الأنسة المستورين المـلين لم يظهروا، من ولــد امعحدد بن إسمــاعيل بن جعفــر الصادق، وسمَّى نفســه وعُبيّد الله، ورؤّج أنصــار القدّاح أنّم: عُبيّد الله ابن الأنمـة المستورين المـلين لم يظهــروا من ولــد محمد بن إسماعيل، ووقعُل لِمُبيّد الله هذا الإمامة بعد الأنمة المستورين. وغَلَمَاهُ الأسابِ يُشْتِرُونَ أَنَّ وإسماعيل بن جعفر الصدوق، قد مات في حياة أبيه وجعفر الصادق، وأنَّ ومحدّداً بن إسماعيل، لم يكن له عقب، فنب من غير مرية أنَّ هؤلاء المذين الأعيت لهم الإمامة، من وعبيد الله، فمن بشدّه من فُرْيَّتُه، هم من أولاد اليهودي أو المجوسي المتنافق وميسون بن ديصان المشدّاح، وقد أحُكُم هؤلاء بخبث شديد إخفاء أنفَّمهم، وسَرَّر نسهم المحقيقي، فنيَّمُ لهم مكيمةَتُهم التي وبروها ضمّة الإسلام، وضدّ المسلمين.

وممًا سَجَله الناريخ شهادة لجلّةٍ من العلماء البُنوا فيهما أنَّ ما ادَّعاء هؤلاء من الانتساب إلى ولد عليّ بن ابسي طالب زورٌ وباطل، وأنهم زنادقـة مُلْجدُون، ولمالإسلام جاحدون، اباحوا الفروج، واحلُّوا الخمور، وسُبُّوا الانبياء، واذَّعَرُا الرَّبِوبية.

هذه الشهادة قد كتبت في محضر وقّع عليه العلماء المشار إليهم في شهـر ربيع الأول، من سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة، وكان الموقعون من كبار علماء السنّة، وكبـار علماء الشهـة.

ومن العلماء الدفين البشوا توقيعاتهم على محضو هذه الشهادة: والشسويف الرضي ــ والشريف المرتضى (وهما من كبار علماء الشيعة) ــ أبو حامد الإسفراييني ــ ابو عبد الله الصيمري ــ أبو الحسين القدوري ــ أبو جمفر النسفي ــ (وهؤلاء من كبار علماء السنة) وغيرهم من كبار العلماء الأثمة».

...

موجز تحركاته الشيطانية الخبيثة

أخذ وميمون بن ديمصان القدّام، يفسرب على الأوتار نفسها التي كان قد ضرب عليها وعبد الله بن سبأه من قبل، وهي تمجيد الاسرة العلوية، وأحقيتها بإصامة المسلمين، مم إذّخالات وتلفيفات جديمة تنسف الإسلام كلّه، في أصوله وفروعه وجميع تطبيقاته، ولا تُبتّي منه إلاّ الاسم المجرّد من آية حقيقة من حقائق الإسلام، الذي أنزله الله على نبيّه ورسوله محمّد ﷺ.

ويظهور وميمون بن ديصان القداح، أخذت الحركة اليهـوديّة المجـوسيّة المقنعة بناقتمة النماق أسلوبياً جـديداً، لاجتناب الإسلام من جـدوره، إذ أتُسَمُّ بــِمَـاتِ السَرِّيَة، المتمنّة بالفنى وأمكر أشكال التنظيم السَرِّي، وأعلنت هذه التنظيماتُ تزدادُ يقدَّة وعمةً وحدّرًا، كلما اشتقت عليها الأزمات والعراقيات، وضرَّسَتُها التجارب. وأخلتُ تنسجُ لدعوتها مبدىء تنصيد بعضها من تعاليم الأدبان المختلفة، والفلسفاتِ المتنوعة، وتُصُوعُها بعباراتِ الفلسفة اليونانية، وتضَمُّ لها قواعد جدائية يلتزم بها المتنبون إليها الزاماً تلمَّاً.

وتظاهر ومبمون بن ديصان القدّاء، بقبول نصوص الشريعة الإسلامية، من قرآنِ وسُنَّة، ويفيول فمروض الإسلام وواجباته، لكِنَّهُ أخذَ يجمَلُ لكلّ آيية تفسيراً، ولكلّ حديثِ تَبَرِيَ تُلُويلًا من الخُمْراعاته واختراعات أشياعه المنافقين.

وابحذ هو والمنافقون امثاله يُوتشوسُون لاتباع تنظيمهم الجديد بأنَّ كُملُّ فرضِ من فُرُوضِ الإسلام، وكلَّ واجب من واجباته وأدبٍ من آدابٍه وتعليم من تصاليمه، هـــــــ وَمَّوْ عن أَمْرِ آخر غير الذي يُفْهِنُهُ ٱلْقُدُورِيُّرِنَ، الذين ياخذون يظواهر الالفاظ والاعمال.

وصار بزعم للمنخدعين به أنْ هـنـه التفسيرات والتناويلات والمعـماني العرصوز إليهـا، هي المعاني البـاطنيّة لهـنـه النّصوص، ولهـنـه الفـروض والــواجـبـات والأدابٍ والتعانيم، ولكنَّ علماة الظّاجر يُتعلّقون بالتّشور، ويُتْرَكُونَ اللّبُ.

وحينما يُسْتِلُ إلَى التفسيرات والتاويلاتِ والمعاني البياطة، يتسلامَتُ فيها كُمَـا يَشَــالهُ له هـوى التفــليل في العقيــدة، وفي الشريعة، وفي جميع العقهومات الإسلامية العظمــة.

وبعد أن أحكَم ميمون بن ديصان التقامع مكيدته، انتقال هو وأهله وبعض أشياعه إلى الكوفة فاقام بها ملّة يُدثِر فيها مكيدته الشيطانية، ويظهر أنّه قد اختار الكوفة، لأنّ فيها جدُّوراً مبيّّةً، ممّا كان قد مكر به من قَبْلُ دعبد الله بن سبأه وكان ظهوره في الكوفة سنة (٢٧٦) للهجرة النوية.

واجتمع وميمون القذاح، في الكونة برخل اسمه وحمدان ترمطه واتقفا على أن يضَمًا لها حادى، اعتفاديَّة الحاديّة، تُبطُّ للستسين إليها كلَّ ما يشتهون من قسل ومالو ونسله وغير ذلك، واتفقا على وجوب سنَّر هذه العيادي، بأغشيةٍ من النفاق، وعلى أن يجعلا من ضمن هذه المبادى، أنّ المسلمين كفرة يجبُ قتلُهم النّما وَجَدُوا. فوضعا أسس الضلالة التي أراداها، وعَبلا سِراً في الدعوة إليها، ثمّ استجاب إليهما تسعة وهل أنسطَلقُوا يُفْسِدُونَ في الأرض باسم الدُّعاة، مُتنشَرِين بالدُّعُوةِ إِلَىْ الأثنَّةِ من أولاد على.

ويظهر أنّه كان يُهيّبيء ما يأزّمُ من خطط وتدبيرات ماكرات حتى يتسنّى لبعض احفاده أن يدعيّ أنه من أحفاد وإسماعيل بن جعفر الصادق، لتصبّح له المطالبةُ بالإماسة وفق عقيدة شيمة عليّ وذّرَتِه الألمة من بعده.

وانطلق دعاة منظّمته السّريّةِ الجديدة، ينشـرون أفكارهـا بين الذين يستجيبون لهم، ويدخلون في خلاياهم.

وآزر هذه المكينة المهودية الفارسية الخبيئة عاصرً كثيرة شسرَبرة خاقدة. وفريقً من الفلاسفة الإباحيين، وآخرون من الذين اتخسّخ الإسلامُ مَمَالِكُهُمْ، وقرُضُ مُحُروش مُلوكِهم، وأزال عن رقاب عباد الله سلطانَهُم، واسْتَحَلُّ الشباطين الخلافات السياسية على شخص خليفة المسلمين، وارتَدَوا مُسُوحُ الحزنِ الكافب على مقتل مظاهرِ من ذرّية آل البيت الأطهار.

قال المؤرّخ الديلميّ مُتَخَدَّناً عن المكيدة الباطنيّة على العقائد الإسلامية، في كتابه وقواعد عقائد آل محمّد الباطنيّة:

وراتُفق أهلُ المقالاتِ أنَّ أقولَ من أسس هذا المدهب المشروم بيني مذهب الباطئة إباحيَّه مِن المجوس ويضايا النَّحْرَمَة ووهم طائفة إباحيَّه مِن المجوس) الباطئية في والشرور ويضايا النَّحْرَمَة ووهم طائفة إباحيَّة مِن المجوس) والفلاسفة والهبود، فجمعهم نادٍ والشَّرَرُوا، وقالوا: إنَّ محمداً عَلَى علينا، وأَبْطل دينا، وأَنْقُل لَهُ أَعُوالُ نَصَرُوا مَلْمَتَهُ، وكَنْ مَشْتَحُ لنا في نزع ما في ايديهم من المملكة بالسيف والمحاربة، لقرَّة شَوْتَهِم، وكَنْ تَحْسُروهم، وطَنْوا البِرَّ والنِّحر، وكذليك لا مطمع لنا فيهم من طريق المناظرة، لمنا فيهم من الملماء والفضلاء والمتكلمين المحقين، وكَنْ وَنَهم ونصانِفهم، واتَقَفُّوا عَلى وضْع حَلَق يَسُوسُلُونَ بِها إلى إنسادِ ويهم من حيث لا يَشْعَرُونَ، ويَنْوا أَمُورهم على النَّلِيس والتدليس، وزادوا في مسالِكها عَلَى السَّالِك المُعْمِين النَّالِيس بالكِلها لين النَّالِيس بالكِلها المناطنة والمتعالمين عَلَى المناسات المناطنة عن سالِكها المناطنة على النَّالِيس بالكِلها المناطنة المناطنة المناطنة عن سالِكها عَلَى النَّالِيس بالكِلها النَّالِيس، وإلَّاله المُعْمِين النَّاليس بالكِلها المناطنة عنه المناطنة عنه المناس الله المُعْمِين النِّاليس بالله المُعْمِين النِّيس، وإلَّاله المناطنة على النَّاليس بالله المُعْمِين النَّاليس الله المُعْمِين النِّيس، النِّيس، وإلَّاله المُعْمِين النِّيس، النِّيس بالله المُعْمِين النِّيس الله المُعْمِين النِّيس، إلى المُعْمِين النِّيس، النِّيس النِّيس النِّيس النِّيس المُعْمِين النِّيس، النِّيس المِيس المِيم المُعْمِين النِّيس المِيس المِيم المُعْمِين المُعْمِين النِّيس، المِيم المُعْمِين النِّيس المِيم المُعْمِين المُعْمِين المُعْمِين المُعْمِين المُعْمِين المُعْمِين المُعْمِينَ المُعْمِينَ المُعْمِينَ المُعْمِينِينَا المُعْمِينَ المُعْمِينِ المُعْمِينَ المُعْمِينَ

فكان من نتيجة مكيدة وميمون بن ديصان القدّاج، وقريته في الكوفة وحمدان

قرمطء تأسيس الحركة الباطنيّة الشرّيرة، التي اكتوى العالم الإســـلامي بشرورهـــا قُرّابــة ثلاث قرون.

وكلَّ ما ظهر من هذه الحركة البـاطئيَّة القـرمطيـة من فرق، فهي فِـرَقُ عريفـةً في التفاق، تظهر الوفاق، وتُبطِئُ الفراق، تذعي شيئاً وتخفي خلافه، تكشف الولاء وتستُرُ العداء.

أثر حركة وميمون القدّاح، في تأسيس ذُول ٍ تضمر الكيد ضدّ الإسلام والمسلمين

(١) في اليمن:

استطاع أحد دعاة الإسماعيائية والقدقاحية، الكوفيّ أبو القاسم الحسّ بن حوشب، العلقب بمنصور اليمن، بالاتفاق مع داع آخر يمني، هو عليّ بن الفضل، أن يستميلا عدداً من قبائل اليمن، بأن أظهرا الدعوة إلى المهديّ الإمام الإسماعيلي المنظر.

وتأسّست بذلك أوّل دولة إسماعياية سنة (١٣٦٨هـ) ولمّا قويت شوكة والحسن بن حوشب، في اليمن كشف عن حقيقة مذهب، وأظهر ما كان يخفيه من إلحمادٍ وفجور، وإحلال المحارم وإباحة الفواحش لأتباعه.

أمّا عليّ بن الفضل، فقد أظهر في أول أسره التشوئ، والورع، واستكثّر من مظاهر العبادة والنّسك، حتى مالّ إليه النّاس واحَرّو وافتتنوا به، وقلّدوه أسورهم، ويعد أن لبّسَ عليهم، وخدعهم بمظاهر أعماله التي كان يشافق بها، واشتـد أشرَّه، أدّعَىٰ التبوَّة، وحِلاَ عن أتباعه شعائر الإسلام، وأحلَّ نكاح البنات والأعوات.

(٢) في البحريـن:

وظهرت حركة إسماعيائية أخرى في البحرين، مُوف أصحابُها باسم القرامطة، نسبة إلى وحمدان قرمط، قرين وميمون الشدّاح، وقاد هذه الحركة في البحرين وأبو سعيد النُجنَّابي، واستطاع أن يؤسس فيها دولة إذ تجمّع حوله جمهور من الأشوار الفساق الفجرة قطاع الطرق، وخلفه بعده ابته وأبو طاهر الْجَنَّابي، وكان لقرامطة البحرين مؤلاء من الشرور، والإغارة على قوافل الحجاج، وبعض بلاد المسلمين الأمنين، وسفك دماء الرجال وسأبي النساء والذّريّة، حتى الطائفين في المحرم المكيّ الشريف، ما لم يكن من أشنع البشر همميّة ووحشيّة وقياحة، بسبب أنهم ملاحدة زنادقة كفرة، لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر.

وقد فصَّلتُ بعض شرورهم في كتابي ءمكايد بهودية عبر التاريخ ٤.

(٣) في المغرب ثم مصر:

استطاع وسعيد، حفيد وميمون الفدّاح، أن يفلت من ملاحقة الخليفة العباسيّ لم، وأنَّ يُهَرَّبُ إلى المضرب، وكان قد سبقه إليها من دعا إليه على أنَّه المهمدي الفاطمي، من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق.

وحين دخل المغرب سئمْ نَفْسَه: عَنِيَّة الله، وقِيَّة أهل المغرب من أجل نسبه، فاقام فيها دولة تُحرِفَّت بدولة التَّنبِّدِيين، نسبة إلى الاسم الذي سمَّى به نفسه وحكَمْ كَمَا سيَّنَ بيانُه من سنة (۲۹۷هم) حتى سنة (۳۲۲هم).

وخلفه القائم بأمر الله أبــو القاسم محمــد، فتولى الحكم من سنــة (٣٣٢هــ) إلَىٰ سنة (٣٣٤هــ).

وجاء بعده المنصور بالله أبو طاهـر إسماعيـل، فتولَّى الحكم من سنة (٣٣٤هـ) إلى سنة (٣٤١عـ).

وجاء بعده المعدّرُ لدين الله تسم، فتولّى العكم من سنة (٣٤١هـ) وفي عهد المعدّرُ لدين الله هذا انتقلت دولة الفاطنين إلى مصر سنة (٣٢٦هـ) إذ استنطاعت جيوشه أن تدخل مصر فاتحة لها، واستمر حكمه حتى سنة (٣٦٥هـ).

وجاء بعده العزيز بـالله الفـاطمي، فتـولّى الحكم من سنـة (٣٦٥هـ) إلى سـتـة (٣٨٦مـ).

وجاء بعده ابنه الحاكم بأمر الله العنصور، فتولّى الحكم من سنة (٣٦٦هـ) إلى سنة (٤١١هـ) وهو الدني ادُّعيت له الربوبية، فسَرْته، أو ادّعاها، ونشرها الأخباث الباطنيون من حوله، واستقرت عند طائفة المدوز عقيدة متوارثة، وهم يؤمنون بغيت، وقد ثبت أنه تُقل، بندير أخته ست الملك. وجماء بعده ابنه الظاهر أبو الحسن علي فتولّى الحكم من سنة (١٩٤١هـ) إلى سنة (٤٢٧هـ).

وجاء بعده المستنصر بالله، فتولّى المحكم من سنة (٤٧٧هـ) إلى سنة (٤٨٧هـ). وبعده انفسمت الدولة الفاطميّـة، ثم سقطت بففسل الله، على يد صلاح الدين الإيربيّ.

ومع ما كان عليه الفاطميّون من إلحاد وزندقة وإباحيّة واستباحة للدّماء والفواحش وسلب الأسوال، فقد كنان اعتمادهم في الوزارات والإدارات والأعمال الحكسوميّة المختلفة على اليهود، وعلى المنافقين من المجوس، وعلى العنافقين من الساطنيين الذين هم مثلهم إلحاداً وإباحيّة وفجوراً

وكانوا بنفاقهم يتستّرون ببناء المساجد، وهم يعملون على هدم الدين.

وكلّ ما ظهر من الحركات الباطئيّة في التاريخ فهي من آثار تُسرور النفاق السفي لمِسَ قناعه وميمون القداح، وذرّيته معه وبنّ بُقيه، ومعهم منافقون من مجوس، وأشرار كثيرون سَرَّهُم طريقتُهُمْ، واستهوتهم الإباحيات.

وكان من وسائلهم استخدام المحقوات، إذ كناوا يقدّمون الحشيش لأتساعهم، ويُبيّحُون لهم الخمور والزنا واللواط، ويُطلقون ايديهم في القشل والسّلب والنهب، وارتكاب الفواحش، ويُشقِطون عنهم التكاليف الدّبيّة كلّها، ويلفّقون لهم عضائد خرافيّة، واعمين أنَّ أثنتهم الذين حلَّ فيهم الرّبّ الخالق هم الدّين قد شرعوا لهم دينهم هذا بسلطان الألومية.

...

المقولة الرابعة

المنافق ابن العلقمي^(۱) وخيانته للدولة الإسلامية وخليفتها العباسي المستعصم بالله عمّد بن الظاهر

حدث في عهد الخليفة العباسي السابع والثلاثين من خلفاء بني العباس، وهو المستعصم بالله محمد بن الظاهر، الذي يوبع بالخلافة سنة (١٣٩٦هـ) بعد وفاة أخيه المستنصر بالله عبد الله بن الظاهر، أن وزيره محمد بن محمد بن أبي طالب مؤيد الدّين بن العلقمي، البندادي الرافضي، من الشيعة الروافض، وكان منافقاً، كافراً باطناً، شيعياً وافضياً ظاهراً، كتب إلى وهولاكوء ملك التدار يبدي له استعداده أن يسلّمه بقداد إذا حضر بجيوث إليها، وكان التار قد هُوْسُوا في عهد المستنصر بالله، وقُتل منهم خَلَقٌ كثير، وكان هذف العلقمي محر أهل السنة وإقامة خليفة فاطمي.

فكتب وهولاكو، لابن العلقمي:

وإنَّ عساكر بغداد كثيرة، فبإن كنت صادقاً فيما قلت لنا وداخلاً تحت طاعتنا،
 ففرق العسكر، فإذا عملت ذلك حضرناء.

فلمنا وصل كتناب دهولاكوه إلى الوزيير دابن العلقمي، دخسل إلى المستعصم، وزيَّن له أن يُسَرِّحَ خمسة عشر ألف فنارس من عسكره، لأنَّ الشار قند رجموا إلى بلادهم، ولا حاجة لتحميل الدولة كلفة هؤلاء العساكر.

فاستجاب الخليفة لرأيه، وأصدر أمراً بتسريح خمسة عشر ألفاً، فخرج ابن العلقمي ومعه الأمر، واستعرض الجيش، واختار تسريح أفضلهم، وأمرهم بمفادرة بنداد وكل ملحقاتها الإدارية، فتفرقوا في البلاد.

⁽١) انظر الجوهر الثمين لابن دقماق، وتاريخ ابن كثير في حوادث سنة (١٥٦ هجرية).

وبعـد عدة أشهـر زيّن للخليفة والمستعصم؛ أن يُسـرّح أيضاً من جيشــه عشــوين الفاً، فاستجاب له، وأصدر أمراً بذلك.

فغمل ابن العلقمي مثلما فعمل في المرّة الأولى، وانتقى أفضم الفرمسان فسرّحهم.

وكان هؤلاء الفرســان الذين انتقــاهم وسرّحهم من جيش الخليفــة بقوّة مثتي ألف فارس.

ولمنا أثمَّ مكينة كتب إلى مولاكو بما فصل، فركب وهولاكو، وقدم بجيشه إلى بغداد، وأحسَّ أهل بغداد بمداهمة جيش التنار لهم، فاجتمعوا وتحالفوا، وخرجوا إلى ظاهر المدينة، وقاتلوا بسمالة وصبر، حتى حلَّت الهزيمة بجيش التنار، وتبعهم المسلمون وأسروا منهم، وعادوا مؤيدين منصورين ومعهم الأسرى ورؤوس القتلى، ونزلوا في خيامهم مطمئين.

فأرسل الوزير ابن العلقمي جماعة من أصحابه المتنافقين الخوتة ليلاً، فحبسوا مباه دجلة، فضاض العباه على عساكر بغداد وهم نائممون في خيامهم، وصارت مصكراتهم مغمورة ومحاطة بنالوحل، وغرقت خيولهم وأمتعتهم وعنادهم بنالوحل، والناجي منهم من ادرك فرساً فركبه وخرج من معسكر الوحل.

وكان وابن العلقمي، قد أرسل إلى دهولاكو، يعلمه بمكيدته، ويدعوه أن يبرجع بجيوشه فقد هياً له الأمر بما يحقق له ولجيوشه الطفر، فعاد بجيوشه، وعسكر حبول بضداد، ولماً أصبح الصباح دخيل جيش التنار بضداد، ووضعوا السيف في أهلها، وجعلوا يقتلون الناس كباراً وصفاراً، شيوخاً وأطفالاً، ودخلوا إلى الخليفة فاحتملوه هو وولده، وجعلوهما في مِذَلِّن، وأحضروهما إلى ملك التنار ومولاكوه.

فأخرجهما همولاكوم إلى ظاهر بفداد، ووضعهما في خيمة صغيرة، وفي المساء وضعهما في عِذَلَيْن، وأمَرَ عساكره بقتلهما ضرباً بالارجل.

ودخل النتار دار الخلافة فسلبوا كلّ ما فيها، وانبئوا يقتلون كلّ من يشــاهدون من أهل مدينة بغداد، حتّى زاد الفتلى كما ذكروا على مليون قتيل (ألف ألف). وبمقتل المستعصم انتهت الخلافة في بغداد سنة (٥٥هـــــــــ).

أما الوزير السنافق الخائل وابن العلقمي، فقد استدعاء وهولاكوه ليكافئه، فحضر بين يديه، فويخه على خيانته لسيده الذي وثق به، وأحسن إليه، واصطغاله ليكون وذيره الأول، واستأمته على البلاد والعباد، ثم قال له: ولو أعطيناك كلَّ ما نملك ما نرجو منك خيراً، وأنت مخالف لملتنا، إنك لم تُنصن إلى أهل مأتبك، بمل عرضتهم للقتمل والسّبي، فحا نرى إلاَّ أن نقتلك ونربع من بقي من المسلمين من شرّك، ويستدريح التار أيضاً منك،

ثم أمر (هولاكو، بقتله، ففتل شرَّ قِتْلة.

وانقطعت الخلافة قرابة أربع سنوات حتى حضر انحـو الخليفة أحمـد بن الظاهـر إلى مصر، فاستخلفه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس.

ولم يثبت ابن كثير قتل دهولاكوه لابن العلقمي، بل ذكر أن الله قصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة الشنيعة المذهلة .

...

المقولة الخامسة

يهود الدونمة المنافقون^(۱) ودورهم في سقوط الخلافة العثمانية وإقامة العماسانية

أصلهم:

هوب جماعـةً من اليهـود من ظلم محــاكم التفتيس في إسبانيـــا في الفــرون الــوســطى، والتجؤوا إلى الــدولــة العثمـانيــة، فــاسـتضــافتهم، وقبلتهم أهـــــل ذئــة في إمبراطوريتها، واستقروا في وسلانيك.

وفي الثلث الأخير من القرن السابع عشر الميلادي تظاهروا باللخول في الإسلام نفاقاً، تبعاً للحاخام وسياتاي سيفي، الذي كان قد ادّعى أنّه هو المسيح المنتظر، وقُدّم للمساملة لمدى شيخ الإسلام، وخاف من افتضاح كذبه فيما ادّعن، والحكم عليه بالقتل لكذبه على الله، وإثارته الفتة في تركيا، فابدى رغبته في الإسلام، بعد أن أنكر ما نُبب إليه، فقُبل منَّه ذَلِك، وأعلن إسلامه، وكتب للهود المستضافين في تركيا المذين آمنوا به أن يتظاهروا بالإسلام تبعاً له، على أن يحافيظُوا على يَهُودِيتِهم في سرّهم.

فسمَّاهم التَّرُكُ ودونمة، لأنَّ كلمة ودونمة، في التركية تعني العودة أو الرجوع، أي: رجعوا إلى الحقِّ وآمنوا به.

وإطلاق هذا الاسم يكون عادةً في أول دخول الداخيل إلى الإسلام عنـد الترك،

⁽١) المعلومات حول يهود الدونية المنافقين ودورهم مشبية من كتاب ويهود الدونية وكتاب «أسراد الانفلاب الغشاري» لمؤلفهما بالتركية ومصطفى طوران» يشرجمة وكمال خوجة» إلى العربية. وكتاب «العشانيون في التاريخ والحضارة» تألف: د. محمد حرب.

وبعد حين يختفي هذا الإطلاق لأنّ الداخلين يكنوننون كساشر المسلمين إذا كانبوا صادقين.

لكنّ هؤلاء اليهبود بقي إسبالانُهُمْ مشكوكاً فيه، لعدم اندهباجهم في سبالتر المسلمين، وللمزلة والشعارات وأنواع السلوك الخاصة التي ميّـزوا أنفسهم بها، لـذلك ظلّ عنوان والدونمة لاصفاً بهم .

قصة إسلامهم نفاقاً:

ظهر في القرن السابع عشر العيلادي في تركيًا رجلً يهودي من اليهــود القادمين من إسبانيا، هرباً من محاكم التفتيش اسمه «سُباتاي بن مورداخاي سيفي».

وُلِذَ فِي تموز من سنة (١٦٣٦م) بأزهير، ونشأ في حجر والديه اليهوديين، وقـد شغف بمطالعة الكتب الدينيّة، وكان يتردّد على الحاخام وإسحق دالبـاء لاستمـاع دروسه، وهو دون الخاسة عشرة من عمره، وقرأ التوراة والتلمـود، وبرع في التفسير الإشاريّ، وكان ذكيًا وسيماً.

شُخف بمطالعة كتب استحضار الأرواح، واستفاذ من قراءات القسام بعض الأعسال والحركات الفريية، فظن نفسه قادراً على القيام بخوارق تؤهله لأذعاء أنّه المسيح المنتظر الذي يترقيه اليهود، بعد أن كفروا بالمسيح عيسى عليه السلام، الـذي بعثه الله تحقيقاً لما سبق به الوعد، في كُتُب بني إسرائيل.

وعزم على أن يُعلِن أنّه المسبح الموصود به، فملازم الصيام، وصـــار يغتسل كــلّ يوم، وابتعد عن معاشرة النساء.

كان سريع البديهة، يتغلّبُ على مناقشيه، ويخدع المقرّبين إليه، ويحرّف النصوص المدينيّة، ويؤوّلها على طريقة حساب والجُمْل، وهي أعسداد الحروف الأبجديّة، حَى حرّف بيتاً من الشعر يقول قائله فيه: حبيبي يشبه الغزال، فجعله على طريقة حساب الجُمُل مساوياً لقول: رُبِّي يُشبه سباتاي سيفي.

وفي سنة (١٦٤٨م) أبلغ أصحابه المفرّبين إليه بنّبُرّنه، فصدّقــوه، لِمَا كَــانَ قَدْ هَيْـمَنَ عليهم به. وانتشر نما تنبُّكِ وادّعائته أنّه المسيح المنتظر بين البهدو في إزمير، وأشاروا ضدّه ضجّة عظيمة، وحَكَمَ عليه بالإعدام رئيسٌ الحاخامين وجوزيف إيسكابـا، ومعه رجـال الدين من اليهود.

ولم يكترثُ وسباتاي سيفي، لهذا الحكم لعلم، بأنَّ الـدولة العثمانية لا تسَمَّحُ لليهود بتطبيق مثل هذا الحكم إلاّ عن طريقها، وبعد اقتناع المسؤولين فيها.

وأصدر وسباتاي سيفيء بيانه بأنه المسيح المنتظر مغلّص بني إسرائيل، ونصّه: وسَلامُ من أَبْنِ الله سباتـاي سيفي مُسِيح إسـرائيل ومغلّصهـا، إلى كلّ ضرةٍ بنُ بني أسرائيل:

لقد يُلَّمُ شَرَف معاصرة مُثَّقِدُ بني إسرائيل ومُخَلَصهم، الذي يشَرَ به انساؤُمًّا وَآبَاؤُننا، فَعَلَيُّكُمْ أَنْ تَجْمَلُوا الْحَرْانَكُمْ الْمَواحاً، وصِيَاتَكُمْ إِلَّمَاراً وَلَهُواً، فَلْنَ تَحْرُنُوا بَشِد اليوم، فأعَلِنُوا عَنْ فَرْحَجْكُمْ بِالطَّنبور والأورخ والعوسيقا، واشكُروا مَنِ الَّذِي وَعَدَّكُمْ فَرَقَى بَرْصَٰدِهِ، وواظِلُوا عَلَى حياداتكم كما فِي السّابق، أمّا آيَامُ المصالب والماتِم، فاجْعَلُوهَا سِبب بعني آيَام شُكُر وَسَرَّةً،

ولاَ تَهَابُوا شَيْشًا. فَإِنْ حُكْمَكُمْ لَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ أَمْمِ الْأَرْضِ ، بَلْ سِبَعَـلَـاها إلى جميع المخلوفات في أعماق البحار، فكُل هَــَوْلاَءِ مُسَخَّرُونَ لَكُمْ لِرَفَاهِينَكُمْ.

(سباتاي سيفي)

وجـد دسبـاتــاي سيفيء الــطريق مســدوداً أمـام دعــوتــه في أزمــبر، فــانتقــل إلى دإستانبول.ه في سنة (١٦٥٠م).

فأعانـه حاخـام مُزَيَّف، واستقبله بـالتَرحـاب، لكنَّ دعواه قــويلـت بـالـرَفض في وإستانبول» فرحل إلى ءاثنا، فلم يظفر بما يروم، فعاد يتنقل بين أزمير وإستانبول.

وفي سنة (١٦٦٣م) سافىر إلى القاهـرة فالفـدس، وخشي على نفســه فلم يُعلِيمُ فيهما أحداً بدعوته، لكِنْ كان لبياناته التي انتشر خبرها أثرُّ في قُلُق اليهود عامة.

وظهرت في «بولونيا» فتاة يهودية جميلة ذكيّة، اسمها وسارا» ولوعة بالمغاصرات، كانت تسكن في منزل أخيها وصموثيل، في وأمستردام. وحين سمعت بـالَّدُ شابِّلًا يهرونها وسيماً في وازميره الأغل أنّه العسيح المنتظر، طمعت في ان تستفلُه لتكُسُبُ الشهرة، فاختلفت رؤيا نشرتها بين اليهود، تزعم فيها أنّ نوراً سيسطع عليها عام (٢٦٦٦م) وستتررَّج من العسيج الذي سيظهر في ذلك العام.

وبلغ خبر هذه الرؤيا وسبــاتاي سيفي، فـاختلق رؤيا زعم أنّــه أوحي إليه بــالزواج من فتاة بولونيّـة، واعتبر الأغرار من اليهود أنّـ هذا من معجزات وسباتاي سيفي..

وأوسل دسباتاي سيغيء في طلب دساراه زوجة له، فجيء بها إليه، فتزوّجها في القاهرة.

وفي شهر أيلول من سنة (٦٦٦٦م) عاد مساشاي سبقي، الى هازمير، وبث فيهما دعوته، فلم يأتَن بين الحاخاس تبولاً حسناً في أزّل الأمر، فانتهز فرصة العيد عنــاهم، فأعلن عن دعوته، فتجمّع حوله أنصار كثيرون.

وبعد مدّة قصيرة صار يهود أزمير طوع يديه، ويدأت شهرته تنتشر في البلاد حتى وصلت إلى درودس، وأدرنة، وصوفياه وصارت الوفود تشد الرحال إليه من ألمانيا.

وأجريت له صراسيم لُبْس التاج، وصـار يستقبل زواره بصواعيد وصراسيم معينة، وكان له هوى باستقبال النساء على وجه الخصوص.

وفسَّم وسباتاي سبغي، العالم إلى ثمان وشلائين منطقة، عيَّن لكلِّ منهـا ملكاً. وغير بعض العادات اليهودية.

وصار يوجُّه رسائله ويذيُّلها بتوقيع:

ابن الله الأول والوحيد سباتای سیفی

وتركته الدولة المثمانية دون أن تتعرض له بسوء، لأنّه كان قد حصسر نشاطه في الهودية المؤمنية وضوض قاضي الهودية للإيمان به، عسرض قاضي الهودية للإيمان به، عسرض قاضي إزمير على رئيس الوزواء ضسرورة اعتقال وسباتاي سيفي، حتى لا يتضاقم أمره، ويؤثم على عسوام المسلمين، فأمسر بإلقساء القبض عليه وأؤسسل عن طريق البحسر إلى المنابول».

وفي التحقيقات التي أُجْرِيتْ له، أنكر وسباناي سيفي، كلّ ما أُسُنـد إليه، وسِيقَ إلى سجن وزندان قابـيء.

ومدأت الوفود اليهودية الكثيرة تزوره في السّجن، حتّى صارت إدارة السّجن عاجزةً عن استقبالهم لمشاهدة وسباتاي، فناسرت السلطات بنقله إلى سجن وجناتى قلمة.

فلحقه الزوار إلى وجناق قلعة واشتكى أهل المدينة من الضغط الذي حصل فيها، فأمرت الحكومة العثمانية بنقله إلى وقصر أفرنـة، وكان اليهـــود يترقـــون أن يظهــر وسباناي، معجزة تُعْرِجُ بها الدولة العثمانية، فتضطر للإفراج عنه.

لكنَّ الأمر كان على خلاف ذلك تماماً، فقد استدعي وسباتاي سيفيء للمساءلة في مكتب ومصطفى باشاء الفاتم بأعمال رئيس الوزراء، وكان عنده شيخ الإسلام ويحيى أفندي منقري زاده وإمامً القصر ومحمد أفندي واتليء.

أمّا السلطان ومحمد الرابع، فكان يجلس في غرضة مجاورة يسمع ما يجري من حوار.

وُجُه له السُّوال التالي: تدّعي أنك المسيح المنتظر، فارنا معجزَنك، ستُجرَّنُكُ من ثيابك، ونجملك هدفاً لسهام النُههَرَة من رجالنا، فبإنَّ لم تؤثّر السُهام في جِسْمِك، فسيقُلُ السلطان ادّعانك.

ادرك وسباتاي سيغي، أنّه إذا فيل هذا التحدّي فإنّه سيكون صويعاً بعد أوّل سهم يصل إلى جسده، فانكر كلّ ما اسند إليه، وقال: إنّ الناس قـد تَقُولُـوا عليه مـا لم يقلّه هو.

وكان السلطان ومحمد الرابع، يسمع الحوار، فأمر بأن يُعْرَضَ عليه الإسلام.

فاثر وسباتاي سيفي، أن يتنظاهر بقبـول الإسلام، وأعْلَنَ إسـلامه، وصـار يُعرف باسم ومحمد عزيز أفندي.

وعُمِّن دمحمد عزيز أفندي = صباتاي سابقًاه الذي أعلن إسلامه رئيساً للبـوّابين، وأصبب الذين أمنوا به بخبية أمل، وفرح الحاخامون بافتضاح أمره. ثم أرسل إلى الفين آمنوا به خطاباً عاماً قال فيه:

ولقد جعلني الله مسلماً، أنا أخوكم محمّد البوّاب، هكـذا أمرني فـالمُتَلَّتُ، لقد ذَكُرَتِ الكتبُ اليهودية المفدّمة، أنّ المسيح سُيتُنجُ من قبل المسلمين.

وأشعرهم بهذا الخطاب أنّه سُيّنابِع رسالته متستراً بـالإسلام، وقــال أخوه مفـــّــراً هـذا الوضع الجديد الذي اختاره لنفسه:

وإنَّ الجسم القديم لسباتاي قد صعمد إلى السماء، وعــاد بأمُّرٍ من الله تعالى في شكل مَلَاكُ يُلَبُس الْجُبُّةُ والعمامة، ليكمُّلُ رسالة العسيح».

ثم تقدّم إلى المغني يستاذنه بأنَّ يسدعو اليهبرو إلى الإسلام فناذن له، لكنّه دَبَر مكيدةً جديدة ضدّ الإسلام، هي أن يجمل أنساعه مسلمين منافقين، يشظاهرون بالإسلام، ويطنون اليهودية على أنَّ مسباتاي، هو المسيح.

وأغَلَنَ اليهود الذين كانوا قد آمنوا به دُعولهم في الإسلام نقلقاً استجابةً لامره، فأتبل هؤلاء من كــلَّ مكـان يلبــــون ألبـــة المسلمين، وأطلق الاتــراك على هؤلاء المسلمين الجدَّد اسم والدونمة.

وزَنَّتِ وسباتاي، سرَّا أمر أتباعه والدونمة، إذْ تركَّتُ له الدولة حَرِّية التنقل، فنظم عشائد أنصاره وعباداتهم، وعَيْن أيّام أعيادهم، وجمع تعاليمه لهم في ثماني عشرة مادّة، ومنها ما يلي :

المسادة (17): بجب أن تطبّق صادات الأثراك بدقية لمصرف أنطارهم عنكم، ويجب الاً يُدْجِرُ أحدُّ من الأنباع المسلمين بأنَّه متضايق من صيام رمضسان، ومن الأضحة، ويجب عليه أن ينقَدَ كلّ شيء يجب تفيذه أمام العلاً.

هذه المادَّة يوجب عليهم فيها أن يتقنوا مظاهر النفاق.

المادة (١٧): إنَّ مناكحتهم ممنوعة قطعاً.

فهو في العادّة يحرُم على أتباعه والدونمة؛ مناكحة المسلمين، لئلًا يذوبوا فيهم، ولتبقىٰ لهم هُوَيْتُهُمُّ اليهوديّة.

وبعد أكثر من عشر سنين اتضح للحكومة العثمانيَّة أن إسلام سباتـاي كان نضاقاً

فَغَنَّةُ إلى البانيا، ومات وسباتاي سيفي، فيها سنة (١٦٧٥م) يهــوديًّا مشافقاً ضمن يهــود الدونمة.

علامات ووثائق تدين الدونمة

بأنهم استمروا منافقين أهل كيد ومكر

- (١) انقسم السباتاثيون الدونمة إلى ثلاث طوائف, وهم:
 - اليعقوبيون.
 - القرقاشيون.
 - حزب إبراهيم آغا (القبانجيون).

وكلُّهم يبطنون اليهودية، ويظهرون أنهم مسلممون، وكان انقسامهم بسبب تنازع رئاستهم بعد مسيحهم هسباتاي».

(٢) كان لكل واحد منهم اسمان: أحدهما يهبودي يتخاطبون به فيما يبنهم،
 والأخر هو من الاسماء المتداولة بين المسلمين، ليكون هو الاسم المعروف لدى عامة
 الناس.

فوالد زوجة وسباتاي، اسمه بين عامة المسلمين: عبد الغفور أفندي، أما اسمه بينهم فهو وجوزيف بيلوسوف، وأخو زوجته اسمه بين عائة المسلمين: عبد الله يعقوب جلبي، أما اسمه بينهم فهو وجوزيف كيريدو.

(٣) للسبانائيين الدونمة أعباد تزيد على العشرين، أحدها يكون في ٢٢ آذار
 وهو اليوم الإول من آيام الربيع، ويُسمَّى هذا العبد عندهم عيد الخروف.

ويجتمع في هذا العيد رجال ونساء متساوو العدد ليلاً كلَّ رجل وذرجته، والنساء بكامل زينتهن، وبعد الطعام المعتمد على أكمل لحم الخروف، يبدأ اللّهو المشترك كالرقص والغناء، ثمَّ تُطُفأُ الأنوار، ويشى المحتفلون في ظلام دامس يمارسون في شهواتهم بإماحية عامّة، ويُعذَير كلَّ مولود يُنولد بعد ذلك نتيجة التزاني في هذه الليلة مولودًا مهارًا. (٤) نشر ومحمد رشدي قره قباشزاده وهبو من الدونمية أتباع «سباتاي سيفي»
 بعض أسرار السباتاتيين في سلسلة مقالات صحفية، سنة (١٩٣٤م).

فمنها كتاب مفتوح إلى ودونمة، سلانيك، جاء فيه ما يلي:

وأيها السادة، منذ أكثر من شلالة قدون هشنا نحن المدونمة في كنف الشعب الشركي العربق الكربوم، وتحت جناح رحمته، ويقينا على حمالة شمديدة من التعصُّب لمذهبنا، بالجنّا يخالف ظاهرنا في كلّ أفعالنا وحركاتنا. . .

لقد أصدر مجلس الأنّه قانوناً بمنع الخنازيــ البُريــة من الإضبرايــ بـالمزروعــات. فهل تظنّونَ أنّ أنّهُ تفكّر بمثل هــذه الدقــة في الأمور. أن تُبثّي في بينتهـــا عنصراً غــربياً غُنّها يمتصُّ خيراتها؟ .

ليس لنا إلا اتباع أحد سبيلين:

إمّا أن نلتحم _ بموجب قانون خاص _ بالشعب الشركي التحامأ شامًا،
 فتشاركهم في الأفراح والمصائب.

وإمَّا أن نبحث عن إمكاناتٍ مادّية ومعنوية خارج حـدود هذا الـوطن، نصنع
 فيها كيانًا خاصًا بناء.

(٥) دعاء يحفظه الدونمة ويردّدونه، وهو كما يلي:

وبالاسم العبارك لسباتلي سيفي العبارك: فَلَغَيَّلُونِي بَافـواههم، فإنَّ خُبُـك أَعَظَمُ من الخدر، إنَّ زَيْنَكَ عاطر: إنَّ خُبِّكَ زَيْتٌ مَصْبُوبٌ، وعليه فإنَّ العذاري يُخبِّنَك.

هذه الألفاظ الواردة من: وفليقبلوني؛ مأخوذة من أغنية الأغاني من التوراة.

 (1) عندما احتلت البرزان منطقة سلانيك رغب عدد من الدونمة أن يُطِئِنَ يهوديّه، فرفض حاخامهم طليهم، ويظهر أنَّ رفضه قد كان يهدف استغلالهم لخدمة البهرد مستغبلاً في الدولة العثمانية.

 (٧) من عادات الدونمة الذهاب إلى ساحل البحر، أو إلى ضفة نهر، والقيام بالنداء التالي: وسباتاي سيفي نحن بانتظارك. (٨) لهم زيَّ خاصً بهم، فالنساه ينتملنَ الاحذية الصفراء، والرجال يضعون قبعات صوفية بيضاء مع إدارة عمامة خضراء عليها.

 (٩) كان الدونمة أول الذين هاجموا حجاب السرأة المسلمة، ودعُوا إلى التحرّر والسفور، ودعُــوا إلى التعليم المختلط في الجامعات، وهاجموا أيضاً كمل الشعائر الإسلامية.

(١٠) عاش والدونمة، في سلانيك في العهد العثماني، وفي إستانبول في العهد
 الجمهوري عيشة رخاه وترف.

أمّا الآن فتوجد مراكز خطيرة في تركيا هي بأبدي شياطينهم، يستغلُّونَها، ويعبثون بها، ويعملون على حرب الإسلام، وتعزيق المسلمين من خلالها.

إلى غير ذلك من علامات ووثائق.

المنافقون هم الذين قاموا بإلغاء الخلافة العثيانية وتمزيق الدولة الإسلامية

(١) ثبت بما لا يقبل الشك أن الصهيونية العالمية، ومكايد الدولة البريطانية، مع مساعدة سائر الدول الاروبية قد اشتركت في تدبير مؤامرة خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وإلغاء الخبلافة الإسلامية بعد ذلك، وتمزيق الدول الإسلامية الكبرى، وتفتيتها إلى دويلات.

(٢) وثبت أنّ المنافقين من يهود والمدونمة، والمنافقين العلمائيّين من التبرك، والمنافقين المتعين إلى المحافل الماسوئية، ولا سيما المحفل الماسوئي المسمّى والمنافقين المتعين إلى المؤسس في مدينة وسالوئيك، التي كان للدونمة فيها مرتبع خصيب، مع المنافقين المتظمين في وجميّة الاتحاد والترقي، والمتنظمين في وحزب تركيا الفتاقة والمنتشين في ضبّاط البيش التركي، كانوا جميعاً أدوات التنفيذ، مم المناصر اليهوديّة التي لم تخف يهوديتها، وكان الرأس المدبّر والمخطط اليهوديّ

ه عمانوثيل قره صُوء ومعه دجاويد، الذي كان من منافقي والدونمة، وقد كــان وقره صــوء نائباً في مجلس المبعوثان عن مدينة دسالونيك.

- (٣) ولمّنا ألغيت الخلافة، وأُعلِنت الجمهورية، تولّى رئاسة المدولة التركية ومصطفى كمال أتاتورك وهو من يهود والمدونمة فاعلن العلمانية وحارب الإسلام والمسلمين بلا هوادة، بعد أن لبس أقنمة النماق، أمام علماء المسلمين، وتظاهر بغيرته على الشريعة الإسلامية، في الوقت الذي كان يُخطَط مع المخطّعين لهدمها، وتحويل المسلمين عن دينهم، وخدمة الصهيونية المسالمينة، وإقامة الدولة اليهبوديّة في فلسطين(٢).
- (٤) وكان اليهود في غير تركياً يعلمون نضاق كمال أتانورك، وأنم يعمل لهدم الإسلام وتعزيق المدولة الإسلامية، ومن الأولمة على ذلك ما حدَّشيه الشيخ ومحمد السلقيني، والد أخينا والدكتور إبراهيم السلقيني،: فقد التقيته في تركياً، في قرية وكوك شدرة، وجرى الحديث معه حول الخلافة الإسلامية العثمانية، وكمال أتانورك، فقال لي:

كنتُ مع والذي حوالي سنة (١٩٣٠م) أو أكثر، وكان أبي يتوتِّى وقف جامع الطواشي بحلب، فلم الله مستاجر دكّان للوقف يهودي اسمه دداوُد فرح سته الطواشي بحلب، فلم ألله أنها يُخاربُ، ويتظاهرُ باسم الدين، وجرى القيض أجرة الذّكان، وكان كمال التاتورك إذائدفاعه في نصرة الإسلام، فقال اليهودي دداود فرح ست، للشيخ: لا تفرّنكم الأن هذه المنظاهر، فإنَّ مصطفى كمال أتاتورك يهودي ابن يهودي من يهود ومالونيك، ا

 أصدر وإسحاق بن زفي، أحد الرؤساء السابقين لإسرائيل كتاباً بعنوان والدونمة، سنة (١٩٥٧م) قال فيه:

وإنَّ يهـوداً كثيرين، وكثيـرين جدًّا، يعيشــون بين الشعوب بـطبيعتين، إحداهمــا

 ⁽¹⁾ اقرأ كتاب دأسرار الانقلاب المثماني، كتبه بالتركية ومصطفى طوران، وترجمه إلى العربية وكمال خوجة».

ظاهرة، وهي اعتناق دين الشعب الذي يعيشون في وسطه، اعتنـاقاً جمـاعيًا ظـاهريّـاً، والثانية باطنة، وهي إخلاص عميق لليهودية.

وأبان وإسحاق بن زفيء أنَّ الدونمة طائفة ومسلمة سـ يهوديــــــة أي : فهي تعيش في تركيًا بوجه مسلم، ونبطنُّ من ورائه اليهوديــة، وهذا ما ساعدهــا على أن تتدخّــل في شؤون تركيًا السياسية، والاقتصادية، والتربوية، والترجيه الفكرى .

(٦) تتجه أنظار مصظم الباحين إلى أن يهمود الدونمة هم الذين بداؤوا تأسيس الممحافل المامونية، وهم الذين أسسُوا جمعية الاتحاد والترقي، وحزب تركيا الفتاة، وعن طريق هذه المنظمات جرّوا تركيا إلى حروب خاسرة، وحوّلوها من الإسلام إلى العلمائية، ورفعوا رَجّلُهُمْ مصطفى كمال اناتورك إلى سنة الحكم في تركيا، والفراً العلمائية، وفضلُوا الترك عن العرب، وأقاموا الصراع بين الفويتين العربية والتركية، الإذاحة تركياً عن الوقيف في طريق إنامة دولة إسرائيل في فلسطين.

(٧) منذ أعلن وسباتاي، إسلامه، وتبعه يهود الدونمة، تمكن هؤلاء من احتلال مراكز ذات شأن في الدولة، ومع أئهم لا يريدون عن قرابة نيف وشلائين ألفاً إلااً أن تأثيرهم في تركيًا بقرة الملايين، لمدخولهم في مختلف التنظيمات وتوجيههم لها، ودخولهم في الجيش وأجهزة وسائل الإعلام، وامتلاكهم لكثير من كبريات الصحف، وتوجيههم للعزب الشيوعي، وهم يسمون لإقامة الحكومة اليهودية التي تعلك العالم، مع الصهيونية العالمية.

. . .

المقولة السادسة

مـنـظمـة البابيّة فالبهائية إحدى المنظيات المنافقة(١) اشترك في تأسيسها ونشرها المجـوس والصليبـيّون واليهـود

> (۱) مقدمة

أكدت الدراسات التي قام بها عدد من الباحثين المنتبعين، أن دالبايته التي صار اسمها فيما بعد والبهائية منظمة تم إعدادها بتخطيط من عدّة أحزاب كافرة من أعداء الإسلام، لتعزيق وحدة المسلمين، وفنتة طباقة منهم عن دينهم وإخراجهم من العلّة الإسلامية، وجعلهم فيولاً تابعين للههود والنصاري، وفُسّاناً فجاراً إياحيين، وإبرازهم على أتّهم أمّنةً ذلك دين جديد ينادي بوحدة الاديان، ويُقمَلُ على محدمة مصالح الاستعمار الصليبي من جهة، ويكون أحد المدوع التي تحتمي بها اليهودية العالمية في مبيرتها لتحقيق مخطّطاتها العالمية.

وقد تظاهرت هذه المنظّمة أؤلًا بأنها طائفة من السلمين، إلاّ أنّ لهما هي تفسير نصوصه مفهومات خاصّة، مع أنها في الباطن جـاحدة كـافرة بـالإسلام، والغـرضُ من تظاهرها الأولّي بالإسلام استدراج بعض المسلمين للانتماء إليها، ثم تحريف التعاليم

⁽١) المعلومات عن هذه المنظمة متبسة من الكب التالية ومن غيرها: أسروطيقة المبايئة والبهائية، تتأليف ومحسن عبد الحميدة. بـ ودراسات عن البهائية والبابية التأليف ومحب الدين الخطيبه والالثة أخرين . جـ والبهائية تأليف (إحسان إليهي ظهير). دـ والبهائية سرابه تأليف وعبداه النوري، هـ سـ صحف ومجلات نشرت عنها.

الإسلامية لهم، ثم فتتهم عن دينهم، ثم إخراجهم عن الإسلام إخراجاً كليًا، بإيهامهم أنَّ دينهم الجديد نسخ الإسلام وشرائعه وجاء بشرائع حديثة تتلام معه أوضاع البشر، وما تطؤروا إليه، واتخذوا الإباحية الجنسية إحدى وسائلهم لإغراء اصحاب الشهوات من الرجال والنساء، اللذين يطيب لهم أن يجدوا ديناً إباحياً، يبيح لهم المحرّمات، ويرفع عنهم التكاليف، أو يخفف عنهم منها، ويكتفي منها بما لا مشقة فيه، أو بما فيه منمةً أو لذًة.

...

بدء المكيدة وأطوارها وبعض خفاياها وخياناتها

الطبور الأول:

على جذور الحركة الباطنية الخبيثة، وضمن جماهير الشيعة الإماميّة، ظهرت عدة مكايد ضدّ الإسلام والمسلمين، مهّلت لظهور البهائية:

(أ) فظهرت أولًا طريقة والنبيئية، نسبة إلى والشيخ أحمد الاحسائي، المولود
 سنة (١١٦٦هـ ١٩٥٣م) فقد أسس هذا طريقة في مذهب الشيعة الإمامية سُمّيت فيما
 بَعْدُ الشيخية.

تقوم هذه الطريقة على ادّعاء أنّ الحقيقة المحمّدية القديمة لها تجلّيات:

- * فقد تجلُّت في الأنبياء قبل النبيُّ محمَّد ﷺ تجلُّياً ضعيفاً.
 - ثم تجلَّت في النبيِّ محمد تجلَّياً أقوى.
 - ثم تجلّت في الأثمة الاثني عشر.

واختفت زهاء ألف سنة.

 ثم تحلّت في الشيخ واحمد الاحسائي، وهو من غباة الشيعة الحلولية الذين يرون عبادة علي. وكان هذا الاحسائي يبشر بقرب ظهور المهدي المنتظر. [قيل: كان وأحمد الاحسائي، قسّيساً غربيّاً، فهو غير معروف الاصل في الاحسام].

 ثم تجلّن الحقيقة المحمدية بعد أحمد الأحمائي في تلميذه السيد اكاظم الرّشتي، المولود في سنة (١٩٠٥هـ ١٧٩٩م) في ورشت، من يلاد إيران.

[وقيل أيضاً: كان هذا قِسْيساً كأستاذه الأحسائي].

وانَّ الموعود يعيش بين هؤلاء القنوع . وإنَّ مبعاد ظهوره قد قَرُّب، فهيُّنُوا الـطريق إليه، وطهُّروا انفسكم حتى تـرُقُ جَمالُـه، ولا يظُّهُرُ جمالُـه حتى أفارق هـذا العالُم، فعليكم بعد فراقي أن تقوموا على طلبه، ولا تستريحوا لحظة واحدةً حتى تجدوه.

وكان وكاظم الرشتي، يقول في دروسه:

وإنَّ الشريعة وأصــول الأداب هي غذاءُ للروح لــذلك يجب أن تكــون الشرائــع متنوعة، وعلى ذلك يجب نسخ الشرائع العتيقة».

وكان ولكاظم الرشتي، زرجة رائصة الجمال اسمها وفاطمة، فلقبها زوجها وتُرة العين وفسرح الفؤاد، وكانت طاغية الأسوثة، ذكية شاعرة، ذات قوّة ضائفة في الكملام والتأثير على الرجال بحديثها، ثم انطلقت مع تلاميذ الرشتي فاجرة، داعية إلى السقـور وتحرير المراة.

والصفات التي ذكرها والرّمتي، للمهدي الحاصر الفريب النظهور، تكاد تنطيق تماماً على الميرزا وعلي محمد رضا الشيرازي، أحمد تلاميماه الملازمين لـه ملازمة شديدة، وغيّه الرشتي خلفاً له بعد موته.

ويبدو أنَّ العَظَّة المعدَّرة في العَضَاء قد رسَمَتْ كلَّ ذلك، ومات الرشتي سنة (١٢٥٩هـ/١٨٥٩م) وكانت العؤامرة قد أعدت الشيرازي لادعاء أنه المهدي المنتظر.

الطور الثانى:

ولمّا مات دكاظم الرشتي، قام الميرزا دعلي محمد رضا الشيرازي، المولمود في دشيراز، سنة (١٣٥٠هـ ١٨١٩م) خلفاً له.

وكان هذا يقول بالحلول ووحدة الوجود، ويعد صوت أستاذه بسنة واحدة ادّعى أوَّلاً أنّه الباب إلى الإصام المنتظر المستنور، وسمَّى نفسه البناب، وسُمَّيت دعوته فيما بعد والبايئة.

ويدّعي البابيون أنّ مظاهر التجليات شيءٌ واحد، يختلفون في الصورة ويَتَحدون في الحقيقة التي هي الله، فالحقيقة الربانية ظهـرت فيهم، ويدّعـون أنّ اللاحقين هم أفضل من السابقين.

ثم أعلن هذا وعلي محمد رضا الشيرازي: أنه هو المهدئيّ المنتظر المستوره وكنان هذا الإعلان سنة (١٣٦٠هـ ١٨٤٤م) في مدينة شيراز، وكنان عمره خمساً وعشرين سنة.

ثمّ ادّعل النبوّة، وادّعل أنه أفضل من الرسول محمد، وكتب كتباباً سخيفاً سمّاه والبيان، وادّعل أنه أفضل من القرآن.

ثم ادَّعَىٰ أنَّه الإلَّه الحقّ، لأنَّ روح الله قد حلَّ فيه، كمنا حلَّ في مسائر الأنبيباء والمرسلين من قبله، وادّعن إبطال شرائع الإسلام.

ولمّــا فشت دعاواه همذه أصدر العلماء الفتوى بتناه، لارتداده عن الإسلام، وادّعاداته الكافرة الفاجرة، ولتأكيده على إيطال الشريعة الإسلاميّـة، فنتمّ فيه تنفيذ حكم الإعدام بأمر من الشاه ناصر الدين، سنة (١٣٦٥هـ ١٨٤٩م).

وتأكّد أن الحكومة الروسيّة القيصرية، النصوانيّة ساعدت البابيّة، مساعدات كثيرة ومتنزّعة، حتى تَذْخُـلُ القيصر لحصاية السيرزا وعلي محمد رضا الشيرازي، من الفتل، إلّا أنْ تنفيذ الفتل قد كان أسبق من وصول الوساطة الروسيّة إلى الشاه.

وكان للقيصرية الروسية النصرائية تدخيلات مستمرّة معموفة في شؤون إيـران، وكان لها مطلع تقليدية في بلادها، للوصول إلى سواحل المحيط الهندي، وتأكد أنّها كانت من مؤسّسي الحركة والبائية، ثم والبهائيّة، التي كانت امتداداً لها، والـطور الاخير من أطوارها، وأنها كانت وراه خطاط أطوارها، وأنّ الجاسوسية الروسية هي التي كانت
تَصَل سراً برجال هذه المنظمة، وتعدّهما بالممال والتوجيه وخطاط العمل. ومن هؤلاء
الجواسيس المنافقين الأرمني الروسي ومنوجهر خانء فقد أعلن هذا إسلامه نضاقا،
فضره الشاه ومحمده بالقضل، وأعظاه ثقته وعيّه معتمداً للدولة في وأصفهائه فجعل
هذا بمدّ الحركة البابيّة بالأموال الطائلة، وبالحماية والتايد، ولمّا ثار المسلمون على
والباب، إنضاه هذا في بيته لربعة اشهر، وما كان يتصور آحدٌ أن يكون مختباً عنده،
وهو معتمد للدولة في أصفهان.

ووجد اليهود في هذه الحركة البابيّة فرصةً مناسبة لهم، فانضم منهم إليها نفاقــًا للـعمها ونشرها وتمزيق المسلمين علد ضخم كاف لتخريب دولة :

- فغي وطهران، دخل من اليهود هيها (١٥٠).
- وفي إهمدان، دخل من اليهود قيها (١٠٠).
 - وفي اكاشان، دخل من اليهود فيها (٥٠).
- # وفي وكلباكيان: دخل من اليهود فيها (٨٥).

كما جاء في كتاب ومطالع الأنواري للعلَّامة الشيعي ومحمد الحسين آل كاشف الفطاءي

ويستند البابيُون في إثبات مفترياتهم على التوراة، وقد كان المبرزا دعلي محمــد رضا الشيرازي، في سجنه يحتفظ بنسخة من العهد القديم، ويطالع فيها بإمعان.

ودعــا البابيــون إلى الإباحيّــة الجنسيّــة، تحت سنــار تحــريــر الــــرأة في إيــران، وتخليصها من أوضــاعها الفاسدة التي كانت تعيش فيها.

وأخذت أجهزة الدعاية الغربيّة، ودوائر النبشير العالمي، تمجّد بالحركة «البـابيّة» وتعتبرها حركة تقلَّميّة تحرّريّة، وأنّها جاءت لإنقاذ المسلمين من الإسلام المتعصّب.

واعتقد البابيون تبعاً لأقوال إمامهم الباب عدة عقائد، منها:

(١) إنكار البعث والمعاد إلى الحياة، ويفسّرون القيامة بالظهبور الذي تجلّى بــه
 الله في الأنبياء وفي الأثمة، ومنهم الباب.

(٢) ويعتقدون أنّ عدد الموحدة المرّبانيّة هو رقم (١٩) وأنّ همذا العدد سرّ من
 الأسرار المعقدسة ألني لا يتم نظام العالم إلاّ به .

وتبعاً لتقديس العدد (١٩) جعل الباب الشهر تسعة عشر يوماً، والسنة تسعة عشر شهراً.

(٣) أوجب البناب على البنت أن تنزؤج بعد إحدى عشرة سنة من عصرها، وأوجب على الأرمل أن ينزؤج بعد تسعين يوماً من موت زوجته، وأوجب على الأرملة أن تنزوج بعد خمسة وتسعين يوماً من موت زوجها.

(٤) والفى صلاة الجماعة، باستثناء صلاة الجنازة، وجعل الوضوء اختياريًا للصلاة، وحكم بأنه لا توجد أشياء نجسة على البابي، بل كلَّ الاشياء بالنسبة إليه طاهرة، ومنع الصدقة على الناس، ودعا إلى تحرير المرأة من قبود الأخلاق، وهنا تبرز مكيدة اليهود العالمية.

(٥) واشتمل كتاب والباب، المسمّى والبيان، على أقوال سخيفة تبافهة تُثير
 الضحك والسخرية، منها ما جاء في اللوح الأول منه:

هإنا قد جعلناك جليلاً للجاللين. وإنا قد جعلناك عظيماناً عظيماً للعاظمين. وإنّا قد جعلناك نوراً نوراناً نويراً للناورين... وإنا قد جعلناك تماماً تميماً للتأمين.

وهكذا على هذا النمط من الهراء المقرف.

(١) وأقفل «الباب» النبوية والربوية التي ادّعاهما لنفسه إلى ما يزيد على ألفي
 سنة. وحرّم اكتساب العلم، على اعتبار أن العلم إنما يكون فيضاً لمن تظهر فيه
 تجلّيات الرب.

وعقد البايتيون مؤتمراً يعرف عندهم بمؤتمر وبدشت، وكنان ذلك سنــة (١٣٦٦هـ ١٨٤٨م) وكان لزوجــة وكاظم الرشتي، التي لقبها وقـرة العين، اثرَّ كبير في توجيهــ، مستخدمة سألها من جـمـال، وسحر حـديث، وما لــَـنْهِها من تحلَّل من قيــود الأخــلاقي والدين وانطلاق في الفجور، وتأثير على الرجال بانوثتها الطافية.

وكان يحرُك هذه المرأة ويوجّهها سرّاً في مؤتمرهم هذا وحسين علي بن عباس

يزرك المازندراني، أحد تلاميذ وعلي محمد رضا الشيرازي، فقد سبق أن سُجِنَت هـذه العرأة بتهمة قتلها لعمّها، فأرسل لها وحــين علي المازندراني، من ساعدها على الفرار من السجن، فحضرت إليه، وعشقته، فقد كان مع خيثه شاباً جميلاً وسيماً جدّاياً.

ولأوّل مرّة أعلنت هذه العرأة بين البابيّين في هذا المؤتمر أنّ الشريعة الإمسلامية قد نُسِختُ، وحَمَلُتُ الكثيرين على قبول هذه الفكرة المفتراة على الله.

الطور الثالث:

كان بين تلاميذ وأنباع الميسرزا وعلي محمد رضا الشيرازي، الـذي دعا نفسه والباب، وعُرفت منظّمتُه بالبابيّة، كما سبق بهذا البيان، شابّان أخوان:

الأخ الأول: وهو الأكبر، الميرزا وحسين علي بن عبّاس بزرك المازنداني، نسبة إلى بلغة وصازندوان، في إيـران، المولـود سنة (١٣٣٣هـ) والـذي سبق الحــــديث عــــه آنفاً

نشأ هذا شفوفاً بمخالطة ومعاشرة الصوفيين من باطنيَّمي الشيعـة، وذا ولع بقـراءة تبهم.

وحينما ادّعى الباب المهديّة أتُبعه بتوجيه وإرشادٍ من الملاّ عبد الكريم الغزويني، وبدأ ينشر مذهب أستاذه في ظهران.

ولمّا انعقد مؤتمر البابيّن في وبـدشت؛ حضره، وصــار بوجهـه سرّاً ويـحـركه من وراء عاشقته وقرة العين؛ كما سبق بيان هذا.

وقد كان هذا داهية ذكيًّا خبيثاً ماكراً مخاتلاً شيطاناً، قادراً على أن يتوارى وينافق ويراوغ ويُسوّف ويُقْنع.

الأخ الثاني: وكان فتىً بافعاً قليل الحيلة يسيطر عليه أخوه الأكبر، اسمه ويعيمى نوره وقد لقّبه الباب: عصّبَح الأزل، وكان هذا أخاً ولحسين علي، من أبيه.

واتفق الذين أرّخوا لهذه المنظمة أن الباب وعلى محمد رضا الشيرازي، قد جعل الأخ الأصغر من تلميذيه الأخوين وهو وصُّيح الأزل يحيى نورء خليفته من بعلم، وعين الأخ الأكبر منهما وحسين علي، وكيلاً له، وابره بحجب أخيه وإخفائه لشلا يعسّم أحمد بسوء، ولا يقم في أيدي الحكومة الإيرائية. واستغلَّ الأخ الأكبر منهما هـذا الموضع لنفسه، فحجب أخـاه حتى عن كـلَّ البابيين، فكان هو الموجه للمنظمة كلها باسم أخيه، وهو يعمل في الحقيقة لنفسه.

وعقد هذا صلاتٍ قويَّة بالدولة الروسيَّة القيصرية الصلبييَّة، وبالدولة البريطانيـة، وهذا مدوَّن في كتب هذه المنظمة الخائنة العميلة لأعداء الإسلام.

وعزم الباييون على أن يعتالوا الشاه وناصر الدين انتقاماً للباب، إذَّ نَقَدْ فيه حكم الإحدام بناء على فندوى العلماء بقتله، قبيل: وكنان وحسين علمي الآخ الآكبر منهما الرأس المدبر لاغتيال الشساء. ولما خابت مؤامرة اغتيال لاحقته المدولة، فلجماً إلى السفارة الروسية فحصته، وطالبت المحكومة الإيرائية السفارة الروسية بتسليمها المجرم السفارة الروسية بتسليمها المجرم المتأمر على اغتيال الشاه، فامتنع الموزير المروسي المفوّض بطهوان عن تسليمه، ثم أرسله محفوظاً إلى منزل رئيس وزراء إيران يومله وأقا خان، وكتب إليه ما ترجعت:

وإنَّ الحكومة الـروسيَّة ترغب في أن لا يمسُّه أحـد بسوء، وأن يكـون في حفظ وحماية تامَّة، وأنّه إذا لم يحفظه فسيكون هو شخصيًّا مــؤولًا عنهء.

وتدخُّل أيضاً السفير البريطاني في طهران طالباً حمايته، وأن لا يُمَسُّ بسوء.

وكان رئيس وزراء إبران «أقا نحان» من الموالين للروس، فأخفاه عنده أوَّلاً، ويعد أن دَبر أمر حمايته من القفساء قدّمه إلى الحكومة لإجراء التحقيق بـأمره، فأودغ في سجن دسياه جال، أربعة أشهر، ثم أتخذ «أقا خـان» تدابير إصدار الحكم ببيراهته من الاشتراك في مؤامرة اغتيال الشاه، مـع أنه كـان هو الرأس المديّر، استجابة لضغوط الروس والإنكليز.

وكان سفير الروس في إيران يومثل دكنيازد الغوركي، اللذي كان لـه دور كبير في تأسيس هذه المنظمة، كما ذكر هو في مذكراته التي نشرتها مجلة والشرق، السوثيبتية سنة (١٩٢٤م).

وجاء أيضاً في أقوال وحسين علي، هذا بكتابه: وسورة الهيكل؛ ما يلي:

ويًا مَلِكَ الرُّوس. . . ولمَّا كُنْتُ أسيراً في السلاسل والأغمال في سجنِ طهران نصرني سفيرك.

وجاء في كتابه: «مبين»:

ويــا ملك الروس. . . قــد نصــرني أحــد سفــرائـك إذْ كنتُ في السجن تحت السلاسل والأغلال، بذلك كتب الله لك مقاماً لم يُجعلُ به أحَدُ إلاّ هــوه.

وبعد الإفراج عنه صدر الأمر بنفيه إلى بغداد، فخاف أن تبعث المدولة من يشتله في الطريق، فاتنق مع الروس على أن يبعثوا له من فرساتهم من يحميه حتى بصل إلى بضداد، ففعلوا ذلك، ووصل إلى بضداد مع أسرت وبعض البايين سنة (١٣٦٩هـ ١٨٥٣م).

ثم ارتحـل أخوه الأصغـر ويحيى نور = صُبْح الأزل؛ إلى بغداد، مُتَخَفِّناً بثياب الدراويش.

واستمر الأخ الأكبر دحسين عليء يدير المنظمة نينابة عن أخميه، فيرابسلُ عنه. ويخاطبُ الناس عنه.

وفي يغداد بدأ الشقاق بين الأحرين، لأنّ الأح الأصفر ويحيى نبور - صبح الأزّل، أوك أنّ أحله يممل لحساب نفسه، ويبريد أنّ يكون هو زعيم المنظمة بعد والشيرازي، الذي زعم نفسه والب، وناصر كبار البابين صاحب الخلافة الأصل، الأخ الأصفر.

فغضب الأخ الأكبر وحسين علي، في نفسه، وقرر أن يعتزل خارج المدينة بعيداً عن أخيه وأفراد المنظمة ليُحرِج أخاد الأصغر، وفي سنة (١٣٧٠هـ ١٨٥٤م) خرج إلى جبال السليمانية وحده، فاعتزل في كهف من كهوفها ستين كاملتين، وترك إدارة دفة المنظمة، ولحل هـ فما الاعتزال قـد أربـك أحماه، فكتب إليه يأصره بأن يصود إلى بغـداد، وأن يطبع أمره، بصفته رئيساً للمنظمة وزعيمها، وخليفة الباب الراحل بلا منازع، فأطاع وحسين علي، ورجع إلى بغداد معترفاً بغيادة أخيه الأصغر وزعاته.

ثم اشتد الخلاف بين الأخويّن، واتَهم كلَّ منهما أخاه بمحاولة قناء عن طريق دس الشُمّ له في الطعام أو السراب، وصار الاخ الاكبر دحسين علي، يُحرّض اشباعه ضدّ أتباع أخيه ومناصريه، وذكروا أنّه استبطاع أن يقتل بالسّم عدداً من كبار البابيّين أنصار أنبي. وتوافد والبايون، إلى بغداد، وكثرت خلاقاتهم واحزائهم، واشتكى منهم مسلمو السنّة وعلماء الشيمة إلى الحكومة المحليّة، وأبلفت هـلمه الحكومةُ المحليّة الحكومةُ الإيرانية بأمر هؤلاء، وما يقومون به من شغب، فتمُ الاتفاق بعد مراسلات ومشاورات بين الحكومة الإيرانية وحكومة السلطنة العثمانية على نقلهم إلى واستانيول.

وحين ترجّه الأخوان مع أتباعهما مرتحلين إلى وإستانبول، سنة (١٣٧٩هـ الموعود المحبّن له أنه هو الموعود الم7٦١) أعلن الأخ الأكبر وحسين علي، لخاصته ورفاقه المحبّن له أنه هو الموعود الذي أخبر عنه والباب، إذ كانوا مجموعين خارج بفداد، في حديقة ونجيب باشا، وتخليداً لذكرى إعلانه هذا فيها يُسمّونها وحديقة الرضوان، وقيل: أعلن دعوته بعد ذلك في وادرنة من تركيا، ولم يعلم الأخ الأصغر بما أعلنه أخوه.

وسِيقُوا إلى وإستانبول؛ فأقاموا فيها قليلًا، ثم نُقِلُوا إلى وأدرنة،

وفي وأدرنة: أظهر الاخ الاكبر وحسين علي؛ أنّه هو المظهر الأوّل للإدارة الإلّــهية التي بشّر بها والباب، ولقّب نفسه: ونهاة الله:..

عندالذ نشب الخلاف الشديد بين الأخوين، بعد أن رفض حزب أخيه الاعتراف له بذلك.

وظهر للخلاف بينهما آثار مزعجةً للسلطنة العثمائيّة ، إذّ وصلت إلى حدّ التشائل جهاراً، وإحداث الفوضى، فندَّحات حكومة السلطنة العثمانيَّة، بالاتفاق مع سفارة وإيرانه على نفيهما إلى بلدين متباعدين.

نفت الأخ الأكبر وحسين علي = بهاء الله إلى وعكاء من فلسطين، هو وأتباعه، وكنانت وعكاه يمومثل منفى كبيار المجرمين، إذّ كنانوا بيرسلون إليها من جميع أنحما، تركية، ونفت ويحيى نور = مُسْج الأزل، إلى وقبرس = تبرص.

وكان مكوثهما في وأدرنة، أربع سنوات ونصف السنة.

ولمّما كان الأخ الاكبر وحسين علي = بها، الله أخبث الاخوين وأكثرهما مكسراً وحيلة وقدرة على الإغواء والتضليل. وتنوسيع دائرة المنظمة، فقد اعتمدته القوّة المدبّرة الخفّة اليهوديّة والصلبيّة ليكون قائد المنظمة. ومن ثمَّ عرفت المنظمة باسم والبهائية، نسبة إلى حسين علي بن عباس بنزرك المازندراني، الذي أعطى نفسه لقب وبها، الله ع.

ومنذ ذلك الحين أخذت البهائية أنباع وبهاء الله تنتشر بدعم الصهيونيّـة العالميّـة والصليبيّة، ثم احتضتها أمريكا بدعم قويّ.

ورعت الصليبة العالمية، والصهيونية في منفاه، وعَطَلتْ أواسر السلطنة العنسانية القاضية بسجده والنضيق عليه وأقدقت عليه وعلى البهائيين معه الأموالُ من قبل أعداء الإسلام، وعاش في وعكّنه و وحيفاء و والهجة، في قصور فخمة، وحدائق غناه عيش المعلوك، قرابة أربع وعشرين سنة.

والف دحسين علي = بهاء الله عنه كتب ورسائل زعمها كنباً مقدسة ، منزلة من عند الله ، منها كتاب سماء والاقدس، وارّعى أنه وحي من الله ، وينسب إليه كتاب اسمه وإيفانه طبعه محفل البهائيين المركزي في مصر سنة (١٣٥٧هـ).

ولمّا بلغ الخامسة والسبعين من عمره جاءه مرض المموت، وانتهت رحلة امتحانـه في الحياة الدنيا، وهلك ليلقيٰ عذاب ربّه، بعد حُمّى نزلت به.

وكان موته في الثاني من ذي القعلة سنة (١٣٠٩هـ و ٢٨/٥/٢٨م).

وخلفه بعده ابت الأكبر وعياس أنتني، الملقب والفصن الأعظم، وسمّى نفسه بعد موت أبيه وعبد البهاء، وكان هذا زعيم البهائيّة وبَيْهَا بعد أبيه، وكان هذا أكثر ذكاء من أبيه وأخبث وأعظم حيلة ومكراً ونفاقاً، يحضر مساجد المسلمين ويصلي معهم، ويحضر كنائس النصارى ويصلي معهم، ويحضر معابد اليهود ويصلي معهم.

وكان قد وصى وبهاء الله بخلافته من بعده لابنه الأكبر «عباس = عبد البها» هذا المولود في ١٨٤٤/٥/٢٣ ما الموافقة لسنة (٢٦٠ هـ).

ويعده للأصغر منه ومحمد على، وكتب بذلك كتاب الوصيَّة، وختمه بخاتمه.

و وعباس = عبد البهاء هو الذي أتمّ تكوين البهائيّة، وأظهرها على الوجه الـذي هي عليه بعد الانتشار والظهور، وهو المدي اخرجها من الكتمان، وصبغها بصبغة عصريّة، وأدّعَى التوة بعد ايه، وأدّعى في أمريكا بأنه هو المسيح، وابن الله. وزاد هذا الابن الشيطان على تعاليم أبيه زيادات كثيرات، وحـذف منها وعــذل. واستعان بأفكار من العهد القديم، وأفكار من العهد الجديد؛ ليكون للبهـائية إمكــانيات انتشار أكثر

وهلك عباس في ٢٨ ربيح الأول سنــة (١٣٤٠هـ) و ٢٨ تشرين الثــاني سنــة (١٩٢١م). وتأثرت الحكومة البريطانية لوفاة عبـلها المخلص لها وللصهيونيّة العالمية، فأبرقت تعرّي به آل البها، والبهائيين .

ولم يكن له ولد ذكر من ذرّيته يخلفه.

فخلفه من بعده وشوقي أفندي، ابن بنته الكبرى، بـاستخلاف منـه. وكان عـمــره عند هلاك جدّه وعباس = عبد البهاء؛ خمساً وعشرين سنة.

وَلَقَبِ بعد جده وولي أمر الله؛ وتروّج امرأة أمريكيّـة اسمها: هماري ميكسويـل؛ سنة (١٩٣٦م) أو اسمها وروحيّة ماكسُول؛

ومات في (١٩٥٧/١١/٤) في لندن بـالسكتة القلبيّــة، دون أن يكون لــه عقب في ولاية أمر البهائيين حسّب تعاليمها.

فانقسم البهائيون إلى فرق وأفسام متعدّدة، وليولا إمساك الصهيونيّـة لهم. والصلبيّة والاستعمار لانفرط عقدهم، وانحلّ تماسكهم.

. . .

(٣)

مبادىء البهائين العامة

للبهائين مبادىء عامة خمسة:

المبدأ الأول: وحدة الأديان.

من الثابت أنَّ فكرة وحدة الأديان إحدى المكايد اليهودية الماسونية، التي تتظاهر بها لسلخ الناس من ولاءاتهم الدينية الخاصة، في حين يُرصِي قادة اليهبود كُلُّ يهبودي أن يُحافظ سرًا على يهوديه وولائه لكتب اليهبود، مهما تظاهر بانتمائه إلى أيّ دين أو أيَّ مذهب آخر أو أيَّ تنظيم في العالم، وأن يعمل على خدمة الحركة اليهوديّة الصهيمونية، وتسخير المنظمة التي يتمي إليها، وأهل الدين الأخر الدني ينظاهر بـالانتماء اليه، لتحقيق حُلم اليهود الاكبر، وهو حكمهم الصالم كلّه في دولة عـالعـية واحدة، يسيطر ملك بني إسرائيل عليها.

المبدأ الثاني: وحدة الأوطان، أي: الأرض كلُّها وطنُّ واحد للجميع.

وهذه أيضاً من الأفكار التي ترى الصهيمونيّة العالمية أنّها تُمهّد للدولـــة العالميّــة التي يسعى اليهود لإيجادها على أن تكون في قبضتهم.

العبدأ الثالث: وحدة اللُّغة.

وهذه الفكرة هي أيضاً إحدى المخطّطات اليهودية الصهيونية التي تتبنّاها الماسونية.

فقد جاء في إحدى الوثائق التي تكشف بعض المقرّرات السّرية اليهودية ما يلي:

وعندما نتيفن من نجاح مخطّفاتنا هذه ستكون ساعة الصفر قد أزفت، فتزخف جيوشنا إلى السيادين المعيّنة لهها، وستقضي سريصاً على مقاومة أعدائنا التي ستكون حتماً هزيلة، ونزيل المدول المنهارة عن طريقنا، ثم نعلن للعالم انتصارنا، وففرض عليه سيادتنا تحت ظلّ الدولة العالمية الموحّدة، وعَلْمِها في النجمة المقدمة. . .

وسنفرض على العالم ثقافتنا، ومن ثمَّ سنقضي على اللفنات المستعملة الآن، وسنَّرْغِم الشموب على دراسة اللغة (الديشية = اللّغة العامَية اليهودية) وخَدْها، التي ستكون اللّغة العالمية للشحوب كافة، وسنختص نحن باللّغة البَيْرِيَّة الأصليّة، لغة السّادة والشعب المختار، وسنعتع أنّفاذ اللّغات الاخرى، وتُلقَّن العالم تاريخنا وحده⁽¹⁾.

الميدأ الرابع: السلام العالمي، وتحريم الحرب.

وهند أيضاً إحدى المخططات اليهودية في لعبتهم السياسيّة العالمية تمهيداً لحكم العالم(١).

⁽١) انظر الوثيقة الثاقة من دوثائق من أقوال اليهوده في كتاب دمكايد يهودية عبر التاريخ، للمؤلف

المبدأ الخامس: المساواة بين النساء والرجال.

وهذه أيضاً إحدى الأفكار اليهودية التي يىريدون بهـا إخراج المـرأة من كلّ قيــود التعاليم الدّينيّة، وقيود العقة، لإنساد الشعوب، وتدمير أخلاقها.

* *

(£)

حيلتهم النفاقية بالنسبة إلى النصوص الإسلامية

وأقوالهم ومكتوباتهم مشحونة بمثل هذه التحريفات والتفسيرات البــاطلات، وفق الطريقة الماطنيّة المعروفة لدى الفرق الباطنية المختلفة.

(0)

من الأحكام التشريعية

من النحلة المفتراة على الله

للبهائين جملة أحكام وردت على السنة زعمائهم، بعـد أن تعرّضت لتعديلات وتغييرات متعاقبات بحــب تعاقب الزعماء، فمنها ما يلي:

- (١) تحريم حجاب المرأة.
- (٢) إباحة الزواج من كل امرأة باستثناء زوجة الأب.
 - (٣) نحريم الزواج بأكثر من زوجتين.
- (٤) وجوب طاعة السلطان القائم وعدم جواز الاعتراض عليه، فقد جاء في
 كتاب والأقدس، من كتبهم ما يلي ;

اليس لأحد أن يعترض على الذين يحكمون على العباده.

- (a) إنكار يوم الدين، وادعاء أن الدنيا تكون هكذا إلى الأبيد، وأن القياسة والنشــور إنما هي ظهـورات وتجلّيات للرّب تكــون في هذه الـدنيا، لأشخــاص تتجلّى فيهم الروح القدسيَّة العلية .
- (٦) إلغاء الجهاد في سبيل الله، وهذا الإلغاء هو إحدى القضايا المهمّة التي يعمل اليهود وسائر أعداء الإسلام لإقناع جميع المسلمين بها.

(٦)

تآمرهم ضدّ الأمّة الإسلاميّة

قيام البهائيون بدور الأجير المطيع في تنفيد مخطِّطات أعداء الإسلام، من صليبيين، واستعمارين ويهود.

إنهم يقررون ويعترفنون في كتبهم ونشراتهم بأنهم عملوا على سقوط الحكومة العثمانية في فلسطين، وبأن المستعمرين الإنكليز قد دخلوا الأراضي المقدّسة بمساعيهم، ويتباهَوْن بأنَّهم كـانوا قـد تنبُّؤوا بقيام الـدولة الإسـراثيليَّة، ويتحـدَّثون عن الصلات الوثيقة التي تقوم بينهم وبين دولة إسرائيل.

وفيما يلي طائفة من الوثائق التي تكشف تآمرهم مع أعداء الإسلام ضــدّ الإسلام والمسلمين:

(١) نشرت مجلَّة والأخبار الأمريَّة؛ التابعة للمحفل الروحاني الوطني للبهـاليِّين، بالعدد الخامس الصادر في أيلول لعام (١٩٥١م) حديثًا لرئيس القسم العالي للبهائيين، مع وزير أمور الأديان الإسرائيلي، يقول فيه:

وإنَّ أَراضَى الدولة الإسرائيليَّة في نـظر البهائيين واليهـود والمسيحيِّين والمسلمين أراضٍ مقدَّسة، وقد كتب حضرة عبد البهاء قبل أكثر من خمسين عــاماً أنَّـه في النهايـة ستكون فلسطين موطناً لليهود، وهذا الكلام طُبِع في حينه وانتشره.

(٢) وجماء في كتاب والشوقيعات المباركة، بـالمجلد الشاني، لمؤلف وشـوقي أفندي، في الصفحة (٢٩٠) ما يلي: المقد تحقّق الوعد الإلمهي لأبناء الخليل، ووارثي الكليم، وقد استقرّت الدولة الإسرائيليّة في الأراضي المقدّسة، وأصبحت العلاقات بينها وبين الموكز العالمي للجامعة البهائيّة وطيلة، وقد أقرّت واعترفت بهذه المقيدة الإلمهيّة.

(٣) ونشرت مجلة والأخبار الأسرية، بالعدد العاشر العسادر في عام (١٩٦١م)
 ما قالته زوجة وشوقي أفندي، الأمريكية زعيمة البهائيين بعد موت زوجها، في مقابلة
 صحفية لها مع ومزدهيفت، وهو:

وفإن كان من المقرّر لنا الاختيار، فمن الجدير أن يكون هـذا الدين الجـديد في أحدث دولة، وفيها يترعرع، وإنّ لنا مع إسرائيـل روابط، ووحدة مصير، وفي الواقــع يجب أن أقول: إنّ مستقبلنا ومستقبـل إسرائيـل يرتبـطان ببعضهما كحلقتين في سلسـلةٍ واحدة،

- (3) إذَ مركز تشكيلات البهائيين الرئيسي، ويُسمَّى «بيت العدل» يوجد حاليًا في مدينة دحيضاً» يفلسطين المحتلة، وتشرف عليه هيئة مكزّنة من تسعة أشخاص بينهم أمريكيون وأوروبيون. وكل المحافل الأخرى التي تقام في العالم تعتبر فـرحاً للمركز الرئيسي في إسرائيل.
- (٥) أعلن في النشرة الرسمية للبهائيين في إيسران أيام رئاسة وابن غوريبون،
 للوزارة الإسرائيلية ما يلى:

ومع كمال الفخر نبلغ البهائيين باتساع الروابط بين البهائيين والمسؤولين في دولة إسرائيل..

وفي تلك الأثنـاء قام وفـد من البهائيين بمقـابلة «ابن غوريــون» وقلّـم لــه تمنيات البهائيين القلبيّة لتقدم وتطوّر إسرائيل.

- (٦) في السبابع من شهر نيسان لعمام (١٩٦٤م) قام المرئيس السابق لإسمرائيل وزالمان شازاره بزيارة رسمية لمركز البهائين، واستقبله هؤلاء استقبالاً حازاً، ظهر فيه مدى التعاطف والتعاون بينهم وبين اليهود.
- (٧) ثبت لمدى مكتب المقاطعة العربية لإسرائيل أنّ البهائية تتعامل مع الصهبونية، وتعازر معها، لمذلك أصدر في شهر صفر عام (١٣٩٥هـ) المعوافق لأفار

لعام (١٩٧٥) فراراً باعتبار والبهائيّة، من العصركات الهيذّامة، وموضعها في القبائمة السوداء، ومقاطعتها، وحظر أيّ نشاطٍ لها في البلاد العربيّة، لثبوت تصاملها سع العدرّ الإسرائيلي، وافتضاح اتصالاتها المشهومة بالصهيريّة، ويأجهزتها السّريّة والعلنيّة.

اقسول:

كانت هذه المنظمة منظمة منافقة داخل الأمّة الإسلاميّة، ثم تكشّفت خباياها شيئًا فشيئًا حَنّى ظهر كفرها وعداؤها للإسلام والمسلمين.

ولا يزال بعض الأفراد المنتسين إلى البهائية سراً يُظْهُرون أمام المسلمين بوجوه منافقة في بداية الأمر، ثم يُظُهُرُ كفرهم وعداؤهم للإسلام والمسلمين، ومن هؤلاء من روَّج لسرً العدد (19) في ويسم الله الرحمن الرحيم، ومضاعفاته في حروف بعض سُور القرآن، حتى إذا استقرت القاعدة في أذهان بعض المسلمين انتظاوا إلى اعتار بعض ما في القرآن ليس منه متى خالف الفاعدة التي زعموها قاعدة لازمة.

ولتن اتفق وجود شيء من ذلك في بعض سور الفرآن، فملا يزيد على كوت من بدائمه، ولا يقتضي التنزام ذلك في كملً سُوره، فتبوت نصّ القرآن محكوم بـالنقـل المتـواتر عن الرسول فمن بعده، ولا شيء غير ذلك، ولن يخالف نصّ من نصـوصه الحقّ والهدى.

المقولة السابعة

منظمة القاديانيّة(1) إحدى المنظيات المنافقة المنشقة عن جسم الأمة الإسلامية

(۱) مقدمة

القاديائية منظمة لَمِنتُ قناع النفاق، فتظاهرت بأنّها ذات رسالة تنضمن الإصلاح الإسلامي، والنهضة بالمسلمين، وهي في قياداتها والعالمين بخفاياها من القاديائين تُبَّمِن العَمْم، والعمل لهدم الإسلام، ولإقتاع المسلمين ببالغاء الجهاد في سبيل الله، وخدمة الاستعمار البريطاني، وتفريق المسلمين بصناعة فرقة تنتمي إلى الإسلام ظاهراً، وهي خَرْبُ عليه، وعميلةً لاعداله، وتعمل بما تستطيع من جَمْدٍ لكي تُلْفِي من تعاليم الإسلام كلُّ ما يُؤثر على السياسات الاستعمارية، وكلُّ ما يقف في وجه الاستعمار، ويضر بعصالحه في بلدان وشعوب الأنة الإسلامة.

وهي منظمة مؤسّسةً وموجّهة ومُموّلةً من قبل الاستعمار الإنكليزي، والسلولة البريطانية التي كانت الهند منشأ القاديانية إحدى مستعمراتها في العالم.

فهـذه المنظمة شبيهة بـالبهائية، إلّا أنّها ذات مكـر أشدٌ، وأفعتهـا أكثر كشافـة وخداعاً، الأمر الذي هيّاً لها إمكانات انشار أوسع، بين بعض الشعوب المسلمة، التي

 ⁽١) المعلومات الصيّة والخبرية عن القداياتية مقتمة من كتباب والغانجاتية وللشيخ أبي الحسن التدوي، وأبي الأعلى الموودي والشيع محمد الخضري حسين، وعن كاب والقانياتية دراسة وتحليل، لإحسان إلى ظهر. وكتاب والقانهائي ومعتداته للشيخ منظور أحمد جيوتي.

ليس فيها علماء مسلمون، والتي يلاحظ فيها أنَّ انتماءها إلى الإسلام انتصاء غير قمائم على فَهُم صحيح لمبادئِه وشرائعه وأحكامه وتعاليمه.

ويقلَّر القاديانيون على اختلاف فرقهم بقُرابة مليـون قاديـاني على ما ذُكـر، وهم متشرون في العالم الغربـي، وإفريقـة، والاقل منهم في باكستان والهند.

(٢)

بدء المكبدة وتأسيسها

- (١) لقد أقلق الدولة البريطانية الاستعمارية حركات الحهاد الإسلامي، التي تفجّرت في مستعمراتها الإسلامية في مواطن متعدّدة، ورات أنَّ شعوب الأمّة الإسلامية تتحرّك بالدِّين، وتشكّنُ بالدِّين، إيْغَلْقُل الدِّين إلى مراكز العمق منها.
- (٢) فاجتمع قادة الاستعمار البريطاني وزعماؤه في دلندنه وقعد كانبرا يُستيطرُون بالسلطة الاستعمارية الاستغلالية على شبه القدارة الهندية التي تحتوي على مشات المملايين من المسلمين الاعداء الطبيعين للاستعمار البريطاني وغيره، ويسيطوون بالسلطة الاستعمارية على مستعمرات أخرى فيها مئات الملايين المسلمين من الشعوب الأخرى.

قراوا أنَّ الإسلام بمفهوماته الحقَّ المتخلفلة في أهماق المسلمين عقبة كبرى، لا تجعل وغباتهم الاستعمارية تتحقَّ لهم دواساً، وهم آمنون مستقرّون في بلدان المسلمين، ولاسيعامافي الإسلام من أخلاق العزّة التي يغرسها في قلوب المسلمين المؤمنين، والتي تأمل أنَّ يُخضَمُ المسلمُ لغير الله عزّ وجلُ، ولِمَنْ أمر الله بطاعتِه مِن أولي الأمر من المسلمين المطلبةين شريعة ألله لعباده، وكذلك ما في الإسلام من تحريم أتخاذ أولياه من دون المؤمنين، وما فيه من وجبوب الجهاد في سيبل الله لإعلاء كلمة الله، وتحرير الأمة الإسلامية من سلطان غير المسلمين عليها.

فرأوًا ان يُخدِثوا فِرقةً منافقةً تتظاهرُ بالإسسلام، ويُشْهَلُ على تغيير المفهومات التي تحرّك المسلمين، فلا تمكّنُ الدولة الاستعماريَّة من الاستعمار، في تحقيق أهدافها الاستعماريَّة الاستغلالية في شعوب الأنّه الإسلاميَّة ويلدان هذه الشعوب. ولكن هذه الفرقة لا بد أن يؤسسها واحد من أبناء المسلمين، ولا بُدُ أن يُناعِرهُ جُمهورُ من أبناء المسلمين أيضاً، وهذا المواحد لا بُدُ أن يكون عميلاً مفسموناً من عمسلائهم، وهؤلاء الانصدار لا بُددُ أن يكشر فيهم العمسلاء والجدواسيس لملدولة الاستعمارية، حتى يجتمع عليهم أهل الأهواء والمطلمع الدنيوية والمنافقون المذين يجدون لدى العملاء ما يرغيون فيه من أموال ومناصب وشهوات، مع ما هم فيه من رغبات تحلّل من قيود الدين، ومن الالتزام بأحكامه وشوائعه الحقَ.

ولا بدُّ لهذه الفرقة الأجيرة المنافقة العراد إحداثها في مجتمع المسلمين، والتي ستُحديثُ هذا التغيير الخطير في المفهومات الإسلامية المجمع عليها لدى مختلف المداهب الإسلامية المعتبرة عند جماهير المسلمين، من أن تقوم على أدعاء تلقّي وشي جديد عن الله، يتضَّن هذه التغييرات العراد إحداثها، وهذا لا يكون إلاَّ بحياة بعث نبيَّ جديد، أو رسول جديد، يفسر نصوص الإسلام تفسيرات جديدة تتضمن هذه التغييرات المسراد إحداثها وتبتَعِدُ هذه الفرقة فليلاً عن ادّصاء ربُويية زعمهم، وحلول روح الله في شخص زعمهم، لأنهم رأوا أنَّ هذه المكيدة لم تتجَعَّ في البهائية النجاح المطلوب، وتبتعد أيضاً عن التغيير الذي يمسَّ شرائع الإسلام الكبرى وأحكام، لأنَّ مثل هذا التغيير غير مؤهل للنجاح كما دَلْهُمُ التجارب السابقة.

فتم إقرار الخطّة بـوجه عــام، وكان لا بـدّ بعدهـا من البحث عن الـرأس الّـذي يُكَلُّفُ حمل هذه المهمّة الخطيرة.

 (٣) وكان للإنكليز أجراء جواسيس خائنون لشعوبهم ودينهم، اشتروهم بالمال والمناصب والشهوات، فازروهم وساعدوهم في كلَّ مستعمراتهم.

وقد هال الإنكليز أعدادً المسلمين الكثيرة في شبه القارة الهنديّة، فراوا أن يكون الرأس المختار لحمل مهمة تأسيس الفرقة الأجيرة المنافقة التي قرروا تأسيسها من مستعمراتهم في الهند، وذلك لتكون طلاتم الفرقة التي تجتمع حوله مناصرة لهم، من أفراد هذا البحر البشريّ المائج في شبه الفارة الهندية، فتحمي استقرارهم، وتُطْقىء نيران الثورات التي قد تُؤجِّخُ صَدَّ وجودهم الاستعماري.

(٤) وبعد البحث في مصنفات الأجراء والعملاء والجواسيس وجُد الإنكليـز في

قرية وقاديانه إحدى قرى والبنجاب، شخصاً يحمل لهم هذه المهمـة، في أسرة هي. عميلة للاستعمار الريطاني سابقًا، إنّه وغلام أحمد بن غلام مرتضى».

فقد كان أبوه دغلام مرتضىء واحداً من الذين خانوا المسلمين، وتأمّرُوا عليهم، وقد خدم هذا الحكومة البريطائيّة بما يستطيع من قوّة، وكنان له كرسيٍّ في ديوان الحكومة الإنكليزية المستعمرة، وامدّها بخمسين جنديّاً من أنصاره وبخمسين فرساً، في الثورة التي قامت ضد الإنكليز سنة (١٨٥٧م) وتألمَّى على ذلك رسائل شكر وتفدير من رجال الحكومة الإنكليزية، وقد ذكر هذا ابنه وغلام أحمده في وحاشية إزالة أوهام.

ولما وقع اختيار الإنكليز على دغلام أحمده ابن عميلهم القديم دغلام مرتضىً» الْتَقَوُّهُ وَاتَفَعُوا معه على أن يقوم بمهمته، ورسموا له خطوات العمل.

(٥) فبدأ وغلام أحمد الفادياني، يفتري مشاهدات غيبية ويعلنها، ويصنع أفوالاً
 ويزعم أنه قد ألْهِمها، أو تنزلت عليه من الرّب عزّ وجلّ، فمن ذلك ما يلي:

(1) قوله: ورايتُ ملكاً في صورة شاسً إنكليزي لم يتجاوز عمره عشرين سنة، جالساً على كرميَّ وامامه منضدة، نقلت له: إنّك جميل جداً، فقال بالإنكليزية: نعم، والهمني: اننا أحبّك، اننا ممكن، اننا أساعمك، فالرتبف جسمي، فالهمني بالإنكليزية: نحن نستطيع أن نفعل ما تُريد، ففهمت النلقظ واللهجة كأنه إنكليزي عند رأسيء.

(ب) قوله: «رأيتُ في الكشف أنَّ الملكة المعظمة وقيصرة الهنده سلمها الله
 تجلّت وتفضلتُ في بيتناء فقلتُ لاحدٍ من أصحابي: إن الملكة المعظمة شرقتنا
 بكمال الحبّ والألفة، وسكنت يومين في بيتنا قلا بُدُّ أن نشكُرهاه.

(ج) وجاء من أقواله المدونة في مكتوباته ذات الأسماء المختلفة(١):

واتت القلوب، وكثرت الذنوب، واشتدت الكروب، فعند هذه اللَّيلة اللَّيـالاء،

⁽⁾ مثل: «تنطبة الهامية» و وتنخة الندوة و وطرياق القلوب» و وسفينة نبوح، و ومرأة، و «إعجاز أحمدي، و دخفيقة الوحي، و ودافع البلاء، وغيرها.

والظلمات الهوجاء، انتضى رحم الله نور السماء، فأنا ذلك النور، والمجلّد المأسور، والعبد المنصور، والمهدي المعهود، والمسيحُ الموصود، وإنِّي زُرُّكُ بَعَنْزِلَةٍ مَن ربِّي لا يُقَلِّمُها أَخَذَ من الناس...

- فيشرى لكم قد جاءكم المسيح ، مسَخة القادر ، وأعطاء الكلام الفصيح . . .
 وطويتى لكم قد جاءكم المهدي المعهود ، ومعه المال الكثير ، والمتاع المنضود . . . يا
 آيها الناس إني أنا المديخ المحمديّ ، وإني أنا أحمد بن المهدي .
- أنا المسيح المموعود الـذي قُـدُر مجيـوهُ في آخـر الـزمـان، من الله الحكيم الدّيّان، وأنا المُنْمَمُ عليه الذي أشير إليه في الفاتحة عن ظهور الحزبين المذكورين.
- إي أنا المسيح، وبالحق أمشي وأسيح... إن عسى مسات ولا يحيا
 بإحيائكم.
 - ♦ أنا المسيح، وأنا الكليم، وأنا محمد، وأنا أحمد المجتبىء.
- انظروا الآن أنَّ الله جعل ما أوحى إلي وتعاليمي وبيعتي كسفينة نوح وجعلها مدار النجاة للناس أجمعين.
- جُولُتُ أننا مريم ويقيتُ مريم ستين... ، ثمّ تُشِغَ في رُوح عيسى كما
 يُفخ في مريم وخَيِلُتُ في صورة الاستعارة، وبعد أشهر لم تتجاوز عشرة أشهر حُولُتُ
 عن مريم، وصُمُرتُ عيسَ، وبهذا الطريق مبرتُ إنْ مُؤم.
 - أُعْطِيتُ صفة الإفناء والإحياء من الرب الفقال».

إلى كثير من هذه الادّعاءات التخريفيّة الباطلة.

* * *

(T)

عهالته وتمجيده للإنكليز هو ومن تبعه

لم يُخْف وغلام أحمد القادياني، هـذا الوسـول الكذَّاب ولاء ومنـاصـوت للدولة البريطانية الصليبيّة المستعمرة، ومن أمثلة ذلك ما يلي : (١) كتب أحد الصليبين المستعمرين كناباً تناول فيه أعراض أقهات المؤمنين، وطعن بنبوة الرسول محمد فلهو، فنار المسلمون في الهند، وقامت مظاهرات احتجاج عنفة، وقدموا استكارهم للحكومة المستعمرة الإنكليزيّة، وأعلنوا غضبهم على ما جاء في هذا الكتاب.

فتصدّى عميلهم وغلام أحمد القادياني، المنتّى، الكذّاب مهاجماً المسلمين الشائرين الضاضبين، ومناصراً الدولة المستممرة، مدّعياً أنّه لاحقّ لهم في القيام بالمظاهرات الاحتجاجية صَدّ حكومة بريطانيا العظمى التي هي ظِلَّ الله في الأرض.

(٢) وكتب في إحدى مقالاته:

ونحن نتحمّل كلّ البلايا الإجل حكومتنا المحسنة، وستتحمّل أيضاً في المستقبل، إذ يجب علينا أن نشكرها الإحسانها وبتُيها علينا، ولا شكّ نحن فداءً بأرواحنا وأموالنا للحكومة الانكليزيّة ودوماً ندعو لملؤها ومجدها سرَّا رعلانية.

(٣) وجاء في رسالته وتحفة قيصريّة؛

وأنا أشكر الله عزّ وجل أنه الطّلني تحت ظلّ رحمة بربطانيا التي استطيع تحت ظُلُها أن أعمل وأعظ، فواجبّ على وعيّة هذه المحكومة المحسنة أن تشكر لها، وجب عليَّ بوجه خاصَّ أن أَبْذِي لها الشكر الجزيل، لاتِّي ما كنت أستطيع أن أنجع في مفاصدي العليا تحت ظلَّ آيّة حكومة أخرى سوى حكومة حضرة قيصر الهندا.

وقال أيضاً:

ولعنة الله على من يريد الافتراق والفساد، وعلى من لا يريد أن يكون تحتُ المُّـرِ الأمير، مع أن الله قال: ﴿المُلِمُوا اللهُ واطيعوا الرسول وأولي الأمر﴾ فالسراه من أولي الأمر هنهنا هو الملك المعنظم، ولذا أننا أنسع مريدي والشياعي بأن يُدْخلوا الإنكليز في أولي الأمر، ويُطِيئُومُمُ من صعيع قلويهم».

يلاحظ أنه حذف من النص القرآني عبارة دمنكمه فأصلهما ﴿وَأُولِي الأمر مِنكم﴾ بغية الإيهام والتضليل.

(١) وجماء في كتاب وتبليخ رسالة، لقاسم القادياني ذِكْرُ نص عريضة رفعها
 وغلام أحمد القادياني، لنائب أبير الهند البريطاني، وقد جاء فيها ما يلي:

والعريضة التي أرفعها إلى حضرتكم مع أسماء أتباعي، ليس المقصود منها إلا أن تلاحظوا الخدمات الجليلة التي أقبت أنا وآبائي في سيلكم، وكما أأنس وأرجو من الدولة العالية أن قراعي الاسرة ألتي أنبت بكمال وفاقها وإخلاصها طوال خمسين سنة، بأنها من أعلص المخلصين للحكومة، والتي أقر واعترف بولاتها أكابر أمراء الحكومة العظمى وحكامها، وكبوا لها وثائق رشهادات على أن هذه الاسرة أسرة خلصة، فلذا أرجو منكم أن تكبيرا للحكام الصغار برعاية هذه الشجرة وضغظها، ألي ما غرسها إلا أنتم، كما أرجو أن يُنظُرها إلى أتباعي بنظرة وقية خاصة، كلا التضحيات في سبيلكم، لا بالنفوس، ولا بالدماء، كما لا تناخر عن ذلك.

فلأجل هـذه الخدمات الجلبلة، نحنُ نستحقَ أن نطلُبُ من الحكومة العظيمة المدد والعون، لئلا يتجرًا أحدٌ عليناه

(٥) ومما جاء في مكتوباته:

ولفد قضيت معظم عمري في نابيد المحكومة الإنكليزيّة وتُصْرَبَها، وقد ألَّقَتُ في منع الجهاد، ووجـوب طاعـة أولي الامر الإنكليـز، ما لـوجّبيع بعضـه إلى بعض لملاً خـمــين خزانة.

وجاء فيها أيضاً:

وإنّي مألاتُ العكاتب من الكتب التي كتبتها في مدح الإنكليز، وخاصّةً في وضع الجهاد الذي يحتده كثير من المسلمين، وهذه خدمةً كبيرةً للحكومة، فارجو أن أتجزّى بها جزاءً حسناً.

 (٦) وكنان للقاديانيين أجراء الإنكليز في الهند امتيازاتُ خاصَة منحتها لهم المحكومة البريطانية المستعمرة، في كمل المجالات، في الموظائف والتعليم، والتدريس، والتجارة، والزراعة، والصناعة، وفيرها.

وكلّما توجُّهَتُ نحوهم مشاعرُ الغضب من جماهير المسلمين، لـولائهم التــام للاستعمار البريطاني، وجدوا الحماية الكافية من الدولة.

ومن أمثلة كون بعض القاديانيين جراسيس لمالإنكليز، ما نشرته جريدة الفضل

الفاديانية، بشاريخ (٢٨/ ١٩٢٣/٩/٨) قول «محمد أمين» أحد مبلَّني القاديائية، والمبشرين بها، بعد رجوعه من روسيا سنة (١٩٣٣م):

وإنِّي اعتقلتُ مرَّاتٍ بتهمة الجاسوسيَّة للإنكليزه.

وقال معتذراً:

وأنا ما ذهبت إلى روسيا إلاً لتبليغ القاديائية. ولكن بما أنَّ مصالح القاديائية وأهدافها متعلَّقة بأغراض وأهداف حكومة بعربيطانيا، فقد كنت مضطراً أن أخدم الحكومة، واؤدّي ما يجب علي نحوهاء.

وهكـذا إلى أقوال كثيـرة جدّاً تكشف أنّ القـاديانيين خُـدّام الإنكليـز وعمــلاؤهم صواحة. ويثبتون هذه العمالة في مكتوياتهم ومنشوراتهم.

ويظهر أنَّ أيَّة جهة تشتري منظمةً عميلة لها فرأَنها تُلزمها صراحةً على سيل الإحراج بأن تُفدَّم تصريحات على ألسة قادتها وكبرائها والنشيطين العاملين فيها بعمالتهم لها، في منشوراتهم وكتبهم، حتَّى يكون كلَّ مُثَمَّم إلى المنظمة على علَّم بواقع حال منظمته، فبدخل وهو عليم بمهمّته الأساسيَّة، قبل أن يتدرَّب على إثقاف عمليات النقاق والمخادعة للناس، ولولا ذلك لخرجت المنظمات العميلة بعد مثّةٍ من قبضة مؤسّسيها من وراء الستار، والمستفيدين من تحركاتها، متى توجّهت لها الانهامات بالعمالة والخبانة.

(٤

عقائد القاديانين ومبادئهم وتعاليمهم

(١) أدّعي وغلام أحمد القادياتي، أنّه نبيّ موأنه المسيح المنتظر، وأنّ عيسى عليه السلام قد مات، فالمسيح المنتظر إنسانٌ آخير غير عيسى ابن مريم، وأخذ يؤوّل التصوص الفرآنيّ تأويلات باطلات، لموهم أتباعه بصحة دعواه.

وقال: والذي لا يؤمن بسي لا يؤمن بالله ورسوله.

(٢) وكتب ابنه وخليفته الثاني: ومحمود أحمده قائلًا:

ولقيني رجل في (لكهنؤ = أحد بلاد الهند) وسألني: لقد اشتهر بين الناس أنكم تكفّرون المسلمين الذين لا يعتقدون القادبائيّة، فهل هذا صحيح؟

فقلت له: نعم، لا شكُّ بأنَّنا نكفَّرهم، فاستغرب الرَّجُل من قولي وتحيَّره.

واستدلَّ على كُفْر من لم يؤمِنْ بابيه بانَّ القرآن ينُصُّ علَىٰ كُفْرِ من ينكر أحداً من الرُّسل، ويما أن أباه اغلام أحمد، رسول الله، فمن لم يؤمن به فهو كافر.

لكنّ لم يبيّن للنـاس دليل كـونـه وسـولًا، وهــو الأنّـاك أجيـر الكفــرة أعــداء الله ورسوله.

وقال في الاستدلال:

ونحن نسأل لِمَ نُكُفُرُ غَيْر الفاديائين؟، وأجلب بقوله: وهـذا واضحُ من القـرآن، لأنَّ الله يَبَيْن آنَّه من ينكِرُ أحداً من الرسل فإنّه يكفّر، وأنَّ من ينكر الملاتكة يكفر، ومن ينكر القرآن يكفّر، وعلى هذا فمن ينكر أنَّ وغلام أحصد، هو نبيِّ الله ورسوله فيأته يكفّر بنصَّ الكتاب، ولأجل ذلك نكفّر المسلمين، لأنهم يفرّقون بين الرسل، ويؤمنون بيعض ويكفرون بيعض، فهم إذاً كُفّاره.

 (٣) وادّعَىٰ وغلام أحمد القادياني، أنه صاحب شريعة، وبما أنّه رسول الله فشريعة واجبة التنفيذ على الناس، ومن أقواله في هذا:

وفالشريعة. هي عبارة عن بيان أمْر ونهي، فمن فَعَلَ هذا وقَنَّن لاَمَته قانوناً، صار صاحب شريعة، فأنا صاحب الشريعة، لأنه يُوخى إلى بالأوامر والنواهي.

وليس من الفسروري للشريعة أن تكون مشتملةً على أحكام جديسة، لأنّ ما يوجد في القرآن من التعليمات يوجد في الثوراة، وإلى هذا أشار المرّب سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنْ هَذَا لَفِي الصَّحْفِ الْأُولَىٰ ﴾ صُحُفِ إبراهيم وموسى﴾.

(٤) له تأويلات في نصوص القرآن حول مريم العلواء البتول، وجول عيسى عليه السلام، وحول المهدي، كلُّها من عليه السلام، وحول المهدي، كلُّها من الشراءاته ونسح خيال، يخالف بها ولالات النصوص، وما أجمع عليه المسلمون، فسلك المتلاعب مانتصوص.

ويوجُه لعيسىٰ عليه السَّلام الشَّتاثم التي كان اليهود يوجهونها له.

(٥) أمر بتقديس وتمجيد قربته وقاديان، وادّعى أنّها سُوةُ الدنيا، وأمّ القرى،
 ويقول:

ولقد قدّس الله هذه المقامات الثلاثة (مكة والمدينة وقاديان) واختمار هذه الشلائة لظهور تجلّباته.

وادّعى أن زيارة قاديان، هي الحجّ الأكبر، وقال:

وإنّ مؤتمرنا السنوي هو الحجّ، وإنّ الله اختار المقام لهذا الحجج (قاديان)...
 ويُشنّعُ في قاديان الرفث والفسوق والجدال.

(٦) وفي إدَّعائه إلغاء الجهاد في سبيل الله قال:

وقال أيضاً:

واليومُ أَلْجِيُ حَكَمَ العجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد هذا اليوم، فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويُسمّي نفسه غازياً بكون مخالفاً لوسول الله. . . » .

وقال أيضاً:

وإنَّ هـذه الفِرْفَـةَ، الفرقـةَ القاديـانيَّة، لا تـزال تجتهد ليـلاً ونهاراً لِقُمْـع ِ العقيدة النَّجِسة، عقيدةِ الجهاد من قلوب المسلمين،

واعلن تحريم الجهاد بالقتال تحريماً باتّاً سِرّاً كان ذلِكَ أَوْ علانية.

 (٧) وشرع دغلام أحمد القادياني، الاتباعـه، أنه يحرُم على القاديماني أن يُرَّج ا ابنتُـهُ من غير القادياني، لكن يجـروز للقاديماني الذكـر أن يتـرَوْج من بنـات المسلمين
 والهندوس والسَّـخ. . . ومن رَوْج ابنته لـســـلم فإنه يُطْرَدُ من الجماعة ويكفر.

(٨) وشرع لهم تحريم الصلاة خلف إمام مسلم، وفي هذا يقول وغلام أحمد
 القادياني، مخاطباً القاديانين:

ولا يجوز لكم أن تُصَلُّوا خلف غير الفاديباني مهمما يكن، ومن يكن، ومهمما يمدحه الناس، فهذا حكم الله، وهذا ما يريده الله، وإذَّ المتشكَّفُ والمذبـذب داخل في المكذّبين، والله يريد أن يميَّز بينكم وبينهم.

وقال أيضاً:

وإنّ الله الحلمني بأنّه حرام حراماً فطعيناً أن تُصنَّلُوا خَلَقَت الذِّبِي يحدَّلُمِنِي، أو يتردَّدُ عن طاعتي، بل واجب عليكم أن تُصنَّلُوا خلف إمام من أتمنكم، وهذا ما أشير إليه في الحديث وإمامُكُم منكَمْ، يعني إذا نزل المسيح فعليكم أن تشركوا التُمِرَّق التي تذعي الإسلام، وتجعلوا إمامكم منكم، فأفعلُوا ما أُمِرزُّمْ، أثْرِيدُونَ أن تحيط أعمالكم وأنتم لا تشعرون؟!ه.

لكنَّ القاديانيين قد يُصَلَّون مع المسلمين نفاقاً فيإذا انصرفـوا إلى منازلهم أعــادوا صلاتهم.

(0)

القادیانیة بعد تقسیم الهند إلی «هندسـتان» و «باکسـتان»

بعد معارك عنيفة وطويلة الأمد أثارهما الاستعماريّون الإنكليز بين الهندوس والعسلمين، وذهب ضحيّتها مئات الألوف، أنّجه الحلّ إلى تقسيم الهند إلى دولتين: وهندستان»، وتحوي أكثريّة غير مسلمة، و وباكستمان» وتحتوي أكثريّة مسلمة، وكان ذلك سنة (١٩٤٧م).

وقامت الدولة المسلمة وباكستان؛ محاطةً بالمشكلات الصعبة، التي وضعها فيهـــا الاستعمار الإنكليزي.

وبخطّة مدئبرة انتقل مركز القاديانيين من قرية وقاديان، محجّ القاديانيين، وهي من حصة وهندستان، إلى وباكستان، لينابعوا مكيدتهم في الدولة المسلمة الناشئة.

وفُرِضَ على هذه الدولة الحديثة تولية الزعيم القادياني المشهور عميل الإنكليز،

السُير وظفر الله خانه وزيراً للخارجيّة، واحتيج المسلمون على هذا الإجراء، وأجبهم رئيس وزراء باكستان بوصلة والخواجا أماظم الدين، بائنه لا يستطيع التخلّي عنه، لأنّ ذلك يُعرِّمُ وباكستان، من المساعدات الاجنيّة، ولا سيما العوادُّ الغذائيّة، التي كانت وياكستان، بأمسَّ الحاجة إليها، فذلُّ ذلك على شمنة متابعة دعم الدّولة الاستعماريّة الإنكلزيّة وسائر الدول الكافرة للقاديانين، بفية استكمال تنفيذ مخطّفات المكينة.

وظلّت الحكومات الوطنّة في وباكستان، المسلمة، تواجمه الضغوط الخارجيّة، لمنح القاديانيين ما بطلبون من تسهيلات وامتيازات.

وانتهز القادياتيون هذه الفرصة المواتية، فوضعوا عقد مشاريع، طبُّدُوها بتجاح ملحوظ، فممنّوا جذورهم في «باكستان»، وانطلشوا من ذلك ينشسرون دعايتهم في العالم، بدعم مستمرٌّ من سادتهم، المستفيدين من أعمالهم في باكستان وغيرها، وكان من ذلك ما يلى:

- (١) إنساء مدينة لهم باسم وزيرة، وهذه المدينة حاصةً بهم، لهم فيها نظام يوليسي خاص، ومحاكم خاصة، ومدارس وكليات ومستشفيات خاصة، ولا يستطيع أخد من المسلمين أن يشتري فيها أوضاً، أو يستاجر فيها داراً، وكل الوظائف فيها لا يشغلها إلا القاديانيون، وأقاموا فيها سكرتاريةً فخمةً مجهزةً بأحدث الآلات، ومنها يُشكّرون الضابل القادياني.
- (٢) شُحْنُ المناصب الهامَة في الجيش وفي الإدارة المدنيّة وفي السفارات الباكستانية بالقاديانيين، وكان ذلك بتأثير السير وظفر الله خان».
- (٣) إنشاء المدارس والكليات والمستشفيات على مستوى عالى، واستدراج المسلمين عن طريقها إلى الفاديانية، على مثل ما نقوم به البعثات التبشيرية المسيحية.
 - (٤) تقديم المنح الدراسية والمساعدات المالية المشروطة باعتناق القاديانية.
- (٥) استغلال الوظائف والمناصب الحكومية استغلالاً غير مشروع، وذلك بـربط
 التعيين والترقيات بأن يعتنق طالب ذلك تحلتهم.
- (٦) عمل القاديمانيُّون المتغلغلون في أجهزة العكم على مُنْح ِ المتسبين إلى

نحلتهم المفتراة على الله مساعدات غير صاديّه، لينفلُّمُوا تقدُّماً كبيراً في مجالات الصناعة والنجارة والزراعة.

 (٧) وقاموا بنشاط كبير في مجال طبع الكتب والنشرات القاديانية، التي تثير الشبهات حول العقائد الإسلامية، وتُضلَّل أبناء المسلمين، وتحاول إيمادهم عن الإسلام الحق.

(%)

موقف المسلمين من هذه الفرقة المنافقة الخارجة عين الإسلام

لقد قام المسلمون في باكستان بمظاهرات واحتجاجات، ضدّ تصرّفات الفاديائين الاحتكاريّة الأنابّة، وأعمالهم الكُفْريّة الخالثة، في مناسبات متعدّدات.

ولم يستطيعوا أن يعزلوهم عن جسم الأمة الإسلامية غزلاً تماناً بشكل واضح وصريح ، حتى سنة (١٩٧٤م) إذ استطاعت الجماهير الإسلامية ذات العدد الساحق، أن يوجهوا ضُغُوطاً متعدّدة، اضطُّر على أثرها البرلمان المحركزي الباكستاني أن يُصْبير في السابع من شهر أبلول سنة (١٩٧٤م) قراراً إجماعياً، يقضي باعتبار جميع الفتات القادياتية اقليَّة غير إسلامية(١).

• • •

 ⁽١) انظر ما كنه البروفسور اعدا الغفور أحمده عضو الرلميان الكستاني، وعشو مجلس الشورى للحماعة الإسلامية بياكستان في مقال تشرته مجلة المجتمع في العدد (٩٣٤) يتاريخ ١٥ محرم ١٣٩٥ هجرية.

القيب نم الرابع

مُنَظَمَّاتُ نِفَاقَ عَالَيَّة ذَاتُ شِعَارَاتٍ إِنْسَانِيَة عَامَّة نُظْهُرُهُ التَّحْدَيْقِ رَضَّيَّاتٍ خَاصَةٍ تُبْطِئُهُا

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأوَّل : الماسونية.

الفصل الثاني : السروتسري.

الفصل الثالث : اللَّيــونــز.

الفصل الرابع : الشيـوعيـة.

الفصل الخامس : شهبود يهبوه.

الفَصْ لالأول

المَاسُونيَّـةُ مُنَظَمَةُ نِفَاق,عَالميَّة

(۱) مقدمة

صار من الحفائق المعلومة لدى كل الباحثين أن والماسونية، وترجمتها الحرقية: واليناؤون الإحراره منظمة عالمية ذات قيادة سرية يهوديّة تعمل للتوصل إلى إعادة هيكل سليمان الذي هـو رمز ذولة إسرائيل، وللشُّيْطرة على شعـوب الأرض جميعاً، وحكم العالم بملك من الهود.

وقد عرُّفها المستشرق الهولندي «دوزي، بقوله:

وجمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، هي إعادة الهيكل، إذْ هو رمز دولة إسرائيل.

واليهود يلبسون نفاقاً قساع التعاون والإنحاء الإنساني، ويسترون غايساتهم ومقاصدهم اليهوديّة، ليُستُخروا المحافل العاسونيّة، وكلَّ الأعضاء العاسونيين في تحقيق اهدافهم السياسيّة، والاقتصادية والاجتماعيّة في العالم، ثم ليتوصُّلُوا إلى حكم العالم بعد إقامة دولتهم في فلسطين، قريباً من أحواض البترول في الشرق الأوسط.

وإعمال منظمة والعامونية، ورموزها، وتحركانها، هي في معظمها تعتمد على السركة التأثية والكتمان، وتأتي أواموها العليا وتوجيهاتها ذات الشأن الخطير بأسلوب الشيفرة، أو شفوية على السنة أشخاص معتمدين، من فوي العراتب أو اللرجات التي يُعيِّر الواصلون إليها مؤهلين لحمل مهمّات تبليغ الرسائل الشفوية العليا، وهم يُعرِّفُون عن طريق حركات وإشارات معيَّة، ذات رموز اصطلاحيَّة يتعلّمونها فيما بينهم، على

قدر درجاتهم ومراتبهم في المنظمة، وسرّيتها مع كتمان الأعضاء العاسونيين يضمن لها البقاء في الظلام ويحميها من أعين الرقباء.

وأعيد هنا ما سبق أن كتبته عن والمساسونية، في كتابي: ومكايد يهموية عبر التاريخ، وكتابي: وأجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، مع طائفة من الإضافات يستدعيها إبراز أسلوب والماسونية، في النقاق القائم على الخداع والكذب، وإظهار وجه إنسانيًّ براقٍ باسم، وإخفاء الوجه الحقيقي المكفهرُ الأسود القائم.

لقد أثبت تاريخ هذه المنظمة المحاطة أهدافها الحقيقة بسرية عظيمة، أنها من أخطر الجمعيات السرية عظيمة، أنها من أخطر الجمعيات السرية العالم، وأشرت تأثيراً مُناشراً على مصائر كثير من الشعوب، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهبودية، دخلت إليها عن طريق المحافل العاسونية، التي تديرها من وراه السجوف أصابع المحر اليهودي الذي يُشكِمُ إخفاء نفسه، في المؤت الذي يكون فيه هو المدير الحقيقي للعمليات الفكرية، والمتعافق، والاقتصادية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحربية، وغيرها، في البلد الذي تنتشر فيه المحافل الماسونية، ولو لم يكن لليهرد في هذا البلد عدد كبير يستطيع أن يفعل شيئاً لصالح اليهودية العالمية، إلا أنّ الجمعية الماسونية التي يقيض على ناصية قمتها في العالم دُهاةً من أحبار اليهود وحكمائهم، هي التي تخدم أغراضهم خدمةً أليَّةً، يتحرّك فيها الغواد دون أن يشعر معظمهم إلى أين يسيرون، ولمن يعملون.

ولقد يبلغ الذهش عند بعض الباحثين مبلغه العظيم حينما يعلمون أن حروياً عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملين على إثارتها، وإشعال نيرانها، عن طريق منظمة والعامونية، ومحاطها في النالم. وحينما يعلمون أن كثيراً من القادة والزعماء المنحوفين في مختلف دول العالم قد أوصاتهم إلى مراكزهم الالاعب والحيل اليهودية العالمية عن طريق منظمة الماسوئية، ومحاطها. وحينما يعلمون أن كثيراً من التزارات الاقتصادية والمساسية والعلمية والاجتماعية في العالم، قد تحكمت الاصاب اليهودية باتجاهاته عن طريق منظمة والعامينية ومحاطها.

ولقد يرى بعض السطحيّين وقصيري النظر أنّ هذا صربٌ من الوهم، ومبالغةً من

مبالغات الحدس، ولكنَّ الحقيقة التاريخيَّ، والوقائع المستمرَّ، جديرة بأن يكشفها البلحثون، ويفتحوا أعين النس عليها حتى يروها، مهما كنات بعيدة عن جسُهم لوخَدْمِهم، ومهما استهان بها الجاهلون، وهزى، بها العبيان والمستففون.

. . .

(1)

تأسيسها وأهدافها

لا يُعرفُ على وجه التحديد تاريخ تأسيس هذه المنظمة (الماسونية) التي بدأهما اليهود، واستغلوها في معظم أدوار التاريخ، إلا أنَّ من المؤكّدِ أنّها جمعيّة عبويقةً في المُؤخر، وهي منافقة ذاتُ رجهين:

(١) وجمه ظاهر كاذب خادع مُضَلُّل.

(٢) ورجه باطن ينطوي على المكيدة الكبرى لمختلف الأمم والشعوب، بغية خدمة مصانح المملكة الهودية السرّية المنيّة في الصالم، ومصالح المملكة اليهودية التي ربّّت فادة صِهَيْرٌن ظهورها في فلسطين، على أن تكون نواة لتأسيس مملكة تحكم الصالم كلّة، ووسيلتهم لذلك الحيلة والذّهب، وتسخير المطايا من مختلف شموب الأرض.

قال بعض الباحثين: ولعل أوّل محفل ماسوني هو ذلك المحفل الذي تمّ بإرشاد وهيرونوس أغريباء الذي كنان ملكاً في الثلث الناني من القرن الأول المهلادي، أي حوالي (من سنة ٣٧ إلى سنة ٤٤م). بمساحمة مستشاريه اليهودييّن: وحيرام أبيوه، نائب الرئيس، و وموآب لامي، كاتم سرّ أوّل.

وممًّا يؤثر عن هذا الملك قوله:

وإنَّ الطريقة النَّشْلَى التي نجعلُ بها جمعيتنا خطيرة وعظيمة ومُشْوَقة في الوقت نفسه، هي أن نجعل تاريخ تأسيسها سِراً خفياً، والواجب النباعَة مع من ينضَمُّ إليننا أنَّ تُفْهِمَهُ أنَّ هذه الجمعيّة قديمةً جداً، ولا يُمْرَفُ شيءٌ عن تاريخ تأسيسها، ولا من انشأها، لكنّها كانت منحلًة من مُدَّة، ولكي نحمل المعارضين على التُصديق _ وهؤلاء لا بدّ من وُجودهم _ فارتنا نقول لهم: إنّ الملك هيرودوس قد وجد هي خيزاتن أبيه اوراقاً قديمةً تشير إلى جمعية قديمة ذات إشارات وقوانين ببرّية، فواني من الخير ان يجدّهما ويخرجها من مدفقها، الأنها مفيدة ومشرة على ما عرفه عنها من تلك الأوراق، فهذا الكتمان نخفي الضاية التي من أجلها أمست هذه الجمعيّة، كما أخفينا تاريخ تأسيسهاه.

فَإِنْ صَحَّ نَقَلَ هَذَا النَّصَ عَنْ وهيرودوسٍ، فَهُو يَذُلُّ عَلَى عَلَّمَ أَمُورٍ:

- أنّ هذه المنظمة قليمة جدّاً.
- وأنَّ مؤسّسيها اليهود قد قرروا إخفاء تاريخ تأسيسها.
- وأذّ أهدافها الحقيقية مكتومة لا يعرفها إلا أساطين قادتها من اليهود.
- على أنَّ هذه الأمور قد اتفق الباحثون عليها، ولو لم يَدُلُّ عليها النَّصَّ.

ويرى بعض الباحثين أنَّ مؤسّسيها الأولين كانوا تسعة من كبراء اليهود، أسّسوها في الهيكل سنة (٣٧م) وسمّوها والقوة الخفيّة وكان هدفها الأول القضاء على الديانة النصرانية وأنباعها، ولمّا ظهر الإسسلام واشتدّ صار هدفها القضاء على الإسسلام ومن يؤمن به أيضاً.

واستمرّت منظمة والماسونية؛ نعمل لتحقيق أهدافها المكتومة متأرجحةً بين شئةٍ وَضعف عبر قرون، وظلّت كما بدأت ذات وجهين:

- وجه باسم مخادع قد أبدى صفحته.
- ووجه مكفهر متوارٍ عن اأأنظار مكتوم.

أمّا الوجه المكتوم فهو وجّه يُتولاه تنظيم سرّي يهوديٌّ صوف، لا يسمع بأن يصل إلى القيادات الفقالة إلاَّ الدُّهاة الموثوق بكفاءتهم من اليهدد، وهو وجه مكفهرٌ خبيثٌ محشوٌ بكلّ المكر اليهودي في العالم، وهو يحاول أن يرجّه المحافل الماسوئية ضمن خطّة مرسومة، تهدف إلى خدمة السياسة اليهودية المقتمة في العالم، وإلى محاربة كلّ الأديان وهدمها عدا اليهردية، وإلى إفساد جميع شموب الأرض، وتهديم كياناتها السياسية والاقتصادية والاجتماعة والأخلائية والدينيّة، كيما يجد بنو إسرائيل القليلون في الأرض سبيلًا لإعادة بناء ملكهم على أنقاض الممالك والشعوب التي يعملون على تهديمها بالمكر ونشر الفساد.

ويزعمون أنهم بستطيعون أن يحكموا العالم على العرض من قلّة عدهم، مثى أحكموا سياسة المكر والخداع والنفاق، وأتفنوا وسائل الحيلة، واستخدموا المعالى والدَّماء ويتَّ النظريات البراقة الباطلة، وغمسوا القطعان السائمة من الشهوب الأخرى بالجهل والخمر والنساء، والقمار والعلاهي، والإلحاد بالله، ومعادلة الأديان الرّبائية، ومعادلة الأديان الرّبائية، ومحاربة كل فضيلة خلفيًا وسلوكية اكتشفتها الأجبال السائفة، بعد قرون عديمة من التجارب والخبرات التاريخية.

ويرون أنَّ انغماس الأجيال في هذه الشهوات المهلكات سيجمل منها قسطماتًا هائمةً في الأرض، تطلّع إلى راع مالكِ لقواه الإنسانيّة، حتَّى يرعاها بدهائه وذكبائه، ودهاء وذكاء اليهبود من حولم، ولن يكون عند ذلك قرّة متماسكة في الأرض إلاَّ قوة اليهود، الذين سيعمرفون يزعمهم كيف يسوسون هذه القسطمان المخلوقة على صورة البشر.

هكذا يزعمون، وهكذا يقولون في مقرّراتهم السُّرّيّة.

وفي سنة (١٧١٧م) انخلت هذه السنظمة لفسها اسم والساسونية وتمشاه: والبنّاؤون الاحرار، بدل اسمها الفديم والفرّة العنفيّة، وكان هذا التغيير في مؤتمر ولنلده، الذي لنعقد برئاسة والنوسن، الذي عاش رئيس كنيسة بروتستانية، نصراتيًّا في ظاهر حاله، إلاّ أنّه كان يهوديًّا في الباطن يعمل لخدمة اليهبودية العالميّة، وحركتها الرامية إلى حكم العالم.

وتاسست محافل ماسوئية في أكثر دول ارروبًا وروسيا والهند، وتأسست محافل ماسونية رسميّة في أسريكا ابتداءً من سنة (۱۷۳۳م) وبلغ عمدد محافلها الكبرى في أمريكا سنة (۱۹۰۷م) أكثر من خمسين محضلًا، يتبعها آلاف المحافل العماديّة، وزاد فيها أعضاء المحافل الماسونية على مليوني أمريكي.

ومن بريطانيا وبإشراف محفلها الكبير تأسست محافل الماسون في كندا واستواليا

ونيوزيلندا والشرق الأوسط، وصار محضل بريـطانيا بـالنسبة إلى غـالبية محـافل العـالـم مركزاً كبيراً.

وفي سنة (١٨٦٦م) قبال الحائجام الدكتبور إسحياق في إحدى المجللات الأمريكيّة:

والماسونيّة مؤسسة يهموديّة في تباريخها، ودرجماتها، وتصاليمها، وكلممات السّرّ فيها، وفي إيضاحاتها. . يهوديّة من البداية إلى النهاية».

وتقول دائرة المعارف الماسونية الصادرة في فيلادلقيا سنة (١٩٠٦م):

ويجب أن يكون كلَّ محفل رمزاً لهيكل اليهود، وهو بالفعل كذلك، وأن يكون كلَّ أستاذ على كرسيّه ممثلًا لملك اليهود، وكلَّ ماسوني تجسيداً للعامل اليهودي».

(٣)

مراتب الماسونية

لكي يضمن اليهود بقاء تقمة القيادة في منظمة والساسونية، تحت أيديهم، لايُشارُكُهُم فيها أحدً، جعلوا لهذه المنظمة مراتب ودرجات لا يصل إلى الـدرجات العليا منها إلا مخلصٌ تفاش في خدمة الإهداف السَّرِيَّة لها.

ويتم ترفيع العضو في درجاتها بمعرفة الأساطين الذين هم أركان المحافل الماسونية، ووكلاء اليهود المخلصون لهم، وسع ذلك فأن يُهسل إلى العواتب العليا التي تدار بمعرفتها وأوامرهما المعافل الملسونية المنتشرة في العالم، إلا المدهاة من البهود الصوف، المخلصون لشعب بني إسرائيل، والذين يؤمنون بحق اليهود في مُلك العالم، ويؤمنون يوجوب استخدام آية وسيلة من الموسائيل مهما كمانت غير أسلاقية، لتحقيق حلم اليهود الأكور.

وقد توصّل الباحثون إلى معرفة المراثب الثلاث للماسونية، وهي:

العرتبة الأولى: الماسونية العامة، أو ما يسمُونه والماسونية الرسزيّة، وهي مرتبة تضمّ العبتدئين، اللمين بجهلون الأهداف الحقيقيّة الغائيّة، ويُشْرِقُون عند أهل العرتبتين الثانية والثالثة بالعميان. العرتية الثانية: الماسونية المبلوكية، وتُسكَى والعقد الملوكية، ومِن مرتبة يَعْرِفُ الواصلون اليها بعض اهدافها المبدية، إلا أنهم قد أعمتهم مصالحهم التي تتحقّق لهم عن طريقها، وأماتت فيهم ضمائرهم.

العمرقة الشائق: الساسونية الكونية، وهي تضمُّ قانة إسرائيل، ويُسمُّونهم حكماتها. وورثة السَّر، وهم الذين يتصرفون سرَّا بالمحافل العاسونية المنتشرة في العالم، ويوجَّهونها لتحقيق أهداف اليهود المكنوسة، في السياسة، والاقتصاف، والإدارة، والتعليم، والإعلام، والجيش، وسائر مجالات الحياة.

ومهمة أعضاء هذه المرتبة إدارة كلّ حركة من حركات الثمورة والهدم والتخريب والفوضى السياسية والاجتماعية بشتى الطرق والوسائل في مختلف بقاع الأوض، وهي تستخدم لتنفيذ أغراضها اليهودية الصّرف أعضاء المساسونية العائمة (الرمزية) وأعضاء الماسونية الملوكية (العقد الملوكي).

وتستطيع الماسونية الكونية أن تجمع عن طريق الماسونيتين الرمزية، والمقد الملوكي كلّ المعلومات التي تريدها عن دول الارض، وتستخدم بها من تشاء من ملوك ورؤساء، كما تستطيع عن طريق الأعضاء الماسونيين أن تُمثيل ما تريد من أفكار سياسية واجتماعية في مختلف الدول المتصارعة، وأن تحرك عن طريقهم ما تشاء من فين ومنازعات وحروب، وأن تقوم بدور كلَّ من المُخصَّيْن المتنازعين في الدول والأحزاب داخل الدولة الواحدة، وأن تُضاوض عن كلَّ واحدٍ من أطراف النزاع، وأن تُشهى المفاوضة ضدَّ كلَّ واحدٍ منهم، أنَّ تشهى المفاوضة ضدَّ كلَّ واحدٍ منهم، ولصالح اليهودية العالمية، دون أن يُشَمَّر أحدُّ منهم بأنَّ لقو في فخَ المكيلة اليهودية على يد العامونيين.

وهذه المرتبة الكونية لا يُعرفها على وجه التحديد إلا نفر قليلون من اليهود، ومن ذوي النّسب العربق في السلالات اليهودية، من ذَرّيّة داود وسليمان.

وليس لهذه المرتبة إلاّ محفل واحد في العالم، هو الآن في ونيويورك، كما يـذكر الباحثون.

(1)

درجمات الماسونية

أتُفق الباحثون على أن منظمة والماسونية، ذات ثلاث وثلاثين درجة، وأنّ الديا منها مخصَصة للعميان الذين يجهلون أهداف الماسونية الحقيقية، الديا منها منها منهم المعان، بمعنى إعادة ملك بني إسرائيل، والعمل على إسقاط كلّ ملوك وحكّام العالم أجمع، وإلغاء كلّ الأديان والشرائع باستثناء اليهودية المحرّفة ذات الإلّه الخاصّ والتي لا تؤمن باليوم الأخر، والعمل أيضاً على إقامة الدولة الههوديّة العالمة التي تقيض على نواصي الشعوب بسلطان شديد من الأسلمة الفتاكة ذات الدمار الشامل، ومن المال العظيم الذي يمتلكونه في الأرض، ويقطعان الجنود المسخّرين لهم من شعوب الأرض، ويقطعان الجنود المسخّرين

وذكر 33. محمد علي الزعبيء في كتابه والمامونية في العراءء وهو الخبير بها. إذْ كنان عضواً متقددًماً في بعض محافلها في لبنان، أنَّ مَنْحَ المدرجات فيهـا ابتـداءً أو ترفيعاً يكون لبعضها يتكريس، ويكون لبعضها الآخر بغير تكريس.

والمراد من التكويس إقامةً مراسيم خاصة ذات أعمال وحركاتٍ وأقوالر وشعاراتٍ رمزية، وفي بعضهـا إرهابُ للعضـو الذي يجـري تكريسـه، لإلزامـه بأن يحـافظ على السَّرَيّة النامة للمعلومات عن كلِّ شيءٍ في الماسـونيّة، إلاَّ ما يباح إعلانه، أو يأتي الأسـر بإذاعته ونشره.

 (١) فالدرجات من (١ ـــ٣) تمنح للمرشّح لها بتكريس، في احتمال خاصً يجري له ضمن المحفل الماسوني.

ولكلُّ تكريس يُجْرى عند منع درجة من هذه الدرجات حركـات وأقوال وطقــوس خاصة ذات رموز يهودية يعرفها المنتَّبُون أهل الخبرة، وقد ذكرها «الزعبــي» في كتابه .

أمًا الْفَسَمُ في هذه الدرجات لتأكيد المحافظة على السَّرِية، فيكون على الكتاب الذي يؤمن به العضو الذي بمنح الدرجة (القرآن لـ أو الإنجيل لـ أو التوراة).

(٢) والدرجات من (٤ ــ ١٧) تمنح للعضو الماسوني تلقيناً من غير تكريس،

بعد اختبار إخلاصه للماسونية، ونفانيه في خدمة أنشطتهما، وبحِلَم قادتهما بانه يتحلّل شيئاً فشيئاً من ولاءاته لدين، وقومه، ووطف، وأسرته، ويفترب ص التأهيل ليكون جندياً مطبعاً للقيادة اليهودية الصرف.

 (٣) والدرجة (١٨) تمسّح بتكريس على مستسوى مشدد، رأتي في مفهـوم الممسونية، وهابط في دوكات الانسلاخ من الدين والولاءات الاخرى، في الحقيقة.

وتسمّى هذه الدرجة والفارس الحكيم، وقد تسمّى فرجة والصليب الدودي، للتغطية

ومن فقرات التكويس لهذه الدرجة ترديد كلمات: «حرّية ــ مساولة ــ إخاه» مثلث الماسونية المدمَر للشعوب.

وبعد إجراء بفرات التكويس لهذه الدوجة ذات الرموز اليهوديّة، يتقدّم الصرفّح إلى دنيس المحفل متوشحاً بوشاح ورديّ، لونه كذّون النور حين مغيب الشمس، وقمد نَقَشُ على الوشاع صورة للصليب، وصورة لطير الرخم.

عندائذ يكرّسه الرئيس بالسيف، ويكون النكريس بيتٌ طوقت متناليات، وطعرقةٍ منفودة ويُقلِن تكريسه قائلاً:

وباسم مهندس الكون الأعظم، وتحت رعماية المجلس السامي، ويصوجب السلطة الممنوحة لي من الإخوان الفوارس الحكماء، أصيرك وفارساً حكيماًه أو وفارس الصلب الوردي، للدرجة الثامنة عشرة.

وهنا يردّد إخوان هذه الدرجة في المحفل عبارة:

ومن العدل هلاك الملوك غير الاتقباءه.

ثم يتبادلون خيزاً ونبيذاً. ويتبادلون لمسـة هذه الـدرجة، ويُبيسُرُ بعضهم في أذان بعض كلمة سُرِها، وكلمة المعرور ويُهُوّه.

وتعتبر هذه المدرجة الشامنة عشرة والفمارس الحكيم، مرحلة خطيرة في سلّم الارتقاء الماسوني، إذْ يُعْسِي الواصل إليها مستعدًا للدفاع عن اليهبود، وقائماً بخدمة أهدافهم، ومعتقداً انَّ كلِّ ماكان لديه من عقائد دينيَّة، ومصالح قـومية ووطنيَّـة أوهام فاسدة.

فينسلخ المواصل إليها من كلّ معتقداته وولاءاته السابقات، حتّى من روابطه العائليّة.

ويرتبط بحبال التلمود، ويقع في حبائل شباطين اليهود، ويُخيُّلُ إليه أنّه لا يوجد كتاب مُقَدَّسُ غير العهد القديم الذي يؤمن به اليهود.

والْفَسُمُ على حفظ السَرْ عند مَنْح هذه الدرجة يكون على كتب العهد القديم فقط، مع أدوات الهندسة لأنها تذكّر بيناه هيكل سليمان، والسيف لأنه يُذكّر في الرموز الهودية بساسماء: دهنزوا ــ ونحيا ــ وصفيا ــ وحجي . . ، وفيه إشارة إلى الجهاد لتحقيق العثلث العاسوني، الموصل إلى إعادة هيكل سليمان، وحكم اليهود للعالم .

ويتوارى اعتباراً من هذه الدرجـة الفرآن والإنجيـل وكلّ كتـاب مقدّس، ولا يبغى على السدّة إلاّ العهد الفديم. عملاً بالدستور الأيكوسي للمنظمة.

ومن دستور هذه الدرجة وأنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فعلى العاسوني أن ينصر أخاه في العاسونية ولوكان ظالماً، بأن يساعده على ظلمه.

والعمل يهذه المائة أغرى والفسرسان الحكساء بتحطيم عسرش السلطان عبد الحميد، وإلغاه الخلافة الإسلامية، وأغراهم بتحطيم عرش القياصرة، وكمان ذلك تحقيقاً للمصالح اليهودية في العالم.

- (3) والدوجات من (19 ـــ ٣٩) تمنح للعضو العاسوني تلقيناً من غير تكديس، بناءً على اختبارات ومراقبات تتضمن الطاعة العمياء للقيادة اليهودية وأواسرها السريّة، وتحقيق غاياتها الشيطانية.
- (٥) والـدرجات من (٣٠ ــ ٣٣) درجـات خطيـرة جــــةًا، ونمنـع بتكـريس ذي طقوس خاصة بكل درجة منها.
- فالدرجة (الثلاثون) وتسمى درجة «الفارس الفدُّوس» وقعد تنطق السين شيناً

حسب اللَّسان العبري، وهـذا القارس هـو القائـد الأعلى للفرسـان الذين هـم دونــ في الدرجة، وتسع بتكريس.

والْقَسْمُ على حفظ السّرُ لدى مَنْح هذه الـدرجة يكون على كتب العهد القديم فقط.

والدرجة (الحادية والثلاثون) وتسمَّى درجة «القارس الأعلى» وتصنح بتكريس
 في طقوس وعبارات خاصة ومراسيم.

ويجب على المرشّح لهذه الدرجة أن يعتفظ أسماء أسباط بني إسرائيسل، ويُقسم على الولاء لهم.

والدرجة (الثانية والثلاثون) وتُسمعُي درجة وفارس الفرسان، وتُعتنع بتكريس
 ذي طقوس وعبارات خاصة ومراسبم.

ويُقْسِمُ المرشِّمُ لها على أن لا يعترض على عمل من أعمال المساسونية، أو أمر من أوامرها مهما كان مخالفاً لمفهوم دينيَّ أو قوميَّ أو وطني أو واجب من الـواجبات، وعلى أن لا يتأثر بمنصبٍ يصل إليه، أو تجنى يُصِيبُه، أو رابطة عاطفيَّة مهما كانت ذات قوّة في نفسه.

والدرجة (الثالثة والثلاثون) وتُسمّى درجة والأسناذ الأعظم، وتمنع بتكريس
 في طقوس وعبارات خاصةٍ ومراسيم.

وبعد تلاوة قرار المجلس السامي الذي يعنح درجة والاستاذ الأعظم؛ للمرشّح الجديد لها، يُقْسِم المرشّح على التوراة فقط، ويفـوز بيراءة مخـطوطة، تتضمّن منّحهُ هُذه المرجة.

والسرشع لهذه الدرجة يجب عليه أن يُشَيَّم عيسى ومحمَّداً عليهما العسلاة والسلام، ويكلَّب بالإنجيل والقرآن، ويُنكر المسيحيَّة والإسلام، ويُعْلِن إيمانه بموسى وهارون فقط. ويتعرَّضُ مَنْ يُمْنَحُ هٰذه الدرجة للحوار التالي:

س : على أيّ شيءٍ أقسمت؟

ج : على التوراة.

س: هل علمت بكتاب سواه؟

ج : نعم، هنالة إنجيل وقرآن، وهما لشرنمة خارجة عن الإيمان والبشرية،
 أَمَنتُ بالمسيح ومحمد، العدوين اللدونين لمفيدتنا.

س : هل تؤمن بهذه الكتب؟

ج : كلَّا، أومن بالتوراة فقط، الكتاب الصحيح الذي أُنزِل على موسَى.

س : ما رأيك بالدِّينَيْنِ المسيحي والإسلامي؟

 ج : المسيحي أخذ تعاليمه من التوراة، والإسلامي أخذ تصاليمه من التوراة والإنجيل.

س : الأصل أفضل أم الفرع؟

ج: لا شَكَّ أَنَّ الأصل أفضل.

الرئيس السائسل: لقد نحجت بهيذا الاعتجان، وفهمت سيرً الأسرار الكامنة في الحقيقة السَّرية، وقد منحنا لك ــ مع التهنئة ــ درجة والأسئاذ الاعتظم، فكُن كُفُؤاً لها، وحريصاً عليها.

السؤميل العبدليد: مساكون، ويبردّد: أُومِنُ بِيَهُوه ومُوسَىٰ وهـارون، أُومِنُ بيهـوه وموسَىٰ وهارون.

ويُقَال له: هل تؤمن بسوى هذا؟

فيجيب: كلَّاء لا أومن بسوى هذا، بل أبغض وأكره وأشتم سوى هذا، لا سيَّما المسيح ومحمَّد، أُومِنُ بِهُوَةُ وموسى وهارون. (0)

درجتا الرفيع والملك المنتظر

فوق كلُّ الدرجات الثلاث والثلاثين السابقات تأتي درجتان:

الأولى: درجة والرفيع.

الشائية: درجة والملك المنتظرو.

 أمّا درجة والرفيع فلا يطمع بها إلا اليهبود، ومن فاز بالنهبّود، بصعود الدرجات العاسوئية بكفاءة وإخلاص لهيكل سليمان.

وقد ظفر بهذه الدرجة متهوّدون من الإنكليـز، وكانت سبب استماتتهم في سبيل الهيكل.

جاء في «العقد الملوكي» عن هؤلاء ما نصّه:

دوقد كان لأسرار هذه الدوجة تـأثير عظيم على جمّ غفير من الإحدوان الإنكليز، ذوي التقوذ والأفكار الحرّة، الذين لا يـزالون يحفيظون اعتقادات إسـرائيـل الأصيلة، إذّ لنــا أصــدقـــاء دائمــون هم الإنكليـــز، وأعــداء دائمــون هم العـرب، وفي رأسهم المصريّون».

ولهذه الدرجة تكريس خاصٌ ذو طقوس خاصة، ولها أسرارها ورموزها.

وفوق هذه الدرجة يأتي المحفل الكوني (الماسونية الكونية).

وأماً درجة والملك المنتظرة فهي نهاية السلم الماسوني، وفيها يُشرّج ملك
 اليهود، الذي هو في تقديرهم ملك الكون سرًا، وحينما تقوم الدولة العالمية اليهودية
 الواحدة، يكون هو ملكها علانية وجهراً.

وقد نال هذه الدرجة ملوك انكاترا لأنهم من يهود ألمانيا، ومن سبط لاوي.

ونالها أيضاً ملك الحبشة سابقاً وهيلاسلاسي، باعتباره كما يقولون من ذرّيّة: ورجعام بن سليمان،

(1)

بعض رموز الماسونية وتفسيراتها الحقيقية

ثبت للمطلعين بما لا يقبل الشك أنّ كلّ رمز من الرموز المتداولة في المماسونية من إشارات وحركات وخطوات وكلمات وأشياء تـوضع في المحافل تهدف إلى ذكرى يهوديّه، أو غاية يهوديّة صرف.

لكنّ بعضها يحمنل التأويل، كالشمس والفعر والعين، ويعضها يهوديُّ مسريح لا يحمل التأويل، كالهيكل، والملبح، وقُدْس الأقداس، والاستاذ السّرَي الذي يُمثّل سليمان، والاستاذ الكامل الذي يمثل قائد رتبة، وشمعدانات الدرجة السادسة الّي نشبه شمعدانات هيكل سليمان.

وفيما يلي طائفة من هذه الرموز مع تفسيراتها المخفيّة اقتباساً من المذين كتبوا عن المسامونية، ومنهم دد: سيف الدين البستاني ... و د: محمد علي النزعبي ... وجواد رفعت اللخان».

أولاً: تتألف الماسونية من محافل ذات أسماء خاصة تكون لفظة الشرق، أحمد عناصرها غالباً، لأن الشرق مصدر النور عند اليهود، إلى غير ذلك من ألفاظ لها صلة بالمصطلحات اليهودية، ويمارس أعضاء المحافل الماسونية طفوساً وصراسيم لها دلالات يهودية، ويتمارفون برموز لا يصرف معظم الأعضاء دلالاتها الخفية، إلاّ أنها لذى التحقيق ذات دلالات يهودية.

وتشهيد اعترافاتهم بذلك، فقد جناه في (الخطب الأربع لمحفل السلامة الماسوني) قولهم:

وإن عقائدنا ورموزنا وإشاراتنا ودرجاننا هي مصريةٌ فرعونيةٌ ، ولكنُّها انتقلت إلينا
 بواسطة يني إسرائيل.

ثَانياً: من أمثلة رموز الماسونية ما يلي:

- (١): (المحفل): هو عند أعضاء الماسونية العامة اسم للمكان المذي يجتمعون فيه، ينما يعتره أعضاء الماسونية الملوكية رمزاً لهيكل سليمان، الذي يعتبره اليهود شعاراً لوطنهم القومي.
- (٣): (الهيكل): والمقصود منه هيكل سليمان، وقد يذكر باسم: وهيكل الحكمة _ أو هيكل الإنسانية _ أو الكنيسة الكبرى _ أو هيكل الكون _ أو كوكب الشرق الأعظم.
- (٣): (مهندس الكون الأعظم): رمز لمهندس هيكل سليمان، واسعه وحيرام» فالهيكل عندهم هو الكون الأعظم، ويبرى معجم الماسونية والماسونيين أنّه ومز وأدونيرام، الرئيس الرابع للقرة الخفية.
- (3): (الثور): هو عند أعضاء الماسونية العامة (الرمزية) رَمْزُ لنور العقبل، بينما يعتبره أعضاء الماسونية الملوكية رمزاً للنور الذي تجلّى به الله لموسى عليه السلام.
 - (٥): (أدوات الهندسة): اختيرت رمزاً يذكّر ببناء هيكل سليمان.
- (٢): (السيف): هو عند أعضاء الماسونية الصائة إشارة إلى الجهاد في سبيل الحق والعدل والحرِّيّة، بينما هو روزٌ إلى السيف الذي كان يحمله بنو إسرائيل ضد الأمم الأخرى، وللقوة التي قامت بها دولة بني إسرائيل في عهدتي داود وسليمان.
- (٧): (العذيج): بطلق على منضدة توضع في المحفل العاسوني بين عمودين،
 وعليها نسخة من الغرآن، ونسخة من العهد الغديم، ونسخة من العهد الجديد.
- والمدنبح هــو في الأصـل عبــارة عن أرض اشتراهـــا داود عليه الســــلام من الكنهانيين، واتخذها مركزاً لتقديم الذبائع والقرابين، ومحرقة للقرابين.
- (٨): (خيز القطير): الذي يتناوله الفائزون بالدرجة (١٨) في بعض المحافـل الماسونية، تذكار لعيد القطير اليهودي.
- (٩): (الأنبوار السبمة): هي في عرف أعضاء الماسونية العامدة (الرمزية) الأعضاء الذين تكون بهم جلسة المحفل قانونية، بينما هي لدى أعضاء العاسونية العلوكية رمز للسنين الشيم التي أثم فيها سليمان بناء الهيكل.

(١٠): (قطع رأس شيء ما): يقطع العامونيون في بعض احتمالاتهم رأساً من شيء ما احتمالاتهم رأساً من شيء ما لديهم أو غيره من شيء ما لديهم، فيرى أعضاء العامونية العائمة أنه رمزً من قطع رأس الجهل أو غيره من الثقائص البشرية، بينما يرى أعضاء العامونية العلوكية ذلك تمثيلاً لقصة الملك داود عليه السلام، وقطعه رأس جالوت الجبار الذي سنى الشعب الإسرائيلي، كما يعرونه تعتيلاً لقصة (بهدويت) التي قطعت رأس القائد الروماني (اليضانا) سينما جاء يها لمعطورة اليهود.

(١١): الفظ (أدونيرام): هو في الحقيقة اسم الرئيس الرابع للقوة الخفية، أصل
 منظمة العاسونية.

(١٢): (القلائد والأوشحة): رموز قلادة سليمان ووشاحه.

(١٣): (اللحيَّة النحاسية): ومز يذكر بنعمة الله على إسرائيل وحده.

(15): (هصما العرشمة): زمز لعصا هارون التي زرعت منع العصي في خيمة الاجتماع، وفي اليوم التاني فرُخَتُ واتمرت لوزاً دون سائر عصي رؤساء بني إسرائيل، كما جاء في سفر العدد، الإصحاح (١٧).

(١٥): (السَّلَة): هي رمز سلَّة سليمان.

 (١٦): (شبولت): معناه في العبوية السنبلة، وقد كانت هذه الكلمة عملامة على اليهود، ومن لفظها كان الجلعاديون^(۱) يعرفون اليهوديّ فيتلونه.

 (١٧): (العمودان): يشيران عند اليهود إلى العمودين اللّذين كاما يتقدّمان بني إسرائيل عند خروجهم من مصر بقيادة موسى عليه السلام.

(١٨): (جاكبين): هو اسم أخر ملوك يهوذا.

(١٩): (جادا): هو اسم أحد الأسباط الاثني عشر من أسباط بني إسرائيل.

(٢٠): (نقطة الدائرة): في كل محفل ماسوني متنظم لا بد أن تُحدُد نقطة داخل
 دائرة، ويجب على كل ماسوني أن لا يتحول عنها، وهي محددة بين الشمال والجنوب

 ⁽١) الجنّسابيّرون: قسم من سبط ومنسّر، وهم من نسل وجلعاده و ومنسّر، همو يكبر يبوسف عليه السلام (هن قاموس الكتاب المقدس).

بغطين مستقيمين، يدلُّ احدهما على موسى، ويَدُلُّ الاخر على سليمان، وفي أعلى ذلك توجد التوراة، وعليها اسم يعقوب، وهو يرمز عندهم إلى المرؤيا التي رآها يعقوب، وكانت المملاكة نبازلة عليه وصاحدة، وقصة هذه الرؤيا مذكورة في كتب المهود.

(٢١): (التجوم): أو التقاط الشلاث، وهي ترمز عندهم إلى تعجيد المسامير التي ينزعمون أنها دُقت في جسد المسيح الذي عمل اليهود على صلبه، هكذا ا يزعمون، ولكن الحقيقة أنَّ اله النجاء منهم، واللني فَيْهَةً على الذي دلَّ عليه.

(٢٧): تكرَّر علد ثلاثة في رموز المحافل الماسونية.

- * فالعمر في الدرجة اأأولى ثلاثة.
- وكلمات: وحرية، مساواة، إخاءه ثلاثة.

والضغط بالإبهام بإعطاء الدرجة الأولى ثلاثة.

- والخطوات بدخول المحفل ثلاثة.
- وموسى، وهارون، والتابوت، ثلاثة.
- وسليمان، وحيرام المهندس، وحيرام الملك، ثلاثة.
- وحروف القداسة العليا هي (ي. هـ. م) أي: يهوه هارون موسى، ثلاثة.
- ودعائم الهيكل (ت. ب. ج) أي: تحرير، بناء، حفاظ، ثلاثة، لأن الله أباح بزعمهم للإسائل كل شيء على شرط أن تكون هذه الدعائم هدفاً، كما قال وموال لانيء.

وهكذا تسير مصطلحات الماسونية ورموزها وإشاراتها وطفوسهما، ولو صرف كثير من المنتسبين إليها من غير اليهود حقيقة معانيها التي يُلقي عليهما اليهود حُجّباً كثيفة، حتى لا براها غير اليهود ووكـلائهم، نعرفـوا أنهم يُجَدُّدون انفسهم جهـلاً في صفوف أهدائهم وأعداء أمنهم من حيث لا يشعرون.

وربصا تظهر هذه المرموز والإنساراتُ والطفوس لـدى كثير من النـاس بـشـابـة خزعبلات وتدجيلات وألاعيب صبيانيّة بمارسها الماسونيون اتباعاً لقوانين وأنـظمة هـذه المنظمة ذات التحرّكات والأهداف السَّرَيّة، واحتالاً لأواسرها التي لا تقبل العناقشة، والّتي يتمّ يُجُمّا بين الاعضاء، كساتَما هي وحيٌّ يسوخَى بـه، دون أن يعلم الاعضساء المُنظّدُون من هو صاحب الأمر العوجّه لها.

ومع أنَّ معظم هذه الرموز والإشارة والطقوس يحمل كما سبق إيضاحُه تفسيرات يهوديّه بَحْثُ في حقيقة الامر، إلا أن المخطّطين اليهود قد يضمون لهما معاني أخرى، يُلَّسون بها على العميان، وهم أعضاه المرتبة الأولى الموضوعون في حقل الاختبار اليهودي، ليصطفوا منهم من برونه متحلًلاً من دينه وأخدلاته وأتمّه، فَيُرفُّوهُ عندائدٍ في درجات الماسونية.

وبعد ذلك يعملون على دفعه إلى المناصب العالية في دولته عن طريق دعم أعضاء المحافل الماسونية، الذين يُوسُون لهم بذلك، ليسخروه فيما يريدون من إفساد وتهديم الدولته ودينه وأمّته، وليتزرَّدوا منه بالمحلومات الّتي يطلع عليها بمفتضى مركزه وعمله، وقد لا يُشكِّرُ بأنّه يزودهم بها، وذلك لما يتشع به القادة البهود من مكر بالمخ يُعتَّدون فيه أنفسهم ووكلاتهم إخضاء تمامًا، حتى عن أعين معظم المخلصين لهم، والسائرين في ركابهم.

ولمّا كانت المحافل الماسوئية منتشرة في معظم دول الأرض، وكان معظم ذوي السرائر الهائة فيها لا بدّ أن يكونوا أعضاة في هذه المحافل أو اصدقاء لهم أو مسخّرين من قبلهم أو محاطين بمض منهم، فيإنّ أنسر إدارة هذه السدول قد أسبح بمخّر، المضمون للقيادة اليهووية العليا. وجرْضُ أصحاب المراكز على مراكزهم سيُهيّون عليهم الشعور بأنهم يخدمون اليهود من حيث يشعرون أو لا يشعرون وذلك عن طريق عليهم الشعوبية، لأنهم يعتقدون أنهم لمو تَمَرُّدُوا على الإرادة اليهودية العليا فسوف تعمل على طردهم من مراكزهم عن طريق وكلائها المستورين، ولو بنشر القضائح والأغلمات.

وَنَحْنُ إِذْ نَكَيْشُ دَلالات الرّموز والإنسارات والطقـوس النبي استكثر اليهـود منها في «الماسونية» وهي ذات صلة بالتعاليم والتقاليد والقصص اليهوديّة، فالهدف من ذلك أن نَبْنِ أن لليهود منها عدّة أغراض: الأوَّل: تثبيت الطابع اليهودي الذي قامت عليه المنظمة.

الثاني: الإممان في كتمان الأهداف الحقيقية لهذه المنظمة عن الأعضماء العميان من غير اليهود، وهم أعضاء والماسونية العامة الرمزينة، ويطلق عليهم وصف العميمان لأنهم يخدمون المنظمة جاهلين أهدافها الحقيقية.

الثالث: مل، جلسات المحافل بالأعسال التي تحجب الأعضاء عن ابتداع كلّ مفيد نافع، وشَفْلُهم بتمثيلات مُعنَّاة لا يدركون حقيقة أسرارها، وتُفْتِينَةُ أيصارهم عن الأمداف الحقيقية لهذه المنظمة، وهي الأهداف التي وسمها اليهود.

وتشتمل أهدافهم على ابتفاء هدم جميع الأدبان في الأرض باستثناء عقيدتهم البهردية الخاصة، وهدم جميع الأنظمة الأخبلاقية والاجتساعية والسياسية والاقتصاديّة في العالم، وذلك كيما يتشكّن لبني إسرائيل النظفرُ بمعلكة اليهبود التي تبدأ في فلسطين، ونعتذ إلى ووما، وتطوّقُ أفعاها الكرة الأرضيّة كُلُها.

هذا ما له يخطّطون وله يعمل هؤلاء المنافقون المجرمون الخـطرون المكارون. أَلاَ فَلَيْعُلَمِ الجاهلون، ولِيُنتُجُ الغافلون، ولِيُصُحُ النائمون، ولَيْتُبِ العاصون.

-

(Y)

مشهد من مشاهد التكريس

المشهد هو تكريس المرشح العضو للدرجة الثامنة عشرة:

- (١) وقف المرشّع أمام رئيس المحفل العاسوني، وثلا الطلب الذي تلمه للفوز بالدرجة، ووافق على صحّة توقيعه.
 - (٢) ركع المرشع أمام العذبع وأقسم القسم الخاص بهذه الدرجة.
- (٣) لَفُن الـرئيس المرشَّـخ كلمة المـرور، وهي: وفـاكس يـوبيس، وأعلمـه أنَّ
 معناها: ولكُمُ وعليكم السلام،. وأصلها من اللغة اللاتينَة المتأخرة.

وأفهم الرئيس المرشّح أنّه إذا قال هذه الكلمة أجابه إخوانه بكلمة: ٩عمانوئيـل؛ ومعناها: والله معناه.

(٤) يخطو المرشع ثلاث خطوات:

ا**لأولى**. خطوة إلى اليسار.

الثانية: خطوة إلى اليمين.

الثالثة: خطوة تنتهي بركوع أمام المذبح

(٥) يقوم المرشّع بتأدية تحيّةٍ عمليّة للسُّدةِ والمذبح، على الشكل التالي:

اليدان مضمومتان إلى الصدر. اليمنى فوق اليسرى، والإبهـامان مرفـوعـان إلى الأعلى.

ومعتى هذه التحيَّة: المجد لمهندس الكون الأعظم.

(٦) يجيب الرئيس على هذه التحيّة بنادية تحيّة عملية على الشكل التالي:
 البدان مضمومتان تشيران إلى جهة الأرض.

ومعنى هذا الرد: وعلينا وعليكم وعلى من في الأرض السلام.

- (٧) يؤدي الرئيس والعرشج اللمسة، وتكون بيسط يد كل منهما بيد صاحبه، ويتعها وتبضة الأسد، مع الاهتزاز، والإبهام على الإبهام، ويكون تحريكهما من أعلى.
- (A) يُلثّن المسرشع كلمة السرّ لهيذه الدرجة وهي (ان ري) ومعناها: وعيسى الناصري ملك يهوذا؛ فهي حروف مقطعة كلّ حرف منها يذلّ على كلمة من الكلمات الأربع. ولا بد أن نفهم أنّ تفسير هذه الحروف بهذا الفسير نفطية لخذاع التصارى.
- (٩) يصفّق الإخوة والفرسان الحكماء، ثلاث صفقات، مع ترديد شعار العاسونية: وحرية مساواة إخاء،
- (١٠) بقف المدرِّحة أمام الرئيس، فيفسع المرئيس السيف على الكف الأيمن للمرشح، ثم على كفه الأيسر، ويطرق فوقه بالمطرقة. ثم يضعه على وأس المرشِّح، ويطرقه بالمطرقة، وبعد ذلك يُقبِّلُ المرشَّخ يُخَالة النهنة.

ويتلو الرئيس قرار منحه الدرجة، كما سبل بينانه لمدى شوح المدرجة (١٨) إلى آخر ما يجري في هذا التكريس.

(A)

من أقوالهم الكاشفة عن أهدافهم ومخطّطاتهم

لقد غدا متحقّفاً أنَّ أساطين اليهود يعتبرون المحافل الماسوئية بمثابة الأجهزة التي يحصلون منها على ما بريدون من أخبار، وبمثابة مراكز هامّة للدّعاية لهم، كما أنهم من وراه المحافل المتشرة في العالم متربّعون على عرش قمتها، ويوجّهونها لتحقيق أهداف اليهوئية العالمية، في حال أنّهم يُحيطون أنفسهم بحُجُّب كثفة، و ويُقلّفون أهدافهم بمكر كثير، حتى لا تكثفهم عيون الأمم، التي يعمل أفراد منها في خلايا الماسوئية، وهم يجهلون المصير القائم الذي ينساقون إليه هُمَّ وشعوبَهم من ورائهم.

وفيما يلي طائفة من الأقوال الكاشفة عن أهدافهم ومخطَّطاتهم:

(١) جاء في البروتـوكـول «الخـامس عشر» من بــوتوكــولات وحكماء صهيــون»
 أي: شياطينهم ما يلي:

ووائى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن تُشفىء وتُضاعف خلايا المماسونيين الأحوار، في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كملّ من يصير، أو يكون معروفاً بأنه فو روح عامّة.

هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسيّة التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار، كما أنّها ستكون أفضل مراكز للدعاية.

وسوف تركّز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة مصرونة لتنا وهُذَنا وستألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيّون، كي نحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة، وسيكون لهذه القيادة وحَذَف الحقّ في نعين من يتكلّم، وفي رسم نظام اليوم، وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصايد لكلّ الاشتراكين وطبقات المجتمع التورية، وستكون معظم الخطط السياسية السَّريّة معرونة لنا، بمجرد تَهْيَّها،

وسنضم إلى عضويَّة هذه المحافل الماسونية كـلُّ أفراد الشـرطة السَّـرية والعلنيــة

الوطئة والدوليّة، لأن لخدماتها قيمة عظيمة بالنسبة الينما، فهي في وضع بجعلهما فادرة على ستر خططنا، وتقديم المعاذير عن إثارة المشكلات التي تفرضها مصالحنا، وفــوق هذا يكون في وُسُمِها ضرب من تحدّثه نَفْسُه بأنَّ يُطعِينَ أوامرنا.

والذين يتنسبون إلى جمعياتنا السَّريّة هم في العادة مغاصرون، يرغبون أن بشقُوا طريقهم في الحياة دون جدَّ أوعناه، وإكثرهم من الطائشين الذين يسهُلُ التضاهم معهم في سبيل تحقيق مصالحا، وهم الذين يكونون قزَّ داهة ً لجهاز حركتنا.

وإذا حدث اضطراب في الصالم فذلك دليل على ضرورة وجوده، لأنّ ذلك الاضطراب يهدم تماسكه المتين لمصلحتنا، فإذا وقعت مؤاسرةً ما فَلْنُ يحمل وُقوعُهما سوى دلالة واحدة، هي أن رأسها واحد، ورئيسها راحد هو من عملاتنا المخلصين.

وطبيعيّ أن نكون نحن لا غيرنا القابضين على زمام العمل الماسوني، لأننا نحن نُحْسِنُ القيادة، وندرك غاية العمل القصوى. . .

ويكثر الانتساب إلى الساسوئية من والجوبيم = غير اليهوده يدفعهم الفضول، أو الطعم في نفع يُعييُّونه، أو في تحقيق مأوب لا تتحقّق لهم بغير الانتساب إلى الماسونية، وبعضهم يرجم أن بجد الشهرة عندما ينشدَق بآرائه الحمقاء، بين يدي المحافل، عظهراً مهارته العظاية، ليظفر بعديع يدفدغ عواطف، ونحن لا نبخل به، ومستعدون لأن نغدقه بسخاء، وندع لهم الفرص التي يحقّقون بها بعض آمالهم وترضي غرورهم، فنسخُرهم لخدمة أغراضنا. . .

وأنتم لا تتصوّرون كيف يُسْهَل دفع أمهر الاسين والجويم، إلى حالة مضحكة من السذاجة والففلة، بإلمارة غروره وإعجابه بشخصه، وكيف يسْهُل من ناحية أخرى تشيط شجاعته وعزيمته بأهون خيية، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له، وبذلك ندفعه إلى خضرع ذليل».

. . .

(٢) وجاء في البروتوكول (الرابع) منها قولهم:

ومن ذا يستطيع أن يخلع قوة خفية غير منظورة عن عرشها؟. وماذا يُستطاع فعله

لقلب هذه القوة الخفيّة التي هي قوّتنا، ولنا في الماسونيـة الظاهـرة حجاب غليظ بــشـر أغراضـنا؟

إنّ المحفل الماسوني المتشر في كلّ أنحاه العالم فناع غليظ يستر أغراضنا، ولهذا فمنهاج قُوتنا ومكانها يظلّان في عالم الخفاء سرّاً مغلقاً يجهله العالمُ كلُّه.

وكنان من الممكن الأيكون للحرية ضمره، وكان من الممكن ال يكون لها في الدولة مقام كريم لا يضور لها في الدولة مقام كريم لا يضار برخاء الشعب، لو أنَّ الحرَيَّة قامت على الإيمان بـالله والاخوة الإنسانيَّة، مجرَّدة عن دعوى المساواة، التي يُثِبُّ قانون الطبيعة بطلائها، فالـطبيعة قائمة على وجود الفناضل في الخلق...

إنَّ النَّاسِ المحكومين بـالإيمان بـالله سيكـونـون معـداء تحت رضايـة وهـاتهم الدّينيين، خاضعين لمشيئة الله واضين بها.

وهذا يحتم علينا أن نهدم قواعد الإيمان في فلوب الناس. . ونُبحِلُ محلَّها قوانين رياضيّة، وضرورات ماذية.

(٣) وجاء في البروتوكول (الحادي عشر) منها قولهم:

وإنَّ الأمين «الجوبيم» كقطيع من الغنم، وإنَّنا الـذئاب، فهـل تعلمون ما تفعل
 الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى العظيرة؟

إنَّها لتغمض عيونها عن كلُّ شيءٍ.

ويوجد سبب آخر يدفع اللجوييم، إلى أن يغمضوا عيونهم، إذَّ تُرضيهم بإغمداق الوعود عليهم، بأننا سنعيد إليهم حرّياتهم متّى تمّ لنا قُهْرً أعدائهم، وتسرويض جميع الاحزاب.

لماذا ابتدعنا سياستنا ولقنَّاها الأميّين والجوييم، دون أن نُهَيِّهُمْ لإدراك أسرارها؟

أليس ذلك رغبة منّا في الوصول إلى غاية لا يُنَاح لشعبنا الوصول إليها بـالوســائل النظيقة، فاضطررنا إلى اتّخاذ أساليب المكر والمراوغة. هذا السبب هو الذي حملنا على إنشاء والماسونيّة التي يجهل أسرارها وغايتها أولَّنَكَ الخَازِير مِن والجوييم قولقوا بها، وانسبوا إلى محافلنا الماسونية التي جَلْبَتِهم عبادتها الظاهرة التي صَلَّلَتُهُمْ وسُولَت عنهم بَصَرَ إخوانهم في الدين، وبذلك تُحْدِثُ الفرقة فيما ينهم.

ومن نعمة الله أن تشنيت شعبه المعخدار الذي ظلّه العالم ضعفاً فيه، قد ثبت أنّه سرّ قوته التي أفضت به إلى السيادة العالمية، ولم يبق علينا إلاّ السّيس لمقيم بنيانسا على تلك الأسس، وبذلك نحقق هدفنا المنشود.

. . .

وقضية محاربة العاسوتية للذين تبعاً للمخطّطة اليهبودي لا تعتمل أي جدالمً أو مناقشة، لأنّها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم الدائمة، ثمّ اعتراضاتهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوئائق الصادرة عنهم، من تصريحات وخطب وكتابات.

(٤) جاء في أقوال المحقل الماسوني الأكبر سنة (١٩٢٢م):

وسوف نفزي حرَّيَة الضمير في الأفراد، بكلِّ ما أُونِمَنا من طاقـة، وسوف تُشلتها حربًا شعواء على العلوّ العشيقيّ للبشريّة البذي هو «المدّين» وهكذا سوف ننتصر علمي العقائد الباطلة وأنصارها».

ومرادُهم بإعلان حربهم على الدين كلُّ الأديان باستثناء اليهودية.

(٥) وجاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة (١٩٢٢م) قولهم:

وويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأويان، وعلينا أن لا نألو جهداً في القضاء على مظاهرهاء.

(٦) وفي محاضر محفل الشرق لعام (١٩٢٣م) قولهم:

وإنه يجب أن تبقى العاسوئية لملّة واحدة، وعليه يقتضي محـو جميـع الأديـان ومنتسبيها من الأساس.

والمقصود من الملَّة الواحدة اليهوديَّة.

(٧) نشرت جريمة الرياض في ٢٣ شنوال (١٤١٠هـ) و ١٨ ماينو (١٩٩٠م)

ما يلى:

ريس ــ إينا

وصَرَح رئيس المحفل العاسوني الفرنسي، وعضو الحـزب الاشتراكي: وروجيــه لوربه، في بيان صدر عنه مؤخّراً، أنه لا بدّ للماسوئية من حرب صريحة ضدّ الإسلام.

وأضاف في بيانه أنّه لا يمكن الصمت تجاه الحملة الموجّهة ضدُّ المحافل . الماسويّة في إفريقية من قِبُل المسلمين، لا سيما في السنفاله.

(٨) جاء في نشرة ماسونية صدرت في لندن سنة (١٩٣٥م):

وإنَّ أَمَنيتنا هُي تنظيم جماعة من السَاسُ يكونـون أحراراً جَسَيَّاً. نريـد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية.

(1)

تماذج من الأيمان التي يُفْسِمُ عليها العضو الماسوني

عند كلّ درجة يُمنَّمُها العضو من أعضاء الماسونيّة يكلّف العضو أن يقسم على حفظ الاسوار. وعدم خياتة المنظمة بشيء من الاشياء، فمن أقسامهم النماذج التالية:

وذج أوّل

ه أُقْبِمُ بعهندس الكون الأعظم أنّي لا أفشي أسرار المساسونية ولا علاماتها ولا أتوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها، وأن أصونها مكتومة في صدري إلى الأبد.

أَشِيمُ يمهندس الكون الاعظم إلا الخون عهد الجمعية واسدارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركات، ولا اكتب شيئاً عنها، ولا أنشره بالطبع أو بالحضر أو بالتصوير، وأرضَى ــ إنْ حَشِّتُ بِضَنِي ــ انْ تُحَرِّقَ شعناي بحديد محمي، وأن تُقطع يَمَاني، ويُخرُّ عُلِقِي، ويُمَلِّلُ جُشِّي فِي محفل ماسوني، ليراها طالبُ آخرُ فيتَنظ بها، ثمُ تُخرَقَ جُشِّي، ويُقَرَّ رمادُها في الهوام، لللا يبغى أثرٌ من جناني،

نموذج ثان

وأقبيم أن ألفَّد دُون رَدِّد حتَّى المعناطرة بنفسي، كُـلُّ مَا أُوسَرُ به للعشيرة، وأَنْ أطبع على الدوام رؤسائي الشرعيين في الماسوتية، أميناً على جميع أسرار الفرسان، ولا أبسارزهم، ولا العمومم للميسارزة، وأفستي بنفسي لتخليصهم، وأحمرج السجين منهم، مهما كَلْنَني ذلك من جَهْدٍ رتضعية، وأن أضحّي وأساعد بكلَّ فرْتِي، وأكرَس لهم حابي حتَّى الموت،

نموذج ثالث: وقُسَمُ الفارسِ الحكيمه:

وأننا ويذكر اسمه) أقبيمُ على هذا العسام، ومنز الشجاعة، بحضور جميع الفرسان المعجيطين بمي، أن لا أبوع بأسرار الدرجة الثامنة عشرة التي ستَمَنَّحُ لي الآن، وهي درجة الفوارس الحكماء، ولا بالاسرار التي تُسَارُوني بها.

وأنعهد أن أعمل فكرين لتنوير جميع إخبراني، وادافع عنهم، وأجدُ وأقسِمُ بألّا أشارق هذه المطريقة بـل اجتهد أن أكنون فناضـلاً، أقنوم بناداه النواجب السلازم لهها، والمحافظة على قوانينها،

نموذج رابع: ﴿ فَسُمُّ كُلِّي الحكمةِ ﴾:

دانا (يذكر اسمه) أجدًا بشرفي. ويصفني كُلُّيُّ الحكمة، واستاذاً ساسونياً، أن أبذل جهودي وقوتي في اداء واجباني بالأمانة، إلى المفام الذي اتشتيب لم يباسته، وأنَّ احافظ على قوانينه، وعلى التظام العام للمجلس السامي، وأُجْبِرَ الْفَيْرَ على احترامها، وأُجلِع فرارات المجلس السفني.

أَفْسِمُ أَنْسِى أَفَسِطُع الروابط والصلات، الّتي تُشَدَني لسلاقسارب والانسساء، والعصبيّات، والارحام، والقوتيّ، وقادة الذين والسنيا، وكدّل من حَلَّفتُ له بسلطاعة، لِارْتَبِطُ أَوْلًا واخسِراً وهود قيد أو شسرط، بإخسواتي المساسونيين، وأدافت عنهم، وأَنْقِدُ مسجونهم، ولا أفاتاهم، ولا أطلب مبارزتهم، حَنَّى ولو فاتلوني واثنوا مُنكراً،

(11)

صُّوَر من مكايد المحافل الماسونية ضدَّ شعوب العالم بتوجيه من اليهودية العالمية

استخدمت الحركة اليهودية العائمية المحافل الماسونيّة وكثيراً من أعضائها أفنعة تسترت بها نفاقاً لتحقيق ما يلي:

- (١) نشر مختلف المذاهب والأفكار والنظريات المدترة للذين والاخلاق والنظم الاجتماعية، والسيطرة على حكوسات شموب الأرض، وقبوى العال والإعمام والتعليم والسلاح والجورش وسائر القبوى حتى الفيادات الدينية عن طبريق وكالاتها وعملائها والمنافقين منها.
- (٢) إقدامة الشورة الإنكليزية، والثورة الفرنسية، والشورة الشيوعية البلشفية،
 واستثمار هذه الثورات لتحقيق المخطع اليهدي العالمي.
- (٣) إقامة الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والحروب الإقليمية في العالم، وهم يُبدُّدُون الإقامة الحرب العالمية الثالثة التي يُقدُّدُون أن تكون وسينتهم لحكم العالم أجمع حكماً مباشراً.
- (3) إثارة الغَتْن الطائفية والقوشية والمذهبية والحزبية، والحروب الاهلية بين الشعوب، وكثيراً ما يُتَسَتُّرُون وراء الدول النصرانية أو الإلحادية الكبرى في العالم، فهم بالنقاق يعملون بايدي غيرهم.
- (٥) خلع السلطان عبد الحميد، وإلضاء الخلافة الإسلامية، وإقدامة رجلهم المنافق الدكتاتور وكمال أتاتدورك، حاكماً مستبدأ في تركيا بعد تفسيم أرض الخلافة الإسلامية التركية.
- (٦) معظم أثمة المذاهب الفكرية المعادية للدين والأخلاق والنظم الاجتماعية أعضاء في المحافل الماسونية، أو في إحدى بناتها، وأكثر هؤلاء يهود يبطئون اليهودية ويتظاهرون بالإلحاد، أو بدين آخر غير اليهودية كالمسيحية أو الإسلام.

وقد كتبتُ تفصيلات كافيات لهذه الأمور في كتابي همكابد يهوديمة عبر التماريخ،

وكتابي «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، وكتابي: «الكيد الأحمر» فمن شاء المزيد فليرجم إليها.

...

(11)

أدعية ماسونية(١)

 (١) يقرأ جميع أعضاء المجلس السامي للشروق عند افتتاح جلساتهم الدعاء التالي :

ونؤمن بإلىه واحد، ربّ سوسى وهارون، منزّل التبراة، خبالق الشعب المفضّل المختار، خالق الشعوب الأخرى لخدمة المفضّل الجليل. وطننا فلسطين، اللّم الذي يجري في عروضا دم إسرائيل، عقيدتنا خلافة الله على الأوض، بارك جلستنا هذه يا ربّ إسرائيل يا ربّ موسى وهارون. آمين.

(٢) يدعو جميع أعضاء الماسون في الدرجة (٣٣) الدعاء التالي:

سنعود إلى عهد سليمان بن داور. ونيني الهيكل الأقدس، ونقراً فيه التلمود، ونقد كل ما جاء في الوصايا والعهود، وفي سبيل مجد إسرائيل نهندل كل مجهود. الرويل الفراصيين المستعمرين، سنجعلهم قبطعاً في أفراء الأسود. الانتشام الانتقام، طال المكوث في الظلام، أنهم علينا يا ربّ، أنوار القدس التي تجلّت على موآب،

(٣) بقرأ الأعضاء الماسون في طقوس الجنائز عن روح الماسوني الذي لم يلغًـ
 درجة وفارس حرَّ النسبه الدعاء التالي:

ويا ربّ موسى وهارون، هذا الديّت هو من أيناه وبافثه الخبيث، ولكنّه أخُ من التنائبين، عمل وضعّى في معارك بناء هيكلك، ووقف سبح مرّات بين عمسودي وب وج، وأخذ النور من وم، ميم مجدك الأعلى، نستودعه في رحمتك، يــا رحمانًـا يا رحماً يا غياثناء.

• • •

⁽١) نقلًا من كتاب والماسونية في العراء، للزعبي.

الفصلالثايث

نَوَّادِيْ الرّوسَّارِيْ إِحْـكَىٰ بِنَاتِ ٱلْمَاسُوْنِيَّة

(1)

مقدمة

تعتبر نوادي والمروتاري، بعشابة قناع بلبسه المنافقون من اليهود ووكالانهم،
لتحقيق أغراض اليهود العالمية، وهي إحمدى المنظمات العالمية الموجّهية سراً من
المساسونية، وهي في الحقيقة إحمدى بناتها العالملات على مستوى شعوب الأرض
جميعاً، وتلتقي المدافها ومقاصدها السرية عم الماسونية، ولا تختلف مبادئها ومفاهيمها
العامة عن مبادى الماسونية ومفاهيمها، لكنها تختلف من جهة الشكل والتنظيم، وهي
غير مفتوحة كالماسونية لكل طبقات الشعب، بل هي خاصة بنطبقة المثلفين وذري
الفكر، وأصحاب المهن الراقية، واجتماعاتها هي بعثابة أسواق معلومات، تُشرَضُ فيها
الفكر، وأصحاب المهن الراقية، واجتماعاتها هي بعثابة أسواق معلومات، تُشرَضُ فيها
الأفكار والأخبسار، فتشلقها الأعين والأذان المتجسسة، وتنفلها إلى بنسك
المعلومات الماسوني اليهوي العالمي، وأعضاء نوادي الروتاري يُستَخذَمُون من حيث
المعلومات الماسوني وغيرها.

واجتماعات نواتي والروتاريء تُرضي غُروز الأعضاء حينما يتحدّث كلَّ متهم في مجال اختصاصه، ويجدون فيها فرصةً للترويح عن النفس، وإشباع رغبات الاجتماع بذري الفكر والأدب والسيامة وأصحاب الاختصاصات الأخرى.

وتحرص العاسونية على أن يكون في كـل نـادٍ من نـوادي الــروتــاري أعضـــا، ماسونيون يوجهون تحرّكاتها، والبحوث التي تجري فيها، وأعمــالها ويستثمـرون ما لديها من تُرئ ورجال في مصالح وغابات العاسونية. وقـد انتظم في نـوادي الروتـاري كبارً من أسـاتـذة الجــامــاهـ وكبــارٌ من الأدباء والشـــراء والسياسيين وغيــرهـم من عليــة الســـثغيـن، وربــَــا كــان بعضـهم يجهــل الكبــد المــاســونيّ الفهوديّ القابع فيها، فانســاقوا ضـــن المــخططات المــاســونيّة وهـم لا يشــعـرون.

...

(Y)

تأسيسها وانتشارها

 (١) بدأ تأسيس أول نـادي روناري سنـة (١٩٠٥م) بعدينـة وشيكاغـو، على يد المحامي الأمريكي وبول هاريس، ثم تعدّدت هذه النّوادي.

وعرفت باسم وروتاري، لأن اجتماعات أعضائها كانت تُعقد في مكاتبهم بالتناوب، وكلما اجتمعوا في مكتب آجر عُضْوٍ من أعضاء النادي دار الاجتماع قَمُقِدَ في مكتب الأول وهكذا، فكلمة وروتاري، تعني العلقي الدوّار، أو الالتفاء الدوّار، ولمّا كان لمكتب كلّ عضو من أعضاء النادي نَوْيَةً من الاجتماعات يجتمعون فيه، أطلق عليها اسم نوادي الروتاري.

 (۲) وفي سنسة (۱۹۰۸م) انضم وشیرلي بسري، إلى وبسول هساريس، فجعله سكرتيراً لنادیه، فوسّع وشیرلي بري، نشاط النادي، حتى صار منظمة كبرى ذات نـواد متعدد. وظل سكرتيراً لها حتى استقال منها سنة (۱۹۶۲م).

وانتشرت هذه المنظمة في بريطانيا بجهود مستر دمورو، الذي كان يتقاضى عمولة عن كلّ عضوٍ جديد.

وفي سنة (١٩٣١م) صار لها فروع في فلسطين، ثم صار لهـا فروع في الجزائر ومراكش برعاية الاستعمار الفرنسي .

(٣) وامتدت نوادي البروتاري إلى ثمانين دولة، وصبار لها (٦٨٠٠) نباد تضم
 (٣٧٠٠٠) عضواً قبل أن يتوفى رئيسها المؤسس دبول هاريس، سنة (١٩٤٧م).

وجاء في النشرة البريطانيّة عن نوادي الروتاري لسنة (١٩٦٨م) أنَّ هذه النــوادي. قائمة في أكثر من (١٤٧) دولة بينها إسرائيل.

..

(۳)

من تعاليم نوادي الروتاري وقوانينها

- (١) يُسْتَبِمَدُ الحديث حول المسائل الدينية في نوادي الروتاري التي يشتـرك في عضـويتها منتمون إلى مختلف الأدبان العالمية.
- (٢) لنوادي الروتاري اجتماعات أسوعية، وعلى العضو أن لا نقلُ نسبة حضوره الاجتماعات عن ستين في المئة سنوياً.
- (٣) لا يُقْبَلُ العمالُ في عضـويّة نـادي الروتــاري، لأن هذه النــوادي مخصّعة للمثقفين، وذوي المكانة العالية في المجتمع.

والغرض من هذا الشيرط اجتذاب البذين يتبرقّعون عن الانتساب للمحافل العاسونية لأنها تجمع مختلف طبقات الشعب.

- (٤) تحرص نوادي الروتاري على أن يوجد في كنل نادٍ عُضْـو من كلّ مُهْنـة من الجهن (٧٧) العبينة لديهم في تصنيف خاص.
- (٥) العضوية تنم بـالانتقاء من أعضاء النادي السـابقين، وليست مقتوحة لكلّ طالب.
- (٦) يجب أن يكنون في مجلس إدارة كلَّ نبادٍ شيخصٌ أو شخصيان من دؤساء النادي السابقين، أو من ورثـة السَّرَ المروتباري السلّدي وضعـه المؤسس الأول وبحول هاريسء.
- (٧) أجرى وتشارز ماردن: اللي كان عضواً في أحد نوادي الروتاري لملة ثلاث سنوات دراسةً لهذه النوادي فاكتشف أنه يوجد (١٥٩٩) عضواً ماسونياً في كمل (٤٢١) عضو روتاري، أي: أكثر من الثلث.

وفي بعض نوادي الروتاري كان جميع الأعضاء من الماسونيين، كما حدث في وأدنيرة ــ بريطانياه سنة (١٩٣١م).

(٨) قيادة الماسنونية لإدارات نوادي الروتباري تطبيقُ لقرارٍ ماسنوني مبين في
 محافل دنانس بفرنساء سنة (١٨٨١م) وقد جاء في هذه القرار ما يلي :

اذا كُونُ الماسونيون جمعيُّ بالاشتراك مع غيرهم فعليهم اللَّ يَدْعُوا أمرها بيد غيرهم، ويجب أن يكون رجال الإدارة في مراكزها بأيَّد ماسونيَّة، وأن تسير بوسي_م من مبادئهاء



الفصرالثالث

ۏًادِيٰ الَّلِيُونِ زِرَالُاسُودِ، إِحْدَىٰ بِنَاتِ ٱلْمَاسُونِيَّة

(1)

مقامة

تُعتبر نوادي والليونز = الاسوده مثل نوادي والرونباري، بمشابة قناع يلبسه المنافقون من اليهبود ووكلاتهم، لتحقيق أغراض اليهبود العالمية، وهي إحساس المنظمات العالمية المموجّهة سواً من الماسويّة، يل هي في الحقيقة إحدى باتها العاملات على مستوى شعوب الأوض جميعاً، ضمن قطاع رجال الأعمال الكبار، وأصحاب الثروات والعلوك والرؤساء والوزراء والأمراء

وتلتني أهداف نوادي والليوزه ومقاصدها الشرّية مع الصاسونية، حن كثير من مفهوماتها الطاهرة المملنة، لكنّها نختلف في بعض الشكليّات، وهي منحصرة بـطبقة اكلة النصيب الأكبر من ثـروات العسالم، اللّذين لا هُمُّ لهم إلاّ الاستكشار من جمع الأموال، والاستمتاع بأكبر قَدْرٍ من متاع الحياة الدنيا ورفاهيتها وللنّاتها وزينتها، لمذلك يلاحظ في اجتماعات أعضاء واللّيوزة البشخ والرف وعرض ما يملكون من زينات ثمينة.

وتتستر نوادي واللّيونز؛ بدعم المشروعات الخيرية، ونشر معماني الخير والنصاون بين الشعوب.

وأعضاء هذه الرادي يتعاونون فيما بينهم لاستغلال ثروات الأرض، واحتكارها لأنفسهم، ويعتبرون أنفسهم بالنسبة إلى سائر البشر كالاسود بالنسبة إلى حيوانات الغابات، استشعاراً بأنهم أمل القوة والباسم والسلطان والاستثنار بعنبرات الأرض دون سائر الناس، ولذلك أطلقوا على منظمتهم اسم والاسود » الكييزو.

(1)

مبادئهم وتعاليمهم

- (١) شعارهم الذي يردونه هو مثلث الماسونية وكلّ بناتها: والإخاء الحرية المساواة.
- (٢) من مبادئهم تنمية روح الصداقة بين الأفراد بعبداً عن السروابط الاعتقاديّة والدينيّة والمذهبيّة.
- (٣) يتستروذ بالدعوة إلى الخير، والتعاون بين الشموب، وإقامة المشروعات الخيرية الإنسانية، ومساعدة المكفوفين وذوي الحاجات، وتخفيف المتاعب اليومية عن العواطنين من أي مذهب أو ملّة، وتقديم الخدمات للبيئة المحايّة.
 - (٤) الاهتمام بنشر المعرفة بكل الوسائل غطاء لمقاصدهم الأساسية.
- (٥) الاهتمام بإقامة المسابقات الترفيهية، لجدف الجماهير، وصوف أنظارهم
 عن القضايا التي تُهم عقلاء الشعوب، وترفع مستوى الإنسانية، وتكشف أبصارها لرؤية الحقيقة.
- (٥) دهم مشروعات الأمم المتحدة لأنها النظريق الموصل إلى سيطرة اليهود
 على العالم، وإقامة الدولة اليهودية العالمية التي يحلم اليهود بها، ويخطّطون ويعملون
 للوصول إليها بكل وسيلة.

• • •

(٣)

اكتساب العضوية

(١) شروط العضوية في نوادي واللّيونزو تشبه شروط العضوية في والماسونية، ونوادي والروتاري، إلا أنَّ نوادي واللّيونزو تصطفي أعضاءها من كبار رجال الأعمال والمملوك والوزراء والأمراء والنّواب وفري المراكز الرفيعة في مجتمعاتهم، إذا كمانوا من اللّين لا يبالون بالدّين وتعاليمه والالتزام بشرائعه، ليكونوا قملوة المجتمع في التحلّل من المدين ونشر الفساد، وليكونـوا أطوع لتحقيق المخططات البهوديـة الشَّريـة، فمن اليسير على شياطين الإنس السيطرة على هؤلاء عن طريق شهواتهم.

- (٣) يُدْتَحَار العضو لنادي واللَّيوزيه من قبل مجلس إدارة النادي، ولا تُقبل طلبات الأفراد الراغبين في الانتساب، بل على العرقح أن يتسقر دعوت من قبل مجلس إدارة النادي وهم لا يختارون فوي العقائد الراسخة والمبادئ، اللينية والأعلاقية القويمة، ولا أصحاب الغيرة ـ الوطنية أو القومية ـ الشديدة، وحين يختار مجلس إدارة النادي شخصاً للعضوية يزورون ويرخبونه ولا يكلفونه مالاً، بل قد يقدمون له هدايا.
- (٣) تهيم نوادي والليوسرة باجداب السيدات من زرجات كبار المسؤولين في الدولة، وتُسنيَّة إليهنَّ مهيمة الاتصال بالشخصيات الكبيرة، ولهنَّ نوادِ خاصَةً بهنَّ تسمَّى نوادي سيّدات اللّيونز، مع الشراكهنَّ في اجتماعات أزواجهن أعضاء الثادي.
- (٤) لمنح العضوية أن الترفيع في الدرجات تكريس يشبه الكريس اللذي يكون في المحافل الماسونية، ولكن بصورة أخف، وعلى العضو أن يقسم بالعهد القديم على الإخلاص والكتمان، وتُقدُم له نسخة من العهد القديم ضمن صندوق خاص، ولا يتم منح العضوية أو الترفيع إلا بموافقة الرؤساء الكبار للنوادي، وهم رؤساء المركز الرئيسي العالمي.
- (٥) تبدأ الدرجات عندهم من الدرجة الثالثة عشيرة، وهي في الحقيقة الأولى،
 فهم يعتبرون الساعات التي قبل الساعة الثنالثة عشيرة ساحات ليمل وظلام، أي إنَّ الشخص يظل في ظلام حتى يصير أسداً وعضواً من أعضاء منظمة والأسوده.

وفوق الدرجة والثالثة عشرة؛ التي هي الأول في الحقيفة درجنان عزيزتـان لا يصل إليهما إلاّ تلّة تليلة، من ورنّة السرّ اليهودي، أمثال وهـيلامـيلاَمـي، الـذي كان فريةً ملك العيشة، وهر يهودي من نسل داود كما يذكرون.

(٦) يَعْتَبِرُ قادةُ منظمة نوادي واللّبونز = الأسود؛ أنفسهم حماةً لهيكل سليمان.

قباذا قال الحمد الأعضاء في الاجتماع: يُنَّاء، أو يُشَاؤون، قال الرئيس: لقد تمّ البناء، ونحن الاسود للمحافظة عليه، وهو يعريد تمّ بنناء هيكل سليمان على أنفاض المسجد الأقضى، أي: اقترب تحقق بناله. (\$)

الهيكل التنظيمي لنوادي الليونز

يتكون كلُّ نادٍ من:

- (۱) رئيس.
- (٣) نائب رئيس أو أكثر.
- (٣) سكرتير وأمين صندوق.
- (٤) مجلس إدارة مؤلف من (١٦) عضسواً، ويشتسرط أن يكسون بينهم شخص أو اثنان من رؤساء النادي السابقين (والفرض من هذا الشسرط إحكمام القبضة على النادي حتى لا يخرج عمّا هو مخطط له من قبل اليهوديّة العالمية والقيادة الماسونية الأمّ.
- (٥) تؤلف لجان متنوعة من قبل مجلس إدارة النادي تكون مسؤولة عن تحريبك الأنشطة المختلفة المحقّفة لأهداف النادي السّرية والعلنية.

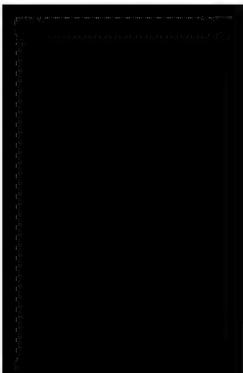
(0)

صور من أعيال وأنشطة نوادي واللّيونز = الْأُسُود،

- (١) يردد أعضاء هذه النوادي شعار هإخاء ـ حَرَبَة ـ مساواة، وعبارة: والدّين فه والوطن للجميع.
 - (٢) يجري بين أعضاء هذه النوادي الحوار التالي:
 - س: إخواني متى يعم السلام العالم؟
 - ج: إذا حكمه الأسود.
 - س: لماذا كان رمز انكلترا أَسَدْيْن؟
 - ج: لأنَّ هذه أسرار قديمة أخذت الأن بالظهور.
 - إلى أي عام تعود هذه اأأسرار؟

- ج: تعود لعام (٢٧م). [أي: للعام الذي أسست فيه منظمة (القوة الخفية)].
 ثم للعمام (١٧٧٧). [أي: للعام الذي أخدت فيه القوة الخفية اسم
- ثم للعام (١٧١٧:م). [أي: للعام الذي أخلت فيه القوة الخفيَّة اسم الماسونية].
- (٣) يركز أعضاء نوادي الأسود في دعوانهم ومحاضراتهم على إبراز مكانة معينة لإسرائيل. ويقومون بزرع أفكار صهيونية في ادمغة الأعضاء.
- (4) تُجمع في نوادي اللّميونز المعلومات المتعلقة بالشؤون السياسية والدينية والدينية والدينية والدينية والدينية والدينية المستطيعة وغيرها، وترسل إلن المسرك المستطيعة، وهناك تُعطَّل مذه المعلومات، وتوضع الخطط اللازمة والمناسبة بشأتها، فيحيطون المشروعات التي يمكن أن يستفيدوا ممثل.
- (٥) بتم خلال اجتماعات هذه النوادي التعرف على المهن المختلفة، للتحكم في السوق المحلية، والتمكن من التدخل في الشؤون الافتصادية تدخلاً مفيداً لفادة المنظمة ومعركيها وموجهي دفتها.

...



الفكش لالرابع

الشُّيُوعِيَّةُ إِحَدَىٰمُنَظَّمَٰاتِٱلنِفَاقِ فِي ٱلْعَالَمُ

لا أريد أن أتحدَّث هنا يتفصيل عن الشرور التطبيقية للشيوعية، والاشتراكيات التي هي نمهيد لها، ولا عن مذهبها الاقتصادي وفساده وزيوفه، ولا عن مذهبها الإلحادي الشيطاني المجرم الباطل الذي لا يملك أدنى سند فكري، فقد كنتُ كثتُ عن ذلك ما يكفي، في كتاب والكيد الأحصرة المخاصّ بالشيوعية، وكتابي وكواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة».

ولكني اتعدّث هنا عن الشيوعية باعتبارها منظّمة من منظّمت النفاق الصالعية، إذْ لبست قناع العمل بغيّرة وإخلاص وحسـ في وتفان لإنفساذ العمّمال والكسادحين والفلاحين، من برائن المستغلّين الإقمطاعيين والسراسماليين، الله ين ليس في قلويهم رحمة ولا شفقة نحو البائسين من طبقات الشعب.

وصدّفت جماهير العمّال والكادحين أقوال قادة هذه المنظمة الصالمية المنافقة، وصدّفت شعاراتها وأنكارها، واندفعت وراههم تضمّي بالنَّفيها ويبالعلايين من سائر طبقات الشعب، تذبيحاً وتقييلاً ومحقياً في ثيورات داميات مبيدات، وعضوبات صارمات، لتوصلهم إلى السيطرة على دُول صارت ذات تُوي عظمى، تُرَهبُ الشيطر الأخر من العالم، مؤتلفه ومختلف، وتحدّى قواته مجتمعة ومنفرقة.

ثم أثبت ألواقع التجريسي ما كان قد ذكره من قَبِّلُ عُقَلاة الشعوب، والمهدئيون يهدي دين الله لذاس، واحل البصيرة يمكر أخبات الناس ومكايدهم، فصحفت هذه المنظمة الإنطاع والراسمائية في البلدات التي مبيطرت على مقاليد الأمور فيها، واستعبدت العمال والكادمين والفلاحين جميصاً، وزادت البائسين بؤساً، والكادمين كدحاً وتعباً وشقاءً، والعمّال إذلالاً وإهائته وتسخيراً، وبلغت في ظلمها للناس ما لم يبلغه مستقبهاً مُستَنبَلُ من قبلُ ، من ملوكٍ طناةٍ حبّادين، وإفطاعيّن يُسخّدون العمّل عبيداً، ورأسماليين يستغلّون كثّر العاملين ليحصلوا على الثراء الفاحش لهم ولذوبهم.

وتربّعت الأحزاب الشيوعية في المدول التي ظفرت بالاستيلاء على عروشها،
تستغل وتستغير شمويها بهصورة لم يسبق لها نظير في تباريخ الاستغلال والاستعباد
البشري، وحقّفت اهدائها التي كانت تُضمرها منذ البداية، وتُظهر خلافها نضاقاً
ومُخادعة، وبلغتِ القيادات الشيوعية من الاستثار لانضها بكل وسائل النّوف ما كانت
تحلّم به، وكان كل ذلك ضمن مخطّط يهودي مرسوم، ومعلوم التيجة المدخرة منذ
البدائي، إذ كان الهدف من إقامة هذه المنظّمة والاستيلاء على شعط من العالم بدول،
دكتاورية حديديّه، تُسمّي نفسها كذباً ونفاقاً وبالمنف دُولاً دبمقراطة، هو التمهيد
لامتلاك فرى في العالم، تُمكن أصحاب العؤامرة اليهود من حكم العالم كلّه شرقه
وفربه، بدولة واحدة يتحكم فيها عنصر بني إسرائيل، بطاقات كلّ شعوب الارض
ومصائرها، ويُسخّر كلّ شعوب الارض تسخير الراعي قطعانه من الانعام.

وكنان هؤلاء يغرّرون مُنذ البداية في مقرّراتهم السّريّة أنهم لا يريدون وضاهية العمال والكنادحين والفلاحين والبنانسين، ولكن بسريدون استضالالهم للشورة على خصومهم، ثم استعبادهم وإذلالهم.

جاء في البروتوكول الثالث من «بروتوكولات قادة الحركة الصهيونية» ما يلي :

واننا نقصد أن نـظهر كـما لو كُنّـا المحرّرين للعمّـال، جتنا لنحرّرهم من الظلم حينما نصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويّين والشيرعيّين.

ونحن على الـدوام نتبنُّ الشيوعية، ونحنضُها منظاهرين بـانَّنا نـــاعد العـــاال بدافع الاخوة والمصلحة العامة للإنسانيّة، وهذا ما تبشَّر به الماسونية الاجتماعيّة.

إنَّ الأرستقراطيَّة التي تقاسم الطبقات العاملة عملها، قد أفادها أنَّ هذه الطبقات العاملة طيَّة الغذاء، جيَّدة الضحة، قريَّة الإجسام، غير أنَّ قائدتنا نحن إنَّما تكون في ذبول الاميّن وضعفهم. وإنَّ فوتنا تكمَّن في أن يبقى العامل في فقر وسرض داتمين، لاننا بذلك نستيقيه عبداً لإرادتا، ولن يجد فيمن يحيطون به قوَّةً ولا عرَّماً للوقرف ضدّنا. وإنّ الجوع سيخوّل رأس الصال حقوقـاً على العاصل أكثر ممّـا تستطيع سلطة الحاكم الشرعيّة أن تخوّل الإرستتراطيّة من الحقوق.

وَنَحْنُ نَحَكُمُ الطوائف باستغلال مشاعـر العسد والبغضـاء التي يؤجَّجُها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسيلتنا التي تُكَتّبحُ بها بعيداً كلُّ من يُصُدُّوننا عن سبيلنا.

وحينما يأتي أوان تتوبج مَلِكنا العالمي سنستمسك بهذه الـوسائـل نفسها، أي: نستغل الفوغاء كيما نُحطَم كلّ شيءٍ قد بثبتُ أنّه عقبةً في طريقناه.

ومر نيّف وستون سنة، والدولة الشيوعيّة في الاتحاد السوفييّني تحكم جمهوريّاتها حكماً دكتاتوريّاً حمديديّاً صارماً، بالعنف والفهر والعزل عن العالم الآخر، ثمّ أخمـــّـ النظام الاقتصاديُّ الماركسيُّ ينهار من داخله.

وبدأت المشكلات الاتصادية المنذرة بالجوع القائل لاكوام السلايين من البشر المحكومين بالنظام الماركسي تحرّك فيهم السورات المضاءة القابعة في الخضاء، والمحكومين بالنظام الذيوعي وقادته نسفاً كُلِيًّا، وأحسَّ قادة النظام الأذكهاء بنُلر المخطرة نسفا الإنصاد الحرّ، خشية المخطرة فلسرعوا ينادن بالإصلاح والتغيير، والرجعة إلى نظام الانتصاد الحرّ، خشية أن نظرة الثورة المضافة نتسحقهم، كما فعل قادة الدورة الشيوعية من قبل إلا صحفوا خصومهم، وأقاموا نظامهم المائي الإلحادي، ونظامهم الاقتصادي الاشتسراكيّ المُسْرف.

ونادى العالم بأن الشيرعية تنهاوى أبنيتها، وإبنهج أعداؤها بـالْهيارهـا، وبتراجـع الاشتراكيّات في مختلف دول العالم.

وهمنا أعمد مخطفو الأمس البهود يتحركون شيطر الدول التي تتحوّل بالتحريج للأخد بالنظام المحرّ، بغية استضلالها، وابتبلاع خيراتها وكنوزهما الدفينة، عن طريق النظام الرأسمالي الذي يسيطرون عليه أيضاً ميطرة تاقه، بوسائلهم الماكرة.

ومهأت شركاتهم ومؤمساتهم تحضّر أنفسها للزحف الاستفىالي، وهي تلبس شحارات إنفاذ شعوب الدول الاشتراكية من ويلات النظام الاشتراكي الشيوعي العاركسي. لقند حضر المستخبلُ المستَعبدُ نَلْسُ بَتَاع جديد، إنّه ذو حقيقة بـاطنةِ خفيّة واحدة، ولكنُّ له وجوهاً ظاهرة ستدُن كيرة، وكلُّ وجه منها ينافق بـه شجاً من شحوب الأرض، ويخدع به هذا الشعب، وهو بي المؤت نسه يخدع شعباً آخر بوجّه آخر، وهكذا تتعدّد وجوهه، واساليب مكرووظه، ونقاقه.

إنّد يضمر الكفر بكل ما يُغلَه في هذه الرجوه، ويهدف إلى تحقيق مصالحه المخاصة، من سعيه بكل الوجوه المتخافقة والمتضافة، التي يظهر بها، يعُمدُ أنْ قُسُمَ ظواهره إلى أقسام قد انفصل بعضهاعن بعض، لكنّ همله الظواهر تعمل بقوة باطنةٍ مكتومة واحدة، أمّا هُوَيَّةٌ قيادته فواحدة،

وقد كنت من الذين يُقدُّرون منول النيوميّ وكلَّ المذاهب المنافيّة للفطرة التي فطر الله الناس عليها، منذ بنات اكبوازكر في هذه المذاهب، وأقارتُها بمنا جاء في الإسلام دين الله الحرَّ، من نِف ومشرين سنة. وأذكر أنني دونت هــذا في بعض ما كتبت، ولاسيماكتب الغزو الفكري. المتزجة في وسلسلة أعداء الإسلام.

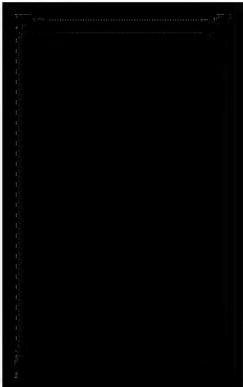
ولمّا بدأت قلاع المذهب المؤكس تستطفي الاتّحاد السوڤييتي أعتى دوله في الأرض، لم أُصَبُّ باللّمَهشّة ولا بالاستراب لأنّه كان أمراً متموقعاً في نفسي، ولا سيما بعد أن ظهرت أماراته عقب دخول لاتُحاد شوڤيتي الْحَذِر في أفغانستان، ثم جموده، ثم تراجعه.

وعند بدايات سقوطه كنت مع أمرتي في إخازة صيفية بالدار البيضاء، كبرى بلاد المعفرب العربسي، مستضافين في در اسرة كربمة جمعتنا بهم الأخوّة الإيمانية في مكة والمعفرب، فكتبت بمناسبة سقوط الشوعية القملية التالية، يعنوان:

لَّزُيُّفُ الْمُخْتَال

سَفَظَ الْمُحَدُّمَالُ مَنْ صَهَوْدِهِ فَإِنَّا الْمُفَارِسُ مِنْ خَصْرٍ وَطِينَ وَإِذَا جَبُدارُهُ أَكَارِنَهُ مِبْعُ أَرْزَاقٍ عَلَىٰ صَحَّلٍ عَرِينُ مَا الَّذِي تَصْنَعُهُ النَّهُ إِنْ يَكُنْ فَالِيدُهَا مَثْنَ الْمُجِينُ لَيْفَتْ بِالرَّرِيْقِ و والْفُروَكَاهِ إِنَّا فُمِينَتْ كَنْرُتْ كَمَسَمُورٍ مَهِينُ قُمُّ لَمَّا اكْتَشَفَفْتْ وَاقِمَهَا ﴿ خَبِثَتْ تَلْهَدُ كَالْجَرُو الْحَزِينَ

عُـدُرُ أَكُونِتِهِ بِفُع سِنِينَ جِينَمَا يَقْسَى فِي حِضْنِ حَصِينَ وَوْشِيرُ فِي مِنْكَانِ فِي رَئِينَ لِيَسْقُلُ الْحِضْنُ فِي الْحِرْقِ الْمَجَدَّ مَنْهِذَ الْحِضْنُ فِي الْحِرْقِ الْمُجَدِّ مَنْهُذَ الْحِضْنَ حُـوْ الْمُبِدَّ الْجُعِيْنَ تَحْمَّلُ الْحِضْنَ حَييناً لِلْقُرُونُ لَـمْ نِحِدًا فَيْسِرُ ذَيالِ وَقَلَامِونَ لَـمْ نِحِدًا فَيْسِرُ ذَيالِ وَقَلَامِينَ كُلُّ مَا لَيْنَ صَلَىٰ بِطَرْتِهِ أَمُمُ تَسْخَدُ لَهُ أَسْطُورَةً ذَالِهُ فِيهِ رُضَاءً وضِدى وصويُحُمِي جُنْدَةً صَاجَاتِهَا وصويُحُمِي جُنْدَةً صَاجَاتِهَا أَنْهُ الْأَسْدَادُ ضَحَتْ وَجَدُوا لَمُ تَعْدُو بَيْنَهُمْ قَالِمَةً لِمُ أَضَى السَّالِحُ كَنْ يَضَفُرُهُ إِنْ أَضَى السَّالِحُ كَنْ يَضَفُرُهُ



مُنَظَمَة شُهُودُ يَهْوَهُ (أي شَهُودُ الله)(١)

مقدمة

ركب البهود عربات الماسونية والروتري واللّيونز والشيوعة والرأسمالية , وسائر المنظّمات والمذاهب العالمية ذات الاهداف المرحليّة ، التي جرّتها لهم بضال أشدًاه. مغفّلون عُشيّان، أو أصحابُ أهواء وشهوات ومصالح شخصية ، أو مجرمون طفاة.

وكانت هذه العربات تقتل صانعيها اليهود مرحلةً فمرحلةً لتحقيق هـدفهم الإكبر، وهو حكم العالم، والسيطرةً على كلّ شيء في، وتسخيرُ شعوب الأرض غير اليهمودية لمجدهم، ورفاهيتهم، والاستمتاع الدائم بالعلك والسلطان فى الأرض كلها.

ويعــد أن أتَمُّـوا صناعة هــذه العربـة تـوجّهـوا يُجَمَّعون مَغَلِينَ وأهــل أهــواه يسخّرونهم في جرّها، من مختلف شعوب الأرض ولاسيما الذين قالوا: إنّا نصارى.

واليهود يقدّرون أن هذه البغال البشرية سيجرّون لهم عربتهم الجديدة ومنظمة شهود يهوه لاجتياز المراحل القرية من هدفهم الاخير، وهو حكم العالم حكماً يهبودياً مباشراً، على اعتبار أنهم سادة العالم، أمّا سائر شعوب الأرض فهم قطعان من الدّواتِ مسخّرون بالإرادة الإلّيهية لرفاهية السادة اليهود من بني إسرائيل، شعب الله المعتار.

 ⁽١) انظر التحقيق الذي جاء في مجلة الدعوة بعدها (١٣٠٧) تاريخ ١٤٢٧/٣/٤ هـ حول مشظمة وشهود يهووه ققد أفلت منه بالإضافة إلى أشياء كثيرة قرانها عن هذه المنظمة.

ولمًا أنستُ معظم دول الأرض المتقدمة في القوة والمدال والصيناعة، في هذا العصر دولاً تتمي إلى النصرائية، وهي تُؤيرُ بالمسيح عبسى عليسه السلام إلها، وتؤمنُ بالتلك، فقد رأى اليهود أن يركبوا مركب الفاق، بجعل هذه العقائد النصرائية إخدَى أركان عربتهم الجديدة، ليجرُها لهم السفين يتقوفهم من الشعرب التي تُؤمن بالمسيح عيسى إليها، وتؤمن بالثلث، وتطلع إلى حكم العالم، من خلال دولة عالميّ مُرحَدة يُسوفها السلامُ العالميّ، في بريق التزيين الخلاع الذي يصطنع الهمود صوره وأشكاله وألوانه

اسم المنظمة:

اختار اليهود لهذه المنظمة اسم وشهود يُهرّوه أي: شهود الله، فلفظ ويُهرّوه عند اليهود يساوي لفظ دالله، وهو الاسم المقدّس عندهم للباري، الخالق، الذي جعل بني إسرائل أبناءه وأحبّاء، وشعبه المختار كما يزعمون.

التمريف بها:

منظمة وشهود بهوره منطقة سريّة عالميّة، نصرانيّة في ظاهرها، يهوديّة في باطنها، فللنصارى منها اسم المسيح عيسى، وعفيدة التثليث، وجنود التنفيذ العميان، ولليهود منها الأهداف الصهيونيّة، والقيادة المحركة والموجّهة والمستثمرة، فشأنّها في الباطن كشان الماسونيّ والروتري واللّيونز.

وتكمن خطورة هذه المنظمة في سرّينها تنظيماً وأهدافاً وأعمالًا في الظلام.

وهذه المنظمة ذات مبادىء، فمن مبادثها:

الإيمان بـ ديهوه؛ إنَّماً، وبعيسى رئيساً لمملكة الله، ويهذا يوهم اليهود النصارى انَّ منظمة وشهود يهوء؛ فرقة تصرائية.

أمًا مدفّها فيتلخّصُ بإقامة سكومة عالميّة دينيّة دنيوية تسيطر على العالم أجمع، ولذلك أقامت تحالفاً صليبيًا صهيرتيّاً، لتحقيق هذا الهدف، والسطامعون اليهود يعملون منافقين نحت مظلة الصليب لحكم العالم كلّة بإدارة واحدة.

وأمَّا هيكُلُها فيتلخُّصُ بِما يلى:

- (١) لهذه المنظمة تنظيم حركيٌّ حديديٌّ بعتمد على القوة.
 - (٢) لديها إمكانيات مادَّبَّة عظيمة.
- (٣) تدعمها سائر المنظمات البهودية. والسائرون في أفمالاكها من دول العمالم.
 والسّياسيّون العاملون الشيطون فيها.
 - (٤) لها فروع منتشرة في أكثر من (١٥٠) دولة في العالم.
 - أعضاؤها المنتمون إليها بلُقُوا حتى الأن قرابة مليون عضو.

نشأته

- ظهرت في العالم الغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، باسم
 اجمعية العالم الجديدي.
- وفي عام (١٩٣١م) غيرت اسمها، فصار اسمها الجديد وشهود بَهْوَه وعندلله المصحت عن هدفها الرئيسي، وهو إقامة حكومة ديئية دنيوئية تسجطر على الصالم كلّه، مع إضحار أن تكون هذه المحكومة بايدي اليهدود الذين هم قامة منظمة وشهود يهوه وبلك تكون الأرض وشعريها جميعاً في قبضتهم، كما يتصوّون ويقدّرون، ووفق تدابيهم الني يتُجفرةها.
- اوتبط اسم هذه المنظمة في البداية باسم الراهب التصراني وتشارانز راسل؛
 وذلك من سنة (١٨٦٧م) حتى سنة (١٩١٦م) فكانت تنسب إليه، لأنه كنان وليسها،
 وكانوا بعرفون أيضاً باسم «الدارسون الجُدُدُ للإنجيل».
- وخلفه في رئاسة المنظمة وفرانكاين وفرفورده فلوره هذا من أسلوب العمل فيها، وحدد إطارها النظري وإهدافها، ولا سيّمافي كتابه ومفرط بابل، الله يُمدَّد من الوثائق الكبرى لهذه المنظمة، وهمو يرصز بلفظ دبابل، إلى كل الانظمة المموجودة في العالم.
- وخلفه في رئاستها ونارثان هرمركنوره وفي عهد هذا الرئيس ازدادت تنظيماً
 وقوةً إذْ حُرِص على إقامة تنظيم حديدي بِحَبلُ اهداف المنظمة.

وسائل إعلامها:

لهذه المنظمة كتُبُ ونشراتُ خاصَّة بها، مثل:

- (١) مجلة باسم «برج المراقبة الصهيوني» الذي عُــذَل فيما بعد إلى اسم «برج المراقبة» الإخفاء الهويّة الصهيونيّة.
- (٢) مجلة والخبر الجيد عن الموطئ والمقصود بالوطن الحكومة العالمية التي نسعى المنظمة للوصول إليها.
 - (٣) كتاب والأساس في الإيمان بعالم جديده.
 - (٤) كتاب والعيش بأمل نظام عادل جديده.
 - (٥) ولهم نشرة تصدر تحت عنوان واستيقظء.
 - ومعظم كتبهم وصحفهم ونشراتهم توزَّع مجَّاناً.

مراكز قوتها في العالم:

لهذه المنظمة حالياً مراكز قوة في : «النمسا _ ألمانيها _ الدانمبرك _ فرنسها _ بريطانيا _ القارّة الأمريكيّة).

ومركزها الرئيسيّ هو حاليّاً في وحيّ بروكلين، بنيويورك.

ولها فروع في العديد من الدول الإسلامية.

تحركاتُها للاصطياد:

تحاول هذه المنظمة التباشر على ذوي النظروف الصعبة من مهاجري العالم الشالث، إلى البلدان التي تتركز فيها قرقها، وذلك باستصالتهم عن طريق تسهيل أمورهم، ومساعدتهم، وتجنيدهم أنصاراً لهم ولعبادتهم في بلدانهم.

تعمل هذه المنظمة بالتنسيق مع المؤسسات التنصيريّة، والكنسيَّة بوجه عام،
 مستخلة شماراتها المظاهرة، المَسْشَرة بالمسيح عيسى عليه السلام، وعودتم، واعتبار إنجيل النصارى كتاباً مُقدَّساً لديها، وهي تفسّر نصوصاً من أناجيلهم بما يتفق وأهداف المنظمة.

 نشط أعضاء هذه المنظمة في الدخول إلى البلاد العربية والإسلامية بعد عـام (١٩٧٩) ولا سبّما التي تعرّضت للفقر، أو الجوائح والكوارث والأزمات.

وتتسلل إلى كثيرين من خملال المؤسسات التنصيريّــة الصوجـــودة في العالم الإسلامي، باعتبارها فرقة نصرانيّة بحسب الظاهر، ذات فهم خاصٌ للنصرانيّة، وقادتُها في الحقيقة يهود صِهْيُوزَيْرن.

عقائد هذه المنظمة وتعاليمها:

 (١) يدعون إلى عقيمة الثليث كما يلي: ويَهْوه أي الله و «الابن» وهو عيسى عليه السلام، و «الروح القدس».

(٢) لا يؤمن أعضاء وشهود يَهْـوَه، بالأخـرة والحياة بعـد المــوت، ولا يؤمنــون
 بالروح وخلودها، بل يعتقدون أنَّ الجنّة ستكون في الدنيا في مملكة وشهود يَهْوه.

ومن المعلوم أن إنكار الآخرة والحياة بعد المموت هو من عضائد الصدّوقيين، إحدى فرق اليهود المنفرضة.

- (٣) يعادون جميع الاديان إلا اليهودية، ويعادون الانظمة الوضعية، ويدعون إلى
 التمرّد عليها.
 - (٤) يعترفون بالكتب التي تعترف باليهوديّة، وعددها (٩١) كتابًا.
 - (٥) لهم معابد خاصّة بهم، يسمُّونها والقاعة، أو وبيت الربُّه.
 - (٦) من تعاليمهم أنَّ الأخوة الإنسانيَّة مفتصرة عليهم دون غيرهم من البشر.
- (٧) يؤكدون أنَّ حرباً عالميَّة تحريريَّة ستقوم، وسيقودها عبنى، وأقهم سيكونون جنوده المخلصين، فيزيحون الحكَّامُ في جميع الأرض، ويُمُّلنون حكومتهم العالمية.
- (٨) ينتقون من الأناجيل النصوص التي تثني على البهود، وتمجّد بني إسرائيل،
 وينشرونها بين أعضاء المنظمة، حتى تكون جزءاً من مفهوماتهم الثابتة.

كيفيَّة التكاثر في هذه المنظمة:

بعد التعريف بأهداف المنطمة عن طريق النشرات والكتب يختار الأعضاء

السابقون الاشخاص الذين بدونهم مؤهدين للانضمام إلى المنظمة، ثم يخضع هؤلاء الموشحون لمراحل معقدة من الاعتبارات، والشروط القاسية، نظير ما يحدث في الماسونية، حين يُضَمَّ عضو جديد لمحفل من محافلها.

شعاراتها وعلاماتها:

تنفسم شعاراتها وعلاماتها إلى قسمين:

القسم الأول: علامات أساسيَّة ومركزيَّة، وهي:

(١) والشمعدان السباعي، الذي هو رمز اليهود الديني والوطني.

 (٢) النجمة السداسية، وهي شعار إسرائيل واليهودية العالمية، وهي نجمة داود عليه السلام.

القسم الثاتي: ولهم أيضاً علامات فرعية، تُميَّزُ أعضاء المنظمة من غيـرهم. ووبما تكون وسيلة للتعارف فبعا بينهم، كرموز التعارف بين أعضاء العاسونيّة.

وقوع هذه المنظمة تحت سيطرة قيادة يهودية صرف:

أعضاء هذه المنظمة واقسون تحت سيطرة قيادات يهوديّه صرف، وهم يتبَسّرن العقيدة اليهوديّة الصهيونيّة، ويعملون وفق تدبيرات وخطط يهودية صهيونيّة.

لمذلك فهمذه العنظمة ذات علاقمات وثيقة بهاسرائيل، وبالعنظمات اليهودية العالميّة، كالعاسوئيّة، والروتاري، واللّيونر، وفها علاقات وثيقة بالعنظمات الاشتراكيّة الدوليّة، لأنّ اليهود هم صانعوها وموجهوها وقادتها في العالم.

وتحاول المنظمة توطيد علاتماتها مع الفاتيكمان، ومؤسسات التنصير العالمية، وفدي النصوذ من اليونىانيين، والأومن، وغيرهم، بغيسة استخلالهم لتحقيق أهسداف المنظمة.

مجالات أنشطتها:

- (١) وسائل إعلامها التي سبق بيانها.
- (٢) التعليم، وذلك بتأسيس المدارس الخاصة.
 - (٣) الأنشطة الزراعيّة.

- (٤) مكاتب التأليف والترجمة.
- (٥) النَّجان الدينيّـة العليا الخاصّـة بتفسير الأناجيـل والكتب اليهـوديـة وفن مفهومات المنظمة.
 - (٦) التعاون مع كلِّ منظمة تسير في أيّ مخطط من مخطِّطات اليهود.
- (٧) إقيامة عبدةات وثيقة مع أجهزة الاستخبارات والجياسيوسية العبالمبية،
 لاستخدامها في تحقيق أهداف المنظمة.

الأفكار التي تنشرها المنظمة للإقناع بضرورة وجود حكومة عالميّة:

تتضمّن الأفكار التي تبثُها المنظمة في نشراتها وصحفها وكنبها لـبلإفناع بضرورة حكومة عالمية ما يلي:

تحت عنوان الماذا نحتاج إلى حكومة عالمية؟، تقول إحدى نشراتهم:

ه كثيراً ما توحي فكرة حكومة واحدة عالميّة في يد الشخص المناسب، إنّما تُوخّدُ البشريّة بالسّلام .

والخوف من أيّ حكومة عالميّة في يد ظالم هو أنّه قند يستعبد كـلُّ الجنس البشري.

وبالنظر إلى أن ما يمكن ربحه أو خسارته بهاقامـة حكومـة عالميـّـة هو كثيــر، فإنَّ علينا أن نطرح السؤال التالمي :

هل يستحقُّ التفكير في إقامة حكومة عالميَّة الاعتبار الجدّيُّ؟

الجواب: نعم، تحتاج البشرية إقامة حكومة عالميَّة لأسباب كثيرة، منها الأسباب التالية:

أولًا: إن النوع الصحيح من الحكومات العالمية قادر على تحقيق الأمور التالية:

 (١) إيضاف التهريب الدولي للمخدرات، وبـذلك تُكْبـعُ الجريمة التي تكون دوافعها تحصيل الثروات عن طريق المخدرات. (۲) إزالة الحدود القومية، وتوحيد شعوب العالم، وتخليص الناس من معانساة إقامة الحدود بين الدول.

 (٣) توزيع الغذاء على جميع شعوب الأرض بالتساوي، وبذلك بتعدم الجوع بين البشر.

 إذالة المخزون الاحتياطي المتزايد من الأسلحة الذي يثير الرعب في قلوب الناس، وبذلك يتعلمون العيش بسلام.

 (٥) وإذا عمل الجنس البشري باتحاد في ظلّ حكومة واحدة أمكن أن تخفي المشكلات الخطيرة الذي تشغل رعايا كلّ دولة، ومنها ما يؤثر على حياة الناس.

ثانياً: لقد علمتنا تقنية عصر الفضاء أنّ الحياة مرتبطة معاً، من أصغر المخلوقات ذات الخليّة الواحدة، إلى أعقدها، وكلّ شيء له علاقة تقريباً بشيء آخر.

وهذا المبدأ يصمح في الدول أيضاً، ويلاحظ أنَّ في دول نصف الكوة الشمالي ربع سكان العالم، لكنها تملك تسمة أعشار صناعات الأمتمة، وتقبض أربعة أخماس الدخل العالمي، بخلاف نصف الكرة الجنوبي.

وباستطاعة المحكومة العالمية أن تفهم هذه الفروق وتبوازن بين نصفي الكرة الأرضية، وتتخذ الحلول التي تعالج الفغر والمجاعة والتلوث وأخطار المطاقة الشورية. وهذه الامور لا تُحلُّ منفصلة، إنما تُحلُّ بشكل متكامل.

وتهاجم منظمة وشهود يَهْوَه جميع دول العالم، وتصفُّها بالقبْليَّة.

ثالثاً: لكي تنجع المحكومة العالمية الواحمة لا بدّ من أن تتمكن من حشــد مواود المعالم المعادّية والبشريّة، لتزويد حاجات فقراء العالم وإقامـة المساواة بين الــدول الغنيّة والدول الفقيرة.

رايماً: منذ عام (١٩٤٥م) تشكّلت ثلاث منظمات عالميّة رئيسيّة لحفظ النظام. هي والأمم المتحددة في (١٩٤٥م). وحلف شمسال الأطلسي والنسانسوء في سنسة (١٩٤٩م). وحلف وارسو سنة (١٩٥٥م).

ولكن لم تحقّق آيّة واحدة منها تقدُّماً رئيسيّاً نحو السلام العالمي، فقد هزّ العالم

منذ عام (١٩٤٥م) ها يزيـد عن مئة نـزاع مسلَّع، بما فيهـا أربعون حــرباً أودت بحيـاة ما يزيد على ثلاثير مليون نسمة.

والعالم الآن يترتج على شغير عاصفة نارئةٍ نَرَويَّةٍ. ورغم إخلاص مؤيّدي والأمم المتّحدة؛ فقد برهنت على أنّهما حاجزةً، فالمشاحنات بين اعضمائها تتغلب على أعمالها، والأحلاف العسكريّة تُصُونُ تشابُلها مُشْقابِلَةً يُواجِهٌ بعضها بعضماً، وتجلس والأمم المتّحدة، متورطة في مجادلات حول من يُلامً على سباق التسلّع.

خامساً: لكن إذا قام حاكم عادلً للعالم، مالكً الوسية لتوحيد العالم في سلام، فإنّه سينمكّن من تحقيق السلام العالمي على أفضل وجه.

صادماً: وتوصّل التنكير اليهودي الصهيوني بعد هذه المقدمات إلى أنَّ ويَهُوه الذي علق السماوات والرأض يُعلَّم تسرابط أشهاء الكنون بيعضها، لأنها كالناتُ يزادته وخلقه، وقد صار مهنماً بمسالة العكسومة الصالمية، وإنه اعتار مديراً كمالاً منتحناً ومجرباً ليكون زعيناً لشعوب الأرض جميعاً، وهدو الشّمَ من البشر، مع أنه توقرابة لكل الجنس البشرى.

هذا العدير المختار هو ابنه بسوع المسيع ، ويسوع المسيح هو رئيس حيُّ تعالَّا، هو ابْنُ القانو على كلَّ شيء ويُهُونه وقد أعطاه الحكم والسلطان، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويُدْعَى وئيس السّلام، وهو سيتخلّب على كـلَّ العنبات، ويُحْدِبُثُ تغييراً عالمبلًا يوحَد بين شعوب الأرض بسلام.

التعفيب

من الملاحظ أنَّ ادَعادات هذا التنظيم قالمة على التكفّيات حول وجود الصبح الذي يزعمونه ابناً لله ميْهُوّره وحكمه للعالم، وإحداثه للنيرات في كلَّ العالم، وقائمة على الأوهام والاكناذيب، لجذب أصحاب العقول المقيمة، والنفوس الضعيّة، والمقائد القامدة.

ومن الملاحظ أيضاً أن اليهسود. ما يزالوان يُطلّمون بالّهم سيحكمون العالم، وسيربطون شعوب النامن في الكرة الأرضية بمجزام واحد، يكونون هم رؤوسه وقاهنه وملوكه، ويسعون لتحقيق هذا الحلسم بكلّ وسيلة. ولو أنهم تذكروا تاريخهم، ووضعوه نُصْب أعينهم دواماً، لعلمـوا أنّهم عاجـزون عن أن يحافظوا على دولة غير كبيرة في رقعة من الأرض لعدّة قرون.

أنهم لم يستطيعوا أن يحمافظوا على دولتهم المواحدة التي كمانت لهم أيمام سليمان بن داود عليه السلام، بل اختلفوا وتقاتلوا فيما بينهم، فتمرّقت دولتهم، تحميم جميعاً وقلوبهم شتّى.

وموقع البهوي الطبيعي غير الاستثنائي والشماذً، هو أنهم ضُـرِبت عليهم الذُلَّـة والمسكنة، ويانوا بغضب من الله.

أمّا حكم العالم بدولة واحدة فقد راود فاتحين كباراً، ومنهم ذر القرنين، ومع ما حققوا من سلطان عظيم، لم يلبث ملكهم أن انهار، وتموّقت إمبراطورياتهم، وعاد النساس إلى قُولًا مُتنافقة مُشنافسة، وذلك لأنّ طبيعة النساس القائمة على أنّ أفرادهم فوي إرادات حرّة، ونزعات ونزغات وأهواه ومصالح مختلفة متعارضة، لايتلائهم في ظروف الحياة الدنيا، لا يمكن أن تخضع دواماً لسلطان واحد، يُورَثُ من بعده، مهما كان ذا نظام صارم، وصاحب قبضة حديديّة شديدة.

وهل استطاعت آية دولة متقدّمة من دول العالم المتحضرة مع ما قديها من ثروات وقوى، أن تنهي معاناة شعوبهما، وأن تخلّصهم من مشكلاتهم، وأن تنهي سا في نفوس أفرادها من تنازع على السلطة؟

إنّها أوهام في أوهام ، ومؤسسو المنطقة يعلمون ذلك، لكن خُلم اليهود بأن يصلوا إلى حكم الصالم أجمع ، واستضلال كلّ ثرواته، وكلّ الجنس البشري، وأن يكونوا هم ملوك الدنيا، خُلُم مالكُ عليهم كلّ مشاعوهم وأفكارهم، فهم يسعون لذلك بكلّ ما يملكون من حيلة ومكر وسال ووسائل شيطانيّة خبيثة، ولعبنّهُمُّ الجديلة في العالم هي لعبة السّلام.

وأحيل القارئ، إلى مطالعة الرثيقة الشائنة من فقمة «وثائق من أقبوال اليهوده في أواخر كتابي : «مكايد يهدوية عبر التاريخ» فسيجد فيها أنَّ دعوة اليهدو إلى السلام مكينة جديفة قدّروا أنها ستوصلهم إلى حكم العالم أجمع ، واستعباده وإذلاله. لكنّ اله عزّ رجلٌ لن يمكنهم من ذلك، بل سبعيدهم إلَّى موقعهم الطبيعي الذي له صفة القاعدة، وهم الآن في حالة الاستثناء، كما قال الله عزّ وجلّ بشأنهم في سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿ شُرِيَّتْ عَلَيْهِمُ اللَّهِ أَقَدَّ مَا تَلْقِعُوا الْأَحِيْلِ مِنَ اللَّهِ وَصَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَمَنَّا اللَّهِ وَصُهْرِيَّ عَلَيْهِمُ الْمَسْتَكَنَّةُ ذَلِكَ بِالنَّهُمُ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَمَقْتُلُونَ الْأَلِينَةَ بِغَيْرٍ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَمُوا وَكَانُوا اِمِنْدُونَ ﴿ ﴾ .

جاك تنيُّ دعضو مجلس الشبوخ الأمريكي،. ورأيه في الحكومة العالمية:

جاء في كتاب دالأخوة الرائفة، الذي يصرض طائفة كبيرة من مكايد اليهمود في الصالم المعاصس، لمؤلفة وجاك تنيّ، عضو مجلس الشيعوغ الأمريكي، في معرض حديثه عن تأسيس هيئة الأمم المتحدة، ودور اليهود فيها قولماً!

ولبست الحكومة العالمية مجرّد حركة يمكن فهمها وإيقافها، بل هي إعلان فريد عن هجوم ضارً عميق الجدفور، ذكرٌ وحاقد، موجّه ضدّ أسس الحضارة والسين، وريّما يُشكن لها أن تنجح في طمس شمس الحرّيّة، وإخماد الثقافة الدينيّة لعدة أجيالر قادمة.

وتكمن قرتها في إغراء ادهاءاتها، وجهل المؤمنين الجدد بها، والملاحظ أنَّ أنصارها يحرصون على كتم أنفاس أعدائهم، وعدم وصول أصواتهم، وممّا يزيد في فعالية ذلك سيطرة اليهـود على وسائل الإعلام والانصال، ومن الصعب مهاجمة أساليهم الخادعة للدهماء، والمضلّلة للجماهير.

ولكنَّ الحقيقة نظلَ غالباً مدفونـة في أعماقٍ خفيَّـة أو نصف مسترة، وينجح فنُّ اللَّمَاية في تلوين أفكار الناس، وتقومُ الحواجز الدَّهنيَّة الغريبة بسدُّ الطرق أمام السافلة المجوَّنَةِ إلى الحقائق المهخيَّاة.

 ⁽١) انظر الصفحة (١٤٥) منه طبع مؤسسة الرسالة (الطبعة الأولى) ترجمة: وأحمد البلزوري».

وقبل تطويق الفوى الخبيثة التي تحيك المؤامرات صَدَّ الحرِّيَّـة، لا بدَّ أن نصرف هذه الفوى ونكشفهاء.

ويقول أيضاً في الصفحة (١٩٨) من كتابه هذا:

ووأمًا سطوة العمال اليهودي فقىد قويت أكشر من أيّ وقت مضى، وقوته الرّميبــة مسيطرة في كلّ أنحاء العالم.

وفي الوقت نفسه توجد عملية السيطرة على الصالم من خلال الأمم المتحدة، مع أنها غير مهيئاًة حتى الآن لإخضاع أمم الأرض إخضاعاً تاسًاً، ويتشر رجال الدعاية اليهود في كمل مكان، في الحكومات، وفي ميدان الصحافة، وفي الإذاعات بنوعها المسموع والعرثي، وفي الكنائس.

ولا يبدو أنه توجد قوة ما قادرة على إيقاف الزحف اليهودي للسيطرة على العالم، إنهم لم يعسودوا يعملون وحـدهم، فسالاتّسون الـفين غُيلتُ أدمنتهم، وأصبحـوا كالبغاوات، يرددون الدّعاية الصهيونية بحماس متقطع الانفاس، موجودون في كلّ مكان، في مجالس الشيوخ، والنواب، وفي النوادي، وفي زوايا الشوارع،

. . .

خاتمكتهالكنائب

هدا ما فتدح الله به علي فيما يتمثل بالنماق والمنافقين، تحديداً، وتقسيماً، واستنباطاً من النصوص وضوابط الفكر، واستخراجاً لصفات المنافقين، ولأشارهم الضارة المفسدة، وبياناً لما اعد الله لهم من جزاء عادل وسوه مصير، ودراسةً تدبُّريَة للنصوص القرآنية التي نزلت بشان المنافقين مربَّنةً بحسب ترتيب نزولها، وضظرة استعراضية للمنافقين في التاريخ.

على الاً موضوع إحصاء أحداث الدنافقين في التاريخ واستعراض قادتهم من الأمور المتعذّرة بالنسبة إلى الطاقة البشديّة، لذلك لم يكن لمدتي إلاَّ ال اكتنى بعرض أبوز قادتهم وأحداثهم، ممّا تبسّر لمي اللَّ اظفر به لدى تتبُّمي الانتقائي غير الشمامل لعما في مُذوَّنات التاريخ.

وأعتقد أنَّ ما قدَّمت في هذا السُّفر كانِ لعظة المسلمين قادة وشُحوبساً ، ولتحذيرهم من مكايد المنافقين، وتحذيرهم من أنخاذ بطانة منهم، الأسر الذي يستلزم التبُّه لصفاتهم، وظواهر سلوكهم، ووضع مَنْ تحرم حولهم الشبهات موضع المسراقية والحفر الشديد، مع عدم الركون إليهم لمجرَّد انتمائهم إلى المسلمين، وادّعائهم أُنهم قد آمنوا وأسلموا، أو لمجرَّد كونهم من ذراري المسلمين يحملون الهرَّيَة الإسلاسية، فالإسلام انتماءً إراديَّ شخصيٌ، وتطبيق عمليٌّ صادق، وليس أمراً يُورث كما تُدوثُ الأنساب، ولا أمراً جبريًّا يلتصق بالإنسان كما تلتمق القومية أو بلد الولادة والنشأة.

هذه الدراسة الجديدة التي لم أجد فيما أعلم من سبقني إلى مثلها عن النّصاق والمنافقين بالصورة التي انتهجتها، أقدّمها إلى الأمّة الإسلاميّة، سائلاً الله عزّ وجلّ أن يَهِبُ هذه الأمّة المجيدة المصطفاة من بين الامم رُشّدُها، ويمنحها البصيرة الواعبة البقظة، حتى تعمل بوصايا كتاب ربّها جلّ وعلا، وسنة نبيّها بشيّة، وحتى لا تتكرّر لديها الغفلات التي دخل من أبوابها الصختلفة المنافقون، فكادوها كيداً كُبَّاراً، وحَمَّى يأصدُوا الأمور بقوابلها قبل أن تستفحل، ويعلموا أنّ المستلقين هم أكبر الأصداء فيجفروهم، كما أمر الله عبرَّ وجلَّ رسولَـهُ فَكُـلًّ مُؤْمِنِ من بعده بقبوله في سورة (المستافقبون/ 17 مصحف/ 112 نزول):

﴿ مُرَّالْمَدُوُّ فَأَخَذَرُمْ فَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّ بُوْلَكُونَ ۞ .

ربّنا عليك توكّلنا, فاحفظت من النفاق، وفِنَا شرور المنافقين، ورُدّ كيدهم إلى تُحورهم، وامنحنا البصيرة لمعرفتهم والحذر منهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنـا محمّد وعلى آلــه وصحبه أجمعين، وعلى سائر النبيين والمرسلين.

مكنة المكرمة

في يوم الإثنين ٢٤ جمادى الثانية ١٤١٣هـ. و ٣٠كانون الأول ١٩٩١م

عبدارم جسب جبكة الميداني

الفهشرس

المفعة	
	النص الثاني والعشرون: من سورة (النور) الآية (١١) حول موقف المنافقين من حمادثة
٥	الإفك
	النص الثالث والعشرون: من سورة (النور) الآية (٣٣) حول موقف بعض المنافقين من
۱۳	إكراه الإماء على الغاء
	المنص الرابع والعشيرون: من سورة (النبور) الأيبات من (٧٧ ــ ٥٤) حــول كـذب
71	المنافقين في ادّعائهم الطاعة ورفضهم التحاكم لله ورسوله
	النص الخيامي والعشيرون: من سيورة (النيور) الأيسات من (٦٢ ــ ٦٤) حيول تسلُّن
21	المنافقين من المجامع العامة بدون إذن وسوء أدبهم في خطاب الرسول
	المنص السادس والمشرون. سورة (المنافقون) كُلُّها وهي إحدى عشرة آية حول
	بيان حقيقة المنافقين وبعض صفاتهم الظاهرة والباطنية وبعض مواقفهم والتحذير
٥٣	٠
	المنص السابع والعشرون: من سورة (المجادلة) الأيات من (٥ ــ ١٠) حول محادّة
Α٣	المنافقين لله ورسوله وتناجيهم في السرّ بذلك وتحيتهم الرسول تحيَّة منكرة
	المنص الشامن والعشرون: من مسورة (المجادلة) الآيات من (١٤ – ٢٢) حبول اتخاذ
۲۰۳	المنافقين اليهود أولياه لهم وتستَّرهم بالأيمان الكاذبة واستحواذ الشيطان عليهم.
	النص التاسع والعشرون: من سورة (التحريم) الآية (٩) حول مجاهدة الكفار
170	والمنافقين والإغلاظ عليهم
	النص الثلاثون: من سورة (الفتح) الآيات من (١ ــ ١٧) حول أثــر الفتح المبين الــذي
۱۳۲	حصل في صلح الحديبية على نفوس المنافقين المخلّفين وموقفهم
	النص الحادي والثلاثون: من سورة (السائدة) الآية (٤١) حول تكليف الرسول أن لا
۱۸۳	يحزن من أجل المنافقين الذين يسارعون في الكفر
	النص الثاني والثلاثون: من سورة (المائدة) الأيات من (٥١ – ٥٣) حول اتخاذ الذين

المنحة	
141	في قلوبهم مرضٌ من النفاق اليهود والنصارى أولياء
199	
	النص الرابع والثلاثون: من سورة (التوبة) الآيات من (٤١ ـــ ١٢٩ آخر السورة) حــول
¥10	علة ظواهر سلوكية للمنافقين بمناسبة أحداث غزوة تبوك وأخرى إبانها
*11	 مقدمات حول أحداث غزرة تبوك وما رافقها
777	قصة مسجد الضرار
***	 دراسة النص دراسة تديرية وفيه سبعة عقود:
	العقمة الأول: استعراض أكبر وقائم المشافقين وغيرهم إبّان أحداث غنزوة تبوك
	وتجربتها، مع التعقيبات والتوجيهات الرّبانية وبعض المقدمات.
772	الأيات من (٤١ ـــ ٩٨)
	العقد الثاني: بيان أقسام مجتمع المسلمين يوشدُ بعد استصراض أهم الوقسائع، صع
	التعقيبات والترجيهات الربانية .
741	الأيات من (٩٩ ــ ١٠٦)
	العقد الثالث: قصة مسجد الضرار مع التعقيبات والترجيهات الرَّبانية.
٤٠٤	الأيات من (۱۰۷ ــ ۱۱۰)
	العقد الرابع: بيانات وتوجهات تتعلق بقضايا وردت في العقود السابقة.
173	الأيات من (١١١ ــ ١١٩)
	العقد الخامس: تعليمات وتوجيهات حول الخروج للفتال في سبيل الله.
207	الأبات من (۱۲۰ ــ ۱۲۳)
	العقد السادس: بيان موقف المنافقين تجاه ما كان ينزل من القرآن تباعاً في مقابل
	موقف المؤمنين.
٤٧١	الأيات من (۱۲۶ ــ ۱۲۷)
• • •	العقد السابع: آخر توجيه من الله للنباس بالنسبة إلى الرمسول ﷺ ومعه وصيبة من الله
	للرسول.
£AY	الأيتان (۱۲۸ و ۱۲۹)

ورافع بن زيد _ مالك بن قوقل _ سُويد _ داعس

0 79

٥٣.

021

المفحة	لموضوع
--------	--------

	(١٤) ممن ذَّكر من المنافقين من أحبـار اليهـود: سعَّـد بن حنيف ــ نُعْمـان بن
	أوفي _ عثمان بن أوفي _ رافع بن حُريملة _ رفاعة بن زيد بن التابوت _
031	ملسلة بن برهام ــ كنانة بن صُورياً ــ زيد بن اللَّصيت · · · · · · · · · · · · · ·
٥٣٣	المعقولة الثانية: حول طائفة من أحداث المنافقين في عصر الرسول 義
0 1 0	هصل الثالث: منافقون عير تاريخ المسلمين بعد عصر الرسول ﷺ
	وفيه سبع مقولات:
087	الأولى: مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
0 5 9	لمقولة الثانية: المنافق اليهودي عبد الله بن سبأ وخباثته الخطيرة في تاريخ المسلمين
	لمقولة الشالثة: المنافق اليهودي (أو المجوسي) ميمون بن ديصان القدّاح، وخبالته
٥٧٥	الخطيرة في تاريخ المسلمين
	لعشولة السرابعة: العنافق ابن العلقمي وخيانته للدولة الإسلامية وخليفتهما العباسي
0.00	المستعصم بالله محمد بن الظاهر
.,,,	لمقولة الخامسة: يهرد الدونمة المنافقون ودورهم في سفوط الخلافة العثمانية وإقامة
***	العلمانية
999	المقولة السادسة: منظمة البابية فالبهائية إحدى المنظمات المنافقة
113	المقولة السابعة: منظمة الفاديانية
• • •	القسم الرابع
	منظمات نفاق عالمية ذات شعارات إنسانية عامة
	تظهرها لتحقيق رغبات خاصة تبطنها
171	الفصل الأول: الماسونية منظمة نفاق عالمية
109	الفصل الثاني: نوادي الروتاري إحدى بنات الماسونية
יוו	الفصل الثالث: نوادي اللَّيُونُر (الأُسُود) إحدى بنات الماسونية
179	الفصل الرابع: الشيوعية إحدى منظمات النقاق في العالم
۱۷۵	الفصل الخامس: منظمة شهودُ يَهُونُهُ (أي: شهود الله)
IAY.	خاتمة الكتاب خاتمة داري. سهود الله

آشارالمؤلف

الله على سلسلة أعداء الإسلام:

- (١) مكايد يهودية عبر التاريخ
- (٢) صراع مع الملاحلة حتى العظم
- (٣) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها.والتبشير والاستشراق والاستعمارة
 - (٤) الكيد الأحمر.
 دراسة وأعية للشياعية:
 - ودراسه واعبه للشيوء (٥) غــزرٌ في الصميــم.
- ددراسة واعبة للغزو الفكري والغسي والخلقي والسلوكي في مجالات التعليم المنهجي والتثنيف العام؛
 - (٦) كوأشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة
- (٧) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ مع دراسة شاملة لمنصوص القرآنية في
 النفاق والمنافقين

ثنياً... في طريق الإسلام:

- (١) العقيدة الإسلامية وأسسها
- (٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها
 - (٣) براهين وأدلَّة إيمانية
- (٤) الصيام ورمضان في السنة والقرآن.
- ودراسة في طريق بحوث فقه الكتاب والسنة ع (٥) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها
 - رد) مسل مسيود الإسراب ور دلار معادم منا أقبال الأسياب
 - (١) روائع من أقوال الرسول.
 «دراسات لغوية وفكرية وأدبية»
 - (٧) الأمة الربّانية الواحدة

ثالثاً ... دراسات قرآئية :

- (١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ
 - (٢) تدبر سورة (الفرقان)
 - (٢) تفسير سورة (الرعبد)
 - (1) أمثال القرآن وصور من أديه الرفيع
- (٥) نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد.
 - «دراسة في طريق التفسير الموضوعي»
 - رايعاً ـ حول الأدب الإسلامي:
 - (١) مبادىء في الأدب والدعوة
 - (٢) ديوان آمنت بالله (شعر)
- (٣) هيوان ترنيمات إسلامية (شعر) للنشيد
- (١) ديوان أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه المدعاة
- خامساً ـ كنب متنوعة:
 - (١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة
 - (۲) بصائر للمسلم المعاصر
 . . وغير ذلك من متفرقات.

_ . .